مجلة الأزهر

١٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف
٣٦١ هجرية ٩٧٢ ميلادية
ALAZHAR AL SHARIF

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

١٠٦

المجلد الخامس والسبعون ـ القسم الثاني

السنة ١٤٢٣هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى
مدير التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدى
سكرتير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

- من تفسير سورة النجم
لفضيلة الإمام الأكبر
- السيرة النبوية والأدب الشعبى
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى
- من نفحات الإسراء والمعراج
لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى
- ملامح القوة فى الإسراء والمعراج
لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصى
- الإنسان بين الحرية والسنن الإلهية
للدكتور / عبد الحليم عويس

الاشتراك السنوى

- داخل مصر .... ١٨ جنيهًا مصريًا
- الدول العربية .... ٥٠ دولارًا أمريكيًا
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولارًا أمريكيًا
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولارًا أمريكيًا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ..٥٧٨٦١٠٠ - ٨٥٧٦٢٠٠

رجب ١٤٢٣هـ - سبتمبر / أكتوبر ٢٠٠٢م - الجزء السابع - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

السيرة النبوية

اتجهت بعض الدراسات الجامعية إلى تدوين ما يسمى بالأدب الشعبى، مما يدور على ألسنة الناس من شعر عامى وقصصى بطولى وأمثال شائعة وتوسع فى هذا المجال من خصصوا الأقسام العلمية، وأقاموا الأساتذة المنهجيين، وخططوا الرسائل الجامعية لتحليل هذا الأدب الذائع، وقد عده عشاقه من أثمر الفنون فائدة، وأصدقها دلالة على نفسيات الشعوب، وأخلاق المجتمعات، فظهرت دراسات عن أمثال عنترة، والظاهر بيبرس، وسيف ابن ذى يزن، والأميرة ذات الهمة، وأبى زيد الهلالى، وحمزة البهلوان، وكلها تهدف إلى تصوير هذه الشخصيات التاريخية لا كما وردت أخبارها عن الثقات من المؤرخين، بل كما ترددت فى الأساطير المتداولة على ألسنة العامة منذ قرون عدة، حيث يضيف الخالف إلى السالف من العجائب والغرائب ما لايقف عند حد، وبحيث يكون رجل كعنترة في القرن الأول الهجرى غيره فى القرن الثانى وفى القرن الثالث غيره فى القرن الرابع وهكذا تتضخم الأخبار لتصور خيالات الشعوب عن الباطل بصرف النظر عن واقعه التاريخى.

ودعك مما يسرف فيه المحبذون من تمجيد هذه الدراسات وعدها فتحاً مبيناً فى البحث الأدبى! ومع عدم الاقتناع بما يقوله أنصار هذا الاتجاه حين أعطوا للأساطير الخرافية أكثر مما تستحق، فإن الكثيرين من مخالفى هذا الاتجاه لم يشاءوا أن يقفوا فى طريق هؤلاء الهواة، لأن الخطر الناجم عن تضخيم الأحداث بالنسبة لهؤلاء غير ذى بال! ولكن اتجاه فريق من الباحثين إلى رصد الأساطير الشعبية التى أضيفت للسيرة النبوية، والاهتمام بتسجيل ما لفقّه القصّاص حول سيرة الرسول، وعدّه أثراً أدبياً يجب أن يأخذ مكانه من الرصد والتدوين.

هذا الاتجاه الذى يخلط الواقع بالخيال ويموّه الحق بالباطل في سيرة سيد الأنبياء ﷺ هو خطر شنيع يهدد السيرة الصادقة، حين يسمح أن تمتزج بأساطير المخرفين، واختلاق من لا

ـة والأدب الشعبى

يقدرون خطر الكذب على رسول الله، إذ هم فى الواقع يساعدون على ذوبان الحقائق فى خضم الأباطيل، وإذا اتسع هذا النطاق إلى مداه المرتقب دون أن يجد من يقف فى طريقه فسيأتى زمن يحار فيه القارىء بين ما يأخذ وما يدع مما يرى ويقرأ من الأخبار، بل ربما تملكه الشك فى كل ما يقرأ...

وتلك هى الغاية التى اتجه إليها المستشرقون حين اهتموا بدراسة الأساطير الشعبية لتصبح تاريخاً فيما بعد! ولتمتد إلى سيرة رسول الله ﷺ فتحوطها بركام كثيف يحجب الساطع من لألائها المنير، وقفّى على أثر هؤلاء من بنى الإسلام من جهلوا عاقبة ما يصنعون، فاندفعوا إلى شفير الهاوية غير متئدين وإلى هؤلاء نتوجه بالحديث.

سؤال حائر

وتسأل عن السر فى الاهتمام بهذه الأساطير الشعبية لدى من يحرصون على جمعها ودراستها، فتجد الدكتورة الفاضلة (نبيلة إبراهيم سالم) أستاذة الأدب العربى بكلية الآداب جامعة القاهرة تقول بصدد هذا الاتجاه فى بحث ضاف نشرته بمجلة (عالم الفكر)، وهى بالضرورة فى طليعة من يأخذون بهذا الاتجاه[1]:

تقول الكاتبة الفاضلة: (إن الرواة اعتمدوا فى هذه الرواية (رواية الأساطير الشعبية فى قصة المولد النبوى) على خيالهم أكثر من اعتمادهم على النص الأصلى للسيرة أو النصوص المدونة الأخرى، إذ لم تكن الأحداث التى روتها السيرة وألفها الناس هى التى تثير شعور الجماعة، بل هى الإضافات التى تنبع من وحى مشاعرهم وتصور لهم كيف احتفل الكون بأسره بميلاد الرسول ﷺ منذ كان بذرة فى بطن أمه إلى أن خرج من الوجود).

---

(١) مجلة عالم الفكر - عدد (يناير، فبراير، مارس) فصلية سنة ١٩٨٢، ص ٣٦٥.

وتعليقاً على هذا الرأى نقول: أما أن الرواة قد اعتمدوا فى قصة المولد النبوى على خيالهم أكثر من اعتمادهم على النص الأصلى للسيرة أو النصوص المدونة الأخرى فنعم! وهذا مصدر الخطأ من الرواة، إذ لا يجوز لهم أن يخلطوا بين الواقع والخيال فى سيرة صادقة لنبى صادق مشهود الوقائع، متواتر الأحداث، مشتهر الصفات! وأما أن الأحداث التى روتها السيرة وألفها الناس لا تثير شعور الجماعة، وإنما تثيرها الإضافات التى تنبع من وحى مشاعرهم وتصور لهم كيف احتفل الكون بأسره بميلاد الرسول ﷺ، فهذا ما نخالفه كل المخالفة، لأن عظمة الرسول منذ مولده إلى وفاته لم تقم على الإضافات التى نسبت إليه، ولم تتأجج عاطفة الحب للنبى العظيم لدى الخاصة والعامة من المسلمين لما أضافه الخيال فى سيرته المطهرة، ولكن لما فى واقع هذه السيرة من نماذج عليا للمثل الرفيعة، إذ أن أخلاق الرسول المثالية ومواقف جهاده الصابرة الثابتة، وتأديته رسالة السماء على نحو ما كان ليبلغه سواه حتى أخرج الناس من الظلمات إلى النور، هذا كله هو الذى أجج مشاعر المسلمين نحو نبيهم الكريم! أما الأساطير المضافة فأهون بها فى هذا المجال، وقد أضيفت أساطير هائلة إلى سير أقزام فلم تفعل شيئاً!!

إن الكاتبة الفاضلة ذكرت فى مجال القصص الشعبى الخاص برسول الله، قصة عامر اليهودى، وقصة اليتيم المظلوم، وقصة الجمل والغزالة، وقصة معاذ بن جبل مع الإضافات التى ألصقها الرواة بقصتى الإسراء والمولد النبوى واعتبرت ذلك خيالاً شعبياً رائعاً يضيف الحماسة الدافقة، والحنان المتوقد لذكرى رسول الله! وهو رأى يزداد عجبنا من سرده، لأن هذه الأساطير وحدها لا تقدم ولا تؤخر فى مقياس العظمة النبوية التى تُغنى بجهادها وصفاتها وأثرها فى المحيط الإنسانى بأجمعه عن كل تلفيق زائف تسطع عليه شمس الحقيقة فيتحول إلى سراب!

أيتأجج شعور المسلمين نحو رسول الله لأن ما يدعى (خيالاً دون حقيقة) بعامر الراهب، كانت له ابنة كسيحة مُقْعَدة ورأت نوراً من السماء ليلة مولده فبرئت ودُهش والدها فسار مَعها إلى منزل الوليد الجديد ليراه مؤتلق الضياء! أيتأجج الشعور بهذا القصص الكاذب، ولا يتأجج بمواقف جهاده ﷺ منذ قام وحده داعياً إلى الله صارخاً فى قومه: لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، إن الرائد لا يكذب أهله، ومتحملاً أشد بلاء الاضطهاد من عمه وذوى قرباه فضلاً عن الأبعدين الغرباء، حتى جاء نصر الله والفتح.

أتتأجج مشاعر المسلمين نحو رسول اللّه لأن الغزالة والجمل كان له شأن معهما إذ رهن نبى الإسلام (كما تدعى القصة كذباً) نفسه عند صاحب الغزالة كى يفك أسرها لتذهب حيث ترضع أولادها وتعود، ثم يتحدى اليهودى رسول الله أن يجعله ينطق الجمل، فما كان من النبى إلا أن أنطق الغزالة ليكون نطقها معجزة كافية لا تقبل الإنكار! أتتأجج مشاعر المسلمين بهذا الاختراع الساذج، ولا تتأجج بموقف كموقفه يوم الهجرة حين خرج فاراً بدينه، وكان:

﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ ﴾[٢].

أتتأجج مشاعر المسلمين لقصة يتيم مخترعة عن طفل رآه الرسول بعد رجوعه من غزوة ظافرة، فاجتباه وأهداه لابنته فاطمة – هكذا تزعم الرواية – ثم وجدها تضربه ذات يوم لخطأ وقع فيه، فلامها أبوها، ونزل قول الله عز وجل ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴾[٣]! ولا تتأجج لمواقف الرحمة المتكررة في حياته الشريفة وهي مواقف حقيقية ذائعة مشتهرة في المأثور الصادق من الأخبار، وزكاها الله بقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٤]

أتتأجج مشاعر المسلمين لعودة معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ من اليمن حين علم بوفاة الرسول، واتصاله بكبار الصحابة ليحدثوه عن اللحظات الأخيرة من حياته الشريفة وعن حضور جبريل وبكائه وتردد عزرائيل، مما نسجه خيال القصاص الملفق، ولا تتأجج لاحتمال الرسول أعباء الجهاد في بدر وأحد والخندق يوم تألبت الجزيرة العربية كلها عليه. خارج المدينة، وانتفض اليهود معهم داخلها، يقول المولى سبحانه:

﴿ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ ﴾[٥] لدى المترددين، أما الرسول وأصحابه فهتفوا قائلين حين رأوا الأحزاب:

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴾[٦].

أتتأجج مشاعر المسلمين لإضافات المولد النبوي وحواشي قصة المعراج ولا تتأجج للنصر النهائي الذي تم على يده ﷺ حين رجع ظافراً إلى مكة وعفا عن خصومه فقال في سماحة: « اذهبوا فأنتم الطلقاء »[٧] وهو يومئذ سيد العرب جميعاً!!.

---

(٢) سورة التوبة الآية ٤٠.

(٣) سورة الضحى الآية ٩.

(٤) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٥) سورة الأحزاب الآية ١٠.

(٦) سورة الأحزاب الآية ٢٢.

(٧) سيرة ابن هشام جـ ٢.

لو كان الذين وضعوا قصة المولد قد احتفلوا بروائع الأحداث الخطيرة فى السيرة النبوية الزكية لأغنتهم أعظم الغناء عن فرار وحوش المشارق إلى وحوش المغارب يوم الميلاد، وما نعرفُه مما تزيّد فيه الواضعون، ورسول الله نفسه يقول: «إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة»[٨]، ولم يقُل إن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قد حضرتا ميلاده السعيد! وإنما قاله الواهمون، أفيكون هذا القول وحده هو الذى يؤجج مشاعر المسلمين!!.

أظن الباحثة الفاضلة قد استرسلت فى أوهام خادعة حين ظنت أن الأساطير الملفقة تفوق الحقائق الصادقة! ولو كان ذلك أمراً حقيقياً لاستطاع الصغار أن يكونوا كباراً بمحض التلفيق، ولأخذوا أماكنهم الرفيعة فى سجل التاريخ بخيال زائف ترتجف قدماه! فلا يستطيع النهوض.

قصــــة المولــــد

كانت وزارة الأوقاف المصرية منذ أكثر من نصف قرن قد دعت إلى مسابقة أدبية لتأليف قصة للمولد النبوى تبعد عن الأساطير الخرافية التى لا تمت إلى الواقع بسبب، لأن القصص المتداولة حينئذ كقصص البرعى والبرزنجى والجنبيهى والمنياوى قد احتفلت بهذه الأساطير على نحو يجعلها فى أذهان العامة حقيقة واقعة، وهذا ما يباعد بينهم وبين السيرة الصحيحة فى مسارها القويم، وقد رحبت الهيئات العلمية باتجاه الوزارة ورأت فيه خطوة سديدة لارتقاء المعلومات الدينية، وتصحيح القيم النبوية، ولكن الدكتور طه حسين قد اعترض وحده على هذا الاتجاه القويم، وكتب مقالاً ضافى الذيول يعارض به فكرة المسابقة التى عقدتها وزارة الأوقاف، ولم أكن لأتعرض لهذا الموضوع اليوم فقد أشرت من قبل[٩] لولا أن الدكتورة الفاضلة نبيلة إبراهيم سالم قد باركته وأيدته واستشهدت ببعض ما ذكر الدكتور طه حسين، من مثل قوله[١٠]:

«وأى بأس على المسلمين فى أن تتحدث إليهم قصص كهذه الأحاديث الحلوة، فتنبئهم بأن أمم الطير والوحش كانت تختصم بعد مولد النبى، كلها يريد أن يكفله، ولكنها ردت عن هذا لأن القضاء سبق بأن رضاع النبى سيكون إلى حليمة السعدية، وأى بأس على المسلمين فى أن يسمعوا أن الجن والإنس والحيوان والنجوم تباشرت بمولد النبى، وأن الشجر أورق بمولده، وأن الروض ازدهى لمقدمه وأن السماء دنت من الأرض حين مس الأرض جسمه الكريم؟ لم تأت الأحاديث بشىء من هذا؟.

---

(٨) كنز العمال، جـ ٦، حديث رقم: ١٤٩٦٥.

(٩) قضايا اسلامية للمؤلف ج ٢ ص ٢٠٣.

(١٠) عالم الفكر ص ٣٨٦ السابق.

ولكن الناس يحبون أن يسمعوه ويرون فى التحدث به والاستماع إليه تمجيداً للنبى الكريم، لا بأس به، ولا جناح فيه، وأى بأس على المسلمين فى أن يسمعوا أن نفراً من الملائكة أقبلوا إلى النبى وهو طفل يلعب فأضجعوه وشقوا عن قلبه، وغسلوه حتى طهروه، ثم ردوه كما كان، وأقاموه كأن لم يصبه مكروه، لم يصح الحديث بهذا ولكن المسلمين يتحدثون به ويستمعون له منذ أكثر من اثنى عشر قرناً، لم يفسد لذلك ذوقهم، ولم يضعف إيمانهم، إن من فاحش الخطأ أن يضيق على الجماهير حتى فى القصص البرىء، وإن من فساد الذوق ألا يباح للجماعات إلا الحق الذى لاحظ للخيال فيه، إن من سوء العناية بالدين أن يكف الخيال عن تأييد الدين » .

د. محمد حسين هيكل

الإســـــرائيليات والشـــــعبيات

ولعل الدكتور محمد حسين هيكل صاحب كتاب (حياة محمد) كان أقوى من تصدى لمجابهة الدكتور فى شططه فكتب فى ملحق (السياسة الأسبوعية)[(١١)]. يعلن أن ما ذكره طه حسين ليس حقاً إذ يعنى بإسرائيليات سُطِّرَت لإفساد العقول وتشكيك المستنيرين ودفْع الريبة إلى نفوسهم في شأن الإسلام ونبيه الكريم، وقد وضعت مثل هذه الأساطير فى تواريخ بعض الأديان السابقة فنادى المصلحون بضرورة محوها! .

وأزيد على ما كتبه الدكتور محمد حسين هيكل فأقول: إن جهداً جباراً من جهود الباحثين اليوم قد اتجه إلى تفنيد ما ذكر خطأ فى كتب التفسير والسيرة النبوية، وقصص الأنبياء من إسرائيليات تحطّ من مقام النبوة الكريم فإذا جئنا اليوم ودعونا إلى تسجيل (الشعّبيات) التى يرددها العامة، فستكون أداة طعن فى الإسلام حين ينهض من الخصوم من لا يفرق بين الواقع والخيال، فيهاجم هذه الأباطيل، وكأنها حقائق يعتنقها المسلمون، وتؤلف الكتب الجامعية فى تحليلها بدءاً بعدِّها فى الأسطورة، ثم يزول هذا المعنى لتنتقل من الخيال إلى الحقيقة، ونحتاج إلى تنقية السيرة منها وكتابة مؤلفات عن الشعبيات، كما كتبت المؤلفات عن (الإسرائيليات) لا لشىء إلا لأن أهل الغرب قد دعوا إلى دراسة الأدب الشعبى لحاجة فى نفوسهم، فسرْنا وراءهم شبراً شبراً، حتى إذا تجرءوا على تاريخ نبى الإسلام تابعناهم مرحبين، وعددنا ذلك عملاً فنياً تارة، وبحثاً منهجياً تارة أخرى، ولابد أن تتيقظ العقول فلا تندفع فى شطط مريب .

د. / محمد رجب البيومى

(١١) ملحق السياسة الأسبوعية ديسمبر سنة ١٩٩٣ م.

بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج نقدم لقرائنا هذا الشهر تفسير آيات بينات من سورة «النجم» لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

مِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّجْمِ

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى - :

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥)
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨)
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠)
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥)
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ النجم: ١ - ١٨

افتتح الله – تعالى – هذه السورة بهذا القسم العظيم، للدلالة على صدق رسوله ﷺ وللرد على أولئك المشركين الجاهلين، الذين زعموا أن النبى ﷺ قد اختلق القرآن الكريم.

والنجم: هو الكوكب الذى يبدو للناظرين، لامعا فى جو السماء ليلا.

والمراد به هنا: جنسه، أى ما يشمل كل نجم بازغ فى السماء، فأل فيه للجنس، وقيل: أل فيه للعهد والمراد به نجم مخصوص هو: الشعرى، وهو نجم كان معروفًا عند العرب، وقد جاء الحديث عنه فى آخر السورة، فى قوله – تعالى –:

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴾[1]. قالوا: وكانت قبيلة خزاعة تعبده.

وقيل المراد به: الثريا، فإنه من النجوم المشهورة عند العرب.

وقيل: المراد به هنا: المقدار النازل من القرآن على النبى ﷺ وجمعه نجوم، وقد فسره بعضهم بذلك فى قوله – تعالى –:

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾[2].

ومعنى «هوى»: سقط وغرب، يقال هوى الشىء يهوى – بكسر الواو – هويا – بضم الهاء وفتحها – إذا سقط من أعلى إلى أسفل.

قال الآلوسى: وأظهر الأقوال، القول بأن المراد بالنجم، جنس النجم المعروف، فإن أصله اسم جنس لكل كوكب. وعلى القول بالتعيين، فالأظهر القول بأنه الثريا ووراء هذين القولين، القول بأن المراد به: المقدار النازل من القرآن..[3].

وقوله – سبحانه –:

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾

جواب القسم و«ما» نافية، و«ضل» من الضلال، والمراد به هنا: عدم الاهتداء إلى الحق، وإلى الطريق المستقيم.

و«غوى» من الغى، وهو الجهل الناشىء من اعتقاد فاسد، وهو ضد الرشد.

و«الهوى» الميل مع شهوات النفس، دون التقيد بما يقتضيه الحق، أو العقل السليم.

والمعنى: وحق النجم الذى ترونه بأعينكم – أيها المشركون – عند غروبه وأفوله، وعند رجمنا به للشياطين.. إن محمدا ﷺ الذى أرسلناه إليكم:

﴿ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[4]، ما ضل عن طريق الحق فى أقواله وأفعاله، وما كان رأيه مجانبا للصواب فى أمر من الأمور، وما ينطق بنطق صادر عن هوى نفسه ورأيه، وإنما ينطق بما نوحيه إليه من قرآن كريم، ومن قول حكيم، ومن توجيه سديد.

وقد أقسم – سبحانه – بالنجم عند غروبه، للإشعار بأن هذا المخلوق العظيم مسخر لإرادة الله – تعالى – وقدرته، فهو مع لمعانه وظهوره فى السماء لا يتأبى عن الغروب والأفول، إذا ما أراد الله – تعالى – له ذلك، ولا يصلح أن يكون إلها، لأنه خاضع لإرادة خالقه.

---

(١) النجم (٤٩).
(٢) الواقعة (٧٥).
(٣) تفسير الآلوسى جـ٢٧ ص٤٥.
(٤) الأحزاب (٤٥).

ولقد حكى – سبحانه – عن نبيه إبراهيم أنه حين:

﴿ جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾[٥].

قال بعض العلماء: والوجه أن يكون قوله: ﴿ إِذَا هَوَىٰ ﴾ بدل اشتمال من النجم، لأن المراد من النجم أحواله الدالة على قدرة خالقه ومصرفه، ومن أعظم أحواله حال هويّه وسقوطه، ويكون ﴿ إِذَا ﴾ اسم زمان مجردا عن معنى الظرفية، فى محل جر بحرف القسم..[٦].

وقال – سبحانه –: ﴿ صَاحِبُكُمْ ﴾ للإشارة إلى ملازمته ﷺ لهم، طوال أربعين سنة قبل البعثة، وأنهم فى تلك المدة الطويلة لم يشاهدوا منه إلا الصدق، والأمانة، والعقل الراجح، والقول السديد.. وأنهم لم يخف عليهم حاله بل كانوا مصاحبين له، ومطلعين على سلوكه بينهم، فقولهم بعد بعثته ﷺ إنه ساحر أو مجنون.. هو نوع من كذبهم البين، وجهلهم المطبق.

وقوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ استئناف بيانى مؤكد لما قبله.

والضمير ﴿ هُوَ ﴾ يعود إلى المنطوق به، المفهوم من قوله – تعالى –: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾. أى: إن الرسول ﷺ لا يصدر نطقه فيما يأتيكم به عن هوى نفسه ورأيه، وإنما الذى ينطق به، هو وحى من الله – تعالى – أوحاه إليه على سبيل الحقيقة التى لا يحوم حولها شك أو ريب.

ومتعلق ﴿ يُوحَىٰ ﴾ محذوف للعلم به. أى: ما هذا الذى ينطق به إلا وحى أوحاه – سبحانه – إلى نبيكم ﷺ.

قال الإمام ابن كثير: قوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ أى: إنما يقول ما أمر بتبليغه إلى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان.. فعن عبدالله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتنى قريش فقالوا: إنك تكتب كل شىء تسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم فى الغضب، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك له، فقال: «اكتب فوالذى نفسى بيده، ما خرج منى إلا الحق»[٧].

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا أقول إلا حقا» فقال بعض الصحابة: فإنك تداعبنا يا رسول الله؟ قال: «إنى لا أقول إلا حقا»[٨].

وقال صاحب الكشاف: ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء، ويجاب بأن الله – تعالى – إذا سوغ لهم الاجتهاد، كان الاجتهاد وما يستند إليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى[٩].

ثم بين – سبحانه – بعد ذلك جانبا من صفات جبريل – عليه السلام – الذى ينزل بالقرآن على النبى ﷺ فقال:

---

(٥) الأنعام (٧٦).

(٦) تفسير التحرير والتنوير جـ٢٧ ص.٩٠ للشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

(٧) فتح البارى ٢٠٧/١، وأحمد ١٦٢/٢.

(٨) راجع تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٢٤٧.

(٩) تفسير الكشاف جـ٤ ص٢٨.

﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ .

أى: علم النبى ﷺ القرآن، ملك من ملائكتنا الكرام، وهو جبريل - عليه السلام - الذى أعطيناه قوة شديدة، استطاع بها أن ينفذ ما كلفناه بتنفيذه.

والضمير المنصوب فى «علمه» هو المفعول الأول، والثانى محذوف. أى: القرآن، لأن علم تتعدى إلى مفعولين.

وقوله: ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ صفة لموصوف محذوف. أى: ملك شديد القوى.

قالوا: وقد بلغ من شدة قوته، أنه اقتلع قرى قوم لوط - عليه السلام - ثم رفعها إلى السماء، ثم قلبها. بأن جعل أعلاها أسفلها.

وقوله - تعالى -: ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ صفة أخرى من صفات جبريل - عليه السلام -، والمرة - بكسر الميم - تطلق على قوة الذات، وحصافة العقل ورجاحته، مأخوذ من أمررت الحبل، إذا أحكمت فتله.

وشبيه بهاتين الآيتين قوله - تعالى -:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾(١٠).

وقوله: ﴿ فَٱسْتَوَىٰ ﴾ أى: فاستقام على صورة ذاته الحقيقية، دون الصورة الآدمية التى كان ينزل بها على الرسول ﷺ.

﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ أى: وهو - أى جبريل - بالجهة العليا من السماء المقابلة للناظر إليها: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ أى: ثم قرب جبريل - عليه السلام - من النبى ﷺ ﴿ فَتَدَلَّىٰ ﴾ أى: فانخفض من أعلى إلى أسفل.

وأصل التدلى: أن ينزل الشىء من طبقته إلى ما تحتها، حتى لكأنه معلق فى الهواء، ومنه قولهم: تدلت الثمرة إذا صارت معلقة فى الهواء من أعلى إلى أسفل.

ثم صور - سبحانه - شدة قرب جبريل من النبى ﷺ فقال: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ والقاب: المقدار المعين: وقيل: هو ما بين وتر القوس ومقبضها.

والقوس: آلة معروفة عند العرب، يشد بها وتر من جلد، وتستعمل فى الرمى بالسهام.

وكان من عادة العرب فى الجاهلية، أنهم إذا تحالفوا، يخرجون قوسين ويلصقون إحداهما بالأخرى، فيكون قاب إحداهما ملاصقا للآخر، حتى لكأنهما قاب واحد، ثم ينزعونهما معا ويرمون بهما سهما واحدا، فيكون ذلك دليلا على التحالف التام والرضا الكامل.

والمعنى: أن جبريل - عليه السلام - بعد أن كان بالجهة العليا من السماء، ثم قرب من النبى ﷺ، ثم زاد فى القرب، حتى كان على مقدار مسافة قوسين منه ﷺ أو أقرب من ذلك.

قال صاحب الكشاف: قوله:

(١٠) التكوير (١٩ : ٢١)

﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ مقدار قوسين عربيتين، والقاب والقيب، والقاد والقيد، المقدار.. وقد جاء التقدير بالقوس، والرمح، والسوط، والذراع، والباع، والخطوة والشبر.. ومنه الحديث الشريف: «لقاب قوس أحدكم من الجنة، وموضع قده، خير من الدنيا وما فيها»(١١) والقد السوط.

فإن قلت: كيف تقدير قوله:

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾، قلت: تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، فحذفت هذه المضافات..(١٢).

و«أو» في قوله: ﴿ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ للشك، ولكن هذا الشك من جهة العباد، أي: أن الرائي إذا رأى هذا الوضع قال: هو قاب قوسين أو أقرب من ذلك، ويصح أن تكون بمعنى «بل».

قال الجمل: قوله: ﴿ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ هذه الآية كقوله:

﴿ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾(١٣).

لأن المعنى: فكان - جبريل - بأحد هذين المقدارين في رأي الرأي. أي: لتقارب ما بينهما يشك الرائي في ذلك.

وأدنى: أفعل تفضيل، والمفضل عليه محذوف. أي: أو أدنى من قاب قوسين، ويصح أن تكون بمعنى بل، أي: بل هو أدنى..(١٤).

وقوله:

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ أي: فأوحى جبريل - عليه السلام - إلى عبدالله ورسوله محمد ﷺ ما أوحى من قرآن كريم، ومن هدى حكيم.

فالضمير في قوله: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ ﴾ أي: جبريل، لأن الحديث في شأنه، وإيحاؤه إنما هو بأمر الله - تعالى - ومشيئته، ويرى بعضهم أنه يعود إلى الله - تعالى -.

قال الآلوسي: قوله: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ ﴾ أي: جبريل ﴿ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ أي: عبدالله، وهو النبي ﷺ، والإضمار - ولم يجر له - تعالى - ذكر، لكونه في غاية الظهور، ومثله كثير في الكلام، ومنه:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾(١٥).

﴿ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ أي: الذي أوحاه، والضمير المستتر لجبريل - أيضًا -.

وقيل: الضمير المستتر لله - تعالى - أي: أوحى جبريل إلى عبدالله، ما أوحاه الله إلى جبريل.

والأول مروي عن الحسن، وهو الأحسن.

وقيل: ضمير أوحى الأول والثاني لله - تعالى - والمراد بالعبد جبريل - عليه السلام - وهو كما ترى..(١٦).

---

(١١) أحمد ٣/١٥٣، البخاري ٤/٣٠.

(١٢) تفسير الكشاف جـ٤ ص٢٩.

(١٣) الصافات (١٤٧).

(١٤) حاشية الجمل على الجلالين جـ٤ ص٢٢٥.

(١٥) فاطر (٤٥).

(١٦) تفسير الآلوسي جـ٢٧ ص٤٩.

وأبهم – سبحانه – ما أوحاه، لتفخيم شأنه، وإعلاء قدره، حتى لكأنه لا تحيط به عبارة، ولا يحده الوصف، وشبيه بهذا التعبير قوله – تعالى – :

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾(١٧)

وعبر – سبحانه – عن رسول ﷺ بعبده، وأضافه إليه، للتشريف والتكريم، ولبيان أنه عبد من عباده – تعالى – الذين اصطفاهم لحمل رسالته، وتبليغ ما أوحاه إليه.

وقوله: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ رد على المشركين، وتكذيب لهم، فيما زعموه من أن الرسول ﷺ لم يتلق الوحى عن جبريل، ولم يشاهده.

واللام فى قوله: ﴿ الْفُؤَادُ ﴾ عوض عن المضاف إليه، والفؤاد: العقل أو القلب، ومنه قوله – تعالى – : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾(١٨).

وقراءة الجمهور ﴿ كَذَبَ ﴾ بفتح الذال مع التخفيف، وقرأ ابن عامر بفتحها مع التشديد، و«ما» موصولة، والعائد محذوف.

أى ما كذب فؤاد النبى ﷺ وما أنكر، الذى رآه ببصره من صورة جبريل – عليه السلام – لأنه لم يكن يجهله، بل كان معروفا لديه، وصاحب الوحى إليه، فهو ﷺ عرفه بقلبه، وتأكدت هذه المعرفة برؤيته له بعينيه.

فالكذب هنا: بمعنى الإنكار والتردد والشك فى صحة ما يراه.

قال صاحب الكشاف قوله:

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ أى: ما كذب فؤاد النبى ﷺ ما رآه ببصره من صورة جبريل – عليه السلام –.

أى: ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك، ولو قال ذلك – على سبيل الفرض – لكان كاذبا لأنه عرفه، يعنى أنه رآه بعينه، وعرفه بقلبه، ولم يشك فى أن ما رآه حق.

وقرىء ﴿ مَا كَذَّبَ ﴾ – بالتشديد – أى: صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته(١٩). ثم وبخ – سبحانه – المشركين على تكذيبهم للنبى ﷺ فيما يخبرهم عنه من شئون الوحى، فقال:

﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾.

والممـاراة: المجادلة والملاحاة بالباطل. يقال: مارى فلان فلانا مماراة ومراء، إذا جادله، مأخوذ من مرى الناقة يمريها. إذا مسح ضرعها ليستدر لبنها، ويأخذه كاملا، فشبه الجدال بذلك، لأن كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه، أى: يسعى لاستخراج كل ما عنده، حتى يقيم الحجة عليه.

---

(١٧) سورة طه الآية ٧٨.

(١٨) سورة القصص الآية ١٠.

(١٩) تفسير الكشاف جـ٤ ص٢٩.

وعدى الفعل بعلى لتضمنه معنى المغالبة. أى: أفتجادلون نبينا محمد ﷺ فيما رآه بعينيه، وتجادلونه فى شىء هو تحقق منه بعقله وبصره، وهو ملاقاته ورؤيته لأمين وحينا جبريل - عليه السلام -؟ إن مجادلتكم له فى ذلك، هو من قبيل التعنت الواضح، والجهل الفاضح، لأنكم كذبتموه وجادلتموه فى شىء هو قد رآه وتحقق منه، وأنتم تعلمون أنه صادق أمين.

فالمقصود بالاستفهام تبكيتهم وتجهيلهم على جدالهم بالباطل.

هذا وقد ذكر العلماء، أن هذه الآيات، تشير إلى رؤية النبى ﷺ لجبريل، على الهيئة التى خلقه الله - تعالى - عليها، فقد كان جبريل يأتى النبى ﷺ فى صورة آدمى، فسأله أن يريه نفسه على صورته التى خلق عليها، فأراه نفسه مرتين: مرة فى الأرض وهى التى تشير إليها هذه الآيات، ومرة فى السماء، وهى التى تشير إليها الآيات التالية.

وقد توسع الإمام ابن كثير فى ذكر الأحاديث التى وردت فى ذلك فقال ما ملخصه: عن عبدالله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل فى صورته إلا مرتين، أما واحدة فإنه سأله أن يراه فى صورته، فسد الأفق، وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد..[20].

وقوله - سبحانه -:

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ إشارة إلى المرة الثانية التى رأى فيها الرسول ﷺ جبريل على هيئته التى خلقه الله - تعالى - عليها، وكان ذلك فى ليلة الإسراء والمعراج. أى: والله لقد رأى محمد ﷺ جبريل فى صورته التى خلق عليها، حالة كونه نازلا من السماء نزلة أخرى.

وقد جاء الإخبار عن هذه الرؤية بصيغة مؤكدة بلام القسم وبقد.. للرد على المشركين الذين أنكروا ذلك، فكأنه - سبحانه - يقول لهم: لئن كنتم قد أنكرتم هذه الرؤية فى الأرض، فإنه ﷺ لم يره فى الأرض فقط، بل رآه روية أعظم من ذلك، وهى رؤيته له فى السماء، حين كان مصاحبا له فى رحلته ليلة الإسراء والمعراج.

قال الآلوسى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ أى: رأى النبى ﷺ جبريل فى صورته التى خلقه الله عليها ﴿ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ أى: مرة أخرى، وهى فعلة من النزول، أقيمت مقام المرة، ونصبت نصبها على الظرفية، لأن أصل المرة مصدر مر يمر، ولشدة اتصال الفعل بالزمان يعبر به عنه، ولم يقل مرة بدل نزلة، ليفيد أن الرؤية فى هذه المرة، كانت بنزول ودنو، كالرؤية فى المرة الأولى، الدال عليها ما مر.

والمراد من الجملة القسمية، نفى الريبة والشك عن المرة الأخيرة، وكانت ليلة الإسراء[21].

وقوله: ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ بيان للمكان الذى تمت عنده الرؤية الثانية.

والسدرة فى الأصل: تطلق على شجرة النبق، وهو ثمر معروف فى بلاد العرب.

والمنتهى: اسم مكان، أو مصدر ميمى بمعنى

---

(٢٠) راجع ابن كثير تفسير جـ٤ ص٢٤٧.

(٢١) تفسير الآلوسى جـ٢٧ ص٥٠.

الانتهاء، وإضافة السدرة إليه، من باب إضافة الشيء إلى مكانه، كما فى قولهم: أشجار البستان. أو من إضافة المحل إلى الحال، كما فى قولك: كتاب الفقه أو النحو.

وسمى هذا المكان بسدرة المنتهى، لانتهاء علوم الخلائق عنده، وما وراءه لا يعلمه إلا الله - تعالى -.

أخرج الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود قال: لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهى فى السماء السابعة وإليها ينتهى ما يعرج من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها[٢٢].

ثم بين - سبحانه - ما يدل على شرف هذا المكان فقال: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾.

أى: عند سدرة المنتهى، جنة المأوى. أى: الجنة التى تأوى وتسكن إليها أرواح المؤمنين الصادقين، الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه.

ثم نوه - سبحانه - بما يحيط بذلك المكان من جلال وجمال لا تحيط العبارة بوصفه فقال:

﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾.

والظرف «إذ». فى موضع الحال من:

﴿ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾، لقصد الإشادة بما أحاط بذلك المكان من شرف وبهاء.. أو هو متعلق بقوله: ﴿ رَءَاهُ ﴾.

أى: ولقد رأى محمد ﷺ جبريل - عليه السلام - على هيئته التى خلقه الله عليها مرة أخرى، عند ذلك المكان الجليل المسمى بسدرة المنتهى، حالة كون هذا المكان ينزل به ما ينزل، ويغشاه ما يغشاه من الفيوضات الربانية، والأنوار القدسية، والخيرات التى لا يحيط بها الوصف.

فهذا الإبهام فى قوله: ﴿ مَا يَغْشَىٰ ﴾ المقصود به التهويل والتعظيم والتكثير، لما يغشى هذا المكان من خيرات وبركات.

وقوله - تعالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ بيان لما كان عليه النبى ﷺ من ثبات واطمئنان عند رؤيته لما أذن الله - تعالى - له فى رؤيته.

والزيغ: هو الميل عن حدود الاستقامة.
والطغيان: تجاوز الحدود المشروعة.

أى: ما مال بصر النبى ﷺ عما أذن الله - تعالى - له فى رؤيته. وما تجاوزه إلى ما لم يؤذن له فى رؤيته، بل كان بصره ﷺ منصبا على ما أبيح له النظر إليه. فالمقصود من الآية الكريمة، الثناء على النبى ﷺ، ووصفه بما هو أهله من أدب وطاعة لخالقه - عز وجل -.

قال ابن كثير: قوله:

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ قال ابن عباس: ما ذهب يمينا ولا شمالا، وما جاوزنا ما أمر به، وهذه صفة عظيمة فى الثبات والطاعة، فإنه ما فعل إلا ما أمر به، ولا سأل فوق ما أعطى، وما أحسن قول القائل:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو
رأى غيره ما قد رآه لتاها[٢٣]

---

(٢٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٢٥٢.

(٢٣) تفسير ابن كثير حـ ٤ ص ٢٥٢

ثم عظم – سبحانه – من شأن ما أراه لنبيه ﷺ فقال: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾.

والكلام جواب لقسم محذوف، والآيات جمع آية، والمراد بها العجائب التى أطلع الله – تعالى – عليها نبيه ﷺ فى تلك الليلة، وهى ليلة الإسراء والمعراج.

والكبرى: صفة لهذه الآيات، وحذف المرئى: لتفخيم أمره وتعظيمه.

أى: والله لقد رأى محمد ﷺ فى تلك الليلة أمورا عظاما لا يحيط بها الوصف، وقد أكرمناه برؤيتها ليزداد يقينا على يقينه، وثباتا على ثباته، وقوة على قوته فى تبليغ رسالتنا، وحمل أمانتنا.

هذا، وقد جرينا فى تفسيرنا لهذه الآيات على الرأى الذى سار عليه المحققون من العلماء وهو أن هذه الآيات تحكى رؤية النبى ﷺ لجبريل مرتين، كما سبق أن بينا، وأن الضمائر فى تلك الآيات منها ما يرجع إلى جبريل، ومنها ما يرجع إلى الله – عز وجل –.

وقد أعدنا كل ضمير إلى مرجعه الذى نراه مناسبا للمقام.

فمثلا: الضمير المنصوب فى قوله – تعالى –: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ قلنا: إنه يعود إلى جبريل. أى: أن الرسول ﷺ رأى جبريل على هيئته التى خلقه الله عليها مرة أخرى، غير المرة الأولى التى كانت فى أوائل بعثته ﷺ.

ولكن بعض المفسرين يرون أن مرجع الضمير فى هذه الآية وغيرها، يعود إلى الله – تعالى –، ويستدلون بذلك على أن الرسول ﷺ رأى ربه.

وقد فصل القول فى هذه المسألة الإمام الآلوسى فقال ما ملخصه: فالضمائر فى «دنا» و«تدلى» و«أوحى..» وكذلك الضمير المنصوب فى «رآه» لله – عز وجل –.

واستدل بذلك مثبتو رؤية النبى ﷺ لله – عز وجل – كابن عباس وغيره.. وخالفت فى ذلك عائشة – رضى الله عنها – فقد أخرج مسلم عن مسروق قال: كنت عند عائشة فقالت: ثلاث من تكلم بواحدة منهن، فقد أعظم على الله – تعالى – الفرية.

قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا يعلم الغيب فقد كذب، ومن زعم أن محمدا كتم شيئا فقد كذب، ومن زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، فقلت: يا أم المؤمنين: ألم يقل الله – تعالى –: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾؟ فقالت: أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «لا، إنما هو جبريل، لم أره على صورته التى خلق عليها سوى هاتين المرتين. رأيته منهبطا من السماء سادا ما بين السماء إلى الأرض».

ثم قال الآلوسى: ولا يخفى أن جواب الرسول ﷺ على عائشة، ظاهر فى أن الضمير المنصوب فى ﴿ رَءَاهُ ﴾ ليس راجعا إليه – تعالى –، بل إلى جبريل – عليه السلام –..(٢٤).

والمتأمل فى هذه الآيات الكريمة يراها ترد على المشركين مزاعمهم، بأبلغ أسلوب، وأقوى بيان، وأنه – سبحانه – قد أعطى نبيه ﷺ من المعجزات، ومن الخيرات والبركات.. ما لم يعط غيره.

---

(٢٤) راجع تفسير الآلوسى جـ٢٧ ص٥٢ وابن كثير جـ٤ ص٢٤٨ وما بعدها.

مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا

من صور الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

ورد هذا المثل فى ثلاث سور من القرآن الكريم، الأول فى سورة « يونس » والثانى فى سورة « الكهف »، والثالث فى سورة « الحديد ». وترتيبها فى النزول هو نفس ترتيبها فى التلاوة. وإن من يقرأ هذه الآيات فى مواضعها من السور الثلاث، ويتأملها، يرى فيها التقاء وافتراقا حول ما بينها من أهداف يتجلى من خلالهما روعة الأداء القرآنى، ودقة النسق فى طريقة العرض القرآنى لمثل هذا المثل، ورسم صورته المعبرة الموحية.

* يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ فى سورة يونس:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١).

جاءت هذه الآية المباركة، عقب مجموعة من الآيات تصور قدرة الله

(١) يونس (٢٤).

ـ تعالى ـ التى لا يحيط بها عقل، وتبرز كذلك طبيعة الإنسان الذى جبل على البغى، والطغيان، فى كل جيل وفى كل مكان «سواء أكان بغيا على النفس خاصة، بإيرادها موارد التهلكة، والزج بها فى ركب الندامة الخاسرة بالمعصية، أو كان بغيا على الناس؛ فالناس نفس واحدة»(٢) استمع إلى قوله ـ تعالى ـ قبل الآية التى معنا:

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٣)

ثم تأتى هذه الآية المباركة:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لتعطى المعيار الحقيقى لمتاع الحياة الدنيا من خلال هذه الصورة الفنية، ذلك المتاع الذى لا يملك الإنسان أطول منه، ولا أكثر؟ مهما علا شأنه وزادت قوته؛ حيث يردّ سريعا إلى الله الذى يحصى عليه كل صغيرة وكبيرة ليحاسبه عليها.

والصورة الفنية التى معنا:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ من النوع الذى يطلق عليه علماء البيان «التشبيه التمثيلى» وهو يقوم على تصوير حالة فى صورة حالة أخرى.. ليصل المتأمل فى نهاية المشهد إلى حقيقة كونية كبرى، هى أن الدنيا مهما طال أمدها، ومهما اتسعت آمال الناس فيها، ومهما أيقن الناس أنهم قادرون عليها، فلابد لها من نهاية سريعة مفاجئة، تطوى الأخضر واليابس فى أقل من لمح البصر. وهذه العبرة يراها الناس فى كل لحظة من لحظات حياتهم، وفى كل خلجة من خلجات نفوسهم، من خلال تتابع شريط الأحداث فى الأرض التى يعيشون عليها. فـ «هذا هو الماء ينزل من السماء، وهذا هو النبات يمتصه ويختلط به، فيمرع ويزدهر، وها هى ذى الأرض كأنها عروس مجلوة تتزين لعرس وتتبرج، وأهلها مزهوون بها، يظنون أنها بجهدهم ازدهرت، وبإرادتهم تزينت، وأنهم أصحاب الأمر فيها، لا يغيرها عليهم مغير، ولا ينازعهم فيها منازع».

«وفى وسط هذا الخصب الممرع، وفى نشوة هذا الفرح الملعلع، وفى غمرة هذا الاطمئنان الواثق..

﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾

«فى ومضة، وفى جملة، وفى خطفة.. وذلك مقصود فى التعبير بعد الإطالة فى عرض مشهد الخصب والزينة والاطمئنان»(٤).

---

(٢) سيد قطب، فى ظلال القرآن.

(٣) يونس (٢١ : ٢٣).

(٤) سيد قطب، فى ظلال القرآن.

فهى فى إزالتها والقضاء عليها، لا تحتاج إلى أكثر من أن يصدر لها الأمر فى لحظة من ليل أو نهار -وسبحان من يعلم متى سيكون ذلك- فتصبح فى غمضة عين.. لاشىء!!.. وكأن لم تغن بالأمس!! وكأن لم تقم لها قائمة.

* * *

ولنترك صورة الدنيا من هذه الزاوية إلى حين؛ لنتأملها من زاوية أخرى فى سورة «الكهف»؛ لنتابع سويا عظمة الأداء الفنى القرآنى، عندما يعمد إلى تحويل الفكرة من الذهنية الخالصة إلى مشاهد وأحداث حية، تجرى تحت سمعنا وبصرنا بكل ما ينتج عن ذلك من أصوات وظلال وألوان. قال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾(٥)

وسورة الكهف بصفة عامة تدور حول محور واحد «ترتبط به موضوعاتها ويدور حوله سياقها [وهو] تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة»(٦).

وتمشيا مع هذا الإطار العام، فقد جاءت الآية التى معنا بمثابة التعقيب الموجز على قصة الرجلين اللذين يعتز أحدهما بماله وجنتيه، ويعلى من شأنهما أكثر مما يعلى من شأن العقيدة، فى مواجهة صاحبه الذى يقيم من دينه وعقيدته معيارا صحيحا، يزن به حياته الخاصة والعامة. وقبل هذه القصة، كان توجيه الله لرسوله ﷺ، بأن يصبر نفسه على مصاحبة دعاة الحق والإيمان، مهما كانوا فى فقر ومسكنة؛ لأنهم - فى حقيقة الأمر- أصحاب الميزان الصحيح، الذى لا تطيش كفته، ولا تخبو أضواء الحق فى ناظريه.

جاءت هذه الآية:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ لتضع القضية كلها فى بؤرة ضيقة المساحة عميقة الجذور فى كل نفس، قوية الإيمان بمرادات الله - تبارك وتعالى - فى المقطع السابق عليها، لتسلط عليها أضواء الحقيقة، وتشتد، من خلال هذا المثل الذى بلغ الغاية فى الدقة والإحكام. بما اشتمل عليه من وجازة اللفظ، وعمق الأثر، واتساع رقعة الظل، التى لا تترك للنفس لفتة فى حياتها، ولا للضمير همسة من همساته، إلا كانت لهما بالمرصاد، حيث تذكره بالمصير المحتوم، الذى لا يفيد معه مال، ولا ينفع عنده جاه، ولا يخفف من وقعه أبناء أو خلان.

فها هى ذى الحياة الدنيا بكل مظاهرها وعناصرها، وبكل زينتها وبهجتها، وقد اغتر بها المغترون.. لا تكاد تبدأ حتى تنتهى، وكأن شيئا لم يكن، وكأن أولها هو آخرها، فلم يكد الماء ينزل من السماء ويختلط بالتراب والنبات ليبدأ دورة حياة، حتى يصير هو نفسه ومعه التراب والنبات هشيما، لا وزن له ولا اعتبار؛ تنسفه الرياح نسفا. فهل هذه الحياة تستحق أن يتشبث بها صاحب الجنتين وضرباؤه؟!! ويقيموا من المال والجاه حكما بين أقدار الناس وقيم الحياة؟!! ألا ما أقصرها حياة!! وما أهونها حياة!!

* * *

(٥) الكهف (٤٥).

(٦) سيد قطب، فى ظلال القرآن.

ولنترك الحديث في هذه اللقطة بعض الوقت أيضا لنتأمل الصورة نفسها من زاوية أخرى في سورة الحديد . يقول الحق ـ تبارك وتعالى :

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾(٧) .

جاءت هذه الآية المباركة « تعقيبا على دعوة الإيمان والبذل، ودعوة الفداء والتضحية، تعقيبا يصور الدنيا كلها بصورة هزيلة زهيدة تهون من شأنها وترفع النفوس عنها »(٨) .

فما قيمتها وقد بدت لعين المتأمل الفاحص كلعب الأطفال التى لايفرح بها غير الصغار، ولذا كان مصيرها إلى زوال؟!! لقد صورها القرآن فى صورة الغيث الذى ينزل من السماء، فينبت النبات الذى يعجب به الزراع ويفرحون؟ لما فيه من نضارة وجمال وبهجة، تعطى الأمل فى حياة أطول وخير أوفر. ثم ترى هذا النبات وقد هاج وعلت سيقانه، ثم يتحول بعد ذلك إلى حطام، وهنا ينتقل المشهد إلى الحقيقة الكبرى، التى تستيقظ على وقعها القلوب الوسنى، والعقول الغافلة عما ينتظرها من عذاب شديد للعاصين المغرورين، ومغفرة من الله ورضوان للمؤمنين الذين لا يعطون الحياة الدنيا أكثر مما تستحق من اهتمام .

* * *

إن من يتأمل هذه الصورة ذات اللقطات الثلاث، يراها من التشبيه التمثيلى الذى تشبه فيه حالة بحالة : حالة الدنيا وقد ازينت لأهلها بكل مغرياتها وأسباب زينتها؛ حتى اطمأن إليها من اغتروا بها، وظنوا أنهم قادرون عليها، ثم ما يحدث لها بعد ذلك من خراب ودمار . . بحالة الأرض حينما ينزل عليها المطر، فتنبت وتثمر فإذا فرح بها الزراع، وتهيأوا للانتفاع بها، تحولت إلى هشيم تذروه الرياح، فلا يبقى منها إلا الحسرة والندامة. تلك هى الصورة العامة التى تشترك فى عرضها اللقطات الثلاث، على اختلاف مواضعها وملابساتها .

غير أن من ينعم النظر إليها من الوجهة الفنية، يرى أن هذه اللقطات الثلاث، ليست على قدر واحد من اتساع المساحة، وإنما يرى فيها من التفاوت فى التفصيل، والإجمال، ما يثير التأمل والتفكير .

ـ فاللقطة الأولى :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ ﴾

[سورة يونس] فيها من التفصيل وتوسيع رقعة العرض، ما يشمل كل خطوات تتابع الصورة المحتملة : ففيها نزول الماء من السماء، فاختلاطه بنبات الأرض : سواء فى ذلك ما يأكله الناس وما يأكله الحيوان، ثم يأتى إيقاع المشهد بعد ذلك بطيئا فى انتقاله من مرحلة إلى التى تليها . . :

---

(٧) الحديد (٢٠).

(٨) سيد قطب، فى ظلال القرآن.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ ﴾

إذا حدث هذا بعد هذا وذاك. . :

﴿ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا ﴾ والأمـر هنا جـاء مغمض المضمون لنفاجأ بسرعة فى الإيقاع، لم نكن على استعداد لها لتنقلب الصورة قاتمة، ليس فيها إلا كل ما هو دمار وخراب شاملين. . :

﴿ فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ ﴾ .

شىء مخيف وفظيع قد حدث طى ذلك الأمر الذى صدر فى التو واللحظة.

إذن هنا عرض مسهب، فيه تطويل فى سرد أسباب السعادة والراحة النفسية ثم سرعة غير متوقعة ليطوى ما حدث بعد ذلك الأمر، لنرى الصورة غاية فى القتامة والحسرة. تلك هى اللقطة الأولى.

ـ أما اللقطة الثانية : :

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ ﴾

« الآية » [سورة الكهف] فهى غاية فى الاختصار فى عرض المشهد : فدورة الحياة لا تكاد تبدأ على الأرض حتى تنتهى؛ دون أن نرى فيها شيئا مما شاهدناه من شريط النعمة الوافرة فى اللقطة الأولى.

ـ وأما اللقطة الثالثة :

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ﴾

« الآية » [سورة الحديد] فإن من يتأملها يراها قد تحقق فيها نوع من التفصيل، الذى لا يبلغ ما بلغته اللقطة الأولى، وهو فى ذات الوقت أوسع رقعة مما فى اللقطة الثانية. أى أن ترتيب اللقطات الثلاث كالتالى : الأولى يليها الثالثة، وأخيرا الثانية. وهو ترتيب تنازلى كما نرى. فما سر ذلك ؟

إن من يعيد قراءة آية يونس :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾

إلخ، وقراءة ما قبلها وما بعدها، يجد أن هذا الشوط من السورة فيه بسط لنعم الله ـ عز وجل ـ وفضل تفصيل فى ذكرها، مع بيان ما يقابله به الإنسان من مكر هو فى حقيقته كفر بنعمة المنعم.

﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ (٢١) هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٢٣) إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ

أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾(٩).

فالمجال هنا عامة، مجال بسط لنعم الله وتعداد أوجه فضله، مع ما يواجهه به الإنسان من عبادة غير المنعم. اقرأ قبلها:

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ﴾(١٠).

واقرأ بعدها:

﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ ﴾(١١).

أما آية الكهف:

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ ﴾

فالمشهد فيها يعرض عمر الدنيا «قصيرا خاطفا ليلقى فى النفس ظل الفناء والزوال، فالماء ينزل من السماء فلا يجرى ولا يسيل، ولكن يختلط به نبات الأرض. والنبات لا ينمو ولا ينضج ولكنه يصبح هشميا تذروه الرياح. وما بين ثلاث جمل قصار، ينتهى شريط الحياة»(١٢). هذا الاختصار البالغ فى عرض مشهد الحياة تراه وفيه رد بليغ موح على من يغترون بزينة الدنيا، سواء فى ذلك أشراف قريش الذين يطلبون من الرسول ﷺ، وقد غرتهم الدنيا بزخرفها وزينتها، أن يطرد فقراء المؤمنين من مجلسه، حتى يجلسوا هم إليه، ويستمعوا إلى دعوته.

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾(١٣).

أو صاحب الجنتين الذى اغتر بماله وأهله:

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴾(١٤).

ومما يؤكد على أن ذلك الاختصار فى عمر الدنيا مقصود من وراء هذا العرض فى هذا المقطع بكامله، ذلك التفصيل فى تعداد فضل الله على المؤمنين، الذين يعملون الصالحات، وما أعد الله لهم من الجنات الباقيات الخالدات وما يمتعون به فيها:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴾(١٥).

---

(٩) يونس (٢١ : ٢٦).
(١٠) يونس (١٨).
(١١) يونس (٢٨).
(١٢) سيد قطب، فى ظلال القرآن.
(١٣) الكهف (٢٨).
(١٤) الكهف (٣٢).
(١٥) الكهف (٣٠ ، ٣١).

وفيه مقارنة بين الدنيا وما فيها من زخرف يغتر به طلابها، مع أنها لا تكاد تبدأ حتى تنتهى.. وبين ما أعده الله للمؤمنين الذين لا يغترون بالدنيا، ولا يقيمون من مظاهرها ميزانا للقيم الإنسانية. بين جنات باقيات خالدات لاتنتهى، وبين جنة الدنيا التى لا تثبت عند الشدائد.. وإن بلغت من الروعة والجمال ما بلغت حتى ركن إليها صاحبها وقال:

﴿ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾(١٦).

وإن من يتأمل المشهد الذى فى سورة الحديد:

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾

هذا المشهد -قلنا- فيه نوع من التفصيل الذى لايبلغ ما بلغه المشهد الأول الذى فى سورة (يونس) وهو يزيد عما فى المشهد الثانى الذى فى سورة (الكهف). ونلاحظ أن هذا التفصيل المحدد يكاد يتركز فى المرحلة الثانية من الصورة، مرحلة الفناء ومقدماته، وما بعده. وهى تبدأ من

﴿ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ﴾

أما المرحلة الأولى ففيها لفّ للصورة وإجمال:

﴿ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾.

أما المشهد الذى فى سورة (يونس):

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾

[الآية] فهو على عكس ما فى سورة الحديد من هذه الناحية: بمعنى أن الصورة هنا فصلت فى المرحلة الأولى منها وهى التى تبدأ من أول الآية وتمتد إلى ﴿ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ ﴾ أما المرحلة الثانية، ففيها لفّ وإجمال حتى لتكاد تتركز فى كلمة بعينها ﴿ حَصِيدًا ﴾»، ولا يقولن قائل إن جملة: ﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ داخلة فى هذه المرحلة الثانية، لأنها هنا إلماع للمقارنة بين حالتين: حالة الدنيا قبل زوالها، وحالتها بعد زوالها، وليس فيها تفصيل يضاف للمرحلة الثانية.

أما عن السبب فى التفصيل هنا الذى يقابله إجمال هناك، والذى يتلوه إجمال هنا يقابله تفصيل هناك. فهو - فيما نحسب - أن التفصيل فى المرحلة الثانية من الصورة التى فى آية الحديد، كان مقابلة عادلة للتفصيل فى عرض حقيقة الدنيا؛ فالدنيا التى هى: لعب.. ولهو.. وزينة.. وتفاخر.. وتكاثر، سوف يكون مصيرها مصير النبات الذى يهيج.. ويصفر.. ويتحطم؛ ليصل طالبها بعد ذلك إما إلى عذاب شديد، إن طلبها من حرامها.. وإما إلى مغفرة من الله ورضوان إذا هو طلبها من حلالها، وجعلها مطية للآخرة.

(١٦) الكهف (٣٥، ٣٦).

أما آية (يونس) ، فمجال عرض الصورة الفنية فيها يغلب عليه طابع سرد مظاهر النعمة ، التى يتحبب الله بها إلى عباده ويتودد :

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾

إلى آخر المقطع . وتتضح فيه جوانب الرحمة وآفاقها ، وقد أنعم الله بها على عباده . . وهذا السبب هو نفسه الذى دعا إلى الإجمال فى ذكر النقمة بالمرحلة الثانية من الصورة ذاتها :

﴿ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا ﴾ .

نقطة أخرى تبين مدى دقة التعبير القرآنى المبارك وعظمته وشفافيته فى رسم الصورة الفنية ، هى ما أطلق عليه البلاغيون مراعاة النظير فى وضع الكلمة . ونعنى به هنا ، وضع كلمة ﴿ حَصِيدًا ﴾ فى نهاية المشهد الذى فى سورة (يونس) يقابلها كلمة ﴿ هَشِيمًا ﴾ فى نهاية المشهد الذى فى سورة (الكهف) ، وكلمة ﴿ حُطَٰمًا ﴾ فى المشهد الذى فى سورة الحديد .

ومن يتأمل « الحصيد » يراه النهاية الطبيعية لدورة النبات مما يأكل الناس والأنعام ، وإن كان الحاصد هنا هو الله تبارك وتعالى .

أما « الهشيم » فهو الذى يصور واقع الحياة التى يتمسك بها طلابها المتعلقون بمظاهرها ، كما هو الحال لدى صاحب الجنتين ، فما أن تهب ريح عاصفة من غضب الله ونقمته ، حتى يتبين أن ما يرونه ليس إلا شيئا هشا لا وزن له ولا قيمة ، فقد ذهب مع الريح ، ولم يبق لصاحبه إلا أن يقلب كفيه حسرة وندامة على ما أنفق فيها .

وأما « الحطام » فهو المصير المحتوم لما يعجب به الكفار من مظاهر الدنيا . . ويراد بالكفار فى الصورة الفنية الزراع ؛ لأنهم يكفرون الحبة ، أى يسترونها فى التربة ، والتعبير عنهم هنا بالكفار « فيه -كما قال الشهيد سيد قطب- تورية وإلماع إلى إعجاب الكفار بالحياة الدنيا » .

ننتقل الآن إلى تذييل كل مشهد من هذه المشاهد الثلاثة لنتأمل أيضا بلاغة التعبير القرآنى . فإذا كان المشهد الذى فى سورة « يونس » قد ختم بقوله تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، فإن نظير ذلك فى سورة (الكهف) قوله تعالى :

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ ، وفى سورة (الحديد) .

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾، وذلك لأن المشهد الذى فى سورة (يونس) جاء تتويجا لشوط من السورة فيه تفصيل فى عرض موقف الإنسان من قضية الوحى والعقيدة، من خلال مناقشة عدد من القضايا الجزئية، التى تصب جميعها فى مجرى تصحيح العقيدة التى انحرفت لدى فريق من الناس و ترسيخها فى مفهوم فريق آخر آمنوا بالله تعالى وعملوا الصالحات.

فإذا كان المثل الذى ضربه الله تعالى للحياة الدنيا فى قوله:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ ﴾ فيه تركيز للعبرة والدرس، فإن ذلك التركيز إنما هو دفعة فى طريق التفصيل؛ لأن حرارة الوجدان الحذر من الدنيا، سوف تدفع إلى تأمل ما مر من قضايا جزئية ناقشتها الآيات المباركات :

﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

أما فى سورة (الكهف) :

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ فالمجال مجال استعراض للقوة : سواء من جانب أولئك الذين يعتدون بقوتهم ويستعرضون مكانتهم وهم يطلبون من الرسول ﷺ ألا يسوى بينهم وبين الفقراء فى الجلوس إلى حضرته الشريفة، أو ذلك الرجل الذى يستعرض قوته ومكانته بين ماله وأهله فى مواجهة صاحبه. ولذا كان الرد:

﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا ﴾(١٧).

فى القصة الأولى، و ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾(١٨) و ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(١٩)

فى القصة الثانية. قدرة فى مواجهة قدرة.. والنتيجة معروفة..!!

وأما فى سورة (الحديد) :

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ فالمجال مجال التحذير من عاقبة الركون إلى الدنيا والاغترار بها؛ ولذا حينما ضرب الله لها المثل، بدأه بان حصر شأنها وقيمتها فى اللعب واللهو والزينة والتفاخر.. والتكاثر.. مما يجب أن يفر منه العقلاء، ويتعاملوا معه بحذر شديد، وختمه بأن حصرها أيضا فى المعنى ذاته:

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾.

***

(١٧) الكهف (٢٩).
(١٨) الكهف (٤٢).
(١٩) الكهف (٤٣).

كليات القرآن الكريم

للدكتور / على أحمد على

ونعنى بـ« الكلية » من هذه الكليات ما حملته الآية من آيات القرآن الكريم من « لفظ » كل أو « معناه ». ذلك أن كثرة فوق الحصر من آيات التنزيل العزيز لا ينفصل المراد منها عن « الكلية » مطلقاً، وليس يفهم معناها إلا مقترناً بـ« كل » ولو لم تحمل الآية هذا اللفظ: (كل)، أى أن تجردها لفظاً من « كل » لا يعنى خلوها من « كل ».

لذلك كان لابد ـ ابتداء من الإشارة إلى هذه الحقيقة، وضرب الأمثلة لها، وإن كان البحث ـ أساساً ـ أعِدَّ لدراسة « الكليات اللفظية » فى الكتاب الكريم:

فأما « الكليات المعنوية » فلها فى القرآن الكريم أكثر من قرينة تهدى إليها، كذلك منها ما يطابق معناه « كل » تمام المطابقة:

فمن الأولى ذوات القرائن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾(١). فعقيدتنا ـ إزاء الآية الكريمة ـ تعطى معنى.. كل « حتماً » أى أن لِلَّه كلَّ ما فى السماوات وما فى الأرض؛ ذلك أن الله - سبحانه - ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾(٢)، وهو أيضاً مالك كل شئ ﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾(٣). ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ ﴾(٤).

فالكلية ملازمة للآية ولا جدال.

ومن هذا اللون ذى القرينة العقدية أيضاً قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ ﴾(٥).

أى جئتمونا واحداً واحداً، كل واحد منكم منفرداً بلا أهل ولا مال ولا ولد ولا ناصر، عراة كما خرجتم من بطون أمهاتكم، ليس فى أيديكم شئ مما ملكتم فى دنياكم فقد تركتم كلَّ شئ مرغمين(٦).

---

(١) البقرة (٢٨٤). (٢) الأنعام (١٠٢). (٣) النور (٤٢).
(٤) الإسراء (١١١). (٥) الأنعام (٩٤). (٦) راجع القرطبى فى تفسير الآية.

ومن الثانية، أى التى يتطابق معناها مع « كُلٍّ » حتماً قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾(٧).

أى عنده ـ سبحانه وتعالى ـ مفاتيح الأرزاق كلها(٨). فالآية الكريمة مطابقة لمعنى: كل شئ عندنا خزائنه.

وتجد هذا اللون بكثرة فى الآيات التى جاءت فيها (النكرة) فى سياق النفى، وذلك أمر معروف فى قواعد اللغة.

●●●

مع الكليات اللفظية:

١- وجاءت فى القرآن الكريم فى خمسة ألفاظ:

● « كل » رفعاً، ونصباً، وجراً.

● و« كُلّهُ » مثله إعراباً، وهو مضاف إلى ضمير المفرد المذكر.

● و« كُلّها » مضافاً إلى المفرد المؤنث منصوباً، إلا فى الآية الكريمة:

﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾(٩)

فقد جاءت فى الآية الشريفة بالجر توكيداً للآيات المجرورة.

و« كُلُّهم » مرفوعاً فقط، مضافاً إلى ضمير الجمع المذكر.

و« كُلُّهن » مثله مرفوعاً فقط، ولم يأت فى التنزيل العزيز إلا مرة واحدة فى نسائه ﷺ وذلك فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾(١٠).

فأما الكليات الأربع خلافها، فمواقعها فى القرآن الكريم كثيرة، ويبلغ عددُها جميعاً سبعاً وخمسين وثلثمائة آية(١١).

والبحث مختص بـ« كل » فى هذه الأوضاع الخمسة.

●●●

٢- و(كل) لفظٌ ـ بحسب وضعه ـ شامل لجميع « أفراد » أو « أجزاء » ما يضاف إليه من « جنس » أو « نوع » فهى جميعاً منطوية فيه، يستغرقها تماماً: مادية كانت أم معنوية، وينبغى أن نوضح أن هذا الاستغراق يفسره مضمون ماورد فيه، فيكون ـ تارة ـ عاماً كقوله ـ تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٢).

فالمضاف إليه (شىء) فى الآية شامل لكل الكون،

---

(٧) الحجر (٢١).

(٨) راجع القرطبى فى تفسير الآية.

(٩) القمر (٤٢).

(١٠) الأحزاب (٥١).

(١١) هذا الحصر عن (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى، ومنه نعلم أن لفظ (كل) حَظِىَ بالعدد الأوفر، حيث ذُكِرَ فى القرآن الكريم خمساً وعشرين وثلثمائة مرة (٣٢٥) بين رفع وخفض، فأما فى حال النصب (كُلاً) فقد ذُكِرَ خمس عشرة مرة، وجاء (كُلّه) فى سبعٍ، و(كُلّها) فى خمسٍ، و(كلهم) فى أربعٍ، و(كلهن) ما ذكرت.

(١٢) البقرة (٢٠).

فما فيه من جزء أو ذات إلا شملها حكم القدرة، وهى خاضعة لقدرة الله تعالى.

ويكون الإستغراق الكلى خاصا، أى ليس على هذا العموم - كما فى قوله - تعالى - فى عقوبة قوم عاد بالريح الصرصر:

﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾(١٣).

فـ (شىء) فى الآية شملت كل حى إنساناً أو حيواناً على أرض عاد، وليس الكون كله، ومن ثَمَّ، فإن الحكم الوارد فى الآية ينطبق على أجزائها، أو ذواتها - حسب ما هى عليه من عموم أو خصوص - جميعا ويشملها فرداً فرداً.

وعودة إلى المضاف إليه المادى والمعنوى نجد منه فى كليات القرآن الكريم الكثير، نكتفى منه بمثال للمادى وآخر للمعنوى:

فمن الأول قوله - تعالى:

﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ الواردة بالآية الكريمة:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(١٤).

فـ ﴿ دَابَّةٍ ﴾ فى الآية تجمع الحيوان كله(١٥). وهى - جميعاً وما ورد فى الآية - دلالات على وحدانيته - تعالى - وقدرته،

ومن الثانى:

قوله - تعالى - فى العدل بين الزوجات لدى من تزوج بأكثر من واحدة:

﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾

من الآية الكريمة:

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١٦).

يقول مولانا الشيخ حسنين محمد مخلوف - مفسراً للآية:

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا ﴾ أى العدل المطلق الكامل بين زوجاتكم فى القَسْم والنفقة والتعهّد والنظر والإقبال والمحالمة والمحبة والانعطاف.. وغير ذلك ﴿ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ عليه أتم الحرص، ولذلك لم يكلفكم الله به، إذ التكليف إنما يكون فى الوسْع والطاقة، فقاربوا واجتهدوا ألا تميلوا الميل المحظور إلى واحدة منهن فى حقوق الزوجية بحيث تكون الأخرى كأنها

(١٣) الأحقاف (٢٥).

(١٤) البقرة (١٦٤).

(١٦) النساء (١٢٩).

(١٥) راجع تفسير القرطبى للآية.

معلقة، لا هى مطلقة، ولا هى ذات بعل، وجاهدوا أنفسكم حتى تصلوا إلى الحد المستطاع من العدل الذى يباح لكم معه تعدد الزوجات. اهـ.

وواضح أن الحكم بالنهى عن الميل شامل لكل ألوانه.

٣- و «الأجناس» و «الأنواع» المصاحبة لـ «كُلّ» ـ أعنى المضاف إليه ـ عديدة فى القرآن الكريم، غير أنها لا تصعب على الحصر، فليس تطلب إلا نظرة فاحصة إلى هذا المضاف إليه فيقع الحصر، وينتهى إلى عدد محدد، دون تعداد المكرر.

ثم هذا المضاف إليه (المتمثل فى الجنس أو النوع) ألوان عديدة مع (كل)، شاملةً جميع ما يخطر للإنسان المخاطب بالقرآن من شأن:

فهى تارة مضافة إلى (عامٍّ) لا يَستثنى شيئاً، ومنه قوله ـ تعالى ـ آمراً رسوله ﷺ بالرد على المنافقين فى (أُحُد):

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾(١٧).

وتضاف (كل) تارة إلى الإنسان، لتسفر عن أنواعه المختلفة، ومنازله المتباينة، وجماعاته المتنوعة، وهنا يحظى الإنسان بالقدر الأكبر من هذه الإضافات:

فإضافة تسفر عن أعلى منازله ـ منزلة النبوة ـ قال ـ تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾(١٨).

وعدا الأنبياء تتفاوت الصفة؛ فإما رفيعة القَدْر، أو من سَقَط الأخلاق، ولله ـ جَلَّ عُلاه ـ تسجيلٌ لهذه الأخلاق المتردية، نذكر منها بعض ما جاء فى الكتاب الكريم صُحْبَةَ (كل).. قال ـ تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾(١٩).

وقال ـ تعالى:

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾(٢٠).

﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾(٢١)

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾(٢٢).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(٢٣).

وحسبنا من هذا الصنف أولئك المعتدون، فلا ترى سُمُوًّا ولا جزاء حَسَنًا ولا نعمة فى أعين الناس لكل خوَّان أو أفاك أو ختار كفور أو حلاف مهين(٢٤)، ويندر أن تنفرد صفة واحدة من هذه الصفات فى إنسان، بل لابد أن يجمع منها الكثير.

ثم من بعد ذلك منازل يرتفع فيها الإنسان إلى

---

(١٧) آل عمران (١٥٤).

(١٨) الأنعام (١١٢).

(١٩) الحج (٣٨).

(٢٠) الجاثية (٧).

(٢١) لقمان (٣٢).

(٢٢) القلم (١٠).

(٢٣) لقمان (١٨).

(٢٤) الخوان ـ معروف، فهو الفاقد للأمانة تماماً، والكفور: الجاحد للنعمة، وفى أول تلك النعم الإيمان بالله، والأفاك: الكذاب، الأثيم: الملازم للإثم، والختار: الغدار، والحلاف: الكثير الحلف بالباطل، وهو (مهين) أى حقير، والمختال: المزهو بنفسه، المتبختر فى مشيه الفخور على الناس بذاته، أو ماله، أو منزلته.

﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾[٢٥] أى كثير الرجوع إلى طاعة ربه، حافظ لحدوده، أو ينتهى إلى :

﴿ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾[٢٦] لا تجد الإنسانية منه إلا شراً فإذا تجاوزنا الأخلاق نجد (كُلاً) تضاف تارة إلى المعجزة، فهذا موسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - ومعه قومُه يطاردهم فرعونُ بجنوده، فيُوحى الله - تعالى - إليه :

﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ ﴾ أى البحر ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ ﴾ من مياه البحر :

﴿ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ أى الجبل الضخم[٢٧].

وتارة تصحب (كل) أجناسا شتَّى من خلقه تعالى - فتصحب الحيوان عامة :

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾[٢٨].

والحيوان من الإنسان، فقد ذكر المولى - عز وجل - الزلزلة التى تشمل الأرض جميعا قبل الساعة أى قبل القيامة، فقال :

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾[٢٩].

يقول الحسن البصرى - رضى الله عنه : تَذهَلُ المرضِعَةُ عن ولدها لغير فطام - أى الذى لم يفطم بعد - وتضع الحامل ما فى بطنها لغير تمام[٣٠].

واصطحبت (كل) أجناسا ذات دلالات شرعية : فالمشركون المعاندون لا يؤمنون بوحدانيته تعالى - وفيهم نزل قوله - عز وجل :

﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾[٣١].

وتصحب ﴿ كُلَّ ﴾ النبات والطعام والمكان والزمان، ففى التنزيل العزيز :

﴿ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾[٣٢].

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾[٣٣].

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾[٣٤].

﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[٣٥]

وأضيفت ﴿ كُلَّ ﴾ إلى الضمير، فلم تفقد خاصيتها، إذ الضمير لجنس أو نوع، وإذا هى على « العموم » المناسب لما أُضيفت إليه، من ذلك قوله - تعالى :

﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾[٣٦].

وقوله : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾[٧]

فكلها فى الآية الأولى تعنى (كل الأزواج)

---

(٢٥) ق (٣٢). (٢٦) المطففين (١٢). (٢٧) الشعراء (٦٣).
(٢٨) الرعد (٨). (٢٩) الحج (٢). (٣٠) راجع تفسير الخازن والنسفى فى الآية.
(٣١) الأنعام (٢٥). (٣٢) البقرة (٢٦٦). (٣٣) آل عمران (٩٣).
(٣٤) الفرقان (٥١). (٣٥) الرحمن (٢٩). (٣٦) الزخرف (١٢).
(٣٧) مريم (٩٥).

أى الأصناف من خلقه – تعالى – وكلهم – فى الثانية – تعنى خلقه العائد إلى الله يوم القيامة بلا مال ولا نصير يمنعه من قضاء الله فيه.

٤– وتأتى ﴿ كُلٌّ ﴾ منونة، رفعًا ونصبًا وجرًا، فلا يصحبها المضاف إليه قرينا لها، ولكنه حاضر قائم بها غير عسير مطلقا معرفته، يقول – تعالى:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾(٣٨).

وتقدير هذا المضاف المحذوف يسير، فهو الرسول ﷺ والمؤمنون – رضى الله عنهم– أى أن كلا من الرسول والمؤمنين آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.

وفى «سورة الأنعام» ذكر عز وجل – ثمانية عشر نبيا رسولا فى أربع آيات من رقم (٨٣) ثلاثة وثمانين إلى رقم (٨٦) ستة وثمانين، وفى الأخيرة منها قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

والمضاف المحذوف كأنْ لا حذف له، فهو واضح مقصود به هؤلاء الرسل الكرام أفضل الآدميين فى عصورهم.

ومثال المجرور قوله تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾(٣٩).

والآية الكريمة ذكرها سبحانه وتعالى – فى النهاية من ذكر الجن والإنس، وما أقامه سبحانه عليهم من حجة بإرساله الرسل لديهم يدعونهم للإيمان باذلين كل جهد فى توعيتهم وهدايتهم، فمنهم من آمن ومنهم من عصى.

ذكر – سبحانه وتعالى – هذه الحقيقة بشأنهم فى الآيتين (١٣٠، ١٣١) ثم عقب على ذلك بقوله:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ ﴾.. الآية؛ فكان السياق موضحًا بلا لبس اطلاقا هذا المضاف المحذوف فى شخص هؤلاء المكلفين الذين أعلمهم الله – تعالى – بالواجب عليهم، وعنت الآية أن لكل من المكلفين درجات متفاوتة من أجل ما عملوه فى دنياهم من طاعة أو معصية.

٥– وإذ انتهينا من دراسة (كل) من حيث ورودها معنى ولفظا فى الآى الشريف، ثم انثنينا إلى دراسة (كل) نفسها من حيث ورودها مصاحبة للمادة تارة، وللمعنى تارة أخرى ثم عرجنا إلى النظر فى ذات (المضاف إليه) الذى لابد من مصاحبته لـ(كل) وإن لم يذكر معها نصا، ووجدنا هذا المضاف إليه جنسا كان أو نوعا، شاملا مستوعبا لكل ما خلق الله – تعالى – أو أراده فى (كونه) من مادة أو فكر أو نظر أو خاطر قد يعلق بذهن إنسان، فيتساءل عنه!!! فماذا بعد..؟

نقول: إن كل ما قدمناه فى هذه الصفحات أشبه بـ(المبتدأ) الذى لم نتحدث بعد عن خبره – وإنه لخبر مستحق بدوره لدراسة نسأل الله – تعالى – عونا عليها وتوفيقا إليها، ولن يمنعنا ذلك من نظرة سريعة إلى (خبر) من هذه الأخبار، ولنستشهد له بقوله – تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾(٤٠). لنجد حكمه – تعالى – على كل نفس بأنها مأخوذة مرهونة بعملها مستحقة لما نالها من جزاء، فلا نجاة من النار إلا لأولئك الذين استثناهم المولى – عز وجل – فى قوله:

﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴾.

(٣٨) البقرة (٢٨٥).
(٣٩) الأنعام (١٣٢).
(٤٠) المدثر (٣٨).

السنة

الحكم في نظر الإسلام

لفضيلة الأستاذ / عبد الرحمن الجزيري
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى ذر - رضى الله عنه - قال: «قلت يارسول الله ألا تستعملنى؟ قال: فضرب بيده على منكبى ثم قال: يا أباذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلا من أخذ بحقها، وأدى الذى عليها فيها».

رواه مسلم

يتعلق بهذا الحديث أمور :

(١) بيان معناه إجمالا .

(٢) بيان الصفات التى يجب أن يكون عليها الحاكم .

(٣) واجب الرئيس الأعلى بإزاء ذلك .

(٤) خطورة الحكم وعاقبة أمره .

(٥) حقوق المنصب .

١ - معنى الحديث ظاهر، وهو أن أباذر رضى الله عنه (من مشاهير الصحابة الذين لهم سبق

● من روائع «مجلة الأزهر» عدد ربيع الثانى ١٣٥٧هـ.

فى الإســـلام) طلـب من رســـول الله ﷺ أن يسند اليه رياسة عمل من الأعمال فأبى رسول الله عليه ذلك لأنه لم ير فيه الصفات التى يجب أن يكون عليـهـا الرئيس، ثم أبان له خطورة الحكم وعظم مسئوليته فقال له : إن رياسة الأعمال أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة الخ . . ومعنى كونها أمانة أنها . تستلزم القيام بحقوق الناس على الوجه الكامل، وهذه الحقوق فى عنق الرئيس، فلابد له من أدائها لهم كاملة فى هذه الحياة الدنيا، وإلا كانت عاقبة أمرها خُسرا ووبالا عليه يوم القيامة، فليس الحكم مجرد لذة من اللذات العظيمة التى تستعذبها النفس ولايسأل المرء عنها، كلا بل هى تكليف شاق وحمل ثقيل، فلا ينبغى لأحد من المسلمين أن يلى أمرا من أمورهم وهو ضعيف فى أية ناحية من نواحيه .

ومن أحسن العظات التى تؤخذ من هذا الحديث أن أبا ذر لم يعارض فى وصفه بالضعف، ولم يحاول الدفاع عن نفسه، ذلك لأن الرسول صلوات الله عليه لفته الى حقيقة أغفله عنها ماهو كامن فى طبيعة الإنسان من حب المنصب والجاه، فلما أدرك ذلك أذعن للحق خاضعا . وأروع من هذا وأجمل أن هذا الرجل العظيم يحدث بذلك عن نفسه وهو قرير العين منشرح الصدر، فلم يبال أن يقال عنه إنه ضعيف غير صالح لولاية الأعمال . وليس هذا بغريب؛ لأن هؤلاء السادة البررة لايرون وجودهم لأنفسهم فحسب، بل يرون وجودهم لخدمة المجتمع الإنسانى، فكل همه منحصر فى خدمة المجتمع الإسلامى بنقل شريعة رسول الله ﷺ إليه بالدقة والأمانة كى ينتفع بها، سواء عليه بعد ذلك أن يعظم أو يصغر، أو يساء أو يسر، على أن فى ذلك أيضا تبصرة وذكرى لهؤلاء الذين يتهافتون على المناصب تهافت النسور على الجيف وهم ليسوا بأكفاء لها، وإذا تخطتهم رياسة ملأوا الدنيا ضجيجا وجاءوا بالشفعاء من كل صوب لاغتصابها من يد مستحقيها، فإن هؤلاء الأشرار من أشد الجناة على العدل والنظام .

٢ ـ أما الصفات التى يتصف بها الحاكم فقد أجملها الحديث بقوله : « يا أباذر إنك ضعيف »، والاضطلاع بمسئولية الرياسة يستلزم القوة بكل معانيها . فالحاكم يجب أن يكون قادرا على إقامة العدل بين الناس، فلا يظلمهم ولايتركهم يتظالمون، قادرا على حفظ أموالهم وأعراضهم ودمائهم، كما قال عمر بن الخطاب لرؤساء القبائل : إنى لم أرسل عمالى إليكم ليضربوا وجوهكم ولاليأخذوا أموالكم، وإنما أرسلتهم إليكم ليصونوا دماءكم وأعراضكم وأموالكم، ويقسموا بينكم مارزقكم الله من فئ . . . إلخ .

وأن يكون قادرا على معرفة أحوال رعيته والنظر فى كل شئونها المادية والأدبية، عاملا على ترقيتها والنهوض بها الى المستوى اللائق بها . ومن أحسن ماروى فى هذا أن عمر قال : والله لو عثرت دابة فى العراق لرأيتنى مسئولا عنها . فقيل له وماذنب أمير المؤمنين فى ذلك؟

فقال : أمير المؤمنين مكلف بإصلاح الطرق وتسويتها ليمشى عليها الناس والدواب بدون عثار واضطراب .

وأن يكون قادرا على الدفاع عن رعيته بالقول والفعل، فلا يسمح لأحد أن يعتدى عليها أو

يهين كرامتها، أو يطمع فى استخدامها بكل مايمكنه من حول وطول.

وأن يكون حازما لاينثنى عن الحق بشفاعة الشافعين، ولايميل مع العاطفة فيغدق على من يحب ويحرم من يبغض.

وأن يكون رحيما فلا يقسو فى مواطن الرحمة.

وأن يكون قادرا على تأديب العصاة والمجرمين الذين يسعون فى الأرض فسادا.

وأن يكون قادرا على ضبط نفسه عند الغضب، فلا يحمله نزق السلطان وكبرياؤه على المظالم والاستبداد بالناس انتقاما لشهوته وإرضاء لغضبه.

وبالجملة فشرط الحاكم أن يكون قويا فى عقله وتفكيره، قويا فى إرادته ونفوذه، قويا فى عدله وحلمه وضبط شهوته، قويا فى جلده وصبره على سياسة رعيته بما يناسب حالها مهما ترتب على ذلك من مشقة وتضحية، قويا فى معرفة أحوال رعيته بنفسه، فلا يصغى لوشاية واش ولايعبأ برأى جاسوس كاذب، وإلا كان ضعيفا لا يحل للرئيس الأعلى أن يسند إليه أمرا من أمور المسلمين. وهذه الأوصاف كلها مصرح بها فى كثير من الأحاديث الصحيحة ووصايا الخلفاء الراشدين وكتبهم إلى عمالهم. فكل من ولى أمرا من أمور المسلمين فإنه يكون مسئولا عن حياطته والقيام عليه بكل مايصلحه، فإن عجز وجب عليه أن يتخلى عنه لغيره، وإن قصر أو أهمل كان جزاؤه الخزى فى الدنيا والآخرة.

ومن هذا تعلم أن كل شئ يرهق المحكومين ويضيرهم، ويفسد أخلاقهم ويضيق عليهم وسائل معاشهم، ويسلب منهم حقوقهم ويقعد بهم عن الرقى العلمى والمادى، يكون الحاكم مسئولا عنه ولا ينجيه عند الله عجزه، لأنه إن عجز وجب عليه أن يترك المنصب للقادر عليه.

وكل شئ ينهض بالأمة الى ذروة المجد ويحفظ أخلاقها، ويبث الأمن بين ربوعها ويجعلها عزيزة الجانب فإنه واجب مقدس على الرئيس أن يقوم به.

٣ ـ أما واجب الرئيس الأعلى وهو الإمام الأعظم أو خليفة المسلمين ومن يقوم مقامه بإزاء ذلك، فهو أنه لايحل له أن يسند أمرا من الأمور إلى غير أهله. لايحل له أن ينيب عنه فى مصالح المسلمين ضعيفا فى إرادته أو فى شهوته، أو فى عقله، أو فى دينه، أو فى سياسته العامة أو الخاصة على الوجه الذى بيناه. بذلك أمر الله الخلفاء صريحا فى قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾(١).

ومعنى الآية الذى يدل عليه السياق بوضوح: أنه سبحانه يقول: إننى آمركم أيها الخلفاء والرؤساء الأعلون أن تسندوا المناصب الى أهلها اللائقين بها القادرين عليها وعلى أدائها على الوجه الأكمل. فالمراد بالأمانات المناصب كما هو صريح الحديث الذى معنا، فقد قال النبى ﷺ لأبى ذر: إن المنصب أمانة، أى حق من الحقوق

(١) النساء (٥٨).

المتعلقة بذمة الرئيس، فلا يصح أن يحتمله ضعيف ليس أهلا له.

وقوله سبحانه:

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾

خطاب لكل من ولى من أمر المسلمين شيئا سواء أكان: إماما، أم أميرا، أم قاضيا، أم رئيس قبيلة، أم رئيس أسرة، أم رئيس جماعة. فكل واحد من هؤلاء يفترض عليه أن يقضى بين الناس بالعدل، وإلى ذلك يشير قوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيتها ومسئولة عن رعيتها.. إلخ»[٢].

وقال ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع»[٣].

ومما لاخفاء فيه أن الأمة التى بيدها انتخاب الحاكم أو انتخاب من ينتخبه، مسئولة عمن تختاره للحكم كمسئولية الإمام الأعظم سواء بسواء، فإذا لم تنتخب الكفء القادر اللائق للحكم كان وزرها عند الله عظيما وعقوبتها شديدة.

٤ـ وأما خطورة الحكم وعاقبة أمره، فإن الحكم تارة يكون أداة صالحة ينفع الحاكمين والمحكومين، وتكون عاقبته سعادة فى الدنيا والآخرة، وتارة يكون من شر الوسائل المردية لصاحبه فى الدنيا والآخرة. وقد رغبت الشريعة الإسلامية فى الحكم الصالح، وحثت عليه، وحذرت من الحكم الظالم الفاسد ونهت عنه نهيا شديداً، فمن الأول قوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله يوم لاظل الا ظله: أمام عادل، وشاب نشأ فى طاعة الله»[٤]. إلخ. فأنت ترى أنه قد بدأ السبعة بإمام المسلمين وخليفتهم العادل. وقوله: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى مسلم، وعفيف متعفف ذو عيال»[٥]. ومعنى قوله: ذو سلطان مقسط، ذو ملك عادل. وقوله ﷺ «يوم من أيام عادل أفضل من عبادة ستين سنة»[٦] إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على فضل الرئيس العادل والحاكم الموفق القادر.

ومن الثانى قوله ﷺ: «من ولى شيئا من أمر المسلمين أتى به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم، فإن كان محسنا نجا، وإن كان مسيئا انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفا»[٧]. وقوله: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة»[٨]. وقوله: «الإمارة أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة، إلا من عدل، وكيف يعدل مع قريبه»[٩].

وقوله ﷺ: «من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم، احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره

(٢) البخارى ٢/٦/، ٣/١٩٦.
(٣) أخرجه ابن حبان فى صحيحه.
(٤) البخارى ١/١٦٨، وأحمد ٢/٤٣٩.
(٥) أخرجه مسلم.
(٦) البيهقى ٨/١٦٢.
(٧) مجمع الزوائد ٥/٢٠٥، ٢١١.
(٨) أخرجه البخارى.
(٩) أخرجه الطبرانى وغيره.

يوم القيامة »(١٠) وقوله : « لاتقدس أمة لايقضى فيها بغير الحق، ولايأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع » إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على خطورة الحكم فى نظر الدين الإسلامى، وكلها أحاديث صحيحة.

لقد نظر المسلمون الأولون الى أوامر الدين نظرا صادقا مقدسًا، فكانوا يستمعون القول فيعضون عليه بالنواجذ ولايحيدون عنه قيد شعرة، وهؤلاء هم المؤمنون حقا الذين عرفوا قدر الدنيا وقيمتها، وأيقنوا أن شهواتها لاثبات لها ولا استقرار، فلم تخدعهم شهوة الجاه والسلطان، ولم تغرهم لذة الرياسة وشهوة النفوذ، ولم يفتنهم ملق الناس وطاعتهم إياهم وتفانيهم فى الزلفى منهم والتهافت على إرضائهم بحق وبغير حق، فكل ذلك لم تكن له أية قيمة فى نظر أسلافنا الصالحين، فكانوا يفرون من المناصب فرار السليم من الأجرب والشاة من الذئب، ومنهم من آثر السجن والتعذيب على تولى منصب لأنه كان يخشى أن لايؤديه كاملا فيعرض نفسه لظلم الخلق وسخط الخالق. ولو أن هذه الروح الطيبة قد استمرت حية بين المسلمين لما كانت المناصب مصدر فرقة وبلاء على الأمم والشعوب مما نرى بعضه الآن، فقد منى الناس بعشاق المناصب الذين لايرون لأنفسهم حياة إلا إذا غمرتهم أبهة المنصب واستمتعوا بثمراته الطيبة ونعيمه اللذيذ، فطفقوا يتهافتون عليها تهافت الفراش على النار من غير شعور بواجب أو دين أو خلق كريم. فها نحن أولاء نرى المناصب قد جذبت إلى حبها الناس شبابًا وشيوخًا وكهولاً كما تجذب قوة (المغناطيس) قطع الحديد بدون إرادة واختيار، وكل يدعى أنه أهل وغيره ضعيف، وكل يقذف صاحبه فى عرضه وكرامته وخلقه ودينه، ويرمى به من حالق فى سبيل شهوة الجاه والسلطان والمال، حتى لقد يخيل إلى من ينظر إلى تهافت الناس على المناصب وتنازعهم فى سبيل الحصول عليها أنه إذا أمكن أحدهم القضاء على منافسه لم يتأخر. وذلك واضح، فقد رأينا بعض الناس لايبالى باتهام الصالحين الذين لاتحوم حولهم الريب بأقبح التهم كذبا من أجل المنصب، رأيناهم يسلطون أذنابهم وسفهاءهم على الخوض فى المصلحين العاملين على تهذيب الأخلاق وخدمة الدين لتوهم أنهم يحولون بينهم وبين المناصب، رأيناهم يتهمون الأئمة الذين لاهم لهم إلا الإصلاح الخلقى والدينى بما هم براء منه لتوهم أنهم من العوامل التى تحول بينهم وبين لذاتهم الفاسدة. ورأينا غير الأكفاء يبذلون الأموال والشفعاء ليظفروا بالمنصب ولايبالون باتهام الأكفاء الأبرياء الغافلين بما لو ثبت عليهم لقضى على حياتهم قضاء مبرما. ورأينا الناس يصلون الى المناصب فيضعون أصابعهم فى آذانهم كى لايستمعوا صيحات المظلومين، ولايكون لهم هم إلا ملء بطونهم وبطون أهليهم وأقربائهم ومحسوبيهم. رأينا كل ذلك بأعيننا وسمعناه بآذاننا، فهل الذى يفعل ذلك مسلم يدين بالإسلام بعد ماقدمناه من هذه الأحاديث؟ اللهم كلا! فهذا هو الإسلام شاهد عليهم، وهذا هو رسول الله ﷺ حذرهم وبشرهم فقال: « لايحل لأحد أن يأخذ منصبا وهو غير أهل له، ومن وصل

(١٠) أبو داود ٢٩٤٨، والبيهقى ١٠١/١٠.

الى منصب وهو له أهل فإنه يجب عليه أن يجرد نفسه من كل شهوة، وأن يعدل بين الناس بكل معنى العدل، بصرف النظر عن قريب وأجنبي وعدو وصديق، ومن حكم فعدل كان له عند الله أحسن المثوبة، ومن حكم وجار وفجر كان له عند الله أسوأ الجزاء، ومن عجز عن إقامة العدل وجب عليه أن يترك المنصب للقادر على العدل، وإلا غضب الله عليه، ولم يشفع له عجزه.

هذا هو الاسلام وهذه نصوصه الحكيمة تبين لنا قيمة المناصب، وتوضح لنا الغرض منها أوضح بيان فهي تحرم على غير الكفء القادر أن يلي أمرا من الأمور وهو عاجز عن أدائه على الوجه الأكمل، وتوجب على القادرين أن يعدلوا فيما يسند إليهم من الأمور كما أمرهم الله ورسوله. وهذا المعنى كان له أعظم الأثر في نفوس أسلافنا من أئمة الإسلام وعلمائه العاملين، فقد كانوا ينساقون إلى السجون من أجل أن يتقلدوا منصبا عاليا، فلا يرضون ويفضلون السجن والتعذيب على المنصب الذى يظنون أنهم لايستطيعون القيام بحقه على الوجه الأكمل. والحق أنهم كانوا في ذلك مثلا أعلى لمن كان له قلب.

٥ - أما حقوق الإمارة فتؤخذ مما بيناه آنفا. وأهم حقوق الرياسة إقامة العدل بين المرءوسين. فأما عدل الإمام الأعظم أو خليفة المسلمين فأهمه إسناد المناصب إلى مستحقيها، ورد المظالم إلى المظلومين من رعاياه، وتأديب الخارجين على القوانين الشرعية التى تنتظم صلاح المعاش والمعاد، ومراقبة رعيته بكل مايستطيع من قوة، فلا يهمل أمرا يرقى عقولهم وأخلاقهم، ولايدخر وسعا فى الوسائل التى تحفظ عليهم أموالهم ودماءهم وأعراضهم، ويكون لهم مثلا كاملا فى معاملة بعضهم بعضا بالعدل والإنصاف. فالإمام الأعظم العادل هو مصدر سعادة أمته وهنائها.

وأما عدل الولاة والحكام ومن يليهم من الرؤساء فإنه من أقوى الأركان التى تقوم عليها سعادة المرءوسين، ويستقر عليه الأمن والنظام. فإذا جار الحاكم وفشت المظالم بين الناس كان ذلك شرا ووبالا عليه وعلى مرءوسيه، فإن المظلوم منهم يحقد عليه وعلى من حاباه فى سبيله، فتنقطع بينهم روابط المودة، ويمعن كل منهما فى الإضرار بصاحبه، فضلا عما يسرى لهم من خلق الظلم، فيتسلطون على خلق الله فيظلمونهم كما ظلمهم، وبذلك تسود الفوضى وتحبب المظالم إلى الأقوياء، ويحل بالناس الشقاء وتنهار دعائم العمران. ويتبع ذلك عدل القضاة وعدل الشهود، فإذا جار القاضى ولم تقسط الشهود كان فى ذلك البلاء كل البلاء، فإن النظام العام يختل بعد ذلك كل الخلل، وتهدر الدماء والأموال والأعراض بدون أن يجد المظلوم ملجأ ينصفه. ولذا قال رسول الله ﷺ : «القضاة ثلاثة : واحد فى الجنة، واثنان فى النار، فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار»[11]. فالقاضى الممدوح فى نظر الدين هو الذى يعرف الحق ويقضى به. وذلك يحتاج إلى جهاد عظيم حتى يتنزه القاضى عن التحيز

---

(١١) أخرجه أبو داود وغيره.

والميل مع أقربائه وأصدقائه أو من تربطه بهم رابطة أو تجمعه معهم جامعة، أو يكون له فى الميل معهم غرض يناله من مال أو رقى، أو شهوة، فالقاضى لاينجو إلا إذا كان بالنسبة للخصوم كالميزان المنضبط، فلا يميل مثقال ذرة إلى أحد منهم إلا بالحق. ومما لاريب فيه أن عمدة القاضى فى معرفة الحق إنما هم الشهود، فإذا تحيز الشاهد أو شهد زورا وضلل القاضى أو امتنع عن أداء الشهادة فقد احتمل كل هذه المسئولية، وكان من أشقى خلق الله وأتعسهم عند الله وعند الناس.. ويكفى فى الحث على ذلك قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾(١٢).

ومعنى ﴿ قَوَّٰمِينَ ﴾ مواظبين على أداء العدل. ومعنى ﴿ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾ تشهدون بالحق ابتغاء مرضاة الله. وقوله:

﴿ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ مبالغة فى الحث على أداء الشهادة، فكأنه يقول: ينبغى أن يقول الإنسان الحق ولو على نفسه التى بين جنبيه أو ولده الذى هو ألصق الناس به، لأن مايقوله الإنسان على نفسه إقرار لاشهادة، إلا إذا أريد من الشهادة بيان الحق مطلقا، ولكن الأول أوضح بدليل قوله: ﴿ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ الخ، فإن شهادة الوالد لاتصلح، وكذا شهادة الولد.

فالغرض من الآية المبالغة فى قول الحق بحيث لوفرض وشهد الإنسان على نفسه أو على ولده أو والده فإنه يجب عليه أن يقول الحق.

وكان بعض السلف يرى جواز شهادة الوالد لولده وبالعكس عند صلاح الدين والأخلاق، عملا بهذه الآية الكريمة. ومعنى قوله:

﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾(١٣)

أن الشاهد ينبغى له أن يغض النظر عن كل اعتبار، فلا يتحيز لخصم أيا كان حاله، فلا تحمله العاطفة أو الرحمة أن يشهد لمصلحة أحد بغير حق، ولاتحمله القرابة أن يتحيز لأقربائه، فلا يراعى فى هذا المقام إلا الله ـ عز وجل ـ الذى أمره أن لا ينثنى عن ذكر الحق قيد شعرة، والله أولى بالفقير منه. ومعنى قوله تعالى:

﴿ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(١٤).

إن تلووا ألسنتكم عن قول الحق فلا تنطقوا به، أو تعرضوا عن أداء الشهادة رأسا، فإن الله خبير بكم لاتخفى عليه خافية من أمركم فيجزيكم على مافعلتم شر الجزاء فى يوم لاينفع فيه مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

هذه صورة مصغرة لآداب الحكم فى الإسلام، فالله المسئول أن يوفق المسلمين إلى مافيه صلاحهم وفلاحهم، إنه سميع الدعاء،

---

(١٢) النساء (١٣٥).
(١٤) النساء (١٣٥).
(١٣) النساء (١٣٥).

من نفحات الإسراء والمعراج

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

إن معنى النفحة كما أفهمها وكما أقصدها - أيضًا - هى ومضة نور وجرعة إمداد تبعث الحياة فى موات النفوس فتشرق بالنور وبالعزم وتتطلع النفوس بها إلى منابع الضوء.

وتمضى بالحياة صاعدة إلى القيم العليا على المستوى العام. ترفض الظلم والطغيان، جسورة غير هيابة.. وتأبى الزيف والنفاق واضحة جلية.

وعلى المستوى الشخصى تمتلك حزمة من ضوء النور الهادى مصداقا لقول الله تعالى:

﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾(1) **الآية.**

لكنها مع ذلك قد تخطىء فى دنيا الناس ولا تملك قسطا منها كما يحبها أهلها لأنها لا تعنيها ولا تكترث لها ولكنها بما تمتلك من نور تتلذذ بالزهد وتقتات الورع.. وتموت ولا تشم رائحة حرام لأنها تعيش قول المصطفى ﷺ «كل جسم نبت من حرام فالنار أولى به»(2) وسيدنا أبوبكر الصديق كان يعيش هذا المعنى لما وضع أصبعه فى حلقه يتقايأ لقمة وصلت جوفه يقول لها «لو لم تخرجى إلا بروحى لأخرجتك»(3). والحرام ليس فقط أن تضع يدك فى جيب الناس بل أن تحتال فيقدم لك الناس ما فى جيوبهم وربما احتلت بالدين ويا سوء ما فعلت.

والنفحة لحظة ميلاد، لحظة إشراق وأروع ما فى الكون إشراق الميلاد وميلاد الإشراق ودائما ما يكتنف الميلاد ويسبقه آلام مخاض وحتى ينبثق الضوء لابد من وهج احتراق، والإسراء والمعراج نفحة ربانية سبقها الاحتراق.. وعاناها المصطفى ﷺ الكامل المكمل ولم تكن هذه المعاناة ضرورة استحقاق لرسول الله ﷺ وإنما هى لأمته حتى تجدَّ فى طلب الارتقاء النفسى والقيمى ولنا فى رسول

(1) سورة الحديد (28).

(2) سيرة أبوبكر الصديق.

(3) الإصابة.

الله ﷺ أسوة حسنة فعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم، فقبل الإسراء والمعراج رزء رسول الله ﷺ بوفاة اثنين كانا من أحب الناس إليه وأقربهم إلى قلبه وأكثرهم عونًا على الدعوة وأشدهم فى الدفاع عنه وهما: زوجه البارة والوفية المؤنسة الحبيبة إلى قلبه خديجة بنت خويلد حتى كانت السيدة عائشة - رضى الله عنها - تغار عليه ﷺ من شدة حبه وإعزازه لها حتى بعد مماتها، تقول السيدة عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها فذكرها يومًا من الأيام فأخذتنى الغيرة فقلت: «هل كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها» فغضب ثم قال: «لا والله ما أبدلنى الله خيراً منها، آمنت إذ كفر الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ورزقنى منها الله الولد دون غيرها من النساء» قالت عائشة فقلت فى نفسى لا أذكرها بعدها بسبة أبداً[٤] هذه السيدة الوفية الزوجة الحبيبة التى لم يحتمل فيها كلمات ضُرة. ولن نستطيع أن نعبر عن مدى إعزازها فى قلبه ﷺ. ولا عن مكانها ومكانتها فى قلبه ﷺ لن نستطيع أن نعبر عن ذلك بأبلغ من كلماته ﷺ حين قال آمنت إذ كفر الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس وواستى بمالها إذ حرمنى الناس.

وكما رزء بوفاة الزوجة فى العام نفسه رزء بوفاة عمه أبى طالب ذلك النصير والمعين الحامى والمدافع فأصبح البيت خاويًا ومكة خاوية وأصبح الهجير فى بطاح مكة كما هو فى صحن الدار وتضيق مكة فلا يمكن بها قرار ويهرع النبى ﷺ إلى الطائف يفتح للدعوة أفقًا ولنفسه متنفسًا فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار وبالسوء استقبال أهل الطائف له ﷺ وبرغم ما كان فيه من الألم. وكما يقولون :إن المحن تلد المنح مادام قلب الإنسان عامراً باليقين فما بالك بقلب سيد المرسلين ﷺ وبعد ما لا قاه المصطفى ﷺ من أهل الطائف من سخرية وعنف، وعز النصير والمعين وكأن الأرض أجدبت ممن يؤمن بالله وكأن الرحمة قد انتزعت حتى من البطحاء.

وهنا خرجت كلمات «رسول الله ﷺ من فمه الطاهر تهز أركان السماء هزاً بل تهز الكون كله ففيها صدق اللجوء إلى الله تعالى والافتقار إليه وحده فلم تعد فى الأرض قوة تركن الدعوة إليها لتعيش فى كنفها وتقطعت أسباب الأرض كلها ولم تبق إلا أسباب السماء قال رسول الله ﷺ اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس اللهم رب المستضعفين أنت ربى إلى من تكلنى إلى قريب ملكته أمرى أم إلى بعيد يتجهمنى إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى.. على تعدد الروايات فى ألفاظ الدعاء فينزل جبريل الأمين يقول له إن ربك يقول «لو شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت» هذا جزاء ما اقترفوا وذلك هو العدل. لكن قلب رسول الله ﷺ الذى يفيض رحمة والرحمة فوق العدل فيقول اسأل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله و يوحده[٥] قبل هذا الموقف العظيم كانت المساومة الدنيئة من المشركين فى مكة يوم أن عرضوا على رسول الله ﷺ عن طريق عمه أبى

(٤) سيرة ابن هشام.

(٥) اتحاف السادة المتقين ١٠/٤٣.

طالب أن يترك الدعوة ويعطوه ما يشاء من مال أو ملك أو رياسة.. إلخ. لكنه أبى لأن المبادىء لا تقبل المساومة.

هل فى هذا الدرس الأخلاقى نفحة من نفحات الإسراء؟ تدفعنا نلجأ إلى الله تعالى أن يرفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم.

قال صاحبى فى ضجر غير خاف وتهكم ممزوج بشماتة :مالك ما الذى دهاك؟ لم تقدم الإسراء قصة نرتاح لها ولم تمنحنا شيئا من نفحات لوحت بها فى صدر مقالك؟. قلت فى ضيق مكتوم. أعجب لأمة منهزمة جعلت من مواقف دينها قصصًا تريد أن ترتاح إليه وبه؟ ما الذى أضناها حتى تطلب الراحة. وما الذى قدمته حتى تطلب ما تأخذه؟ بل وما الذى أرهقها حتى لم تعد تفرق بين الجد والهزل بين الضرورى والثانوى؟ هل كنت تتوقع منى أن أجعل نفحات الإسراء خبزاً يطعم الكسالى أو وسائد يرتاح إليها المتخمون؟ إن النفحات وهج صدقٍ تولد من معاناة حقيقية وثبات على المبدأ عايشها نبلاء لا يعرفون خيانة الوطن ولا بيعه للأجنبى والاتجار فى وحدته وتماسكه، ولا بسرقته واختلاس قوت الفقراء الكادحين من أبنائه. أقول هذا بمناسبة هجمة الجراد البشرى الذى يأكل الأخضر واليابس فى شتى مواقع مصر حتى كاد الأمل يتسرب من نفوسنا ويتسلل إليها اليأس والإحباط.

قال صاحبى فى دهشة هى أقرب إلى طلب الاستزادة من الحوار منها إلى رفضه تنم عن بداية استيعاب للموضوع.

قال: يعجبنى فى منهجك أنك تربط ما هو دينى بالدنيا. فلا تتحدث لأناس انقطعوا عن الحياة أو بتعبير أدق من يعيشون بشخصيتين واحدة للدين والتاريخ وأخرى للدنيا ومباهجها.

قلت لصاحبى والبهجة تملأ جوانحى أعزك الله وبارك فيك هذا هو منهجى فى الحياة وفى الدعوة وهذا هو فهمى للإسلام، قاطعنى صاحبى قائلاً: مهلاً: أريد توضيحا لما تقول، ما معنى منهجك فى الحياة وفى الدعوة وفهمك للإسلام؟

قلت: الأمر أبسط مما تتوهم يا صاحبى. أما عن أنه منهجى فى الحياة فذلك أننى أؤمن بأن الدين جاء ليقوِّم اعوجاج الحياة إذا جنحت بها سفينة الشهوات والاستبداد فعلينا أن نقوِّم الحياة حتى توافق الدين ولا نلوى الدين حتى يتوافق مع دنيا الناس. أما عن منهجى فى الدعوة فلا أدعو إلى الإغراق والتشدد فى طلب التدين من الناس لكن أن نبين لهم الحد الوسط فذلك لازم وضرورى. كل هذا يشكل فهمى للإسلام وفى ذات الوقت استطيع أن أقول إنه نابع من فهمى للإسلام، فالإسلام منهج غض طرى سلس ليس فيه رعونة ولا تشدد ولا تسيب ولا إفراط إنه اعتدال قويم. ومن منطلق مبادىء الإسلام الرشيدة التى تؤسس اللبنة الصالحة أولاً. أى الإنسان المستقيم فإنه هو قوام الحياة المستقيمة والمجتمع المستقيم النظيف وبه يكون النصر والسيادة الحقيقية ومن هذا المنطلق وانسياقا مع هذا الفهم فإن الذى يزعجنى ويؤرقنى فساد اللبنة - فساد الداخل - ولا أنزعج أبداً لأى هجوم خارجى مهما عظم.

قال صاحبى: عجبا لك كلما اقتربت من التآلف مع أفكارك وفهمك أراك توشك أن تبحر عنى بعيداً لا أقول فى أعماق خطرة

ولكنها بعيدة وعميقة قلت :رعاك الله لا تخش شيئا يا صاحبى فالله معنا.. ما دمنا صادقين جادين وعلينا أن نسعى أريد أن أقول إن المسلم فرداً وأمة لابد أن تكون صلته بالله قوية عامرة.. المسلم لا يعرف الكذب ولا النفاق ولا الدنس يموت ولا يسرق ولا يتاجر بدينه أو عرضه يهرب من الخنا كما يهرب السليم من الأجرب ولا يرضى بأى من ذلك. وما دام كذلك فتصبح علاقته بالله قوية فكان الله سمعه وبصره ورجله ويده التى يبطش بها. فالمسلم راهب بالليل عامل بالنهار يبتغى فضل الله، فالمسلم لا يعرف ما يسمونه أزمة اقتصادية مثلاً قد تحصل ندرة فى القوت، لكن ذلك لا يشكل ما يسميه الناس أزمة، وعلاج الندرة فى المجتمع المسلم الإيثار والعطاء ممن يملك لوجه الله. «من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له».

● فأنا لست منزعجاً لأن أمريكا تمنع المعونة بل ولماذا تقدمها أصلاً

فهل وصلت إلى درجة السخاء.. أبداً إنها تشترى مصالحها الخاصة.

إن الذى يزعجنى أن يقبل إنسان مسلم هذا الصغار الحقير.قلت لصاحبى أحس كأنى قد أطلت عليك لكنى أقول لك إن النفحة التى نرجوها فى ذكرى الإسراء والمعراج.فمّ طاهرٌ يدعو فيستجاب له وليس ذلك وليد رهبنة وانقطاع إنه معايشة نظيفة فى مجتمع نظيف، إن الذى يؤلمنى تفشى الأمراض فى المجتمع المسلم ولا يزعجنى تكالب الأعداء من الخارج ذلك أن عوامل النصر فى الإسلام تختلف عنها عند غير المسلمين حيث إن صلة المسلم بربه هى أساس النصر فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾[٥] وقوم تفشى فيهم النفاق والكذب والسرقة والاختلاس لا يمكن أن يكونوا ممن ينصرون الله. فهى معادلة لابد من تحقق الطرف الأول حتى يتحقق الطرف الآخر.

ويقول الرسول ﷺ إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم[٦] هذه مفاهيم لا يعيها الغرب كله ولا يمكن أن يستوعبها ضميره القلق ونفسيته الخبيثة حيث دور المسنين والرفق بالحيوان.. لافتات زائفة يخدع بها سذج المترفين المغرمين بالفكر الغربى والنموذج الغربى.

لذا قلت لصاحبى أنا لا أخاف جبروت أمريكا وطغيانها شريطة أن نكون نحن صالحين.. لأن الله سبحانه الذى نؤمن به تكفل بالظالمين يقول النبى ﷺ إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[٧] لكن لابد من مجتمع مسلم صالح فعلاً لا قولاً وادعاءً.

تلك هى نفحة الإسراء التى نطلبها فى ذكرى الإسراء المباركة ولنا حديث آخر إن شاء الله.

---

(٦) سورة محمد (٧).

(٨) البخارى ٦/٩٤.

(٧) اتحاف السادة المتقين ٦/٩٤.

مواقف إسلامية

زيارة .. إلى بيت النبوة

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

يقولون: حتى ينجح مشروع ما .. لابد لنجاحه من توافر أمرين:
١ - تحديد الهدف. ٢ - ثم توفر الوسائل المحققة له.
والزواج .. لا يخرج عن هذه القاعدة.
ولكن بعض الناس يعرفون الهدف .. بيد أنهم لايملكون وسائل تحقيقه .. أو يملكون .. لكنهم لايحسنون الأداء .. وبعضهم لديه من الوسائل مايكفى .. لكن الهدف غائم عائم فى أذهانهم .. ومن ثم يتخبطون .. ثم لايصلون ..
وقد حدد الإسلام هدف الزواج وهو: السكن ثم كشف النقاب عن الأسباب الحاملة إليه .. مركزا على عنصر التدين الواصل بالزوجين إلى هذا السكن المنشود منكرا حصر الهم فى ذات المال أو الجمال .. رقيقة الدين ..
هذا التدين الذى كشف المجربون اليوم صدقه وتفرده بتحقيق السلام النفسى بين الزوجين.

يقول أحد الأدباء: فالبنت الجميلة يعاملونها منذ طفولتها معاملة خاصة وهذه المعاملة الخاصة تؤكد لها أنها غير الناس وهذا الإعجاب المستمر بها. يعزلها عن الناس. وفى الوقت نفسه يدعو الناس إلى الإقبال عليها والدوران حولها، وهذا الزحام حولها .. يهدد أمنها وحريتها، فهى لاتستمتع بحرية الفتيات اللاتى هن دونها فى الجمال.

ثم إن هذا الجمال يفرض عليها أسلوبا فى الزى والكلام .. ويقف بها أمام المرآة طويلا.

ثم يواصل الأديب حديثه موضحا كيف ينحدر الجمال الصارخ بها وبالأسرة كلها إلى الهاوية:

.. إنها دائمة النظر إلى نفسها .. راغبة فى نظر الناس إليها لا كما هى على طبيعتها .. وإنما طبق ما يتصورها الآخرون .. وإذا تزوجت فسوف يتقدم لها الشاب الوسيم مثلها أو الغنى وسوف يكون الاثنان معا متنافسين فى جذب الناس وتتكاثر حولها وتتكاثر حوله العيون .. ويبدأ الخلاف ويبدأ السباق على نهاية الحياة الزوجية ..

وأوضح صورة لذلك نجوم السينما وفشل حياتهم الزوجية، ففى الأفلام يلتقى اثنان، أحدهما جميل أو الاثنان معا ويخرجان من قصة الحب فى الفيلم إلى حب حقيقى وزواج وبعد الزواج يكتشف الاثنان أن الذى بينهما ليس حبا وإنما هى معاشرة فنية أفضت إلى زواج وأنهما (اندمجا) فى التمثيل ولكن أحداً منهما لم يحب الآخر.. وفى الصحف والمجلات العالمية عشرات من قصص الطلاق والفشل فى الحب بين جميلات الشاشة، والسبب أن الجمال كان جناية عليها، فقد حشرن فى سجن ذهبى ضيق.. وأدى السجن إلى خنقها إلا إذا حطمت السجن وتحررت لتدخل فى سجن آخر.. بينما الفتاة التى ليست جميلة جدا أحسن حظا.. لأنها تحاول طول الوقت أن تكون جميلة، وتحاول أيضا أن تبذل جهداً فى إقناع الطرف الآخر بأنها جميلة عاقلة وست بيت وأم، بينما الجميلة جدا لاتحاول، وإنما تنتظر دائما ولكن السعادة لا تجىء وحدها وإنما يجب أن تذهب إليها وتفرش لها الطريق بالعقل والصبر.

وفى هذه الصفحات التالية.. دعوة إلى عودة راشدة إلى ماضينا المجيد.. ونحن واجدون فيه من القيم ما نعدل به مسير حياتنا.. وبخاصة عبر هذه المواقف.. فى دوحة النبوة.. ومن بيت الزهراء ـ رضى الله عنها ـ تذكرة لأولى الألباب.

الشقاء بالثمن والسعادة بالمجان!

من أسباب سعادة الأسرة تلك البساطة فى تأثيث البيت والتى لا ترهق الزوج بالديون التى تصبح هما بالليل وذلا بالنهار.. إن بعض الآباء ـ مدفوعا بغريزة حب الظهور ـ يكلف الفتى من أمره عسرا.. وما يراه العقلاء من الكماليات.. يظنه هو فى طليعة الضروريات!

ويحس الفتى بالتمزق: فهو واقع تحت ضغط نفسى.. ولابد من تلافيه بتلبية حاجات من يحب!

ثم هو واقع ثانيا تحت ضغط مجتمع لايرحم.. لأن المقياس فى يده يجعل عنصر الأخلاق فى مرتبة تالية.. وأهم من الأخلاق: كم قدم من الأطباق؟!

ونحن مدعوون إلى رحلة نزور فيها بيت النبى ﷺ.. وكيف كان جهاز «فاطمة» الزهراء؟

روى جابر ـ رضى الله عنه ـ قال:

حضرنا عرس على وفاطمة فما رأينا عرسا كان أحسن منه:

حشونا الفراش: الليف.

وأتينا بتمر وزبيب فأكلنا وكان فراشها ليلة عرسها: إهاب كبش[(١)] بل إن العروس نفسه ـ وهو على رضى الله عنه ـ يذكر ذلك على الملأ.. وبلاحرج قال:

جهز رسول الله فاطمة فى خميل وقربة ووسادة فى حشوها إذخر[(٢)].

ومن مجموع الروايات يتلخص لك حجم الأثاث.. أثاث الماجدة «فاطمة» بنت رسول الله ﷺ.. أحب أولاده إليه:

---

(١) رواه البزار.

(٢) الخميل: قطيفة لها أهداب. والإذخر: نبات طيب الرائحة.

١ـ خميلة.

٢ـ وسادة حشوها إذخر.

٣ـ رحاءآن وسقاآن.

٤ـ قليل من الطيب.

٥ـ فراش هو: إهاب كبش حشوه ليف!

من الكماليات إلى الكمال

وعلى ـ رضى الله عنه ـ وهو العروس ـ يتحدث راضيا عما جهز به الرسول ابنته.. متحررا من ضغط النفس فهو يتزوج الكمال.. ولا تعنيه الكماليات.. ومتحررا كذلك من ضغط مجتمع لا يلاحق بالنقد هذا الأثاث البسيط.. بل إنه بدل الكلام والملام يتنادى أفراده ليكونوا جميعا خدماً له فى ذلك اليوم.. يعدون له غرفة النوم..

وتأمل ذلك الحس الجمالى.. حين يختارون أن يكون الإذخر حشو الوسادة.. بالذات.. ليكون ريحها الطيب روح النفس وريحانها!

وليكن «السرير» بعد ذلك إهاب كبش أو إهاب غزال.. فيكفى من نساء العالمين زوجة واحدة.. تملأ على الفتى حياته وتجعل من بيته جنة وارفة الظلال.

وبينما طلاب الدنيا يتلاومون.. بل قد ينفض سامرهم عن الفراق.. إذا بطلاب الآخرة سعداء.. يتمتعون بقيمة البساطة بعيدا عن التعقيد.. إنهم يعيشون فى صميم الدنيا.. لكن همتهم معلقة بالآخرة.. فاستمتعوا بالدنيا.. وبالآخرة. معا!

وهكذا تفرق المبادىء بين الناس: فمنهم شقى.. وسعيد.. إن صاحب الحق.. يستعصى على الهوى.. و من ثم ملك السيطرة على رغباته.. ومن ملكه الهوى.. صار عبدا لرغباته فتاهت به فى الأرض حيران.

وهكذا.. وفى بيوت الصالحين.. تبدأ الخطوة الأولى فى عمر الزوجين.. بلا صدام.. حين كان للقيم دورها فى صنع علاقة لاتنفصم عراها.

ذلك بأن أهل الفتاة يرون ما أنفقوه قليلا.. بينما يراه أهل الزوج كثيراً.

وإذن.. فقد فعل كل من الفريقين أجمل ما يليق به.. لينعكس على علاقة العروس وفاقا وسلاما.

ثم يدخل المساء.. ليلتقى العروسان على هذا الأثاث البسيط.. كل فى مكانه.. بلا زحام يزكم الأنوف.. وبلا احتشاد يصدم العيون..

ويتم السرور بلقاء الصاحبين على نفس البساطة بجمالها وجلالها.. قال محمد بن سيرين: تزوجت امرأة من بنى تميم فلما كانت ليلة البناء ـ الزفاف ـ دخلت عليها فإذا هى جالسة على باب خدرها فأهويت إليها بيدى فقالت: مهلا على رسلك فحمدت الله وأثنت عليه ثم قالت: إن الله ـ عزوجل ـ يضع العلم حيث يشاء وأنه بلغنى أن الرجل إذا دخل بيته يؤمر أن يصلى ركعتين وتصلى المرأة خلفه.. فإذا فرغ قال: اللهم بارك لى فى أهلى وبارك لأهلى فىّ.. اللهم ارزقنى منهم وارزقهم منىّ.. اللهم ارزقنى ألفتهم ومودتهم وارزقهم ألفتى ومودتى وحبب بعضنا إلى بعض.

قال ابن سيرين: فقمت ففعلت ذلك.. فلما فرغت أهويت إليها فقالت: مهلا على رسلك،

إن الرجل إذا إراد غشيان أهله أن يدعو قبل ذلك فيقول: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ولا تجعل له فينا نصيبا.

قال ابن سيرين: ففعلت ذلك

فلم أزل أعرف بعد ذلك: الألفة واللطف والخير.

ويشرق الصباح فى البيت على رزق ساقه الله إلى هذا البيت فى شخص عروس تملك من قوة الإرادة ما تستعلى به على أحداث الزمان وما تنضم به إلى ركب الأسرة التى صارت عضوا فيها.. لا حربا عليها وفى الوقت الذى تصرخ فيه الشهوة طالبة الإشباع.. تسكتها الحكمة البالغة على لسان زوجة صالحة مصلحة.. وملكة غير متوجة: رب مستور سبته شهوة فعرى عن ستره وانتهك صاحب الشهوة عبد.. فإذا ملك الشهوة أضحى ملكا.

أسوة فى التعامل مع أصهارنا

وحين يترنح السفين فوق الأمواج الغاضبة.. فقد يحلو للزوج أن ينتصر على أهل زوجته فى معركة تنتهى حتما بهزيمة الفريقين!.. فإذا تحققت أمنيته.. فتلك سعادته.

ولكن عليا ـ رضى الله عنه ـ كان همه الأكبر أن يفوز بحب والد زوجته ﷺ وأن يتحسس مشاعره ليعرف أين هو من قلبه الكبير، قال للرسول ﷺ يوما: أيهما أحب إليك يارسول الله: على؟ أم فاطمة؟

فقال ﷺ: «فاطمة: أحب إلى منك. وأنت أعز على منها».

وما أسعد والد الزوجة هنا بزوج ابنته.. والذى أحبه حبا ملك عليه أقطار نفسه.. ثم راح يتلمس مظاهر هذا الحب عنده ليطمئن قلبه..

وجاء الجواب الجامع المانع: فهى أحب إليه.. لأنها قطعة من أبيها..، وهو ـ لأنه حاميها ـ أعز عليه.

وعلى ـ رضى الله عنه ـ يحبه ﷺ.. صادرا فى هذا الحب عن روافد تصب فيه:

فهو ابن عمه.. أولا.

ثم إنه تربى فى حجره منذ نعومة أظفاره.. وهو الذى قدم إليه هدية عزيزة عليه.. أثيرة لديه هى فاطمة الزهراء..

ثم هو فوق هذا رسول الله ﷺ والذى هو أحب إليه من نفسه.. ومن الناس أجمعين.

ولاشك أن الزوجة سعيدة بأبيها.. وبزوجها: ذلك الفارس رب السيف.. والقلم والذى نشأ فى الإسلام صغيرا..

الرجل الذى ولد رجلا بلا طفولة.. حيث لم يترك له الإحساس بالمسئولية وقتا يلهو فيه كما يلهو الصبيان.

ومن شأن هذا الحب العميق المتبادل أن يصمد أمام الأحداث الطارئة.. والأحداث الطارئة قدر الأسرة.. كل أسرة.. ولكن المهم: كيف نتصرف؟ ما هو موقف أهل الزوجة إذا ما تأزمت الأمور؟ لقد كان على ـ رضى الله عنه ـ عاملا آملا.. يأكل من عمل يده وكانت فاطمة ـ رضى الله عنها ـ تنهض بعبء العمل فى البيت.. ولكن هموم البيت كانت فوق طاقتها. فماذا تفعل.. و ما هو موقف أبيها من هذه المشكلة بما

يصبح مقياسا.. نقيس عليه اليوم حياتنا في علاقتنا بأصهارنا؟

روى البخاري: أن فاطمة شكت إلى رسول الله ﷺ ما تلقى في يدها من أثر الرحى فأتت النبي ﷺ تسأله خادما.. فلم تجده.

فذكرت ذلك لعائشة ـ رضي الله عنها ـ فلما جاء أخبرته.. قالت فاطمة: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا.. فذهبت أقوم فقال: مكانك فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه في صدري فقال: «ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟

إذا آويتما إلى فراشكما وأخذتما مضاجعكما: فكبرا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين فهو خير لكما من خادم» ثم قالت: رضيت عن الله ـ عزوجل ـ ورضيت عن رسول الله ﷺ.

وهكذا يمتص والد الزوجة فورة الغضب.. ويعود بالنفوس إلى أمنها وسلامها.. والذي بدا على لسان الزهراء التي قنعت بما رزقت.. راضية بحكم الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ.

من دروس الموقف

إن بعض «الحموات» لهن إلحاح في إرهاق الزوج بما لاتسمح به ميزانيته.. ثم يكون الشقاق الذي لاينجو من آثاره أحد من الطرفين.. ولكن في بيت النبوة.. ومع أن القضية خطيرة فيما بدا من آثار العمل في يدي الزهراء ـ رضي الله عنها ـ إلا أن ذلك لم يشكل عقدة يتعقد بها الموقف.. ولم يتخذه الزوج ذريعة لافتعال معركة ساخنة أو باردة..

وها هو ذا والد الزوجة ينتقل.. وبنفسه.. ليقف معهما في محنتهما.. جاعلا من الثقة بالله بديلا هو أغلى من كل ما في البيت.. عن طريق الدعاء الذي تعلماه.

وتستجيب الزوجة لأمر الله ـ تعالى ـ ثم تواصل معاناتها خدمة لزوجها.. مع أنها ابنة رسول الله ﷺ.. لقد كان زوجها أول من قدم بين يدي نجواه صدقة وها هي ذي فاطمة أول من تتنازل عن حقها.. لتبقى المبادىء فوق المنافع وتبقى صورة أقارب الحاكم الذين يعطون.. ولا يأخذون.

وإذا كانوا يقولون: الزوجة الحمقاء تزيد المشكلات.. والزوجة العاقلة تخفف من حدتها.. والزوجة الجميلة تخلقها.. فإن الزوجة المؤمنة تحل المشكلات..

وكذلك كانت الزهراء ـ رضي الله عنها.

المثل الأعلى

لقد ضاقت يد الزوج عن تدبير خادم يخفف من عناء زوجته.. فلم يجد أمامه إلا والد الزوجة.. ويعني ذلك أن الوالد هو موئله بعد الله ـ تعالى ـ هذا الوالد الذي لم يتخل عن مسئوليته تجاه ابنته بعدما سلمها لزوجها ولم يلجئهما إلى جار أو زميل يبيع فيهما ويشتري وهو التجاء محسوب لعلي ـ رضي الله عنه ـ أن حصر المشكلة ولم يوسع مداها باللجوء إلى الآخرين.. أو الشكوى إليهم.

أما عن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ فهي على أي حال: امرأة وزوجة.

ولكن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ رضيت بحياة التقشف عائدة إليها بعدما اعتذر والدها.. مع أنها كانت تطلب حقها الشرعى.

الزوج.. يشفق على زوجته

تقول الروايات الأخرى ما ملخصه: إن عليا ـ رضى الله عنه ـ اشفق عليها من إرهاق العمل: فأشار عليها أن تذهب إلى أبيها تطلب خادما.. وكان ذلك فى التوقيت المناسب:

وذلك حين علم أنه ﷺ عاد من إحدى الغزوات بغنائم وسبايا.

ولقد ذهبت فعلا.. ولكن الحياء عقد لسانها.. فاستحيت أن تسأل الرسول ﷺ.

وفى المرة الثانية صحبها زوجها ـ رضى الله عنه ـ ثم ناب عنها فى الطلب.

الوالد يعتذر

ولقد أحس ﷺ بمشاعر الأبوة تجاه أعز أولاده لديه.. ولكن مشاعره الخاصة تصطدم بالمصلحة العامة.. ولم يتردد فى الانحياز إلى ما تمليه مصلحة الأمة.،. ولو أغضب ذلك أحب أولاده إليه.. فقال معتذرا قاطعا أملهما فى الخادم بالقسم:

« لا والله ـ أنا لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تتلوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم »

لكنه لم يكن ذلك الحاكم الذى يطبق الشرع نصوصا وفقط وإنما كان قبل ذلك إنسانا تعمر قلبه أرق مشاعر الإنسان.. وذلك عندما خف إليهما مسرعا.. ثم كانت هذه الجلسة الوادعة والزوجان من حوله راقدين.. ولم تحس الزهراء فقط ببرد قدمه الشريفة فى صدرها.. بل أحست فى نفس الوقت ببرد الرضا خلف ضلوعها.. ولقد رضى معها الزوج بل قبلها.. بما قسم الله ـ تعالى ـ ورضى به رسوله الحاكم.. الحكيم.

إنه الحاكم الحكيم.. وليس المتحكم!

لقد ضاقت موارد الدولة عن تدبير خادم لابنته.. فلم يوقع قرارا استثنائيا بتدبير خادم لا تسمح به خطة الميزانية.. ومن ناحية أخرى.. ولما يعلمه من فقر الزوج.. فإنه لم يرهقه من أمره عسرا فيكلفه أن يدبر هو خادما.. وإنما شدد على ابنته لتواصل جهادها فى خدمة بعلها وأولادها.

وبعض الناس اليوم يكلفون الزوج أن يقتنى سيارة. .استجابة لدلال بنت يدمى أصابعها لمس الحرير! ثم يتعقد الموقف حين يعجز الزوج المسكين عن تحقيق الأمل المستحيل.. ثم تكون المعارك التى تأكل الأخضر واليابس.. ومن معانى موقفة ﷺ:

أن البنت إذا تزوجت.. فليس معنى ذلك انفصالها عن الأسرة.. بل ما تزال جزءا منها.. وفى السويداء من قلبها.. تراعيها وتتابع حياتها.. وإذا كان هناك ولابد من انحياز فهو الانحياز إلى الزوج الذى سوف يرد الجميل إلى أهلها.. تقديرا لابنتهم.. وعونا لها على وعثاء الطريق.

السلام يرفرف على البيت

ولقد كان من الممكن أن تقوم معركة بين الزوج والزوجة هنا بسبب تفضيل أهل الصفة على فاطمة.. وما أدراك ما فاطمة؟؟

إن لها فى خدمة الدعوة قدم صدق، لقد كان لها فى المعارك العسكرية دور مرموق، تضمد الجراح وتسقى المحتضرين.. ثم إنها فلذة كبده

الباقية.. بعد موت أولاده جميعا، وكانت مع ذلك أشبه بأبيها سمتا وهديا.. وهى التى قال لها: [وإنك أول أهلى لحوقا بى].

ومع هذا.. فقد كان الحق أولى.. ومن بركة هذا الحق.. ذلك السلام الذى عم أرجاء البيت.. وذلك الود السابغ الذى ألقاه على قلبيهما.. ثم خلفهما من ورائه فى سجوة الليل فى وئام وسلام.

دور زوجة الأب

ولاحظ ان فاطمة ـ رضى الله عنها ـ ذهبت أولا لطلب الخادم ثم عقد الحياء لسانها.. ومع ذلك فقد تركت لأبيها ﷺ رسالة ضمنتها أمنيتها.. والغريب أنها حملت الرسالة.. أم المؤمنين عائشة وأنا أتصور الآن ما كان يحدث من بعض زوجات الأب لو أن ابنة زوجها تطلب شيئا ما.. والقارىء العزيز يتصور ذلك ولكن عائشة ـ رضى الله عنها ـ تبلغ الرسالة بأمانة.. مؤكدة أنها أم المؤمنين ويجب أن يكون قلبها من الاتساع بحيث يستوعب آمال المؤمنين.. والمؤمنات..

ثم إنها تحب زوجها ﷺ. ومن حبها له أن تحب من يحبه هو..

وفى عالمنا اليوم حب مغشوش.. حب مقصوص الجناح ذلك الذى يدعيه بعضنا حين يقول: إنه يحبك.. لكنه فى نفس الوقت يكره من يحبك؟ شاهدا على نفسه بالنفاق!!

وظيفة الزوجة

والحديث الشريف دعوة إلى كل زوجة أن تلتزم بأداء وظيفتها التى هى أوسع من «المطبخ» وأهم من تنسيق الفراش؟ إن وظيفتها الأولى هى: توثيق الصلة بربها ـ عزوجل ـ أولا، حتى إذا ذكرته فى الرخاء كان معها فى الشدة.

ومن ذكر الله ـ تعالى ـ ذكر «عياله» وحقوقهم عليها.. ومن هؤلاء «العيال» أو «الرجال».. زوجها الذى يجب أن توثق صلته.. بأهله.. وأهلها.. وعدم إرهاقه بالمطالب والزهراء هنا.. والدها ﷺ كانا معا عونا للزوج على تجاوز الموقف المحرج، ولم يكونا عونا للحرج عليه وحتى لايموت الزوج موتا بطيئا.. يموت به خلق كثير فى طليعتهم: الزوجة والأولاد.. فإن فعلت الزوجة ذلك.. كان أمرها وأمر بيتها على ما يقول الشاعر:

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحب إلىّ من نقر الدفوف
وأكل كسيرة فى كسر بيتى
أحب إلىّ من أكل الرغيف

وقد حفل تاريخنا العظيم بزوجات كن على هذا المستوى: أوفياء للميثاق الغليظ الذى لاينقض غزله من بعد قوة أبدا.. ثم للأولاد الذين يشاهدون.. فيتأثرون وكان هذا الود الذى قيل فيه:

أغيب عنك بود لايغيره
نأى المحل.. ولاصرف من الزمن
تعتل بالشغل عنا.. لا تكلمنا
الشغل للقلب.. ليس الشغل للبدن.

مفارقات عجيبة

إن المرأة العصرية اليوم.. تطالب بحقها فى العمل.. وبإلحاح وفى الوقت تطلب خادما..

وبإلحاح أيضا! ولو أنها فضلت البيت وآثرت عمارته.. على العمل خارجه.. لاستغنت عن كائن غريب يشكل حارسا مقيما في البيت: يرى ويسمع ما ينبغي أن يكون سرا!

ويمكن بهذه القناعة ـ أن تخلى مكانها في الديوان لشاب يعول أسرة.. لتسهم بذلك في التخفيف من مشكلة البطالة.. ومن الناحية الأخلاقية: فقد تسد بابا إلى الفتنة.. فيحدث من الفساد ما لايعوضه عملها.. العمر كله! ولكنه التقليد والتنكر لماضينا التليد: ولابأس من التقليد ما دام مفيدا.. يضيف إلينا جديدا.. مع بقاء الشخصية مستقلة! وتاريخنا شاهد بأنه في أول العهد العباسي أخذ آباؤنا كل نافع من بلاد فارس.. لكنهم لم يصيروا بهذا التقليد فرسا! بل إنهم قلدوهم.. وفي نفس الوقت فرضوا عليهم هيبتهم.. فجعلوا من الفرس عربا!!

ومازال هذا المشهد في خيالي:

زوجة عاملة.. تخوض كل يوم معركة المواصلات ذاهبة آيبة من أجل مبلغ زهيد.. وكانت مشكلة وحل المشكلة هنا هو أن يكف زوجها عن التدخين ليريح زوجته.. ويريح أعصابه.. ثم يحتفظ بعافيته التي تتسرب مع كل نفس يبثه في الهواء!

يقول الشيخ على الطنطاوي:

نقلد الأجانب.. فنأخذ السم.. وندع الترياق!!

في السويد جمعية «أمناء الأزهار» عملها هو جمع الأموال التي يشتري بها أهل الميت وأصدقاؤه طاقات الزهور التي تحمل مع الجنازة ثم توضع على القبر ثم إنفاقها في بناء مساكن صحية للعمال والفقراء.. وقد شيدوا في مدة قصيرة ألف مسكن!! لماذا نستمسك بما لا يعود بعائدة.. ولايحقق فائدة.. في الأفراح.. والأتراح: هل تذهب بهجة العيد لو اتفقنا في تحيته على كوب من عصير الليمون؟ وهل تذهب بهجة العرس إذا لم يكن ثوب الزفاف بألف؟ ثم هل يمنع الميت من دخول الجنة لو مضى إلى ربه بلا باقات من الزهور؟

اللهم أعط المخلصين من الفقراء.. قدرة.. وأعط القادرين إخلاصا.. لتجتمع همة الواجدين والفاقدين على البر والتقوى:

نجنا يارب من ضعف من ضعف التقى وفجور القوى!

ولنبدأ بالعيد مرحلة جديدة نسعد بها الفقراء.. الذين يزرعون لنا القمح.. ولايجدون حتى الشعير.. ويبنون لنا القصور ولايجدون حتى الأكواخ!

وللأسف: بقي الأمر كما هو: تبدلت الوجوه.. وبقي العمل المشبوه! الأسلوب واحد.. والسياسة واحدة يتبدل الوزان ويبقى الميزان.. والميزان مختل والقب مائل.. والصنجات ضائعات.

الأبوة الحازمة

وهكذا كان ﷺ ـ رءوفا رحيما بابنته فاطمة.. وزوجها الفارس «على» رضى الله عنهما. ولكنه ﷺ حين علم بعزم على أن يتزوج بنت أبي جهل تغير كل شيء إنه لم

يذهب إلى عليّ فى بيته هذه المرة.. ولكنه ذهب إلى المسجد.. ثم خطب فى الناس قائلاً:

(إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب. فلا آذن لهم.. لا آذن لهم.. ثم لا آذن لهم! اللهم إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم: فإن ابنتى بضعة منى: يريبنى ما أرابها ويؤذينى ما آذاها وإنى أخاف أن تفتن فى دينها).

ولم يكن رسول الله ﷺ ليحرم ما أحل الله ـ تعالى ـ ولكنه خشى من فتنة الزهراء فى دينها حين يجمعها بيت واحد مع بنت فرعون هذه الأمة.

ولقد استمع على ـ رضى الله عنه ـ إلى ما قاله الرسول ﷺ.. فهب مذعورا عائدا إلى بيته معتذرا إلى فاطمة التى قبلت اعتذاره بثقة وأمان.

ولئن كنا سعداء بعودة المياه إلى مجاريها.. فإن سعادتنا لاتنسينا دور أهل الزوجة فى عودة الصفاء.. لو أنهم فعلوا مثلما فعل ﷺ.. وياليت قومى.. يعلمون.. ثم يعملون:

يعلمون أن من سنته ﷺ إعانة الزوجين على الوفاق.. والبعد بهما عن أسباب الشقاق.. وأن مسئولية الأهل هنا وهناك عن هذا الوفاق مباشرة..

وما أكثر الحراص على السنن القولية.. بينما رصيدهم صفر من السنن العملية.. وفى مقدمتها التضحية من أجل أن نسعد أولادنا..

وإذا كنا نجأر اليوم بالشكوى.. ثم نسكب الدمع المسفوح حزنا على ضياع آمالنا فيمن صاهرنا.. فلنعلم أننا ما حصدنا إلا ما زرعنا:

نفتش عن ينابيع المياه.. ومن حولنا الجفاف والعطش.

ندعى التفاؤل بينما يحاصرنا الإحباط، نبشر بالاطمئنان.. والقلق يفترسنا ليل نهار، نطلب الحب.. وليس هناك سوى الأشواك وأسلاك الكراهية..

.. نحن فى حاجة إلى «المودة» من أجل أن تتفتح الوردة وتختفى الرصاصة.

من أجل أن يطول عمر القبيلة.. ونقصف عمر القنبلة!

فليشكل الأهل سياجا واقيا حول الزوجين.. وإلا فلا نلومن إلا أنفسنا:

وصدق القائل:

لو كان حولى بنو أمية لم
ينطق رجال إذا هموا نطقوا
إن جلسوا.. لم تضق مجالسهم
أو ركبوا.. ضاق عنهمو الأفق
كم فيهموا من أخ وذى ثقة
عن منكبيه القميص منخرق

***

الحدود بين الرحمة والقوة

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفنى

من المعروف أن العقوبات فى الإسلام ثلاثة أنواع، الحدود والقصاص والتعزير، فأما الحدود فهى من حيث العدد خمسة:
١ - حد السرقة.
٢ - حد الزنا.
٣ - حد القذف.
٤ - حد الإفساد فى الأرض أو قطع الطريق.
٥ - حد شرب الخمر.
وأما الحدود من حيث الخصائص التى تميزها عن غيرها من موجبات العقاب فى الإسلام فهى كما يلى:

أولاً: أنها حق لله، وليست حقاً للعباد، أو بتعبير القوانين الوضعية هى حق جنائى وليست حقوقاً مدنية، ويترتب على ذلك أن الحد حين يثبت لا يملك أحد إعفاء الجانى من العقوبة، لا ولى الأمر صاحب السلطان، ولا المجنى عليه كما فى حالة السرقة، فالمسروق منه يملك عدم إقامة الدعوى على السارق، ولكن إذا قامت الدعوى وثبتت السرقة على السارق بأية وسيلة من وسائل الإثبات فلا يملك المسروق منه حينئذ أن يعفو عن السارق، وقد حدث أن سرق من أحد أصحاب النبى ﷺ رداؤه الذى كان يضعه تحت رأسه وهو نائم فى المسجد، وثبتت سرقة الرداء على شخص، وعند تنفيذ العقوبة قال صاحب الرداء- وهو صفوان بن أمية – يارسول الله ما أردت قطع يده، ولكن أبيعه إياه ويعطينى ثمنه مؤجلاً، فقال النبى (هلا فعلت هذا قبل أن تأتينى به)[1] وأمر بالسارق فقطعت يده.

وهذا بخلاف القصاص الذى يلتزم القرآن فى شأنه دعوة المجنى عليه إلى العفو ولو فى أية مرحلة من مراحل القضية قبل تنفيذ القصاص، فنجد الدعوة إلى العفو فى كل الآيات التى تذكر القصاص.

وقد يبدو شىء من التناقض فى ظاهر الأمر فى التشريع الإسلامى بين الدعوة إلى العفو فى كبرى الجرائم وهى القتل، بينما يمنع العفو فيما دونها

(١) أحمد ٣/٤٠١، والبيهقى ٢٥٩٥.

بكثير وهى الحدود.

ولكننا نستطيع أن نلمح أن الإسلام لا ينظر إلى الجرائم من الناحية الفردية، أو لذات الجرائم فحسب، وإنما يركز اهتمامه أولاً فى أثر الجريمة فى المجتمع، من حيث صلاح المجتمع وفساده، فهو فى الجريمة يحافظ على حق المجنى عليه، ولكنه يركز اهتمامه فى منع تأثير هذه الجريمة فى إفساد المجتمع.

وهنا نحتاج إلى تأمل الفارق الدقيق فى علاج الإسلام لكل من جرائم القصاص والحدود، فمن أهم الفروق بينهما أن الجريمة فى حالة القصاص وهى القتل جريمة فى العادة فردية وطارئة ومرتبطة بدافع معين أدى إليها، ولا يخشى أن تؤدى جريمة القتل إلى الاحتراف بحيث يتعود القاتل القتل فيصبح عادة لديه، بخلاف جرائم الحدود، بمعنى أن القاتل إنما يلجأ إلى القتل فى العادة لأسباب ودوافع تدفعه إلى قتل شخص معين، وحتى لو افترضنا تعدد لجوئه إلى القتل فلا يتصور أن يؤدى به هذا إلى احتراف القتل بحيث يقتل كل من يلقاه، أو من يتمكن من قتله، بخلاف السرقة مثلاً فإن تكرار مزاولتها يدعو فى أغلب الأحيان إلى احتراف السرقة، وكذلك تكرار قطع الطريق يؤدى عادة إلى احتراف هذه الجريمة، وأيضاً تكرار مزاولة الزنا يدعو فى العادة إلى مزاولة الزنا بحيث يصبح عادة لديه، وكذلك تعود اللسان على القذف يدعو إلى استمراره، وأيضاً تكرار شرب الخمر يؤدى إلى إدمانها.

وإذن فجريمة القتل لا يخشى أن تؤدى إلى الاحتراف، بخلاف سائر جرائم الحدود فإنها ينتظر أن تئول إلى الاحتراف، واحتراف الجريمة معناه شيوعها فى المجتمع، وبالتالى فقدان الأمن فى هذا المجتمع فيما يتعلق بهذه الجريمة، فإذا شاعت السرقة انعدم الأمن على المال، وإذا شاع الزنا انعدم الأمن على الأعراض، وإذا شاعت الخمر وما يترتب عليها من السكر وغيره انعدم الأمن على أى شىء، وعلى سبيل المثال فإن كثيراً من حوادث السيارات يكون وليد الخمر والمخدرات وما تحدثه من سكر أو فقدان تركيز لدى السائقين.

وحينئذ يظهر لنا جانب مهم من حكمة التشريع الإسلامى فى جعله القصاص حقاً مدنياً للمجنى عليهم، يملكون العفو فيه، لأن الجريمة حينذاك لا يخشى أن تؤدى إلى الاحتراف وإفساد المجتمع، وفى جعله العقوبة فى الحدود حقاً لله لا يملك أحد إطلاقاً العفو فيها عن الجانى بعد ثبوتها، لأن الجناة فى جرائم الحدود ينتظر احترافهم الجريمة، وعلمهم بأنه لابد من إيقاع العقاب، وأنه لا شفاعة ولا عفو، لا شك أن فيه زجراً و تخويفاً لهم ولغيرهم، وقد غضب النبى ﷺ غضباً شديداً حين أرادوا الشفاعة فى المرأة المخزومية القرشية التى سرقت وأمر بقطع يدها قائلاً: (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[2].

وينبغى أن يكون واضحاً أن نسبة الحق لله فى الحدود لا يقصد بها أثر الجريمة، وإنما يقصد بها ملكية العقوبة، بمعنى أنه حين يقال مثلاً: إن حد السرقة حق لله وليس حقاً للناس، فإن المراد بهذا التعبير أن الله وحده هو الذى يملك العقاب، ولا ينوب عنه أحد فيه، أما الجريمة نفسها وهى السرقة فهى عدوان من السارق على المسروق منه، كما أن القتل عدوان من القاتل على المقتول.

ثانياً: تلغى عقوبة الحدود عند وجود أية شبهة، وفى الحديث النبوى (ادرأوا الحدود بالشبهات)[3].

---

(٢) البخارى ٤/٢١٣، ٨/١٩٩.

(٣) الخطيب البغدادى ٩/٣٠٢، نصب الراية ٣/٣٣٣.

فبينما يتلمس التشريع الإسلامى كل وسيلة مشروعة لإثبات حق القصاص، نجده يلتمس كل شبهة مقبولة لرفع الحد عن الجانى، والسبب الواضح فى ذلك أن الإسلام فى حالة القتل يحاول بكل وسيلة مشروعة أن يشعر أولياء الدم بالتمكن من حقهم ليطفىء جذوة الغضب والحقد فى نفوسهم فيصبحوا مهيئين لدعوتهم إلى العفو عن الجانى أو قبول الدية، وبذلك تنقذ حياة القاتل مع حسم المشكلة اجتماعياً بحيث لا يلجأ أولياء الدم إلى الثأر، ولكن من أهم الأهداف فى النهاية إنقاذ الجانى نفسه، وهذا الهدف نفسه هو هدف التشريع الإسلامى فى درء الحدود بالشبهات لإنقاذ الجانى من العقوبة، وذلك لأن الأصل فى الثواب والعقاب على كل أنواع السلوك فى كل الأديان السماوية هو الآخرة، أما عقاب الدنيا فإن الغاية النهائية فيه هو إصلاح المجتمع، فالغاية واحدة، ولكن الوسائل تختلف فى بعض المواقف عنها فى بعض آخر.

ثالثاً: تتميز الحدود أيضاً عن غيرها بأنها لا تقبل فيها شهادة النساء، فالقاعدة فى التشريع الإسلامى أن الشهادة من حيث العدد لابد أن تكون شهادة رجلين أو رجل وامرأتين، وهذا يسرى على كل مواقف التقاضى، وعلى القصاص، ولكن التشريع الإسلامى يستثنى من ذلك الحدود، فلا تقبل فيها شهادة النساء، وهو من باب درء الحدود بالشبهات، لأن شهادة المرأة فى الإسلام دون شهادة الرجل، وهذا يتضمن نوعاً من الشبهة فلا يثبت بها الحد.

رابعاً: من الواضح فى كل العقوبات الإسلامية، وبصفة خاصة الحدود، أن هناك فجوة بين الجانب النظرى التشريعى والجانب التطبيقى التنفيذى، وتتمثل هذه الفجوة أو هذا الاتساع فى أن التشريع الإسلامى يجعل العقوبات فى مظهرها أو فيما يمكن وصفه بالجانب الإعلامى بالغة العنف والشدة والرهبة، وهذا ما يجعل البعض يصفون العقوبات الإسلامية بالقسوة، ولكن التشريع الإسلامى يجعل الوضع عند التطبيق والتنفيذ يختلف اختلافاً واضحاً عن مظهر التشريع، وهذه الفجوة ليست فى الأحكام نفسها، وإنما فى وسائل التنفيذ والتطبيق، ففى القصاص مثلاً نجد المظهر التشريعى قتل القاتل المتعمد على الإطلاق ودون تقييد، وهذا يوحى بمظهر دموى رغم أنه عدل، ولكننا نجد التشريع الإسلامى نفسه عند التنفيذ يسلك أكثر من وسيلة بحرص واضح على إنقاذ القاتل من الموت، مما هو معروف من الدعوة إلى العفو، ثم الإغراء المادى فى الدية، وغير ذلك.

وكذلك فى الحدود نجد المظهر التشريعى مثلاً قطع يد السارق على الإطلاق، وهذا يوحى بمظهر قسوة شديدة، ولكن الإسلام عند التنفيذ يحرص حرصاً واضحاً على إنقاذ السارق من قطع يده، ومن ذلك الحديث النبوى المشهور الذى يكلف ولى القضاء أن يلتمس أية شبهة تدفع عن الجانى تنفيذ العقوبة مع أنها عدل فى الحديث المشهور عن درء الحدود بالشبهات، فإذا وجدت شبهة مهما ضعفت لإنقاذ الجانى كانت هى الراجحة على الحكم التشريعى العام.

وأيضاً فى جريمة الزنا يبدو المظهر التشريعى بالغ القسوة، وهو رجم الزانى المتزوج بالحجارة حتى الموت، ولكنه عند التنفيذ نجد العكس، فإن النبى ﷺ يتجاوز مرحلة الدرء بالشبهات إلى الرغبة الواضحة فى عدم إثبات هذه الجريمة، فقد كان يوحى إلى من يجيئه معترفاً بجريمة من جرائم الحدود بالرغبة فى عدم الاعتراف، فقد جاءه رجل من قبيلة أسلم، فشهد على نفسه بأنه أصاب إمرأة حراماً، فأعرض عنه النبى ﷺ بوجهه إلى الجهة الأخرى، وهكذا أربع مرات فى كل

منها يعترف الرجل بالزنا والنبى يعرض عنه، فلما وجده النبى مصراً قال: «أنكحتها؟ قال: نعم قال: حتى غاب ذلك منك فى ذلك منها؟ قال: نعم، قال: كما يغيب المرود فى المكحلة؟ وكما يغيب الرشا فى البئر؟ قال: نعم، قال: فهل تدرى ما الزنا؟ قال: نعم أتيت منها حراماً مثل ما يأتى الرجل من امرأته حلالاً، قال: فما تريد بهذا القول؟ قال: أريد أن تطهرنى، فأمر به فرجم»[٤]. وكان النبى يسلك مثل هذه المحاولات مع كل من يجيئه معترفاً، وكذلك فى السرقة، جاءه ذات مرة شخص يعترف بالسرقة، فقال له النبى: «أسرقت؟ ثم أردف النبى قائلاً (ما إخاله سرق) يعنى ما أظنه سرق، ولكن الرجل أصر على الاعتراف فأقام عليه الحد»[٥]، وقد أقيم حد الرجم ذات مرة على رجل معترف بالزنا، فلما اشتد عليه الضرب هرب، فلاحقوه بالضرب حتى مات، فلما سمع النبى قال: «فهلا تركتموه»[٦]، وفى حادثة أخرى كانوا يرجمون إمرأة زانية، فأصاب دمها ملابس خالد بن الوليد، فسبها، فقال النبى: «مهلاً ياخالد، لقد تابت توبة لو وزعت على أهل المدينة لوسعتهم»[٧]، وهذه الرحمة هدف كل الأديان السماوية، فمن هذا القبيل قول المسيح - عليه السلام - حينما أرادوا رجم امرأة زانية: من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر.

وهذا عن الذين يعترفون من تلقاء أنفسهم بالزنا خوفاً من الله ورغبة فى تطهير أنفسهم من الإثم، أما الذين لا يعترفون فإن الإسلام يؤثر إزاءهم الستر وحفظ كرامة الأعراض، ويكلهم إلى دينهم وربهم، ولا يرضى بأن يكشفوا ما ستره الله عليهم، ففى الحديث النبوى: «إن من المجاهدة أن يعمل أحد عملاً بالليل ثم يصبح فيحدث الناس به، يبيت يستره ربه، فيصبح يكشف ستر الله عنه»[٨].

وهذه الفجوة التى تبدو فى مظهرها بين أحكام التشريع الإسلامى فى العقوبات وواقعية تنفيذها ليست غريبة إذا فهمنا حكمة تشريعها وأهدافه، فإن الأصل فى الثواب والعقاب فى كل الأديان أن يكون فى الآخرة، وكل عقوبات الدنيا إنما يقصد بها إصلاح المجتمع وزجر الناس عن الإفساد فيه، لأن عقاب الدنيا مهما يبلغ لا يزن شيئاً بجوار عقاب الآخرة، وكذلك الثواب، على أن العقوبة مهما تبلغ فلا أثر لها فى التطهير من الذنب ما لم تصحبها التوبة والرجوع إلى الله، والمجرم المصر على مزاولة الجريمة بعد العقاب من الواضح أن العقاب لم يصلحه، ومعنى ذلك أن العقاب لا فائدة منه بالقياس إليه، وإنما فائدته زجر الآخرين.

ومسلك النبى ﷺ فى محاولته إنقاذ المعترفين بجرائمهم من العقاب يتضمن الدليل على أن هدف العقوبة هو إصلاح المجتمع، فإن الذى يجىء من تلقاء نفسه معترفاً بذنبه طالباً عقابه معناه أنه نادم على جرمه، ولا يعقل أن يعاود الجريمة مرة أخرى، فلا خوف على المجتمع منه بعد ذلك، وبهذا يتحقق الهدف الأهم من أهداف العقاب وهو إصلاح المجتمع، فلا ضرورة لتنفيذ العقوبة، بل يمكن أن تبقى على الأصل، وهو عقاب الآخرة إن أراد الله عقابه، أو تقبل توبته فى واسع رحمته.

---

(٤) البخارى ٢٠٧/٨، وأحمد ٢٧٠/١.
(٥) الدارقطنى ١٠٢/٣.
(٦) أحمد ٤٥٠/٢.
(٧) مسلم، الحدود (٢٣)، أحمد ٣٤٨/٥.
(٨) اتحاف السادة المتقين ٢٧٢/٦، فتح البارى ٤٨٦/١٠.

الإنسان بين الحرية والسنن الإلهية

للدكتور/ عبد الحليم عويس

يحاول بعضهم أن يستثنى الإنسان من السنن الإلهية التى تحكم الحياة والكون وكأنه - فى رأيهم - الوسيلة والغاية، والسيد المطاع فى هذا الكون.

وفى البداية نورد هاتين الآيتين الكريمتين من كتاب الله ودلالتهما لاتحتاج لبيان، أما أولهما فقول الله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١)

وأما الآية الثانية فقوله تعالى على لسان الكافرين:

﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(٢).

ثم نقول: إن الإنسان لايقوم وحده، وإنه فى حاجة أساسية للوحى والعقل معا، ولقد وفر الأنبياء - عليهم السلام - بدءا من آدم، وانتهاء بمحمد - خاتم المرسلين - على الإنسان جهودا كبيرة كان من الممكن أن يقضيها فى التيه العقلى والتخبط الفكرى، حين علموه أن لكل شىء سببا وغاية، وأن وراء كل سبب مسببا، ووراء كل صنعة صانعا، وأن هذا الكون - بالتالى - ينعم برعاية صانع خبير عليم حكيم، يدير حركته وفق قوانينه، ويدفعه - والإنسان جزء منه لغايات مرسومة.. ومع أن تعاليم الأنبياء كثيرا ما كانت تتعرض للضياع والتدخلات البشرية، فإن عقل الإنسان - فى عصر الضياع هذه - كان كثير التساؤل والحيرة والتأمل.

إن حركة الكون المكرورة أمامه من ليل ونهار، وشمس وقمر ونجوم، وعواصف وزلازل، لاشك ستدفعه إلى التساؤل:

---

(١) الروم (٥٦).

(٢) الملك (١٠).

١ـ من يصنع هذا؟

٢ـ وكيف يصنع؟

٣ـ ولماذا يصنع؟

وفى الواقع البشرى الاجتماعى والفردى يجد الإنسان نفسه محاصرا بمجموعة من الظواهر التى تشبه الظواهر الكونية، فى ضرورتها وتكرارها.

ـ فحاجة الإنسان إلى الطعام حاجة أساسية ومتجددة لا تنتهى.

ـ وحاجة الإنسان إلى الشراب.

ـ وحاجة الإنسان إلى النوم.

ـ وحاجة الإنسان إلى اللباس والمسكن.

فكل هذه حاجات فردية، تجعل الإنسان يتساءل: هل هو مجموع هذه الحاجات؟ وهل حياته لاتخرج عن نطاق إشباع هذه الجوانب.

وعندما يصل الإنسان إلى سن البلوغ، ويندمج اجتماعيا، تظهر فى حياته حاجات أخرى:

ـ حاجته إلى الزواج والأولاد.

ـ حاجته إلى البيئة.

ـ حاجته إلى المجتمع.

فربما تساءل الإنسان فى مرحلة معينة: هل هو رهن هذه الحاجات؟ وهل هو كائن أسرى أو بيئى أو اجتماعى؟ وهل يكفى إشباع هذه الجوانب ـ بعد الحاجات الفردية ـ لضمان مسيرة الإنسان فى الحياة؟ لكن الإنسان عندما تكتمل له حاجاته الفردية وحاجاته الاجتماعية سيشعر بحاجة ملحة إلى نوع آخر من الحاجات.

فهذا الإنسان يتميز عن الكائنات الأرضية الأخرى بأنه يحمل (روحا واعية) ذات تطلع دائم إلى الأشواق العليا.. وإنها لتحس بالسأم والملل ـ حتى بعد إشباع سائر الجوانب ـ إذا لم تحقق إشباعها فى الجانب الروحى.

فهل الإنسان كائن روحى؟ على أساس أن هذه هى ميزته التى ينفرد بها عن سائر المخلوقات الأرضية الأخرى التى تشاركه بقية حاجاته الفردية والاجتماعية؟

لقد أدرك الإنسان هذا منذ ظهر، ومنذ غرست الأديان السماوية ـ فى فطرته ووعيه هذه الحقيقة الأزلية، وأزالت عنها ـ بين الحين والحين ـ كل ما يطرأ عليها من تحريف وتشويه.. ولئن كان الإنسان قد أدرك هذا، فإن هذا الإدراك القائم على أن الله هو الصانع، وهو الخالق، ليس كافيا للإجابة عن الأسئلة الملحة التى تطرح نفسها على الوعى البشرى الموصول.

إن الإنسان يدرك حاجته اليومية المتجددة للطعام والشراب والهواء والماء والملبس والمسكن، ثم يدرك حاجته الاجتماعية التى يقوم على أساسها كيانه الاجتماعى وبقاء نوعه.. فإلى أى مدى يصل الدور الذى تقوم به هذ الحاجات فى استمرار حركته ونموها، وفى ضمان تفاعله مع ما حوله؟

وهل هذه الحاجات هدف فى حد ذاتها تنتهى رسالته إذا حققها؟ وأهم من ذلك كله أنه يريد أن يفهم نواميس الخالق - سبحانه وتعالى - التى أخضع لها - سبحانه - الكون والإنسان والمجتمع، لأن فهم الإنسان لهذه النواميس أمر ضرورى بالنسبة له، سواء فى مستوى حياته العملية، الرعوية أو الزراعية أو فى مستوى تحقيق تقدمه الحضارى.

وإن ما أعطته رسالات السماء فى تفسير حركتى الكون والمجتمع، إنما هو إطار كلى، ترك للعقل البشرى أن يقوم فيه بالفهم والتفسير، فهذا هو مجال الاختيار، وشأن (تفسير التاريخ) هنا شأن بقية المجالات، التى طرقها الوحى الكريم، فثمة قوانين كلية حاكمة وضابطة، وثمة مساحة للاختيار الإنسانى واسعة وفسيحة

فحتى فى علاقة الإنسان المخلوق بالله الخالق ثمة أوامر تكوينية فطرية، وثمة أوامر تشريعية وعبادية، وهناك - فى المقابل - مساحة لحرية الإنسان هى مناط الثواب والعقاب، فى تفاعلها - إيجابا أو سلبا - مع القوانين الفطرية والكونية والتشريعية.

وفى ظل هذه الرؤية الإسلامية لعلاقة الإنسان بالكون والأوامر الإلهية الكونية والتشريعية، يتجلى حظ الإنسان المتاح له من الحرية والإرادة وتتضح (المعادلة) الإنسانية المتوازنة، القائمة على تقنين الحرية من جانب، ورفض نظريات أو أيدولوجيات الحتمية الجبرية من الجانب الآخر.

والحق أن المذاهب (الجبرية) أو (الحتمية قد اهتزت حتى فى مجالها الطبيعى المادى، وإننا لنجد مفكرا كالأستاذ (أوبجتون) يصور لنا هذا الاهتزاز بأسلوب حاسم فيقول: (لابد لى أن أوضح أن النظرة العلمية للمذهب اللاحتمى لاتعنى أن هناك أحيانا استثناءات للقانون الحتمى، لكنها تعنى أن كل ظاهرة لاحتمية بدرجة كبيرة أو صغيرة).

ويقول (أوبجتون) أيضا: (طالما أن الحتمية قد أزيحت من وضعها الذى يبدو منيعا فى علم الطبيعة فإن الطبيعى أن نشك فى قولها حين تزعم أنها اتخذت لنفسها وضعا مؤكدا فى مناطق أخرى من الخبرة)[٣].

وليس أروع من القرآن الكريم، وهو يرفض تلك الحتمية الجماعية، أو تلك الجبرية الفردية، فيوجه النظر إلى أنه لاحتمية هنا ولاهناك، وإلا انعدم معنى (المسئولية) وانعدم - بالتالى - معنى الثواب والعقاب.

يقول القرآن الكريم:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤].

---

(٣) د/زكى نجيب محمود، الجبر الذاتى ص٢٤٥، ٢٤٦، طبع الهيئة المصرية العامة بالقاهرة سنة ١٩٧٣.

(٤) البقرة (١٣٤).

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٥)

أجل.. ليس الإنسان مجبرا أو آلة تحركها أية عوامل، وإنما هو - قبل أى مؤثر - المسئول الأول عن صناعة الحضارة، وهو المحرك الأول للحضارة فى مرحلة نموها واستمرارها وازدهارها.

إنه (الخليفة) على هذا الكوكب، وإن التاريخ إنما هو شأنه، سواء كان فردا.. أو فردا ممتازا فى هيئة بطل، أو جماعة آمنت بمبدأ إيجابى، ومتى تزايد إقبال الأفراد والشعوب على الطاعة لإرادة الله تحسنت الأمور، أى أن مقياسا أساسيا من مقاييس التقدم الحضارى هو المجاهدة فى سبيل التقدم، وفى النهاية فإن كل شعب سيحصل على مايستحق بالعدل الإلهى!! لكن ذلك لايعنى أن الإنسان هو وحده فى هذا الكون، وأنه حر فى أن يحطم كل (نظام) ويتمرد على كل أصول عقلية أو قانونية، كسائق السيارة المجنون الذى يعتقد أن إشارات المرور إنما هى قيود وأصفاد، ويرى أن تحقيق حريته يقتضى حرية الانفلات من هذه القواعد المرورية.

إن هذه (الحرية الفردية اللامبالية) مرفوضة، لأنها تعنى العشوائية التى هى سلب للعقل والقانون، ومن الواضح أن هذا المذهب (الحر) إذ يمارس (حرية اللامبالاة) هذه، إنما يقضى على (حرية المجموع) من جانب، ويقضى على المسئولية الخلقية من جانب آخر.

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٦).

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾(٧)

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾(٨).

كما ينبغى للإنسان - كذلك - ألا ينسى أنه محكوم بسنن ونواميس إلهية تفوق طاقاته وقدراته جميعا، وبدونها لايمضى حق وعدل ولايستقيم نظام كونى ولا وجود بشرى، ولا تتحقق حكمة الله سبحانه وتعالى من تسيير الكون، والخلائق جميعا وفق طرائق محدودة تئول بهم إلى الأهداف التى رسمها علم الله المطلق، ورفعتهم إليها إرادته التى لا راد لها(٩) (سبحانه وتعالى)..

إنه إنسان حر. لكنه كذلك مسئول ومحكوم بالسنن الإلهية.

---

(٥) الأنعام (٤٧).

(٦) الزمر (٦٢، ٦٣).

(٧) الرعد (١٥).

(٨) الروم (٢٦).

(٩) د/عمادالدين خليل: التفسير الإسلامى ص١٨١ - لبنان - المكتب الإسلامى.

قالوا عن الحضارة الغربية

للدكتور/ حمدى فتوح والى

« إن شجرة الحضارة البشرية تترنح اليوم وتهتز كما كانت تهتز وتترنح قبيل مولد « الرجل الذى وحد العالم جميعه » فما أشد حاجة البشرية إلى رسالة محمد لتنقذها مرة أخرى (١).

لقد أصبح الإسلام - اليوم - لأهل الأرض جميعا ضرورة بشرية فضلاً عن كونه، فريضة شرعية. خاصة بعد أن شهدت البشرية أفظع فواجعها وأبشع جرائمها، بما جنته حضارة الغرب المادية الجسدية وبما خلفته حضارة الشرق الإلحادية الدموية. دفعت البشرية ثمنها حروبا وويلات وأوبئة ومجاعات ومطامع وصراعات.

وقد أجاد أحد أبناء عصرنا وصف تلك الحضارة المادية القاسية فقال:

« إن العاقل الواعى لم يأخذه الدوار الذى يأخذ البشرية اليوم حين ينظر إلى هذه البشرية المنكودة، يراها تتخبط فى تصوراتها وأنظمتها، وأوضاعها وتقاليدها، وعاداتها وحركاتها كلها، تخبطا منكرا شنيعاً.. يراها تخلع ثيابها وتمزقها كالمهووس! وتتشنج فى حركاتها، وتتخبط وتتلبط كالممسوس.. يراها تغير أزياءها فى الفكر والاعتقاد، كما تغير أزياءها فى الملابس، وفق أهواء بيوت الأزياء! يراها تصرخ من الألم، وتجرى كالمطارد، وتضحك كالمجنون، وتعربد كالسكير. وتبحث عن لا شىء! وتجرى وراء أخيلة! وتقذف بأغلى ما تملك، وتحتضن أقذر ما تمسك به يداها من أحجار وأوضار! لعنة! لعنة كالتى تتحدث عنها الأساطير!

إنها تقتل الإنسان، وتحوله إلى آلة.. لتضاعف الإنتاج! إنها تقضى على مقوماته الإنسانية، وإحساسه بالجمال والخلق والمعاني السامية، لتحقيق الربح لعدد قليل من المرابين، وتجار الشهوات، ومنتجى الأفلام السينمائية، وبيوت الأزياء. وتنظر إلى وجوه الناس ونظراتهم، وحركاتهم وأزيائهم، وأفكارهم وآرائهم ودعواتهم، فيخيل إليك أنهم هاربون!

(١) ج.هـ دينسون من كتابه « العواطف كأساس للحضارة ».

مطاردون! لا يلوون على شيء، ولا يتثبتون من شيء! ولا يتريثون ليروا شيئاً ما رؤية واضحة صحيحة. وهم هاربون فعلا! هاربون من نفوسهم الجائعة القلقة الحائرة، التي بين جنوبهم، التي لا تستقر على شيء ثابت ولا تدور على محور ثابت ولا تتحرك في إطار ثابت.. وحول هذه البشرية المنكودة زمرة من المستنفعين بهذه الحيرة الطاغية، وهذا الشرود القاتل.. زمرة من المرابين، ومنتجي السينما، وصانعي الأزياء والصحفيين والكتاب.. يهتفون لها بالمزيد من الصرع والتخبط والدوار، كلما تعبت وكلت خطاها، وحنت إلى المدار المنضبط والمحور الثابت، وحاولت أن تعود.

● زمرة تهتف لها.. التطور.. الانطلاق.. التجديد.. بلا ضوابط ولا حدود.. وتدفعها بكلتا يديها إلى المتاهة كلما قاربت من المثابة.. باسم التطور.، وباسم الانطلاق.. وباسم التجديد.. إنها الجريمة. الجريمة المنكرة. في حق البشرية كلها.. وفي حق هذا الجيل المنكود.. تلك هي حضارة الغرب في نظر المفكر الإسلامي سيد قطب عندما زار أمريكا في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي.

فأي خير يرجى من حضارة كهذه.. حضارة أرادت أن تسعد الإنسان فأشقته، وأن تريحه فأتعبته وأن تكون خادمة له فاستعبدته وأذلته.

لقد تعبت البشرية من الارتكاس في حمأة اللذائذ ومن عبادة المادة واللذة والإنتاج. فبدلا من أن يكون الإنتاج خادما للبشرية أصبحت البشرية خادمة له. وبدلا من أن تكون اللذة ملكا لصاحبها أصبحت تستعبده وتستذله.

ومن هنا يبرز دور الإسلام، وتتميز دعوته، وتتجلى حاجة البشرية إليه في هذا الزمان.

ومن هنا تبدو جسامة الجريمة التي يرتكبها من يحاولون تذويبنا في أية حركة، أو أية منظمة، أو أي اتجاه عالمي جديد، إنهم حين يرتكبون جريمتهم تلك، يكونون قد أجرموا في حق البشرية كلها، لا في حق الإسلام وحده، ولا في حق الوطن الإسلامي.

وعندما تسقط أمتنا الإسلامية في هذا «الشَرَك» وتستدرج إلى هذه التبعية المهينة، تكون قد أجرمت في حق ربها مرتين: مرة حين دعيت إلى مقام الخيرية فأبت، وانتدبت إلى مقام القيادة فنكصت وأحجمت، فكانت بهذا النكوص والإحجام من أعظم الأمم جهلاً، وأشدها حمقاً.

ومرة أخرى: حين هيأت الفرصة- بإخلاء مقام القيادة- لمن ليسوا لها أهلاً، فانحرفوا بالبشرية عن طريقها، وارتكسوا بها إلى هوة سحيقة، وأوردوها موارد الدمار الرعيب، والفناء الرهيب.

لقد نجحت الحضارة الغربية في إحراز انتصارات باهرة في عالم الفضاء، وأجهزة الاتصال، ووسائل النقل، وشبكات المعلومات والحاسبات. كما نجحت في اختراع وسائل التدمير والإهلاك والإفناء. لكنها أخفقت إخفاقا ذريعا في أن تحقق لأصحابها لحظة من الهدوء النفسي، أو الانسجام الروحي، أو الارتواء العاطفي. ومايزال عقلاء الغرب يستشعرون بشاعة الجريمة، وخيبة الأمل، وسواد المصير. ويحاولون عبثا أن يوقفوا تيار هذا السعار المجنون فلا يستطيعون.

يقـول المفكر الإنجليـزى جـود: «إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديدة بالآلهة، ولكننا نستعملها بعقل الأطفال والوحوش»[٢].

ويقول فى موضع آخر من نفس الكتاب:

«إن هذا التفاوت بين فتوحنا العلمية المدهشة، وطفولتنا الاجتماعية المخجلة، نواجهه على كل منعطف ومنعرج، نستطيع أن نتحدث من وراء القارات والبحار، ونرسل الصور بالبرق، ونستمع فى سيلان إلى دقات (Big Ben– الساعة العظمى تضرب فى لندن، ونركب فوق الأرض والبحر وتحتهما، والأطفال يتحدثون على الأسلاك البرقية، والزروع تنمى بالكهرباء والشوارع تفرش بالمطاط والأشعة نوافذ نطل منها على داخل أبداننا، والصور المتحركة تتكلم وتغنى، والغواصات تذهب إلى القطب الشمالى، والطيارات تطير إلى القطب الجنوبى، ومع ذلك كله لا نقدر فى وسط مدننا الكبرى أن نخصص رحبة يلعب فيها أطفال الفقراء فى راحة وسلام، ونتيجة ذلك أنا نقتل منهم ألفين (٢٠٠٠) ونجرح منهم تسعين ألفًا سنويا»[٣].

وهذا شاهد آخر من أبناء الحضارة الغربية ممن أصطلوا بنارها هو الدكتور «الكيسس كاريل» يقول فى كتابه: «الإنسان ذلك المجهول»:

«يظهر أن الحضارة العصرية لا تستطيع أن تنتج رجالاً يملكون الابتكار والذكاء والجرأة، ففى كل قطر تقريبا يرى الإنسان فى الطبقة التى تباشر إدارة الأمور، وتملك زمام البلاد، انحطاطًا فى الاستعداد الفكرى والخلقى، إننا نلاحظ أن الحضارة الغربية لم تحقق الآمال الكبيرة التى عقدتها عليها الإنسانية، وأنها أخفقت فى تنشئة الرجال الذين يملكون الذكاء والإقدام، الذى يسير بالحضارة على الشارع الخطر الذى تتعثر عليه، إن الأفراد والإنسانية لم تتقدم بتلك السرعة التى تقدمت بها المؤسسات التى نبعت من عقولها. إن علمنا بالحياة وكيف يجب أن يعيش الإنسان، متأخر جداً عن علمنا بالماديات وهذا التأخر هو الذى جنى علينا»[٤].

ويصور العالم النمسوى المهتدى محمد أسد حالة الحضارة الغربية التى تتزعمها أمريكا وأوروبا اليوم، ويريدون أن يفرضوا نظامها القاتل على العالم كله فيقول: «لا شك أنه لايزال فى الغرب أفراد يعيشون ويفكرون على أسلوب دينى، ويبذلون جهدهم فى تطبيق عقائدهم، بروح حضارتهم، ولكنهم شواذ. إن الرجل العادى فى أوروبا، ديمقراطيا كان أو فاشيا، رأسماليًا كان أو اشتراكيا عاملاً باليد أو رجلاً فكريًا، إنما يعرف دينًا واحداً، وهو عبادة الرقى المادى والاعتقاد بأنه لا غاية فى الحياة، غير أن يجعلها الإنسان أسهل، وبالتعبير الدارج «حرة مطلقة» من قيود الطبيعة، أما كنائس هذا «الدين» فهى المصانع الضخمة، ودور السينما، والمختبرات الكيماوية، ودور الرقص، ومراكز توليد الكهرباء. وأما كهنتهم فهم رؤساء الصيارف، والمهندسون، والممثلات وكواكب

---

(٢) الأستاذ جود، هو رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس فى جامعة لندن والنص منقول من كتابه ((Guide To Modern.Wickedness.

(٣) كان هذا الكلام فى الأربعينيات من القرن الماضى. فانظر كيف يكون الأمر الآن.

(٤) Alexis carrel. Man, The, Unk nown, 141.

السينما، وأقطاب التجارة والصناعة والطيارون، والنتيجة التي لا مفر منها في هذه الحال هي ظهور طوائف متنافسة مدججة بالسلاح، والاستعدادات الحربية، مستعدة لإبادة بعضها بعضا إذا تصادمت أهواؤها ومصالحها. أما في جانب الحضارة فنتيجتها ظهور نوع من البشر تنحصر فلسفته الأخلاقية في الفائدة العملية، ويكون أسمى فارق لديه بين الخير والشر هو النجاح المادي لا غير»(٥).

ويلخص الصحفي الأمريكي المشهور «جون جنز» نفسية تلك الحضارة في كلمات قليلة فيقول: «إن الإنجليز إنما يعبدون بنك إنجلترا ستة أيام في الأسبوع، ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة».

وأمام هذه الشهادات المتواترة من أقوال عقلاء الغرب ومفكريه، وكذلك شهادة الواقع الذي ينطق في كل لحظة ويؤكد في كل لفظة، أن حضارة الغرب لم تنجح في قيادة الأمم إلى ما يحقق طموحها، ويشبع رغباتها، ويروي ظمأها الروحي، والعاطفي، ولم يبق إلا أن يتقدم المسلمون إلى هذه البشرية بالإسلام.

هذا هو الأمل الباقي للبشرية كلها اليوم. والذي لا يوجد على وجه الأرض كلها غيره. ويكفينا في ذلك قول الخالق - سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾(٦) وقوله:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾(٧).

وليقيننا الكامل والعميق في كلام ربنا - سبحانه - ما كنا لنحتاج إلى كلام آخر، لكن لأن الخطاب موجه إلى غير المسلمين، وهم المقصودون بدعوتنا. فإننا سنسوق نماذج من أقوال علماء الغرب، يشهدون بها على أن الإسلام هو أمل أهل الأرض جميعا للخروج بالبشرية من هذا الجحيم الرهيب.

يقول ج.هـ.دينسون. في كتابه «العواطف كأساس للحضارة»: «إن شجرة الحضارة البشرية تهتز وتترنح اليوم كما كانت تهتز وتترنح قبيل مولد «الرجل الذي وحد العالم جميعه» فما أشد حاجة البشرية إلى رسالة هذا الرجل لتنقذها مرة أخرى.

ويقول العالم النمسوي «ليبولد فايس» مبينا سبب دخوله في الإسلام «لقد تمكنت من المقارنة، بين أكثر وجهات النظر الدينية والاجتماعية التي تسود العالم الإسلامي في أيامنا. وهذه الدراسات والمقارنات خلقت فيَّ العقيدة الراسخة بأن الإسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية لايزال بالرغم من جميع العقبات التي خلفها تأخر المسلمين- أعظم قوة نهاضة بالهمم عرفها البشر. وهكذا تجمعت رغباتي كلها منذ ذلك الحين حول مسألة بعثه من جديد»(٨).

ويقول في موضع آخر من كتابه: «**الإسلام على مفترق الطرق**»: «نحن نعد الإسلام، أسمى من سائر النظم المدنية، لأنه يشمل الحياة بأسرها إنه يهتم اهتماما واحداً بالدنيا والآخرة، وبالنفس والجسد، وبالفرد وبالمجتمع، إنه لا يهتم فقط، بما في الطبيعة الإنسانية من وجود الإمكان إلى

(٥) أنظر: الإسلام على مفترق الطرق/ محمد أسد ص٤٧.
(٦) آل عمران (١٩).
(٧) آل عمران (٨٥).
(٨) الإسلام على مفترق الطرق/ محمد أسد ص١٦.

السمو، بل يهتم أيضا بما فيها من قيود طبيعية.. إنه ليس سبيلاً بين السبل، ولكنه هو السبيل! وإن الرجل الذى جاء بهذه التعاليم ليس هاديا من الهداة، ولكنه الهادى. فاتباعه فى كل ما فعل وما أمر اتباع للإسلام عينه، وأما إطراح سنته فهو إطراح لحقيقة الإسلام»[٩].

ويقول الكاتب الإنجليزى (Robert Briffault) فى كتابه (The Making Of Humanity): «ما من ناحية من نواحى تقدم أوروبا إلا وللحضارة الإسلامية فيها فضل كبير وآثار حاسمة لها تأثير كبير»[١٠].

ويقول فى موضع آخر: (لم تكن العلوم الطبيعية (التى يرجع الفضل فيها إلى العرب) هى التى أعادت أوروبا إلى الحياة، ولكن الحضارة الإسلامية قد أثرت فى حياة أوروبا تأثيرات كبيرة ومتنوعة منذ أرسلت أشعتها الأولى إلى أوروبا)[١١].

وإذا كان للمسلمين أن يفخروا- وبحق- بأنهم يملكون أعظم منهج شهدته الأرض، وأكمل نظام عرفته البشرية منذ خلقها الله وإلى أن تقوم الساعة، فإن عليهم أن يذوبوا خجلا، وأن يحترقوا ألمًا، أن صار حالهم إلى هذا الحال، وآل أمرهم إلى هذا المآل، فأصبحوا وهم يملكون مقومات السيادة أذلاء، وصاروا وهم يستجمعون كل أسباب القوة ضعفاء. إنها حالة من الذهول عن الذات، تصل إلى درجة الغيبوبة الكاملة

وهذه الحالة هى التى أثارت عجب أمير الشعراء أحمد شوقى فقال يخاطب الرسول ﷺ معتذراً شاكيًا:

شعوبك فى شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف فى عميق سبات
بأيمانهم نوران: ذكر وسنة
فما بالهم فى حالك الظلمات

وإذا كان حال الأمة الإسلامية اليوم قد أصبح يدعو للألم والحسرة، فإن الذى يبشر بالخير، أن العقلاء من هذه الأمة، ساهرون على أمرها، مشغولون بإيقاظها، حريصون على استعادة مجدها ومكانها. يستمدون العون فى ذلك من الله سبحانه وتعالى -القائل:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[١٢].

وإذا كنا نحن -المسلمين -مطالبين جميعا- ضرورة وواجبا- بالتقدم لحمل الرسالة وأداء الأمانة، والتقدم إلى أهل الأرض بالإنقاذ، فإن ذلك يحتاج منا إلى إحسان التلقى، وإخلاص النية، ووضوح الغاية، وجدية العمل لهذا الدين، مع فهم عميق لطبيعة المهمة التى انتدبنا الله سبحانه وتعالى لحملها ومعرفة بطبيعة الميدان الذي نتحرك فيه على أن يكون ذلك كله ممتزجا بحالة من المعية الصادقة الموصولة بالله. واحتساب كل ما نلقى فى الطريق من شدائد، وما يعترضنا من أهوال- جزءاً من طبيعة المهمة، وبعضا من مهر الحسناء. وقديما قيل:

ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر.

---

(٩) الإسلام على مفترق الطرق. ص١١٠.

(١٠) P.190.

(١١) P.202.

(١٢) غافر (٥١).

الإسراء والمعراج

شعر المرحوم العارف بالله الشيخ/ محمد الطاهر الحامدى

إذا كان الإسراء بمعناه الروحى وعروجه الربانى فإن أنفس ما يقال فيه ما جاء على لسان صوفى عارف بربه شاهد أنوار السماء، فعبر عنها بإلهام شارك فيه الإمام البوصيرى.

(رجب البيومى)

عُلاك قد جل عن قولى وعن كلمى ** يا أشرف الخلق من عرب ومن عجم
حللت فوق سماء المجد منزلة ** تسمو على كل منثور ومنتظم
أنىّ لمثلىَ أن يهدى إليك ثنا ** وأين يبلغ منه ساعدى وفمى
ما حام حول حماك العقل ممتدحا ** إلا وناداه فرط العجز لا تحم
لكن لى غرضاً فى المدح أنشده ** ياخير من ضرب الأمثال فى الكرم
يا فائق البحر فى فيض وفى مدد ** وسابق الدهر فى عزم وفى همم
ذرات هذا الورى لولاك ما عرفت ** فى ذا الوجود ولم تخرج من العدم
ما فى السماء ولا فى الأرض كائنة ** إلا وإمدادها من فيضك العمم
لك النبوة عند الله.. ثابتة ** من عالم الذر... بل من عالم القدم
أقسمت أنك أسمى الخلق مرتبة ** وإن أكن غير محتاج إلى القسم

الأنبيـــاء وإن فـاقــو الأنام عـــلاً ** فـــأنت من ذروة العليــاء فى القـــمم

قـلـدت كـل عـظـيـم فـى الـورى مـنـنـا ** وأنت بـالـغ أقـــصى الحـــد فى العظم

ســـريت بـالروح والجـــسم الكريم إلى ** مـــقـــام عـــزٍ وطيـــدٍ شـــامخ سنم

ســـريت من مكة والنـاس قـــد رقـــدوا ** وعـــدت والنـاس غـــرقى فى رقـــادهم

فى ليلة من ليـــالى الأنس واحـــدة ** كـــأنهـــا غـــرة فى الأعـــصـــر الدهم

لو كـــان مـــسـراك أقـصى الشـام غـايتـه ** أو كـــان بـالـروح أو فـى عـــالـم الحلم

لكنه لبـــســاط العـــرش حـــيث رأت ** عـــيناك مـا قـد رأت من حـضـرة القـدم

تـنـزه الـلـه لـيـس الـلـه وجـــــهـــة ** وأنت لـست عـلـى الـرؤيـا بمتـــــهـم

فى العـــرش روياه أو فى الأرض ممكنة ** فى مـــسـجـد الشـام أو مـسـجـد الحـرم

●●●

كـــأنما اشـــتـــاق سكان الســـمـــاء إلى ** حـــسنٍ بوجـــهك فـــردٍ غـــيـــر منقـــسم

فـــرحت لـلمـــلأ الأعلى تشـــرفـــه ** يا صـــفـــوة الله من خلق ومن نـسم

فـــيـــالهـــا منة لله ســـابغـــة.. ** لغـــيـــر ذاتك لم تقـــسم ولم تـسم

ولست أعـــجب ممن يكفـــرون بهـــا ** كم فـى بنـىٍ آدم أغـــبـى مـن الـنـعـم

دعـــيت فى الذكـــر بالأمى تكرمـــة ** يا مـعـجـز القـول والأفـعـال والشـيـم

لم تفشِ للعلم قـــبل الوحى مـــدرســـة ** نـعـــم ولا كـــنـــت ذا لـــوح ولا قـــلـــم

نـشـــأت بين أنـاس لا خـــلاق لـهم ** والجـــهل قـــد عم فى ســـهل وفى علم

فـــأين أهل كـــتـــاب لا وثوق به ** قـــد حـــرفـــوه وقـــوم عـــابدى صنم

من ذا هداك إلى الإســـلام من صـــغـــر ** فـلـم تـهـم إلـى فـــحـــشٍ ولـم يـهـم

حـــتى أتاك أمين الوحى منتـــدبـا ** لتـــخـــرج الناس من ظُلْم ومن ظُلَم

فـجـئـتـنا بكتـاب كله عـجب ** فـيـه انطوت أعـدل الأحكام والنظم
حـوى العـقـائد والأخـلاق واكـتـملت ** فـيـه السـيـاسـة للأفـراد والأمم
أهديت للدين والدنيـا به قـبـسًـا ** من العـلوم ونبـراسـا من الحكم
وقـد تحـديت أرباب البـيـان به ** فلم يحـاكـوه فى مـعنى ولا كلم
هذا هـو الحق وحى الله جـئـت به ** وقـد هديت به جـمـا من الأمم
يا خـيـر منتـصف للحق منتـصـر ** وخـيـر مـتـصف بالعـدل مـتـسم
رمت الخـلافـة للصـديق مـؤثره ** على ابن عـمك رب السـيف والقلم
لأنه كـان ذا فـضل وسـابقـة ** وكـان عندك أوفى صـحـبك القـدم
أمـرتهم أن يصلوا خلف حـضـرته ** ليـعـرفـوا أنه الوالى لأمـرهم
وقـد أتتك سـبـايا الحـرب وافـرة ** والجـود مـقـتـبس من بحـرك الخـضم
كم حـاولت بنتك الزهراء طالبـة ** من تسـتـعين به فى البـيت والخـدم
فـقلت والله لا أعطيك خـادمـة ** وأتـرك النـاس فـى ضـيـق وفـى أزم
أبيع مـا ملكت كـفى وأطعـمـهم ** وأنت يكفـيك ذكـر الواحـد الحكم
لله لله مـا أسـمـاك من بشـر ** ثانيك والله لم يعـهـد ولم يشم
طويت بطنك من جـوع على حـجـر ** وأنت مـالك مـا فى الأرض من نعم
أو شـئت مـثل الجـبـال الشم من ذهب ** أو شـئت مـثل الملوك الغـر من خـدم
لكن عـفـفت عن اللذات مكتـفـيـا ** بالبـاقـيـات وفـيـهـا منتـهى الشـمم
أعطيت فـوق ذوى الأمـوال أى غنىً ** وصـولة فـوق مـا للأسـد فى الأجم
كم من ملوك لك انقـادوا طواعـيـة ** قـد آثروك على تيـجـان ملكهم
لم يرغـبـو منك فى مـال ولا نشب ** أو يسلمـوا لك عن خـوف من النقم

كـــانوا عظامـــا وكـــانوا مـــثل آلهـــة ** يســـخـــرون عـــبـــاد الله كـــالغنم
فـأصـــبـحـــوا ورعـــاياهم ســـواســـيـة ** بعـــزة الملك قـــد ضـــحـــوا وبالحـــشم
دعـــاهمـــو لك دين واضح وسنا ** على محـــيـــاك بادٍ غـــيـــر... منكتم
يا نفس لا تضـجـرى همـــا ولا جـزعـــا ** فـــقـــد وثقت بخـــيـــر الخلق كلهم
إن لم أكن أنا.. ذا تقـــوى وصـــالحـــة ** كـــفـى التـــجـــاءً لجـاه المفـــرد العلم
تأملى أنت يوم الفـــتح كـــيف عـــفـــا ** عن المشـين لـم يـثـــأر ولـم يـلـم
جـفـوا على صـحـبـه شجـوه فى أحـد ** تناولوا فـــيـــه شـــر القـــول والتـــهم
فلم يكلفـهـمـو عن نفـسـه عـوضـا ** ولم يطالبـهـمـو عن صـحـبـه بدم
لوذى بســـاحـــتـــه تلقى براحـــتـــه ** منـا جـــزيلا بلا من ولا ســـأم
وكـــيف يقطعنى الهـــادى ولى نسب ** فى عـمـه السـيـد العـبـاس ذى القـدم
وإن لى ذمـــة منه بتـــســـمـــيـــتى ** مـــحـــمـــداً وهو أوفى الخلق بالذمم

●●●

تحـــيـــة يا أبا الزهراء طيـــبـــة ** من أطهـــر الحب لا من أطرب النغم
ياليت ريح الصـــبـــا تسرى بهـــا سـحـراً ** إلى ضـــريحك مـــعنى الجـــود فى اضم
إلى الضـــريح الذى لما وقـــفـت به ** جـــرت دمـــوعى له تنهل كـــالديم
الآن قـــد بعـــدت دارى وجـــدّد لى ** بعـــد المســـافـــة أضـــعـــافـــا من الألم
لكن روحك فى الآفـــاق ســـارية ** ترى وتســـمـع من بعـــد ومن أمم
فـأنت تسـمـعـهـا منى ويسـعـدنى ** منك القـــبـــول ولو أنى أخـــو صـــمم
ورب نظـرة عطفٍ منك واحـــدة ** تحـمى مـواتى وتشـفـينى من السـقم
دامت عليك صـــلاة الله مـــا طلعت ** شـمس النهـــار ولاح البـــدر فى الظلم

عداوة أمريكا وصداقتها ٣

الشعوب ليست قطعانا من الماشية إنما هى مخلوقات رفيعة المستوى

يواصل الأستاذ الدكتور عبدالعظيم المطعنى تحليل آراء الأستاذ الدكتور عبدالحميد الأنصارى عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة قطر فى الحوار الذى نشرته جريدة الراية القطرية أوائل يناير الماضى مطلع عام ٢٠٠٢م.

مع ملاحظة أن هذا الرد تسلمته المجلة كاملاً وتنشره على حلقات، فهو لا يعلق على أحداث جارية أو مصاحبة للنشر.

للأستاذ الدكتور / عبدالعظيم المطعنى

سأل المحرر الدكتور العميد هذا السؤال : «فى تصورك هل أمريكا على علاقة عدائية مع الإسلام والمسلمين والعرب، كما هو الطرح السائد لدى قطاع من الرموز الدينية والفكرية والسياسية، ولدى الأوساط الشعبية؟»

وكان مما ذكره العميد فى الإجابة :

« من الأخطاء الكبيرة التى نرتكبها بحق أنفسنا أن نصف علاقتنا بالغرب أو بأمريكا بالعداء، بل إن ذلك من الخطورة التى تصل إلى حد التهكلة والانتحار والعزلة والتهميش. والسماح بوصول العلاقة إلى حالة العداء يعنى أننا على استعداد للتفريط بكل المنجزات التى حققناها على مستوى المعيشة التى نحياها، لنقبل بمستويات عيش دول صنفت بمعاداة أمريكا، كالعراق والسودان وإيران.. بل إنه من الحماقة أن نترك المشكلات المتعلقة بقضية الصراع العربى الإسرائيلى لتدفعنا إلى حافة الهاوية.»

هذا الكلام سبق الرد على بعضه من قبل، بيد أن فيه جديدا يجب مناقشته.

فالعميد يخشى كل الخشية إذا سلمنا بأن أمريكا عدوة للإسلام والمسلمين والعرب، يخشى أن تنقطع أرزاقنا ويهلكنا الحرمان، وكأن أمريكا هى الخالق الرازق المدبر لشئون العباد!.

ويضم الدكتور العميد إلى هذه العلة المرفوضة، علة أخرى منكرة، هى دعوته إلى التخلى عن الصراع العربى الإسرائيلى، وفى مقدمته - بالطبع - مشكلة بيت المقدس ومسجده الشريف، ناهيك عن مأساة الشعب الفلسطينى المتآمر عليه عالميا.

فمن نصائح الدكتور العميد لأمته: أن تترك الاهتمام بالصراع العربى الإسرائيلى - بكل أشكاله؟ ولماذا تتركه الأمة يا ترى؟

يقول الدكتور العميد: لئلا يدفعنا إلى حافة الهاوية؟! هكذا ورب المشارق والمغارب.؟

أليست هذه دعوة إلى الاستسلام المهين؟! حتى أمام أعدى أعداء الله والإنسانية (إسرائيل).. إن معنى ترك الأمة للصراع العربى الإسرائيلى هو - لا محالة - إسقاط الطرف الأول (العرب) من طرفى ذلك الصراع؟

ومعنى هذا - مرة أخرى - أن يبقى الطرف الثانى وحده (إسرائيل) فى ميدان الصراع دون مصارع يصارعه.. ولتفعل إسرائيل - بعد ذلك - ما تشاء.

تهدم المسجد الأقصى، وتقيم على أنقاضه معبدا يهوديا وتنقل عاصمتها من تل أبيب إلى القدس الشرقية، ثم يتتابع نقل السفارات الغربية، وفى مقدمتها سفارة أمريكا وأول الغيث قطرة ثم ينهمر، كما يقول المثل العربى الحكيم.

ثم لتقم إسرائيل مملكتها الكونية، التى تعدهم بها توراتهم المحرفة عاصمتها من النيل إلى الفرات.. أليس هذا هو المصير لترك الأمة الحبل على الغارب لإسرائيل، ونقول لإسرائيل ما قاله «متيم عزة» لـ «عزة»:

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة
لعزة من أعراضنا ما استحلت

أرى بكل وضوح أن الدكتور العميد أبعد النجعة فى أفكاره هذه عن أصول الإسلام وفروعه، وعن الواقع المرير الذى تعيشه أمته، وعن الإجماع العربى والإسلامى على حد سواء.

عزيزنا الأستاذ الدكتور العميد:

إن الشعوب ليست قطعانا من الماشية تعلف لتسمن ويطيب لحمها لآكليها، وإنما هى مخلوقات لله رفيعة المنزلة، كرمها الله وفضلها على كثير ممن خلق تفضيلا، ووهبها من الخصائص الجسدية والعقلية والنفسية ما جعلها أهلا لحمل أرفع مسئولية فى الوجود، مسئولية التكليف وحمل الرسالة الإلهية لتعرف لله قدره، وتخصه بالولاء فى كل ما تقول، وفى كل ما تفعل.

فكيف يسوغ لنا، ونحن أمة حملها الله آخر رسالاته وأخلدها وأعمها.. كيف لنا أن نقدم امتلاء بطوننا بما لذ وطاب من الطعام والشراب، والنوم على الفراش الوثير، والراحة والدعة، على القيام بواجبنا نحو الله ونحو أنفسنا ونحو الإنسانية جمعاء؟

عزيزنا الدكتور العميد:

إن عمداء الكليات العلمية عهدناهم متجانسين مع مناهج الدراسة فى كلياتهم، وأنت منهم، ولا نظن أن الآية التى سنذكرها غائبة

عنك، لأنها من أشهر أدلة الشريعة، التى أنت عميد لإحدى كلياتها، والآية هى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(١).

قارن ما دعوت أنت إليه، وما خاطب الله به الأمة وتبين هل بين القولين وفاق أم بينهما تناقض مائة فى المائة.

ولمن تستجيب الأمة ياترى لك أم إلى الله مالك السموات والأرض؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(٢)

وتأمل جيدا عبارة «لما يحييكم» أى لما يرفع شأنكم ويحفظ عليكم عزتكم بالإيمان والطاعة.

ومن اللافت للنظر حقا، أن هاتين الآيتين وردتا فى سورتين جاءتا فى المصحف (الأنفال - التوبة) متجاورتين.

وأن كلا منهما يحمل الرقم (٢٤) يا سبحان الله:

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٣).

وهل نسى الدكتور العميد عبر التاريخ ومواعظه، وكيف يفعل الترف والاسترخاء بالأمم والدول والشعوب؟

فقد أجمع المؤرخون، أن دولة بنى العباس، وكانت أرسى قواعد من دولة بنى أمية، وأطول عمرا، كان من أبرز عوامل سقوطها، الانغماس فى الترف وأفانين النعم والملذات والارتماء فى أحضان القيان والحظيات، والانصراف عن حماية الحق، ورعاية الفضائل.

وكذلك سقوط الدولة الإسلامية فى الأندلس. أفنى شبابها وحطم عودها الإغراق فى الشهوات الماجنة، وليالى الأنس والطرب. حتى لقد نعى شاعرهم حظ الدولة، وبين أسباب ضعفها وانحسارها، مصورا ذلك فى هذه الأبيات الباكية بغير دموع:

كنا ملوكا فى أرضنا دول
نما بها حتى أفنان من النعم
فأيقظتنا سهام للردى لضبت
ترمى بأفظع رمى من بهن رمى
وصار ما كان من ملك ومن ملك
أشلاء شالت مع العقبان والرخم

إنها لقطات بالغات فى سنن الحياة والملمات، ومن قبل، قال شاعر عربى يمدح قومه، لأنهم لم يكونوا فى الشدائد عبيدا لشهواتهم، وإن كانت من الحلال الطيب:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم
عن النساء وإن باتت بإطهار

حتى امرؤ القيس، شاعر الفسق والمجون، تنبه إلى هذه الطريقة فى ملاقاة الخطوب.

---

(١) التوبة «٢٤».
(٣) ق «٣٧».
(٢) الأنفال «٢٤».

فقد قتل أبوه، وهو ـ أعنى امرأ القيس ـ مخمور لا يكاد يفيق من غيبوبة الخمر. فقال له الناس: «كيف تحتسى الخمور وأبوك قد قتل، أرادوا أن يحمسوه للأخذ بثأر أبيه فقال لهم:

«اليوم خمر وغدا أمر» واعدا إياهم بترك الملذات، والتفرغ لدفع العار عنه.

مع هذا كله تأتى دعوة الدكتور العميد للأمة كلها بأن تبيع عزتها وكرامتها وحرماتها ومقدساتها بامتلاء البطون، ولذة الجسوم، ومتعة الملمس والمنظر، ولو فعلت الأمة هذا خاصمها خالق الأرض والسموات، وما فيها وما بينهما، فوق خصومة أعدائها لها، ألم يقل رب العزة:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٤).

ومما غاب عن الدكتور العميد أن استرداد القدس ومسجده الشريف، واجب على المسلمين كلهم، لا على العرب وحدهم، ولا على الشعب الفلسطينى وحده، فكيف يدعو الدكتور العميد الأمة إلى ترك دورها فى الصراع العربى الإسلامى، الإسرائيلى؟ ولأى شىء تتفرغ الأمة بعد انسحابها من هذا الصراع؟ أتتفرغ للأكل والشرب وركوب السيارات الفارهات، والتردد بين المتنزهات والأندية؟ أم ماذا تفعل ياترى؟

ثم يقول ضمن هذه الفقرة:

«إن جانبا كبيرا من الطرح الدينى والقومى طرح انتحارى مهلك، ونحن غير مستعدين لتكلفته.. وكان من قلة المسئولية، وعدم الوعى أن ندع هذا الخطاب الأعمى يقودنا إلى التهلكة معصوبى الأعين».

ونقول: هذه العبارة وصلة بين ما تقدم عليها، وما تأخر عنها، لأن الدكتور العميد أخذ على عاتقه الدفاع عن أمريكا، وإظهارها فى كل سطر من كلامه على أنها هى الضحية المعتدى عليها. وأن العرب والمسلمين هم المعتدون الآثمون على الحمل الوديع أمريكا. ويصف حركات بعث الوعى فى فصائل الأمة دينيا وقوميا بأنها طرح انتحارى مهلك، ومع هذا ـ وهو يدعو الأمة للاستسلام ـ يقول: «وليس المقصود هنا تثبيط الهمة، أو التخويف، أو عدم التضحية فى سبيل الدين والوطن».

ولست أدرى بأى وجه من وجوه الاعتذار المقبول، ينفى أن كلامه هذا ليس تثبيطا. وهو فى الواقع عين التثبيط، ودعوة إلى تجريد الأمة من عناصر القوة فى عصر لا يفهم إلا القوة، بل القوة الغاشمة، وهى التى نكتوى بلهبها الآن، ثم أخذ الدكتور العميد يسرد حسنات أمريكا نحونا، ونسى فى غمرة الانتشاء بالدفاع عنها، فعد خروج إسرائيل من لبنان حسنة من حسنات

---

(٤) التوبة «٣٨، ٣٩».

أمريكا، ولولا أمريكا ما خرجت إسرائيل من جنوب لبنان؟!

يا سعادة العميد، أنت تعلم، والعالم كله يعلم، أن إسرائيل خرجت من لبنان هاربة مذعورة، وأن الذى أخرجها ليس أمريكا ولا مفاوضات جرت بين الطرفين، بل إن أمريكا فوجئت بهروب إسرائيل من لبنان.

إن الذى أخرج إسرائيل من لبنان هو الجهاد الإسلامى، الذى تدعو أنت لإلغائه، باعتباره شكلا من أشكال الإرهاب فى نظر أمريكا، بل وفى نظر إسرائيل!

وكاتب هذه الرسالة سمع المجاهد الكبير حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله البطل، فى مؤتمر علماء الإسلام الذى انعقد فى بيروت (٩-١٠ يناير ٢٠٠٠م) وكنت واحدا من المشاركين فيه، سمعناه يقول فى أحد اللقاءات التى تمت على هامش المؤتمر:

«إن الرجال الذين حرروا لبنان من الاحتلال الإسرائيلى لم يكونوا خريجى جامعات، بل كانوا خريجى المساجد» الله أكبر، الله أكبر. بل كانوا خريجى المساجد، فأين فضل أمريكا - أيها العميد - فى هذا الحدث العظيم؟ إنه نصر مشرف حققه الجهاد الإسلامى، على أيدى فتية آمنوا بالله وزادهم هدى.

ولهذه الاعتبارات أدرجت أمريكا حزب الله فى قائمة الجماعات الإسلامية الإرهابية؟!

ولهذه الاعتبارات - كذلك - طالبت أمريكا بعض الدول الإسلامية بإعلامها بأسماء خطباء المساجد النشطين، الذين يبثون روح الجهاد لمقاومة أى عدوان تتعرض له الأمة، لتعاقبهم أمريكا باعتبارهم أفرادا «ضمن قاعدة» أسامة ابن لادن.

ولهذه الاعتبارات كذلك، يؤسفنا نحن العرب والمسلمين أن نرى قائدا منا فى مجال العلم والمعرفة ينساق وراء أهواء أمريكا، ويدعو إلى وقف خطباء المساجد الذين يبثون الوعى الدينى والسياسى والقومى بين شباب الأمة، التى تكالبت عليها الأمم، كما تتكالب الأكلة على قصعتها.

أليس من حق الأمة رد أى عدوان يقع عليها بكل ما تملك من وسائل، أم عليها أن تأخذ جلاديها وسلاخيها بالأحضان.

رحم الله الشاعر حسن الغاياتى إذ يقول:

لا نلوم المستبد إذا استبد

فشأنه أن يستبد، وشأننا أن نستعد

ولم يقف دور المساجد عند تحرير لبنان. بل كان له وجود فى الجزائر ضد فرنسا، وفى ليبيا ضد إيطاليا، وفى أفغانستان ضد الإنجليز، وفى إيران ضد الإنجليز كذلك. ثم فى فلسطين الآن كما يعلم الخاصة والعامة.

فالانتفاضة الشعبية الفلسطينية الباسلة، التى تصنع المعجزات الآن، هى وليدة المساجد، وكانت تسمى فى أول عهدها: «انتفاضة أطفال المساجد» ثم سميت فيما بعد، ولست أدرى لماذا؟ بـ «انتفاضة أطفال الحجارة»، وها هى ذى قد شبت عن «الطوق» وبلغت أشدها، وزلزلت الأرض تحت أقدام إسرائيل، غير عابئة بما يصيبها من عدو مدجج بأحدث أنواع الأسلحة،

التى تمدها بها أمريكا أو تصنعها هى. ولكن ذلك لم يفت فى عضد الشعب المؤمن البطل، الذى يحمل أرواحه فى يديه، ويتصدى بكل قوة لحماقات العدو، لم يرهبه أزيز طائراته، ولا هدير مدافعه، ولا تساقط صواريخه، ولا محاصرات قواته، وقد أصابت هذه الانتفاضة المباركة إسرائيل بأضرار جسيمة:

سلبتهم الأمن وأذهبت النوم عن أعينهم، وهجرت سبعمائة ألف يهودى من إسرائيل إلى خارج إسرائيل.

وحولت فنادقها السياحية إلى كهوف مظلمة مهجورة رافضة الركوع لغير الله ـ عز وجل ـ وإنهم لمصممون على مواصلة النضال مهما طالت المعارك، ومهما تخلى عنهم العالم.. هذا هو دور المساجد فى دحر الأخطار والحفاظ على الحرمات والمقدسات.

عزيزنا الدكتور العميد: إن الدعوة إلى إعدام دور المساجد، أشد خطورة على الأمة من الدعوة إلى تسريح جيوشها، كلتاهما موت.

إن الدكتور العميد ركز كثيرا فى حواره مع جريدة «الراية» على المساجد وخطبائها، وعلى المقالات الصحفية، والندوات الفضائية، التى تندد بمواقف أمريكا من المشكلات والقضايا العربية والإسلامية، ويتحمس كثيرا لوصف هذه الجهود بالطرح النارى، ويظهرنا ـ نحن العرب والمسلمين ـ بالمعتدين على أمريكا المتطاولين على «قداستها وطهرها وبراءتها» ولم يذكر لنا حسنة واحدة صنعناها مع أمريكا وهذا تحريف فظيع للواقع المحسوس، الذى لا يخفى على أحد ثم يصر على تخطئتنا إذا قلنا: إن أمريكا والغرب يعاديان الإسلام؟

وفى الرد على هذا الادعاء نختصر الحديث فى أمرين:

الأول: بعد الحرب العالمية الأولى، وسقوط الدولة الإسلامية الكبرى كتب الغربيون سياسيون، وعسكريون، ورجال دين، ومفكرون، كتبوا مائة مشروع فى صورة مقترحات لاحتواء العالم الإسلامى أو القضاء عليه، وقد ذكر هذه المشروعات ومضامينها المجاهد الإسلامى الكبير، الأمير شكيب أرسلان فى تعليقاته على كتاب «حاضر العالم الإسلامى» تأليف لوثروب ستودارد الأمريكى (جـ ١ من ص ٢٠٨ إلى ص ٣٢٣) أى: خمس عشرة ومائة صفحة، وليرجع القارئ إليه إن شاء، لأن فيه مفاجآت كثيرة مذهلة.

الثانى: الإحصائية التى قام برصدها الأستاذ إدوارد سعيد (مسيحى فلسطينى) حول ما كتبه المبشرون والمستشرقون الغربيون، فقد بلغت ثلاثة وستين مجلدا خلال مائة وخمسين عاما، من عام ١٨٠٠م إلى ١٩٥٠م. وكلها ضد الإسلام وتشويه حقائقه؟!

ومن يدرى كم كتبوا فى المدة من ١٩٥٠م إلى عام ٢٠٠٠م.

فماذا يقول الدكتور العميد بعد هذا؟ أيصر على رأيه أن الغرب وأمريكا يعاديان الإسلام؟

ثم بماذا يفسر حماية إنجلترا لسلمان رشدى بعد تهجمه على الإسلام، والطعن فى رسوله الكريم، وزوجاته أمهات المؤمنين؟

أهذا يصدر عن محب للإسلام أم عن كاره له يناصبه العداء وبلا مبرر؟

من هو اليهودى ؟!

تأليف

د/ عبدالوهاب المسيرى

١

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

من ينظر إلى اليهود عبر تاريخهم الممتد يجد نفسه يتعامل مع كيانات ضبابية ملساء، فلا يكاد يقترب منها حتى تزداد المسافة بينه وبينها اتساعا. وإذا ما حاول أن يتلمسها أو يتحسسها وجد يديه تطيشان فى الهواء، فيخيل إليه أنه ساذج رأى خيالا مثل تلك الخيالات التى تصنع بأشعة الليزر فظنها حقيقة جسمية، فلما أقدم على تلمسها أدرك أنه يتلمس الهواء.

فإذا ما حاول التعرف على هذا الكيان من اليهود أنفسهم لم يحصل إلا على ذلك الوهم الخيالى، حتى أصبح اليهودى طلسماً لا تدرى هويته، ولا تحد أبعاده، ولا يوقف على كنهه.

وليس هذا الغموض والإبهام ناشئاً عن خصوصية فى أصل التكوين، أو شذوذاً عن سائر الأمم والأجناس، وإن كانوا هم - فى مزاعمهم - يتوهمون ذلك، ويوهمون الآخرين به؛ إذ أداروا حياتهم على هذا المحور المزعوم (شعب الله المختار).

اليهـــــود فى تعريـف القــرآن وغيـره من الكـتب السـماوية

فاليهود - كغيرهم من الشعوب - ناس من الناس الذين خلقهم - الله سبحانه وتعالى - من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوبا وقبائل مختلفة الألسن والألوان بسبب البيئات والمواقع؛ لينتشروا فى الأرض، ويحصلوا ما بث الخالق فيها من المعارف والمعالم والعلوم، كى تكون وسيلة التقاء من جديد وتعارف وتآزر على أداء دور الخلافة، والإفادة مما تضمه الأرض من معادن وكنوز، لا وسيلة تنافر، ولا سبب تعال وتكبر وتجبر، وهيمنة، ولا أساس تميز وتفاضل.

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾(١).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٢).

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾(٣).

وقد أطلق على هذا الشعب من الشعوب البشرية اسم (اليهود) إما لانتسابهم إلى (يهوذا) أكبر أولاد يعقوب - عليه السلام - حيث تجيز العربية قلب الذال دالاً. وإما لانتمائهم إلى تلك الجماعة من بنى إسرائيل الذين اتخذوا من عجل السامرى إلهاً، ثم هادوا إلى بعد ذلك ورجعوا،

(١) الروم: [٢٠].
(٢) الحجرات: [١٣].
(٣) الروم: [٢٢].

وأعلنوا توبتهم ورجوعهم عن عبادته فقالوا:

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾(٤).

إذ الهَوْد يعنى التوبة، على ما رواه القرطبى عن مجاهد وأبى العالية وقتادة(٥) فهم - على كلا الاحتمالين - فرع من بنى إسرائيل.

ثم إن من هؤلاء اليهود من تلاعب بالحقيقة، وحرف كلام الله عن مواضعه، فإذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه ليعيبه، ويطعن فى الإسلام.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾(٦).

ومنهم من آثر الاستجابة للكذب وترويجه فى مواجهة الإسلام، وآزر كل من يعادى الإسلام من أهل الشرك وغيرهم، وطووا قلوبهم على الرجس والحقد والبغضاء.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾(٧).

فما بين اليهود وبين غيرهم من الناس، وما بين بعض اليهود وبعضهم الآخر من تباين لا صلة له بالأعراق، وأصول الإنسان، وإنما منشأ ذلك هو السلوك والمعتقد والأخلاق.

فاليهود - فى المفهوم القرآنى - أولا وآخرا شعب من الشعوب التى جعلها الله، حيث خلق الناس جميعا من ذكر واحد وأنثى واحدة استلت من هذا الذكر الواحد، من كل ما يزيل شبهات التنوع العرقى ... وهؤلاء اليهود جميعهم - كذلك - أبناء يهوذا أو أبناء من هادوا إلى الله ورجعوا عن عبادة العجل.

وقد ظل مفهوم اليهود محصورا داخل هذا الإطار القرآنى والسلوكى حتى مشارف العصر الحديث، حيث عمل بعض السياسيين وذوى المآرب على استغلال التراث اليهودى فى استحداث مفاهيم أخرى لليهود، صنعت منهم تلك الكيانات الضبابية التى كادت تجعلهم كيانات خيالية أسطورية لا وجود لها فى الحقيقة.

الفرار من شتات إلى شتات

ولكن الأستاذ الدكتور عبدالوهاب المسيرى رأى أن يقتحم تلك الظلمات المتراكمة؛ باحثاً عن حقيقة اليهودى الذى نتعامل معه فى هذا العصر الحديث، والتى يشار لها فى الخطاب السياسى والإعلامى الإسرائيلى والغربى، فكان هذا الكتاب (من هو اليهودى؟!)

وهو كتاب صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٩٧م، وفى سنة ٢٠٠١ قدمته دار الشروق

(٤) الأعراف: [١٥٦].

(٥) تفسير القرطبى: ١/٢٩٤، ٧/١٨٨.

(٦) النساء: [٤٦].

(٧) المائدة: [٤١].

بمصر فى طبعته الثانية مع إضافة المبحثين الأخيرين، فشغل اثنتى عشرة صفحة ومائة من القطع المتوسط، وضم مقدمة وثلاثة عشر فصلا.

ولقد أدار الدكتور المسيرى بحثه هذا فى أربعة محاور، تردد فيها بين الرؤية التاريخية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية، منبهاً فى مقدمته إلى ما يتعرض له المجتمع الإسرائيلى من اضطرابات خطيرة تتهدده بسبب التيه الذى يطوى الهوية اليهودية، فيفرض عليهم شتاتا من نوع آخر أوقعتهم فيه أطماعهم ونزواتهم، بدلا من شتات التوزع بين قارات العالم المختلفة، على الرغم من تجمعهم فى تلك البقعة المحدودة من الأرض التى انتزعوها من أصحابها، وأطلقوا عليها (دولة إسرائيل) على أمل خلاصهم من الشتات الذى ورثوه عن الآباء والأجداد.

فإن تجمعهم فى الأرض الجديدة، وتوافدهم عليها من شتى الأصقاع استوجب البحث عن هوية يتمركزون حولها، ويتوافدون تحت لوائها، ويتخلصون بها من الصراعات العرقية والعنصرية التى توشك أن تقضى على هذا الكيان الملفق المصنوع، وتجعل من دولتهم الوليدة سرابا.

وقد رصد الدكتور - فى مقدمة الكتاب - نماذج من هذا الصراع، كل نموذج منها يمثل توجهاً من توجهات هؤلاء المتوافدين والمهجَّرين من شتى بلاد العالم ليقيموا دولة يأملون بها أن يقضى على ما أصيبوا به من شتات وتوزع عبر قرون متطاولة.

ومن هذا الرصد يقرر الدكتور أن قضية تعريف اليهودى قضية دينية وسياسية، بل وقضية مصيرية تنصرف إلى رؤية العالم والذات، وإلى الأساس الذى يستند إليه تضامن هذا المجتمع الجديد.

ولا أدل على ذلك من أن هذه القضية قد أثيرت بشكل دائم فى الكيان الصهيونى منذ تأسيسه، ومازالت مثارة بشكل حاد إلي يومنا هذا. من كل ما يؤكد زيف الفكرة القائلة: (إن اليهود يشكلون شعبا لا أرض له) كما يصرح بذلك الواقع العرقى للمستوطنين من الصهيونيين فى أرض فلسطين.

بل إن واقع الجماعات اليهودية خارجها يتحدى تلك المزاعم الصهيونية، ويقرر أن شتات الفكر والعرق قد طواهم بعد أن توهموا أنهم تخلصوا من شتات الأرض.

فرض قضية (الهوية اليهودية)

وينبه الدكتور المسيرى إلى أن الجميع - يهودا وغير يهود - يقعون فى خطأ حين يتحدثون عن اليهود، كما لو كانوا كيانا واحدا؛ لأنهم بذلك يخضعون للرؤية المثالية للهوية اليهودية، ويغفلون الواقع اليهودى وما يضم من تناقض صارخ، وتعارض بيِّن.

ويصرخ بأن إغفال هذا الواقع اليهودى إنما نشأ عن أن التركيب الطبقى فى الهويات اليهودية لم يلحظ من الكثيرين بسبب انفصال أعضاء الجماعات اليهودية ووجودهم فى أماكن متفرقة من العالم فرضت على الهوية اليهودية أن تكون هويات مختلفة؛ لتحددها

فى غياب سلطة يهودية مركزية دينية أو دنيوية؛ فيهود (اليديشية) - وهم يهود شرق أوروبا - نتاج مجتمعاتهم، من روسى إلى بولندى إلى أوكرانى إلى غير ذلك، وكذا يهود اليمن، ويهود فرنسا . . وغير ذلك، إلى جانب من استقر فى ألمانيا وفرنسا، وانجلترا، والولايات المتحدة من يهود (اليديشية) حيث يتكلم كل بلغة موطنه .

ومع هذا التعدد والتباين فى الهويات . . يشار إليهم جميعا باسم (الشعب اليهودى) انطلاقا من افتراض وجود وحدةٍ مًّا ينتظمون فى سلكها .

ولكن هذا التجمع حين وضعه الواقع موضع الاختبار - بعد إنشاء دولة إسرائيل - ظهرت آثار تلك التراكمات الطبقية، فتفجرت قضية البحث عن الهوية اليهودية الموحدة، تعبيرا عن اكتشاف أن ما يسمى (الهويات اليهودية) ليست كلاً، يتسم بقدر من التجانس، وإنما هى فى واقع الأمر تركيب جيولوجى تراكمى، وقد أظهرت مجتمعات كل من أمريكا اللاتينية، وجبال القوقاز هذه الخاصية الجيولوجية التراكمية فى الهويات اليهودية بشكل واضح .

وعلى الرغم من ذلك . . . ينكر الفكر الصهيونى واقع الجماعات اليهودية الحضارى الفسيفسائى التركيبى التراكمى - أو يتجاهله - ويصر على طرح فكرة الهوية اليهودية العالمية الواحدة، متوهماً أن فى المقدور معالجة التعدد التراكمى باختراع مصطلحات توهم وحدة اليهود، مثل : (يهود الدياسبورا)، و(يهود المنفى)، و(الشعب اليهودى) .

ولكن هذا الاختراع الوهمى لا يلبث أن يتبدد حين يصل أصحاب هذه الهويات إلى أرض إسرائيل، حيث يتضح للجميع أنهم ليسوا مجرد يهود؛ إذ يصبحون مرة أخرى مصريين، ومغاربة، وروساً . . إلى غير ذلك . ثم تتحدد مكانتهم الاجتماعية وفق تلك الهويات الوطنية أو العنصرية .

من كل ما يفرض طرح قضية (الهوية اليهودية) .

تباين الهويات اليهودية عبر التاريخ

ومن خلال جولة تاريخية تأملية استقصائية قدم الدكتور المسيرى استعراضا للهويات اليهودية فى ثنايا تاريخهم الممتد، كاشفا به ما يتسم به تاريخ الهويات اليهودية من طول وتركيب، حيث غطى عدة أزمنة وأمكنة شتى، لا يربطها رابط فى كثير من الأحيان .

١ - وكانت الهوية العبرانية أولى هذه الهويات اليهودية، وقد اتسموا بها قبل تهجيرهم إلى آشور وبابل وهى هوية تستند إلى تعريف دينى قومى

وبعد التغلغل العبرانى فى أرض كنعان امتزج العبرانيون بالكنعانيين، وتزاوجوا بهم .

وبذا يمكننا أن نقول إن رؤية العبرانيين لهويتهم وتعريفهم لها كان مرناً منفتحاً إلى حدٍّ ما . أما على مستوى الممارسة فكان منفتحا تماما؛ فالعبرانيون الذين تسللوا إلى كنعان كانوا قد أحضروا معهم من مصر وأرض مدين فكرة الإله الواحد، فى الوقت الذى لم تكن فيه اليهودية قد اكتمل تكوينها .

وتبنى العبرانيون كثيرا من أعياد الكنعانيين وعباداتهم وثقافاتهم، وتحدثوا بإحدى اللهجات الكنعانية والتى أصبحت تدعى (العبرية) .

وحينما انتصر داود على اليبوسيين في القدس - وهم أحد بطون كنعان - ثم استيعاب هؤلاء اليبوسيين فى الجماعة العبرانية حسبما يقال .

وبعد موت سليمان انحلت تلك المملكة إلى دويلتين عبرانيتين هما : المملكة الشمالية والمملكة الجنوبية، وكان لكلٍ مركز دينى مستقل عن الآخر، وكان ملوك هاتين الدولتين يتزوجون من أميرات أجنبيات كن يحضرن آلهتهن معهن، ويقمن المعابد لها، وينشرن العبادات الخاصة بهم بين الأثرياء . الأمر الذى يزيد من التعددية الدينية .

وثمة رأى يذهب إلي أن العبرانيين كانوا يتحدثون فى تلك الرحلة بلهجات مختلفة، فلم تكن هناك هوية لغوية موحدة .

كما إن هاتين الدويلتين كانتا فى حالة حرب دائمة . . ألجأت كلا منهما إلى الاستعانة بالدول الأخرى . وفى هذا الإطار يكون الحديث عن هوية عبرانية متسماً بالتجاوز، دون شك .

ومع هذا . . فإننا نستخدم أحيانا مصطلح (الهوية العبرانية اليهودية) للإشارة إلى الهوية اليهودية بعد العودة من بابل بتصريح من (قورش الأخمينى) إمبراطور فارس، فهى عبرانية فى جانبها القومى المحدد، ويهودية فى جانبها الدينى الذى لم يستكمل تحدده .

وهذا يعنى أن مصطلح (الهوية العبرانية اليهودية) قائم علي التجوز والتجاوز، كما يعنى قيام مصطلح (يهودى) على التجوز والتجاوز؛ لأن معظم العبرانيين كانوا قد فقدوا لغتهم إبان الإقامة فى بابل، وبدأت أغلبيتهم تتحدث الآرامية .

فتعريف (الهوية العبرانية اليهودية) فى فلسطين لم يكن متسماً بكثير من المرونة، ولذلك طالب (عزرا) كل من يود أن ينتمى إلى الجماعة اليهودية العبرانية بأن يطلِّق زوجته الأجنبية .

مما دفع إلى ظهور جماعة السامريين التى شكلت جماعة دينية مستقلة ذات هوية دينية مستقلة، ترفض الخضوع لأوامر (عزرا) وتقاوم تعاليم الحاخامات وتفسيراتهم لأسفار موسى (التلمود)

ولكن تعريف (عزرا) الصارم للهوية اليهودية ظل سائدا حتى العصر الهلينى .

الجماعات الوظيفية

ومن هنا انتشر خارج فلسطين جماعات يهودية تشكل - فى معظم الأحيان - جماعات وظيفية، أى جماعات بشرية يستوردها المجتمع من خارجه أو يجندها من داخله، ويوكل إليها وظيفة محددة، ويعرفها فى إطار وظيفتها .

وقد التزمت هذه الجماعات بالاحتفاظ بعزلتها الأصلية والدينية عن مجتمع الأغلبية، وذلك بالتمسك الشديد بالهوية، والاحتفاظ بقدر من الاستقلال عن المحيط الحضارى الذى يعيش فيه أعضاء الجماعات اليهودية، فى الرؤية والمأكل والملبس، واللغة والعقيدة .

ويلاحظ أن أعضاء الجماعة الوظيفية لا يعيدون صياغة هويتهم من خلال عناصر

مستمدة من التراث اليهودى، وإنما من عناصر مستمدة من المجتمع المضيف الذى يعيشون في كنفه، أو من مجتمع مضيف سابق، أو منهما مجتمعين.

وكانت أولى هذه الجماعات الوظيفية اليهودية هى الحامية العبرانية فى جزيرة (إلفنتاين) التى وطنها فراعنة مصر فى أسوان لحماية حدود مصر الجنوبية، ففقدوا علاقتهم بفلسطين، ونسوا شعائر دينهم، واختلطوا بالمحيط المصرى.

كما كانت أهم هذه الجماعات الوظيفية الجماعة اليهودية فى بابل، التى رفضت العودة إلى فلسطين، واشتغل أعضاؤها بالتجارة والربا، فتحولوا بالتدريج حتى صاروا جماعة وظيفية وسيطة، ونسوا العبرية، وكان لهم علماؤهم ومدارسهم الدينية، وتوجههم الثقافى الذى تطور بهم حتى أصبحوا فى مرحلة من المراحل مركز اليهودية الأساسى فى العالم.

وهكذا تفتت الهوية اليهودية فى هذه الجماعات مع ظهور المفهوم الدينى القائل بأن شريعة الدولة هى الشريعة التى يجب أن يتبعها اليهودى فى حياته العامة.

وهكذا ... شهد العصر الهلينى تخلخلا فى الهوية العبرانية اليهودية فى فلسطين، خصوصا فى القرن الأول قبل الميلاد، والقرن الأول بعد الميلاد لأسباب عديدة أدت إلى ذلك التخلخل، من أبرزها:

١ – جاذبية الحضارة الهلينية وقبولها أى يهودى متى أجاد اللغة اليونانية، ومارس أسلوب حياتها؛ ولذا انجذب أعداد كبيرة من العبرانيين اليهود إليها.

٢ – عدم تحدد الهوية العبرانية اليهودية بشكل صارم داخل فلسطين ذاتها.

٣ – خوض الدين اليهودى تحولات عميقة فى تلك المرحلة نتيجة احتكاكه بالفكر الهلينى، حتى كانت كلمة (يهودى) فى تلك المرحلة التاريخية تضم تعريفات كثيرة متضاربة.

٤ – قيام اليهود الفريسيين – وهم أبناء الطبقة الوسطى – بطرح رؤية جديدة للهوية تحررها من المفهوم القديم المرتبط بالمجتمع القبلى العبرانى، أو المجتمع الزراعى الملكى، أو المجتمع الكهنوتى.

٥ – نشوب الصدام بين الإمبراطورية الرومانية والقيادات الشعبية العبرانية اليهودية فى فلسطين، التى أجهدها دفع الضرائب.

٦ – انتشار الجماعات اليهودية فى العالم نتيجة الهجرة من فلسطين والتهود.

إلى غير ذلك من الأسباب والعوامل التى كانت وراء هذا التخلخل.

جماعات.. لا هويات

لقد كان لهذه العوامل وغيرها دور فعال فى تفتيت الهوية اليهودية علي المستويين الدينى والقومى داخل فلسطين وخارجها، من كل ما يؤكد أن تحطيم الهيكل على يد (تيتوس) لم يكن سبباً مباشرا فى القضاء على الهوية

العبرانية اليهودية . وإنما كان تجسيداً لعملية تاريخية مركبة وتعبيرا نهائيا عنها، أدى إلى القضاء على هذه الهوية، بعد تفتيتها .

ويمكن القول بأن الهوية العبرانية، والهوية العبرانية اليهودية ذات التوجه القومي قد اختفت تماما، عند هذه النقطة التاريخية؛ فلم يعد ممكناً - منذ ذلك التاريخ - التحدث عن (عبرانيين)، ولا عن (عبرانيين يهود)، وإنما عن (أعضاء الجماعات اليهودية)، وعن هوياتهم المختلفة .

فعلى المستوى الديني . . كان هناك تجمع (السامريين) بمفهومه الديني، في مقابلة التجمعات الأخرى بمفاهيمها الخاصة كذلك، مثل (الصدوقيين)، و(الفريسيين) .

وعلى المستوى القومي . . كان يهود فلسطين المتأغرقون، ويهود فلسطين الساميون، ويهود فلسطين المتهودون من أبناء (الإيطوريين)، و(الأدوميين)، ويهود مصر المتأغرقون، ويهود جزيرة (الفنتاين)، ويهود روما الذين كانوا يتحدثون اليونانية واللاتينية، كما كانت توجد جماعات يهودية في آسيا الصغرى، وفي ليبيا، وفي أنحاء أخرى متفرقة من أوروبا .

ومما زاد من عدم تجانس الجماعات اليهودية، انتشار اليهود في أنحاء العالم دون وجود سلطة مركزية دينية أو قضائية في فلسطين، أو في غيرها من الأماكن .

لكل هذا تطورت كل جماعة يهودية على حدة - دينياً وقومياً - بمعزل عن الأخرى .

وظلت كذلك إلي أن انتشرت المسيحية في الغرب، وانتشر الإسلام في الشرق، فظهرت جماعات أخرى احتفظت بعناصر من التجمعات القديمة، إلى جانب ما دخل عليها من عناصر جديدة .

ومن هنا . . ظهر ما يمكن أن يطلق عليه (هوية يهودية عربية إسلامية)

وازدادت الهوة اتساعا بين الهويات اليهودية في الشرق والغرب؛ فيهود الأندلس والعالم العربي يتحدثون العربية ويكتبون بها، ويهود فرنسا يتحدثون برطانة فرنسية ويكتبون بالعبرية، ثم ظهرت (اليديشية) لغة (الأشكناز) في شرق أوروبا، و(اللادينو) لغة اليهود (السفارد) في حوض البحر المتوسط، ويهود (الرومانيوت) الذين يتحدثون اليونانية، ويهود إيطاليا الذين يتحدثون الإيطالية .

وإلى هذا وذاك . . كان هناك (الخزر) في منطقة القوقاز، و(الفلاشاة) في إثيوبيا، وبني إسرائيل في الهند، ويهود الصين في كايفنج، ويهود مانيبوس، والشويتاس، واليهود السود، واليهود الأكراد، ويهود إيران، وأفغانستان، والقوقاز، ويهود البربر، والمارانو، والدونمة .

ولم يكن انتماء هؤلاء الديني إلى اليهودية الحاخامية، وإنما كان انتماؤهم إلى تقاليد دينية مختلفة، دخلت عليها عناصر دينية، وقومية محلية .

«يتبــع»

معركة فى كتاب:

تهافت الفلاسفة

للأستاذ الدكتور / محمد عمارة

مؤلف هذا الكتاب هو حجة الإسلام، أبو حامد الغزالى، محمد بن محمد بن محمد الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ/ ١٠٥٨ - ١١١١م].. فقيه شافعى، ومتكلم أشعرى.. بل هو واحد من أبرز الذين طوروا مقالات ونظريات الأشعرية.. وهو، أيضا، أصولى.. وفيلسوف.. وفوق كل ذلك، ومعه، متصوف شرعى..

ولقد كان ميلاد الغزالى، وكذلك كانت نشأته، ثم وفاته بخراسان. ولد فى «الطابران» من أعمال «طوس».. ثم رحل - طالبا للعلم، ومعلما - إلى كثير من أقاليم وحواضر الإسلام.. مثل: نيسابور، وبغداد، والحجاز، والشام، ومصر.. وغيرها..

ولقد تجاوز الغزالى، فى معيار العلم الإسلامى، درجة المجتهد والمجدد، إلى حيث أصبح، فى تاريخ الفكر الإسلامى «ظاهرة فكرية»، ميزت عصره، وتركت بصماتها على مسيرة الفكر الإسلامى فيما تلا عصره من عصور.. بل لا تزال اجتهاداته وآثاره الفكرية تطبع قطاعات واسعة من الثقافة الإسلامية حتى الآن.

ومؤلفات الغزالى قد بلغت نحوا من مائتى كتاب ورسالة، كتب أغلبها باللغة العربية.. وبعضها باللغة الفارسية- ولقد ترجمت إلى العربية- .. كما ترجمت العديد من مؤلفاته إلى العديد من اللغات- الإسلامية والأجنبية- .. ومن أهم كتبه- غير كتاب (تهافت الفلاسفة)- .. (إحياء علوم الدين) و(الاقتصاد فى الاعتقاد) و(معيار العلم) و(فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) و(معارج القدس) و(المنقذ من الضلال) و(مقاصد الفلاسفة) و(فضائح الباطنية) و(المعارف العقلية) و(المضنون به على غير أهله) و(جواهر القرآن) و(التبر المسبوك فى نصيحة الملوك) و(منهاج العابدين) و(المستصفى من علم الأصول) و(ياقوت التأويل فى تفسير التنزيل) و(عقيدة أهل السنة) و(ميزان العمل) و(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى).. إلخ.. إلخ..

ولقد جمع الغزالى، فى تآليفه ودروس تعليمه، موسوعية المجدد إلى عمق المجتهد.. مع التميز بالاهتمام بتقعيد «المنهج» فى العلوم التى كتب فيها.. اهتم بهذه «المنهجية» فى مقدمات مؤلفاته، وفى ثناياها، بل وأفرد عددا من آثاره الفكرية لقضية «المنهج»، كما صنع فى (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) وفى (معيار العلم).. وغيرهما.

ومن أبرز الإنجازات الفكرية، التى سرت معالمها فى كل كتابات الغزالى، مواجهته الحاسمة لذلك الفصام النكد، الذى كان قد ساد فى الثقافة الإسلامية، بين «العقل» و«القلب» و«النص»، عندما غلب على الفقهاء مجافاة القلب، وعلى الصوفية مجافاة الشرع، وعلى الفلاسفة عقلانية منفلتة من الشرع والقلب معا، فدعا الغزالى إلى إحياء كل العلوم، باقتران وامتزاج العقل والشرع والقلب جميعا، لتفقه القلوب بنور العقل والشرع معا.. فيكون للناظرين نور مبعثه العقل والشرع جميعاً.

وكما كان كتابه الفذ (إحياء علوم الدين) إحياء للعلوم الشرعية بروحانية القلب المؤمن، إنقاذا لها من جفاف الشكل والصور والحركات.. فلقد كان كتابه (تهافت الفلاسفة) إسهاما فى إعادة الفلسفة إلى إطار الوحى الإلهى، وضبط العقلانية بثوابت الإيمان الدينى، وذلك من خلال الدراسة النقدية- التى قدمها هذا الكتاب- نقضا لما رآه الغزالى باطلا فى مقولات الفلاسفة القدماء- أى الإغريق-..

فمع إبداع الغزالى فى ميادين العقلانية الإسلامية الخالصة، كما تجلت فى علم أصول الفقه، وعلم أصول الدين -علم الكلام- أراد توجيه النقد لتجليات الفلسفة اليونانية فى المحيط الإسلامى، تلك التى تحررت عقلانيتها من «النقل» والوحى، فكان كتابه (تهافت الفلاسفة) نقدا للنظريات الفلسفية، ذات الأصول اليونانية، التى تبناها بعض فلاسفة الإسلام- وخاصة الفارابى [٢٦٠- ٣٣٩هـ/ ٨٧٤- ٩٥٠م] وابن سينا [٣٧٠- ٤٢٨هـ/ ٩٨٠- ١٠٣٧م]- فاقتصر النقد- فى هذا الكتاب- «على إبطال ما اختاره ورأياه الصحيح من مذاهب رؤسائهم» من الفلاسفة القدماء- أى اليونانيين-..

منهاجه فى النقد

وإذا كانت العقلانية الإسلامية -كما فهمها الغزالى، ودافع عنها، وحبذها- هى العقلانية المؤمنة، التى تؤاخى بين «نور العقل» و«نور الشرع»، والتى رآها «الوسطية الإسلامية الجامعة» بين النورين، والمتميزة عن غلو الظاهرية النصوصية الحرفية، وعن غلو الفلاسفة.. وهى عقلانية «أهل السنة، الذين تحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول.. لأن مثال العقل: البصر السليم عن الآفات والآذاء. ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء.. فالمعرض عن العقل، مكتفيا بنور القرآن، مثاله: المعترض لنور الشمس مغمضا للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور على نور».. (١)

(١) الغزالى (الاقتصاد فى الاعتقاد) ص٢، ٣ طبعة القاهرة. مكتبة صبيح. بدون تاريخ.

إذا كانت هذه هى العقلانية الإسلامية، كما آمن بها الغزالى- وكل أهل السنة- فإن منهاجه فى نقد نظريات هؤلاء الفلاسفة كان بمعيار هذه العقلانية الإسلامية المؤمنة.. فهو لم يحاكم نظرياتهم إلى الشرع الإسلامى وحده، وإنما حاكمها إلى العقل أيضا، فكان - فى هذا الكتاب- فيلسوفا إلهيا، يكشف تهافت مقولات فلسفية رآها منفلتة من ضوابط الشرع الإسلامى، ومن ضوابط العقل المؤمن أيضا..

وهو -فى هذا الكتاب- يرد على «الفلاسفة القدماء» -أى الإغريق- وعلى «المقلدين لهم».. وهو لا يكفّر الفلاسفة بتعميم وإطلاق- فلقد كان من أكثر العلماء تحرجا من التكفير.. وإنما رأيناه يتحدث عن هؤلاء الفلاسفة فيقول: «إنهم مؤمنون بالله، ومصدقون لرسله، ولكنهم اختبطوا فى تفاصيل بعض هذه الأصول، قد زلوا فيها، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل» فلقد «اتفق كل مرموق من الأوائل والأواخر على الإيمان بالله واليوم الآخر.. والاختلافات راجعة إلى تفاصيل خارجة عن هذين القطبين، اللذين لأجلهما بُعث الأنبياء المؤيَّدون بالمعجزات، ولم يذهب إلى إنكارهما إلا شرذمة يسيرة.. لا يؤبه بهم»..(٢)

فهو لا يصنف عموم الفلاسفة فى خانة القلة الدهرية، الذين كفروا بالله واليوم الآخر.. فالخلاف مع هذه القلة فى الأصول، بينما الخلاف فى التفاصيل مع الفلاسفة الذين توجه إليهم بالنقد فى هذا الكتاب.

ولذلك، حصر الغزالى المقولات الفلسفية التى رأى كفر قائليها فيما رآها متعلقة «بالأصول».. وهى- فى كتابه هذا- ثلاث مسائل:

إحداها: مسألة قدم العالم، والقول بأن الجواهر فيه كلها قديمة..

والثانية: القول بأن الله ـ تعالى ـ لا يحيط علما بالجزئيات الحادثة من الأشخاص، وإنما يقف علمه عند ذاته فقط..

والثالثة: إنكار بعث الأجساد والأبدان وحشرها يوم القيامة..»(٣)

وذلك، لأن القول القاطع بهذه المسائل الثلاث، فيه إنكار وتكذيب لما أخبر به الأنبياء والمرسلون جميعا، وهو مالم يعتقده أحد من فرق المسلمين ومذاهبهم.. أما ما عدا ذلك من مقولات الفلاسفة- الأوائل والأواخر- فإن لها شبها بمقالات فرق إسلامية، إن عدها البعض فى «أهل البدع»، فلقد رفض الغزالى تكفيرها.. فالتكفير خاص «بما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين، كالقول فى حدوث العالم، وصفات الصانع، وبيان حشر الأجساد والأبدان. وقد أنكروا جميع ذلك..»(٤)

●●●

(٢) الغزالى (تهافت الفلاسفة) ص٣. طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣م.
(٣) المصدر السابق. ص٩١.
(٤) المصدر السابق. ص٥.

المقدمـــــات..والفصـــول

ولقـد قـسّم الغـزالى كـتـابه هذا إلى أربع مقدمات، وعشرين مسألة، وخاتمة..

تحـدث فى المقدمـة الأولى عن طول اخـتـلاف الفلاسفة، وكثرة نزاعهم، وتباعد طرقهم.. الأمر الذى يقطع بلا يقينية مقولاتهم، التى تغاير فى اليقين المقولات الرياضيـة والهندسية التى ألفوا فيها..

وتحدث فى المقدمة الثانية عن أقسام الخلاف بين الفلاسفة وبين غيرهم من الفرق..

وتحدث فى الثالثة عن منهجه فى إبطال الباطل من مقولاتـهم، وكيف أنه استعان فى هذا المقام بحجج الفرق الإسلامية، حتى تلك التى يختلف معهـا الغزالى والأشعرية.. لأن التناقض بينه وبين هذه المقولات الفلسفية مقدم على التناقضات مع الفرق الإسلاميـة الأخرى «فإن سائر الفـرق ربما خالفونا فى التـفـاصيـل، وهؤلاء (الفلاسـفـة) يتعرضون لأصول الدين، فلنتظاهر عليهم، فعند الشدائد تذهب الأحقاد»!- وهو، بهذا المنهاج، يقدم مذهبا فى فقه وترتيب الأولويات!..

وفى المقدمة الرابعة تحدث الغزالى عن «حيل الفـلاسـفـة»، الذين خلطوا يقين المعـقـولات بظنونهـا، وذلك عندما خلطوا علومـهم الرياضية والهندسية والمنطقية بمقالاتهم فى الإلهيات، على حين أن الرياضيات راجعة إلى الحساب والهندسة، وهى لا إنكار لهـا ولا اخـتـلاف فى حـقـائقـهـا وقوانينها.. بينما كان الخطأ فى علومهم الطبيعية يسيرا.. وفى الإلهية كثيرا.. ولقد استعانوا، بهذا الخلط، على تمويه أخطائهم فى الإلهيـات بإيهام صحتها عن طريق الطبيعيات والرياضيات.. بزعم التسوية بين جميعها..(٥)

... وحديث الغزالى، فى هذه المقدمة الرابعة، يعالج ذات القضية الحديثة التى تبنتها الفلسفة الوضعية الغربية، وفلاسفة التنوير الغربى- منذ عصـر النهضـة الأوروبيـة- عندما أرادوا تطبيق مناهج العلوم الطبيعيـة- الدقيقة والمحايدة- على العلوم الاجـتـمـاعـيـة- علوم النفس والسيـاسـة والاجتماع والاقتصاد.. بل والفنون والفلسفات والآداب- مـضـفـين على نظرياتهم فى العلوم الاجتماعية والإنسانية وعلى مقولاتهم الفلسفية يقين حـقـائق العلوم الطبيعيـة وقوانينهـا.. الأمر الذى يختلف معهم فيه الكثيرون..

وبعـد هذه المقـدمـات الأربع، عـرض الغـزالى للمـسـائل العشـرين، التى تناول فـيـهـا تناقضات مذاهب الفلاسـفـة فى قضايا مثل: أزلية العالم وقـدمـه.. وأبديتـه وخلوده.. وعـجـز مـذهب الفـلاسـفـة عن البرهنة على أن صانع العالم هو الله.. وعلى وحدانيته، واستحالة إلهين.. وإبطال مذهبهم فى نفى الصفات الإلهية.. ولزوم القول بالدهرية لمذهبهم، ومن ثم تناقضه مع دعـواهم الإيمان بالله.. ومـذهبـهم فى العلم الإلهى، الذى أنكروا فيـه علم الله للجـزئيـات، وزعـمـوا أن «نفوس السموات» هى التى تعلمهـا.. وكذلك مـذهبـهم فى السـبـبـيـة، الذى هو فى حـقـيـقـتـه مذهب «الحتمية المطلقة»، المنكرة لإمكانية خرق

(٥) المصدر السابق. ص٣ - ٦.

العادة من قبل مسبب الأسباب.. ومذهبهم فى استحالة الفناء على النفوس البشرية.. وإبطال قولهم إن البعث والحشر والتلذذ والتألم فى الجنة والنار إنما هو بالمعانى والأرواح، لا بالأجساد والأبدان..[٦]

وكمثال على حقيقة موقف الغزالى فى هذه «المسائل» -وهو موقف قد أسىء فهمه كثيرا- رأيه فى «السببية».. فلقد شاع- شيوع «الخطأ الشائع»- إنكار الغزالى لعلاقة الضرورة بين الأسباب والمسببات، بينما الذى أنكره الرجل على الفلاسفة هو القول «بالحتمية المطلقة» التى لا تتخلف، فى علاقة الأسباب بالمسبَّبات.. فعنده أن الضرورة- التى سماها «الاقتران» قائمة بين الأسباب والمسبَّبات، اللهم إلا إذا أراد مسبِّب الأسباب وخالقها إظهار «الإعجاز»، فإنه قادر على إحلال القوانين غير المعتادة محل الأسباب المعتادة، ليخرق بها العادة والاقترانات المعتادة.. وتأمُّل عبارات الغزالى، فى هذه المسألة، لا يدع مجالا للشك فى أن هذا هو مراده.. فهو يقول: «إننا نسلم أن النار خلقت خلقة إذا لاقاها قطنتان متماثلتان أحرقتهما، ولم تفرق بينهما إذا تماثلتا من كل وجه» ثم يضيف حديثه عن الإيمان بقدرة مسبِّب الأسباب على خرق هذه الاقترانات المعتادة بإيجاد أسباب غير معتادة، فيقول - مستطردا-: «ولكنا، مع هذا، نجوِّز أن يُلْقى شخصٌ فى النار فلا يحترق، إما بتغير صفة النار أو بتغير صفة الشخص، فيحدث من الله - تعالى - أو من الملائكة صفة فى النار تقصر سخونتها على جسمها بحيث لا تتعداها، وتبقى معها سخونتها، وتكون على صورة النار حقيقتها.. أو يحدث فى بدن الشخص صفة، ولا يخرجه عن كونه لحما وعظماً فيدفع أثر النار».

فالغزالى لا ينكر ضرورة عمل الأسباب فى المسببات، وإنما «يجوِّز» استبدال الأسباب بأخرى توقف عمل الأولى، وتعمل هى بدلا منها.. وكما أن الجسم لايحترق إذا هو طلى بمادة عازلة- «كالطلق»- الذى تحدث عنه الغزالى- فإن العقلانية المؤمنة «تُجوِّز» استبدال الأسباب من قِبَل مسبِّب الأسباب - سبحانه وتعالى - وذلك إيمانا «بمقدرات الله، التى لم نشاهد جميعها، فلا «ينبغى إنكار إمكانها، والحكم باستحالتها»..[٧]

ولذلك، فنحن لا ندهش عندما نرى أن رأى الغزالى هذا- فى كتابه (تهافت الفلاسفة)- هو نفسه رأى ابن رشد [٥٢٠- ٥٩٥هـ/ ١١٢٦- ١١٩٨م] فى كتابه (تهافت التهافت).. الذى رد فيه على الغزالى!- فابن رشد، المناصر لعلاقة الفردية بين الأسباب والمسببات، هو -مثل الغزالى- مؤمن بأن هناك فاعلا وراء الأسباب المعتادة، له فى المسببات فعل- بل إنه هو فاعل وموجد هذه الأسباب.. وعنده: «لا ينبغى أن يُشَكَّ فى أن هذه الموجودات قد يفعل بعضها بعضا ومن بعض، وأنها ليست مكتفية بأنفسها فى هذا الفعل، بل بفاعل من خارج، فعله شرط فى فعلها، بل فى وجودها، فضلا عن فعلها.. ولا يشك أحد من الفلاسفة فى أن الإحراق الواقع فى القطن من النار مثلا، أن النار هى الفاعلة له، لكن

---

(٦) المصدر السابق. ص٦ - ٩٠.

(٧) المصدر السابق. ص٦٧، ٦٨.

لا بإطلاق، بل من قِبَل مبدأ من خارج، هو شرط فى وجود النار، فضلا عن إحراقها-(٨)»!

فلا خلاف فى السببية، ولا فى علاقة الضرورة بين الأسباب والمسبَّبات.. وإنما الخلاف مع القائلين «بالحتمية المطلقة»، لأن مذهبهم هذا يجعل المسبَّبات مفعولا للأسباب المادية وحدها، منكرين بذلك قدرة خالق الأسباب ومسببها على إحلال الأسباب غير المعتادة محل هذه الأسباب المعتادة..

●●●

والغزالى، الذى صاغ -فى تراثنا- عبارة: «إنه لا مشاحة فى الألفاظ» والمصطلحات.. هو الذى نبه على ضرورة تحديد المراد والمفهوم والمضمون من المصطلحات، كشرط من شروط صحة الجدال مع الفلاسفة، وجدوى الحوار مع الخصوم.. فإذا كان «المنطق» هو «آلة الفكر» فى المعقولات، فلابد من الاستعانة على فهم الفلاسفة بفهم مصطلحاتهم المنطقية، وطرائقهم فى النظر.. ولذلك، وجدناه -فى (تهافت الفلاسفة)- ينبه على ضرورة الاطلاع على كتابه (معيار العلم)، الذى تناول فيه ما يسميه الفلاسفة علم المنطق.. وصولا إلى تحرير وتحديد المفاهيم، كشرط لموضوعية الحوار والجدل..(٩)

●●●

وللمكانة المحورية لكتاب الغزالى هذا، فى المسيرة الفلسفية لحضارتنا الإسلامية، كان الاهتمام به- نظرا.. وشرطا.. وتعليقا.. ونقدا- من قبل كثير من العلماء والفلاسفة والنظار..

فابن رشد قد سعى إلى نقضه فى كتابه (تهافت التهافت).. كما طلب السلطان العثمانى محمد الفاتح [٨٣٣- ٨٨٦هـ/ ١٤٣٠- ١٤٨١م] من العلامة مصطفى بن خليل البرسوى، الملقب بـ «خوجة زادة» [٨٩٣هـ - ١٤٨٨م] أن يكتب «تحكيما» بين الغزالى وابن رشد، فكتب كتابه (تهافت الفلاسفة) الذى اقتفى فيه مذهب الغزالى، مع انتقادات وشروح وتعليقات..

بل لقد وجدنا مقالات الغزالى- فى هذا الكتاب- سلاحا استخدمه خصوم «الرشدية اللاتينية- فى أوربا- إبان النهضة الأوربية الحديثة.. منتصرين بهذه المقالات للإيمان المسيحى، فى مواجهة «وضعية ومادية» فلاسفة التنوير..

ولقد عرف هذا الكتاب طريقه إلى الطباعة منذ مايزيد على المائة عام.. فصدرت له «طبعة حجر» فى «بومباى» -بالهند- سنة ١٣٠٤هـ- ١٨٨٧م.. ثم طبعته المطبعة الخيرية -بمصر- سنة ١٣١٩هـ- ١٩٠١م- ومعه (تهافت التهافت) لابن رشد، و(تهافت الفلاسفة) لخوجه زاده.. ثم أعيدت هذه المجموعة- فى طبعة الحلبى- سنة ١٣٢١هـ- ١٩٠٣م.. ثم طبع بتحقيق «الأب بويج» - ببيروت- سنة ١٣٤٥هـ- ١٩٢٧م.. ثم بتحقيق وتعليق الدكتور سليمان دنيا - فى طبعة الحلبى- سنة ١٣٦٦هـ- ١٩٤٧م.. وهى الطبعة التى أخرجتها دار المعارف -بمصر- سنة ١٣٧٤هـ- سنة ١٩٥٥م.. إلى غير ذلك من الطبعات، التى تناولت حظوظها من التحقيق والدرس والتعليق.

(٨) ابن رشد (تهافت الفلاسفة) ص١٢٥. طبعة القاهرة سنة ١٩٠٣م.

(٩) الغزالى (تهافت الفلاسفة) ص٥ ، ٦.

قراءة نقدية فى كتاب

عرض وتعليق
الأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا(*)

٢

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت
صدرت السلسلة في يناير 1978 بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923-1990

281

تاريخ الطب

من فن المداواة إلى علم التشخيص

تأليف: جان شارل سورنيا
ترجمة: د. إبراهيم البجلاتي

(٣) نواصل قراءتنا فى كتاب «تاريخ الطب» الذى صدر مؤخراً برقم ٢٨١ فى سلسلة «عالم المعرفة» التى يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون بالكويت. ومؤلف هذا الكتاب هو: جان ـ شارل سورنيا الأستاذ بالأكاديمية الطبية الفرنسية الذى ترأس الجمعيتين الفرنسية والدولية لتاريخ الطب وله العديد من المؤلفات فى المجال نفسه منها كتاب «الأطباء العرب فى القرنين العاشر والحادى عشر» (١٩٨٦).. وخبرة المؤلف فى مجال تاريخ الطب تدعونا إلى التركيز على بعض ألفاظه وعباراته التى قصدها قصداً فى ثنايا السطور.. فهو يقول: «مع نهاية القرن الحادى عشر (الميلادى) ندر الأطباء الكبار المتكلمون باللغة العربية فى الشرق».. متجاهلاً بذلك أن اللغة العربية فى ذلك الوقت كانت لغة العلم العالمية وقد أحبها الموالى حتى إنهم فضلوها على لغاتهم الأصلية.. وقال أحدهم، وهو أبو الريحان البيرونى، إن الهجو بالعربية أحب إليها من المدح بالفارسية.

(*) الكاتب: نائب رئيس جامعة القاهرة.

ثم لا يلبث المؤلف أن يقع - كالعادة - فى تناقض عجيب عندما يقرر بعد ذلك بقليل أننا نمتلك اليوم سلسلة من البيوجرافيا الطبية، من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر.. حوالى أربعمائة عام من التاريخ، مليئة بالطب والأطباء .. خلفوا لنا مؤلفات قيمة.. أغلبها باللغة العربية ويعترف فى الوقت نفسه بأن الجانب الآخر من الأبيض المتوسط.، فى المغرب وفى أسبانيا.، وقد شهد الازدهار نفسه الذى شهده الجانب الشرقى، حيث تلألأت أسماء: ابن زهر، وابن رشد، وابن جلجل، والزهراوى، وغيرهم .

وأشار المؤلف إلى موسوعة الزهراوى التى تقع فى ثلاثين جزءاً وسماها «الترصيف» ولم يصوِّبها المترجم . وصحتها «التصريف لمن عجز عن التأليف» وهو من أشهر المؤلفات الطبية فى علم الجراحة وقد ضمنه الزهراوى نظريات مهمة غير مسبوقة وزوده برسوم توضيحية لأكثر من مائتى آلة جراحية معظمها من ابتكاره وتطويره ، ورغم هذه الحقيقة المعروفة تاريخيا فإن مؤلف كتاب «تاريخ الطب» يحرص على أن يؤكد على أن الأطباء والجراحين المسلمين لم يظهروا ميلاً خاصا نحو كتابة المراجع أو الملخصات أو الموسوعات، كما يحرص - بافتعال ملحوظ - على تأكيد ما أسماه بالدور الذى لعبه الأطباء اليهود فى الإنتاج الطبى واستمرار ما أسماه بالعطاء الطبى العربى واليهودى فى مراكز ثقافية نشطة - مثل فاس ومراكش وتونس والقيروان.

(٤) من ناحية أخرى، إذا عدنا لرأى المؤلف بأن «المؤمنين فى بلاد الإسلام اليوم يؤسسون علمهم الطبى على «الطب النبوى» ، فإن هذا الرأى تكرار لما جاء فى مؤلفات عدد من المؤرخين منها دراسة حديثة حول «الاتجاهات الجارية فى دراسة العلوم والطب عند المسلمين فى العصر الوسيط» (مجلة الثقافة العالمية. العدد ٤٤، الكويت ١٩٨٩م) أورد فيها «إميلى سفيج - سميث» كلاما مبتسراً عن «الطب النبوى» والرسائل المؤلفة فيه من قِبَل علماء الدين وليس من قِبَل الأطباءعلى أساس اعتقادهم بأن المعرفة يمكن الحصول عليها فقط عن طريق الوحى والنبى محمد ﷺ وأعراف الصحابة المقربين. ويزعم «سميث فى دراسته أن رسائل الطب النبوى قد شاعت فى مقابل الطب القائم على أساس إغريقى على أيدى فريق من الأطباء النطاسيين أمثال ابن جميع وابن رضوان وغيرهما. والحق أن مايعرف بالطب النبوى أو الطب الإسلامى قد نشأ بظهور الإسلام ونما وتطور نظريا وعلميًا على أيدى علماء الأمة الإسلامية وأصبحت له فروع تبحث فى أسرار القرآن الكريم وأحكامه وشرائعه وعلاقتها بالصحة والوقاية والبيئة والعلاج والتربية وغيرها من المباحث الطبية المختلفة.

وفى مقال آخر ظهر بمجلة «العلم والمجتمع». Impact of Science on Society, UNESCO, No159, 245 (1990).

نجد مثالاً واضحا يجسد محاولات التستر بالعلم لتشويه الإسلام من خلال الثقافة

الإسلامية، حيث يكتب « ديفيد كنج » عن « العلم فى خدمة الدين. بحيث تبدو آراؤه وكأنها تعبير صادق عن واقع الإسلام والمسلمين. ففى غمرة انشغاله بقضايا التراث العلمى الإسلامى المتعلقة بمسائل تحديد اتجاه القبلة واستطلاع أهلة الشهور القمرية، نجده يتطرق بدون مناسبة إلى مناقشة أمور هى من الثوابت العقدية، ويثير أسئلة لاتؤهله ثقافته للرد عليها. فهو مثلا يتساءل عن سبب اعتماد المسلمين لخمس صلوات رئيسية زاعما أن هذا التحديد لم يرد بشأنه نص صريح فى آيات القرآن الكريم. أو فى أحاديث الرسول محمد ﷺ. ويظهر من خلال مناقشته لهذه المقولة التى أقحمها على موضوع بحثه إقحاماً أنه يخلط بين الصلوات المفروضة وصلوات التطوع. وكان الأجدر بمثل هذا الباحث (المدقق) أن يستخدم منهج البحث العلمى فى الرجوع إلى المصادر الموثوقة من الأصول الإسلامية. أو يسأل أهل الذكر والاختصاص، قبل إصدار أحكام قاطعة لايوجد دليل على صحتها. ولو قرأ أو سأل لعلم أن الصلوات الخمس المفروضة هى ركن من أركان الإسلام الخمسة التى نص القرآن الكريم على وجوب أدائها فى العديد من

صفحة ١٢٧ من مخطوط «التصريف لمن عجز عن التاليف» للزهراوى (من مقتنيات دار الكتب المصرية)

الآيات القرآنية الكريمة، وترك للرسول الكريم بيان تفصيلها قولاً وأداء وتوقيتا، وعنه - ﷺ - تنوقلت إلى يومنا هذا . ولو قرأ « ديفيد لنج »، أو سأل أهل الذكر، لعلم أيضا أن صلاة الضحى عبادة مستحبة، من شاء ثوابها من المسلمين فليؤدها وإلا فلا تثريب عليه فى تركها، وليس صحيحا ماذكره « ديفيد لنج » عن الرسول ﷺ . من روايات تنسب إليه قوله بأنها بدعة موروثة، وأن هذا كان سببا واضحا - فيما يزعم - لحيرة المتأخرين وترددهم فى ضم صلاة الضحى إلى الصلوات الخمس الرئيسية فقد جاء فيما روى الترمذى وحسنه عن أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ قال : « كان ﷺ يصلى الضحى حتى نقول : لا يدعها . ويدعها حتى نقول لايصليها » .

(٥) أما ما لاحظناه على مؤلف كتاب « تاريخ الطب » من تحيز واضح لثقافة الغرب المادية ومحاولة التأصيل لها بما أسماه « التراث اليهودى المسيحى المشترك » فهو اتجاه يروج له بعض المؤرخين ونجده واضحا فى سلسلة « تاريخ العلوم العام » التى تقع فى أربعة أجزاء ساهم فى تأليفها أكثر من مائة باحث بإشراف « رينيه تاتون » (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٨) حيث يكال المدح والثناء على مايسمى « بالعلم العبرى » وتساق التبريرات الواهية لاعتبار إسرائيل ضمن الحضارات الكبرى القديمة فى الشرق، وللإشادة بالعصر الذهبى « للعبقرية السامية » فى حضارة بابل وآشور.

ويتضح هذا الاتجاه أيضا عند « جورج سارتون » الذى حاول إخفاء دوافعه النفسية وراء عبارات إنشائية معسولة الألفاظ عندما ذكر فى كتابه « تاريخ العلم » (الترجمة العربية، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م، ص٢٣-٢٤) مانصه :

« . . وحديثنا عن الماضى محدود من عدة وجوه . . وأحد هذه الوجوه الضرورية أنه يجب علينا أن نقصر أنفسنا على أسلافنا فحسب . . والواقع أن ثقافتنا النابعة من الأصل الإغريقى والعبرى هى الثقافة التى تعنينا كثيرا، إن لم تكن هى كل مايعنينا، والزعم بأنها بالضرورة أرقى الثقافات فيه خطأ وشرّ لأننى إذا كنت أرقى من جيرانى، فليس لى أن أقول ذلك . ولكن لهم فقط أن يقولوه، وإذا زعمت لنفسى شيئاً من العلو لا يستطيعون ـ أو يقبلون ـ أن يصادقوا عليه، فإن ذلك لايثمر سوى العداوة بيننا » .

حتى عندما اتجه بعض المؤرخين الغربيين إلى التأليف فى تاريخ العلم لإزكاء النزعة القومية . ، نجد بينهم من يكتب عن علم غير غربى، لا ليؤكد حق حضارة أخرى أسقط دورها من حركة التاريخ الإنسانى ، ولكن لكى يثبت أن أسطورة تفوق الجنس الآرى ومقولة أن العلم لايمكن إلا أن يكون غربيا، فعندما ألف « جوزيف نيدهام » وزملاؤه سبعة مجلدات ضخمة (بدأ إصدارها فى عام ١٩٥٤م) عن العلم والحضارة فى الصين، كان يحاول أن يفسر السبب الذى حال دون أن تتبع التنمية فى الصين نفس المسار الذى اتبعته الثورة العلمية الحديثة فى أوروبا، ثم يسعى من خلال ذلك إلى تأكيد فرض ضمنى مفاده أن العلم الذى

أينع بالفعل فى أوروبا النهضة عالمى، وأن كل ماهو أوربى عالمى.

وعلى غرار «جوزيف نيدهام» فى كتابه عن العلم الصينى:

J.Need ham, the Chinese Scientific Tradition, 1962.

(عن مجلة العلم والمجتمع، الترجمة العربية، اليونسكو، ع٧٣، ١٩٨٩م) جاء «توبى هاف» حديثا، فى كتابه «فجر العلم الحديث، الإسلام. الصين - الإسلام» (الترجمة العربية، عالم المعرفة، الكويت، مارس وأبريل ١٩٩٧م) محاولاً الإجابة عن سؤال: لماذا نشأ العلم الحديث فى الغرب دون حضارتى الإسلام والصين، مع أنهما كانتا فى العصر الوسيط أكثر تقدما فى العلم؟ ولتفسير ذلك جعل المؤلف من هذا السؤال «إشكالية» تناول من خلالها اختلاف الأنظمة الدينية والفلسفية والتشريعية فى الحضارات الثلاث، وساق مبررات خاصة تساعده على بلورة نسق يميز لبنية المجتمع الغربى جعله الأصلح - من وجهة نظره - لإتاحة مناخ الحيدة والحرية فى ممارسة البحث العلمى.

● **خاتمة:**

وهكذا نجد التحيز واضحا بدرجات متفاوتة فى كتابات المؤرخين الغربيين لأسباب لم تعد خافية على أحد، وربما نكون على صواب إذا ماعتقدنا أن تاريخ العلم والتقنية يصاغ الآن - فى عصر العولمة - فى إطار أنساق معرفية - اجتماعية وسياسية وعقدية - متحيزة وغير موضوعية يمكن أن تغير مستقبلا فى أساليب العديد من المؤرخين، وتحدد ملامح نوع من الاستشراق الجديد والعلمانية المحدثة التى تتستر بالعلم لإثارة الشكوك حول الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخا وحضارة.

إن أخطر مايواجه أعداء الإسلام فى عصرنا هو إمكانية البعث الحضارى للأمة الإسلامية ،ومن ثم فإنه لم يعد كافيا بالنسبة لهم أن يبدوا عدم ارتياحهم للربط بين العلم والإسلام فى أية صورة من الصور التى ينادى بها الإسلاميون، بل إنه لم يعد كافيا أن تقتصر دعوتهم على مجرد الفصل بين المقومات المادية لقيام النهضة والطاقات الروحية المغذية لها، وذلك باستبعاد الدين عن مجال التأثير، والتعويل على قوة العلم وحده لتحقيق الجنة الموعودة. ولذا فانهم يتصدون بكل قوتهم وإمكاناتهم لكبت أية جهود تهدف إلى ترشيد العقل الإسلامى لينطلق فى تفكيره ، كما كان من ثوابت الدين الإسلامى الحنيف: العقدية والعملية، ثم يتحرك فى إطار المتغيرات المرتبطة بهذه الثوابت والمناسبة لطبيعة العصر والمستشرفة لطموحات المستقبل. ولعل أكثر مايزعج أنصار التيارات المعادية للإسلام ويؤرقهم هو تصحيح واقع الفكر الإنسانى المعاصر لدى عقلاء العالم ومفكريه إذا ماوصلت اليهم حقائق الإسلام واستفادوا منها فى إصلاح شئون حضارتهم المهددة بالانهيار.

تنويـــــه

حضرة الفاضل العالم الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى

رئيس تحرير «مجلة الأزهر»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

عند قراءتى للعدد الأخير من مجلة الأزهر (ربيع الأول ١٤٢٣ يونية ٢٠٠٢) لاحظت خطأين تاريخيين لا يمكن السكوت عنهما فى مقالة الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى (الأمويون وتأكيد هوية القدس الإسلامية).

ـ **الخطأ الأول**، فى أول سطر من الصفحة رقم ٤٢٦ حيث ورد: وبعد وفاة يزيد (يزيد بن معاوية بن أبى سفيان) تمكن ابنه مروان الأول ٦٨٤ ـ ٦٨٥م ثم ابنه عبدالملك....

والمعروف أن مروان الأول هو مروان بن الحكم وليس ابن يزيد.

تابع الخطأ الأول: أن الذى تولى بعد يزيد هو ابنه معاوية الثانى ثم أتى بعده مروان الأول وهو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية.

ـ **الخطأ الثانى:** ورد فى أسفل العمود الثانى من الصفحة رقم ٤٢٨ مايلى: ومما لا شك فيه أن المدينة [يقصد القدس] جذبت اهتمام ابن الوليد سليمان ٧١٥ ـ ٧١٧م.

مع أن سليمان بن عبدالملك هو أخو الوليد بن عبدالملك وليس ابنه.

مهندس مدنى / أبو السعود السعيد الدسوقى

الإدارة العامة لرى شرق الدقهلية

التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية

تأليف: نفتالى فيدر
ترجمة: د. محمد سالم الجرح

عرض وتحليل:
الأستاذ الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى

٢

اغتسال المجانب

من أظهر الأمثلة على تأثير الإسلام على العوائد اليهودية عادة اغتسال المجانب. ومن الممكن أن نستخدم هذا المثل نموذجاً لسائر الأمثلة التى يتناولها بحثنا ونستطيع أن نستعين بما يتضح بصدده من حقائق على فهم ما يكون غامضاً فى غيره.

ولسنا بحاجة إلى أن نقف هنا على هذه العادة فى العصر التلمودى وما تعرضت له من تغير فى بابل أو فلسطين لأن كثيرين قد قاموا بدراسة ذلك كله ولا سيما العلامة ليفى جينسبورج الذى وفى هذا التشريع حقه من البحث والتحقيق، ومايعنينا هى تلك الحقيقة التى قررها جينسبورج والتى مؤداها أن هذه العادة ليس لها ما يثبتها فى حكم التلمود البابلى، وأنها فى الواقع لم تكن مألوفة فى بابل لا فى العصر التلمودى ولا فى عصر الجاءونيم الأوائل. بيد أنه ابتداء من العصر الوسيط للجاءونيم نرى أن هذه العادة قد ضربت جذورها فى بابل أيضا.

فما الذى دعا إلى هذا التحول؟

إننا نجد الإجابة عن هذا السؤال لدى الحبر «كوهين صيداق جاءون فومبديتا» الذى طلب التدقيق فى اغتسال المجانب «لأجل النظافة وتقديس الله أمام الشعوب».

فهذه الكلمات لا تحتاج إلى إيضاح وهى تطالعنا بجلاء تام على العوامل الخارجية لهذا التحول المشار إليه وغنى عن البيان أن العبادة

الإسلامية تدقق تدقيقاً شديداً فى هذا الاغتسال.

وكل ذلك يشير إلى مدى تغلغل هذا التأثير الأجنبى. وبدافع من هذا التأثير لم يأخذ اليهود على عاتقهم أن يغتسلوا فى حالة إذا ما وجد ماء فحسب بل أصبح الاغتسال بعد ذلك شرطاً تبطل الصلاة بدونه. وقرر الحبر هائى الجاءون أن الذى ليس لديه ماء لا يصلى. ويدل على ذلك بقوله: «ونحن نتذكر عدة سبوت كنا نصلى عن الحبر هارون الجاءون تبارك ذكره فى بيته بينما هو قاعد عن الصلاة حتى الغروب» وفى مصر ذهبوا إلى أبعد من ذلك بكثير فحرموا على المجانب الدخول إلى الكنيسة.

إن أمامنا تأثير من البيئة الأجنبية وذلك ما يتضح من رسالة رامبام إلى الحبر فنحاس بن مشلوم قاضى اليهود فى الإسكندرية. ويجب أن نعرض هنا خلاصة الرسالة لما لها من الأهمية من نواح عدة. فإن الحبر فنحاس يحمل إليه خبر المعارضة القوية التى تعرض لها رأيه المتهاون فى هذا الاغتسال بين جمهور يهود الإسكندرية ويصف ذلك قائلاً «هب الناس من جميع الأنحاء وجاءونى قائلين: نحن لم نعد نحتمل أقوالكم فأنتم تحلون ما تشاءون وتحرمون ما تشاءون أليس هناك تقاليد أثرت على أسلافنا ومن أتو من قبلنا تقضى بأن لا يقرب الإسرائيلى الصلاة إذا كان مجانباً حتى يغتسل فى الحمام أو فى البحر ويتطهر وينظف نفسه؟ والآن يجيزون الصلاة ودخول الكنيس وتلاوة التوراة دون اغتسال أو تطهر. إذا كان الدين كذلك فإنا ذاهبون كى نرفع أمرنا إلى القضاء».

هذه الكلمات تنطوى على معان عدة وعلى وجه الخصوص الجملة الأخيرة التى نستطيع هنا أن ندرك من خلالها واحدة من التفصيلات المهمة والشائعة فى القضية المعروضة أمامنا: لقد هدد المعارضون أولئك الذين يتساهلون فى هذا الاغتسال بأن يشوا بهم لدى السلطات العربية الإسلامية لأنهم رأوا فى الصلاة دون اغتسال أمراً منكراً. فأنت ترى فى هذا دلالة قطعية على أن اكتراثهم لرأى العرب كان عملاً له أهميته فى هذا الشأن.

اصلاحات الحسيديين فى الصلاة(١)

أ- الإصلاح النسكى ودوافعه:

إن الغاية التى تضمنتها اصلاحات الميمونى استمر تحقيقها وبصورة متطرفة فى مجموعة الإصلاحات التى أدخلها ابنه الحبر إبراهم على نظم الصلاة المتفق عليها. ومما لا شك فيه أن مثل هذا الإقدام وذلك الحزم الذى لا يشوبه وجل وهو ما تميزت به خطوة الأب الجريئة كان للابن بمثابة قدوة يحتذى بها كما كان يمده بالتشجيع فى صراعه من أجل تحسين شعائر الصلاة.

(١) فرقة يهودية.

وعلينا أن نقـرر من البـداية أن الأنظمـة الحديثة التى أسسها الحبر إبراهيم الميمونى قد نقلت من المسجد إلى الكنيس وأن فيها ما يعد تطاولاً جوهرياً على نظم الصلاة التقليدية وملاءمتها شعائر العبادة الإسلامية، وهذه النظم هى :

أ- السجود .

ب- الجلوس على هيئة البارك .

جـ- استقبال القبلة وقت الجلوس أيضا .

د- وقوف المصلين فى صفوف .

هـ- بسط اليدين .

وليست هذه كلها سوى تعديلات تتسم بطابع الإصلاح . غير أن الحبر إبراهيم الميمونى لم ير نفسه مصلحاً مجدداً بل باعثاً لعادات قديمة .

فقد تكاتفت عوامل شتى لتنتهى إلى اتجاه واحد : رد فعل الآراء الإسلامية على العبادة والخوف على وقار بنى إسرائيل ودينهم، وهذان الاعتباران هما اللذان دفعا موسى الميمونى إلى الإصلاح وكانا دافعين هامين بالنسبة لابنه . وليس هذا فقط بل فى مقدورنا أن نقول : إن تأثير رد الفعل القوى هذا كان أعنف فى قوة التأثير على أبيه، لأنه كانت تربطه بالنساك المسلمين قرابة روحية، فلا شك أنه اتصل بهم اجتماعيا، وأعظمهم وأكن لهم ولعادتهم السلوكية كل الاحترام، وقد أدى به تبجيله إلى إمعان النظر فى آرائهم . وسوف نجد مفتاحا هاما أفهم روح إبراهيم الميمونى فى أقواله .

السجود

كونت أوضاع التعبد الجسمانية على اختلاف أنواعها جزءاً هاماً من الحياة الدينية اليهودية فى أعصرها القديمة . وصور العبادة هذه : البروك، الركوع، السجود، الجثو، وإكفاء الوجه . ويكثر ورودها فى الكتاب المقدس ومعروف أنها كانت متبعة حتى فى عصر الهيكل الثانى . وبعد تخريبه كان هناك ميل واضح لهجر هذه العادة القديمة .

وعندما أدخل الأحبار الأوضاع الجسمانية فى الصلاة العادية شرعوها على أساس أنحناء القامة والركوع فقط . وقد حدد أحبار التلمود كيفية الركعات وعارضوا انحناء الجسم أكثر من اللازم . ويتجلى هذا الاعتراض وبوضوح فى موقف الحبر يهـوذا لبناسى، الذى حكى عنه أنه رأى أن أحدهم انحنى أكثر من اللازم فأبعده الحبر ومن المفيد أن نقارن سجودهم فى الهيكل بهز الرأس الذى اكتفوا به فى الصلاة كما أنهم حددوا عدد الركعات حتى لا تزيد على أربعة .

إحياء السجود

بعد هذا العرض المجمل علينا أن نبحث هذا التغير الذى حدث فى عصر إبراهيم الميمونى أى : إرجاع السجود إلى سابق عهده . وهذا التغير يفسر أولاً بأنه تأثير البيئة الإسلامية على وجه العموم . فمن المعلوم أن للسجود منزلة هامة ومرموقة فى الصلاة الإسلامية التى جوهرها ليس سوى سلسلة من الأوضاع الجسمانية المعينة تصحبها آيات قصيرة فى الحمد والتسبيح

وتختلف عن الصلاة فى معناها المعتاد اختلافا جوهريا وكان حتما أن يصبح اليهود فى نظر المسلمين تاركين للأصل ومكتفين بالفرع ونستطيع أن نقف على طبيعة رد فعل المسلمين من النزاع الذى يكشفه لنا إبراهيم الميمونى والذى نلم من خلاله أيضا بالقضية كلها. فهو يشكو من إبدال عادة إكفاء الوجه بالإمالة أو إدارة الوجه مرتفعا كمن يتطلع إلى السماء. ويتحسر لذيوع صورة هذا الركوع بين الأمم على أنه ركوع يهودى ويقول: لقد نسجوا من هذا حكايات وتحقق فينا القول « تجعلنا عار على جيراننا، هزأة وسخرية لمن حولنا ».

وهذا الاكتراث لرأى المسلمين يزداد وضوحا إذا ما لاحظنا الخلف الذى كان بين الربانين والقرائين، وقد مارس الآخرون السجود وإكفاء الوجه حقيقة وكان هذا دليلا منقطع النظير على أن القرائين هم الذين يتمسكون باليهودية الحقة وإن الربانين هم الذين يزيفونها ويزورونها بجهلهم نصوصا بينة متكررة فى الكتاب المقدس وبإلغائهم عادة عتيقة لها تقاليد مورثة. وكان فى هذه الحقيقة تدعيم وتقوية لدعائم الربانين فى الأوساط العربية ومن المحتمل أن تكون شهرة « إكفاء الوجه » قد ذاعت من معسكر الربانين بين المسلمين. وقد ورد فى كتاب الأنوار تنديد بالربانين من جراء ذلك « وحرموا على الناس أن يلصقوا وجوههم بالأرض وقت السجود وذلك خلاف قول الكتاب « وخروا على وجوههم إلى الأرض على البلاط وسجدوا ». ولا يفوت يهودا هدسى صاحب كتاب « أشكول » فرصة لا يؤكد فيها أو يكرر أن القرائين يلصقون وجوههم فى الأرض: يحنون قامتهم ووجوههم فى غبار الأرض يمرغون خدودهم فى تراب الأرض.... إلخ.

هذا التأكيد المتكرر لتراب الأرض يفهم فى ضوء الحقيقة: أن نساك الإسلام حرصوا على الظهور فى الطريق بعد صلاتهم وقد علا التراب جباههم بسبب السجود. الأمر الذى عدوه من أعمال التنسك.

وقد تكاتفت الأسباب النسكية مع هذه الدوافع العامة لدفع محاولة إعادة السجود إلى الكنيس دفعة قوية. ولا كان إبراهيم الميمونى ومن تبعه قد أعطوا للصلاة أهمية صوفية واجتهدوا فى أن يضفوا عليها » صورة خوف.

« ويجعلوا منها صورة للوصول فقد أباحوا دخول السجود بين جمهورهم لتعظم بواسطته « قوة نيتهم الباطنة » وليساعدوا على شد أزر « القوة الظاهرة والباطنة » والوصول إلى « تحرك القلب نحوه تعالى ».

استقبال القبلة أثناء الجلوس

أدخل الحبر إبراهيم الميمونى والحبر إبراهيم الحسيد تعديلا هاما يتصل بالجلوس سواء للجمهور أو بالنسبة للشيوخ وهو أن يستقبلوا جميعا القبلة فى أثناء جلوسهم كذلك.

وتقضى العادة التقليدية باستقبال القبلة فى وقت الصلاة العادية التى تقال وقوفا ليس غير. وفى أجزاء الصلاة التى تقال جلوسا يحق للمصلى الاتجاه إلى أى جهة يشاء. وقد أدت هذه الحرية إلى جلوس غير منظم فى الكنيس.

ويذكر لنا إبراهيم الميموني تصور الاضطراب الذى ساد فى عصره: منهم من يقع استقبال القبلة اتفاقا ومنهم من يستدبرها ومنهم من يجانبها أعنى أن تكون عن يمينه أو يساره.

كانت جذور هذا الإصلاح أيضا ضاربة فى البيئة الإسلامية، كما ادعى أنصار القديم المعاصرين لإبراهيم الميموني. وقد وقفنا من قبل على النظام الدقيق الذى تفرضه قوانين الصلاة الإسلامية على المصلى، والتى تحرم عليه أقل الحركات شأنا فما بالك بتحول الوجه عن القبلة الأمر الذى يبطل الصلاة ويوجب إعادتها؟ ومن اليسير علينا أن نتصور الصورة التى تركها النظام المضروب فى الكنيس على المسلمين حيث كان المصلون يجلسون جلوس راحة، مستندين للحيطان هذا يستقبل جهة الشرق وذلك يستقبل جهة الغرب أحدهم يستقبل الشمال والآخر الجنوب. أضف أن تحويل الوجه عن جهة الشرق يجر وراءه اضطرابات أخرى، وفيه حسب رأى إبراهيم الميموني إثم، إذ أنه يؤدى إلى فتور الهمة بل والنوم فى الأسحار وفى أوائل النهار والاشتغال برؤية الداخل والخارج والوقوف للآدميين وقت عبادة الله ـ تعالى ـ وهو يشير إلى ذلك بقوله: «وقد رأيت بعينى وليس بغريب الحبر أو الشيخ يدخل والناس يتلون «تلاوة أسمع» فيقف الناس كلهم أو بعضهم يحيون ذلك الآدمى وفى مثل هذا يتشكى القائل «نضطجع فى خزينا ويغطينا خجلنا». ولا ينطبق هذا التعبد على ما ذكر «أعبدوا الرب بخوف». وإذا كانت هذه الفوضى المنتشرة فى الكنائس الواقعة فى بلاد النصارى قد جلبت العار على شعبنا، حتى صار الأمر مضرب الأمثال، ومدعاة للتشنيع والهجاء، ورمزا للضوضاء والاضطراب فما بالك به فى البلدان الإسلامية؟ ولكم نرى من الطريف ذلك التفسير الاشتقاقى الذى ذكره علماء العرب للفظ «يهودى» حيث اشتقوه من مادة هـ د ا = اهتز تحرك ووفقا لرأيهم سمى اليهود كذلك لأنهم يتحركون أثناء الصلاة وعلى الرغم من أن هذا التفسير الاشتقاقى بين الخطأ فإنه مفيد إلى حد كبير وهو يكفى لأن يقف على ما أحس به العرب من غرابة نحو صلاة اليهود وإذا كان سلوك النصارى المتأدب فى كنائسهم قد صار قدوة للحدسيدين الاشكنازيين فما لاريب فيه أن النظام العنيف الذى ساد فى المساجد الإسلامية كان قد أدى للتأثير على الحسيدين الشرقين.

وقد كان الخوف من أن يحول جمهور اليهود وجهه عن الشرق أثناء الصلاة وأن يؤدى ذلك إلى اضطراب فى الصلاة من الأسباب التى كانت وراء إصلاح والد إبراهيم الميمونى بإلغاء صلاة الهمس. على أن الابن كان أكثر فاعلية من أبيه فبينما لم يهدف إصلاح الأب إلا إلى أن يجعل ذلك الذيغ من غير الممكن فى حالة الوقوف، جاء إصلاح الابن ليمنع ذلك الزيغ فى كل الحالات وحتى فى ساعة الجلوس. ومما يجدر ذكره، أن الشاعر القبالى مناحيم دى لو نزانوا انتقد عادة التدقيق فى استقبال القبلة، ولا شك أننا لا نبتعد عن الصواب إذا قررنا أنه أيضا تأثر بالأنظمة المثالية فى المساجد الإسلامية. وقد ظهر ذلك شعائر أخرى فهو فمثلا يضع العرب كأنموذج لأبناء عصره لحرصهم على تطهير أرجلهم.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حقوق الزوجة

● الصداق (المهر) قال تعالى:

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾(1).

● النفقة.. لقوله تعالى:

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾(2).

● إحسان العشرة واحتمال الأذى..

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾(3).

● أن يُعَلِم زوجته أمور الدين:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾(4).

● العدل بين الزوجات..

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾(5).

قالــــوا....

● إرض بالله صاحباً، ودع الناس جانباً.

● رُب صدقة من بين فكّيْك، خيرٌ من صدقة من بين كفَيْك.

● قد أمن الحرمان، من سأل الرحمن.

● النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان، والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام.

● إن من البلاء أن يكون الرأى عند مَنْ يملكه، لا مَنْ يبصره.

● ما أنكرت من زمانك فإنما أفسده عليك عملك.

● الإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه، والصبر عليه

.. والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه، والمداومة عليه.

---

(1) النساء (٤).
(2) الطلاق (٧).
(3) النساء (١٩).
(4) طه (١٣٢).
(5) النساء (٣).

أبـــواب الســـــلطان

قـد يسـعى إلى أبواب السلطان أجناس من الناس كثير، أما الصالح فمدعو، وأما الطالح فمقتحم، وأما ذو الأدب فطالب، وأما من لا أدب له فمختلس، وأما القوى فمدافع، وأما الضعيف فمدفوع، وأما المحسن فمستثيب، وأما المسيئ فمستجير.. فهو مجمع البر والفاجر، والعالم والجاهل، والشريف، والوضيع.

رأيـــت الجنـــة فى منامـــى

قال رجل من العرب: رأيت البارحة الجنة فى منامى، فرأيت جميع ما فيها من القصور، فقلت: لمن هذه؟!.. فقيل لى: للعرب، قال له رجل من الموالى: أصعدت الغُرفْ؟!.. قال: لا، قال: تلك لنا.

هبـــات الفضـــل بن يحيـــى

وهب الفضل لطباخه مائة ألف درهم، فعاتبه أبوه فى هذا، فقال: إن هذا صحبنى وأنا لا أملك شيئاً واجتهد فى نصيحتى.

.. وقال الشاعر:

إن الكرام إذا مـــا أيســـروا ذكـــروا

من كـان يصحبـهم فى المركب الخشن

حقيقـــــة

شكوتُ، ومـــا الشكوى لمثلى عـــادة

ولكن تفيض النفس عند امتلائهـا

رءوس النعـــم ثـــلاث

أولاها: نعمة الإسلام التى لا تتم نعمة إلا بها.

والثانية: نعمة العافية التى لا تطيب الحياة إلا بها.

والثالثة: نعمة الغِنى التى لا يتم العيش إلا بها.

حقـــــا

مَنْ وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه.

.. ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

دعـــــاء

يا أكـــرم الخلق مـــالى مَنْ ألوذ به

ســواك عند حـدوث الحـادث العـمم

من رجال التشريع الإسلامى

إلكيا الهراس
قرين الإمام الغزالى والمناظر الكبير

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدى

إلكيا باللغة الفارسية هو الرجل الكبير القدر، العظيم المقام، وهكذا كان عماد الدين شمس الإسلام أبو الحسن على بن محمد بن على الطبرى شيخ الشافعية فى عصره وقد ولد سنة ٤٥٠هـ ومات سنة ٥٠٤ هـ[١] وعاش عيشة حفيلة جليلة قضاها فى التأليف والتدريس والمناظرة الفقهية، حتى ضرب به المثل فى حجته الدافعة وبرهانه الساطع، وشهد له منظاروه بالتفوق الجدلى، والغوص العلمى، وهذه عجالة عن فضله العلمى.

فقد نقل صاحب (طبقات الشافعية)[٢] عن الفقيه أبى الحسن عبد الغافر بن إسماعيل موازنة بينه وبين زميله حجة الإسلام الغزالى قال فيها عن إلكيا الهراس: « إنه حسَن الوجه مطابق الصوت للنظر، مليح الكلام، فحصل طريقة إمام الحرمين وتخرج به وصار من رءوس الأصحاب، ورءوس المعيدين، وكان ثانى الغزالى، بل أملح وأطيب فى النظر، وأبين فى العبارة والتقرير منه، وكان يعيد الدرس على جماعة حتى تخرجوا به، وكان مواظبا على الإفادة والاستفادة ».

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ص٤٤٨ ج٢ تحقيق الشيخ محيى الدين عبدالحميد.

(٢) طبقات الشافعية للسبكى ج٧ ص٢٣٢ تحقيق الحلو والطناحى.

وقد وقفت كثيراً عند قول أبى الحسن عبدالغافر: «إن إلكّيا كان أبين من الغزالى»، لأن كتب الغزالى تدلّ على فصاحة لا يرقى إليها النظراء، فكيف يكون إلكّيا الهراس أبين من الغزالى ولكنى أظن أن الموازنة تتعلق بمجالس المناظرة، فقدْ يكون إلكّيا فى مواقف الجدل الشفوى أبين عبارة من حجة الإسلام، لأن الهراس كان متئداً فى حديثه، غير متسرع فى جداله، ومن له هذه الصفات يكون حريصا على انتقاء العبارة وصفاء الأسلوب.

على أن إلكّيا الهراس كان متواضعا لا يرى لنفسه التقدم فى المجال الأسلوبى، ويروى أنه كان يفتح مناظراته قائلاً لمن يناظره فى أدب(٣):

أرفق بعبدك إن فيه يبوسة
جبلية ولك الفرات وماؤه

فهو يعترف ـ متواضعا ـ أن لسانه الجبلى، لا تجرى فيه العذوبة المعهودة عند فقهاء العراق، وبهذا التواضع ملك إلكّيا قلوب خصومه المناظرين، حتى بكوا عليه يوم تشييع جنازته، يقول مؤرخوه: «وقد حضر دفنه الشيخ أبوطالب الزينبى ـ وقاضى القضاة أبوالحسن بن الدامغانى، وكان من رؤساء الحنفية فى بغداد، وبينهم وبينه من المنافسة فى المسائل الفقهية ما استدعى الحوار فى مسائل دقيقة، فى مواقف مشهودة يحضرها الوزراء والكبار من العلماء، ولكنهما بكيا يوم وفاته ووقف أحدهم عند رأسه، والآخر عند رجليه، وأنشد ابن الدامغانى(٤):

وما تُغنى النوادب والبواكى
وقد أصبحت مثل حديث أمس

وأنشد أبوطالب الزينبى:

عقم النساء فما يلد شبيهه
إن النساء بمثله عقم

وقام الشاعر المشهور أبوإسحق الغُزىّ فأنشد فى رثائه قصيدة طويلة قال فيها:

لئن طوته المنايا تحت إخمصها
فعلمه الجم فى الآفاق منتشر
حبر عهدناه طلق الوجه مبتسما
والبشر أحسن ما يلقى به البشر
من فاز منه بتعليق فقد علقت
يمينه بشهاب ليس ينكدر

وفى البيت الثانى ما يدل على طلاقة الوجه، وابتسام الثغر فى موقف المناظرة، وهذا يرجع إلى هدوء النفس، واطمئنان الثقة، وهو مما جعل مناظريه يستحيون من اللجاج معه وقد يعجب القارىء اليوم من حديث المناظرات الفقهية فى عصر الهراس والغزالى ولكن كتب التاريخ الفقهى، تؤكد أن الأمراء كانوا يترضون العامة بحضور مجالس المناظرات وتشجيعها وقد اشتهر

(٣) الطبقات ص٢٣٣.

(٤) الطبقات الوسطى نقلا عن الحافظ بن عساكر فى هامش ص٢٣٤ من الطبقات الكبرى.

علماء الأحناف والشافعية بالصيال فى هذه الحلبات، لأن المالكية والحنابلة قد تركوا الميدان حين علموا أن هوى الدولة مع الشافعية وهوى كثير من العامة مع الأحناف وهم بالنظر إلى الفريقين لا يجدون النصير وحين اتسعت شقة الخلاف بين بعض المتناظرين وضع الإمام الغزالى شروطا للمناظرة الفقهية، اشترط فيها أن يكون المناظر مجتهداً يفتى برأيه إذا ظهر أن الحق فى غير مذهبه بحيث لا يقدر حكماً إلا إذا اعتقد صحته، وإن خالف مذهبه، وهذا الشرط لم يعمل به، لأن التعصب حينئذ بدأ يأخذ دوره، ولأن التنافس على المناصب كان يدعو المتنافسين إلى إرضاء تلاميذهم من رجال المذهب، ونحمد الله أن ريح التعصب المذهبى قد خفتت الآن، وأصبح المفتى غير مقيد بمذهب خاص، وهى روح ظهرت بواكيرها منذ ولى الأستاذ الإمام محمد عبده منصب الإفتاء، وخلفه من اهتدى بهداه.

هذا وللكّيا الهراس مؤلفات فقهية كثيرة، ضاعت فى مهب الأحداث، ولم ترزق مؤلفاته شهرة كمؤلفات الغزالى، وقد ذكر مؤرخوه بين مؤلفاته المفقودة

١ - كتاب (شفاء المسترشدين فى مباحث المجتهدين)

٢ - وكتاب (لوامع الدلائل فى زوايا المسائل)

٣ - وكتاب (نقد مفردات الإمام أحمد)

٤ - وكتاب (أصول الفقه الشافعى)

وعناوين هذه المؤلفات تدل على دقة فى اختيار موضوعات التأليف، ومن حسن الحظ أن كتاب (تفسير أحكام القرآن للهراس) قد بقى وطبع وتداول العلماء مباحثه فأظهر فضل الرجل وأبان معدنه العلمى الأصيل، وذلك أن علماء كل مذهب جعلوا يؤلفون كتبا خاصة بتفسير آيات الأحكام ومدلولها عن الأئمة الكبار فوجدت لدينا ثروة كبيرة تحدث عنها حاجى خليفة فى كتاب (كشف الظنون)[٥] فقال:

«إن أول من صنف فى هذا النوع من التفسير هو الإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤هـ ثم الشيخ أبوالحسن على بن حجر السعدى المتوفى سنة ٢٤٤هـ ثم القاضى أبوإسحق الأزدى البصرى المتوفى سنة ٢٨٣هـ ثم أبوالحسن القمى المتوفى سنة ٣٠٥هـ ثم الإمام أبوجعفر الطحاوى المتوفى سنة ٣٢١هـ، ثم الشيخ أبومحمد بن القاسم بن الأصبع المتوفى سنة ٣٤٠هـ ثم الشيخ الإمام أبوبكر الجصاص الرازى الحنفى المتوفى سنة ٣٧٠هـ ثم الشيخ الإمام أبوالحسن على بن محمد المعروف بالكيا الهراس الشافعى المتوفى سنة ٥٠٤هـ.

هذا ما ذكره صاحب كشف الظنون، وقد ترك حاجى خليفة كتاباً جليلاً فى تفسير أحكام القرآن على المذهب المالكى للإمام أبى بكر بن العربى وقد طبعه الأستاذ على البجاوى فانتشر فى نطاق واسع.

(٥) كشف الظنون لحاجى خليفة ج(١) ص٥٤ط بولاق.

أما كتاب «أحكام القرآن» للكَيا الهراس فقد قال بصدد الحديث عنه بعد أن قرر أن مذهب الشافعي في رأيه أدق المذاهب إذ وصل إلى درجة اليقين الجازم في أحكامه السديدة قال ما نصه(٦):

«وقد رأيت أن أصنف كتاباً في أحكام القرآن أشرح فيه ما انتزعه الشافعي ـ رضي الله عنه ـ من أخذ الدلائل في غوامض المسائل، وضممت إليه ما نسجته على منواله، واحتذيت فيه على مثاله على قدر طاقتي وجهدي، ورأيت بعض من عجز عن إدراك (مسالك) فهمه، ولم يصل إلى أغراض معانيه، جعل عجزه عن فهم معانيه سببا للقدح في معاليه، ولم يعلم أن الدرّ درٌّ برغم من جهله، وأن آفته من قصور فهمه، وقلة علمه، وما يضر الشمس قصور الأعمى عن إدراكها، والحقائق عجز البليد عن لحاقها.

ولم رأيت أقاويل المفسرين في أحكام القرآن متجاوزة حد البيان، آخذة بطرفي الزيادة والنقصان، جررت في سرحها هذه الفصول، المتضمنة من اللفظ والمعنى شفاء كل عليل، مع انتخابي فيها قصد السبيل، وتوقي التطويل».

والحق أن الرجل قد أفصح عن عمله ومجهوده دون تزيد أو مباهاة ومهاجمته لخصومه ناشئة عن الروح العام الذي شمل فقهاء هذا العصر حين حاولوا نصرة المذهب الخاص بهم مهما ظهر ضعفه ولعل من باحثي هذا العصر من ينهض بتأليف كتاب يوازن فيه بين اتجاه فقيه شافعي في التفسير كالكَيا الهراس، واتجاه فقيه حنفي كالجصاص، أو مالكي كابن العربي، فيكون نموذجا من الفقه المقارن الذي نحتاج إليه في هذا الخضم الواسع من كتب التشريع.

هذا وإذا كانت مباحث الفقه هي جوهر كتاب أحكام القرآن للهراس، فإن مباحث أخرى تتصل بالأخلاق والتاريخ والسيرة النبوية تجد محلها الطيب في كتاب تفسير الأحكام، ونضرب لذلك مثلا بما كتبه المؤلف حول قوله تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾(٧)

فقد قال ما نوجزه في هذه السطور مع التصرف اليسير(٨):

قدّم الله ذكر ما علم أنه سيصيب المؤمنين ليوطّنوا أنفسهم عليه، فيكون أبعد لهم من الجزع، ويكونون مستعدين له، فلا يكون كالهاجم عليهم، كما فيه تعجيل ثواب الله على العزم وتوطين النفس، أما قوله:

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾(٩)

---

(٦) أحكام القرآن (مقدمة المؤلف ص٢٠ تحقيق موسى محمد على وعزت عطية.

(٧) البقرة (١٥٥).

(٨) أحكام القرآن ص٥١ للهراس، بتحقيق موسى محمد على وعزت عطية.

(٩) البقرة (١٥٦).

ففيه إقرارهم بالعبودية فى تلك الحالة، إذ فوضوا الأمور إليه، ورضوا بقضائه وسلموا بذلك، لأنه لا يقضى إلا بالحق كما قال تعالى:

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾(١٠).

ثم إن الصبر على جهات مختلفة، فما كان من فعل الله فله التسليم والرضا، وما كان من فعل العدو فهو بالصبر على جهاده والثبات على دين الله، وفى التلفظ بقول الله تعالى:

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ غيظٌ للأعداء لعلمهم بجد الصابر واجتهاده وربما ترقى الأمور بالصبر إلى أن يزهد الصابر فى مغريات الدنيا والرضا بما قسم الله، إذ صدر عن مالا يتهم فى عدله.

ولعل من الفتاوى التى أحدثت ضجيجا فى بغداد وقام بسببها خلاف كبير بين الفقهاء ما أفتى به الهراس فى لعن يزيد بن معاوية حيث قال فيما قال(١١): إنه لم يكن من الصحابة، لأنه ولد فى أيام عمر بن الخطاب، وللأئمة فيه أقوال مختلفة، ولنا قول واحد نصرح به ولا نلوح وكيف لا يكون ذلك - وهو جواز اللعن - وهو اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود، ومدمن الخمر».

وقد عارض الإمام الغزالى هذه الفتوى معارضة شديدة يجدها القارىء فى وفيات الأعيان(١٢) لابن خلكان حيث حرم لعن يزيد، وذكر أن قتل الإمام الحسين لم يكن بأمره، وأشبع هذا الموضوع إشباعًا، وأنا أشير إلى ذلك كى أؤكد أنّ فتاوى إلكّيا الهراس وفقهاء عصره لم تكنْ مقصورة على أحكام الفقه وحدها بل تعدتها إلى مسائل من التاريخ واللغة، ومن أطرف ما يروى من فتاواه أنه سئل عن الحكم فى رجل أوصى بنصف ماله للعلماء والفقهاء، فهل يدخل كتبة الحديث فى هذه الوصية(١٣) بدخلوهم مع العلماء والفقهاء لأن النبى ﷺ قال: «من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما»(١٤).

هذه عجالة تذكر بفقيه مفسر كان قرين الغزالى فى عصره، ولولا ضياع أكثر آثاره لتناقل العلماء آراءه على مر العصور، وها أنذا ألفت إليه أنظار الباحثين فقد يجدون مخطوطات له فى المكتبات العالمية فيسعون إلى نشرها مشكورين.

---

(١٠) غافر (٢٠).

(١١) الوفيات ج (٢) ص٤٤٨.

(١٢) الوفيات ج (٢) ص٤٤٨.

(١٣) الوفيات ج (٢) ص٤٤٨.

(١٤) هكذا جاء فى وفيات الأعيان ولم استطع تخريجه.

قصة العدد

رجولة وإباء

للأستاذ / شوقى محمود أبو ناجى

كانت الهزائم المروعة أكبر من أن يحتمل صدماتها إنسان مهما أوتى من الحنكة والجلد، حتى لو كان هذا الإنسان عظيم الروم الذى استطاع أن يثأر من الفرس [1] بعد توليه مقاليد الحكم، وقبل أن تمضى عشر سنوات على هزيمة الروم. وأجلاهم عن مصر والشام، واسترد الصليب الأعظم، ثم أعاده إلى بيت المقدس فى حفل بهيج، كما أن جيش الروم - الذى لقى المسلمين. أضعاف أضعاف جيوشهم، ولا يقاس ما لدى المسلمين من عدة وعتاد إلى ما توفر على حشده وتطويره خبراء الحروب فى الإمبراطورية منذ عقود خلت. لقد بدأت الهزائم فى اليرموك، ولم تنته بأنطاكية مرورا بعشرات النوازل التى روّعت جيوشه فى دمشق وفحل وطبرية وبيسان وبعلبك وحمص وحماه وشيزر واللاذقية وغيرها، وليست هذه الهزائم بأقل من مصيبته فى فقد كبار قواده الذين كان آخرهم « ميناس » [2] أعظم رجل فى المملكة بعد هرقل، وخرج عظيم الروم مضطرا من أنطاكية قاصداً القسطنطينية، وعندما وجد نفسه على ربوة تشرف على سورية الجميلة، نظر إليها والدمع يترقرق فى مآقيه قائلاً: « سلام عليك يا سورية سلامًا لا اجتماع بعده ولن يدخل إليك رومىّ إلا خائفًا ».

---

(١) هزم هرقل الفرس سنة ٦٢٥م.

(٢) «ميناس» كان ثانى رجل فى الامبراطورية بعد هرقل، قتل فى وقعة قنسرين وكان المسلمون بقيادة خالد بن الوليد، وقد علق عمر - رضى الله عنه - على بطولات خالد بقوله: «رحم الله أبا بكر، كان أعلم بالرجال منى» وأمّره عليها.

ظل هرقل ذاهلاً عن نفسه أيامًا لا يطاوعه عقله على التفكير فى شىء، فقد كان ما حدث أكبر من أن يستوعبه أو من أن يجد لنتائجه مقدمات مقنعة، وإن كانت تساؤلاته قد وجدت إجابة على ألسنة جواسيسه الذين نقلوا إليه صورة عن حال المسلمين فى اليرموك، فاستحضر ذهنه النتيجة الحتمية فى تعليق محكم «لئن كانوا كذلك ليملكن موضع قدمىّ هاتين» ولكنه لا يزال فى حيرة من أمر هؤلاء الذين يريد كل واحد منهم أن يموت قبل صاحبه.. ولم يشعر بشىء من السعادة أو الرضا عندما عرض عليه أحد قواده جماعة من أسرى المسلمين، إلا أن الأسئلة الكثيرة التى تتصارع فى بؤرة تفكيره دعته أن يأمر بتخير واحد من هؤلاء.

كان عبدالله بن حذافة السهمى جنديا فى جيش معاوية الذى وجهه يزيد بن أبى سفيان لفتح قيسارية حتى لا يصل إلى «أرطبون»[٣] مدد من البحر عن طريقها، وطال حصار أهلها، ولكن لسان الثقة بالنصر جعل يردد صدى ما قال خالد بن الوليد لأهل قنسرين: «لو كنتم فى السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا».

وتصل أخبار علقمة بن مجزز وحصاره لغزة وقصته مع «القيقار» وينتشى عبدالله بن حذافة لذكاء صديقه، ويستعيد ذكرياته معه، ويحاول أن يقتدى به[٤]، ويغرى جماعة معه بعمل فدائى ومبايعة على الموت فيقع بعضهم أسرى فى أيدى حامية المدينة التى تحتفظ بهم حتى بعد هزيمة الروم ومقتل ما يزيد على ثمانية آلاف، بلغوا بعد الهزيمة والفرار مائة ألف.

لم يدر عبدالله لم وأين ذهب الجند برفاقه من الأسرى وجىء به إلى هذه الغرفة الجميلة فى هذا القصر الفاخر، كما جىء له بأثواب من الحرير ولحم خنزير عزف منه، ولم يتبلغ إلا بكسرة من خبز وملح وحُمل الطعام لتدخل عليه فتاة بارعة الجمال فى أبهى زينة جعلت تغازله وتعابثه، وتميل عليه فى دلال فينفلت منها حتى أيأسها، فراودته عن نفسه فى صراحة فدمعت عيناه، وجعل يردد مرتجفًا «إنى أخاف الله رب العالمين».

وتركته الغانية بعد أن استيأست منه ليغلق عليه الحراس الباب يومًا كاملاً دون أن يُقدم إليه طعام أو شراب، وينظر إليه الحارس من كوة صغيرة بالباب فيجده إمّا مصليًا أو جالسًا يتأمل، ورغم جلسته

---

(٣) «كان أدهى الروم وأنكاها فعلاً (وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على سقطة ولا تشفية الرسل، فوَليه بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول عمرو، فأبلغه ما يريد وسمع كلامه، وتأمل حضرته حتى عرف ما أراده فقال الأرطبون فى نفسه: والله هذا لعمرو، أو أنه الذى يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأصيب القوم بأمر هو أعظم من قتله، فدعا حارسا فأمره بقتله، فقال: اذهب إلى مكان كذا فإذا أمرٌ بك فاقتله. ففطن عمرو بن العاص فقال للأرطبون: أيها الأمير، إنى سمعت كلامك وسمعت كلامى، وإنى واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالى لنشهد أموره، وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت، فقال الأرطبون: نعم فاذهبْ فأتنى بهم، ودعا رجلاً فساره فقال: اذهب إلى فلان فرده، وقام عمرو فذهب إلى جيشه، ثم تحقق الأرطبون أنه عمرو بن العاص، فقال، خدعنى الرجل، والله هذا أدهى العرب أ. هـ (عن البداية والنهاية جـ٤ ص٧٣).

(٤) كان علقمة بن مجزز قد حصر القيقار بغزة وجعل يراسله فلم يشفه أحد فأتاه كأنه رسول علقمة وكان بينه وبين القيقار مثلما كان بين عمرو ابن العاص والأرطبون، وكان عبدالله بن حذافة قد اشترك معه فى سرية (الكامل فى التاريخ ج٢، الواقدى ص٦٢، ٦٨٩/١١٠٩، ابن هشام ص٢١١ البداية والنهاية جـ٢، جـ٤، تاريخ الخميس للديار بكرى ص١٣٣، تفسير القرطبى جـ٥ تفسير ابن كثير جـ٢، أسد الغابة جـ٣.

وحيدا فى محبسه إلا أن الحارس يراه يبتسم بين الحين والآخر ولا يعلم الحارس أن عبدالله كان يستعرض شيئا من ذكرياته، فيرى نفسه وهو يحل حزام راحلة رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره حتى كاد ﷺ أن يقع(٥) ويستشعر شيئا من الندم على هذه وأشباهها، كما يشعر بالخجل الذى أسال عرقه عندما علمت أمه أنه سأل رسول الله ﷺ : « من أبى ؟ فأجابه ﷺ : أبوك حذافة(٦) .

كانت هذه الأحداث وأشباهها صغيرة فعلها من قبيل الدعابة التى عُرف بها . ولكنه الآن يشعر بالخجل من إتيانها .

ويبتسم عندما يقارن بين موقفيه :

الأول: فى بلاد الفرس عندما أرسله النبى ﷺ بكتابه إلى كسرى .

والثانى: فى بلاد الروم .

انصرف يوم بليلة دون أن يدخل فى جوف عبدالله طعام أو شراب، ثم دخل عليه الحارس وهو يحمل مائدة حافلة بلحوم الخنزير، فلا يتحرك ليصيب شيئًا منها وإن ابتسم عندما تذكر حجه مع النبى ﷺ وقد بعثه بعد انتهاء المناسك ينادى فى الناس : « أيها الناس . . إنها أيام أكل وشرب وذكر لله(٧) وقد كان هذا النداء مدعاة لممازحته من بعض أصدقائه وهم يصفونه بحب الطعام وإعزازه للثريد وها هوذا ليوم كامل لا تمتد يده إلى طعام لأن الله حرمه ولا إلى شراب أمر المؤمنين ألا يقربوه .

بلغ هرقل ما كان من عبدالله بن حذافة، كما أخبروه بما كان من بلائه وشراسته فى القتال، وجاءته الأخبار عن طريق أسرى المسلمين- أنه كان من الصحابة ذوى المكانة المتميزة، وأنه حمل رسالة الرسول ﷺ إلى كسرى، وكيف دخل مرفوع الهامة ولم يسجد أو يقبل الأرض أمام ملك الفرس الذى مزق الرسالة لأن الرسول ﷺ بدأها بنفسه، ثم استجابة رب محمد لدعائه عندما قال : « مزق الله ملكه » فقتله ابنه شيرويه .

ويعود هرقل بذكرياته إلى ثماني سنوات خلت عندما أدخلوا عليه دحية بن خليفة مبعوثًا من النبى ﷺ (٨) .

وأكرم وفادته ورده ردًا جميلاً، ولم يكن يتصور أن صاحب الرسالة التى حملتها إليه دحية بن خليفة

---

(٥) تفسير القرطبى جـ٥ ص٢٦ طبعة دار الشعب، أسد الغابة جـ٣.

(٦) نفس المصدر السابق.

(٧) بعثه الرسول ﷺ ينادى فى الناس: إنها أيام أكل وشرب.. إلخ وردت فى جميع كتب السيرة والتاريخ.

(٨) الذين بعثهم الرسول ﷺ فى العام السادس للهجرة هم:

- دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر ملك الروم واسمه هرقل.
- عبدالله بن حذافة السهمى إلى كسرى أبرويزبن هرمز ملك الفرس.
- عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة.
- حاطب بن أبى بلتعه اللخمى إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ومصر.
- عمرو بن العاص إلى جيفر وعياذ (فى ابن سعد/ وابن سيد الناس) ابنى الجلندى الأزديين ملكى عمان.
- العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين.
- شجاع بن وهب الأموى من أسد خزيمة إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى وابن عمهم جبلة بن الأيهم ملكى البلقاء من أعمال دمشق.
- المهاجر بن أبى أمية إلى الحارث بن عبدالملك الحميرى (فى ابن هشام عبد كلال الحميرى).

سوف تبلغ دعوته ما بلغت فى هذه السنين القصار، فيتوغل جنده فى دولة الأكاسرة فى الشمال الشرقى، وهاهم يجلونه عن الشام فى الجنوب الغربى، ولا يعلم إلا الله وحده متى وأين يقف زحفهم.

وتوقفت الخواطر التى تداعت على رأس هرقل عندما أوقفوا أمامه عبدالله بن حذافة مكبلاً بالحديد ليسأله: هل لك أن تتنصر وآمر بإخلاء سبيلك؟

– لا.

– أنى أرى فيك مخايل الشهامة، ولو تنصرت زَوَّجتك ابنتى وأشركتك فى ملكى.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾(٩).

– إذاً لابد من قتلك.

– افعل ما بدالك.

وأمر به فصلب، وطلب –بالرومية– من الرماة أن يرموا، قريباً من جسده، بينما يطلب منه هرقل –بين الحين والآخر– أن يتنصر فلا يجيب إلا بالنفى القاطع.

ويزداد عجب عظيم الروم من هؤلاء المسلمين الذين لا يبالون بالموت المحقق، ولا يزدادون إلا تمسكًا بعقيدتهم بينما تصله الأنباء عن دخول الآلاف ممن كانوا رعاياه فى دين الفاتحين.. ويأمر بإنزال عبدالله كما يأمر ببقرة النحاس المملوءة زيتاً فيوقد تحتها حتى يغلى الزيت ثم يؤتى بأحد الأسرى، ويطلب منه هرقل أن يتنصر فيأبى فيأمر بإلقائه فى البقرة فإذا عظامه تلوح، ويصرخ هرقل فى عبدالله:

– تنصر وإلا ألقيتك فى هذه البقرة.

– ما أفعل.

فأمر أن يلقى فى البقرة فبكى، فقال الجند لهرقل:

– إنه جزع وبكى.

– ردوه.

فقال له عبدالله وهو رابط الجأش:

– لا ترى أنى بكيت جزعًا، ولكنى بكيت حيث ليس لى إلا نفس واحدة يفعل بها هذا فى الله.. كنت أحب أن يكون لدىّ من الأنفس عدد كل شعرة فىّ، ثم تسلط علىّ فتفعل بى هذا.

فلا يزداد هرقل إلا إعجابًا، واستيقظت فيه أريحية القائد فرأى أنه ليس من الشجاعة الانتقام من هذا البطل وهو مكبل بالقيود فعاود عليه العروض المغرية من زواج ابنته ومقاسمته ملكه فيجيب بقوة: «لا أفعل» فيقول له هرقل: قَبّل رأسى وأطلق سراحك.

– أفعل على أن تطلق معى ثمانين من أسرى المسلمين.

– أفعل.

وصلت هذه القصة إلى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قبل أن يصل عبدالله بن حذافة ومعه الثمانين، حتى إذا وصل المدينة لقيه بعض من كان بينه وبينهم دعابة فقال له: قبلت رأس علج.

– أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين.

وما أن رآه عمر –رضى الله عنه– حتى تلقاه بين أحضانه وجعل يقبل رأسه قائلا: «حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبدالله بن حذافة، وأنا أبدأ بذلك».

---

(٩) الزمر (٤٧).

الدراسات الاستشراقية والأدب العربي

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

... ووضح اليوم مكان المستشرقين فى الدراسات العربية وسائر الدراسات الشرقية، فإذا صرفنا النظر عن عمل الكثيرين منهم فى دراسة اللغة لأغراض دينية أو سياسية، فهم قبل كل شىء مؤرخون أو أصحاب إحصاء وتسجيل، لم يعهد فيهم أنهم حجة فى آداب بلادهم.. فهم أحرى ألا يكونوا عندنا حجة فى آدابنا العربية، وبخاصة فى مسائل الذوق الفنى، واختيار الشعر، والحكم على الشعراء.

وهم بعد ذلك يجهلون روح اللغة، ويجهلون معانى الكلمات، وليس من الشائع بينهم أن يتوسعوا فى دراسة التاريخ العام للبلاد الشرقية إلى جانب دراسة اللغة، فيكثر عندهم من أجل ذلك أن يخطئوا فهم أطوار اللغة، جهلا منهم بأطوار التاريخ، وبما يستلزمه من موضوعات الشعر والخطابة وغيرها من التعبيرات القومية.

تذكرت هذه السطور اللامعة التى كتبها العقاد فى كتابه الممتع: (اللغة الشاعرة) وأنا أقرأ كتاب المستشرق الفرنسى ريجيس بلاشير: (تاريخ الأدب العربى - العصر الجاهلى).. لأن بعضا من الأحكام النقدية التى تضمنها هذا الكتاب، يمكن - بكل المقاييس - أن تعد أخطاء جسيمة، جر إليها ربما تعميم الأحكام، أو ربما تلقى هذه الأحكام عن الأغيار بشكل شمولى، دون أية استقصاءات نقدية تضع إبداع الشاعر أولا وأخيرا محورا لاهتمامات الدراسة الأدبية، ومعروف أنه بدون تأمل هذا الإبداع المحور والأساس، تبقى كل الدراسات سماعا يحتمل الصدق والكذب، وشهادة تحتمل الإنصاف والوشاية بلا تفريق.

فحين يؤكد (بلاشير) فى مقدمة كتابه، (تاريخ الأدب العربى - العصر الجاهلى) أن الباحث فى الأدب العربى يجد نفسه مضطرا

لتأييد نظرية تأثير الوسط على الأشكال الأدبية، وبالتالى عدم استطاعته تجاوز الوقائع أو الحط من أثر العباقرة والنوابغ فى عالم الأدب، فذلك ـ هنا ـ كما يرى (بلاشير) لأن (الفعالية الأدبية فى أدوار عدة، بل فى الأدوار الهامة، تظل جماعية، مجردة من كل خلق فردى أصيل، وإذا ما اتفق أن وجدنا خلاف ذلك، فإننا لا نلبث إذا أمعنا النظرة أن ندرك أن الظاهرة حركة تجديد أوجدتها فئة أو جماعة أدبية، أو هى صفة خاصة أقليمية) . . وتأسيسا على ذلك يقرر (بلاشير) أننا بلاشك ـ كما يقول :(نلحظ فى الأدب العربى، فى زمن معين، جهودا بذلت للخروج من نطاق اللاشخصية والارتفاع إلى مستوى إنتاج شخصى هو انعكاس لخلق المؤلف ومزاجه، غير أن تحقيق مثل هذه الأمور يظل فى حكم النادر، وينطبق على شخصيات فذة أمثال: المعرى والغزالى وابن خلدون، أو من هم دون هؤلاء أمثال أبى نواس والجاحظ والمتنبى، وكم من المفتنين الذين عجزوا ـ على مابذلوا من جهود ـ عن الخروج على القواعد الموضوعة والأذواق المؤقتة السائدة) .

ثم يعمّم (بلاشير) الحكم فيقول: (وعلى الجملة فالأدب العربى ـ وقد نلحق به آداب الشرق الأدنى ـ لم يعرف إلا فى ومضات خاطفة تلك الحاجة المرهقة الخصبة للتجديد والتمييز والمقارنة، وكل محاولة ملحة لكشف حالة أدبية متميزة عند أمثال أبى نواس وأبى العتاهية وابن الرومى، تؤدى بنا إلى تأويلات خاطئة) . . ويذهب إلى ترتيب هذه النتيجة على كل هذه المقدمات.

ويظهر أن الوضع الملائم هو إظهار الوشائج الكائنة بين أصحاب الآثار الأدبية والشعراء، وبين الوسط الذى عاشوا فيه، ثم فى إظهار الملامح التى تشكل النواحى المشابهة لتؤلف فيما بعد مجموعات أو « زمرا عقلية » . . إن مثل هذه الطريقة تقودنا إلى نتائج مخيبة، ولكنها الوحيدة التى تبعدنا عن الأهواء وتحول دون اطلاق صفتى الجدة والطرافة على آثار لاتملكها، والتى تنحصر فائدتها فى تجردها من هاتين الصفتين، وعندها تتبدل مرامى تلك الآثار، على اعتبار أنها ليست شواهد فردية بل تعبيرات منبعثة عن طبقة اجتماعية، أو طائفة تعكس فى آن واحد حياتها ومثلها العليا) ـ (المقدمة ـ ص١٤ ـ ١٥) .

- ٢ -

فهل صحيح كل هذا الذى زعمه (بلاشير)؟

هل يمكن الموافقة على أن الإبداع (العرقى) (كله) ليست فيه خصوصية تنبىء عن فرادة المبدع، وإنما هو مجرد صورة جماعية مكرورة، وفنانوه (زمر) تردد ماقيل بلا أية قدرة على إمكانية التجديد والابتكار، وتختفى فيه ملامح (الشخصية) ليذوب فى محيط (اللاشخصية) العام، وينوع على أساس (القواعد الموضوعة) (والأذواق المؤقتة السائدة)؟؟؟

وهل حقيقى أن الأدب العربى لم يعرف إلا (ومضات خاطفة) من التجديد والتمييز

والمقارنة؟؟؟

وهل كان (الوسط) الذى عاش فيه الشعراء العرب بالفعل جبريا فى توجيههم وجهة واحدة، وساحقا فى هذا التوجيه إلى هذا الحد الذى يجعل من جميعهم مجرد نسخ مكرورة أو حتى متشابهة؟؟؟

وهل ظل شعراء العربية يعبرون ـ كما يقول ـ ليس عن (عوالمهم الخاصة) وإنما عن (طبقة اجتماعية أو طائفة تعكس فى آن واحد حياتها ومثلها العليا)؟؟؟

لانريد أن نستعرض الأدب العربى كله، ولانستطيع أن نستعرضه كله، وإنما سنكتفى بتأمل بعض نماذج (الشعر الجاهلى) (والشعر الإسلامى)، وهما أقرب مراحل الإبداع العربى إلى هذه الصيغة الظالمة التى وضع بها (بلاشير) طوق الاتهام حول عنق كل هذه الظاهرة الشعرية العربية منذ الجاهلية حتى بدايات العصر الحديث.

فهل كان عالم امرىء القيس هو نفس عوالم طرفة بن العبد.. وزهير بن أبى سلمى.. وعنترة بن شداد.. وعمرو بن كلثوم.. والحارث بن حلزة.. ولبيد بن ربيعة.. شعراء المعلقات؟

وهل كانت عوالم هؤلاء الشعراء هى نفس عوالم الشعراء الصعاليك.. والشعراء الفرسان.. والشعراء المتألهين؟

ثم هل كانت دواوين القبائل نسخا لدواوين القبائل الأخرى، بلا تمايز يعبر عن خصوصية الإنسان، أو خصوصية الزمان، أو خصوصية المكان؟

نحن نعرف أن العالم الشعرى لطرفة بن العبد يتميز بعشق المغامرة.. والإحساس بالعرضية.. ونسيان الواقع الظالم فى أحضان المتعة والغياب:

ونعرف أن العالم الشعرى لزهير بن أبى سلمى يتميز برحابة التجربة. وحكمة الأشياء وأخلاقية الاتجاه.

ونعرف أن العالم الشعرى لعروة بن الورد يتميز بالتمّرد على واقع التفاوت، والانحياز إلى الجائعين والمتعبين.. والإلحاح المستمّر على عبور الذات إلى الآخرين.

فاذا انتقلنا من الجاهليين إلى الإسلاميين.. وجدنا العالم الشعرى لأبى نواس يتميز بعشق اللذة والذات.. والسخرية من كل المواضعات الاجتماعية والأخلاقية.. والصحْو آنا بعد آن فى بكائيات شفيفة ضارعة.

ووجدنا العالم الشعرى للمتنبى يتميز بطغيان الإحساس بالقوة.. وفلسفة الأشياء والقيم.. والتمزق النبيل بين محدودية الطاقة ولامحدودية الطموح.

ووجدنا العالم الشعرى للمعرى يتميز بتأمل الحياة والكون والصبر.. وتعرية الباطن الإنسانى وعرضه فى قسوة على ذاته.. والدعوة إلى رفض الافتراس فى تعاملنا مع الأحياء والأشياء.

فهل يمكن أن يقال ـ بعد كل ذلك ـ أن الإبداع العربى ليست فيه أية خصوصية مميزة؟

وليس لمبدعيه أية قدرة على الابتكار والتجديد؟ ولم يستطع أن يجسد ملامح (الشخصية) لفنانة؟ وأنه ظل طوال تاريخه أسيرا للأنماط السائدة والقواعد الموضوعة، والوسط الجبرى، والطبقة الأم؟

لقد أنصف النقد العربى القديم جهد الإبداع الشعرى لشعراء الجاهلية والإسلام، وحدد لكل عبقرية شعرية مجالها وخصوصيتها، فقال ابن سلام مثلا: (سألت يونس النحوى عن أشعر الناس، فقال: لا أومىء إلى رجل بعينه، ولكنى أقول: امرؤ القيس إذا غضب، والنابغة إذا وهب، وزهير إذا رغب).. ويبدو ذلك تحديدا علميا لخصوصية كل واحد من هؤلاء وتركيزا على المنحى الذى يشكل جوهر عالمه الذاتى.. وأمثال هذا التحديد كثير فى تراثنا النقدى القديم.

ولكنا ندرك أن أمثال (بلاشير) قد لايسلمون بالأحكام النقدية التى تنسب إلى علماء التراث العربى، على الرغم من علميتها وموضوعيتها معا، ومن هنا يجوز أن نجبههم بأحكام نقدية أطلقها مستشرقون معاصرون، أكدوا من خلالها خصوصية كل شاعر من شعراء العرب الكبار، على نحو يقطع بأن غياب (العالم الخاص) لكل شاعر منهم، فرضية لاتسكن غير عقول المتسرعين الذين لم يستطيعوا قراءة الموروث الشعرى العربى قراءة فاهمة.

يقول بروكلمان عن خصوصية عالم عنترة الشعرى: (وفن عنترة الشعرى، الذى نعرفه من معلقته بصورة أساسية، هو فى حقيقته فن بدوى نموذجى) (تاريخ الأدب العربى (١ / ٩١).

ويقول عن خصوصية عالم طرفة الشعرى: (وفضل النقاد العرب طرفة على سائر الشعراء بإجادته وصف الناقة فى معلقته على نحو لم يسبق إليه، ويميل بعضهم إلى عده أشعر شعراء الجاهلية) (تاريخ الأدب العربى - جـ ١ - ص٩٢).

ويقول عن خصوصية عالم زهير الشعرى: (ويروى لزهير سبع قصائد نظم كلامنها فى عام كامل، ومن ثم سميت الحوليات، وقد برز عنصر التهذيب والتعليم بقوة فى شعر زهير، ولاسيما فى معانى العتاب والزهد، حتى ظن بعض العلماء أنه خاضع لتأثير النصرانية، نعم كان تأثير النصرانية واسع الانتشار قديما فى جزيرة العرب، بيد أنه لايجوز من أجل ذلك عده نصرانيا) (تاريخ الأدب العربى - جـ ١ - ص ٩٥).

ويقول عن خصوصية عالم امرىء القيس الشعرى: (ويرى النقاد العرب أن امرأ القيس أول من استعمل النسيب وغيره من معانى الشعر فى أسلوب القصائد، ومن الخصائص العروضية فى شعره كثرة استعمال الضرب المقبوض فى الطويل، وكثرة الإقواء فى القافية، وكثرة التصريح فى غير أول القصيدة). (تاريخ الأدب العربى - جـ ١ - ص٩٩).

ويقول عن عالم الشنفرى الشعرى: (... أما فى لامية الشنفرى فيواجهنا مذهب شعرى مستقل، كما أكد ذلك بحق جورج ياكوب فى تقديمه للاّمية، وعلى حين يجعل الشعر الجاهلى وصف الطبيعة من الجبال والفيافى وغيرها، غرضا مقصودا لذاته، يتخذ شاعر اللاّمية هذا الوصف

بمثابة منظر أساسى بهيج لتصوير الإنسان، نفسه وأعماله، وإذا فليس هناك مايحملنا على موافقة قدامى اللغويين الذين اقتفى أثرهم كرنكو فى دائرة المعارف الإسلامية، والذين افترضوا لهذه القصيدة اللامعة بين قصائد الشعر الجاهلى شاعرا آخر غير الشنفرى الذى رويت له القصيدة). (تاريخ الأدب العربى - جـ ١ - ص ١٠٦ - ١٠٧).

ويلفتنا هذا النص الأخير إلى حقيقة نقدية ساطعة، وهى أن موافقة بروكلمان للنقاد العرب فى تحديد خصائص العوالم الشعرية لكل من عنترة وطرفة، وزهير، وامرئ القيس، ليست مجرد موافقة ناقلة، وإنما هى موافقة معقّلة، بدليل أنه حين لم يقتنع بما قاله النقاد القدماء الذين اقتفى أثرهم كرنكو، فى انتماء لامية الشنفرى، إليه أو إلى غيره، رفض وجادل وقرر.. وهذا يطمئننا إلى مدى بعيد بأن بروكلمان كان شريكا فكريا للنقاد العرب فى تأكيدهم على خصوصية كثير من شعراء الجاهلية واستقلال كل منهم بعالم خالص.

فإذا زعم بعض المستشرقين بعد ذلك- أن مجرد اشتراك هؤلاء الشعراء فى «الاتجاه العام» فى عصرهم، يلغى خصوصيتهم الفنية فهذا الزعم غير العلمى يسحب كل الأرض من تحت أقدام كل المذاهب الأدبية فى القديم والحديث على السواء.. إذ كيف إذن تكونت المذاهب الأدبية والفنية، فى القديم والحديث، فى الشرق والغرب، إن لم يكن من «هذا التوجه العام» الذى يعقد وشائج فنية بين «زمر» معينة؟ أو من مجموع إبداع عقليات أدبية وفنية استقطبت هما وجوديا وفنيا مشتركا، أسهم فيه كل عقل بمنظوره الخاص ورؤيته المتفردة؟ أو من التوفر على مضامين بذاتها شكلت توجه العصر الفنى إلى استقصاء هذه المضامين وصياغتها فى شكل فنى؟ أو من الالتقاء- حتى فى الشكل- صوراً، وأبنية، وتصاميم، ليؤكد أن حركة فنية ما لابد أن تتبادل عملية التأثير والتأثر، وتشكل بقبضها على هذه الملامح الشكلية عصراً فنياً له طبيعته الخاصة، وحضوره الخاص؟

على أنه من المعروف أن شعر المقطوعة مرحلة سابقة على شعر القصيدة وغالبا ما كان الشاعر يعبر من خلال المقطوعة عن ذاته وهمومه الخاصة، أى عن وجدانه الفردى، فلما طغى الإحساس بالجماعة، انعكس ذلك على الشعر، ولم يكن طغيان هذا الإحساس الجمعى سوى نتيجة لما أحاطت به الجماعة شاعرها من تكريم وحفاوة تاريخية، ولما أحاطت به شعره من تقدير يوشك أن يكون طقوسياً، ولما أحسه الشاعر- وسط ذلك كله- من دور قيادى جعل من انتمائه ضرورة حياتية وفنية لازمة، فغنى هموم الجماعة فى شعره، وكانت تلك مرحلة من مراحل تاريخية الشعر العربى.

ومع ذلك فقد ظل للشاعر صوته الخاص، وعالمه الخاص، الذى إن عجز- لهذا السبب التاريخى السالف- عن تضمينه فى قصيدته بكاملها، فإنه استبقى هذا العالم وهذا الصوت الخاص، فى مقدمات قصائده من جهة، وفى المنظور الفلسفى والموقف الفنى الذى يعكس

من خلاله تجاربه الشعرية من جهة أخرى.. مع ملاحظة أن الشعر إذا صار وجدانا جماعيا فتلك مرحلة تقدم وليس دليل اتهام.

إن اشتراك مجموعة من العبقريات الفنية فى عصر واحد، يعنى- على الفور- توجهها العام إلى هموم بذاتها، ومع ذلك فهو لا يلغى خصوصيتها فى الرؤية والإحساس والتشكيل، كما يعنى أن الحركة الإبداعية لهذه العبقريات تمتلك نوعا من الوعى الجماعى الذى يقود الإبداع فى اتجاهه، حتى يكون قادرا على التعبير عن مخاض عصره بلا غياب فى أنانيات تعبيرية مسطحة.

وقد يخيل إلينا أن الذى جرّ إلى هذا الموقف التعميمى، لدى بعض هؤلاء المستشرقين أنهم وجدوا «موضوعات» بذاتها تتكرر فى الشعر العربى، والجاهلى منه على وجه التحديد، فشبّه لهم أن تكرار هذه الموضوعات تكرار للمنظور الفنى الذى واجهها به هؤلاء الشعراء، ومن ثم شبه لهم أن البناء الفنى للشعر الجاهلى مجرد تنويع على أساس واحد بلا تحديد.

مع أنه معروف - من الوجهة النقدية - أن «الموضوع» لا يحدد قيمة الإبداع، فقد يتناول الموضوع الواحد شعراء متعددون، ويبدع كل واحد منهم، من هذا الموضوع الواحد، تشكيلاً جمالياً مختلفاً فى تكويناته وإيحاءاته بلا حد.

كما أن «الموضوع» فى «الشعر بالذات» لا يشكل سوى مجرد مُثير محرّض على الإبداع، مع التسليم بأن وحدته نابعة من تشابه الإطار المادى الذى يحيا فيه الشعراء ويعبرون عنه، ومن ثم تصبح هذه الوحدة وحدة مراوغة، لأنها تخدع المتلقى الساذج فتخيل إليه أنها هنا كما هى هناك، مع أن قليلاً من الغوص والتعميق يقفنا على حقائق المسافة الفاصلة بين قصيدة الطبيعة مثلا عند شاعرين يمتلكان منظورين مختلفين.

فإذا وصف شعراء الجاهلية منادح الطبيعة، أو مفاوز الصحراء، أو هذا النوع من الأحياء التى تشاركهم حركة واقعهم اليومى، فليس معنى ذلك أن كلا منهم يكرر الآخرين هكذا بلا تمييز، فبعضهم- كما حدثنا بروكلمان- كالشنفرى، لا يكرر وصف الطبيعة ككائن حيادى، أو حتى ككائن مراوغ، وإنما يصفها كإطار عام يتحرك داخله الإنسان فيترك عليه من طابعه، ويأخذ هو كذلك من طوابعه.. وقل مثل ذلك فى وصف الأطلال والناقة والرحلة.. إن كلا منها يبوح بمضمون إنسانى مختلف، فى هذا العمل الشعرى أو ذاك، لهذا الشاعر أو ذاك، مع تكررها بأعيانها الظاهرة فى كل القصائد تقريبا.

وهكذا يتحدد الحجم الحقيقى لمثل هذه الدراسات الاستشراقية، كما يتحدد حجم الدور المنوط بنا فى قراءة هذه الدراسات، وتقويمها، والتنبيه على بعض ما فيها من مغالطات فكرية، قد تكون نتيجة القصد، أو نتيجة القصور، أو نتيجتهما معاً، فشبابنا الطالع يظل أمانة فى أعناقنا، حتى يقوى عقله على التفكير المستقل، وجناحاه على التحليق البعيد.

مسئولية العلماء

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

العلم أمانة استودعها الله لدى العلماء الذين اصطفاهم من خلقه، ونوّه بقدرهم ومكانتهم ومنزلتهم، وأشاد القرآن الكريم بهم فى كثير من سوره مبينًا وموضحًا صور تفضيلهم..

فتارة يحكم بنفى التسوية بينهم وبين غيرهم، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(1).

فقد نفى ـ سبحانه ـ المساواة بين العالم والجاهل، فلا يستوى عند الله العلماء الذين يعلمون ويعملون بمقتضى علمهم، والذين لا يعلمون ويعملون بمقتضى جهلهم.

وتارة يقصر خشية الله على العلماء، فيقول جل شأنه:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾(2).

أى: إنما يخاف الله ـ تعالى ـ ويخشاه العالمون بما يليق بذاته وصفاته من تقديس وطاعة، وإخلاص فى العبادة، وإدراك وفهم لما يحيط بهم من أسرار خلق الله فى كونه، واستيعاب وتحصيل علوم الدين والدنيا، والعمل فى طاعة الله بمقتضاها... وكفى بهذه الآية الكريمة مدحاً للعلماء، حيث قصر ـ سبحانه وتعالى ـ خشية الله والخوف منه على العلماء..

وتارة يقصر الفهم السليم، والإدراك العميق لمعانى آيات القرآن الكريم، وفهم المقاصد والغايات والأهداف من الأمثلة التى يضربها فى القرآن الكريم على العلماء، فيقول عز وجل:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾(3).

(1) الزمر (9) .
(2) فاطر (28) .
(3) العنكبوت (43) .

فقد ساق القرآن الكريم أمثلة كثيرة ومتنوعة فى آيات سوره على سبيل الإرشاد والتوضيح، والتنبيه والتحذير، والترغيب والترهيب... غير أنه لا يعقل هذه الأمثال، ويفهم معانيها ومقاصدها، والهدف والغاية من ضربها إلا الراسخون فى العلم، المتدبرون فى خلق الله، الفاقهون لما يتلى عليهم.

وتارة يقصر توريث القرآن الكريم وماشتمل عليه من عقائد وأحكام، وعبادات ومعاملات، وآداب وتوجيهات على الذين اصطفاهم من عباده، فيقول سبحانه:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾(٤)

أى أعطينا العلم لمن اخترناهم من عبادنا المؤمنين، فهم مختارون من الخيار.

وتارة يعظم العلماء ويشرفهم بأن يقرنهم باسم الله واسم ملائكته يقول الله ـ تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾(٥).

فبدأ تعالى بنفسه وثنى بملائكته وثلث بأولى العلم، فهذا شرف عظيم للعلماء لايدانيه شرف، ودليل علي فضل العلماء وعلى مكانتهم ومنزلتهم عند الله، فلو كان يوجد أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء الذين سخروا ماأعطاهم الله من معارف فى خدمة دينهم وعقيدتهم، وفيما ينفعهم وينفع غيرهم، وأخلصوا لله فى عبادتهم، وصدقوا فى أقوالهم وأفعالهم، فاستحقوا أن ينالوا هذا الشرف العظيم...

إذن فمسئولية العلماء كبيرة، فهم مأمورون بحفظ هذه الأمانة وأدائها بنشر العلم وتعليم الناس، وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم، وحثهم على عمل ماينفعهم فى الدنيا والآخرة، ولن تؤدى هذه المسئولية على وجهها الصحيح إلا إذا كان العلماء قدوة حسنة فيما يأمرون به وفيما ينهون عنه..

وجزاؤهم عند الله كبير فى حالة قيامهم بأداء واجباتهم باخلاص لله من غير كبر ولا غرور، ولا نفاق ولا رياء، ولا تطلعاً لشهرة، ولا جرياً وراء الحكام للحصول على منصب أو جاه، ولا إراقة لماء وجوههم لتحصيل كسب مادى...

أما إذا قصَّر العلماء فى أداء واجباتهم، وخانوا الأمانة التى ائتمنهم الله عليها، واشتروا الدنيا بالآخرة، وتملكهم الكبر والغرور، ونسوا فضل الله عليهم فحجبوا علمهم عن الناس، أو استعملوه فى غير مايرضى الله، أو تملقوا الحاكم ونافقوا السلطان، وأهدروا كرامة العلم والعلماء جرياً

(٤) فاطر (٣٢).

(٥) آل عمران (١٨).

وراء تعيينهم في مناصب دنيوية زائلة، وغرّتهم الدنيا فوقعوا أسرى في زينتها وشهواتها.. فإن حسابهم - في تلك الحالة - عند الله عسير، وجزاؤهم في الآخرة النار وبئس المصير..

يقول الله تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(٦).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «مَنْ سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»(٧)، وعن كعب بن مالك عن النبي ﷺ قال: «مَنْ طلب العلم ليُجاري به العلماء، أو ليُماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار»(٨)، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تعلم علماً مما يُبْتَغي به وجه الله لايتعلمه إلا ليُصيب به عَرَضا من الدنيا لم يجد عُرف الجنة يوم القيامة»(٩)، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تعلم علماً لغير الله، أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار»(١٠).

وقد ذُكر عن موسى بن عمران - عليه السلام - أنه لما كلّمه الله تعالى - تكليماً، ودرس التوراة وحفظها، حدثته نفسه أن الله لم يخلق خلقاً أعلم منه، فهوّن الله إليه نفسه بالخضر - عليه السلام.

وقال مقاتل بن سليمان - وقد دخلته أبهة العلم - : سلوني عما تحت العرش إلى أسفل من الثرى.

فقام إليه رجل من القوم فقال: ما نسألك عما تحت العرش ولا أسفل من الثرى!!

ولكن نسألك عما كان في الأرض وذكَره الله في كتابه: أخبرني عن كلب أهل الكهف ماكان لونه؟ فأفحمه.

وقال ﷺ: «ألا أخبركم بشر الناس؟ قالوا: بلى يارسول الله. قال: العلماء إذا فسدوا»(١١).

وقال عيسى بن مريم - عليه السلام: «سيكون في آخر الزمان علماء يُزهِّدون في الدنيا ولا يَزهدون، ويرغّبون في الآخرة ولا يَرغبون، يَنْهون عن إتيان الولاة ولا ينتهون، يُقَرِّبون الأغنياء ويُبْعِدون الفقراء، ويتبسّطون للكبراء، وينقبضون عن الفقراء، أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن»(١٢).

(٦) آل عمران (١٨٧).
(٧) أخرجه احمد ٢/ ٢٦٣، ٣٠٥، ٤٩٥.
(٨) أخرجه الترمذى رقم ٦٥٤، وابن عدى ١/ ٣٢٦.
(٩) أخرجه أبو داود ب١٢ ، واحمد ٢/ ٣٣٨.
(١٠) ابن عدى ٥/ ١٨٢٧.
(١١) أخرجه أحمد ١/ ١٣٩.
(١٢) اتحاف السادة المتقين ٦/ ١٢٦.

وقال الفضيل بن عياض: كان العلماء ربيع الناس، إذا رآهم المريض لم يسره أن يكون صحيحاً، وإذا نظر إليهم الفقير لم يودّ أن يكون غنياً، وقد صاروا اليوم فتنة للناس.

وذكر عبدالرحمن بن عفان قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ماأقبح بالعالم يؤتى إلى منزله، فيقال: أين العالم؟ فيقال: عند الأمير، أين العالم؟ فيقال: عند القاضي، ما للعالم وما للقاضي، وما للعالم وما للأمير؟ ينبغي للعالم أن يكون في مسجده يقرأ في مصحفه.

وقال سفيان الثوري: العالم طبيب الدين، والدرهم داء الدين، فإذا جْتَرّ الطبيب الداء إلى نفسه فمتى يداوي غيره؟

أما العلماء الحافظون لأمانة العلم، المؤدون حقها كما أمر الله، العاملون بعلمهم، المخلصون في أداء رسالتهم، المتعففون عن جاه ومناصب الحكام، الزاهدون في تواضع فلا تغرنهم الحياة الدنيا بزينتها ومفاتنها.. فهنيئاً لهم بما يدخره الله لهم من ثواب، ومايجازيهم به من حسنات.

فعن أبي أمامة الباهلي قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجُلان: أحدهما عابد والآخر عالم. فقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضْلي على أدْناكم، ثم قال ﷺ: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت لَيُصلّون على مُعلِّم الناس الخير»(١٣).

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد»(١٤).

وعن عثمان ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»(١٥).

وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله ـ عز وجل ـ للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لفصل عباده: إني لم أجعل علمي وحلمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ماكان فيكم ولا أبالي»(١٦).

وللبيهقي: يبعث العالم والعابد، فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم.

***

---

(١٣) الترمذي ٢٦٨٥، الدارمي ١/ ٧٧.

(١٤) الترمذي ٢٦٨١، ابن ماجه ٢٢٢.

(١٥) اتحاف السادة المتقين ١/ ٨٠، القرطبي ١٧/ ٣٠٠.

(١٦) الترغيب والترهيب ١/ ١٠١، الدر المنثور ١/ ٣٥١.

خطبة الجمعة

ملامح القوة فى الإسراء والمعراج(*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصى

الحمد لله عز وجل، يحب معالى الأمور ويكره سفسافها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(١). أشهد أن لا إله إلا الله، يوسع فضله للمؤمنين الأتقياء، ويؤيد بعزته المناضلين الأوفياء: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾(٢). وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، هو بالمؤمنين رءوف رحيم، وللكافرين مقاوم خصيم، فصلوات الله عليه وسلامه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه: ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(٣).

يا أتباع محمد ﷺ:

نحن نتطلع الآن إلى نفحات ذكرى الإسراء والمعراج، وهى ذكرى تضم الكثير من العبر والعظات، واللائق بالمعتبرين أن يأخذوا من هذا الكثير الغزير ما يناسب ظروف حاضرهم، وما يحتاجون إليه فى إصلاح أمرهم، ونحن الآن فى مرحلة من الزمن تتطلب منا أن نكون أقوياء فى كل جانب من جوانب حياتنا، أقوياء فى إيماننا، أقوياء فى بنياننا، أقوياء فى أوطاننا، أقوياء فى عتادنا وجهادنا، أقوياء فى أخلاقنا وأرواحنا، حتى نحقق فى أنفسنا قول خالقنا جل جلاله:

(*) ألقيت فى يوم الجمعة ٢٥ من رجب سنة ١٣٨٨هـ الموافق ١٨ من اكتوبر ١٩٦٨م.

(١) الحج (٧٤). (٢) الذاريات (٥٨). (٣) الأنفال (٤).

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٤).

وللقوة فى حادث الإسراء والمعراج ملامح ماجدة متعددة، تتوجها قوة الله العلى الكبير، رب العزة والجبروت، وصاحب الملك والملكوت، الذى مجد نفسه، وعظم شأنه، وقدس ذاته، وأظهر قدرته على ما لا يستطيعه غيره، فقال مصورا جلال سلطانه، وعظيم فضله على إمام رسله فى معجزة الإسراء:

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٥).

ثم عاد فزكى رسوله صاحب المعراج عليه الصلاة والسلام بالقوة الربانية والعصمة الإلهية التى تجعله يعلو إذا هوت النجوم، ويهدى حين تضل العقول والقلوب فقال:

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾(٦).

وهذا صفوة الخلق محمد تحيط به وهو يسرى إلى ربه مظاهرة القوة المادية والمعنوية، الحسية والنفسية، القلبية والروحية، ليكون المثل الأعلى لأمته التى يطالبها ربها بأن تتحلى بكل ما يزينها من قوة، وأن تعد كل ما تستطيع من قوة، وأن تأخذ كل ما أتاها ربها بقوة، وأن تصون عزتها وكرامتها بالقوة:

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٧)

هذا رسول الله فى ليلة الإسراء والمعراج يتدرع بقوة القلب ونقاء الصدر، فيأتيه جبريل ليطهر أحناء قلبه بأمر ربه، ويملأه إيمانا وحكمة، ونورا ورحمة كما حدثنا نبأ الشق للصدر الكريم من النبى العظيم عليه الصلاة والتسليم، ثم انتظم موكب الرحلة، فى جلاله وجماله، فجبريل يقوم مقام الرفيق، وميكائيل يمسك بالزمام ليقود، وجبريل وميكائيل علمان من أعلام الملائكة، والملائكة فيهم غلاظ شداد، وهم أيضا عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ووسيلة الركوب والانتقال هنا ترمز إلى الخفة والسرعة والاقتدار على قطع المسافات فى أقل الأوقات، وهذه الوسيلة هى «البراق» والبراق يذكر بالبرق الخاطف السريع المضئ، ولذلك قالت السيرة: إن البراق لونه أبيض، فى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه، ويخطو الخطوة فإذا حافره فيها يقع عند نهاية بصره، فكأن سرعته أكثر من

(٤) الفتح (٢٩).
(٥) الإسراء (١).
(٦) النجم (١:٧).
(٧) آل عمران (١٣٩).

سرعة انتشار الضوء، وما هي إلا لحظات حتى حل سيد الخلق ضيفاً كريماً على بيت المقدس والمسجد الأقصى، ليتسلم مواريث النبوة وألوية الرسالات، بحكم أنه الرسول الخاتم، وأنه لا نبي بعده، وهناك تجلى عليه ربه بغرة القيادة وقوة الزعامة، فجمع له كيفما شاء جموع الأنبياء والمرسلين، ليبايعوه ويقدموه فيكون لهم إماما في صلاة ردد ذكراها لسان الزمان كأنها ترنيمة الوحدة في هذه الحياة:

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾[8].

ثم بدأت الرحلة لارتياد الفضاء وزيارة السماء، والصعود إلى أوج العلا والسناء، بدأت رحلة المعراج فكانت أول إشارة في تاريخ البشرية تعلم أمة نبي العلم والرفعة «محمد» أن تستجيب لهدى ربها حين يحثها ويدفعها إلى دراسة السماء مع الأرض، فيقول:

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[9].

وتدثرت روح محمد ﷺ بما تدثرت به من سمو، وتدرعت ذاته بما تدرعت به من حصانة، وركب المعراج بقوة من هيأ له ربه الانعتاق من كثافة الحس البشري الأرضي، والانطلاق إلى آفاق الملكوت الأعلى الرباني وأخذ يعلو ويعلو، وظل يسمو ثم يسمو، حتى جاوز مراتب الأنبياء كلهم في السماء، وبلغ ما لم يبلغه سواه، وهو في حال من الثبات العظيم والأدب الكريم، فالعقل مكين مجيد، والحس وقور وطيد، والبصر مستقيم رشيد:

﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾[10].

ولقد كان الرسول ﷺ وهو يتنقل في رحلة الإسراء والمعراج يرى جموعا من الملائكة وراء الجموع، وتحدث عن كثرتهم الهائلة، ثم استشهد على ذلك بقول ربه:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾[11] وكلمة «الجنود» هنا تذكر بالجيش، والجيش مظهر للقوة، فكأن معاني القوة كانت تحيط برسول الله ﷺ عن يمين وشمال.

وعاد صلوات الله وسلامه عليه إلى مكة مغمورا بفضل الله، مؤزرا بعناية مولاه، محفوفا بحراسته وقوته وهداه، عاد إلى مكة، وأصبح كما تروي السيرة، وهو في غاية الثبات والسكينة والوقار، بعد أن شاهد في تلك الليلة من المشاهد والآيات ما لو رآه غيره لطاش منه العقل وتزلزل الفؤاد، ولكنه النبي الفتي القوي العلي، الذي كان من أمر ربه على يقين، فلا تخيفه

(٨) القصص (٦٨).
(٩) يونس (١٠١).
(١٠) النجم (١٦ : ١٨).
(١١) المدثر (٣١).

معارضة المعارضين، ولا يزلزله شك المرتابين، ولقد تعلقت بثوبه بنت عمه أم هانيء مشفقة من مواجهته المشركين بحادث الإسراء والمعراج، وقالت له راجية: «يا نبى الله، لا تحدث الناس بهذا الحديث لئلا يكذبونك ويؤذوك» فيقسم لها بالله مؤكدا أنه لابد أن يحدثهم به، لأنه الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ومضى فأعلن النبأ وقص الخبر، لا يبالى لومة لائم، ولا سخرية كافر، وصارت معجزة الإسراء تكريما لرسول الله أى تكريم، وتمحيصا للمؤمنين أى تمحيص، وتمييزا بين من يصلح للجهاد والهجرة فى سبيل الدعوة ومن لا يصلح، وكثر المكذبون، وقل الموقنون، ولكن القلة المؤمنة تزايدت مع الأيام، وتضاءلت الكثرة الكافرة حتى أصبحت كالهباء، وأبى ربك العلى الكبير إلا أن ينصر عبده، ويعز جنده ويهزم الأحزاب وحده، وجاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا هكذا كانت ملامح القوة تحيط برحلة الإسراء والمعراج من كل جانب، لتكون تصديقا لقول الحق:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٢).

يا أتباع محمد ﷺ.

لا ينبغى الاقتصار فى ذكرى الإسراء والمعراج على الانبهار بجلال المعجزة وروعة الخوارق، بل ينبغى مع ذلك أن نستلهم فى هذه الذكرى كل معانى القوم لنحققها فى حياتنا فنلقى بها عدونا غدا، فنكون من المفلحين:

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(١٣)

واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون،،،

***

(١٢) المنافقون (٨).

(١٣) الأنفال (٦٠).

مؤسسات الاستيطان اليهودى فى إسرائيل

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

الحقيقة التى لا يجادل فيها أحد أن الاستيطان اليهودى هو جوهر المشروع الصهيونى، إذ يستهدف، فى المقام الأول، احتلال أرض فلسطين، واستقدام يهود العالم من شتاتهم فى كل أنحاء المعمورة، لتوطينهم فيها، بعد طرد سكانها الأصليين العرب، وترحيلهم منها بالقوة القاهرة، كما تشهد بذلك حقائق التاريخ الحديث والمعاصر. ويعتمد الاستيطان اليهودى على مفهوم صهيونى مفاده: « الدمج بين الاستيطان والدفاع من جهة، وبين الاستيطان والأمن من جهة أخرى »، إذ يعتقد القادة الصهاينة أن الربط بين النشاطين الاستيطانى والأمنى هو أحد الشروط الجوهرية من أجل تحقيق أهداف المشروع الصهيونى التى يأتى فى طليعتها خلق كيان يهودى نقى لا يخالطه أحد من غير اليهود. وفى هذا الإطار صار الاستيطان والأمن عنصراً رئيسياً واحداً لضمان تأمين الوجود اليهودى فى فلسطين، وأصبح إقامة أى مستوطنات جديدة فيها بمثابة تجمعات يهودية عسكرية، مجهزة للدفاع عن نفسها ضد أى تهديد عربى أو فلسطينى.

وفى هذا المقام فإن أسلوب الحياة الذى يمارسه المستوطنون داخل هذه الخلايا الاستيطانية قائم على دمج العمل الزراعى مع التدريب العسكرى لحماية أنفسهم، وضمان سلامتهم. ذلك مايؤكده « بن جوريون » أول رئيس حكومة إسرائيلية، ووزير دفاع بقوله: « إنه بدون المستوطنات كان من الصعب قيام دولة إسرائيل الوليدة، فلم نكن لنصمد فى هذه المعركة غير المتكافئة بيننا وبين العرب، فقد خضنا، بمفردنا، حرباً عام ١٩٤٨ أمام أربعة جيوش عربية هى مصر والأردن والعراق وسوريا. ولولا استيطاننا، وعلى رأسه الاستيطان العامل، لم تكن لتبقى قوة جيشنا، ولم نكن لنتمسك بمواقعنا فى غور الأردن، ولا فى الجليل الأعلى » ولتأكيد أهمية الاستيطان فى حياة الكيان الإسرائيلى الوليد، يضيف « بن جوريون » قوله: « يجب علينا أن نبنى سلسلة من المستوطنات، تمثل أكاديمية عسكرية من مستوطنين ومقاتلين،

مستوطنون صهاينة يطوفون فى شوارع القدس العربية ببنادقهم يبحثون عن أماكن جديدة يقيمون فيها مستوطنات بقوة السلاح

من مزارعين وجنود، وهذا ماتفرضه علينا الظروف الجغرافية والسياسية والاقتصادية، فبدون حرب لن نقيم مستوطنات، وبدون مستوطنات لن ننتصر فى الحرب». وغنى عن القول أن هذه المستوطنات، والحال هذه، ليست ثكنات مدنية فقط، بل هى ثكنات عسكرية فى الدرجة الأولى.

لذلك يجب لفت الأنظار إلى أن سياسة الاستيطان تسعى لضمان السيطرة، والسيادة اليهودية على أرض فلسطين العربية، ولقد شاركت العديد من المؤسسات المعنية بالنشاط الاستيطانى فى تنفيذ هذه السياسة الاستيطانية منذ قيام الكيان الإسرائيلى الغاصب على الأرض الفلسطينية عام ١٩٤٨، وسوف أتناول فيما يلى بالبيان الواضح ماقامت به هذه المؤسسات الصهيونية من جهود فى هذا الصدد لتكريس الاحتلال اليهودى فى فلسطين العربية، وقطع التواصل الجغرافى لها بما تقيمه عليها من مستوطنات.

لجنة مشكلات الاستيطان والرى

تشكلت هذه اللجنة من شعبة الاستيطان التابعة للوكالة اليهودية، والصندوق القومى الإسرائيلى، والمركز الزراعى التابع للهستدروت (اتحاد نقابات العمال الإسرائيلى)، وممثلى سكرتارية حزب الماباى (وهو أساس حزب العمل الحالى) وممثلى قيادة «الهاجاناه» فى ذلك الوقت قبل إدماجها فى إطار الجيش الإسرائيلى. وقد كُلِّفت هذه اللجنة بإعداد خطة الاستيطان لسنوات ١٩٤٧ - ١٩٥١ التى تضمنت الاستيطان الأمنى للحدود الشمالية لفلسطين، وتعمير صحراء النقب. وتلفت الانتباه إلى أن هذه اللجنة تحولت إلى هيئة حكومية باسم «لجنة التنسيق بين المؤسسات الاستيطانية».

وبذلك اقتصر نشاطها على التنسيق بين المؤسسات المشتغلة بالأنشطة الاستيطانية فى دولة الكيان الصهيونى. ولا يفوتنى أن أذكر أن «ليفى أشكول» كان على رأس هذه اللجنة فى بداية عملها، بالإضافة إلى رياسته لشعبة الاستيطان التابعة للوكالة اليهودية التى سأتناولها بالبيان فيما بعد.

شعبة الاستيطان التابعة للوكالة اليهودية

بدأت هذه الشعبة أول نشاطها فى العشرينات بوضع حجر الأساس لمشروع الاستيطان اليهودى فى فلسطين، وقد تولت ـ عقب قيام إسرائيل ـ مسئولية التخطيط لبناء المستوطنات، وتعيين مواقع بنائها بالتنسيق مع الوزارات الحكومية الإسرائيلية المسئولة عن الأمن والدفاع والاقتصاد، بالإضافة إلى إقامة البنية التحتية للمستوطنات الجديدة، من طرق، ومياه، وكهرباء، واتصالات، وتدبير التمويل اللازم لمختلف الأنشطة الاستيطانية. هذا وتولى «ليفى أشكول» رياسة هذه الشعبة، وأصبح هو الرجل الأول ـ منذ نشأة الدولة ولمدة ١٥ عاماً ـ والمسئول عن مؤسسات النشاط الاستيطانى إلى أن انتخب فى عام ١٩٦٣ رئيساً للحكومة الإسرائيلية، وظل على رأس الحركة الاستيطانية لسنوات طويلة، قام خلالها بتأسيس شركة «مكوروت» للمياه التى تمد المستوطنات الجديدة والقائمة بالمياه اللازمة لها.

الصندوق القومى الإسرائيلى

يعتبر الصندوق القومى الإسرائيلى شريكاً رئيسياً مع الوكالة اليهودية فى مشاريع الاستيطان إذ يقوم بتمويل شراء الأراضى فقد اشترى، فى بداية نشاطه، حوالى ٢ مليون دونم من الأراضى الزراعية من حكومة إسرائيل،ونقلها إلى ملكية الشعب الإسرائيلى، وشارك فى بناء المستوطنات الجديدة وساهم فى تجديد القائم منها. ومن أهدافه شق الطرق، وتعبيدها، والمحافظة على الثروة الغابية، والتوسع فى أعمال التشجير. وتجدر الإشارة إلى أن الصندوق القومى الإسرائيلى يتلقى الكثير من الأموال من يهود العالم لتمويل النشاط الاستيطانى. هذا وقد تحمس القائمون على رأس الصندوق لفكرة الاستيطان فى الأراضى العربية التى يجرى احتلالها عسكرياً لخلق حقائق يهودية جديدة على الأرض العربية، قد تكسبهم واقعاً يهودياً يتذرعون به لإثبات حق ليس لهم فى أى تسوية سياسية قادمة.

المركز الزراعى التابع للهستدروت

وهو من أقدم المؤسسات الاستيطانية التى تقوم بالتنسيق بين الحركات الاستيطانية، وتمثيلها فى أى اجتماعات، والتعاون فى تخطيط المستوطنات الزراعية الجديدة، وتدبير الموارد المالية لأى موازنات يتم وضعها، بخصوص المستوطنات، وإعداد البرامج التدريبية لتأهيل المرشدين الزراعيين للعمل فى المستوطنات الكيبوتزته (المزارع الجماعية) بالإضافة إلى إعادة تأهيل الجنود العسكريين الراغبين فى الانخراط فى هذه المستوطنات الزراعية بعد تسريحهم من الخدمة العسكرية، ولم يقتصر دور المركز الزراعى عند هذه المهام، بل قام بإنشاء المدارس الزراعية لتدريب الفلاحين القدامى والجدد على اكتساب المهارات الزراعية التى تعينهم فى العمل بالمستوطنات الزراعية.

وزارة الدفاع الإسرائيلى

شاركت أول وزارة للدفاع الإسرائيلى برياسة «بن جوريون» فى النشاط الاستيطانى، بوصفه

جزءاً من النشاط الأمنى على ثلاثة مستويات :

الأول قام فيه « دافيد بن جوريون » برياسة لجان الحوار، حول أمور الاستيطان، مما ساعد على إزالة الكثير من المعوقات البيروقراطية، وإيجاد الحلول الملائمة للعديد من مشكلات الاستيطان اليهودى،

والثانى بادر فيه « بن جوريون » بترشيح عدد من الشخصيات الخبيرة بأمور الاستيطان فى مناصب الحكومة الهامة.

والثالث سارع فيه وزير الدفاع الإسرائيلى بإنشاء عدة هيئات تتولى مهمة التخطيط، والتنفيذ لسياسات الاستيطان فى الأرض العربية المحتلة، وفى سياق العمل الاستيطانى أنشأت وزارة الدفاع « شعبة تأهيل وتوطين الجنود » مهمتها تأهيل الجنود المسرحين من الخدمة العسكرية للدفاع عن المستوطنات، وإعادة تأهيل الجنود المصابين فى العمليات الحربية، ورعاية أسر الضحايا. وقد تفرع من هذه الشعبة « قسم الاستيطان الزراعى » لتأهيل الجنود الذين اختيروا للعمل الزراعى فى المستوطنات الزراعية، وإعداد برامج التدريب الاستيطانى، وتحديد إمكانيات الاستيعاب فى الاستيطان الزراعى، وإدارة النشاط الإعلامى بين الجنود من خلال إعداد الندوات، والمؤتمرات، والمحاضرات، ومدهم بالمطبوعات والكتيبات لرفع المستوى العلمى، وتحسين قدرات هؤلاء الجنود المرشحين للعمل فى المستوطنات، وربط الخلايا الاستيطانية بشبكة من الطرق الالتفافية، ووضع ميزانيات المستوطنات بالتعاون مع المؤسسات الاستيطانية الأخرى التابعة للحركة الصهيونية.

القيادة العامة لهيئة الأركان الإسرائيلية

إنشئ فرع للاستيطان فى قيادة الأركان بالجيش الإسرائيلى برياسة « ضابط استيطان » يتولى مايتعلق بالنشاط الاستيطانى الجديد. وقد قام فرع الاستيطان بتقديم أول خطة استيطانية عاجلة فى ١٨ / ٤ / ١٩٤٩ لإقامة مستوطنات متتالية على طول الحدود الفلسطينية الإسرائيلية كنقاط للحماية العسكرية، ومستوطنات فى خط ثان لتأمين مؤخرة استيطانية للنقاط الحدودية، وتأمين اتصالات منتظمة مع مراكز الاستيطان، ودعم السيطرة الكاملة على طرق النقل الرئيسية فى إسرائيل، وتهويد كل المناطق التى تتمتع بأهمية استراتيجية مثل الجليل الأعلى والأوسط ـ ويجدر ذكره أن القسم التنفيذى بشعبة العمليات فى الجيش الإسرائيلى لفرع الاستيطان، قد ساهم فى وضع سبعة مبادئ أو أسس أمنية لأى استيطان جديد نذكر منها القدرة على الدفاع المدنى لكل مستوطنة، وإمكانية التعاون المتبادل بين المستوطنات، والدفاع فى العمق، وبناء نظام استيطانى يكفل السيطرة الكاملة على المناطق الحيوية لسد محاور احتمالات الغزو العربى، والقدرة على التصدى الفورى لأى هجوم عربى معاد، وخلق قاعدة قوية لقوات الجيش النظامى العاملة فى منطقة الاستيطان. واللافت للانتباه أنه يوجد « سلاح الهندسة » التابع لهيئة الأركان، مهمته التعاون مع قسم التخطيط بالوكالة اليهودية فى إعداد نماذج جديدة تلبى المتطلبات الأمنية للمستوطنين، حتى يمكن تخطيط الاستيطان الزراعى على منوالها.

على أنقاض بيتهم جلسوا وهم وضرباؤهم انتظارًا لترحيلهم تمهيدًا لإقامة مستوطنات جديدة للصهاينة

مكتب رئيس الوزراء

تم إنشاء جهاز للتخطيط تابع لمكتب رئيس الحكومة، فى إطار اهتمام الحكومة بالاستيطان، وقد تفرع من هذا الجهاز وحدتان رئيسيتان، إحداهما للتنسيق والتخطيط الاقتصادى، والأخرى للتخطيط الهندسى، إذ تولت الوحدة الأولى تنسيق الأعمال المرتبطة بالشئون الاقتصادية فى مختلف وزارات الحكومة الإسرائيلية، والتعاون مع الوكالة اليهودية فى تأهيل المستوطنين المرشحين للعمل فى المستوطنات الجديدة. وتقوم وحدة التخطيط الهندسى برسم نقاط الحدود الاستيطانية، وتحديد المواقع الملائمة لإقامة المستوطنات، وكيفية الربط بينها، ورسم خريطة أهداف الاستيطان، ويأتى على رأسها، دمج الاستيطان فى نظرية الأمن القومى الإسرائيلى.

وفى إطار السياسة الاستيطانية فى إسرائيل تشارك وزارات الزراعة، والبناء والإسكان، والبنى التحتية، كل فيما يخصه فى خطة الاستيطان العامة وتخصيص الاعتمادات المالية اللازمة لتمويل بناء الوحدات السكنية فى المستوطنات.

وفى الختام يمكن التأكيد على أن التعاون والتنسيق القائم بين المؤسسات الاستيطانية التى جرى عرضها فى هذا المقال هو ترجمة واقعية لأهداف المشروع الصهيونى الذى يهدف إلى نقل الفائض البشرى اليهودى من بلاد الشتات إلى فلسطين العربية، وتحويله إلى مادة حربية مقاتلة، لذلك تستند كل خلية استيطانية يهودية إلى قوة ذاتية عسكرية من سكانها، تتولى الدفاع عنها.

ويمكن القول أن فكرة الاستيطان اليهودى لا تهدف فقط إلى اغتصاب كل قطعة أرض من فلسطين، بل تهدف، فى المقام الأول، إلى خلق واقع يهودى جديد بما تزرعه المؤسسات الاستيطانية الصهيونية من مستوطنات على الأراضى الفلسطينية المغتصبة لطمس معالمها العربية، ومحو ملامحها الإسلامية.

رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المُسْتَضْعَفين وأنت ربى، إلى من تكلُنى؟.. إلى بَعيدٍ يتجهمنى أم إلى عَدوٍ مَلَّكْتَه أمرى؟.. إن لم يَكُن بكَ غَضَبٌ علىَّ فلا أُبالى، غَيْرَ أن عافيتك هى أوْسع لى، أعوذُ بنُورِ وَجْهك الذى أشرقت له الظُلُمات، وصَلُحَ عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تُنْزِل بى غضبك، أو يَحل علىَّ سَخَطُك، لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله »(١).

دعاء نكاد نحفظه، أو نحن نحفظه بالفعل.. دعا رسول الله - ﷺ - به ربه بعدما لقى من الكفار ما لقى من عنت وأذى فى سبيل نشر كلمة التوحيد، كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).. وأراد المولى - عز وجل - أن يُسَرِّىَ عن نبيه الكريم.. صلوات الله وسلامه عليه، فكانت رحلة الإسراء والمعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماوات العُلا.. إلى سِدْرَةِ المُنْتَهى.

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٢).

ليزداد الارتباط الإسلامى قوة بمدينة المسجد الأقصى.. بعد أن أصبح أولى القبلتين، وثالث الحرمين بمقتضى الحديث الشريف: « لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى ».

صارت القُدْس، وصار المسجد الأقصى معراج رسول الله ﷺ إلى السماوات العُلا.

.. ولكن اليهود فى المدينة أصابهم الجنون من جراء خروج النُبُوَّة منهم وانتقالها إلى العرب، فناصبوا نبى الإسلام - ﷺ - العداء لتبدأ القصة الحقيقية لحقيقة ما يجرى اليوم على أرض فلسطين..

فالعداء دينى، ودينى محض، وهُم الذين صنعوا هذا العداء، فبينما حرص رسول الله - ﷺ - بمجرد مقدمه المدينة المنورة على إعلان دستور ينظم العلاقة بين جميع الطوائف التى

(١) سيرة بن هشام.

(٢) الإسراء (١).

تعيش فيها بشكل يساوى بين الجميع.. مسلمين ويهود فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، كانت قِصَصْ الخِسَّة التى حكى عنها قرآننا وتوراتهم، وأقل القليل من ذلك ما ورد عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت: استأذن رَهط من اليهود على النبى ـ ﷺ ـ فقالوا: السامُ عليك (بدلاً من أن يقولوا السلام عليك) فَقُلْت: بل عليكم السام واللعنة.. فقال: يا عاشة، إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله. فقلت: أولم تسمع ما قالوا؟.. قال: قلت: وعليكم[٣].

ذهبوا ليتحدثوا مع رسول الله ﷺ ليسمع منهم ويسمعوا منه، وبدلاً من أن يبتدروه بالسلام، ابتدروه بما هم أهل له، فهم ليسوا أهل سلام، بل أهل شر، وهلاك.

وينتقل الرسول الكريم إلى جوار ربه، لتبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ الدولة الإسلامية وتُصْبح فلسطين بما فيها القدس جزءاً لا يتجزأ من الدولة الناشئة طوال ما يزيد على ألف وأربعمائة عام. أجل، القدس كانت ولازالت وستظل إسلامية، وإن كان قد أتى عليها حين من الدهر واحتلها الصليبيون ما يقرب من مائة عام.

إلا أن هذا الاحتلال لم يَلْغ إسلاميتها، ولا عروبتها، والدليل على ذلك أنه بعد مائة عام لم يعد هناك أثر للممالك والإمارات الصليبية التى جرى إنشاؤها آنذاك فى فلسطين بصفة عامة، والقدس بصفة خاصة.

والاحتلال الصهيونى الذى ابْتُلِيَت به فلسطين منذ بدء استيطان العصابات الصهيونية لها فى نهاية ثلاثينيات القرن المُنْصَّرِم لم ولن يلغى عروبتها وإسلاميتها.

ويخطىء من يظن أن هناك مأزقاً فلسطينياً، الفلسطينيون لا يواجهون أية مآزق، إنهم يناضلون، يقاتلون من أجل استرجاع حقوقهم، ومن يقاتل من أجل الحصول على حقه لا يواجه مأزقاً، فهو إن قُتِلَ فلا إثم عليه ولا تثريب، وإنما هى الجنة، وإن ظَفرَ فذلك هو غاية المرام.

أما الذى يواجه المآزق فإنهم (المُهَجَّرون) المَنْفيون من رحمة الله. ودائماً اللص يخاف عاقبة لصوصيته، دائماً هو فى خوف وهلع وذعر.

فعلى مدار ما يقرب من ثلاث سنوات متصلة عجزت آلة الحرب الأمريكية ـ الإسرائيلية عن دحر أبطال جيش التحرير الفلسطينى، بل على العكس، أدى العدوان الأمريكى ـ الإسرائيلى إلى حشد الشعب الفلسطينى كله بأطفاله قبل شيوخه، وشيوخه قبل نسائه، ونسائه قبل شبابه ورجاله، حَشَدَهُم جميعاً تحت راية المقاومة... الكل يعيش الآن تحت السلاح، يستظل بظله، الكل يعيش المواجهة، المقاومة، الحرب (الجهاد) والكل يملؤه (الحماس) انتظاراً لـ (فتح) قريب إن شاء الله، وتلاحمت الصفوف واختفت الخلافات وفشلت سياسة (فَرِّقْ تَسُدْ).

أجل هناك ألم، هناك حزن، هناك صراخ، لكن لا مكان لليأس ولا للهزيمة أو الخوف، لم يُهَاجر الفلسطينيون فراراً من آلة العدوان الأمريكية ـ الإسرائيلية كما حدث عام ١٩٤٧، عقب مذابح دير

(٣) البخارى ١٤/٨، ٧١، ١٠٤، ٩/٢٠.

ياسين وكفر قاسم، وغيرها، بل صمدوا وقاتلوا، وهذا هو ما يدفع أمريكا وإسرائيل إلى الجنون.. شيمون بيريز قال: (رجل عجوز تجاوز السبعين يدفعنا جميعاً للجنون).. إنه يقصد الرئيس الفلسطيني، أو المجاهد الفلسطيني الكبير ياسر عرفات.

.. والغريب أن بيريز يعلق على المطالبة الأمريكية ـ الإسرائيلية بعزل عرفات بقوله: «ليس من مسئوليتي إعفاء أي شخص من وظيفته، والأمر متروك للفلسطينيين»(٤).

.. وعرفات رئيس مُنْتَخَّب من قِبَلْ الشعب الفلسطيني، وانتخابه تم تحت إشراف دولي، وكانت الولايات المتحدة نفسها إحدى الدول المشاركة في الإشراف على هذه الانتخابات، ثم إذا كان الإسرائيليون لا يرغبون في وجود عرفات كرئيس للسلطة الوطنية الفلسطينية، فهل يتصور أحد أن الفلسطينيين يوافقون على وجود شارون كرئيس لوزراء إسرائيل؟!..

المشكلة الحقيقية التي تؤرق إسرائيل اليوم هي صمود القيادات الفلسطينية، قيادات الصف الأول، وثباتها في المقاومة، في حين أن الذي يهرب ويفر الآن، هم الإسرائيليون أنفسهم، فالتقارير الإعلامية الدولية، بل والإسرائيلية تتحدث عن هجرات معاكسة يقوم بها الإسرائيليون من الداخل إلى الخارج.. خارج أرض الميعاد المحتوم..

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(٥).

مؤخراً ذكرت مجلة «دير شبيجل» الألمانية أن نحو ألفي إسرائيلي تقدموا بطلبات إلى وزارة الخارجية الألمانية للحصول على الجنسية الألمانية بسبب فقدانهم الأمل داخل إسرائيل، مما جعلهم يفكرون في الهجرة العكسية إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، توقعت المجلة أن يرتفع عدد طالبي الجنسية الألمانية من الإسرائيليين إلى ما لا يقل عن ثلاثة آلاف!..(٦).

ثلاثة آلاف إسرائيلي يطلبون الجنسية الألمانية! وألمانيا دولة مكروهة إسرائيلياً على المستوى الشعبي بسبب مذابح النازي ضد اليهود، معنى هذا أنه إذا هاجر ثلاثة آلاف إسرائيلي إلى ألمانيا، فلابد أن يكون عدد المهاجرين إلى الولايات المتحدة لا يقل عن ثلاثين ألفاً، وربما ثلاثمائة ألف.

إنهم يخافون الهجمات الانتحارية التي صارت أمضى سلاح فتاك يشهده الصراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني في تاريخه، استطاع الفلسطينيون باللجوء إلى هذه العمليات الانتحارية خلق معركة جديدة يقف في مواجهتها الجيش الإسرائيلي، أحد أقوى جيوش العالم وأكثرها تسليحاً عاجزاً عن توفير الأمن لنفسه ولشعبه.

وهناك أنباء عن تحقيقات واسعة النطاق تجريها الأجهزة الأمنية الإسرائيلية مع عدد من ضباط وجنود جيش الاحتلال الإسرائيلي تم اعتقالهم مؤخراً، أتدرون ما تهمتهم؟!.. إنها بيع أسلحة للفلسطينيين، أسلحة تخص الجيش الإسرائيلي، يبيعونها بنصف وربع ثمنها، وأحياناً يباع الرشاش ومعه رشاش آخر هدية

(٤) الأهرام ١٧ من أغسطس ٢٠٠٢م.

(٥) الشعراء (٢٢٧).

(٦) الجمهورية ١٨ من أغسطس ٢٠٠٢م.

على سبيل إغراء المشترى الفلسطينى.

حتى وهم يواجهون المحنة، لم ينس أحفاد (السامرى و (قارون) وأبناء (شايلوك) صفاتهم الأخلاقية المكتسبة.. الاتجار بكل شىء حتى ولو كان هذا الشىء أجسادهم هم أنفسهم، فالمهم عندهم فقط هو المال، لا أمانة ولا مبدأ ولا شرف ولا أخلاق!!!...

إنهم هم الذين يواجهون المأزق لا نحن... انتصر أطفال الحجارة على آلة الحرب الأمريكية الإسرائيلية... انتصروا حتى الآن.. أتدرون لماذا؟!.. لأنهم ببساطة شديدة لم يُهْزَموا، لم يركعوا، والرأى العام الإسرائيلى يقول حالياً: (إذا كنا عجزنا بما نملك من أحدث ما هو موجود فى ترسانات السلاح العالمية، وبكَمٍ يتفوق على الجيوش العربية مجتمعة عن تحطيم شوكة هؤلاء الأطفال، فماذا يمكن أن نفعل فى مواجهة الجيوش العربية النظامية إذا وَقَعَتْ الحرب؟!..).. من هنا كان الفرار الإسرائيلى من الداخل إلى الخارج، من هنا كان التراجع عن الهجرة إلى أرض الميعاد، بعد أن أدرك هؤلاء حقيقة ذلك الميعاد.

جورج بوش الابن، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية حاول أن يخفف من حالة الهلع التى تنتاب الشارع الإسرائيلى فقال: (لن نسمح لأحد بأن يسحق إسرائيل).. فهل حقاً إسرائيل مهددة بالانسحاق تحت وطأة الانتفاضة الفلسطينية؟.. حتى أن الولايات المتحدة نفسها تهدد بالتدخل العسكرى بجوار إسرائيل.

شيمون بيريز يخشى من غضبة جيش التحرير الفلسطينى، جيش أطفال الحجارة فقال معتذراً عن مجزرة ارتكبتها القوات الإسرائيلية ضد عدد غير قليل من الأطفال فى غزة.. (الخسائر البشرية فى غزة أُسيئ تقديرها)[7].

.. وقال فى مناسبة أخرى: «إسرائيل أصبحت بالفعل مسئولة عما يحدث فى المناطق الفلسطينية، وأنه يتوجب عليها الاعتناء بتحسين الوضع الاقتصادى والتغلب على المشاكل الإنسانية الأكثر إلحاحاً»[8].. وفى مناسبة تالية قال: «إن الأعمال العدائية تتسبب فى ضياع الوقت، ولابد من اللجوء إلى المفاوضات»[9].

إنه اعتذار الخائف المُرْتَعِد من العواقب الوخيمة للعدوان الأمريكى - الإسرائيلى.

الشعب الفلسطينى لا يواجه أى مآزق، وتخطئ وسائل الإعلام العربية إن اعتقدت ذلك أو حاولت استجداء المشاعر نحو الشفقة بالشعب الفلسطينى البطل المقاتل بحثاً عن نيل حقوقه المشروعة.

الذى يواجه المآزق حقاً هو شارون، الذى فشل حتى الآن فى استدراج مصر إلى حرب أعد هو عدتها على غرار ما حدث عام ١٩٦٧، ويوماً بعد يوم يقوم باستدعاء قوات جديدة من الاحتياط بزعم مواجهة أبطال جيش التحرير الفلسطينى، أطفال الحجارة.. طائرات، دبابات، صواريخ، مدفعية بعيدة المدى فى مواجهة الحجارة والبنادق الآلية، كانوا يتوقعون منا أن تَغْلِبنا العاطفة على الحكمة، فنبدأ فى حشد الجيوش وإطلاق التصريحات

(٧) الأهرام ٧ من أغسطس ٢٠٠٢م.

(٨) من تصريحات لراديو إسرائيل نشرتها جريدة «الأخبار» الأربعاء ٧ من أغسطس ٢٠٠٢م.

(٩) فى مقابلة مع برنامج «صباح الخير يا مصر» فى ٢٠٠٢/٨/٦م.

العنترية التى تكون مسوغاً لهم لشن ما يسمونه بالهجوم الوقائى فى وقت تكون فيه جيوشهم أكثر استعداداً.. كانوا يتوقعون أن تستفزنا تصريحات أحد وزرائهم الذى هدد علناً بإعادة احتلال سيناء والهجوم على السد العالى وتدميره، ولكن صدمهم رد الفعل غير المتوقع من الرئيس مبارك: «ما حدث عام ١٩٦٧ لن يتكرر».. ليجن جنونهم وفى مقدمتهم شارون الذى أصبح فى وضع لا يحسد عليه، فلا هو نجح فى استفزاز مصر، ولا هو نجح فى ردع الفلسطينيين، وانسحابه اليوم من الأراضى الفلسطينية سيفسر بأنه انتصار فلسطينى غير مسبوق.

الضباط والجنود الإسرائيليون أنفسهم.. (أكدوا أنهم أسرى للخوف والرعب من العمليات الفدائية الفلسطينية واعترفوا بأنهم فقدوا القدرة على النوم خلال وجودهم فى المناطق الفلسطينية مما أثر فى معنوياتهم وحالتهم النفسية بشكل كبير).

مشكلة الإسرائيليين أنهم لا يخضعون إلا لمنطق القوة إذا استشعروا ضعفهم، أما إذا شعروا بأنهم هم الطرف الأقوى، فإنهم عندئذٍ يبغون ويطغون، والغريب أن رجلاً مثل شيمون بيريز وزير خارجية هذا الكيان الغريب قال: «قيل من قبل إن تحقيق السلام مع مصر أمر مستحيل، ونفس الشئ حدث مع الأردن، لذلك ليس هناك ما يمنع من صنع السلام مع الفلسطينيين».. إنه يتغافل أن السلام الذى تم توقيعه بين مصر وإسرائيل، كان محصلة انتصار مصر فى السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣.. وما أعقبه من إحساس إسرائيل بافتقاد القوة، أو على الأقل أن هناك من يستطيع دحرها والانتصار عليها.. ومن هنا كان السلام والانسحاب من الأراضى المصرية المحتلة كلها انسحاب الصاغر الذليل المضطر.

* الولايات المتحدة أعلنت منذ أيام على لسان وزير دفاعها دونالد رامسفيلد «أن الأراضى المحتلة هى مكسب جنته إسرائيل بالحرب، ولا تعتبر تلك الأراضى محتلة»[١٠].. ومن ثم فإنه بناء على وجهة النظر الأمريكية هذه لا يبقى أمام الشعب الفلسطينى إلا أن يستعيد ما خسره بالحرب، وبالحرب فقط، تماماً كما فعلت مصر عام ١٩٧٣، وكما فعل الفرنسيون فى مواجهة هتلر فى الحرب العالمية الثانية، حيث كان الأخير قد اعتبر الأراضى الفرنسية التى احتلتها ألمانيا مكاسب جنتها ألمانيا بالحرب.. هتلر كان قد احتل فرنسا.. أتذكرون؟!..

فلابد إذن أن يحظى الفلسطينيون بانتصار مدوٍ على الإسرائيليين، وصولاً إلى سلام متكافئ بين طرفين متعادلين فى القوة، القوة القائمة على: العين بالعين، والسن بالسن، وقتيل بقتيل، وهو وضع يقبله ويرحب به الفلسطينيون من منطلق «قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار».. وهم فى هذه الحالة فى وضع معنوى أفضل بكثير من الجانب الإسرائيلى الذى أصبح فى حالة رعب وفزع.

.. والرئيس محمد حسنى مبارك أعلن وحذر بشكل واضح فى تصريحات للصحفيين الإسرائيليين عقب لقائه مع وزير الخارجية

(١٠) الأهرام ٩ من أغسطس ٢٠٠٢م.

الإسرائيلى شيمون بيريز يوم الاثنين ٥ أغسطس ٢٠٠٢م: «من استمرار تردى الوضع واستمرار العنف المضاد مادام الفلسطينيون تحت الحصار فى مدنهم وقراهم دون أن يستشعروا أى أمل فى التوصل إلى تسوية مُرْضية وعادلة لقضيتهم، وحصولهم على حقوقهم المشروعة، وقال: إن الفلسطينيين لن يتنازلوا عن حقوقهم، فقد ناضلوا من أجلها نصف قرن مضى، وسيواصلون هذا النضال لنصف قرن آخر إذا لزم الأمر»(١١).

اعتقال إرهابية !!

.. ورؤية الرئيس مبارك سليمة مائة فى المائة، فالفلسطينيون لا يوجد لديهم ما يخسرونه، فأرضهم محتلة، وبيوتهم مستباحة، وبالتالى ليس لديهم شئ يبكون عليه، أما الجانب الإسرائيلى فلديه ما يخسره ويخشى عليه وهو كثير: تَقَلُّصْ مساحة الأرض المغتصبة التى يقفون عليها، انهيار الأمن القومى بشكل يجعل الهجرات اليهودية إلى إسرائيل مسألة مستحيلة، مما يؤدى إلى انهيار مروع على المدى البعيد، فضلاً عن الخسائر الاقتصادية، وغير ذلك كثير.

وقد كان من المضحك جداً بعد تلك الجرائم المرتكبة فى حق شعبنا العربى فى فلسطين أن يوجه القتلة والمغتصبون الاتهام إلى عدد من الكُتَّاب المصريين بمعاداة السامية من منطلق معاداتهم لليهود، وكأنهم نسوا أن الدولة الصهيونية تسمى فى الدوائر العالمية والإسرائيلية نفسها بـ(الدولة العبرية) أى أنها بالتأكيد، دولة تخص اليهود، واليهود وحدهم هم الذين ذبحوا الأطفال والنساء والشيوخ وبقروا بطون الحوامل فى دير ياسين، واعتدوا على بلادنا سنة ١٩٥٦ و ١٩٦٧.

فهل يتوقع منا هؤلاء بعد ذلك الماضى الحربى التليد أن نكون أصدقاء؟!!.. هكذا بين عشية وضحاها، ما الذى قدموه حتى تكون هناك صداقة؟!.. انسحبوا من أرضنا التى احتلوها!!.. هل يعتبرون هذا مبرراً للصداقة؟!!.. وهل جواسيسهم الذين يتساقطون يوماً بعد يوم هم سفراء تلك الصداقة؟!!..

ما الذى يتوقعون أن يقال عنهم، وتحديداً ما نقوله عنهم هنا فى مصر؟!!.. هل يتوقعون أن نقول إننا نحبهم، أو أننا على استعداد لأن نكون

(١١) الأخبار ٦ من أغسطس ٢٠٠٢.

أصدقاء حميمين لهم؟!! .. تلك هذ البلاهة بعينها .. كيف أُحب مَنْ هدم المسجد ومزق المصحف وقتل الأطفال والرُّضَّع على نحو دفع وزير خارجيتهم للاستياء؟!! .. كيف أُحب مَنْ منع الأذان؟!! ..

هل يتصورون أننا لن نُعَبِّر عن كرهنا لهم؟!! .. وأننا لن نحض على كراهيتهم؟!! .. يا للبلاهة ..... أولا يعلمون إن الحب والكره شعور وجدانى محض لا يمكن التحكم فيه أو السيطرة عليه؟!! .. ألم يقل كبير من كبرائهم وهو ذلك المدعو (يوسف عوفاديا): «عليكم اللعنة أيها العرب، إنكم تتكاثرون وتتناسلون مثل النمل» .. وقال: «حُرِّم علينا إبزاء أى رحمة تجاه العرب .. عليكم أن تمطروهم بالصواريخ» .. هذا الشخص يدعونه بـ(الحاخام الأكبر) وهو يعد الزعيم الروحى لحزب شاس، أحد أقوى الأحزاب الدينية المتطرفة الإسرائيلية التى يعتمد عليها شارون فى التصويت على سياساته العدوانية تجاه العرب داخل الكنيست الإسرائيلى .. أى أن هذه التصريحات محسوبة بالضرورة على الحكومة الإسرائيلية.

وعندما يأتى من يتناول تاريخهم وسيرتهم العَفِنة التى يحفظها العالم أجمع، بل وتتلى فى الصلوات إنجيلاً وقرآناً تثور ثائرتهم، ويحشدون أبواق الدعاية وينظمون المحاكمات.

سيتأسدون علينا بامتلاكهم أسلحة الدمار الشامل وامتلاك القدرة على إفناء الحياة من على وجه الأرض، وهى أسلحة لم ولن نسعى إلى امتلاكها لأننا كما قال المولى - عز وجل -:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾(١٢).

وليس فى قرآننا ما يدعونا إلى إهلاك البشر .. ولماذا نسعى إلى امتلاكه ولدينا السلاح الأمضى والأشد؟!! .. لدينا الدعاء إلى الله:

﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ﴾(١٣).

﴿ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾(١٤)

﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾(١٥).

ومع هذا، فإننا نحن المصريين مدعوون إلى وقفة جادة مع النفس، وقفة نعلن فيها أن الكرامة لا تُباع ولا تُشْتَرى، وقفة نلتف فيها حول قائدنا، نُدَعِّمه ونؤيده.

وقفة نُعْلِّن فيها أننا لن نأكل إلا حصاد زرعنا.

لقد وفرت الدولة آلاف الأفدنة تنتظر شبابنا لكى يكد ويشقى فى زراعتها، ولكننا نكتفى بالنظر إليها عندما نمر بجوارها على طرق السفر السريعة منطلقين إلى الشواطىء.

أيُها المصريون .. املكوا قُوتكُم لتملكوا قراركم.

---

(١٢) آل عمران (١١٠).

(١٣) آل عمران (١٣).

(١٤) العنكبوت (٣٠).

(١٥) نوح (٢٦، ٢٧).

لن نصبح شعوبا إسلامية بسمات أمريكية

للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق

فى حياة الأمم، كل الأمم، انتصارات وكبوات، والحياة تستمر والأجيال تتعاقب «وننسى أو نتناسى فى خضم الأحداث ومشاكل الحياة» والتاريخ وحده هو الذى يسجل بلا تدخل من أحد ومهما حاول أى طاغية أن يزيف الحقائق أو يضفى على عمله الإجرامى شرعية من نسج خياله مهما استخدم من عبارات هلامية ليس لها معنى محدد مثل «محاربة الإرهاب» أو «الدرع الواقى» أو حتى معادات السامية فما سجله التاريخ لا يخفى على أحد وقد أصبح واضحا لدى العيان أننا نعيش عصر القوة الغاشمة، عصر القطب الواحد عصر من معنا؟ ومن ضدنا؟ عصر من يسبح فى فلكى نجا من الهلاك ومن يسبح ضد تيارى تحطم على صخرة جبروتى.

ورب ضارة نافعة، فأحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، برغم رفضنا لها وبكل المقاييس، وبرغم إدانة العالم العربى والإسلامى لهذا العمل الإجرامى الذى اهتزت له مشاعر العالم والذى لم يعلن بعد عن فاعله الحقيقى ومن شاركوه وجنسياتهم برغم مرور عام كامل والواضح ان التحقيقات لن تنتهى.

فقد وجدت أمريكا فرصة فرض الهيمنة على العالم أجمع، وكانت التجربة الأولى لنجاحها فى أفغانستان المسلمة، وما حدث هو بداية وليس نهاية والحقيقة أن صدمة الحادى عشر من سبتمبر تركت آثارها على المستوى الأمريكى والعالمى.

والسؤال الذى يطرح نفسه: هل تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى الأخذ بالثأر؟ وممن؟ لو أنها تقصد القاعدة وتنظيم طالبان، فقد حققت هدفها فى أفغانستان، ووجدت بديلا يحظى بالدعم الأمريكى المطلق.

وليس لأمريكا هدف واحد بل لها أهداف تالية، فقد طالعتنا بالمرحلة الثانية، وهى فكرة «محور الشر» التى تشمل بلدين مسلمين بالإضافة إلى كوريا الشمالية برغم أننا لا نعرف الرواية الكاملة عما حدث فى ١١ سبتمبر، لكن الإدارة الأمريكية نجحت فى استغلال الحدث وتوظيفه، وإلقاء التبعة على الإسلام والمسلمين!!.

وهناك قاسم مشترك بين حكومة بوش الإبن،

وحكومة شارون وكلنا يعرف الظروف والملابسات فى نجاح بوش، وأنه وصل إلى الحكم بالقضاء ولسنا هنا فى مقام الحديث عن السياسة الأمريكية داخل أمريكا، ولكننا ننظر إلى السياسة الأمريكية وتداعياتها على العالم العربى والإسلامى.

فبعد القضاء على حكم طالبان وتنظيم القاعدة ارتفعت أغلبية بوش إلى ٨٨٪ ومع الإصرار على ضرب العراق انخفضت إلى ٦١٪ وكذلك فى إسرائيل فقد زادت أغلبية شارون بين ٥٤٪ إلى ٦٦٪ وهى إدارة حكومية يمينية متطرفة.

ونسمع الآن عن المعاهدة الأمريكية الإسرائيلية بعدم تسليم أى مجرم حرب للمحكمة الدولية، حيث لم توقع أى منهما على معاهدة جرائم الحرب فى لاهاى والتى دخلت حيز التنفيذ منذ يوليو ٢٠٠٢ وما حدث فى فيتنام ليس ببعيد.

ونرى كذلك انتهاك إسرائيل لقواعد وشروط استخدام الأسلحة الأمريكية المنشأ.

وأود أن أشير إلى أن دافع الولايات المتحدة ليس تعزيز الديمقراطية وإنما تغيير النظم على أهوائها وإيجاد من يقبل الإسلام والنظام والحكم على الطريقة الأمريكية.

أود أن أشير إلى الأقلام اليهودية الصهيونية المسمومة التى تعتبر كل من يجرؤ أو يتطاول لكشف جانب من جوانب الظلم الإسرائيلى الصارخ إنما يعادى السامية، كيف نعاديها ونحن أصلا ساميون من نسل سام بن نوح عليه السلام؟!، بل إنهم قد استطاعوا فى غفلة من الزمن ومن الدول العربية انتزاع قانون فرنسى يحرم بل ويجرم كل من يتطاول عليهم، ومن يشكك فى افتراءاتهم، ويخضع للمحاكمة والحبس.

وحاخامات إسرائيل على المستوى الدينى وراء ارتكاب كافة أنواع الجرائم ضد الأغنياء «غير اليهود» وتضع نفسها فى خدمة جيش الدفاع الإسرائيلى ضاربة بالأوامر والنواهى الدينية عرض الحائط والفتاوى جاهزة وعقول الغرب تحت السيطرة اليهودية بما لديهم من وسائل الإعلام وبتخصصهم فى غسل العقول.

فقد غرس حاخامات اليهود فى عقول شعبهم كره جميع الشعوب الأخرى لأنها فى نظرهم شعوبا وثنية، لذلك أفتوا بأنه لا يصح لشعب الله المختار أن يصاهر الوثنيين واعتبارهم خطرا على الدين اليهودى، على اعتبار أن الزواج بالأجنبيات زواج غير مقدس.

وقد طفت على السطح مسميات تدعو للعجب مثل «ظاهرة الإسلام السياسى بعد أحداث ١١ سبتمبر.. ألخ».

وأود أن أشير إلا أن الإسلام دين كامل متكامل يصلح لكل العصور دين إرتضيناه، ولا نجبر أحداً على الدخول فيه واعتناقه ولا نخشى من ضياعه، فالله سبحانه وتعالى هو الذى يحفظه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(١).

وتمخض فكرهم عن عمل دراسة للعالم العربى يقوم بها نخبة من الأساتذة الأجانب والعرب الذين تعلموا فى أحضانهم والهدف مساعدة الغير وخرجت النتيجة: ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.

ويهمنى فى هذه النتيجة وضع المرأة العربية، حيث زعمت تقاريرهم المشبوهه أنه وضع متدن للغاية وأنها لا تتمتع بحقوقها، وتعيش تحت ظلم صارخ بدءا

(١) (الحجر (٩).

بالختان وإنتهاء بعدم ممارستها حقها الانتخابى، بالإضافة لكونها قد تكون الزوجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة... ألخ.

والسؤال الذى يطرح نفسه هل وصل بكم الحقد لمحاربة الإسلام عن طريق المرأة المسلمة؟ هل تدخلنا فى شئون المرأة اليهودية مثلا: وأنها حتى الآن تستيقظ فى الصباح وتقول: أنا أمرأة وما قيمتى.

إن الدين الإسلامى الحنيف هو الذى أنصف المرأة وأعطاها كافة حقوقها.

إنها حرب ضروس بعيدة عن آلة الحرب ولكنها أكثر تأثيرا من القنبلة الذرية وهذا ليس بجديد ولا ننسى الحرب ضد الختان ثم «الحجاب» الذى أصبح الآن مرادفا للإرهاب والقاعدة وطالبان.

والجهود خلف الكواليس والمساومات من أجل حصول أمريكا على تأييد الدول الأوروبية لتبنى وجهات النظر الأمريكية، لفرض الرؤية الأمريكية.

وللإعلام دوره: فقد فاجئتنا نجمة الإغراء الفرنسية «برجيت باردو» وهى تهاجم الإسلام الذى يسمح بذبح الحيوانات وأكلها.

وأقول لها: أبناؤنا فى فلسطين يذبحون يوميا وتنهش لحومهم الكلاب الضالة فهل تتأثرين للبشر كما تأثرت للحيوانات!!.

وأود أن أقول إلى أننا فى أشد الحاجة اليوم أن نتكاتف ونمد الجسور بيننا بعد أن تركنا الساحة خالية للصهيونية وحدها ورأينا تركيا وريثة الخلافة العثمانية، وهى تعلن علمانية الدولة التى يبلغ عدد المسلمين فيها ٩٩٪ وترتمى فى أحضان إسرائيل، وتعقد معها العديد من الاتفاقات التى تصل إلى حد الدفاع المشترك.

وليبيا المحاصرة بتهمة طائرة لوكيربى، وإسرائيل تهدم أحياء بكاملها على من فيها.

والعراق التى تصمم واشنطن على ضربه وتغيير حكومته، من أعطى أمريكا حق تغيير الحكومات، ألأنها القطب الوحيد؟!!

والحملات المسعورة تملأ صفحات الجرائد الكبرى التى يسيطر عليها اللوبى الصهيونى، وتروج حاليا إلى أن تمويل الإرهاب سعودى.

لتنضم السعودية، إلى من سبقوها من الدول العربية.

وجيش الدفاع الإسرائيلى يعيث فى الأرض فساداً يحرق الأخضر واليابس، ورحم الله شهداء الانتفاضة، وأود أن أذكر بقرون العذاب والدموع ودموع يوم الغفران «كيبور» هل ستسيل كما كانت على الظلم الواقع عليهم، أم أنها ستسيل فرحاً بما يرتكبون فى حق شعب أعزل وللدموع دلالة خاصة فى الفكر الدينى اليهودى.

والأدب زاخر بدموع أبطاله وأصبحت الدموع سمة يتمتع بها اليهودى عبر الزمان من بداية تاريخهم المرير، الدينى والدنيوى ويطلقون عبارة «شعر دماعوت» أى أبواب الدموع، كناية عن أبواب موجودة فى السماء يعتقدون بأن دموع المظلومين من اليهود تنفذ عبرها إلى الله سبحانه وتعالى.

وفى «المزامير»[٢] ورد نص: هزروعيم بدمعاه بريناه يقصوروا أى «الزارعون بالدموع بالبهجة يحصدون».

ويبدو أن جيل شارون فسرها أن المقصود هو: دموع الفلسطينيات حسرة على أبنائهن وأطفالهن.

(٢) مزامير١٢٦/٥.

فى الرؤى والأحلام

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

شغف الإنسان بمعرفة الغيب أمر لا جدال فيه، وولعه بما خفى عنه غالباً ما يكون مبعث متاعبه وسر شقائه. وحذر المسلم من الخوض فى ذلك التيه المظلم هو إيمانه بالله واستمساكه بدينه لعلمه أن كل الأمور بيد الله حاضرها وماضيها ومستقبلها، فهو يتلو ليل نهار قوله تعالى:

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾[١].

وهو يقرأ صباح مساء ما يقيه من أن يقع فريسة للخرافة والكهانة والسير خلف محترفى التحصين ومدعى الغيب الذين يوهمون البسطاء وهم فى الحقيقة يهرفون بما لا يعرفون. يقول سبحانه:

﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾[٢].

كما أنه يسمع بكرة وعشية قول المصطفى ﷺ: خمس لا يعلمهن إلا الله - عز وجل - أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت[٣].

فهل بعد حديث الوحيين إلا التخرصات؟ وهل بعد الكتاب والسنة إلا الأوهام والأباطيل؟ غير أن هناك باباً آخر يطرقه الكثيرون لاستجلاء المستور وكشف المخبوء ألا وهو باب الرؤى والأحلام وهو باب واسع رحب يلجه الصغير والكبير والعظيم والوضيع فكم أقضت رؤيا

(١) الجن (٢٦، ٢٧) .
(٢) النمل (٦٥).
(٣) أخرجه الترمذى.

عظيماً من مضجعه وكم بشرت أفراداً بمستقبلهم وكم رسمت لشعوب قصوراً فرشتها بالورود والرياحين ولا يغيب عن البال هنا رؤيا الدكتور/ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر- رحمه الله- التى بشر فيها الرئيس/ السادات بالنصر فى حرب رمضان المباركة وما رؤيا يوسف بغائبة عنا ولا رؤيا ملك مصر بخافية علينا.

ولقد أنكر الفلاسفة الرؤى ونسبوها إلى الأخلاط التى فى الجسد وبينوا أن لها انعكاساً على ما يرى النائم كما أن لعلماء النفس موقفاً سلبياً من الرؤى تبنوا فيه وجهة نظر الفلاسفة فجعلوها خليطاً من الأمزجة والرواسب الكامنة فى ذاكرة الإنسان والتى يهيجها المنام حتى إنهم حصروها فى قالب بيولوجى ومفهوم جنسى كما قال فرويد وكل تلك مزاعم وأكاذيب لا أساس لها من الصحة وأما علماء الإسلام فقد استقوا علمهم من مشكاة النبوة والإلهام الربانى فذهبوا إلى أن الرؤيا المنامية الصالحة الصادقة حق من عند الله وقسموها إلى مبشرة ومنذرة.

فقد روى مالك فى الموطأ عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: ذهبت النبوة وبقيت المبشرات. قيل: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له.

وقال أيضاً: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»[٤]. ومع هذا الوضوح تعلقت نفوس البعض بالرؤى تعلقاً أوصلها إلى ضروب من الأوهام كان الدافع إليها الخواء الروحى والجزع النفسى والفرق القلبى ليس إلا. لقد أصبحت الرؤى شغلهم الشاغل فى المجتمعات والمنتديات والفضائيات يضيعون فيها الساعات فى تعاطى الترهات، الأمر الذى جعلها تطغى على الفتاوى الشرعية حتى غلب السؤال عن الرؤى على التفقه فى أمور الدين الذى هو لحمة المرء وسداه. ترى ما الأدب الإسلامى إذن فى التعامل مع الرؤى؟ وهل من الإيمان أن يرى أحدنا الرؤيا فتضطرب لها نفسه وترتعد منها فرائسه وكيف يسمح أى مسلم لنفسه أن تستقطبه الفضائيات فيلقى أصحابها فى رأسه ما لذ لهم وطاب من أفكار تميل به ميلاً عن صحيح الدين وما ارتضاه لنا ربنا من مثل أخلاقية هى المفتاح الذى ندلف به إلى القلوب الظمأى للخير.

وقد روى مسلم فى صحيحه أن أبا سلمة قال: كنت أرى الرؤيا أعرى منها- أى أمرض- غير أنى لا أزمل حتى لقيت أبا قتادة فذكرت ذلك له فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلماً يكرهه فلينفث عن يساره ثلاثاً وليتعوذ بالله من شرها فإنها لن تضره» وفى رواية عند مسلم أيضاً قال أبوسلمة: «إن كنت لأرى الرؤيا أثقل علىَّ من جبل فما هو إلا أن

(٤) اخرجه الشيخان.

سمعت بهذا الحديث فما أباليها»، وفى الحديث كما ترى كثير من الآداب الواضحة.

والرؤيا تنقسم إلى ثلاثة أقسام كما عند ابن ماجة من حديث عوف بن مالك عن النبى ﷺ قال: «إن الرؤيا ثلاث منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم ومنها ما يصم به الرجل فى يقظته فيراه فى منامه ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»، ومثال الأولى ما رواه مسلم فى صحيحه أن اعرابياً جاء إلى النبى فقال: يا رسول الله رأيت فى منامى كأن رأسى ضرب فتدحرج فاشتدت على أثره فقال رسول الله ﷺ للأعرابى: «لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك فى منامك». والمعنى أن يقابل مثل هذا النوع من أضغاث الأحلام بما يلى: التعوذ بالله من شر هذه الرؤيا ومن شر الشيطان وأن يتفل الرائى ثلاثاً عن شماله وأن لا يذكرها لأحد وأن يصلى ما كتب له وأن يتحول عن جنبه الذى كان عليه وزاد بعض أهل العلم قراءة آية الكرسى. وأما حديث النفس فى اليقظة فمثله أن يشغل أحدهم بتجارة أو غيرها فينام فيرى ذلك فى منامه وهو من أضعاث الأحلام التى لا تعبير لها.

وأما النوع الثالث وهو الرؤيا الصادقة الصالحة التى تكون من الله وهى إما بشارة أو نذارة وقد تكون واضحة ظاهرة لا تحتاج إلى تأويل كما رأى إبراهيم أنه يذبح ابنه فى المنام وقد تكون رمزية كرؤيا صاحبى السجن التى فسرها يوسف وهى رؤى لا تقص إلا على عالم أو ناصح فقد قال ﷺ «لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح»(٥). وما عدا ذلك من الرؤى التى تتعلق بشئ من إثبات الأحكام الشرعية من حلال أوحرام أو فعل عبادة أو تحديد ليلة القدر التى أريها النبى ﷺ ثم أُنسيها فرؤى محمودة أما الرؤى التى ينبنى عليها آثار تتعلق بحقوق الناس وحرماتهم وإساءة الظنون بهم أو الحكم على عدالتهم ونياتهم فإن ذلك كله من أضغاث الأحلام والظنون التى لا ينبغى الاعتماد عليها فى قول جمهور أهل العلم. فقد تراجع الخليفة العباسى المهدى عن قتل شريك بن عبدالله القاضى لما نبه إلى ان ما رآه فى منامه من قتل ذلك الفقيه ما هو إلا أضغاث أحلام.

وبعد.. فيقول ابن القيم فى توجيه كريم لا يفوتنا العمل به يقول: المفتى والمعبر والطبيب يطلعون من أسرار الناس وعوراتهم على ما لا يطلع عليه غيرهم فعليهم استعمال الستر فيما لا يحسن إظهاره. انتهى.

وليعلم أن تعبير الرؤى قرين الفتيا قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾(٦)

فهلا اتعظ من يتصيدون تفسير الأحلام بغير علم.

---

(٥) اخرجه الترمذى.

(٦) يوسف (٤٣) ص ٢٤٠.

رسالة .. و .. رد

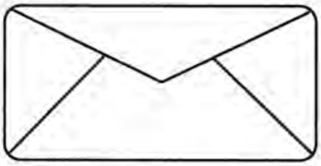

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فسنرد فى هذا العدد بمشيئة الله على رسالتين من رسائل القراء الأعزاء.

● الرسالة الأولى من قارئة ذكرت أنها أم أسامة من محافظة الغربية وحاصلة على ليسانس تربية تقول فى رسالتها، إنها متزوجه منذ خمس سنوات وأنها اختارت زوجها بمحض إرادتها وموافقة أهلها، وأنها استخارت الله فى هذا الزواج، فرأت زوجها فى الرؤيا قبل أن تتعرف عليه وأن المقربين منه ذكروا لها أنه ذو خلق ودين ولم تلتفت إلى يساره وثروته بل كانت تتمنى على الله أن يرزقها زوجا ذا دين ولهذا لم تطل فترة الخطبة، لكنها تقول: إن حماتها لم تستقبلها ليلة الزفاف استقبالا حسنا بل لم تقابلها بالمرة لكنها نزلت على رأى أهلها المسالمين فصعدت إليها فى شقتها بفستان الزفاف وسلمت عليها وبعد شهر من الزفاف صعدت إليها مرة ثانية ومعها هدية متواضعة لمؤانستها فما كان منها إلا أن اتهمتها بالكذب على ابنها حتى تزوجته وبأنها أقل منهم مستوى وأن أهلها لم يجهزوها جهازا يتناسب مع حالتهم الاجتماعية وأنها أى حماتها تعتبرها خادمة لها ولابنها ولكل أبنائها ومع كل هذا فإنها أى الزوجة تعاملها بما يرضى الله - تعالى - وفى ختام رسالتها تطلب من المجلة التى تعتبرها رزق الله إليها وإلى أمثالها أن توجه كلمة لهذه الحماة وأمثالها أن ترحم زوجة ابنها وألا تغالى فى موضوع الجهاز.

وبداية أقول للأخت السائلة إنك تكبرين المسألة أكثر من اللازم بسبب حساسيتك الزائدة وما كنت تنتظرينه من حماتك ولم تجديه فهذه الحماة تعتبر ضيفة عندكم فاحتمليها المدة التى تعيشها بينكم حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا وبعدها يكون الفرج إن شاء الله خاصة وأنك لم تذكرى شيئا يقدح فى سلوك زوجك وأخلاقه وإلا ما استمرت العشرة بينكما خمس سنوات كوامل وأنت بحمد الله سيدة مثقفة تتصفين

بالتدين والحكمة والأناة وكثير من الصبر، تستطيعين بشيء من اللباقة والمودة أن تقتربي من زوجك أكثر وأن تقربيه منك أشد، إنك إن فعلت ذلك صفت نفسك وارتاك ضميرك ولم تبال بما يظهر من حماتك من جفوة ومع مرور الزمن سيتغير حالها وإذا رأت أن ابنها سعيد معك خاصة وأن لك منه أولادا يملئون عليكما حياتكما بهجة وسعادة أما حماتك فأقول لها: إن العبرة بالشخص لا بالأثاث والرياش فما قيمة الجهاز لو كان قيمته مائة ألف جنيه وابنك يعيش في نكد وقلق محروما من السعادة والأولاد وعلى كثرة الأحاديث المذكورة في هذا الباب أذكرها فقط بقول رسول الله ﷺ كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك».

قال العلماء في شرح هذا الحديث «إن ذات المال فيهن طاغية ما لم يكن لها دين يمنعها من الرذائل وسوء الخلق.

وعن عائشة –رضي الله عنها– أن النبي ﷺ قال: «إن أعظم النكاح بركة أيسره مئونة».

وقال: (يُمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها، وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها).

واعلمي أيتها الحماة –هداك الله– أن رسول الله ﷺ جهز سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء –رضي الله عنها– عند زفافها لعلي – كرم الله وجهه– كما في النسائي جهزها في خميل وقربة ووسادة حشوها إذخر، والخميل كل ثوب من القطيفة له وبر، والإذخر نبت طيب الرائحة يحشى به الوسائد.

واحمدي الله أيتها الحماة أن رزقك الله بكَنَّة (زوجة ابن) تتقي الله في ابنك وتحفظه حاضراً وغائباً واجعلي هذه الكنة كابنتك وعامليها على هذا الأساس يعطك الله الأجر الوفير والثواب الكثير ويبارك الله لك في كل شيء.

وقد قال العلماء: إن المرأة ليست مسئولة عن تجهيز بيت الزوجية وإنما المسئول عن ذلك الرجل وحده، ولكن إذا جرى العرف بأن المرأة هي التي تجهز بيتها من مالها الخاص أو من المهر الذي تقبضه من الزوج أو جرى العرف باشتراك الزوجين في التجهيز كان ذلك في مقام الشرط ينبغي الأخذ به والعرف هنا محكم كما يقول الفقهاء(١).

ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر هذه الحماة بأن الدنيا كلها متاع زائل وعارية مستردة، ورحم الله الذي قال:

إنما نعمة قوم متعة
وحياة المرء ثوب مستعار.

وقد دخل بعض الناس بيت أحد الصالحين فلم يجد فيه أثاثا على الإطلاق فسأله أين أثاث منزلك: فأجابه إن لنا دارا أخرى جعلنا فيها أثاثنا وهو يقصد الدار الآخرة وكما أن الإسلام طلب من ولي الزوجة عدم المغالاة في المهور استرشادا بقول

---

(١) من كتاب الفقه الواضح للدكتور محمد بكر إسماعيل ٢/٤٥.

المصطفى ﷺ «التمس ولو خاتما من حديد» حتى إن عمر -رضى الله عنه- هم بأن يجعل للمهر حداً أقصى لايزيد الأولياء عليه لولا أن امرأة ذكرته بقوله تعالى:

﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾(٢)، وبقى مع ذلك يكره المغالاة فى المهور وينهى عنه.

أقول كما نهى الإسلام عن المغالاة فى المهور نهى أيضا عن طلب الزوج وأهله من أهل الزوجة شيئا يشق عليهم الإتيان به أو يكلفهم من أمرهم عسرا قال تعالى:

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾(٣).

والله ولى التوفيق.

● أما الرسالة الثانية فى هذا العدد فقد وردت من القارىء عبدالله محمد سيد يقول فيها: كنت أقرأ فى كتاب الله فوقفت عند قوله تعالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾(٤).

وذهلت عندما تخيلت مدى الحساب الواقع على الحكام والملوك وبعض المشايخ الذين يسايرونهم، ثم يسأل: هل سيحاسب الله -عز وجل- الحكام والملوك على كل مثقال ذرة من قول أو فعل؟ وهل يتحمل أحد هذا الحساب؟ ويسأل أيضا هل موضوع القدس يعتبر عاما للأمة الإسلامية كلها أم يخص الفلسطينيين وحدهم؟

وبداية أؤكد للأخ السائل إن الحق -سبحانه تعالى- سوف يحاسب كل العباد على كل شىء على القليل والكثير والقطمير وشرو النقير مصداقًا لقوله تعالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾.

وقال -عز من قائل- حكاية قول لقمان لابنه وهو يعظه:

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾(٥).

وهذا يا أخى من حقائق الإيمان المقررة فى الكتاب والسنة لأن من عناصر الإيمان التى لا يكمل إيمان المسلم إلا به الإيمان باليوم الآخر وما يحدث فيه من ثواب وعقاب وحساب وميزان وصراط.. إلخ.

هذا وكما فهمت من الآية الكريمة فإن حساب الحكام والولاة والقضاه حساب عظيم ويعظم هذا الحساب بحسب المسئولية الملقاة على عاتق كل مسئول أو راع ولهذا حذر الرسول ﷺ من هذه المسولية ونهى الضعاف من الصحابة عن تحملها فعن أبى ذر - رضى

(٢) النساء (٢٠) ص٨١.
(٤) الزلزلة (٧، ٨) ص٥٩٩.
(٦) أخرجه مسلم.

(٣) الطلاق (٧) ص٥٥٩.
(٥) لقمان (١٦) ص٤١٢.

الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إنى أراك ضعيفا وإنى أحب لك ما أحب لنفسى، لا تأمرنَّ على اثنين ولاتولين مال يتيم»(٦).

وعنه رضى الله عنه فيما يرويه مسلم قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملنى؟ فضرب بيده على منكبى ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها».

وروى البخارى عن أبى هريرة – رضى الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة» والندامة تكون على الحكام والولاة والرعاة المقصرين لأن الولاة مسئولون عن كل شىء فى الدولة والرعية لا أقول عن كل فرد بل عن كل شىء.. عن الطرق والبنايات والمدارس والمستشفيات ولذا قال سيدنا عمر – رضى الله عنه – وأقسم (لو أن بغلة عثرت فى العراق لرأيتنى مسئولا عنها يوم القيامة لِمَ لمْ تمهد لها الطريق؟).

هذا عن الحكام العادين فما ظنكم بالحكام العصاة الظالمين؟! إن حسابهم عسير وعذابهم شديد، قال صلوات الله عليه: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» وعن عائشة –رضى الله عنها– قالت «سمعت رسول الله يقول فى بيتى هذا: اللهم من ولى أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من أمر أمتى شيئًا فرفق بهم فارفق به».

أما الحكام المقسطون العادلون فأمرهم مختلف فهم آمنون يوم الفزع الأكبر والإمام العادل أول السبعة الذين يستظلون بظل الله يوم لا ظل إلا ظله كما أخبر بذلك الصادق المصدوق.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص –رضى الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا»(٧) وعن عوف بن مالك –رضى الله عنه– قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قال: قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم؟ قال: لا ما أقاموا الصلاة فيكم.. لا ما أقاموا الصلاة فيكم» ومعنى تصلون عليهم: تدعون لهم.

أما موضوع القدس فشأن يخص المسلمين جميعا حكاما ومحكومين، فلسطينيين وغير فلسطينيين فى شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها سواء كانوا فى أوروبا أو أفريقيا أو آسيا ولكن المسئولية التى تقع على عاتق المسلمين العرب أكبر وأخطر، والحكام أول من يسأل عن موضوع القدس وهنا تتضاعف

(٧) أخرجه مسلم.

المسئولية على الحكام لأنهم هم الذين بيدهم الأمر والنهى والشعوب تتحرك بأمرهم.

وقديما ظلمت امرأة مسلمة على حدود أوروبا فصرخت وامعتصماه تنادى الخليفة المعتصم فى بغداد فخف لنجدتها بجيش جرار وهزم المعتدين فى موقعة عمورية المشهورة التى خلدها أبو تمام فى قصيدة من عيون الشعر العربى، وذلك لأن المسلمين كانوا متحدين ولهم رئيس واحد نادته هذه المرأة المسلمة ولكن المسلمين الآن أكثر من خمسين دولة فمن ينادى الفلسطينيون؟! إن ذنبهم ودماءهم فى رقبة المسلمين كلهم وبالأخص الحكام لأن العلماء قد قرروا أنه إذا احتلت أرض المسلمين أو جزء منها صار الجهاد فرض عين على كل مسلم «ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

والجهاد الذى هو فرض عين على كل المسلمين الآن لا يأمر به ولا يستعد له إلا الحكام والولاة والرؤساء وحقا إن الحرب خراب ودمار ولكن ماذا يفعل المسلمون إذا فرضت عليهم الحرب فرضا؟ هل ينكصون أم يتقدمون؟ إن نكوصهم لن يعفيهم من الموت ولن يطيل فى أعمارهم لحظة واحدة، وبحق قال الشاعر:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره

تعددت الأسباب والموت واحد

وأسباب الموت فى هذا العصر سوى الحرب أكثر من أن تعد ويكفى أن تعمل إحصائية سريعة مما ينشر فى الصحف عن موتى حوادث المرور فى بلد واحد ناهيك عن الكوارث الطبيعية والأمراض والأوبئة التى ابتلينا بها بسبب إخلادنا إلى الحياة.

أما عن العلماء الذين يمالئون الحكام ويغيرون الدين على حسب أهوائهم أجيب عن هذه الجزئية من سؤاله بأن التغيير فى دين الله خروج عن الدين بالكلية ولا أظن أحداً من العلماء يقدم على هذا الأمر الخطير إلا أن يكون قد فقد عقله أو فقد دينه.

وعلينا أن نشير هنا إلى أنه فى بعض الحالات يؤمر الناس بالصبر على ظلم الرعاة حتى لا تكون فتنة، وفى حديث عوف بن مالك السابق عندما قال الصحابة لرسول الله ﷺ حينما ذكر لهم شرار الأئمة (أفلا ننابذهم قال: لا ما أقاموا الصلاة فيكم.. لا ما أقاموا الصلاة فيكم) وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(٨).

هذا والله أعلم وبه التوفيق

(٨) متفق عليه.

بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني

الوحدة الإسلامية ضرورة لمنع الاعتداءات الأمريكية

كان لنا وقفة مع الأستاذ عبداللطيف فايد فى الجمهورية الأسبوعى فى ١٥ / ٨ / ٢٠٠٢ قال فيه :

إذا لم يتدارك المسلمون أنفسهم الآن بالتضامن والوحدة فإن الوحش الأمريكى سيلتهمهم دولة بعد دولة، فهذا الوحش انفرد بالقوة الضاربة فى العالم ويريد أن يستذل كل دولة فيفرض سيطرته عليها ويستنزف خيراتها، وهو يستهدف أولا الدول الإسلامية وبخاصة فى المنطقة العربية التى أقام وسطها إسرائيل لتكون رأس جسر للعدوان، فأى منطق فى الدنيا بل أى منطق فى التاريخ يجيز حرمان شعب من بلده وحريته ويضع مكانه أشتاتا من الأرض تصبح لها دولة مدعومة ومؤيدة بأفتك الأسلحة، وليست لها أية مهمة سوى العدوان، ومن شأن أمريكا أن تحب إسرائيل وأن تدعمها كما تشاء، ولكن ليس من شأنها أن تضع إسرائيل وحدها فى كفة، وتضع العالم كله فى كفة أخرى وهدفها ترجيح إسرائيل على العالم كله، فقد حدث فى الأيام الأخيرة الماضية أن اقترعت دول العالم فى الجمعية العامة للأمم المتحدة على جلاء إسرائيل عن الأرض التى تحتلها فى فلسطين فوافقت على الجلاء (١١٤) دولة ولم تعارض سوى أمريكا وإسرائيل ومعنى هذا أن أمريكا تضع إسرائيل فى مواجهة العالم كله، ومن سوء حظ هذه المنظمة العالمية أنها لا تستطيع أن توقف أى عدوان على دولة ما لأنها تملك القوة الجاهزة المسلحة لرد العدوان، ومن هنا تدخل أمريكا اللعبة لأنها تعتدى باسم الأمم المتحدة ولا تجد من يرد عدوانها، ولذلك فإن الموقف فى فلسطين مأساوى وسيظل مأساويا لغياب العدل.

فإذا انتقلنا من فلسطين إلى العراق وجدنا أن ضعاف النفوس من حكام الدول الإسلامية يصنعون المشكلات لدولهم وللدول الإسلامية جميعا فقد نجحت الدسيسة مع صدام حسين حاكم العراق ليعتدى على الكويت، فتنتهزها أمريكا فرصة لضرب العراق باسم الأمم المتحدة وتدمير قوته الذاتية بحجة القضاء على أسلحة الدمار الشامل، وفى سبيل ذلك أعلنت الحصار على العراق وحرمانه من بيع بتروله ومنع الغذاء والدواء عنه ورتبت قوة تفتيشية باسم الأمم المتحدة لتنتهك سيادته وظلت أمريكا ترتب لضرب العراق ضربات موجعة بالطائرات والأسلحة الفتاكة التى تترك وراءها أمراضا لا يمكن مقاومتها وإجماع الدول العربية الأخير على معارضة

ضرب أمريكا للعراق هو جزء مما يجب أن يكون من الدول الإسلامية كلها لتقف وقفة باسلة أمام عدوان أمريكا على العراق وتستخدم فى ذلك كل إمكاناتها السياسية والاقتصادية لا لتمنع أمريكا من ضرب العراق، وإنما لتقتصر على مؤامرات أمريكا ضد الدول الإسلامية. . وتظن أمريكا أنها تخدع العالم حينما تزعم أنها تضرب العراق لإسقاط حكم صدام حسين وتعد لذلك ست خطط كما جاء فى تصريحات أحد المسئولين الكبار بها مع أن صدام حسين يحكم العراق ولا يحكم أمريكا، ومن شأن شعبه فقط إبقاؤه أو إسقاطه إذا أراد، وأمريكا تفعل ذلك محتجة بضرورة تدمير أسلحة الدمار الشامل بينما هى نفسها تملك هذه الأسلحة وتهدد بها العالم كله، وتترك إسرائيل تتملكها وتهدد بها المنطقة العربية من العالم الإسلامى، ولا تعمل على تدميرها أسوة بما تدعيه نحو العراق.

وليس بعيدا عن أذهاننا ما فعلته أمريكا مع ليبيا وحصارها إياها ومنع الدخول إليها والخروج منها بهدف قتلها، وقد سبق أن اعتدت عليها عدوانا سافرا فهدمت وقتلت بطائراتها ما استطاعت أن تهدم وتقتل وسبق أن اتهمتها بأنها تملك الأسلحة الكيمياوية تمهيدا للاعتداء عليها باعتبارها قوة اقتصادية عالية الشأن فى المنطقة.

ودور أمريكا واضح فى أفغانستان لتدمير قوتها الذاتية وعسكرتها هناك بعد شن حرب ضدها للقضاء على ما تسميه إرهابا، كما أن دورها واضح فى جعل القلاقل والأزمات مسيطرة على باكستان وبخاصة بعلاقاتها مع الهند بسبب مشكلة كشمير التى عطلت الهند فيها اتخاذ إجراءات عادلة ليقوم أهل كشمير بتقرير مصيرهم بأنفسهم.

أحدث المشكلات التى تقوم بها أمريكا فى الدول الإسلامية هى مشكلة السودان فمنذ أن وقعت مصر وبريطانيا اتفاقية الجلاء عن السودان بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م وبريطانيا تعمل على تأكيد دورها الاستعمارى بفصل جنوب السودان عن شماله هذا الدور الاستعمارى الذى ورثته أمريكا بعد بريطانيا فحاربت عرى الوحدة السودانية حتى لا يتجه السودان إلى مصر ويشكلا وحدة سياسية قوية إلى جانب الوحدة الجغرافية التى تربط بينهما وبخاصة أنهما يشربان من نهر واحد هو أطول أنهار العالم بعد نهر المسيسبى فى الولايات المتحدة الأمريكية، وكان دورها واضحا فى تدمير إنشاءات قناة جونجلى بعد أن قاربت على التمام وتحويل منطقة المستنقعات بجنوب السودان إلى أرض زراعية خصبة تزيد على ثلاثة ملايين ونصف المليون فدان، وكان ضغط أمريكا واضحا فى المفاوضات التى جرت بين حكومة السودان وممثلى الجنوب التى جرت أخيرا فى كينيا لمنع وحدة السودان شماله وجنوبه والأمل فى شعب السودان نفسه أن يتمسك بوحدته فى المراحل القادمة من مباحثات تقرير المصير لأن وحدة السودان تعنى قوته وسياسة تقسيمه هى سياسة استعمارية سبق أن مارسها الاستعمار ضد الدول الإسلامية وهو يحارب دولة الخلافة العثمانية التى قويت ونشطت ورفعت راية واحدة على الأمة الإسلامية كلها وامتدت منها إلى أوروبا التى لاتزال فيها حتى الآن جذور إسلامية لهذا الامتداد.

والوحدة قوة ما فى ذلك شك. . وتجنيد الإمكانات لتدعيم هذه الوحدة هو طريق النجاح للمستقبل حتى لا تمارس أمريكا سياستها العدوانية على أرض المسلمين.

بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة

بين القصاص والثأر

دهمتني أخبار حادثة الثأر التى راح ضحيتها «اثنان وعشرون» من أبناء الصعيد، تماماً كما تدهمنا أخبار الطلعات الجوية الآثمة التى تشنها قوات الاحتلال الإسرائيلى على العزل الآمنين فى فلسطين.

فالظلم لايختلف صداه مهما تعددت وترامت جهاته.

فالجنود الإسرائيليون.. مسلحون، والفلسطينيون مدنيون عزل، ويقود الشيطانُ القويَّ الظالم ليفترس الضعيفَ متخذاً ذريعة ما، فيقع عشرات القتلى الأبرياء مع كل طلعة جوية، لا لذنبٍ إلا لأنهم فلسطينيون.

وكذلك قاد الشيطان طلعة آثمة أخرى مماثلة لتحصد رشاشات الثأر الغادر اثنين وعشرين من الأبرياء، لا لذنب جنوه ولكن لأنهم أقارب «قاتل»!!

الظلم هو هو.. غير أنه يتلون كالحرباء وإذا كان الظلم متوقعاً من العدو الإسرائيلى فكيف نتوقعه من بنى جلدتنا! كيف يقع مثل هذا الظلم الظلوم بأيدى أناس يحفظون- أو على الأقل سمعوا- قول الحق: «ياعبادى إنى حرمت الظلمٍ على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»(١).

وقوله ﷺ: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)(٢).

وكيف يختفى هذا النور من قلب رجل

---

(١) صحيح مسلم جـ٣ ص١٩٩٥ كتاب البر والصلة وتحريم الظلم.

(٢) المرجع السابق ص١٩٩٦.

مـؤمن، ليـحل مـحله الحـرص على طلب الثأر!!

تتابعت أخبار الواقعة المؤلمة، وحملت الصحف الكثير من التفاصيل.. غير أنى توقفت والأسف يعتصرنى أمام عنوان يقول «١٠٠ حالة ثأر تحت الرماد فى قنا»[٣].

أى أن هناك مائة لغم قابل للانفجار، قد يسفر أحدها عن مجزرة أخرى أليمة.. وإذا كان هذا هو الرقم المعلن أى المعروف لدى سلطات الأمن، فكم يبلغ الرقم إذا أضفنا أصحاب ثأر آخرين لم يعلنوا عن رغبتهم فى الأخذ بالثأر.

ثم كم يبلغ هذا الرقم إذا أضفنا حالات الثأر المعلنة وغير المعلنة فى المحافظات الأخرى؟! اللهم لطفك

وقد شاءت الأقدار أن ألتقى بأحد أهل الصعيد المتشددين كان الرجل يهجو أهل القاهرة ويصفهم بالرخاوة والليونة.

فوجدت فيه الرجل الذى أود أن أسمع إجابته عن موضوع الثأر.. فعاجلته قائلا: قد يكون أهل القاهرة كما تقول، ولكنهم ليسوا ظلمة، ماذا تقول فى مذبحة سوهاج؟ فأجاب بأسرع مما كنت أظن: هذا جهل!!

ثم أردف قائلاً: إننى من قنا، نحن لا نقتل إلا رجلاً برجل. قلت: لكنكم أحياناً تقتلون غير القاتل!!

وكانت إجابته (إن الذى يُقْتَل عندنا هو أحب أفراد العائلة عندنا ولذلك نقتل أحب وأهم أفراد عائلة القاتل).

قالها الرجل- برغم ما تحمل من خطأ واضح- وكأنه جاء باليقين المطلق!!

ومن هنا يتضح أن السبب الأول فى حدوث الثأر هو:

التقاليد والعادات والمفاهيم القبليه، التى تقوم على التفاخر.

ولا بد أن يكون واضحاً- أيضاً- أن علاج ذلك أساسه التوعية الدينية.

ولنتأمل قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾

١٧٨ البقرة

فالآية الكريمة ترسى أولاً أهم المبادئ وهو العدل ثم تحبب فى العفو، فليس الإسلام دينا يحب سفك الدماء أو ينادى به، ولنتأمل قول العلماء فى تفسير قوله تعالى:

﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ ﴾.

(المراد من أخيه: ولى الدم، أى فالجانى الذى عفى له من ولى الدم شئ من العفو، ولو أقل القليل. كأن يعفو بعض الورثة عن حقهم فى

(٣) جريدة الجمهورية الصادرة فى ٢٠٠٢/٨/٢٩ ص٢٦.

القصاص، فإن ذلك يسقط القصاص كالعفو التام، وسماه «أخاه» استعطافاً، بتذكير أخوة الدين)[٤].

ولنتأمل أيضاً قوله تعالى:

﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ﴾ يقول فضيلة الإمام الأكبر في تفسير هذه الآية: فيها تحريض على العفو والصفح والعفو معناه التجاوز عن خطأ المخطئ ونسيانه مأخوذ من عفت الريح الأثر إذا طمسته وأزالته والصفح مقابلة الإساءة بالإحسان، فهو أعلى درجة من العفو أي قابلوا أيها المؤمنون إساءة المسئ بنسيانها وبمقابلتها بالإحسان.

وقوله: ألا تحبون أن يغفر الله لكم: أى ألا تحبون أيها المؤمنون أن يغفر الله لكم ذنوبكم بسبب عفوكم وصفحكم عمن أساء إليكم.

والجملة الكريمة ترغيب في العفو والصفح بأبلغ أسلوب وقد صح أن أبا بكر رضى الله عنه لما سمع الآية قال بلى والله ياربنا إنا لنحب أن تغفر لنا، وأعاد إلى مسطح نفقته، وفي رواية أنه رضى الله عنه ضاعف لمسطح نفقته[٥].

ويمكننا أن نقول باعتزاز «هذا هو الإسلام» بعد أن يعطى كل ذى حق حقه، يطالب بالعفو إن حب الناس للإسلام هو السبيل إلى محو «عادة الثأر الجاهلية».

ثم نعود إلى سبب آخر وهو بطئ التقاضى.. إذ يدفع هذا البطء ولى الدم إلى طريق الثأر.. عندما يرى القاتل حراً لسنوات.

لذلك نرى أن قضايا الثأر تحتاج إلى معالجة خاصة تتطلب:

(١) تشكيل مجالس عرفية تضم حكماء هذه القبائل وكبارهم وأصحاب الكلمة المسموعة لديهم مع بعض القيادات الرسمية وياحبذا لو كانت تلك القيادات من أهل البلد. يكون هدف هذه المجالس الاستماع لأهل القاتل والمقتول والوصول إلى الحلول التى ترضى الطرفين ويكون ذلك معلناً مع أخذ التعهدات على ذلك (وأهل الصعيد خير من ينفذون ماتعهدوا به فهم يعتبرون ذلك مسألة كرامة، وهى نقطة تحمد لهم).

(٢) القضايا التى تستعصى على المجالس العرفية تلك تحول إلى القضاء، على أن يتولاها قضاء خاص عاجل قبل ان تتفجر، فمصلحة الوطن قبل كل اعتبار.

(٣) ثم الدور الرئيسى الذى يصاحب كل هذه المراحل يقوم به الأزهر الشريف وهو دور التوعية الدينية وترسيخ مبدأ العفو لدى الجميع على أن تجند له كل الطاقات الممكنة، من أجهزة شعبية ورسمية رجالاً ونساءً، حتى نصل إلى نبذ هذه العادة الذميمة البغيضة ولتبقى كلمة الله هى العليا.

---

(٤) التفسير الوسيط (مجمع البحوث الإسلامية) الحزب ٣ ص٢٧٦.

(٥) تفسير القرآن الكريم (أ.د.محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر) تفسير سورة النور- الآية ٢٢.

سرقة علمية فاضحة

أخى الأستاذ الناقد / عادل خفاجة

سلامًا وتحية وبعد:

فأرجو أن تشيروا فى بابكم الذائع (بين المجلة والقارىء) إلى أن مدعيا بمجلة الوعى الإسلامى فى العدد الصادر بتاريخ جمادى الآخرة، ١٤٢٣ هـ قد سطا على مقالى المنشور بمجلة الأزهر بعدد (ربيع الأول سنة ١٤٢٣)، فنقله حرفيًا، وتوّجه باسمه، والمقال تحت عنوان: (مغالطات إسرائيلية وحقائق تاريخية)

وهذا المدعى الناسخ يسمى (ياسر دويدار) وهو اسم لم أعرفه من قبل، وقد شاء أن يبدأ كتابته فى الصحف بهذه السرقة، والعجيب مرة أخرى أنه نشر مقالى ذاته بمجلة النور اللبنانية عدد (جمادى الأولى) حرفيا، فما معنى هذا كله؟

وختاما تقبلوا تحياتى

صلاح عبدالرحيم محمد

●●●

مغالطات إسرائيلية كاذبة

بقلم: يا

يزعم الإسرائيليون الصهاينة أنهم حينما دخلوا فلسطين العام ١٩٤٨م لم يدخلوها محتلين

العالمي، من خلال آلتها الاعلامية التي نجحت الى درجة كبيرة في تحسين صورتها في عيون العالم الغربي الذي يدعم «حقها» في فلسطين، وذلك في غيبة من الاعلام العربي.

المغالطة الاولى

يزعم قادة إسرائيل «أن دولة اسرائيل الآن هي امتداد لمملكة داود، التي قامت في القرن العاشر قبل الميلاد، برقعتها الجغرافية الواسعة وبحدودها المترامية الاطراف». ولا يسعني في هذا الزعم إلا أن ادع

جانب مما نشرته مجلة «النور»

جانب مما نشرته مجلة «الوعى الإسلامى»

إلى الأستاذ الفاضل / **صلاح عبدالرحيم محمد**، اطلعت على مقالك المنشور بمجلة الأزهر بعدد ربيع الأول ١٤٢٣ هـ وعلى ما نشر بمجلة النور بعدد ربيع الآخر ١٤٢٣هـ وعلى ما نشر بمجلة الوعى الإسلامى فى عدد جمادى الآخرة ١٤٢٣ هـ وقد اتضح تطابق النصوص

الثلاثة مطابقة تامة لم يشذ غير الأخطاء الطباعية .

وبذلك يستبين أنك صاحب النص لأنك صاحب السبق فى النشر بعدد ربيع الأول ١٤٢٣هـ بمجلة الأزهر.

ولك يا أستاذ صلاح أن تطيب نفسك لنشر مقالك ثلاث مرات من ثلاث جهات نشر محترمة، وهذا ما أتاحه لك القدر،

ويمكنك يا أستاذ صلاح أن ترسل إلى جهات النشر المعنية حتى تحفظ حقك ونسبة المقال إليك «على أن ترسل نسخة من مجلة الأزهر عدد ربيع الأول ١٤٢٣ هـ إلى كل منهما» .

ويكفى أن أقول لك يا أستاذ صلاح : إن من سطا على مقالك فى الحقيقة غاب عن الوعى مرتين مرة حين نسب إلى نفسه ما ليس له، والأخرى حين يعلم المسئولون عن تحرير «الوعى» بهذا الأمر وبعدها سيكون غيابه عن «الوعى» طويلاً أكثر مما يظن، وعن النور أيضاً .

الظلم وخيم العاقبة

وعن الظلم أرسل القارىء/ ياسر فكرى السيد من شبين الكوم - ميت خاقان . يقول :

مما لاشك فيه أن العدل شريعة الله فى خلقه وميزان الله فى الأرض الذى يؤخذ به للضعيف من القوى ومن الظالم للمظلوم .

ولذلك حذر الله من الظلم وعاقبته فقال :

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ .

الشعراء «٢٢٧»

وقال رسول الله ﷺ «من اقتطع حق امرىء مسلم أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة» .

وكان معاوية يقول «إنى لأستحى أن أظلم من لايجد علّى ناصرا إلا الله» .

- فاحذر أيها الإنسان من دعوة المظلوم فإنها تسرى بالليل والناس نيام فتتلقاها يد العناية الإلهية وتنتقم لصاحبها وترد له حقه ولو بعد حين .

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً
فالظلم مصدره يفضى إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

فيتعين على كل ولى أمر أن يعدل فى رعيته وعلى كل إنسان أن يكف يده عن الظلم ويسلك طريق العدل ويراقب الله فى السر والعلن ويعلم أن الله مطلع على كل أعماله ويجازى على الخير والشر ويعاقب الظالم على ظلمه وينتصر للمظلوم وإذا أخذ الظالم لم يفلته، فاحذر أيها العاقل دعاء المظلوم عليك فإن ـ الله تعالى ـ لا يرده .

رسالة قارىء

وردت هذه الرسالة من القارىء / محمد محمود عطار - كفر الشيخ يقول:

السيد الأستاذ / عادل رفاعى خفاجة - محرر باب بين المجلة والقارىء مجلة الأزهر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد،،،

إنه ليسعدنى ويشرفنى أن أرسل لسيادتكم كل تقدير واحترام وأحيى فيكم روح الدفاع عن الإسلام وذلك فى ضوء رد سيادتكم على الرسالة التى تقدم بها القارىء / م. م. ع من القاهرة فى عدد ربيع الآخر ١٤٢٣ هـ وأهنىء سيادتكم على هذا الرد الطيب ولكن لى رد على هذه الرسالة حيث أقول وبالله التوفيق:

القرآن الكريم هو خاتم الكتب السماوية، وهو كلام الله المنزل على رسوله سيدنا محمد ﷺ والمتعبد بتلاوته.. والمتحدى به. والقرآن الكريم كتب كله فى عهد النبى ﷺ لكنه كان غير مجموع فى مصحف واحد مرتب، فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين جمعه وترتيبه، وذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

الحجر ٩

ويقول الإمام السيوطى فى كتابه «الاتقان فى علوم القرآن» عن زيد بن ثابت قال: «قبض النبى ﷺ ولم يكن القرآن جمع فى شىء» ولقد ذكر الأستاذ / م.م.ع أن الورقة التى أرسلت إليه بأن الآية رقم (١٠٩) من سورة التوبة تقع فى الجزء رقم (١١) وأنها تدل وتشير إلى يوم الانهيار وهنا أشير إلى أن مجموعة من العلماء قد قامت بتقسيم القرآن ثلاثين قسماً وأطلقوا على كل قسم منها اسم الجزء ثم قسموا الجزء إلى حزبين، وقسموا الحزب إلى أربعة أقسام كل قسم منها يسمى ربعا فالقرآن الكريم لم ينزل من عند الله مقسماً إلى أجزاء أو أحزاب أو أرباع.

وأخيرا وليس آخرا ندعو المسلمين بالبعد عن هذه الأمور التى تضيع الوقت والمال وعدم أخذ كتاب الله - سبحانه وتعالى - وسيلة لأغراض أخرى الهدف منها تضليل الواقع والمؤمنين وندعو المولى - عز وجل - أن يهدى الجميع لما فيه خير الصلاح وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد محمود العطار - كفر الشيخ

● **المحرر**: نذكر القراء إلى أننا فى ردنا على هذه الرسالة قدمنا قوله تعالى:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾

التوبة ٣٦

دليلاً على كذب الادعاء وقلنا: ان الشهور العربية «محرم - صفر...... إلخ» هى المقصودة فى قوله تعالى وليس «سبتمبر» أو غيره وبذلك يسقط الادعاء.

غير أننا نعتضد بكل رأى طالما أن الحق إمامه.

ونشكر للقارىء حُسن المتابعة وندعو الله أن يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى.

من إبداعات القراء :

● نقدم هذه الأبيات التى يهديها القارىء / نجاح عبدالقادر سرور من كفر بولين - بحيرة إلى أستاذه بمناسبة تقاعده ونحن بدورنا نهديها لكل من بلغ سن التقاعد وساهم فى تشييد صرح العلم فى بلدنا لهم منا جميعا كل محبة واعتزاز وتقدير.

إلى معلمى

افخر كما شئتَ.. بين اليوم والأمسِ ... يا مَن رفعتَ أساسَ العلم فى نفسى
أنساكَ كيف.. وقد كنتُ اليتيمَ أنا ... وكم مَسحْتَ بِكَفِ الحب لى رأسى؟!
أنساكَ كيف.. ومازلتم لنا مَدَداً ... مِن يوم أشرقتمو.. فى قاعة الدرسِ؟!
لكن مثلك.. مَن أبقاه خالقُنا ... نورَ الزمانِ.. بقاءَ النجم والشمسِ
فافْخرْ. فأنتَ الذى علَّمتَ جاهلَنا ... وجميلُ صُنعِكَ.. فوق العين والرأسِ

هل منْ مجيب

أبكى على ضعفى وقلة حيلتى ... والله يعلم أن بى هم كبير
يا ويلنا حل الهوان بأرضنا ... القبلة الأولى تهان ولا نثور
المسجد الأقصى ينادى أين هم ... من آمنوا بمحمد الهادى البشير
يا قدس لن ينساك ربٌ قائل ... إن تنصروه فإنه نعم النصير
يا قدس سوف تكون يوما سيدا ... ليلُ الشتاء يليه إشراق ونور

محمود محمد حسن - قرنمان / ديرب نجم - شرقية

للأستاذ / محمد الشرقاوى

مفتى السعودية يحذر من انتشار ظاهرة تفسير الأحلام بين المسلمين

انتشرت مؤخراً بشكل واسع ظاهرة تفسير الأحلام باسم الإسلام وتوسعت فى محطات التليفزيون والصحف والمجلات والمتنزهات كوسيلة لكسب المال والشهرة، وأصبحوا فى الأساس يدعون معرفة المستقبل من خلال الأحلام، وهذا يدخل فى علم الغيب. وقد حذر مفتى عام المملكة العربية السعودية الشيخ / عبدالعزيز آل الشيخ من هذه الظاهرة وانتشارها وقال: إنها أكل لأموال الناس بالباطل وأن المسلم إذا رأى فى منامه رؤيا، فعليه أن يتبع الأدب النبوى فى ذلك، فإن كانت رؤيا تسره ويحبها، فليحمد الله ولا يحدث بها إلا من يحب. وإن رأى ما يكره، فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، ويتفل ثلاثاً ولا يحدث بها أحداً، ويتحول عن شقه الذى كان عليه.. ولا تضره الرؤيا.

وأكد أن تفسير الأحلام ليس من العلم العام الذى يحسن نشره بين المسلمين ليصححوا اعتقاداتهم وأعمالهم، وأن التوسع فى باب تفسير الأحلام فى القنوات الفضائية والصحف والمجلات والمنتديات جذباً للناس وأكلاً لأموالهم بالباطل، كل هذا شرٌّ عظيم، وأنه يجب على المسلمين التعاون فى منع هذا الأمر. ويجب على ولاة الأمور السعى فى غلق هذا الباب لأنه أصبح باب شرٍ وذريعة إلى التَخَرُصْ، أى الكذب والاستعانة بالجن وجر المسلمين إلى الكهانة زيادة على ما فيها من الأضرار ومن إحداث النزاعات والشقاق

والتـفـريق بين المرء وزوجـه، والرجل وأقـاربه وأصدقائه، بدعوى أن ما يقوله العابر فى تفسير الأحلام يؤخذ على أنه حق محض، لا جدال فيه وتبنى عليه الظنون، وهذا من أبطل الباطل.

*** صحفية بريطانية بعد إسلامها:**

الإسلام دين عادل لحقوق المرأة

استضاف برنامج أخبار لندن المحلية فى محطة تليفزيون الإذاعة البريطانية « B.B.C1 » الصحفية البـريطانيـة « جـوان برادلى » التى اعـتـقلت فى أفغانستان من قبل قوات طالبان قبل أسابيع من بدء الهجـوم الأمريكى، وكـان سـبب اللقـاء هو إعلان الصحفية إسلامهـا بعد عشرة أشهر من الإفراج عنها وعودتها لبريطانيا. وحول أسباب اعتناقها الإسلام قالت « برادلى »:

عند اعتقالى فى أفغانستان سجنت مع عشرة مسيحيين، حينها قطعت عهداً على نفسى أن أدرس الإسلام بطريقة أكثر توسعاً وبعد عودتى بدأت فى دراستى فوجدته ديناً جيداً ومخاطباً للروح ومتماشياً مع الحياة. وأضافت: عندما درست الإسلام وتفهمته وجدته ديناً يملك العديد من الصفات مثل الانفتاح والتسامح.. ويحترم المرأة، وهذه جميعاً صفات وأشياء أذهلتنى!!..

ورداً على سؤال المذيعة التى قالت: الإسلام بتطبيقاته فى بعض الدول بالشرق الأوسط وبعض دول آسيا المسلمة لا يعطى إشارات بذلك، خصوصاً فى موضوع حقوق المرأة وحالات عدم العدالة..

فردت « برادلى »: هذا اعتقاد خاطىء.

*** فى الدانمـارك..**

ارتفاع أعداد الطلاب الدارسين للدين الإسلامى

أكدت دراسة دانماركية ازدياد نسبة المقبلين على دراسة الدين الإسلامى ومعتنقى الإسلام وسط « الدانماركيين » وبينت الدراسة أن دانماركياً واحداً على الأقل يعتنق الإسلام يومياً.

ووفق إحصائيات مكتب القبول فى جامعة « كوبنهاجن » فإن ارتفاعاً سُجِل فى عدد الطلاب الراغبين بمتابعة الدراسة فى كلية الدراسات الشرق أوسطية وبالذات دراسة الثقافة والدين الإسلامى بنسبة « ٦٠٪ » مقارنة مع العام الماضى.

قال أحد الباحثين: إنه باعتناق عدد كبير من الدانماركيين للإسلام وازدياد عدد المسلمين الذين يولدون فى الدانمارك فإن هذا سيؤدى قريباً إلى ولادة ثقافة إسلامية أوروبية

غالبية مسلمى أمريكا تعرضوا للتمييز

أظهرت نتائج استطلاع للرأى أجراه مؤخراً مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية « كير » أن أكثر من نصف مسلمى الولايات المتحدة تعرضوا للتمييز بسبب انتمائهم الدينى منذ وقوع هجمات سبتمبر. وأشار الاستطلاع إلى أن ٨٧٪ من مسلمى أمريكا يعرفون مسلماً واحداً على الأقل تعرض للتمييز خلال تلك الفترة. بينما أوضح « ٧٩٪ » من المشاركين فى الاستطلاع أن أكثر أنواع التمييز التى تعرض لها المسلمون فى الولايات المتحدة كانت الإساءات اللفظية، ثم التمييز الدينى والعرقى، ثم التمييز فى أماكن العمل.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل وفدا من البوسنة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وفداً من طلاب وطالبات مدارس التعليم الأساسى والتعليم الثانوى من مدينة سراييفو بالبوسنة والهرسك برياسة السيدة / عايدة عمر سوفييتش مديرة مدرسة أدهم مولابد يتش بسراييفو، رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف مشيراً إلى أن مصر رئيسا وحكومة وشعبا تولى اهتماما كبيرا بأبنائنا وبناتنا فى البوسنة والهرسك، وأن الأزهر الشريف يفتح أبوابه دائماً لمن يريد الدراسة بالأزهر الشريف، كما أشار فضيلته إلى أنه يوجد عدد كبير من أبناء البوسنة والهرسك يدرسون فى الأزهر الشريف ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية، ويتعلمون بجانب إخوانهم فى مصر، وقدم فضيلته شرحا مبسطا لدور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء المسلمين حيث يوجد طلاب من خمس وتسعين دولة يدرسون بالأزهر الشريف من البنين والبنات ويتعلمون فى الأزهر الدين الإسلامى بيسر وسماحة واعتدال ووضوح، مؤكدا على أن الأزهر الشريف يهتم بحفظ القرآن الكريم، وبدراسة الأحكام الشرعية ودراسة اللغة العربية والعلوم الحديثة على اختلاف أنواعها، كما أشاد فضيلته بما شاهده أثناء زيارته لمدارس البوسنة والهرسك ومدى تفهمهم لما يتلقونه من علوم دينية.

ومن جانبه أكد فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وقوف الأزهر إلى جانب أبناء البوسنة والهرسك وبخاصة بعد الحروب الطاحنة التى عاشوها، مشيرا إلى أن الأزهر يرسل علماء أزهريين لتعليم أبناء البوسنة والهرسك الدين الإسلامى وعلوم اللغة العربية والعلوم الدينية فى بلاده، ثم قام بشرح لمراحل التعليم الأزهرى فى مصر من الحضانة ثم الابتدائى ثم الإعدادى ثم الثانوى ثم يذهبون إلى الجامعة الأزهرية، وقد بلغ عدد المعاهد الأزهرية ستة آلاف ومائتى معهد منها معاهد نموذجية، كما أن الكليات التابعة لجامعة الأزهر الشريف بلغت حتى الآن أكثر من سبعين كلية، فى جميع التخصصات المختلفة فى القاهرة وفى محافظات الجمهورية، كما أوضح فضيلة وكيلة الأزهر الشريف أن الأزهر أخذ بتطوير العلوم لمسايرة مستجدات العصر كدراسة الكمبيوتر والحاسب الآلى وذلك فى المعاهد والكليات.

تهنئة

● تتقدم أسرة تحرير (مجلة الأزهر) بأطيب التهانى إلى فضيلة

الشيخ/ محمود عاشور

وكيل الأزهر الشريف بمناسبة صدور قرار السيد رئيس الجمهورية رقم ٢١٢ لسنة ٢٠٠٢ بمد خدمة فضيلته لمدة سنة اعتبارا من ١٣ / ٨ / ٢٠٠٢.

راجين لفضيلته دوام التوفيق

فضيلة الشيخ/ محمود عاشور

الإمام الأكبر يستقبل رئيس الجامعة الإسلامية بأندونيسيا

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الأستاذ الدكتور / أريو مارينى آزرا رئيس الجامعة الإسلامية بأندونيسيا والوفد المرافق لسيادته.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف مشيدا بعمق التعاون بين الأزهر الشريف ودولة أندونيسيا الشقيقة فى مجال التعليم حيث يوجد فى الأزهر طلاب وطالبات من دولة أندونيسيا يدرسون فى الأزهر الشريف وجامعته العريقة، شكر الضيف فضيلة الإمام على حسن اللقاء وعلى التعاون البناء المثمر بين الأزهر الشريف وجامعته وبين معاهد وجامعات جاكرتا، كما رغب فى زيادة هذا التعاون وطلب معادلة شهادة الدراسات الإسلامية بجامعة جاكرتا من الأزهر الشريف، كما طلب إمداد الجامعات والمعاهد بالمراجع والكتب والأبحاث العلمية للرجوع إليها والاستفادة منها، كذا إرسال المحفظين للقرآن الكريم لدولة أندونيسيا، ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر بأن الأزهر دائما يقدم العون والمساعدة لأبناء المسلمين فى شتى بقاع الأرض وخاصة لأبناء أندونيسيا، والحمد لله التعاون قائم على الوجه الأكمل، وقد وعد فضيلته بدراسة طلبات الوفد تمهيدا لتلبيتها.

الإمام الأكبر يرأس اجتماع رؤساء المناطق الأزهرية

* ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الاجتماع الموسع لرؤساء ومديرى عموم المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية، حيث تم استعراض الجوانب المتعلقة بمسيرة التعليم قبل الجامعى، من حيث الاطمئنان على ما اتخذته المناطق الأزهرية من إجراءات وترتيبات لاستقبال العام الدراسى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ من تجهيز لمقار الدراسة وصيانتها طبقا للمبالغ المخصصة لها فى هذا الغرض.

وأكد فضيلته على أهمية المحافظة على المياه داخل المبانى الدراسية لما لها من أهمية قصوى فى حياتنا وحفاظا على المبانى أيضا وصيانتها والتأكيد على أن تكون الكتب الدراسية فى أيدى الطلاب والطالبات مع بداية العام الدراسى وهى متوفرة فى مخازن الأزهر الشريف ومطلوب من المناطق استلامها سواء فى ذلك الكتب الشرعية واللغوية أو الكتب الثقافية.

وأكد على أهمية دعم المكتبات فى المعاهد فى جميع المراحل الدراسية وتوفير الكتب المناسبة لكل مرحلة دراسية بما يتناسب والعمر الزمنى للطلاب. وتوجد ميزانية مخصصة لشراء هذه الكتب، وذلك لإثراء الجوانب المعرفية والثقافية للطلاب، كما ناقش فضيلته الإجراءات التى اتخذتها المناطق للانتهاء من حركة الندب الداخلى فى جميع التخصصات قبل بداية العام الدراسى على نحو يحقق التوازن فى العمالة بين جميع المواقع، مع الوضع فى الاعتبار تحقيق التوازن الأسرى من نقل الزوجة لمقر عمل الزوج وأضاف فضيلته: إننا مع الرحمة فى أن ينقل الزوج أيضا لمقر عمل الزوجة لتحقيق الاستقرار الأسرى، كما أكد فضيلته على أهمية دعم المعامل ووضع المناطق والأجهزة المعنية أمام مسئولياتها من حيث توفير الكوادر المتخصصة والوسائل المعملية اللازمة لهذا الغرض، وبخصوص مسابقة القبول للصف الأول الإعدادى الأزهرى للطلبة المحولين من مدارس التربية والتعليم فقد وافق فضيلته على النزول بالسن إلى احدى عشرة سنة، حيث إن التلميذ فى المدارس يحصل على الابتدائية فى سن احدى عشرة سنة لأنهم يدرسون الابتدائية خمس سنوات الآن، بعد استيفاء الضوابط الأخرى من حفظ ١٨ جزءا من القرآن الكريم، وعلى المناطق متابعة الكثافة الطلابية والأعداد اللازمة لتحديد المقبولين كما أكد فضيلته على أهمية التوسع فى المعاهد النموذجية فى حدود الإمكانيات المتاحة لكل منطقة - وبالنسبة لتحويل المعاهد العادية إلى نموذجية فيتم ذلك اعتبارا من المرحلة التمهيدية ليتم التحويل تدريجيا طبقا لإمكانيات كل منطقة الموافقة على تحويل تلاميذ المرحلة الابتدائية والإعدادية بالأزهر الشريف إلى الصفوف المناظرة بمدارس التربية والتعليم، وأيضا التحويل من التعليم العام للأزهر الشريف بتلك الصفوف على أن يجتاز الطالب امتحان القرآن الكريم المقرر والتحويل فى الإعدادى مقصور على الصف الأول والثانى فقط.

وفيما يخص المعاهد المضارة بالزلزال فقد أكد فضيلته بأننا نسير فيها طبقا للخطة الموضوعة وهى تؤدى نتائجها على نحو طيب وتم الاتفاق مع وزارة المالية على النظام المتبع لدعم بناء وترميم هذه المعاهد.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ عبدالكريم محمد عبدالرحمن الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الشيخ شوقى النويجى رئيس قاع المعاهد الأزهرية والسادة أصحاب الفضيلة القائمين على العملية التعليمية بقطاع المعاهد الأزهرية.

دورة تدريبية جديدة لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى

* شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية السابعة والخمسين للأئمة والوعاظ والتى استمرت ثلاثة أشهر وانتهت فى آخر يوليو ٢٠٠٢ وقد حضرها أربعة وعشرون واعظا وإماما من دول: أندونيسيا، كوت ديفوار، الكاميرون، تايلاند، سيرلانكا، غانا، بنجلاديش وقد تحدث فضيلته إلى السادة الدعاة قائلا: إن شريعة الإسلام تقوم على أصلين أساسيين هما القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وإننا جميعا نتعاون من أجل خدمة ديننا الحنيف، وإن الشريعة الاسلامية تقوم على الوضوح فى آدابها، ومعاملاتها، وتعطى كل ذى حق حقه، كما أوضح بأن الدراسة فى الأزهر الشريف تقوم على الوسطية والاعتدال، ودراسة جميع المذاهب الإسلامية بدون تفرقة، وأصحاب المذاهب الأربعة لم يختلفوا فى أصل من الأصول فى الدين، ولكن الاختلاف فى الأمور الفرعية التى تقبل الاجتهاد، وحث فضيلته الأئمة والدعاة على التمسك بحفظ القرآن الكريم ودراسته المستمرة ودراسة السنة النبوية المطهرة، كما حثهم على ضرورة الاهتمام بفهم القرآن الكريم وفهم السنة النبوية المطهرة، حتى يستطيعوا الرد على الشبه التى توجه للمسلمين وللإسلام أيضا، وأن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن مصداقا لقول الله تبارك وتعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(١).

وأيضا يتمثل فى هؤلاء الفئة من العلماء قول الله تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٢).

فأنتم قد تعلمتم على أيدى أساتذة وعلماء أجلاء من الأزهر الشريف وجامعته، وعليكم أيها العلماء أن تكونوا قدوة طيبة لإخوانكم فى بلادكم فالقدوة الطيبة هى الأسوة الحسنة التى يقتدى الناس بها، كما أوصاهم فضيلته أن يكونوا أوفياء وأن يذكروا مصر وأزهرها الشريف وعلمائها بالخير دائما، ومصر وأزهرها الشريف تفتح قلوبها وأبوابها لكل قاصد إليها، نحن نستقبلكم ونودعكم بكل الحب والاعتزاز والتقدير وندعو الله لكم بدوام التوفيق والسداد.

كما افتتح فضيلته الدورة العالمية التدريبية الثامنة والخمسين لتدريب الأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامى للأزهر الشريف لمدة ثلاثة أشهر أيضا وتبدأ اعتبارا من أول أغسطس سنة ٢٠٠٢ وعدد السادة العلماء فى هذه الدورة عشرين عالما من دول زامبيا، كوت ديفوار، موريتانيا، وأوغندة، والجزائر، حضر اللقاء فضيلة الشيخ سيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الشيخ عبدالخالق

---

(١) النحل (١٢٥).

(٢) آل عمران(١٠٤).

نصير أمين عام اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف، والسادة السفراء من دولتي غانا والكاميرون.

الإمام الأكبر:

الجهاد شرع للدفاع عن الحق والنفس

* قام فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة محافظة الدقهلية، حيث استقبله السيد الدكتور / سعيد صوان محافظ الدقهلية والسيد المحاسب / محمد محمود عبدالرحمن أمين عام الحزب الوطني ورئيس المجلس الشعبي المحلي وفضيلة الشيخ / محمد عبدالعظيم رئيس الإدارة المركزية لمنطقة المنصورة الأزهرية وعلماء الأزهر والوعظ من منطقة المنصورة الأزهرية والقيادات الشعبية والحزبية بالمنصورة وبدأت الزيارة بافتتاح المقر الجديد لمنطقة الدقهلية الأزهرية، كما تم وضع حجر الأساس للجناح الجديد للمعهد النموذجي بالمنصورة بتكلفة إجمالية قدرها ٢٥ مليون جنيه، كما حضر فضيلته الاحتفال بتوزيع الجوائز على حفظة القرآن الكريم وعلى المحفظين وقام فضيلته بتوزيع الجوائز وقيمتها ٨٧٥,٠٠٠ ألف جنيه وقد وزعت على المتفوقين من الطلبة أبناء الدقهلية وكان ذلك في قصر ثقافة المنصورة وقد ألقى الشيخ محمد عبدالعظيم رئيس المنطقة كلمة رحب فيها بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لتشريفه المحافظة وتحمله المشاق للافتتاحات ولتوزيع الجوائز على أبنائه الطلاب حفظة القرآن الكريم كما رحب بالسيد المحافظ وبالقيادات بالمحافظة وتحدث عن فضل الأزهر الشريف وقيمته العالمية من خلال علماء الدعوة والتعليم في تحفيظ الطلاب والتدريس لهم وتعليمهم والقاء الخطب والمحاضرات وتثقيف الشباب وغيرهم وتحدث عن بعض الإنجازات في منطقة الدقهلية، حيث بلغت جملة المعاهد الأزهرية الحضانة والابتدائي والاعدادي والثانوي بنين وبنات حوالي ٥٠٠ معهد منها ٤٦٠ معهدا بنيت بالجهود الذاتية، وأربعين معهدا فقط بنيت بخطة الأزهر وهو ما قامت ببنائه الدولة.

ثم تحدث السيد المحافظ فرحب بفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف في محافظة الدقهلية، وشكر له هذا الحضور الطيب الذي سعدت به المحافظة لتشريف شيخ الأزهر وإمام المسلمين وأثنى على منطقة الدقهلية وقياداتها من السادة العلماء الذين يعملون في صمت ويحصلون على التفوق دائما ولسنوات متتالية، فحيث يوجد الأزهر يوجد العلم والعلماء.

ثم تحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فرحب بالسادة الحضور جميعا وأثنى على مسابقة القرآن الكريم وعلى الطلاب الفائزين ومعلمي القرآن الكريم مشيدا بفضل القرآن الكريم.. وفضل الحفاظ عليه مرددا الشعار الذي اتخذه الأزهر له: «ليس بأزهري من لم يحفظ القرآن الكريم» كما أثنى على شعب الدقهلية، مشيدا بخلقه، كما أشاد بالمنطقة الأزهرية وعلمائها والعاملين بها ودعا لهم جميعا بالتوفيق والسداد، وأضاف فضيلته أن الأزهر حريص على إرسال علمائه لجميع بقاع الأرض لشرح الإسلام، ولتعليم أبناء المسلمين الرد على الافتراءات التي تلصق بالإسلام والمسلمين، وبيان حقائقه الناصعة

وتعاليمه السمحة، وأن شريعة الإسلام تعطى لكل ذى حق حقه، ومن هذا المنطلق طالب فضيلته بدعم صمود الشعب الفلسطينى وأنه واجب على كل مسلم ومسلمة، كما طالب المجتمع الدولى باتخاذ موقف حاسم تجاه الممارسات الوحشية التى ترتكبها إسرائيل ضد الشعب الفلسطينى حتى تقوم دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وقال: إن شريعة الإسلام ترفض محاولات البعض الصاق تهمة معاداة السامية بالعرب والمسلمين بهدف إيجاد موقف عدائى ضد المسلمين، وقال: إن علماء المسلمين ومفكريهم يتسمون بروح التسامح ويقدرون حق الإنسان فى الحياة والحرية وأنه لا مجال إطلاقا لفكرة معاداة السامية، وأن ما كتبه الأستاذ إبراهيم نافع باعتباره واحدا من كبار المفكرين المصريين ونقيباً للصحفيين المصريين والعرب لا يعدوا توضيح المفاهيم وتأكيد أن الاسلام دين السماحة ويدعو لنشر الفضائل ويرفض الظلم والقتل والتشريد للآخرين بدون حق بما يخالفه تعاليم كل الأديان ويتنافى مع كل القيم والمبادى الإنسانية، وقال: إن هناك فرقا كبيرا بين الجهاد والإرهاب فى الإسلام، وإن الجهاد إنما شرع فى الإسلام للدفاع عن الحق والنفس وليس للاعتداء على الآخرين وتقييد حرياتهم.

بعثات أزهرية جديدة

* اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حركة ابتعاث العلماء الأزهريين إلى دول العالم المختلفة للعام الدراسى ٢٠٠٢/٢٠٠٣ وذلك إلى ٢٨ دولة أفريقية وآسيوية وأوروبية وعربية وذلك لنشر الثقافة الإسلامية وتدريس العلوم العربية والشرعية والمواد الثقافية وعلوم القراءات ضمت هذه الحركة ٢٨٥ مدرسا وواعظا وكانت على النحو التالى: -١٣٣ مدرسا للعلوم العربية، ١٢٠ مدرسا للعلوم الشرعية، ١٢ واعظا، ١٦ مدرسا للمواد الثقافية، ٤ علماء للقراءات.

وكيل الأزهر يشارك فى اجتماعات وزارة التعليم بجنوب إفريقيا

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رقم ١٠٨٨ لسنة ٢٠٠٢م.

بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ محمود عبدالغنى محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف إلى مدينة (دربن) بدولة جنوب أفريقيا لمدة ستة أيام اعتبارا من ١٦/٩/٢٠٠٢ وذلك للمشاركة فى اجتماعات مسئولى وزارة التعليم والثقافة بجنوب أفريقيا وزيارة معهد دربن الأزهرى وبعض المدارس الإسلامية بالدولة المذكورة بناء على الدعوة الموجهة من دولة جنوب أفريقيا.

الأزهر يشارك فى ندوة بمدينة طهران

صدر قرار فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رقم ١٠٩٧ لسنة ٢٠٠٢ بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ فرحات السيد المنجى المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية ممثلا للأزهر الشريف إلى دولة إيران لمدة خمسة أيام تبدأ من تاريخ السفر وذلك لحضور الندوة التى سوف تنعقد بمدينة طهران بتاريخ ١٨/٩/٢٠٠٢م تحت عنوان (السيدتان المقدستان السيدة فاطمة الزهراء والسيدة مريم - عليها السلام).

knowledge about Allah's signs in the universe because this strengthens faith in Allah's power and oneness.

(And have not the ones who disbelieved seen that the heavens and the earth were an integrated (mass), then We unseamed) **[Al-Anbiyaa (The Prophets): 30]**

Before the creation of the heavens and the earth, Allah knows everything that ever existed in the past, that is existing now, and all that will exist in the future. This divine knowledge is registered in a guarded Tablet. Therefore, the Muslim believes strongly that nothing can ever exist except by the will of Allah.

If we knew that Allah is our Lord who created us, we should also perceive that He did not create us without a purpose, but to worship Him. Revelation is not a mere chance or haphazard thing. By meditating on it, man may learn about himself, and his relation to nature around him and to Allah the Originator of all. There is a Hereafter and Allah will not treat the ones who do good like the ones who do evil. He will fully restore the balance disturbed in this life.

(And in no way have We created the heaven and the earth, and whatever is between them, untruthfully. That is the surmise of the ones who have disbelieved. So woe to the ones who have disbelieved, from the fire!) **[Sad:27]**

The divine words are meant to make man look deeply at the universe to be able to understand the tokens that reveal the power of Allah. Allah subjects everything for man's benefit. All is created out of naught and nothing; whatsoever can do harm or good for itself without Allah's command. Contemplating on Allah's creation and thanking Him for His blessings is very important.

﴿Allah is He Who has subjected to you the sea, that the ships may run in it at His command, and that you may seek of His Grace, and that possibly you would thank (Him).﴾ [Al-Jathiyah (Kneeling) :12]

According to the Qur'an, the heavens and earth were one unit, then Allah separated them. Later on, scientists proved that with the theory of the Big Bang. Since the Big Bang, the universe has probably been expanding outwards, perhaps it will go on expanding forever or perhaps it could be slowing down, and eventually starts to contract and return to nothing again.

Allah informed us through the Books He revealed to His messengers that He is the Originator and Sustainer of all creatures. The role of His messengers was to convey Allah's words to mankind and call people to believe in Allah and worship Him alone. The Qur'an is a constant challenge to science with all the facts presented by Allah about the universe. However, Islam does not prohibit scientific research as it encourages the efforts for obtaining more

The Universe

By: Hanan Abdou At-Tahtawy

Allah is the sole owner and creator of universe. He alone is worthy of worship. Several verses in the Qur'an incite mindful people to contemplate the universe in order to grasp the truth behind its existence. The universe is the source of knowledge and a clear evidence for the singleness of the All-Knowing Creator Who revealed in the universe the signs that reflect his knowledge and wisdom. Allah states in the Qur'an:

﴾Surely in the creation of the heavens and the earth and in the alternation of Night and Day there are indeed signs for ones endowed with intellects.﴿

[Al Imran (The Household of Imran) : 190].

The heavens and the earth are but two brief symbols and reminders of the glorious majesty of Allah and His goodness to man. Allah created the whole universe and He only knows everything about it. Allah swears by His mighty works in nature, which are token of His providence.

﴾And by the sun and its for forenoon radiance. And by the moon when it ensues her.﴿ **[Ash-Shams (The Sun): 1,2]**

So, people are equal in humanity; ruler and ruled, rich and poor, blue-blooded and others etc... There is nothing to distinguish between them except good deeds.

2- The right to live: Islam honored human life and considered it as a right not to be encroached upon. According to the equality between people in rights and duties and preventing a class to be put under control of another, Islam prohibited taking the life of others without right. Therefore, Islam put deterrent penalties to preserve and keep man's right to live. Allah says:

﴿O you who have believed, prescribed for you is retaliation concerning (the ones) killed.﴾ [Al-Baqarah (The Cow) :178]

So, Islam stated retaliation in case of killing on purpose and blood-money in case of killing unintentionally. Moreover, it stated that the disbeliever who had compact with Muslims must be treated like Muslims concerning killing by mistake in expiation and blood-money.

Furthermore, Islam prohibited killing the children for fear of want as He says: **﴿And do not kill your children, in apprehension of want; We provide for them and for you (too), surely the killing of them has (ever) been a great sinning.﴾** [Al-Isra' (The Night Journey) : 31]

In addition, Islam allowed and legalized *jihad* to face any aggression on both soul and religion as He says:

﴿And fight in the way of Allah the ones who fight you, but do not transgress; surely Allah does not love transgressors.﴾

[Al-Baqarah (The Cow): 190].

In conclusion, Islam shows interest in all kinds of rights applied to man such as captives' as it commands Muslims not to cause them to starve unlike enemies. Allah, glory be to Him, says: **﴿And they give feed for the love of it, to the indigent, the orphan, and the captive.﴾** [Al-Insan (Man) :8].

was regarded as a hope that a new atmosphere of equity, peace and security in the world would prevail.

What came in Islam as preserving man's rights was a symbol of balance between the materialistic attitude and the religious spiritual one. So, if man's rights – according to the international customs – are nothing but mere civil rights, they are obligatory duties in Islam; rewarded when done and punished when left. When Islam came, man was suffering from humiliation and ignominy in countries described by civilization and modernity such as the Persian and Roman empires; the strong exploits the weak. So, Islam came with the most honorable rights (to be proud of):

1- To honor humans and to let equality prevails among them. Allah, glory be to Him, appointed man as His successor in earth as He says: **﴿And as your Lord said to the angels, "Surely I am making in the earth a successor".﴾** [Al-Baqarah (The Cow) :30].

Moreover, Allah graced man over His other creatures as He says: **﴿And indeed We have already honored the Seeds of Adam and carried them on land and sea, and provided them of the good (things), and graced them over many of whom We created with marked graciousness.﴾**

[Al-Isra' (The Night Journey): 70]

The man honored by Allah is man in general; no difference between them concerning race, color, religion and etc,…. They are all equal as Allah says: **﴿O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious; surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant.﴾** **[Al-Hujurat (The Apartments):13]**

*Islam and Human Rights

By: Dr. Abd Al-Ghafar Hamid Helal

According to the Islamic law, man is Allah's successor in earth who is supposed to develop and elevate it. Moreover, he should draw balance between the materialistic and spiritual life in accordance with Allah's piety and the values and principles that control man's behavior.

Anything organizing community in all different fields, politically, socially and economically, goes back to an Islamic source. So, organizing man's life and activity depends on this rule in which the individual does his duty as he lives, works and produces in return for getting security, peace, justice and controlled freedom that does not lead to confusion, chaos and waste of rights.

The Islamic law protects man and universe and what is happening in it, namely, confusion in order to guarantee its safety, security and stability in an energetic, pure, pious way.

Considering the facts of the Islamic history and its glorious Texts proves the existence of a true construction of life in politics, sociology, science and culture. The connection between each one of them and the principles of morality should allow the masses all over the world to find out its rightful truth for the scientific and cultured specialists and researchers. All this shows the pure essence of Islam and its message in reforming and developing life.

The international organizations, at the beginning of fifties, began to show interest in human rights as a result of people's sufferings relating to wars and the Nazi and Fascist consequences that affects nations life. The end of the World War

* [1] * An article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

against Muslims so, where was your Islam?" The tyrant felt perplexed and found nothing to say but: "I'm a Muslim and I brought a muezzin, judge and Imam with me." Ibn Taymia said: " What did you do with your Islam? Your father and grandfather were disbelievers, however, they did not commit what you have done of crimes". Then, he returned to Damascus to instigate people to fight. Moreover, he led the jurists to train them horsemanship and Jihad. After a period, the enemy attacked again and Ibn Taymia prepared himself to join – with no fear – the Muslim army to fight back while asking martyrdom. This attitude of Ibn Taymia made the sultan, An-Nasser, Mohamed Ibn Qallawoon, feel amazement and he offered Ibn Taymia some gifts but he disdained from taking the price as he expects more when joins Allah.

One of his unforgettable attitudes is his unique stance towards king, An-Nasser. Some denouncers went to the sultan to turn him against Ibn Taymia saying that he is beloved by people and that he fought and invaded aiming at nothing but usurping the throne. An-Nasser was known for his rashness so he immediately sent for the sheikh and asked him angrily: "Why do you gather people around you?" The sheikh replied: "To support Islam as you witness". The sultan shouted at him saying: "No, but because you want to be the ruler and you exert much efforts to achieve your aim". Ibn Taymia smiled and said: "I swear by Allah that your throne besides the Tatars' do not worth a penny for me". Upon hearing this, the sultan felt ashamed and apologized.

The Imam resorted to the right so it protected him against tyrants.

﴿and it is (ever) truly (binding) on Us to (give) victory to the believers.﴾ **[Ar-Rum (The Romans): 47].**

evil to join them. All this put the creed of monotheism at the mercy of violent storms. Upon witnessing this, Ibn Taymia assumed the responsibility of restoring right. So, he began to confront his opponents using opinion, reason and arguments. In addition, he held meetings to discuss and argue. All this made those who had the upper hand, namely, the sects' leaders, feel endangered. So, they conspired with the sultan and conducted trails and judged him to be returned to prison as if he was a true guilty.

This is considered to be little in comparison with what he had faced in the outside field. It was rife with attitudes to be admired. For example, when the Arabs defeated the fleets of the Tatars at Ain Gallout, they retreated to their homes feeling infamy and bitterness of defeat. In 699 A.H. their king, Qazan, prepared his army to invade the Arab lands and then take hold of the land of the Nile. So, some of the Arab princes surrendered out of fright. The Tatarian sultan was pretending being a Muslim and so he accompanied a muezzin, judge and Imam as a camouflage to pave the way for him to fulfill his invasion and practice shedding blood and torturing. When Damascus opened its gates to receive him, Ibn Taymia felt pain to see this tyrant practices all sorts of torment under the guise of Islam. So, he decided to face this bloody tyrant. He went to him accompanying some of Damascus' dignitaries. Qazan received them while tending to sweet talk and ordered a feast. They ate out of fright except Ibn Taymia who abstained from eating. So, the sultan wondered and asked: " Why don't you eat, sheikh? " Ibn Taymia replied: " How can I eat from the food you cooked from people's sheep and trees with no right to do so?" Qazan said while astonished: "But I'm a Muslim, sheikh". Ibn Taymia answered him saying: "You took the side of the crusader king

Ibn Taymia
Making Right Public
By : Dr. M. R. Al-Biomi

Ibn Taymia was a matchless hero as no one dares – even his rivals – to question his being a great example. This honorable scholar was not fighting in one field on which he can focus his ideas, thought and strength but he was dealing with two different fields however, they share the topic of declaring truth and raising Allah's Word.

The great Imam fought in two different directions, inside and outside. As to the first field, it was full of those who oppose and contradict him, namely, imitators and knowledge and righteousness pretenders. Despite his being imprisoned and exiled at the hands of those who held great rank at the sultan, he never surrendered.

The society in which Ibn Taymia was living, was fraught with different factions that had different opinions and ideologies which they relate to the Shari'ah but in fact they are very far from the true soul of Islam. Moreover, they were leading the common to new delusive acts and corruption. Given this, the Imam looked deeply into this and was furious to see misinterpretation, corruption, rigorism and defending wrong. So, he determined to face and fight all this till he overcame it and achieved his goal aiming at defending right.

Ibn Taymia perceived that the commons were misled by some factions that impose their innovated matters on the Islamic thought and creed. Moreover, they were stating obligations that are not stated in the Islamic Shari'ah. Furthermore, they considered their innovations as evident Islamic Texts and encouraged those who do not differentiate between good and

﴿Indeed he has already seen of the signs of his Lord, the greatest﴾ [An-Najm (The Star): 18]

Al-Isra' and Al-Mi'raj

[The Night Journey and the Ascent]

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Whenever we witness the month of Rajab, we recall back the memories of the bitter struggle shouldered by the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, for the sake of the call. Allah, glory be to Him, sought to sorely try the prophet by the death of two of his dearest in one year namely, his wife, Khadija, may Allah be pleased with her, and his uncle, Abu Talleb. They used to support him (in his call). So, this year was called '***The Year of Mourning***'. This happened before the honorable migration a year or so.

To relieve sadness, Allah, glory be to Him, set a great miracle for him; he was carried in body from the Sacred Mosque in Mecca to Al-Aqsa Mosque in Jerusalem then he was ascended to heavens and saw marvels not available to anyone else, then his return to Mecca at the same night. As soon as he informed the disbelievers of Mecca about this miracle, a great deal of argument arose concerning the possibility of this. Those people – out of ignorance – forgot the mighty of Allah that has no limits and adhered to the human laws as some of them said: " Do you claim that you went there in a single night and we take a whole month by camels?" Their objection was considered as an answer for those who said that it was just a dream. If it was a dream, they would not have objected and complained to Abi Bakr thinking that this would shake his faith. However, Abu Bakr said his well known words " ***If he said this, he is true***", really, he is the truthful.

الأزهر

AL-AZHAR MAGAZINE
Rajab 1423 A. H.

ENGLISH SECTION
October 2002

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL, Ph.D.
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهــرس

● السيرة النبوية والأدب الشعبى (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٠٢٦
● من تفسير سورة النجم
لفضيلة الإمام الأكبر أ.د/ محمد سيد طنطاوى ١٠٣٢
● من صور الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم
لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة ١٠٤١
● كليات القرآن الكريم
للدكتور/ على أحمد على ١٠٥٠
● الحكم فى نظر الإسلام
لفضيلة الأستاذ/ عبدالرحمن الجزيرى ١٠٥٦
● من نفحات الإسراء والمعراج
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٠٦٣
● زيارة إلى بيت النبوة
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٠٦٧
● الحدود بين الرحمة والقسوة
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٠٧٦
● الإنسان بين الحرية والسنن الإلهية
للدكتور/ عبدالحليم عويس ١٠٨٠
● قالوا عن الحضارة الغربية
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١٠٨٤
● الإسراء والمعراج
شعر لفضيلة الشيخ/ محمد الطاهر الحامدى........ ١٠٨٩
● عداوة أمريكا وصداقتها
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٠٩٣
● كتاب الشهر: من هو اليهودى
عرض وتحليل أ.د/ إبراهيم عوضين ١٠٩٩
● معركة فى كتاب: تهافت الفلاسفة
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ١١٠٧
● قراءة نقدية فى كتاب: تاريخ الطب
عرض وتعليق أ.د/ أحمد فؤاد باشا ١١١٣
● تنويــــه ١١١٨
● التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية
عرض وتحليل أ.د/ محمد إبراهيم الفيومى ١١١٩
● طرائف ومواقف
لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١١٢٤
● الكيا الهراس
للأستاذ الدكتور/ عبداللطيف الحديدى ١١٢٦
● قصة العدد: رجولة وإباء
للأستاذ/ شوقى أبوناجى ١١٣١
● الدراسات الاستشراقية والأدب العربى
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١١٣٥
● مسئولية العلماء
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١١٤١
● خطـــبة الجمعـــة:
ملامح القوة فى الإسراء والمعراج
لفضيلة الدكتور/ أحمد الشرباصى ١١٤٥
● مؤسسات الاستيطان اليهودى فى إسرائيل
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ١١٤٩
● رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١١٥٤
● لن نصبح شعوبا إسلامية بسمات أمريكية
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١١٦١
● فى الرؤى والأحلام
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١١٦٤
● رسالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ عبدالفتاح سيد جمعان........ ١١٦٧
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١١٧٢
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم/ عادل خفاجة ١١٧٤
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١١٨١
● أنباء مكتب شيخ الأزهر
إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ١١٨٣
● القسم الإنجليزى
إعداد أ.د/ إبراهيم الأصيل ١١٩٩

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر

- النقد الهادف لا الهدم الجارف

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

- من نفحات الإسراء.. جلسة هادئة وحوار بناء

لفضيلة الشيخ الطاهر الحامدي

- الإنسان والكون بين الإيمان العلمي والإلحاد الخرافي

للدكتور / عبدالحليم عويس

- الإسلام والتفرقة العنصرية

للأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الاشتراك السنوى

● داخل مصر	١٨ جنيهاً مصرياً
● الدول العربية	٥٠ دولاراً أمريكياً
● أوربا وأمريكا	٨٥ دولاراً أمريكياً
● اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ..٥٧٨٦١ - ٨٥٧٦٢٠٠

شعبان ١٤٢٣هـ - اكتوبر ٢٠٠٢م - الجزء الثامن - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

النقد الهادف لا ال

جميلُ جداً أن نَغارَ على الإسلام، وعلَى مبادئه أنْ تُهدر فالُمسلم غيور ولكن الغيرة تُخطىء طريقَها الطبيعى لدى أناس يُحاولون أن يهتفوا بالإسلام فى سبيل شائك هو التطرّف المقيت فى تكبير التهم، واختلاقها أحيانا، لتُلصق التصاقا بنفر من الُمجاهدين، وهمْ شرفاء! وكُنّا فى كُتُب الجدل القديمة نرى أناسا يتصيدون التهم لنفر من الأعلام ليخرجوا بهم عن حظيرة الإسلام، فنظن أن هذا المرض الكريه قد مضى زمنه فى عُهود التقدم، ولكننا ننظر فيما يكتب الآن فنجد الداء هو الداء، ونرى أن الخطب قد استشرى إذ اتسعت وسائل النشر ووجدت ثمرات الأقلام رواجها الهائل لَدى القراء، وبذلك أصبحت التهم الكاذبة لا يقتصرُ تداولها على نفر خاص، بل عمّت بها البلوى إلى ما لا يُحد من الأبعاد.

وطبيعة التنقص من الطبائع المنحرفة فى بعض النفوس، وهى ترمز إلى علل نفسية تدل على الكراهية والمقت وتبْعد بصاحبها عن السلوك السّوى، فيظل أسير أنانيته المريضة وأشدّ ما يؤلم فى هذا المنحدر أن صَاحبه لا يستشعرُ مرضه الدفين، بل يعتقد أنه سليم مُعافى، وأنه يَصدُر عن نيّة طيبة وصدر سليم، لقد ظهر لدينا نفر من كبار المصلحين قاوموا أبالسة الشر، وواجهوا الخطوب السود فى مَعارك النضال، حتى أيقظوا العيون الهاجعة، وأناروا الطرق الدامسة، وواجهوا من العقبات ما تنوء به العصبة أولوا القوة ثم أفضوا إلى ربهم فَعرف لهم المخلصون جهادهم الباسل، وأولْوهم مكان الصدارة بين زعماء الإصلاح وأصبحوا أعلام العصر وهداته فبُسطتْ آراؤهم النظرية وحُللت مواقفهم العملية، وصَدرت المؤلفات لتتحدّث عما فعلوه، والإنسان بشر يُخطىء ويصيب، فلابد أن يقع هؤلاء فى بعضِ ما يؤخذ عليهم، ويُصبح موضع انتقادهم، وطبيعى أن يُسجل التاريخ ما كان كما كان، وأن يرصد الحسنات، ويسجل الهنات! وهذا وجه لا اعتراض عليه ولا انتقاد، بل إننا نرى أن تسجيل الهنات يدعو إلى تلافيها، ويفسحُ مجال العبرة منها، فيفيدُ المصلح من يقرءون تاريخَهُ مُخطئا

... هدم الجارف

جمال الدين الأفغانى

الإمام محمد عبده

الشيخ/ محمد المراغى

ومصيبا، يُفيدهم مصيبا حين يجعلونه موضع القدوة فيما أصاب، ويُفيدهم مخطئا حين يتجنبون ما تورط فيه من خطأ فيسلمون ويهتدون.

ولكن فريقا من الكتاب يتحدّثون عن هؤلاء الأعلام حديثَ من يَراهم مَوضع الاتهام والازدراء، فهم لا يهتفون إلا بما توهموه من مآخذ! ثم لا يفتأون يكررون الاتهام فى إصرار ممل، ويقيمون الدنيا ويُقعدونها سخطا على قوم يَرونهم مارقين ناشزين، وقد يَجدون من يَرد عليهم فى أدب فيبيّن لهم موضع الخطأ فيما يصنعون ولكنّهم لا يستمعون إلى نُصح ولا يبحثون عن مكمن الحق فيما يقولون، ثم لا يَزالون بعد وضوح الجادّة، واستواء الحجة يَشنّون الغارة على هؤلاء المصلحين كأنّما يؤلمهم كلّ الإيلام أن تظهر براءة مُتّهم أو تستقيم سيرةُ مناضل!.

نعرف أن جمال الدين الأفغانى قد أدى دوره الناهض فى إيقاظ الوعى الإسلامى، وقفّى على أثره تلميذه الشيخ محمد عبده فأكملَ خطوات الطريق بما بذَل من جهد ثم تتابع تلاميذهما المخلصون من أمثال: محمد مصطفى المراغى، ومحمد رشيد رضا، ومحمد فريد وجدى، فأسهموا خير إسهام فى استنارة العقول وبعث النهضة الإسلامية المعاصرة، وهؤلاء جميعًا قادة روّاد، تعرف نورَ الحق فى أعمالهم، وترى هداية الإسلام فى مقالاتهم ومؤلفاتهم ولهم لدى المنصفين مكان مرموق، وفى صفحات التاريخ سطور من نور.

محمد رشيد رضا

محمد فريد وجدى

ولكن نفرا من ذوى الغيرة لايزالون يكتبون المؤلَفات وينشرون المقالات، وفيهم من يُدعى لإلقاء المحاضرات فى بعض حواضر الإسلام إذ عُرفوا بالحماسة الدينية المُفرقعة والهتاف الإصلاحى الصاخب فتراهم يعبئون جهودهم للدعوة إلى مُقاومة الانحراف، وهذا ما يُحمد لهم دُون نزاع إذ يَسَّرَ كل مسلم أن يتبين وجوه أعدائه من ذوى الأربة المريضة فيعرف ما يبثّه الاستشراق والتبشير من سموم فى كيان المجتمع الإسلامى المعاصر، ولو اقتصر هؤلاء المستشرقين والمبشّرين والمستغربين ما اعترضَ طريقهم معترض بل وجدوا التأييد القوى والاحتفاء البالغ ولكنهم خلَطوا عملا صالحا وآخر سيئا حين أخذوا يلحون فى انتقاص زعماء الوعى الإسلامى دُون إشفاق فهم يتتبعون أمثال جمال الدين، ومحمد عبده، ومحمد مصطفى المراغى فى تشفٍ لا أدْرى بَواعثه، وكأنَّهم من طراز المُبشرين وغُلاة المستشرقين! فيَهولُك كل الهول أن تَسْمع من هؤلاء من يكرّر فى لغط كريه أنّ جمال الدين الأفغانى من دُعاة الماسونية وأن محمد عبده هو صاحب الدعوة إلى تبرّج المرأة، وأن المراغى صديق الاستعمار وحليفه فى مصر والسودان! ثم يشفعون بذلك بالتحذّير من آرائهم، والتهوين من نضالهم! وقد تظنّ بهم الجهل البرىء فترشدهم إلى وجْه الحق وتدلّهم على شهادات الأحرار من المخلصين وتزكياتهم الرائعة لمواقفهم الجهيرة، ثم تختارُ لهم من مؤلَفات المنصفين ما يرد على كلّ شبهة تحاك! قد تفعلُ ذلك كله لتجد أذنا تسمع أو عَينا تقرأ، أو قلما يناقش ثم تنظر فلا ترى غير التعصب المقيت والاستهانة بكل تعليل، والتحيف لكل إنصاف، حتى لتظن أن هناك حرصا قويا على تثبيت الاتهام، وإذاعة السوء، وإلصاقه بالشرفاء، وإلا فماذا تصنع فيمن تدله على الحق فيجتويه وتحذره من الباطل فيأتيه، وله أذن تسمع وعين ترى، وعقل يميز الطيب والخبيث!.

نقول لهؤلاء: إن الأفغانى قد خُدع بالماسونية بدءا ثم اكتشف بواعثها المغرضة فَنابذها واحتقرها، وأن محمد عبده قد دعا إلى تعليم المرأة وتثقيفها والتمتع بما أوجبه لها الإسلام من امتيازات دون أن يدعو إلى التبرج والاستهتار، وأن المراغى قد كَسَبَ مُسالمة العدوّ لاعتزازه بكرامته وتَمَسّكه بإسلامه، ومناقشة الآراء فى حصافة واقتدار حتى يُسكت خصيمه فلا يلج فى عناد! نقولُ ذلك ثم نَسْتشهد بالوقائع ونستدلّ بالمؤلفات ونستعينُ بالعُدول من الثقات، ونَعتقدُ بعد هذا الجهد الجاهد أن الباطل قد هَوى وأن الحق قد ارتفع

ثم يهولك الإصرار كل الإصرار على اتهام الشرفاء وانتقاص الأحرار، مع ما قدّمت من البرهان!.

فإذا تركتَ حديث هؤلاء عن الأحرار من الزعماء، والصادقين من الشرفاء إلى حديثهم عن المستشرقين والمبشرين من أرباب الجدل الواضح والحقد المتين فلن تجد دراسة هادية، أو حججا مقنعة، أو تعمقا بصيرا ولكنكْ تجد مظاهرات صاخبة تجمعُ شتّى الأسماء فى نطاق واحد! إذ ترى حشْدا من الأسماء المستشرقة ما بين أمريكية وإنجليزية وهولندية وألمانية ومجرية وفرنسية! وكلّهم مستشرقون مبشرون! تجمع هذه الحشود فى مُحاضرة أو مقالة أو صفحات كتاب لا لتناقش الأفكار جُزْئيّة جُزْئية! بل لتسبَّ المستشرقين وتلعنهم، دُون هدم لفكرة أو تفنيد لرأى!! وتكتب لهؤلاء فتدلهم على الطريق الأصوب لمقاومة التبشير والاستشراق، وتدعو إلى التخصص فى الرد، فيرَد صاحب الدراسات القرآنية على أخطاء المغرضين، ويُفنّد صاحب الدراسة التاريخية أوهام من خبطوا فى التاريخ الإسلامى، ويتجه علماء الحديث إلى تقويض أراجيف الزائغين بدلا عن محاضرة لا تزيد عن ترديد الأسماء، وذكر رؤوس الموضوعات! وصاحبها عند نفسه - وعند نفسه فحسب - مُدافع مناضل يقف على ثغر من ثغور الإسلام يُعرض صدره للسهام حبا فى الاستشهاد! هو وحده الذى يضرب بالسيف، أما جمال الدين ومحمد عبده ومصطفى المراغى، فمنحرفون مضللون!.

هؤلاء هم زعماء الدين وَقدْ وُصفوا بالإفك ووُصفوا بالبهتان، فإذا انتقلنا منهم إلى زعماء الأدب فلابدّ أن يكونَ ميدان السّباب فسيحا متسعا، ولابد أن تثور براكين الأرض، نقمة على ما اقترفوا من كتب ومادبجوا من أبحاث!.

وأعجبُ ما يثيرُ العجب أنّ كتب هؤلاء التى انتحَت وجهة الإسلام، قد صَدرت منذ سبعين عاما وأكثر وقد حَظيتْ من القبول والرواج، وتعدد الطبعات، ونباهة الذكر مَا أورثَ المكتبة الإسلامية خصباً ناضراً كانَ من قبل جدْبا موحشاً، إذ قدمت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الطاهرين بأحسن ما يُنتظر أن يجذب أفئدة الملايين من القرّاء فى عصر تقدم فيه الأسلوب الكتابى بما لا يُغنى معه الاكتفاء بسيرة ابن هشام والسيرة الحلبية ونور اليقين ونحوها بل لا يُغنى معه ما كتبه كثير من أساتذة الكليات الجامعية الذين يتحدثون عن نبىّ الإسلام فى «مؤلّفات» تقرر على الطلاب ولا تجد ذيوعَها عدّة أمتار بَعد عتَبات الكلية، وأقولُ «مؤلفات» تجوّزا لأنها ملخصات لا ترشح بالجديد فى الفكرة ولا تتألق بالناضر من التعبير، ولست أعنى أحدا بذاته ولكنى أتكلم عما رأيت، فما شهدت إلا بما علمت.

هذه الكتب التى أخصبت المكتبةَ الإسلامية بثمرها المستطاب، ضاقْت بها أقلام يعزُّ عليها أن تعترف بالحق لأهله «فحياة محمد» الخالدة التى سطرها الكاتب البارع الدكتور محمد حسين هيكل – رحمه الله – منقولة – فى زعمهم – عن مُؤلَّف فرنسى كتبه درمنجم، ومحشوة بمفتريات هذا الفرنسى: هكذا قال هؤلاء السبّابون فى جرأة فاضحة! وقد ترجم المرحوم الأستاذ عادل زعيتر كتاب درمنجم منذ عشرات السنوات، وقرأه الناس فى ترجَمته العربية فما وجَدوا بينْه وبين «حياة محمد للدكتور هيكل» مشابهة تذكر، فالأسلوب غير الأسلوب تبويباً وتفكيرا وقضايا، ولئن كان هيكل قد اعترف بأن كتَاب درمنجم قد جَذَبه إلى كتابة مؤلفه، فهذا شيءُ والنقلُ عن المستشرق الفرنسى شىء آخر، ولكنّ الساخطين لا يُعجبهم أن يكتبَ هيكل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وَبدل أن يُمدح اتجاهه النبيل فلابد أن يذم، ولابُد أن يكون عمله الرائع محسوبا عليه لا له! ولابد أن يكون كتابُه ستارا استشراقيا باطنُه العذاب وظاهره الرحمة.

والعقاد: رحمه الله العقاد! لقد أثار حفيظتى ودفعنى رأسا لكتابة هذا المقال، ما قرأته فى ماضى السنين بجريدة الأهرام تحت عنوان مثير يقول: «صدمة للثانوية» بالبنّط العريض، أتدرُون ما هذه الصدمة التى صرخت منها جريدة الأهرام وعدتها خطرا مزعجا يتهدد آلاف الطلاب، إنها تقرير كتاب «عبقرية عمر» هذا العام على التلاميذ! وقد قُرّرت العبقريات عدة أعْوام فكانت وحدها الشىء الجدىّ فى مقررات اللغة العربية إذ فرضتْ على الطلاب وهم مقبلون على الأسلوب الجامعى نَمطا رفيعا من التأليف البيانّى تحليلا وتشريحا وجدلا وإفحاماً، وقد قيل إنها تتطلب الجهد!! وأى عمل مدرسى لا يتطلب الجهد؟ ولماذا يُقرر على الطلاب أنفسهم روايات الكبار من أدباء الغرب فى اللغة الإنجليزية، فيضطرون إلى فهمها فى لغتها الأجنبية، ثم لا يعترضُ على ذلك معترض، فإذا كَتب العقاد بأسلوب عربى مبين عن محمد صلى الله عليه وسلم، والصديق وعمر وخالد! صاح الصائحون وصرخت الأهرام، واستعدت المسئولين!! إنه زمن مضى بآثامه، وأرجو ألا يعود.

ثم نأتى لطه حسين! وقد مات طه حسين، فاقتضى عمل المؤرخ الجاد أن يقسم حياته إلى فترتين مختلفتين فترة ناشزة ضلّ فيها الطريق وفترة أخيرة رجعت به إلى السنن القويم حين كتب «الوعد الحق» بأفصح ما يُكتب به من البيان الرائع عمّا لاقاه المستضعفون من تعذيب وحينَ كتب «مرآة الإسلام» فى وضوح مشرق ساطع الدليل، وقد قُرّر الكتابان عدة سنوات على آلاف الطلاب فكانا موضع استفادة

محققة تنشرح لها صدور المنصفين! كما وقف الدكتور أمام الشيوعيين وقفات رائعة تنتصر للغة العربية المهضومة والأدب العربى المهيض والتراث الإسلامى المنتقص فكان صوته الأعلى لدى من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وكم ضاقتْ به أقلام شيوعية مستأجرة تَراه حاجزا دون ازدراء اللغة العربية والأدب العربى، وكان يرمض نفوسها أنها لا تستطيع مقاومة طه حسين! هذا الرجل قد تواطأ بعدَ وفاته جماعة من الكتاب على سبّه والخروج به عن حظيرة الإسلام! ثم يبلغ بهم العناد أن يقولوا إن ما كتبه فى مثل مرآة الإسلام، والوعد الحق، لا يصور اتجاهه المستنير، وإنما هو تمويه وتدجيل! وكأنهم قد شقوا عن صدره فعرفوا أنه مُلحد منافق ومموه دجال!.

ونحن نقول لهؤلاء: إنكم تخالفون الإسلام صراحة حين تتحدثون عن النيات المستترة والخوالج الباطنة، فذلك كله من شأن عالم الغيب والشهادة، وسبيلكم الصائب، أن تسردوا للرجل ما له وما عليه، فإذا انتقدتموه فى عهده الأول عن حق، فليس لكم أن تشوّهوا ما ختم به حياته من اتجاه، وليس لكم غير الظاهر دون سواه.

على أنى بعد ذلك أسأل فى غيظ: أىّ معسكر سَيَسْتفيد من تحقير مواقف جمال الدين، ومحمد عبده ومحمد مصطفى المراغى؟ وأى معسكر سيكسب من إهمال «حياة محمد» و«عبقريات العقاد» و«مرآة الإسلام».. لا شك أن قراء المسلمين هم الخاسرون، وأن المستفيد عن يقين هم أعداء الإسلام وشانئوه، فعلام التشنج الصاخب فى سب المصلحين من رجال الدين، والتنطع الخائب فى تسفيه الرائع من صحف الأدباء؟ وما ثمرة ذلك كله التى يحرص عليها المندفعون؟.

تسأل ما تسأل فلا تجد إجابة تشفى أو منطقا يفيد، وفى النفس ما فيها مما يضيق به الصدر ولا يترجم عنه اللسان.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة البقرة

قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

الآية : ٢٤٠ : ٢٤٢

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

والآية الأولى من هذه الآيات تبين بعض الحقوق التي شرعها الله – تعالى – للمرأة التي توفي عنها زوجها.

والمعنى: لقد شرع الله لكم فيما شرع من أحكام، أن على المسلم قبل أن يحضره الموت أن يوصي لزوجته التي على قيد الحياة بما تنتفع به انتفاعاً مستمراً لمدة حول من وفاته، ولا يصح أن يخرجها أحد من مسكن الزوجية.

وقوله: ﴿ وَصِيَّةً ﴾ فيه قراءتان مشهورتان.

القراءة الأولى بالنصب، والتقدير: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً فليوصوا وصية، أو كتب الله عليهم وصية لأزواجهم.

والقراءة الثانية بالرفع والتقدير: فعليهم وصية لأزواجهم.

وعلى قراءة النصب تكون كلمة ﴿ وَصِيَّةً ﴾ مفعولاً مطلقاً أو مفعولاً به، وعلى قراء الرفع تكون مبتدأ محذوف الخبر. وقوله:

﴿ لِّأَزْوَاجِهِم ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لكلمة ﴿ وَصِيَّةً ﴾ على القراءتين. أي: وصية كائنة لأزواجهم.

والمراد بقوله: ﴿ مَّتَاعًا ﴾ ما تتمتع به الزوجة من السكن والنفقة بعد وفاة زوجها بوصية منه وهو منصوب على المصدر أي متعوهن متاعاً أو على المفعولية. أي جعل الله لهن ذلك متاعاً.

وقال – سبحانه –: ﴿ مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ ﴾ للتنصيص على أن هذه المدة تمتد حولاً كاملاً منذ وفاة زوجها، إذ كلمة حول تدل على التحول أي حتى تعود الأيام التي حدثت فيها الوفاة. وقوله:

﴿ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ حال من أزواجهم أي غير مخرجات من مسكن الزوجية، فلا يصح لورثة الميت أن يخرجوهن من مسكن الزوجية بغير رضاهن، لأن بقاءهن في مسكن الزوجية حق شرعه الله لهن، فلا يجوز لأحد أن يسلبه منهن بغير رضاهن.

ثم قال – تعالى –:

﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ﴾

أي: ﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ ﴾ من منزل الزوجية برضاهن ورغبتهن ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي فلا إثم عليكم أيها المسلمون:

﴿ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ﴾.

أي فيما فعلن في أنفسهن من أمور لا ينكرها الشرع كالتزين والتطيب والتزوج بعد انتهاء عدتها وهي أربعة أشهر وعشرة أيام. هذا، وللعلماء في تفسير هذه الآية اتجاهان مشهوران:

أما الاتجاه الأول: فيرى أصحابه أن هذه الآية منسوخة لأنها توجب على الزوج حين مشارفة الموت أن يوصي لزوجته بالنفقة والسكنى حولاً، ويجب عليها الاعتداد حولاً، وهي مخيرة بين السكنى في بيته حولاً ولها النفقة، وبين أن تخرج منه ولا نفقة لها، ولم يكن لها ميراث من زوجها.

قالوا: وكان هذا الحكم في ابتداء الإسلام.

وقد نسخ وجوب الوصية بالنفقة والسكنى بآية المواريث وبحديث «ألا لا وصية لوارث» حيث جعل لها الربع أو الثمن عوضاً عن النفقة والسكنى ونسخ وجوب العدة حولا بقوله – تعالى – قبل ذلك:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾

قالوا: ومما يشهد لذلك ما أخرجه أبوداود والنسائي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: نسخت بآية الميراث بما فرض الله لهن من الربع والثمن «ونسخ أجل الحول بأن جعل أجلها أربعة أشهر وعشراً»[1].

وقد حكى هذا الرأى صاحب الكشاف فقال: والمعنى: أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً، أى: ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن. وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله:

﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ وقيل نسخ مازاد منه على هذا المقدار. ونسخت النفقة بالإرث الذى هو الربع والثمن.

واختلف في السكنى فعند أبى حنيفة لا سكنى. ثم قال: فإن قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة؟ قلت: قد تكون الآية متقدمة في التلاوة وهى متأخرة في التنزيل، كقوله – تعالى –:

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ مع قوله:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[2].

وعلى هذا الاتجاه سار جمهور المفسرين.

أما الاتجاه الثانى: فيرى أصحابه أن هذه الآية محكمة وليست منسوخة وممن ذهب إلى هذا الاتجاه مجاهد، فقد قال ما ملخصه: دلت الآية الأولى وهى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾

على أن هذه عدتها المفروضة تعتدها عند أهل زوجها. ودلت هذه الآية بزيادة سبعة أشهر وعشرين ليلة على العدة السابقة تمام الحول، وأن ذلك من باب الوصية للزوجات أن يمكن من السكنى في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم حولاً كاملاً ولا يمنعن من ذلك لقوله:

﴿ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ فإذا انقضت عدتهن بالأربعة أشهر والعشر – أو بوضع الحمل – واخترن الخروج والانتقال من ذلك المنزل فإنهن لا يمنعن من ذلك لقوله: ﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ ﴾.

(١) أخرجه أبوداود في كتاب الطلاق باب نسخ متاع المتوفى عنها زوجها بما فرض لها من الميراث.

(٢) تفسير الكشاف جـ١ ص ٢٨٩.

ومن المفسرين الذين أيدوا هذا الاتجاه الإمام ابن كثير فقد قال - بعد أن ساق قول مجاهد - وهذا القول له اتجاه وفي اللفظ مساعدة له وقد اختاره جماعة منهم الإمام أبو العباس بن تيمية[٣].

كما أيده أيضاً الإمام الفخر الرازي في تفسيره، فقد قال بعد أن ساق بعض الأدلة التي تثبت ضعف قول من قال بالنسخ: «فكان المصير إلى قول مجاهد أولى من التزام النسخ من غير دليل»[٤].

والخلاصة أن أصحاب هذا الاتجاه الثاني لا يرون معارضة بين هذه الآية وبين آية:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾

لأن الآية التي معنا لا تتحدث عن عدة المتوفى عنها زوجها وإنما تتحدث عن حقها في البقاء في منزل الزوجية بعد وفاة زوجها، وأن هذا الحق ثابت لها فإن شاءت بقيت فيه، وإن شاءت خرجت منه على حسب ما نراه مصلحة لها، ولأنها لا يوجد في ألفاظها أو معانيها ما يلزم المرأة بالتربص والامتناع عن الأزواج مدة معينة.

أما الآية الثانية فنراها واضحة في الأمر بالتربص أربعة أشهر وعشراً، وهي العدة التي يجب أن تمتنع فيها المرأة التي مات عنها زوجها عن التزين والتعرض للزواج. إذن فلا تعارض بين الآيتين ومتى انتفى التعارض انتفى النسخ.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: عزيز في انتقامه ممن تعدى حدوده، إذ هو القاهر فوق عباده، حكيم فيما شرع لهم من آداب وأحكام فينبغي أن يمتثل الناس أوامره ويجتنبوا ما نهاهم عنه.

ثم بين - سبحانه - حق المطلقات فقال:

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

أي: وللمطلقات على أزواجهن الذين طلقوهن متاع بالمعروف أي: شيء ينتفع به انتفاعاً ممتداً لمدة من الوقت مما تعارف العقلاء عليه وعلى فائدته للمرأة، وهذا المتاع جعله الله حقاً على المتقين الذين يصونون أنفسهم عن كل ما يبغضه الله - تعالى -:

وقد جعل الله هذا الحق للمطلقة على مطلقها جبراً لوحشة الفراق وإزالة لما قد يكون بين الزوجين من شقاق، وتخفيفاً لما قد يحيط بجو الطلاق من تنافر وتخاصم وعدم وفاق.

قال ابن كثير: وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء بوجوب المتعة لكل مطلقة سواء كانت مفوضة، أو مفروضاً لها، أو مطلقة قبل المسيس، أو مدخولاً بها. وإليه ذهب سعيد بن جبير وغيره من السلف واختاره ابن جرير، وهو قول عن الشافعي[٥].

---

(٣) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٢٩٧ بتصرف يسير.

(٤) راجع تفسير الفخر الرازي جـ ٦ ص ١٦٨.

(٥) تفسير ابن كثير جـ١ ص٢٩٧.

وعلى هذا التفسير يكون المراد بالمتاع ما يعطيه الرجل لامرأته التى طلقها زيادة عن الحقوق المقررة لها شرعاً ليكون التسريح بإحسان.

ومن العلماء من يرى أن المراد بالمتاع هنا: النفقة التى تكون للمطلقة فى العدة قال الفخر الرازى: وأعلم أن المراد بالمتاع ههنا فيه قولان:

أنه هو المتعة فظاهر هذه الآية يقتضى وجوب هذه المتعة لكل المطلقات.

والقول الثانى: أن المراد بهذه المتعة النفقة، والنفقة قد تسمى متاعاً، وإذا حملنا هذا المتاع على النفقة اندفع التكرار فكان ذلك أولى[٦].

ويظهر أن مراد الفخر الرازى بقوله: «اندفع التكرار» أى ما بين هذه الآية والآية التى سبقت وهى قوله - تعالى -:

﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾

ولك أن تقول: إنه لا تكرار مع إرادة المتعة التى ليست هى النفقة لأنه فى السابقة بين أنها حق للمرأة حين تطلق ولم يكن قد قدر لها مهر معين، وهنا ذكرت عقب آية الوفاة لدفع ما يتوهم من أن المتوفى عنها زوجها لها حق فى المتعة إذا لم يوص لها زوجها بالنفقة.

ثم ختم - سبحانه - هذه الآيات المتعلقة بأحكام الأسرة بقوله:

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

أى: مثل هذا البيان الحكيم الواضح الذى بين الله لكم به الأحكام السابقة، يبين لكم جميع آياته وأحكامه التى أنتم فى حاجة إليها لكى تفهموا ما فيها وتعقلوه وتعملوا به فتنالوا السعادة فى الدنيا والآخرة.

وإلى هنا تكون السورة الكريمة قد بينت لنا فى أكثر من عشرين آية بعض الأحكام التى تتعلق بالأسرة وصيانتها وسعادتها بأسلوب مؤثر حكيم وبطريقة تهدى إلى أفضل الأخلاق، وأقوم العلاقات بين الأفراد والجماعات، وإن المتأمل فى هذه الآيات وما اشتملت عليه من توجيهات سامية ليوقن بأن هذا القرآن إنما هو من عند الله، الذى شرع لعباده ما فيه صلاحهم وسعادتهم.

وبعد هذا البيان الحكيم عن الأسرة وما يتعلق بها من زواج وطلاق وغير ذلك، ساق القرآن من القصص ما من شأنه أن يدعو إلى التذكر والاعتبار ويحرض على الجهاد فى سبيل الله.

***

(٦) تفسير الفخر الرازى جـ١ ص ١٧٢.

فاتحة الكتاب بين تفسيرين

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

(١) لعلنا لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا: إن (فاتحة الكتاب) هى من أهم ما ينبغى على المسلم استقصاؤه وتعمقه والوقوف على ما ينطوى عليه من دلالات وإشارات، لأنها النداء العقيدى الذى يردده الإنسان المسلم فى صلواته الخمس على تعدد ركعاتها، وفى سننه ونوافله التى يأتى منها بقدر ما يستطيع وما يسعه الجهد، وفى توجُّهاته الحياتية التى يبدؤها باسم الله، ويختتمها بالابتهال إليه والاستعانة به.

ولعل أول ما يلفتنا فى فاتحة الكتاب هو أنها - على الرغم من آياتها السبع القصار، وعلى الرغم من تكرارها فى شفاه الملايين المسلمة ربما بلا انقطاع لا تستحيل فى لحظة من اللحظات إلى نبع جامد ليس يتدفق بالعطاء، مع أن من المعروف أن أى نص مهما كان سموقه البلاغى والروحى يستحيل بعد تكراره إلى مجرد صيغٍ ناضبةٍ لا توحى بشىء ذى بال، وربما رفض المتلقى قراءته لأنه لم يعد يوحى له بشىء، ولكن الفاتحة تبقى على الرغم من كل ذلك التكرار مصدراً من مصادر الوحى الذى يهب إنسانه المسلم - إذا هو فهم عنه - نوعاً من السلام الداخلى الذى يعيد إليه تعادله واتزانه، ويشعره بأن الله الخالق يرعى خطواته على الأرض، وأن كل عذابات الدنيا تتلاشى فى نبضة رحمة من رحماته، وأن العبادة له ليست هروباً من واقعٍ ضاغط، بقدر ما هى استعانة به على هذا الواقع الضاغط، وأن كل السبل تتشاجن وتتقاطع، ويبقى وحده (الصِّراطُ) الذى ارتضاه مستقيماً لا أَمْتَ فيه ولا تفاريق.

ويرى المتأمل أن من جملة الخصائص التى وهبت الفاتحة هذا الاقتدار المتفرد على العطاء والإيحاء، أنها دفقات روحية هائلة بقدر ما هى إحالة على حركة الواقع الوجودى الحى، فهى لا تذبل فى ملايين الشِّفاه المردَّدة، لأنها مزيجٌ رائع من حركة الروح وحركة الواقع، ومعروف أن تعاليات الروح لا تنتهى عند حدّ، كما أن من المعروف كذلك أن حركة الواقع الوجودى أمواج متجددة، وعلاقات تتآمر وتفترق دائماً لتشكل ديْمومةً مستمرة.

فالرحمة، والمالكية، والغيب، والعبادة، والاستعانة، والهداية، والصراط، والاستقامة، والهدى، والضلال، كلها مزيج من تعاليات الروح وحركة الواقع، وهى تتراحب بتراحب حركة الكائن الحى فى علاقاته وتفاعلاته وقيمه.. وهذا هو الذى يمنحها هذا التجدد وهذا الخلود.

وإذا كنا هنا نتأمل تفسيراً غابراً وتفسيراً معاصراً للفاتحة، فإنما لكى نرى منطلقات الذهنية المسلمة فى فهم إيقاع هذه الآيات السبع، ومدى تجليتها لنوعية الإعجاز الخارق الذى ضمن لهذا النصّ القرآنى - على الرغم من كثرة الترداد والتكرار - هذا الاقتدار الرائع على الإيحاء والإلهام، وما نظن أن المنطلقات اختلفت، أو أن الرؤية غامت، أو أن الإيقاع تغير.. ولكن الذى تغير ربما هو (المنظور) الذى أطل منه أولئك وهؤلاء، فبينما هو فى القديم - غالباً - منظور (لغوى) يستمد تأملاته الروحية للآيات من واقع خبرته اللغوية بالمفرد والتركيب جميعاً.. إذا به فى الحديث - غالباً كذلك - منظور (جمالى) يستمد تأملاته الروحية للآيات من واقع خبرته الجمالية بالمفرد والتركيب جميعاً.. أى أننا مع (ابن كثير)، وهو الذى اخترناه ليمثل المنظور القديم، مع عالم يحاول تجسيد فهمه لفاتحة الكتاب من خلال استبطانات لغوية فذة تصله بغايته من تفسير الآيات إلى ما يريد.. ومع (سيد قطب)، وهو الذى اخترناه ليمثل المنظور المعاصر، مع فنان يحاول تجسيد فهمه لفاتحة الكتاب من خلال استبطانات جمالية فذة تصله بغايته من تفسير الآيات إلى ما يريد كذلك.

٢

وقد أطلق الحافظ ابن كثير الدمشقى (ت٧٧٤ هـ) على تفسيره اسم: (تفسير القرآن العظيم) وهو يشارك عديداً من التفاسير الأخرى فى اتجاه (التفسير بالمأثور).. من مثل: (جامع البيان فى تفسير القرآن) لابن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ)، و(معالم التنزيل) لأبى محمد الحسين البغوى (ت ٥١٠ هـ) - و(الدر المنثور) لجلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ).

ويحدد ابن كثير منهجه فى تفسيره على هذا النحو: (إن أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل فى مكانه فإنه قد فسر فى موضوع آخر.. فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.. وإذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة، رجعنا فى ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التى اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبدالله بن مسعود، فقد قال ابن مسعود: «والذى لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله منىّ تناله المطايا لأتيته» - المقدمة - ص١٢.

ثم يقول ابن كثير: (وإذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر، فإنه كان آية فى التفسير، فقد قال: «عرضْتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها» ولهذا قال سفيان الثورى: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به) - المقدمة - ص١٢ - ١٣.

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من قال فى القرآن برأيه، أو بما لا يعلم، فليتبوأ مقعده من النار» - المقدمة - ص١٣ .

وإذن فمنهج ابن كثير فى التفسير هو الجمع بين الرواية والدراية، وتفسير القرآن بالقرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين، فإذا لم نجد قلنا بما نعلم مع تحرز واجتهاد وتوثيق.

وقبل دخوله فى التفسير يذكر ابن كثير ما سماه (مقدمة مفيدة تذكر فى أول التفسير قبل الفاتحة) يعدد فيها السور التى نزلت فى المدينة من القرآن الكريم وهى كما يقول: (البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وبراءة، والرعــد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، وعشر من التحريم، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله)، هؤلاء السور نزلت فى المدينة، وسائر السور بمكة.

ويذكر أن عدد آيات القرآن العظيم ستة آلاف آية، ثم اختلف فيما زاد على ذلك وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما فى الربعات بالمدارس وغيرها.

ويعقب ابن كثير بفصلين صغيرين، يتعرض فى أولهما لمعنى (السورة) ومعنى (الآية) ومعنى (الكلمة) من الجهة اللغوية فيقول:

واختلت فى معنى السورة مما هى اشتقت؟ فقيل من الارتفاع، فكأن القارىء ينتقل بها من منزلة إلى منزلة، وقيل لشرفها وارتفاعها كسور البلد لإحاطته بمنازله ودوره، وقيل سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءاً منه... وأما الآية: فأصل معناها العلاقة، سميت بذلك لانقطاع الكلام الذى قبلها عن الذى بعدها وانفصالها، أى هى بائنة عن أختها ومنفردة، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ﴾[1]

وأما الكلمة: فهى اللفظة الواحدة، وقد تكون على حرفين مثل: «ما» و«لا» ونحو ذلك، وقد تكون أكثر، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل و«أسقيناكموه». وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾[2] ومثل: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴾[3]. (المقدمة - ص١٤).

وفى الفصل الثانى يتعرض ابن كثير لقضية ورود غير العربى فى القرآن الكريم، فيقول: (قال القرطبى: أجمعوا على أنه ليس فى القرآن شىء من التراكيب الأعجمية وأجمعوا أن فيه أعلاماً من الأعجمية كـ «إبراهيم» و«نوح» و«لوط» واختلفوا: هل فيه شىء من غير ذلك بالأعجمية؟ فأنكر ذلك الباقلانى والطبرى وقالا: ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات فتكلمت بها العرب والفُرْس والحبشة وغيرهم) - المقدمة - ص١٤ .

وواضح أن ابن كثير فى الفصل الأول يركز على (المنحى اللغوى) من خلال تحديده لمعنى السورة والآية والكلمة.. ويركز على نفس

(١) البقرة (٢٤٨).
(٢) الضحى (١).
(٣) الفجر (١).

(المنحى اللغوى) فى الفصل الثانى، وإن كان من طريق السلْب الذى ينفى حلول التراكيب غير العربية فى القرآن الكريم.

وهكذا يتشكل المدخل المنهجى الذى قدّم به ابن كثير لتفسيره، وهو كما نرى مدخل يشف عن منهجية رصينة، وعن اتجاه ينزع فى أساسه إلى فهم حقيقى لطبيعة المصطلح اللغوى للكلمات والتراكيب، وعن توفر دائب على استبطان أعماق النصّ القرآنى من خلال تأمل سياقاته المعجزة، كل أولئك فى إطار من التحرك فى دائرة التحرّز العلمى الذى لم يعْتمد غير المصادر المطمئنة الموثّقة إلا قليلاً.

(٣) ويفتتح ابن كثير تفسيره لسورة الفاتحة بهذا الإيقاع العاكس لمنهجه الذى يعتمد على تحديد المصطلح، واستكناه حقائق التركيب من طبيعة الحسّ اللغوى فيقول: (تسمّى « الفاتحة » لأنه تفتتح بها القراءة فى الصلوات، ويقال لها أيضاً: « أم الكتاب » ولها أسماء منها « الحمد » و« الشفاء » و« الواقية » و« الكافية » و« أساس القرآن ». قال البخارى: وسميت – أم الكتاب – لأنه يبدأ بكتابتها فى المصاحف، ويبدأ بقراءتها فى الصلاة. وقال الطبرى: والعرب تسمى كل جامع أمراً أو مقدم لأمر « أمّاً » فتقول للجلدة التى تجمع الدماغ: « أمّ الرأس » ويسمى لواء الجيش ورايتهم التى يجتمعون تحتها: « أُما » قال ذو الرمة:

على رأسه أمّ لنا نقتدى بها

جماع أمور ليس نعصى لها أمراً)

ثم يلقى ابن كثير بعض الضوء على ما ورد فى فضل فاتحة الكتاب من أحاديث، وهى فى مجملها تجمع على أن فاتحة الكتاب هى السبع المثانى والقرآن العظيم. وأنها نور من نورين لم يؤتهما نبى قبل نبينا محمد ﷺ، وأن من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خِداجٌ – ثلاثا – غير تمام، وأنها كذلك فاتحة حوار بين العبد المصلى وربه، فإذا قال العبْد:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال الله: حمدنى عبدى، وإذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال الله: أثنى علىّ عبدى، وإذا قال:

﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال: مجّدنى عبدى، وقال مرة: فوض إلىّ عبدى، فإذا قال:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال:

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾

قال: هذا لعبدى، ولعبدى ما سأل!!

ثم يبدأ فى تحليل رؤية لغوية حول متعلق الباء فى قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ فقد قدره بعضهم ﴿ بِسْمِ ﴾ تقديره: باسم الله ابتدائى، وقدره بعضهم بفعل) تقديره: أبدأ باسم الله، أو ابتدأت باسم الله، ويرى أن كليهما معاً صحيح، فإن الفعل لابد له من مصدر، فلك أن تقدر الفعل ومصدره، فالمشروع ذكر اسم الله فى الشروع فى ذلك كله تبركاً وتيمناً واستعانة على الإتمام والتقبل، ويدلّ للأول قوله تعالى:

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ ﴾[(٤)] ويدلّ للثاني قوله تعالى:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾[(٥)].

ويقول ابن كثير إن ﴿ ٱللَّهِ ﴾ علم على الرب، لأنه (الاسم الأعظم) والأسماء الباقية كلها صفات، وهو اسم لم يسمّ به غيره - تبارك وتعالى- ولهذا لا يعرف له فى كلام العرب اشتقاق، وقيل مشتق من أله يأله إلهه، وقيل من وله إذا تحيّر لأنه تعالى يحير الفكر فى صفاته، وقيل من ألهت إلى فلان، أى سكنت إليه، فالعقول لا تسكن إلاّ إلى ذكره، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته.

ويذهب إلى أن ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ إسْمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، و(رحمن) أشد مبالغة من (رحيم)، وزعم بعضهم - كما يقول ابن كثير - أنه غير مشتق، وحين أنكرت العرب اسم ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ كان ذلك لجهلهم بالله وما وجب له، وبناء فعْلان ليس كفعيل، فإن (فعْلان) لا يقع إلا على مبالغة الفعل، وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول، وحين يزعم بعضهم أن ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ أشد مبالغة من ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ لأنه أُكّد به، والمؤكَّد لا يكون إلا أقوى من المؤكَّد، يجيب ابن كثير بأن هذا ليس من باب التأكيد وإنما هو من باب النعت.

وواضح أنه هنا ينطلق من منطلق لغوى كما نرى، يتكىء فى تأكيد منظوره من خلاله على (تحليل القاعدة اللغوية) وشدة حساسيته بما تُفيئُهُ الصِّيَغُ المختلفة على المعنى من ظلال وإيحاءات.

ويورد فى تفسير قوله تعالى:

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ رأى ابن جرير الذى يرى أن الآية تُمحّض الشكر خالصاً لله، وتشكّل ثناءً أثنى به على نفسه، وضمّنه أمر عباده بالثناء عليه، ولكنه يستدرك عليه قوله: (وأهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان الآخر) فيقول: (وهذا الذى ادعاه ابن جرير فيه نظر، لأنه اشتهر عند كثير من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والأركان).. ثم يستعين برأى الجوهرى فى التفرقةبين الحمد والشكر، حيث يذهب إلى أن بينهما رابطة عموم وخصوص - فالحمد أعم من الشكر.. ولا ينسى ابن كثير أن يشير إلى أن الألف واللام فى ﴿ ٱلۡحَمۡدُ ﴾ لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه.

ثم يشير فى تفسير قوله تعالى:

﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ إلى أن الرب هو المالك المتصرف، والعالمين كل موجود سوى الله- عز وجل-.

وفى قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ بعد

(٤) هود (٤١).

(٥) العلق (١).

قـوله: ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ إلى ضـرب من قـرن الترغيب بالترهيب.

وفى قـوله تعـالى: ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ إلى قراءتين يوردهما ويعقب عليهما بتحليل لغوى حساس، يضع بينهما فروقاً مرهفة، فقد قرأ بعضهم: (ملك) وآخرون: ﴿ مَـٰلِكِ ﴾ وكلاهما صحيح متواتر، و ﴿ مَـٰلِكِ ﴾ مأخوذة من المِلْك، و ﴿ مَـٰلِكِ ﴾ مأخوذة من المُلْك.. أما ﴿ ٱلدِّينِ ﴾ فهو الجزاء والحساب.

ولأن العبادة هى ما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، قال تعالى:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، وإذا كانت العبادة هى المقصودة فإن الاستعانة وسيلة إليها.

ولما تقدم الثناء على المسئول- تبارك وتعالى- ناسَبَ أن يعقّب بالسؤال، وهذا أكمل أحوال السائل يمدح مسئوله، ثم يسأل حاجته، لأنه أنجح للحاجة، وأنجع للإجابة، ولهذا أرشد الله إليه لأنه أكمل:

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾.. أما الذين أنعم الله عليهم المشار إليهم فى قوله:

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فقد ذكرتهم سورة النساء فى قوله تعالى:

﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾(٦).

وهم الوجه المقابل للذين علموا الحق وعدلوا عنه ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾، وللذين فقدوا العلم فهم هائمون فى الضلالة لا يهتدون إلى الحق: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

ثم يعقد ابن كثير فصلاً موجزاً فيما اشتملت عليه سورة الفاتحة وهى سبع آيات من القيم النبيلة الفاضلة التى تضع إنسانها المسلم على خطّ الطهارة وصميميّة الانتماء.. ويدْلف من ذلك إلى تأملات لغوية مرهفة، من مثل إسناد الإنعام إليه تعالى فى قوله:

﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾، وحذف الفاعل فى الغضب فى قوله: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ وإن كان هو الفاعل لذلك فى الحقيقة، وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به وإن كان الذى أضلّهم بقدره كما قال تعالى:

﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ﴾(٧) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال.

وهكذا نرى فى تفسير ابن كثير لفاتحة الكتاب أننا أمام عقل منهجىّ، يتجه فى تفسيره وتحليله اتجاها هو إلى الرؤية اللغوية أقرب منه إلى غيرها من الرؤيات، وإن كان بالطبع لم يهمل ما تضمنّه النصّ من دلالات فقهية وعقيدية ووصفية.

---

(٦) النساء (٦٩).

(٧) الأعراف (١٨٦).

السنة

أخذ الله للظالمين (*)

لفضيلة الأستاذ الشيخ/ طه الساكت

إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

عن أبى موسى - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته. قال: ثم قرأ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾(١)

[أخرجه الشيخان]

المفـــــردات

الإمـــلاء: الإمـــداد فى الزمن والإمـهال والتـأخير، مـأخوذ من الملوة، والملاوة –مـثلثـتين– وهى الطائفـة الطويلة من الزمن. وأملى للبعير أرخى له الزمام ووسع له فى القيد، ليتسع له المرعى. والملَوان: الليل والنهار.

والظلم: وضع الشىء فى غير موضعه. وفى المثل «من استرعى الذئب فقد ظلم». وأصل الظلم،

● من روائع «مجلة الأزهر».

الجور ومجاوزة الحد. وهو ثلاثة أقسام تأتى.

وأفلته من الورطة، وفلّته: خلصه وأنقذه. وأفلت منها بنفسه، وأفلتها: تخلص. يتعدى ويلزم.

المعنـــى

تمهيد:

لا نستطيع أن نفهم الحديث حق فهمه، ولا أن نجلّيه كما ينبغى له، إلا إذا أوضحنا المراد «بالظلم» وكشفنا الغطاء عنه. ذلك أننا لا نكاد نفهم من «الظلم» عند إطلاقه إلا أنه انتهاك حرمات الناس والتعدى على حقوقهم. وهو على هذا الوجه شائع معروف فى كتاب الله وسنة رسوله، وفى لغة العامة والخاصة. حتى قال الاستاذ «الجزيرى» –رحمه الله– فى صدر كتابته على حديث «الظلم والشح[٢]»: «كل الناس يعرفون معنى الظلم، ويدركون معنى العدوان على الأنفس والأعراض والأموال والحقوق العامة والخاصة، فإذا اعتدى أحد على غيره فى نفسه أو ماله أو عرضه، أو سلبه حقا من حقوقه فقد ظلمه، ومن يفعل ذلك فقد خسر خسرانا مبينا وكان عرضة للهلاك فى الدنيا والآخرة». وهو –رحمه الله– منصف فى حمل الحديث على هذا المعنى؛ لأنه لا يكاد يحتمل غيره، وإن كان ذلك فى حقيقة الأمر نوعا من أنواع الظلم، على ما نوضحه.

ذلك بأننا نجد القرآن المبين، وقد ذم الظلم وأهله مائة مرة ونيفا، يطلق «الظلم» فى أغلب الأحيان على معنى عام، هو مخالفة أمر الله وتعدى حدوده التى حد لعباده، فيشمل كبائر الذنوب وصغائرها أيا كان نوعها ومناطها. ومن هنا نقل الراغب عن بعض الحكماء أن الظلم ثلاثة؛ ظلم بين الإنسان وبين الله – تعالى – وأعظمه الكفر والشرك والنفاق؛ ولذلك قال:

﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٣]؛ وظلم بينه وبين الناس وإياه قصد بقوله:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٥].

وظلم بينه وبين نفسه وإياه قصد بقوله:

﴿ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ ﴾[٥]. وكل هذه الثلاثة فى الحقيقة ظلم للنفس؛ فإن الإنسان أول ما يهم بالمعصية فقد ظلم نفسه وعدا عليها وعرضها لسخط الله – عز وجل – ولذلك قال الله – تعالى – فى غير موضع:

﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[٦]

ولا ريب أن من ظلم نفسه التى بين جنبيه كان لغيره أظلم، وإن كان يجهل أو يتجاهل أنه ظالم لنفسه؛ لأنه يتجلى له ظلمه فى صورة المنفعة، وتتمثل له نفسه فى صورة الأخيار المصلحين. وهكذا شأن الظالمين المجرمين. ويؤيد هذا الذى

---

(١) هود (١٠٢).

(٢) أنظره فى المجلد الحادى عشر من هذه المجلة ص ٣٩٤

(٣) لقمان (١٣).

(٤) الشورى (٤٠).

(٥) فاطر (٣٢).

(٦) البقرة (٥٧).

نقله الراغب ما يؤثر عن علي – رضي الله عنه – في بعض خطبه «ألا وإن الظلم ثلاثة؛ فظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم مغفور لا يطلب. فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾(٧) وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات(٨) وأما الظلم الذي لايترك فظلم العباد بعضهم بعضا. القصاص هناك شديد، ليس هو جرحا بالمدى ولا ضربا بالسياط، ولكنه ما يستصغر ذلك معه.

المراد بالظلم في الحديث

وواضح بعد أقسام الظلم التي أوضحنا أن المراد به في الحديث ما يشملها جميعا؛ من الإفساد في الأرض والتعالي فيها، وانتهاك حرمات الله وحرمات عباده، ويتناول ذلك أول ما يتناول الاستهزاء بالرسل وما جاءوا به، وذلك أقبح الظلم وأشنعه. وهو –ولا ريب– دركات متفاوتة بتفاوت الظالمين في الشر والإفساد.

ويؤيد هذا المعنى العام الذي ذهبنا إليه، استشهاده ﷺ بالآية الكريمة في وعيد الظالمين وتهديدهم، بأن عاقبتهم هي عاقبة المكذبين لرسلهم؛ من قوم نوح وعاد وثمود، وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وقوم موسى، ومن إليهم. وقد أملى لهم الله فلم يزدهم الإملاء إلا عتوا وفسادا، وبالغت الرسل في نصحهم فلم تزدهم النصيحة إلا بغيا وعنادا:

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾(٩)

إملاء الله للظالمين

وإملاء الله للظالمين هو إرجاء عقوبتهم، وإمهالهم إلى أجل مسمى، مع إمدادهم بالنعم وإمتاعهم بزهرة الدنيا وزينتها، مكرا بهم وكيدا لهم؛ ليزدادوا إثما وبغيا وطغيانا وكفرا. حق عليهم ذلك بما أفسدوا من فطرة الله وكفروا بأنعم الله، واغتروا بحلمه – تعالى – وما علموا أن الله يستدرجهم من حيث لا يعلمون، ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون.

ولعل من حكمته – تعالى – في هذا الإملاء، وله الحجة البالغة، أن يُعذر إلى الظالمين(١٠)، لئلا تكون لهم عند الله حجة، ولا تنفعهم لديه معذرة. وعسى أن يكون في بعضهم أثارة من خير، فيتذكر ما قدمت يداه، ويندم على ما فرط في جنب الله:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ
وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(١١).

هذا إلى ما كتب الله للأرض من أجل تبلغ فيه عمارتها، وتأخذ فيه زخرفها وزينتها:

---

(٧) النساء (٤٨).

(٨) الأمور الحقيرة، وأراد بها الإمام: صغائر الذنوب.

(٩) غافر (٢١).

(١٠) يزيل عذرهم، فلا يبقى لهم موضعا للاعتذار، وفي حديث البخاري: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة».

(١١) الشورى (٢٥).

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾(١٢).

جـــزاء الظـــالمين

ومن العدل الإلهى، وقد حرَّم الله الظلم على نفسه، ووكد تحريمه على عباده، أن يجعل عقابه أليما، وجزاءه وخيما، وقد قص – سبحانه – من أنباء الظالمين، أفرادا وأمما، ما فيه العبر الناجعة، والعظات البالغة، لمن كان له قلب أو ألقى السمع؛ فصَّل أخذه للظالمين فى مئين من آى الذكر، وأجمله فى غير آية منه:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾(١٣).

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(١٤).

وليس أخذ الله للظالمين مقصورا على الإهلاك الحسى، والتدمير المرئى، بل إن من ضروب الأخذ ما هو أشد أثرا فى النفوس، وأفعل فتكا فى الأمم، ألا وهو فقدان عزتها وذهاب قوميتها واستعباد الأمم لها حتى يهى بناؤها وتنفصم عروتها وتصبح مثلا فى الأذلين. ومن الأدلة على هذا ما نشاهده من أن الأمة القوية إذا غُلبت على أمرها فإنها تؤثر الفناء على الاستعباد، وتختار الهلاك فى سبيل عزتها على البقاء على ربقة الذل والهون. وما أحكم أبا الطيب إذ يقول:

ذلّ من يغـــبط الذليل بعـــيش
رُبّ عـــيش أخف منه الحِـــمام

ومن ضروب الأخذ، أن يبتلى الله ظالما بظالم، وينتقم من فاسق بفاسق، ثم ينتقم منهم جميعا؛ وها هى ذى بلاد البغى والفجور، لا تزال غارقة فى بحار من الدماء، هائمة فى وديان من البؤس والشقاء، بما اقترفوا من الشهوات، واجترحوا من فنون الموبقات؛ كما اعترف بذلك أساطينهم، وأهل الرأى فيهم:

﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾(١٥)

وليقرأ فى قصص القرآن، وفى تاريخ الممالك والدول، وفى قضاء الله – تعالى – فى بنى إسرائيل وأشباههم – من شاء أن يتبين قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾(١٦)

---

(١٢) النحل (٦١).
(١٣) النحل (١١٢، ١١٣).
(١٤) العنكبوت (٤٠).
(١٥) الرعد (٣١).
(١٦) الأنعام (١٢٩).

ومن أنواع العقوبة على الظلم، أن تفترق الأمة أحزابا وشيعا، فيتصدع جمعها، وتختلف كلمتها، وتتشعب أهواؤها، فيطمع العدو فيها، ويهون عليه أمرها. وهذا الذى أنزله الله بالأمة المحمدية لما ظلمت نفسها وحادت عن تعاليم نبيها. روى البخارى عن جابر - رضى الله عنه - قال: لما نزلت هذه الآية:

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾(١٧).

قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك! قال: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾(١٨) قال: أعوذ بوجهك!

﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾(١٩)

قال رسول الله ﷺ: هذا أهون أو هذا أيسر(٢٠)».

وقد جمعت هذه الأمة من المنكرات ما تفرق فى الأمم السابقة مما تستحق على بعضه عذاب الاستئصال، ولكن الله حماهم منه ببركة نبيهم ﷺ، فهل لهم فى ذلك معتبر؟

ومن شؤم الظلم أن عقوبته تعم الظالمين وغيرهم، يؤيد ذلك قوله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾(٢١)

وكذلك ما رواه الشيخان عن زينب بنت جحش - رضى الله عنها - أنها سألت رسول الله ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث!

أما بعد، فهذا بعض عقاب الله للظالمين، على ما مضت به سنته، وجرت به عادته. ولا ملجأ لهم من بطشه وأخذه، إلا أن يثوبوا إلى رشدهم، ويكفوا عن ظلمهم، ويؤدوا حقوق الله وحقوق عباده:

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾(٢٢)

فإن لم يفعلوا فليصبروا على عذاب الله فى الدنيا:

﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾(٢٣).

***

(١٧) الأنعام (٦٥).
(١٨) الأنعام (٦٥)
(١٩) الأنعام (٦٥).
(٢٠) الشك من الراوى، وانظر شرح الحديث فى المجلد الثانى عشر ص٢٧٣.
(٢١) الأنفال (٢٥).
(٢٢) البقرة (١٢٣).
(٢٣) طه (١٢٧).

من نفحات الإسراء (٢)

جلسة هادئة وحوار بناء

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

جلسنا صاحبى وأنا فى هدوء نتحاور ونتبادل أطراف الحديث فى ودٍ ظاهرٍ نتحاور حوار المتفقين لا المختلفين وإن كان اتفاقنا لا يعنى تطابق وجهات النظر فى كل شئ! إذ أن هناك بعض اختلاف بل واختلاف كثير، لكنه اختلاف فى الفهم واختلاف عقول واعية. وليس اختلاف قلوب - نعوذ بالله من ذلك - فاختلاف العقول أمر وارد ومقبول ودليل الصحة النفسية والعقلية وهو كما يقولون لا يفسد للود قضية بل ربما يزيد الود، فإن المناظرة تثرى المعلومات وتقوى الرغبة فى التعلم وذلك هدف طلاب المعرفة فاختلاف العقول مقبول ومحمود.

أما اختلاف القلوب - نعوذ بالله منه - فهو غير مقبول ولا محمود بل يصعب جمعها وتآلفها إذا تنافرت - إلا من رحم ربك - وكما يقول الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودها

مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

بادرنى صاحبى قائلاً: لفت نظرى فى نهاية حديثك السابق وأنت تتكلم عن نفحات الإسراء أنك لم تجعلها فى شكل منحة أو هدية من السماء أو جائزة مثلاً. فأغلب الناس يفسرونها كذلك. وبعضهم يقصرها على عطاءٍ دنيوى مادى ولكنى أحس أن تفسيرك مختلف فما قولك؟

قلت: عافاك الله يا صاحبى وبارك فيك لقد سألت عن عظيم وهو يسير على من يسره الله له فأغلب الناس يفهم النفحة جائزة مادية دنيوية فى أغلب الأحيان أما أنا فأراها أكثر فى الأمور المعنوية التى تزيد الإيمان بالله والمعرفة والعلم به

سبحانه وتعالى ونماء اليقين فى القلب.

قال: كيف؟

قلت: أكثر شيء يوضح المسألة ويزيدها بياناً المثال وخير ما نهتدى به هو حديث رسول الله ﷺ ففيه خير مثال وخير جواب.

عن الحارث بن مالك الأنصارى: أنه مر بالنبى ﷺ «يوماً» ودار بينهما الحوار الآتى:

قال النبى ﷺ: «كيف أصبحت يا حارثة»؟

حارثة: «أصبحت مؤمنا حقاً.»

النبى ﷺ: انظر ما تقول؟ فإن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟»

حارثة: «عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها - يضجون ويتصايحون -»

النبى ﷺ: «يا حارثة عرفت فالزم ثم قال النبى ﷺ: مؤمن نور الله قلبه»(١).

ولما رأى الناس شدة يقين الإمام - على كرم الله وجهه - كأنه خيل إليهم أنه يعايش الله ويراه.

فقالوا: له هل رأيت ربك؟

فأجاب فى ثقة ويقين: وهل أعبد ما لا أرى؟

وقال أحد الصوفية: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً.

بمعنى أن إيمانه بالغيب وبما أخبر به - سبحانه وتعالى - من أمور غيبية إيمان ثابت لا يشوبه ريب. ثابت لا يتزعزع، ليس فى حاجة إلى يقين بعد قول - الله تعالى - أو إخبار الصادق المصدوق ﷺ. فى هذا الجو المضمخ باليقين نفهم قول النبى ﷺ لما قيل له: إن بنى حارثة أخبروا بأن رسول الله ﷺ اتجه فى صلاته إلى الكعبة بعد أن كانت القبلة إلى بيت المقدس فتحولوا وهم فى صلاتهم بمسجدهم ذو القبلتين.

قال النبى ﷺ يصف هذه الاستجابة الفورية والتصديق اليقينى: «أولئك قوم يؤمنون بالغيب.»

هذه فى رأيى هى النفحات المرجوة والجديرة بأن تسمى نفحات.

---

(١) مجمع الزوائد ج١ ص٥٧، الطبرانى فى الكبير، البزار.

اللهم زد في إيماننا وقو يقيننا وأرزقنا من اليقين ما تبلغنا به جنتك ومن الخوف ما تجنبنا به معاصيك.

على أننى لا أقول بنفى النفحات الدنيوية التى تتمثل فى تيسير الأمور ويسر المعيشة فذلك يكسب الرضا، والرضا يجلبه أيضا.

قال صاحبى: أراك طوحت بعيداً.

قلت مبادراً: أنا لا أتخيل حديثى معك درساً محدداً يلقى فى مدرسة ثانوية نلتزم به سوياً أنا وأنت، لأننا مطالبون أن ننتهى من منهج محدد فى وقت محدد، إنما هى: « جلسة هادئة وحوار بناء » فذلك يعطينى الحرية فى التنقل بين موضوعات عدة أحسب أنك وأمثالك من الشباب فى حاجة إليها خصوصا وأننا نتكلم فى موضوعات عن التصوف، وأحسب أن التصوف واصطلاحاته فى حاجة إلى كثير بيان وتحديد، وأن الصوفية أنفسهم فى حاجة – الآن – إلى ترشيد وتقويم وفحص وبيان حيث قد اختلط الأمر لا أقول على كثير من الناس بل على كثير ممن يزعمون أنهم من رجال التصوف، وأصبح الأمر عند كثير منهم فى أحسن حالاتهم هو جمع الأتباع وكثرة المترددين بكلمات فيها من الذكاء الفطرى وفيها من الهلامية وعدم التحديد ما يجعل الأمر ميسوراً مرغوباً فيه عند الزائر والمزور لأسباب تخص كل واحد منهما وترضيه، ولا علاقة لها بالتصوف كتربية ومنهج فالتصوف هو: العمل على الوصول إلى المعرفة واليقين اللذين أشرنا إليهما بحديث النبى – ﷺ – السابق فهل تجد فى مجالس القوم ما يقرب إلى هذه الأهداف أو يرغب فيها؟! أو من يعمل من أجلها؟!

وتأملت وقع كلماتى على صاحبى وأدركت من ملامحه شبه تحفز هو أقرب إلى النفور لصعوبة الموضوع، فبادرته على الفور بأن هذا الموضوع سوف نتناوله فى أحاديث آخر، فهون عليك ولا تضجر.

وقبل أن أعلق بكلام بادرنى قائلاً: ما الذى تحمله فى رفق بين يديك فى إعزاز ظاهر، قلت على الفور: إنها جبة شيخى أرجو بركته بإذن ـ الله تعالى ـ

قال – مقاطعاً: ما الذى حملك على هذا؟! قلت: وأى شىء فى هذا؟ إننى باختصار شديد أعمل بنص القرآن الكريم، وليس فيما أفعل خروج عن الشرع، فأنا فعلت ما أشار به نبى على نبى بأمر ـ الله تعالى ـ ألم تقرأ يا أخى سورة يوسف حيث يقول ـ الله تعالى ـ على لسان سيدنا يوسف ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ لما أصاب والده يعقوب ـ عليه السلام ـ العمى وكف بصره قال ـ عليه السلام:

﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾(٢) وهـذا الكلام صادر من نبى موجه إلى نبى وحكاه رب العزة ولم يعترض سيدنا يعقوب النبى ويرفض عرض الابن «النبى» بدعوى أن فيه شركاً أو خروجاً عن أمر الله، بل استجاب وامتثل للأمر فكان فيه - بإذن الله - الشفاء ورد البصر، وفوق ذلك فإن الأب «النبى» يعقوب - عليه السلام - ما إن تحرك الركب المبارك بالقميص من عند يوسف «النبى» حتى أدرك الأب شذى عبق به الكون كله فهتف على الفور قائلاً: ﴿ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾(٣).

فهل فيما أفعله أنا من غضاضة أو شرك؟ إن الأمر فى رأيى أكبر من هذه القضية، فنحن فى حاجة إلى أن نتصالح مع أنفسنا ونقيِّم الأمور والتراث تقييما معتدلاً بعيدا عن التعصب والعصبية.

فأنا أقول وأكرر: إن المسلمين فى حاجة إلى قراءة متأنية لكتاب ـ الله تعالى ـ بعيداً عن صخب الأشرطة ومكبرات الصوت، كما أننا ونحن نقلب فى التراث فى حاجة إلى أن نقلب العقول ونجدد شبابها ونزيل عنها غبار تراكمات حجبت عنا كثيراً من نضارة الوحى، تكشف أبعاداً من سعة التشريع.

أقول هذا بمناسبة إحساسى بأننا منذ أكثر من ستمائة سنة نعيش عالة على ما قدمه أسلافنا ذوو العقول النيرة. ونحن فى الواقع لم نقدم شيئاً إلا الشرح والاختصار فى أكثر الأوقات وفى أقلها تقدم عرضا وافيا لما أبدعوه.

هذا إلى جانب فكرة المؤامرة التى تسيطر علينا فى كل حياتنا السياسية والعلمية، فنحن أسرى هذه الفكرة إلى درجة تصيبنا بالحيرة حتى يسيطر علينا العجز

إن التآمر على أى أمة قائم وموجود ولسنا بدعاً بين الأمم، لكننا نبالغ فيما نتناوله ونتعصب لما نتوهم ونرفض أى حوار قد ينقذنا من عواقب تحيق بنا أو بتراثنا.

قال صاحبى: لقد استدرجتنا إلى حوار الكرامات والتبركات وتلك قضايا صوفية أحسب أنها تدخل ضمن ما اتفقنا على تأجيله.

قلت: لا تثريب عليك يغفر الله لى ولك، لقد اتفقنا على الحديث فى

(٢) يوسف (٩٣). (٣) يوسف (٩٤).

موضوعات صوفية فى حلقات قادمة وأنا عند اتفاقنا لكنك أنت الذى اثرتنى باعتراضك على حفاوتى بجبة شيخى وزعمت أن ما أفعله يخالف الشرع فقلت لك: إننى متبع لا مبتدع، متبع لنبى ابن نبى قال عنه رسول الله ﷺ «الكريم بن الكريم»

ثم أردفت قائلاً: دعك من اللجاجة واللدد، فنحن طلاب حق نسعى إليه، وأرجو أن لا يكون هدفنا مجرد الغلبة والنصر.

وتعال بنا إلى ساحة القرآن الكريم. وتأمل معى قوله تعالى:

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾. وتأمل معى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾[4].

تأمل فى الآية الأولى جملة ﴿ يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ وهى قول سيدنا يوسف وتأمل فى الآية الثانية جملة ﴿ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ ألا توحى الآية الأولى بمجيء سيدنا يعقوب إلى مصر، حيث يوسف عليه السلام؟ وذلك غيب أعلمه الله نبيه يوسف ـ عليه السلام ـ مصداقا لقوله تعالى:

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ ﴾[5]

فأخبر النبى يوسف ـ عليه السلام ـ بهذا الغيب فى رفقٍ مغلف حتى يكاد المتعجل لا يدركه وهو يقرأ فى عجالة، أن الفعل اختلف مع البشيرحين قدم بالقميص فلم يقل فالقاه على وجهه فأتى بصيرا لأن البشير لم يعلم مراد الله ولا يصلح الفعل ساعتها وهما «البشير وسيدنا يوسف» فى بيت المقدس معا.

أليس هذا من وهج الكلمات وإيماء بمعان ودلالات لا يمكن أن يستخدمها إنسان لتؤدى هذا المعنى القاهر المعجز، للقرآن حين تشرق كلماته، وأحسب أن العجز البشرى يكون واضحاً فى ترجمة القرآن أيضاً أكثر من ذلك.

---

(٤) يوسف (٩٦).   (٥) الجن (٢٦، ٢٧).

مواقف إسلامية

بَرِيرَة .. وتكاليف الحرية

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

عن عكرمة عن ابن عباس
« أن زوج بَريرة كان عبدا يقال له مغيث.
كأنى أنظر إليه يطوف خلفها يبكى ودموعه تسيل على لحيته ».
فقال النبى ﷺ للعباس: يا عباس: ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثا؟
فقال النبى ﷺ لبريرة: لو راجعته. قالت: يا رسول الله: تأمرنى؟ قال: إنما أنا أشفع. قالت: لا حاجة لى فيه »(١).
وفى رواية ابن ماجة: [فإنه أبو ولدك].
وفى رواية [لو أعطانى كذا وكذا ما كنت عنده].. علامة على شدة البغض ».

تمهيد:

يقول: « ابن مسكوية » فى كتابه (تهذيب الأخلاق):

المحبة أربعة أنواع: منها ما ينعقد سريعا. وينحل سريعا. وهى المحبة التى تكون بسبب اللذة فقط.

ومنها ما ينعقد سريعا. وينحل بطيئا.. وهى المحبة التى سببها الخير.

ومنها ما ينعقد بطيئا. وينحل سريعا. وهى المحبة التى تكون بسبب المنافع.

ومنها ما ينعقد بطيئا. وينحل بطيئا. وهى المحبة التى تتركب من هذه الأنواع كلها، وهى: محبة الزوجين كل منهما للآخر. فإن فيها اللذة المشتركة.

---

(١) البخارى ـ كتاب الطلاق ٤٠٨/٩.

والخيرات المتبادلة. والمنافع المختلطة. وهما يتعاونان عليها:

فالمرأة تنتظر من زوجها الحبّ. وهو ينتظر منها الحفظ لتثمر الحبة فلا تضيع.. ومتى قصر أحدهما.. اختلفت المحبة وحدث الخلاف بينهما».

وفى قصة بريرة لا ندرى: هل انعقد الحب بينهما سريعا.. أم انعقد بطيئا؟ لاتهمنا هنا البداية، والذى نعلمه: أنه انحل بطيئا كما تفيد الرواية القائلة إنه كان لزوجها منها أولادا..

ويعنى ذلك: طول مدة الوفاق.. والذى ظهر من بعد أنه كان يخفى من ورائه تراكمات من الخلافات انفجرت فجأة.. وعلى غير ميعاد.. وصار أمر الزواج على ما قيل:

ويلاه إن هى واصلت أو باعدت

وقع السهام.. ونزعهن أليم

فإذا كان ذلك التباعد من قبل الزوجة.. وبعد هذا الزمان المتطاول.. وفى البيت زغب الحواصل.. يتضورون جوعا إلى رعاية الأب.. وحنان الأم.. فإن الألم عندئذ يبلغ درجة التشبع.

فليس من فوقه مزيد.. ولا من بعده جديد.. وذلك حال «مغيث» زوج بريرة.. والذى كان يدور معها فى سكك المدينة يخطب ودها.. ولكن «مغيثاً» لم يجد من مغيث!!

وكأنى به يبثها شكواه أو نجواه بما قاله هائم على درب الحب:

وبتنا وما بينى وبينك ثالث

كزوج حمام.. أو كغصنين هكذا

فمن بعد هذا الوصل والود كله

أكان جميلا منك.. تهجر هكذا؟!!

وفى نفس اللحظة.. ومن وحى الإباء.. إباء بريرة.. أتخيلها ترد عليه قائلة فى تحد وإصرار:

لو أراد البعد عنى

نور عينى.. ما تبعته

إن قلبى.. وهو قلبى

لو تجنى.. ما تبعته!

كل شىء من رفيقى

ما خلا الغدر.. احتملته!!

ويبدو أن «مغيثا» لم يغدر.. ولم يخن عهد الوفاء.. ولكنها تكاليف الحرية.. التى ذاقت بريرة طعمها بالعتق ويفرض عليها الإحساس بها.. أن تتحرر من أن تكون تحت رحمة عبد.. مملوك.. فاتخذت قرارها الصعب بخلع.. مغيث.. وإن كان رد الفعل مر المذاق فى حلق وليدها الذى يبدو بين يديها يتيما.. وإن كان والداه أحياء!

لقد كان من ثمرات الحرية بزوغ قيمة التضحية.. التضحية فى سبيلها بكل نفيس!

ولا عليها إذا صار مغيث على ما قيل:

لا جزى الله دمع عينى خيرا

وجزى الله كل خير لسانى

نمّ دمعى.. فليس يكتم شيئا

ووجدت اللسان ذا كتمان!!

لقد كان من سوء حظه أن يكون تحت رحمة المخلوق الضعيف..

والذى كانت قوته فى ضعفه، إن المرأة التى

تحب يوما.. بكل قلبها.. سوف تنتقم غدا.. وبلا قلب!

ولقد كان الوفاء يفرض عليها أن تعفى «مغيثا» من هذا الهوان.. على قارعة الطريق ذاهبا آيبا من خلفها.. منطلقة من قول الشاعر:

أحسن إلى الأعداء والأصدقاء

فإنما أنس القلوب الصفاء

لكنها لم تفعل.. منطلقة من قاعدة تقول:

أيها الباحث عن شريكة الحياة المناسبة.. كن أنت قبل ذلك مناسبا!

ولم يعد مغيث فى ظل الوضع الجديد مناسباً!

وإذا كان من عادة الرفاق أنه إذا تصورت رفيقك ضاحكا.. اشتقت إليه وإذا تخيلته باكيا.. أشفقت عليه.. وإذا كانت هذه إحدى قواعد التعامل بين الرفاق.. فإن بريرة.. لم تتخيل رفيق الأمس يبكى.. بل رأته فعلا وعلى الطبيعة.. وها هى ذى دموعه تتخلل لحيته.. ولا قلب هناك..

إن القلوب إذا تنافر ودها

مثل الزجاجة كسرها لا يجبر.

المفارقة العجيبة

لقد كان من وصايا الإسلام أن يحسن الرجل عشرة زوجته.. بمثل هذه الوصايا:

ألا يعبس فى وجهها بغير ذنب. وألا يكون فظا غليظا. ولا مظهراً ميلا إلى غيرها.

ولكن موقف «بريرة» من «مغيث» عكس القضية!.. على نحو أكد لنا صدق من قال: إذا كان هناك رجال لا تتفتح لهم الأبواب.. مهما دقوا عليها.. فإن هناك رجالا تتفتح لهم الأبواب.. دون أن يدقوا عليها! مما يحملنا على التريث فى مجالس الصلح.. وعندما نحس اتساع الفجوة بين الطرفين.. فلعل له عذرا وأنت تلوم: وقد كنت أجد نفسى منحازا للزوجة الشابة وهى تلح فى طلب الطلاق.. وبلا برهان.. وأقول:

إن حساسية العلاقة الزوجية ودقتها قد تسوغ هذا الانحياز أحيانا.. فقد تكون لدى الزوجة هذه من الأسرار ما لا تبوح به حياء.. أو تقى.. ومن مصلحة الطرفين أن لا يستمع إليها.. لا سيما إذا طالت مدة العشرة ونضجت التجربة.. بل ومن مصلحة المجتمع أن نحميه من تجاوزات.. سوف تعكر الجو الطهور.. ويكفى إصرار الزوجة دليلا على فشل كل محاولة تجىء فى الوقت الضائع.. وبعد فوات الأوان.

من دروس المشهد

(١)

كان الرجل الصالح يقول لصديقه الغنى:

هذا «السائل الذى يطرق بابك.. هو هدية الله - تعالى - إليك.. فأحسن استقباله».

وبنفس القوة كنت اعتبر دعوتى إلى مجلس من مجالس الصلح هو هدية الله - تعالى - إلىّ.

وكنت أحاول حسن استقبالها بدراستها، وأحيانا تسفر الدراسة عن العثور على مفتاح الموقف كله:

فقد تكون الأزمة بين الحموات.. وقد يكون النفور بين الزوجين..

في الحالة الأولى: فأهل الزوجين يملكون الحل.. بالتخلي عن زوجين حبيبين.. إن حاميها هنا هو: حراميها!

أما إذا كان النفور بين الزوجين أحدهما.. أو كليهما.. فإن الأمر يختلف.. وينبغي البدء في اتخاذ الإجراءات التي تحسم الموقف: رأبا للصدع.. أو الطلاق!!

ربما كانت المشكلة مالية.. وهنا لابد من التقشف.

وربما كانت غشما.. وهنا تكون الوصاة بالصبر.

لكن المشكلة إذا كانت «عاطفية» فلا حيلة لنا.. لأن القلوب بيد الله ـ سبحانه وتعالى.

وهذا ما فعله ﷺ.. عندما لم يفرض على بريرة أن تعود وهي كارهة.

٢

من أدب الصحبة

ينبغي أن ينبه الصديق صديقه.. وليعتبر بآيات الله ـ تعالى ـ في الأنفس والآفاق.

فقد فعل ﷺ ذلك.. حين عجب العباس من حب مغيث بريرة.. ونفرتها منه.

إنها آية من آيات الله ـ تعالى ـ ينبغي أن نمر عليها ونحن أيقاظ.. لا معرضون.

٣

وفي الاجتماع

لكل مجتمع تقاليده التي اصطلح عليها. وعاداته التي تكونت على مر السنين..

ومنها عادات وتقاليد لا تصطدم بحقائق الدين.. فإذا وجدنا من يخرج على هذه العادات.. فمن حقنا أن نتساءل وأن نتعجب.. وقد تعجب ﷺ من الموقف، فقد جرت العادة أن المحب لا يكون إلا محبوباً.. والعكس صحيح..

ومن ذلك قول أحدهم لمن معه مشيرا إلى رجل آت من بعيد:

هذا الرجل القادم يحبني.. فلما سئل في ذلك قال: لأنني أحبه!

وكأنما هناك بين القلوب رسائل موجهة عبر الأثير.. والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف.

ولكن موقف بريرة هنا كان استثناء من هذه القاعدة.. وهذا سر تعجبه ﷺ.. والذي بلغ من قوته أنه يعجِّب منه العباس ـ رضي الله عنه ـ وكأنما كانت شحنة التعجب أكبر من أن يتحملها واحد.. بمفرده!

٤

يجوز لمن كانت له مكانة مرموقة في المجتمع.. ولو كان الحاكم نفسه.. يجوز له أن يشفع عند الخصم في خصمه ليحط عنه. أو يسقط.. أو

يتنازل عن الدعوى برمتها، على أن يتم ذلك فى جو من اللطف والتودد.

٥

درس للخلطـــاء

إذا خيّر الشريك بين مباحين.. فآثر اختيار ما ينفعه.. لم يلحقه لوم.. حتى ولو أضر اختياره برفيقه.. وعلينا أن نلتمس له العذر.. ما دام ذلك الاختيار قد تم بغير اختياره.

لقد كان من مصلحة «مغيث» أن تعود إليه «بريرة» لكن ذلك العود لم يكن حميدا بالنسبة لها.. فلا ضير عليها حتى الساعى بينهما يكون مأجورا.. وإن لم تنقض الحاجة على يديه.. ولو كان هذا الساعى أعلى مرتبة ممن يرجوه فإن ذلك لا يقدم فى موقف المشفوع عنده.. فالأشخاص تتوارى وتبقى المصلحة الحقيقية سيدة الموقف.

٦

فى آداب الزوجيـــة

كان نفور «بريرة» ظاهرا. وكان العزم على الفراق أكيدا.. بدليل:

أ- كان لها منه ولد. ومع ذلك لم يرق ليتمه قلبها.

ب- ومع ذلك تعتذر عن العود إليه حتى لو أعطاها كذا وكذا!

ونستطيع أن نقول: إن حجم النفور هنا يحملنا على الظن بأنه لم يولد فى يوم وليلة وإنما تخلّق على المدى الطويل.. ثم ظهر على السطح لما فاض الكأس!

ويعنى ذلك أن الزوجة قد تبغض زوجها أشد البغض.. ثم لا يظهر ذلك.. ولا ترتب عليه آثاره.. بل هى مطيعة له حافظة غيبته مادامت علاقة الزوجية قائمة. فإذا جاءت ساعة الصفر. تغير كل شيء.. إلى الحد الذى يتدخل فيه الحاكم لفض هذا الاشتباك.. دون جدوى وقد كانت بريرة جديرة بالاحترام:

أ- بما أظهرت من فقهها الذى به عرفت أن أمره ﷺ لا يخالف.. إلا إذا كان على سبيل الشفاعة.

ب- ثم بأدبها فى الخطاب لما قالت: لا حاجة لى فيه.. ولم تصرح برد الشفاعة. وحتى لما تصاعد نفورها لم تزد على أن قالت: لا عود إليه.. ولو أعطانى كذا وكذا..

تكتفى بذلك غير معرضة بأسباب هذا النفور مما يحرج الرجل الذى هو على أى حال.. وإن لم يعد زوجا.. فقد بقى «أبا» لوحيدها.. الذى كان من حبها له أن يظل أبوه كريما!!

٧

يشير الحديث الشريف إلى قانون من قوانين النفس الإنسانية وهو: أن فرط الحب مضر..

ذلك بأنه يذهب بالحياء.. كما بدا من مشهد «مغيث» وهو يطوف خلف «بريرة» يبكى عبر الطرق.. وتفرض الرجولة على الرجل أن يتجمل.. لتبقى له بقية من الحياء- يستأنف بها الحياة!

(٨)

إن الحب والبغض واردان فى حياة الزوجين.. ولا لوم فيه.. لأنه اضطرارى لا حيله لهما فيه.. ولا ملام أيضا لو تطورت العاطفة فكانت عاصفة من البكاء والنشيج.. ولا يخدش ذلك معنى الرجولة.. ولا بأس أن يبكى الرجل على حظوظه الدنيوية.. وبخاصة على الزوجة الوفية.. لا كما يتباكى الفارغون اليوم قائلين:

خلقت الجمال لنا آية وقلت ألا يا عبادى اتقون.

وأنت جميل تحب الجمال فكيف عبادك لا يعشقون!

ولكن قلب العابد يحب.. وعقله فيه ودينه!

(٩)

ولا يجلس المجتمع هنا على كراسى المتفرجين.. تاركا الأمور تجرى فى أعنتها لينام خالى البال..

ولكن المجتمع المؤمن شخصه ﷺ مشغول بما يحدث فيه ثم يتدخل بمنطق الحكمة والحزم.. ليخفف على الأقل من حدة التوتر.. وهو درس للفارغين اليوم.. الذين يسمنون على «حكايات» الآخرين.. والتى تغذى فيهم غريزة حب الاستطلاع. والتى يشبعونها بما تصنعه مخيلاتهم من أقوال وأفعال.. غافلين عن دورة الفلك.. والتى سوف تنتزعهم من دنياهم المؤثرة.. ليشربوا من نفس الكأس.. غدا.. أو بعد غد ليكونوا على ما يقول الشاعر:

بينا يرى الإنسان فيها مخبرا

حتى يرى خبرا من الأخبار

(١٠)

والموقف درس للذين يعرفون نعمة الزوجة ثم ينكرونها.. غير مستشعرين من طول الألفة أنهم يملكون بالزوجة الوفية كنزا، كنزا من الحب والوفاء يغنيهم عن كل نساء الدنيا.

وقد لا تملك الزوجة رياشا.. لكنها فى الميزان أثقل ممن يملكن الرياش.. ويجدد بهن الفراش!

ويا لها من نعمة على المحبين سابغة، تالله لقد سبق القومُ.. السعاةَ وهم على ظهير الفرش نائمون.

وقد تقدموا الركب بمراحل.. وهم فى سيرهم واقفون.

هذا الأنموذج الذى يصوره المنصفون فيقولون:

من لى بمثل سيرك المدلل
تمشى رويدا.. وتجى فى الأول!

أجابوا منادى الشوق إذ نادى بهم: حى على الفلاح.

وبذلوا نفوسهم فى طلب الوصول إلى محبوبهم.

تالله لقد حمدوا عن الوصول سُراهم.

وشكروا مولاهم على ما أعطاهم.

إنما يحمد القوم السرى.. عند الصباح[٢].

(١١)

والحديث الشريف يحل مشكلة اجتماعية وهى:

هل يجوز للمطلق أن يكلم مطلقته.. وفى الطريق..؟ أو عبر الهاتف؟!

والجواب بالإيجاب.. مادام ذلك الكلام تعبيرا عن رغبة صادقة فى عودة المياه إلى مجاريها.

(١٢)

لقد كان موقف بريرة باعثا لمشاعر التعجب من قسوة قلبها..

لكننا فى النهاية نتحول من «التعجب منها» إلى «الإعجاب بها» فلقد كان موقفها صعبا.

ومع ذلك لم يتخل عنها فقهها ولا أدبها.. وهى تتساءل فى إخبات:

يا رسول الله: تأمرنى؟ أهو أمر.. أم شفاعة.. فإذا كان أمرا.. تجاهلت كل مشاعرى راضية بما اختاره لى رسول الله.

إنها تجسد معنى.. الالتزام بالسنة النبوية.. كأخت لها من قبل: «أم حكيم» - رضى الله عنها - فلقد روت حديثا يذكر فضل الإحرام من بيت المقدس.. فتجشمت متاعب السفر إلى هناك.. ثم أحرمت بعمرة!

إنها المرأة المؤمنة التى لا تجعل قصارى دورها أن تكون على السنة «شكلا» لكنها قبل ذلك.. تركب الصعب.. حيث تجعل من السنة العملية.. شرعتها فى الحياة.. ومنهاجها.

(١٣)

لقد فرضت تكاليف الحرية على «بريرة» أن تبدو هكذا قاسية. والتى حملتها على أن تأخذ هذا الموقف الغريب من رفيق العمر.

إن للحرية ضغوطها التى لا يسع الأحرار إلا الاستجابة لها مهما كان الثمن..

لقد كان عنترة عبدا.. ولا يحسن إلا الحلاب والصر.. أما بعد أن ظفر بالحرية فقد تغير فى مذاقه كل شىء بالحرية.. التى كانت إكسير حياته. فصار على ما قال هو بعد أن ظفر بها.

قد كنت فيما مضى أرعى جمالهمو
واليوم.. أحمى حماهم كلما نكبوا

وبعد:

فإن اعتزازنا بالإسلام ليتزايد ويعمق.. هذا الإسلام الذى شرع الكفاءة بين الزوجين سبيلا إلى الوفاق.. هذه الكفاءة التى إذا غربت قالت لها السعادة: خذينى معك..

وإذا حضرت.. فكل شىء إذن حضر!

---

(٢) نضرة النعيم ٣٣٢٦/٨ - ٣٣٢٧.

منهج الإسلام في العبادة والعمل

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾(٢).

وقال: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾(٣).

قال الإمام مسلم رحمه الله: حدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم قال زهير: حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: سألت أم المؤمنين عائشة قال: قلت «يا أم المؤمنين كيف كان عمل رسول الله هل كان يخص شيئا من الأيام؟ قالت: كان عمله ديمة، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع».

وقال الإمام مسلم: وحدثنا ابن نمير حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سعيد أخبرني القاسم بن محمد عن عائشة قالت: «قال رسول الله ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله ـ تعالى ـ أدومها وإن قل، قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته».

وروى الإمام البخاري بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة فقال: «من هذه؟ قالت: فلانه تذكر من صلاتها، قال: مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين ما داوم عليه صاحبه» وجاء في رواية الإمام مالك أن المرأة المذكورة من بني أسد، وفي رواية الإمام مسلم إنها الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد عبد العزى من رهط خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ وقيل عنها: إنها كانت لا تنام الليل.

وأما ذكر السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ للمرأة ومدحها لها مع النهي عن المدح فلعلها أمنت عليها الفتنة فلذلك مدحتها في وجهها ولكن رواية حماد بن مسلمة عن هشام في هذا الحديث تدل على أنها ما ذكرت ذلك إلا بعد أن خرجت المرأة. أخرجه الحسن بن سفيان في مسنده من طريقه، ولفظه «كانت عندي امرأة فلما قامت قال رسول الله ﷺ: «من هذه يا عائشة قالت: يارسول الله هذه فلانة وهي أعبد أهل المدينة» الحديث.

(١) البقرة (٢٨٦). (٢) البقرة (١٨٥). (٣) الحج (٧٨).

وكلمة مه مبنية على السكون وهى اسم فعل بمعنى أكفف وهذا النهى متجه إلى السيدة عائشة حتى لا تمتدح المرأة بما ذكرت كما يحتمل أن يكون نهيا عن الفعل المذكور وهو قيام الليل كله وقد قال بعض الأئمة بكراهة صلاة جميع الليل ومعنى عليكم بما تطيقون أى افعلوا من الأعمال ما يمكنكم أن تداوموا عليه ومنطوقه. يقتضى الأمر بأن يقتصر المسلم على ما يطيقه من العبادة ومفهومه يقتضى النهى عن تكلف مالا يطاق ولئن كان سبب ورود هذا الحديث خاصا بالصلاة إلا أن لفظه عام وجاء الخطاب به عاما فى قوله: عليكم، مع أن المخاطب النساء ومعنى «لا يمل الله حتى تملوا»:- الملال هو استثقال الشيء والنفور عنه بعد محبته وهذا المعنى لا يمكن أن يستقيم بالنسبة لله - تعالى - بل هو محال، ولكن جاء التعبير به على جهة المقابلة اللفظية مجازا كقوله - تعالى:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾(٤) وقال الهروى: معناه لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا فى الرغبة إليه وقيل: إن حتى بمعنى الواو وعليه فيكون التقدير لا يمل وتملون **والأولى** أنه من باب المقابلة ومعنى «أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه» المحبة من الله - تعالى - إرادة الثواب أى أكثر الأعمال ثوابا أدومها لأن بدوام العمل القليل تستمر الطاعة والإخلاص والإقبال على الله بخلاف الكثير الشاق فإن العمل الدائم ولو كان قليلا ينمو ويصبح أكثر من الكثير المنقطع أما الذى يترك العمل بعد الدخول فيه فهو كالمعرض بعد الوصل.

ولطالما وجه الرسول ﷺ المسلمين بأن يأتوا من الأعمال ما يوافق استطاعتهم كقوله: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»(٥).

وهذا عبدالله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «ياعبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقلت: بلى يارسول الله، قال: فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينيك عليك حقا، وإنه بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها(٦).

ومن المعلوم أن منهج الإسلام قام على الاعتدال والقصد فى الأمور كلها لا إفراط ولا تفريط قال تعالى:

﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ ﴾(٧).

وقال:

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾(٨).

وقال تعالى:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾

وقال:

---

(٤) الشورى (٤٠).
(٥) أحمد ٢/٢٥٨، والبيهقى ١/٣٨٨.
(٦) أخرجه البخارى.
(٧) الأعراف (٣١).
(٨) الفرقان (٦٧).

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ .

وقال ﷺ : « هلك المتنطعون »[9] أى الذين يبالغون ويتشددون فى الأمور وقال : « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا واغدوا ورحوا » وهكذا يتبين لنا حرص الشريعة الإسلامية على اليسر فمعروف أن العمل القليل الذى يكون متصلا يكون صاحبه منشرح الصدر نشيطا للعبادة بخلاف الكثير الشاق فإنه بصدد أن يتركه الإنسان أو أن يفعله بتكلف وبغير انشراح وقد ذم الله – تعالى – من اعتاد عبادة ثم أفرط فيها فقال :

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[10] .

وكثيرا ما نادى الإسلام بتواصل أعمال الخير ودوامها وعدم احتقار اليسير منها قال ﷺ : « يانساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » والفرسن هو عظم قليل اللحم ويطلق على الظلف وقد قال تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ وقد قاوم الرسول ﷺ الذين يغالون فى أعمالهم، روى أنس – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ دخل المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال : ما هذا الحبل؟ قالوا : هذا حبل لزينب تقوم تصلى فإذا فترت قامت فتعلقت به، فقال النبى ﷺ « حلوه » ثم قال : « ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد »[11]، كما روى أنس – رضى الله عنه – أيضا قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها - أى عدوها قليلة - وقالوا : أين نحن من النبى ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . . فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى »[12] .

وقد حكى أن أقواما أتوا قيس بن عبادة يسألونه أن يعاونهم على أداء دية لزمتهم فنظروا إليه فرأوه وهو فى البستان يجمع ما يتساقط من الثمر ويميز بين الجيد والردىء، فلما انتهى من عمله سألوه ما أرادوا فأعطاهم ما طلبوه، فقال له بعضهم : لقد داخلنا بعض الشك فى جودك بعد أن رأينا ما تصنعه فى البستان، فأجابهم : إن ما رأيتم من حرصى على مالى هو الذى مكننى من تحقيق غرضكم، أى أن الاعتدال فى الأمور كلها والتوسط بين الإفراط والتفريط، يحفظ على الإنسان مواصلة العمل، والاستمرار فى وجوه الخير والنفع العام، وقد كان منهج الإسلام فيما يتصل بهذا الجانب عاما وشاملا لسائر العبادات والأعمال، ووجوه النفع الشامل، ولم

---

(٩) اتحاف السادة المتقين ٢/٥٠، فتح البارى ١٣/٢٦٧ .

(١٠) الحديد (٢٧).

(١١) البخارى ٢/٦٧، وأبو داود ص ١٥ .

(١٢) البخارى ٧/٢ .

يدع جانبا من تلك الجوانب إلا وجه المسلم إلى الاعتدال فيه، بحيث لا يكون هناك إفراط ولا تفريط، ولا مغالاة ولا تقصير.

ففي جانب الأكل والشرب، قال تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾.

وفي جانب الإنفاق والصدقة نادى القرآن بالاعتدال بحيث لا يكون المسلم بخيلا ولا مبذرا فقال تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾(١٣).

وفي جانب العبادة، لم يكلف الله الناس ما لا طاقة لهم به، قال تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ:

﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٤).

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب وقالوا: يارسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، قد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله ﷺ «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا:

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾(١٥)

فلما أقر بها القوم ونطقت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾(١٦).

فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل قوله:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾(١٧).

وقد كشفت السنة الشريفة عن هذا الجانب من التجاوز والعفو.. روى البخاري بسنده عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها مالم تعمل أو تكلم».

---

(١٣) الإسراء (٢٩).
(١٤) البقرة (٢٨٤).
(١٥) البقرة (٢٨٥).
(١٦) البقرة (٢٨٥).
(١٧) البقرة (٢٨٦).

وقد اجتهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى تثبيت منهج الاعتدال فى الأعمال والعبادات عند المسلمين، حرصا منه على استمرارهم فى العمل ورأفة منه ورحمة بهم، وصدق الله - تعالى - إذ يقول:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(١٨) لقد حرص على ترسيخ هذا المنهج المعتدل حتى أنه كان يترك - فى بعض الأحيان - بعض الأعمال، فلا يقوم بأدائها أمام الناس مخافة أن يواظبوا عليها فتفرض عليهم، عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل الناس به فيفرض عليهم، وما سبح رسول الله ﷺ سبحة الضحى قط وإنى لأسبحها» وهى نافلة الضحى.

وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾(١٩).

ومعنى الآية: أن الله - تعالى - يمتن على المؤمنين حيث أرسل إليهم رسولاً من جنسهم وعلى لغتهم، كما دعا إبراهيم - عليه السلام - كما قال الله - تعالى - حكاية عنه:

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾(٢٠).

وقال تعالى:

﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾(٢١).

وإنه يعز عليه ما يعنت أمته أو ما يشق عليها، لأنه بعث بالحنيفية السمحة وهو حريص كل الحرص على هداية أمته والتيسير عليها ووصولها إلى سعادة الدنيا والآخرة، وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس.. أن رسول الله ﷺ أتاه ملكان فيما يرى النائم فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه.. فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه.. أضرب مثل هذا ومثل أمته، فقال: إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازه، ولم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به، فبينما هو كذلك إذ أتاهم رجل فى حلة حبرة، فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء تتبعونى؟ فقالوا: نعم. قال: فانطلق بهم فأوردهم رياضا معشبة وحياضا رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم: ألم ألقكم على تلك الحال فجعلتم لى أن وردت لكم رياضا معشبة وحياضا رواء أن تتبعونى؟ فقالوا: بلى فقال: فإن بين أيديكم رياضا هى أعشب من هذه وحياضا هى أروى من هذه فاتبعونى فقالت طائفة صدق والله لتتبعنه وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيم عليه» كل هذا يدل على رأفة الرسول ﷺ ورحمته بأمته واتباعه معها طريق اليسر

(١٨) الأنبياء (١٠٧).

(١٩) التوبة (١٢٨).

(٢٠) البقرة (١٢٩).

(٢١) آل عمران (١٦٤).

والتسامح فإنه يعز عليه أن ترى شيئا يشق عليها أو حرجا تلاقيه لأنه بعث رحمة للعالمين، وقال ﷺ : «إنما أنا رحمة مهداه»[٢٢] فالرحمة جوهر رسالته قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ والطريق إلى هذه الرحمة يسير فى اتجاهين مستقيمين مستنيرين أحدهما : فى التيسير فى التكاليف والعبادات، والرحمة بالأمة فى كثير من أحكام الإسلام كما هو معروف.

والثانى : بدوام العمل والعبادة، واستمراره، وعدم انقطاعه، فكلما استمر المسلم فى العبادة وداوم عليها وإن كانت قليلة داوم الله - تعالى - بإسباغ رحمته عليه، ورفقه به، ورعايته له وحبه إياه، لأن هذا المنهج من السلوك هو أحب الأعمال إلى الله - سبحانه وتعالى - ، كما قال الرسول ﷺ : «أحب الأعمال إلى الله - تعالى - أدومها وإن قل»[٢٣] أما نتيجة هذا الحب من الله - تعالى - فقد بينه فيما جاء فى الحديث القدسى : .... فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه»[٢٤].

ومن مظاهر حرص الرسول ﷺ على أمته اجتهاده معهم فى جانب التكليف والعبادة ألا يفعلوا ما يتسببون به فى الزيادة ومالا يستطيعون القيام به، عن أبى هريرة قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : «يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا» فقال رجل : أكل عام يارسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال النبى ﷺ : «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» رواه أحمد ومسلم والنسائى.

وروى أحمد والنسائى بمعناه : عن ابن عباس قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : «يا أيها الناس كتب عليكم الحج فقام الأقرع بن حابس فقال : أفى كل عام يارسول الله؟ فقال : لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع» ومن مظاهر التيسير أن الرسول ﷺ كان لا يشق على المسلمين ويتحاشى ما يكون سببا فى تسرب الملل إلى نفوسهم حتى ولو كان ذلك فى توجيهه وإرشاده فكان ﷺ يتخول المسلمين بالموعظة كراهة السآمة عن ابن مسعود قال : كان النبى ﷺ يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا وكان يخشى إذا استمر فى التوجيه والتعليم أن يتسرب الملل إلى أصحابه أو يأخذ التعب طريقه إليهم فكان يعطيهم فرصة للراحة والاستجمام والتشويق لتتمكن معلوماتهم فيها من التثبيت والتركيز ولهذه الطريقة الرشيدة تدين مؤسسات التربية اليوم التى استمدت نظمها الناجحة من هذا المنهج النبوى الحكيم، وحين بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن

---

(٢٢) تفسير ابن كثير ٥/٣٨١، اتحاف السادة المتقين ٧/١٦٢.

(٢٣) مسلم، المسافرين، رقم ٢١٨، أحمد ٦/١٦٥.

(٢٤) اتحاف السادة المتقين ٧/٣٣٣، أحمد ٢/٥٠٩.

زوده بالتوجيه الكافي وأمره أن يسير على سنن التدريج معهم فيقول له: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(٢٥).

ويتبادر هنا سؤال هو، إن الله - تعالى - قد أمرنا بالاقتداء بالرسول ﷺ قال تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٢٦)

ومن المعلوم أن الرسول ﷺ كان يقوم الليل متهجدا راكعا ساجدا حتى تتورم قدماه وتفيض عيناه بالدمع من خشية الله وحتى يسمع لصدره أزيز المرجل من البكاء فتقول له في ذلك السيدة عائشة - رضي الله عنها -: أتفعل ذلك يارسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيجيبها: «أفلا أكون عبدا شكورا» وكان يواصل الصيام والوصال: وهو الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد ومع هذا فقد نهى عن الوصال بالنسبة للمسلمين فلم لم يكن الاقتداء به في مثل هذه الأمور؟ أو بمعنى آخر كيف يأمر بالتيسير وهو يأتي مثل هذه الأعمال الشاقة.

وللإجابة على هذا نقول: إن كل حكم يثبت في حق النبي ﷺ فهو ثابت أيضا في حق أمته إلا ما استثنى بدليل كبعض خصائصه ﷺ، فإن خصائص الرسول ﷺ لا يتأسى به في جميعها وقد توقف في ذلك إمام الحرمين وقال أبو شامة: ليس لأحد التشبه به في المباح كزيادة على أربع نسوة، ويستحب التنزه عن المحرم عليه «كالأكل من الصدقة ويستحب التشبه به في الواجب عليه كالضحى، قال الحافظ ابن حجر: وأما المستحب، أي في حقه ﷺ فلم يتعرض له والوصال فيه - أي وصال الصيام - من قبيل المستحب في حق النبي ﷺ فيحتمل أن يقال: إن لم ينه عنه لم يمنع الإتساء به فيه ولعل مراده بقوله: «إن لم ينه عنه» أي بالنسبة لبعض الناس وفي بعض الأحوال وهذا نادر وأما الأعم الأغلب فهو ما ورد بشأنه السنة الصحيحة الصريحة في ذلك في النهي عن الوصال، روى الإمام البخاري - رحمه الله - بسنده: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إياكم والوصال مرتين قيل: إنك تواصل قال: إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فاكلفوا من العمل ما تطيقون».

***

(٢٥) مسلم، الإيمان (٢٩)، صحيح ابن خزيمة ٢٣٤٦.

(٢٦) الأحزاب (٢١).

الإنسان والكون بين الإيمان العلمى والإلحاد الخرافى

للدكتور/ عبد الحليم عويس

نظام الكون يدل على الخالق العظيم

- الكون كتاب مفتوح تتجلى فيه آيات الإبداع الإلهى الدالة على وجود الله ووحدانيته وقدرته وهيمنته.

- ولهذا كان محور الكون من المحاور الأساسية فى كتاب الله.. القرآن الكريم

- فثمة آيات قرآنية كثيرة تتصل بالكون، وتتحدث عن عوالمه المختلفة، المشاهد وغير المشاهد، والمعلوم وغير المعلوم:

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾(1).

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾(2).

وكثير من الآيات تتكلم عن صور من الإبداع الإلهى فى عالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الطبيعة والإنسان:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(3).

وكثير من الآيات تتحدث عن مفردات دقيقة فى عوامل الكون. وهكذا بصفة إجمالية نجد القرآن الكريم حافلاً بالآيات العظيمة التى تشدّ انتباهنا وتلفت نظرنا إلى ذلك الكون البديع الذى نعيش فيه، لنرى كيف يسير بدقة وعظمة تنبئان عن أن لهذا الكون خالقاً، خَلَق وقدَّر ودبَّر، ومن هذه الآيات الآية التى تقول:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾(4).

والسماء هى أسطح لوحة تدل على وجوب وجود الخالق

(1) الحاقة (38، 39).
(2) الواقعة (75، 76).
(3) فصلت (53).
(4) الإسراء (44).

وعظمته سبحانه بما تمتلئ به من الأجرام السماوية الضخمة التى يبلغ حجم بعضها أكبر من أرضنا ألف مرة.. والتى يسير بعضها بسرعة أكبر من انطلاق القذيفة.. تسير كلها بلا مزاحمة ولا تصادم. وتسير بلا ضوضاء ولا أعطال.. تحوى آلافاً من القناديل المضاءة التى تساعد الناس فى سيرهم. وهى تضاء بلا زيت ولا كهرباء وتجمل السماء وتجعلها زينة للناظرين(٥).

– ومازالت السماء مع التقدم العلمى الهائل– وستبقى– مجالاً خصباً للبحث والاستكشاف، حيث يمكن القول أن ما عُرف عنها لا يساوى إلا نسبة مليونية مما يمكن أن يُعرف.. ومع ذلك فكثير من تجليات الإبداع واضحة لكل من ينظر بعقل وبصيرة معاً إلى السماء وما فيها.

– فإن من ينظر فى السماء يلمح بجلاء – لو أعمل عقله وخلصت نيته – أن السماء وما فيها مسخر ومدبر وموظف، فمن يا ترى فعل ذلك بهذه القدرة الفائقة المعجزة.. إنه الله الذى لا إله إلا هو.. إنها تمضى منذ خلقت وفق ناموس لا يختل قط..!!

– وعندما ننظر فى الفضاء ونجده معرضا للعجائب والخوارق كذلك، ففيه السحاب المعلق بين السماء والأرض، يسقى ساكنيها بالماء، الذى هو أساس الحياة عليها، ويلطف من حرارتها.

– فمن الذى سخره وجمعه وأمره أن ينزل الماء؟ إنه الله(٦) سبحانه وتعالى..

– ثم هذا هو الهواء الذى يملأ الفضاء.. فكل ذرة من ذرات ذلك الهواء الجامد الذى لا يملك شعوراً، تسمع وتعى ما يلقى إليها من الأوامر الإلهية.. فيستنشقها جميع الأحياء.. وتنقل الأصوات وتنقل الحرارة والضوء والكهرباء.. وتصير وسطا صالحاً لتلقيح النباتات... وغير ذلك من الوظائف، فكيف انتظمت وأدت ذرات الهواء دورها على هذا النحو؟!!

– ثم لننظر إلى المطر الذى يغدقه الله ـ تعالى ـ علينا من خزائن رحمته على صورة تلك القطرات المتهاطلة، ولذلك أطلق على المطر اسم الغيث والرحمة(٧).. كيف استقام أمر المطر على هذا النحو؟ وكيف أن أمما تعيش على المطر فى زراعتها وحيواناتها؟

فهل كان ذلك كله احتمالاً أو صدفة؟ وكيف بقيت هذه الصدفة ثابتة آلاف السنين؟!!

– أو أنها قدرة الله القوى اللطيف الكريم المحيط بكل شئ علما، والذى عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، وينزل الغيث، وينشر رحمته، ويمسك السموات والأرض أن تزولا.. وصدق الله العظيم القائل فى كتابه المبين:

---

(٥) بديع الزمان سعيد النورسى: الآية الكبرى ص ٣٠– ٤٢ نشر شركة سوزلر القاهرة.

(٦) المرجع السابق ص ٣٤.

(٧) المرجع السابق ص ٣٥– ٣٦.

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾(٨)

والأرض وما فوقها تدل على الخالق الكريم

– وعندما ننظر أيضا فوق الأرض، فنبصر عالم الحيوانات، وبين السماء والأرض فنبصر أسراب الطيور التى لا يمسكهن إلا الله وحده، والتى تمضى عابرة المحيطات بذاكرة كمبيوترية لا تخطئ طرقها ولا مساكنها... عندما يتعمق تفكير الإنسان، بعقله الواعى – فى عالم الطيور والحيوانات على هذا النحو – يجد تلك الحيوانات والطيور تتكلم بمئات الألوف من الأصوات المتباينة، والألسنة المختلفة، وسوف يجد ذلك الإنسان ثلاث حقائق عظيمة محيطة تشهد على وحدانية الله – جل جلاله – وهى: حقيقة الإيجاد والصنع والإبداع (أى حقيقة الإحياء ومنح الروح)، وحقيقة التميز مع الجمال، التى تتضح من خلال تلك المخلوقات غير المحدودة، والتى يختلف بعضها عن بعض بعلامات فارقة وبأشكال مزينة وبمقادير موزونة وبصور منسقة، ثم حقيقة خروج كل هذه الأنواع غير المحدودة من بيضات متماثلة معدودة ومن قطرات بسيطة متشابهة أومختلفة بفارق طفيف(٩).

– فهل تم كل ذلك بالصدفة أو الاحتمال؟ وأى صدفة أو احتمال يصل إلى هذه العبقرية العجيبة: عبقرية عجيبة فى الإيجاد.

– وعبقرية فى حفظ التميز الدقيق بين الأنواع حتى فى الصنف الواحد.

– وعبقرية فى إخراج كل هذا الإعجاز من بذور ضعيفة، وبويضات ضئيلة.. ومع ذلك فمع ضعفها وضآلتها – تحمل فهرستا كاملاً بخصائص النوع ووظائفه لاتحيد عنه!!

– وإذا تركنا السماء والفضاء والماء والهواء والمطر.. ثم أدرنا النظر إلى الركن الأسفل الذى نبصره، أى إلى الأرض التى نسير فوقها بأقدامنا وننام بأجسادنا، ويخيل إلينا أنها منبسطة ساكنة خامدة جامدة، بينما هى تمر مَر السحاب، وتدور عدة دورات كما تدور عقارب الساعات.

– ومع ذلك نجد فوقها جبالاً كالأوتاد.. هائلة ضخمة رهيبة.. والعجيب أننا عندما نتأمل بفكرنا وعقلنا فى عالم الجبال والصحارى، نجد أن وظائف الجبال الكلية وفوائدها العامة من العظمة والحكمة بمايُحيِّر العقول، فمثلاً نجد بروز الجبال واندفاعها من باطن الأرض بأمر ربانى يهدئ من هيجان الأرض، ويخفف من حدتها الناجمة عن تقلباتها الباطنية، فتتخلص بذلك من الزلازل المهلكة والتصدعات المدمرة، فالجبال أوتاد للأرض تحفظ توازنها.. قال تعالى:

﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾(١٠). وقال:

﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾(١١)، يضاف إلى

---

(٨) الواقعة (٦٨ : ٧٠).

(٩) النورسى: الآية الكبرى ص ٥٢ ـ ٥٥.

(١٠) النبأ (٧).

(١١) الحجر (١٩).

ذلك مافى جوف هذه الجبال من أنواع الينابيع والمياه والمعادن والمواد والأدوية التى ادخرت بحكمة وكرم وتدبير(١٢).

الكائنات كلها منظومة متكاملة موظفة

ومع كل ذلك، فهذه الكائنات.. تتكامل فى أداء أدوارها، وتمضى لوظائفها بحب وشوق وفاقا لقانون الجاذبية بين السالب والموجب، والذكورة والأنوثة فى كل شئ، وحتى علاقة الإنسان نفسه بالكون، مع أنها علاقة تسخير بين (فاعل) هو الإنسان و(موضوع) هو الكون، إلا أن التسخير هنا ـ فى الرؤية الإسلامية ـ ليس تسخير إذلال وصراع، بل هو تسخير ودود كريم استئناسى، فالرسول يحب جبل أحد، كما أن جذع الشجرة كان يحن لرسول الله ﷺ...!!

ـ وأياً كان الأمر فإن مفردات الكون، أو مانسميه عالم الأشياء ينقسم إلى ثلاثة أقسام(١٣):

قسم منها كالماء: يرى ويحس، ولكن لايمسك بالأصابع.. ففى هذا القسم المادى ينبغى التجرد عن الخيالات والانغماس فيه بكليتك.. بالطرق العلمية البحتة.. وسوف تكتشف أسراراً عجيبة فى الماء وأشباهه تؤكد لك وجود الخالق العظيم.

والقسم الثانى: كالهواء، يحس ولكن لايرى، ولايتخذ ولايمسك.. فهو نصف مادى ونصف معنوى، وهو بحاجة إلى العلم والبصيرة، وبهما تدرك عظمة اللطيف الرحيم الذى يقيم حياة الناس والكون على كائن لطيف على هذا النحو.

والقسم الثالث: كالنور، يرى ولكن لايحس، ولا يؤخذ ولايستمسك، فيحتاج لعمل الكيان الإنسانى كله.. من بصيرة القلب إلى الروح.. لأن النور لا يؤخذ باليد، ولايصاد بالأصابع، وهو يعالج بالفكر والبصيرة (١٤).. وبالفكر (الموضوعى النقى) والبصيرة (النقية القوية) نستطيع أن ندرك بعض آفاق عظمة الله فى الكون، ولكننا سندرك أول ماندرك أن هذا الكون لايقوم بغير خالقه الحكيم المدبر الخبير المهيمن الرحيم.

وسوف يدلنا كل شىء فى الوجود على وجوب وجود الله القدير، وعلى عظمته المطلقة من جهتين:

الجهة الأولى: قيام كل كائن من الذرات حتى المجرات، ومن النملة حتى الفيل بوظائف تفوق طاقته المحدودة بآلاف المرات، مع أنه عاجز عن ذلك، فيشهد كل كائن بلسان عجزه على وجود الله القدير المطلق.

الجهة الثانية: توافق حركة كل كائن مع الدساتير التى تكون نظام العالم وانسجام عمله مع القوانين التى تديم توازن الموجودات، فيشهد ـ بهذا الانسجام والتوافق ـ على وجود الله العليم القدير.

---

(١٢) النورسى: الآية الكبرى : ٥٥.

(١٤) المكان السابق.

(١٣) النورسى: الآية الكبرى- المكان السابق.

معركة فى كتاب

تهافت التهافت

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

مؤلف هذا الكتاب هو ابن رشد الحفيد، أبوالوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد [٥٢٠ - ٥٩٤ هـ، ١١٢٦ - ١١٩٨م].. فيلسوف حكيم.. ومتكلم مسلم.. وفقيه مالكى.. وقاضى القضاة.. وطبيب عظيم.. وأديب.. ولغوى.. أبدع فى ميادين هذه العلوم والفنون آثارا فكرية خالدة، تشهد على «التخصص العميق» مع «الموسوعية» التى أحاطت بكل هذه الميادين.

فله فى علم الكلام: «مناهج الأدلة فى عقائد الملة» بسط فيه الشريعة ليثبت لمن ظن - من المتكلمين - مخالفتها للحكمة والفلسفة أنهما متآخيتان.. وله فى المنهج: [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] بسط فيه الحكمة ليثبت لمن ظن - من المنتسبين إليها - مخالفتها للشريعة أنهما الأختان المتقفتان.. وله فى الفقه: [بداية المجتهد ونهاية المقتصد] وهو الذى فلسف فيه اختلافات الفقهاء.. وله فى اللغة والأدب والنحو: [تلخيص كتاب الشعر] و[الضرورى فى النحو] و[كلام على الكلمة والاسم المشتق].. وله فى الطب أكثر من عشرين كتابا، أشهرها: [كتاب الكليات].. وله فى الفلسفة - وخاصة شروحه لفلسفة أرسطو [٣٨٤ - ٣٢٢ق.م] - ما يزيد على التسعين كتابا.. أما كتابه [تهافت التهافت] فلقد ذاعت شهرته، لأنه كان الميدان الذى دافع فيه ابن رشد عن الفلسفة والفلاسفة، عندما كرسه لرد الهجوم الذى شنه عليها أبوحامد الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥هـ، ١٠٥٨ - ١١١١م].

وكما تميز ابن رشد بالاجتهاد فى كل ما كتب عنه وألف فيه، كذلك تميز «بعدالة العلماء»، التى تجعلهم متجردين للحق الذى هو رسالتهم فيما يكتبون..

فعنده: «أن العالم، بما هو عالم، إنما قصده: طلب الحق، لا إيقــاع الشكوك وتحــيــر العقول»[1].. و«حياة» العالم لابد أن تكون تجسيدا «لفكره» حتى يكون قدوة جاذبة للفضائل التى يبشر بها بين الناس «فإنما تكون الأقاويل التى يحث بها على السنن مقنعة، إذا كان المشيرون بها ذوى صلاح وحسن فعل، حتى تكون هذه الأشياء المذكورة ها هنا معلومة لنا وموجودة فينا، فإنه إذا وجد فينا الخلق الذى نحث عليه كان قولنا فى الحث عليه أشد إقناعا»[2].

ولأن ابن رشــد قــد جــمع بين الإبداع الإسلامى، فى الفقه والفلسفة والكلام، وبين تقديمه لأكبر مشروعات الفلسفة اليونانية - فلسفة أرسطو - فلقد وضع منهاجا عادلا لتفاعل الأفكار بين الحضارات المختلفة، وبين المتقدمين واللاحقين.. فالعدالة مع «الذات» تقتضى العدالة مع «الآخرين».. و«قد يجب علينا أن ألفينا لمن تقدم من الأمم السابقة نظرا فى الموجودات، واعتبارا لها، بحسب ما اقتضته شرائط البرهان، أن ننظر فى الذى قالوه من ذلك، وأما ماأثبتوه فى كتبهم، فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم، وسررنا به، وشكرناهم عليه. وما كان منها غير موافق للحق، نبهنا عليه وحذرنا منه، وعذرناهم»[3].

ولقد أجاد «ابن الآبار» [٥٩٥ - ٦٥٨ هـ، ١١٩٩ - ١٢٦٠م] عندما وصف ابن رشد، فقال: «كانت الدراية أغلب عليه من الرواية. درس الفقه والأصول وعلم الكلام، وغير ذلك. ولم ينشأ بالأندلس مثله كمالا وعلما وفضلا. وكان، على شرفه، أشد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا. عنى بالعلم من صغره إلى كبره، حتى حكى عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله، وأنه سوَّد فيما صنف وقيد وألف واختصر نحوا من عشرة آلاف ورقة. ومال إلى علوم الأوائل، فكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره. وكان يفزع إلى فتواه فى الطب كما يفزع إلى فتواه فى الفقه مع الحظ الوافر من الإعراب والآداب..»[4].

معركـــة التهـــافت

لقد وُلد ابن رشد بعد وفاة حجة الإسلام أبوحامد الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ، ١٠٥٨ - ١١١١] بخمسة عشر عاما.. أى أنه ولد وعاش فى ظل سلطان الهيمنة الفكرية للغزالى على مختلف ميادين الفكر فى عالم الإسلام.. فلما عهد سلطان «الموحدين» أبويوسف يعقوب بن يوسف [٥٥٥ - ٥٩٥ هـ، ١١٦٠ - ١١٩٩م] إلى ابن رشـــد [٥٦٤ هـ -

---

(١) [تهافت التهافت] ص٦٧ طبعة القاهرة ١٣٢١هـ سنة ١٩٠٣م.

(٢) [تلخيص الخطابة] ص١٤٠، ١٤١. تحقيق: د.محمد سليم سالم. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م.

(٣) [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] ص٢٨. دراسة وتحقيق: د.محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٨٢م.

(٤) إرنست رينان [ابن رشد والرشدية] ص٤٣٥، ٤٣٦. ترجمة عادل زعيتر. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م.

١١٦٩م] بتقديم فلسفة أرسطو إلى الناطقين بالعربية، تقديما يصلح عبارتها، التى أفسدها المترجمون، ويضبط معانيها، التى اختلف فيها المفسرون.. نهض ابن رشد بهذه المهمة، فقدم لأعمال أرسطو أوفى الشروح وأدق التفسيرات، حتى لقد عد الشارح الأكبر لأرسطو على النطاق العالمى.. بل ويسر هذه الفلسفة للمستويات المختلفة من القراء، وذلك عندما قدم لكل كتاب من كتبها ثلاثة شروح – المطول.. والمتوسط.. والموجز – مع إضافات وانتقادات..

وكان لابد لمن يقدم أعمال أرسطو لقراء العربية من أن يدلى بدلوه فيما كتبه الغزالى – فى [تهافت الفلاسفة] – عن حكيم اليونان ومن تبعه من الفلاسفة المشائين القدماء.. فكان كتاب ابن رشد [تهافت التهافت] الذى تصدى به لاتهامات الغزالى للفلاسفة.

وإذا كان ابن رشد قد قدم أدق الشروح العربية لفلسفة أرسطو، فلقد رأيناه يتتبع فى كتابه هذا كل الأقاويل التى نسبها الغزالى للفلاسفة، فيقومها، كاشفا عن حظها من الدقة، وهل بالفعل قد قال الفلاسفة أو قصدوا هذا الذى فهمه الغزالى، فنسبه إليهم، ورده عليهم؟ أم أن هذا الذى نسبه الغزالى للفلاسفة، واتهمهم به، هو فهم خاطىء وقاصر، فهمه البعض من كلامهم، وهم منه براء؟؟..

وابن رشد، الذى آمن – ككل فلاسفة الإسلام – بوحدة الحقيقة، قد رأى أن أساليب التعبير عن الحقيقة متفاوتة بتفاوت مراتب المتكلمين ومراتب المخاطبين فى صناعة الفلسفة والبرهان.. فهناك الجمهور، الذين لا دُربة لهم على صناعة الفلسفة، ولا طاقة لهم بفقه مصطلحاتها ومفاهيمها.. ولهذا الجمهور الأساليب الخطابية والوعظية والشعرية، التى يحَصلون بها يقينا مناسبا لمستوياتهم فى الإدراك.

وهناك أوساط الناس، الذين ناسبتهم أساليب المتكلمين فى الجدل والحجاج، دفعا لما يرد على العقائد من شبهات.

وهناك القلة من أهل صناعة الفلسفة والحكمة والبرهان، الذين ناسبت الفلسفة عقولهم، فاتخذوا براهينها سبلا لتحصيل اليقين.(٥)

ولما كان الغزالى – فى كتابه [تهافت الفلاسفة] – يجادل الفلاسفة، فى مقولات فلسفية، فلقد عرض ابن رشد الأقاويل التى نسبها الغزالى لهم على ما رآه المعايير البرهانية، ليكشف لقرائه حظها من اليقين.. فرأيناه يفتتح كتابه – [تهافت التهافت] – ببيان هذا الغرض من تأليفه له.. «فإن الغرض من هذا القول أن نبين مراتب الأقاويل المثبتة فى كتاب [التهافت] فى التصديق والإقناع، وقصور أكثرها عن رتبة اليقين والبرهان»(٦).

ولأن هذا هو منهاج ابن رشد، فى كتابه هذا، رأيناه فى الكثير من المسائل لا يختلف

(٥) [فصل المقال] ص٥٨ – ٦٢.

(٦) [تهافت التهافت] ص٢.

مع مقاصد الغزالى، بقدر ماكان خلافه مع الفهم الذى فهمه الغزالى من كلام الفلاسفة، والذى رآه ابن رشد فهما خاطئا، أخطأ الذين فهموه، فنسبوه إلى الفلاسفة، وجاراهم فى هذا الفهم صاحب [تهافت الفلاسفة] . . فالمنطلقات الإسلامية الثوابت، قد جمعت بين الغزالى وابن رشد، فلم تكن المواجهة بينهما، فى كتابيهما هذين، خلافا فى العقائد الإسلامية، بل ولا فى التصورات الأساسية لهذه العقائد، بل ولا حتى فى التأويلات، فابن رشد لا يختلف مع الغزالى فى قواعد وضوابط التأويل، بل لقد كان أكثر تحرجا فى استخدام التأويل! . .[7] بقدر ما كانت المواجهة بين هذا الذى فهمه الغزالى، مما هو منسوب إلى الفلاسفة، وبين ما كشف عنه ابن رشد من خطأ فى هذا الفهم، وتبيان حقيقة مقولات الفلاسفة ومقاصدهم.

لقد رأى ابن رشد أن الغزالى قد وجه انتقاداته الى التصورات التى قدمها الفارابى [٢٦٠ - ٣٣٩ هـ، ٨٧٤ - ٩٥٠م] وابن سينا [٣٧٠ - ٤٢٨هـ، ٩٨٠ - ١٠٣٧م] لمقالات الفلاسفة القدماء . . ولما كانت مقالات الفارابى وابن سينا، فى هذه التصورات - برأى ابن رشد - لا صحة لها، فإن « التهافت » إنما هو فيما فهماه ونسباه للفلاسفة، وليس للفلسفة ذاتها . . فأبو نصر وابن سينا وغيرهما، الذين غيروا مذهب القوم فى العلم الإلهى حتى صار ظنيا - من جنس الأقاويل الظنية . التى لا تبلغ مرتبة الإقناع الخطبى، فضلا عن الجدلى . . وذلك لقلة تحصيلهم لمذهب القدماء . . ولذلك، يحق ما يقول أبوحامد، فى غير موضع من كتبه، إن علومهم الإلهية ظنية »[8].

تلك هى الحقيقة، التى تحتاج إلى تدبر جديد . . وكبير! . .

المواجهة حول الأصول

وإذا كان الغزالى قد حدد - فى [تهافت الفلاسفة] - أن الأخطر فى مواجهته مع الفلاسفة، إنما هو الخلاف معهم فى « الأصول » وليست الاختلافات فى « الفروع والتفاصيل والجزئيات » . وأن أخطر هذه الخلافات هى تلك التى رآها مخرجة لهؤلاء الفلاسفة من الملة، مؤدية بهم إلى الكفر . . . وهى قولهم :

١- بقدم العالم والجواهر التى فيه . . الامر الذى يبطل الدليل على وجود الخالق - دليل حدوث العالم، الذى لابد له من محدث .

٢- وبأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يعلم الجزئيات الصادرة من الأشخاص، لأن علمه قاصر على ذاته .

٣- وبأن البعث والحشر والجزاء - نعيما وآلاما - إنما هو بالمعانى والأرواح، لا بالأجساد

---

(٧) انظر [فصل المقال] ص٣٢. و[تهافت التهافت] ص١٢٤، ١٢٥. والغزالى [فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة] ص٤ -٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م.

(٨) [تهافت التهافت] ص٤٩، ٨١، ٢١، ٥١.

والأبدان.. إذا كانت هذه المقولات الثلاث هى أبرز وأخطر القضايا التى دار حولها الجدال بين ابن رشد والغزالى – فى كتابيهما – فإن الوقوف أمام مقالات ابن رشد إزاء هذه المقولات، سيكون شاهد صدق على وحدة المنطلقات والاعتقادات والتصورات لديهما.. وعلى أن جوهر الخلاف بينهما إنما كان حول دقة وصدق هذا الذى فهمه الغزالى فحسبه مقالات الفلاسفة القدماء، ثم تصدى لهم فيه.

● ففى مسألة قدم العالم: التى رأى الغزالى أن قول الفلاسفة بها مخرج لهم من الملة، لأن حدوث العالم هو الدليل على وجود الخالق القديم.. لا يختلف ابن رشد مع الغزالى فى هذا الذى اجتمع على اعتقاده المسلمون، وإنما يختلف معه فى أن هذا – القول بقدم العالم – هو رأى الفلاسفة القدماء.. فهو يرى أن المتكلمين – الذين ينطق بمنطقهم الغزالى – قد أخطأوا عندما قاسوا «الغائب» على «الشاهد» – أى قاسوا حقائق عالم الغيب على حقائق عالم الشهادة – بينما يجب – فى الحديث عن الله، وخلقه للعالم – ألا يكون «الشاهد» هو معيار تصوراتنا لخلق الله وفعله، فضلا عن ذاته، سبحانه.. «فالعقل الإنسانى قاصر عن إدراك كيفية ذلك الفعل».. وقياس الغائب على الشاهد هو الخطأ الذى وقع فيه المتكلمون»، حتى ليظهر كلامهم «أنهم قد جعلوا الإله إنسانا أزليا».

أما الفلاسفة فإنهم «يعتقدون أن البارى – سبحانه – منفصل عن العالم، وهو فاعل، ليس بمعنى الفاعل الذى فى الشاهد.. وهو فاعل هذه الأسباب، مخرج الكل من العدم إلى الوجود، وحافظه على وجه أتم وأشرف مما هو فى الفاعلات المشاهدة.. ويجب ألا تكون خلقة هذه الأجسام ومبدأ تكونها على نحو كون الأجسام التى ههنا، وإن العقل الإنسانى يقصر عن إدراك كيفية ذلك الفعل، وأن كان يعترف بالوجود، فمن رام أن يشبه الموجودين أحدهما بالآخر، وأن الفاعل لهما فاعل بالنحو الذى يوجده الفاعلات ههنا، فهو شديد الغفلة عظيم الزلة..»[9].

أما علاقة العالم «بالقدم» أو «بالحدوث» فيجب أن تبرأ من المفاهيم التى صاغها المتكلمون لكل من القدم والحدوث.. فالقديم عندهم هو ما لا فاعل له، ولم يتقدمه زمان.. والحادث هو المخترع من لا شىء.. أما الفلاسفة فإن لهذين المصطلحين عندهم – فى هذا المبحث – معانى أخرى.. ومن ثم فإن الواجب – لحل الإشكال – هو تحرير مضامين مصطلحى «القدم» و«الحدوث».. وهذا هو ما صنعه ابن رشد، عندما قال: «وأما مسألة قدم العالم، وحدوثه، فإن الاختلاف فيها بين المتكلمين – من الأشعرية – وبين الحكماء المتقدمين يكاد أن يكون راجعا للاختلاف فى التسمية، وبخاصة عند بعض القدماء. وذلك أنهم اتفقوا على أن ها هنا ثلاثة أصناف من

(٩) المصدر السابق. ص١٠٥، ٤٢.

الموجودات، طرفان ، وواسطة بين الطرفين. فاتفقوا فى تسمية الطرفين، واختلفوا فى الواسطة.

فأما الطرف : فهو موجود وُجد من شىء غيره، وعن شىء، أعنى عن سبب فاعل، ومن مادة، والزمان متقدم عليه، أعنى على وجوده، وهذه هى حال الأجسام التى يدرك تكونها بالحس، مثل تكون الماء والهواء، والأرض والحيوان والنبات، فهذا الصنف من الموجودات اتفق الجميع من القدماء والأشعريين، على تسميتها محدثة.

وأما الطرف المقابل لهذا، فهو: موجود لم يكن من شىء، ولا عن شىء، ولا تقدمه زمان. وهذا، - أيضا - اتفق الجميع، من الفرقتين، على تسميته قديما، وهذا الموجود مُدرك بالبرهان، وهو الله، - تبارك وتعالى - الذى هو فاعل الكل وموجده والحافظ له - سبحانه وتعالى قدره.

وأما الصنف من الموجود الذى بين هذين الطرفين، فهو: موجود لم يكن من شىء، ولا تقدمه زمان، ولكنه موجود عن شىء، أعنى عن فاعل، وهذا هو العالم بأسره.. فهذا الموجود قد أخذ شبها من الوجود الكائن الحقيقى، ومن الوجود القديم، فمن غلبّ ما فيه من شبه القديم على ما فيه من شبه المُحْدَث، سماه قديما، ومن غلب ما فيه من شبه المحدث، سماه مُحْدَثًا. وهو فى الحقيقة، ليس مُحْدَثًا حقيقيا ولا قديما حقيقيا، فإن المحدث الحقيقى فاسد ضرورة، والقديم الحقيقى ليس له علة».(١٠)

هكذا كشف ابن رشد عن مبررات انتفاء الخلاف، فتحديد مضامين مصطلحات «القدم» و«الحدوث» يكشف عن أمر جديد، غاب عن الذين جعلوا من هذه القضية تهمة اتهموا بها الفلاسفة القدماء.

وحتى «ظاهر الشرع»، فإنه لا يشهد لما قال به المتكلمون من أن معنى حدوث العالم هو الاختراع من غير شىء.. «فالحدوث، الذى صرح الشرع به فى هذا العالم، هو من نوع الحدوث المشاع ههنا، وهو الذى يكون فى صور الموجودات، التى يسميها الأشعرية صفات إنسانية، وتسميها الفلاسفة صورا، وهذا الحدوث إنما يكون من شىء آخر، وفى زمان، ويدل على ذلك قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾(١١)

وقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾(١٢).

وأما حال طبيعة الموجود الممكن مع الموجود الضرورى فسكت عنه الشرع، لبعده عن أفهام الناس، ولأن معرفته ليست ضرورية فى سعادة الجمهور.

وأما الذى تزعم الأشعرية من أن طبيعة الممكن مخترعة وحادثة من غير شىء، فهو الذى يخالفهم

(١٠) [فصل المقال] ص٤٠، ٤٢. و[تهافت التهافت] ص٧٤.

(١١) الأنبياء: ٣٠.

(١٢) فصلت: ١١.

فيه الفلاسفة، من قال منهم بحدوث العالم أو لم يقل، فما قالوه - [أى الأشعرية] - إذا تأملته بالحقيقة ليس هو من شريعة المسلمين، ولا يقوم عليه برهان »[13].

فالعالم حادث، بمعنى أنه مفعول ومخلوق لله الخالق، حادث من شيء - مثل الدخان الذى سبق حدوث السماء، وهذا الحدوث لا يقتضى الاختراع من لا شيء كما تصورته الأشعرية.

● وفى قضية العلم الإلهى - التى كانت التهمة الثانية من الغزالى للفلاسفة - عندما قال إنهم ينفون علم الله بالجزئيات الحادثة من الأشخاص - يدافع ابن رشد عن الفلسفة، ويدفع هذه التهمة عن الفلاسفة، مؤكدا قولهم بأن الله - سبحانه وتعالى - عالم بالجزئيات، كما هو عالم بالكليات.. لكن، على نحو مغاير للعلم الإنسانى، ذلك لأن العلم الإنسانى معلول للموجودات، بينما العلم الإلهى هو سبب وجود الموجودات، وعلم الله لذاته يعنى علمه لكل موجوداته وجميع مصنوعاته.. ولا يعنى وقوف علمه عند الكليات دون الجزئيات. « فالعلوم الإنسانية كلها انفعالات وتأثيرات عن الموجودات، والموجودات هى المؤثرة فيها.. والعلة فى الادراك هو المُدْرَك نفسه، فلايُشك فى تغير الإدراك بتغير المدركات، وفى تعدده بتعددها.. وإذا كان علمنا معلولا للمعلوم به، فهو مُحْدَث بحدوثه، ومتغير بتغيره، فعلم الله - سبحانه - بالموجود على مقابل هذا، فإنه علة المعلوم، الذى هو الموجود.. وذات الصنع، التى يسمى بها صانعا، ليست شيئا أكثر من علمه بالمصنوعات.. وقولهم: « إنه لا يعرف إلا ذاته، يعنى أنه يعرف جميع الموجودات.. وتعلق علمه بالموجودات على نحو تعلق علمنا بها مستحيل، فوجب أن يكون تعلق علمه بها على نحو أشرف ووجود أتم لها من الموجودات التى تعلق علمنا به، لأن العلم الصادق هو الذى يطابق الموجود.. »[14].

فالقضية، عند الفلاسفة، ليست التمييز بين العلم بالكليات والعلم بالجزئيات - كما فهم الغزالى من مقالاتهم - وإنما هى تمييزهم بين العلم الإلهى والعلم الإنسانى.. فتعلق العلم الإلهى بالموجودات مغاير لتعلق علمنا بها، سواء أكان ذلك فى العلم بالكليات أم الجزئيات.

● وفى « التهمة » الثالثة - المتعلقة « بحشر الأجساد ».. يرى ابن رشد أن الفلاسفة قد قالوا وآمنوا بالمعاد والجزاء، دون تحديد لصورتيهما.. وهم يعظمون الشريعة ويؤمنون بمبادئها تسليما وتقليدا، لأن هذه المبادىء عندهم، مما يفوق العقول الإنسانية، فنحن نأخذها كما جاءت من واهب العقول الإنسانية.. ولذلك فهم يؤمنون بما جاء عن البعث والجزاء فى الشريعة إجمالا.. وأن قول من قال من الفلاسفة « بشريعة عقلية » لا يقلل عندهم من مقام الشريعة المنزلة، لأن الشريعة الإلهية، عندهم، قائمة على « العقل والوحى »، ومن ثم فإن كفتها راجحة على شريعة العقل وحده.. ثم إن مذهبهم فى التأويل يمنع التصريح بهذا التأويل، الأمر الذى ينفى قولهم بتأويلات تجعل البعث والجزاء روحانيا، لا جسديا.

(١٣) [تهافت التهافت] ص٩٨.

(١٤) المصدر السابق. ص٨٤، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٣. و [فصل المقال] ص٣٩.

وأخيرا، فإن مغايرة عالم الغيب لعالم الشهادة – ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[١٥] – يدل على أن ظاهر الشريعة يرشح أن العودة – في البعث – إنما هي لأمثال هذه الأمثال التي في الدنيا، لا لأعيانها.. فلو قلنا ببعث الأجساد، فإن ذلك لا يقتضي عودة ذات الأجساد الدنيوية، وإنما عودة أجساد مثلها، لأن المعدوم لا يعود بالشخص، وإنما يعود الوجود لمثل ماعدم.

وينبه ابن رشد على أن هذا المعنى الأخير قد قال به الغزالي.. بل وقال – في غير كتابه [تهافت الفلاسفة] – إن الصوفية يقولون بالبعث الروحاني – ولم يكفرهم! –..

على هذا النحو، عرض ابن رشد للقضية، فدفع التهمة، ومن ثم الحكم بالكفر، عن الفلاسفة، في تصوراتهم للبعث والجزاء.. فالقول بنفي البعث الجسدي، هو « شيء ما وُجد لواحد ممن تقدم فيه قول.. وهم أشد الناس تعظيما للشريعة وإيمانا بها، والسبب في ذلك أنهم يرون أنها تنحو نحو تدبير الناس، الذي به وجود الإنسان بما هو إنسان، وبلوغه سعادته الخاصة به، وذلك أنها ضرورية في وجود الفضائل الخلقية للإنسان، والفضائل النظرية، والصنائع العملية.. فيجب التسليم بها والتقليد فيها مع جهل أسبابها لأنها من مبادىء الشريعة، وهي أمور تفوق العقول الإنسانية، نأخذها من واهب العقول الإنسانية..

ويرون أنه لا ينبغي أن يُتعرض بقول في سائر مباديها، مثل القول في السعادة الأخيرة وفي كيفيتها، لأن الشرائع كلها اتفقت على وجود أخروي بعد الموت، وإن اختلفت في صفة ذلك الوجود.

ومن صرح بشك في المبادىء الشرعية التي نشأ عليها، أو بتأويل مناقض للأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وصارف عن سبيلهم، فإنه أحق الناس أن ينطلق عليه اسم الكفر، ويوجب في الملة التي نشأ عليها عقوبة الكفر.

وكل شريعة كانت بالوحي فالعقل يخالطها، ومن سلم أنه يمكن أن يكون ههنا شريعة بالعقل فقط، فإنه يلزم ضرورة أن يكون أنقص من الشرائع التي استنبطت بالعقل والوحي.

والوجود الأخروي هو طور آخر أفضل من هذا الطور.. والتي تعود هي أمثال هذه الأمثال التي كانت في هذه الدار، لا هي بعينها، لأن المعدوم لا يعود بالشخص، وإنما يعود الوجود لمثل ما عدم، لا لعين ماعدم – كما قال أبوحامد.

ولقد قال أبوحامد – في هذا الكتاب [تهافت الفلاسفة] –: إنه لم يقل أحد من المسلمين بالمعاد الروحاني. وقال في غيره: إن الصوفية تقول به. وعلى هذا فليس يكفر من قال بالمعاد الروحاني، ولم يقل بالمحسوس إجماعا، وجوز القول بالمعاد الروحاني ».[١٦]

---

(١٥) نعتقد أن هذا في النعيم الحاصل لأهل الجنة فإنه اختراع لم يخطر على قلب بشر، أما البعث فإنه إعادة لأعيان الأجسام التي كانت في الدنيا وتلك هي قدرة الخالق، وقولهم: إن المعدوم لا يعود بالشخص غير مُسَلَّم في حقه تعالى، أما قوله: إن الصوفية يقولون للبعث الروحاني فإننا لم نعثر عليه وإن قالوه فهو غير مُسَلَّم (المجلة).

(١٦) [تهافت التهافت] ص ١٢٤، ١٣٣ – ١٣٥.

هكذا دفع ابن رشد عن الفلاسفة تهمة الكفر، في تصوراتهم لكيفية البعث والحساب والجزاء.

السببية

ويشهد، أيضا، على أن اختلاف ابن رشد مع الغزالي - في كتابيهما - لم يكن في المنطلقات والعقائد، بل ولا في التصورات الأساسية، بقدر ما كان حول «صحة المروى» عن الفلاسفة، و«المنسوب» إليهم.. يشهد على ذلك، أيضا، موقفهما من «السببية» - والذى حسبه الكثيرون موضوعا للخلاف، بينما هما فيه متفقان.

فالغزالي لم تكن قضيته مع القائلين بالسببية، وعلاقة الضرورة بين الأسباب والمسبَّبات، وإنما كانت مع القائلين «بالحتمية المطلقة» في عمل الأسباب بالمسببات، على النحو الذى ينكر قدرة مسبِّب الأسباب على إيقاف عملها، إذا هو أراد استبدالها، في المعجزات.

وهذا هو الذى قدمه ابن رشد، كرأى للفلاسفة، الذين يؤكدون على وجود الأسباب الفاعلة - الذاتية - وعلى عملها في المسببات، دونما إنكار لوجود سبب فوق هذه الأسباب الذاتية، فمسبب الأسباب هو موجدها، وهو خالق فعلها في المسببات.. ذلك «أن إنكار وجود الأسباب الفاعلة، التى تشاهد في المحسوسات، قول سفسطائي، والمتكلم بذلك إما جاحد بلسانه لما في جنانه أو منقاد لشبهة سفسطائية عرضت له في ذلك، ومن ينفى ذلك فليس يقدر أن يعترف أن كل فعل لابد له من فاعل.. وماذا يقولون في الأسباب الذاتية، التى لا يفهم الموجود إلا بفهمها؟.. والعقل ليس أكثر من إدراكه الموجودات بأسبابها، وبه يفترق من سائر القوى المدركة، فمن رفع الأسباب فقد رفع العقل، وصناعة المنطق تضع وضعا أن ههنا أسبابا ومسببات، وأن المعرفة بتلك المسبَّبات لا تكون على التمام إلا بمعرفة أسبابها، فرفع هذه الأشياء يبطل العلم.. ولايشك أحد من الفلاسفة في أن الإحراق الواقع في القطن من النار، مثلا، أن النار هى الفاعلة له، لكن لا بإطلاق، بل من قبل مبدأ من خارج، هو شرط في وجود النار، فضلا عن إحراقها..»(١٧)

فلا خلاف بين صاحبى [التهافت] على وجود الأسباب.. وفعلها.. ولا على أن هذا الوجود والفعل إنما هو بقدرة موجودها وموجد فعلها، سبحانه وتعالى.

نقد المنهج

ولقد تناثرت في كتاب ابن رشد [تهافت التهافت] إشارات نقدية للمنهج الذى استخدمه الغزالي في كتابه [تهافت الفلاسفة].. من أهمها:

● أن الغزالي بدلا من أن يقرر المذهب الحق، مع نقضه لما رآه باطلا، اكتفى بنقض الباطل، دون تقرير المذهب الحق.. الأمر الذى يترك القارىء في الحيرة والشكوك.. لقد قال - [الغزالي] -: «إن

(١٧) المصدر السابق. ص١٤٢، ١٢٣، ١٢٥.

قصده ههنا ليس هو معرفة الحق، وإنما قصده إبطال أقاويلهم وإظهار دعاويهم الباطلة.. وهو قصد لا يليق به، بل بالذين في غاية الشر!.. وقد كان واجبا عليه أن يبتدىء بتقرير الحق قبل أن يبتدىء بما يوجب حيرة الناظرين وتشككهم»[١٨].

● كذلك أبصر ابن رشد ـ بملكة الفيلسوف ـ مقام الفلسفة في إبداع الغزالي.. فقدم تفسيرا لموقفه هذا من الفلاسفة والفلسفة، باحتمال أن يكون «لزمان» الغزالي وعصره، وأهل ذلك الزمان، والاتهامات التي وجهت إليه – والتي بلغت حد اتهامه بالزندقة –.. احتمال أن يكون الرجل قد أراد مداهنة أهل زمانه بهجومه هذا على الفلسفة والفلاسفة!.. ذلك أن «معظم ما استفاد هذا الرجل – [الغزالي] – من النباهة، وفاق الناس فيما وضع من الكتب التي وضعها، إنما استفادها من كتب الفلاسفة ومن تعاليمهم.. فإتيانه بمثل هذه الأقاويل السفسطائية قبيح، فإنه يظن أنه ممن لا يذهب عليه ذلك، وإنما أراد مداهنة أهل زمانه، وهو بعيد من خلق القاصدين لإظهار الحق، ولعل الرجل معذور بحسب وقته ومكانه، فإن الرجل امتحن في كتبه»!..[١٩]

ولا ينسى ابن رشد. – رغم دفاعه التاريخي عن الفلسفة – الموضوعية التي جعلته يتفق مع الغزالي على أن تراث الفلاسفة في العلوم الإلهية إنما هو «ظني» لم يبلغ مرتبة «اليقين».. فيقول: «إن قصدهم إنما هو معرفة الحق، ولو لم يكن لهم إلا هذا المقصد لكان ذلك كافيا في مدحهم. مع أنه لم يقل أحد من الناس في العلوم الإلهية قولا يعتد به»![٢٠]

فمقاصد الفلاسفة الإلهيين كانت معرفة الحق.. وحبهم هذا سببا للمديح والثناء.. أما ثمرات فلسفتهم في العلوم الإلهية فليس فيها ما يعتد به!..

وهو اعتراف صريح.. وخطير من أبي الوليد!

ولأن هذه المعركة الفكرية – بين ابن رشد والغزالي – في هذين الكتابين – [تهافت التهافت] و[تهافت الفلاسفة] – كانت من أشهر وأخطر المعارك الفكرية في تراث الإسلام الفلسفي، حتى لقد أخذت طريقها إلى ما وراء حضارة الإسلام.. فلقد لقي كتاب ابن رشد [تهافت التهافت] – كما لقي كتاب الغزالي – الكثير من الاهتمام.. فطبع بالقاهرة – بالمطبعة الإعلامية سنة ١٣٠٤ هـ، سنة ١٨٨٤م.. ثم – مع كتاب الغزالي.. وكتاب خوجة زادة [٨٩٣ هـ ١٤٨٨م] [تهافت الفلسفة] الذي كتبه تعليقا عليهما.. طبعتهم – كمجموعة – المطبعة الخيرية – بمصر سنة ١٣١٩ هـ، سنة ١٩٠١م.. ثم طبعهم الحلبي – بمصر – سنة ١٣٢١هـ سنة ١٩٠٣م.. وله طبعات محققة، أولاها «للأب بويج» – بيروت – سنة ١٣٤٨ هـ، سنة ١٩٣٠م.. وثانيتها للدكتور سليمان دنيا – القاهرة – سنة ١٣٨٤ هـ سنة ١٩٦٤م.. كما ترجمه إلى العبرية واللاتينية والإنجليزية.. وغيرها من اللغات.

---

(١٨) المصدر السابق، ص٨٨، ٣٤.

(١٩) المصدر السابق. ص٨٨، ١١.

(٢٠) المصدر السابق. ص٨٨.

تعقيب على رد

وردت إلى المجلة رسالة الأستاذ محمد محمد طه الولى تنشرها المجلة بنصها:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم.

إلى فضيلة الشيخ الطاهر محمد الطاهر الحامدى المحترم، مدير تحرير «مجلة الأزهر» حفظكم الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فإنى أكتب رسالتى هذه شاكرا لكم نشر مقالتى الأولى المتعلقة بابن رشد الحفيد فى عدد أغسطس / سبتمبر ٢٠٠٢، وثناءكم الذى أرجو خيره ونفعه لى ولسائر المسلمين، وأثمّن للدكتور محمد عمارة ـ حفظه الله ـ «بالقراءة المتأملة بصرف النظر عن الاتفاق والاختلاف»، والتى أرجو أن أحظى بها دوما من طرفه وطرفكم مشكورين حفظكم الله، وقد وجدت فى كلمة الدكتور عمارة عن «الحوار العلمى نموذجا للحوار الفكرى اللائق بالعلم»، و«أن مجلة الأزهر تسعد بهذا اللون من القراءة التى تقف وقفات فكرية عميقة» ما شجعنى على متابعة الموضوع لأهميته الكبرى فى التاريخ الفكرى العربى، شاكرا لكم سلفا نشر مقالتى هذه كرما منكم وفضلاً، وهذه بعض تعليقاتى أختصرها من غير إخلال بإذن الله:

● من المعروف أن «آثار ابن رشد الفلسفية وشروحه على أرسطو» ليست من «ثمرات اختلاف اجتهادات المذاهب والتيارات الإسلامية فى الفروع» كما ذكر الأستاذ الدكتور ـ حفظه الله ـ وذلك ببساطة بسبب بُعد أفكار أرسطو وما تفرّع منها عن فكر نبى الإسلام محمد ﷺ فضلاً عن بُعد فروعها من فروع فقه الإسلام التى ليست هى مجال بحثنا هنا، على أننا لا ننكر كل ما قاله أرسطو رأساً إلا أن نعرضه على ميزان الشريعة المرفوعة؛ مؤكداً فى هذه المناسبة أن مسألة حدوث العالم كله من غير استثناء ليست من الفروع الفقهية، بل هى من أصول الاعتقاد كما هو مبين فى مظانه من كتب أهل هذا الشأن كالجوينى والباقلانى، وقد ذكرها ابن حزم فى كتابه مراتب الإجماع تحت عنوان: «باب من الإجماع فى الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع»، مستدلاً بحديث البخارى: «كان الله ولم يكن شئ غيره»، وذلك بغض النظر عن إثبات نسبتها لابن رشد أو عدمه.

● مازلت أؤكد أن فلسفة ابن رشد وغيره كابن سينا والفارابى مغايرة لطريقة أهل السنة والجماعة، يدل على ذلك اسمها اليونانى كما ذكر الأستاذ مصطفى عبدالرازق فى كتابه فى تاريخ الفلسفة وغيره كثيرون. ثم إن أهلها لم يعتبروها من العلوم الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة إذ إنهم قد استقوا آراءهم من كلام أساطينها السبعة القدماء من اليونانيين؛ فلا أجد أى مناسبة بين قواعد الإسلام المبنية على الكتاب والسنة، وفلسفةاليونان التى لم ينسبها أحد من أهلها من أولهم إلى آخرهم إلى صاحب الشريعة المطهرة، إنما اتفقوا على نسبتها إلى أرسطو وغيره من واضعيها الأوائل، وليس ما أقوله فى هذا الشأن إلا مستمدا من فتاوى شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغى ـ رحمه الله ـ والشيخ عطية صقر عضو لجنة الفتوى فى الأزهر الشريف الذى قال فى فتوى له (مايو ١٩٩٧) ما نصه: لا مانع من دراسة المواد الفلسفية إذا كانت الدراسة للإحاطة بالأفكار ومقارنتها بالدين، فإن كانت متفقة معه قبلت وإلارفضت. أما دراستها لمن لا يعرف الحق من الباطل، وترك الباطل منها دون بيان بطلانه ففيها ضرر كبير. وعيب بعض المؤلفات التى تدرس فى بعض مراحل التعليم الآن أنها تعرض الأفكار ولا تناقشها مناقشة علمية على ضوء الدين، فيحسبها البعض أنها أمور مسلمة مادامت منسوبة لكبار العلماء، وكم فى هذه الآراء مما يتنافى مع مقررات الدين ولا يتفق ومكارم الأخلاق. وللإمام الغزالى فى كتابه «إحياء علوم الدين» كلام طويل فى العلوم المحمودة والعلوم المذمومة، وهو نفسه ألف فى الرد على الفلاسفة بعد دراسة مذاهبهم.

هذا، وقد كتب عنه شيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغى وأجمل رأيه فيه أنه هو الذى ناهض الفلسفة وكشف ما فيها من زخرف وزيف. اهـ.

فلم يكن رأيى فى الفلسفة إلا موافقاً لموقف علماء الأزهر الشريف، على أن لابن خلدون فى مقدمته فصلا قال: إنه «مهم» بعنوان «إبطال الفلسفة» يبين فيه بعدها عن مقاصد الشريعة واختلاف مشارب أهلها عن مشارب أهل الشريعة فليراجع.

● أما قول ابن رشد بقدم الوجود والزمان وأنهما لا يتناهيان من جهة الماضى، فلست أول من ذكر عنه ذلك، بل هو واضح فى عدد من كتبه، ومنها ما هو بتعليق الدكتور عمارة نفسه، وأعنى كتاب «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال» (طبع دار المعارف، ط ٣ - ص٤٢) تحت عنوان: «العالم بين القدم والحدوث»، وفيه ما نصه بعد طول كلام: «أن صورة

العالم محدثة بالحقيقة، وأن نفس الوجود والزمان مستمرّ من الطرفين، أعنى غير منقطع» ، فهذا يظهر بوضوح قوله بأزلية شيئين مع الله هما الوجود والزمان، وأنه لا ابتداء لهما ولا انتهاء، علما أن هذا الأمر ليس مما انفردت أنا به عن ابن رشد بل هو مشهور عنه كما ذكر الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه «ابن رشد» (طبع دار المعارف، بيروت - ١٩٥٣ ص ٣٩) حيث يقول : «وعند ابن رشد إن العالم قديم»، وكما ذكر الأستاذ عبد الرحمن بدوى تحت عنوان الإلهيات عند ابن رشد من موسوعة الحضارة العربية، وهو مما لا يشك فيه من قرأ تهافت التهافت (طبع مركز دراسات الوحدة العربية بتعليق الجابرى، ١٩٩٨) ولا سيما ربعه الأول وما فيه تحت عنوان : «كل موجود ففعله مقارن له فى الوجود»، وفيه (ص٢٠٢) يصرح قائلاً : «وبهذا الموجود الأول يعنى ـ الله تعالى ـ يمكن أن توجد أفعال لم تزل ولا تزال»، وفى موضع آخر منه (ص٢٣٣) يقول : «وإنه - أى العالم - ليس لحدوثه أول ولا منتهى»، وهذا كله بناء على ما يراه ابن رشد «كما رأى أرسطو أن العالم قديم أى ليس له بداية، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له ومساوقاً له غير متأخر عنه بالزمان مساوقة المعلول للعلة ومساوقة النور للشمس، وأن تقدم البارىء عليه كتقدم العلة على المعلول» من كلام الأستاذ الدكتور بدوى فى موسوعة الحضارة العربية.

والخلاصة أن المتمرّس فى أفكار ابن رشد وكلامه للدكتور عمارة ـ حفظه الله ـ لا شك فى أنه يجدها مجافية لسعة الصدر التى هى حلية العلماء العاملين خاصة مع كثرة وصفه الغزالى ـ رحمه الله ـ فى تهافت التهافت بالـ «سفسطائى الخبيث» والـ «مغالطى الخبيث» إلى ما هنالك من نابى العبارات التى هى بعيدة كل البعد من الطريقة التى كان عليها السلف الصالح ومن اتبعهم بإحسان من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه.

هذا ما أحببت أن أكتبه فى هذه العجالة شاكرا لكم ولمجلة الأزهر الشريف اهتمامكم الكريم.

***

ما يقال عن الإسلام

عداوة أمريكا وصداقتها

الحلقة الأخيرة

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

يواصل الأستاذ الدكتور عبد العظيم المطعني تحليل آراء الأستاذ الدكتور عبد الحميد الأنصارى عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة قطر فى الحوار الذى نشرته جريدة الراية القطرية أوائل يناير الماضى مطلع عام ٢٠٠٢م.

مع ملاحظة أن هذا الرد تسلمته المجلة كاملاً وتنشره على حلقات، فهو لا يعلق على أحداث جارية أو مصاحبة للنشر.

الفقرة الخامسة:

ليسمح لنا القارىء فى اختصار عبارات الدكتور العميد فيما يأتى:

«حرصت الحكومة- يعنى الأمريكية بعد أحداث سبتمبر- على تمثيل الإسلام والمسلمين بممثل عنهم فى كل المناسبات، وأصدرت هيئة البريد أول طابع لتمجيد «الأعياد الإسلامية، وافتتح مجلس النواب إحدى جلساته بقراءة الفاتحة، فهل مثل هذه الحكومة وهذا الشعب يصح وصفهما بعداوة الإسلام والمسلمين»؟

ونقول:

إن هذه الأمور التى ذكرها العميد مواقف خادعة، وقد حدث قبلها الكثير والكثير من دول غير إسلامية، فعلى سبيل التمثيل لا الاستقصاء نذكر بعض النماذج:

● فى يوم ٢٤ / ١١ / ١٩١٧م، بعد ستة أسابيع بقليل من وقوع الانقلاب البلشفى فى روسيا، ووصولهم إلى مقاليد الحكم فيها، وجهت الحكومة السوفيتية الجديدة نداء إلى كل المسلمين، وقد جاء فى هذا النداء:

«يا مسلمى روسيا، يا من خربت مساجدكم، وهدمت بيوت عبادتكم، نعلن لكم:

«إن عقائدكم الدينية، وشعائركم ومنشآتكم الحضارية والقومية، ستصبح ابتداء من اليوم مصونة لن تمتد لها يد آثمة. فأقيموا حياتكم القومية فى جو من الحرية دون أن يعوقها عائق، فلكم الحق فى ذلك».

هذا النداء كان موجها للمسلمين داخل روسيا ثم وجهوا نداء آخر لكل الشعوب الإسلامية. وقد جاء فيه:

«يا مسلمى الشرق، يا إيرانيون، يا أتراك، يا عرب، يا من مارس المغتصبون الاستعماريون، القادمون من أوروبا للتجارة بأرواحكم قرونا، وبأموالكم وحرياتكم، وأوطانكم، يا من قسم دياركم هؤلاء النهاب، الذين أشعلوا الحرب العالمية ضدكم، نعلن لكم:

إن معاهدات القيصر المخلوع السرية، التى نص فيها على السماح له بغزو القسطنطينية بالقوة، قد مزقت ومحيت من الوجود، فالجمهورية الروسية وحكومتها ترفض الغزو المسلح لأراضى أى دولة أجنبية؟

«إن معاهدة تقسيم إيران قد مزقت وأزيلت من الوجود، فبعد انتهاء العمليات الحربية، ستسحب القوات الروسية (يعنى القيصرية قبل الثورة البلشفية) مباشرة من إيران، وستكفل الحرية للشعب الإيرانى ليقرر مصيره السياسى عن طريق استفتاء شعبى حر؟!».

«إن معاهدة تقسيم تركيا واغتصاب أرمينية قد مزقت ومحيت من الوجود..».

بهذا الأسلوب الخادع أراد البلشفيون تجنيد كل القوى الإسلامية للاستعانة بها على قوى الغرب ولخداع المسلمين والطمع فيهم.

ثم ماذا حدث بعد ذلك؟ باختصار شديد ابتلعت روسيا البلشفية الشعوب الإسلامية الواقعة ضمن حدودها الجغرافية، وحاربت الإسلام واضطهدت المسلمين ومنعت دخول المصحف إليهم، وحرمتهم من حرياتهم الدينية.

لذلك سارعت تلك الشعوب إلى المطالبة بالاستقلال بعد سقوط الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م.

ومن قبل خداع البلشفيين للعرب والمسلمين فعل الشىء نفسه نابليون بونابرت فى أثناء حملته على مصر، حيث بعث بمنشور عسلى المذاق فور وصوله الإسكندرية يعلن فيه أنه مسلم، وأن الفرنساويين كذلك مسلمون، ثم أرخى لحيته، وحمل مسبحة بيمينه ومبالغة فى التمويه والخداع، تسمى باسم إسلامى ثم ماذا كان بعد أن دخل القاهرة؟

لقد ظهر ما كان يضمره من سوء وأحقاد، فاحتل الجامع الأزهر، واتخذ منه «اسطبل» لخيول الغزاة؟ إضافة إلى الجرائم التى ارتكبها ضد الإسلام والمسلمين؟!

وبعد نابليون (الفرنسى) حدث الأمر نفسه من لورد لويد، المندوب السامى لإنجلترا فى مصر فى عهد الاحتلال الإنجليزى لها، فقد خطب هذا «اللورد» خطبة جامعة فى أحد مساجد لندن، أشاد فيها بالإسلام والمسلمين، وأن حكومة صاحبة الجلالة لا يمكن أن تستغنى عن العالم الإسلامى أو تحرم من حمايته لها، وأن الإسلام يجب أن تعود إليه قوته من جديد.

وبعد هذا الكلام المعسول ظهرت مواقف إنجلترا مخالفة لما قاله مندوبها السامى.

ومما قاله لورد لويد فى تلك الخطبة:

«اعتقد أن الإمبراطورية البريطانية لا يمكنها البقاء، دون حماية كاملة من المسلمين، فى جميع أنحاء العالم، فالإسلام -على ما اعتقد- بإمكاناته الروحية والفكرية هو إحدى القوى الجوهرية فى العالم، وسوف أعمل دائما ما أستطيعه لتوجيه إنجلترا فى إنشاء علاقات ود وصداقة، مع الإسلام فى كل مكان من العالم»(١).

ثم ماذا كان بعد ذلك:

إنجلترا هى التى مهدت لقيام دولة إسرائيل فى فلسطين (البلد المسلم) وهى التى كانت العضو المنشط الفعال فى العدوان الثلاثى على مصر، بلد الأزهر والإسلام، واختفت من قاموس العمل البريطانى تلك الوعود الكاذبة.

وفى الوقت نفسه الذى ألقى فيه اللورد لويد خطبته تلك، حاول موسولينى، فى أثناء رحلته إلى ليبيا عام ١٩٣٣م كسب الإسلام وشعوبه إلى جانبه، فادعى أنه صديق الإسلام، والمدافع بإخلاص- عنه!

هذا هو مسلك زعماء الغرب معنا، يفترضون أننا أغبياء لنغمض أعيننا عما يريدون صنعه معنا، وفينا كما يقول القرآن:

﴿ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾(٢).

وفى هذا الإطار الخداعى الماكر، تأتى الوقائع الأمريكية التى خُدِعَ بها الدكتور العميد، أما الأمة فلن تنخدع بها مهما كانت براقة، حتى ولو قرأ أعضاء الكونجرس الأمريكى القرآن كله فى افتتاح جلساتهم، لأن الأمة تهتدى بهدى رسولها القائل:

«لن يلدغ المؤمن من جحر مرتين» وجحر أمريكا حاول أن يلدغنا مئات المرات، وليست العبرة بالأقوال، بل بالأفعال، وأفعال أمريكا معنا لم تترك مثقال ذرة فى قلوبنا لتصديقها.

الفقرة السادسة:

ونستأذن القارىء مرة ثانية من إعفائنا من ذكر كلام العميد بطوله، وأن نكتفى بموضوع المناقشة فحسب، وذلك على الوجوه الآتية:

● فى نشوة الدفاع عن أمريكا، وتضخيم حسناتها نسب العميد لأمريكا ما لم تصنعه معنا، انظر إلى قوله:

«ولكن الإيجابيات -يعنى إيجابيات أمريكا معنا- أكثر من السلبيات، ويكفى أن نذكر بعضها:

«الإنذار الأمريكى فى حرب السويس».

العميد -هنا يتحدث عن العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م الذى قامت به إنجلترا وفرنسا وإسرائيل ضد مصر ردا على تأميم قناة السويس.

والمعروف أن الذى أنهى تلك الحرب هو الإنذار الروسى والذى أصدره هو بولجانين «فليس

(١) الإسلام قوة الغد العالمية، تأليف باول تتمتز، تعريب دكتور/ محمد شامة ص ٢١٠، مكتبة وهبة - القاهرة.

(٢) التوبة (٤٧).

هو إنذارا أمريكيا، وهذا لا يكاد يجهله أحد الآن، هذه مجرد ملاحظة وتصويب لازم، لئلا يعتقد الشباب صحة ما أورده الدكتور العميد من قلب لحقائق التاريخ. أما إنذار أمريكا فكان متأخرا، وفيه مقال.

● ثم يسترسل -سعادته- فى سرد حسنات أمريكا علينا فيقول:

«مبيعات الأسلحة الأمريكية للدول العربية ضخمة، وآخر صفقة مع السعودية بـ٤٫٢ مليار.. أمريكا مصدر التسليح والتكنولوجيا والتدريب للقوات المسلحة لكثير من الدول العربية، القوات العسكرية العربية تعتمد على السلاح الأمريكى فى التصنيع، وفى تطوير قدراتها الحربية، وفى تدريبها وقطع غيارها».

ونقول تعقيبا على هذا الكلام:

إن رؤية العميد بدت قاصرة هنا عن إدراك الحقائق، لأنه كان عليه أن يعرف:

أولاً: إن أمريكا فى المجالات التى أشار إليها لم تكن صاحبة فضل علينا، لأنها فى مبيعات الأسلحة وجدت سوقا رائجة لفائض منتجاتها العسكرية، وهى بهذه المبيعات تدعم اقتصادها دعما هى فى حاجة إليه، والاقتصاد عند أمريكا إله يعبده الكبار والصغار.

وكذلك كل ما يتم جلبه من أمريكا من خبرات وتدريبات، فهى تبيع خبراتها كما تبيع منتجاتها الحربية وغير الحربية.

إذن هذه التعاملات تستفيد منها أمريكا كما تستفيد الدول العربية، فليس هنا محسن ومحسن إليه.

ثانياً: إن أمريكا تعلم أنها إذا لم تقم بهذه المهام، فإن العرب سوف يحصلون عليها من مصادر أخرى تنافس منتجاتها وخبراتها منتجات أمريكا وخبراتها، مثل الصين، واليابان، وروسيا حتى بعد سقوط الاتحاد السوفيتى.

ولو كان هذا قد حدث لضاقت الأرض بما رحبت أمام أمريكا. ولولا الأسواق العربية المفتوحة على مصراعيها أمام أمريكا لكل ما تنتجه مصانعها لتوقف ثلث أو نصف تلك المصانع عن الحركة، ولغزت صناعات أخرى غير الصناعات الأمريكية الأسواق العربية، ولمنيت أمريكا بضربات قاتلة فى اقتصادها.

ثالثاً: إن إتاحة الفرصة لأمريكا، من خلال هذه المنافذ تمكن أمريكا من الاطلاع على أحوال الدول العربية والإسلامية، وتعرف -عن كثب- مواطن القوة والضعف، ولا يكون عندنا مجهول تتشوق أمريكا إلى معرفته عن طريق التجسس غير الموثوق فيه.

ولو أحسنت التفكير يا سعادة العميد، لأدركت أن العرب هم أصحاب الفضل على أمريكا، فى كل ما عددته أنت إنه من حسنات أمريكا على العرب والمسلمين.

رابعاً: كل ما ذكره العميد فى الشئون العسكرية والحربية التى رأى أنها من علامات صداقة أمريكا للعرب والمسلمين، كل هذه الأمور خاضعة عند أمريكا لضوابط شديدة الخطورة، كان حريا بالعميد الأنصارى أن يضعها فى الحسبان:

ذلك الضابط هو حرص أمريكا أن تكون إسرائيل هى المتفوقة دائماً على جيرانها، فهى مع إسرائيل قلبا

وقالبا لضمان انتصارها على كل من حولها إذا نشبت بين الفريقين حرب عاجلة أو آجلة.

وجانب آخر من علاقات أمريكا بنا أشار إليه العميد، ولكن لم يفصح عنه، وله صلة خطيرة ببيان هل أمريكا تعادى الإسلام أم تحترمه وتدافع عنه، كما ادعى العميد.

ذلك الجانب هو صلة أمريكا التعليمية والثقافية بنا، ونوجز الحديث عنه فى ما يأتى:

لأمريكا فى بعض الدول العربية جامعات، تعرف بـ« الجامعات الأمريكية »، وأشهرها الجامعة الأمريكية فى مصر « القاهرة »، والجامعة الأمريكية فى لبنان « بيروت ».

هذه الجامعات لها تاريخ سيىء ضد الإسلام، بالإضافة إلى أننا لا نجنى منها ثمارا مفيدة نحن فى أمس الحاجة إليها.

لأن الدراسة التى تتم فيها تتعلق بمواد تقليدية، لها نظائر فى مؤسساتنا التعليمية الوطنية، وليس بها كلية واحدة يستفيد منها طلابنا فى مجال الطاقة والتكنولوجيا الحديثة.

ولا توجد فى أى منها كلية للطب مثلا، لأن أمريكا تضن بخبراتها « الاستراتيجية » على غيرها من الشعوب وبخاصة الشعوب العربية الإسلامية.

بالإضافة إلى هذه الجوانب السلبية للجامعات الأمريكية عندنا، والخطب فيها يسير لو لم تكن لها سيئات أخرى ضارة ومتعمدة.

فلنأخذ نماذج من سيئات الجامعة الأمريكية فى القاهرة:

منذ ثلاثة أعوام ضبط كتاب مخالف يدرس فى إحدى كليات الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

ذلك الكتاب هو « محمد » تأليف المستشرق اليهودى الأصل: ماكسيم رودنسن، والذى كان يدرس هذا الكتاب للطلبة والطالبات مدرس أمريكى.

ماكسيم رودنسن

وكتاب « محمد » هذا معروف لدى المهتمين بمتابعة ما يكتبه المستشرقون والمبشرون عن الإسلام منذ زمن طويل.

وقد ملأه مؤلفه افتراءات على الإسلام وعلى رسوله الكريم.

وقد تضمن طعونا سافرة فى حق القرآن، وفى حق الرسول ﷺ.

فقد أظهره هذا اليهودى الحاقد فى مظهر سيىء للغاية، حيث وصفه بأنه كان « زير نساء » لا هم له إلا إشباع نزواته الجنسية، وبأى ثمن يمكن بذله.

ولو أن أمريكا درست هذا الكتاب فى إحدى جامعاتها بأمريكا لما تدخل فى شئونها أحد، ولما حز فى أنفسنا كما حز تدريسه فى عقر دارنا.

أليس هذا طعنا خطيرا فى ديننا، وتعديا أحمق على مقدساتنا وإساءة ما بعدها إساءة إلى مليار ونصف المليار مسلم فى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها؟

وهل سمحت مصر للجامعة الأمريكية بها أن تمارس هذا النوع من التخريب والحماقة؟

اكتفت الحكومة المصرية بمصادرة الكتاب أو

بمعنى أصح بمنع تدريسه لطلابها، ولم تتخذ أى إجراء آخر ضد الجامعة الأمريكية بها. وكان المنتظر هو سحب ترخيص قيام الجامعة الأمريكية بالقاهرة. ولو كانت مصر قد اتخذت هذا الإجراء لما لامها أحد، ودستورها العام الدائم ينص على أن الإسلام: هو الدين الرسمى للدولة.

أليس هذا تسامحا من مصر مع أمريكا التى يدافع عنها الدكتور العميد؟

ثم بعد عام واحد من هذه الواقعة لجأت الجامعة الأمريكية بالقاهرة، إلى تدريس رواية ساقطة منحطة، هى رواية «الخبز الجاف» -أو «الحاف»، ولا أدرى -لمؤلف عربى سخيف يحرض فى روايته هذه الشباب على الدعارة والمجون والانتحار الأخلاقى المميت.

وقبل هاتين الواقعتين، حدث ما يحيل الولدان شيبا فقد تم فى أوكار الجامعة الأمريكية بمصر تأليف كتاب ضخم باللغة الإنجليزية عنوانه بالإنجليزية (the christion egypt ancient and vecent) وترجمته بالعربية: «مصر مسيحية قديما وحديثا» جرى تأليفه فى مصر، وتم طبعه من وراء الكواليس فى القاهرة وتم توزيعه فى عواصم كثير من الدول الأوروبية، مثل لندن، واشنطن، باريس.. إلخ.

أما فى القاهرة فكان لا يباع إلا داخل أوكار الجامعة الأمريكية؟!

أما موضوع الكتاب فهو فى إيجاز:

فى عام ١٩٨٥م حصل أستاذ بجامعة الأزهر (د/يس مراد) على نسخة منه فى إحدى مكتبات لندن، ثم قدمها للجنة التعريف بالإسلام، إحدى لجان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وكنت عضوا فيها. وكان مقررها المستشار عبدالحليم الجندى رئيس إدارة قضايا الحكومة آنذاك، وقد أحالت اللجنة الكتاب إلى أحد أعضائها (د/محمود دياب) ليقرأه ويقدم عنه تقريرا للجنة.

وقد تضمن التقرير أمورا مفزعة، لأن الفكرة التى وضع من أجلها الكتاب تدور حول صبغ مصر صبغة مسيحية خالصة فى جميع عصورها القديمة والحديثة، وأن دخول الإسلام لم يغير من «هويتها» المسيحية شيئا.

وأن الكتاب يتجاهل وجود الإسلام فى مصر تجاهلا تاما وعلى كثرة صفحات الكتاب (٧٠٠ صفحة) لم يتضمن أى حديث عن الإسلام سوى فصل صغير جدا عن الغزو العربى لمصر بقيادة عمرو بن العاص. صفحاته دون العشرين صفحة.

وأن فى الكتاب نداء وجهه مؤلفوه لأقباط مصر، حاصلة: لا تيأسوا فبعد الظلام الطويل لابد من طلوع الفجر»!

وهذا كلام خطير للغاية، يثير فيه كاتبوه الفتنة الطائفية بين الأقباط والمسلمين ويحثون الأقباط على استرداد أرضهم المغصوبة كما استرد اليهود فلسطين، والأسبان الأندلس!

والتقرير أودع فى أعمال اللجنة منذ أكثر من سبعة عشر عاما.

هذه خلاصة التقرير:

أما إخراج الكتاب فقد تضمن خريطة طولية لوادى النيل، من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، هذه الخريطة موضح عليها أماكن

الكنائس والأديرة برسومات بارزة، ومبالغ فيها إلى حد كبير، بحيث يخيل للناظر فيها أنه يرى وطنا ليس فيه أى أثر إسلامى فى طول البلاد وعرضها!

فبم يفسر الدكتور العميد العمل الذى قامت به الجامعة الأمريكية فى القاهرة؟

هل هو نابع من حب أمريكا للإسلام؟

هل هو صادر عن صداقة أمريكا للعرب والمسلمين؟

هل هو مما تحتاج إليه مصر فى حاضرها أو مستقبلها؟

هل هو عمل يدخل فى صميم وظيفتها التعليمية، التى من أجلها رخص لها بالإنشاء والاستمرار فى مصر؟

أليس هذا بعثا لفتنة لا يعلم غير الله آثارها؟ وهل هذه الحماقات تدعونا للاعتقاد بصداقة أمريكا لنا أم العكس هو الصواب؟

أما الجامعة الأمريكية فى بيروت فسيرتها هى سيرة أختها فى القاهرة، ومن نماذج عدائها للعروبة والإسلام ما يأتى:

● بعد سقوط دولة الخلافة العثمانية، التى انضوى تحت لوائها كل الشعوب والجنسيات الإسلامية، حن المسلمون إلى إحيائها من جديد وسيطرت فكرة إحياء الخلافة على الساحة الفكرية فى كل مكان، وكادت تأخذ طريقها إلى العودة. فما الذى حدث لوأد تلك الفكرة فى مهدها يا ترى؟

إن الذى حدث هو معارضة «اليسوعيون» فى لبنان والشام وهم خريجو الجامعة الأمريكية فى بيروت، وفى جامعات أمريكا نفسها.

لقد سعوا سعيا ملحوظا لوقف تلك الفكرة، ونادوا بقيام جامعة أخرى بدل الجامعة الإسلامية، وهى الجامعة العربية، وترتب على تلك الدعوة دعوى أخرى إلى «القومية العربية»، وسموا أنفسهم بـ«القوميون العرب»، وصارعت هذه الفكرة فكرة الجامعة الإسلامية، وشاءت الأقدار أن تموت فكرة الجامعة الإسلامية، وتقوم على أنقاضها فكرة القومية العربية.

وفى هذا الجو المعاكس لأى عمل إسلامى جامع قال أحد القوميين العرب فى غير حياء:

سلام على كفر يوحد بيننا

وأهلا وسهلا بعده بجهنم

هذه إحدى إفرازات الجامعة الأمريكية فى بيروت، فهل هى خطوة فى دعم الإسلام تدل على حبه والدفاع عنه أم هى آفة قاتلة لكل عمل إسلامى قوى فى مواجهة الزحف الغادر لطمس معالمه من الوجود، أو ليعيش ذليلا كليلا مهيض الجناح؟

● أما الإساءة الثانية، فهى ما قام به اليسوعيون للقضاء على اللغةالعربية الفصحى، وإحلال اللهجات العامية المحلية محلها.

كان اليسوعيون من أنشط الدعاة إلى نصرة العامية على الفصحى، وجهود أنيس فريحة فى هذا المجال معروفة ونصائحه للمسلمين بأن سيطرة العامية على لغة الحديث والكتابة لا يهدد وجود العربية الفصحى، لأن القرآن سيقرأ فى المساجد والمحاريب بلغته الفصحى، ثم يخلص من نصائحه الخادعة، بأن اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) ماتزال لغة الطقوس الدينية فى الكنائس والأديرة إلخ.

والقضاء على الفصحى كان هدف الاستعمار الصليبى الغربى، وقد بلغ عداء العربية الفصحى أقصى مدى له فى عهد الاحتلال الإنجليزى لمصر.

● ومن مظاهر العداء للإسلام على أيدى اليسوعيين خريجى الجامعة الأمريكية ببيروت أمران آخران- طعون خورى حداد فى القرآن الكريم مفردات، وتراكيب ومعان ومضامين وقد رصد أحقاد هذا الرجل (خورى حداد) الأستاذ محمد دروزة فى كتابه القيم (القرآن والمستشرقون)، وكذلك الأستاذ الدكتور عمر فروخ، فى بعض مؤلفاته « التبشير والاستعمار ».

ومن اليسوعيين المتأمريكن القس أنيس المقدسى وبخاصة فى كتابه « تطور الأساليب المنترية »، فقد زعم أن القرآن فى المرحلة المكية تأثر فيه النبى ﷺ بسجع الكهان، فجاءت جمله قصيرة مسجوعة كما كان يفعل الكهان فى كلامهم، ثم يوغل فى التخريف فيوازن بين السور القرآنية المكية القصيرة، وبين مقطوعات من كلام الكهان، ولهذا الرجل طعون مليئة بالحقد فى سيرة النبى ﷺ وبخاصة كتبه ورسائله التى كان يبعث بها إلى رؤساء القبائل والعشائر، وإلى ملوك الشعوب كالفرس والروم. ويدعى أنها مكذوبة مفتراة لأن محمدا ﷺ لم يكن يملك من القوة والسلطان ما يشجعه على مخاطبة الملوك والرؤساء، وبخاصة فى بدايات دعواته!

هذا هو فى إيجاز بعض ما أثمرته الجامعات الأمريكية فى البلاد العربية. فهى -أعنى أمريكا- تنتهز وجودها فى أى شكل من الأشكال فى الدول الإسلامية والعربية وتباشر أعمالا غير مأذون لها بها، بقصد النيل من الإسلام والمسلمين، والعروبة والعرب.

إن أمريكا فى هذه العلاقات تهدف إلى تحقيق مآرب لها، وتتخذ من هذه العلاقات وسيلة لإنجاح مقاصدها الباطنة والظاهرة، لا كما يصورها الدكتور العميد، فى صورة المحسن الذى لا يريد جزاء ولا شكورا.

ومن التقصير فى الفهم، أن نخدع بالظواهر البراقة المعسولة ونعرض عما تخفى وراءها من سموم وما أصدق قول الشاعر فى هذا المعنى:

وإن طرة راعتك فانظر فربما

أمر مذاق العود والعود أخضر

وأحكم من قول الشاعر ما ينسب إلى النبى ﷺ أنه قال:

« إياكم وخضراء الدمن؟ قالوا، وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء فى المنبت السوء ».

والدمن هى: أماكن إلقاء القاذورات، والنبات الذى ينبت فيها يكون زاهيا جميل المنظر، لكن المكان الذى نبت فيه يجعله خبيث الجنى. وإن جذب الأنظار بخضرته وحسنه الخادع.

الفقرة السابعة:

هذه الفقرة تركز على حجم الاستثمارات الأمريكية فى الدول العربية، وقد أشار إليها العميد بقوله: « والاستثمارات الأمريكية فى الدول العربية من أكبر الاستثمارات الأجنبية ».

ونقول: لقد نسى العميد أن استثمارات أى دولة فى دولة أخرى، تقوم على المنافع المتبادلة بين الدولتين، ولا يمكن أن يعد طرف من أطرافها صاحب فضل على الطرف الآخر.

واستثمارات أمريكا فى الدول العربية تقابلها استثمارات عربية فى البنوك والمصارف الأمريكية، والمعروف أن حجم الأموال العربية فى الغرب بلغ ١٤٠٠ مليار دولار، لأمريكا منها نصيب الأسد، فالأولى ترك هذا الجانب، فهو ليس من الحسنات التى تحسب لأمريكا علينا.

الفقرة الثامنة:

وفيها يعدد العميد مآثر أمريكا فى تحرير بلاد المسلمين فيقول:

«لولا التدخل الأمريكى المسلح لحماية المسلمين فى كوسوفو عام ١٩٩٨م والبوسنة قبلها ضد الصرب لما تحررت.. ولولا التدخل الأمريكى والسلاح الأمريكى فى أفغانستان ضد الروس لما تحررت».

ونقول: هل يتذكر الدكتور العميد بعد كم سنة من نشوب الحرب الصربية ضد البوسنة والهرسك تدخلت أمريكا فى فض الاشتباك بين الطرفين؟

وما هى حجم الأضرار التى منيت بها البوسنة فى الأموال والأرواح والمنشآت، والمقدسات الدينية، وأعراض النساء؟

إنها مهازل لم يعرف لها التاريخ مثيلا من قبل، أكثر من خمسين ألف فتاة اعتدى عليهن وتحرش بهن الصرب، وانتهكوا حرماتهن.

مئات الآلاف من الرجال والشباب من مسلمى البوسنة والهرسك قطعت رقابهم، ورأيناهم رأى العين مصورين بأجهزة «الفيديو» وهم محزوزو الرقاب، استمرت تلك المآسى ما يقرب من خمس سنوات والعالم كله، وفى مقدمتهم أمريكا، واقفة تتفرج فى صمت، أما تدخل أمريكا بعد خمس سنوات من المجازر النازية فكان له سبب آخر:

أن الغرب الصليبى كان يترقب نهاية مسلمى البوسنة أمام الصرب الحقود المتعصب. ولما لم يحدث هذا، وقرر مسلمو البوسنة المضى فى النضال، خشى الغرب أن يحقق مسلمو البوسنة انتصارا على الصرب، أو على الأقل يطول كفاحهم أمام الصرب، وهذا فى نفسه يضاف إلى الإسلام والمؤمنين به، وهذا ما لايريده الغرب ولا أمريكا. ومن هنا قرر الغرب وأمريكا التدخل لوقف الحرب، حتى يقال إن الذى أوقف الحرب هى أمريكا والغرب، وحتى لا يقال: إن المسلمين صمدوا ولم يهزموا، أو إنهم حققوا انتصارا على ألد الخصوم فى يوما ما من الأيام.

ورغم ذلك فإن دحر أعداء مسلمى البوسنة إنما هو ثمرة حلوة المذاق لجهادهم البطولى، الذى طبعهم عليه الإسلام، ليس لتدخل أحد من الخارج، لأن هذا التدخل نفسه إحدى ثمرات العمل الذاتى لأولئك الأبطال.

● أما إمداد أمريكا لمسلمى أفغانستان فى حربهم ضد الروس، فلم ترد به أمريكا تحرير أفغانستان المسلمة من الأسر الروسى، وإنما كانت أمريكا تريد منع روسيا -عدوة أمريكا- من التوسع من جهة، وإلحاق الضعف بها من جهة أخرى، إبان وجود الاتحاد السوفيتى، والذى كانت أمريكا أو العالم الرأسمالى الغربى يخشاه، ويعمل له ألف حساب.

أما كوسوفو، فإن الذى كان يحاربهم وكر من أوكار الشيوعية التى كانت أمريكا تناصبها

العداء، وقد تباطأت أمريكا فى التدخل كما تباطأت فى البوسنة من قبل.

وللدكتور العميد أن يقارن بين هذه التباطؤات، وبين السرعة المذهلة، التى حدثت من أمريكا والغرب فى مسألة تيمور الشرقية، وتيمور الغربية.

إن الغرب كله، وليست أمريكا وحدها، كان فى قلب الأحداث بعد أربع وعشرين ساعة من حدوث المشكلة.

وجندت أمريكا كل قوى الغرب المادية والمعنوية حتى هيئة الأمم والبنك الدولى لخدمة الغرض المنشود فى أسرع وقت من الزمان.

بينما لاتزال أمريكا تعارض إرسال قوات أمن دولية لحماية الشعب الفلسطينى الأعزل، من وحشية شارون وعصابات جيش الدفاع (الهجوم) ضد الشعب الفلسطينى، وتدنيس المقدسات، وانتهاك الحرمات، وإسالة الدماء، وإزهاق الأرواح وتحطيم المنشآت، وإحكام الحصار على الشعب الفلسطينى ورئيسه.

سؤال نوجهه إلى الدكتور العميد:

بم تفسر التباطؤات التى أشرنا إليها فى قضايا الإسلام والمسلمين؟

وبم تفسر السرعة المذهلة فى مشكلة تيمور الشرقية وتيمور الغربية؟

وبم تفسر اعتراض أمريكا على إرسال قوات أمن دولية إلى فلسطين؟ أهذا لحب فى الإسلام من أمريكا؟ أم لعداء له؟ نترك هذه الإجابات إليك شخصيا.

الفقرة الأخيرة: «وفيها يدعونا الدكتور العميد إلى أن نتعامل مع أمريكا على أساس المصالح، لا أساس العقائد»؟!

ونقول: هذه الدعوة أخطر على الأمة: حاضرها، ومستقبلها من غزو أمريكى جوى وبرى وبحرى شامل؟!

لأن العقيدة ليست محل مساومة، ولا هى سلعة تعرض للبيع والشراء، وهذا هدف قديم طرحه الاستعمار من قبل فى بعض المعاهدات أو المؤتمرات بأن تنحو الدول الإسلامية فى تشريعاتها منحى لا يرتبط بالعقيدة ولا الشريعة الإسلامية، وإنما يخضع لمفاهيم وأطر الحضارة الغربية الحديثة[٣]. وهذا أيضا ما فعلته دول الاستعمار فى البلاد الإسلامية عربية وغير عربية.

وليست كل أشكال التعامل مع غيرنا، سواء كان أمريكا أو غير أمريكا تخضع لسلطان العقيدة، هذا محال. وإنما الذى نعنيه هنا محصور فى بعض الصور أبرزها ثلاث:

- العقائد.
- التشريع.
- الأخلاق.

فهذه الميادين الثلاثة يجب أن تكتفى الأمة فيها بما لديها. ولا يجوز لها بحال أن تتطلع لغيرها فيها، وإلا أحرجت نفسها أمام ربها.

أما كافة صور التعامل الأخرى مما لا مساس له بالعقيدة ولا بالتشريع (الحلال والحرام) والأخلاق فلا حرج على الأمة فيها إذا تحققت فيها ضوابط

(٣) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى مدير جامعة الأزهر الأسبق وزير الأوقاف الأسبق.

معينة، سواء كانت معدات أو خبرات بلا قيود وتفرض علينا.

أما إذا فرضت علينا قيود تمس هوية الأمة فلا وألف لا.

ولا حرج علينا أن نتعامل مع مخالفينا فى العقائد أو الدين فى كل ما هو نافع، مع الحفاظ التام على كرامتنا وحرياتنا.

فإن كان الدكتور العميد يشير علينا بعدم الاكتراث بعقيدتنا حين نتعامل مع أمريكا أو غيرها، فهذه كبوة يتعذر النهوض منها أو يستحيل.

والويل للأمة كل الويل إذا باعت دينها نظير نفع عاجل فى هذه الحياة الدنيا. فما عندنا ينفد وما عند الله باق.

كلمة أخيرة

هذه هى أفكار الدكتور العميد -عبدالحميد الأنصارى- ناقشناها بكل حيدة وموضوعية، ورصدنا الكثير من مواقف أمريكا من قضايا العروبة والعرب، والإسلام والمسلمين، وقلنا إننا لم نشتر عداوة أمريكا، ولا نحن أعداء لها، وإنما مواقفها المتكررة المتعمدة هى التى حملتنا على القول بأن أمريكا عدو لنا، ونحن لسنا أعداءها، وحتى هذه اللحظة، أما قولنا إنها هى عدو لنا، فهذا القول رد فعل قهرى لسياسات أمريكا تجاه العرب والمسلمين والإسلام.

وإننا لنرجو أن يحدث تغيير فى سياسات أمريكا يجعلنا نعدل على اعتقادنا بأنها عدوة لنا، أما إذا استمرت على هذه المواقف فمن الغباء المستحكم أن نفهم أن أمريكا ليست عدوتنا، والأمر كما قال الشاعر:

العين تعرف من عينى محدثها
إن كان من حزبها أو من أعاديها

أما ما ذكره الدكتور العميد من حسنات أمريكا فإن الرد عليه جاهز، ومن أقصر طريق، لأن ما عده العميد إيجابيات لأمريكا معنا، النفع فيه مزدوج، حتى فى إمدادها لنا بالسلاح والتدريب وأشكال التكنولوجيا، فهذه الأمور نحصل عليها بالنقد العاجل، أو القروض بفوائد باهظة. فإن كان هذا محسن ومحسن إليه، فنحن المحسنون، وأمريكا هى المحسن إليها، لأننا فتحنا لها أسواقنا لترويج منتجاتها فى شتى الميادين، ولو أغلقنا أسواقنا أمام منتجاتها لأحدثنا شروخا غائرة وواسعة فى اقتصادها،ولقامت فى داخلها ثورات وضغوط من أصحاب الشركات والمصانع ضد الإدارة الأمريكية، التى تسببت لمنتجاتهم فى الكساد والبوار. ولن تجد أمريكا لأسواقنا بديلا.

أما نحن فسنجد عشرات المصادر الصناعية نتبادل معها التعامل فى حرية وكفاءة.

ومرة أخيرة نقول:

نحن لم نشتر عداوة أمريكا، وليس لنا مصلحة فى كون أمريكا عدوة. بل العكس، لكن بشرط أن تعرف أمريكا أننا أمة لها كرامة يجب أن تصان تحسن لمن أحسن إليها، وتصد عمن يسيىء إليها مهما كان.

وصدق حكيمنا الذى قال:

«اعترف لى بحقى فى الحياة اعترف لك بذلك الحق. أمنى على حاضرى ومستقبلى لا أجد مبررا لمخاصمتك».

والحمد لله فى الأولى والآخرة.

كتاب الشهر

من هو اليهودى ؟!

تأليف

د/ عبدالوهاب المسيرى

٢

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

على الرغم من أن دولة إسرائيل التى زرعت فى الأرض الفلسطينية منذ منتصف القرن العشرين.. على الرغم من أن هذه الدولة تعلن أنها الممثل السياسى والواقعى ليهود العالم بما للأحزاب الدينية فيها من دور توجيهى، على الرغم من هذا.. نراها -فى الوقت نفسه- تعلن أنها تعتمد فى مسارها على الأسس العلمانية الحادة، حتى بدت كياناً غائماً، غير واضح المعالم.

وفى تلك الدراسة التاريخية الجادة المتعمقة كشف الدكتور المسيرى أن للضباب الذى يطوى الهوية اليهودية جذوراً تاريخية عميقة، وانتشاراً جغرافياً شاملاً.. كان له أثره البالغ فى جعل الدولة الإسرائيلية كياناً اجتماعياً متعارض العناصر، متناقض المشارب، وظلت ملتقى لعدة تجمعات متنافرة الجذور والأعماق، وإن حاولت أن تبدو فى السطح متلاحمة موحدة.

تباين الهويات اليهودية فى التعريف الدينى

وبعد أن أبرز الدكتور المسيرى عسر -أو صعوبة- التعرف على الهوية اليهودية فى ذلك الكيان الفسيفسائى الذى اتسم به الوجود اليهودى على مدى تلك القرون الممتدة منذ ما قبل الميلاد إلى أن ظهرت المجتمعات العلمانية التى زلزلت اليهودية الحاخامية، وعمقت عدم التجانس، أو أظهرت هذا التنافر المتخفى.

وبعد هذا... أخذ الدكتور فى استعراض الهويات اليهودية من خلال التعريف الدينى لها، فذكر أن اليهودية -فى العصور القديمة- كانت ديانة توحيدية فى محيط وثنى، ولكنها فى العصور الوسطى الغربية، وفى العالم الإسلامى وجدت نفسها فى محيط توحيدى إسلامى أو مسيحى، فحاول علماء اليهود أن يخلقوا هوة بين اليهودية وأعضاء الديانات التوحيدية الأخرى، فاصطنعوا (التلمود).

ومن هنا... عُرِّف اليهودى بأنه من ولد لأم يهودية، أو من تهوَّد. وهو تعريف دينى قومى.

وقد صار هذا التعريف الإطار المرجعى لكثير من الكتابات، مع تضمنه إشكالية أساسية نشأت من أنه يعنى: أن من ولد لأم يهودية يظل يهودياً، حتى لو لم يمارس تعاليم اليهودية؛ فهو يهودى بالمعنى العرقى الإثنى. أما المتهود فعليه أن يقوم بتنفيذ جميع الأوامر والنواهى اليهودية.

وتظهر هذه المشكلة عند الإقراض: حيث يباح لليهودى أن يقرض غير اليهودى بالربا، فإذا ما طلب يهودى متنصر قرضاً ظهرت قضية يهوديته؛ فبعض الحاخامات يجيز إقراضه بالربا باعتباره ليس يهودياً، وبعضهم الآخر لا يجيزون ذلك لأنه ولد لأم يهودية.

وكان من أهم المشكلات التى واجهها الفقه اليهودى.. مشكلة يهود (المارانو) الذين لم يتركوا شبه جزيرة (إيبيا) وتظاهروا باعتناق المسيحية، فعدهم الفقه اليهودى يهوداً. ولكن مع مرور الزمن ضعف انتماؤهم اليهودى، حتى أصبح من الصعب عليهم التأقلم مع اليهودية الحاخامية.

وقد خلق يهود (الدونمة) مشكلة أخرى، حيث أعلنوا الإسلام، وأسروا انتماءهم اليهودى، ولم يكن الفقه اليهودى منذ (موسى بن ميمون) يعد اعتناق الإسلام -فى حالة الاضطرار- شِركاً.

ولأن (الدونمة) لم يرغموا على اعتناق الإسلام، ولأن الحاخامات قابلوا ادعاءتهم بحرب شرسة، وأعلنوا أن ذلك منهم هرطقة وتجديف؛ لهذا وذاك كان من الصعب تقرير ما إذا كان (المارانو) ، والدونمة يهوداً أم لا .

فكانت مشكلة لم يحسمها الفقه اليهودى .

ثم ازدادت المشكلات تفاقماً مع ظهور العلمانية، فقد دخلت اليهودية فى الغرب مرحلة الأزمة حيث ظهر فكر حركة التنوير، وظهرت اليهودية الإصلاحية، واليهودية المحافظة، واليهودية التجديدية . . فإن اليهودية الأرثوذكسية لم تعترف بأتباع هذه الفرق، ولا بحاخاماتها يهوداً .

هذا . . . إلى جانب انتشار نزعات الإلحاد والشك الدينى بين اليهود، وظهور ما يسمى (اليهودية الإثنية) فى الولايات المتحدة، وروسيا، وأوكرانيا، وغيرها .

و (اليهودية الإثنية) هى يهودية من لا يؤمنون بالعقيدة اليهودية، وإن كانوا يمارسون بعض شعائر باعتبارها شكلاً من أشكال (الفلكلور) الذى يدعم أثنيتهم وقوميتهم اليهودية .

كما ظهرت اليهودية الإنسانية التى لا تستند إلى الإيمان بالشريعة الموحى بها، وإنما الإيمان بالقيم الإنسانية العامة .

وظهرت جماعات أخرى مثل : جماعة العلماء اليهود الذين يؤمنون بأن الطب الحديث لا طائل من ورائه، وأن سر الشفاء يوجد فى العهد القديم .

ومثل جماعة (اليهود من أجل المسيح) وهم الذين اعتنقوا المسيحية، واعتبروا المسيح هو الماشيَح اليهودى .

وقد أصر كل هؤلاء على أن يُسموا (يهوداً) على الرغم من إلحادهم الكامل، أو رفضهم معظم مقولات الشريعة اليهودية؛ فلم يعد مصطلح (يهودى) حسب التعريف الحاخامى ينطبق على الغالبية العظمى ليهود العالم، ولا يوجد سوى أقلية صغيرة للغاية هى التى تلتزم بالشريعة اليهودية، وتحتفظ بلقب (يهودى) مثل تلك الغالبية العظمى، وتدعى لنفسها حق تقرير من هو اليهودى .

الواقع اليهودى فى ظل هذا التباين

وخلص الدكتور المسيرى من هذا الاستعراض إلى أن كلمة (يهودى) -منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى ظهور الدولة الصهيونية) تشير إلى أشخاص يؤمنون بأنساق دينية متعارضة من بعض النواحى، وينتمون إلى تشكيلات حضارية مختلفة، تمثلت فى عشرات الهويات والانتماءات الدينية، والوثنية، والطبقية، مثل :

١ ـ يهود اليديشية -وهم يهود شرق أوروبا أو الأشكناز- المتدينون والعالمانيون .

٢ ـ يهود العالم الغربى .

٣ ـ يهود أمريكا اللاتينية .

٤ ـ يهود الشرق والعالم الإسلامى، والعالم العربى .

٥ ـ الجماعات اليهودية المتفرقة (مثل الفلاشاة، ويهود بنى إسرائيل) .

وقد تم تصنيف هذه الجماعات إلى يهود

غربيين يسمون (الأشكناز)، ويهود شرقيين يسمون (السفارد) أحياناً برغم خطأ التسمية .

ويرى الدكتور أن هذه التقسيمات آخذة فى الاختفاء، والاندماج فى ثلاثة أقسام أساسية هى :

١ ـ الهوية اليهودية الجديدة التى ظهرت فى المجتمعات الغربية الحديثة بملامحها الإثنية القومية، أو الدينية، ولكن البعد اليهودى فيها هامشى، لا تأثير له فى سلوكها .

٢ ـ جيل (الصابرا) وهم الذين ظهروا داخل المستوطن الصهيونى، ولا تربطهم بأعضاء الجماعات اليهودية فى العالم سوى روابط واهية، تشبه علاقة اليونانيين المحدثين بالإغريق القدامى .

٣ ـ الأرثوذكس، وهم يهود متدينون، يوجد أقلية صغيرة منهم خارج إسرائيل، وأقلية كبيرة داخلها .

فنحن أمام جماعات غير متجانسة، تفصل بعضها عن بعضها الآخر هوة الخلافات، وتتحدث عشرات اللغات واللهجات، وتقع ضمن تشكيلات اجتماعية وثقافية لا حصر لها، ابتداء من يهود الغرب المندمجين فى مجتمعاتهم الرأسمالية، ومروراً بيهود اليمن، وانتهاء بيهود الفلاشاة فى أثيوبيا .

وهذه الهوايات اليهودية المختلفة لا وجود لها خارج محيطها الحضارى، فإن فقد يهود الفلاشاة الأمهرية والجفرية والشعائر الدينية المختلفة التى استقوها من محيطهم الحضارى .. فإنهم يفقدون هويتهم التى يقال لها (يهودية) .

ويسرى الشىء نفسه على يهود الولايات المتحدة؛ فخصوصيتهم نابعة من انتمائهم إلى المجتمع الأمريكى، ولا يمكن تخيلهم خارج هذا المحيط الثقافى .

وهذا يعنى : أن هناك هويات يهودية مختلفة متعددة بتعدد المجتمعات الى تتواجد فيها هذه الهويات، لأن انفصالها النسبى لم يؤد بالضرورة إلى ترابط الواحدة مع الأخرى .

الهوية اليهودية فى ظل العلمنة

ويواصل الدكتور المسيرى رصده للهوية اليهودية فى واقعها، فيكشف أن يهود الغرب خضعوا –بعد القرن التاسع عشر– لعملية ضخمة من العلمنة والتحديث التى لا تتبنى أية معايير دينية، أو أخلاقية للحكم على الفرد؛ إذ لا تحكم على الفرد إلا على أساس كفاءته، ومدى نفعه، وتكيفه مع قيم المجتمعات، بحيث يصبح مواطناً يتوجه ولاؤه نحو الدولة، قادراً على البيع والشراء، والبحث عن اللذة، وتعظيم الإنتاج، والإشباع، والقتال حينما يطلب منه ذلك .

ولأن هذه المجتمعات الغربية التى يعيش فيها اليهود الجدد لا تهتم كثيراً بالدين لم تعد ترى فى اليهودى قاتل المسيح، أو عدوَّ الإله، فهى مجتمعات فقدت الاكتراث بالشعائر المسيحية، والإحساس بقيمة الأعياد المسيحية، باستثناء (الكريسماس) الذى فرغ من مضمونه الدينى، وأصبح مناسبة اجتماعية، وبدلاً من العقيدة المسيحية ظهرت مجموعة من العقائد العلمانية، مثل الوجودية، والماركسية، والنازية، والليبرالية، بل حتى الاستهلاكية يمكن أن يؤمن بها كل من يشاء .

فى هذا المجتمع العلمانى ظهرت الهوية

اليـهـودية الجـديدة، التى يطلق على أصحـابهـا (اليهود الجدد)؛ لتمييزهم عن يهود ما قبل القرن التاسع عشر.

وقـد ساهمت خـصـوصـيـة الولايات المتحـدة الأمريكيـة فى سرعة ظهور هـذه الهوية اليـهـودية الجديدة.

ولذلك... يمكن القـول : إن الهوية اليـهـودية الجـديدة هى ثمـرة التـفـاعل التلقائى واليـومى بين أعـضـاء الجـمـاعـات اليـهـودية ومـجـتـمـعـاتهم العلمـانيـة، والقـول: إن هذا التـفـاعل كـان ثمـرة التـخطيط الواعى لبـعض قـيـادات الجـمـاعـات اليـهـودية الفكرية الـذين أدركـوا ضـرورة تحـديـث الهوية اليهودية لتتفق مع الأوضاع الجديدة.

وقد كان مـتـصـوراً أن تحديث الـهوية الـيـهـودية هو السـبيل الـوحـيـد لاحـتـفـاظ الـيهـودى بيـهوديته الدينية أو القومية.

ولكن ما حدث كـان عكس المتوقع؛ إذ اندمج اليهود تماماً فى مجتمعاتهم. أما البعد اليهودى فى هويتهم فقد أصبح هامشياً للغاية، وتأكد أن الهوية اليهودية الجديدة هوية هشة رخوة، تنتمى إلى المظهـر والعشرة، لا إلى المخبر والجـوهر؛ فـهـذا اليـهـودى الجـديـد قد يذهـب إلى المعـبـد، ولـكنه يفعـل ذلك مرة أو مرتين فى السنة. أما الشـعـائر اليـومية والأسبـوعيـة والشهرية فقد اختفت، ولم يبـق سـوى بـعض الشـعـائر السنوية، ذات الطابع الاحـتـفـالى، والتى لا تتطلب أية عـمليـة ضـبط للذات، بل إن هـذه الشـعـائر الاحـتـفـاليـة لا تقـام باعتبارها شـعائر دينية، وإنما تقام باعتبارهـا حدثاً اجتماعياً.

وهذه اليــهــودية الجــديدة لم تـفـرغ الـهــوية اليهودية من حقيقتها الدينية فحسب، بل فرغتها كـذلك من مـضـمـونهـا الإثنى أو القـومى، حـتى إنهم نحـوَّ لغتـهم العـبرية عن الحـديـث، اللهم إلا بعض المفردات التى قد ترد فى ثنايا الحديث.

بل إن اليـهـود الجـدد لا يتـفـاعلون مع ثقـافـة إسـرائيل العـبـرية إلا باعـتـبـارها ثقـافـة أجنبـيـة، يربطهم بها اهتمام خاص.

وكـان من أبرز عـلامات تآكل الهـوية اليـهـودية وتهـميشها:

١ ـ تزايـد مـعـدلات الزواج المختلط؛ فلم يعـد اليهودى يتردد فى الزواج من غير يهودى.

٢ ـ الاندمـاج الاقـتـصـادى؛ فلـم يعـد اليـهـود يشكلون كتلة اقتصادية مستقلة داخل المجتمعات الغربية.

٣ ـ الاندمـاج الاجـتـمـاعى، فلم يعـد يـهـود الغرب الجـدد يعـيشـون فى جيتـوات) مقصـورة عليـهم، حـتى اعتبر الحراك الاجتماعى من أهم أسباب تشتت اليهـود الجدد وارتقائهم فى سلم المجتمع فى مراحل التعليم العالى.

ومن هنا.. يـلاحظ الـدكــتــور المســيــرى أن توجهات يهود العالم الغربى السياسية لا يختلف عن الأنماط السـياسية السـائدة فى المجتمع، حتى فى تأييدهم لإسرائيل وللصهيونية.

ويـلاحظ أن أزمـــة الـهـــوية، والإحـــســـاس بالاغتـراب قد أصـابا اليـهـود الجـدد، كـمـا أصابا المجتـمـعـات الغربيـة، فراحـوا يبـحـثـون ـفى دأب ـ عن هوية، حـتى إن المؤسـسـة الصـهـيـونيـة ـوقـد أدركت هذه الحاجة النفسية للأمريكيين اليهود ـ

تقوم بتعميق إحساسهم بالمخاطر -الحقيقية أو الوهمية- المحيطة بهم، والمؤامرات التي تحاك ضدهم، وتؤكد على الإبادة النازية (الهولوكوست) .

وكان ثمرة ذلك . . أن أصبح الشكل الأساسي للهوية المعلنة بين الأمريكيين اليهود، واليهود الجدد هو إعلان الانتماء الصهيوني بشكل متشنج .

ويلاحظ الدكتور المسيري أن هذا الانتماء الصهيوني يخبيء الكثير من التناقضات والمفارقات التي من أبرزها :

١ ـ أن أسطورة الصهيونية -في محاولة التكيف مع الواقع الأمريكي- قضت على نفسها؛ فإذا كانت إسرائيل هي حقاً البلد الأصلي، فإن هذا يعني : أنه البلد الذي هاجر المهاجر منه، لا البلد الذي يهاجر إليه .

٢ ـ أن هذا الانتماء الصهيوني السطحي يساعد على مزيد من الاندماج والانصهار، كما يصبح معه مضمون الحياة اليهودية الوحيد مقصوراً على دفع التبرعات إلى إسرائيل، وحضور المظاهرات التي ينصرف بعدها هذا اليهودي الجديد إلى بيته الوثير في الضاحية .

وبذلك . . . نستطيع أن نصف اليهود الجدد بأنهم مقلوب (المارانو) .

فإذا كان (المارانو) يبطنون اليهودية، ويظهرون أي دين آخر، فإن هؤلاء اليهود الجدد يظهرون اليهودية بطريقة صاخبة يسلكون بها شتى المسالك التي تعلن عن يهوديتهم، ولكنهم -في الوقت ذاته- يبطنون العلمانية الملحدة ويباشرون الاستهلاكية الأمريكية .

اليهودي غير اليهودي واليهودي الذي يدعي اليهودية

ويضيف الدكتور المسيري إلى تلك الإشكاليات المتراكمة والناشئة إشكالية أخرى تولد شخصية جديدة في ظلال الصهيونية، هي شخصية (اليهودي غير اليهودي) التي تمثلت في ذوي الأصل اليهودي الذين فقدوا إيمانهم بمنظومتهم اليهودية، وقد جعلوا همهم القضاء على ما تبقى من جيوب قومية يهودية؛ ليدمجوا اليهود في مجتمعاتهم .

ورغم العداء الشرس من هؤلاء لليهود واليهودية . . . ظلت الجماهير الشعبية تصنفهم على أنهم يهود، حتى إن الثورة البلشفية كانت تُدعى (الثورة اليهودية) .

فهؤلاء الذين تآكل انتماؤهم اليهودي يصنفون على أنهم يهود إما من قبل ذواتهم أو من قبل الآخرين؛ أي إن يهوديتهم إما ادعاء ليس له ما يسانده في السلوك والرؤية، وإما فرض ألصقه بهم الآخرون .

ولذلك . . . نرى الواحد منهم -عادة- لا يكترث بجوانب سلوكه أو شخصيته التي يسميها الآخرون (يهودية)، بل إنه ليحاول قدر استطاعته أن يبين أن يهوديته تلك هامشية .

ومن هنا . . . يمكن القول بأن كل الصهاينة (يهود غير يهود)؛ لأن المضمون اليهودي لحياة معظمهم يكاد يكون منعدماً، بل إنهم ليودون إلغاء الوجود اليهودي في العالم؛ ليحلوا محله نمطاً آخر يسمى (الإنسان العبري الجديد) .

وفى هذا الإطار الاندماجى ظهرت مقولة جديدة هى (يهودى بشكل ما) .

أما اليهودى غير اليهودى الذى يتباهى باليهودية فهو نمط تماماً عن ذلك، حيث يتباهى بانتمائه اليهودى، مع أن حياته وسلوكه وهويته خالية تماماً من أى مضمون يهودى. . . . دينى أو قومى .

ويلاحظ أن هذا النمط المدَّعى قد ساد وانتشر بعد وعد (بلفور) .

لقد كان التهود يعنى : الانضمام لأقلية لها طقوسها وشعائرها ووظائفها التى تعزلها عن المجتمع .

ولكن -بعد ظهور الصهيونية، وإقامة دولة إسرائيل- صار هذا المصطلح يشمل من يدعى اليهودية وليست له أية جذور يهودية، واليهودى غير اليهودى، واليهودى بشكل ما . . . حيث أعاد هؤلاء اكتشاف علاقتهم باليهودية؛ ليفيدوا من التسهيلات المادية، والعينية والمنح المالية التى قدمتها الحركة الصهيونية لمن يهاجر إلى إسرائيل .

فرأينا اليهود المتخفين من مواطنى السوفييت عادوا يؤكدون يهوديتهم . . . . بعد أن كانوا قد سجلوا أنهم غير يهود، وانضم إليهم أعداد كبيرة لم يكونوا يهوداً من قبل، ادعوا اليهودية . وحدث مثل ذلك فى (مكسيكوسيتى)، وفى أثيوبيا، فالفلاشاة ليسوا يهوداً بالمعنى الحاخامى .

وقد أخذت هذه الظاهرة شكلاً حاداً فى آسيا وأفريقيا، حيث بدأ أفراد بعض القبائل فى آسيا وأفريقيا يعلنون يهوديتهم .

ومن هنا . . . عرَّفت المحكمة الإسرائيلية العليا اليهودىَّ بأنه من يرى نفسه يهودياً . . . من كل ما خلق ورطة حقيقية للمستوطن الصهيونى، فتعالت الأصوات -ولأول مرة- مطالبة بإلغاء قانون العودة .

المعالجة الصهيونية لمشكلات الهوية

وذكر الدكتور المسيرى أن اضطرار اليهود فى الغرب إلى الاستجابة لمطالب الدولة القومية الحديثة بالتخلص من خصوصيتهم الدينية، والقومية، والعرقية، والتخلص من تمايزهم الوظيفى، والاقتصادى . . . اضطرارهم إلى هذا وذاك ألجأهم إلى اصطناع « اليهودية الإصلاحية » التى فصلت الهوية الدينية عن الهوية القومية، وعرفت اليهودية تعريفاً دينياً خالصاً . وماثلت (اليهودية الإصلاحية) فى ذلك، (اليهودية الأرثوذكسية) .

ومع تصاعد العلمنة اضطر هؤلاء وأولئك إلى التراجع عن البعد الدينى، وإعادة تعريف الهوية اليهودية على أساس قومى علمانى .

وما كان من يهود غرب أوروبا حدث مثله من يهود شرق أوروبا، ولكن تخلف أوروبا الشرقية كان وراء تأخرهم فى ذلك، ووراء اختلاف الهوية، حيث طرحت عدة تصورات للهوية اليهودية تستند إلى تجربة أعضاء الجماعات اليهودية هناك .

وإزاء تفاقم المشكلات الناجمة عن هذا التعدد المفتوح للهويات . . . حاول الصهيونيون العلمانيون إعادة تعريف الهوية اليهودية تعريفاً يؤكد الجانب القومى، ولا يعنى بالجانب الدينى

إلا بمقدار تعبيره عما يسمى (القومية اليهودية) .

ويرى الدكتور المسيرى أن الصهيونية فى أحد جوانبها تعد محاولة لإعادة تعريف اليهود، فهى محاولة مثل (اليهودية الإصلاحية) و(اليهودية الأرثوذكسية)، و(قومية الدياسبورا) .

فالصهيونيون يرون أن ثمة هوية قومية يهودية واحدة متميزة متجانسة تميز اليهود من سائر الأقوام والشعوب فى كل زمان ومكان .

١ ـ ومنهم من يرى أن هذه الهوية صادرة بفعل الضغوط الخارجية؛ فهى مجرد رد فعل لهجمات أعداء اليهود عليهم، أو بفعل الوضع الطبقى المتميز لهم فى المجتمع الغربى، فاليهودى -بتلك الرؤية- يكتسب هويته من الغير .

٢ ـ ولكن معظم الاتجاهات الصهيونية ترى أن الهوية اليهودية شىء نابع من مصدر آخر، هو حركيات، ما يسمى (التاريخ اليهودى) المرتبط بفلسطين .

وبناء على هذا يرى الصهيونيون أن هوية يهود المنفى المندمجين إن هى إلا انحراف عن مسار هذا التاريخ .

ويرون أن تطبيع اليهود يعنى منحهم هوية يهودية جديدة سوية، هى (اليهودى مائة بالمائة) .

ولكنهم -مع هذه الرؤية الموحدة- تشعبت بهم السبل، فظهرت عدة تصورات لمصدر يهودية هذا اليهودى الخالص، كان من أبرزها : التعريف العرقى، التعريف القومى أو التراثى والتعريف الدينى .

١ ـ أما العرقيون فيرون اليهود عنصراً عرقياً متميزاً، ولذلك فهم يرون أن التزاوج من الأجانب سيؤدى إلى تدهور العرق اليهودى، وأنه لا بد من تأسيس وطن قومى .

ولكن تم التخلى عن هذا التعريف تماماً فى هذه الأيام؛ استجابة لما اتجه إليه الغرب من رفض النظريات العرقية .

٢ ـ وأما القوميون فيرون أن اليهود جماعة مترابطة، ذات تاريخ مشترك، وأن ثمة روابط تراثية بين اليهود منذ أربعة آلاف سنة . ويرون أن ما حفظ وحدة اليهود هو الدين اليهودى، لا من حيث هو عقيدة، وإنما من حيث هو إطار رمزى .

٣ ـ والدينيون يرون أن هوية اليهود القومية مصدرها الدين؛ إذ لا يمكن التفرقة بين القومية اليهودية، والعقيدة اليهودية، فاليهود أمة مقدسة، وكيان منعزل غريب مقدس، يكتسب هويته من علاقته الخاصة مع الرب .

فمصدر الشرعية والقداسة -فى القول الصهيونى العلمانى- هو الشعب اليهودى ذاته، أما فى القول الدينى فإن مصدر الشرعية هو الحلول الإلهى فى هذا الشعب .

والتعريف السائد الآن -فى المستوطن اليهودى- هو التعريف الصهيونى اللادينى القومى بالدرجة الأولى . ويليه التعريف الصهيونى الدينى القومى .

ويلاحظ أن التعريف الدينى أخذ فى الانتشار منذ نهاية الستينيات، وأن الصراع بين التيارين يفجر قضية الهوية التى تفرض السؤال : من هو اليهودى؟

«يتبـــع»

الاقتصاد الإسرائيلى فى ظل انتفاضة الأقصى

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

يعانى الاقتصاد الإسرائيلى، فى معظم قطاعاته من أزمة اقتصادية طاحنة، منذ اندلاع انتفاضة الأقصى، التى أصابته بأضرار كبيرة، مازال يقاسى من آثارها حتى الآن خاصة قطاع السياحة الذى يعتمد عليه الكيان الصهيونى، اعتماداً أساسياً فى تمويل بنود ميزانيته العامة، فقد أدت الأخطار الأمنية للانتفاضة الوطنية للشعب الفلسطينى، سواء فى مناطق السلطة الفلسطينية، أو داخل إسرائيل، إلى انخفاض عدد السائحين إلى إسرائيل، وتباطؤ الحركة السياحية، وتدنى الدخل السياحى، بالإضافة إلى الاستغناء عن كثير من العاملين فى الفنادق، والمطاعم، والإرشاد السياحى، ومؤسسات النقل السياحى، ناهيك عن إلغاء العديد من الرحلات السياحية إلى إسرائيل بواسطة شركات السياحة فى الخارج.

ومن جهة أخرى، فإن هذه الأضرار لم تقتصر فقط على القطاع السياحى، بل امتدت آثارها أيضا، إلى قطاع الزراعة والبناء والإسكان، فأصابته فى الصميم حيث يمثل العمال الفلسطينيون ٢٥٪ من القوة العاملة فى هذا القطاع، وقد رفض هؤلاء العمال الذهاب إلى أعمالهم داخل إسرائيل، رافعين شعار عدم التعاون مع العمل العبرى، ومقاطعة شراء السلع الإسرائيلية، وترتب على هذا الوضع صعوبة تنفيذ مشروعات الزراعة والبناء، وتأخير الانتهاء من إتمام المشروعات القائمة فى هذا القطاع، ومن ثم ارتفعت أصوات إسرائيلية تطالب بالاستعانة بالعمالة الأجنبية لإنهاء هذه المشروعات المتأخرة. ومن اللافت للنظر أن الاستثمارات الأجنبية قد نالها نصيب من هذه الأضرار، إذ انخفضت معدلاتها فى إسرائيل، بسبب عزوف أصحاب رؤوس الأموال عن استثمارها فى الكيان الإسرائيلى نتيجة للأخطار الأمنية. وكما هو معلوم، اقتصادياً، أن رأس المال لا يمكنه أن يتجه إلا إلى مناطق مستقرة أمنياً وسياسياً، وبالتالى فقد حرمت انتفاضة الأقصى، الاقتصاد الإسرائيلى من الاستفادة من هذه الاستثمارات الأجنبية، وكان من نتيجته تدنى معدل النمو الاقتصادى فى إسرائيل، وارتفاع معدلات البطالة، وسيادة الركود الاقتصادى. لذلك فقد أبقى – خبراء الاقتصاد بشركة «ستاندرد فورس» المعنية بترتيب الدول، تبعاً لمستواها الاقتصادى – ترتيب الاقتصاد الإسرائيلى على ما هو عليه، غير أنهم هبطوا بطموحات ترتيبه من مستقر إلى سلبى. وهذا معناه فى نظر هؤلاء الخبراء أن إسرائيل ستواجه صعوبات شديدة فى الحصول على قروض، أو أى تسهيلات ائتمانية من الخارج، بالإضافة إلى ما تدفعه، فى مقابل ذلك، من مبالغ طائلة.

وفى إطار التخفيف من الآثار السلبية للانتفاضة على الاقتصاد الإسرائيلى، بذل رئيس الوزراء الإسرائيلى «أرئيل شارون» جهوداً مضنية حتى حصل على تأييد غالبية أعضاء الكنيست (البرلمان الاسرائيلى) لخطة طوارئ اقتصادية تشمل خفضاً للنفقات على البرامج الاجتماعية، بقيمة ٦ مليارات شيكل، وزيادة الضرائب ٣ مليارات شيكل. وسوف أتناول بالتفصيل – بعد هذه العجالة – بيان هذه التأثيرات التى أصابت أهم قطاعات الاقتصاد الإسرائيلى بأضرار فادحة نتيجة للانتفاضة الوطنية للشعب الفلسطينى، ففى القطاع السياحى، كانت إسرائيل تتوقع أن يصل عدد السائحين إلى ٣٫٢ مليون سائح فى نهاية عام ٢٠٠٠، ولكنها فوجئت بتراجع ملحوظ فى الحركة السياحية بنسبة ٥٠٪، وتوقف عدد السائحين عند ٢٫٦٩ مليون سائح، وهذا ما أكده تقرير بنك إسرائيل رقم ٩٥، فقد أشار إلى أن الانتفاضة الفلسطينية أضرت كثيراً بالاقتصاد الإسرائيلى، خاصة فى قطاع السياحة. وفى هذا السياق ذكرت وزارة السياحة الإسرائيلية أنه فى خلال الشهور الخمسة الأولى للانتفاضة «من أكتوبر إلى فبراير ٢٠٠١» شوهد تراجع فى عدد السائحين بنسبة ٤٤٪ قياساً بالفترة المقابلة عام ٢٠٠٠، وخسارة بلغت ٣ ملايين شيكل، واستغناء عن ١٢٠٠٠ عامل فى فرع الفنادق، ونحو ١٢٠٠٠ عامل فى فرع خدمات الضيافة والمأكل، وتشير الإحصاءات الصادرة عن وزارة السياحة أيضاً إلى أن انخفاضاً فى الطلب على الغرف فى فرع الفنادق بنسبة

٤,٥٥٪ قد لوحظ فى الربع الأول من عام ٢٠٠١ بالقياس بالفترة المقابلة من عام ٢٠٠٠، كما بلغ عدد ليالى المبيت فى الفنادق خلال نفس الفترة ١,١٩٤,٠٠٠ ليلة فى مقابل ٢,٦٧٣,٠٠٠ ليلة خلال الربع الأول من عام ٢٠٠٠. وإذا كانت السياحة، بصفة عامة، تعتمد على التنظيم المسبق والتخطيط طويل الأجل، فقد أثرت الانتفاضة سلبياً فى خطط الشركات السياحية الكبرى العاملة فى الخارج، والمعنية بتنظيم الرحلات إلى إسرائيل، وأصبح المسئولون عن تنظيم السياحة الوافدة إلى اسرائيل قلقين على مصير السياحة فى السنوات القادمة، لا سيما أن شركات التعهدات السياحية الكبرى، والمنظمات الدينية المسيحية فى الخارج، المسئولة عن تقرير وجهة السياح، هى التى تتولى وضع برامج الرحلات الخارجية مقدماً، ولعدة سنوات قادمة، وهذا ما أثار مخاوف إسرائيل على السياحة الوافدة إليها من الخارج، لذلك ترصد إدارة التسويق فى وزارة السياحة الإسرائيلية ما يعادل نحو ٤٥ مليون شيكل لدعم شركات التعهدات السياحية الخارجية لتتفادى بذلك احتمالات شطب إسرائيل من برامجها السياحية. أما فيما يتعلق بالوضع السياحى الحالى فى إسرائيل، فيشير مكتب الاحصاءات المركزى الإسرائيلى فى أحد تقاريره أنه قد حدث تراجع فى عدد السائحين الذين زاروا إسرائيل فى الشهور السبعة الأولى من عام ٢٠٠٢ بنسبة ٤١٪ بالقياس بالفترة نفسها من عام ٢٠٠١، وأن عدد السائحين الذين وصلوا إلى إسرائيل فى الفترة من يناير إلى يوليو ٢٠٠٢ بلغ حوالى ٤٧٣ ألف سائح مقابل ٨٠٧ آلاف سائح بالقياس بنفس الفترة من عام ٢٠٠١، وأن ٧٣٢٥ سائحاً فقط قاموا بزيارة إسرائيل فى شهر يوليو ٢٠٠٢ مقابل ١٣ ألف سائح خلال الشهر نفسه من عام ٢٠٠١. ويذكر التقرير أيضا أنه فى حالة استمرار هذا المعدل فى الفترة المتبقية من عام ٢٠٠٢، فستصبح السياحة فى أدنى مستوياتها.

ومن الثابت أيضا فى هذه الاحصاءات الإسرائيلية حدوث تراجع فى دخل السياحة الإسرائيلية من ٤ مليارات دولار إلى ٢ مليار دولار، واحتمال الاستغناء عن ٧٠ ألف عامل فى قطاع الفنادق والمطاعم والإرشاد السياحى. أما فيما يتعلق بقطاع الزراعة والبناء والإسكان، فإنه فى أواخر مارس ٢٠٠١ قام رئيس اتحاد منظمات المزارعين فى إسرائيل بتقدير الأضرار التى لحقت بقطاع الزراعة بسبب نقص العمالة الفلسطينية فى هذا القطاع، منذ اندلاع الانتفاضة، فبلغت نحو ١٥٠ مليون شيكل، ولذلك طلب رئيس الاتحاد من رئيس الوزراء «شارون» جلب ٢٠٠٠ عامل زراعى من تايلاند بدلاً من العمال الفلسطينيين الذين رفضوا العمل فى القطاع الزراعى فى إسرائيل. وفى قطاع البناء والإسكان نجد أن العمالة الفلسطينية تشكل حوالى ٢٥٪ من قوة العمل فى هذا القطاع. ومع امتناع العمال الفلسطينيين – بسبب الانتفاضة – عن التعاون مع مسئولى البناء والإسكان، طلب المدير العام لاتحاد المقاولين الإسرائيلى من وزارة العمل التصريح لحوالى ١٤٠٠٠ عامل أجنبى ليحلُّوا محل العمالة الفلسطينية الرافضة، معللاً طلبه بقوله: «أن الوضع الأمنى الحالى يترك قطاع البناء بلا عمل، وثمة ضرورة ملحة تستدعى استقدام ١٤٠٠٠ عامل أجنبى إضافى خشية تعرض قطاع البناء، والبنى التحتية للتوقف محلياً

خلال الفترة القادمة » . وجدير بالذكر أن الطلب على المساكن، قد أضير، أيضا، بسبب حالة عدم اليقين الأمنى، إذ أن الأفراد الذين، كان من المقرر، أنهم يخططون لشراء مسكن فى مناطق، تفاقم فيها الخطر الأمنى فجأة، بسبب الانتفاضة، فضَّلُوا تأجيل الشراء إلى حين استقرار الأوضاع الأمنية .

كما تأثر الطلب على المساكن أيضاً بسبب انخفاض الهجرة اليهودية الوافدة إلى إسرائيل لدواع أمنية، فقد بلغ عدد المهاجرين اليهود إلى إسرائيل – منذ بداية عام ٢٠٠١ وحتى يوليو من نفس العام – ٢٤٠٠٠ مهاجر يهودى فى مقابل ٣٢٠٠٠ مهاجر يهودى عام ٢٠٠٠ خلال نفس الفترة . كما تراجع النشاط فى مجال البناء والإسكان بنسبة ١٠٪ فى عدد الصفقات التى عقدت لشراء مساكن خلال الشهور السبعة الأولى من عام ٢٠٠١، قياساً بنفس الفترة من عام ٢٠٠٠ . ومن اللافت للانتباه أنه منذ أكتوبر ٢٠٠٠ وفى بداية انتفاضة الأقصى، تم إغلاق ما لا يقل عن ٢٥ فندقاً فى إسرائيل، عشرة منها فى مدينة الناصرة وحدها، بالإضافة إلى حالة الجمود التى أصابت سوق العقارات فى المناطق الخلفية من تل أبيب حيث تتمركز صناعة التكنولوجيا المتطورة .

وفى القدس، قيل أنه شوهدت الشقق السكنية الواقعة على منحدرات التلال المطلة على مسرح المواجهات مع الفلسطينيين، خالية تماماً من ساكنيها .

ولا يفوتنى الإشارة إلى أن تأثير الانتفاضة، امتد أيضاً إلى المستعمرات اليهودية، وهذا ما ذكره « دانييل بن سيمون » فى مقاله بجريدة « هآرتس » الاسرائيلية فى ٢ / ٣ / ٢٠٠١ بقوله : « إن أول حى سكنى فى مستعمرة « هارجوما » شمالى بيت لحم بالقرب من حى « جيلو » الاستيطانى، الذى يشمل على أكثر من ٢٠٠٠ وحدة سكنية، لا يلاقى إقبالاً من المستوطنين بسبب الأخطار الأمنية » .

وهذا يُبيِّن بوضوح الرعب الذى يسيطر على المستوطنين اليهود ويجعلهم لا يقبلون السكن فى هذه المستوطنات التى تعانى من الأخطار الأمنية بسبب الانتفاضة الباسلة للشعب الفلسطينى . أما فيما يتصل بالاستثمارات الأجنبية فى إسرائيل فيشير الخبراء الاقتصاديون فى « دائرة العملة الصعبة » فى بنك إسرائيل إلى أن انتفاضة الأقصى قد أضرت كثيراً بتدفق الاستثمارات الأجنبية إلى إسرائيل إذ بلغ إجمالى هذه الاستثمارات فى إسرائيل ١,٦ مليار دولار خلال الربع الأخير من عام ٢٠٠٠ مقابل ٣,٣٧ مليار دولار خلال الأرباع الثلاثة الأولى من نفس العام، وتخشى الدوائر الاقتصادية الإسرائيلية أن تصل الأزمة إلى قطاع التكنولوجيا المتطورة الذى يشكل المحور الرئيسى فى الازدهار الاقتصادى الذى حققه الاقتصاد الإسرائيلى خلال السنوات الإثنى عشرة الماضية . وفى هذا السياق، جاء تصريح مدير « دائرة العملة الصعبة » فى بنك إسرائيل بقوله : « إذا تفاقمت الحوادث الأمنية، فمن المتوقع أن يصاب القطاع المالى بضرر بليغ، يتمثل فى تراجع تدفق رؤوس الأموال لفرع التكنولوجيا المتطورة، قد ينجم عنه ضغوط على سوق العملة الصعبة، وسوق الأسهم، وانخفاض فى سعر صرف الشيكل » . ومن جهة أخرى يُجْمِع رجال الاقتصاد فى إسرائيل على أنه إذا استمرت الانتفاضة الفلسطينية، وما يصاحبها من تدهور أمنى، قد يلجأ المستثمر الأجنبى إلى

إعادة استثمار أمواله خارج إسرئيل. ومن هذا المنطلق تأتى الخطورة، إذ سيرتفع الطلب على العملة الصعبة، وسيرتفع سعرها، ويترتب، تبعاً لذلك، انخفاض سعر الشيكل، وحدوث موجات تضخمية متزايدة، وتصفية الاحتياطى الاسرائيلى من العملات الصعبة، بما يؤدى إلى ارتفاع فى أسعار العملات الصعبة ارتفاعاً شديداً، وهذا ما يخيف الدوائر الاقتصادية فى إسرائيل، ويقلقها كثيراً.

وأخيراً لن يتبقى سوى قطاع الصناعة الذى لم يفلت أيضاً من آثار الانتفاضة، إذ تشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى أنه خلال الشهور الخمسة الأولى منها هبطت مبيعات الصناعة الإسرائيلية بنسبة تتراوح بين ٣٠٪ – ٥٠٪، أى ما يعادل ٣٠٠–٥٠٠ مليون شيكل. ويذكر رئيس الشعبة الاقتصادية فى اتحاد الصناعيين «أن نسبة التراجع فى النمو الصناعى بلغت ٣ر٤٪ خلال الربع الأخير من عام ٢٠٠٠، وأنه فُصِل ٤٥٠٠ عامل بنسبة ١ر١٪ من العاملين فى الصناعة». ومن ناحية أخرى يصف المعلق الاقتصادى الإسرائيلى «إبراهام طال» الوضع الاقتصادى المتردى لاسرائيل، وذلك بجريدة «هآرتس» الإسرائيلية بتاريخ ٥/٣/٢٠٠١، فيقول: «إن أكتوبر ونوفمبر، أول شهرين من الانتفاضة شهد انحساراً فى النشاط الاقتصادى، يمكن وصفه بالانهيار».

وليس بعد ذلك من شهادة صريحة من جانب أحد المعلقين الاقتصاديين اليهود، بمدى الانهيار الذى أصاب الاقتصاد الإسرائيلى، من جراء انتفاضة الأقصى. ومن الأهمية بمكان أن نلفت الانتباه إلى أنه كان للانتفاضة أيضاً تأثيراتها السلبية على «المناطق الصناعية الحدودية» التى تقع على الحدود بين إسرائيل ومناطق السلطة الفلسطينية، لكن قسماً منها يقع فى عمق المناطق الفلسطينية مثل «عطروت»، شمالى القدس، و«برقان» فى منطقة نابلس، و«إيريز»، و«دكرنى» على حدود غزة، و«نفيه كاليم» داخل قطاع غزة. وجدير بالذكر أن هذه المناطق الصناعية أنشئت فى الأراضى العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧، وقامت سلطات الاحتلال الإسرائيلى بتوسيعها عقب اتفاق أوسلو ١٩٩٣. وترتكز هذه المناطق الصناعية على عنصرين رئيسيين: الأول استثمارات إسرائيلية، والثانى عمالة فلسطينية. ومن الملاحظ أن منطقة «عطروت» الصناعية تضم ٢٠٠ مصنع، وتستخدم ٤٠٠٠ عامل، وقد تعرضت لخسارة توازى ٣٠٠ مليون شيكل، منذ بداية الانتفاضة، بالاضافة إلى انخفاض مبيعاتها بنسبة ٥٠٪، وفوق ذلك توقف ما يزيد على ٥٠٪ من العمالة الفلسطينية المستخدمة عن العمل، وتأجيل تنفيذ استثمارات فى هذه المنطقة بما يعادل ١٢٠ مليون شيكل، كانت مخصصة لإنشاء عدة مصانع جديدة، وتوسيع مناطق قائمة، وذلك لدواع أمنية.

وفى الختام يمكن القول أن الانتفاضة الوطنية للشعب الفلسطينى أثرت سلباً على الاقتصاد الإسرائيلى، وأوقعته فى أزمة اقتصادية حادة، يحاول خبراء الاقتصاد الإسرائيليون الخروج منها، وهذا ما أكده «دكتور ديفيد كلاين» محافظ بنك إسرائيل فى محاضرته أمام مؤتمر «قيسارية» الاقتصادى عندما ذكر أن الوضع الأمنى كان سبباً فى الأزمة الاقتصادية التى تعانى منها إسرائيل الآن.

بعد النكبة

للشاعر العراقى الكبير الأستاذ محمد بهجة الأثرى(*)

يَا أُبَاةَ الضَّيْمِ مِنْ مُضَرِ ... هَلْ لَكُمْ فِى الأَرْضِ مِنْ خَبَرِ(١)
آيَةً وَلَّى الزَّمَانُ بِكُمْ ... بَيْنَ سَمْعِ الأَرْضِ والْبَصَرِ؟(٢)
غَابَ عَنْ سَمْعِى زَئِيرُكُمُ ... حِينَ نَابَ الْعَزْفُ بِالْوَتَرِ

***

كَيْفَ يُدْنِى نُجْحَهُ وَطَنٌ ... مَالَهُ فِى الْمَجْدِ مِنْ وَطَرِ؟(٣)
حَظُّ رُوَّادِ الْعَلاءِ لَهُ ... حَظُّ مَغْبُونٍ مِنَ الْبَشَرِ(٤)
وَطَنٌ بَاتَتْ مَغَارِمُهُ ... نَهْبَ أَوْشَابٍ مِنَ الزُّمَرِ(٥)
لَعِبَتْ أَيْدِى الطُّغَاهِ بِهِ ... لَعِبَ الصِّبْيَانِ بِالأُكَرِ(٦)
وَعَثَتْ فِى النَّاسِ مُفْسِدَةً ... سَادَةَ الْبَادِينَ وَالْحَضَرِ
وَكَأَنَّ النَّاسَ فِى عَمَهٍ ... مِن ضَلالِ النَّفْسِ مُعْتَكِرِ(٧)
كُلُّ مَنْ تَلْقَاهُ مُنْتَبِذٌ ... عَنْ مَجَالِ الْجِدِّ وَالْخَطَرِ(٨)
يُؤْثِرُ السَّفْسَافَ مَعْجَزَةً ... وَيُجَافِى طَيِّبَ السِّيَرِ(٩)

(*) الشيخ بهجة الأثرى من رجالات العراق وعضو المجامع العربية فى القاهرة ودمشق وبغداد.

(١) مضر: والد العرب.

(٢) آيَة: فى أى مكان.

(٣) يدنى: يقرب، وطر: مأرب.

(٤) مغبون: منحوس.

(٥) أو شاب: أخلاط، الزمر: الجماعات.

(٦) الأكر: جمع أكرة، وهى الكرة.

(٧) عمه: ضلال، معتكر: مظلم.

(٨) منتبذ: بعيد.

(٩) السفساف: التافه الحقير، معجزة: ضعف.

فإذا زُيِّنَتْ مَكْرُمَةٌ مَالَتِ الأعْنَاقُ مِنْ ضَجَرِ
وإذا جَاهَدَتْ مُنْكَرَةٌ جَاءَكَ الْمَكْرُوهُ كَالْمَطَرِ
عَادَ مَذْمُوماً، بِلا نَظَرٍ، كُلُّ مَحْمُودٍ مِنَ الفِكَرِ![10]

***

أَيُّهَا اللاَّهُونَ فِى وَطَنٍ وَطَنِ العَادِينَ بالْغِيَرِ[11]
هَلْ أَمِنْتُمْ بَغْيَهُمْ سَفَهاً وَهُمُ مِنْكُمْ مَدَى النَّظَرِ؟[12]
جَدُّهُمْ جَدٌّ وجَدُّكُمُ هَزْلُ مُجَّانٍ مِنَ الغُثَرِ[13]
فِى (فِلَسْطِينٍ) لَكُمْ عِبَرٌ لو أَفَدْتُمْ حَظَّ مُعْتَبِرِ[14]
قَطَعُوهَا، وهْىَ آمِنَةٌ مِثْلَ قَطْعِ الشَّاةِ بالشُّفَرِ[15]
رِيعَ أَهْلُوهَا، فَمَا انْتَصَرُوا بَلْ لَقَدْ أُوذُوا بِمُنْتَصِرِ[16]
رُبَّ مَنْ أَبْدَى حِمَايَتَهَا شُقِيَتْ مِنْهُ بِذِى خَوَرِ[17]
خَاذِلٌ فِى زِىِّ مُنْتَصِرٍ عَاجِزٌ فِى ثَوْبِ مُقْتَدِرِ[18]
أَيْنَ أَهْلُوهَا.. غَدَوْا بِدَداً مَا لَهُمْ فِى الأَرْضِ مِنْ وَزَرِ[19]
يَالأَعْرَاضٍ بِهَا هُتِكَتْ لَمْ تَجِدْ عَوْناً عَلَى الخَفَرِ[20]
يَالأَرْوَاحٍ بِهَا قُتِلَتْ لَمْ تَجِدْ رِكْزاً لِمُزْدَجِرِ[21]
أَدْهَقُوا الكَاسَاتِ واصْطَبَحُوا طَابَتِ الدُّنْيَا لِذِى الأَشَرِ[22]
يَمْرَحُ الغَاوُونَ مِنْ طَرَبٍ مَرَحَ الغَادَاتِ فِى الحِبَرِ[23]

---

(١٠) بلا نظر: بلا عقل ورأى.
(١١) الغير: النوائب.
(١٢) بغيهم: اعتداؤهم.
(١٣) الغثر: الرعاع.
(١٤) عبر: عظات.
(١٥) الشفرة: حد السكين.
(١٦) ريع: فزع، المنتصر: من دعوته للنصرة.
(١٧) خور: ضعف.
(١٨) زى: هيئة.
(١٩) بددأ: متفرقين، وزر: ملجأ.
(٢٠) خفر: حياء.
(٢١) ركزاً: صوتاً.
(٢٢) أدهقوا: ملئوا، اصطحبوا: شربوا الخمر فى الصباح، الأشر: البطر.
(٢٣) الحبر: ملابس الحرير.

مَاعَلَيْهِمْ إنْ هُمُ نَعِمُوا ... أنْ يَعِيثَ الذِّئْبُ فى الحُمُرِ[٢٤]

***

قُلْ لمَغْرُورِينَ قَدْ سَفِهُوا ... أنْفُساً نَامَتْ عَنِ العِبَرِ[٢٥]

غَدُكُمْ.. سَاعٍ عَلَى قَدَمٍ ... وغَدٌ.. أدْنَى لمُنْتَظِرِ[٢٦]

إنَّ مَن أجْلَوْا عُمُومَتكُمْ ... حَاضِرُو العُدْوانِ والضَّرَرِ[٢٧]

وَلَقَدْ شَادُوا قِلاعَهُمْ ... فِى تُخُومِ البِيدِ والمَدَرِ[٢٨]

وأعَدُّوا مِنْ فَوَاقِرِهِمْ ... كلَّ مَاضِى الحدِّ كالقَدَرِ[٢٩]

فِى جُنُودٍ لا عِدادَ لهَا ... ولَظًى تَطْغَى على سَقَرِ[٣٠]

وَوراءَ النَّارِ أفْئِدَةٌ ... تَغْتَلِى بالحِقْدِ والشَّرَرِ[٣١]

وأرَاكُمْ فِى بُلَهْنِيَةٍ ... مِنْ لَذَاذَاتٍ ومِنْ سَمَرِ[٣٢]

مَالَكُمْ فى النَّاسِ واقِيَةٌ ... غَيْرَ ألْقَابٍ لمُفْتَخِرِ[٣٣]

رُقْيَةٌ مِنْ كلِّ نَازِلَةٍ ... عَوْذَةٌ تَنْفِى أذَى النَّظَرِ[٣٤]

عَلَّقُوهَا فى مَوَاطِنِكُمْ ... يَنْهَزِمْ بَاغٍ ويَنْدَحِرِ![٣٥]

فِيمَ إعْدَادُ القُوَى لغَدٍ؟ ... حَسْبُكَم شُرْبٌ عَلَى الطَّرَرِ![٣٦]

رُبَّ جَامٍ فِى تَلَهُّبِهِ ... بالطِّلا يَحْكِى سَنَا الدُّرَرِ[٣٧]

بَاتَ مَشْرُوباً عَلَى قَمَرٍ ... حُسْنُهُ يُزْرِى عَلَى (القَمَرِ)[٣٨]

كَذَبَتْ أوْهَامُ عَيْشِكُمُ ... كُلُّكُمْ غَادٍ عَلَى الخَطَرِ[٣٩]

---

(٢٤) يعيث: يفسد ويقتل.

(٢٥) العبر: العظات.

(٢٦) أدنى: أقرب.

(٢٧) عمومتكم: أقاربكم الأدنون.

(٢٨) المدر: الحواضر.

(٢٩) فواقرهم: دواهيهم، ماض: قاطع.

(٣٠) سقر: جهنم.

(٣١) الشرر: لهيب البغضاء.

(٣٢) بلهنية: نعيم.

(٣٣) واقية: مانعة.

(٣٤) عوذة: تعويذة لمنع الحسد.

(٣٥) الضمير يعود إلى الرقية والتعويذة.

(٣٦) الطرر: يريد الوجوه الحسان.

(٣٧) جام: كأس، الطلا: الخمر.

(٣٨) قمر: حسناء جميلة.

(٣٩) الخطر: الشر العظيم.

يَشْحَذُ «الجَزَّارُ» شَفْرَتَهُ ... وتَنَامُ الشَّاءُ فِى غَرَرٍ(٤٠)
غَافِلاتٍ فِى حَظَائِرِهَا ... والرَّدَى دَانٍ مَعَ السَّحَرِ(٤١)

***

يُوقِظُ السَّاهِينَ مِنْ سِنَةٍ ... صَائِحُ الأَيَّامِ بِالنُّذُرِ(٤٢)
وأَرَاكُمْ لا يُنَبِّهُكُمْ ... صُورُ (إِسْرَافِيلَ) مِنْ خَدَرِ(٤٣)
كُلَّمَا زِيدَ الهُتَافُ بِكُم ... زَادَ فِيكُمْ عُنْصُرُ الحَجَرِ(٤٤)
(لِلْيَهُودِ) الْيَوْمَ ذِلَّتُكُمْ ... وغَداً لا شَكَّ (لِلنَّوَرِ)!(٤٥)
خَبِّرُونِى.. أَيْنَ حِسُّكُمُ ... لأَزِيدَ الْوَخْزَ بِالإِبَرِ؟
شَكَّكَتْ نَفْسِى مَهَانَتُكُمْ ... إِنَّكُمْ يَا قَوْمُ مِنْ مُضَرِ!(٤٦)

***

كَيْفَ تَحْيَا أُمَّةٌ وَدَعَتْ ... فِى زَمَانٍ صَالَ كَالنَّمِرِ؟!(٤٧)
تَحْمِلُ الرَّيْحَانَ فِى يَدِهَا ... وهْوَ دَامِى النَّابِ والظُّفُرِ!(٤٨)
وتَرُودُ السِّلْمَ فِى أُمَمٍ ... تَتَحَرَّى مَقْتَلَ الأُخَرِ(٤٩)
وَيْحَهَا..! مَاذَا يُرَاوِدُهَا ... مِنْ خَيَالاتٍ ومِنْ سَدَرِ؟(٥٠)
أَتُرَاهَا غَابَ مِنْ خَدَرٍ ... وَعْيُهَا؟ أَمْ نَامَ مِنْ سَكَرٍ؟
أَمْ غَرَتْهَا فِى تَخَبُّطِهَا ... ظُلْمَةٌ غَطَّتْ عَلَى البَصَرِ؟
ذَاكَ – واللهِ – الغَبَاءُ.. إِذَا ... لَمْ يَكُنْ أَفْعَالَ مُنْتَحِرِ!

---

(٤٠) الشفرة: حدّ المدْية، غرر: غفلة.
(٤١) دان: قريب آت.
(٤٢) سنة: نوم.
(٤٣) صور: بوق، خدر: سكر.
(٤٤) الهتاف: النداء، عنصر الحجر: يريد عدم الإحساس.
(٤٥) النور: الغجر.
(٤٦) مهانتكم: ذلتكم.
(٤٧) ودعت: استكانت.
(٤٨) دامى الناب: يخبىء الخطر ويستره.
(٤٩) ترود: تطلب، تتحرى: تبتغى.
(٥٠) سدر: غفلة.

خطبة الجمعة

الإسلام والتفرقة العنصرية

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله عز وجل، أوضح الحق وحث عليه:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(1)

أشهد أن لا إله إلا الله، يميز الخبيث من الطيب، ويفرق بين الضلال والهدى:

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾(2).

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، ثبت دعائم اليقين والإيمان، وأقام دعوة العدالة والإنصاف، فعليه صلوات ربه وسلامه، وعلى آله القائمين بالحق، وأصحابه الناطقين بالصدق، وأتباعه الهادين للخلق:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(3).

من الأمور الواضحة أن مبادىء الإسلام بحاجة إلى نشر بين أهله وغير أهله، بينما تنتشر في أرجاء العالم دعايات كثيرة مختلفة تجند لها الجنود، وتحشد من أجلها الحشود؛ وهناك الآن فرصة مواتية للإعلان عن عظمة الإسلام، وهي فرصة ما نسمعه ونطالعه من أخبار عن

---

(1) ال عمران (104). (2) الأنعام (104).

(3) فصلت (33).

الحوادث الدامية المخجلة التى تقع فى أمريكا وأوربا ومستعمراتها بسبب التفرقة العنصرية بين البيض والسود، ففى القارتين الكبيرتين اللتين طال منهما الحديث عن الحرية والإخاء والمساواة، واللتين امتد منهما الادعاء بأنهما حاميتان للعدالة والإنسانية والحقوق البشرية والأخوة العالمية، تقع أحداث مخزية، لا محرك لها سوى أن الرجل الأبيض الذى يدعى أنه مؤدب ومهذب ومثقف، يضيق بلون الرجل الأسود، مهما كانت درجة ثقافته، فهو من أجل هذا يريد القضاء على مئة وخمسين مليوناً من السود فى الأرض، لا لعيب فيهم، ولا لذنب جنوه، سوى أن البارئ المقتدر خلقهم بلون أسمر لا بلون أبيض.

فالبيض فى الغرب يطردون السود من الجامعات والفنادق والمطاعم. ويركلونهم فى الشوارع بالأقدام، ويطعنونهم بالمدى والخناجر، ويحرمونهم حقوقهم الطبيعية الأساسية التى جعلها الخالق العظيم حقاً مشاعاً لكل إنسان، وهم يضطهدونهم حتى فى العبادة، فالسود محرومون من الدخول إلى كنائس البيض، كأن للبيض رباً ودينا عندهم، وللسود رباً وديناً، فأين هذا من هدى الإسلام العظيم الذى يقرر أن الرب واحد، وأن الرسول واحد، والكتاب واحد، والمسجد واحد، والخادم الفقير يقف بجوار أكبر فرد فى الأمة أثناء الصلاة، ويسير إلى جواره كتفاً بكتف أثناء الطواف حول الكعبة، وأثناء السعى بين الصفا والمروة، وفى غير ذلك من العبادات؟!

وتصل بهؤلاء شناعة التفرقة العنصرية إلى التمييز بين البيض والسود حتى فى القانون والعقاب، فهذا رجل أسود يسرق دولارين فيحكم عليه البيض بالإعدام جزاء لهذه السرقة، ونحن لسنا من أنصار السلب والنهب، ولكننا من أنصار العدالة والحياء، وهذا الحكم لا عدالة فيه، لأن قانونهم العام نفسه لا يقضى به، وليس فيه رائحة حياء، لأنه يوجد فى الغرب مئات آلاف سرقوا الملايين ولم يلاقوا الجزاء، ونهبوا الأمم وأزهقوا أرواح الشعوب وما زالوا طلقاء، ولقد دخل الرجل الأبيض أفريقيا فحمل إليها الذل والهوان، ونشر فيها تجارة الرقيق، ونهب من خيراتها ما نهب، وسلب من أجلها ما سلب، ثم بقى سالماً، وزاد فتبجح وزعم أنه حمل إلى أفريقيا المدنية والنور.

إنها نكبة يتطلب أهلها النجدة، وإنه سرطان خبيث يتفشى ويحتاج إلى الدواء والعلاج، وإنه بلاء يصيب الإنسانية فى صميمها، فتتطلع ذات اليمين وذات الشمال باحثة عمن يعيد إليها إيمانها بنفسها، وثقتها بدينها، واستقامتها على طريق ينقذها من هذا البلاء.. وهنا تتهيأ الفرصة لأبناء الإسلام كى يبشروا به، ويدلوا الناس عليه، لينعموا بما شرعه من حرية وعدالة وإنصاف. ولن تكون فائدة هذا الخير مقصورة على المجال

الدينى وحده، بل سيفيدنا أعظم الفوائد فى المجالات القومية والوطنية، لأن الإسلام له تاريخه الطويل العاطر بمفاخر أجدادنا، فكأننا سننشر جوانب من مآثرنا وصفحات من ماضينا، ولأن الإسلام قارورة دواء ومضخة إطفاء، فمن اهتدى إليه على أيدينا من الحائرين فى الغرب سيعتبرنا مرشدين له هادين إياه إلى صراط المستقيم والنور المبين.

إن الإسلام حينما يعرفه أولئك الملونون الأشقياء باضطهاد البيض ويعرفون ما يدعو إليه من أخوة وتسامح ومساواة بين الناس سيكون أقوى جاذب لهم إلى رحابه وكتابه، فإن القرآن المجيد يضع قاعدة الأخوة الإنسانية الراسخة حين يهتف بالبشر جميعاً فيقول لهم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾(٤).

كما يضع القاعدة الصريحة فى التفضيل بين الناس، فلا يجعلها قائمة على اللون أو المال أو النسب، بل يجعلها قائمة على الاستقامة والعمل الصالح فيقول:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(٥).

ويقول:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾(٦).

ولقد قال أحد الذين يدعون الانتساب إلى الأشراف لرجل آخر: لعلك تتزوج بشريفة. فقال الرجل: قد فعلت. قال المدعى للشرف: ممن؟ قال: من الذين قال اللّه فيهم:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾

وهذا أبو لهب القرشى الغنى المقتدر بين أهله يأتى إلى رسول اللّه ﷺ وهو الذى أرسله ربه للناس جميعاً، وجعله رحمة للعالمين، يأتيه أبو لهب مزهواً بحسبه وجنسه وماله ومكانته فيقول: ماذا أُعطى إن آمنت بك يا محمد؟ فيجيب الرسول فى هدوء: «كما يعطى المسلمون». فيقول أبو لهب مستنكراً هذه المساواة: أما لى عليهم فضل؟ فيجيبه: «وأى شئ تبغى؟» فضاق أبو لهب بهذا الدين السمح الكريم، الذى يسوى بين الحر والعبد، والأبيض والأسود، والغنى والفقير، وعبر أبو لهب عن ضيقه وفجوره بقوله الأثيم: تبا لهذا من دين أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فكان الرد على ذلك التبجح أن نزل القرآن يقول:

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾(٧).

---

(٤) النساء (١).
(٥) الحجرات (١٣).
(٦) البينة (٧).
(٧) المسد.

ولم يفد أبا لهب شئ، لم يفده قومه ولا حسبه ولا ماله، لأن الأسباب أمام الإسلام تتقطع، والأحساب تضيع، ولا يبقى إلا سبب الإيمان وحسب اليقين.

ولقد سمع نبى الإسلام رجلا يقول يا ابن السوداء. فغضب محمد غضبته وقال: «طف الصاع (أى طفح الكيل) أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح» فهل يسمع هذا الذين وقعوا وثيقة حقوق الإنسان من سنوات؟

وهذا تاريخ الإسلام يزدان بسير الأقطاب الأعلام الذين كان لونهم أسود ولكنهم بأخوة الإسلام مع كفاحهم العظيم بلغوا أرفع الدرجات بين الناس وهذا مثلا عطاء بن أبى رباح سيد التابعين علماً وعملاً، وفقيه مكة والحرم، وخليفة ابن عباس فى الإفتاء والذى كان يقال لأهل مكة عنه: كيف كان عطاء ابن أبى رباح فيكم! فيجيبون: كان مثل العافية التى لا يعرف فضلها حتى تفقد. وكان عطاء هذا أسود أعور أفطس أشل أعرج، ثم كف بصره، وكانت أمه سوداء تسمى «بركة»!

وهذا عمر بن عبدالعزيز يعرف أخوة الإسلام ويطبقها، فيأذن لزياد بن أبى زياد العبد الأسود الصالح، يأذن له والأمويون ببابه ينتظرون الدخول عليه، حتى يضج من ذلك هشام بن عبدالملك، فيقول غاضباً: أما رضى ابن عبدالعزيز أن يصنع ما يصنع، حتى أذن لعبد ابن عباس أن يتخطى رقابنا؟. وكان عمر يطلب من هذا الأسود أن يعظه وينصحه، وذات مرة نصحه زياد فقال له فيما قال وهو يذكره بتبعة الأمة فى عنقه: والله يا أمير المؤمنين ما هناك أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك أمام الله - تعالى - فبكى عمر بكاء شديداً، حتى تمنى أنه لم يكن قال له ذلك.

هذا هو الإسلام، وهذا تاريخ أبنائه، فإذا أردنا عز الدنيا ونعيم العقبى فلنستمسك بالعروة الوثقى: عروة الله، ولندع إليها عباد الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعاً إلى سواء السبيل، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

***

﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

يعد باب الفتوى من الأبواب الثابتة والضرورية فى «مجلة الأزهر» وتحت ظروف قاهرة حُجبَ عن الظهور فترة وجيزة إلا أن قراء المجلة لم يحتملوا ظهورها من غير باب الفتوى، وكتبوا إلى المجلة يسألون عنه، ويلحون فى طلبه، واستطاعت المجلة بعون الله أن تُرضى قراءها الأعزاء، وأن تحافظ على مستواها الرفيع، فتوجهت إلى فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب مفتى الجمهورية أن يتولى فضيلته إجابة السائلين، فقبل فضيلته مشكوراً، وإدارة المجلة ترى أن هذا من توفيق الله تعالى لها، ونحن إذ نحمد الله تعالى، ونشكر فضيلته على قبوله الكريم نزجى إلى القراء أننا توافقنا مع فضيلته على مشاركة أكبر تسعد القراء، وتثرى المجلة بفكر ملتزم مستنير.

(مجلة الأزهر)

حكم ختام الصلاة جهرا

■ **السؤال من السيد / م. ن. ع بالمحلة الكبرى:**

ما حكم الشرع فى ختام الصلاة جهراً؟

●● **الجواب:**

ختام الصلاة جهرا عقب الصلاة المكتوبة لا بأس به وجائز شرعا. فقد روى عن على - كرم الله وجهه - أن النبى ﷺ قال: «من قرأ آية الكرسى دبر الصلاة المكتوبة كان فى ذمة الله إلى الصلاة الأخرى» رواه الطبرانى بإسناد حسن - وعن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر [صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة -

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

٩٣٩] ولا عبرة لما يقال أن النبى ﷺ أمر بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل عقب الصلاة سراً. لأنه قول بلا دليل، فقد روى مسلم عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال: كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير. وفى رواية البخارى عن أبى معبد مولى ابن عباس - أن ابن عباس رضى الله عنهما - أخبره أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبى ﷺ. وقال ابن عباس: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته. [صحيح البخارى - كتاب الأذان - ٧٩٦] وهذا يدل على رفع الصوت بالذكر بعد الصلاة، بل يرى بعض السلف استحباب رفع الصوت بالذكر والتهليل فى أعقاب الصلوات. قال النووى فى شرح مسلم [ج٥ ص٨٤]: تعقيباً على هذا الحديث: - هذا دليل لما قاله بعض السلف من أنه يُستحب رفع الصوت بالتكبير والذكر عقب الصلاة المكتوبة ولا دليل يمنع الجهر بختام الصلاة لاسيما ونحن فى زمن تغلبت فيه شواغل الحياة على الناس فهم فى أمس الحاجة إلى تذكيرهم بالله على أنه ينبغى مراعاة التوسط والاعتدال فى ختام الصلاة جهراً حتى لا يؤدى ذلك إلى التشويش على من لم يدرك الجماعة أو على من أدركها مسبوقاً لقوله تعالى:

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾

(الإسراء ١١٠)

وقد أفتى بجواز ختام الصلاة جهراً كثير ممن تولوا مهمة الإفتاء فى مصر، منهم: -

فضيلة الشيخ حسن مأمون - المجلد العشرون.

وفضيلة الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى - المجلد الحادى والعشرون.

وفضيلة الأستاذ الدكتور / نصر فريد واصل

والله سبحانه وتعالى أعلم.

لا فرق بين بول الصبى والصبية

■ **السؤال من على. س. ى من جرجا :**

قيل : إن بول الطفل الرضيع طاهر بينما بول الطفلة الرضيعة نجس ؟

وأن تطهير الأول يكون بالنضح، وتطهير الثانى بالغسل ؟ فهل هذا صحيح ؟ ولماذا هذه التفرقة ؟

●● **الجواب :**

هذا السؤال ينطوى على مسألتين :

الأولى : أن بول الصبى الرضيع الذى لم يأكل الطعام طاهر بينما بول الأنثى الرضيعة نجس.

الثانية : كيفية تطهير الثوب أو الجسد منهما تختلف : بحيث يكتفى فى التطهير من بول الرضيع الذكر برش الماء ونضحه فقط، ولا يكتفى فى بول الأنثى إلا بالغسل.

وفيما يتعلق بالمسألة الأولى، فإن البحث الفقهى يتأدى إلى اتفاق جمهور الفقهاء على نجاسة بول الرضيع والرضيعة على السواء، وأنه لا فرق بينهما فى حكم النجاسة والطهارة، فكل منهما نجس.. وعليه فلا معنى للتساؤل عن العلة وراء نجاسة أحدهما وطهارة الآخر.

نعم ينسب القول بطهارة بول الصبى الرضيع فى بعض عبارات الفقهاء. إلى الإمام الشافعى، ولكن يجب ألا نأخذ هذه الأقوال على أنها قضايا مسلمة نلزم بها مذهب الإمام الشافعى، بهذه التفرقة بين الصبى والصبية.. ويحسن أن نستعرض هنا آراء أئمة المذاهب فى هذه المسألة :

١ - المذهب المالكى:

جاء فى المدونة (١ / ٧٥) : « وقال مالك فى الجارية والغلام بولهما سواء، إذا أصاب بولهما رجلاً أو امرأة غُسل ذلك، وإن لم يأكل الطعام » وواضح من هذا النص أن الإمام مالكاً لا يرى بينهما فرقا » فكل منهما نجس، وكل منهما يجب غسله سواء بسواء، وجاء فى كتاب التمهيد للحافظ ابن عبدالبر القرطبى المالكى (٩ : ١٠٨) ما يلى : « أجمع المسلمون على أن بول كل آدمى يأكل الطعام نجس : واختلف العلماء فى بول الصبى والصبية إذا كانا مُرضعين لا يأكلان الطعام. فقال مالك وأبوحنيفة وأصحابهما : بول الصبى والصبية كبول الرجل (....) وقال الشافعى : بول الصبى ليس بنجس »، ولا يبين لى فرق ما بينه وبين الصبية، ولو غُسل كان أحب إلىّ ويقول ابن عبدالبر - أيضاً - فى كتابه : الاستذكار (٣ : ٢٥٣) : « قال الشافعى : بول الصبى الذى لم يأكل الطعام ليس بنجس ».

ويؤخذ من كلام الحافظ ابن عبدالبر أمران :

الأول : أن بول الصبى والصبية (الرضيعين) نجس فى مذهب مالك وأبى حنيفة وصاحبيه.

الثانى : أن الإمام الشافعى يفرق بينهما فيرى طهارة بول الصبى الرضيع فى مقابل نجاسة بول الصبية الرضيعة، وأن ابن عبدالبر يرفض هذه التفرقة، لأنه لا يظهر أى فرق بينهما يجعل هذا طاهراً وذاك نجساً.

٢ - مذهب الإمام أحمد:

جاء فى كتاب المغنى لابن قدامة (٢ : ٤٩٥ ط. هجر) « ليس معنى الكلام طهارة بول الغلام. إنما أراد أن بول الغلام الذى لم يطعم الطعام يجزىء فيه الرش وهو أن ينضح الماء عليه حتى يغمره (......) وبول الجارية يُغسل وإن لم تطعم، وهذا قول - على رضى الله عنه - وبه قال عطاء والحسن والشافعى ».

ويفهم من هذا النص أن الإمام أحمد قال بنجاسة بول الرضيع مثل ما قال الإمام مالك وأبوحنيفة.

٣- مذهب الإمام الشافعى:

ويتضح من الرجوع إلى كتب الشافعية أنها تميل إلى القول بنجاسة بول الرضيع ونفى الطهارة عنه، وإن كان بعض علماء المذهب يصف بول الرضيع بأنه من النجاسات المخففة.. جاء فى زاد المحتاج بشرح المنهاج (١: ٨٠) فى ذكر الأشياء النجسة قوله: «وما تنجس ببول صبى لم يطعم غير لبن، نُضح» ويؤخذ من هذا النص أن بول الصبى الرضيع نجس وأن الموضع الذى يصيبه هذا البول يتنجس بنجاسته.. والشافعية يدفعون عن إمامهم نسبة القول إليه بطهارة بول الصبى الرضيع.

ونستطيع أن نقرر بعد استعراض هذه النصوص أن بول الصبى والصبية الرضيعين، نجس، ولا فرق بينهما، وأن ما ينسب إلى الإمام الشافعى من التفرقة بينهما هى أقوال غير ثابتة ولا ممحصة.

أما فيما يتعلق بكيفية الغسل فإننا نجد تفرقة واضحة تتلخص فى أن مذهب الإمام مالك ومذهب الإمام أبى حنيفة لا يفرقان بينهما فى وجوب غسل كل منهما فكل من البولين نجس وكل منهما يجب غسله.

أما الشافعية والحنابلة فإنهما يفرقان بينهما فى كيفية التطهر من كل منهما، فعندهما أن ما تنجس ببول الصبى – الرضيع – يطهر برش الماء على الموضع المتنجس من غير غسل ولا دلك ولا عصر.. بينما الموضع المتنجس من بول الرضيعة يجب غسله ودلكله وعصره.. وقد استند المالكية والحنابلة إلى الأحاديث الواردة فى عموم نجاسة البول والتى تأمر بالاستنزاه منه، وأن عامة عذاب القبر منه، وقاسوا بول الرضيع والرضيعة على بول الكبار نجاسة وغسلاً.. أما الشافعية والحنابلة فقد استندوا إلى أحاديث وردت فى هذا الموضوع، منها ما روته عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «أتى رسول الله ﷺ بصبى فبال على ثوبه فدعا رسول الله ﷺ بماء فأتبعه إياه» وأيضاً ما روى عن أم قيس بنت محصن من أنها «أتت بابن لها صغير، ولم يأكل الطعام، إلى رسول الله ﷺ، فأجلسه رسول الله ﷺ فى حجره، فبال على ثوبه، فدعا بماء فنضحه ولم يغسله»..

وقد نص الفقهاء على أن الطب لا يفرق بين بول الصبى والصبية على الإطلاق وفندوا قول من زعم ان بين البولين فروقا كيميائية.. ومالوا إلى تعليل هذه التفرقة بالتيسير ورفع الحرج حيث إن العرب يميلون إلى الصبيان ويخالطونهم ويحبون حملهم ومداعبتهم أكثر من البنات ولكى لا يشق عليهم النبى ﷺ أذن لهم فى رش الماء فقط على ما يتنجس من ثيابهم ببول الصبيان.

ويتبين مما سبق:

أولاً: لا فرق بين الصبى والصبية فى أن بول كل منهما نجس.

ثانياً: لا فرق فى كيفية التطهير منهما عند مالك وأبى حنيفة.

ثالثاً: من فرق فى كيفية التطهر رجح الأحاديث الواردة التى ذكرنا منها حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ وحديث أم قيس، ومن سوى بينهما فى وجوب الغسل رجح عموم الأحاديث الواردة فى وجوب الغسل والتنزه من البول، وقاس بول الأطفال على بول الكبار.

وهكذا يتضح أن الخلاف منحصر فقط فى كيفية التطهر، وأنه قائم على اليسر والتوسعة كشأن أحكام الشريعة الإسلامية، وأن هذا الخلاف لا يفهم منه – لا من قريب ولا بعيد – أى تفضيل للطفل الذكر على الأنثى فى هذه المسألة.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

حكم النقاب في الإسلام

■ وكتبت القارئة ع. س. ك من أسوان تسأل عن حكم النقاب فى الإسلام.

●● الجواب :

جمهور العلماء والفقهاء فى المذاهب الأربعة متفقون على جواز كشف المرأة وجهها وكفيها وقدميها – فيما يقول الإمام أبوحنيفة – وأنه لا يجب عليها تغطيتهما وقد أورد فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى فى فتاواه (٢ : ٣١٤ وما بعدها) النصوص التى حفلت بها كتب المذاهب الأربعة فى جواز كشف وجه المرأة وكفيها، ونحن ننقلها عنه كما يلى :–

١ - مذهب الأحناف:

جاء فى كتاب الاختيار لتعليل المختار (٤ / ١٥٦) : « ولا ينظر إلى الحرة الأجنبية إلا إلى الوجه والكفين، إن لم يخف الشهوة. وعن أبى حنيفة : أنه زاد القدم... ».

٢- مذهب المالكية:

قال أبوالبركات الدردير فى كتابه : « الشرح الصغير » (١ / ٢٨٩ ط دار المعارف) : « وعورة الحرة مع رجل أجنبى منها، جميع البدن غير الوجه والكفين وأما هما فليس بعورة » ويعلق الإمام الصاوى فى حاشيته على هذا النص بقوله : « أى فيجوز النظر لهما، لا فرق بين ظاهرهما وباطنهما، بغير قصد لذة ولا وجدانها وإلا حرم ».

٣- مذهب الشافعية:

جاء فى المهذب للشيرازى : « وأما الحرة فجميع بدنها عورة إلا الوجه والكفين ».

٤- مذهب الحنابلة:

يقول صاحب المغنى : « لا يختلف المذهب فى أنه يجوز للمرأة كشف وجهها فى الصلاة، وأنه ليس لها كشف ماعدا وجهها وكفيها، وفى الكفين روايتان ».

ويؤخذ من هذه النصوص :

أولاً : جواز كشف وجه المرأة وكفيها، وزاد أبوحنيفة جواز كشف قدميها..

ثانياً : هذا الجواز مشروط بقصد البراءة فى النظر، فإن كان القصد منه التلذذ والاستمتاع بتقاطيع الوجه حرم النظر، لأنه نوع من الخيانة والاجتراء على حرمات الله وهو من معاصى القلوب.

ثالثاً : بناء على هذه النصوص فإن النقاب ليس واجبا ولا فرضا، ولا سنة ولا مندوباً، وقصارى أمره أن يكون أمرا مباحا إن شاءت المرأة ووضعته على وجهها اختيارا منها فلا بأس، وإن خلعته فلا بأس أيضا.. وهذا هو مذهب جمهور الفقهاء، وهو الذى يُدرّس فى مقررات الفقه فى غالبية الدول الإسلامية.

وبعض العلماء المعاصرين يذهبون إلى وجوب النقاب انطلاقا من فهم خاص لبعض النصوص الشرعية المتعلقة بالحجاب وهذه الأدلة مردود عليها بأدلة أخرى كثيرة لا تقل فى قوتها عن الأدلة المعارضة.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالى : مجلة الأزهر – مدير التحرير – بريد رابعة العدوية – مدينة نصر

شهر شعبان وضوء لرمضان

للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى

من الأشهر الغنية والمتميزة بمواطن العظة والاعتبار شهر شعبان المكرم، وهو شهر لا يكاد يقف الناس عنده كثيراً إلا إذا جرى بينهم بعض الجدل حول ليلة النصف منه، وما يرتبط بها من دعاء وابتهال.. ليس إلا!! ويغيب عن الكثير منا أن «شعبان» شهر ضم المواقف الرائعة الساطعة التى كان لها دورها المشهور والمشهود فى تثبيت العقيدة المطهرة، كما كان لها إشاراتها السماوية الباهرة نحو روح الإيمان لدى المسلمين الصادقين.

فهل يذكر من وفَّقة الله لزيارة «مسجد القبلتين» بالمدينة المنورة أن فى هذا المسجد المبارك تم تحويل قبلة المسلمين من بيت المقدس - نصره الله بأيدينا وأيدى المؤمنين - إلى المسجد الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمناً - استجابة لأمر الله - عز وجل - وكان ذلك فى شهر شعبان حيث أنزل الله - سبحانه - على نبيه المصطفى ﷺ قوله العظيم:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾(١).

وهو الحدث الهائل الذى أشعل جدل المشركين والمنافقين، والذى حسم فيه القرآن الكريم الموقف حسماً قاطعاً أسكت المرجفين، وأفحم المبطلين.

وكم من المسلمين الآن يذكر أن شهر شعبان الكريم هو الشهر الذى شهد انتصار الإسلام والمسلمين فى غزوة بدر الآخرة، وذلك فى السنة الرابعة للهجرة؟

إذ عندما أهل شعبان من تلك السنة كان ذلك موافقاً لموعد ضربه أبو سفيان بن حرب حين صاح فى المسلمين صيحة الصلف والغرور بعد انقضاء غزوة أحد: «موعدنا بدر العام المقبل» وكأنه

(١) البقرة(١٤٤).

يهددهم ويتوعدهم. هيهات..

وعندما حان الأجل كان الجدب قد حل بقريش، وأصبح خروجهم للقاء المسلمين لا مبرر له لأنهم لن يحضروا سوق بدر التى كانت تعقد كل عام للتجارة فى شهر شعبان لمدة ثمانية أيام.

هنالك لم يتمكن أبوسفيان من الوفاء بتهديده وتنفيذ وعيده، فأراد أن يلصق تهمة خلف الوعد بالمسلمين، وذلك بأن يفت فى عضدهم حتى يحجموا هم عن الخروج وعندئذ يذيع أبو سفيان فى صلف وتبجح أمام الناس أنه قد خرج للقاء المسلمين ولكنهم لم يجرؤوا على لقائه..

هنالك بعث بعملائه المرجفين ليشيعوا فى المدينة أن أبا سفيان قد قدم فى جموع عظيمة لا قبل للمسلمين بها.

ولكن النبى ﷺ المؤيد بنصر الله لم يلتفت لهذا الإرجاف، وخرج بألف وخمسمائة من أصحابه بعد أن استخلف على المدينة عبدالله بن عبدالله بن أبى - رضى الله عنه - حتى إذا أتوا بدراً لم يجدوا بها أحداً، وعرفوا أن أبا سفيان هو الذى أخلف وعده.

وهكذا خلت سوق بدر للمسلمين دون المشركين فربحت تجارتهم مع الله ومع الناس.

ولك أن تتأمل فى ذلك قول الله - عز وجل - ولا تغادر هاتين الآيتين إلا بعد أن تتغلغل فى أعماقك معانى النصر التى وردت فيهما من زيادة الإيمان ونعمة الله، وفضله، والنجاة من السوء وغير ذلك من الخير العميم والفضل العظيم، يقول سبحانه:

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾(٢).

وكان ذلك نصراً مؤزراً حين اهتز شأن أبى سفيان أمام قومه، وازداد شأن محمد ﷺ وجنوده قوة، ومنعة، وعزة.

ولنا فى أحداث التاريخ الغابرة والمعاصرة ما يؤكد هذه العبر التى تشير دائما إلى أن الأمة التى يسيطر عليها الغرور وتستبد بها الأنفة الزائفة والكبرياء الكاذبة، ويصور لها تقدمها المادى فى المال والعتاد أنها وصلت لها الهيمنة على الناس والسيطرة على الشعوب دون التأمل فى قدرة الله - عز وجل - الذى هو المهيمن وحده على كل شىء والقادر وحده على كل شىء.

ولقد كان لنا فى هذا المجال عبرة فى أباطرة الروم وأكاسرة الفرس وعتاة الصليبيين، وهمج التتار، وغيرهم وغيرهم الذين كَمَ أمهلهم الله فى

(٢) آل عمران(١٧٣، ١٧٤).

استبدادهم بالبشر واستعلائهم على الخلق، ولكنه سبحانه لم يهملهم لأنه عز وجل يمد لعبده المستبد الذى يعيث فى الأرض عتوا وفسادا حتى إذا أخذه لم يفلته، سبحانه العزيز الجبار.

ومن مشاهد شهر شعبان المضيئة غزوة (بنى المصطلق) وهى الغزوة التى اختار الله- عز وجل- لها شهر شعبان ساحة زمنية طاهرة من السنة الخامسة للهجرة.

فلقد بلغ النبى ﷺ أن الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق الذين ساعدوا قريشا على حرب المسلمين فى (أُحد) أخذ يجمع الجموع لحرب محمد، فخرج ﷺ فى جمع كبير، وعرض عليهم الإسلام فرفضوا فى رعونة وضلال، وحينئذ حمل عليهم المسلمون حملة رجل واحد، ولم يتركوا لهم مجالاً للفرار، وقتلوا فريقا منهم وأسروا الباقين مع نسائهم وذرياتهم، واستاقوا من إبلهم ألفين، ومن شياههم خمسة آلاف.

ومواقف النبى ﷺ والمسلمين إبان هذه الغزوة وبعدها من بنى المصطلق هى دروس رائعة فى الخلق العظيم والسياسة الحكيمة جديرة بالدرس الدقيق،والتأمل العميق

« وبنو المصطلق هم عرب من خزاعة، والكلمة من « الصلق » وهو : « رفع الصوت »

ثم هذه غزوة ذى قرد[٣] وتسمى أحيانا « غزوة الغابة » أى الشجر الملتف الكثيف وهى الغزوة التى وقعت فى شهر شعبان من العام السادس للهجرة حيث أبلى المسلمون فيها بلاء حسنا رداً على غارة عدوانية على بعض الإبل الحوامل التى كانت لرسول الله ﷺ بموقع الغابة القريب من المدينة المنورة، وكان أهل المدينة يجعلون أموالهم فى ذلك المكان.

ولقد شن هذه الغارة العدوانية الغاشمة « عيينة بن حصن الفزارى » الذى انقلب على عقبيه هو وعصابته وولوا الأدبار أمام النبى ﷺ ورجاله والمؤمنين بعد أن استعمل النبى ﷺ على المدينة المنورة أثناء ذلك عبدالله بن أم مكتوم - رضى الله عنه - الذى كرمته السماء عندما عاتب فيه الله- عز وجل- نبيه الكريم فى سورة (عبس) حتى لقد كان النبى ﷺ يقول له : « أهلاً بمن عاتبنى فيه ربى ».

وبعد.. فهلا تأملت هذا التتابع البين فى الانتصارات (الشعبانية) للمسلمين على عهد النبى ﷺ، والتى كانت خطوات مبشرة بقرب الغزوة الكبرى، وهى غزوة الفتح الأكبر الذى جاء به الحق وزهق الباطل؟

---

(٣) بفتح القاف والراء أو بضمهما أو بضم القاف وفتح الراء، ومعناها الصوف الردىء، وذو قرد هذا هو شعب به ماء ناحية خيبر على مسافة من المدينة المنورة

ثم هلا تكشفت أمامك بعد كل ذلك منزلة هذا الشهر أو هذا الوعاء المطهر الذى اختاره الخالق - عز وجل-لتصب فيه هذه الأحداث الكبرى؟

إن هذه لصفحة مشرقة تضىء بشهر شعبان، وتبين لنا الحكمة فى أن الله ـ جلت حكمته ـ جعله شهراً ترفع فيه الأعمال إليه - عز وجل- كما أخبر النبى ﷺ عندما سئل عن كثرة صومه فى هذا الشهر.. العظيم فأشار إلى أنه شهر ترفع فيه الأعمال وأنه ﷺ يرجو أن يرفع عمله وهو صائم.

وإذا أيقنت النفوس المؤمنة أن أعمالها ترفع إلى بارئها فى شهر شعبان علمت أن هذا الشهر شهر ابتلاء وتمحيص فتصدق فى القول، وتخلص فى العمل.

وشعبان بهذا المعنى هو شهر رمضان بمثابة الوضوءمن الصلاة.

وما أجمل أن نتأمل فى هذا المجال الإرشادات التربوية الرائعة حيث نرى صوم شعبان ـ الذى حرص عليه الأسوة الحسنة عليه الصلاة والسلام هو دربة للمسلم على استقبال فريضة الصوم فى رمضان، والنهوض بتبعاتها بضمير خالص وقلب سليم حيث يتجه المرء إلى بارئه - عزوجل- وحده واضعا نصب عينيه الحديث القدسى الشريف «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به»[٤] صدق الله وصدق نبيه فيما بلغه عن ربه.

فما أحرى بالمسلم الصادق الذى يرجو أن يتجلى عليه ربه - عز وجل - بصوم رمضان المعظم أن يغتنم فرصة شعبان كمدرسة إيمانية تربوية يتحلى فيها المسلم بالخلق الفاضل مع نفسه ومع الناس ومع الله- عز وجل- وكأنه يتطهر مما علق به من شوائب طيلة العام ليقدم على شهر الصوم بنية خالصة وإرادة حية طمعا فى رحمة الله ومغفرته.

ولله درّ النبى ﷺ عندما يقول: «إن لربكم فى أيام دهركم لنفحات، ألا فتعرضوا لها».

وأما ليلة النصف من شعبان فإنه مما يروى عن عائشة - رضى الله عنها- أنها سمعت النبى ﷺ فى هذه الليلة يدعو فى سجوده مبتهلاً:

«أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ بك منك، جل وجهك، لا أحصى ثناء عليك.. أنت كما أثنيت على نفسك» ثم نصح عليه السلام عائشة قائلاً:

«تعلميهن وعلميهن فإن جبريل - عليه السلام - علمنيهن وأمرنى أن أرددهن فى السجود»[٥].

ألا تستنتج من كل هذا - كما ذكرنا- أن مكانة شعبان من رمضان هى مكانة الوضوء من الصلاة طهراً ونقاء وتزكية؟

---

(٤) أخرجه البخارى.

(٥) أخرجه البيهقى.

الكليات .. والأسماء الحسنى

للدكتور / على أحمد على

.. وأصحب القارئ إلى الفقرة الخامسة من مقالنا السابق فى العـــدد الماضى ص (١٠٥٥) حيث استعرنا (مجازا) جزء الجملة (المبتدأ) لنبين أن ما قدمناه من دراسة يقع موقع المبتدأ من الجملة وأن ما سنقدمه فى هذا المقال إنما هو بمثابة الخبر وهذا ما أود أن أسطره فى هذا المقال مستعينا بالله أن يرزقنى التوفيق فيه عرضاً واستيعاباً، وأيضا لما فى هذه الكليات من إعجاز، وما فى آصرتها من بيان.

وبين أيدينا لذلك مقدمة سريعة مختصرة عن (مقام كلّ) فى هذه الكليات، ليتيسر لنا متابعتُها أنَّى كانت، إذ هى حيثما وقعت مدار (حُكْمٍ):

أ- (حُكْمٍ) عليها كقوله - تعالى -:

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ القصص - ٨٨.

﴿ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ الإسراء - ٨٤ أى على طريقته ومذهبه الذى ارتضاه لحاله، ثم فى النهاية:

﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾ الأنبياء - ٩٣.

ب- أو حُكْمٍ كائنٍ بها، ومنه قوله تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ الأنعام - ٣٢.

﴿ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾ الأعراف ٣٨ أى لكل من المُضِلّين ومن تَبِعَهُمْ من الضالين العذابُ مضعفا.

جـ- أو حُكْمٍ بها، إذ هى العُمْدَة فى الكلية، ومنه قوله - تعالى - يذكر لنا من حديث الرؤساء المضلين لأتباعهم الضعفاء، وهم فى النار، إذ يقول هؤلاء الضعفاء لأولئك الرؤساء المستكبرين:

﴿ كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم
مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾

فيقول أولئك الرؤساء، وقد ذَلُّوا:

﴿ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ ﴾ غافر – ٤٨ – وهذا الجزء الأخير شاهدنا[1].

د- أو ملازمة للحكم مرتبطة به لاتنفك عنه كقوله – تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ البقرة – ٢٠.

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ البقرة – ٢٨٢.

﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴾ هود – ٥٧.

أى أن الله – سبحانه وتعالى – قدير على كل شئ، عليم بكل شئ، حفيظ لكل شئ.

هكذا نجد (كُلاً) مدار الحكم فيما جاءت فيه من آيات التنزيل العزيز على نسق ما قدمناه فى هذه الفقرة.

●●●

الكليات..والأسماء الحسنى

حظيت عبارة (كل شئ)، وهى تعنى فيما نحن بصدده (الكون) كله، أقول: حظيت هذه العبارة فى التنزيل العزيز بملازمتها لاثنى عشر اسماً من أسماء الله الحسنى، أحاط بـ(الكون) أَثَرُ كل منها، فكان منها جميعا ست وثمانون كلية من كليات القرآن الكريم. وتلك الأسماء الحسنى هى:

القدير، العليم، الشهيد، المقيت[2]، الحسيب، المحيط، الخالق، الوكيل، الحفيظ، المقتدر، الرقيب، البصير، سبحانه وتعالى[3].

والمعنى المباشر لهذه الأسماء الحسنى المسيطرة (على كل شئ).

أن الله – تعالى – الخالقُ هذا الكونَ قادرٌ

---

(١) انظر الفتوحات الإلهية للجمل فى إعراب الآية وتفسيرها.

(٢) هو القدير – فى أحد معنييه – انظر النساء: ٨٥.

(٣) وهذه مواقع الكليات الأربع والثمانين المختصة (بكل شئ) نستثنى منها (القدير) لتقديمنا دراسة عن مواقع هذا الاسم الجليل فى هذا المقال، ومجموع مواقعه – بعامة سبعة وثلاثون، وأما بقية هذه الأسماء الجليلة فمواقعها هى:

«**العليم، العلم**»: (البقرة) الآيات ٢٩، ٢٣١، ٢٨٢. (النساء) ٣٢، ١٧٦. (المائدة) ٩٧. (الأنعام) ٨٠، ١٠١. (الأعراف) ٨٩. (الأنفال) ٧٥. (التوبة) ١١٥. (الرعد) ٨. (طه) ٩٨. (الأنبياء) ٨١. (النور) ٣٥، ٦٤. (العنكبوت) ٦٢. (الأحزاب) ٤٠، ٥٤. (يس) ٧٩. «وهو بكل خَلْقٍ عليم» (الشورى) ١٢. (الفتح) ٢٦. (الحجرات) ١٦. (الحديد) ٣. (المجادلة) ٧.(التغابن) ١١.

(**الشهيد**): (النساء) ٣٣. (المائدة) ١١٧. (الحج) ١٧. (سبأ) ٤٧ / (الأحزاب) ٥٥. (فصلت) ٥٣. (المجادلة) ٦. (البروج) ٩.

«**الحسيب**»: (النساء) ٨٦.

«**المحيط**»: (النساء) ١٢٦. (فصلت) ٥٤.

«**الخالق**»: (الأنعام) ١٠٢. (الرعد) ١٦. (الزمر) ٦٢. (غافر) ٦٢.

«**الوكيل**»: (الأنعام) ١٠٢. (هود) ١٢. (الزمر) ٦٢.

«**الحفيظ**»: (هود) ٥٧. (سبأ) ٢١.

«**الرقيب**»: (الأحزاب) ٥٢.

«**البصير**»: الملك ١٩.

عليه، محيط به، شهيد عليه، بصير به، متصرف فيه، حفيظ عليه، حسيب له، رقيب عليه.

فأنّى يفر هذا الملكوت الذى هو ﴿ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ إلا إليه جَلَّ عُلاه.

إن الله على كل شئ قدير

أُولَى كليات القرآن الكريم، تجدها فى ختام الآية العشرين من «البقرة»، وهى إحدى سبع وثلاثين كلية، وردت بنص (قدرته تعالى) حيثما كانت من الكتاب العزيز، تنتشر فيه من «البقرة» حتى «المُلك» فى ثمان وعشرين سورة.

وهذه الكلية تأتى - دائماً - فى ختام الآية إلا التى جاءت فى النهاية من سورة الطلاق، فقط، وباقيها فى النهاية من الآيات، والحال كذلك مع اسمَيْن جليلين يدلان على القدرة دلالة مباشرة، هما: «المقتدر» و«المقيت» فالأولى فى ختام الآية الخامسة والأربعين من سورة الكهف، حيث يقول - تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾

وختمت (كليةُ المقيت) الآيةَ الخامسة والثمانين من النساء، وفيها يقول - جَلَّ عُلاَه: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾

أى مقتدراً يجازى كل أحد بما عمل[٤].

●●●

وفى تفسير «القدير» قال الإمام الهروى: والقدير والقادر بمعنى واحد[٥]. ا هـ

وهذا هو الحق، فإن (قدير) لا نزاع فى معناها من حيث الاشتقاق أنها صفة مشبهة، لدلالتها على الثبوت والدوام مثل: كريم. وشجاع. وأمين.. الخ

ومثل ذلك - تماماً - ما جاء بوزن (فاعل) دالاً على الثبوت والدوام:

فإذا قلنا - مثلا: (هذا فلان «القائم» بشئون كذا بوزارة كذا)، فليس هو مماثلا لقولنا (هذا رجل قائم يسلم على صديقه، ثم جَلَسا)، فقائم فى هذا الأخير وصف غير دائم.

ومن هنا تساوى القدير والقادر، فهما من أسماء الله الحسنى. سبحانه وتعالى.

قال الإمام القرطبى:

«والاقتدار على الشئ: القدرة عليه، فالله - جل وعز - قادر مقتدر قدير على كل ممكن يقبل الوجود والعدم، فيجب على كل مكلف أن يعلم

---

(٤) راجع تفسير السيوطى للآية فى (الجلالين).

(٥) تفسير القرطبى ٢٧٠/١ ط ثالثة دار الغد العربى ١٤٠٩هـ.

أن الله – تعالى – قادر، له قدرة بها فَعَلَ ويفعل ما يشاء على وفق علمه واختياره »[٦].

●●●

و« كليات القدرة » وردت جميعاً في التنزيل العزيز جُمَلاً اسمية ما عَدا سبعاً، مواردُها فعلية، وغيرها – وهو ثلاثون – كلها « اسمية »، والفعلية :

أولاها : في آية النسخ حيث قال – تعالى :

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

البقرة – ١٠٦

ثانيها : في سؤال إبراهيم – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام – ربه : كيف تحيي الموتى – جاء ختامها :

﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

البقرة – ٢٥٩

ثالثها : في آية الشفاعة بسورة النساء – ٨٥ :

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾.

رابعها : في مَثَلِ الحياة الدنيا، قال تعالى :

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾.

الكهف – ٤٥

خامسها : في تمليك الله أرض أعداء المسلمين للمؤمنين، وجاء ختامها :

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾.

الأحزاب – ٢٧

سادسها : في غنائم ما كان يتيسر للمسلمين الاستيلاء عليها لولا تيسير الله :

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ الفتح ٢١.

سابعها : في النهاية من سورة الطلاق حيث ذكر الله تعالى أمره المنزل بين السموات والأرضين السبع حيث قال – تعالى :

﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾

هذا : وجميع كليات القدرة « جاءت خاتمة لآياتها ما عدا الواردة بسورة الطلاق هذه فقد أعقبها الختام بقوله تعالى :

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾.

●●●

ولكليات القدرة إعجاز يخصها، فنادراً ما يتكرر في آياتها معنى دون زيادة تخصه، بينما جاءت كل آية منها تحمل قضية أساسية لم ترد في غيرها من أخواتها، ونعرض للأمرين – بمشيئة الله – عز وجل – بقدر ما يسمح به « مقال » :

فالكلية الأولى وردت في المنافقين، وجاءت خاتمة لسبع عشرة آية قبلها عنيت بوصف حال المنافقين، وما تمتعوا به من أمن في أنفسهم وأهليهم وأموالهم في ظل إعلانهم الإسلام، وما كان متاعهم هذا إلا متاع الدنيا، وانه لقليل تعقبه

(٦) نفس المرجع ١/ ٢٧٠.

حياة سرمدية فى الجحيم، وقد ظلوا صماً عن الحق لا يستمعون له سماع قبول، بُكْمًا لا يتحدثون بنعمة الإسلام، عمياً لا يرون هدى ولا يرجعون عن ضلالة، قال - تعالى :

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[7].

قال القرطبى :

والمعنى : ولو شاء الله لأطلع المؤمنين عليهم، فذهب منهم عز الإسلام بالاستيلاء عليهم وقتلهم وإخراجهم من بينهم..

قال : وإنما خص هنا - تعالى - صفته التى هى القدرة بالذكر، لأنه تقدم ذكر فعل مُضَمَّنُهُ الوعيد والإخافة، فكان ذكر «القدرة» مناسباً والله أعلم[8].

يريد - والله أعلم - بالفعل قوله - تعالى :

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾

ثم تتوالى كليات القدرة مع كل منها آيتها، فيها قضيتها الخاصة :

فكانت الثانية خاصة بموضوع «النسخ»؛ يقول - تعالى :

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

البقرة - ١٠٦

وهى آية غنية بالتوجيه الراشد إلى الأحكام، وسياسة الأخذ بها دونما اهتمام بما يثيره المتقولون حسدا أو بغيا أو ضيقا بتجديد الأوضاع لضرب من المصلحة.

ضاق اليهود بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة، ولعلمهم الأكيد من كتابهم أن محمدا عليه الصلاة والسلام نبى حقا، وأن انصرافه والمسلمين إلى الكعبة ليس اجتهادا منه، ثاروا حسدا وطعنوا فى الإسلام وقالوا : إن محمدا يأمر أصحابه بشىء ثم ينهاهم عنه.

يريدون خبثا منهم أن يتهموه ﷺ بـ«البَدَاء» وهو - أى البَدَاء - أمر يعرض للإنسان حين يقدم على عمل فيتبين له خطؤه؛ فينصرف عنه إلى غيره.

وليس الأمر كذلك؛ فإن محمدا ﷺ لم يكن مشرعا لهذا الأمر، ولا لغيره والله - تعالى - يخاطبه ﷺ بقوله :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.

آل عمران - ١٢٨

﴿ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ يوسف - ٣١.

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾.

الأحزاب - ٣٨

﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

البقرة - ١١٧

---

(٧) (البقرة) ٢٠.

(٨) تفسير القرطبى ١/ ٢٧٠.

فالناسخ هو الله - عز وجل - وإنما ينسخ لحكمة فى مقدمتها التخفيف، وهو - وحده - المشرع، ولله - عز وجل - المثل الأعلى.

ها نحن نعلم علم اليقين أنه نشأ فى أيامنا هذه تفتيت «الحصوة بالليزر» فهل كان استخراجها قبل بالجراحة بَدَاء؟ وهل إذا كانت الحصوة عصية على التفتيت فأجريت الجراحة، فهل فى ذلك بداء؟

وإذا أحكم قائد خطة للقضاء على كمين ونجح فى مقصوده، ثم غير الخطة فى عمل آخر: هل يعتبر ذلك بداء، أو أنه المصلحة وبُعد النظر الذى يكلل مسعى الإنسان بالنجاح.

إنما البَداءُ فيْمن يمارس أمرا خطأ ثم يغيره، وحاش الله أن يكون كذلك؛ فإنه سبحانه حكيم عليم، ثم هو الذى بدأ الخلق ثم يعيده فكيف يجوز البداء عليه.

ثم هذا النسخ معروف فى الشرائع قبل الإسلام، مقرر فى «العهد القديم» - كتاب اليهود المقدس - فإنهم يزعمون «أن الله - تعالى - قال لنوح - عليه السلام - عند خروجه من السفينة: إنى جعلت كل دابة مأكلا لك ولذريتك، وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم فلا تأكلوه[9]، ثم قد حَرَّم على موسى وعلى بنى إسرائيل كثيراً من الحيوان»[10] أى بعد هذا الحلّ المطلق؛ وهذا عين النسخ.

وفى كتاب «الصيام من البداية حتى الإسلام»[11] تفصيل بما حُرِمَ عليهم من الحيوان وغيره وليس النسخ إلا سنة التطور، بدونه تقبع الإنسانية فى كهف البداوة إلى أبد الآبدين وهذا عين المستحيل.

والله نرجو أن نواصل إتمام كليات القدرة فى العدد القادم، والله ولى التوفيق والرشاد.

***

(٩) انظر العهد القديم - التكوين ٩/٣.

(١٠) تفسير القرطبى ٥٦٠/١.

(١١) للدكتور/ على الخطيب - سلسلة البحوث الإسلامية ص ١٨٢ السنة ٢٧ الكتاب الثالث، طبع الأزهر.

من معاني الحكمة

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف

للحكمة أثر كبير في نجاح واستقرار حياة الفرد والمجتمع، وهي من أهم الأسباب المعينة على سعادة الإنسان في دنياه، والمدخل إلى العمل الصالح الذي يوصل الإنسان إلى النعيم في أخراه.

ولأهمية الحكمة جعلها الله - عز وجل - إحدى وظائف النبوة التي كلف الرسول ﷺ بأدائها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾(1).

وجعلها الله ـ عز وجل ـ ثلث الدين الذي أتى الرسول ﷺ لتبليغه إلى الناس كافة، يقول جل شأنه:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾(2).

فتزكية النفس ثلث، وتعلم الكتاب ثلث، وتعلم الحكمة ثلث، فمن تعلم الحكمة وأخذ بها فقد أخذ وحاز ثلث الدين، ومن أهملها وتركها فقد أضاع ثلث الدين.

ويبين لنا الله أن من فضله ونعمه على أنبيائه ورسله وعباده الذين اصطفاهم أنه جلا وعلا آتاهم وعلمهم الحكمة، يقول الله تعالى:

﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾(3).

ويقول سبحانه:

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾(4).

---

(1) الجمعة (2).
(2) آل عمران (164).
(3) النساء (54).
(4) النساء (113).

ويقول سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾(٥).

ويقول عز شأنه:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾(٦).

ويكفى الحكمة شرفاً وفضلاً، ورفعة وعزة أن الله - عز وجل - اتّصف بها وتسّمى بها، ووصف كلامه بها فقال سبحانه:

﴿يسٓ ① وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾(٧).

وجعلها الله من أجل وأعظم النعم التى يخص بها من يشاء من عباده الذين رضى عنهم، يقول تبارك وتعالى:

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾(٨).

وأفعال الرسول ﷺ لم تخرج قيد أنملة عن الحكمة، وأقواله دعت إلى الحكمة وأثنت عليها وأشارت إلى ضرورة تعلمها، يقول ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممّن سمعها ولا يبالى من أى وعاء خرجت»(٩)، ويقول ﷺ: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها»(١٠).

ويرشدنا رسول الله ﷺ إلى طريق تعلم الحكمة فيقول ﷺ: «ما أخلص عبد العمل لله أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»(١١).

ودعا الحكماء إلى الأخذ بالحكمة، والحث على التمسك بها، قال زياد: أيها الناس، لا يمنعكم سوء ما تعلمون منّا أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا، فإن الشاعر يقول:

اعمل بعلمى وإن قصَّرت فى عملى
ينفعْك قولى ولا يضررك تقصيرى

ولقد وردت كَلمة الحكمة فى القرآن الكريم فى تسعة عشر موضعا، وسمى الله نفسه حكيما فى واحد وتسعين موضعا، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على بيان أهمية الحكمة، والدعوة إلى تعلمها والأخذ بها.

ولكن ما هى الحكمة وما تعريفها؟ لقد وردت تعريفات كثيرة للحكمة فى تفاسير القرآن الكريم، وفى كتب الحكماء والفلاسفة، وفى معاجم اللغة، منها:

هى: الإصابة فى القول والفعل.

هى: العلم الذى تجل فائدته وتعظم منفعته.

هى: معرفة حقائق الأشياء.

هى: معرفة معانى الأشياء وفهمها.

هى: الحصافة فى الأعمال مع المعرفة الكاملة لكل الأشياء التى يستطيع الإنسان أن يعرفها.

---

(٥) المائدة (١١٠).

(٦) لقمان (١٢).

(٧) ياسين (٢٢١).

(٨) البقرة (٢٦٩).

(٩) ابن كثير ٦/٣٥، كشف الخفا ١/٤٣٥ بلفظ مختلف.

(١٠) مسند الحميدى ص٦٩ مع اختلاف فى الألفاظ.

(١١) الدر المنثور ٢/٢٣٧، إتحاف السادة المتقين ١٠/٤٢.

هى: العلوم النافعة، والمعرفة الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب فى الأقوال والأفعال.

هى: وضع الأشياء مواضعها وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام فى محل الإقدام، والإحجام فى موضع الإحجام.

هى: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم.

هى: توخى القصد والاعتدال، وإدراك العلل والغايات، ووضع الأمور فى نصابها فى تبصر وروية وإدراك.

هى: الكلام الموافق للحق.

هى: العلم والإصابة فيه، ومعرفة الأشياء بذواتها.

هى: معرفة الحقائق على ما هى عليه، ثم العمل بمقتضاها، مع الإصابة فى القول والعمل.

وقال ابن القيم الجوزيه: إن الحكمة قسمان: علمية وعملية.

فالحكمة العلمية: هى الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خَلْقا وأمْراً، قدراً وشرعاً.

والحكمة العملية: هى وضع الشئ فى موضعه.

ويمكن إجمال كل ما تقدم من تعريفات للحكمة فى الآتى:

الحكمة هى فعل ما ينبغى، على الوجه الذى ينبغى، فى الوقت الذى ينبغى.

قيل لقسّ بن ساعدة: ما أفضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل نفسه.

قيل له: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه.

قيل له: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه.

وقال الحسن: التقدير نصف الكسب، والتؤدة نصف العقل، وحُسن طلب الحاجة نصف العلم.

وقالوا: لا عقلَ كالتدبير، ولا وَرَع كالكف، ولا حَسَبَ كحُسْن الخلق، ولا غنى كرضا عن الله، وأحقُّ ما صُبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل.

وقالوا: التفكُّر نور والغفلَة ظُلمة، والجهالة ضلالة، والعلم حياة، والأول سابق والآخر لاحق، والسعيد من وُعظ بغيره.

اجتمع عمرو بن الظَّرب العدوانى، وحُمَمَة ابن رافع الدَّوسى عند ملك من ملوك حِمْير، فقال الملك: تساءلا حتى أسمع ما تقولان.

فقال عمرو لحممه: أين تحبُّ أن تكون أياديك؟

قال: عند ذى الرَّثْية العديم، وعند ذى الخَلّة (الحاجة) الكريم، والمعْسِر الغريم، والمستضْعف الهضيم.

- مَنْ أحق الناس بالمُقت (البغض)؟

- الفقير المختال، والضعيف الصوَّال، والعَىُّ (الذى فى كلامه عجز) القوَّال.

- فمن أحقّ الناس بالمنع؟

- الحريص الكاند (الذى يكفر بالنعمة)، والمستميد الحاسد، والمُلْحف الواجد (الحاقد).

- من أجدرُ الناس بالصنيعة؟

- من إذا أُعْطِى شكر، وإذا مُنع عَذَر، وإذا مُطِل صَبَر، وإذا قُدم العهْد ذَكر.

- من أكرم الناس عشرة؟

- من إذا قرُب مَنَح، وإذا بَعُد مَدَح، وإذا ظُلم صفح، وإذا ضُويق سَمَح.

- من ألأمُ الناس؟

ـ من إذا سأل خضع، وإذا سُئل منع، وإذا ملك كنع «تقبض. ممسك بخيل»، ظاهره جشع «الجشع: أسوأ الحرص»، وباطنه طَبَع «الطبع: الدنس».

ـ فمن أحلم الناس؟

ـ من عفا إذا قدر، وأجمل إذا انتصر، ولم تُطغه عزةُ الظَّفر.

ـ فمن أحزم الناس؟

ـ من أخذ رقاب الأمور بيديه، وجعل العواقب نصْب عينيه، ونبذ التهيُّب دَبْرَ أذنيه.

ـ فمن أخْرَق الناس؟ «أحمق».

ـ من ركب الخطار «الهلاك»، واعتسف العثار «ركب الزلل»، وأسرع في البدار قبل الاقتدار.

ـ قال: من أجود الناس؟

ـ قال: من بذل الموجود، ولم يأسَ على المعهود.

ـ قال: من أبلغ الناس؟

ـ قال: من جلّى المعنى المزيز باللفظ الوجيز، وطبّق المفصل قبل التحريز.

ـ قال: من أنعم الناس عيشا؟

ـ قال: من تحلّى بالعفاف، ورضى بالكفاف، وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف.

ـ فمن أشقى الناس؟

ـ من حسد على النعم، وسخط على القسم، واستشعر الندم على فوت ما لم يُحتم.

ـ من أغنى الناس؟

ـ من استشعر اليأس وأظهر التجمل للناس، واستكثر قليل النعم، ولم يسخط على القسم.

ـ فمن أحكم الناس؟

ـ من صمت فادّكر، ونظر فاعتبر، ووُعظ فازْدجر.

ـ من أجهل الناس؟

ـ من رأى الخُرق مغنما، والتجاوز مغْرما.

وقال عمرو بن العاص: ثلاث لا أناة فيهن: المبادرة بالعمل الصالح، ودفن الميت، وتزويج الكفء.

وقال: ثلاثة لا يندم على ما سلّف إليهم: الله ـ عز وجل ـ فيما عُمل له، والمولى الشّكور فيما أُسْدى إليه، والأرض الكريمة فيما بُذر فيها.

وقالوا: ثلاثة لا بقاء لها: ظل الغمام، وصحبة الأشرار، والثناء الكاذب.

وقالوا: ثلاثة لا تكون إلا فى ثلاثة: الغنى فى النفس، والشرف فى التواضع، والكرم فى التقوى.

وقالوا: ثلاثة لا تُعرف إلا فى ثلاثة: ذو البأس لا يُعْرف إلا عند اللقاء، وذو الأمانة لا يعرف إلا عند الأخذ والعطاء، والإخوان لا يعرفون إلا عند النوائب.

وقالوا: عليكم بثلاث جالسوا الكبراء، وخالطوا الحكماء، وسائلوا العلماء.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أخْوَف ما أخاف عليكم: شُح مُطاع، وهوى مُتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه.

واجتمع علماء العرب والعجم على أربع كلمات: لا تحمل على ظنّك ما لا تطيق، ولا تعمل عملا لا ينفعك، ولا تغْتّر بامرأة، ولا تثق بمال وإن كثر.

وقال أبو عمرو بن العلاء: خذ الخير من أهله. ودع الشر لأهله.

وقالوا: إحسانُ المسئ أن يكفّ عنك أذاه، وإساءة المحسن أن يَمْنعك جدواه.

قصة العدد

مصرع خبيب (*)

للأستاذ / ناجى الطنطاوى

سار الرجال صامتين، يخبون بأقدامهم على رمال الصحراء الملتهبة، لا يثنيهم عن غايتهم شىء، ولا يشغلهم عن مرماهم أمر، وكان عددهم عشرة يرأسهم فتى غض الإهاب، ذو عزم ومَنَة، هو عاصم بن ثابت، أرسلهم النبى ﷺ عيناً على الأعداء فى بعث الرجيع (١)، يستطلعون أخبار العدوّ ويتعرفون إلى عدده وعدته... كانوا يسيرون مطمئنين آمنين لا يداخل نفوسهم حذر ولا ريب، وماذا يحذرون وهم فى هذه الصحراء المترامية الأطراف، نفر قليل لا يتميزون عن سواهم من العرب وليست تبدو عليهم أية شارة تبعث الشك فى نفوس من يراهم، كانت نفوسهم تفيض ثقة بالله وكانت قلوبهم عامرة بالإيمان الثابت الذى لا تزعزعه العواصف ولا توهنه النكبات، وكانوا قد وطدوا العزم على القيام بما عهد إليهم رسول الله ﷺ مهما لاقوا فى طريقهم من المصاعب والأخطار، لا يثنيهم عنه إلا الموت.

ولما مرّوا فى طريقهم بمكان يقال له الهدأة(٢) جاء رجل من قريش إلى بنى لحيان(٣) وأخبرهم أنه رأى نفراً من المسلمين يجتازون بهم ولا يدرى أين يريدون، فلم يكد القوم يسمعون كلامه حتى داخلهم الشك فى أمر هؤلاء، وتبادلوا النظرات، وصمتوا يفكرون، ثم ثاروا إلى نبالهم فاحتملوها وساروا يقتفون آثار المسلمين ويجدّون فى طلبهم. وكانوا مائة رجل نصفهم رماة.

(*) مجلة الرسالة المجلد السابع سنة ١٩٣٩م

(١) فى أواخر السنة الثالثة للهجرة. والرجيع اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان.

(٢) موضع بين عسفان ومكة على سبعة أميال من عسفان، قريب من الرجيع مكان الموقعة.

(٣) حى من هذيل.

أحس أصحاب عاصم بالخطر المداهم الذى تهددهم، ورأوا أنهم قد أخذوا على غرة، فاضطربوا ووجموا وعراهم الذهول، ولكن عاصماً صاح بهم قائلاً: «لا تقفوا هكذا، أسرعوا إلى هذا الفدفد[٤] الذى أمامكم تمتنع به قبل أن نصبح فريسة فى أيدى الأعداء»..

فأسرعوا إليه كما أمرهم،، وتحصنوا فيه، ولبثوا ينتظرون قضاء الله فيهم.

وبأسرع من لمح البصر، كان الرماة ومن معهم محيطين بالمسلمين إحاطة السوار بالمعصم ينظرون إليهم نظر الذئب إلى فريسته التى يخاف أن تفر من بين يديه، ووطد المسلمون العزم على استقبال الموت بثغور باسمة وقلوب مطمئنة وهم يتحرقون شوقاً إلى رؤية الجنة وما أعد الله لهم فيها من نعيم مقيم وسعادة خالدة.

- انزلوا واعطوا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق ألا نقتل منكم أحداً.

سمع المسلمون هذا البلاغ، فوقفوا واجمين للمرة الثانية، وفكروا فى هذا الذى قاله المشركون،، أهو قول صدق وشرف، أم هو مَيْن وخديعة؟ ومتى كان المشركون يصدقون فى أقوالهم ويوفون بعهودهم؟ وهل يجدر بالمسلم أن يركن إلى مثل هذا الوعد؟.

أسئلة متوالية، جالت فى خواطر المسلمين فى تلك اللحظة الرهيبة الحاسمة، ولبثت تطلب جواباً، وفكروا قليلاً ثم اتجهوا بأبصارهم إلى رئيسهم ليسمعوا جوابه، وليعرفوا موقفه، فما لبث أن خاطبهم بقوله:

- أما أنا، والله لا أنزل فى ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك وانتظر المشركون قليلاً، ليعلموا أثر كلامهم فى نفوس المسلمين وليسمعوا جوابهم، ولم يطل بهم الانتظار، إذ وجهوا نبالهم إلى صدور المسلمين وأطلقوها فأصابت عاصماً وسبعة من أصحابه سقطوا شهداء فى سبيل الله، وطارت أرواحهم الطاهرة لترفرف فى سماء الخلود، وتحظى بنعيم الله الأبدى، وبقى منهم ثلاثة لم يكتب لهم أن ينالوا ما نال إخوانهم من شرف الشهادة، فأرادوا أن يضحوا بأنفسهم فى سبيل تجربة أحبوا أن يقوموا بها، وفى سبيل درس رغبوا أن يستفيد منه المسلمون بعدهم؟ تُرى هل يفى المشركون بعهدهم ويصدقون وعدهم؟ ما دمنا على أبواب الآخرة فلنقم بهذه التجربة، ونزلوا فسلموا أنفسهم على العهد والميثاق، ولم يكد المشركون يستمكنون منهم ويعلمون أنهم صاروا فى قبضتهم حتى أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فصاح أحد المسلمين:

- هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن لى أسوة بأصحابى الذين قتلوا.

---

(٤) الفدفد هو الرابية المشرفة.

وأبى أن يسير معهم فقتلوه، وساقوا الاثنين الباقيين، وكان أحدهما يدعى خبيب بن عدى، صمم على أن يتم التجربة التى بدأ بها مهما كلفه ذلك من المتاعب ليرى نتيجتها، وليختم الدرس الذى أحب أن يستفيد منه المسلمون.

***

– من هذا الذى أراه عندك ياماوية(٥).

– هذا أسير لدىّ. ألا ترين القيد فى رجليه؟

– ما اسمه؟

– إنه يدعى خبيب بن عدى الأنصارى

– وماذا جاء به إلى دارك؟

– أغار قومى على نفر من المسلمين فقتلوهم وأسروه وابتاعه بنو الحارث بن عامر(٦)، إذ يقال إنه هو الذى قتل الحارث يوم بدر، وأبقوه عندى حتى تنقضى الأشهر الحرم ليقتلوه.

– وكيف رأيت سيرته ومعاملته؟!

– أشهد أنه لمن أفضل الناس وأشرفهم ما عهدت فيه الكذب ولا الفحش فى القول، وما رأيت منه إلا اللطف والدعة والمعاملة الحسنة، ما دخلت عليه فى ساعة من ليل أو نهار إلا رأيته يقوم ويقعد ويخر ساجداً، فسألته عن ذلك فأجابنى: إنه يعبد الله ويصلى له، وهو يرتل كل ليلة كلاماً جميلاً يسميه القرآن بصوت عذب فتننى وفتن كل النساء اللاتى سمعنه وإنهن ليجتمعن عندى فى كثير من الأحيان فيسمعن صوته فيبكين وترق له قلوبهن، وإنى لأقول له: هل لك من حاجة؟ فيجيبنى قائلاً: لا، إلا أن تسقينى الماء العذب، ولا تطعمينى ما ذبح على النصب وتخبرينى إذا أرادوا قتلى.

– أهو كثير الجزع من الموت ياماوية؟

– كثير الجزع؟ إنى لم أره ذكر الموت إلا ابتسم وطرب، ولقد عجبت من حاله هذه فسألته عنها فقال: أو لا يسر ويطفر طرباً وسروراً من ينتقل من دار شقاء إلى دار نعيم وهناء؟ إنى إذا مت انتقلت إلى جنة عرضها السموات والأرض فلم لا أبتسم وأسر.

فحدقت المرأة فى وجه مضيفتها وقالت متعجبة:

– عجيب أمر هذا الرجل، إننى لا أعرف رجلاً آخر بهذه الشمائل والصفات إلا أن يكون من أصحاب محمد.

فاقتربت ماوية منها وسارتها قائلة:

– إننى أقسم لك أننى رأيته أمس بعينى هاتين يأكل قطفاً من عنب وهو موثق فى الحديد ولا يدخل عليه أحد غيرى وما أراك مصدقتى فيما أقول.

فضحكت المرأة وقالت:

كيف تريدين منى أن أصدقك ياماوية وليس

---

(٥) هى ماوية مولاة حجير بن أبى إهاب، أسلمت فيما بعد.

(٦) وهم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لأمهما حجير بن أبى إهاب.

هذا أوان العنب وما فى مكة كلها من ثمره شيء؟

– هذا ما أعجب له، وأقسم أننى غير واهمة ولا متخيلة، وما أدرى تفسير ذلك.

ونهضت ماوية فحملت ما عندها من طعام، ودخلت به على السجين، ووضعته بين يديه، وانتظرت حتى أتمّ صلاته، فالتفت إليها وابتسم، وتناول الطعام من يدها دون أن يفوه بكلمة ولم يرق لماوية صمته فقالت له:

– هل لك من حاجة؟

فقال: لا، إلا أن تسقينى الماء العذب، ولا تطعمينى ما ذبح على النصب، وتخبرينى إذا أرادوا قتلى.

ولما علمت أن جوابه لن يتبدل، طمأنته وتركته.

***

– ياللهول! ماذا ترى عيناى؟ أهذا جزاء إكرامى لك وثقتى بك؟

– خفضى عليك ياماوية، إننى لا أزال عند حسن ظنك بى.

– أتقول هذا، وابنى فى حضنك والموسى فى يدك؟ ليتنى لم أُعِرك هذا الموسى.

فابتسم الأسير وأجابها قائلاً:

– لا تغضبى هكذا يا ماوية، إننى لم أطلب منك إعارتى هذا الموسى لأقتل به ابنك، معاذ الله أن أفكر فى هذا العمل الشائن، إن دينى يمنعنى من ذلك ياماوية، وما كنت لأفعل ذلك ما حييت، ولكن ابنك حبا حتى وصل إلىّ، وجلس على ركبتى، وكان الموسى فى يدى، فلاطفته وداعبته، ولم يخطر لى أن أمسه بأذى، ولعلك ذكرت واقعة الأمس فجزعت.

– أجل ياخبيب، ذكرت مزاحك بالأمس عندما طلبت منى أن أعيرك الموسى، وقلت لىّ عندما صار فى قبضة يدك: قد أمكن الله منك... أتدرى أنك أخفتنى بهذ المزاح؟

– إنك لم تعرفينى بعد، ولا أراك تعرفيننى إلا يوم تُسلمين، فتنجلى لك إذ ذاك حقيقة المسلم. والآن دعينى وشأنى، إننى أريد أن أستعد للموت، ألم تقولى لى إنهم أزمعوا قتلى اليوم؟

– بلى

ولم تمض ساعة حتى أقبل القوم يهرولون، حاملين حرابهم ونبالهم، وهم مستبشرون فرِحون، ولما دخلوا على خبيب فكوا القيد من رجليه وقالوا له:

هلم ياخبيب، استعد للموت، إنه ليزعجنا أن تبقى حياً إلى اليوم، ولولا الأشهر الحرُم لقتلناك يوم أسرك.

فرفع خبيب رأسه، ونظر إليهم طويلاً، وكانت الابتسامة لا تفارق شفتيه، ثم أطرق ولم يُجب.

ولما خرجوا به إلى ساحة الإعدام وأجمعوا على قتله التفت إليهم قائلاً:

– هل تأذنون لى أن أركع ركعتين قبل أن أموت؟

فنظر بعضهم إلى بعض فى دهشة وعجب وقالوا: أتصلى وأنت على هذا الحال؟ ألا ترى الخشبة التى سنصلبك عليها؟ ألا ترى رماحنا ونبالنا مصلتة عليك؟ ألا تبكى وتطلب الصفح والعفو؟ إفعل ما شئت.

فقام خبيب بين يدى الله، متوجهاً بقلبه وجوارحه إليه وصلى صلاة كلها اطمئنان وكلها خشوع، لم يضطرب قلبه، ولم يتلجلج لسانه، ولم يتبدل لون وجهه، وكان فى صلاته هادئاً ساكناً آمناً ولما انتهى التفت إليهم وقال بصوت هادىء عذب:

- والله لولا أن تحسبوا أن مابى جزع لزدت. اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً ثم أنشأ يقول:

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم
وقربت من جذع طويل ممنع

إلى الله أشكو كربتى بعد غربتى
وما جمع الأحزاب لى حول مصرعى

وقد خيرونى الكفر والموت دونه
وقد ذرفت عيناى من غير مجزع

ومـا بى حذار الموت إنى لميت
ولكن حذارى جحم نار ملفع

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

فلست بمبد للعدوّ تخشعاً
ولا جزعاً إنى إلى الله مرجعى

ولست أبالى حين أقتل مسلماً
على أى جنب كان فى الله مصرعى

ولم يكد يتم الأبيات ويستغفر الله ويذكره حتى رفعوه على الخشبة وأوثقوه بها فقال:

- اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يُفعل بنا وبدأ المشركون يرمونه بنبالهم ويطعنونه برماحهم، فلما بضع لحمه وسال دمه قالوا له:

- أتحب أن محمداً مكانك؟

فأجابهم وهو يغالب نفسه من الألم:

- والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى وأن محمداً ﷺ شيك بشوكة.

الله أكبر، هكذا فليكن الإيمان، وهكذا فليكن حب محمد ﷺ أما والله لو لم يكن لخبيب إلا هذا الموقف لكفاه شرفاً وفخراً وخلوداً، وإن رجلاً فى مثل هذا الموقف وعلى مثل هذه الحال، بين الحياة والموت، يجيب بمثل هذا الجواب لهو مسلم بكل ما فى كلمة الإسلام من معنى، وبأمثال خبيب هزم المسلمون - على قلتهم - جيوش الشرك والطغيان والظلم وفتحوا ثلاثة أرباع العالم، وبنوا حضارة ونشروا ديناً سيبقى لواؤه مرفوعاً فى مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة.

طرائف .. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من تلبيس إبليس

اعتاد رجل أن يعتذر عن ارتكابه المعاصى، بأن رحمة الله وسعت كل شئ، فاعترضه الحسن البصرى - رضى الله عنه - وقال له: هذا من تلبيس إبليس عليك، إنما الرحمة للمتقين ألم تقرأ قول الله - تعالى -:

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾(١).

إن من الشعر لحكمة

ولقد أمر على اللئيم يسبنى

فمضيت ثمت قلت لا يعنينى

نصيحة

بعث عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - شريحا على قضاء الكوفة وقال له: « ما تبين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحدا، وما لم يتبين فى كتاب الله فاتبع سنة رسول الله ﷺ وما لم يتبين فى السنة فاجتهد رأيك ».

إنها لا ترثنى

من لطائف المنقول عن المغفلين، قيل لبعضهم: عندك مال جزيل وليس لك إلا والدة عجوز، وإن متُّ ورثتك فأفسدت مالك فتصدق بجزء منه. فقال: إنها لا ترثنى، قيل له: وكيف ذلك، قال: لأن أبى طلقها قبل أن يموت.

(١) الأعراف (١٥٦).

متوكل على القافلة

عزم جماعة من طلبة العلم علي الحج، وأحب الإمام أحمد بن حنبل أن يطمئن عليهم، ولفت انتباهه شأن أحدهم، حين استعد كل واحد من الجماعة بالزاد والنفقة إلا هذا الطالب فما جهز شيئا.

فسأله الإمام أحمد بن حنبل عن سبب ذلك؟

فقال: إنما أنا متوكل على الله!!

فقال له الإمام أحمد: ألست مع القافلة؟

فقال الطالب: بلى، إني معهم

فقال له الإمام أحمد: أنت متوكل على القافلة.

على قدرك

نظر رجل من الحذاق إلى رجل من جهال الناس عليه ثياب حسنة، ويتكلم ويلحن، فقال له: تكلم على قدر ثيابك، أو البس على قدر كلامك.

من أحب الناس إليك

قيل لإبليس: من أحب الناس إليك؟ قال: عابد بخيل، قيل فمن أبغض الناس إليك؟ قال: فاسق سخي فينجيه سخاؤه.

قضاء حوائج الناس

من كثرت نعم الله عليه، كثرت حوائج الناس إليه، فإن قام بما يحب الله فيها عرّضها للدوام، وإن لم يقم بما يحب الله فيها عرضها للزوال.

أوجع بيت هجاء

قال عبدالملك بن مروان: ما هجاني أحد بأوجع من بيت هجانيّ به ابن الزبير وهو:

فإن تصبك من الأيام جائحة

لم نبك منك على دنيا ولا دين

دعاء

اللهم صل على محمد وآله، وارزقني سلامة الصدر من الحسد حتى لا أحسد أحداً من خلقك على شئ من فضلك، وحتى لا أرى نعمة من نعمك على أحد من خلقك - في دين أو دنيا أو عافية أو تقوى، أو سعة أو رخاء - إلا رجوت لنفسي أفضل ذلك بك، ومنك وحدك: لا شريك لك.

الراحمون يرحمهم الرحمن

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

رعاية الطفولة كانت ولازالت واحدة من أهم الموضوعات التى ناقشها ولازال يناقشها الجهاز الإعلامى بمختلف تخصصاته واتجاهاته، واهتمت بها أجهزة الدولة فخصصت معاهد بحثية وأجهزة متخصصة لبحث ومعالجة مشكلات الطفولة فى مصر.

ومن يتابع جهاز التليفزيون المصرى يجده عامرا بمختلف البرامج المخصصة لمخاطبة الطفل وبحث ودراسة مشكلاته وبرغم هذا بقيت البرامج والأبحاث عاجزة وقاصرة عن أداء مهمتها لسببين الأول أنها تخاطب طبقات ذات مستوى ثقافى غير منخفض فى أغلب الأحوال، أى أنها تخاطب فئة من المجتمع تملك الوعى الذى يؤهلها لرعاية أطفالها وماعدا ذلك من فئات المجتمع لاتستفيد من هذه البرامج والأبحاث.

والثانى - وهو موضوع مقالنا - أن القائمين على التنفيذ فيما يتعلق برعاية الطفولة غير مؤهلين أو هم غير مدركين لأهمية الدور الذى يقومون به، وحديثى هنا لن يكون عن التليفزيون أو الصحافة أو الجامعات والمعاهد المتخصصة، إنما سيكون عن دور المسجد من خلال قصتين الأولى سمعتها والأخرى عايشتها.

القصة الأولى: وقعت فى يوم قائظ من أيام الصيف الذى عشناه جميعا فى القاهرة تجمع عدد من الأطفال ممن يطلق عليهم اسم «أطفال الشوارع» يسيرون حفاة يرتدون أثمالاً بالية ولم يجدوا مكانا يحتمون به من وهج الشمس سوى بيت من بيوت الله.. وكان الوقت وقت صلاة الظهر فدخلوا المسجد، ومنه إلى دورات المياه ملتمسين ماء يطفئون به لهيب الحر، وبدلا من أن يتوضأوا للصلاة بدأوا فى الاستحمام بعد أن تخففوا من أثمالهم فصاروا عراة، وهم أطفال دون العاشرة، وفوجىء بهم خادم المسجد وهم يلهون بالمياه فألقى بهم خارج المسجد على عريهم وهو يدفعهم بالعصا، وألقى لهم بأثمالهم فى الشارع فأمسكوا بها بهدوء يلبسونها، وعادوا ثانية يهيمون على وجوههم.

وواصلوا السير، قال لى صديقى بعد أن روى لى هذه القصة: لقد توجهت إلى شيخ المسجد وقلت له: هل ما حدث مع هؤلاء الأطفال سلوك إسلامى؟

فرد قائلا: المسجد به عهدة يخشى عليها من السرقة أو على الأقل الإتلاف.

فقلت له: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لم يبعثنى معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثنى معلما ميسرا»[1].

وما حدث مع هؤلاء الأطفال هو العنت بعينه، لقد لجأوا إلى المسجد ينشدون الظل والماء والأمان، وكان من الممكن احتضانهم داخل المسجد ساعات الصلاة وتعليمهم أمور دينهم، وكانوا سيجدون من يمد لهم يد المساعدة من أهل الخير.

جماعات التبشير فى أفريقيا وآسيا لاتغلق كنائسها فى وجه أمثال هؤلاء بل ترحب بهم وتحتضنهم وتقدم لهم المسكن والملبس والطعام وبعد ذلك يبدأون فى مباشرة عملهم فما المانع فى أن نكون مقلدين لهم فى هذا، لاسيما وأن هؤلاء الأطفال لايجدون من يعلمهم من أمر دينهم شيئا فهم هائمون على وجوههم فى الشوارع.

هؤلاء الأطفال لم يجدوا داخل المسجد عدلا ولا إحسانا والله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾[2].

لم يجدوا الداعية الذى يعمل بكتاب الله:

﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[3].

لم يجدوا من يطبق حديث رسول الله ﷺ «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»[4].

القصة الثانية: عايشتها عن قرب، فقد كان بطلها نجلى الذى لم يكن قد أكمل عامه التاسع.

اعتاد حسين منذ فترة وجيزة على الذهاب للمسجد لأداء الصلاة بصحبة عدد من قرنائه، ووجدوا المسجد يقوم بتحفيظ القرآن وتعليم العبادات من خلال عدد من الشباب.

كان الأطفال يتجمعون فى غرفة ملحقة بالمسجد، وذات يوم وأثناء الدرس ارتكب أحد الأطفال جريمة الضحك فعوقب بالطرد، وارتكب آخر جريمة السرحان فعوقب بالطرد ثم ارتكب ابنى جناية الكلام بدون إذن فعوقب بالطرد أيضا، وتكررت تلك الجرائم المنكرة من جانب هؤلاء الأطفال المتراوحة أعمارهم بين سبعة وتسعة أعوام فكان

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١/ ٨٠، ٨١ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) النحل (٩٠).

(٣) البقرة (٨٣)

(٤) اخرجه أبو داود والترمذى.

نصيبهم الطرد المتكرر وضجت زوجتى من هذا الأمر خاصة وأن حسين اتخذ قرارا بمقاطعة المسجد وعدم دخوله مطلقا لا للصلاة ولا للدرس، وعبثا حاولت معه إلا أنه أبى ولم يُجْد معه النصح.

وكان منطقه هو: الشيخ بيقول: ممنوع الضحك، وممنوع الكلام وأنا سأضحك وأتكلم بدون قصد والشيخ قال: لا تعودوا إلى الجامع.. الجامع للعاقلين وانتم مجانين.

غير أن والدته نجحت فى إقناعه بأن يذهب إلى مسجد آخر للصلاة وسماع الدرس فوافق ولكن على الصلاة فقط أما الدرس فلا!!

فقررت أن تذهب للمسجد معه للبحث عن هذا الشيخ فوجدته شابا فى مقتبل العمر فلما سألته عما جناه الطفل حتى يطرد المرة تلو الأخرى فكان الجواب المذهل: أولياء الأمور يرفضون ضرب أبنائهم، ولابد من امتلاك وسيلة عقاب ولا يوجد أمامنا إلا الطرد، واستطرد: الحكومة ألغت الكتاتيب بحجة أنها تعتمد على الضرب كوسيلة عقابية مع المقصرين فى حفظ كتاب الله وهذا هو سبب قلة حُفَّاظ كتاب الله اليوم.

فردت عليه زوجتى: الرسول ﷺ قال: «مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع»(٥).

هذا هو العقاب الإسلامى للطفل إذا أهمل الصلاة، والصلاة كما قال عنها رسول الله ﷺ: «الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين».

ولكن الشيخ قال: الكلام سهل المشكلة إن العيال دى «مدلعة» ومرفهة ولا يصلح معها غير العقاب الرادع إما الضرب وإما الطرد.

والآن وبعد الفراغ من عرض القصتين نتساءل: ما هى رسالة المسجد فى الإسلام؟ هل المسجد مجرد عهدة وأثاث فاخر يخشى عليه من التلف أو السرقة فنحجب عنه اللائذين به الآملين فى رحمة الله؟ وهل الضرب والطرد وسيلتان وحيدتان لتعليم كتاب الله للأطفال؟

الجواب نجده فى كتاب الله ـ عز وجل:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾(٦)

أقول: لابد من الرفق واللين والرحمة، والرسول ﷺ قال: «لاتنزع الرحمة إلا من قلب شقى»(٧) وقال: «لن تؤمنوا حتى تراحموا»(٨) بل إن الجنة وسعت بغيا سقت كلبا، ووسعت النار أخرى حبست هرة حتى ماتت.

فأين دور المسجد من برامج التليفزيون فى تربية الأطفال.

(٥) اخرجه الحاكم وأبو داود.

(٦) ال عمران (١٥٩).

(٧) اخرجه الترمذى وأبو داود.

(٨) آخرجه الطبرانى.

صورة مشرقة من أدب المتعلمين مع معلميهم

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

أدب الله رسوله ﷺ فأحسن تأديبه وعلمه فكان علمه وأدبه وحياً متصلاً بالسماء هدفه الرقى بالإنسان والسمو بأخلاقيات البشر وانتشالهم من حمأة الرذيلة إلى آفاق الفضيلة والسير بهم فى طريق الرشاد تكريماً من الحق للخلق. ولقد تميز الإسلام الحنيف على شتى القوانين الوضعية بإعلاء قيمة الخلق الرفيع وتفضيل الأدب على العلم - لأن العلم مالم يتوج بتاج من القيم والمبادىء والمثل التى تتغيا رفعة الإنسان وجعل سلوكياته أكثر تحضراً وعدم حصرها فى إطار من الماديات الضيقة - العلم بهذا المنظور يفرغ نفسه من جوهره ويحد من ذاته فى إطار حسى بحت ينأى به عما خلق له.

ومن هنا قال الشاعر:

لا تحسبن العلم ينفع وحده
ما لم يتوج ربه بخلاق

وقال آخر:

وارفعوا دولتى على العلم والأخلاق
فالعلم وحده ليس يجدى

وهى مسألة دقيقة تضيع وتغيب أو تُغيَّب فى زحام الأحداث المتتابعة وتفقد محتواها وسط جلبة الضجيج الإعلامى الهادر الذى لا يعطى الكثيرين فرصة التريث والتأمل ووضع الأمور فى نصابها. ومن هنا تأتى أهمية القضية المطروحة على بساط البحث وأعنى بها أولوية الخلق على العلم، الأمر الذى يستوجب احترام التلميذ لأستاذه والطالب لمعلمه وهو أمر يزيد فى أهميته تزامنه مع ابتداء عام دراسى جديد وانتظام البنين والبنات فى مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم بغية التخلق بالأدب الجم والعلم المفيد النافع.

إن خير ما تحلى به طالب العلم وإزدان به المتعلمون أدب يدفع كلاً منهم إلى الاهتمام بمعالى الأمور والبُعد عن سفسافها ويبلغ بصاحبه من الكمالات النفسية والعقلية والذهنية أوجها. إنه الأدب الذى يُبوء صاحبه حظاً من التوفيق يجعله لبنة صالحة فى بناء أمته، إنه الخلق الذى تصبح به صورة

المتعلم المسلم أكثر وضاءة، وأشد سطوعاً، وأبهى معنىً، وأعظم مغزىً يجعله يتفوق على من سواه من المتعلمين كيف لا وهو فى كل ما يحصل من علم ويأتى من خلق يضع نصب عينيه نبراساً ينير له السبيل من قوله ﷺ: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»(١).

ولقد اهتم أساطين الفكر الإسلامى أشد الاهتمام بهذا الموضوع وألفوا فيه من بدائع الكتب ما احتوى خالص التوجيهات التى تعد بحق إحدى مفاخر الحضارة الإنسانية ومآثر التربية الإسلامية التى تُعلى من شأن القيمة والجوهر والمضمون والمحتوى دون التقليل من أهمية الشكل والقالب الذى ينبغى أن يكون مقبولاً مستساغاً. وليس الأمر مجرد وضع للقواعد والأصول والأطر، وإنما الأهمية الفعلية تكمن فى ارتباط القول بالفعل والتنظير بالتطبيق العملى حتى لا يقع المسلم تحت طائلة قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾(١).

لأن السلوكيات حين تصطبغ بالتطبيق العملى تصبح ذات تأثير فعّال فى الواقع المعاش. والسنة النبوية رسمت فى الحديث الشريف صورة لأولئك الذين فصلوا بين القول والفعل صورة تجعل المطلع عليها يشمئز أن يكون واحداً منهم بل إنها تحفزه إلى المسارعة إلى ربط القول بالفعل والخلق بالعلم حتى يكون أهلاً لأن يتخذ قدوة تحتذى وأسوة تتبع.

وقد كان نتاج هذا الغراس الطيب الزاكى نماذج مشرقة وأمثلة مضيئة تعطى المعلم حقه من المكانة والرفعة فى أمور يراها أبناء الجيل الحالى أموراً معتادة لكنها تنبئ بصدق عن أناس صاروا بحسن خلقهم عطراً شذيا تزكو به الحياة وضوءاً سنيا ينير على مدى الأيام وأحاديث طيبة تتعطر بها الألسن ولِمَ لا وهم أزاهير الدوحة النبوية والروضة المحمدية وأطيارها الغردة التى تنشد من الألحان أعذبها وتقدم من الخصال أنجبها وأطيبها، فافتح إذن قلبك وعين بصرك وأجبنى -رعاك الله- هل هناك أدب يراعى فى تقليب صفحات الكتاب حين قراءته؟ وقبل أن تجيب هذا هو الإمام الشافعى -رحمه الله- يخبر عن حاله مع شيخه الإمام مالك -رحمه الله- حين كان يقرأ الموطأ عليه فيقول: كنت أصفح «أى أقلب الورق» بين يدى مالك صفحاً رقيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها. فهل رأيت تلميذاً أكثر فى دماثة خلقه وأدبه الجم من تلميذ لا يود أن يسبب أدنى إزعاج لأستاذه حتى ولو كان مصدره صوت صفحات كتاب يقلبها

(١) أخرجه مسلم.

(٢) الصف (٢، ٣).

بين يديه فما أجمله من إحساس رقيق!. ثم قل لي بربك هل هناك حرج أو غضاضة في أن يشرب تلميذ ماء أمام معلمه؟ ولا أقول يدخن أو يأتي من الأفعال ما يندى له الجبين، يجلي لنا هذه الصورة الربيع بن سليمان - غفر الله له- وهو تلميذ الإمام الشافعي، وأحد رواة مذهبه حين يقول: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبة له. فما بالك بأناس يجعلون من معلميهم مادة للسخرية والتندر!.. وأما عن الاعتراف بالجميل فحدّث ولا حرج حتى ولو كان علماً يسيرا فهذا هو الإمام الحافظ شعبة بن الحجاج -رحمه الله- يقول: كنت إذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبدا مادام حيا. ويذكرني ذلك القول الكريم بأحدهم حين سمع القول المأثور: من علمني حرفاً صرت له عبداً. فثارت ثائرته وقال: بل قل من علمني حرفاً صنت له وداً. فقلت له على الفور: يا أخي تحملنا مالم نقصد إليه؛ فالعبد هنا ليس معناه أنك تعبده من دون الله أو تتخذه إلهاً والعياذ بالله فحاشى لله أن يكون ذلك هو القصد، أو تلك هي النية، بل المقصود صرت معترفاً بجميله، ذاكراً لفضله غير جاحد أو منكر له، أقدم له من الخدمات ما أحس معه أني قد كافأته ولو بأقل القليل ألم تسمع -هداك الله- أو تقرأ قول الشاعر وهو يحتفي بضيفه:

وإني لَعَبْدُ الضيفِ مادام ثاويا
وما بي شيمة بعدها تشبه العبد

فهو يخدمه ويتفانى في الترحيب به مدة إقامته عنده لا أنه يعبده أو أنه مملوكه.

ولا يقف التكريم للعلماء عند حد التكريم المادي بل يسمو إلى حد التكريم المعنوي، ومن أخص خصائصه الدعاء لهم بالخير والثناء عليهم بما هم أهل له ابتغاء رضا الله فيهم، فهذا هو الإمام أحمد - رحمه الله - يقول لابن شيخه الإمام الشافعي: أبوك من الخمسة الذين أدعو لهم كل سَحَر. قال: ولِمَ ذاك؟ قال أحمد: إن الشافعي كان كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن فانظر هل لهذين من خلف؟. ثم هناك نقطة جوهرية تحراها الأقدمون تنبيهاً للمحدثين من خطر الخوض فيها وهي التغاضي عن عيب المعلم والتغافل عنه إن وجد له عيب والتماس العذر، له فقد كان بعض السلف إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء ثم قال: اللهم استر عيب معلمي عني ولا تذهب بركة علمه مني. فهل بعد ذلك من تألق وحسن أدب وهل بقي في ذاكرة الأجيال من هذه المبادىء إلا عبقها الزكي وأريجها الفواح؟ فياليت أبناءنا وبناتنا يستمسكون بتلك السلوكيات التي اتخذها أقرانهم من السلف دستوراً وشعاراً ودثاراً ففازوا وربحوا لأنهم صدقوا الله فصدقهم وأخلصوا له النية فاجتباهم وعملوا بما علموا فأكرمهم وحباهم.

***

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فنبدأ إن شاء الله برسالة الأخ رفيع عبد اللطيف النجار من دراجيل مركز الشهداء محافظة المنوفية التى يقول فيها: عند قراءتى للآية العشرين من سورة المزمل وجدت قوله تعالى:

﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾[1] فى المصاحف التى تسلمها طلبة المعاهد الأزهرية بينما هى مكتوبة فى المصاحف الأخرى التى طبعت بمطابع الأزهر الشريف بهذه الصورة:

(علم ألن تحصوه فتاب عليكم) فلا أدرى أهو خطأ طباعى أم لا؟ فإذا كان خطأ طباعياً فأرجو التنويه إلى ذلك فى مجلة الأزهر وإذا كانت الأخرى فأرجو توحيد الطبعات حتى لا يحدث لبس عند بعض الناس.

وقبل أن أجيب الأخ رفيع عن سؤاله أود أن أشير إلى أن سؤاله يتصل بما يسمى رسم المصحف وهو أحد علوم القرآن الكريم الذى مازال يدرس – بحمد الله تعالى – فى معاهد القراءات، ذلك أن خط المصحف الشريف يخالف الخط الإملائى الذى نعرفه ونسير عليه فى كتاباتنا ومطابعنا سوى مطابع المصحف الشريف، والمراد برسم المصحف الخط الذى كتب به فى عهد عثمان – رضى الله عنه – وهو خط متميز يختلف بعض الشىء عن القواعد الإملائية التى وضعها علماء اللغة بعد كتابة المصاحف

(١) المزمل (٢٠).

العثمانية. ومن مظاهر اختلاف خط المصحف عن الخط الإملائى زيادة الألف بعد الواو المتطرفة فى نحو (ملاقوا، يعفوا) وزيادة الفتحة الممدودة واواً أو ياءً فى مثل «الصلوة، الزكوة» وما شابه ذلك مما يخالف النطق والكتابة الإملائية فى جزء يسير منه وعناية العلماء برسم المصحف ودراسته يشير إلى أى مدى بلغت عناية الأمة واهتمامها بالقرآن الكريم وهو ما قيضه الله - تعالى - لهذا الكتاب العزيز ليظل محفوظاً كما وعد سبحانه فى نطقه ورسمه وليتحقق قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[٢].

فليس الحفظ خاصاً بصوت الكلمات ونطقها بل بصورتها وشكلها كذلك».

والتزام الرسم العثمانى فى كتابة المصاحف وطبعها هو رأى جمهور العلماء.

ذكر الإمام السيوطى فى الإتقان: «سئل مالك هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء فقال: (لا إلا على الكتبة الأولى) رواه الوافى فى المقنع. ثم قال: (لا مخالف له من علماء الأمة) وسُئل - رضى الله عنه - مرة أخرى عن الحروف المزيدة فى الرسم المعدومه فى اللفظ فى نحو (أولوا) فالواو الأولى وكذا الألف تكتب ولا تنطق أترى أن يغير رسمها فى الصحف يعنى المصحف. (قال: لا)، وقال الإمام أحمد - رضى الله عنه: يحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو أو ياء أو ألف. وقال البيهقى فى شعب الإيمان: من يكتب مصحفا فينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئاً فإنهم كانوا أكثر علما وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة منا فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم[٣].

ونأتى إلى الجزئية التى التبست على الأخ رفيع وهى قوله تعالى فى الآية العشرين من سورة المزمل: (ألن تحصوه) التى كتبت فى مصحف الإمام، الموزع على طلاب المعاهد بوصل النون مع اللام أى الإدغام وفى باقى المصاحف حتى المطبوعة فى الأزهر ﴿ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾ بفصل النون عن اللام وهذا يسمى فى علم رسم المصحف بالوصل والفصل.

وأطمئن الأخ السائل إلى أن المسألة ليست فيها خطأ مطبعىٌ ولا شىء، والأمران جائزان كما قال علماء الرسم الذين قرروا أن كل موضع فيه ﴿ أَن لَّن ﴾ يجوز فيه الوصل والفصل إلا فى موضعين هما قوله تعالى من سورة الكهف:

(٢) الحجر (٩).

(٣) الإتقان فى علوم القرآن للإمام السيوطى جـ٢ ص٢٧٣ ط. المعاهد الأزهرية بتصرف يسير جداً.

﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾(٤).

وقوله تعالى فى سورة القيامة:

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾(٥).

ففى هذين الموضعين لا يجوز الفصل:

﴿ أَن لَّن ﴾ بل يجب الوصل يعنى وصل النون باللام أى الإدغام.

وفى باقى المواضع ومنهــا آية المزمل يجــوز الأمران الوصل ﴿ أَلَّن ﴾ والفصل:

﴿ أَن لَّن ﴾ ذكره السيوطى فى الإتقان(٦).

هذا والله أعلم وبه التوفيق،،

لمن تكون الشبكة عند فسخ الخطبة؟

● والرسالة الثانية فى هذا العدد من الأخ القارىء -تعمد ألا يذكر اسمه حتى لا يُعرف- لأنه من الريف -كمـا يقـول- ويطلب فى رسالته الرد السريع على هذه الاستفسارات:

١- لمن تكون الشبكة عند فسخ الخطبة؟

٢- وكذلك المواسم النقدية والذهبية تكون من حق من؟

٣- وأيضا فستان الخطوبة ومحتوياته تكون من حق من؟

٤- تكاليف الخطبة من جاتوهات وأنوار هل ترد إلى العريس (يقصد الخاطب)؟ ثم يقول: وهل يوجد فرق بين أن يكون فسخ الخطبة بسبب العروس أو العريس (يقصد الخاطب والمخطوبة) ويسأل فى آخر رسالته قائلاً: هل إذا خطبْتُ ثانيا أكون مذنباً؟

ـ وبداية أقول للأخ السائل: إن الخطبة (بكسر الخاء) وعد بالزواج وتقدمة له تسبق العقد وغالبا ما يكون معها أو بعدها تقديم الهدايا والهبات وربما بعض المهر أو كله وبما أن الخطبة مجرد وعد بالزواج فيجوز لكل واحد من الطرفين الرجوع فيها وفسخها إذا رأى مصلحة فى ذلك فإذا لم يكن ثمة سبب للفسخ كان ذلك من باب خلف الوعد الذى جعله الرسول ﷺ علامة من علامات النفاق؛ فقد روى أن عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - لما حضرته الوفاة قال: «انظروا فلانًا -لرجل من قريش- فإنى قلت له فى ابنتى قولاً كشبه العدة وما أحب أن ألقى الله بثلث النفاق وأشهدكم أنى قد زوجته».

وقد جُعلت الخطبة ليتعرف كل من الخاطب والمخطوبة على أخلاق بعضهما البعض وأحواله لكن ينبغى لكل منهما أن يحاول السؤال والتحرى قبل الإقدام على الخطبة وإشهارها ليكون ذلك أدعى لعدم الفسخ لأن فى الفسخ كسراً لخاطر أحدهما ومجالاً لإشاعات السوء.

(٤) الكهف (٤٨).
(٥) القيامة (٣)
(٦) الإتقان جـ٣.

وإذا كان الخاطب قد قدم المهر أو بعضه ثم فسخت الخطبة فله الحق في استرداده لأنه دفعه في مقابل الزواج وعوضاً عنه والزواج لم يتم فله استرداده عند كل العلماء، أما الشبكة فقد ذهب الأحناف إلى أن الشبكة وكل الهدايا تأخذ حكم الهبة فلا يستردها الخاطب إلا إذا كانت قائمة على حالتها لم تتغير فإن لم تكن قائمة بأن فقدت أو بيعت أو كان طعاماً فأكل أو قماشاً فصار ثوباً فليس للخاطب شيء منه أو استرداد بدله، وبهذا الرأى أخذت المحاكم الشرعية في قوانين الأحوال الشخصية وعليه فهلاك الشبكة أو استهلاكها مانع من رجوعها، أما إذا كانت قائمة على حالها لم تتغير فيستردها الخاطب عند الفسخ كالأسورة والساعة والعقد والخاتم ونحو ذلك، هذا رأى الحنفية، أما المالكية فقد فصلوا فقالوا: إن كان فسخ الخطبة من جهة الخاطب لا يسترد من الشبكة أو الهدايا أو النقود في المواسم وما شاكل ذلك، أما إذا كان الفسخ من جهة المخطوبة أو وليها فيأخذ الخاطب كل شيء من ذهب ومال سواء كان باقيا على حالته أم لا، فإذا كان قد هلك أو بيع أو استعمل فيأخذ قيمته إلا إذا كان هناك شرط بغير ذلك، وهذا المذهب قريب من الواقع وارتضاه كثير من العلماء. ولا يفوتنى أن أذكر أن تكاليف حفل الخطوبة من طعام وشراب وأنوار وخلافه فلا رجوع وكذا فيما اعتقد فستان الخطوبة.

هذا وإذا كان العرف قد جرى بأن الشبكة تعتبر جزءاً من المهر فقد رأينا بعض الناس يتفقون على الشبكة وحجمها ونوعها وقيمتها كالمهر سواء بسواء، فعندئذ العرف محكم ولابد من ردها حتى ولو كان الفسخ من جهة الخاطب.

ويسأل الأخ القارىء: هل إذا فسخ خطوبته وخطب فتاة أخرى هل يكون مذنباً؟

ـ والجواب: إذا كان الفسخ لمبرر فليس عليك ذنب إذا خطبت فتاة أخرى لأن المراد بالخطوبة تعرف كل واحد من الخاطب والمخطوبة على الآخر فإذا كان هذا التعرف قد أسفر عن أن هذه الفتاة لا تصلح له ففسخ الخطبة وخطب غيرها فلا ذنب عليه، أما إذا كان فسخ الخطبة لأنه رأى واحدة أجمل أو أغنى فقد ارتكب ذنباً.

هذا والله أعلم وبه التوفيق.

***

اليهود وتهمة الدم

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

لقد اتهم اليهود بالقتل واستعمال الدماء فى طقوسهم الدينية وأعيادهم وخصوصا (عيد الفصح) الذى يقال إن خبزه المقدس يعجن بدماء الضحايا من غير اليهود وقد اخذت تهمة الدم بعدها الجاد فى القرون الوسطى وأدت هذه التهمة إلى محاكمات ومذابح لليهود على مر العصور وقد حاول كثير من اليهود تفنيد التهمة وإقناع الناس ببطلانها ولكنهم فشلوا واستمرت تهمة الدم مرتبطة ارتباطا وثيقا بصورة اليهودى طوال العصور.

وجرائم تهم الدم عديدة منها ما ذكره المؤرخ الفرنسى « شارل لوران » فى كتابه المثير « المسائل التاريخية عما جرى فى سوريا سنة ١٨٤٠ » عن مقتل الأب توما وخادمه إبراهيم عمار .. فى دمشق.

وقد لخص الدكتور يوسف نصرالله هذا الحادث فى مقدمة الترجمة العربية للكتاب على النحو الذى ننقله هنا بالحرف الواحد.

« وفى مساء اليوم الخامس من شهر فبراير سنة ١٨٤٠م قصد الأب توما حارة اليهود بقصد تطعيم ولد للوقاية من الجدرى فلبى الدعوة فى الحال ولما أن شاهد أن الولد المطلوب لأجله مريض وفى درجة الخطر لم يرَ إجراء التطعيم موافقا فرجع لديره وكان بالقرب من بيت الولد المريض دار « داود هرارى » وكان هذا الرجل معدودا من أتقى اليهود فى الشام، وكان النصارى يبالغون فى اعتباره وتوقيره وإكرامه، حتى إنهم كانوا يقولون عنه يهودى نصرانى صالح، وكان داود هرارى صديقا للأب توما فلما رآه مارا أمام داره استدعاه للدخول فلبى الأب دعوته ودخل فوجد هناك أخا داود وعمه واثنين من عظماء اليهود فلما صار فى إحدى الغرف أغلق الباب، وانقض الجميع عليه كالذئاب الكاسرة، ووضعوا على فمه منديلا وربطوا يديه ورجليه ثم نقلوه إلى غرفة بعيدة عن الشارع وألقوه هناك إلى أن أظلم الليل وأخذوا فى الاستعدادات اللازمة لذبحه فلما جاء حضرة

الحاخام استدعوا حلاقا يهوديا اسمه « سليمان » وأمروه بأن يذبح القسيس فخاف هذا الرجل وامتنع عن الإقدام على العمل فجاء الرجل التقى بين اليهود . . الرجل الوقور داود هرارى صديق الأب توما بنفسه فأخذ السكين ونحره » .(١)

ويمضى الدكتوريوسف نصرالله فى تلخيص الحادث المروع من واقع التحقيقات الرسمية التى قدمها المؤرخ الفرنسى فى كتابه، ويذكر كيف ارتجفت يد القاتل وهو يذبح صديقه، فتقدم أخوه هارون وأكمل الذبح، وكان سليمان الحلاق قابضا لحية الأب توما، وكان الحاضرون يتناولون الدم فى إناء ثم يضعونه فى زجاجة بيضاء أرسلت فيما بعد إلى الحاخام باشا يعقوب العنتابى، وبعد أن تمت تصفية دم الذبيح على هذه الحالة نزعوا ثيابه عن جثته وأرقوها ثم قطعوا الجسد قطعا وسحقوا العظام بيد الهاون وطرحوا الجميع فى أحد المصارف المجاورة لمنزل الحاخام موسى أبو العافية وظنوا أنهم بهذه الوسيلة قد دفنوا الحادثة فى قبر عميق، ولكن الدم البرىء بقى يصرخ إلى الله كصراخ هابيل عندما قتله قابيل أخوه، فلما طال وقت رجوع الأب توما إلى ديره قلقت أفكار خادمه إبراهيم عمار، وبما أنه كان عالما بتوجه معلمه لحارة اليهود فقد ذهب اليها يسأل عنه فدخل دار داود هرارى وسأل من كان فيها عن سيده فأدخلوه منزل بعض المتهمين وذبحوه كما ذبحوا معلمه، وكان الأب توما دعى لوليمة عند طبيب والى دمشق فى ٦ فبراير، ولكنه لم يذهب فى الميعاد المحدد بسبب فقده قبل ذلك اليوم وعدم رجوعه إلى الدير وجرى البحث عنه إذ ذاك بدون فائدة .

« أما كشف الحادثة فكان على الصورة الآتية : وهو أنه فى صباح اليوم الثانى ٦ فبراير جاء الذين كانت عادتهم الحضور لسماع قداس الأب توما فمن حضر منهم أولا ظن أنه نائم ومن حضر أخيرا حسب أن القداس انتهى، والقسيس خرج لأشغاله مع أنه شاهد الأب توما عشية أمس متوجها لحارة اليهود فقلقت أفكارهم فأعلموا الباقين بالأمر فوقع بين الشعب هيجان وسار البعض إلى سراى الحكومة وطالبوا بالبحث والتدقيق عن هذا الأب » .

« واشتغل قنصل فرنسا بهذه القضية وأعطاها ما تستحقه من الأهمية فظهر أثناء التحقيق أن الحلاق اليهودى دعى ليلا عند التاجر اليهودى هرارى فنظر الأب توما مكتفا ومطروحا على الأرض، ثم جرى ما جرى كما سلف، وعند وجود الجثة عثر على قطعة من الطاقية التى كان يلبسها الراهب وهى معروفة فى كل دمشق .

واعترف إذ ذاك سبعة من المتهمين قائلين أنه قبل الواقعة بأيام أخبرهم الحاخام باشا أنه يلزم الاستحصال على دم بشرى لاستعماله فى عيد الفصح القريب فأجابه داود هرارى أنه سيتحصل

(١) د/ فتحى الرملى.. الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار.

على ذلك ولو كلفه من الأموال ما لا يعد. وكان المتهمون وقت اعترافهم محبوسين فى حبس الانفراد واعترافاتهم جاءت مطابقة لبعضها وبواسطتها صار الاستكشاف على الجثة وعلى بعض الملابس».

ويختتم المترجم تلخيصه لهذه الجريمة الوحشية قائلا :

«وبعد أن تمت التحقيقات ثبتت التهمة ضد المتهمين وتوفى أثناء المحاكمة اثنان منهم، ونال العفو أربعة لأنهم أقروا بالحقيقة، وحكم على العشرة الباقين بالإعدام».

ولكن بعد الوسائط الفعالة صدر عفوا عن المجرمين إجابة لاسترحام عموم الشعب الإسرائيلى.(٢)

ولنرجع إلى التعاليم الدينية اليهودية لنرى أن الدماء والإبادة لغير اليهود تعتبر عبادة :

فالتحريم فى المعنى اليهودى هو إبادة كل شيء فى مدينة مهزومة أو إهلاكها أوتخريبها تخريبا تاما ومعنى ذلك فى المفهوم اليهودى والفكر الدموى أنه إذا انتصر الجيش اليهودى على أعدائه فإن الدولة المهزومة يجب أن تهدم وتخرب تخريبا تاما ويقتل أهلها جميعا ذكورا وإناثا أطفالا وشيوخا وكذلك كل ما فيها من حيوانات ومواش وغير ذلك مما هو موجود فى المدينة أو الدولة المهزومة.

أما المعادن فتبقى وتطهر وتنقل إلى المعبد اليهودى وتودع فيه إذ هى مستثناه من التخريب.(٣)

أليس هذا أبلغ دليل على أنهم منذ نشأتهم الأولى ميالون إلى سفك الدماء وتشريد غير اليهودى أى البشر جميعا وأحكام التلمود خير دليل على أقوالى وأنهم بفطرتهم ميالون إلى جمع الذهب والفضة والمعادن الثمينة الأخرى ونقلها الى المعبد كى تكون فى يد كهنتهم الذين يحرمون ويحللون مايحلوا لهم أما القتل وسفك الدماء فمن نصيب غير اليهود وقد ورد فى التلمود : «من العدل أن يقتل اليهودى بيده كل كافر لأن من يسفك دم الكافر يقرب قربانا إلى الله» وقد اعتمد اليهود على أن التحريم هو أمر إلهى وأن ابادة المدن المهزومة تنفيذا لما جاء فى التوراة عندما أمر الرب موسى بتنفيذ التحريم فقد جاء فى التوراة «متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها وتطرد شعوبا كثيرة من أمامك..... لاتقطع لهم عهدا ولاتشفق عليهم».

ومايجرى الآن على الساحة الفلسطينية من سفك دماء تروى بها الأرض على مسمع ومرأى من العالم من اجل صنع فطيرة عيد الفصح.

---

(٢) د/ فتحى الرملى، الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار ص٧٠ - ٧٢.

(٣) د/ حسن ظاظا، السيد محمد عاشور : شريعة الحرب عند اليهود ص٢٠٦.

(٤) سفر التثنية ٧/١.

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ

محمود الفشني

الحرب الشرسة على الإسلام

نشرت مجلة المصور فى عددها الصادر فى ١٣ من سبتمبر فى حوار أجرته الكاتبة سناء السعيد مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى.

بدأت الكاتبة حديثها مع فضيلة الإمام الأكبر بقولها:

● الغريب أن بعض المسلمين والعرب تقبلوا الاتهام الذى ألصق بهم زورا وبهتانا وكأنما كان من المفروض عليهم المصادقة على كل ما تدعيه أمريكا.

فقال فضيلته:

●● هؤلاء بالقطع مخطئون وما كان يصح لهم أن يصادقوا على الاتهامات الموجهة بدون قرائن وأدلة ثبوتية.

● ألا ترون أن مسارعة أمريكا بإلصاق الجريمة بالمسلمين إنما يكشف عن كراهية دفينة نحو الإسلام وأهله؟

●● لاشك أن إلصاق التهمة بالمسلمين هو لون من التسرع فى الحكم الذى يجب على العقلاء أن يتنزهوا عنه. ولكن هذا لم يمنع من أن هناك قلة تحفظت وقالت نحن لا نستطيع أن نوجه التهمة إلا بعد أن تثبت لنا الجهات الرسمية المختصة الأدلة التى يمكن بواسطتها توجيه الاتهام لمن ارتكب هذه الجريمة والدولة التى ينتمى إليها، فلا يمكن أن نلقى التهم جزافا على الآخرين.

● ماذا لو أن أمريكا مضت فى غيها ووجهت ضربة للعراق؟

●● قال فضيلة الإمام: هناك وسيلتان.. الأولى أن القوة الظالمة الباغية يجب ألا تقابل مقابلة سلبية وإنما يجب على المعتدى عليه أن يقاوم والأعمار بيد الله، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره.

فالأجل بيد الله ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد قال تعالى:

﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾(١) .

إذن يجب ألا نقف موقفا سلبيا إزاء من أصر على العدوان علينا واعتدى علينا فعلا، علينا أن نقاوم على قدر استطاعتنا، هذه هى الوسيلة الأولى، أما الوسيلة الثانية فهى أننا يجب أن نعلم بأن مصير الباغين والظالمين والمعتدين إلى الخسران وهذه سنة الله. على الذين يفرحون بقوتهم أن يعلموا بأن القوة إذا استعملت فى الظلم والعدوان وقتل الأبرياء، فإن الله - عز وجل - سينتقم منهم إن عاجلا أو آجلا .

● هناك من طرح أسلوب المهادنة والتوسل مع أمريكا بدعوى أننا أمة مغلوبة على أمرها، هل يقبل الإسلام بهذا الطرح؟

●● هذا أسلوب لا يقبله الإسلام. ولكن إذا كانت المسألة تخضع لتقييم السياسيين فأحيانا أهل الخبرة تكون لهم نظرات فاحصة تختلف عن نظرات غيرهم.

فهى مسائل تقديرية تخضع للظرف، لكنى ومن الناحية الشرعية أعود لأقول بأن من اعتدى علىّ وأصر على الاعتداء ظلما وعدوانا ووصل هذا العدوان إلى بيتى وبلدى فلابد أن أقاوم بالطريقة التى أملكها ثم بعد ذلك الأعمار بيد الله - عز وجل.

● تمادت أمريكا فى سياسة الكيل بمكيالين ففى حين يطلق بوش على شارون رجل السلام ويسمى جرائم إسرائيل ضد الفلسطينيين دفاعا عن النفس نجده يدرج المقاومة الفلسطينية على لائحة الإرهاب ما هى رؤيتكم؟

●● رؤيتى كرؤية الكثيرين وهو أن هذا ظلم بين، وإذا كانت أمريكا تكيل بمكيالين فعلينا أن نقنعها بالأدلة المنطقية أن هذا يخالف شريعة الله، والعقل الإنسانى السليم، ونسوق لها الأدلة التى تدل على أن إخواننا فى فلسطين يجب أن نمد لهم العون ونقف إلى جانبهم حتى يأخذوا حقوقهم كاملة غير منقوصة وحتى تقام لهم دولتهم المستقلة الحرة ويجب على أمريكا أن تدرك أن من يؤيد المعتدى يكون ظالما ويكون مخطئا.

● أمريكا تعتزم إجراء ثورة إصلاحية فى العالم العربى والإسلامى، ويقال إن كولن باول يجهز نفسه لهذه المهمة لطرح برنامج للإصلاح الديمقراطى فى المنطقة يتضمن عددا من البرامج للتدريب على مسائل تعليمية وإعلامية وسياسية وأنه يعتزم القيام بجولة فى المنطقة لتحقيق هذا الهدف الذى رصد له مبدئيا ٢٥ مليون دولار والهدف هو التدريب على نمط معين يتسق مع الغرب للتقليل من الامتعاض ضد أمريكا؟

●● هذا توجه غير سليم لأننا كمسلمين وعرب لنا قيمنا ولسنا فى حاجة إلى من يعلمنا وإنما من أراد أن يأتى إلينا لكى يتعلم فمرحبا به، نحن على استعداد أن نعلمه، أما من يريد أن يأتى إلينا ليفرض علينا رأيا معينا أو منهجا معينا أو يفرض علينا وصاياه، فنحن نقول له لقد ضللت طريقك ولن نلتفت لا إلى آرائه ولا إلى نصائحه ليحتفظوا بإصلاحاتهم لأنفسهم فلسنا فى حاجة إلى من يدربنا أو من يعلمنا.

---

(١) آل عمران (١٥٤).

هل أصبح الإسلام (عدوا) فى أمريكا و (مشكلة) فى أوروبا ؟

وفى «مجلة أكتوبر» فى عددها الصادر فى ٨ من سبتمبر كتب الأستاذ رجب البنا رئيس التحرير مقالاً قال فيه :

فى واشنطن تجمع ٣٠ ألف أمريكى مسلم ممن عانوا من المضايقات بعد الهجمات على نيويورك وواشنطن فى ١١ من سبتمبر. بدأ مؤتمر الأمريكيين المسلمين يوم ٣١ أغسطس ٢٠٠٢ بمناسبة مرورعام على الحادثة واستمر أربعة أيام، وقال رئيس الجمعية الإسلامية فى أمريكا الشمالية التى نظمت المؤتمر : إن هذا بلدنا، ونحن نحرص على الخير لهذاالبلد ولكل إنسان، ولكننا نعانى من آثار ١١ سبتمبر على الحريات المدنية، وعلى الإسلام، وعلى الحياة السياسية فى الولايات المتحدة.

وقال أمين عام الجمعية سيد سعيد : إن الجمعية تسعى جاهدة للتصدى للتشويه الذى يتعرض له الإسلام والمسلمين، وتعمل على إبراز الفرق بين الصورة الحقيقية للإسلام والصور المتطرفة منه، وفعلنا كل ما فى وسعنا لتوضيح أن الإسلام لا يقدم هذا النوع من التطرف، ولكن كثيرا من المسلمين فى أمريكا عانوا من أوقات صعبة، داهمت الشرطة عددا من الجمعيات الخيرية الإسلامية كما داهمت عددا كبيرا من المساجد.. وكان تعليق مراسل الإذاعة البريطانية فى واشنطن، أليكس فان، إنه على الرغم من جهود المسلمين للحيلولة دون اعتبار دينهم دين «الشيطان» فإن الهجمات غيرت من صورة الإسلام، ولفترة من الوقت شعر المسلمون فى أمريكا بالخطر يتهددهم، ولا يزال كثير منهم حتى الآن يرون أنه عليهم الدفاع عن أنفسهم من الاتهامات الموجهة إلى الإسلام.. وأخيرا تجمع عدد كبير من «التحالف لحماية الحرية السياسية» فى مسيرة كبيرة فى ميدان الحرية فى العاصمة الأمريكية.

هكذا، لم يجد المسلمون فى أمريكا وسيلة للتعبير عما يلاقونه من متاعب وتحيز ضدهم سوى عقد المؤتمرات والقيام بالمسيرات، ومع ذلك استمرت الحملة على الإسلام والمسلمين ولم يشفع لهم احتفال المسلمين بذكرى هجمات سبتمبر وإقامة الصلاة على أرواح الضحايا، وكشف إستطلاع أجراه مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية أن ٥٧٪ من مسلمى أمريكا تعرضوا لممارسات عانوا فيها من العنصرية والتمييز، وأن ٨٧٪ يعرفون زملاء لهم تعرضوا لهذه الممارسات، و٤٨٪ حياتهم تحولوا إلى الأسوأ، واتهم ٦٧٪ وسائل الإعلام الأمريكية بأنها أصبحت أكثر عدائية للإسلام والمسلمين.

فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ

وعلى الصفحة الثالثة من جريدة (اللواء الإسلامى) الصادرة فى ٢٦ من رجب ١٤٢٣هـ كانت هذه الكلمة التى جاءت تحت عنوان «ليلة بكى فيها شارون ورفاقه» :

ماذا يقول شارون عن حرب أكتوبر؟!

شارون واحد من كبار القادة الذين عاصروا تلك الحرب، وخاضوا غمارها وبمناسبة الذكرى التاسعة والعشرين للحرب، فإن شارون تحدث قليلا عن حرب أكتوبر، فكان حديثه يقطر بالمرارة والحزن، فماذا قال؟!

فى البداية يؤكد أنه لم يعرف البكاء طيلة حياته العسكرية حتى استدعوه بعد تقاعده خلال الحرب الملعونة التى صبت لعنتها على إسرائيل، وقتها فقط عرفت معنى البكاء، فقد بكيت كثيراً بعدما شاهدت بنفسى مستقبل إسرائيل المظلم وحجم الضحايا من شباب إسرائيل.

ويضيف شارون : إن المصريين خدعونا بطقوسهم الدينية مرتين، مرة عندما أوهمونا أن القيادات العسكرية المصرية ستذهب لتأدية طقوس العمرة والحج، فاستكان اليهود، والمرة الأخرى عندما شنوا الحرب فى شهر صومهم، ولم يكن أذكى شخص فى العالم بأكمله قادر على تخيل حدوث ذلك.

ويقول شارون : إن المصريين لم يخدعونا بدينهم فحسب، ولكن بديننا ففى يوم الغفران، وجميع أفراد الجيش الإسرائيلى فى حالة استرخاء والقادة العسكريون يحتسون (الخمور والكونياك الفاخر) فى الغرف المكيفة كان المارد المصرى بدأ الضرب وبلا رحمة محطماً سياج الغرور اليهودى.

ويقول شارون : إن اليأس تملكه فى تلك الليلة، وظلت الهواجس والكوابيس تطارده، وتيقن أن إسرائيل فى طريقها إلى هاوية سحيقة.

و «مجلة الأزهر» تكمل تصريح شارون بنشر صورة معبرة عن ذهوله، والضمادات تلف رأسه وهو يراجع الموقف العسكرى المتردى لجيش إسرائيل.

بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة

أمن الأمة فى الاعتصام بحبل الله

إصرارٌ متزايد من أمريكا على ضرب العراق، تنقل الصحافة العالمية أخباره بشكل متواصل، وأنباء عن تلك الضربة المتوقعة سواء بموافقة الأمم المتحدة أم بدونها!!

وفى ذات الوقت تنقل الصحافة أيضا قول ميلسيا فليمنج المتحدثة باسم الوكالة الدولية للطاقة الذرية: «إن الوكالة لم تنشر أى تقارير حول تطوير العراق للبرنامج النووى.. وكل ما صدر عن الوكالة مجرد نشرة الجمعة الماضية تؤكد أنه لا جديد بشأن هذا البرنامج».[1]

وبرغم أن إسرائيل لديها من الأسلحة ما يفوق كل ما تملكه الدول العربية مجتمعة.. بل هى تهدد أمن جيرانها إلا أن أمريكا تنظر إلى هذه الترسانة الضخمة ـ من السلاح بكافة أنواعه ـ على أنها لا تشكل خطراً.

فأمريكا فى الحقيقة لا تنظر إلا إلى مصالحها فى المقام الأول وهى لا تجد فى الدول العربية بوضعها الراهن المتفكك مصالح ذات بال.

وقد صرنا إلى هذا الحال برغم قول الله تعالى لنا:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[2]

وفى الآية الكريمة حث على الوحدة وتحذير من التفرق.

والوحدة الشاملة مطلب إسلامى أمرنا الله بها حماية لأفراد المجتمع وتقليلا لمطامع الدول الأقوى. ونحن مسئولون أمام الله عن تنفيذها فإن لم نستطع تنفيذها، فلا نخلى أنفسنا من صورة من صورها بحسب ما نستطيع ـ فالتكامل الاقتصادى والارتقاء بمستوى التعليم

(١) جريدة الجمهورية فى عددها الصادر فى الاثنين ٢٠٠٢/٩/٩.

(٢) آل عمران – ١٠٣.

والبحوث دعامتان أساسيتان لتحقيق صورة من صور الوحدة الشاملة، وحسبنا قول رسولنا الكريم ﷺ : «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»(٣).

وقوله ﷺ : «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا......»(٤).

ومعنى سددوا أي: الزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط فإن كان السداد - فى أمرنا هذا - هو الوصول الى الوحدة الشاملة فإن المقاربة هى تحقيق صورة من صورها «أى التكامل الاقتصادى».

فإذا نجح العرب فى تحقيق هذا التكامل الاقتصادى - الذى كثيراً ما نادت به مصر - لأصبحنا كتلة اقتصادية هامة فى عالم ملىء بالتكتلات، وبخاصة وقد أفاء الله على الأمة العربية بالخير الوفير الذى يتمثل فى المواد الخام من «فوسفات - حديد - منجنيز ... إلخ» بالإضافة إلى البترول.

أقول: إذا نجح العرب فى تحقيق هذا التكامل فإن العرب سيكون لهم شأن آخر يدفع الآخرين - ومن بينهم أمريكا - إلى تغيير حساباتهم معنا.

وإذا اقترن هذا التكامل الاقتصادى بالارتقاء فى المستوى التعليمى والبحث العلمى فى جميع فروع الحياة: «زراعة - صناعة - طب - اقتصاد... إلخ». فإن ذلك سيؤدى إلى ارتفاع مستوى معيشتنا ويقلل من اعتمادنا على الآخرين ويزيد من قدراتنا على التحاور ويزيد من فرص إحلال السلام فى المنطقة لأن أمريكا قبل أن تخطط لضرب العراق أو أية دولة عربية أخرى ستفكر حينئذ فى مصالحها التى ستصبح مهددة بالخطر، نتيجة للمقاطعة العربية مثلا!! وليكن ما ورد فى الحديث السابق لرسول الله ﷺ من بشارة يتحقق فى ذلك الازدهار الاقتصادى للأمة الذى يمنحنا الله - بفضله - سلاما من عنده أفضل من ذلك السلام الذى نستجديه من أمريكا!!

وأخيرا.. وعلى طريق الحل لمشكلة العراق لماذا لا يقترح العرب أن يكونوا «هم وبعض الدولة الصديقة» ممثلين ضمن أعضاء فرق التفتيش التى يسمح العراق لها بالدخول على أن ينتهى الحصار الذى دام أكثر من عشر سنوات للشعب العراقى عانى فيها الأطفال والنساء ألوانا من الظلم والبغى.

وليس فى كتاب الله آية واحدة تأمر بالبغى أو الظلم، بل أمر دائم بالعدل مقترن بالنهى عن الظلم والبغى.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٥)

«المحرر»

---

(٣) صحيح البخارى - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم ٧٢٨٨.

(٤) صحيح البخارى - كتاب الإيمان - باب الدين يسر حديث رقم ٢٩.

(٥) النحل - ٩٠.

هجمات أمريكا لن تقتصر على العراق

وفى نفس الاتجاه أرسل القارئ الأستاذ / إبراهيم عبدالوهاب شرف مدير الإدارة القانونية بجامعة المنصورة.. يقول :

« ... رسالتى إلى المجلة وبالذات إلى باب « بين المجلة والقارئ » عما يحدث اليوم على الساحة العالمية وبالذات الهجمات التى تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية ضد دول الإسلام فى جميع أنحاء المعمورة.. بدعوى أن بعض الدول الإسلامية وضعت على قائمة الإرهاب ومنها بعض الدول العربية وبالذات العراق وسوريا وليبيا وفلسطين وغيرها.

وما حدث فى أفغانستان ليس ببعيد، تلك البلدة المسلمة التى عانت من كثير من الضربات الأمريكية وباستخدام الأسلحة المحرمة دولياً حتى لقد أتوا على معظم مدن هذه الدولة الضعيفة وقراها وحولوها إلى خراب ودمار لم يشهد العالم مثله منذ الحرب العالمية الثانية حتى وصل بهم الأمر أنهم حَوّلوا أفراح بعض الناس إلى مآتم وأحزان إذ تناقلت وسائل الإعلام العالمية.. ضرب الطائرات الأمريكية لفرح فى إحدى القرى الأفغانية بالقنابل حتى قضى على أهل الفرح تماماً وذلك باستخدام أشد أنواع القنابل فتكاً.. تحول الفرح إلى مأتم وتحول جو السرور إلى موت وخراب.

وكل ما وعدوا به هو إجراء التحقيقات فى هذا الشأن ولا أدرى أى تحقيق تجريه الولايات المتحدة فى هذا الصدد؟!

وأقول ما أشبه الليلة بالبارحة.. هذا الذى حدث بالفعل وتم فى مجزرة غزة بأرض فلسطين.. إذ قامت القوات الإسرائيلية ـ بعد إجتماع مع ولاة الأمور بأمريكا قبل وقوع المجزرة بساعات ـ باستخدام طائرات أمريكية تحمل قنابل أمريكية الصنع لإتمام هذه المجزرة الأليمة فى قطاع غزة.. إذ قاموا بضرب بناية سكنية مكونة من ثلاثة طوابق وهدموها على سكانها وقاطنيها فى جنح الليل.. وكانت النتيجة والمحصلة استشهاد ١٧ شهيداً مع إصابة حوالى ١٥٠ جريحاً معظمهم فى حالات حرجة واجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلى ليقول بأن العملية التى حدثت فى غزة كانت ناجحة جداً.. وتحاك المهازل ضد العرب وتعلن أمريكا بأنها سوف تحقق فى مجزرة غزة والسلاح المستخدم.. وإنى أسأل ثانية أى تحقيق هذا.. وماذا يفيد بعد وقوع المجزرة.

أقول فى النهاية.. يجب أن يتنبه العرب والمسلمون فى جميع البقاع من المعمورة أنهم مستهدفون من أمريكا.. يجب أن نستيقظ ونصحو من سباتنا العميق.. قبل وقوع الطامة الكبرى التى لا تبقى ولا تذر.. ألا هل بلغت.. اللهم فاشهد.

* * *

عبدالله بن المبارك

استجابة لرغبة عدد من القراء أن يحتوى باب «بين المجلة والقارىء» على تعريف لأحد الصحابة.
نقول: إن هذا يسعدنا جداً ونرجو أن نرى إسهامات جادة فى هذا الشأن، وحتى تصلنا مثل هذه الإسهامات نقدم هذه الكلمة التى وردت من القارىء الأستاذ/ محمد عباس عرابى الذى يقدم فيها تعريفاً بالتابعى الجليل عبدالله بن المبارك.

يقول: «فى مدينة «مرو» ببلاد فارس، ولد عبدالله ابن المبارك سنة ١١٨هـ، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم العربية، وحفظ أحاديث كثيرة من أحاديث رسول الله ﷺ ودرس الفقه.

وأنعم الله عليه بذاكرة قوية منذ صغره، فقد كان سريع الحفظ، لا ينسى ما يحفظه أبداً.

* **رحلته فى طلب العلم**: وفى الثالثة والعشرين من عمره، رحل طلباً للعلم فسافر إلى العراق والحجاز وغيرهما، والتقى بعدد من علماء عصره كالإمام مالك، وسفيان الثورى، وأبى حنيفة النعمان.

وكان عبدالله كلما ازداد علماً، ازداد خوفاً من الله، وزهداً فى الدنيا، وكان إذا قرأ كتاباً من كتب الوعظ يذكِّره بالآخرة وبالجنة والنار، وبالوقوف بين يدى الله للحساب بكى بكاء شديداً، واقشعر جسمه وارتعدت فرائصه.

* **كرمه**: وكان عبدالله يكسب من تجارته مالاً كثيراً، وها هو ذا يعطينا درساً بليغاً فى السلوك الصحيح للمسلم، وذلك حين أتاه أحد أصدقائه واسمه أبو على، وهو يظن أن الزهد والتجارة لا يجتمعان قائلا لعبدالله: أنت تأمرنا بالزهد، ونراك تأتى بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام، كيف ذا؟ فقال له عبدالله بن المبارك: يا أبا على، إنما أفعل ذا لأصون وجهى، وأُكْرِم عرضى، وأستعين به على طاعة ربى، لا أرى لله حقا إلا سارعت إليه حتى أقوم به.

وكان عبدالله بن المبارك كريماً، ينفق على الفقراء والمساكين فى كل سنة مائة ألف درهم.

وكان ينفق على طلاب العلم بسخاء، حتى عوتب فى ذلك فقال: إنى أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، فطلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم، فإن تركناهم؛ ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ لا أعلم بعد النبوة أفضل من بثِّ العلم.

وأحب عبدالله بن المبارك أحاديث رسول الله ﷺ حباً عظيماً، وكان لا يجيب أحداً يسأله عن حديث منها وهو يمشى بل يجلس، ويقول للسائل: «ليس هذا من توقير العلم».

وكان حُفَّاظ الحديث فى الكوفة إذا اختلفوا حول حديث قالوا: مروا بنا إلى هذا الطبيب نسأله «يقصدون عبدالله بن المبارك».

* **فضائل ابن المبارك**: ولقد اجتمع نفر من أصحابه يوماً وقالوا: تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: جمع العلم، والفقه والأدب، والنحو، واللغة، والشعر، والفصاحة، والزهد، والورع، والإنصاف، وقيام الليل والعبادة، والفروسية، والشجاعة، والشدة فى بدنه، وترك الكلام فى ما لا يعنيه.

* **وفاته**: وفى رمضان سنة ١٨١هـ توفى ابن المبارك وهو راجع من الغزو، وكان عمره ٦٣ عاماً، ويقال: إن الرشيد لما بلغه موت عبدالله، قال: مات اليوم سيد العلماء.

أحسن كما أحسن الله إليك

أما القارىء الشيخ / وائل على عبدالعزيز - مدرس أول علوم شرعية فينقل لنا بعض نفحات تلك الجلسة بينه وبين إخوانه فيقول :

كنت ذات يوم فى جلسة إيمانية مع أحد الأخوة الأفاضل فقال لى : « إن الإنسان فى عصرنا أفضل من الملوك والأباطرة السابقين » فقلت له : كيف ؟ قال : « إن إنسان العصر الحديث يمتلك من وسائل الرفاهية ما لم يملكه أعظم الملوك، فقلت له: أوضح، فقال : « إن الملوك السابقين مع ما أوتوا من قوة وجاه وسلطان إلا أنهم لم يتمتعوا بأقل المزايا التى يتمتع بها الإنسان البسيط فى عصرنا .

فالإنسان العادى يستطيع أن يتحدث مع آخر يبتعد عنه آلاف الكيلو مترات بالتليفون مثلاً، فضلاً عن التقنيات الحديثة، الفاكس والتلكس والفاكسميلى، ناهيك عن الإنترنت .

فهل كان الملوك السابقون يتمتعون بمزية واحدة من هذه المزايا؟ فقلت : ولكن مع كل هذه المزايا؛ هل يتمتع الإنسان بالصحة النفسية، أو هل هو راض عن نفسه، وهل هو مطمئن وسعيد فعلاً، هنا يأتى دور الإسلام، فالإسلام يأمر بالعمل للدنيا والآخر معاً، كما ورد فى القرآن الكريم على لسان الصالحين لقارون :

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

القصص ٧٧

ولكن الإنسان يعمل للدنيا فقط، وينسى أمر آخرته برغم أن الدنيا كلها بما فيها وما عليها مذللة له كى يستخدمها فى طاعة الله - عز وجل - فالحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

الذاريات ٥٦

ولذلك نرى الإنسان المهموم بأمر دنياه فقط فى هم دائم وغم وشقاء، لأنه نسى الله - تعالى - وعمل للدنيا فقط، واستخدم نعم الله الكثيرة فى غير طاعته .

إن السعادة الحقيقية هى أن يوازن الإنسان بين متطلبات الروح والجسد، بين الدين والدنيا، بحيث لا تطغى الدنيا على الدين، فالحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

الأنعام ٣٢

وينهى الله سبحانه وتعالى عن التعلق بالدنيا ونسيان الآخرة، أما عاقبة من يفعل ذلك فالله - تعالى - يبين عاقبته فيقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

المنافقون ٩

فإذا كانت هذه هى الدنيا، وإذا كان الإنسان الحاضر قد امتلك الكثير من مقوماتها، ووسائل التمتع والرفاهية فيها، فالواجب عليه أن يشكر الله على كل هذه النعم التى لا تحصى ولا تعد، فكم من نعم كثيرة أنعم الله علينا ولم نشكره عليها، بل للأسف نستخدم هذه النعم فى المعاصى والذنوب، فهل من مستجيب قبل فوات الأوان؟!

رسالة إلى أطفال العالم

د. / نجاح عبدالعليم أبوالفتوح
كلية البنات الإسلامية / جامعة الأزهر

بالأمس كُنَّا أسرةً
نرجو حياةً هانيَهْ
أبتي وأختي
والعزيزة أمِّيَهْ
بالأمس كُنَّا صحبةً
وقلوبُنا ملأى بحُبٍ
حانيَهْ
ورأيتُ مريمَ في المنام
تضمُّني
ورأيتُ عيسى
والنبيَّ محمدا
ورأيت موسى غاضباً متنهِّدا
وصحوتُ أدعو ربِّيَهْ
وسمعتُ صاعقةً
تهزُّ مسامعي
أصواتها
كرياحٍ عادٍ عاتيَهْ

سُكِبَ اللبنْ
صَمَتَ القلمْ
ونظرتُ مِنْ خلف النوافذ كيْ
أرى
ماذا جرى
فرأيتُ أشباحاً
تحاصر بيتيَهْ
وسمعتُ أجراس الكنائس شاكيهْ
وسمعتُ أنَّات المساجد باكيهْ
وجثوتُ تحتَ أريكتي
والرُّعبُ يملأُ حجرتي
ورأيتُ أدمعَ قطتي
أختي تلوذُ بأمِّيهْ
أمي تلوذُ بأختيَهْ
ورأيتُ في عينيْ أبي
أحزانيَهْ
غضبتْ قواعدُ بيتنا

فتصدَّعتْ
ورصاصةٌ قتلتْ أبي
قتلتْ ملاذَ فُؤاديَهْ
وجثتْ حبيبةُ قلبه
لتلُمَّ أشباحَ الردى
منْ فوقه
سَقَطتْ صريعةَ غدرهم
وشقيقتي صارتْ
شعاعاً بعدما
نثرتْ ورودَ دمائها
ناراً لتحرقَ بغضَهم
لم يبق لي من أسرتي
غير الحجارةِ والمرارةِ
والثَّرى
والحُرِّ منْ كُلِّ الورى
وعقيدتي
وجهاديَهْ

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعاً.

أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ / محمد الشرقاوى

* رداً على قوى التطرف الغربى :

القضاء الأمريكى يوافق على تدريس كتاب « الاقتراب من القرآن »

قررت المحكمة الأمريكية بولاية « نورث كارولينا » الموافقة على تدريس كتاب « الاقتراب من القرآن » لطلاب الجامعة فى الولاية، ورفضت المحكمة دعوى بعض القوى المسيحية المتطرفة التى طالبت برفض تدريس الكتاب للطلاب بزعم أنه يحمل أفكاراً متطرفة، لا يجوز لدافع الضرائب الأمريكى الاطلاع عليها.

واعْتُبِرَ قرار المحكمة هزيمة لـ « مركز اتحاد الأسر الأمريكية للقانون والسياسة » الذى تَزَعَّم الهجوم على الكتاب ومؤلفه « مايكل سيلز » وانتصاراً للاعتدال والإنصاف الذى تبناه الكتاب.

.. والكتاب يُعَّد محاولة موضوعية لفهم القرآن بعيداً عن الصورة النمطية السيئة التى يعتقدها الأمريكيون عن القرآن والرسول ﷺ والمسلمين.. يقع الكتاب فى نحو « ٣٠٠ » صفحة ويتناول فهم « ٣٥ » سورة نزلت فى بدايات الوحى، ويحاول تفسير انتشار الإسلام بين نحو - مليار و٣٠٠ مليون مسلم - كما يناقش فهم الغرب للقرآن من خلال فهمهم لواقع المسلمين بأخطائه.

وقد رحب مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية « كير » بقرار المحكمة واعتبر المجلس الذى يعنى بحقوق المسلمين السياسية والقانونية أن السماح بتدريس مثل هذا الكتاب على طلاب الجامعة، يُعَّد رداً عملياً على قوى التطرف التى حاولت الإيحاء بأن الكتاب غير موضوعى فى تناوله لقضايا الإسلام والمسلمين.

.. وأعلن مؤلف الكتاب أن مشكلته ليست فى الكتاب، بل فى فهمه، وأشار إلى أن الذهنية الأمريكية باتت أكثر استنفاراً بعد أحداث سبتمبر وعلى استعداد لتقبل مقولة أن كل ما هو إسلامى يُعَد إحدى قوى « الشر » .

لأن الدين الإسلامى الحنيف من عند الله - تعالى - فلابد أن تتفق أفكار معتنقيه مع أهل الفكر المتزن الملتزم وهو ما أقره أصحاب فكر هادىء بعيداً عن التشنجات، تمثل فى قرار المحكمة .

ويبدو أن القضاء أصبح هو طوق النجاة فى كثير من بلاد العالم .

فى لندن .. خط تليفونى للمرأة المسلمة

نجحت مجموعة من المتطوعات من الجالية المسلمة المقيمة فى بريطانيا فى كسب ثقة من يرغبن فى الحصول على صحيح المعلومات الدينية المتعلقة بشئون المعيشة من خلال خدمة هاتفية أطلقن عليها اسم « خط المساعدة » للرد على استفسارات المرأة المسلمة فى بريطانيا والدول الأوروبية حول المسائل المتعلقة بالدين والأسرة .

نود أن يكون هذا العمل بهدف نشر الثقافة والوعى الإسلامى يبتغى به وجه الله - تعالى - لا يكون المقصد منه تحقيق مكاسب مادية .

مجلة الأزهر تستقبل وفداً من جامعة فطانى

تأكيداً على أهمية الدور الذى تقوم به (مجلة الأزهر) فقد وفد إليها وفدٌ من جامعة (الشيخ داود الفطانى) الإسلامية بمدينة (جالا) جنوب تايلاند يوم الأربعاء ٢٥ من رجب ١٤٢٣ هـ الموافق ٢ من أكتوبر سنة ٢٠٠٢ . ضم الوفد الزائر عدداً من المسئولين بالجامعة وهم :

الأستاذ وان حسن وان إبراهيم مدير العلاقات الثقافية الخارجية بالجامعة، والأستاذ عبدالرشيد عبدالله، والأستاذ / يحيى مينى فينى، والأستاذ اسماعيل سامار، والأستاذ عبد العزيز سارتيج، والأستاذ كونيا لوهماء، وكان فى إستقبالهم فضيلة الشيخ الطاهر الحامدى مدير عام مجلة الأزهر وعدد من محررى المجلة دار الحديث حول الإسلام والمسلمين فى تايلاند حيث أكد الضيوف أن نسبة المسلمين فى تايلاند تبلغ ١٢٪ من عدد السكان البالغ عددهم ٦٣ مليون نسمة، حيث يبلغ عدد المسلمين فى تايلاند نحو سبعة ملايين مسلم، مؤكدين على أن الهدف الأول لجامعة (الشيخ داود فطانى الإسلامية) تعميق وترسيخ قيم الإسلام وتعاليمه النبيلة السمحة فى نفوس مسلمى تايلاند، وشرح وبيان صحيح الدين الإسلامى وغاياته وأهدافه للمجتمع كله فى عصر صار فيه الإسلام متهماً بتهم هو منها براء .

وقد عبر الزائرون عن رغبتهم فى إنشاء نوع من العلاقات والتبادل الثقافى بين جامعة (الشيخ داود الفطانى) وبين (مجلة الأزهر) عملاً بقول المولى عز وجل :

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾(١) .

وفى نهاية اللقاء شكر الوفد للقائمين على العمل بالمجلة حسن إستقبالهم وتمنوا لهم التوفيق والسداد .

---

(١) المائدة (٢) .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل رئيسة جمهورية أندونيسيا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف السيدة الرئيسة / ميجاواتى أحمد سوكارنو رئيسة جمهورية أندونيسيا والوفد رفيع المستوى يرافقهم معالى الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وسعادة سفير مصر فى أندونيسيا، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالرئيسة والوفد المرافق فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقة بين البلدين والتعاون المشترك فى مجال التعليم الأزهرى وأشار إلى أن لأندونيسيا طلابا وطالبات يدرسون بالأزهر الشريف فى مراحله المختلفة ويبلغ تعدادهم حوالى ألفين وخمسمائة طالب وطالبة، كما تخرج فى الأزهر الشريف طلاب أندونيسيون يحتلون مناصب قيادية فى أندونيسيا، ومما يذكر أن الأزهر الشريف يستقبل طلابا وطالبات من أكثر من خمس وتسعين دولة من دول العالم يقيمون فى مدن البعوث الإسلامية، وقدم فضيلته شرحا مبسطا للتعليم بالأزهر فى مراحله المختلفة من الحضانة وحتى الجامعة مؤكدا على أن الدراسة بالأزهر تهتم بحفظ القرآن الكريم والتوسع فى العلوم الشرعية والعلوم العربية إلى جانب المواد الأخرى التى تدرس فى مدارس التربية والتعليم وتمتاز الدراسة بالأزهر الشريف بالاعتدال والتوسط والبعد عن التعصب الأعمى والعنصرية البغيضة كما تدرس فى الأزهر المذاهب الإسلامية المختلفة ويأخذ الجميع فقههم من الكتاب والسنة النبوية المطهرة والأصول لا خلاف عليها وإذا وجد اختلاف فإنما هو الفروع التى تقبل الاختلاف، وكل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويؤدى أركان الإسلام من صلاة وزكاة وصيام وحج ولا ينكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة فهو مسلم.

وقد شكرت الرئيسة فضيلة الإمام الأكبر عن حفاوة اللقاء وأجاب فضيلته عن الأسئلة والاستفسارات مؤكدا على أن الأزهر الشريف احدى مؤسسات الدولة وهو جهة حكومية ويتم تمويله من ميزانية الدولة شأنه فى ذلك شأن كل الوزارات فى مصر، وقدمت السيدة الرئيسة الدعوة الرسمية لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الشريف لزيارة جمهورية أندونيسيا حيث تتطلع أندونيسيا رئيسا وحكومة وشعبا لهذه الزيارة، وقد رحب فضيلته بالدعوة وسيتم تلبيتها - بإذن الله تعالى - حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وجمع من السادة علماء الأزهر الشريف وقياداته.

الإمام الأكبر يستقبل سفير تشاد

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير أمين أبا صديق سفير جمهورية تشاد بالقاهرة يرافقه الحاج فضل جمعة آدم المستشار بالسفارة، رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه في الأزهر الشريف مؤكداً على عمق العلاقة في مجال التعليم، والأزهر الشريف يقدم العون والمساعدة العلمية والتعليمية والثقافية لأبناء تشاد، ويوجد عدد كبير من طلبة دولة تشاد يدرسون بالأزهر الشريف على منح من الأزهر، كما يوفد الأزهر الشريف العلماء لدولة تشاد لتعليم أبناء دولة تشاد في المعاهد الدينية هناك وترسل المناهج والكتب المقررة، وقد شكر السيد السفير فضيلته على هذا التعاون المستمر وأبلغ فضيلته تحيات رئيس وحكومة وشعب تشاد لمصر وأزهرها الشريف على ما يقدم من مساعدات في مجالات كثيرة معربا على أن اللغة العربية أصبحت هي اللغة الدستورية والرسمية في البلاد الآن بعد أن كانت الفرنسية هي السائدة، وطلب إمداد دولة تشاد بالكتب الدينية والثقافية واللغوية والعلمية على أن تُرسل للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتشاد، كما طلب معادلة الشهادات الثانوية من مركز الفيصل الإسلامي بتشاد بشهادات الأزهر الشريف كما طلب إلحاق الطلبة الحاصلين على الثانوية الأزهرية بالكليات العملية، وكذا إلحاق الطلبة الحاصلين على المؤهلات العليا بجامعة الأزهر بأقسام الدراسات العليا بها لاستكمال دراستهم بالماجستير والدكتوراة، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة هذه الطلبات تمهيدا لتلبيتها، كما استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف السيد السفير وتدارس معه ما طلبه من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف.

سفير بنجلاديش يؤكد:

مصر وأزهرها الشريف تفيض بكرم العطاء

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سعادة السفير محمود حسن سفير دولة بنجلاديش بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بالضيف وأشار إلى أن الأزهر يستقبل الطلاب من بنجلاديش على منح يدرسون بالأزهر في معاهده وجامعته العريقة، كما يستقبل علماء من بنجلاديش يحضرون الدورات التدريبية التي يقيمها الأزهر كل ثلاثة أشهر لأئمة ووعاظ وعلماء العالم الإسلامي، موضحا على أن الدراسة بالأزهر الشريف تقوم على الوسطية والاعتدال والسماحة، كما يستقبل الأزهر الشريف طلابا وطالبات من خمسة وتسعين دولة يصل عددهم إلى أكثر من خمسة آلاف طالب وطالبة منهم طلاب وطالبات من بنجلاديش، والأزهر يرحب بهم ويعلمهم بجانب إخوانهم الطلاب المصريين، وبعد تخرجهم في الأزهر الشريف يؤدون رسالتهم نحو تعليم أبناء بلادهم وهم رسل الأزهر لدى شعوبهم.

شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة هذه الفرصة الطيبة موضحا بأن دولة بنجلاديش دولة إسلامية تتمتع بسمات طيبة، ولدى أبناء بنجلاديش طموح عظيم للمجيء للأزهر للتعلم به، وأن مصر وأزهرها الشريف تفيض بكرم العطاء لتوفير المنح الدراسية ليحظى الطلاب بدراسة العلوم الدينية والعربية والثقافية وهو التعليم المعتدل من أقدم الجامعات وهو الأزهر الشريف، وأضاف السيد السفير أن التواصل الدائم بين بلدينا هو ما يشغلنا وخاصة فى هذه الظروف الراهنة التى يشهدها العالم الآن، وفى نهاية اللقاء دعا فضيلته للسيد السفير بالتوفيق فى عمله ولدولة بنجلاديش بدوام الأمن والاستقرار.

الإمام الأكبر يستقبل وفداً من قضاة عُمان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الشيخ خليفة بن سعيد البوسعيدى قاضى المحكمة العليا ورئيس التفتيش القضائى بسلطنة عمان، ووفد قضاة المحكمة العليا ومحكمة الاستئناف بدولة عمان الشقيقة، وتأتى زيارة الوفد ضمن حضوره دورة الدراسات القضائية التى تنظمها وزارة العدل المصرية، وقد تحدث فضيلته عن العدل فى الشريعة الإسلامية، وأوضح بأنه أساس الملك وبين أن شريعة الإسلام واضحة فى عقائدها ومعاملاتها فهى تحق الحق وتبطل الباطل وتساعد المظلومين حتى يستردوا حقوقهم وأشار فضيلته إلى أن من صفات القاضى أن يكون عادلا منصفا منزها عن المقاصد الشخصية ليحظى باحترام نفسه واحترام المجتمع له لأنه الذى يحتكم الناس إليه ليطبق شرع الله، والقضاء من الأعمال السامية التى وضعها الله – سبحانه وتعالى – فى أعناق الصفوة من عباده، وأن مهمة القاضى هى الحكم بالعدل بين الناس، والحكم ينبع من ضمير القاضى قبل أن ينبع من القوانين، وبخبرته إلى جانب الأدلة يستطيع أن يميز بين الحق والباطل، وبين العدل والظلم، والقاضى حينما يحكم بين الناس فإنما يضع الأمور فى نصابها وفى مكانها الصحيح بضمير القاضى ولايخشى أحدا إلا الله – عز وجل – وبذلك يعيش الناس فى أمن وأمان واستقرار.

كما أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد التى دارت حول نظام التعليم فى الأزهر الشريف وفى جامعة الأزهر، النظام الإدارى.

شكر الوفد فضيلته على حسن اللقاء، وعلى المعلومات القيمة التى استمعوا إليها لتكون نصب أعينهم فى عملهم وفى أحكامهم وطلب الوفد زيارة مكتبة الأزهر الشريف وهيئت لهم زيارة مكتبة الأزهر الشريف بمصاحبة العلاقات العامة بالمشيخة.

الإمام الأكبر:

شريعة الإسلام جاءت لتحافظ على الإنسان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد من السادة ضباط الشرطة العاملين فى مكافحة المخدرات وأمن الموانىء والمسطحات المائية والقضاء العسكرى والشرطة العسكرية وضباط حرس الحدود والسواحل ومأمورى الجمارك وأخصائى المعامل من الطب الشرعى وأطباء الصحة النفسية من مصر والدول العربية الدارسين بالدورة الثانية والثلاثين من البرنامج التدريبى العربى لمكافحة المخدرات ترافقهم الأستاذة الدكتورة نجوى أمين الفوال مديرة المركز

القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، والأستاذة نادية جمال المشرفة على الدورة.

رحب فضيلته بالسادة الحضور وتحدث عن رأى الدين فى مشكلة المخدرات وأوضح أن شريعة الإسلام جاءت لتحافظ على الإنسان فى دينه وماله ونفسه وعرضه وعقله، وأمرته باخلاص العبادة - لله عز وجل - والتحلى بمكارم الأخلاق، كما أمرت باجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن مؤكدا على أن العقلاء من الرجال والنساء منذ أوجد الله الكون اتفقوا على أن هناك رذائل يجب أن تجتنب كالكذب والظلم ونقض العهد والتعدى على الغير، وهناك فضائل يجب أن تعتنق كالصدق والمروءة والعدل وأداء الأمانة والوفاء بالعهد، وقد حرم الله قتل النفس بغير حق واعتبر العدوان على النفس الواحدة كأنه عدوان على الناس جميعا مسترشدا بآيات القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ، ولكون شريعة الإسلام صانت الإنسان فى نفسه وماله فجعلت من يدافع عن نفسه أو عن ماله أو عن عرضه ويقتل فهو شهيد، ولأن شريعة الإسلام أمرت المسلم بأن يتحلى بالفضائل ويبتعد عن الرذائل فقد حرمت كل ما يضر بجسد الإنسان وعلى رأس هذه الرذائل المخدرت بكل أنواعها وأشكالها لما لها من أضرار مؤكدة على البدن وعلى صحة الإنسان وماله وعقله ليس على الفرد فقط بل على المجتمع وعلى الأمة كلها، فكل أنواع المخدرات تحت أى مسمى حرمتها الشريعة الإسلامية السمحة والقوانين الوضعية، وفى مصر وصلت العقوبة إلى حد الإعدام طبقا لجسامة الجريمة، لأنها إفساد للأمة فى عقول أبنائها وكرامتهم وتدمير لاقتصادهم ولابد من القصاص العادل، والمحاكمة تتم طبقا لجسامة الجريمة، كما أوصى فضيلته السادة الحضور بعدم التهاون أو التستر فى القبض على مرتكب الجرائم، لأنه تهاون فى حق الأمة والمجتمع، كما أوصاهم بأن لا يخشوا فى الحق لومة لائم، فعليهم التصدى بكل حزم وقوة، كما أوضح فضيلته بأن مهمة رجال الدين هى النصح والارشاد والتوضيح ومهمة رجال الشرطة والقانون هى تنفيذ وتطبيق شريعة الله والقانون وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم فى مسائل شتى وكانت حول المعاملات البنكية المختلفة، وحول زكاة المال، وحول وسائل علاج المدمنين، إلى غير ذلك من الأسئلة التى طرحت من السادة الضيوف وعددهم خمسون دارسًا.

من يدافع عن نفسه وأرضه وعرضه مجاهد فى الإسلام

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدًا يابانيًا من مجلس المستشارين اليابانى برياسة السيد / سيكيا وزير التعمير السابق ورئيس لجنة البحوث الخاصة بالشئون الدولية يرافقه السيد / تاكايا سفير اليابان بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيفين وألقى نبذة سريعة عن التعليم بالأزهر ونوع الدراسة به من مرحلة الحضانة حتى المرحلة الجامعية، وتطرق الحديث حول صراع الحضارات ودور الأزهر تجاه ذلك، وأوضح فضيلته بأن الأزهر مع التطور الذى يخدم المجتمع بل والإنسانية كلها بما لا يتعارض مع القيم الأخلاقية موضحا أن الحضارات عند العقلاء لا تتصادم، وإنما الحضارات تتعاون فيما بينها ولكل بلد حضارته التى يعتز بها وكل حضارة تأخذ من الحضارة الأخرى مؤكدا بأن المتغيرات التى توافق عليها الأديان فنحن نرحب بها وأما إذا جاءت لتغير القيم فنحن نرفضها،

وحول سؤال من الضيف عما إذا كان الأزهر مؤسسة خيرية أم حكومية، أجاب فضيلته بأن الأزهر الشريف مؤسسة من مؤسسات الدولة، مؤسسة حكومية شأنه في ذلك شأن باقي المؤسسات كالصحة والصناعة والمالية والخارجية وهو بذلك يتبع ميزانية الدولة.

وحول سؤال عما إذا كان بالأزهر دارسون من خارج مصر، أجاب فضيلته بأنه يوجد طلاب من أكثر من خمسة وتسعين دولة من دول العالم يدرسون في الأزهر الشريف من أوروبا وآسيا وأفريقيا واستراليا ولدينا طلاب من اليابان.

وحول سؤال عن رأى فضيلته في العمليات الاستشهادية أجاب فضيلته بأن من يدافع عن نفسه وعرضه وأرضه وماله وممتلكاته فهو مجاهد يستحق الشكر والتقدير، وأن من يقتل طفلا أو امرأة أو شيخا مسنا لا شأن لهم بالحروب فنحن ضد من يفعل ذلك، وأما من يدافع عن نفسه وعرضه وماله وأرضه وممتكاته فهو مجاهد في الإسلام، ومن يعتدى على أرض الغير أو ممتلكاته فهو إرهابي وقد قلنا عقب أحداث ١١ سبتمبر أن الفرق بين الإرهاب والجهاد كالفرق بين السماء والأرض.

وحول سؤال عما إذا كان عصر التكنولوجيا يتعارض مع الدين الإسلامي قال فضيلته: نحن مع التطور الذي ينفع الإنسانية والدين الإسلامي يرحب به.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد وفا الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الشيخ شوقي نويجي رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

الإمام الأكبر يستقبل وفد الجامعات السويدية

● استقبل فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد الجامعات السويدية برياسة الدكتور / سامح ايجبتسون أستاذ مادة الحوار بين الأديان والحضارات بجامعة لوند بالسويد يرافقهم الأستاذ الدكتور عبدالمعطى بيومى عضو مجمع البحوث الاسلامية وعميد كلية أصول الدين السابق، رحب فضيلته بالسادة الضيوف في مصر، وأزهرها الشريف، ودار الحديث حول طرق الحوار بين الأديان، وأكد فضيلته أن الحوار بين العقلاء يؤدى إلى نتائج طيبة والحوار دائما بابه مفتوح في الأزهر الشريف حيث توجد لجنة بالأزهر للحوار، وأشار إلى أن البشر جميعا أوجدهم الله من أب واحد وأم واحدة، وهذه الأخوة الإنسانية تستلزم منهم أن يتعاونوا على الخير لا على الشر، وقال: إنه من المتفق عليه بين العقلاء أن الخلاف في العقيدة لا يمنع من التعاون ومن تبادل المنافع ومن المحبة والمودة والذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - والعقائد لا تباع ولا تشترى ولا اكراه لأن الاكراه على العقائد لا يأتى بمؤمنين صادقين وإنما يأتى بمنافقين كذابين، وقد اتفقنا على أنه لا حوار في العقائد، وإنما الحوار في أمور معينة، منها التعاون لمساعدة المحتاج، من أجل تقديم الخير للمحتاج وللضعيف، من أجل نصرة المظلوم سواء كان على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الأمم، ووظيفتنا أن نرشد وأن نوضح وأن نبين.

كما أجاب فضيلته عن أسئلة الوفد واستفساراته والتى دارت حول امكانية تعاون

الإسلام والمسيحية لمقاومة الأمراض الاجتماعية وتحقيق العدالة والتعاون لما ينفع البشرية، وقد أوضح فضيلته أنه بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر قد استقبل وفوداً كثيرة من وسائل الإعلام المختلفة بل من كل أنحاء العالم وشرح سماحة الاسلام ووسطيته وبين الوجه الحقيقى للإسلام وفى نهاية اللقاء شكر الحضور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ما سمعوه من شرح واضح لبيان حقيقة الإسلام ووجهة نظر الأزهر من المنظور الإسلامى الذى يتبناه الأزهر فى تناوله لقضايا الساعة وللتصدى للتيارات الهدامة المعادية وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، وأشاروا إلى أنهم يقدرون فضيلته بوصفه أنه يمثل قمة التسامح والروح الطيبة التى تعبر عن الإسلام، كما التقى الوفد بفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف رئيس لجنة الحوار بالأزهر والذى قام بدوره بشرح عمل لجنة الحوار والهدف منها.

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسادة أصحاب الفضيلة علماء الأزهر الشريف الذين تم اختيارهم للسفر إلى دول العالم المختلفة للتدريس بالمعاهد الأزهرية الموجودة ببعض دول العالم، ولإلقاء الدروس الدينية بالمساجد وخطبة الجمعة وإلقاء المحاضرات فى المناسبات المختلفة وعددهم أربعمائة عالم، وقد نصحهم فضيلته بأن عليهم واجب مقدس تجاه توضيح صورة الإسلام الصحيحة والحقيقية، والرد على الشبهات التى تثار ضد الإسلام والمسلمين، وتصحح المفاهيم المغلوطة وبيان سماحة الإسلام ويسره ووسطيته، كما أوصاهم بأن يكونوا قدوة طيبة لغيرهم ومثلا أعلى يحتذى بهم فى السلوك، وأن يؤدوا واجبهم بإخلاص وتفان على أكمل وجه، وأن يبتعدوا عن الخلافات المذهبية، وأن يداوموا على القراءة والاطلاع وأن تكون دعوتهم إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وبيان أن الدين الاسلامى ينشر الفضائل ويعطى كل ذى حق حقه، وينصر المظلوم، ويقف فى وجه الظلم لأنه دين العدالة والطهارة والعفاف، دين يسمو بالنفس الإنسانية ويطهرها من الظلم ومن العنف والقهر، كما أوصاهم بحسن المظهر والمخبر لأنهم رسل الأزهر الشريف الذى عمره الآن أكثر من ألف عام يهدى الناس إلى طريق الحق والخير والعدل كما أكد عليهم أن يحافظواعلى اسم مصر وأزهرها الشريف.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد وفا الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ شوقى نويجى رئيس قطاع المعاهد الازهرية والسادة العلماء وقيادات الأزهر الشريف.

إجازة نصف العام بالمعاهد الأزهرية

قرر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن تبدأ إجازة نصف العام الدراسى للعام ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣ عقب دروس يوم الخميس الموافق ١٦/ ١/ ٢٠٠٣ على أن تستأنف الدراسة يوم السبت الموافق ١/ ٢/ ٢٠٠٣ وتتخذ هذه الخطوة كمبادرة للاستقرار وحتى يعلم الطلاب الجدول الزمنى لمتابعة دروسهم الأمر الذى يهىء الجو النفسى للطلاب وللمدرسين ولتكون خطوة إيجابية لتنظيم الوقت للاستذكار والتحصيل وبما يعود على الجميع بالراحة والهدوء النفسى.

As a result, a feeling was brought into existence that religion is mind's enemy and that its principles are in contrast with sciences. The more the usurpers of spiritual superiority go far in their intransigence, the more this feeling gets stronger till it became a firm ideology.

With the advent of Islam, the whole world was suffering from this appalling role; the weak was suffering from the arbitrariness of the strong. Due to its foundation on reason, mind, thinking, non-imitation, motivation for wisdom and giving freedom of thought and deduction, Islam was the light that dispersed this darkness. This resulted in harmonizing between soul's demands and mind's for the first time in the history of mankind.

At the first sight, combining between those two aspects appears confusing to those ignoring the wisdom and sublime principles on which this religion was based. Islam did not confine spiritual sublimity to observances but it generalizes it in all moral and formal deeds.

If Muslims wished to surprise humanity with their fast renaissance and restore their previous glory, they have to work according to what Allah had commanded them to reach the rank of their ancestors and be an example for others. And if the world desired to restore peace and tranquility and achieve progress and urbanization, so it has to respond to Allah's call.

﴿O you mankind, a proof has already come to you from your Lord; and We have sent down to you an evident light. So, as for the ones who believed in Allah and firmly adhered to Him, then He will soon cause them to enter into a mercy from Him, and Grace, and will guide them to Him on a straight path.﴾ **[An-Nisa' (Women) : 174-175]**

backwardness. Consequently, this motivated them to call for salvation and elimination of their suffering. They strove for consecutive centuries, till they accomplished their call after exerting tremendous sacrifices.

In Asia, numerous nations had lived for centuries under the yoke of restrictions alleged to be spiritual. This era continued till the nineteenth century when they were awakened by the international stimulants. When one of the governments expanded a railway in its country connecting its vast regions, it came under the fire of the extremist spiritualists who protested against this government asking for removing those tracks under the pretext that the souls of the dead buried near them will be disturbed. Consequently, the government had to comply with the demand of those controlling the minds of subjects.

One of the requirements of this alleged spiritual superiority, is to dominate over minds and sciences in order prevent any intellectual, thinker or philosopher from resorting to thinking or laying down a theory contradicting their teachings, instructions and beliefs inherited from their ancestors or invented by their own opinions; if someone dared to be indifferent to their shabby teachings and came with what is contradictory to them, they would have punished him aggressively and sentenced him to a penalty not less than life imprisonment or exile. In many cases, the trials ended in killing, burning or tying hands and legs to horses then lashing them with whips turning anyone into torn-off limbs.

This pseudo-spiritual dominance was the practice of the dictators on people's religions for several centuries. This led to narrow-mindedness, short-sight confined to temples and leaving the public in the darkness of ignorance imitating their leaders blindly as if they were only created for them.

Harmonizing
Between soul's demands and mind's
By the great scholar : M. F. Wajdy

Allah created man and made him a world intermediating between two different natures: spiritual and material. The spiritual one aims at alleviating man from the materialistic world to be far above falling in its repercussions. It also aims at making the abstract soul stick to its world and sail in its knowledge.

As for the material aspect, it aims at making man ease in its desires, expand in justifying its needs, get busy with materials to recognize their identity and extract their blessings. All this is to ease life and its hardships. These two instincts are of much help in maintaining, integrating and preparing human character to be Allah's successor in earth. Earth is not just a spiritual world, to survive on it with only a spiritual tendency. Man is not a soul without material so, he can't avoid it by his nature. If man is left on his matter, non of his instincts will overcome the other. However, they will agree and cooperate to continue their related common life. However, the leaders who are quarreling to rule man, made use of this spiritual nature to subjugate him to their will. They exaggerate in making him forget about his world and motivate him to renounce worldly pleasures. So, they succeeded in employing millions of people to follow their teachings. This resulted in their being living in a ossification for centuries. Europe, for example, that now fascinates us with its sciences, arts and technology stayed for more a thousand year under the reign of those curbing this spiritual view. As a result, Europe did not give birth to any thinker till Allah sent Muslims ravaging amidst their homes. So, their mingling with them was a reason behind their feeling of

man entered Paradise and was forgiven by Allah because he gave some water to a dog while a woman entered Hell as she imprisoned a cat without food or water. How great this civilization! Can anyone dare to say that it recedes? Can this religion be called a religion of terrorism? What a lie!

When the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, established this nation, he established it on belief, equity, right, spreading virtue, removing vice, peace, tolerance, commanding to beneficence, forbidding maleficence, unity, and essence of his Message that can be summarized in a single word '*mercy*'

❨ And in no way have We sent you except as a mercy to the worlds. ❩. **[Al-Anbiya' (The Prophets) : 107].**

This is our civilization and instructions of our creed that invites to forgiveness among all people as well as defending the soul of humans. So, it is not a religion of terrorism or a religion disseminated by force (sword) but by its great forgiveness, tolerance and right principles. The Messenger of Allah, may the blessing and peace of Allah be upon him, was dealing by this forgiveness even with his enemies and the non-Muslims. He says: ***"Allah refused to accept the repentance of believer's killer".***

Nowadays, our Arab and Muslim nation as well as the whole world go through a dangerous turning point. So, we have to join ranks and listen to the sound of reason in the president Mubarak's words in which he declared clearly that all the nations of the world must meet together aiming at healing the rift and cooperating to get rid of all the roots of terrorism allover the world, not through violence or force but through reason and wisdom.

﴿ And indeed you shall definitely know its tiding after a while. ﴾ **[Sád : 88]**

and that they will witness the secrets of the universe created by Allah, the Great Creator. Moreover, He commanded that this civilization should be based on the constant preparation of power as Allah says:

﴿ And prepare for them whatever power you can. ﴾

[Al-Anfal (The Spoils): 60]

So, the Islamic civilization was based on scientific, material and human principles in which connections and pillars are linked with Allah. Concerning this, it does not, in all its fields, transgress and the same are Muslims.

﴿ And fight in the way of Allah the ones who fight you, but do not transgress; surely Allah does not love transgressors. ﴾

[Al-Baqarah (The Cow): 190]

Islam forbade – even in wars – transgression upon those who do not participate in war including the elderly, women and children as well as not transgressing upon establishments and fields. Moreover, the humanity of the Islamic civilization and its relation to Allah makes it achieve progress everyday. Due to these human meanings, hundreds of people embraced Islam as they saw the greatness that Islam reached; it protects and defends man's right to live as stated in Allah's Words:

﴿ And he who kills a believer premeditatedly, then his recompense is Hell, eternally (abiding) therein, and Allah will be angry with him, and will curse him, and has prepared for him a tremendous torment. ﴾

[An-Nisa' (Women): 93]

In addition to this, Islam defends the non-Muslim, birds and animals the same as the Muslim. There is a story saying that a

The Islamic Civilization Exceeds and never Recedes.

By : Dr. Ahmed Umar Hashem
The Director of Al-Azhar university

Islam has established the best nation based on solid bases and formed the great Islamic civilization on stable pillars in which it did not justify by material or humane aspects but linked its civilization with Allah, the Everlasting, and His instructions stated in the Ever-Glorious Qur'an as well as with instructions of the best of humans, may the blessing and peace of Allah be upon him. As a result, the great Islamic civilization exceeded all the other civilizations. Consequently, all nations rushed to take all whatever they wish (quote) from it through translations and travel. So, the sun of the Islamic civilization lit the whole world and Allah, glory be to Him, commanded Muslims not to be satisfied by their present state and that they must always try to exceed time and He, the Al-Mighty, was motivating Muslims by letting them know what He is going to show the world of the secrets of the universe as He says:

﴿ We shall soon show them Our signs in the horizons and in themselves till it is evident to them that it is the truth. ﴾

[Fussilat (Expounded) : 53].

The first verses of the Divine revelation are considered to be an invitation for reading, science, knowledge and civilization as Allah says:

﴿ Read: In the Name of your Lord Who Created. ﴾

[Al-Alaq (The Clot): 1]

The Qur'an refers to what will happen in the future and that they will know it later as Allah, the Al-Mighty says:

usual clothes carrying a bag containing the official clothes and gave it to the Khedive saying simply: "If you want the gown and caftan, here they are and if you want Hassan Al-Taweel, here I am." Then he said to his attendants: "How could I adorn myself to Tawfik with clothes I do not wear to my Lord while praying?" How admirable faith!

There is another example, namely, Al-Imbaby, the sheikh of Al-Azhar Mosque. Once, the lord Cromer called on him and greeted him and the sheikh greeted him back while sitting. Lord Cromer took it hard and asked him: "Don't you stand for the Khedive?" The sheikh replied: "Yes, I do as he is our ruler and he is one of us but you are not." The sheikh did not say this out flattery or seeking approach to the khedive, as he is the one who faced Tawfik and fearlessly gave a *fatwa* to depose him.

Also, the sheikh of Al-Azhar Mosque, An-Nawawi. It happened that the government of Moustafa Fahmi wanted to weaken the legal judicature in a respond to the wishes of the British Commissioner. So, the sheikh An-Nawawi took on the responsibility of defending judicature using a brief speech that compelled the government to take its project back. If this attitude was the attitude of a political leader, our (fair) press would have tackled it every now and then.

These are some of the admirable attitudes at Al-Azhar history. Unfortunately, some of the hirelings cooperate to efface and conceal these attitudes to prevent an everlasting Egyptian history from being recorded. And if they want to extinguish Allah's light, Allah will keep His light and the right will always have a tongue as Allah says in His Ever-Glorious Book:

﴿(Now), here you are! Read my book.﴾

[Al-Haqqa (The Inevitable Truth) : 19].

Mohamed Ali ruled Egypt during a very difficult era. So, who dared to declare his mistakes and wrong deeds? Abd Ar-Rahman Al- Gabarty was the first to state the wrong deeds of this arbitrary ruler. He kept moving from place to another to escape from the threats of this powerful ruler. His family and people were suffering from imprisonment, insult and assassination. However, the great historian remained recording the words of right clearly for the coming generations without being stopped by terror and menaces. If he wished glory and prestige, he would have walked in the procession of hypocrisy. He was a friend of Ali (bey) Al-Keebir and Mohamed (bey) Abu Al-Dahab however, this did not drive him to bypass what he have seen of injustice so he elevated history to a high rank free from bias and inclination. Opinions differ about his death and it is more likely that he was murdered while defending right.

The honorable Imam, Hassan Al-Taweel was a man of dignity and he trusted much in Allah. Once, Riyad (pasha) entered while this Imam was lecturing his students at Dar Al-Uloum but he did not change his way of sitting. When the visitor intended to leave, the Imam said addressing him: "Why don't you appoint me as a minister with you, pasha? The visitor was astonished and replied: "Which ministry do you want?" The Imam said: "The Treasury Department so I can appropriate the money you appropriate." It was a strong painful blow directed to an aristocratic governor who was not accustomed to such criticism and sarcasm. So, he left furious and summoned Ali Mubarak as the minister of education to instigate him to fire the Imam Hassan Al-Taweel but a higher hand than Riyad's stopped him from doing this. This situation made Riyad (pasha) abstain from visiting any school or institute. There is another attitude of the Imam in which he was asked to put on special clothes to be able to meet the khedive Tawfik. However, he came wearing his

Al-Azhar Scholars' Unforgettable Attitudes
By: Dr. M.R. Al-Biomi

Many of the purposeful tend to accuse and attack Al-Azhar and its scholars. They not only accuse them with sinful accusations but they aim at attacking Islam itself hiding under a cover to reach their evil goals which they cannot declare publicly.

The outstanding accusation which they introduce using arguments and reasons is Al-Azhar's men approach to rulers including kings and ministers and following their way regardless of their injustice and wrong deeds. If we read about the great scholars of Al-Azhar in the modern history, we will find great signs in their attitudes defending right and confronting wrong. These attitudes are proofs of their fearfulness from Allah, glory be to Him.

Unfortunately, despite these numerous honorable attitudes, no one dared to state them in books or write them down in history. Fear from those who have power and authority is the reason behind this. However, the historical memory, despite this clear silence and reservation, stated a great example of a believed group of some of the outstanding scholars commanding to beneficence and forbidding maleficence.

We will state some of these great attitudes to inform the ignorant that among the scholars of Al-Azhar are those who carried the flag of right in their call to Allah. Those scholars proved that the Qur'anic soul that inspired Sa'eed Ibn Gubair, Sa'eed Ibn Al-Musayab, Amr Ibn Ubaid, Al-Awza'y, Ibn Hanbal and Al-Ezz Ibn Abd Al-Salam at the past is the same strong soul that runs in the souls of Al-Azhar scholars and enabled them to face wrong with evident, honest tongue.

The Grace of Sha'ban

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The Messenger of Allah, may the blessing and peace of Allah be upon him, was practicing fast a lot in Sha'ban to the degree that he was imagined to fast the whole month. He was asked about this so, he replied: "It is a month in which deeds be ascended to Allah and I love my deeds ascend while fasting". The apparent aim of fasting a lot in Sha'ban is to prepare the soul to Ramadan, as it is an obligation. To be able to perform this obligation perfectly, one has to practice it beforehand to strengthen soul and make it able to perform this obligation without difficulty. Concerning fast in Ramadan, Muslims live in an atmosphere of faith where all Muslims share fast. So, the fasting person finds others cooperating in doing good, on the contrary to Sha'ban and hence, the reward of fast increases even it was voluntary.

Concerning the grace of the mid of Sha'ban's night, the Imam Mohamed Ibn Wadah said : "I did not recognize anyone of our scholars nor jurists pay attention to the mid of Sha'ban's night." The author of "Al-Tag Al-Gam' (The Comprehensive) of the principles in the Messenger's Hadiths" dedicated a part of the chapter of fast to show the grace of the mid of Sha'ban's night in which he stated some hadiths such as what was related on the authority of Abu Musa Al-Ash'ry, may Allah be pleased with him, that the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, said: ***"At the mid of Sha'ban's night, Allah views all His creatures and forgives them except the disbelievers and wranglers."***

It was related by Ibn Magah and Ahmed.

AL-AZHAR MAGAZINE
Sha'ban 1423 A. H.

ENGLISH SECTION
Oct./ Nov 2002

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

الفهـــرس

● النقد الهادف لا الهدم الجارف (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٢٠٢
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٢٠٨
● فاتحة الكتاب بين تفسيرين
للأستاذ الدكتور/ محمد العزب ١٢١٣
● السنة: أخذ الله للظالمين
لفضيلة الشيخ/ طه الساكت ١٢١٩
● من نفحات الإسراء (٢)
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٢٢٤
● مواقف إسلامية: بريرة.. وتكاليف الحرية
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٢٢٩
● منهج الإسلام فى العبادة والعمل
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٢٣٦
● الإنسان والكون
للدكتور/ عبدالحليم عويس ١٢٤٣
● معركة فى كتاب: تهافت التهافت
للدكتور/ محمد عمارة ١٢٤٧
● تعقيب على رد ١٢٥٧
● ما يقال عن الإسلام: عداوة أمريكا وصداقتها (٤)
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٢٦٠
● كتاب الشهر: من هو اليهودى
عرض وتحليل أ.د/ إبراهيم عوضين ١٢٧١
● الاقتصاد الإسرائيلى فى ظل انتفاضة الأقصى
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم ١٢٧٩
● بعد النكبة (قصيدة)
للشاعر العراقى/ محمد الأثرى ١٢٨٤
● خطبة الجمعة: الإسلام والتفرقة العنصرية
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٢٨٨
● استفتاءات القــراء
للأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب ١٢٩٢
● شهر شعبان وضوء لرمضان
للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى ١٢٩٧
● الكليات.. والأسماء الحسنى
للدكتور/ على أحمد على ١٣٠١
● من معانـــى الحكمـــة
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٣٠٧
● قصـــة العـــدد: مصـــرع خبيب
للأستاذ/ ناجى الطنطاوى ١٣١١
● طـــرائف.. ومواقـــف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٣١٦
● الراحمون يرحمهم الرحمن
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٣١٨
● صورة مشرقة من أدب المتعلمين مع معلميهم
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٣٢١
● رســـالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ١٣٢٤
● اليهـــود وتهمـــة الـــدم
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٣٢٨
● بين الصـــحف والمجـــلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١٣٣١
● بيـــن المجـــلة والقـــارئ
للأستاذ/ عادل خفاجة ١٣٣٥
● أنبـــاء العـــالم الإســـلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٣٤١
● أنباء مكتب شيخ الأزهر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ١٣٤٣
● القســـم الإنجليـــزى
إشراف الأستاذ الدكتور/ إبراهيم الأصيل ١٣٥٩

عدد ١٢
عدد ٢٢٢٦
دوريات

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- صامت الأكوان
للأستاذ الدكتور / محمود عمارة
- قراءة إيمانية في كتاب « الكون والحياة »
للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا
- ماذا ينتظر العرب والمسلمون؟!
للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني
- الإيمان طريق النصر
للأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الاشتراك السنوي

- داخل مصر .... ١٨ جنيهًا مصريًا
- الدول العربية .... ٥٠ دولارًا أمريكيًا
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولارًا أمريكيًا
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولارًا أمريكيًا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ..٥٧٨٦١ - ٥٧٨٦٢٠٠

رمضان ١٤٢٣هـ - نوفمبر ٢٠٠٢م - الجزء التاسع - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

الصوم فى مرآة الغزالى

كنا فى مجلس علمى نتحدث عن حجة الإسلام الإمام أبى حامد الغزالى - رضى اللّه عنه - وفينا من يرتفع به إلى مستوى الزعامة الفكرية فى عصره. ويجيب فى تدفق عن كل مأخذ يوّجه إلى بعض ما كتب، وقد قال بعض الحاضرين: إن الغزالى قد تردّد فى بعض آرائه، فهو فى كتاب ما يتحدث عن موضوع دينى بغير ما يتحدث عنه فى كتاب آخر، وضربَ الأمثلة، على ذلك من واقع مؤلفات حجة الإسلام، ولكنّ عاشق الغزالى من أصحابنا قد عقّب يقول فى استفاضة: إن هذا التطور فى آراء الإمام مما يحسب له، لا مما يحسب عليه، فالرجل الكبير دائم التفكير فيما يصدر من أحكام. ولابد أن تجد له ما يصحح الخطأ أو يتم النقص، وتلك سمة العقل المتجدد! لقد تحدث أبو حامد عن العبادات من طهارة وصلاة وصيام وزكاة فى بدء حياته العلمية، ثم تحدث عنها بعد استوائه على القمة الفكرية فأضاف الكثير. وحلل وعلل وفصل وفسر، وقد ظهر كتاب «إحياء علوم الدين» ليكون الأنموذج الكامل لمعارف الإمام، فهو فى كل أبوابه يضيف من المعارف ما يعمق الفكرة ويؤيد الحكم بل إنه يضيف من خواطره الصافية ما يدل على شفافية نقية، وما يكاد يُعد به شاعراً ذا قلب، لا عالماً ذا عقل، لذلك كان كتاب «الإحياء» صورة لقلبه، ومرآة لوجدانه، مع ما يحمل من ثمار الفكر الواعى، والعقل البصير، وهنا ارتفع صوت يطلب التمثيل، فأشرق وجه صاحبى المتكلم، وقال فى هدوء: ليكن موضوع الصوم عند الغزالى هو موضع التدليل!

لقد كان الإمام أستاذا للفقه فى المدرسة النظامية ببغداد، بل كان أول أساتذة التشريع الإسلامى بهذه المدرسة، وكان يحضر مجلس درسه ثلثمائة عالم من الكبار، فهو أستاذ العلماء جميعا، تشد إليه الرحال، ويستفتى فى العصّى من دقائق المعضلات على أنه كان يشرح أبواب الفقه بما تعورف بين الدارسين، ففى باب الصوم يتحدث عن تعريفه وواجباته وسننه وأنواعه ومبطلاته، ودواعى الإفطار التى تباح، والمبطلات التى يفسد بها الصوم،

يتحدث عن ذلك بما هو مدون فى كتب السابقين، وإن زاد شيئا ففى صحة التعليل، واستيفاء الدليل، والمقارنة بين الأحكام فى مذاهب أهل السنة، وله فى ذلك كله لسان فصيح، وفكر صوال، ويقظة واعية فى فهم السؤال وتسديد الجواب، والرجل الكبير بعد ذلك كله عقل مستوعب دارس، يعرف أن أدوات العلم هى التفكير، والاستظهار، والارتكاز على النظر المنطقى والدليل الشرعى فى التحليل والتعليل والتخريج، وإلى هنا ويقف الإمام الغزالى دون أن يخترق هذه المسافة، صاعداً إلى أفق أعلى، أما ما كتبه الغزالى عن الصوم فى كتاب «الإحياء» فلا يقف عند العلم المنقول وحده، بل يضيف إليه ما توحى به البصيرة الكاشفة والقلب الذواق والوجدان الصافى، ولن أتحدث إليكم عما ذكره الغزالى فى كتاب «الإحياء» فى باب الصوم من المسائل المعلومة المشتهرة، فهو فى هذا المجال متبع غير مجدد، ولكنى أتحدث عما ذكره الغزالى فى باب الصوم مما أوحت به البصيرة الكاشفة والعقل الذواق.

أقســـــام الصـــــوم

لقد قسم الإمام الغزالى الصوم إلى ثلاثة أقسام فقال - رضى الله عنه - تحت عنوان (أسرار الصوم وشروطه الباطنة) ما يمكن أن نلخصه فيما يلى:

إن الصوم ثلاث درجات: صوم للعامة، وصوم للخاصة، وصوم لخاصة الخاصة.

أما صوم العامة فهو الذائع المشتهر، الذى يمسك فيه الإنسان عن شهوة الطعام والشراب وشهوة الجنس من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وقد يرتكب الصائم من الصغائر ما لا يلتفت إليه دون أن يفسد صومه، بل قد يرتكب من الكذب والنفاق والرياء ما لا يظن معه أنه ارتكب ما يبطل به الصوم فيظل طيلة يومه ممسكا عن الطعام والشراب حتى يؤذن المغرب فيقبل على الطعام معتقدا أنه قضى يومه صائما طائعا ومنتظرا مثوبة الله على ما كابد من حرمان.

هذا صوم العامة؛ أما صوم الخاصة فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والجوارح عن الآثام، فالصائم فى عبادة متصلة وصاحب العبادة عليه أن يحترز من المعصية إذ لا يليق به أن يمتنع عن الشراب والطعام قياماً بفريضة الصوم، وهو يسمع إلى الغيبة دون أن يكف سمعه، وينظر إلى المحارم دون أن يكف بصره، ويخوض فى أعراض الناس دون أن يكف لسانه، ويغتصب مال الغير دون أن يكف يده! إنه إذا فعل ذلك فقد أخل بفريضة الصوم إذ خلط عبادته بما يهوى بها إلى حيث تضيع ثمرتها المشتهاة ومثوبتها المرتجاة.

فإذا انتقلنا إلى صوم خاصة الخاصة فإننا نرى الإمام الغزالى يراه فى صوم القلب عن كل مسائل الدنيا وعن التفكير فيما سوى الله - عزوجل - ويحدث الفطر فى هذا النوع

للصائم إذا كان من خاصة الخاصة متى فكر فى غير ربه وفى غير ما يتعلق بالحساب والجزاء والموت والبعث، حتى قال بعض أرباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كُتبَتْ عليه خطيئة، لأن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله – عز وجل – وقلة اليقين بتوالى رزقه، وفيض نعمه، وهذه رتبة الأنبياء والصديقين، إذ هى إقبال بجميع الهمة على الله وانصراف بالعزيمة عما سوى الله.

قال ذلك صاحبى ثم سكت، ففاجأه بعض أصحابنا باعتراض على القسم الأخير، لأن الإمام الغزالى قد حجر واسعا وضيق فسيحاً حين جعل الصوم فى هذا القسم وقفا على التفكير فى ذات الله وحده، فكيف يستطيع الإنسان وهو صاحب عمل كادح أن يترك ميدان رزقه ليتفرغ طيلة الشهر للصوم الصامت! ومن أين يقطف ثمار عيشه وهو منعزل فى صمته لا يضرب فى مناكب الأرض مرتزقا كاسبا؟ والإسلام دعوة للعمل وصيحة للكفاح وقد انتصر المسلمون فى غزوة بدر، وفى فتح مكة لدى عهد رسول الله وهم صائمون. والغزالى يقول عن القسم الأخير: إنه مرتبة الأنبياء، وسيد الأنبياء كان يناضل العدو غازيا فى شهر رمضان، وهو صائم متعبد وإذا لم يكن رسول الله من خاصة الخاصة فمن يكون إذن؟

الحق أن الاعتراض وارد على القسم الأخير من تقسيم الإمام الغزالى ولعله يقصد به جماعة لعهده قد فرغوا من الدنيا، وعكفوا فى المساجد راكعين ساجدين.

دفـــــاع وتفنيـــــد

لم يطق تلميذ الغزالى صبراً على ما وجه إليه من اعتراض فاندفع يقول: إن صوم الخاصة الذى ذكره الغزالى لا اعتراض عليه من أحد، بل من الواجب أن يرتفع العامة إلى مستواه، لأن الرسول ﷺ يقول: «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش»[1] وقيل فى تفسيره: «هو الذى يمسك عن الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة ولا يحفظ جوارحه من الآثام» ومتى التزم كل صائم بآداب الإسلام الخلقية فقد جاوز الطبقة الأولى إلى الطبقة الثانية أما الطبقة الثالثة وهى موضع الاعتراض، فإنى أرى أن الانصراف إلى الله – عزوجل – لا يمنع الإنسان من العمل الجاد، فقد يكون الصائم محاربا غازيا وربه لا يغرب عن تفكيره، بل إنه يتقدم إلى حومة الجهاد معتقدا أن الله – عزوجل – يدخر له أجزل الثواب وأنه بمرأى ومسمع ممن يعلم السر والنجوى، فإذا كان الأنبياء يصومون ويحاربون ويناضلون، فهم مع الله فى كفاحهم الشاق، وصومهم إذن هو صوم الطبقة الثالثة! ومن

(١) أخرجه أحمد ٢/٤٤١

يسعى إلى الرزق صائما، وهو يفكر فى طاعة الله فصومه عبادة، وإذا كان صوم رمضان تمرينا على الصفاء النفسى طيلة العام فى غير رمضان، فإن التفكير فى الله سيكون ديدن الصائم فى غير رمضان! وهنا تتحقق جدوى الصيام، إذ تمتد إلى سلوك المسلم اليومى صائماً أو غير صائم، حين ينهاه الصوم عن اقتراف الموبقات بعد أن ينقضى أمده الزمنى وتحين أيام الفطر فى غير رمضان.

العبـــادات الأخـــرى

ثم استطرد صاحبى يقول: لم يكن الصوم وحده مجال الغوص النفسى لدى الغزالى دون سائر العبادات، إذ أن حجة الإسلام قد وقف موقف المتأمل الفاحص فيما عالجه من شئون الطهارة والصلاة والزكاة والحج، حيث لم يكتف بما قرره الفقهاء من أحكام، بل تغلغل إلى اللباب الصميم فى فلسفة هذه الفرائض، وله مع كل فريضة نظره الكاشف وسعته الرحيبة، فهو فى حديثه عن الوضوء والغسل مثلا لا يقف عند الفعل الظاهرى، بل ينص على أن الطهارة ذات مراتب أربع: فالمرتبة الأولى هى المعروفة فى أبواب الفقه، والمرتبة الثانية هى تطهير الجوارح من الجرائم والآثام، والمرتبة الثالثة هى تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوته، والمرتبة الرابعة هى تطهير السر عما سوى الله، وهى مرتبة الأنبياء والصديقين.

يقول الغزالى: إن من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لا يفهم من الطهارة إلا مرتبة الوضوء والاغتسال وهى القشرة الظاهرة بالإضافة إلى اللب المطلوب، وكم رأينا من يهتم بنظافة الأيدى والأرجل والوجوه دون أن يهتموا بتطهير القلوب من أقذار الحسد والنفاق والكيد، مع أن الطهارة كل لا يتجزأ.

وفى حديث الغزالى عن الصلاة يوجه اهتمامه إلى الخشوع ويراه مناط الكمال لصحة الصلاة، وإذا كان الفقهاء يفتون بصحة الصلاة لغير الخاشع فى كل صلاته فإن مقام الفتوى يتلمس الأعذار اعترافا بقصور الإنسان وتقصيره، لأن اشتراط الخشوع فى جميع الصلاة وإحضار القلب دون شرود مما يعجز أكثر الناس، فلابد من الخشوع فى بعض اللحظات، بالنسبة إلى العامة، أما الخاصة فعليهم أن يشمل الخشوع كل لحظة يقف فيها المصلى بين يدى ربه. ليمتد الخشوع إلى غير وقت الصلاة، فيصبح المسلم بعيداً عن المحرمات إذ نهته الصلاة عن الفحشاء والمنكر تصديقا لقول الرسول: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا»[٢].

---

(٢) مجمع الزوائد ٢/٢٥٨.

أما الزكاة فلها كالصوم ثلاث مراتب أدناها مرتبة من يقصرون على الواجب المشروع فلا يزيدون عليه، وفوقهم من ينفقون على قدر حاجاتهم، ويدفعون إلى الفقراء ما يزيد عن هذه الحاجة، أما المرتبة الأعلى فلمن صدقوا التوحيد ونزلوا عن جميع أموالهم للفقراء، وهكذا نرى الغزالى يطمح إلى مالا مزيد وراءه فى هذه الفروض وتلك منزلة لا يبلغها غير الآحاد.

وفى حديث الغزالى عن الحج إفاضة فى ضرورة التجرد والتنزه عن الشهوات، والاقتصار على الضرورات، وتفسير لمعانى الإحرام والسعى والطواف ورمى الجمار والتلبية، بما يضفى على هذه المعانى من الروعة والسمو والصفاء ما يجعل الحاج مولوداً جديداً يستقبل الأرض بروح السماء.

عود على بدء

قلت لصاحبى: ألا ترى أن الغزالى غير واقعى فى بعض ما يتحدث عنه من أمور الصوم والصلاة والزكاة؟ فقال متحمسا: لنعتبر الغزالى غير واقعى لو جعل المسلمين طبقة واحدة فى العبادات، ولكنه قسم الناس مراتب، ولاشك أن فيهم آحادا يرتفعون إلى الذروة فى إخلاصهم، وهم من يتشدد معهم فى بلوغ الغاية أما سواهم فقد سار معهم على سواء الطريق.

ففى باب الصوم مثلا ذكر أن كل فرد عليه أن ينظر إلى استعداده الروحى والجسمى فمن أطاق الصوم فى أكثر الأيام فى غير رمضان فتلك عبادة راقية، تجد وقودها فى استعداده الناهض، وليس لأحد أن يقوم فى وجهه فيصده عن معراج يحاول أن يرتقى به، ومن أطاق الصوم فى أيام خاصة تتوالى فى الشهر أو تتفرق فله أن يسير مع استعداده المناسب، ومن لم يطق غير المفروض فى شهر الصيام فله أن يلتزم به دون أن يتعداه، بل إن الذى لا يطيق الصوم المفروض فى رمضان لاجناح عليه أن يفطر إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، لذلك كان محمد ﷺ يصوم ويصوم حتى يقال لا يفطر، وكان يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم.

وقارىء باب الصوم فى كتاب «الإحياء» يجد من الإرشادات الواقعية ما يجنبه الشطط والانهماك فى الملذات فقد فطن الغزالى إلى جماعة من الصائمين يمسكون عن الطعام والشراب طيلة النهار، حتى إذا أذن المغرب انكبوا على الموائد فاستكثروا مما يجلب التخمة والبشم وفيهم من يواصل ملذاته طيلة الليل على أبعاد متقاربة، والغاية من الصوم هى كسر الهوى واعتياد الصبر على الجوع، وراحة المعدة، وقد أخل هؤلاء النهمون بغاية الصوم

فأبطلوا فائدته، فكأنهم جمعوا ما كانوا يتناولونه فى الصباح والظهيرة وكدسوه فى بطونهم بين المغرب والفجر، فلم يصلوا إلى شىء من تعويد الحرمان وكسر الهوى وفاتتهم الفائدة المرتجاة من الصيام؛ يقول الإمام الغزالى: ومن جعل بين قلبه وصدره مخلاة ممتلئة بالطعام والشراب. فهو عن الله محجوب لأن امتلاء البطن يقف حائلاً دون مواصلة الصلاة فى التراويح، ودون التهجد فى شهر العبادة، ودون مجالس الذكر وخلوات التفكر فى ملكوت السماوات والأرض، مما يجب أن يكون ديدن الصائم فى شهر رمضان.

إن الإنسان وسط بين الملك والحيوان، فهو بإقباله على مطالب الروح يرتفع عن إنسانيته إلى مصاف الملائكة وبانهماكه فى ملذات الجسم دون التزام بحد معقول ينخفض إلى مستوى الحيوان، والصوم فى منطق الغزالى إذا أُدى على وجهه الصحيح يرتفع بصاحبه إلى مستوى الأطهار، ممن تخلصوا من رغائب البدن وملذات النفس، وعرفوا أن للروح ملذات أخرى حين تسعد بالتفكير الهادىء فى إسعاد البشرية وهداية الناس، فإذا لم يتيسر هذا ففى سعادة المرء بنفسه ومحاولة ابتعاده عن الشرور ما يكفى، ورمضان فرصة مواتية لهذا التفكير، إذ هو عبادة تستدعى غيرها من العبادات، فالصائم متطهر مصل مزك، وقد يصوم فى بعض أيام الحج فيجمع كل العبادات فى وقت واحد، وهنا تكون صلته بربه قريبة دانية، وبالتالى تكون صلته بالناس وثيقة هانئة، لأن من يقوم بالفرائض على وجهها الصحيح لابد أن يكون حسن السلوك جميل السيرة. يأخذ بالعفو، ويأمر بالعرف، ويصنع الجميل، ويفسح الصدر لمن يقع فى الزلل وتلك صفات الموحدين.

إن رمضان شهر مجاهدة، ومراتب الجهاد تتفاوت وقد أوضحها الغزالى فى إسهاب شاف، وله روحانيته الصافية، وذوقه الشفاف، وعقله البصير.

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة البقرة

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

الآيات: ٢٤٣ - ٢٤٥

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الآلوسى: قوله ـ تعالى ـ ﴿ أَلَمْ تَـرَ ﴾ هذه الكلمة قد تذكر لمن تقدم علمه فتكون للتعجب والتقرير والتذكير لمن علم بما يأتى ـ كالأحبار وأهل التواريخ ـ وقد تذكر لمن لا يكون كذلك فتكون لتعريفه وتعجيبه، وقد اشتهر فى ذلك حتى أجريت مجرى المثل فى هذا الباب، بأن شبه من «لم ير» الشىء بحال من رآه فى أنه لا ينبغى أن يخفى عليه وأنه ينبغى أن يتعجب منه، ثم أجرى الكلام معه كما يجرى مع من رأى، قصدا إلى المبالغة فى شهرته وعراقته فى التعجب. ثم قال: والرؤية إما بمعنى الإبصار مجازا عن النظر، وفائدة التجوز الحث على الاعتبار، لأن النظر اختيارى دون الإدراك الذى بعده. وإما بمعنى الإدراك القلبى متضمنا معنى الوصول والانتهاء ولهذا تعدت ـ أى الرؤية ـ بإلى فى قوله:

﴿ أَلَمْ تَـرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا ﴾[1].

والمعنى: قد علمت أيها الرسول الكريم أو أيها الإنسان العاقل ـ حال أولئك القوم الذين خرجوا من ديارهم التى ألفوها واستوطنوها، وهم ألوف مؤلفة، وكثرة كاثرة، وما كان خروجهم إلا فرارا وخوفا من الموت الذى سيلاقيهم ـ إن عاجلاً أو آجلاً ـ ومن لم يعلم حالهم فها نحن أولاء نعلمه بها ونحيطه بما جرى لهم عن طريق هذا الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والمقصود من هذه الآية الكريمة حض الناس جميعاً على الاعتبار والاتعاظ، وزجرهم عن الفرار من الموت هلعاً وجبناً، وتحريضهم على القتال فى سبيل الله، فقد قال الله ـ تعالى ـ بعد ذلك:

﴿ وَقَـٰتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وإفهامهم أن الفرار من الموت لن يؤدى إلا إلى الوقوع فيه.

وقوله: ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ جملة حالية من الضمير فى ﴿ خَرَجُوا ﴾ و ﴿ أُلُوفٌ ﴾ جمع ألف والتعبير بألوف يفيد أنهم كانوا كثيرى العدد، ومن شأن الكثرة أنها تدعوا إلى الشجاعة ولكنهم مع هذه الكثرة قد استولى عليهم الجبن فخرجوا من ديارهم هرباً من الموت.

وقيل إن معنى ﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ أنهم خرجوا مؤتلفى القلوب، ولم يخرجوا عن افتراق كان منهم، ولا عن تباغض حدث بينهم. وألوف على هذا القول جمع آلف مثل قاعد وقعود وشهود. قالوا: والوجه الأول أجدر بالاتباع لأن ورود الموت عليهم وهم كثرة عظيمة يفيد مزيد اعتبار بحالهم، ولأنه هو الظاهر من معنى الآية الكريمة.

وقوله: ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ أى خرجوا لحذر الموت وخشيته، فقوله: ﴿ حَذَرَ ﴾ منصوب على أنه مفعول لأجله. والجملة الكريمة تشير إلى أن خروجهم كان الباعث عليه الحرص على مطلق حياة، ولو كانت حياة ذل ومهانة، وأنه لم يكن هناك سبب معقول يحملهم على هذا الخروج، ولذا كانت نتيجة ذلك أن عاقبهم الله ـ تعالى ـ

(١) تفسير الآلوسى جـ٢ صفحة ١٦٠.

بالموت الذى هربوا منه فقال :

﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾ أى : فقال لهم الله موتوا فماتوا ثم أحياهم بعد ذلك . فجملة :

﴿ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾ معطوفة على مقدر يستدعيه المقام أى، فماتوا ثم أحياهم . وإنما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده - تعالى - عن إرادته .

قال صاحب الكاشف : فإن قلت : ما معنى قوله :

﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ﴾ قلت : معناه فأماتهم وإنما جىء به على هذه الصورة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته، وتلك ميتة خارجة عن العادة، كأنهم أمروا بشىء فامتثلوا امتثالا من غير إباء ولا توقف كقوله - تعالى - :

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢)

وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة، وأن الموت إذا لم يكن منه بد، ولم ينفع منه مفر، فأولى أن يكون فى سبيل الله »(٣) .

وقال الجمل : « فإن قلت هذا يقتضى أن هؤلاء ماتوا مرتين وهو مناف للمعروف من أن موت الخلق مرة واحدة؟ قلنا فى الجواب : لا منافاة إذ الموت هنا عقوبة مع بقاء الأجل كما فى قوله فى قصة موسى :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾(٤) وثم موت بانتهاء الأجل، وتلخيصه : أنه - سبحانه - أماتهم قبل آجالهم عقوبة لهم ثم بعثهم إلى بقية آجالهم، وميتة العقوبة بعدها حياة - أى فى الدنيا - بخلاف ميتة الأجل - فلا حياة بعدها فى الدنيا . . »(٥) .

وبعد هذا البيان لمعنى الآية قد يقال : من هم أولئك القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت؟ وهل الإماتة والإحياء بالنسبة لهم كانا على سبيل الحقيقة؟

للإجابة على السؤال الأول نقول : لم يرد حديث صحيح عن رسول الله ﷺ يبين لنا فيه من هؤلاء القوم وفى أى زمن كانوا، وإنما أورد بعض المفسرين عن بعض الصحابة والتابعين روايات فيها مقال، وفيها تفصيلات نرى من الخير عدم ذكرها لضعفها . ومن هذه الروايات ما جاء عن ابن عباس أنه قال : كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون، حتى إذا كانوا بموضع كذا أو كذا ماتوا . . ثم أحياهم الله بدعوة دعاها نبيهم(٦) .

ومنها أنهم - قوم من بنى إسرائيل - فروا من الجهاد حين أمرهم الله به على لسان نبيهم « حزقيل » وخافوا من الموت فى الجهاد فخرجوا من

---

(٢) ياسين (٨٢).

(٣) تفسير الكشاف جـ ١ صفحة ٢٩٠.

(٤) البقرة ٥٦.

(٥) حاشية الجمل على الجلالين جـ ١ صفحة ١٩٧ . بتصرف يسير.

(٦) تفسير ابن كثير جـ ١ صفحة ٢٩٨ بتلخيص.

ديارهم فأماتهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء، ثم أحياهم وأمرهم بالجهاد . . »

قال القرطبى بعد أن ساق هذه الرواية : وقال ابن عطية : وهذا القصص كله لين الأسانيد وإنما اللازم من الآية أن الله - تعالى - أخبر نبيه محمد ﷺ إخباراً فى عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فراراً من الموت فأماتهم الله ثم أحياهم ليروا هم وكل من جاء من بعدهم أن الإماتة إنما هى بيد الله لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف ولا لاغترار مغتر. وجعل الله هذه الآية مقدمة بين يدى أمر المؤمنين من أمة محمد ﷺ بالجهاد. وهذا قول الطبرى وهو ظاهر وصف الآية »(٧) والذى نراه أن الرواية الثانية التى تقول إنهم قوم من بنى إسرائيل فروا من الجهاد حين أمرهم الله به . . معقولة المعنى، ويؤيدها سياق الآيات، لأن الآيات تحض الناس على القتال فى سبيل الله، وتسوق لهم قصة هؤلاء القوم لكى يعتبروا ويتعظوا ولا يتخلفوا عن الجهاد الذى هو باب من أبواب الجنة - كما قال الإمام على بن أبى طالب - ولأن قوله - تعالى -:

﴿ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ يشعر بأنهم مع كثرة عددهم قد نكصوا على أعقابهم، وفروا من وجوه أعدائهم وهذا شأن بنى إسرائيل فى كثير من أدوار تاريخهم وما قاله ابن عطية يشير إليها فهو يقول : وجعل الله هذه الآية مقدمة بين يدى أمر المؤمنين بالجهاد. إلا أنه آثر وصفهم بأنهم قوم من البشر.

وللإجابة عن السؤال الثانى وهو - هل الإماتة والإحياء بالنسبة لهم كانا على سبيل الحقيقة - نقول : مبلغ علمنا أن المفسرين السابقين مجمعون على أن الموت كان موتاً حقيقياً حسياً لهم، وأن إعادتهم إلى الحياة بعد ذلك كانت إعادة حقيقية حسية.

وقد خالف الأستاذ الإمام محمد عبده إجماع المفسرين هذا فرأى أن المراد بالموت فى الآية الموت المعنوى بمعنى أن موت الأمم إنما هو فى جبنها وذلتها وأن حياتها إنما تكون فى عزتها وحريتها فقد قال - رحمه الله - ما ملخصه :

« . . والمتبادر من السياق أن أولئك القوم خرجوا من ديارهم بسائق الخوف من عدو مهاجم لا من قلتهم، فقد كانوا ألوفاً أى كثيرين وإنما هو الحذر من الموت الذى يولده الجبن فى أنفس الجبناء، فيريهم أن الفرار من القتال هو الواقى من الموت وما هو إلا سبب الموت بما يمكن الأعداء من رقاب أهله، قال أبو الطيب :

يرى الجبناء أن الجبن حزم
وتلك خديعة الطبع اللئيم

ثم قال : لقد خرجوا فارين :

﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾ أى أماتهم بإمكان العدو منهم . . فمعنى أولئك القوم هو أن العدو نكل بهم فأفنى قوتهم وأزال استقلال أمتهم حتى صارت لا تعد أمة، بأن تفرق شملها، وذهبت جامعتها، فكل ما بقى من أفرادها بقى خاضعا للغالبين ضائعا فيهم، لا وجود له فى نفسه، وإنما وجوده تابع لوجود غيره.

(٧) تفسير القرطبى جـ٢ صفحة ٢٣٩.

ومعنى حياتهم هو عود الاستقلال إليهم، ذلك أن من رحمة الله فى البلاء يصيب الناس أنه يكون تأديبا لهم، ومطهرا لنفوسهم مما عرض لها من دنس الأخلاق الذميمة. أشعر الله أولئك القوم بسوء عاقبة الخوف والجبن والفشل والتخاذل بما أذاقهم من مرارتها، فجمعوا كلمتهم، ووثقوا رابطتهم، حتى عادت لهم وحدتهم، فاعتزوا وكثروا حتى خرجوا من ذل العبودية التى كانوا فيها إلى عز الاستقلال فهذا معنى حياة الأمم وموتها»[٨].

فأنت ترى أن الأستاذ الإمام يرى أن الموت والحياة فى الآية معنويات، بمعنى أن موت الأمم فى جبنها وذلتها، وحياتها فى استقلالها وحريتها.

ولعله - رحمه الله - قد اتجه هذا الاتجاه لأن الحض على القتال فى سبيل الله واضح فى هذه الآيات، ولأنه يرى أن واقع العالم الإسلامى يومئذ وما أصابه من ظلم واستبداد واستلاب للحرية يدعوه إلى أن يحرض المسلمين على القتال فى سبيل حقهم المسلوب، وأن يحذرهم من سوء عاقبة الجبن والخنوع.

ومع أننا لا نشك فى الدوافع الطيبة والبواعث الكريمة التى جعلت الأستاذ الإمام يتجه هذا الاتجاه، ألا أننا لا نتردد فى اختيار ما ذهب إليه المفسرون من أن الموت والحياة فى الآية حسيان حقيقيان، لأنه هو الظاهر من معنى الآية الكريمة، ولأنه يتجه اتجاها أعم من اتجاه الإمام محمد عبده، لأن المفسرين يرون أن الآية واضحة فى إثبات قدرة الله، وفى صحة البعث، وفى الحض على القتال فى سبيل الله.

قال بعض العلماء: قوله - تعالى - :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا ﴾ الآية.

«كان المشركون يستفتون اليهود فى كثير من الأمور وكانت هذه القصة معلومة لليهود فى أسفارهم وتواريخهم، فنزل القرآن بالإشارة إليها ليرتدع المشركون عما هم فيه من الضلال وإنكار البعث، ويعلموا أن دلائل القدرة على البعث مشهورة، وأن عند اليهود منها مالورجعوا إليهم فيه لعلموا أنه حق لا ريب فيه. وفى ذكر هذه القصة مع ذلك تشجيع للمؤمنين على الجهاد والتعرض للشهادة، وتمهيد لما بعد هذه الآية»[٩].

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

أى: إن الله - تعالى - لصاحب تفضل دائم على الناس حيث أوجدهم بهذه الصورة الحسنة، وخلق لهم عقولا ليهتدوا بها إلى طريق الخير، وسخر لهم الكثير مما فى هذا الكون. فمن الواجب عليهم أن يشكروه وأن يطيعوه، ولكن الذى حدث منهم أن أكثرهم لا يشكرون الله - تعالى - على ما منحهم من نعم.

(٨) راجع تفسير المنار جـ٢ ص ٤٥٧ وما بعدها.

(٩) صفوة البيان لمعانى القرآن ص ٨٠ لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف.

وفى قوله:

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ إنصاف للقلة الشاكرة منهم، ومديح لهم على استقامتهم وقوة إيمانهم.

ثم أمر الله ـ تعالى ـ عباده بالجهاد فى سبيله فقال:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

والسبيل: الطريق. وسميت المجاهدة سبيلا إلى الله لأن الإنسان يسلكها فيصل إلى ما يرضى الله، ويعلى كلمته. ويعز دينه.

أى، قاتلوا أيها المسلمون فى سبيل إعلاء كلمة الله، والدفاع عن دينه، واعلموا أنه ـ سبحانه ـ عليم بكل أقوالكم صالحها وطالحها، عليم بكل ما يدور فى نفوسكم وخواطركم، وسيجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

فالآية الكريمة تحريض للمؤمنين على القتال من أجل إظهار الدين الحق، وتحذير لهم من القعود عنه، وحث لهم على صدق النية وإخلاص العمل لله، فقد سئل النبى ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أى ذلك فى سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»(١٠).

ثم أمر الله ـ تعالى ـ عباده بأن ينفقوا أموالهم فى الأعمال الصالحة التى من أعظمها الجهاد فى سبيله فقال ـ تعالى ـ:

﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾

قال القرطبى: «القرض: اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء. وأقرض فلان فلانا أى أعطاه ما يتجازاه. واستقرضت من فلان أى طلبت منه القرض فأقرضنى. واقترضت منه أى أخذت القرض، وأصل الكلمة القطع ومنه المقراض. وأقرضته أى قطعت له من مالى قطعة يجازى عليها.. ثم قال: والتعبير بالقرض فى هذه الآية إنما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه، والله هو الغنى الحميد، لكنه ـ تعالى ـ شبه عطاء المؤمن فى الدنيا بما يرجو به ثوابه فى الآخرة بالقرض كما شبه إعطاء النفوس والأموال فى أخذ الجنة بالبيع والشراء..»(١١).

والمعنى: من هذا المؤمن القوى الإيمان الذى يقدم ماله فى الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، وفى غير ذلك من وجوه الخير كمعاونة المحتاجين، وسد حاجة البائسين، ومساعدة الأمة الإسلامية بما يفيدها ويعلى من شأنها:

﴿ فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ أى: فيرد الله ـ تعالى ـ إلى هذا الباذل المعطى المقرض بدل ما أعطى وبذل وأقرض أمثالاً كثيرة لا يعلم مقدارها إلا الله أكرم الأكرمين. إذ المضاعفة معناها إعطاء الشخص أضعاف أى أمثال ما أعطى وبذل.

والاستفهام فى قوله:

---

(١٠) تفسير القرطبى جـ٣ ص ٢٣٩.

(١١) تفسير القرطبي جـ٣ صفحة ٢٣٩.

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ ﴾ للحض على البـذل والعطاء، وللتهييج على الاتصاف بالصفات الكريمة، حتى لكأن المستفهم لا يدرى من هو الأهل لهذه الصفات ويريد أن يعرف من هو أهل لها.

و ﴿ مَّن ﴾ اسم استفهام مبتدأ، و ﴿ ذَا ﴾ اسم إشارة خبره، والذى وصلته صفة لاسم الإشارة أو بدل منه.

وقوله: ﴿ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ حث للناس على إخلاص النية، وتحرى الحلال فيما ينفقون، لأن الإنسان إذا تصدق بمال حرام، أو قصد بنفقته الرياء أو المباهاة لا يكون عمله متقبلا عند الله، وإنما يتقبل الله العمل ويضاعفه لمن قصد به وجهه، وكان المتصدق به مالاً حلالاً خالصًا من الشبهات. فالله ـ تعالى ـ طيب لا يقبل إلا ماكان طيبا.

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

القبض: ضد البسط يقال: قبضه بيده أى تناوله. وقبض عليه بيده أى أمسكه. ويقال لإمساك اليد عن البذل قبض ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾[١٢] أى يمتنعون عن الإنفاق.

والبسط معناه المد والتوسعة يقال بسط يده أى: مدها وبسط المكان القوم.. وسعهم والمعنى: والله ـ تعالى ـ بيده الإعطاء والمنع فهو يسلب تارة ويعطى أخرى، أو يسلب قوما ويعطى آخرين، أو يضيق على بعض ويوسع على بعض حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكمة والمصلحة، وما دام الأمر كذلك فلا تبخلوا بما وسع عليكم كيلا تتبدل أحوالكم من الغنى إلى الفقر، ومن السعة إلى الضيق. وأنتم جميعا سترجعون إليه وحده، وسيجازى ـ سبحانه ـ الأسخياء بما يستحقون من كريم الثواب والبخلاء بما هم أهله من شديد العقاب.

فأنت ترى أن فى هذه الآية الكريمة ألوان من الحض على الإنفاق فى وجوه الخير ومن ذلك التعبير بالاستفهام، لأنه للتنبيه وبعث النفوس إلى التدبير والاستجابة.

ومن ذلك ـ أيضا ـ التعبير بقوله:

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى ﴾ فقد جمع هذا التعبير بين اسم الإشارة والاسم الموصول فى الاستفهام، ولا يستفهم بتلك الطريقة إلا إذا كان المقام ذا شأن وخطر، وكان المخاطب لعظم قدره من شأنه أن يشار إليه وأن يتحدث عنه ومن ذلك تسميته ما يبذل الباذل قرضا، ولمن هذا القرض إنه لله الذى بيده خزائن السموات والأرض والذى سيرد للباذل أضعاف ما بذل، فكأنه ـ سبحانه ـ يقول لنا: إن ما تدفعونه لن يضيع عليكم بل هو قرض منكم لى، وسأرده

---

(١٢) التوبة (٦٧).

لكم بأضعاف ما دفعتم وأعطيتم. ومن ذلك إخفاء مرات المضاعفة ووصفها بالكثرة في قوله:

﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ ﴾ أي لا يعلم مقدارها إلا الله.

ومن ذلك التعبير بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ ﴾ لأنه مادام العطاء والمنع من الله، فلماذا يبخل البخلاء ويقتر المقترون؟ إن على الغنى أن يستشعر نعمة الله عليه، وأن يتحدث بها بدون رياء وأن ينفق منها في وجوه الخير حتى يزيده الله من فضله، وإلا ففي قدرة الله أن يسلبها منه، ويحاسبه على بخله حسابا عسيراً.

هذه بعض وجوه المبالغة التي اشتملت عليها الآية لحض الناس على الإنفاق في الجهاد وفي وجوه الخير، ولقد استجاب السلف الصالح لهذه التوجيهات، وحكى لنا التاريخ أمثلة كريمة من سخائهم وبذلهم.

ومن خير الأمثلة على ذلك ما جاء عن عبدالله ابن مسعود قال: لما نزلت:

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾.

قال أبوالدحداح: يا رسول الله أو إن الله- تعالى- يريد منا القرض؟ قال: «نعم يا أبا الدحداح» قال أرني يدك: فناوله النبي ﷺ يده. فقال أبوالدحداح: فإني أقرضت الله- تعالى- حائطا فيه ستمائة نخلة. ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعياله، فناداها: يا أم الدحداح، قالت: لبيك قال: أخرجي قد أقرضت ربي حائطا فيه ستمائة نخلة»(١٣).

وفي رواية لزيد بن أسلم أن أبا الدحداح قال للنبي ﷺ إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضا لله- تعالى- فقال رسول الله- ﷺ: «اجعل إحداهما والأخرى دعها معيشةلك ولعيالك» قال: فأشهدك يا رسول أني قد جعلت خيرهما لله وهو حائط فيه ستمائة نخلة. قال: «إذا يجزيك الله به الجنة» ثم انطلق أبوالدحداح إلى زوجته وهي مع صبيانها بالحديقة تدور تحت النخل فأخبرها بما فعل. فأقبلت على صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر»(١٤).

وبهذا نرى السلف الصالح قد امتثل ما أمره الله به من إنفاق في سبيله ومن جهاد لإعلاء كلمته فهل آن الأوان للمسلمين أن ينهجوا نهجهم لكي يسعدوا كما سعدوا، وينالوا أشرف حياة وأعزها؟ اللهم خذ بيدنا إلى ما يرضيك.

«يتبع»

---

(١٣) تفسير ابن كثير جـ ١ صفحة٢٩٩.

(١٤) تفسير القرطبي جـ ٣ صفحة ٢٣٧.

فاتحة الكتاب بين تفسيرين

(٢)

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

وينفرد سيد قطب فى تفسيره (فى ظلال القرآن) من بين المحدثين بكونه صاحب اتجاه (جمالى)، يستبطن فى النص القرآنى علاقاته وأنساقه وتصاميمه الإبداعية التى تولد لدى المتلقى إحساساً عارماً بالجمال ثم إدراكاً عارماً لهذا الجمال.. ومن هنا فهو يقدم لتفسيره بمقدمة انطباعية تحدد منطلقاته فى فهم الظاهرة القرآنية من زوايا: إحساسه الشاهق الذى يطل منه - قارئا للقرآن الكريم - على جاهليات الأرض، وتأمله المستغرق لعظمة التصور القرآنى الشامل النظيف للوجود، وإدراكه العميق لجمل التناسق الجميل بين حركة الإنسان وحركة الكون، وقدرته الفذه على رؤية الكون من الداخل أكبر فى حقيقته وفى تعدد جوانبه، وإيمانه الواعى بتكريم الله للإنسان فى كل الزمن التاريخى، ويقينه العينىّ بحكمة الحركة وحركة الحكمة فى كل مظاهر التركيب الكونى، وتطلعه فى أول الأمر وآخره إلى ضرورة العودة إلى حمى الله حتى ترْشد الحركة المرتبكة، وتستنير القيادة الجاهلة، ويتوافق الإيقاع الإبداعى للإنسان مع منهج الله منشئ الإبداع ومنشئ الإنسان على السواء.

وواضح من هذا المنحنى الانطباعى فى مقدمة التفسير أنَّ صاحبه فنان يتأمل لوحات جمالية تفيض بإشراق الألوان والأضواء والظلال، ويتوقّى من هذا التأمل الجمالى إلى نوع من الإخبات الورع الذى يرى جمال الخلق الإلهى فى كل آياته ولوحاته، حتى لنحسّ معه بأن الطبيعة التى يجسّدها النصّ القرآنى طبيعة مزودة بملايين الألسنة الذاكرة، وملايين الأيدى الملوحة، وملايين الإيحاءات الهاتفة بوحدانية الله وإعجازه فى خلقه.

يؤكد ذلك أن سيد قطب فى تفسيره يتوفر كثيراً على تأمل ألوان من الغايات الجمالية المحايدة، كالقَصِّ القرآنى طبيعته ومضامينه وتشكيلاته، وكالتصوير الحسىِّ القرآنى حركته ولونه وايقاعاته، وكالبناء الفنى القرآنى تصميمه ورؤيته وأداته، إلى آخر ما يمكن رصده فى هذا الصدد مما يركز عليه فى الظلال، حتى ليوشك المتتبع لمساره هناك أنْ يجزم بأن منطلقه إلى التفسير وفى التفسير كان تجلية روائع الحركة الإبداعية فى النصِّ القرآنى، قبل أن يكون محاولة تجلية الجوانب الروحية والفقهية والعقيدية التى ركّز عليها الغابرون فأضاؤوها إضاءات كافية.

وهذا إنجاز محسوب لسيد قطب بلا جدال، لأننا مطالبون ليس بارتياد الأصقاع المطروقة، وإنما بارتياد الأصقاع المجهولة، ولا يهمّ حَجْمُ المعاناة التى تُبذل فى هذا الفعل الأخير، لأن ضريبة الكشْف قد تكون آخر نبضةٍ فى القلب، وقد تكون السقوط فى المنتصف دون الغاية المأمولة بما لا يقاس!!

وَبَدْءاً يقرّر سيد قطب فى تفسيره (لسورة الفاتحة) أنها تنحنى على كليات من العقيدة، وكليات من التصور الإسلامى، وكليات من المشاعر والتوجهات، وفى ذلك بعينه ما يشير إلى طرف من حكمة اختيارها للتكرار فى كل ركعة، وحكمة بطلان كل صلاة لا تذكر فيها.

وإذا كان الله ـ عز وجل ـ قد قال لنبيه ﷺ فى أول آية نزلت من القرآن الكريم:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾(1) فإن استهلال الفاتحة ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ يبدو التزاماً أدبياً أوحى الله به لنبيه ﷺ، كما يبدو إقراراً حراً، ووهلياً بأن الله هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، فإذا أضيف إلى ذلك أنه:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ شمل ذلك محورىْ: (الوجود) و (الفيض على هذا الوجود) ولعل الإيحاء الذى تشعّه صفة ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ يؤكد وحدانية هذا الفيض، وأنه لا يستطيعه لكل هذا الكون سوى ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ بلا شريك.

ولما كان البدء باسم الله وما ينطوى عليه من توحيده والأدب معه يمثل الكلية الأولى فى التصور الإسلامى، فإن استغراق معانى الرحمة وحالاتها ومجالاتها فى صفتى:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ يمثل الكلية الثانية فى هذا التصور، ويقرر كنه العلائق الحميمة بين الله والمخلوقين لله.

ولأن هذا الفيض الرحمانى صدور ذاتى عن الوجود الإلهى، فإن التوجه بـ «الحمد» يصبح حتمية ضرورية يتوجه بها إلى خالقه مناطُ هذه الرحمة، ومخلوق هذه الواحدية الخالقة: (الإنسان)، حتى لا يُوصَمَ بالكنود وبطر النعمة وسوء الأدب مع واهب كل هذه الآلاء.

(1) العلق.

ومع ذلك، فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ يثيب عبده (الحامد) على حمده له، لأن هذا الحمد شهادة صادعة بأن هذا العبد قد وصل فى فهمه عن علاقته بربه إلى درجة الشفافية التى يدرك معها بأن الله وحده هو واهب الوجود وآلاء الوجود، ومن حقه على عبده أن يتوجه إليه بالحمد على نعمتىْ الخلق والرعاية.. ومن هنا جاءت صيغة: ﴿ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ بكل ما تشعّه من معانى الربوبية المطلقة، والتربية الحادبة، ونفى كل الأرباب الآخرين، حتى تستقر فى الأرض حقيقة الواحدانية لله، ويتوارى كل ما عداها من فوضى أوهام تعدد الأرباب.

وحين تتكررصفة ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فإن ذلك يعد مؤكّداً على عمق التوجه إلى نزع الإنسان من كل جاهلياته الأرضية، وإلى ترشيد موقفه العقيدى فى تواصل حميم، لأن جمال هذه العقيدة وكمالها وتناسقها وبساطة الحقيقة الكبيرة التى تمثلها – كما يقول سيد قطب – لا يتجلى للقلب والعقل كما يتجلى من مراجعة ركام الجاهلية من العقائد والتصّورات، والأساطير والفلسفات، وبخاصة موضوع الحقيقة الإلهية وعلاقتها بالعالم.. عندئذ تبدو العقيدة الإسلامية رحمة، رحمة حقيقية للقلب والعقل، رحمة بما فيها من جمال وبساطة، ووضوح وتناسق، وقرب وأنس، وتجاوب مع الفطرة مباشر عميق.

والحكمة إلهية فإن المعادلة فى الإسلام ليست دُنْيا فقط، وليست آخرة فحسب، وإنما هى عناق بين الدنيا والآخرة.. ولذلك جاء السياق بهذا التدفق الشمولى الواثق: ﴿ مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ ليجسد كلية الاعتقاد بالآخرة، حتى يتكامل محورا اليوم واليوم الآخر، بشرط أن نفهم عن هذا النص المعجز أن التقابل هنا لا يقيم مصادمة بين المحورين بقدر ما يقيم تكاملا بينهما، حتى يخفف من سعار الانحناء على الضرورات الأرضية، ويتيح للذين لم يلحقوا بها نوعا من القرار النفسىّ والعقيدى إلى أنهم بالغوا هذه الآراب فى دنياهم الآخرة.

..(ومن ثم فإن هذه الكلية تعد مفرق الطريق بين العبودية للنزوات والرغائب، والطلاقة الإنسانية اللائقة ببنى الإنسان.. بين الخضوع لتصورات الأرض وقيمها وموازينها، والتعلق بالقيم الربانية والاستعلاء على منطق الجاهلية. مفرق الطريق بين الإنسانية فى حقيقتها العليا التى أرادها الله الرب لعباده، والصور المشوهة المنحرفة التى لم يقدر لها الكمال).. وليْت سيد قطب تأمّلَ إطلاقَ (اليوم) على الآخرة، بكل ما يحمله هذا الإطلاق من جدلية الربط بين الحياتين كأنما هما امتداد لنهار واحد بلا تعديد!!

ثم ترتب السورة على هذه الكليات كلية أخرى، وهى حتمية التوجه إلى من يجب أن (يُعْبد) وحده، وأن (يُستعان) به وحده:

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ فلا وقوع فى أسر العبوديات الأرضية، ولاانحناء تحت راية القوى المُجَوَّفة ولا صدوف عن مواصلة تَمْتين العلائق بالعبادة والاستعانة، حتى يصبح (العبد) (ربانياً) بلا زُيُوف!!

وهنا يعرض موقف المسلم – كما يقول سيد قطب – من القوى الإنسانية، ومن القوى الطبيعية: (فأما القوى الإنسانية – بالقياس إلى المسلم – فهى نوعان: قوة مهتدية تؤمن بالله وتتبع منهج الله.. وهذه يجب أن يؤازرها ويتعاون معها على الخير والحق والصلاح.. وقوة ضالة لا تتصل بالله ولا تتبع منهجه، وهذه يجب أن يحاربها ويكافحها ويغير عليها.. وأما القوى الطبيعية فموقف المسلم منها هو موقف التعرف والصداقة، لا موقف التخوف والعداء، ذلك أن قوة الإنسان وقوة الطبيعة صادرتان عن إرادة الله ومشيئته، محكومتان بإرادة الله ومشيئته متناسقتان متعاونتان فى الحركة والاتجاه).

ومتى صار المسلم الحقيقى يعبد ربه حتى يصبح ربانياً ويستعينه حتى يصبح أقوى من كل قوى الأرض، فإنه بحاجة مع هذا الجبروت إلى تسديد توجهاته الفاعلة فى اتجاه الحق والخير والجمال، ومن هنا حق له أن يجأر بهذه الابتهالة الوامضة:

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾

لأن هذا التوجه هو التطبيق العملى لمجمل الكليات الأساسية فى التصور الإسلامى، وليست الهداية فى النهاية سوى هداية فطرة الإنسان إلى ناموس الله الذى ينسق بين حركة الإنسان وحركة الوجود كله فى الاتجاه إلى الله رب العالمين.

وكما بدأ سيد قطب تأملاته لسورة الفاتحة بتضوىء دورها ومكانتها فى المنظور الإسلامى من خلال إيمائه إلى أن المسلم يردد هذه السورة القصيرة ذات الآيات السبع، سَبْعَ عَشْرةَ مرة فى كل يوم وليلة على الحد الأدنى، وأكثر من ضعف ذلك إذا هو صلى السنن، وإلى غير حد إذا هو رغب فى أن يقف بين يدى ربه متنفلا، غير الفرائض والسنن.. وإيمائه كذلك إلى أن أية صلاة لا تقوم بغير هذه السورة الصغيرة،لما ورد فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ من حديث عبادة بن الصامت: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب).. فإن سيد قطب ينهى تأملاته لسورة الفاتحة بمثل هذه الإيماءات المضيئة لدورها ومكانتها فى المنظور الإسلامى كذلك، مشيراً إلى أن هذا التركيز على فضل هذه السورة ذات الآيات السبع، يكشف عن سر من أسرار اختيار السورة ليرددها المؤمن سبع عشرة مرة فى كل يوم وليلة، أو ما شاء الله أن يرددها كلما قام يدعو فى الصلاة.

ونظن أننا لا نخطئ فى هذا المنهج ملامح الإيقاع الجمالى، الذى يتهدى إلى بواطن النص من خلال إشعاعاته الجمالية، بشرط أن نضيف أن هذا الفعل الجمالى يتم فى إطار من تسليط مقولات النص القرآنى على المضامين الحضارية بلا تخلف، وقد أتاح هذا التوجه النقدى الصوابى لسيد قطب أن يحاكم الحضارات الإنسانية جميعها فى ضوء النص القرآنى، وأن يحكم عليها بالجَرْح أو التّعديل وفق طبيعة اقترابها أو نفَارها من المنهج القرآنى وعن المنهج القرآنى جميعا، فأرسى فى وعى المتلقى يقينا أصوليا بمحورية هذا

المنهج وحتمية دوران كل الحضارات حول هذه المحور الذى يضيئها بقدر ما تسعى هى إلى الاقتراب من وهجه، ويتركها فى أغباش التخبط بقدر ما تنأى هى عن التّماس مع فَيْضه وتواتره.. وقد حقق هذا الاتجاه الجمالى وأيضا الحضاريّ لتفسير الظلال جدلية الربط بين جمالية التعبير فى النصّ القرآنيّ، وحضارية البَوْح المضمونيّ فى هذا النص القرآنى، أى بين الشكل والمحتوى، فلم تعد - (الجمالية) هنا شكلا فارغا بلا مضمون، ولم يعد المضْمون هنا مقولات شبهْ تقريرية بلا شكل، وإنما انتهت المعادلة بهذه الرؤية النقدية النافذة إلى جدليّة الرّبْط بين الشكل والمضمون، وإلى تَضْوئ حركة النصّ القرآنى من المنظور الجمالى - أفقاً إبداعيا لا يُطال، وإعجازاً حضارياً لا يُضارع وتشكيلات روحية فاغمة تنضح بشلاّلات من الضَّوْع الإيمانى الذى لايخذل فى إنسانه المسلم إمكان تعاليات الروحية المتواترة بلا حدود ولا سدود!!

بعد وقوفنا مع منهج سيد قطب فى تفسير فاتحة الكتاب نستطيع أن نوازن منهج قديم يمثله (ابن كثير) ويتكئ فيه أساساً على الحسّ اللغوى المبطّن باستشفافات فقهية وعقيدية وهذا المنهج المعاصر الذى يمثله (سيد قطب) ويتكئ فيه أساساً على الحسّ الجمالى المبطّن باستشفافات حضارية وإنسانية.. يمكن أن نجمل أبرز ملامح هذين المنهجين: فابن كثير ينطلق من منطلق لغوى، ويَتَغَياً غاياتٍ فقهيةً وعقيديةً وجدليةً، ويحاول تفسير القرآن ما أمكن بالقرآن، وبالسنة، وباجتهادات الصحابة والتابعين، ويوطئ لدخوله على السُّورة المفسَّرة بمدخل لغوى تخالطه رؤية نقْلية تضئ مكانة السورة وفضلها الدينى ويتوفر بعد ذلك على التحليل النُّصّىّ للسورة فى ضوء ما سبق من أساسيات..

أما سيد قطب فينطلق من منطلق جمالىّ، ويتَغَياً هو الآخر غايات إنسانية وحضارية وفكرية، ويعمد إلى ألوان من الإسقاطات التى يسلط فيها إيحاءات النص على الواقع التاريخى بأضلاعه المثلثة: الماضى والحاضر والمستقبل، ولا نخطئ فى تفسيره روح الداعية الذى يوظّف كل اقتداره النقدىّ على لَمْح خصائص الجمال فى النصّ لإقناع القوى المعارضة، وتطويع المشاعر النافرة، مع حرْصٍ حريصٍ على أن يضع النصّ القرآنى فى موقع وسطىّ تقاس به كل المسافات والأشياء والقيم والحضارات والبشر والتواريخ ويظلّ هو قادراً بلا توقف على محاكمتها جميعا، والفصل بين تداخلاتها التى تُضَبّبُ فى أحيان كثيرة وجْهَ الحقائق، وتتنازع الحاكمية فى كثير من القضايا التى قد لا تقرّ لها بمشروعية هذه الحاكمية من الأساس.

من هنا نرى أنه من الصعب أن نفضّل اتجاهاً قديماً على اتجاه حديث، أو اتجاها معاصراً على اتجاه قديم، لأن لكل اتجاه منهما ظروفه التاريخية الحاكمة، ومُعْطَياته العقيدية الحميمة، ولكننا فقط نحدد ملامح الحركة وملامح القرار فى كل اتجاه على السواء!!

ويمكن فى النهاية أن نؤكد حقيقتين بارزتين: الحقيقة الأولى أنّ التكوين الفكرى والحضارى للمفسّر يشكل بالضرورة نوعيّة رؤيته للقضية التفسيرية المطروحة، ويعطف به وبها صوب تَوَجُّهات معينة، قد تكون لغوية، وقد تكون جمالية وقد تتّسع لتشمل كل اللحظة الحضارية، وقد تضيق لتتأمل مجرد نص فى مجرد أمّة.

والحقيقة الثانية أن القرآن الكريم حتى فى قصار سوره يتيح للفكر المثقّف فى كل أجيال التاريخ مساحات متجددة وحافلة بالكنوز، ويُحَرِّض بهذه الوضعية المتفردة فى كل البشر أروع ملكاتهم، وأعمق اجتهاداتهم وأسْمق طموحاتهم، ومع ذلك كله يظل قابلاً لمزيد من الكشف وقادراً أيضا على مزيد من إثراء المحاولة بعطاءات لا تغيض!!

ومن هنا تتحتم الحركةُ المعاصرةُ نحو تكوين جيل عقيدىّ مثقف، يفهم عن قرآنه بحضارية فكرية مدرَّبة، ويستطيع من خلال هذا الفهم أن يعكس رؤيته للنص القرآنى من المنظور الذى هو مؤهَّل له، حتى يمكن فى النهاية أن نعطى لهذا القرآن الكريم من اجتهادنا المعاصر ما يجعله ثقافةَ العالَم وليس ثقافتنا وحدها، وإيمان البشرية وليس إيماننا وحده، وبهذا نكون قد بررْنا بديننا وبعصرنا معاً، لأن تبليغ الدعوة برّ حقيقى بحركة الدين، ولأن إنقاذ العصر برٌّ حقيقىٌ بحركة العصر!!.

وقد آنَ أَنْ نترك مواقع الدفاع غير المسلَح للأسف، إلى مواقع الفتح المسلح الذى يرد علينا كثيراً من حقوقنا المهدورة، ويرد على الإنسانية بعض حقها فى أن تتنسّم الهواءَ النقى الذى تريد، وتعتقد الدين الحقيقى الذى تنشد وتتفرس وجه علاقاتٍ حضارية تنْبع من قاع اليقين الإيمانى، وليس من قاع الافتراس الجاهلىّ، وتستقر فى النهاية عند قناعات لا يمليها السيفُ الباطشُ، وإنما يمليها الوْعىُ بحقائق الحق والخير والجمال وواحدية المعبود!!

ليس التفسير المنشود إذن هو التفسير الذى يقطع الجسور الواصلة بين النص القرآنى وجَدَل الواقع الحضارى المعاصر، ولكنه التفسير الذى يخوض بالنصّ القرآنى جدل الواقع والحضارة والمعاصرة ويَجْبَهَ التحدّى الثقافى الآنىّ بتحد أعرض وأعمق، ويتيح للعقائدية المسلمة نوعاً من ممارسة الحركة فى اتجاه إحلال البدائل الصوابية، ونوعا أخر من تحصين رعاياها ضد محاولات التفتيت والتذويب والتغريب، وهو أمل ربما يكون أكبر من حجم المرحلة، ولكنه بالتأكيد ليس أكبر من حجم التكليف المنوط بكاهل المسلم، الذى حقق هذا الإنجاز الحلم فى مرحلة من مراحل التاريخ والذى نعتقد أنه قادر دائماً على تحقيقه إذا نحن حررناه من سجونه، وآزرناه فى صدامة المصيرى مع كل قوى القهر والاقتلاع!!

سمات التربية القرآنية

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

> **إن التربية القرآنية للأفراد والجماعات تتضمن منظومة قيمية رفيعة المستوى، تتناغم مفرداتها فى وحدة متسقة: اجتماعياً، ونفسياً، وخلقياً. ومن ثم فإنها تسير فى طريقين متوازيين لا ينفكان أبداً:**
>
> **أولهما: يبدأ بالتنفير من السلوكيات الشائنة المستهجنة.**
>
> **والثانى يبدأ بالجذب إلى السلوكيات الرشيدة المستحسنة.**

والتربية القرآنية تختلف عن التربية البشرية – مع اتحادهما فى الهدف إلى حد كبير – فى عدة جوانب أهمها:

أولاً: أن التربية القرآنية صياغة إلهية محكمة:

لا تقبل جدلاً، ولا يجرى عليها تغيير. وهناك فرق كبير بين كونها (محكمة) وبين كونها (جامدة) فالتربية التى لا تقبل جدلاً ولاتغييراً لا نستطيع وصفها بأنها جامدة إلا إذا كانت بشرية المصدر وصمم منتجوها على رفض التغيير، فتصبح أطروحاتهم جامدة يلفظها الزمن، ويتجاوزها التطور الإنسانى الحتمى المستمر.

وأما رفض التغيير والجدل لأن منظومة التربية (محكمة) بمعنى أنها صياغة إلهية، فذلك لأنها تحمل فى طياتها من المواصفات مالا ينفك – بالطبيعة – عن صفات البشر الذين هم – بطبيعتهم أيضاً – صناعة وصياغة إلهية.

فالتربية القرآنية بهذه المثابة تتماس مع الخواص النفسية المركوزة فى فطرة البشر، فكأنها – بشكل أو بآخر – صمام أمان للسلوك الإنسانى إذا ما حاول الخروج عن الفطرة (=شروط ومواصفات خلق الإنسان) .

ثانياً: أن التربية القرآنية (كاملة) والتربية البشرية (متكاملة):

بمعنى أن التربية القرآنية وحدة واحدة تحمل كل مقومات البقاء والعطاء. ولا توجد بها ثغرة واحدة – منذ وجدت – فهى كاملة بحكم القدرة الإلهية المطلقة التى أوجدتها.

أما التربية البشرية فهى (متكاملة) بمعنى أنها لم تنشأ بوضعها الحالى، وإنما بدأت على هيئة نظريات أخلاقية، ثم تحولت إلى نظريات نفسية : سلوكية ثم عقلية، ثم معرفية. وأصبحت الآراء فيها تتقارب وتتباعد، تلتقى وتفترق، وتتوازى وتتقاطع. ومن ثم فقد اعتراها الاضطراب والتناقض واحتاجت – على مدى رحلتها كعلم – إلى الترقيع والتوفيق والتلفيق من حين لآخر حتى تستطيع الاستمرار.

ثالثاً: التربية القرآنية تستغنى بنفسها عن العلوم الأخرى:

ذلك أن القرآن الكريم جاء صالحاً لكل زمان ومكان ومن ثم فإن تشريعاته – بما فيها التربية الإنسانية – لا تحتاج إلى أية مساعدة بشرية، أما التربية البشرية فهى تحتاج إلى نتائج العلوم الأخرى وتستفيد منها، فكلما حدث تغيير فى مناهج علم الاجتماع أو علم النفس أو العلوم السياسية أو الاقتصاد والفلسفة، تبع ذلك تطور حتمى فى مناهج البحث التربوى، أدى بالتالى إلى تغير فى نظريات التربية وافتراضاتها ووسائطها وأساليبها.

رابعًا: التربية القرآنية كلية والتربية البشرية جزئية:

والفرق الجوهرى الرابع أن التربية القرآنية (كلية) بمعنى أنها تنظم سلوك الإنسان من حيث هو إنسان ومن هنا جاء وصفها بأنها (محكمة) لا تتشابه ولا تتناقض ولا تحتاج إلى ترقيع واستكمال، فإذا وصف «الإنسان» فى القرآن الكريم بصفة من الصفات (ظلوم، جهول، عجول، جاحد.... إلخ) فمعنى ذلك أن كل صفة من تلك الصفات توجد فى كل إنسان من جنس البشر بدرجة من الدرجات قد تزيد أو تنقص، فالطبيعة البشرية – فى القرآن – واحدة، وبقدر ارتفاع صفات وانخفاض أخرى، ترتسم ملامح الإنسان، وتحدد معالم سلوكه وتتألف صورة شخصيته.

أما التربية البشرية فإنها جزئية، بمعنى أنها أنتجت لتعالج جزءاً واحداً من سلوك الإنسان فعلم النفس التربوى يدرس عقل الإنسان : قدراته وإمكاناته، ومواهبه، ومن ثم فهو يهتم بالذكاء والتحصيل، وما يعترى التحصيل المعرفى للإنسان من معوقات. ويحصر نفسه فى هذا المجال، أما علم الصحة النفسية فهو يهتم بالنفس الإنسانية من حيث السواء والاضطراب، فيدرس الهوس والجنون والوسوسة والكذب والصدق وفلتات اللسان وما يتصل بذلك من مشاعر داخلية كالإحساس بالذنب والقهر، تأنيب الضمير.... إلخ

وعلى الرغم من التجاور المعنوى بين (النفس) و(العقل) فإن مجالات البحث فى هذين العلمين التربويين متباعدة، ولكل منهما اختباراته ومقاييسه وأساليبه التقويمية الخاصة.. وتبقى مساحة مثل (الخيال) أرضاً مشاعاً بين العلْمين!!

هذه التجزئة لا نلمسها فى التربية القرآنية ولا نجد لها أثراً لأنها تقوم على (الكليات) لا على (الجزئيات).

خامسًا: التربية القرآنية كونية عالمية، والتربية البشرية إقليمية محلية:

وإذا كانت التربية القرآنية مرتبطة بالإنسان من حيث هو إنسان فإنها تتخطى حواجز المكان ولا تخضع للعوامل القومية والجغرافية والأيديولوجية التى تخضع لها نظم التربية البشرية، فالتربية

البشرية تستمد مقوماتها من الدساتير والقوانين والعادات والتقاليد والأعراف بين الناس، وهى عوامل متغيرة من زمان لزمان، ومن مكان لمكان.

ففى الدولة الواحدة إذا انتقل نظام الحكم من الشمولية إلى الديموقراطية لاحظنا تغيراً تابعاً فى نظم التعليم وأهداف التربية، ومناهج الدراسة، وطرق التعليم وأساليب الإدارة.

وهذه العوامل كلها تختلف من دولة إلى أخرى، ومن حضارة إلى حضارة ومن بيئة إلى بيئة، ويكون لكل منها شخصيته الثقافية الخاصة ذات السمات المختلفة عن الأخرى.

أما التربية القرآنية فهى تصلح لكل البشر مهما اختلفت دياناتهم وثقافاتهم. فالتربية القرآنية حين تجرم الحسد والغيرة، والظلم، والسرقة، والكذب، والغش، والخداع، فإنها تستجيب بذلك لما يمكن أن نسميه بـ (مقومات الإنسانية الحقة) بقطع النظر عن أية عوامل أخرى يخضع لها الإنسان موضوع التربية. وإذا تحولت هذه الكليات السلوكية إلى تطبيقات عملية فى الإدارة ونظم التعليم وطرق التدريس ومناهج الدراسة أصبح هذا كله لوناً من الإعجاز التربوى التشريعى الذى لا يدانيه إعجاز.

سادساً: التربية القرآنية لا تعرف العشوائية:

إن تقسيم التربية البشرية – أياً كان مصدرها – إلى تربية مقصودة وتربية غير مقصودة Formal and Non Formal أو شكلية وغير شكلية، يجعل للممارسات التى تتم فى الشارع وعبر جماعات الرفاق وضعية تربوية مقننة معترفاً بها، وهذا ليس وارداً فى مجال التربية القرآنية لأنها تحسم سلفاً مصادر التوجيه السلوكى، ولا تترك الإنسان – موضوع التربية – هدفاً لأنماط سلوكية مقصودة وغير مقصودة تتقاذفه رياحها على غير هدى.

وسائط التربية القرآنية

وتستخدم التربية القرآنية وسائط متعددة فى سبيل تحقيق أهدافها منها:

١- الكلمة: حيث نجد الكلمة فى السياق القرآنى تؤدى وظيفة نفسية ذات أبعاد متعددة، مثل بعد الترغيب، بعد التنفير، بعد إثارة الفزع، بعد إثارة العطف والحنو، وتتعاون تلك الأبعاد المختلفة للوظيفة النفسية فتفعل فعلها فى شحن النفس بتيارات انفعالية جارفة تقوم بدور فاعل فى تعديل السلوك الإنسانى.

٢- المثل: وقد تناولت دراسات متعددة العطاء التربوى للمثل القرآنى وما يفيض به من عوامل تأثير خاصة، قد يكون بعضها من خلال قصة يتضمنها المثل، وقد يكون بعضها من خلال عبارة المثل ذاتها.

٣- القصة القرآنية: إن أسلوب القصة من أقوى أساليب التربية تأثيراً، وأسلسها عرضاً، فالإنسان بفطرته ميال إلى حب الاستطلاع وتقصى أخبار الآخرين، ومولع بمتابعة الأحداث والانفعال بها معها ولا شك فى أن أعظم سرد للقصة فى القرآن الكريم، وقد أورد القرآن الكريم أخبار الأمم السابقة بطرق مثيرة للعواطف الخيرة، صارفة عن النوازع الشريرة، داعية إلى التبصر والتأمل والتماس العبرة، ولا شك فى أن قصص القرآن الكريم فيه – من الناحية الفنية – معظم ما اتفق عليه دارسو الآداب من عناصر فنية كالزمن والمكان والأحداث والصراع والأشخاص، وله من الناحية الموضوعية – أهداف كثيرة، لعل الهدف التربوى من أهمها، لما ينضوى تحته من قيم ثمينة، وعطاء سامٍ متجرد للدعاة والمربين والهداة والمصلحين.

من هدى القرآن .. فى شهر القرآن

محاورة بين السادة والأتباع

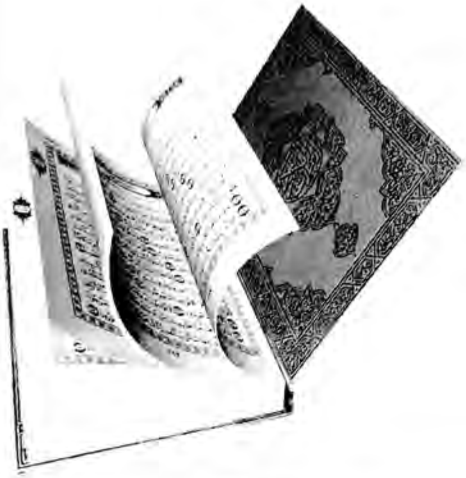

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفنى

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١).

الموضوع

وهو نوع معين من حوار نوعيات معينة يصورها أسلوب القرآن الكريم فى جهنم، لينقلها من واقع الحياة الدنيا فى صورة مجسدة محسوسة فى الآخرة، سواء أكانت بين طبقات من الكافرين كهذه المحاورة، أم بين خزنة الجنة ومن فيها من المؤمنين، أو خزنة النار ومن فيها من الكافرين، أم بين الشيطان وبعض أتباعه أم نحو ذلك.

فهذا الحوار ينقل صورة من واقع الحياة الدنيا حين يبسط السادة من أئمة الكفر وزعماء الضلال - وما أكثرهم فى كل مجالات الحياة، وفى كل مراحل البشرية من بدايتها حتى اليوم وسيظلون - حين يبسطون سلطانهم على أتباعهم بما يملكون من وسائل التأثير النفسى والمعيشى والبدنى، ليجروهم إلى الكفر والضلال عن طريق الحق والخير، فيستسلم هؤلاء

(١) سورة سبأ ٣١ - ٣٣.

الأتباع لهم ضعفا أو انخداعا أو طمعا ويظلون فى عماهم أو تجاهلهم للحق والخير، حتى يفاجأوا بانتقالهم إلى دار الحساب فى الآخرة، وحين يمسهم العذاب يدركون مدى بشاعة ما تورطوا فيه تحت تأثير سادتهم وزعمائهم فى الحياة الدنيا، وأن ما هم فيه من عذاب لا توصف فظاعته فى جهنم ليس إلا نتيجة ما تورطوا فيه من الكفر والضلال الذى طالما حذرهم منه رسل الله وبينوا لهم هذه العاقبة التى هم فيها اليوم فكذبوا الرسل وسخروا منهم كما يسخر سادتهم وزعماؤهم.

عندئذ اشتعلت نفوسهم بالنقمة على هؤلاء السادة والزعماء، وأخذوا يصبون عليهم هذه النقمة لوماً وتقريعاً، على أنهم كانوا هم السبب فى صرفهم عن الإيمان بالله الذى كان سيمتعهم بنعيم الجنة فأدوا بهم إلى هول هذا العذاب الذى هم فيه، ولكن السادة يصبون عليهم وابلا من التسفيه والسباب مذكرين إياهم بأنهم دون شك قد عرفوا طريق الحق والخير فى الدنيا واضحة، ولكنهم آثروا الكفر والضلال تحت تأثير إيثارهم السلامة وسيطرة الأطماع والرغبات العاجلة، فى مال أو جاه أو منصب كما هو واقع الحياة الدنيا، مؤثرين ذلك على مغاضبة الرؤساء والزعماء أى مؤثرين غضب الله على غضب سادتهم.

وهذا الأسلوب من إعجاز القرآن، حيث يستطيع تجسيد المعانى النظرية التى يرسلها الله إلى عباده على ألسنة رسله فى أساليب الإرشاد والتحذير والترغيب والتذكير بما سيكون عليه فى الآخرة مآل كل مسلك من مسالك الخير والشر فى الحياة الدنيا، ولكن الرسل أو غيرهم من الدعاة لا يستطيعون أن يلبسوا هذه المعانى النظرية المجردة ثوب التجسيد كأنها محسوسة مشاهدة للعيان، أما أسلوب القرآن فإنه يستطيع أن يعرض هذه المعانى المجردة فى مشاهد مجسدة كأنها مرئية بالعيون، مسموعة بالآذان كهذه الصورة، فهذه المشاهد من الآخرة يسوقها القرآن رمزا، لأنها لم توجد بعد، وإنما هى تصوير لما سيحدث فى الآخرة، وهى لا تعبر عن أشخاص معينين، أو جماعات محددة، وإنما ترمز إلى نوعيات من النماذج المختلفة المسالك فى الحياة.

طرفا الحوار

والمتحاورون فى هذا الحوار طرفان يمثلان صورة متكاملة من صور الحياة

(أ) فأما الطرف الأول فهم المستضعفون الذين استطاع السادة السيطرة عليهم والإمساك بزمام قيادتهم، وهم رمز لعامة الناس الذين يمكن التأثير عليهم، ويمكن أن ينقادوا لمن يؤثر فيهم متقبلين كل ما يلقيه إليهم السادة والزعماء.

(ب) وأما الطرف الثانى فى المحاورة فهم الذين استكبروا، وهم رمز للسادة والرؤساء الذين لهم تأثير فى العامة بأى نوع من المؤثرات، كالسلطان أو الجاه أو المال أو نحو ذلك.

ولا ينبغى أن يفهم من كلمة(عامة الناس) الوصف بالأمية أو الجهل أو السذاجة أو نحو ذلك، فالواقع أن كل نوعية فى المجتمع، وكل مهنة من مهنه، فيها عامة، وفيها خاصة وفيها قيادة ذاتية بخلاف السلطة الحاكمة العامة، فالفلاحون فيهم عامة، وفيهم خاصة، وفيهم قيادات ذاتية، والعمال كذلك، والمثقفون أيضا كذلك، وهكذا فى كل نوعية أو مهنة، ويتميز العامة فى كل نوع بأنهم ليست لهم مزايا خاصة أو تفوق فى شخصياتهم أو تفكيرهم، ولا يهتمون كثيرا بالأمور العامة وليست لهم فيها آراء معينة، بل يغلب

عليهم الانسياق فى الاتجاه العام لطائفتهم دون نقد أو اعتراض على ما يأتيهم من جهة أعلى، كما أن الخاصة فى كل نوعية أو مهنة يتميزون بأنهم قلة، ولكنهم يتمتعون بقدرات بارزة فى تفكيرهم وفى قوة شخصياتهم، وبأن لديهم القدرة على النقد والتمييز غالبا بين الحسن والسيء، فيما يعرض أو يأتى من أى جهة، وهؤلاء يتاح لهم عادة الحصول على مزايا عن العامة سواء فى الجاه أو المال أو المنصب والنفوذ، ولكنهم حين يجدون قبضة القيادة أو السلطة من فوقهم مستحكمة يعضون على مالديهم من هذه المزايا، ولا يستخدمون غالبا النقد الذى يملكونه أو لا يجهرون به خوفا على مزاياهم أن تسلب منهم، وبهذا يخلو الجو لقبضة الرياسة والزعامة أن تقول ما تشاء وأن تفعل ما تشاء، بل يكون الخاصة فى أغلب الأحيان قدوة للعامة فى الطاعة والانقياد، فينجلى الموقف عن طرفين بارزين فقط، هما السادة والزعماء من جهة والاتباع المنقادون من جهة أخرى كما فى هذه الصورة التى تبرزها هذه الآيات الكريمة.

العبـــــرة

هذا النوع من المحاورات يمس جانبا كبير الأهمية فى حياة كل المجتمعات، وهو جانب القيادات وعلاقة الأتباع بها، وما ينبغى أن يكون عليه كل منهما، فأما أهمية القيادات فلأنها فى حقيقتها أمر موجود بطبيعته فى كل مجتمع، حيث يلحظ علماء الاجتماع أن كل مجتمع، بل حتى جماعات اللعب لدى الأطفال تبرز فيها زعامة وقيادة بصورة تلقائية.

ومن الوجهة الدينية فإن خطورة القيادات تتجلى فى أن السادة والقادة فى كل العصور كانوا هم العقبة الأساس فى وجه الأنبياء والدعاة إلى الإصلاح عامة، فكانوا هم العقبة أمام انتشار الدين ووصوله واضحا إلى نفوس عامة الناس، حيث يحولون بين العامة ومخالطة الأنبياء والدعاة، ويعمدون إلى تشويه ما يقوله الأنبياء ويفعلونه حتى لا يقتدى بهم العامة أو يتأثروا بهم، والقرآن الكريم حافل بما لا يكاد يحصى من هذا القبيل، وذلك أن من أبرز ما تدعو إليه الأديان السماوية المساواة بين الناس، وهذه المساواة أبغض الأشياء إلى نفوس السادة والزعماء، لأنها تهدم سيادتهم وتهدم تسلطهم على الأتباع، بالإضافة إلى اعتبارات أخرى كثيرة يرون الدين فيها من وجهة نظرهم ماسا بسيادتهم وبإطلاق يدهم فى جميع الأموال والمزايا ونحو ذلك، ولذلك يتصدون للوقوف فى وجه الدين فى كل العصور وكل المجتمعات، ويؤكد القرآن الكريم ذلك كثيرا كقوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِى قَرۡيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾(٢).

والمترفون عادة هم سادة المجتمعات وقادتها.

وأما أهمية الأتباع فى نظر الدين فلأنهم بطبيعة الحال هم الأكثرية الحاشدة بالقياس إلى القيادات التى هى قلة فردية، وخطاب الدين موجه دائما إلى الناس عامة، وهؤلاء الأتباع يحملون مسئوليتين جسيمتين كان إخلالهم بهما سببا فى عذابهم الذى تصوره هذه الآيات الكريمة، وإحدى المسئوليتين تفريطهم فى الكرامة الآدمية التى كرمهم الله بها كقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾(٣) فكل آدمى له الكرامة،

(٢) سورة سبأ ٣٤.

(٣) سورة الإسراء ٧٠.

ولكنهم ضيعوها حين جعلوا أنفسهم مجرد قطيع أعجم يسوقه السادة ويوجهونه إلى حيث يشاءون والمسئولية الأخرى وهى كبرى المسئوليتين أنهم صموا آذانهم عن الحق بعد إذ سمعوه، وأغلقوا عقولهم دونه، بعد إذ فهموه، فلا عذر لهم فى انقيادهم وراء سادتهم بعد أن علموا الحق واضحا فرفضوه، أو سمعوا على الأقل دعوة الداعى إلى الحق فلم يحاولوا أن يتبينوه، ولذلك يرد عليهم السادة فى جهنم بتسفيه شديد:

﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾

فالذى صرفهم عن اتباع الحق واعتناقه ليس أنه لم يبلغهم، وليس أنهم جهلوه أو لم يفهموه، وإنما جاءهم واضحا وفهموه، ولكن خوفهم وضعفهم أمام السادة هو الذى صرفهم عنه، والقرآن الكريم فى موضع آخر يؤكد لهم عدم قبول هذا العذر عند الله فى مثل قوله تعالى فى سورة النساء:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾(٤).

فلا عذر عند الله للمستضعفين إلا إذا سدت أمامهم كل السبل، وأعيتهم كل الحيل، وهؤلاء يحملون أيضا المسئولية، ولكن رحمة الله قد تمنحهم العفو عن الجرم بعد إذ ارتكبوه مثل الآخرين، وأسلوب القرآن صريح فى الإشارة إلى هذا فى تعبير:

﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ لأن العفو إنما يكون بعد ارتكاب الجرم، ولفظى ﴿ عَسَى ﴾ يفيد احتمال عدم عفو الله عنهم رغم عجزهم عن مقاومة السادة، وفيه إشارة ضمنية إلى أن الأولى عند الله أن يصروا على الجهر بالحق واتباعه ولو كلفهم ذلك حياتهم أو حريتهم، ومن هذا القبيل الحديث الشريف (أفضل الجهاد عند الله كلمة حق عند سلطان جائر).

وأسلوب القرآن يحفل دائما بقمة الدقة فى التعبير، ومن ذلك فى تعبير:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾.

فحذف الجواب فى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ كما يقول علماء البلاغة للتهويل لتذهب فيه النفس كل مذهب والأصل نحو لو ترى هذا لرأيت عجبا وهولا لا يوصف، وتعبير:

﴿ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ يعنى أن السادة والأتباع مشتركون فى جريمة الكفر، ولكن كلا منهما يريد إلقاء جريمة التبعية على الآخر، ولفظ « أسروا » يتجه المفسرون إلى ترجيح حمله على أنه من استعمال الأضداد، بمعنى أظهروا الندامة، ولكن الواقع أن التعبير بإسرار الندامة يمثل غاية المراد به، لأن الشىء المكبوت فى النفس أشد إيلاما لها وتأثيرا فيها، وهكذا كل انفعالات الإنسان ومشاعره، يخففها التنفيس عنها بإظهارها، ويزيدها عمقا وتأثيرا كتمها وإخفاؤها، كالغضب والحزن يخففهما إظهارهما ومحاولة التعبير عنهما والعكس بالعكس.

ولكن العبرة العامة هى لفت الأنظار إلى خطورة الانقياد الأعمى للزعامات، وتبصير الأتباع قبل فوات الأوان بسوء المصير الذى ينتظرهم حين يسلمون قيادهم بدون بصر لأن أحدا لن يغنى عنهم من الله شيئا.

السنة

التساؤل والاختلاف

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكرى ياسين

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

جاء فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «دعونى ماتركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشئ. فأتوا منه مااستطعتم، وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه».

لهذا الحديث سبب، وهو أنه لما نزل قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(١).

قام النبى ﷺ، فخطب الناس، فقال: «أيها الناس: فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقام إليه الأقرع ابن حابس، فقال: أكل عام يارسول الله؟ فسكن حتى كررها مراراً، ثم قال: «لو قلت نعم، لوجبت، ولما استطعتم»(٢)، وذكر بقية الحديث، ثم نزل قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾(٣) **الآية.**

وجاء من غير وجه أن آية: «لاتسألوا» إنما نزلت لما أكثروا سؤاله ﷺ عن أشياء كرهها، وأن منها ماكان يسوء السائل جوابه، مثل: هل أبوه فى الجنة أو فى النار؟ وهل أبوه من نُسب إليه أو غيره؟ ومنها ماكان على وجه التعنت والعبث والاستهزاء، كما كان يفعله المنافقون والمشركون وأهل الكتاب وغيرهم، كقول بعضهم: أين ضَلّت ناقتى، وكسؤالهم الآيات والاقتراحات، وسؤالهم عما أخفاه الله عن عباده، ولم يطلعهم عليه، كالسؤال عن وقت الساعة، وعن أمر الروح، وسؤالهم عن كثير من الحلال والحرام مما يخشى أن يكون السؤال سبباً لنزول التشديد فيه، كالسؤال عن الحج، وهل يجب كل عام؟

(١) آل عمران (٩٧).
(٢) أخرجه البخارى ومسلم.
(٣) المائدة (١٠١).

ومن ثم غضب النبى ﷺ غضباً شديداً، وصعد المنبر وهو غضبان، وقال للناس: سلونى، فجعلوا يسألونه وهو يجيب، فلما رأى عمر بن الخطاب ما بوجه رسول الله ﷺ من الغضب، جثا على ركبتيه وقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، لا تفضحنا بسرائرنا واعف عنا. عفا الله عنك، فسرى عنه ﷺ، ثم التفت الى الحائط فقال: «لم أر كاليوم فى الخير والشر، أريت الجنة والنار وراء هذا الحائط».

●●●

أراد النبى ﷺ أن يبين للناس فائدة ترك السؤال عن أشياء لم تقع، وضرر كثرة السؤال، لما فيه غالباً من التعنت، وخشية أن ينزل بسببها وجوب المسئول عنه أو تحريمه، أو أن تقع الإجابة بأمر يستثقل قد يؤدى إلى ترك الامتثال، فتقع المخالفة، فأفهمهم أنه يجمل بهم أن يتركوه بغير سؤال مدة تركه لهم بغير أمر بشئ، ولا نهى عن شئ، وألا يكثروا من الاستفصال عن مواضع لاتفيدهم، ولا من التنقيب عما يفضى بهم إلى الوقوع فيما وقع فيه غيرهم، ثم ذكر لهم سببين جوهريين من أسباب هلاك الأمم السابقة عسى أن يحذروهما، ويتقوا آثارهما الضارة.

فأما السبب الأول، فهو كثرة السؤال عما يعنيهم من غير ضرورة، وقد اختلف فى المراد بالذين كانوا قبلهم، فقيل: هم قوم عيسى، سألوه إنزال المائدة، ثم كفروا بها، وقيل: هم قوم صالح، سألوه الناقة، ثم عقروها وكفروا بها، وقيل: هم قوم موسى، سألوه أن يريهم الله جهرة، وأن يبين لهم البقرة التى أمروا بذبحها، فتعنتوا، ولم يبادروا إلى مقتضى اللفظ من ذبح أى بقرة كانت، بل شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن حال البقرة وصفتها، فشدد الله عليهم بزيادة الأوصاف حتى لم يجدوا متصفاً بها إلا بقرة واحدة فاشتروها بثمن باهظ، وقيل: هم بنو إسرائيل مطلقاً، كانوا يسألون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أخبروهم كذبوهم، وقيل: هم قريش، كانوا يسألون النبى ﷺ أن يحول لهم الصفا ذهبا، وأن يبين لهم أنسابهم، فإذا أخبرهم لم يصدقوه وقالوا: ليس الأمر كذلك.

وأكثر العلماء على أن كثرة السؤال المنهى عنها فى الآية، هى السؤال عن النوازل والأغلوطات[٤] والتوليدات. فقد نهى الشارع عنها، وورد أنه سيكون من الأمة أناس يغالطون فقهاءهم. بعضل المسائل، وأنهم شرار الأمة. وقال الأوزاعى: إن الله - تعالى - إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط، فلقد رأيتهم أقل الناس علماً.

وقيل: المراد كثرة السؤال عن الأشياء كالبحيرة والوصيلة، والسائبة والحام، وعن الآيات، كسؤال قريش أن يجعل الصفا لهم ذهباً، وسؤال اليهود أن ينزل عليهم كتابا من السماء، ونحو ذلك.

وأما ماثبت فى الأحاديث المتعددة وقوع السؤال عنه من الصحابة، فيحتمل أن يكون قبل نزول آية، لاتسألوا، ويحتمل أن النهى فى الآية لايتناول مايحتاج إليه مما تقرر حكمه، أو ما لهم بمعرفته حاجة رادعة، كالسؤال عن الذبح بالقصب، والسؤال عن وجوب طاعة الأمراء إذا أمروا بغير الطاعة، والسؤال عن أحوال يوم القيامة، ومافيها من الملاحم والفتن،

---

(٤) صعاب المسائل وشدادها.

والأسئلة التى فى القرآن، كسؤالهم عن الكلالة والخمر والميسر، والقتال فى الشهر الحرام واليتامى والمحيض والنساء والصيد، وغير ذلك.

وقال البغوى فى شرح السنة: المسائل على وجهين: أحدهما ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين، فهو جائز، بل مأمور به. لقوله تعالى:

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾(٥) الآية، وعلى ذلك تنزل أسئلة الصحابة عن الأنفال والكلالة وغيرهما، وثانيهما ماكان على وجه التعنت والتكلف، وهو المراد فى هذا الحديث.

وقد حرر بعض الأئمة هذا الموضوع . فقال ماخلاصته: والتحقيق أن البحث عما لا يوجد فيه نص على قسمين: أحدهما أن يبحث عن دخوله فى دلالة النص على اختلاف وجوهه، فهذا مطلوب ولا مكروه، بل ربما كان فرضا على من تعين عليه من المجتهدين.

والثانى أن يدقق النظر فى وجوه الفروق، فيفرق بين متماثلين بفرق ليس له أثر فى الشرع مع وجود وصف الجمع، أو بالعكس، بأن يجمع بين متفرقين بوصف طردى مثلا، فهذا الذى ذمه السلف، وعليه ينطبق حديث ابن مسعود: «هلك المتنطعون» ، فرأوا أن فيه تضييع الزمان بما لا طائل تحته، ومثله الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها فى الكتاب، ولا فى السنة، ولا فى الإجماع، وهى نادرة الوقوع جداً، فيصرف فيها زمانا كان صرفه فى غيرها أولى، ولا سيما إن لزم من ذلك إغفال التوسع فيما يكثر وقوعه، وأشد من ذلك البحث عن أمور مغيبة، ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها، ومنها مالا يكون له شاهد فى عالم الحس، كالسؤال عن وقت الساعة، وعن الروح، وعن مدة هذه الأمة، إلى أمثال ذلك مما لا يُعرف إلا بالنقل الصرف، والكثير منه لم يثبت فيه شئ، فيجب الإيمان به من غير بحث، وأشد من ذلك، ماتوقع كثرة البحث عنه فى الشك والحيرة، كحديث أبى هريرة: «ولا يزال الناس يتساءلون، حتى يقال: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟».

وقد انقسم العلماء إزاء كثرة السؤال إلى أقسام ثلاثة: فمنهم من سد باب التساؤل، وأحكم إيصاده، حتى قل فهمه وعلمه لحدود ماأنزل الله على رسوله، وصار حامل فقه غير فقيه.

ومنهم من فتح الباب على مصراعيه، وتوسّع فى توليد المسائل، وتفريع الفروع، وأسرف فى ذلك، واشتغل بتكلف الجواب عنها، وكثرة النقاش فيها، والجدل عليها، حتى نشأ عن ذلك افتراق القلوب، واستقرار الأهواء والشحناء والعداوة والبغضاء فيها.

ومنهم من جعل همّه موجّها إلى البحث عن معانى كتاب الله، ومايفسره من السنن الصحيحة، وكلام الصحابة التابعين لهم بإحسان، وعن سنة رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها وسقيمها، والتفقه فيها وفهمها، والوقوف على معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان فى أنواع العلوم من التفسير والحديث، ومسائل الحلال والحرام، وأصول السنة، والزهد والرقائق وغير ذلك، وهذا هو طريق السلف من فقهاء الأمصار من التابعين

(٥) الأنبياء (٧).

فمن بعدهم، حتى حدثت الطائفة الثانية، فعارضتها الطائفة الأولى، فكثر بينهم المراء والجدال، وتولدت البغضاء، وتسّموا خصوما، وهم أهل دين واحد، والتوسط والاعتدال هو الخير فى كل شئ.

وأمّا السبب الثانى من أسباب هلاك الأمم الماضية، فهو اختلافهم على أنبيائهم، ومعارضتهم لهم، وتكذيبهم لشرائعهم، وخروجهم على وصاياهم، وانحرافهم عن مبادئهم، وإهمالهم العمل بتعاليمهم، والمراد به ـ على الجملة ـ كل اختلاف مذموم يؤدى إلى كفر أو بدعة، ويكون سببا فى تفرّق القلوب، وتباين الأهواء، وتعدّد الجماعات، ووجود الانقسامات، وتوهين عرى الدين، وإضعاف شوكة الإسلام، كما وقع بين الخوارج قديما، فإنهم كانوا يطعن بعضهم فى بعض، ويتبرأ بعضهم من بعض.

وأما الاختلاف فى استنباط فروع الدين، ومناظرة أهل العلم على سبيل تحقيق الفائدة، وإظهار الحق، وإعلاء كلمة الله، فغير منهى عنه، بل مأمور به، وفضيلته ظاهرة، وقد جرى العمل عليه من عهد الصحابة إلى الآن.

●●●

بعد أن أجمل النبى ﷺ هذين السببين المؤثرين فى كيان الأمم ووجودها، أراد أن ينبه الناس على أن الأولى بهم، والأجدى عليهم أن يتركوا التساؤل عما لايعنيهم ولايفيدهم، وأن يشتغلوا بالأهم الذى يحتاجون إليه عاجلا، وأن ينصرفوا عن كل مايعوقهم عن ذلك، وهذا لايكون إلا بالاقتصار على فعل مايطيقونه مما يأمرهم به، واجتناب كل ماينهاهم عنه، وقد أوضح لهم ذلك فى عبارتين شاملتين، وجملتين جامعتين: الجملة الأولى قوله ﷺ: «فإذا أمرتكم بشئ، فأتوا منه مااستطعتم» فإنه ـ كما قال النووى ـ من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التى أعطيها رسول الله ﷺ، ويدخل فيها مالا يحصى من الأحكام، كالصلاة بأنواعها، فإذا عجز عن بعض أركانها، أو بعض شروطها أتى بالباقى، وإذا عجز عن بعض أعضاء الوضوء أو الغسل، غسل الممكن، وإذا وجد بعض مايكفيه من الماء لطهارته، أو لغسل النجاسة، فعل الممكن، وإذا وجبت إزالة منكرات، أو فطرة جماعة من تلزمه نفقتهم، أو نحو ذلك، وأمكنه البعض، فعل الممكن، وإذا وجد مايستر بعض عورته، أو حفظ بعض الفاتحة. أتى بالممكن، وأشباه ذلك كثيرة غير منحصرة، وهى مشهورة فى كتب الفقه.

والجملة الثانية قوله ﷺ: «وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه» وهى على إطلاقها فى إفادة اجتناب كل منهيّ عنه، فإن وجد عذر يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة، وشرب الخمر والتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه، أو نحو ذلك، فهذا ليس منهيا عنه فى هذه الحال، كما تدل أيضا على أن اعتناء الشرع بالمنهيات فوق اعتنائه بالمأمورات، لأنه أطلق الاجتناب فى المنهيات ولو مع المشقة فى الترك، وقيد فى المأمورات بقدر الطاقة.

وصفوة مايقال فى هاتين الجملتين: إن من امتثل مأمر به النبى ﷺ، وانتهى عما نهى عنه، وكان مشتغلا بذلك عن غيره، حصلت له النجاة فى الدنيا والآخرة، ومن خالف ذلك، واشتغل بخواطره ومايستحسنه وقع فيما حذر منه الرسول من حال أهل الكتاب الذين هلكوا بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم، وعدم انقيادهم، وطاعتهم لرسلهم.

صامت الأكوان.. بما فيها الإنسان.. فمتى تصوم المدافع؟!

بسم الله الرحمن الرحيم
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون

* **تمهيد :**

ها أنتم هؤلاء أيها المؤمنون تنادون من مكان قريب.. إذن فأنتم أحياء لأنه لا ينادى إلا الحى..!

وإذن.. فنعمة الحياة تفرض عليكم أن تتصرفوا تصرف الأحياء.. لتكونوا أهلاً لهذا الشرف العظيم.. وعليكم أن تسألوا أنفسكم.. بم كنا أحياء؟

والجواب: بالإيمان.. الذى اختاره تعالى وصفا لكم:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾(١).

ولن يكون إيمان إلا بثمرته من الطاعة.. التى تتحول فى كيان المسلم طاقة ترفعه إلى أعلى.. حرا طليقا.. كأنما هو الغمامة البيضاء.. المحملة بالغيث.. يحيى الله به الموات..

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾(٢).

وفى مقدمة الطاعات: الصيام.. هذا الصيام الذى لم يتكرر ذكره فى القرآن الكريم كما تكرر غيره من العبادات من حيث كونه سراً بين العبد وربه.. ومقياس قربه من ساحات رضوانه تعالى.. وإذا كانت

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

(١) الأنفال (٢٤).
(٢) فاطر (١٠).

التقوى غايته.. والجنة جزاءه.. فلن تكون صائما إلا إذا صرت على مستوى أهل الجنة صفاء ونقاء.

الصــوم فى دســتور الحيــاة

من ملامح المنهج القرآنى فى الدعوة أنه يأمر.. ثم يعين المأمور على الامتثال تلطفا به.. وشفقة عليه.. وقد أعان سبحانه المسلم على الامتثال بما قرره من قدم فريضة الصوم التى مارسها الأقدمون وهى قدرة الإنسان فى كل زمان.

بل إن الصوم «مادة» أصيلة فى دستور الأحياء.. فى مملكة النبات.. والحيوان.. قبل الإنسان ومعه: فى مملكة النبات (٣).

يقول العلماء: (لأن قدر للأشجار أن تعيش واقفة وتموت واقفة فليس للشجر أن يهبط إلى جحور أو كهوف أو مخابىء، وليس له أن ينكمش أو يلتف على نفسه.

وحين يأتى الخريف، مؤذنا بقرب الشتاء – خاصة فى الشمال – حيث تتجمد المياه وتهطل الثلوج، ويلف الصقيع كل شىء، لا يجد الشجر أمامه إلا أن يتخفف حتى يكفيه القليل.. ويعبر قساوة الشتاء.. تتساقط الأوراق، حتى تتعرى الفروع، ويقف الشجر فى ثبات لا يريم، ومع عودة الربيع: ينتفض الشجر.. يدفع الحيوية إلى اللحاء والفروع. فيلين اللحاء، وتبزغ البراعم، ثم تنفجر الخضرة والألوان.. وكأن الشجر يفطر بفرح.. بعد صومه الطويل).

وإذا كان الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ قد جعل لنا من الشجر الأخضر نارا.. فإنه ـ سبحانه ـ يجعل منه درسا مفيدا.. ووسيلة إيضاح تكشف عن سر مكنون من أسراره.. يعيننا على أمر الله ـ تعالى ـ إعانة تجعل الكون نغما منسجما.. يتحقق به الجمال أروع الجمال.

فى مملكــة الحيــوان

يقولون: كان صوم الحيوانات درسا جديرا بالتأمل.. تبصرة وذكرى، وكان صومها فى أغلب الأحيان تعبيرا عن الألم أو الحزن.

فالحصان المريض يمتنع عن الطعام وإذا أصيبت الكلاب بكسر فى عظامها تصوم فترة قد تمتد إلى عشرين يوما، ويحملها الوفاء المغروس فى جبلتها أن تصوم حزنا على فقد صاحبها، تشاركها العصافير، والحيوانات التى تمسك عن الطعام تعبيرا عن الأسى لما أصابها.

حكمــة بالغــة

ويلاحظ المربون أن هناك غاية عليا تستهدفها الكائنات من صومها.. وعلى الإنسان أن يستوعبها.. فهو أحق بها وأهلها.

فواقع الإنسان يقول: إن الكثرة سبيل إلى الوجود.. واستمرار هذا الوجود.. وقد يلهينا التكاثر أحيانا حتى نزور المقابر.. فخرا وبطرا.. وقد تسكرنا متعة الطعام والشراب فنحسب ذلك سبيلا إلى القوة والاستمرار.. مع أن الحكمة البازغة من دنيا الحيوان.. والطيور.. تؤكد للإنسان أن الحرمان وأن القلة.. هى السبيل إلى الوجود واستمرار هذا الوجود.. وأننا بالصوم نرقى

(٣) راجع مجلة العربى، مارس ١٩٩٣.

ونسعد . . فى الوقت الذى يشقينا إدخال الطعام على الطعام!

سفينة الصحراء

يمضى الجمل – سفينة الصحراء – فى الهجير أياما وليالى . . فهو يقطع الصحراء – بين الحرارة والجفاف – دون أن يبيت أو يتوقف.

ويمثل سنامه مخزن الشحم الذى يحترق رويدا . . فيمده على المدى الطويل بالحياة.

* فى دنيا الأسماك :

إذا قال الشاعر العربى :

كم منزل فى الأرض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لأول منزل

فإن «أسماك السلمُن» محكومة أيضاً وبصورة فريدة . . بهذه القاعدة الفطرية : فهى تحن أيضاً إلى منابتها الأولى ويشتد بها الحنين كلما أرادت أن تضع بيضها . . وبالذات فى تلك الأماكن التى وضع آباؤها البيض فيها . . ولكن ما حيلتها وعودتها تكلفها رحلة مضنية قد تبلغ ٦٠٠ ميل حتى تصل إلى مصبات الأنهار بالشمال . . ثم ماذا هى فاعلة أمام الموج الغلاب . . فى رحلة قد تمتد لأشهر يتربص بها عدوان : صياد البشر . . وصياد الطيور الجارحة؟!

ويغلبها الحنين . . فيشتد إحساسها بالحاجة إلى العودة للوطن الأم فى مصبات الأنهار . . والحاجة كما يقولون تفتق الحيلة . . وقد هدتها الحاجة إلى أن تتخذ من الصوم ركوبا إلى تحقيق غايتها، فهى لا تجد وقتا لازدراد الطعام . . وما يترتب عليه من استرخاء تأباه طبيعة الرحلة الطويلة . . إلى جانب ما يحقق الصوم من استهلاك ما تراكم عليها من شحوم . . فتكون أكثر رشاقة وحركة، فتغالب التيار بكفاءة . . وتناور الصيادين باقتدار . .

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾(٤).

ومن الحيوانات والحشرات ما لا يطيق الصوم فيهاجر إلى حيث الغذاء وافر . . ومنها من يدخر من يومه لغده . . ومنها من يؤثر النوم فصل الشتاء كله . . حتى إذا جاء الربيع خرجت من جحورها محكومة بالفطرة التى لا تخطىء . . وكأنما تحكى قصة الإنسان . . على تعدد مناهجه ووسائله، وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾(٥).

ولم يكن الصيام مجرد إمساك عن الطعام والشراب . . لكنه كان دواء وشفاء :

أ- كان «أبوقراط» طبيب اليونان يصف الصوم فى أحرج لحظات المرض ثم يقول : «كل إنسان منا فى داخله طبيب، وما علينا إلا أن نساعده، حتى يؤدى عمله».

ب- وقد وعى المصريون القدماء هذه الحكمة . . فكانوا يصومون ثلاثة أيام من كل شهر ثم تخلصوا بهذا الصوم من كثير من الأمراض المتوطنة، مما حدا بالمؤرخ «هيرودوت» أن يعزو سلامة أبدانهم إلى هذا الصوم.

---

(٤) الإسراء (٨٤).

(٥) الأنعام (٣٨).

جـ- وكان « أبيقور » يصوم أربعين يوما لشحذ قواه العقلية .. وتنشيط طاقة الإبداع فيه .

د- أما سقراط فكان يصوم عشرة أيام كلما أراد أن يحسم قضية خطيرة تعترضه .

إن الطعام أثير لدى الإنسان

فإذا قعدت على الطعام وأنت تشتهيه .. ثم أمسكت عنه وأنت تشتهيه .. كان ذلك هو الدواء الذى لا داء معه .. يشفى جسمك من الأمراض .. ويقى مداركك من الخمول .. فإذا الإنسان على أوفى معانى الصحة النفسية والجسمية بهذا التدريب .. بسلاح الإرادة التى يصير بها سيدا .

وهكذا .. وبالإرادة الصلبة .. يأخذنا الصوم من أنفسنا الأمارة التى تمرغنا فى التراب .. لنحلق فى الجواء العالية .. ثم نعود إليها أخيراً بطرائف الحكمة .

ألا وإن الحياة كما يقول العقاد : بحر هائل فى أحشائه من الدرر واللآلىء آلاف وآلاف فلماذا لا نطرح شباكنا .. بل لماذا بالإرادة لا نغوص فى أعماقه لنستخرج ما قدر لنا منها :

ولن يستطيع الفوز بها إلا طويل النفس! ومادمنا أحياء .. فلابد أن ننسجم مع قانون الحياة .. الحياة المتقلبة : بين صعود وهبوط ، وصحة ومرض .. وفقر وغنى .. لابد أن نكون فى وضع الاستعداد دائماً .

يقول العقاد : « الصيام بكل أنواعه وفى كل درجة من درجاته وسيلة من وسائل لا يستغنى عنه أحد فى مزاولات الحياة ولابد لنا منه فى كثير من الأحيان علوا على الجماد المسخر واستقلالا عن تيار الضرورات .

الصيام بجميع درجاته وأنواعه هو أحد وسائل النفس العديدة التى تثوب إلى وجودها ، وتستقل بها عما حولها ، وأنه إذا ظهر فى بعض جوانبه بمظهر إنكار الذات فهو فى أعمق أعماقه تقرير للذات وإثبات لقيامها بنفسها واستغنائها عما هو خارج عنها ، ومن أثبت إرادته ، وقرر عزيمته فهو فى الواقع يقرر نفسه ولا ينفيها أو ينكرها » .

متى تصوم المدافع

وهكذا صام النبات .. والحيوان .. والإنسان .. فمتى تصوم المدافع؟!!

إن كثيراً من الحكومات اليوم تنفق خمس ميزانياتها على الصحة والتعليم والعمران ، ثم ترصد أكثر من نصف ميزانياتها على الأسلحة الفتاكة .. ووسائل الدمار الشامل .

وإذا جعل الله - تعالى - بأس الكافرين بينهم شديدا .. فذاق بعضهم بأس بعض .. فكيف بالمؤمنين وقد جعلهم الله - تعالى :

﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٦) .

لقد صام الكون .. من حولنا أيها المسلمون المتناحرون .. وصامت المعدة فى كياننا ، فمتى تصوم المدافع التى تأكل الأخضر واليابس .

فليكن رمضان فرحة للجلوس حول مائدة المفاوضات .. ولنمسك على الأبرياء حياتهم .. فلا نضيعها .. لنكن كرماء .. فى شهر كريم!

---

(٦) الفتح (٢٩) .

إعجاز الكلمة في شهر القرآن

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

ارتبط رمضان فى حياة المسلمين بالقرآن، وارتبط القرآن بحياة المسلمين فى كل حين.

وما أن يهل الشهر المبارك حتى ينشط المسلمون جميعاً وكأن قوى كامنة فيهم قد استيقظت بعد رقاد، فتصدح ساحات المساجد والمنازل بآيات الكتاب المُعْجز فى الليل والنهار.

وعلاقة المسلمين بالقرآن - فى رأيى - فوق اللغة وفوق التميز الذاتى أو الإحساس بالذات، إنها علاقة تشبه علاقة الكائن الحى بالأكسجين، فالكائن الحى - الزهرة مثلاً - تذبل وتضمحل شيئاً فشيئاً لو أنك حرمتها من الأكسجين.

كما أن علاقة الإنسان بالأكسجين - كما يقول العلماء - أقوى من الغذاء، حيث إن الغذاء لا يفيد الجسم ما لم يتحد بالأكسجين، فلا معنى لغذاء جيد فى جو فاسد ملوث قليل الأكسجين.

بل إن خلايا الجسم تموت إذا قل الأكسجين، ولذلك فإن الطب الرياضى - فى العالم المتمدين - يهيىء صالات مغلقة لإقامة اللاعبين وعن طريق التحكم فى الأكسجين يستطيع أن يصل إلى مستوى لياقة جيدة.. وكذلك أنظمة القهر والقمع، تتفنن وتتقدم لكن إلى الوراء فى فن التعذيب والتنكيل، فتضع المعارضين فى غرف مغلقة معدة علمياً وعن طريق التحكم فى الأكسجين وتقليله عما يحتاجه الجسم فتموت خلايا الجسم فيختل البنيان الجسمى والعصبى والنفسى للإنسان دون تعذيب بدنى تظهر آثاره بالعين المجردة.

أرأيت التقدم إلى الوراء.. والاستخدام المنحط للعلم والتكنولوجيا فى بلاد الزعيم الأوحد؟!!.. أى زعيم، فكلهم زعماء؟!!...

مالنا ولهذا الاستطراد.. فلنبق مع القرآن فى شهر القرآن.. وثمة تعبير نبوى يأسرنى عن علاقة المسلم بالقرآن.

وكل حديثه ﷺ آسر - يقول حبيبى ﷺ: «من حفظ القرآن فقد استدرج النبوة، إلا أنه لا يوحى إليه»(١).. أرأيت إلى هذا التعبير الشفاف الآخذ، ارتقى بك إلى ما فوق حُلْم البشرية المجاهدة، العاملة،

(١) فضائل القرآن.

الناصبة، إلى مقام النبوة فى رفق ويسر بكلمة واحدة تشى بالمعنى العبقرى الفرد « النبوة » فيداعبك الحلم. وكأن مقام النبوة بين يديك وأنت متربع فوق مقام الصديقية، لو أنك حفظت القرآن أو كنت حافظاً له. أرأيت مقام النبوة العظيم الشاهق السامق، كأنه يصبح قيد المداعبة، تستدرجه أنت بحفظ القرآن!!..

يا لحمق البشرية، بل يا ويل المسلمين إذ تنكبوا طريق القرآن وشريعة رسول الله ﷺ.

منذ الطفولة ونعومة الأظفار، والقرآن الكريم سمير وجليس وأنيس، وشعار وعلاج ومنهج، كما أنه دراسة وحياة ودستور ونظام.

وحفظت، كما حفظ المسلمون حديثاً للنبى ﷺ يرويه عنه سيدنا علىّ - رضى الله عنه وكرم وجهه - يقول: « أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنها ستكون فتنة.. قيل: فما المخرج منها يا رسول الله: قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولايشبع منه العلماء، ولا يخلق من كثر الرد، ولا تنقضى عجائبه، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا:

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾(٢).

من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم »(٣).. أو كما قال رسول الله ﷺ: « هذا هو الحديث: كل كلمة فيه دستور، وجسر لو أرادت الأمة أن تعبر عليه، وطوق نجاة لو أردنا أن ننجوا من الطوفان ».. لكن فيه كلمة وقفت حيالها زمناً، وأقول بصدق: مازلت أقف غير جازم بفحواها، وما المراد منها، وما هى العجائب التى يخبؤها القرآن الكريم.

لا تقل لى علوماً وفهوماً سامية، فذلك مسلم واضح، لكنه لا ينضوى بحال تحت (العجائب) بل هو من بديهيات القرآن الكريم، بل إن العلوم والفهوم السامية، هى مجاله وميدانه وعالمه، أما العجائب، فما هى؟!.. وكيف أنها لا تنقضى، أى لا تنتهى؟!.

كلها أسئلة تحتاج إلى جواب مقنع، وظلت فى ذهنى حائرة، وأصبح المعنى طلسماً أو قريباً من ذلك، وبقيت على ذلك زمناً حتى يسَّر الله لى كتاباً أحسب أنه دلف بى إلى هذا المعنى العجيب وأنه فتح باباً للتأمل فى كتاب الله - تعالى - لا فى النَظْم والجُمَل، بل فى الكلمة المفردة، ونحن نعلم أن الخط العثمانى أتى موافقاً للقراءات المتعددة بحيث إنه يوائمها جميعاً ويتسع لها فى حنو معجز، إلا أن موضوع اليوم.. يخرج من هذا النطاق ليفتح مجالاً آخر.

فى هذا العصر اللاهث يجب على المسلمين أن يقرءوا القرآن على مهل ويتأملوا، لا أقول: جُمَله وكلماته، بل أقول: حروفه، فسوف يجدون الأمان والرغد.

وكأنه يؤكد ما رددته زمناً ومازلت أطالب المسلمين به وهو أن يقرءوا القرآن على مهل.

لقد استخدم القرآن كلمات معينة ورسمها رسماً يغاير الرسم الإملائى، أليس ذلك غريباً وعجيباً وملفت للنظر؟!.

(٢) الجن (١، ٢).

(٣) الترمذى / باب ما جاء فى فضل القرآن جـ٤ ص٣٤٥/ حديث رقم ٣٠٧٠.

بل إن قول رسول الله ﷺ : « اقرأوا القرآن، فإن لكم بكل حرف عشر حسنات، لا أقول ﴿ الٓمٓ ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف » . . أليس هذا تأكيداً وحثاً على العناية بالحروف؟! . . وأدائها كما ينبغى، فإن لكل حرف ميزانه فى الحسنات، يؤجر به المسلم، حين يؤديه كما أمر الله .

ولا يلتفت الذين يستصعبون الأمر ويتهمون معلمى القرآن بأنهم يريدون أن يقصروا القراءة على مجموعة من الناس مثل بعض الكتب قبله، وتلك حجة مزيفة .

أليس فيما نحن بصدده من إعجاز الكلمة، فيه رد على الذين ينادون بكتابة المصحف بالخط الإملائى؟! . . مع أننا نُوكل نياتهم وأهدافهم إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ يسألهم عليها يوم تُبْلَى السرائر، ويوم تُعْرَضون لا تَخْفَى منكم خافية .

إن تَمَسُّكَ المسلمين بالرسم العثمانى ليس من قبيل الجمود الذى يزعمه دعاة الحداثة ـ وما أدراك ما الحداثة ـ فى رأيى أن رسم المصحف هو رسم توقيفى من عند الله ـ تعالى ـ مثل نص القرآن تماماً، وإنما نُسبَ إلى سيدنا عثمان تجاوزاً غير قليل، على ملمح أنه أول من جمع القرآن الجمع النهائى، ووزعه على الأمصار .

أما أن يكتب سيدنا عثمان ـ وهو العربى ـ رسماً يخالف ما ألفه وما ورد عنه فى كتاباته وفى رسائله العادية . . فلماذا؟!! . . ولو أن سيدنا عثمان اخترعه، كيف لم ترد رواية واحدة ولو ضعيفة على أن أحد الكتبة يومئذ عارضه فيما رآه أو ناقشه، أو استفهم عن سر تغيير ما ألفه الناس من كتابة؟ هذا دليل على أن الخط توقيفى من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولذلك لا يجوز تغييره، وملاحظة ذلك أثناء التلاوة والكتابة يؤجر عليها المسلم، لأنها سنة وردت عن رسول الله ﷺ فليلاحظ هذا المعنى . فما سر اختلاف الرسم فى بعض الكلمات؟! . . وما دلالته؟! . .

إن هذا الاختلاف معجز؟! . . وإلا فلماذا يحافظ القرآن على كلمة معينة ترد فيه تخالف الرسم الإملائى؟! . . قد نلتمس لذلك الاختلاف معنى، لكننا سوف نبقى فى نطاق الشك أو الظن والتخمين، وإلا فكيف ترى كلمة « الليل » فى المصحف كله تُكْتَب هكذا : ﴿ ٱلَّيۡلِ ﴾ بلام واحدة فى القرآن كله؟ لماذا، وما السر فى ذلك؟ الأعجب من هذا أن تختلف كتابة الكلمة الواحدة، فمرة تُكْتَب برسم، ومرة أخرى تُكْتَب برسم آخر، والأشد عجباً أن تتكرر كلمة فى المصحف مرات عدة، وتأتى فى مرة واحدة برسم مختلف، فهل هذا من عند سيدنا عثمان . . ولماذا؟! . .

ولنضرب لذلك أمثلة توضح الموضوع، ونرجو من المسلم فى شهر القرآن أن يتتبعها فى هدوء وسكينة وهو يتلو كتاب الله ـ تعالى ـ عسى الله أن يَمُنَّ عليه بسر من أسراره .

فمثلاً : كلمة (الكتاب) وردت فى القرآن ٢٥٥ مرة لماذا اختلفت فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ الرعد ٣٨ .

وقوله تعالى :

﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ ﴾ الحجر ٤

وقوله تعالى :

﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ الكهف ٢٧

وقوله تعالى :

﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴾(٤)

فى هذه المواضع الأربعة وردت كتاب بالألف.. وفى باقى القرآن كله وردت بدون ألف هكذا:

﴿ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ما سر هذا الاختلاف؟!.. أرجو من المسلم أن يتتبع هذه الكلمة لعل الله أن يفتح عليه بمعنى أو بسر يَفُضُّ غوامض هذه التساؤلات.

لقد أورد كتاب: (تأملات فى إعجاز الرسم القرآنى وإعجاز التلاوة والبيان) لمؤلفه المهندس / محمد شملول.. إحصاءً لكثير من الكلمات وكان دقيقاً فى إحصائه إلى حد كبير، أما نتائجه وتعليلاته فهى غير مُسَلمة وذلك جهد مشكور له يفتح الباب للمسلمين إلى تأمل سوف يؤتى ثماره لبعض عباده بإذن الله تعالى.

وهذا التأمل أسأل الله أن يكون من المسلمين جاداً، وعلى مستوى كتاب الله - تعالى - فإن هذا البحث جدير بأن تعيه القلوب، فأنت تجد مثلاً كلمة: (ساحر) ترد فى القرآن الكريم هكذا:

﴿ سَاحِرٌ ﴾ ثم تختلف فى آية فتأتى هكـذا:

﴿ سَٰحِرٍ ﴾ فى قوله - تعالى -:

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴾(٥).

والأعجب الذى لا يترك لك وهماً بأن هذا خطأ من الناسخ، أن هذه الكلمة وردت فى آية واحدة مرتين مرة بالألف، ومرة بدون ألف.. اقرأ قوله - تعالى - وتدبره فى الآية ٦٩ من سورة طه:

﴿ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾

وكلمة: (نشاء) وردت فى القرآن الكريم (١٨ مرة) ﴿ نَشَآءُ ﴾ بالرسم الإملائى، ووردت مرة واحدة بصورة مختلفة ﴿ نَشَٰٓؤُاْ ﴾ وذلك فى قوله - تعالى - فى سورة هود الآية ٨٧:

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ ﴾

ثم تعال تأمل معى إلى آيتين فى كتاب الله وردت إحداهما برسم والأخرى برسم مغاير، فلماذا؟!..

تأمل قوله - تعالى - فى سورة الأحزاب الآية ٥٣:

﴿ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ﴾

فهذه موافقة للرسم الإملائى، وتأمل معها قوله - تعالى - فى الآية ٥١ من سورة الشورى:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾

ثم لتكن هذه آخر الملاحظات، أدفعك بها إلى التأمل والقراءة على مهل.. انظر إلى كلمة: (إبراهيم) لماذا ترد فى سورة البقرة ١٥ مرة برسم ﴿ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾، ثم ترد فى القرآن كله عدا سورة البقرة ﴿ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾.

وأرجو لك رحلة مع أبى الأنبياء فى كتاب الله تحصى مواضع ذكره برسم إبراهيم فى القرآن كله عدا سورة البقرة وهى (٤٥) مرة.

---

(٤) النمل (١).

(٥) الذاريات (٥٢).

هلال الصوم

للأستاذ الدكتور / عبدالمنعم عبدالله حسن

على الأفق البعيد سنا يرف ... وأنسام على الدنيا تهف
شعاع من هُدى (رمضان) آت ... وبشرى يوم مقدمه تُزف
فكم باتت نفوس ظامئات ... لنبع فيك هامٍ لايجف
وكم بتنا وفى الأعماق شوق ... وبين ضلوعنا حب يشف
قضينا أشهر الحول ارتقاباً ... ونورك فى حنايا القلب طيف
فأشرق يا هلال الصوم إنّا ... لكم بتنا شهور العام نهفو
تطيب بك الحياة على مداها ... وكم تحلو بك الدنيا وتصفو
فأبواب من الجنات فاحت ... رياحينا لها عبق وعرف
وباغى الخير يقبل فى سرور ... وباغى الشر فى حزن يكف
وهديك يملأ الأيام خفقاً ... فيخبو باطل، ويزول حيف
إذا ما الصوم أشرق فى نفوس ... تراها عن خطاياها تعف
وتسمو بالهدى فوق المعالى ... وتصفو لايشوب الهْدى زيف
يعف الصائمون عن الدنايا ... فيُحفظ منطق ويُغض طرف
ويرسو فى قلوبهم ضياء ... يفيض على وجوههم ويطفو
فوارس فى نهار الصوم بُسْل ... فما ينتابهم وهن وضعف
فهم فى رزقهم نحل دءوب ... وإن يدع الأذان مضوا وخفوا

وهم في ليلهم باتوا قياماً ... يضئ بهم لهذا الليل جوف
تعطر في سنا القرآن هديا ... وإن دموعهم لله صرف
وهم يستغفرون الله حتى ... يعمهم من الرحمن عطف
هلال الصوم، خلفك ذكريات ... ففي (بدر) لجيش الحق زحف
تجلى النصر فيه، وكان يوماً ... به قد حل بالكفار حتف
هوت في الأرض أسلحة الأعادي ... وحلّق في سماء الحق سيف
وفي (رمضان) كم نصر، ونصر ... بجولات لبدر هنّ ردف
فهذا العاشر الميمون باق ... به دوّى على الأعداء قصف
وفوقهم يدوّي الأفق نارا ... وتحتهم بكل الأرض رجف
وخر محطماً سدٌّ منيع ... ودك السدَّ إرعاد وعصف
ويوم عبورنا رمز كبير ... وليس يفي به رسمٌ ووصف
هلال الصوم، والقرآن نبع ... وكم يحلو لنا ريّ ورشف
وآيات الهدى أحلى رياض ... يطيب لنا من الآيات قطف
نرتلها فنغدق بالعطايا ... فكم يحوي من الحسنات حرف
وإن الصوم عانق في امتزاج ... كتاب الله، إنهما لدوف
يفيض تقى، وتقوى الله أمن ... فليس على ذوي الإيمان خوف
هلال الصوم ياشهر التآخي ... فكل الصائمين أخٌ وإلف
يعم الخير فيك على البرايا ... فيُكرم سائل ويعز ضيف
وينتشر التراحم والتصافي ... وبين العالمين يسود لطف
إذا صمت ارتقيت ولنت حساً ... فلم يعرف خلاق الصوم عنف
يعلمك الصيام سخاء نفس ... فتسخو، والضمير الحيّ عف
وإن فطرت من صام احتساباً ... فإن ثوابك المبرور ضعف
هلال الصوم كم لهجت قلوب ... وكم رُفعت إلى العليا أكف
تناجي بالتسابيح ابتهالا ... وترجو الله، علّ الله يعفو
ويجعل راية الإسلام تعلو ... وإنا أمة الإسلام صف

الصـــوم وأنواعـــه

للأستاذ الدكتور/ محمد بدر معبدى

حكمـــة الصـــوم

شـرع الله - جل جـلاله وتبـاركت آلاؤه - صوم شهر رمضان لنزول القرآن ووقوع ليلة القدر فيه التى هى خير من ألف شهر، فكان رياضة للأجسام وردعا للأنفس وعلاجا لكثير من أدواء النفـوس، وطبـا ناجـعـا لما يحل بالمجتمع من الأمراض، وإن نظرة واحدة فى حال الإنسان لترشدك إلى أنه إذا شبع تكالب على الشهوات، وانطلق إلى اللذات واحتال فى جمع المال من حلال أو حرام، لا يعمل الخير إلا مسبوقا بقانون، ولا يجتنب الشر إلا رهبة من ذى سلطان، ولكن الصائم إذا جاع ضعفت قوته الحيوانية، وضرب بسهم وافر فى الطيبات الصالحات يكفى الناس شره ويدفع شرور آخرين، يفعل الخير لمحض الخير، ويترك الشر زهدا فى الشر، وليس أصدق من كلام الصـادق الأمـين ﷺ فى أن الصـوم يكبح جماح الشهوات، ويكسر من حدتها يقول ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(1) أى له وقاية.

ومن رحـمـة الله - تعـالى - أن شـرع فى الإنسان الضوابط التى تهذب الغرائز وتعالج أدواءها لتظل الفتنة نائمة والشهوة ساكنة وتبعد هذه الضوابط المسلم عن مغريات الحياة. وكان الصوم واحدا من أنجع السبل النائية بغرائز الإنسان لتبقى فى قرار مكين على مدى شهر كامل بعيدا عن كل حركة تغرى بالإثم أو توقظ الفتنة، وحكمة الصوم مذكورة فى قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(2).

(1) أخرجه البخارى ٧/٤، والبيهقى ١٨٤٥.

(2) البقرة (١٨٣).

فالتقوى غاية الصوم وثمرته، ولايكون للتقوى ثمرة لصوم، أى صوم، فلابد أن يكون الصوم بعيدا عن اللغو والرفث.

وذلك كما جاء فى الحديث الشريف: «ليس الصيام عن الأكل والشرب إنما الصيام عن اللغو والرفث، وإن الصوم جنة»[٣] أى وقاية وساتر للمسلم من النار فى الآخرة يقول عليه الصلاة والسلام: «الصوم جنة أحدكم مالم يخرقها قالوا: وبم يخرقها يا رسول الله؟ قال: بكذب أو غيبة»[٤] فالكذب والغيبة يفطران الصائم على حد قول بعض العلماء وكذلك كان من وصايا سيدنا رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل - رضى الله عنه - حينما سأله وقال له: «يا رسول الله دلنى على عمل يقربنى من الجنة ويبعدنى عن النار. قال له الرسول ﷺ: كف عليك هذا وأشار إلى لسانه. قال يا رسول الله: أو إنا مؤاخذون بما تتكلم به ألسنتنا؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس فى النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - شك من الراوى - إلا حصائد ألسنتهم»[٥] فينبغى أن يكون لسان المسلم فى الصيام رطبا بذكر الله وتلاوة القرآن الكريم مبتعدا ومنزها نفسه - وخاصة فى هذا الشهر الفضيل - عن القيل والقال والغيبة والنميمة وإلا فسد الصيام، وصدق من يقول ناهياً المسلمين أن يشغلوا أنفسهم بما يغضب الرحمن فى شهر الصيام.

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة
دوما تقضى بالقبيح فنونه
واعلم بأنك لن تكون تصومه
حتى - أخىّ - تصومه وتصونه

وقد ورد أن الرسول ﷺ «مر على قبرين فأخبر أصحابه بأن صاحبيهما يعذبان فى صغير - أى ذنب صغير - وما يعذبان فى كبير، إن أحدهما كان يمشى بين الناس بالغيبة والنميمة والآخر كان لا يستبرئ من بوله»[٦]، ولكى يكون الصوم ساترا للمسلم من الذنوب ينبغى أن يصونه من الوقوع فى الرذائل يقول ﷺ: «الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم إنى صائم»[٧]، أى أن الصائم مطالب بأن يكف لسانه عن لغو الكلام، ليقوم بدوره فى صنع بيئة مسلمة يحف بها الجلال والكمال وتثمر فيها الفريضة ثمرتها فى نفسه ثم فى مجتمعه، فالصائم مسالم لا يقابل العدوان بمثله مع إخوانه وجيرانه ومجتمعه، بل بتذكير المعتدى بأنه صائم، تذكيرا يكفه عن الأذى، ومن الغريب أن يصوم المسلم عن

(٣) أخرجه البيهقى ٤/٢٧٠.
(٤) أخرجه البخارى ٣/٣١، ٣٤.
(٥) أخرجه أحمد ٥/٢٣١، والبيهقى ٤/٢٧٠.
(٦) أخرجه البخارى ١/٦٥، ٢/١١٩، ١٢٤.
(٧) أخرجه البخارى ٣/٣١، ٣٤، مسلم، الصيام ١٦٢، ١٦٣.

الحلال من طعامه وشرابه، ثم لا يكفه الصوم عما حرم عليه أصلا، ومثل هذا الصوم غرم يتحمله الإنسان الذى يعذب نفسه بالجوع ثم ترتد العبادة وبالا عليه، ويرتد الصيام سلاحا ضده، ويكون الحاصل لا شيئ، ومثل هذا الصائم أيضا ينطبق عليه الحديث الشريف الذى يقول فيه ﷺ : «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»(٨).

إن المسلم الذى يدخل أفق الصوم ثم لا يتخلص من هواياته الشخصية من الكذب واللغو وقول الزور والفحشاء فلا داعى إلى صومه البتة، لأنه حينئذ يمارس لونا من تعذيب النفس والجسم لا يرضى به الإسلام ولا يرضى به نبى الإسلام محمد ﷺ.

إن القاعدة التى ينبغى أن ينطلق بها الصائم هى الإيمان بالله حتى يعطى حقوق الصيام كاملة ويقول ﷺ : «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»(٩).

صوم التطوع وأنواعه

وصوم التطوع قربى عظيمة يتقرب بها المسلم إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ حتى ينال رضاه ومغفرته وهو داخل فى قوله تعالى :

﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾(١٠).

وداخل أيضا فى الحديث الذى رواه ﷺ عن ربه ـ عز وجل ـ «ما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه»(١١).

ونحاول هنا أن نلخص أنواع التطوع وثواب كل نوع وأقوال الفقهاء التى وردت فى ذلك.

النوع الأول: صوم ستة أيام من شوال

وهو مستحب عند الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان، والشافعى، وأحمد، ومحققى المالكية، وعن مالك أنه يكره صومها خوفاً من اعتقاد وجوبها.

ويستوى أن تصومها بعد رمضان مباشرة، وأن تصومها فى أى جزء من شوال متتابعة أو متفرقة.. غير أن الأفضل أن تكون بعد رمضان مباشرة بفاصل يوم العيد فقط، وأن التتابع وعدمه فى الأفضلية سواء والأصل فى صومها حديث: (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر)(١٢).

---

(٨) الترغيب والترهيب ١٤٨/٢.

(٩) أخرجه البخارى ١٦/١، ٣٣/٣.

(١٠) البقرة (١٨٤).

(١١) البخارى ١٣١/٨، كتاب الرقاق.

(١٢) أخرجه أحمد ومسلم والترمذى، وقال حسن صحيح

النوع الثانى: الصوم فى الأشهر الحرم

والأشهر الحرم هى: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب. ووصفت بالحرم لأنها ذات حرمة وقداسة تميزها عن غيرها، لأن القتال كان محرماً فيها فى الجاهلية وصدر الإسلام، والأصل فيها قوله تعالى:

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾(١٣).

قال الإمام النووى فى زيادات الروضة.

أفضل الأشهر للصوم بعد رمضان الأشهر الحرم: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم ورجب، وأفضلها المحرم، ويلى المحرم فى الأفضلية شعبان. فيتضح من هذا أن الصوم فى الأشهر الحرم من القربات العظيمة التى يتقرب بها العبد إلى الله - تبارك وتعالى - لعله ينال رضوان الله وغفرانه.

النوع الثالث: صوم رجب

وهو من الأشهر الحرم المرغب فى فضلها، ففى سنن أبى داود قال الحافظ مبوباً ما نصه (فى صوم الأشهر الحرم عن مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها أنه أتى رسول الله ﷺ ثم انطلق فأتاه بعد سنة وقد تغيرت حاله وهيئته فقال: يا رسول الله أما تعرفنى؟ قال: فمن أنت؟ قال: أنا الباهلى الذى جئتك عام الأول فقال ﷺ فما غيرك؟ وقد كنت حسن الهيئة قال ما أكلت طعاماً إلا بليل منذ فارقتك. فقال رسول الله - ﷺ - لم عذبت نفسك؟! ثم قال ﷺ صم شهر الصبر (أى رمضان) ويوماً من كل شهر قال زدنى فإن بى قوة.. قال: صم يومين قال: زدنى قال: صم ثلاثة أيام من كل شهر قال زدنى قال: صم من الحرم واترك قالها ثلاثاً أشار ﷺ بأصابعه الثلاثة ثم أرسله) ولاشك أن رجب داخل فى الأشهر الحرم فيستحب صيام بعض أيامه.

وقال ابن حكيم سألت سعيد بن جبير عن صيام رجب وشعبان فقال: «أخبرنى ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يصوم حتى نقول إنه لا يفطر ويفطر حتى نقول إنه لا يصوم وما رأيت رسول الله ﷺ يصوم شهراً كاملاً إلا شهر رمضان وما رأيته أكثر صياماً منه فى شعبان. ولا يفوتنا هنا أن صيام رجب لا يخرج عن كونه داخلاً فى الندب بالصوم فإن السنن الصحيحة مرغبة فى صوم الأيام إلا العيدين.

فقد روى الشيخان وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربه: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به»(١٤).

(١٣) التوبة (٣٦).

(١٤) أخرجه الشيخان.

النوع الرابع: صوم شعبان

يستحب صومه كله، وإن شهر شعبان شهر اختصه الله بالبركات وهبوط النفحات ولذلك كان يحتفل به الرسول ﷺ أعظم الاحتفال ويؤثره على سائر الشهور بالصيام والقيام. وقد روى الشيخان عن عائشة - رضى الله عنها - أنه ﷺ كان يكثر صوم شعبان حتى يظن أنه من رمضان. عن أنس أنه ﷺ قال: «أفضل الصوم بعد رمضان شعبان لتعظيم رمضان وأفضل الصدقة صدقة فى رمضان»(١٥).

(وأن النبى ﷺ لم يكن يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان يصله برمضان)(١٦).

النوع الخامس: ليلة النصف من شعبان

لهذه الليلة منزلة عظيمة ومكانة كبيرة فهى من الليالى التى اختصها الله - تبارك وتعالى - برفع الأعمال إليه وقد تزاحمت الأحاديث فى فضل هذه الليلة وإعطائها المنزلة اللائقة بها فقد أخرج البيهقى من رواية أبى بكر الصديق عن النبى ﷺ قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان فيغفر لكل شئ إلا لرجل مشرك أو رجل فى قلبه شحناء»(١٧).

كما أخرج البيهقى أيضا عن ثعلبة عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان اطلع الله - تعالى - إلى خلقه فيغفر للمؤمنين ويملى للكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه»(١٨). وأخرج ابن ماجة من رواية أبى موسى الأشعرى بنحو اللفظ الذى أخرجه به البيهقى من رواية معاذ بن جبل قال: (يطلع الله فى ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن)(١٩).

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: (قام رسول الله ﷺ من الليل فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك فرجعت فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال: يا عائشة أو يا حميراء الوجه ظننت أن النبى قد خاس بك (أى قد غدر بك) قالت لا والله يا نبى الله ولكننى ظننت أنك قد قبضت. فقال رسول الله ﷺ: أتدرين أى ليلة هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: هذه ليلة النصف من شعبان يغفر الله فيها للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم)(٢٠). وعن الإمام على - كرم الله وجهه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله - تعالى - ينزل فيها لغروب الشمس لسماء الدنيا فيقول ألا من مستغفر فأغفر له ألا من مسترزق فأرزقه ألا من مبتل فأعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر»(٢١).

---

(١٥) أخرجه الترمذى والبيهقى.

(١٦) أخرجه أبوداود والنسائى.

(١٧) أخرجه البيهقى.

(١٨) أخرجه البيهقى.

(١٩) أخرجه ابن ماجه.

(٢٠) أخرجه البيهقى ١٣٨٨.

(٢١) أخرجه البيهقى ١٣٨٨.

النوع السادس: صوم المحرم وعاشوراء

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم »[٢٢].

وكذا يسن صيام عاشوراء. وعاشوراء فى الأصل صفة لليلة العاشرة ثم صار علماً على اليوم العاشر من المحرم عند الجمهور، وعاشوراء يوم معظم فى الجاهلية والإسلام فكان اليهود بالمدينة يصومونه، وكانت قريش تصومه، وكانوا يعظمونه بكسوة الكعبة فيه، وكان النبى ﷺ يصومه قبل البعثة موافقة لهم، وبعد البعثة، وقبل الهجرة بالوحى، وبعد الهجرة صامه وأمر الناس أن تصومه ورغب فيه. ويستحب أن يضم إليه اليوم التاسع أو الحادى عشر مخالفة لصيام اليهود. قال رسول الله ﷺ: « صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود وصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده »[٢٣] ويسن التوسعة فيه على الأهل والعيال بدون تبذير.

النوع السابع: صوم تسع من ذى الحجة لغير الحاج:

لحديث « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعنى الأيام العشر قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله! فقال: ولا الجهاد فى سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشئ »[٢٤].

النوع الثامن: صوم يوم عرفة

وهو اليوم التاسع من ذى الحجة، ويتأكد صومه لغير الواقفين بعرفة وهم الحجاج لحديث « صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية »[٢٥].

النوع التاسع: صوم الاثنين والخميس

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ كان أكثر ما يصوم الإثنين والخميس فقيل له: لم تصوم هذين اليومين يا رسول الله؟ فقال ﷺ: « إن الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم أو لكل مؤمن إلا المتهاجرين فيقول أخرهما »[٢٦].

النوع العاشر: صوم ثلاثة أيام من كل شهر

لحديث « صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وإفطاره » والأفضل أن تكون اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر عربى.

« أفضل الصيام صيام داود ـ عليه السلام ـ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً »[٢٧]. وفقنا الله إلى أداء هذه الطاعات والقربات حتى نظفر برضوانه وغفرانه.

---

(٢٢) أخرجه أحمد ومسلم والأربعةوالبيهقى.

(٢٣) أخرجه أحمد ٢٤١/١، والبيهقى ٢٨٧/٤.

(٢٤) أخرجه أحمد ٢٢٤/١، والبيهقى ١٧٢٧.

(٢٥) أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه والبيهقى.

(٢٦) أخرجه أحمد وابن ماجه.

(٢٧) أخرجه البخارى والنسائى.

خطبة الجمعة

الإيمان طريق النصر

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

الحمد لله - عز وجل - هو الذى يهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم، أشهد أن لا إله الا الله، جعل للحرية طلابها.. وللعزة أسبابها:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(١). وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، آمن فأيقن، وجاهد فأتقن، فكان خير المنصورين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون.

يا أتباع محمد ﷺ :

هناك من يظن أن الدعوة إلى اتخاذ العقيدة والدين أساساً فى القتال والنضال إنما هى بضاعة يتعود رجل الدين تقديمها بحكم صنعته وحرفته، وهذا ضلال فى التفكير وبهتان فى التصوير، ومن أقرب الدلائل على ذلك أن ضابطاً عراقياً كبيراً أصدر كتاباً جعل عنوانه «الوجيز فى العسكرية الإسرائيلية» وهذا المؤلف هو اللواء الركن محمود شيت خطاب، وقد تحدث فيه حديث الخبير البصير عن أهداف إسرائيل التوسعية، وأنواع قواتها العسكرية من برية وبحرية وجوية، وطرق التدريب والتعبئة، والقتال عندها، وأنواع الأسلحة التى تستوردها أو تصنعها أو تحاول صنعها، ثم تحدث عن واجب الأمة العربية أمام عدوان إسرائيل ونزعتها التوسعية الإجرامية. ومع أن الكتاب بحث عسكرى فنى من رجل

(١) العنكبوت (٦٩).

عسكرى متخصص نلمح فيه شواهد اليقين بأن الإيمان الدينى الواعى هو الطريق إلى الفوز والنصر، فالمؤلف يفتتح كتابه بخبر عظيم من القرآن الكريم وهو قول الله – جل جلاله:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾(٢).

وهو يجعل إهداء الكتاب «إلى المجاهدين الذين سيرفعون راية العرب والمسلمين فوق المسجد الأقصى» وحينما يبلغ المؤلف فصل «الخاتمة» يفتتحه بشعار كريم من كلام رب العالمين، وهو قوله:

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾(٣). وهو فى عباب بحثه الفنى العسكرى لا ينسى ما يعتقده بقلبه وعقله ووجدانه، وما يعتقده كل مؤمن غيور على دينه ووطنه وقومه وأمته، وهو أن العقيدة الإلهية، والإيمان الدينى، وروح الجهاد المقدس، ونزعة الاستشهاد فى سبيل الله، هى مفاتيح العزة والسعادة، فيتلمس المواطن المناسبة تلمساً لكى يترجم عن هذا الاعتقاد بأقوى ما يستطيع وبأعمق ما يحس، كأن يقول مثلا: «يجب أن نقول للشعب العربى: إن النصر لا يكتب إلا للذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله» وهو يقرر مؤكداً أن أول أسباب الانتصار على اليهود والصهيونية هو «إعادة النظر فى تربية النشئ العربى، ووضع مناهج تربيتهم على أسس مستمدة من تعاليم الدين الحنيف، وحضارتنا العربية الأصيلة» ومن بين هذه الأسباب أيضاً التعاون مع المسلمين فى كل مكان لإنقاذ فلسطين ثم تأتى آخر صفحة من الكتاب، وفيها يختتمه بقوله: «البشر بدون عقيدة غثاء كغثاء السيل، وللعرب عقيدة سماوية قادتهم إلى النصر، فكانت انتصاراتهم انتصارات عقيدة لا مراء، ولما ضعف العرب صانتهم تلك العقيدة من التفسخ والانحلال، وهذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله: العودة إلى الإسلام بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء، وحنيذاك سيقول اليهود عن العرب كما قال أسلافهم من قبل:

﴿ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ ﴾(٤).

﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾(٥)

إن هذا ليس كلام عالم من علماء الأزهر الشريف، ولكنه كلام ضابط عسكرى برتبة لواء، وتزداد قيمة هذا الكلام جلالة وخطورة حين نتذكر أن الصهيونية تتخذ من دينها المحرف أساساً لتحركاتها ومحاولاتها للقضاء على أهل الدين الحق والعقيدة الباقية والكتاب الإلهى الذى لم يتطرق إليه أدنى تحريف، لم تزد الدهور والعصور إعجازه إلا ضياء وبهاء، ويا عجبا كل العجب من باطل يتوقح ويتبجح، ويتجمع ويتوسع، على حساب حق ضيعه أهلوه واستخف به جاهلوه، فهذه هى الصهيونية تسمى دولتها الأثيمة باسم نبيها «إسرائيل»، وتحيى لغتها الدينية «العبرية» بدعوى أنها لغة التوراة والدين اليهودى، وتصف فلسطين بأنها أرض الميعاد لهم استناداً إلى مزاعمهم، وتجعل من أهدافها أن تتجمع حول حائط المبكى لكى تعيد هيكل سليمان وتزيل المسجد الأقصى، وهى تجمع

---

(٢) المائدة (٨٢).

(٣) الأنفال (٦٠).

(٤) المائدة (٢٢).

(٥) الروم (٤ ٥).

فلولهـا من شتى أنحاء العـالم وتناديهم باسم اليـهـودية وبعنوان أنهم «شعب الله المختار» وأنـهم يجب عليـهم فى شريعتهم ـ كما يزعمون – أن يعودوا من المنفى إلى فلسطين لأن البقاء خارجها خروج على الدين، فيالله من حق يضيع بين باطل يتنمر، ويالله لهؤلاء العـرب والمسلمين الذين يبـدون وكـأنهم لا يريدون الانتـفـاع بعظات أو عبر، وما أنت بمسمع من فى القبور.

وهذا هو كتاب «الوجيز فى العسكرية الإسرائيلية» يحدثنا بالأدلة والشواهد والنصوص من كلام الأعداء أنفسهم عن سعى اليهود لإحياء الدولة اليـهودية من النيل إلى الفـرات، ومن شـمـال الموصل حـتى المدينة المنورة، والتى تشمل تبوك وخيبر وأماكن أخرى حول المدينة: مـدينة الرسول العربى محـمـد ﷺ، وكـأنهم بهـذا لا يكتـفـون بإحـيـاء ديانة حرفت وبدلت، بل يحاولون طمس المعالم البـادية لدعوة الإسـلام ورسالة محمـد ﷺ، ويواصلون إحياء العادات الدينية القديمة بينهم حتى فى مجال الحرب، فإن إسرائيل مثلا لا تحتفظ فى معسكراتها بصفة دائمة بعدد كبير من الجنود، بل تـدرب كل أفرادها على السلاح والقـتال، ثم يعودون إلى أعمالهم فى الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها، وعند التعبئة يسارع الجميع بالعودة إلى الخدمة العسكرية فوراً، وتتبع إسرائيل فى ذلك طريقة تقول إنها مأخوذة من خطة حربية وضعها الملك سليمان قبل ثلاثة آلاف عام، وتتحدث عنها كتب اليهود الدينية، فتقول: إن سليمان قد بنى قلعة (مجدو) فى غرب مدينة (جنين) وتضم القلعة مخازن للطعام والشراب تكفى خمسة آلاف مقاتل، وأماكن صالحة لثلثمائة من عجلة حربية، ولا يقيم فى هذه القلعة بصفة دائمة إلا مائة رجل فقط، فإذا ظهرت بوادر الحرب انطلق من القلعة ثلاثون فارساً على خيـولهم لجمع الناس فى القلعة استعداداً للقتال، وكذلك فعلت إسرائيل الآن، فعند التعبئة العامة تظهر عبارة رمزية على شاشات السينما والتليفزيون، فيبادر كل مجند احتياطى بترك عمله، ويقف على الطريق العام خارج قريته، وأى سائق مـدنى أو عـسكرى يمر عليه إلى المعسكر أو الميـدان بمجرد اطلاعه على ما يثبت شخصيته، ولا يحتاج هذا الجندى إلى مجهود فى إعداده لأداء واجبه فوراً، لأنه يتدرب كل سنة ثلاثين يوماً بعقيـدة دينية صارخة تغرس فى نفسه أن هذا واجب دينى مفروض، وبذلك تظل نفسه ممتلئة بما يسمى بالحقد الإسرائيلى المقدس على العرب والمسلمين.

ويؤكـد الكتاب العسكرى الفنى أن الالتجاء إلى هيئة الأمم المتـحـدة ومجلس الأمن لن يحل قضيـة فلسطين ولن يرد حـقـوق العـرب، ولن يحـرر الأرض المغتـصبـة، وهذا يذكر بمن هتف بقومه منذ سنوات وسنوات فقال:

فـيم انتظاركم والحق حـقـكم
يعـدى عليـه ليـعطى للمـلاعين
لا تطلبوه احتكاماً فى مجامعهم
بل استـردوه قـسـرا فى الميـادين
والمسلمون جـمـيـعـاً من ورائكم
بأندونيـسـيـا وباكـسـتـان والصـين

يا أتباع محمد ﷺ:

لقـد استبـان الصبح لذى عينين، وقد أجـمع العـقـلاء والبـصـراء على أنه لا نصر إلا بعـقـيـدة وإيمان، وقـد تكرر الجهـر بذلك مرات ومرات ولو اكـتـفـينا بترديد القـول دون عمل، لما كـانت هناك جدوى، ولاتمت فائدة، فليت بارئنا يأخذ بنواصينا إلى العمل بمقتضى مـا آمنا به ورددناه، والله يقـول الحق وهو يهـدى السـبـيل، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون.

الصيام .. والصحة

للدكتور / حسين عباس الأنصاري (*)

مهما فتش العالم عن وسيلة مثلى لحفظ صحة البدن وصحة النفس وصحة المجتمع، فلن يجد إلا نظاماً أوحد وضعه رب العباد وخالقهم، وهو صيام شهر كامل فى العام.

العلم قرر هذا والطب أثبت ذلك، وقلب المؤمن اطمأن إليه دون حاجة إلى إثبات.

وحينما يضع ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ نظاما لبنى البشر أو يحدُّ لهم حدودا فإنما يكون ذلك لمصلحتهم أولا وأخيرا، لأن الله غنى عن العالمين كما جاء فى الحديث القدسى: (... ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك فى ملكى شيئا. ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على قلب أفجر رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكى شيئا ...)(١) وصدق الله حيث أنزل فى كتابه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(٢).

ويقول سبحانه:

﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾(٣).

الصحة البدنية

كل آلة تحتاج إلى فترة راحة وصيانة، وإلا عطبت وتوقفت عن عملها. وجسم الإنسان، ذلك المصنع المتكامل الذى ليس له مثيل منذ خلقت الدنيا بيد القدرة العليا والذى يعمل بطريقة متواصلة ولايتوقف دقيقة واحدة عن عمله، لابد أن يحتاج إلى صيانة من نوع خاص، حتى يكون متجددا يؤدى عمله على أكمل وجه كما أراد له خالقه.

فهناك المخ وهو مركز التحكم فى ذلك المصنع المعجز. وهناك القلب الذى يمد الجسد بالطاقة والغذاء

(*) الكاتب طبيب بوزارة الصحة.

(١) اخرجه الحاكم فى المستدرك ٤ / ٢٤٩، تهذيب ابن عساكر ٧/٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) البقرة (١٨٣).

(٣) البقرة(١٨٥).

اللازمين لبقائه فى عالم الأحياء، وهناك الجهاز الهضمى والجهاز التنفسى والجهاز الحركى، وعالم الغدد الصماء التى تسيطر على العمليات الحيوية فى الجسد.

كل هذه الأجهزة تحتاج إلى فترة راحة من نوع خاص لايحققها إلا الصيام لمدة شهر كامل فى العام على الأقل مصداقا لقوله تعالى:

﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٤).

● وكما جاء فى الأثر (صوموا تصحوا).

تعالوا بنا لنرى بعض فوائد الصوم وآثاره على الفرد والمجتمع: بالنسبة للجهاز الهضمى الذى يشمل الغدد اللعابية والبلعوم والأمعاء الدقيقة والأمعاء الغليظة فإنه يعمل بطريقة لا إرادية طالما هناك طعام يدخل الجوف، حيث تقوم الغدد اللعابية بإفراز موادها التى تحتوى على الأنزيمات التى تقوم بهضم السكريات والنشويات ويقوم البلعوم بواسطة عضلاته الطولية والعرضية بتوصيل الطعام إلى تجويف المعدة حيث تقوم المعدة بإفراز العصارة المعدية التى تحتوى على المواد التى تعمل على هضم الدهون والبروتينات.

وقبل ذلك تقوم الأسنان بمضغ الطعام وتحويله إلى عجينة يسهل هضمها بما يتبع ذلك من عمل عضلات الفكين وعضلة اللسان.

ثم يأتى دور الأمعاء لامتصاص الغذاء المهضوم وتوصيله إلى تيار الدم الذى يوصله بدوره إلى جميع أجزاء الجسم وتتخلص الأمعاء الدقيقة من بقايا الطعام غير المهضوم بدفعة إلى الأمعاء الغليظة حيث تقوم الأخيرة بالتخلص منه عن طريق الإخراج

أما الطعام المهضوم فإنه يحتاج إلى مجهود الكبد حيث يعمل على تمثيله إلى العناصر التى يحتاج إليها كل جزء فى الجسم ويقوم بتخزين الباقى للاستفادة منه عند الحاجة وتساعده فى ذلك غدة البنكرياس والغدة الدرقية.

فاذا ماكان الحمل زائدا على هذه الجنود المجندة فإنها لاشك ستُرهق وتشيخ فى وقت أسرع ويتعرض الإنسان للعلل والأمراض.

وهناك بعض الأمراض تتحسن مع الصيام تحسنا ملحوظا ومنها على سبيل المثال:

● **مرض ضغط الدم المرتفع وأمراض القلب:**

تتحسن حالة مرضى ضغط الدم أثناء الصيام وكذلك مرضى القلب نتيجة لقلة السوائل فى الأوعية الدموية فيقل حجم الدم الدائر فيها وبالتالى يقل الضغط ويقل الإجهاد للقلب المكلف بضخ الدم إلى سائر الجسد، كما يقل ترسب الدهون على جدران الشرايين فتصبح لينة غير متصلبة وغير مقاومة لضخ الدم القادم إليها من القلب فتستريح عضلة القلب وتتحسن أنسجتها ويتجدد نشاطها ويشعر المريض براحة كبيرة ويقل احتياجه للأدوية المخفضة لضغط الدم أو تلك المقوية لعضلة القلب.

● **الأمراض الجلدية**: كثير من الأمراض الجلدية المزمنة تتحسن فى شهر رمضان تحسنا ملحوظا، مثل الأكزيما العصبية والحزاز الجلدى ومرض الصدفية وبعض الأمراض الميكروبية، وذلك بفضل النظام الغذائى أثناء شهر الصيام والذى يعطى فرصة للجسم للتخلص من بعض السموم ومسببات التحسس ويسبب تقوية جهاز المناعة بالنفحة الروحية التى يمنحها شهر رمضان للصائمين.

● **مرض البول السكرى**: تتحسن حالة مرضى

---

(٤) البقرة (١٨٤).

البول السكرى فى شهر رمضان تحسنا ملحوظا وبخاصة من يلتزمون بالسنة النبوية فى صيامهم وإفطارهم، حيث تنخفض نسبة السكر فى الدم، كما أن غدة البنكرياس المعتلة تأخذ قسطا من الراحة تستعيد فيه بعض نشاطها وتقلل من احتياج المريض للدواء المخفض لسكر الدم، كما أن القرح السكرية والإصابات الميكروبية تقل نتيجة لانخفاض السكر المرتفع فى الدم، وكذلك مضاعفات المرض على العينين والجهاز العصبى.

صلاة التراويح

يتميز شهر رمضان المبارك بما يسمى بصلاة التراويح، وصلاة التراويح اسم على مسمى حيث تستروح بها النفس وينشرح بها الصدر ويصح بها الجسم، ويشعر الفرد من خلالها بقوة رابطة الأخوة الإسلامية وعظمة الدين الإسلامى، حيث يقف الجميع متراصين طالبين رضاء الله وعفوه.

يقف الغنى ملاصقا للفقير، والقوى ملاصقا للضعيف، وصاحب المقام العالى فى الدنيا ملاصقا لرقيق الحال. الكل يتذكر قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٥).

وقوله ﷺ: «الناس سواسية كأسنان المشط»(٦) حينما يشعر الصائم بهذا الشعور وهو يقف بين إخوانه فى صلاة التراويح تتسامى روحه نحو معرفة حقيقته، فلا يتجبر الكبير ولا يهون من شأن نفسه الصغير. فالكل يفتش على مؤهلات التقوى لله فى نفسه مسترجعا قوله تعالى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ هذا فقط هو القياس، فكلنا لآدام وآدم من تراب.

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾(٧)

وصلاة التراويح لها فوائد بدنية جمة، حيث تعمل على تنشيط الدورة الدموية للجسم، مما يساعد على هضم الطعام والتغلب على التلبك المعوى الذى يصيب الأشخاص المكثرين من الطعام فى الإفطار. كما أنها تساعد الجهاز الحركى للجسم ليؤدى أفضل أنواع الرياضة البدنية أثناء الركوع والسجود والقيام وذلك بتنشيط العضلات وتحريك مفاصل الجسم المختلفة وحمايتها من التيبس وصعوبة الحركة، مما يعانى منه كثير من الناس بسبب قلة المشى وكثرة الجلوس أو الوقوف.

والصلاة عموما تعمل على تقليل ضغط الدم داخل الأوردة الدموية وتقوى جدرانها فتجنب الشخص ظهور دوالى الساقين والتى قد ينشأ عنها متاعب كثيرة للمصاب بها من آلام فى الساقين وظهور قرح مزمنة صعبة الالتئام، وكذلك ظهور إكزيما دوالى الساقين والقدمين وهى أيضا يصعب علاجها.

كما أن صلاة التراويح والقيام تعمل على تنشيط المخ حيث يتدفق الدم إليه، بخاصة أثناء السجود عندما يكون مستوى المخ منخفضا عن مستوى القلب

---

(٥) الحجرات (١٣). (٦) ابن عدى ٥/١٠٩٩. (٧) طه (٥٥).

بالنسبة للجاذبية الأرضية، فيتدفق الدم إلى المخ حاملا غاز الأوكسجين والعناصر الغذائية الضرورية لنشاط المخ وأنسجته المختلفة ويخلصه من الرواسب السامة وقد ورد فى الحديث الشريف ما يفيد استحسان إطالة السجود حيث أقرب ما يكون المرء من ربه وهو ساجد فيدعو بما شاء، وكلما كثر الدعاء كلما طال زمن السجود وكلما تدفق الدم إلى المخ أكثر وأكثر.

كما أن صلاة التراويح والتهجد تعتمدان أساسا على تلاوة القرآن الكريم وتدبره، وهو أطيب الذكر وأعلاه، فى آياته الدروس والعبر ورسم الطريق الصحيح للمسلم فى حياته وآخرته:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٨).

ولهذا يتسابق المسلمون الصائمون فى كل بقعة من بقاع الأرض فى الاجتهاد فى تلاوة القرآن والاستماع إليه ودراسته وتدبره:

الصحة النفسية

يشعر الصائم بالقرب من الله - عز وجل - حيث يصوم نهاره ممتنعا عن ملذات الجسد، ويقوم ليله مع القائمين فى صلاة التراويح والتهجد، ذاكرا لله - سبحانه وتعالى - ساجدا راكعا يحدوه الأمل فى مغفرة الله وفضله، حيث «رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما»(٩) كما جاء فى الحديث الشريف وهذا يبعث بالأمل إلى النفس فيجعل الصائم راضيا مطمئنا وهذه من علامات الصحة النفسية.

كما أن الصائم الفقير يتحرر من الشعور بالحقد الطبقى حيث يجد الجميع متعاونا معه فى رمضان نظرا لكثرة أعمال البر فى هذا الشهر الكريم من إخراج للزكاة، ودفع للصدقات، وإقامة موائد الرحمن حيث يقدم الطعام الجيد للفقراء فيشعرون بالتكافل العظيم بين الصائمين جميعا فتتحسن العلاقات وتزداد روابط الأخوة ويعم الرضى جميع النفوس . نفوس من قدموا الخير، ونفوس من قدم لهم هذا الخير، وهذا يجعل المجتمع الإسلامى يعيش فى تناغم تام بين أفراده، وهذه هى قمة الصحة النفسية للفرد والمجتمع.

كما أن الصائم يشعر بقوة الإرادة نظرا لتغلبه على شهوات نفسه التى لم يكن ليصبر عليها فى غير رمضان، فيصبح ذا عزيمة قوية، وهذه العزيمة القوية ترفع لديه قوة جهاز المناعة الداخلى فيتغلب على كثير من الآلام والأمراض المزمنة التى تحتاج إلى عزيمة للتغلب عليها.

والصوم يعلم الإنسان الصدق مع النفس، لأنه يستطيع أن يأكل ويشرب دون أن يراه أحد، لكنه موقن بأن الله يراه وهو يمتنع عن ذلك امتثالا لمرضاة الله وليس خشية من أحد فينعكس ذلك عليه فى حياته العملية فيؤدى عمله بإتقان مراقبة لله الذى يراه ويطلع على سرائره ويعود ذلك على الآخرين بالخير. والصدق هو من أسمى صفات الجمال للنفس.

ومجتمع أفراده نفوسهم راضية وقلوبهم مطمئنة هو مجتمع سعيد بكل المقاييس.

---

(٨) ص(٢٩).

(٩) الترغيب والترهيب ٤٨٣/١.

إشكاليات التحدى الحضارى

التحدى الحضارى بين مفكرى الإسلام والمستشرقين

١ بحوث ٢ ص ١٥٥٥

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

ترجع فكرة موضوع التحدى الحضارى بين الإسلام والغرب إلى هم قديم يندرج ضمن الإطار العربى الإسلامى بكل مشاكله وقضاياه.

وكنا نرى مسألة العلاقة بينهما، كما تبدو، دائماً كأنها تعبر عن سوء فهم كبير يغلفها ضباب كثيف لأنها لم تطرح من بابها الصحيح على مائدة البحث العلمى، كما أن دراستها لم ترتكز على أسس التفاهم المشترك التى كان ينبغى أن تنهض عليها، الأمر الذى ترتب عليه ضياع الحقيقة وعدم وصولنا إلى نتائج مجدية أو حاسمة.

لذلك كان يساورنا مُعْتَقَد مفاده، أن ثمة طريقاً آخر، أو طريقة أخرى أكثر فائدة بالنسبة لنا جميعاً من ذلك اللغط وذلك الضجيج الذى تبثه أجهزة الإعلام هنا وهناك ولا يلبث أن يتكشف عن سراب.

ولا نظن أن الطريق إلى التاريخ، هو أسلوب العنتريات والمواجهات المكشوفة فى ظل اختلال كامل فى موازين القوى، ليس ذلك هو الذى يقودنا إلى دخول حلبة التاريخ.

لذلك ومن أجل توضيح الصورة القائمة بين مثقفى العرب والاستشراق وإبراز ضرورة التعاون فى وضع أسس علاقات جديدة، نرى أن علينا معالجة سوء التفاهم المشترك وهو ما يسمى بتصفية الجو الفكرى والثقافى بين الجانبين من الضلال الثقافى الذى تَغُص به حلبة الصراع ولن تتحقق تلك التصفية إلا إذا كان للجانب الآخر حق الكلام موضحاً موقفه.

إن النزاهة العلمية تقتضى منا إثبات الرأى، والرأى

الآخر، لكى تتضح قيم التفاهم المشترك حول هذا الصراع الدائر. فنحن لا نخشى آراء الآخرين ولا حتى انتقاداتهم، فلدينا من الثقة الكافية بأنفسنا لخوض الصراع الفكرى حول أهم القضايا التى تخص ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، وهى كما تبدو لنا فى عدة استفهامات تعكس فى نفس الوقت قضايا التحدى بيننا وبين الاستشراق ومن قضايا التحدى :

● **أولاً : تنابذ الإعلام الغربى بالإسلام والعرب :**

درج الإعلام الغربى والأمريكى على تصوير الإسلام فى صورة مارد لو خرج من قُمْقُمه لهدد التقدم والحضارة والمدنية.

إذ العربى فى نظر الغرب جاهل بطبيعته، والمسلم متعصب بطبيعته، فى حين أن المسيحى متسامح بطبيعته، ولا يمكننا أن نتسامح لأننا لسنا أوروبيين.

وهذه الأحكام المسبقة تحولت إلى صفات ثبوتية نهائية تُلْصَق بالآخرين غصباً عنهم ولا فكاك لهم منها. وبالتالى فهى تهدد المجتمع دائماً بالنزيف الداخلى أو شبح الحرب الأهلية.

وتلك هى العقبة الكأداء التى تراكم عليها ثوابت التحدى الحضارى وذلك من اصطناع العرقية الغربية وبقية لوثة استعمارية لم يتخلص الغرب منها ثم حَمَّلَتها أكاديمية الاستشراق. ولا صلة لمثقفى العرب فى وقف البث الهجائى الموجه لعالم الإسلام وخاصة أنها قضايا وليدة نزوات الغرب العصبية. وتلك أولى مهام تصفية الجو الثقافى، فهل يتحمل الغرب تبعة إيقاف ذلك النزيف الطافح؟.

إذا كانت التكنولوجيا صنعت تاريخاً للحضارة، حضارة الأدوات، فإن الحكمة وهى التى سَمَتْ بالمفهوم الإنسانى آن لها أن تسجل تاريخها السامى باستقرار السلام بين الشعوب.

إن التاريخ لا يعطى نفسه بسهولة ولن يدخله من أراد دخوله. فى ظل اختلال كامل فى موازين القوى، متخذاً أسلوب المواجهات المكشوفة والأسلحة الفتاكة المدمرة، والذين يندفعون وراء هذا الأسلوب بشكل مباشر أو غير مباشر يبغون تكسير أنفسهم وهذا هو الصراع الحضارى أما أسلوب الحكمة مهما كان طويلاً وشاقاً فهو دائماً طريق السلامة والأبقى. والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، كما ورد فى الأثر الإسلامى.

● **ثانياً : التهيؤ النفسى فى قبول النقد والنقد الذاتى :**

إذا كانت لنا وجهة نظر فى الغرب وأدواته من الاستشراق. فلماذا لا نحاول أن نعرف رأيهم، هم، فى الموضوع. وما هى ردودهم علينا، وحججهم فى الدفاع عن أنفسهم؟.

إن النزاهة العلمية تقتضى منا إثبات الرأى والرأى المضاد لكى تتضح جوانب المناقشة الصراعية التى فرضها الغرب على الشعوب النامية. وينبغى أن نمتلك الثقة الكافية بأنفسنا لخوض هذا الصراع الفكرى حول أهم القضايا التى تخص ماضينا وحاضرنا، لقد آن الأوان أن نرتفع من مرحلة الصراع الفكرى إلى مرحلة الحوار الحضارى، وأن ننتقل من الموقف الدفاعى والتغنى بالذات أو الهجومى المتطرف إلى موقف المسئولية العقلية والنضج الثقافى.

● **ثالثاً : عدم تكافؤ مستوى الخطابين الإسلامى والغربى :**

إن معركة الخطابات التى تتناظر مع الرجم بالصواريخ ليست على مستوى الكفاية الثقافية بين الجهتين لأن الغرب أقوى من المسلمين وليس

بالضرورة أن تكون الحكمة الصائبة فى جانب الأقوى الغالب، إنما يلازمه التخويف والزجر والردع وفرض السيطرة الظالمة وفقدان الحكمة.

ولهذا السبب يبدو على الخطابات الإسلامية طابع الغضب والاحتجاج والاتهام والتشكيك. شأن المغلوب، لا الغالب، والمدروس لا الدارس، أما خطابات الغرب فتبدو باردة هادئة متزنة، وأحياناً متغطرسة ومتعجرفة - شأن الغالب - فهو المسيطر ليس فقط اقتصادياً وتكنولوجياً، أو سياسياً وعسكرياً. وإنما منهجياً ومعرفياً.

● **رابعاً : تبادل عدم الفهم لثقافة الآخر :**

إن الخطابات الغربية الصادرة عن الغرب، ليست شيئاً واحداً، كما نتوهم، أو كما يشاع أحياناً فى بيئاتنا الثقافية العربية أو الإسلامية. فالغرب ليس كتلة واحدة صماء، وإنما هو مشكل من عدة تيارات ثقافية وفكرية وحساسيات عرقية، وسياسات تستبيح حق الشعوب، وسيطرة شائهة الوجه على موازين القوى.

وبالتالى فموقفه ليس واحداً من الإسلام أو العرب، فالخلاف المنهجى يرشح دائماً بموقف نفسى. أو قل إنه مرتبط دائماً بموقف نفسى من الموضوع المدروس، سلباً أو إيجاباً، فإذا ما قلنا - على سبيل المثال - بأن التخلف العربى يعود إلى عوامل تاريخية واجتماعية واقتصادية، فإن ذلك يعنى أنه قابل للتغيير والزوال، وإذا ما قلنا بأنه بنيوى مرتبط بالتركيبة الذهنية للعرب، فإن ذلك يعنى أنه خاصة أزلية لا فكاك منها. هكذا نجد أنه تترتب على الرؤيتين نتائج خطيرة.

كذلك فإن خطابات المثقفين العرب إزاء الاستشراق ليست كتلة واحدة منسجمة، وإنما هى مشكلة من عدة اتجاهات متغايرة ومتنوعة، بل ومتناقضة. فليسوا كلهم أعداء للمنهجية العلمية والتفكير المنطقى كما يزعم الرأى العام الغربى أو الأوساط المهيمنة فيه، وإنما ينقسمون آراء شتى واتجاهات مختلفة مثلهم فى ذلك مثل بقية البشر. فهم ليسو من صنف والآخرون من صنف آخر. فالإنسان محكوم بالتاريخ والظروف الاجتماعية والاقتصادية، وليس محكوماً بصفات وراثية أو عرقية ثابتة.

*** والسبب فى عدم تلاقى الغرب بالشرق حضارياً هو :**

إن الكثير من المثقفين لم يطلعوا بشكل كاف على الثورة المنهجية التى حصلت فى الغرب نفسه، كذلك فى المقابل لم تفد المنهجية الغربية الجديدة جديداً فى مواقف بعض المستشرقين - وهو ليس بالقليل - فى دراستهم للإسلام والعرب، فهل هذا يسمى قصوراً أو تقصيراً؟.

● **خامساً : تأجيل البحث عن حقيقة الصراع الحضارى :**

إنه من الصعب إجراء مناقشة رزينة وهادئة حول حقيقة التحدى الحضارى فى ظل صراع ثقافى وسياسى عسكرى محتدم بين الطرفين إلى درجة أنه يصعب قول أى شئ بهدوء أو بموضوعية واتزان، وبالتالى فالبحث عن الحقيقة يبدو عملية شائكة ومحفوفة بالأخطار. وبالتالى فإن تأجيل البحث عن حقيقة الصراع بحجة أن هذا الصراع يعنى تأجيله إلى ما لا نهاية، ويعنى أيضاً تأجيل البحث العلمى فى الساحة العربية إلى ما لا نهاية. وهذا ولا شك يفيد أن التوصل إلى خطاب عربى إسلامى ذكى ومرن ومتفتح، عملية ليست سهلة على الإطلاق.

بعده ١٥٥٥

رشيد رضا ومدرسة الإحياء والتجديد

للدكتور
محمد عمارة

فى قرية « القلمون »، التابعة « لمتصرفية » طرابلس الشام، ولد « السيد » محمد رشيد رضا [١٢٨٢-١٣٥٤هـ ١٨٦٥-١٩٣٥م] - محمد رشيد بن على رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ضلا على خليفة.. وأسرته « شريفة » النسب، هاجرت من بغداد، واستقرت فى « القلمون ».. وكانت ولادته فى ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ١٢٨٢هـ ١٨ من أكتوبر سنة ١٨٦٥م.

ولقد سلك، منذ صباه، طريق التعليم الدينى، فدرس بالمدرسة الوطنية الإسلامية - فى طرابلس - ثم درس فى بيروت.. وحصّل علوم الإسلام والعربية، على منهاج شبيه بمنهاج الأزهر الشريف فى ذلك التاريخ.

ولقد مال - فى تكوينه الفكرى والعلمى - إلى علوم « الرواية » و« المنقول » و« المأثورات ».. ثم حدثت له نقلة نوعية بعد أن قرأ كتاب حجة الإسلام أبو حامد الغزالى [٤٥٠-٥٠٥هـ ١٠٥٨-١١١١م] « إحياء علوم الدين »، فانتقل به هذا الكتاب إلى الزهد والتصوف والتنسك، وانخرط فى سلك مريدى « الطريقة النقشبندية ».. وانخرط فى العمل الدعوى، مشتغلا بالوعظ والإرشاد - فى قريته والقرى المجاورة - فتمرس فى الخطابة الوعظية.. ثم طمح إلى الكتابة، فألف كتاباً عن [الحكمة الشرعية]، ونشر مقالاً مطولاً عن الأخلاق فى إحدى الصحف.. وصاغ بعض أفكاره شعراً منظوماً.

وعقب خطبة ألقاها - اتسمت بالجرأة - فى أحد المحافل - بحضرة والى « طرابلس » - عين عضوا فى « شعبة المعارف » بمتصرفية الولاية العثمانية.

وفى الثامنة والعشرين من عمره [١٣١٠هـ ١٨٩٢م] حدث له الانقلاب الأعظم فى فكره وتوجهه، وذلك بعد أن قرأ - فى محفوظات والده - بعض أعداد مجلة [العروة الوثقى] - التى أصدرها فى باريس [١٣٠١هـ ١٨٨٤م]

جمال الدين الأفغانى [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] والإمام محمد عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] - .. فأخذ - بعد قراءة هذه الأعداد - يبحث عن المجموعة الكاملة لأعداد هذه المجلة - الثمانية عشر - فوجدها فى مكتبة أستاذه حسين الجسر [١٢٦١ - ١٣٢٧هـ - ١٨٤٥ - ١٩٠٩م]، فنسخها، وأكب على دراستها، وفقه أسلوبها وأفكارها ومنهاجها ومقاصدها.. فتغيرت بذلك صورة الإسلام فى فكره، وتبدلت صورة المسلم النموذجى لديه، وتغيرت أولويات الإصلاح الإسلامى للواقع الذى يعيش فيه المسلمون.. ولقد وصف - هو - هذا الانقلاب الفكرى الذى حدث له، فقال: «.. ثم إنى رأيت فى محفوظات والدى بعض نسخ [العروة الوثقى]، فكان كل عدد منها كسلك من الكهرباء، اتصل بى فأحدث فى نفسى من الهزة والانفعال والحرارة والاشتعال ما قذف بى من طور إلى طور ومن حال إلى حال.. كان الأثر الأعظم لتلك المقالات الإصلاحية الإسلامية، ويليه تأثير المقالات السياسية فى المسألة المصرية - [المنشورة بأعداد المجلة] - والذى علمته من نفسى ومن غيرى ومن التاريخ: انه لم يوجد لكلام عربى فى هذا العصر ولا فى قرون قبله بعض ما كان لها من إصابة موقع الوجدان من القلب، والإقناع من العقل، ولا حد للبلاغة إلا هذا..»![(١)].

الإمام/ محمد عبده — جمال الدين الأفغانى

لقد نقلته [العروة الوثقى] من زهد «الطريقة النقشبندية» فى الدنيا والإصلاح الاجتماعى والسياسى، إلى وسطية الإسلام - التى أحيتها مدرسة الأفغانى ومحمد عبده - والتى توازن بين الروح والجسد، بين الدنيا والآخرة، بين خلاص الفرد وتحرير الأمة، بين عزة الإنسان وإمامة أمته الإسلامية للعالمين.. فتعلم رشيد رضا من هذه المجلة - كما يقول هو - : «أن الإسلام ليس روحانياً أخروياً فقط، بل هو دين روحانى جسمانى، أخروى دنيوى، من مقاصده هداية الإنسان إلى السيادة فى الأرض بالحق، ليكون خليفة الله فى تقرير المحبة والعدل.. ولقد أحدث لى هذا الفهم الجديد فى الإسلام رأياً فوق الذى كنت أراه فى إرشاد المسلمين، فقد كان همى قبل ذلك محصوراً فى تصحيح عقائد المسلمين، ونهيهم عن المحرمات، وحثهم على الطاعات، وتزهيدهم فى الدنيا.. فتعلقت نفسى بعد ذلك بوجوب إرشاد المسلمين عامة

(١) رشيد رضا [تاريخ الأستاذ الإمام] جـ١ ص ٩٩٦، ٣٠٣. طبعة القاهرة سنة ١٩٣١م.

إلى المدنية، والمحافظة على ملكهم، ومباراة الأمم العزيزة فى العلوم والفنون والصناعات، وجميع مقومات الحياة. فطفقت استعد لذلك استعداداً..»[٢].

ومنذ ذلك التاريخ، وكأثر من آثار هذا التحول العميق، تطلع رشيد رضا إلى أن يكون «مريدا» فى مدرسة الجامعة الإسلامية - مدرسة الأفغانى ومحمد عبده - الداعية إلى التجديد الإسلامى والإحياء الدينى، وتجديد الدنيا بتجديد الدين.. وذلك بدلاً من موقع «المريد» فى «الطريقة النقشبندية».. التى يسحب تدينها المريد من الدنيا إلى حد ما، ومن المدنية إلى حد كبير. فكتب إلى الأفغانى - الذى كان يعيش فى الآستانة، حبيس القفص الذهبى للسلطان عبدالحميد [١٢٥٨ - ١٣٣٦هـ ١٨٤٢ - ١٩١٨م] - يثنى عليه ويتطلع للتتلمذ على يديه.

فلما توفى الأفغانى [١٣١٤هـ ١٨٩٧م] عزم رشيد رضا على الهجرة إلى مصر، حيث الإمام محمد عبده، طامحاً إلى أن يكون موقعه من الأستاذ الإمام هو موقع محمد عبده من جمال الدين.. ومدركاً أن مناخ الحرية النسبية فى مصر ضرورى لتحقيق طموحه الجديد.. وبعبارته: «.. فلقد كنت أعتقد أن استعدادى كله يبقى ضائعا إذا بقيت فى سورية، وأنه لا يمكن أن يظهر هذا الاستعداد بالعمل إلا فى مصر، لما فيها من الحرية المفقودة فى البلاد العثمانية..»[٣].

وحتى يقوم برحلته هذه، ادخر نفقاتها من أجرة تحريره «الحجج والعقود»، ثم تسلل إلى إحدى السفن المتجهة إلى ميناء الإسكندرية، فوصلها مساء الجمعة ٨ من رجب سنة ١٣١٥هـ أول ديسمبر سنة ١٨٩٧م.. وفى اليوم التالى ذهب لزيارة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده.

* * *

المنـــار

ولما كانت أعداد [العروة الوثقى] - الثمانية عشر - هى التى صنعت رشيد رضا «الجديد».. فلقد كانت الرسالة التى نذر لها نفسه، والتى هاجر فى سبيلها من وطنه «طرابلس» إلى مصر - التى اتخذها وطناً جديداً - .. كانت الرسالة هى إصدار مجلة [المنار]، لتكون ترجمانا لفكر هذه المدرسة الإصلاحية، التى عشق منهاجها التجديدى.. وذلك حتى تحمل [المنار] هذا المنهاج إلى أقطار عالم الإسلام.. لقد أراد للمنار أن تكون أسلاك الكهرباء التى تهز وتوقظ الأمة، كما صنعت معه هو أعداد مجلة [العروة الوثقى).

وفى لقائه بالأستاذ الإمام - ٦ من شعبان سنة ١٣١٥هـ ٣١ من ديسمبر سنة ١٨٩٧م - تمت دراسة المشروع، مشروع إصدار المجلة -

(٢) المصدر السابق، جـ١ ص ٨٤، ٨٥.

(٣) المصدر السابق، جـ١ ص ٩٩٨.

«التى ستبحث فى موضوع مرض الأمة وضعفها، وفى معالجتها بالتربية والتعليم، ونشر الأفكار الصحيحة لمقاومة الجهل والأفكار الفاسدة، كالجبر والخرافات».

وفى تحديد منهاج المجلة، طلب الأستاذ الإمام من رشيد رضا:

١- أن لا تتحيز لحزب من الأحزاب.

٢- ولا تهتم بالرد على ذام أو منتقد.

٣- ولا تخدم أحداً ممن يسميهم الناس «كبراء».. تستخدمهم، نعم.. لكنها لا تكون فى خدمتهم!

فوافق رشيد رضا، وعاهد أستاذه - الذى وصف المشروع بأنه «أشرف الأعمال وأفضلها»، معلناً استعداده لمساعدة المجلة بكل جهده.

عاهد رشيد رضا أستاذه فقال:

- «إنى أعاهدكم على أن أكون معكم كالمريد مع أستاذه - على نحو ما يقول الصوفية -.

وهكذا تمت دراسة المشروع.. وصدرت [المنار] فى ٢٢ من شوال ١٣١٥هـ ١٧ من مارس ١٨٩٨م - أى بعد عام من وفاة جمال الدين الأفغانى - .. صدرت فى صورة صحيفة أسبوعية.. ثم تحولت فى سنتها الثانية إلى مجلة شهرية - لتواصل رسالة [العروة الوثقى].. التى أشرف على فكرها وسياستها الأفغانى.. وكان محمد عبده - رئيس تحريرها - المحرر الأول - .. وها هى [المنار] تصدر، وإشرافها الفكرى لمحمد عبده، ورشيد رضا رئيس تحريرها!

صدرت [المنار] لتكون ديوان فكر المدرسة الإصلاحية، ساعية إلى:

● حمل رسالة مدرسة الإحياء الدينى والتجديد الإسلامى إلى كل أقطار عالم الإسلام.

● وتزكية الخيار الإسلامى الوسطى سبيلا للنهضة الإسلامية والشرقية، رافضة الجمود الذى يقلد، والتبعية التى تقلد الحضارة الغربية.

● وإعادة نشر مقالات [العروة الوثقى].. ومقالات الأستاذ الإمام التى سبق نشرها فى [الوقائع المصرية].

● وديوان تجديد وإبداع الإمام محمد عبده، فى تحرير العقل من قيود التقليد.

● وتنقية العقيدة من شبهات الشرك والبدع والخرافات.

● ونشر المنهاج الجديد فى تفسير القرآن الكريم.

● والدفاع عن الشريعة الإسلامية وعلومها، واللغة العربية وعلومها وفنونها.

● ونشر الفتاوى المعاصرة، التى تفقه الأحكام وتفقه الواقع الجديد، لتعقد القران بين فقه الواقع وفقه الأحكام.

● ولتبصير الأمة بالفروق بين الدين الإلهى وبين العادات والتقاليد والأعراف.

● والدفاع الواعى عن وحدة الأمة، والجامعة الإسلامية، التى هى جنسية الشرقيين على اختلاف قومياتهم ومللهم وأوطانهم.

● والتأييد - البصير.. والناقد - للدولة الإسلامية الجامعة - يومئذ - وهى الدولة العثمانية.. مع الدعوة إلى إصلاح مفاسدها، وتلافى عيوب إدارتها.. وشد أزرها فى مواجهة أعدائها.

● والتحذير من تقليد الحضارة الغربية الغازية.. مع الدعوة إلى تعلم علوم الغرب، وخبراته فى التقدم.

● والدعوة إلى الإصلاح الاقتصادى، الذى يحرر اقتصاديات المسلمين والشرقيين من النهب الاستعمارى الغربى، وذلك ليكون الاقتصاد المتحرر دعامة للاستقلال الحضارى والسياسى.

● ومحاربة التنصير، ومطاردة دعاته وادعاءاته عبر عالم الإسلام.. وتسليح المسلمين بأدوات مقاومة شبهاته ومفترياته.

● والدعوة إلى إقامة الجمعيات والمؤسسات - العلمية.. والخيرية.. والاجتماعية - لتكون جهود الأمة فى الإصلاح أفعل وأجدى وأدوم.

● والتأكيد على منهاج التدرج فى الإصلاح، لأن صياغة الإنسان صياغة إسلامية، وتكوين صفوة العلماء والمفكرين، وتهيئة الواقع لتقبل المنهاج الإسلامى، لابد فيها من التدرج.

● وإيلاء السياسة - الخاصة بالحكم والدولة - القدر الأقل.. والتركيز على إصلاح مناهج الفكر الإسلامى، وتجديد علوم الشريعة والعربية.. والنهوض بالمؤسسات التى تصنع وتصوغ عقل الأمة.. مع النظر - فى السياسة - بمنظار عالمية الإسلام، وعالمية الأمة الإسلامية.

نعم.. صدرت [المنار] لتحمل هذه الرسالة الإصلاحية التجديدية الإحيائية إلى كل أقطار عالم الإسلام.. واستمرت فى حملها وإشاعتها نحوا من أربعين عاماً هجرياً [١٣١٥ - ١٣٥٤هـ ـــ ١٨٩٨ - ١٩٣٥م] فكانت ديوان النهضة الإسلامية طوال ذلك التاريخ.

ولأنها «ديوان» مدرسة فكرية وليست منبراً يتوقف عطاؤه بوفاة صاحبه.. فلقد عاود الشيخ حسن البنا [١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ ١٩٠٦ - ١٩٤٩م] - الذى حضر بعض دروس رشيد رضا - إصدار [المنار] بحجمه.. وشكله.. وتسلسل أعداده ومجلداته وأجزائه - بعد وفاة رشيد رضا - وذلك فى غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨هـ ١٨ من يوليو سنة ١٩٣٩م.. واستمرت تصدر أربعة عشر شهراً.. بل إن الشيخ البنا، عندما شرع فى تفسير القرآن الكريم، بدأ من حيث انتهى رشيد رضا، الذى سبق وبدأ هو أيضاً من حيث انتهى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده - وهو التفسير الذى اشتهر - لنشره فى المجلة - بـ[تفسير المنار] -..

***

قراءة إيمانية فى كتاب الكون والحياة

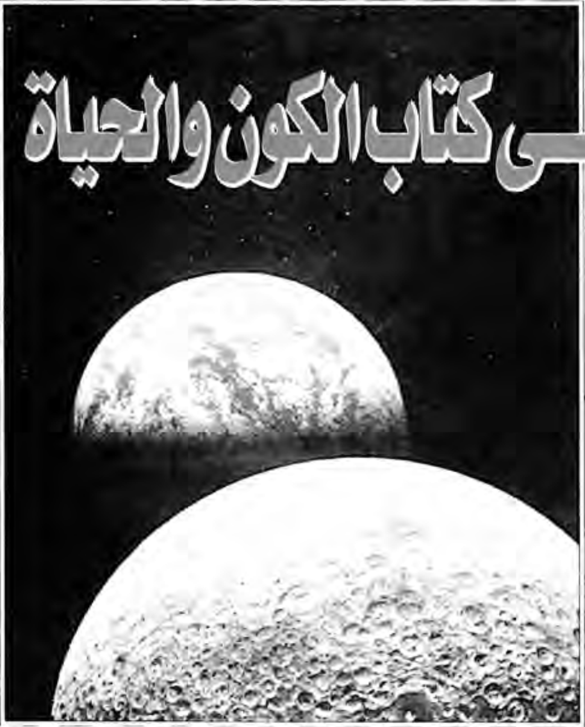

للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا(*)

مواقع النجوم

قال تعالى :

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾(١).

يشير القرآن الكريم هنا إلى عظمة السرّ المودع فى مواقع النجوم التى هى مواضعها بالنسبة لبعضها البعض فى السماء، وبالنسبة لمن يراها أو يرصدها من أى مكان فى الكون، ويشمل ذلك ما يفصل بينهما من مسافات شاسعة، بالإضافة إلى تحركاتها المقدَّرة لها فى أفلاكها وعظمة القسم إن كانت وصفا من الله – سبحانه وتعالى – كان تقبيرها حق قدرها فوق مقدور البشر، لكن الله – سبحانه وتعالى – ينبهنا إلى أن إدراك بعض جوانب وأسرار هذا القسم العظيم لا يتم إلا بإعمال العقل وتحصيل العلم.

والحديث عن مواقع النجوم من الناحية العلمية يتطلب التعامل مع مسافات فلكية أكبر كثيراً من تلك التى نعتاد قياسها على الأرض بوحدات المتر والكيلو متر. وكان بعض القدماء يقدرون المسافات على أساس عدد الأيام اللازمة لقطع المسافة سيرا على الأقدام أو ركوبا على الخيل أو الجمال. لكن الأمر يختلف عند قياس أبعاد الكواكب والنجوم، حيث اتفق العلماء على وحدة جديدة للقياس هى « السنة الضوئية » أى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة أرضية كاملة (٣٦٥ يوما). وإذا كانت سرعة الضوء من الثوابت الكونية المعروفة وتساوى ثلاثمائة ألف (٣٠٠٠٠٠) كيلومتر فى الثانية، فإنه بعملية حسابية بسيطة تكون السنة الضوئية مساوية لحوالى

(*) الكاتب نائب رئيس جامعة القاهرة.

(١) سورة الواقعة: (٧٥ – ٧٦).

٩,٥ مليون مليون كيلو متر، أى أن السنة الضوئية فى حقيقة الأمر وحدة طولية لقياس المسافات الشاسعة فى الفضاء الكونى. فبدلاً من أن نقول: إن الشمس هى أقرب النجوم إلينا وتبعد عنا مسافة ١٥٠ مليون كيلو متر، وهذه المسافة يقطعها الضوء فى ثمان دقائق وثلث، فإنه يمكن القول بأن المسافة بيننا وبين الشمس تساوى ٨,٣ دقيقة ضوئية.

وعلى هذا الأساس يكون أقرب النجوم إلينا بعد الشمس هو النجم الخافت الذى يسمى (ألفاقنطورس) ويبعد عنا مسافة ٤,٤ سنة ضوئية، أى ما يعادل ٤٢ مليون مليون كيلو متر تقريبا.. وهذا يعنى أن الناظر إلى نجم (ألفاقنطورس) يرى الضوء الذى انبعث منه منذ ٤,٤ سنة بعد أن قطع مسافة ٤٢ مليون مليون كيلو متر تقريبا، أى أن الناظر الآن إلى هذا النجم يراه بحالته التى كان عليها منذ ٤,٤ سنة. فالحاضر هنا على الأرض يكون ماضيا هناك بسبب البعد الشاسع للنجوم.

وإذا كان هذا شيئا يفوق الخيال بالنسبة لنجم «ألفا قنطورس» الذى هو أقرب النجوم إلينا بعد الشمس، فكيف نتخيل مواقع النجوم الأخرى التى تبعد عنا وعن بعضها البعض بلايين السنين الضوئية، ولا نرى منها إلا النذر اليسير فى صفحة السماء الصافية. فعلى سبيل المثال هناك نجم الشعرى اليمانية، وهو أسطع النجوم التى نراها فى السماء، ولكنه ليس أقربها. يقع هذا النجم على بعد ٩ سنوات ضوئية.

وعندما يمتد البصر ولا يرى شيئا، فإنه يستعين بالمقاريب (أجهزة التلسكوب) المزودة بكاميرات التصوير الفوتوغرافى والإلكترونى، ويستطيع أن يستقبل الضوء غير المرئى المنبعث من مجرات تبعد عنا أكثر من بليون (ألف مليون) سنة ضوئية. ولقد ساعدت المراصد الفلكية حديثا على اكتشاف نجوم ومجرات وأشباه نجوم تبعد عنا أكثر من عشرة بلايين سنة ضوئية، وهذا يعنى أن ما نرصده الآن من هذه النجوم قد حدث وتم فعلا منذ بلايين السنين، وأن الله وحده هو العليم بشأنها وحالها اليوم، فلم يكن الإنسان قد وجد بعد على الأرض عندما انبعث الضوء من هذه النجوم منذ عشرة بلايين سنة ضوئية.

ويزداد العقل دهشة عندما يعلم أن كل هذه النجوم تتحرك بسرعات هائلة لا ندركها نظرا لبعدها الهائل عنا. فالشمس - على سبيل المثال - تجرى بسرعة ١٩ كيلو متراً فى الثانية، وتدور حول نفسها مرة كل ٢٧ يوما فى المتوسط، ويجرى مع الشمس مجموعتها الشمسية بسرعة فائقة تبلغ ٢٢٠ كيلو متراً فى الثانية منتمية لمجرتنا المعروفة باسم «الطريق اللبنى» أو «درب التبانة»، وهذه المجرة تدور حول نفسها مرة كل ٢٥٠ مليون سنة. وكل النجوم الأخرى تدور حول نفسها وحول المجرة التى تنتمى إليها، وتتباعد المجرات عن بعضها البعض فى فضاء الكون السحيق، وتتغير مواقع النجوم فيها دون أن نشعر بذلك على الأرض، ولا يزال العلم عاجزاً عن كشف ا لكثير من أسرار هذه المواقع التى أقسم الله بها..

﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾(٢).

---

(٢) سورة الواقعة: (٧٦).

من آيـــات الله فى الأنفــس

لا تقتصر معجزات الخلق الإلهى على نوع أو آخر من المخلوقات التى نراها كل يوم حولنا، بل تمتد إلى الإنسان نفسه، ليكون الدليل قائما بينا وواضحا تحت أبصارنا فى كل حين. فجسم الإنسان الذى نراه كل يوم فى أنفسنا أو فيمن هم حولنا من البشر هو بنا ءعجيب على أكبر جانب من الدقة وحسن المظهر وجمال التنسيق.

وقد أراد الله - سبحانه وتعالى - أن يلفت أنظارنا إلى هذا البناء الدقيق لنقف على حقيقة واضحة تدلنا على عظمة الخالق وجمال الخلق، فقال تعالى:

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(٣).

وقال:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(٤).

فإذا اعتبرنا نعمة «اللسان» التى امتن الله بها على الإنسان فى صورة استفهام تقريرى لكى يعتبر ويتعظ ويتأمل فى أسرارها، وذلك فى قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾(٥).

نجد أن العلم الحديث قد ساعد على تجلية بعض الجوانب الإعجازية فى تركيب اللسان والإحساس بالذوق. فالإنسان يتناول فى حياته اليومية عديداً من الأطعمة المختلفة والمشروبات المتنوعة، وهو فى تذوقه لها يعتمد على اللسان فى الإحساس بالذوق ومعرفة ما إذا كان الطعام أو الشراب به ملح قليل أو كثير، أو أنه حلو بدرجة مقبولة أو شديد الحلاوة. كما أننا إذا تناولنا أى نوع من الأدوية ندرك على الفور أن هذا الدواء مرّ أو أنه شديد المرارة. ومعنى هذا أن الإنسان يستطيع عن طريق اللسان أن يميز بين مختلف المواد الموجودة فيما يتناوله من طعام أو شراب، لا من حيث نوعية هذه المواد فقط، بل أيضا من حيث تركيزها فى الطعام والشراب.

ويعزى العلماء قدرة اللسان على تذوق المواد والتعرف على خصائصها وتركيزاتها إلى «البراعم الذوقية» المنتشرة على سطح اللسان وجوانبه، ويوجد منها ما يقرب من العشرة آلاف برعم تستقر بين خلايا الغشاء المخاطى الذى يغلف اللسان، ويتكون كل برعم ذوقى من مجموعة من «الخلايا الحسية» الخاصة التى تتجمع معها على هيئة المغزل، وتخرج من أطرافها الداخلية «النهايات العصبية» التى تحمل الإحساس إلى المخ.

وهناك أربعة أنواع من الإحساسات بالذوق عند الإنسان، هى: الحلاوة والملوحة والمرارة والحموضة، فهو يستطيع التعرف عليها وإدراك وجودها فى سهولة تامة ولا يتم مثل هذا الإحساس إلا إذا كانت المادة المذاقة قابلة للذوبان فى الماء، أما المواد غير القابلة للذوبان - كالطباشير مثلا - فإنها تكون عديمة الطعم.

وهكذا فإن المواد التى نتناولها لا نحس بطعمها عند وصولها إلى الفم إلا بعد ذوبانها فى اللعاب، لأن النهايات العصبية المرتبطة ببراعم الذوق تتأثر بالتغيرات الكيميائية، ولذلك يطلق على حاسة الذوق أحيانا أنها «حاسة كيميائية».

(٣) الذاريات: (٢١). (٤) التين: (٤). (٥) البلد (٨، ٩).

والواقع أن الأجزاء المختلفة من اللسان لها تخصصات مختلفة فيما يتعلق بإحساسات الذوق، فبراعم الذوق التى تتأثر بالمواد الحلوة توجد بصفة رئيسية عند طرف اللسان ـ وتوجد البراعم التى تتأثر بالملوحة على جانبى اللسان وطرفه، بينما تتركز البراعم الخاصة بالإحساس بالمرارة على السطح العلوى لمؤخرة اللسان، ولذلك فإن الإنسان عندما يتناول قرصا من «الأسبرين» المر مثلا، فإنه لا يحس بمرارته عند ابتلاعه بسرعة، أما إذا تباطأ فى ابتلاعه فسرعان ما يذوب جزء منه فى اللعاب، ويتم الإحساس بهذه المرارة عند وصول القرص إلى نهاية اللسان.

ونجد القرآن الكريم لم يقتصر على ذكر «الذوق المادى» كما فى قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾(٦)

بل إنه تطرق إلى «الذوق المعنوى» أو المجازى كما فى قوله تعالى:

﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾(٧)

وقوله سبحانه:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾(٨).

من آيات المطر

قال الله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(٩).

تشير هذه الآية الكريمة بأسلوب معجز إلى مراحل تكوين المطر، بدءاً من عملية السحاب التى يشير إليها القرآن الكريم فى هذه الآية بكلمة «فتثير»، وهى تعنى أن الرياح التى يرسلها الله ـ سبحانه ـ ويطلقها هى التى تظهر السحاب وتجعله واضحا للعين بعد أن كان بخاراً شفافا لا يرى فى الهواء الجوى.

ومن فضل الله على عباده أن جعل دورة تبخير المياه من الأرض والتكثيف فى السحاب مستمرة دون طلب منا، وجعل الرياح مسخرة لأداء هذا الدور بإذنه تعالى، فالريح هى التى تظهر السحاب فعلا بعد خفائه، ثم يبسطه الله بعد ذلك فى السماء كيف يشاء، أى ينشره فى السماء بأحد الأشكال التى توجد عليها السحب المعروفة، وهى السحب البساطية الممتدة كالبساط، أو السحب المتراكمة أو الركامية التى تنمو رأسيا إلى ارتفاع ما بين ١٥ إلى ٢٠ كيلو متراً، ويجعل الله السحاب بعد ذلك كسفا، أى قطعا كبيرة يخرج من خلالها الودق، أى المطر، وعندئذ يستبشر الناس فرحا بهذا المطر.

ومما يلفت النظر فى الآية الكريمة أن الله – سبحانه وتعالى – نسب إرسال الرياح، وسوق السحاب لنفسه، فهذان مظهران لإرادته – سبحانه – يدلان الإنسان مهما أوتى من العلم على أن وراء هذا الكون إلها حكيما قادراً مدبرا.

فتبارك الله أحكم الحاكمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(٦) الأعراف: (٢٢). (٧) الأنفال: (٣٥). (٨) العنكبوت: (٥٧). (٩) الروم: (٤٨).

عالمية الأدب الإسلامي في فكر بديع الزمان النورسي

للدكتور / عبد الحليم عويس

في البداية - على سبيل التخلية - كما يقولون - يدحض النورسي الآداب المادية واللادينية والعنصرية ثم يقوم بعد رفضه لهذه الآداب الأوروبية وفضح أسسها وبيان طبيعة بنائها الفكرى وأهدافها اللادينية، وبعد رفضه للتيارات الأدبية التركية وغير التركية في المحيط الإسلامي، والتي تعتمد على التيارات الأوربية وتسعى إلى أن تكون مجرد رشح لها، ومتأوربة مثلها، دون غربلة أو تمحيص أومراعاة لطبيعة الإنسان الشرقي المسلم وبيئته مهبط الرسالات السماوية.

بعـــد هذا كله يصـــرح النورسي بأنه لابديل للمسلمين - ولا لغير المسلمين - من الأدب الإسلامي القائم على الأسس العقيدية والفكرية والإنسانية الربانية، والسعي إلى أهداف سامية تليق بالإنسان، والذى يعتمد آليات وأجناسا تقوم على الصدق والوضوح والارتفاع بالنفس الإنسانية والوجدان وتهذيبهما وصولا بهما إلى الانسجام مع الكون الذى يسبح كله بحمد الله - سبحانه وتعالى - وإن هذا الأدب الإسلامي الملتزم هو - وحده - الأدب الذى يمثل الإيمان والوجدان اللذين يعدان قلب الحضارات، كما يمثل العلم بمنجزاته المتعددة عقل الحضارات والمادة بثقلها وضغطها تمثل جسد الحضارة - وعلى النقيض من تأثير هذا الأدب الإسلامي، تتوارى وتختفي في عصور الهيام بالمادة وهيمنتها على العقل والوجدان بواعث الإيمان ومظاهره في النفس والمجتمع، ويصبح العقل خادما لاسيدا..

وفي ظل فلسفة المادة هذه يتخلى الإيمان والعقل عن دورهما الهام في قيادة النفس والمجتمع، والسيطرة على ميادين الحياة بعدما أضحت الحياة نفسها (مأساة وملهاة) حين أمسكت فلسفة المادة بكل الخيوط، وأضحت مفاهيمها هي التي توجه مسيرة الحياة والأحياء.

وتلك هي معاناة مدنية الغرب التي بدأت تتآكل من داخلها بجراثيم الوضاعة والمعصية والكوكايين والهيروين والأيدز[1].

---

(١) إبراهيم أبومحمد ص٥٦ نشر سوزلر القاهرة ط١ سنة ٢٠٠٢.

وفى مقابل الرؤية المادية الجزئية لرسالة الأدب ـ كانت واقعية الإسلام العظيم ـ وعالميته أيضا ـ حين جمع فى منهجه بين الدنيا والآخرة، وعالم الغيب وعالم الشهادة، والمادة والروح، والملك والملكوت، والعقل والقلب، والسيف والقلم، والحرية والانضباط، والفن والأدب، و الالتزام الداخلى.. وهو تكامل لايصلح الوجود الإنسانى إلا به، ولاترتقى الحياة وتزدان بدونه، حتى يطغى جانب على آخر، ولايشبع جانب ويجوع آخر، فيتم التركيز على الأدب والفن والوجدان، ويهمل العقل أو المادة.. لكن بهذا التكامل يتوازن الإنسان مع ذاته أولا، مع البيئة من حوله، ومع الوجود كله باعتباره جزءا من هذا الوجود وعنصرا من عناصره المؤثرة فيه والمتأثرة به [٢].

ويلفت بديع الزمان سعيد النورسى نظرنا بشدة إلى هذه الحقيقة فيقول: «إن الذين يبحثون عن كل شىء فى المادة عقولهم فى عيونهم، والعين لا تبصر المعنويات».. بينما قد يمزج النورسى فى رؤيته بين جمال الفكر وروعته، وبين متع الحياة ولذاتها فى داخل النفس، وهو الجانب الذى يقوم الأدب الإسلامى بتحقيقه من خلال استخدامه لأجناس الأدب ورؤيته الجمالية والنورانية التى يجمع فيها بين عمق الرؤية الإسلامية وبين شروط الأدب التى لاخلاف حولها.

يقول النورسى: «من أحسن رويته حسنت رؤيته وجمل فكره، ومن جمل فكره تمتع بالحياة والتذ بها»[٣] والنورسى هنا ـ كما يقول الدكتور كمال أبومحمد ـ قد جمع أبرز القيم الرءوية المعنوية التى يحققها الأدب الصحيح وهى إحسان الرؤية للأشياء، فالأشياء فى حد ذاتها مادية، ولكن النظر إليها بعين المسلم والفنان تضفى عليها بعدا آخر، وحسا جديدا، وما كان الوجدان يستشعره ويحس به لولا إحسان الرؤية، وإحسان الرؤية هنا مبعثه النظر إلى فلسفة الأشياء لا إلى الأشياء نفسها، فالصور الجامدة لاتبقى جامدة فى تصور الذين ينظرون إليها نظرة تفكر وتأمل، وإنما تبدو من خلفها حكمة عليا، وإرادة تتسم بالدقة والإحكام، وعلم يحيط بالأشياء من كل جانب، ويلحظ الرباط القوى بين النسب والأحجام والكتل والأوزان [٤].

ومن هنا كانت رؤية النورسى لوظيفة الأدب، فى إطار إنسانيته وإسلاميته رؤية قادرة على توجيه الأدب وجهة عالمية إيجابية بناءة تقود إلى الخير العام والانسجام الإنسانى.

لقد فهم تلامذة بديع الزمان المباشرون من طلاب النور هذا التوظيف النورسىّ للأدب، فلهذا أشاروا إليه فى مقدمتهم لبعض منظومات النورسى (اللوامع) التى تشبه الشعر وتأخذ بعض قوالبه وماهى بالشعر، وماقصد هو أن تكون شعرا وإنما أرادها خواطر تأخذ أجمل ما فى الشعر وأجمل ما فى النثر.

لقد ذكر تلامذته (صنغور، ومحمد فيضى، وخسرو) أن هذا الديوان المرسوم (باللوامع) لايجرى مجرى الدواوين الأخرى على نمط واحد متناولا عددا من المواضيع وذلك لأنه كتب على أسلوب النثر، زد على ذلك أنه لايجنح إلى الخيالات والانطلاق من أحاسيس غير موزونة كما هو فى سائر الدواوين، فلا يضم هذا الديوان بين دفتيه إلا ما هو موزون بميزان

---

(٢) المكان السابق.

(٣) الكلمات ص٦٠٦.

(٤) إبراهيم أبومحمد: المرجع السابق ٥٩، ٦٠.

المنطق وحقائق القرآن والإيمان.

ولقد اقتدى أستاذنا واستفاض من نور:

﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ ﴾(٥) فما كان له ميل إلى النظم والشعر ولم يشغل نفسه بهما أبدا وقد تم تأليف هذا الديوان الشبيه بالمنظوم خلال عشرين يوما ومع وروده فطريا وطبعه كما ورد دون أن يطرأ عليه تصحيح أو تشذيب أو تدقيق يجعلنا نراه خارقة من خوارق رسائل النور، فلا نعلم ديوان شعر مثل هذا يسهل قراءاته نثرا دون تكلف.

وفى مقدمة الديوان وتحت عنوان (تنبيه) يؤكد النورسى رؤيته للشعر المنضبط بالآلام فيقول:

ولم أشأ قط تغيير صورة الحقيقة لتوافق هواء القافية نظير التضحية بصافية فداء القافية.

[وهى قصة امرأة تركية طلقها زوجها لتستقيم له القافية] ولأجل هذا فقد ألبست أسمى الحقائق أردأ الملابس فى هذا الكتاب الخالى من القافية والنظم، وذلك:

أولاً: لأننى لا أعلم أفضل من هذا فكنت أحصر فكرى فى المعنى وحده، دون اللفظ.

ثانيا: أردت أن أبين بهذا الأسلوب نقدى لأولئك الشعراء الذين ينحتون الجسد ليوافق اللباس.

ثالثا: أردت إشغال النفس أيضا بالحقائق العالية مع انشغال القلب بها فى هذا الشهر المبارك شهر رمضان.

وعن الأسلوب الشعرى فى رسائل النور، يقول شريف ماردين: إن اللهجة الأدبية لبديع الزمان تنطوى على أسلوب إيمانى غنى بالمجازات، لذا فهذا الأسلوب المغلق الذى يهز المشاعر اكتسب قوة ساحرة.

ويشبه « جميل مريج » رسائل النور بالريح العاصفة أما « سزائى قارافوج » عندما يؤكد على تأثير هذه المؤلفات بإيقاعات كلماتها وأسلوبها يقول: إن رسائل النور هى كليات ثقافة إسلامية وحدها، وهاتان جملتان من رسائل النور: إن الكرة الأرضية مأمورة وموظفة من الفرد الواحد - سبحانه - وهى كالجندى المطيع لله الواحد الأحد فحينما، تستلم الأمر الواحد، الصادر من أمرها الأحد، تهب منتشية بأمر مولاها وتنغمر فى جذبات وظيفتها فى شوق عارم، وتدور كالمريد المولوى العاشق - عند قيامه للسماع - فتكون وسيلة لحصول المواسم الأربعة.

ثم إن الإيمان قد بصرنى بعلم اليقين، إن ما يبدو بنظر الغفلة من الثمرة الوحيدة التى هى فوق شجرة العمر على شكل نعش وجنازة. إنها ليست كذلك، وإنما هى انطلاق من الروح - التى هى أهل للحياة الأبدية ومرشحة للسعادة الأبدية من وكرها القديم إلى حيث آفاق النجوم للسياحة والارتياد(٦).

لقد رفض النورسى أن يكون خياله الشعرى خيالا هائما جامحا.

وكان النورسى عندما ألزم نفسه هذا المنهاج فى الشعر أو فى النثر الفنى الذى يتشبه بالشعر - إنما أراد أن يقدم لنا خلاصة رؤيته للأدب الإسلامى الذى يجب أن تكون رسالته عالمية وإنسانية معبرة عن المفاهيم القرآنية وغاياتها.. وكأنه - أيضا - يقول للشعراء المسلمين: هكذا يجب أن يكون الخيال الإسلامى.. فحتى وهو فى قمة جنوحه وعطائه الخيالى يجب أن يستشعر رسالته ومسئوليته.

---

(٥) ياسين (٦٩).

(٦) محسن قالقبشيم: الميزة الشعرية لرسائل النور، المؤتمر العالمى، بديع الزمان سعيد النورسى من ٢٤-٢٦/٩/١٩٩٥، ص٦٨٤ - ٦٨٥.

مَكَانَةُ الشُّهَدَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

لايقدم على الشهادة فى سبيل الله إلا كل مؤمن صادق الإيمان، قوى اليقين، متصل بربه - سبحانه وتعالى -

ينظر إلى الدنيا على أنها طريق للآخرة، وأنها فانية ولا بقاء فيها ولا خلود، وينظر إلى الآخرة على أنها دار الخلد والبقاء، ويوقن أن الجهاد فى سبيل الله لايقصر الأجل، وأن الجبن والخوف وعدم الجهاد لايطيل الأجل فلكل نفس ميقات أجل لاتستأخر عنه ساعة ولاتستقدم عنه أخرى.

ومن هنا تبرز قيمة العهد والعقد الذى تم بين الله - تعالى - وبين المؤمنين، إنه عهد يقدم فيه الإنسان المؤمن نفسه وماله فى سبيل الله، قال الله - تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(١).

وإن هذا الفوز العظيم يستشعره المؤمن قبيل الشهادة فى سبيل الله حيث تتجلى له البشريات، ويشم رائحة الجنة.

عن زيد بن ثابت - رضى الله عنه - قال: بعثنى رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع - رضى الله عنه - وقال: «إن رأيته فأقرئه منى السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك؟» قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فوجدته وهو فى آخر رمق وبه سبعون ضربة، مابين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم فقلت له: ياسعد إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: أخبرنى كيف تجدك؟

قال: «على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: يارسول الله أجدنى أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: «لاعذر لكم عند الله إن يخلص إلى رسول الله ﷺ شىء يكرهه وفيكم عين تطرف».

(١) سورة التوبة (١١١).

وفى هذا الحديث إشارة إلى أن الشهيد قبل أن تفيض روحه إلى بارئها يبشر بالجنة ويشم رائحتها كما قال سعد - رضى الله عنه: «أجدنى أجد ريح الجنة».

وقد وضح القرآن الكريم مكانة الشهداء، ومنزلة الشهادة فى سبيل الله - تعالى - حيث بين أنهم أحياء عند ربهم يرزقون قال سبحانه:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٢).

وروى فى سبب نزول هذه الآية الكريمة،

عن ابن عباس - رضى الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولاينكلوا عند الحرب، فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم.، فأنزل الله:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾

الآية، وروى فى سبب نزول هذه الآية الكريمة - أيضا - أن جابر بن عبدالله - رضى الله عنه قال - : لقينى رسول الله ﷺ فقال: «ياجابر مالى أراك منكسا مهتما؟ قلت: يارسول الله: استشهد أبى وترك عيالاً وعليه دين فقال: ألا أبشرك بما لقى الله - عز وجل - به أباك؟ قلت: بلى يارسول الله، قال: إن الله أحيا أباك، وكلمه كفاحا [أى مواجهة] - وما كلم أحدا قط إلا من وراء حجاب، فقال له: ياعبد الله تمنَّ أعطك قال: يارب أسألك أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال الرب - تبارك وتعالى: إنه سبق منى أنهم إليها لايرجعون، قال يارب فأبلغ من ورائى فأنزل الله:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(٣).

ولقد وعى سلفنا منزلة الشهادة فى سبيل الله، وعرفوا مكانة الشهداء، وكرامتهم عند الله - سبحانه وتعالى - وفى الدار الآخرة، ومن أجل ذلك كانوا يتسابقون على الجهاد ويتشوقون إلى الشهادة فى سبيل الله، ويخفون لداعى المعركة، ومنادى الجهاد، فها هو ذا حنظلة بن أبى عامر - رضى الله عنه - لما دخل على زوجته أول ما دخل بها فنودى بالجهاد إلى غزوة «أحد» من ليلته فخرج مسرعًا إلى الجهاد، حتى أتاه سهم مفاجىء فاستشهد وبعد انتهاء المعركة قال رسول الله ﷺ:

«لقد رأيت حنظلة بن أبى عامر، تغسله الملائكة بماء المزن، فى صحاف الفضة، بين السماء والارض».

---

(٢) سورة ال عمران (١٦٩ . ١٧٠).

(٣) رواه الترمذى وابن ماجه.

فذهب الصحابة إليه وهو فى القتلى فوجدوا شعره يقطر ماء، فقالوا لرسول الله ﷺ ذلك فقال:

«اذهبوا إلى زوجته فاسألوها» فذهبوا إليها فقالت: «إنه أعرس بى أول ليلة فقط، ولما سمع الداعى إلى الجهاد خرج مسرعاً وهو جنب» فرجعوا إلى النبى ﷺ فأخبروه فقال: «من أجل ذلك غسلته الملائكة».

وحين يعلم الشهيد مكانته يزداد شوقه إلى الشهادة، وخاصة عندما يبشر بها ويشم رائحة الجنة وهو على ظهر الدنيا.

كما أن أهله حين يعلمون منزلته لايبكون عليه، بل يزداد إيمانهم بما وعد الله - تعالى - به عباده المجاهدين فى سبيله.

روى أن حارثة بن سراقة لما استشهد فى غزوة بدر أتت أمه وهى بنت البراء إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله ألا تحدثنى عن حارثة؟ فإن كان فى الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء فقال ﷺ: «يا أم حارثة إنها جنان فى الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى».

ولايعلم أحد فى الدنيا ما أعد للشهيد، إنه لايعلم بمنزلته فى الجنة، وإكرام الله - تعالى - له أحد، لايعلم بذلك إلا الله - تعالى - ولايطلع على هذا إلا الشهيد نفسه، عن أنس - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «مامن أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ماعلى الأرض من شىء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»(٤).

ومن تكريم الله - تعالى - للشهيد أن الملائكة تظلله، عن جابر بن عبدالله - رضى الله عنهما - قال: جىء بأبى إلى رسول الله ﷺ، قد مثل به، فوضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهانى قومى، فسمع صوت صائحة، فقيل: ابنه عمرو أواخت عمرو فقال:

«لم تبكى؟ أولا تبكى، مازالت الملائكة تظله بأجنحتها»(٥).

وأعظم بشرى للشهداء، أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه تمنى الشهادة عدة مرات، وبين ذلك موضحاً أهميتها ومنزلتها حيث قال فيما رواه أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأُقتل ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل»(٦).

وواضح أن مقام الرسالة والنبوة أعلى المقامات وأن منزلة خاتم المرسلين عند رب العالمين أعلى المنازل وأنه خير خلق الله، ومع هذا فإنه تمنى أن يغزو ويقتل عدة مرات لما يعلمه من فضل الشهادة فى سبيل الله.

ومن أجل هذا كان يحث أصحابه رضوان الله - تعالى - عليهم أجمعين، ويحث المسلمين قاطبة على الجهاد والاستشهاد

---

(٤) أخرجه البخارى ومسلم.

(٥) أخرجه البخارى ومسلم.

(٦) رواه مسلم.

وكان تعبيره النبوى فى ذلك بليغاً كل البلاغة، دقيقا كل الدقة، فما كان أحياناً حين يدعوهم إلى الجهاد أن يقول لهم: «جاهدوا..» بل كان يقول لهم «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» كما حدث هذا فى يوم غزة بدر الكبرى.

عن أنس رضى الله عنه قال: «انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ:

«لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» فقال عمير بن الحمام الأنصارى رضى الله عنه: يارسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: «مايحملك على قول: بخ بخ، قال: لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها» فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه، إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمرات، ثم قاتلهم حتى قتل»(٧).

وهكذا كان الرعيل الأول من المسلمين يتسابقون إلى الجهاد والاستشهاد، لما يعلمون علم اليقين من مكانة ومنزلة الشهداء عند الله - تعالى - فهم يضحون بأغلى مايمتلكون، ويبذلون أرواحهم فداء لدينهم وأوطانهم، والجود بالنفس أغلى وأقصى غاية الجود، إن ديننا يحثنا على الجهاد وعلى إعداد العدة وأن نكون أقوياء حتى تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وحتى ننصر دين الله فينصرنا الله:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾(٨) وما أحوج أمتنا إلى روح الجهاد والشهادة والبذل والدفاع عن الأقليات الإسلامية، والمستضعفين فى الأرض، ومن أجل أن ندرأ عن الإنسانية المعذبة ظلم الظالمين والمستعمرين، والملحدين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون.. وما أحوجنا إلى أن نمضى على قلب رجل واحد، ونكون يدا واحدة، وأمة واحدة، وواضح أن المسلمين فى الأرض أكثر عدداً، وأكثر عُدداً، وأكثر أموالاً وأولاداً، وموارد بشرية واقتصادية لو تجمعت وتكاملت وتوحدت لأصبحت أكبر قوة ضارية على ظهر الأرض إذا ماسرت فيها روح الجهاد والاستشهاد وأقدمت على تحرير أوطانها، ودرء الخطر والإرهاب الذى يتهدد الأوطان، ولايتم ذلك إلا بروح الإيمان الصادق الذى لايتزعزع، والذى يقدم المخلصون فيه على جهاد أعدائهم بروح يتسابقون معها إلى الشهادة فى سبيل الله.

---

(٧) رواه مسلم.

(٨) الحج (٤٠).

من هو اليهودى ؟!

تأليف

د/ عبدالوهاب المسيرى

٣

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

فى تلك الدراسة الجادة العميقة.. أوضح الدكتور عبدالوهاب المسيرى: أن الهوية اليهودية - فى تعددها المتعارض، غير المحدود - تاريخياً ودينياً لا أساس لها، ولا ثبات، فهى هوية أسطورية، تصنعها الأهواء، وتتطور بها المصالح الطارئة والممتدة عبر الأماكن والأزمان.

وأوضح: أن هذه الضبابية التى تغلف كلمة (يهودى) قد لازمت تلك الكلمة منذ آلاف السنين، على اختلاف فى طبيعة هذا الضباب، وكثافته، وأشكاله، ومصادره، والدوافع إليه.

كما أوضح: أن (الصهيونية) تعد أحدث مصادر هذه الضبابية؛ فقد أرادت أن تنحى جانباً كل مصادر التعدد فى الهوية اليهودية التى سبقت، وأن تصطنع هوية أخرى تمنح اليهود تلاحماً وتوافقاً، وتحقق فى الوقت ذاته مقاصدها الاستيطانية الاستعمارية؛ فاخترعت مصدراً جديداً للهوية؛ مفاده: أن الشعب اليهودى ذاته هو مصدر الشرعية والقداسة، ظناً من هؤلاء الصهيونيين أنهم بهذا التفلت يتفادون أسباب التعارض والتباين فأوقعت اليهود فيما أبعد من ذلك وأعمق فى الخلاف.

التناقض بين الرؤية والممارسة

ويلاحظ الدكتور المسيرى: أن الصهيونيين اللا دينيين حتى عام ١٩٤٨ كانوا يتحدثون بحرية شديدة عن الشعب اليهودى الواحد. وبالتالى يتحدثون عن الهوية اليهودية الواحدة التى يقضون بها على هذا التعدد المطلق المتنافر، حيث كانت كل جماعة يهودية تمارس تجربتها التاريخية، والدينية، والقومية بمعزل عن الجماعات الأخرى، كما وضح فيما تقدم.

ولكن الصهيونيين الدينيين كانوا قانعين بدورهم الثانوى فى الحركة الصهيونية، ولكنهم كانوا يتحينون الفرصة ليفرضوا تعريفهم القومى الدينى الأرثوذكسى.

ولما أعلن قيام الدولة الصهيونية أعلن باعتبار تلك الدولة دولة يهودية، للشعب اليهودى بأسره، داخل فلسطين وخارجها، وعلى أن يهوديتها هو مصدر شرعية وجودها.

ومن هنا... كانت حتمية الوقوف على تعريف الهوية اليهودية!

الأمر الذى استلزم ظهور التناقضات الكامنة.

ولما أصدرت الدولة الصهيونية قانون (العودة) الذى يعطى كل يهودى الحق فى الهجرة إلى إسرائيل أين كان.. وأتبعته بقانون (المواطنة) الذى يمنح الجنسية الإسرائيلية لكل المهاجرين اليهود.

لما أصدرت هذين القانونين أصدرتهما دون تعريف للهوية اليهودية.

وفى قانون (تسجيل المواطنين) جعلت الهوية تشمل الجنسية، والديانة، والقومية، فالجنسية: إسرائيلى، والديانة: يهودى أو مسلم أو مسيحى. أما القومية: فهى عربى بالنسبة للإسرائيليين العرب المسلمين والمسيحيين، وهى: يهودى بالنسبة للإسرائيليين اليهود.

فكان -بذلك- قيام الدولة الصهيونية منبعاً فياضاً لتفاقم التناقضات التى ظهرت فى شتى مناحى الحياة هناك.

١ - وأبرز هذه التناقضات.... ما بدا بين الدينيين واللادينيين من اليهود... بحيث أصبح

من المستحيل تعريف اليهودى الملحد، أو اليهودى القومى، أو اليهودى غير اليهودى.

وقد وضح ذلك التناقض فى موقف (العاهرات)، وتجار (الرقيق الأبيض)، (والقوادين) من أعضاء الجماعات اليهودية الذين تركزوا فى (الأرجنتين)، وكونوا قطاعاً اقتصادياً كبيراً، وجماعة ضغط مؤثرة؛ فقد أصر هؤلاء على انتمائهم وهويتهم اليهودية، فكانت لهم معابدهم الخاصة، وحاخاماتهم الذين يلبون احتياجاتهم الروحية.

٢ ـ ومن هذه التناقضات ذات الخطر الكبير: ما بدا بين (السفارد) و(الإشكناز).

وذلك لأن الممارسة الصهيونية قامت على: أن اليهودى هو اليهودى الأبيض؛ لتتسق مع إطارها الاستعمارى الاستيطانى الغربى... حتى لقد بذل (آرثر روبين) أحد علماء الاجتماع الصهيونى جهداً علمياً فائقاً لإثبات أن اليهودى هو (الإشكناز) وحده، وأن الشرقيين ليسوا يهوداً.

فالتباين بين (الإشكناز)، و(السفارد) تباين عميق، ذو طابع دينى، كما أنه ذو طابع طبقى، وقومى.

وقد وضح هذا التباين من خلال تنوع الأحزاب الإسرائيلية، وبنيتها، وأنماط التصويت فى الانتخابات الى تجرى فى المستوطن الصهيونى.

ومع هجرة اليهود الشرقيين من العالم العربى. والعالم الإسلامى، وغير ذلك من بلاد الشرق... أصبح الشرقيون أغلبية؛ مما ألجأ المؤسسة الحاكمة إلى إخفاء تعريف الهوية اليهودية، والكف عن إطلاق التصريحات العنصرية ضد اليهود (السفارد)، وفى الوقت نفسه... ما زالت الدولة تخضع لتوجه (الإشكناز)، وتحاول القضاء على الأشكال الحضارية التى جاء بها الشرقيون؛ فالنخبة الحاكمة فى إسرائيل -بوجه عام- غربية، وبالدرجة الأولى (إشكنازية).

وهكذا كانت الممارسة الصهيونية نقضاً جذرياً لما قامت عليه الشرعية الصهيونية، التى تزعم أنها حركة الشعب اليهودى بأسره.

٣ ـ ومن تلك التناقضات.... ما كان بين الدينيين من اختلاف، على ما وضح فيما تقدم.

فالأرثوذكس لا يعترفون بيهودية الحاخامات الإصلاحيين، ولا الحاخامات المحافظين، ولا المتهودين على أيدى هؤلاء الحاخامات؛ لعدم التزامهم بما تفرضة الشريعة على المتهود.

٤ ـ ومن تلك التناقضات.... موقف حاخامات الإشكناز والسفارد من يهود الهند المعروفين باسم (بنى إسرائيل)، حيث لم يعترفوا بهم يهودا؛ لممارستهم الزواج المختلط، وعدم معرفتهم التلمود.

وقد وقفوا هذا الموقف نفسه تجاه يهود (الفلاشاه)، حتى إنهم لم يشجعوا هجرتهم طيلة الأعوام الثلاثين الماضية لأسباب كثيرة، منها عدم معرفتهم التلمود.

٥ ـ ما ينشب من صراع حين يتم التزاوج المختلط بين أحد القرّائين أو السامريين، وبين آخر ينتمى إلى الحاخاميين.

وعلى الرغم من حدة هذا الصراع لم تأخذ المؤسسة السياسية موقفاً حاسماً تجاه تلك القضية، وتركتها لتصرف المؤسسة الدينية.

ومع محاولات السلطات الحاكمة إخفاء هذه الصراعات، أو حصرها فى دائرة ضيقة... فإنها لم تستطع ذلك -فيما يقرره الدكتور المسيرى معتمداً على ما قدمه من أحداث شبت بين الأفراد والجماعات، والمحاكم المختلفة، ولم تستطع السلطة حسمها - بل اضطرت فى الغالب إلى إصدار الوعود تلو الوعود بالبحث عن حل يرضى الجميع... دون جدوى.

ولما ثارت مشكلة الهوية بحدة سنة ١٩٨٨ طرح لها حل صهيونى، معتبراً أن قانون العودة قانون سياسى صهيونى لمن يشاء، وقانون دينى لمن يشاء، ويمكن لكل فريق أن يفسره بالطريقة التى يراها.

ولا ريب فى أن مثل تلك الحلول المائعة الغائمة لا تحسم مشكلة، وإن كانت قد تؤجل الصراع بعض الوقت، لتثور من جديد أشد عنفاً، وأعمق بُعداً... مما يتهدد الدولة بالتقويض والانهيار المفاجىء، ويجعل منها هيكلاً أجوف، ينخر السوس فى جذوره؛ لأن الهوية اليهودية قضية محورية -وليست هامشية- فالدولة الصهيونية تكتسب شرعيتها -أمام نفسها، وأمام الكثيرين- من ادعائها أنها دولة يهودية.!

الصراع بين الجماعات اليهودية والمستوطن الصهيونى

ومن ادعاء الدولة الصهيونية أنها دولة يهودية تولدت قضية صراعية أخرى، حول تعريف هوية الصهيونى: هل هو اليهودى الذى يهاجر إلى إسرائيل، أم اليهودى الذى يدعم المستوطن الصهيونى، دون أن يهاجر؟!

فالصهيونية ترى أن الهوية اليهودية خارج المستوطن الصهيونى هوية ناقصة مريضة، يجب إلغاؤها... وهذا ما يسمى (نفى الدياسبورا)؛ أى تصفية الجماعات اليهودية، أو استغلالها.

وأعضاء الجماعات اليهودية يرون أن هوياتهم اليهودية ليست مريضة، وإنما هى جديرة بالحفاظ عليها.

١ ـ وانطلاقاً من المفهوم الصهيونى للهوية اليهودية تتصرف الدولة الصهيونية أحياناً بطريقة لا تخدم صالح أعضاء الجماعات اليهودية، وإنما تخدم مصالحها على حسابهم.

٢ ـ عندما ينظر يهود العالم -خصوصاً المتدينون منهم- إلى الدولة الصهيونية يكتشفون أن هويتها وهوية سكانها ليست يهودية على الإطلاق.

٣ ـ كما يكتشفون أن ممارساتها فى علاقاتها بالآخرين لا صلة لها بالأخلاق اليهودية.

٤ ـ برغم علمنة يهود العالم، وابتعاد المتدينين عن الأرثوذكسية... ظل البعد الدينى أكثر أهمية بالنسبة إليهم من أهميته بالنسبة إلى الإسرائيليين.

٥ ـ ما زالت الجماعات اليهودية الدينية إما معادية للصهيونية، وإما غير صهيونية، وغير ممثلة فى المنظمة الصهيونية.

فالأزمة التى تعتمل داخل الدولة الصهيونية، وفى صفوف الجماعات اليهودية فى العالم نتيجة لمحاولة تبنى التعريف الدينى أو التعريف اللا دينى الصهيونى للهوية... هذه الأزمة تعد أمراً طبيعياً ومتوقعاً؛ لأن أعضاء هذه الجماعات حين

يستوطنون فلسطين يحملون معهم انتماءاتهم، وتجاربهم التاريخية.. شاءوا أم أبوا.

وحين يتبنون تعريفاً صهيونياً لهويتهم.. تنفجر الأزمة؛ إذ تكتشف أغلبيتهم العظمى أنهم ليسوا يهوداً، أو أن يهوديتهم مشكوك فيها، بل ومرفوضة، كما حدث ليهود الهند، والفلاشاه.

تطورات جديدة فى الكيان الصهيونى

وقد أضاف الدكتور المسيرى -فى الطبعة الثانية للكتاب- مبحثين آخرين، رصد فيهما ما جَدَّ على الدولة الإسرائيلية فى داخلها من صراع نشأ عن العلاقة بين الملتزمين بالفكر الأرثوذكسى، والملتزمين بالفكر الإصلاحى والمحافظ.

وقد تمثل هذا الصراع فيما أطلقه الحاخام الأرثوذكسى الإسرائيلى (تسفى هلير شتاين) على اليهود الإصلاحيين من أنهم كفرة، أخرجوا أنفسهم عن الدين اليهودى، وأصبحوا خارج السياج المحيط بشعب إسرائيل، وليست لهم حصة فى أرض إسرائيل؛ فهم طابور خامس، خطره أكبر من خطر التنازل عن أرض إسرائيل للعرب، حتى إنه يفضل أن يعطى الأرض للعرب على أن يساوم عليها فى علاقته باليهودى الإصلاحى والمحافظ.

١ ـ ويشترك الإصلاحيون والمحافظون فى أنهما يحاولان حل إشكالية الحلول الإلهى فى الشعب اليهودى ومؤسساته القومية، بما يجعل منهم شعباً مقدساً، ملتفاً حول نفسه، يشير إلى ذاته، دون الإشارة إلى شىء خارجه.

وقد كانت هذه المحاولة مقبولة حينما كان اليهود يضطلعون بدور الجماعة الوظيفية التى تعزل نفسها عن المجتمع لتلعب دورها المحايد، ولكن مع ظهور الدولة القومية التى ترى نفسها مطلقاً، لا تقبل مرجعية متجاوزة لها... أصبح من الصعب أن تتعايش نقطتان مطلقتان داخل المجتمع الواحد.

من هنا... حاول أعضاء الجماعات اليهودية التخلص من هذه المشكلة، فتوصلوا إلى صيغة حديثة لليهودية يمكنها التعايش مع الدولة القومية الحديثة المطلقة مع إصرارها على أن يعيد اليهودى صياغة ذاته ورؤيته، حتى يدين لها وحدها بالولاء.

وحاولت اليهودية الإصلاحية والمحافظة حل إشكالية الشعب المقدس عن طريق تبنى الحل الغربى للمشكلة، وهو أن يكون الحلول الإلهى فى نقطة ما فى الطبيعة، أو فى الإنسان، أو فى التاريخ.... بحيث يشكل المطلق ركيزة نهائية كامنة فى هذه النقطة، وغير متجاوزة لها.

وبذلك... تخلصت من آثار الحلولية الحادة والجامدة التى كانت تدور فى فلكها اليهودية الحاخامية التى عزلت اليهود عن اليهود وعن مجتمعاتهم، وجعلت معتقداتهم الدينية عبئاً، ينوءون بحمله، وجعلت تعايشهم مع المطلق الجديد مستحيلاً.

كما حاول الإصلاحيون تأكيد الجانب العقائدى والأخلاقى،على حساب الجانب الشعائرى؛ فهم يرون أن اليهودية الحاخامية -بشعائرها المرتبطة بالدولة والهيكل- لم يعد لها أية فعالية أو شرعية.

وهكذا... انتهى الأمر بالإصلاحيين إلى خلع النسبية على كل العقائد، ونزع القداسة عن كل شيء، حتى إنهم أنكروا فكرة البعث، والجنة والنار، وأحلوا محلها فكرة خلود الروح.. إلى غير ذلك من الأفكار التي ذكر الدكتور المسيرى طرفاً منها، والتي انتهت بهم إلى رفض الصهيونية، ورفض وعد (بلفور)، وكل المحاولات التي تنطلق من فكرة (الشعب اليهودى).

ولكن ارتباط المصالح الغربية بالصهيونية، فرض على اليهودية الإصلاحية أن تتخلى عن رؤاها، وأن تعود إلى فكرة القومية اليهودية الصهيونية، والأرض المقدسة.

ومع ازدياد النفوذ الصهيوني داخل الإصلاحيين، بدأ الإصلاحيون -من منتصف سبعينيات القرن العشرين يساهمون في الحركة الصهيونية.

٢ـ ومع هذا التوافق بين الإصلاحيين والمحافظين في الجذور الفكرية... وقفت اليهودية المحافظة ضد التيار الإصلاحي؛ فنادوا بأن يكون أى تطوير نابعاً من أعماق الروح اليهودية، لا من خارجها، ورأوا أن الشريعة ملزمة لليهودي؛ فمُثُل اليهودى العليا يتم تفسيرها من خلال الشريعة، على أن تظل الشريعة مرنة مرونة كافية، بحيث تترك مجالات للتغيير والتعددية الفكرية التي تجعلها قادرة على مواكبة العصر الحديث.

وبذلك... عادت اليهودية المحافظة إلى واحدة من أهم الطبقات في التركيب الجيولوجى اليهودى، وهى الطبقة الحلولية التى أدت إلى واقع أن الإله لم يتمتع قط بالمركزية التى يتمتع بها داخل الأنساق الدينية التوحيدية؛ فهو يمتزج بالشعب والأرض، ويتساوى معهما، وتميل الكفة -داخل النسق الحلولى بالتدريج- لصالح الشعب، على حساب الإله حتى يصبح الشعب وتراثه مصدر القداسة، لا الإله.

ومن هنا... عرَّف المحافظون أهدافهم بأنها الإصرار على وحدة إسرائيل والكاثوليكية العالمية، والإصرار على الحافظ على استمرار التراث اليهودى، والاهتمام بالدراسات اليهودية.

ويلاحظ الدكتور: أن الفكر الصهيونى يشبه -في كثير من الوجوه- فكر اليهودية المحافظة؛ فكلاهما يتبنى مقولات اليهودية الأرثوذكسية الحلولية بعد أن عَلْمنها كل منهم على طريقته؛ فبينما يؤكد الأرثوذكس الأصول المقدسة الربانية للتراث اليهودى، يرى المحافظون: أنه تراث مقدس.

وبينما يصر الأرثوذكس على مقولة: (إن الدين اليهودى هو القومية اليهودية)... يحاول المحافظون تمويه هذه الحقيقة بالحديث عن الروح المقدسة للشعب، وجعلها مصدر القداسة، بدلاً من الإله.

ويدعم الدكتور هذه الملاحظة بذلك القرار الذى أصدرته الجمعية الأمريكية للحاخامات بانضمام المعابد اليهودية المحافظة إلى المنظمة الصهيونية العالمية بشكل جماعى.

ومن هنا... بدأت اليهودية المحافظة تحقق نجاحاً ملحوظاً في إسرائيل، ثم بدأت محاولات جادة لتوسيع نطاق الحركة، ليشمل التجمع الصهيونى كله.

٣ـ وترى اليهودية الأرثوذكسية -وهى اليهودية الحاخامية التلمودية-: أن الإله أوحى إلى موسى

التوراة فوق جبل سيناء؛ فالتوراة كلام الإله، كتبها حرفاً، حرفاً. وعلى الشعب اليهودى اتباع هذا الكتاب المقدس، إلى أن يأتى وحى جديد.

ومع هذا... يلاحظ: أن الأرثوذكس يختلفون -فيما بينهم- حول تحديد أى أجزاء من التوراة هى التى أوحى بها الإله مباشرة، وحول تفسير التوراة، وحول أزلية التشريعات، وعدم أزليتها.

ثم هم يتمسكون بالتعريف الحاخامى لليهودى: بأنه من ولد لأم يهودية، أو تهود على يد حاخام أرثوذكسى.

ويعتقدون اعتقاداً حرفياً بصحة العقائد اليهودية الحلولية، مثل: الإيمان بالعودة الشخصية للماشيِّح، وبالعودة إلى فلسطين، وبأن اليهود هم الشعب المختار.

ولذلك... يحاول الأرثوذكس الانفصال عن بقية الفرق اليهودية الأخرى، حتى يمكنهم الحفاظ على جوهر اليهودية الحقيقى.

أى إن الفكر الأرثوذكسى يعادى الصهيونية تماماً. ولكن هذه الأرثوذكسية تمت صهينتها على يد بعض الحاخامات الأرثوذكس خصوصاً بعد سنة ١٩٩٧م.

والمؤسسة الأرثوذكسية فى إسرائيل لا تعترف باليهودية الإصلاحية، ولا باليهودية المحافظة، ولا بحاخاماتها، ولا بالزيجات التى يعقدونها، ولا بمراسيم التهود التى يقومون بها.

ويدعو زعماء اليهودية الإصلاحية: إلى أن تكون المساعدات التى تخصص للمؤسسات الإصلاحية فى إسرائيل متناسبة مع حجم تبرعات اليهود الإصلاحيين، ومع هذا يصب معظمها فى المؤسسات الأرثوذكسية.

ويؤكدون مركزية الدياسبورا (الجماعات اليهودية خارج فلسطين) مقابل مركزية إسرائيل، كما يحاولون تغليب الجانب الدينى على الجانب القومى.

تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى

وتحت عنوان: (من هو اليهودى عام ١٩٩٨م) قدم الدكتور المسيرى المبحث الثانى المضاف إلى الطبعة الثانية من الكتاب، وفيه استعرض المقصود بكلمة (أصولى) التى أطلقت على الأرثوذكس الذين يرفضون كلاً من الإصلاحيين، والمحافظين، منبهاً إلى أنها استخدمت فى سياقات عديدة، قد يباين بعضها البعض، ومصرحاً بأن الأصولية اليهودية تستخدم فى الخطاب السياسى العربى والغربى للإشارة إلى شكل من أشكال التطرف الدينى المتمثل فى الأرثوذكس، وبأن هذه الأصولية أصبح بمقدورها التحكم فى رياسة الحكومة، وإسقاط الحكومات، وأن أعضاءها يستأثرون بوزارات المستقبل (التعليم - الإسكان - الأراضى - المهاجرين - الأديان).

وأن الأطروحات الأساسية لهذه الأصولية كما يلى:

١ - أن إنشاء دولة إسرائيل هو تجسيد للحلم التوراتى اليهودى القديم - وإن كانت الحركة الصهيونية التى أسهمت فى إنشائها لم تكن حركة دينية، وإنما كانت فكرة سياسية علمانية - فتلك الدولة- وعد دينى يتحقق على يد علمانيين.

٢ - أنه لا يمكن الثقة فى الأغيار بأى شكل، وأرض إسرائيل الكبرى هى أرض يهودية، ولا بد للدولة اليهودية أن تعتمد على نفسها وحسب، رغم كل المساعدات الخارجية التى تصب فيها؛ فهم يستقبلون كل هذه المساعدات من الغير، ولكنهم لا يقبلون شيئاً من الموازنات الدولية.

ثم إن هذه المقولات ليست -بالضرورة- مقولات دينية؛ إذ يمكن لأى حزب علمانى أن يتبناها؛ فاليمين المؤيد (لنيتنياهو) يضم متدينين قوميين، مثل (حزب المفدال، وشاس، وديجيل هاتوراه) إلى جانب (أحزاب موليديت، وكاخ، وإسرائيل بعالياه، وتسوميت) الصهيونية غير الدينية.

وهذا يلفت النظر إلى أن إطلاق كلمة (أصولية) -بمعنى التطرف الدينى- على أصحاب هذه المقولات... لا علاقة له بالواقع؛ فالخاصية الجيولوجية التراكمية لليهود تبرر الشىء ونقيضه.

ومع هيمنة الأرثوذكس على الحكومة الإسرائيلية... بدأ عدد اليهود الإصلاحيين، والمحافظين يتزايد فيها، كما تزايد فى أمريكا، حتى أصبح يمثل ٨٥٪ من يهود أمريكا المتدينين.

ومع هذا وذاك: فإن اليهود الملحدين، وكثيراً من المتدينين فى أمريكا يصرون على فصل الدين عن الدولة.

أما الملحدون فى إسرائيل فلا يكترثون بالدين، ولذلك فهم لا يمانعون فى أن يسيطر الأرثوذكس على جميع مناحى الحياة.

من كل ما أدى إلى فقدان الاتزان على مستوى يهود العالم؛ فبينما ترى المنظمة الصهيونية ضرورة فصل الدين عن الدولة. تحاول المؤسسة الأرثوذكسية أن يلعب الدين دوراً أساسياً فى الحياة الخاصة والعامة، وأن تقوم هى بتعريف من هو اليهودى. حتى إن تلك المؤسسة لا تعترف بمراسم التهود والزواج التى يجريها حاخامات إصلاحيون أو محافظون؛ مما يعنى أن كثيراً من الزيجات الى تمت خارج إسرائيل غير شرعية، وأن الأطفال ثمرة تلك الزيجات غير شرعيين.

فلما نجح هؤلاء فى تمرير قانون فى (الكنيست) يلغى الاعتراف بهذه الزيجات، غضب الإصلاحيون والمحافظون بشدة، حتى اضطر (نتينياهو) إلى تقرير إقامة لجنة تضم المسئولين من كل التيارات الدينية للنظر فى الموضوع، والبحث عن حل يرضى جميع الأطراف.

ولكن هذه اللجنة لم تصل إلى ذلك الحل، حتى قرر رئيس الحركة المحافظة أن رفض المتشددين للتسوية بمنزلة إعلان حرب ضد الشعب اليهودى.

ولما تم انتخاب امرأة من التيار الإصلاحى عضواً فى المجلس الدينى لمدينة (نتانيا) ثار جنون الأرثوذكس؛ لأن اليهودية الأرثوذكسية لا تقبل اشتراك النساء فى صلاة الجماعة فى المعبد، ولا تقبل حاخامات إناثاً. فلم يكن أمامها إلا اللجوء إلى المحكمة العليا، لاستصدار أمر يجيز تعيينها، ويؤكد قانونيته، ويأمر وزير الأديان بالمصادقة عليه.

وحتى لا تواجه المحكمة برفض وزير الأديان... اضطر (نتينياهو) إلى الاتفاق مع قيادة (شاس) على إقالة الوزير، على أن يأخذ هو صلاحية وزير

الأديان لمدة ساعة، يوقع بنفسه خلالها على كتاب التعيين، ثم يعيد الوزارة إليه.

ولكن هذا الحل لم يرض الأرثوذكس، فراحوا يهاجمون (نتينياهو)، وقرروا مقاطعة كل مجلس ديني يضم امرأة، أو يضم حاخاماً إصلاحياً أو محافظاً.

وبعـد...

فأرى أن الدكتور عبدالوهاب المسيري ما أراد أن يقف المتلقي على هوية اليهودي فحسب، ولا قصد أن يكشف ما يكتنف تلك الهوية من ضباب، وما يلف شيوعها وكثرتها من تناقض وتعارض فحسب كذلك.

وإنما عمل على أن يقدم صورة واضحة المعالم لليهود عبر العصور الممتدة ذات العمق التاريخي، وفي شتى مواقع الأرض.

وكأني بالدكتور المسيري يقدم تفسيراً من الواقع الحي لقول الله - تعالى - في وصفهم:

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾(1).

وقد حرص الدكتور المسيري -بنهجه العلمي المحايد- على أن تجمع هذه الصورة بين الانعكاسات التاريخية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية، حتى تكون تصويراً صادقاً دقيقاً، يتناسب مع صدق الوصف القرآني ودقته؛ لذلك نرى الدكتور تجشم في سبيل ذلك عناء واضحاً، وبذل جهداً مضنياً، حيث توغل وراء تلك الهوية في أعماق التاريخ، وشرق وراءها وغرب، فتتبع الجماعات اليهودية وتفكيرها، ومعتقداتها، وسلوكياتها في شتى قارات العالم.

وعلى الرغم من محاولة الدكتور تقديم بحثه في الهيئة الميسرة.. نراه قد وقع فريسة التشعب، والتشابه، والتعارض بين تلك الهويات، التي انعكست على فصول الكتاب، ففرضت على المتلقي أن يستصحب الوعي واليقظة مع كل عبارة، حتى يتنبه إلى ما اضطر إليه الدكتور من تكرار يكاد يشمل كل مباحث الكتاب.

ولعل عذر الدكتور المسيري في ذلك... أنه يتعامل مع هويات عجيبة، تقبل الشيء ونقيضه؛ فلكل منها -في كل موقع- وجود. والأمانة العلمية تقتضي أن لا يغفل الدارس هاجسه قد تضيف إلى الصورة معلماً، أو يلقي على إحدى الزوايا ضوءاً موضحاً، وأنه يقدم تلك الصورة الموسوعية في تلك الصفحات المحدودة.

أياً ما كان الأمر... فإن ما يحصله المتلقي من هذا الكتاب كفيل بأن يبدد أثر ما يصيبه من إرهاق ومشقة، ويعين على ذلك: ما امتازت به عبارة الدكتور من دقة، ووضوح، وصحة.

وأياً ما كان الأمر... فإن الصورة التي يقدمها هذا الكتاب ترينا اليهود كياناً هشاً، متناقضاً مع نفسه ومع غيره، على الرغم مما يحاول أن يتظاهر به أو يعلنه.

---

(1) الحشر (14).

بعد القرار الأمريكى بتهويد القدس

مـاذا ينتظـر العـرب والمسلمون؟!

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

من أفدح الأخطاء التى يقع فيها الإنسان، أفرادا أو جماعات، أن يتغاضى عن جرائم أعدائه نحوه، أو يهوّن من شأنها، وبخاصة إذا كان هؤلاء الأعداء يظهرون فى صورة الصديق؟

وهذا الخطأ يقع فيه العالم العربى والإسلامى فى العصر الحديث أمام الولايات المتحدة الأمريكية، خلال النصف الثانى من القرن العشرين الميلادى، وما يزال الخطأ مستمراً فعلى كثرة ما ارتكبت الإدارات الأمريكية المتتابعة من جرائم نحو العالم العربى و الإسلامى، لم نجد صوتا واحداً يرتفع، ولو مرة واحدة، لمواجهة أمريكا بأخطائها المتعمدة نحونا، بل جرائمها البشعة، التى لم يكد يخلو منها يوم ما من الأيام. فأمريكا ترتكب ما ترتكب من جرائم وحماقات ضد القضايا العربية والإسلامية، ولا تجد منا إلا صمتاً وغضاً للأبصار. والأدهى والأمر أنها تجد منا فى كل الأحوال احتراماً و تقديراً، ثم ثناء عطراً على قوة العلاقات بيننا وبينها، وأنها دولة صديقة مخلصة؟!

وفى فترة قريبة من الزمن، كنا نعلن صباح مساء أن حل مشكلة، أو مشكلات الشرق الأوسط ٩٩٪ منها بيد أمريكا، أو هى شريك كامل فى كل النزاعات التى كان، وما يزال العالم الإسلامى، يعانى منها عناء شديداً. والواقع أن هذا الكلام ما هو إلا خداع منا لأنفسنا، والإنسان ـ أى إنسان ـ إذا وصل إلى استمراء خداع نفسه فبطن الأرض أستر له من ظهرها، لأنه لا يستحق الحياة.

إن ترك مواجهة جرائم الصديق العدو تؤدى إلى زيادة تماديه فى الإساءة، وإلى استخفافه بمن يسئ هو إليه، وإلى رميه بالغفلة أو إلى وصفه بالبلاهة أو الجبن، أو السفاهة التى لا يميزالموصوف بها بين الإساءة والإحسان وهذا ما تفعله معنا ـ أعنى العرب و المسلمين ـ أمريكا الآن.

فهى تتعامل مع قضايانا ومصالحنا بمعيار الاستخفاف بنا، وتتعامل مع قضايا غيرنا بمعيار الموضوعية والاحترام، بل بمعيار التعصب إلى أقصى درجة ممكنة.

وحتى لا يكون كلامنا دعاوى بغير دليل. نذكر بعض مواقف أمريكا المزدوجة التى تؤكد

أن ما نقوله و اقع ملموس، لا ادعاء قائم على غير دليل.

في سنة ١٩٧١م نشبت حرب الهند بزعامة أنديرا غاندى ضد الباكستان، وكانت روسيا حليفة الهند، وأمريكا حليفة الباكستان. فما الذى حدث من كل من الحليفين تجاه حليفه؟

ساندت روسيا الهند بكل ما استطاعت. أما أمريكا فأخذت تغط في نوم عميق، وأتاحت الفرصة للدب الهندى أن يجثم على صدر الباكستان، وأن تنقسم الباكستان دولتين، ثانيتهما بنجلاديش.

وفى عام ١٩٧٣م نشبت الحرب بين مصر، وبين إسرائيل وكانت روسيا حليفة مصر، وأمريكا حليفة إسرائيل وحقق الجيش المصرى البطل في الأيام الأولى للحرب نصراً مذهلا للعالم كله. ثم ماذا صنع كل من الحليفين تجاه حليفه. نامت روسيا ولم تساند مصر، أما أمريكا فقد جُنَّ جنونها، وارتعدت فرائصها، ثم فتحت مخازن أسلحتها لإسرائيل لتستطيع أن توقف الزحف المصرى، وقال وزير خارجية أمريكا في ذلك الوقت هنرى كيسنجر: لن نسمح للسلاح الروسى أن ينتصر على السلاح الأمريكى في الشرق الأوسط! وأمدت أمريكا إسرائيل بكل ما احتاجت، ووقع عبور جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل وقتذاك، إلى غرب قناة السويس ووجهت خطابا للعالم من الزيتية لتقول أمريكا على لسانها: عبور بعبور، والبادئ أظلم؟!

ونسأل: لماذا اختلف موقف أمريكا في حرب الهند ضد باكستان عن موقفها في حرب مصر ضد إسرائيل؟ هذا هو السؤال. أما الجواب فلا يكاد يخفى على أحد فباكستان مسلمة، فكيف تتحرك أمريكا لحمايتها؟ ومصر دولة عربية مسلمة، فكيف تسمح لها أمريكا بالانتصار على إسرائيل؟

وما يقال عن أمريكا يقال عن روسيا كذلك. لقد نشطت روسيا لمساندة الهند، لأنها تحارب دولة مسلمة ونامت عن مساندة مصر في حربها مع إسرائيل، لإن مصر دولة مسلمة؟

وكلتا الدولتين روسيا وأمريكا تعاديان الاسلام، ولماذا؟ لإنه الإسلام وكفى.

●●●

وكما تجلى العداء الأمريكى السافر ضدنا، تجلى أيضاً في مشكلة تيمور الشرقية مع تيمور الغربية، وهما إقليمان كانا خاضعين لسيادة أندونيسيا، الدولة الإسلامية العريقة، تلك المشكلة، هى بمقاييس الفقه الدولى، ومواثيق هيئة الأمم، مشكلة، داخلية بحتة، من اختصاص أندونيسيا، لكن لما كان أحد طرفى المشكلة، مسلما، والأخر غير مسلم هاجت أمريكا، وأقامت الدنيا ولم تقعدها، لان الطرف المسلم كان متفوقا في المعارك على الطرف غير المسلم. فماذا فعلت أمريكا برياسة بل كلينتون؟ في أربع وعشرين ساعة جندت أمريكا قوات دولية تابعة لهيئة الأمم، وجنودا خاصة، وأسرعت تلك القوات لتأخذ مكانها في بؤرة الأحداث، وتحمى غير المسلم من المسلم، حدث هذا في سرعة مذهلة. هذا بالنسبة للجهود العسكرية.

أما فى المجال السياسى، فقد اتخذت أمريكا إجراءات صارمة فى التضييق على أندونسيا نفسها، وجندت ضدها كل المنظمات الفعالة، الخاضعة لهيئة الأمم سياسية ومالية و غيرهما، حتى حققت أهدافها بالطريقة التى تريدها فى حسم النزاع.

أما بالنسبة لمشكلات أخرى أحد طرفيها إسلامى والآخر غير إسلامى فقد اختلفت المواقف تماما فقد لزمت أمريكا الصمت أمام ما قامت به روسيا ضد مسلمى الشيشان، فى حربها الضروس التى استهدفت أمرين:

● القضاء على المجاهدين الشيشان المطالبين بحقهم فى الاستقلال عن الحكم الروسى، كما حدث لغيرهم من شعوب آسيا وغيرها التى كانت خاضعة للاتحاد السوفيتى قبل سقوطه.

● إحكام السيطرة على العاصمة «جروزنى» ومع تفاوت القوتين فى الكفاءة، لم تحرك جرائم روسيا شعرة واحدة عند أمريكا أو غيرها من القوى الكبرى وإذا سألت عن السبب كان الجواب: هو الإسلام ولو كان الشيشان غير مسلمين لكان لأمريكا شأن آخر.

لا يقال: إن أمريكا وقوات «الناتو» تدخلت لوقف الصراع الذى دار بين مسلمى البوسنة والهرسك، وبين الصرب. فحسمت ذلك الصراع بالقوة المسلحة، والبوسنة و الهرسك مسلمون؟

إن هذا الذى حدث من أمريكا ليس حبا فى سواد عيون المسلمين، بل له بواعث أخرى، فحرب الصرب لمسلمى البوسنة، والهرسك دامت قرابة خمس سنوات، وكانت أمريكا وقوى الغرب تتوقع أن ينتصر الصرب على مسلمى البوسنة، ولكن مسلمى البوسنة صمدوا صموداً أذهل أمريكا وحلفاءها، وخشيت أمريكا أحد أمرين كانت تتوقع واحداً منها.

الأمر الأول: أن ينتصر المسلمون على الصرب، وهذا ما لا تسمح به أمريكا، لأن ذلك الانتصارالذى كان متوقعا، كان ـ لو حدث ـ سينسب إلى الإسلام، وتلك هى الطامة الكبرى التى كانت ستعكر صفو أمريكا، وتصيبها فى أقتل مقاتلها.

أما الأمر الثانى: فهو استمرار صمود مسلمى البوسنة إلى ما لا نهاية وهذا بدوره كان سيكون له وقع سئ جدا عند أمريكا، لأنه ـ كذلك ـ كان سينسب الى الإسلام، الذى تضمر له أمريكا محاولة محوه من الوجود، أو تهميش دوره فى الحياة. ومنعاً لهذه التوقعات، حشدت أمريكا وحلفاؤها بعض قواتها لحسم الصراع، ليقال: إن أمريكا هى التى قضت على تلك المشكلة.

اذن، فلولا يأس أمريكا من هزيمة مسلمى البوسنة ومن انتصار الصرب عليهم، ما تحركت خطوة واحدة نحو ذلك الصراع الطويل. وكأن لسان حالها كان يقول: بيدى أنا انتهى الصراع، لا بيد الإسلام.

ومما يؤكد هذا ـ أعنى عداء أمريكا للإسلام ـ أنه بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وجاء دور إعادة إعمار ما دمرته الحرب، كانت أمريكا هى الدولة المانحة الوحيدة، التى اشترطت شروطا على مسلمى البوسنة قبل أن تدفع لهم ما تقرر

منحـه إياهم، من تلك الشـروط أن تخـفض حكومـة البوسنة تسعين ألفا من جيشها، وحولت المنحة إلى محنة، وكان هدف أمريكا هو إضعاف قدرة البوسنة في المجال العسكري، حتى لا يتكرر ذلك الصمود مرة أخرى؟!

●●●

ولا يقال كذلك إن أمريكا كانت قائدة الحملة العسكرية ضد يوجوسلافيا في اعتداءاتها على البانيا بعد توقف الحرب البوسنية بقليل، وألبانيا دولة مسلمة خضعت للغزو الشيوعي ردحا من الزمن.

لأن حملة أمريكا وحلفائها العسكرية لم تكن لحماية مسلمي ألبانيا، وإنما كان سبب تلك الحملة أن يوجوسلافيا كانت من قلاع الشيوعية قبل تفكك الاتحاد السوفيتي، كانت هي العدو اللدود للغرب الرأسمالي، فإذا التهمت يوجوسلافيا دولة البانيا كان معنى هذا أن الشيوعية تطل على الغرب من جديد، وبخاصة أن البانيا دولة أوروبية لذلك تحركت أمريكا لوقف العدوان. وحماية البانيا من الدب الشيوعي، لا يتعارض مع المصالح الغربية لأنها دولة أو دويلة صغيرة، ليس لها وزن في موازين القوى الكبرى.

من هذا يتضح لنا أن ما تقوم به أمريكا سلبا وإيجابا، إنما تقوم لبواعث وأهداف لا صلة لها بإحسان إلى الإسلام أو المسلمين، لأنها تأخذ باليمين ما تعطيه مضطرة بالشمال.

●●●

ما ذكرناه، وهو قليل من كثير، كاف في الكشف عن الحقد الذي تضمره أمريكا ضد الإسلام والمسلمين ولكن إذا عرجْنا على مواقف أمريكا من الصراع العربي الإسرائيلي، ولو في الوقت الراهن، تحول الكشف عن نيات أمريكا إلى يقين، تزول الجبال ولا يزول، أن ما تقوم به إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني المسلم منذ أكثر من عامين، جرائم لا يحيط بها الوصف، جرائم وحشية بشعة غادرة قذرة، لم يسبق لها مثيل في التاريخ، والعالم كله يقف موقف المتفرج، ولم يقتصر عدم المبالاة على العالم غير الإسلامي. بل العالم الإسلامي ضالع في هذه «اللا مبالاة» من أخمص قدميه حتى «النخاع» وكل ما يطفو على السطح لقاءات ومشاورات بين القادة العرب، لا ندري ماذا يدور فيها، وليس من الحكمة أن نطلب منهم الإعلان التفصيلي عنها.. وكل ما نتمناه أن يأتي الوقت المناسب، الذي يظهر فيه ما خفي عنا منها، ويكون فيه عزاء لشعوب الأمة من الآلام القاتلة، التي يعاني منها كل فرد فيها.

أما موقف أمريكا بالذات مما تقوم به إسرائيل بقيادة «الفيل الضخم» شارون، فهو موقف عدائي سافر، لا لشعب فلسطين وحده، ولكن للشعوب العربية و الإسلامية جميعا.

فكم من مرة تمنع أمريكا إرسال قوات دولية لحماية الشيوخ والنساء والأطفال في فلسطين من البطش الهمجي الذي يقوم به في كل لحظة جنود الاحتلال.

تجريف، هدم مساكن على من فيها. غارات جوية بالصواريخ و الطائرات القاذفة، أرتال من الدبابات تقصف بمدافعها كل قائم على وجه

الأرض فى فلسطين ـ اعتقالات بلا ضوابط، فرض حصار محكم على السكان فى بيوتهم ـ حبس الرئيس عرفات. هدم المساجد والمدارس والمنشآت. منع الناس من تأدية صلاة الجمعة. مجازر جماعية بشعة الخ.

ترى، لو كانت هذه الجرائم ترتكب ضد غير المسلمين هل كانت أمريكا تقف مكتوفة الأيدى؟ أم كانت تقيم الدنيا ولا تقعدها.

إن مجرد أوهام عند بوش بأن العراق يملك أسلحة دمار شامل، جعلت «بوش» يلهث كما تلهث (...) للحصول على تأييد أو تحالف دولى لمحو العراق من الوجود؟

أما ما تقوم به إسرائيل فعلا، وترساناتها مليئة بأسلحة الدمار ا لشامل، فهذا عند بوش عمل برئ مؤيد باسم «الرب» إله إسرائيل. وموقف أمريكا من العراق من أعجب العجب، بوش مصمم على ضرب العراق حتى لو أسفر التفتيش الدولى، عن خلوه من أسلحة الدمار، وحجة بوش حماية جيران صدام من صدام؟

وجيران صدام لم يطلبوا من بوش حمايتهم منه، فبأى مبرر يتشبث بوش بهذه الدعوى الخائبة. وكل العالم يدرك أن «بوش» يهدف من ضربه للعراق أمرين:

● حماية إسرائيل «أمريكا الصغرى».

● ثم الاستيلاء على منابع البترول العربية.

كل هذا ونحن صامتون على مواجهة أمريكا بأخطائها وجرائمها. وهذا ما أغرى «بوش» على التمادى فى إظهار عدائه للعرب والمسلمين جميعا. حتى وصل الأمر إلى إصدار قرار من الكونجرس «الأمريكى اليهودى» بجعل القدس عاصمة موحدة لإسرائيل؟! ووقع «بوش» هذا القرار فى وضح النهار، غير عابئ بغضب من يغضب، ما دامت أمريكا الصغرى «إسرائيل» راضية وكل خطر فى حب إسرائيل يهون؟!

هذا القرار يمثل قمة الاستخفاف بالعالم الاسلامى كله، عربا وغير عرب.

فماذا ينتظر العرب و المسلمون من أمريكا بعد هذا القرار القاضى بتهويد القدس إلى الأبد؟ بوش والكونجرس يعلمون ماذا تعنى القدس بالنسبة للعالم الإسلامى.

القدس ليس غزة ولا رام الله ولا جنين، ولا ولا ولا.

القدس هى نبض الحياة عند المسلمين، بمن فيهم شعب فلسطين نفسه.

هذا القرار ينبغى أن ينقلنا فورا من السلبية والبلادة وعدم الإحساس إلى كتلة، واحدة قوية على قلب رجل واحد.

كما ينبغى علينا أن نواجه أمريكا بكل صراحة أننا بدءا من اليوم لسنا كماكنا بالأمس فإما أن تعدل أمريكا عن مواقفها المعادية لنا، الموالية ١٠٠٪ لإسرائيل.

وإلا فإننا سنتحد ـ هذا ما ينبغى أن نقوله لأمريكا. سنقوم فوراً بالخطوات الآتية:

● استدعاء سفرائنا من أمريكا للتشاور

● قطع العلاقات تماما معها إذا لم يحدث تراجع من سياساتها المعمول بها الآن ضدنا.

● سحب رءوس الأموال العربية العاملة فى أمريكا.

● إذا تحفظت أمريكا على تلك الأموال تحفظنا على ما لأمريكا من ممتلكات في العالم العربى والإسلامى.

● ترحيل سفراء أمريكا لدينا بصفة أنهم غير مرغوب فيهم.

● وقف ضخ البترول العربى لأمريكا، ووقف التعامل تدريجيا بالدولار الأمريكى وإحلال «اليورو» الأوروبى محله.

وليس هذا إسرافا منا فى الخيال، لأنه السلاح الوحيد الفعال الذى نملكه، ولا حرج علينا فى استعماله أمام الإصرار العنيد الذى تقوم به أمريكا لمحونا من الوجود، أو لنكون أرقاء لها لا نملك أن نخالف لها أمراً أو نهيا.

فمنذ سقوط الاتحاد السوفيتى اعتبرتنا أمريكا العدو اللدود لها، وصرح بعض رؤسائها بأن العالم الاسلامى أصبح ـ الآن ـ هو الخطر الوحيد أمام الغرب الرأسمالى وحضارته فإما أن نحتويه وإما أن نقضى عليه والرئيس بوش لا هم له الآن ولا تفكير إلا فى القضاء على العالم الإسلامى أو السيطرة الكاملة عليه.

فهل نقف مكتوفى الأيدى مكممى الأفواه أمام هذه النذر الفاجعة.

ونعود فنطالب قادتنا العرب بتنفيذ ما اتخذوه فى مؤتمر بيروت فى أوائل هذا العام، وهو القرار القاضى بقطع علاقات العرب بأى دولة تنقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس.

فقد فعلت أمريكا ماهو أخطر من نقل سفارتها إلى القدس. وذلك فى القرار الذى أصدره الكونجرس أخيرا ووقع عليه الرئيس بوش، لأن هذا القرار يؤذن لكل دول الغرب بنقل سفاراتها إلى القدس وليست سفارة أمريكا وحدها. وهذا هو مكمن الخطر الذى لا يستساغ السكوت أمامه.

لذلك كان من الواجب عقد مؤتمر قمة عربى أو عربى إسلامى، لإعلان العرب والمسلمين رفضهم القاطع لهذا القرار الخطير، ويلوح فيه بقطع العلاقات إذا لم يحدث رجوع فى السياسة الأمريكية عن مشكلة القدس الشرقية، التى كانت من نصيب فلسطين فى قرار التقسيم المتفق عليه دوليا عام ١٩٤٧م يجب أن نتحرك بسرعة قبل وقوع الكارثة الكبرى ومن الخطأ أن ننتظر نقل أمريكا سفارتها من تل أبيب إلى القدس. لأن فى هذا التراخى فواتا لفرص النجاح.

إن الأمر جاد للغاية لا هزل فيه. والوقاية خير من العلاج.

وإذا لم نفعل شيئا ذابال أمام الخطر الأمريكى فإن قصة الثيران الثلاثة التى أكلها الأسد واحدا بعد و احد، بعد أن استعمل أسلوب الخداع معها هذه القصة سوف تتحول من قصة خيالية صاغها الإمام على بن أبى طالب - رضى الله - لمعنى أراد توضيحه، إلى قصة واقعية، لكن الثيران لن تكون ثلاثة فى هذه المرة، بل ستكون ثيرانا كثيرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومرة أخرى، إذا لم يتحرك العرب والمسلمون بعد القرار الأمريكى الأخير، مضموما إليه تنفيذ تهديدها بضرب العراق، فيحق لأمريكا بوش أن تفعل بنا ما تشاء، لأن الأمر كما قال الشاعر.

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه
يُضَرَّس بأنياب ويُوْطأ بمنسم

وكما قال الآخر:

مَنْ يَهُنْ يسهُلُ الهوانُ عليه
ما لجُرح بميِّت إيلامُ

جواب الشهيد

(تحية للاستشهاديين الأبطال)

شعر د. محمد عبدالمنعم العربى

وَقَالُوا: لِمَاذَا تُفَجِّرُ نَفْسَكْ؟
لِمَاذَا تُبَعْثِرُ فِى الجوِّ رَمْسَكْ؟ (١)
وَتَتْرُكُ أُنْسَكْ؟
وَتَهْجُرُ عُرْسَكْ؟
وَتُطْفِئُ شَمْسَكْ؟

***

لِمَاذَا زَهِدْتَ نَعِيمَ الشَّبَابْ؟
وَغَضَّ الإهابِ؟ وعِزَّ الصِّحَابْ؟
وَسُكْنَى القِبَابْ؟
وَحُلْمَ (الرَّبَابْ)؟
لِمَاذَا رَحَلْتَ كَضَوْءِ الشِّهَابْ
كَلَمْحِ البُرُوقِ؟ كَهَدْرِ العُبَابْ؟

***

أَأَنْتَ فَتًى لاَ تُحِبُّ الحَيَاهْ؟
أَأَنْتَ امْرُؤٌ لاَ تَرُومُ النَّجَاهْ؟
وَتَأْبَى الرَّفَاهْ؟
وَتَبْغِى الوَفَاهْ؟
عَهِدْنَاكَ فِينَا سَلِيمَ الحَصَاهْ (٢)!
رَقِيقَ الحَوَاشِى، عَظِيمَ الأَنَاهْ (٣)!
وَسَمْحَ العَشِىِّ، كَرِيمَ الغَدَاهْ!
تُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِى الزَّكَاهْ!

***

لِمَاذَا لِمَاذَا؟ وَمَا سِرُّ هَذَا؟
أَجِبْنَا بِرَبِّكْ أَجِبْنَا بِرَبِّكْ!
وَعَنْ أَمْرِ صَحْبِكْ!
وَمَكْنُونِ قَلْبِكْ!

---

(١) الرمس: القبر.
(٢) الحصاة: العقل والرأى.
(٣) الأناة: الحلم والوقار.

وعنْ همٍّ شَغبكْ!
وعَنْ فَيْضِ حُبِّكْ!

***

لأنِّي رأيْتُ قَطيعَ الذئابِ
وجَيشَ الكلابِ، وبُومَ الخرابِ
يَعيثُ بسَهْلي! ويَجْتاحُ حقْلي!
يُسَمِّمُ بئْري! ويسْرقُ نهْري!
يُشَتِّتُ شَمْلي!
ويطْرُدُ أهْلي!
ويُهْلكُ بالبغْي حَرْثي ونَسْلي!
ويَغْتالُ بالغَدْرِ أمِّي وطِفْلي!

***

لأنِّي رأيتُ الغَشُومَ الظَّلُومَ
يُحطِّمُ بَابي! ويَحْرقُ غَابي!
يُمَزِّقُ عِرْضي! ويَحْتلُّ أرْضي!
ويَمْحُو منَ الكوْنِ فَرضي ونفلي!
يُدنِّسُ سَاحي بأخْبث غرْسِ!
ويَملأُ أفْقي بإفك ورجْسِ!
ويَسْعَى حَثِيثا ليهدم «قُدْسي»!
ويَجْتثّ جنْسي! ويومي وأمسي!

***

لَقَدْ صنعتْهمْ يدُ الآثمينَا!
ركيزةَ شَرٍّ تُعربدُ فينَا!
وَقدْ سَلَّحُوهمْ وقدْ جرَّدُونا وقدْ مكّنوهمْ وقد كَبَّلُونا!
بلاَ ترة[٤] لهمو: قتَّلونا ومنْ أرضِ آبائنا شرَّدُونا!
برابرة روَّعُوا الآمنينا وعاثُوا فسادا وجُنُّوا جنُونا!
ألَمْ يطئوا مَسجدَ المؤمنينَا؟!
ألَمْ يَصْرعوا الركَّعَ السَّاجدينَا؟!
أذاقُوا الضِّعافَ عَذاباً وهُوناً!
ولَمْ يَرْحَموا مُرْضعاً أوْ جَنيناً!
وشَيْخاً كبيراً يئنُّ أنينا!!

***

فَهلْ يَقْبلُ الحُرُّ تلك المهَانهْ؟
وهلْ يرْتضي الحُرُّ هذي المَجانهْ؟
لَبِئْسَ الخيانهْ!.. وبئْسَ البطَانهْ!
وأيْنَ الأمانهْ؟
وأيْنَ الصِّيانه؟

***

سنينْ طوالاً نَشَدتُ[٥] العَدَالَهْ!
فَلمْ ألقَ يا قومِ إلا النَّذالهْ!
وقدْ خَيَّم اليأسُ في كلِّ حالهْ!
وأحْبطني لُؤْمُ أهْلِ السَّفالهْ!
فَثُرتُ أحاربُ جُندَ الضَّلالهْ!

***

بنفْسي ورُوحي بعْدَ الحجارهْ!
ومَا بيدي غَيْرُها والمرارهْ!
وإلاَّ الفداءَ، وإلاَّ الجسَارهْ!

(٤) التِّرة: الثأر.

(٥) نشدتُ: طلبتُ.

وَإلاَّ فُـــــؤادٌ مَـلَلْتُ اصْـطِبــــــارهْ !
وَإلاَّ دَمٌ قــــدْ نَـذرتُ انْهـــــمَـــارهْ !

***

فَــبــالَلّه لَوْ كُنـتَ أنْتَ مَكَـــانى !
وذُقْــــتَ هَـــوانـــــى !
وعَـــانيْتَ فِى مِــحْنتى مـــا أُعَـانى !
فَـهلْ كُنتَ تَقـبلْ ؟ وهلْ كُنت تَبْخلْ ؟
أَمَــا كُنت مِـثْلى تَفْـدى وتَبـذُلْ ؟ ؟
أمَـــا كُنتَ تَفْــعلْ ؟ !
بِقَـلْبٍ رَضِــيٍّ ، ووجْـــــــه تَهَلّلْ ؟ ؟

***

سَـأفْعَلُ شَـيْئـاً قُـبيل انْتـقَـالى
لِسَـاحَـة رَبِّ الهُـدَى وَالجَـلاَلِ !
سَـــــأُدركُ ثأراً لأهْلى ومَـــالى
وأحْـيَـــا لمجْـد بلادى عَـلاَمَــهْ !
تُبشـرُ بالنّصْـر بَعْدَ القَـتامَـــــه(٦)
وتَهْـــتِفُ بالحقِّ حَـــتَّى القِـيَـــامَهْ !

***

ولَيْـسَ انْتـحـاراً ، ولَيْسَ اغْـتــرارَا
سَــأفْــدى الدّيارَا ، وأمْـحَقُ عَـارَا
أردُّ اعْــتـبَــــارا ، وأمْــحــو شَنَارَا
لأجْـــل الأُسَــارَى ، لأجْل العَــذارَى
سَـــأجْـــعلُ شِلْوِى(٧) نُوراً ونَـاراً ! !

***

فنوراً لشعْبى يُعْلـــى المنَـــارَا
ونَـــاراً تُبدّدُ حُـلْمَ السُّـكارَى
ولَيْسَ انْتحارَا ولَيْسَ انْتحارَا . .

***

فلَسْطينُ أُمّى ، فلسطينُ همّى فلسطينُ حُلْمى أراه جَليًا
سَأمضى شهيدًا شَرِيفًا قَوِيًا نذيراً وصَوْتى يُدوِّى دَوِيًا

***

دَمى لَنْ يَضـــيعَ ـ وربّى ـ هَبَـــاءْ
سَـيُـثْـمِـرُ عِـزًا ، سَـيَـغْـدُو شِـفَـاءْ
سَـيَــرْوى التَّـحَــرُّرَ ، يَغْـذو الإبَاءْ
ويَشْــرعُ للمَـــاجِـــدين الوَفَـــاءْ

***

ولَمَّا بَدَأْتُ بِنَفْــــسى أجُــــودُ
وَســـارَ عَلَى الدّرْبِ مِنَّا أُسُـــودُ
وحَلَّ النَّكَالُ وخَـــابَتْ «ثمـــود»
وَحَقَّ عَلَى المجْــرِمــينَ الوعِــيــدُ
وجـــاء القِــصَــاصُ وعَــدلٌ أكِـيــدُ
يقُــولُ الجَــحُــودُ ويهْـذِى الكَنُودُ !
وينفى العَـــدُوُّ الّلدودُ الحْــقُــودُ !
وإنّى عَلَى رَغْــمِـــهِمْ للشَّـــهِـيــدُ

***

طَريقى سديدٌ ورأيى رَشيدٌ ودربى فَريدٌ وعَزْمى مبيدْ
كفاحى مَجيدٌ وقَلْبى حَديدٌ فدائى عتيدٌ وبأسى شديدْ
جزَائى خُلودٌ وإنّى سَعيدْ
وَرَبِّى الشَّهيدُ بأنّى شَهيدْ

---

(٦) القتامة: السواد.

(٧) الشلْو: العضو.

النشاط العلمي في إسرائيل

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

حينما بدأ « هرتزل »، مؤسس الصهيونية، دعوته لإقامة دولة لليهود فى فلسطين العربية، لم تدخر الصهيونية العالمية وسعاً فى انتهاج العلم سبيلاً لغزوها، فبادر اليهود الصهيونيون بالتخطيط للنشاط العلمى، وأنشأوا الجامعة العبرية فى القدس عام ١٩١٨، وتلاها إقامة كل من معهد « وايزمان »(١)، ومعهد « التخنيون ». وواصلت إسرائيل نهجها العلمى ببناء هيئة الطاقة الذرية عقب قيامها عام ١٩٤٨ بثلاثة أشهر، وأضافت إلى هذه الصروح العلمية جامعتين جديدتين، إحداهما فى تل أبيب، والأخرى فى بار إيلان. كما شيدت العديد من المعاهد والمراكز العلمية، منها ٦٨ مركزاً للأبحاث المتخصصة فى العلوم الطبيعية، موزعة بين العلوم الزراعية، والأسماك، والصحة، ومصادر المياه، والبترول، والتحليل النفسى، والطقس، وعلوم الفضاء، والطاقة الذرية، و٥٢ مركزاً آخر للبحوث والتطوير فى المجال الصناعى، موزعة على سبعة تخصصات فى صناعة الإلكترونيات، والصناعة، والطب، والملاحة الجوية، ومعدات الإنذار والإشارة، والأجهزة العلمية، وصناعة الطيران. ومن ناحية أخرى ساهمت الهجرة من الاتحاد السوفيتى السابق فى توفير عدد من العلميين اليهود في إسرائيل، فتشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى أن عدد اليهود الروس الذين هاجروا إلي إسرائيل منذ عام ١٩٨٩ وحتى نهاية عام ١٩٩٩ يبلغ حوالى ٧٠٠,٠٠٠ يهودى، منهم أكثر من ٧٠ ألفاً من المهندسين، وما يقرب من ٢٠ ألفاً من الأطباء والممرضين، ونحو ٤٠ ألفاً من المدرسين. ومن ثم أدت هذه الموجة من المهاجرين الروس إلى تصاعد رصيد إسرائيل من العلميين، والمهندسين، حاملين معهم منظومة من المعارف العلمية، وأسرارها فى مختلف فروع البحوث العلمية، والتطوير التقنى.

ومن هذا المنطلق توفرت لإسرائيل القدرات العلمية لبناء قاعدة علمية راسخة، صارت لها ظهيراً قويا، وسنداً داعماً للحفاظ على وجودها فى قلب المنطقة العربية.

---

(١) وايزمان هو أستاذ علم الكيمياء اليهودى الذى تسمى المعهد باسمه وهو أول رئيس لإسرائيل.

وفى هذا الإطار حرصت إسرائيل على تقديم نفسها فى صورتين مختلفتين إلى الرأى العام الأوروبى والأمريكى، الصورة الأولى بوصفها دولة صغيرة تعيش فى محيط عربى معادٍ، وصورت العرب بأنهم مصدر خطر وتهديد للحضارة الغربية، والصورة الثانية حرصت فيها إسرائيل على تسريب بعض المعلومات عن قدراتها العلمية خاصة فى مجال البحوث النووية لتحقيق عدة أهداف، أهمها كسب عطف الرأى العام الأوروبى والأمريكى، وتأييده لمساندة إسرائيل، ولتبرير سياستها العدوانية ضد الشعب الفلسطينى، وأيضاً لردع صانع القرار العربى، وإخافته من القوة النووية الإسرائيلية بصفة خاصة، والقدرات العلمية والتكنولوجية بصفة عامة، حتى لا يفكر العرب فى شن حرب ضدها. ومن جهة أخرى حرصت إسرائيل على ربط البحث العلمى بنظام التعليم الذى تطبقه، والنشاط الذى تمارسه المعاهد والمؤسسات العلمية، وأيضاً الجمع بين البحث العلمى الأساسى، والبحث العلمى التطبيقى، كما وضعت المناهج الحديثة لتعليم الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، وعلم الحياة، وأدخلت منهاجاً جديداً لتعليم الحاسب الآلى، الذى ذاع استخدامه فى جميع المؤسسات العلمية والتربوية.

والجدير بالذكر أن الجامعات فى إسرائيل، تتمتع بحرية أكاديمية واسعة، فلا يستطيع أحد أن يتدخل فى منهاجها، ولا فى الأسلوب الذى تطبقه، وهى توجه جهودها إلى البحث العلمى بصفة أساسية. كما أن النشاط العلمى فى هذه الجامعات يتعلق بعضه بالبحوث العلمية البحتة، إذ تصل هذه البحوث إلى أرفع مستويات البحث العلمى دون تقيد بظروف المجال الذى تجرى فيه، ويترك للباحث اختيار موضوع البحث الأساسى الذى يرغب العمل فيه، وإذا أراد باحث قائق فى مجاله - من أى بلد فى العالم - الحضور إلى إسرائيل لإجراء بحث ما، مع توفر الإمكانات اللازمة لهذا البحث، فإن الجامعة تنشئ له وحدة جديدة للبحث الأساسى، وبذلك تطلق إسرائيل الحرية للبحث العلمى مهما كان مصدره، تحقيقا لمبدأ عالمية العلم. وبالإضافة إلى ذلك فإن المؤسسات والمراكز العلمية الإسرائيلية تقوم بتشجيع الموهوبين من صغار العلماء، لتنمية مواهبهم بفتح المجالات المناسبة لممارسة نشاطهم العلمى، حتى لا تتسرب هذه العقول العلمية إلى الخارج. هذا وقد عكفت إسرائيل، منذ قيامها، علي توفير العلماء من مختلف التخصصات العلمية بوسيلتين: الأولى: بوضع برنامج لتشجيع هجرة العلماء إلى دولة الكيان الصهيونى، واستغلال فكرة الولاء المزدوج لعلماء اليهود فى جميع بلاد العالم لكسب تعاونهم فى النشاط العلمى. والثانية بحرصها على التواجد الفعّال فى أغلب المؤتمرات العلمية التى تعقد فى الخارج، ودعوة العلماء فى الخارج لحضور مؤتمراتها للاستفادة من خبراتهم، وآرائهم العلمية، وإغراء البعض منهم للعمل فى إسرائيل.

وانطلاقا من حرص إسرائيل على تنمية النشاط العلمى، وضعت خطة لتوفير الحواسب الآلية فى المدارس، وبدأ تنفيذها عام ١٩٩٣، بتخصيص حاسوب لكل روضة أطفال إذ يوجد فى إسرائيل حوالى ٤٠٠٠ روضة، وتوفير جهاز طرفى لحاسوب لكل عشرة أطفال فى المدارس، ويبلغ عدد التلاميذ فى إسرائيل حوالى ١,٢ مليون تلميذا. واللافت للنظر أنه فى غضون ثلاث سنوات من بدء هذه الخطة تم تدبير أكثر من ٢٥٪ من الحواسب اللازمة، وهى عبارة عن ٣٣٤٠٠ حاسوبا طرفيا، و١١٦٠ حاسوبا.

وتشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى تصاعد مؤشرات تفوق إسرائيل علي العرب – نسبة إلى عدد السكان – عشر مرات فى الأفراد العلميين، وأكثر من ثلاثين مرة فى الإنفاق على البحث العلمى والتطوير، وأكثر من خمسين مرة فى وصلات الإنترنت، ونحو ألف مرة فى تسجيل براءات الاختراع. ويجدر ذكره أن إسرائيل تتمتع بمقومات أساسية تشكل منها خصما ثقافيا وعلميا قويا نتناول بعضها فيما يلى:

– تعدد اللغات داخل الكيان الصهيونى، وخاصة اللغة الروسية إذ تسمح بميزة تنافسية ثقافية تتمثل فى إمكان الاتصال المباشر مع الجمهوريات الإسلامية المنشقة عن الاتحاد السوفيتى السابق من أجل التعاون العلمى، وتبادل الخبرات العلمية لاسيما أنها تتكلم اللغة الروسية.

– كثرة علماء اليهود فى جامعات أمريكا وأوروبا، المشتغلين فى مجال علوم الإنسانيات، مثل اللسانيات، وعلم الاجتماع، وعلم الآثار، ووفرة المؤلفات لكثير من رواد الفكر والعلم والثقافة من اليهود، أمثال «إميل دور كايم» مؤسس علم الاجتماع الحديث، و«جاك دريدا» رائد الفكر الفلسفى، و«نعوم تشومسكى» صاحب أكبر مدرسة فى علم اللسانيات الحديث.

– توفر رصيد من علاقات التبادل العلمى والثقافى، وقيام إسرائيل بإنشاء العديد من جمعيات الصداقة من اليابان إلى البرازيل، ومن بولندا حتى جنوب إفريقيا.

وما يجب التأكيد عليه أن إسرائيل تحاول التحرش بالثقافة العربية والإسلامية من خلال الإنترنت، فقد أفلحت فى بناء شبكة من التحالف العلمى والثقافى، لإثارة الخصومة ضد العرب، والمسلمين، كما تستغل تكنولوجيا المعلومات لتشويه التراث الحضارى العربى والإسلامى، فلا ينسى أحد ما قامت به إسرائيل مؤخراً بتمصير أفلام الإباحية الجنسية العالمية، باستخدام أحدث وسائل المونتاج الإلكترونى الرقمى، فعن طريقه استطاعت إحلال صور أوجه بعض الممثلين المصريين، والممثلات المصريات، محل أوجه الممثلين والممثلات الأصليين الأجانب، وما ذكرناه ما هو إلا مثل لهذا التزييف الرقمى، الذى يعتبر من أخطر أساليب التشويه الثقافى والحضارى.

ونعود مرة أخرى إلى الإحصاءات الإسرائيلية، فتشير إلى أن إسرائيل تحتل المرتبة الثانية بعد الدانمرك فى معدل نشر الكتب، وقيامها بحركة ترجمة ضخمة إلى العبرية من الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأسبانية، والروسية، والبولندية، والعربية، إثراءً للمكتبة العلمية فى إسرائيل، كما أن لديها ما يزيد على ١٢٠ متحفا يتم تمويل بعضها من متاحف صديقة فى الخارج، خاصة من نيويورك، وترتبط متاحف إسرائيل بشبكة المتاحف اليهودية في معظم العواصم الأوروبية، والمدن الأمريكية برباط وثيق: وتذكر أحد التقارير الصادرة من المكتب المركزى للإحصاء الإسرائيلى أن الإنفاق العام على البحث العلمى وتطويره بلغ فى عام ٢٠٠٠ حوالى ٢٠ مليون شيكل – أى ما يعادل ٥ ملايين دولار أمريكى – بمعدل نمو سنوى قدره ١٦٪ بالقياس بالعام السابق، بينما بلغت نسبة نصيب الإنفاق القومى على البحوث العلمية ٤,٢٪ من الناتج المحلى الإجمالى الذى بلغ ١٢٠ مليار دولار، وهذه النسبة تتجاوز معدل الإنفاق على البحوث العلمية والتطوير فى دولة صناعية متقدمة مثل السويد (٣,٥٪)، وفنلندا (٣,١٪)، واليابان (٣٪). ويجدر ذكره أنه يوجد في إسرائيل، اليوم، نحو ٧٠ شركة خاصة، و٥٠ صندوق استثمار خاص تقوم بضخ ما قيمته ملياري دولار في السنة، على البحث العلمى وتشير بعض المعطيات الإحصائية الإسرائيلية إلى أن حجم الطاقة البشرية العلمية في إسرائيل قد تضاعف عددها، فى خلال العقود الثلاثة الأخيرة، أكثر من ٢٠ مرة، إذ أن نسب القوى البشرية المؤهلة في قطاع البحث العلمى الإسرائيلى هى ١٣٥ مهندساً لكل ١٠ آلاف نسمة، بينما فى الولايات المتحدة الأمريكية هى ٨٥ مهندساً لكل ١٠ آلاف نسمة، وفي اليابان ٦٥ مهندساً لكل ١٠ آلاف نسمة، كما تصاعد عدد المهندسين والتقنيين فى عام ١٩٩٦ إلى نحو ١٨٣ ألف مهندس بنسبة تربو على ٣٪ من إجمالى سكان إسرائيل. ومن الملاحظ أن العلماء اليهود المقيمين في مختلف بلاد العالم يمثلون إحتياطيا إستراتيجياً للنهوض بالنشاط العلمى والتكنولوجى فى إسرائيل، كما تأتى هذه الدولة الصهيونية فى المرتبة الأولى في مجال نشر المقالات العلمية فى الدوريات العلمية الدولية بنسبة ١١٠ مقال لكل ١٠ آلاف نسمة، وهى كما ترى من أعلى نسب النشر في العالم. وفي إطار التعاون الدولى فإن علاقات إسرائيل الدولية علي الصعيدين العلمى والتقنى تتمثل في ثلاثة محاور أساسية: الأول يتعلق بعقد المؤتمرات والندوات الدولية التى تفسح المجال لتبادل المعلومات، وتطوير الخبرات العلمية والتقنية. والمحور الثانى يتصل بتمويل الأبحاث فى إسرائيل من خلال صناديق أبحاث خارجية، يوجد منها حوالى ٣٠٠ صندوق بحث، وعشرات المؤسسات الأجنبية التي تمول برامج

البحث العلمي والتطوير فى إسرائيل، والتي تزيد علي ٢٠٠٠ مشروع بحثي تبلغ تكلفتها السنوية ٧٠ مليون دولار. أما المحور الثالث فيرتبط بتوقيع الاتفاقيات بينها وبين الدول بما فيها انعقاد الندوات، والمؤتمرات المشتركة، وتطوير برامج بحثية ثنائية، وتأتى على رأس هذه الاتفاقيات «الاتفاقية الإسرائيلية الأمريكية للبحث والتطوير» (AIRD) الموقعة عام ١٩٧٧، و«الاتفاقية الإسرائيلية الكندية للبحث والتطوير» (CIIRDF) الموقعة عام ١٩٩٤، والإتفاقية الإسرائيلية البريطانية للتكنولوجيا (BRITECH) الموقعة عام ١٩٩٩، والاتفاقيات الثنائية في المجال العلمي والتقنى مع الهند، وسنغافورة، والصين، واليابان، وكوريا الجنوبية، كما حصلت إسرائيل على عضوية كاملة في البرنامج الأوروبى للبحث العلمى والتطوير. ويرى بعض المحللين في إسرائيل أن ثمة سلبيات عديدة تبدو علي الصعيدين العلمى والتقنى، منها الإسهام المحدود لهجرة العلماء الروس في النشاط العلمى، فمن بين ١٣٢٥٠ عالماً روسياً وفدوا إلى إسرائيل فى الفترة من ١٩٨٩ - ١٩٩٦، نجح منهم فقط ١٥٧ عالماً فى الالتحاق بالعمل الأكاديمى في الجامعات الإسرائيلية، بينما فشل ٧٠٠ منهم فى الاحتفاظ بوظائفهم التى حصلوا عليها فى بداية عملهم. ومن ناحية أخرى فقد أدت هذه الهجرة الروسية إلى تراجع معدلات الإنفاق على البحث العلمى والتطوير في إسرائيل من ٣٪ عام ١٩٩٣ إلى أقل من ١,٨٪ عام ١٩٩٩ بسبب توجيه جزء كبير من الناتج القومى الإجمالى لاستيعاب المهاجرين، وإعادة تأهيلهم، وفوق ذلك فإن ارتباط البعد الأمنى بخدمة تطوير العلم في إسرائيل كان له تأثير سلبى على كثير من الشركات التى كانت تستفيد من قاعدة الأبحاث العلمية التى تولى تطويرها النخبة العسكرية الإسرائيلية فى فترة الثمانينات، ومن ثم صارت هذه الشركات تواجه صعوبة فى تطوير الجيل المقبل من منتجاتها التكنولوجية الفائقة، ناهيك عن تزايد معدلات الهجرة العكسية للعلماء من إسرائيل إلى أوروبا وأمريكا للاستفادة من الإمكانيات العلمية المتاحة لهم هناك.

وفى الختام يمكن القول إن الهدف الذى أبغيه من تناول موضوع «النشاط العلمى فى إسرائيل» هو التعريف بما يدور علي الصعيد العلمى داخل دولة الكيان الصهيونى، خاصة أن الصراع العربى الإسرائيلى، هو صراع حضارى فى الدرجة الأولى، يقتضى وضع إسرائيل تحت مجهر الواقع حتى يمكن رؤيتها فى حجمها الطبيعى بدون تهوين، ولا تهويل، وحتى يمكن للعرب بناء استراتيجية شاملة للنهوض بالنشاط العلمى والتقنى علي الصعيد العربى لمواجهة خصم ثقافى عنيد، يسعى إلى التفوق العلمى، والسبق التقنى علي العرب كافة.

الصوم فى الديانة اليهودية

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

لقد فرض الله سبحانه وتعالى الصوم على الناس جميعا منذ القدم وكان ملازما لكافة الشرائع السماوية قبل الإسلام.

والصيام فى الديانة اليهودية أحد الطقوس التى يمارسها اليهود والتى يعتبرونها جزءاً من ديانتهم، وقد أمرتهم التوراة بالصيام من خلال ما جاء على لسان بعض أنبيائهم، أما توراة موسى عليه السلام فلم تذكر شيئا عن الصيام أو الأسباب الموجبة له.

فقد ورد فى سفر الخروج « ومكث موسى فى حضرة الرب أربعين يوما وأربعين ليلة، لم يأكل فيها خبزاً، ولم يشرب ماء. فدون على اللوحين كلمات العهد. أى الوصايا العشر »[1].

وقد وردت فى التوراة كلمتان استخدمهما اليهود للدلالة على معنى الصوم وهما « صوم » و« تَعْنيت » بمعنى تذليل النفس، ولم تأت كلمة « صوم » فى أسفار موسى الخمسة « تكوين. خروج. للاويين. عدد. تثنية » والصيام الواجب عند اليهود هو صيام يوم كيبور[2] ومدته يوم واحد، كما يجب على كل يهودى ألا يقوم بعمل ما أثناء هذا الصوم، فقد جاء فى سفر اللاويين:

« إنكم فى اليوم العاشر من الشهر السابع (أيلول سبتمبر) تتذللون ولا تقومون بأى عمل »[3].

ويمتنع اليهود عن الشراب والأكل وارتداء الأحذية لمدة ٢٥ ساعة من غروب الشمس فى اليوم السابق حتى غروب الشمس فى يوم الصيام

وفى الماضى كان الصائمون يرتدون الخيش ويضعون الرماد على رؤوسهم تعبيرا عن الحزن، وهو أهم الأعياد اليهودية على الإطلاق، ويعتبر

(١) سفر الخروج ٣٤ : ٢٨.

(٢) سفر اللاويين: ٢٩/١٦.

(٣) يوم عيد الغفران.

أقدس يوم فى السنة، ويطلق عليه سبت الأسبات، وكان كبير الكهنة فى الماضى يذهب إلى قدس الأقداس، ويتفوه باسم الخالق «يهوه» - كما يعتقدون - والذى يحرم نطقه تماما إلا فى هذه المناسبة(٤) ومن ينطقه من اليهود فقد كفر.

وصوم يوم كيبور فقط يعتبر إجباريا بينما أنواع الصيام الأخرى يطلق عليها «تعنيت» بمعنى تذليل، وقد تحدث عنها التلمود.

وهناك أنواع أخرى من الصيام الاختيارى أو المستحب أو الخاص وكذلك الصوم المقنن مثل يوم كيبور، والتاسع من شهر أغسطس وهو يوم حزن بسبب تخريب بيت المقدس وحرق الهيكل الأول والثانى.

وكذلك يوم السابع عشر من تموز بسبب تحطيم حوائط أورشليم.

وهناك يومى الإثنين والخميس من كل أسبوع يستحب فيها الصوم وصوم اليوم الأخير من كل شهر. وهناك من يصوم لذكرى خاصة به كوفاة عزيز لديه(٥).

وقد عرف العرب فى زمن الجاهلية هذا النوع من الصيام ومارسوه، وكان يطلق عليه عندهم اسم «الضرس» وهو صَمْت يوم إلى الليل(٦).

وقد يصوم اليهود حزنا على موتاهم «وعندما حارب الفلسطينيون بنى إسرائيل على جبل جلبوع... مات شاؤل ورجاله، هب كل المحاربين.. وصاموا سبعة أيام(٧).

وهناك صوم أحلام السوء «تعنيت حلوم» يفرضه اليهودى المتدين على نفسه بعد رؤية حلم سيئ.

وقد فرضت الديانة اليهودية الصوم على الولد بعد بلوغه سن التكليف «برميتسيفاه» أى بلوغه الثالثة عشر من عمره. والبنت إذا بلغت سن الحادية عشر من عمرها، والمرأة مالم تكن حائض.

وقد ذكرت التوراة الحيض فى سفر اللاويين:

«إذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دما فى لحمها فسبعة أيام تكون فى طمثها، وكل من مسها يكون نجساً إلى المساء وفى حالة الولادة فإن المرأة لا تصوم ولا تصلى لمدة سبعة أيام إذا أنجبت ولداً ذكرا بينما إذا أنجبت أنثى فتكون مدة امتناعها عن الصوم والصلاة أربعة عشر يوما» أما حالات الرضاع والنفاس فقد اختلف فيها حاخاماتهم.

والأن وضع المرأة عموما متدن فى الشريعة اليهودية التى بين أيديهم، فإن الشريعة تعطى للأب والزوج سلطة منع فرض من فروض الله.

---

(٤) د. عبد الوهاب المسيرى: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص٢٧٨.

(٥) السيد محمد عاشور: الصوم فى الشريعة اليهودية. ص٢٤.

(٦) د. على عبد الواحد وافى: بحوث فى الإسلام والاجتماع ص١٤٥.

(٧) شاؤل يصبح أول ملك على إسرائيل ١٠٥٠ ق. م.

فإذا نذرت الزوجة صوماً وعلم زوجها بذلك فله أن يمنعها من تنفيذ هذا النذرإذا علم بذلك، وإذا سكت فإن سكوته يعتبر رضا منه، ويمكن لمن نذر منهم أيا كان نوعه أن يتحلل من نذره إذا أفتـاه رجل دين له ثقله أو ثلاثة من اليـهـود العاديين.

وحرم الصوم فى اليهودية فى الحالات التالية:

(١) أيام السبت، ما عدا السبت الذى يقع فيه يوم كيبور.

(٢) أيام الأعياد.

(٣) الحائض.

(٤) أعـفى حـاخـامـات اليـهـود أنفسـهـم لاشتغالهم بالبحث الدينى من الصيام التطوعى.

وسوف نلقى الضوء على تعنيت استير، أو صوم إستير.

وهناك سفر فى التوراة يسمى سفر إستير.

وملخص السفر أن ملك فارس « أحشو يروس » تمردت زوجته عليه، فنصحه مردخاى اليهودى بطردها وإحضار أجمل فتيات المملكة إلى قصر الحريم وأحضر ابنة أخيه « إستير » التى كانت تتمتع بجمال فائق إلى القصر، وراقت فى عين الملك.

وكان هامان ثانى شخصية بعد الملك، نجح فى استصدار مرسوم بالقضاء على اليهود بالمملكة. ويعلم مردخاى بالأمر فيبلغ ابنة أخيه إستير بما حدث ويطلب منها التدخل لدى الملك لإنقاذ شعبها.

ويقول السفر: « فلما رأى الملك إستير واقفة فى الدار نالت نعمة فى عينيه.... فقال الملك لإستير عند شرب الخمر ما هو سؤالك فيعطى لك وما هى طلبتك، إلى نصف المملكة تقضى.. فأجابت إستير وقالت:

إن سؤالى وطلبتى إن نلت نعمة فى عينى الملك... أن يعطى سؤالى ويقضى طلبى.

وبعد أن يحضر الملك الوليمة ويشرب الخمر تخبره أنها تطلب رأس هامان ويذهب الملك إلى الحديقة ليفكر وينتهى الأمر بصلب هامان ».

« وبعـد ذلك أعطى الملك إذنا لليـهـود أن يجتمعوا ويقفوا لأجل أنفسهم ويهلكوا ويقتلوا ويقوموا بإبادة قوة كل شعب حتى الأطفال والنساء وأن يسلبوا غنيمتهم ».

وخرج اليهود حتى أن « كثيرا من شعوب الأرض تهودوا لأن رعب اليهود وقع عليهم ».

وأخذ اليهود فى الأنتقام يساعدهم فى ذلك رؤساء البلدان فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف.. ثم قتلوا بعذ ذلك ٣٠٠ رجل ثم خمسة وسبعين ألفا (إستير ٩ / ١٦).

ثم استراح اليهود وجعلوا اليوم الخامس عشر من الانتقام يوم فرح يقرأ فيه سفر استير بأكمله فى المعابد اليهودية وهو العيد الذى يحتفل فيه اليهود بنجاتهم من مؤامرة هامان

ومن يدرى فقد يأتى اليوم الذى يصوم فيه اليهود (صيام شارون) ويمجده صقور وحمائم أمريكا وغربان تل أبيب.

قصة العدد

صنائع المعروف

بقلم / عابر سبيل

جلس الإمام رضى الدين القزوينى رئيس الشافعية بالمدرسة النظامية قبيل صلاة العصر بمسجد بغداد، ليؤم الناس كعادته، ثم ينصرف إلى درس الأصول بالنظامية، فوجد رجلا يسعى إليه باكيا مستغفرا، ويقول: إن رئيس الشرطة ببغداد أرسله كى يتوب على يده فى المسجد الجامع، وكان رضى الدين يعقد مجلس التوبة عصر كل جمعة، وليس اليوم يوم الجمعة، وهذا ما يعرفه غانم الكرخى رئيس الشرطة، فكيف تعجل بإرسال هذا التائب فى غير موعد، وشاهد نفر من المصلين قدوم الرجل إلى الإمام، وسمعوا منه ما يرجوه، فنظر الشيخ رضى الدين إليهم مبتسما، وأجلس الزائر جانبه حتى أذن العصر فنهض للإمامة، ونهض الناس من خلفه - فلما فرغ من الصلاة، تحلق القوم من حوله، فقال لهم ليس اليوم مجلسنا للوعظ، ثم لقاء التائبين، ولكن الله يقبل التوبة عن عباده فى كل وقت، وسنسمع قصة هذا الرجل، وإن له لشأنا جعل غانم الكرخى يهتم به، وفى أمثاله عبرة عملية تغنى غناء الدرس اللفظى، ثم توجه إلى الزائر فقال له: قل حديثك يا بنى..

وكان فى الزائر شجاعة وصلابة، على رغم ذلة نفسه، وبكاء عينه، فقال بصوت قوى دوى بالمسجد فسمعه الحاضرون وكأنه واعظ يلقى موعظة، لا مذنب يشرح جريرته، قال الرجل: أنا محمد بن واسط البغدادى، وقد شاء حظى أن انتظم منذ عشرين عاما فى عصابة ابن واصل الكردى، لأقطع الطريق مع الشطار، دون أن أحس فى عملى ما يشين، لأن جمعنا يقترف هذه المهنة، وكأنها وظيفة معلومة، وفى يوم ما منذ خمسة عشر عاما، وقع فى أيدينا غانم الكرخى قبل أن يصبح رئيس الشرطة، وكنت أتولى تفتيش الضحية لأنهب ما معها، فمددت يدى إلى جيب غانم، فرأيت مصحفا شريفا تلمسه كفى، فأخذتنى رهبة لا أعهدها من نفسى.

ووقع فى خاطرى أن كلام الله يتشفع لهذا المنكوب، فوقفت دون حراك، مع أننى أزاول هذا الأمر ولم استشعر قط ما شعرت به ساعتئذ، فقلت لأصحابى، انصرفوا عن الرجل، فهو فى حمايتى ولن أسلبه شيئا، ونحن نستجيب إذا بسط أحدنا حمايته لأحد، فانصرف قومى، ونظر غانم إلى نظرة الشاكر وسمعته يقول: وما دمت قد احترمت كتاب الله، فلم تزاول قطع الطريق، فقلت له كانت زلات لى لم أحسب حسابها، ولو فارقت القوم تائبا، لبعثوا من يقتلنى من شياطينهم كيلا أشى بأماكنهم ومنازل أهليهم، وتركته يمضى، ثم قدمنا بالأمس ليلا لنهب متجر بغدادى قيل إنه بعيد عن الحرس، فما كدنا نهم بما نريد حتى دهمنا غانم برجاله، وكلهم مسلح مدجج وهم أكثر منا عددا وعُددا، فقبض علينا وساقنا مكبلين بالأغلال، ورأيته ينظر إلىّ فاحصا، فعرفنى وعرفته، فابتسم ونزع عنى القيد وقال: أتذكر قولك إنى أخاف الشياطين من أصحابى، لا خوف عليك الآن فستكون فى جماعتى بشرطة بغداد، وعليك أن تحلق رأسك، وتغتسل ثم تذهب اليوم إلى المسجد الجامع، فتعلن توبتك، ويأخذ الإمام رضى الدين القزوينى عهد الله عليك أن تتطهر من الإثم ولا تعود، ففرحت وكأنى ولدت من جديد، وهأنذا قدمت ضارعا أتوسل.

قال رضى الدين وقد أشرق وجهه: إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار، وقد صدق من قال: إن صنائع المعروف تقى مصارع السوء، وقد سبقت من الرجل صنيعة قدمها لغانم فوقته اليوم وخامة العاقبة، أقول ذلك، لأؤكد معنى مهما، هو أن كثيرا من الناس يظنون أن جزاء المعروف أخروى فقط، ولكن الأيام تثبت أن الجزاء دنيوى وأخروى، لأن عين الله لا تغفل، ولن يذهب العرف بين الله والناس، فالخير لا يعدم جوازيه، وقد شرحت لكم من قبل حديث الصخرة، وهو يؤكد أن الطاعات تفرج الكربات فى الحياة الدنيا، قبل أن ينال الطائع ثوابها فى الآخرة وأنتم تعلمون!.

قال المذنب، سيدى لا أعلم حديث الصخرة، وأحب أن أسمعه لأزداد يقينا، فقال رضى الدين: هو حديث نبوى مشتهر، ولن أرويه أنا، كيلا أنشىء مجلس وعظ هذا اليوم، لأن المجلس لغيرى بعد صلاة المغرب، فلا اعتداء ولن أحرمك الآن من سماعه، فليتقدم أحد التلاميذ ليرويه، وأشار إلى جار له، فاتخذ سمت المتحدث، وانطلق يقول: روى البخارى عن عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا غارا فى جبل، فانحطت عليهم صخرة، فقال بعضهم لبعض: ادعو الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللهم إنى كان لى أبوان شيخان كبيران فكنت أخرج فأرعى، ثم أجىء فأحلبه، فأجىء بالحلاب فآتى به أبوىّ فيشربان، ثم أسقى الصبية وأهلى وامرأتى، فاحتبست ليلة، فجئت فإذا هما نائمان، فكرهت أن أوقظهما، والصبية يتضاغون عند رجلى، فلم يزل ذلك دأبى ودأبهما حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله عنهم، وقال الآخر: اللهم إن

كنت تعلم أنى كنت أحب امرأة من بنات عمى كأشدّ ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منى حتى تعطينى مائة دينار، فسعيت فيها حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا فرجة، قال: ففرج عنهم الثلثين، قال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنى استأجرت أجيرا بفرق من ذرة، فأعطيته وأبى ذاك أن يأخذ فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، حتى اشتريت منه بقرا وراعيها، ثم جاء فقال: يا عبدالله أعطنى حقى، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك، قال: أتستهزئ بى، فقلت: ما أستهزئ بك، ولكنها لك، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا، فكشف عنهم».

سمع المذنب حديث الصخرة، فأكب على يد الشيخ الإمام مقبلا، فاستتابه، وردد أقوال التوبة خلفه ورددها الحاضرون، وصادف أن قدم إلى المسجد الإمام أبوالفرج عبدالرحمن الجوزى، والإمام صدر الدين الخجندى، وكلاهما من زملاء رضى الدين فى المدرسة النظامية فابتسم ابن الجوزى حين رأى حلقة الدرس، وقال مداعبا رضى الدين: اليوم لى يا شيخنا، وسأعظ بعد الغروب، فقال الشيخ، وأنا لم أتحدث، وإنما روى الطالب حديث رسول الله ﷺ لمناسبة استدعته، ثم أوجز ما كان من أمر التائب، فتهلل وجه ابن الجوزى، وقال: جزى الله صاحب الشرطة خيرا، فهو لايزال يبعث إلينا بمن يسعد الناس بتوبته النصوح.

فقال رضى الدين: وقد تعمدت أن أسمع القوم حديث الصخرة، لأعلمهم أن جزاء المعروف ليس وقفا على الآخرة وحدها، لكنه يثمر فى الدنيا والآخرة معا، وقد صنع هذا التائب معروفا أدرك ثمرته اليوم قبل أن ينتقل إلى جوار ربه، فماذا يرى شيخنا ابن الجوزى؟

قال الشيخ: لقد جئت الآن لأخلو بنفسى، حتى تحين صلاة المغرب، فأؤدى الدرس، ولكنى آنس فى روحى انطلاقا لا عهد لى به من قبل، لأن فرحتى بتوبة العبد المؤمن، تذهب عنى بوادر الكسل، وما قرره الإمام القزوينى من أن ثواب المعروف يتحقق فى العاجلة والآجلة معا مما لا شك فيه، وقد أحصيت عدة وقائع صحيحة تثبت هذا الرأى القاطع، وسردها الآن متعذر، وسأسجلها فى كتاب يتداوله الناس.

قال صدر الدين: ما هذا يا ابن الجوزى، تحضر مجلس التوبة، ويتجمع الناس معتبرين، ويكون لديك من القصص ما يؤكد حقيقة اجتماعية نود أن تذيع بين الناس، ثم تقول إنك ستدون القصص فى كتاب، لابد أن نستمع إلى قصة تنهض دليلا جديدا، فهيا، وأسعف يا رجل.

قال رضى الدين: وهأنذا أرى التلاميذ ينظرون فى شوق وارتقاب! فلا تهمل رغبة الجميع يا أخى، وهذه ساعة رضا، ولحظة قبول.

قال ابن الجوزى: لقد جاءنى اليوم كتاب «الاعتبار» للأمير أسامة بن منقذ، وهو ممن عرفت وصاحبت، فقرأت فيه مدهشات من الغرائب العجائب، ومنها ما يصلح دليلا على ما يؤكده الإمام القزوينى من وقوع المثوبة فى الدنيا

مع الآخرة، وسأذكر مما قرأت به هذه النادرة:

قال القاضى أبوبكر بن محمد بن عبدالباقى الأنصارى: بينما كنت أحج بيت الله، وجدت عقدا من اللؤلؤ فشددته فى طرف حزامى، وبعد ساعة سمعت إنسانا ينشده فى الحرم، وجعل لمن يرده عشرين دينارا، فسألته علامة له، فأخبرنى بها، فتسلمه، وقال لى: تجىء إلى منزلى لأدفع إليك الجعل، فقلت: ما لى حاجة إلى مالك، وأنا من الله فى خير كثير، فقال: أكان صنيعك لله - عز وجل - قلت: نعم، فقال: استقبل بنا بناء الكعبة، وأمن على دعائى، فاستقبلنا الكعبة، فقال: اللهم اغفر له وارزقنى مكافأته، ثم اتفق لى أن سافرت من مكة إلى ديار مصر، فركبت فى البحر متوجها إلى المغرب، فوقعت المركب فى أيدى الروم، وأخذت أسيرا، فكنت من نصيب بعض القسوس، ولم أزل أخدمه حتى مات، وكان قد أوصى بإطلاقى بعد موتة، فحررت، وخرجت من أرض الروم إلى بعض بلاد المغرب، فجلست أكتب على دكان خباز بأجر يومى، وكنت أكتب بخطى ورق الحساب لمن يعاملهم الخباز من أعيان المدينة، فجاءه بعض الوجهاء، وقال للخباز، تتنازل عن هذا الكاتب لأجلى، لأن معرفته بالحساب والخط تعيننى على إدارة أملاكى، فوافق الخباز لمنافع يرجوها من الرجل، وانتقلت إلى منزله، فإذا نعمة سابغة، وجاه مديد، فأوقفنى على ما يرغب منى، فكنت أؤديه كأحسن ما يكون الأداء حتى اطمأن لى، فلما مضت مدة قال لى: لماذا لا تتزوج، قلت: سيدى، وهل أملك ما آكل به وحدى حتى أضم إلىّ زوجة تأتى بأطفال!

فقال: سأتكفل بكل ما تحتاج، فقلت: إذن لا أمتنع، فقال: يا ولدى إن التى ستتزوجها ابنتى وهى دميمة غير مقبولة، قلت: رضيت ما دامت ابنتك، فلما كان بعد أيام قال لى: تهيأ لدخول منزلك، ثم أمر لى بكسوة فاخرة، ودار تعادل داره بهاء وسعة، وذهبت بعد اجتماع القوم للعروس، فوجدتها أجمل فتاة وقعت عليها عيناى، فخرجت هاربا من الدار، فلقينى والدها، وقال: ما شأنك، قلت: ليست هذه الزوجة التى وصفتها وذكرت من عيوبها الكثير، فتبسم وقال: هى زوجتك، وليس لى سواها، وقد قلت لك ذلك لتستقل ما ستراه ابتداء، فإذا اطلعت قنعت.

فلما كان من الغد، جعلت أتأمل ما لدىّ من الحلى والجواهر التى حملتها العروس معها، فرأيت من بينها العقد الذى وجدته بمكة من قبل، فعجبت كثيرا، وجاء والدها يزورها، فرأى على شفتى كلاما، فقال: ما خطبك؟ قلت: هذا العقد، رأيته بمكة مفقودا لإنسان مغربى وأعطيته إياه، فقال: أأنت صاحبنا بمكة؟ قلت: نعم، قال: وقد دعوت الله أن يغفر لك ويرزقنى مكافأتك، وأنت تؤمن! قال: نعم، قال: أبشر بمغفرة الله، لأن نصف الدعوة تحقق، وسيتحقق النصف الثانى! وقد سلمت إليك مالى وابنتى وهى كل أقاربى، فأصبح كل شىء لك، وأوصيك بها!.

غمر الوجوه سرور مضىء، وقال الإمام القزوينى: من أين كنا سنعثر على هذه النادرة، لو لم يقدم شيخنا عبدالرحمن؟

فقال صدر الدين: ومن ببغداد مثل الإمام ابن

الجوزى، فى سعة اطلاعه، وشمول معرفته، على أننى أضيف شيئا صغيرا، فأذكر أن أحمد بن يوسف الكاتب ألف سفرا سماه «المكافأة» ملأه بالأقاصيص الدالة على أن صنائع المعروف تقى مصارع السوء، وقال فى مقدمته ما معناه: إن قصص الكرام المشتهرة، تذكر فعالهم المجيدة، وقلما تشير إلى عقبى هذه الفعال من مكرمات تتحقق لأصحاب الفضل من الناس، فأردت أن أثبت ما لقيه هؤلاء من جميل العقبى فى الحياة، ليكون ذلك دافعا حثيثا للمكرمات! ثم ذكر من القصص الجميلة ما وقع من نفسى موقع الارتياح، وأذكر أنى قرأت كتاب ابن يوسف عدة مرات.

قال ابن الجوزى: وهذا كتاب لم أقرأه، وقد ذكر شيخنا الصدر عن سعة الاطلاع، وشمول المعرفة، فمن الجدير بهذين الوصفين سواه؟ نرجو أن تتكرم بذكر قصة مما علق بذهنك من كتاب المكافأة، فإن النفوس على استعداد وليكن اليوم، يوم الاحتفال بالفضل والفضلاء من ذوى المكارم، وسيرتهم جديرة بالدرس، لأنها تطبق ما يدعو إليه الإسلام من المحامد، فهى درس من أمتع الدروس، هيا يا صدرالدين.

قال الصدر: نقل ابن يوسف عن محمد بن يزيد من أصحاب البريد لعهده، أن ابن طولون قد أطلق من حبسه جماعة من اللصوص ومنهم فتى تظهر عليه ملامح الشراسة، فأراد ابن يزيد أن يثنى من شره بالتى هى أحسن، فهنأه بالسلامة من الحبس، وأوصاه أن يتقى الله فى أموره فلا يشارك بعد الآن فى قطع الطريق، فقال الفتى واسمه مسافر: يا سيدى إن النفس أمارة بالسوء ولن يكون المتاب إلا بتوفيق من الله، قال ابن يزيد: فاستحسنت جوابه، وقلت له: كم يكفيك، إلى منزلك؟ فقال: دينار، فدفعته إليه، وقلت له: إذا حدثتك نفسك بقطع الطريق فلا تطعها، وابعث إلىَّ فسأكفيك، فما مضى شهر حتى اضطربت نواحى البهنسا بتسلط رجل من اللصوص فى جمع حاشد من أتباعه، وكانت لى أموال وأثمان زروع فخرجت لتحصيلها هناك مع جماعة من التجار، وما كدنا نلم بالبهنسا حتى داهمنا اللصوص بأسلحتهم المهددة، وفيهم فتى تأملته فإذا هو مسافر صاحب النصيحة التى وجهتها إليه من قبل، فلما عرفنى أكب على رأسى مقبلا، واحتفى بمن معى من أجلى وقال لأصحابه: أخطأ والله ظنكم، هذا سيدى ولن نزعجه مع جماعته فى شىء، ثم قال لى: أعلم أنك ستلومنى إذ خالفت نصيحتك، ولكن النفس أمارة بالسوء، فاذهب إلى سبيلك مع جماعتك، وأملى أن أراك فى رجوعك من هذا الطريق لأحرسك حتى تصل إلى الأمان! فلما وصلنا إلى أهناس، شاع خبر اللصوص، وجاء المتقلد لها من أصحاب ابن طولون يستطلع الخبر، فأعلمته بشأن مسافر معى، فقال والله: إنه رئيس القوم، وقد بذلت الجهد فى استمالته إلى الرشد فعييت، وأنا أسألك أن تسفر بينى وبينه، فإذا أجاب وأجابت معه عصابته، فإنى سأؤمنه وأكرمه، وأقلده صيانة الأمن فى الإقليم، فرجعت إلى مسافر، ولى أمر فى احتوائه، فقال يا سيدى: أعلم أنك دليل الخير، ثم نهض إلى أصحبه صارخا: من يساعدنى على التوبة،

والالتزام بأدب الدين، فقالوا جميعهم: نحن معك، فسار مسافر وأتباعه من خلفه، وقد وضع فى عنقه وأعناقهم الحبال، وقال: ادخل بى فى زى الأسرى ليعلم الناس صدق التوبة، وجعلت أثنيه فأصر، فلما أتينا إهناس خرج الناس للقائنا فى دهشة بالغة لقيادتى نفرا من شياطين الإنس، وعجبت، كيف لشيخ ضعيف مثلى أن يقوم بما أعجز رجال الدولة هناك؟! فاستبشر المتقلد بتوبة من أزعجوه وأقلقوه، ثم طلب مسافر أن يرحل إلى الحج فى القافلة تائبا، فاستجبنا له، وعرف ابن طولون الخبر، فقال لى: لم يضع دينارك يا ابن يزيد.

قال الإمام المقريزى: هذه لؤلؤة، ولن نكتفى بها، فعليك بأختها يا صدرالدين.

قال الصدر: لم يحك الإمام ابن الجوزى إلا قصة واحدة، فإن عاد عدت، فصاح ابن الجوزى: بالله إلا استرسلت، فأنا إلى هذه الفرائد أحوج، لأن دروس الوعظ ببغداد لا تجد صداها لدى العامة إلا بهذه الطرائف وسأنقلها عنك.

قال الصدر: ولدى نادرة من هذا الوادى بطلها شرير تاب الله عليه لمناسبة كمناسبة مسافر، وقد عاد النفع بها على من تقدم بحسن الصنيع! إذا ذكر ابن يوسف عمن يسمى بإسماعيل بن ساباط أنه قال: كانت لى دار للخيل أفد إليها بين الحين والحين على ضفاف الصحراء، فقصدتها ذات صباح فرأيت حشدا من العامة ضاقت بهم الأرض على سعتها، ومعهم حارس الأمن، فاستقبلتنى امرأة هائجة تلطم وتقول: يا سيدى وحيدى وكافلى يُعرض الساعة للقتل، فالله الله فىّ، وأنا أمه ولا يعولنى أحد سواه، فذهبت لحارس الأمن أسأله عن قصته فقال: إنه خنّاق شرير، فقلت بصوت مرتفع: ماحقه غير الإحراق بالنار، وسأكتب فيه للسلطان، فاحبسوه ليأتى الأمر بقتله ففرح الناس، ورفعوا أيديهم بالدعاء لى، وما قلت ذلك إلا لأصرف العامة مخافة أن يحدث الهياج إذا أطلقته فلما صليت العشاء بعثت فى استدعاء هذا الخناق، فإذا شاب ظاهر القسوة بادى اللؤم، فقلت له: أما تتقى الله فى أمك، وقد كانت بين الموت والحياة وهى تستشفع بى، فقال يا سيدى، أعطيك عهد الله على أن أتوب ولا أعود، فأوصيته بخير، وأمرت من يخرجه من البلد إلى مكان قاص كيلا يهيج عليه أحد.

قال إسماعيل، وقد مرت سنون، وتغيرت أحوالنا، إذ قدم من دار الخلافة من أشخصنى إلى بغداد مخفورا لذنوب لم نرتكبها، وحين وصلتُ إلى دار الوزير طالبنى بأموال زعم الواشون أنى اختلستها من الناس، واشتد فى خشونة أرهبتنى، ثم نادى رجلا غليظ الطبع أقام على بعض أمره، فقال له: استخرج منه مائة ألف دينار اليوم، وإلا فعذبه حتى يقر، فأيقنت بالهلكة، ولكن صاحبى الذى سرت معه، أخذ ينظر فى وجهى ثم سأل عن اسمى، فحين أجبته سكن فوره، وهدأ غضبه، وقال: ألا تعرفنى يا سيدى، أنا الخناق الشرير الذى أطلقتنى من مصر، والله ما خنقت أحدا بعدها، ولكن الوزير رأى شدة بأسى حين قدمت إلى بغداد فاختارنى لأستخرج الأموال بالتعذيب، ثم صحبنى إلى حجرته بقصر الوزير، وأخرج صندوقا يحمله غلامان، وقال: فى هذا المال ما نكتفى به جميعا

إذا هربنا من بغداد، قلت: وكيف نعمل إذا تنبه الوزير وساق خلفنا من يردنا مقهورين، قال: معك الحق، ثم انكفأ إلى الوزير فجعل يبكى بين يديه، ويقول: عاشرته بمصر فعرفت أمانته، فقال الوزير: أصدقك لأنى لا أعرف فيك ميلا للرأفة إلا عن اقتناع، وقد أعفيته، فاعمل على رجوعه سالما، فكاد الخناق يشق ثوبه من الفرح، وقال لى: أحمد الله فقد قدرت على رد الجميل، وأعدّ لى سفرا مريحا مع قافلة ذات شوكة وسلاح، قال ابن الجوزى، لن أترك الصدر حتى يعيرنى كتاب المكافأة هذا، فقد أحسست برغبة فى استظهاره، فضحك الصدر قائلا: ستكون أعجوبة بين الناس حين يعرفون أن ابن الجوزى يستعير كتابا من الصدر، وهم يعلمون أن عبدالرحمن ما ترك مصنفا دون استيعاب.

فقال ابن الجوزى، سأعلمهم أنك قرأت ما لم نقرأ، ليلتفوا حولك إن سرت، فنستريح وقتا للقراءة والتصنيف، وتطلع ابن الجوزى إلى الإمام القزوينى فقال له: على وجهك كلام يا رضى الدين، وقد جاء دورك، ولابد من طرفة. قال رضى الدين: ألم أذكر حديث الصخرة يا أخى، وحديث رسول الله أشرف الحديث! فقال ابن الجوزى: متى يا رجل؟ قال: قبل أن تجىء!.

فابتسم ابن الجوزى قائلا: لا تهرب، فأحاديث رسول الله ذائعة مشتهرة، نريد أن تأتينا فى هذا المنحى بطرفة نعتز بها، وكل الصيد لديك! والتفت ابن الجوزى إلى الطلاب فقال: إنه مجلس نادر يا قوم! لقد أغناكم عن مجلس المغرب، فلا وعظ الليلة لتستجمعوا هذه الفرائد قبل أن تضيع.

ثم صاح برضى الدين: قل يا أخى فقد اشتاقت الآذان، وقد بدأت فأتمم.

قال القزوينى: جميع ما سمعناه من النوادر يدل على تحقق المكافأة لمسدى الجميل فى حياته، ولكن ما سأرويه الآن سيتقدم خطوة تالية فتعطى المكافأة فى الحياة أيضا، ولكن لورثة صاحب الصنيع، وهذا ما نطقت به صحائف التاريخ، فقد ذكر الرواة أن أبا عبدالله محمد بن على بن العباس أبا الخلفاء أتى هشام ابن عبدالملك بالرصافة، فأخر الإذن عليه أياما، حتى شكا لأخيه مسلمة بن عبدالملك فصاح هشام، أتشفع فى رجل لو طاوعت شيطانى لقتلته الآن، إنه يحلم بالخلافة ويسمى ابنيه عبدالله وعبدالله، والله لولا انتقاد الناس لسال دمه الآن، فخرج مسلمة إلى أبى عبدالله، وقال له: إنى يئست من هشام، وما حملت معى إلا ألفا وثلاثمائة دينار هى لك، وسيصلك غيرها.. مات مسلمة ومات أبوعبدالله، وسهر هارون الرشيد ذات ليلة مع ندمائه، فجرى ذكر هذه الحادثة، فقال الرشيد: والله لا أمكث حتى أجزى أبناء مسلمة ذكورا وإناثا بما يقر عين جدهم فى قبره، مكافأة على صنيعه بجدى، ثم احصى الأبناء فوجدهم أربعين فأعطاهم أربعين ألف دينار لكل واحد ألف..!.

قال ابن الجوزى هذه نادرة النوادر، وجزى الله الحطيئة خيرا حين قال:

من يصنع الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

ونهض الأساتذة، فنهض التلاميذ.

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

الآداب الواجبة فى شهر رمضان

● السؤال من السيد على مراد – الباجور: ما هى الآداب الواجبة فى شهر رمضان ؟

●● الجواب :

الغاية من صوم رمضان هى : «تقوى الله» تعالى، وله حكمة وفوائد ـ عظيمة روحية وجسمية وخلقية واجتماعية فالصوم مطهر للجوارح من فعل المحرمات مهذب للنفوس بالتوارع عن الشبهات مربى خلق الأمانة كابح لجماح الشهوات مقوى للإرادة قامع لفاحش النزوات وللصوم جمال تذوقه الأرواح وللصوم سر تعرفه القلوب وللصوم نفحات ترفع العبد إلى أعلى الدرجات ولكن أى صوم هذا الذى يرفعنا إلى هذه الدرجة ويورثنا هذه الخشية إنه الصوم الذى نعرف حدوده ونلتزم آدابه ونؤدى شروطه روى ابن حبان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغى له ان يتحفظ كفر ما قبله» فيجب على الصائم أن يتأدب بآداب الإسلام فيعمل بما أمر الله ويتجنب ما نهى عنه وأن يكف لسانه عن فضول الكلام وأن يبتعد عن كل ما يثير النزاع بينه وبين غيره وأن يحسن معاملة الناس وأن يبتعد عن إساءتهم وأن يغفر لهم زلاتهم وأن يحسن عشرتهم وأن يكون فعالا للخير بعيدا عن النقائص والشر وأن يصون لسانه عن الغيبة والنميمة وأن تصوم يده فلا تمتد إلى أحد بالإيذاء قال رسول الله ﷺ : «ليس الصيام من الطعام والشراب إنما الصيام من اللغو والرفث» وقال ﷺ : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» رواه البخارى.

فجدير بالصائم أن يتحلى بالآداب الإسلامية وأن يجعلها نصب عينيه دائما.

والله سبحانه وتعالى أعلم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

زكاة الفطر

● السؤال من السيد محمد عبدالمعبود - المنصورة: ماهو حكم زكاة الفطر وكيف تؤدى؟

●● الجواب :

زكاة الفطر واجبة وتصرف إلى الأصناف الثمانية المذكورة فى قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١).

مع تقديم الفقراء والمساكين عن غيرهم من باقى الأصناف المذكورة فى الآية لأنهم أولى الأصناف ولأنه كان من هديه ﷺ : «تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم» ويجوز إخراج زكاة الفطر من أول يوم من أيام رمضان على ما رآه الشافعية، ويجوز أن تؤدى قبل العيد بيوم أو يومين عند بعض الأئمة، بل يجوز ذلك قبل رمضان.

ولايجوز تأخيرها عن يوم العيد والأفضل إخراجها قبل صلاة العيد لما رواه البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس للصلاة، قال ابن عباس رضى الله عنهما: «فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات».

والواجب فى صدقة الفطر صاع من القمح أو الشعير أو التمر أو الزبيب أو الذرة أو نحو ذلك مما يعتبر غالب قوت البلد، وجوز أبوحنيفة إخراج القيمة وقال: إذا أخرج المزكى من القمح فإنه يجزء نصف الصاع والمقرر شرعا أن تراعى مصلحة الفقراء والمساكين أولا وأخيرا فى

(١) التوبة (٦٠).

إخراج الزكاة ومما لاشك فيه أن إخراج النقود فيه فوائد كثيرة كما أنه أكثر نفعا للمحتاجين ويحقق بذلك مصلحة الفقراء والمساكين أكثر مما لو كان حبوباً.

وعلى ذلك فدار الإفتاء تميل إلى الأخذ برأى الإمام أبى حنيفة فى إخراج زكاة الفطر بالنقود بدلا من الحبوب تيسيرا على الفقراء فى قضاء حاجاتهم ومطالبهم كما أنها تحدد هذه القيمة كل عام عن كل فرد فى الوقت المناسب لذلك.

حبوب منع الحيض

● بعض النساء يسألن: هل يجوز استعمال حبوب منع الحيض لتأخيره حتى انتهاء شهر رمضان علما بأن هذه الحبوب قمنا بتجربتها ولم يحدث منها ضرر؟

●● الجواب:

من الأحكام الثابتة فى الشرع أن المسلمة يجب عليها الفطر فى رمضان إذا جاءتها الدورة الشهرية.. إذ الفطر هو الأنسب والأوجب فى حالات الإعياء والاضطرابات الجسدية التى تصاحب هذه الحالة هذا تخفيف من الله ـ تعالى ـ ورحمة بعباده والإفطار هنا واجب، وما يفعله كثير من النساء من أكل شيء قليل جدا أو شرب بعض السوائل ثم الإمساك بقية اليوم مخالف للشرع، والمطلوب من المرأة أن تفطر بشكل طبيعى ولاحرج ولا لوم عليها، لأنها ستقضى هذه الأيام حسبما جاء فى حديث السيدة عائشة رضى الله عنها: [كنا نؤمر بقضاء الصوم ولانؤمر بقضاء الصلاة..]

أما استعمال الحبوب التى تؤخر «الدورة الشهرية» إلى ما بعد رمضان، والتى تتيح للنساء أن يكملن صوم الشهر كله بغير انقطاع فلا بأس منه، ويجوز اللجوء إلى هذه الوسيلة ويصح معها الصوم، ولكن بشرط أن يقرر الأطباء أن استعمال هذه الحبوب لا يترتب عليها ما يضر بصحة المرأة عاجلا أو آجلا، فإن ترتب على استعمالها ضرر فهى ممنوعة، ليس بسبب الصوم أو الفطر فى رمضان، ولكن بسبب قاعدة أخرى يحرص عليها الإسلام أشد الحرص وهى تحريم كل ما يضر بصحة الإنسان، ومن المعلوم أن «حفظ الصحة» مقصد ضرورى من مقاصد الشريعة فى هذا الدين الحنيف.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالى:

مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

كليات القدرة تصحح خواطرنا

للدكتور / على أحمد على

ومعا. بمشيئة الله تعالى. إلى صدر الفقرة الخامسة من العدد الماضى من مجلتنا الطيبة. مجلة الأزهر ص ١٣٠٤. لنقرأ سطورا ثلاثة هى منهج بحثنا فى هذا المقال، قلت:

« ولكليات القدرة إعجاز يخصها؛ فنادراً مايتكرر فى آياتها معنى دون زيادة تخصه، بينما جاءت كل آية منها تحمل قضية أساسية لم ترد فى غيرها من أخواتها. ونعرض للأمرين. بمشيئة الله. عز وجل ـ بقدر مايسمح به « مقال » أ هـ.

وهناك صحبنا الآيتين الكريمتين: الأولى والثانية من آيات كليات القدرة؛ فكانت الأولى ختاما لوصف الحال المضطرية لنفسية المنافقين، وكانت الثانية فى قضية « النسخ » وبها انتهى المقال الثانى لهذا البحث.

ونمضى ـ فى مقالنا هذا ـ مع كليات القدرة : الخمس وثلاثين الباقية لنرى إعجازها إلى جانب ماأحاطت به المسلمين من علم، ليس إلا اللهُ ـ وحده ـ مصدرُهَ؛ ثم إلى ماشاء الله ـ تعالى ـ مما ادخره فى هذه الآيات : وهذه هى الكلية الثالثة تقدم للمسلمين ـ بجلاء سافر ـ مايتمناهُ أهلُ الكتاب لهم من كفر بعد إيمان، قال ـ تعالى :

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١) .

وفى الآية تهوين أمرهم على المسلمين؛ فلا ينشغلوا بما فى قلوب هذا الصنف من أهل الكتاب من غِلٍّ وحسد، فإن أمر الله ـ تعالى ـ بإزهاقهم آت لا ريب فيه، وربنا ـ سبحانه ـ على كل شئ قدير؛ ففضوا

(١) البقرة (١٠٩).

أنفسكم عن الاشتغال بأمرهم، ودعوهم لما فى قلوبهم؛ فإنه كفيل بتنغيص حياتهم.

وتحيطنا الكلية الرابعة من كليات القدرة - علْمًا بأن «لكل ملة قِبْلَة» هم عليها عاكفون. وقد أرشدكم الله - تعالى - أيها المسلمون - إلى القبلة الحق، فإليها تتجهون، وتسارعون إلى ممارسة الطاعات، وبخاصة: الصلاة أول وقتها؛ فإنما كانت القبلة من أجل الصلاة، وحسابُ الخَلْق على الله - عز وجل - وهو - وحده - جامعُهم يوم القيامة، فإنه على كل شئ قدير. قال تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢).

أى أن الله – تعالى – العليم بكل شىء الحكيم فى ملكه قد اختار لكم القبلة الحق وصرفكم إليها فالزموها، وليمت غيظا وحنقا من كفر من أهل الكتاب، فما هم بضارينكم من شىء.

ونلاحظ أن الكليات: الثانية والثالثة والرابعة، كُلٌّ جاءت فيمن كفر من أهل الكتاب، وسلط هواه وحقده على المسلمين، وعُنيت كل آية من الثلاث بإبراز لون بعينه من هذه البغضاء، ولا نَنْسَ أن رسول الله ﷺ قد جَرَّعهم غُصَصَ بغضائهم هذه فى خيبر وقريظة وغيرهما.

و«البعث بعد الموت» هو القضية التى حملتها الكلية الخامسة من كليات القدرة لكن: أى بعث هو...؟

إنه ليس بعث القيامة الشامل الذى يُنفخ له فى الصور فيقوم الخلق أجمعون، يستقبلون حشرا وحسابا.. لا.

إنه بعث خاص تناول إنسانا بعينه، قضى الله – عز وجل – عليه أن يموت مائة عام فقط ثم يحيا ليستأنف حياة عُمْرِه الذى قدره الله – تعالى – له فى الأزل.

وإنما أماته الله – تعالى – تلك المدة لعبرة وتبصرة، وهى عبرة – للأسف – لا يعتبر بها إلا المؤمنون بالله – وحده – الذين يُقرون بقدرته – تعالى – على كل شىء.

وسواء علينا: آمنوا بها أم لم يؤمنوا، فإنها تخنع رقاب الذين طنطنوا وهزأوا بالرسل، وسخروا من إرشاد أنبيائهم إلى البعث بعد الموت لحياة أخرى: إما نعيم أبدا أو جحيم أبدا، وقالوا – لرسلهم:

﴿ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٣).

ها هو البعث بعد الموت أوقعه الله – عز وجل – فى الحياة الدنيا.

وهذا البعث – بهذا الوضع – كانت له حالات أُخر، أوعبت «البقرةُ» منها خمس حالات(٤)، ولقد يكون فى التنزيل العزيز غيرها، وله ميدانه إن شاء الله.

والحالات الخمس بسورة البقرة تناولت «أفرادا» بأعيانها، أو «جماعات» قضى الله – تعالى – عليها بموت مؤقت عبرة، أو عقوبة، أو عبرة وعقوبة معا – إلا حالة واحدة منها، أحيا الله – تعالى – فيها قتيلا قد انتهى عمر؛ ليدل –فقط

---

(٢) البقرة (١٤٨).

(٣) الدخان (٣٦).

(٤) انظر الآيات الكريمة من البقرة: ٥٥، ٥٦ - ٧٢، ٧٣ - ٢٤٣ - ٢٥٩ - ٢٦٠.

– على قاتليه فما عاش إلا لحظات الدلالة[٥].

ونعود إلى صاحبنا في كليته الخامسة:[٦]

لنراه مؤمنا[٧] صالحا خافتا خاشعا لله – عز وجل – قانعا من حياته بأدنى ما يكفيه من لباس وزاد يسوق حماره، وفي إحدى يديه غذاؤه، ها هو يمر على قرية فيستوقفه حالُها الكئيب إذ يراها على خراب تام، راكدة بلا حياة ولا أحياء، قد انهار فيها كل ما تُقيمه الحياة من معالم ورواء؛ فهذه قصورها وبيوتها قد سقطت سقوفها على أعمدتها فناءت بما حملت فاستوت بالأرض، وتلك حقولها جرداء لا تينع بها خُضرة، ويبست أشجارها، فليس على أغصانها ثمرة، ثم جفاف طوق أرجاءها وأعدمها الحياة.

ولابد كانت يوما مدينة زاهية، مفعمة بالحياة والأحياء والروعة والجمال؛ فإن أعمدة قصورها ومنازلها تحمل من النحت وبراعة الفن النصيب الوافر... ثم ها هي قد فَنِيتْ، فتردد – في نفسه وحاله هذا السؤال – تعجبا مما يرى:

﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾...؟

إنه مؤمن بقدرة الله على إحيائها؛ فالله على كل شيء قدير، ولكن نفسه تتشوف إلى معرفة كيف يتم هذا الإحياء..؟

وما أن أطلق لنفسه سجيتها فَتَسَاءَلَتْ هذا السؤال حتى قبض الله – عز وجل – روحه، وأماته، وأمات حماره مائة عام، وأخفاه وحماره وطعامه عن خلق سوف يعمرون القرية بعد حين.

وإذ مضت السنون المائة بعثه الله، وردّ عليه روحه، فقام ينظر حوله – وهو في النهاية من الدهشة لحاله ولما يرى من حوله – وسُئل:

(كم لبثت) في رقدتك هذه..؟

« قال: لبثت يوما أو بعض يوم ».. قد يكون سبب قوله هذا رؤياه طعامه وشرابه لم يفسدا.

فأُجيبَ: (بل لبثت) مَيْتَا في رقدتك هذه (مائةَ عام)، فانظر في أمرك وتدبر فيما حولك واعتبر، وسوف ترى شيئا مما طمحت إليه نفسك سريعا:

انظر إلى طعامك لتعلم أن الذي أثر في حفظه هو الله ـ تعالى ـ بقدرته ولطفه، ولو تُرك للأسباب المعروفة لفسد وأنتن وما صلح ـ بعد ـ طعاما لبشر، لكنه تعالى حفظه ناضجا صالحا مائة سنة بفصولها وأغيارها الجوية حتى تأكله ـ أيها المؤمن ـ هنيئا مريئا مستوعبا للحكمة الربانية.

وهذا حمارك وكنت تود أن ترى كيفية إعادة الخلق، ها هو حمارك أمامك عظاما نخرة، تفرقت أوصالها، فانظر إليه ها هي القدرة الإلهية تأمر فيجتمع بعضها إلى بعض أمامك، ويحل كل جزء منها بمكانه متصلا بما قبله وبعده، وها هو يعلوه اللحم ـ كما ترى، ثم ها هي الروح تنفخ فيه، فيعود كما كان جسما

---

(٥) الآيتين: ٧٢، ٧٣.

(٦) هي من البقرة الآية رقم: (٢٥٩).

(٧) جرى بعض المفسرين على اعتبار أن الرجل هو (عُزَير) والبعض جعله «نَخَمْيا»، وبالرجوع إلى أسفار العهد القديم لم نجد ذكراً لهذه الواقعة في كلا السفرين، لذا كان أحسن اتجاه في التفسير هو ما رآه مجاهد بن جبر أنه رجل من المؤمنين، وأن القرية المذكورة ليست القدس؛ فلا دليل بين أيدينا يدل على صحة شيء من هذا أو ذاك. وخير ما قيل في ذلك ما سجله مفسر هذه الآية بالتفسير الوسيط إذا قال: لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية ما يعين صاحب هذه القصة ولا اسم القرية، لأن العبرة هنا في إحياء موتاها لا في اسمها، و [لا] اسم من مر عليها... قال: ونحن نفوض الأمر – في علمها ـ وعلم أهلها إلى علام الغيوب ـ عز وجل ـ ونسكت عما سكت عنه القرآن الكريم، ولم تشر إليه السنة المطهرة.

وصورة وحركة وصوتا، وهكذا تعرف قدرة الله ـ تعالى ـ على إحياء الموتى، وإحياء هذه القرية، وإحياء الخلق جميعا يوم يبعثون .

وها أنت نفسك قد حييت، وصرت آية للناس دالة بذاتها على قدرة الله ـ تعالى ـ على البعث، يستدل بها المعاصرون لك، والمؤمنون من بعدهم(٨) .

وهكذا ازداد المؤمن إيمانا . قال ـ تعالى :

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٩) .

ونصحب كلية القدرة الأخيرة بسورة البقرة، وفيها قوله ـ تعالى :

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٠) .

فالآية الكريمة تعنى ببيان سلطان الله ـ عز وجل ـ على خلقه فى السموات والأرض وما بينهما، وعلمه التام بما فى نفوس خلقه من خواطر، على ما هى عليه، يقول ـ سبحانه :

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١١)

عِلْمٌ بكل شىء، وحساب على كل شىء، ورحمته ـ سبحانه ـ قائمة دائمة، وسعت كل شىء، وهى للذين يتقون، يتجاوز الله ـ تعالى ـ عنهم، ويغفر لهم فضلا ، ويعذب الكافرين عدلا .

قال الإمام الخازن ـ فى آية البقرة ، التى نحن بصدد الحديث عنها شرحا لقوله تعالى : « يحاسبكم به الله » هذا يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التى ترد على القلب، ولا يتمكن من دفعها، والمؤاخذة بها تجرى مجرى تكليف مالا يطاق . قال : وأجيب عن هذا :

بأن الخواطر الحاصلة على القلب على قسمين :

أ- فمنها ما يوطن الإنسان نفسه عليه، ويعزم على إظهاره إلى الوجود [أى يمارس العمل به] فهذا مما يؤاخذ الإنسان به .

ب- والقسم الثانى : ما يخطر بالبال، ولا يمكن دفعه عن نفسه، لكن يكرهه، ولا يعزم على فعله ولا إظهاره إلى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى :

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾(١٢) .

قال ابن كثير ـ فى الآية :

وقد ثبت بما رواه الجماعة فى كتبهم الستة من طريق قتادة عن زرارة بن أبى أوفى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله تجاوز لى عن أمتى ما حدثت به أنفسها مالم تكلم أو تعمل به »(١٣) .

صدق رسول الله ﷺ .

---

(٨) انظر فى الآية التفسير الوسيط ص٤٤١ ـ ٤٤٥ . (٩) البقرة (٢٥٩). (١٠) البقرة (٢٨٤).
(١١) ال عمران (٢٩). (١٢) البقرة (٢٨٥). (١٣) تفسير ابن كثير (٣٣٩/١).

الموعظة الحسنة
وأثرها فى إصلاح النفوس

(١)

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

النفس الإنسانية هى محور اهتمام رسالات السماء، ومركز انطلاقها، وميدان نشاطها، منذ أن خلق الله أبانا آدم - عليه السلام - إلى أن بعث الله خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله ﷺ.

والرسالات السماوية كلها اعتبرت النفس الإنسانية الصالحة هى الأساس والركيزة لكل إصلاح فى المجتمع الإنسانى، وهى القاعدة المتينة التى يبنى عليها الأمن والأمان، والإخاء والتعاون، والحب والسلام فى المجتمع.

كما اعتبرت الرسالات السماوية النفس الإنسانية المختلة هى التى تثير الفوضى فى النظام الاجتماعى، وهى التى تسبب الخلل والاضطراب، والحقد والكراهية، والبغض والقطيعة فى المجتمع.

يقول الله تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[1].

فالنفس الإنسانية خلقها الله وسواها فى أحسن تقويم:

---

(١) الشمس (٧ : ١٠).

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(٢)، وبين لها: طريق الهدى والرشاد، وطريق الغواية والضلال، وجعلها مستعدة لتلقى ما يكملها ويصلها، ومنحها القوى الكثيرة المتنوعة التى توصلها إلى حسن المعرفة، والتمييز بين الخير والشر، والنفع والضر، والهدى والضلال، وألهمها وأفهمها معنى الفجور وهو: ما يؤدى إلى الخسران والشقاء، ومعنى التقوى: وهى الإتيان بالأقوال والأفعال التى ترضى الله، وتصون الإنسان، وبيّن لها حالهما، ووضح لها ما ينبغى أن تفعله، وما ينبغى لها أن تتركه من خير أو شر، ومن طاعة أو معصية، بحيث يتميز عندها الرشد من الغى، والطيب من الخبيث.. وقد أفلح وفاز وظفر برضا الله، ونجا من المكروه ومن غضب الله من طهر نفسه من الذنوب والمعاصى، وقد خاب وخسر نفسه وأوقعها فى التهلكة من نقصها وأخفاها، وحال بينها وبين فعل الخير، بسبب ارتكاب الموبقات والشرور.

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: سمعت النبى ﷺ يقرأ:

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ قال: «اللهم آت نفس تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»(٣).

فالنفس الإنسانية عندها الاستعداد للصلاح والتقوى، والخوف من الله، وفعل الخير والطاعات، واجتناب المعاصى والمحرمات..، وعندها أيضاً الاستعداد للغواية والضلال، والميل والانحراف، وفعل الشر وارتكاب المعاصى والمحرمات.

وفى الوقت نفسه يقف إبليس وجنوده للنفس البشرية بالمرصاد، يعمل جاهداً على إفسادها وإغوائها، وإبعادها عن الخير، وإغراقها فى الشر، مستغلاً ضعف النفس البشرية أمام هواها، وميلها بل واندفاعها إلى الرغبة فى إشباع غرائزها، ومستخدماً زينة الحياة الدنيا، وحب النفس الإنسانية للشهوات فى تحقيق هدفه وغايته:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾(٤).

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(٥).

عن جابر – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ليكون بعيداً عن رجم الناس له بالحوقلة والاستعاذة» ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم

---

(٢) التين (٤).
(٤) آل عمران (١٤).
(٣) أخرجه أحمد ٣٧١/٤.
(٥) فاطر (٦).

فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئاً، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال: فيدنيه ويقول: نعم أنت»[6].

وعنه - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»[7].

روى أن النبى ﷺ كان فى المسجد وعنده أزواجه، فرحن، فقال لصفية بنت حيى: لا تعجلى حتى أنصرف معك، وكان بيتها فى دار أسامة، فخرج النبى ﷺ معها، فلقيه رجلان من الأنصار، فنظر إلى النبى ﷺ ثم أجازا، فقال لهما النبى ﷺ: «تعاليا، إنها صفية بنت حيى»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله!، قال: «إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم، وإنى خشيت أن يلقى فى أنفسكما شيئاً»[8].

والشيطان يظل ملازماً للإنسان لا يفارقه، يوسوس له بالشر، ويغويه بالمعصية، ويحرص على أن يشغله عن أداء العبادات على وجهها الصحيح، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان له ضراط «صوت» حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى التأذين أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاة، أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه «يوسوس له» يقول له: اذكر كذا واذكر كذا مما لم يكن يذكر من قبل، حتى يظل الرجل ما يدرى كم صلى».

والإسلام فى علاجه للنفس البشرية ابتغاء إصلاحها، وهدايتها إلى الخير، والسير بها على الصراط المستقيم. ينظر إليها من ناحيتين:

الأولى: أن فى النفس البشرية فطراً طيبة صالحة، تهفوا إلى الخير، وتسعد بفعله، وتسر بإتيانه، وتتقبل النصح والإرشاد، والتوجيه إلى الصواب، وتأس للشر، وتحزن من ارتكابه، وترى فى معرفة الحق والاستمساك به والسير على مقتضاه، وجودها وسلامة حياتها، وتعتبر أن التمسك بالفضائل، والالتزام بتطبيقها مع ذاتها ومع الناس هو بلوغ مرتبة الكمال العالية.

الثانية: أن فى النفس البشرية - إلى جوار ذلك - ميولاً جانحة إلى الشر - ونزعات طائشة إلى ارتكاب الإثم، تنتحى بها عن الطريق السوى والصراط المستقيم، وتزين لها حب الشهوات والانغماس فى اللذات، والغوص بها فى مستنقعات الفساد والرذائل، وفعل كل ما يعود عليها بالضرر، ويهوى بها إلى منحدر سحيق.

---

(٦) أحمد ٣/٣١٤.

(٧) أخرجه أحمد ٣/٣٨٣.

(٨) البخارى ٣/٦٥.

وقـد أشـار النبى ﷺ إلى بعض هـذه الطبـاع بقوله: «يشيب ابن آدم وتشيب معه خصلتان: الحرص وطول الأمل»(٩)، وقوله ﷺ: «شر ما فى الإنسان: جبن هالع، وشح خالع»(١٠).

وخطب ابن الزبير – رضى الله عنهـما – على منبـر مكة فقـال: أيهـا الناس إن النبى ﷺ كـان يقول: «لو أن ابن آدم أعطى وادياً ملآن من ذهب أحب إليه ثانياً، ولو أعطى ثانياً أحب إليه ثالثاً، ولا يسد جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب».

وأول مـا يلفت الإسـلام نظر المريد إليـه. أن الجرى مع الهوى، والانصيـاع مع رغبـاته التى لا تنقضى، لن يشبع النفس، ولن يرضى الحق.

والنفس راغـبـة إذا رغـبـتـهـا
وإذا تـرد إلـى قـلـيـل تـقـنـع

فالنفس كلما ألفت موطناً لشهوتها أحبت التغيير والانتقال منه إلى موطن آخر.. وهى فى رتعهـا الدائم، وانحطاطهـا المتردى، لا تبـالى بارتكاب الآثام واقتراف السيئات، ومن ثم حذر القرآن الكريم من اتباع هذه الأهواء المحرمة، يقول الله تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾(١١)

غـيـر أنه لابد وأن تراعى التـفـريق بين أهواء النفس المحرمة وبين مطالبها المعقولة المقررة المباحة، فإن كـثيـراً من المتـدينين يخلط خلطاً سيئاً بين الأمرين، غير مدرك للعواقب السيئة لهذا الخلط الخطأ.

وذلك أن الإنسـان إذا كـانت له مطالب من متاع الحياة الدنيا وسعتها التى لا حرج فيها، ورغـبـات فى الاسـتـمـتـاع الحـلال بزينتـهـا، والحصـول على الطيبـات من رزق الله، فأُفهم خطأ أن هـذه المطالب من الرذائل المحظورة والزينة المحرمة، فستكون النتيجة أن يقبل هذا الإنسان على هذه المطالب المحتومة بفكر ونظر ورأى من يستبيح الحرام، ويرتكب المعاصى.. وهو فى الحـقـيـقـة ضـحـيـة خطأ فى الرأى والتوجيه، وبعد عن الفهم الصحيح لتوجيهات الإسلام، وجهل ببيان ما أحله الله وما حرمه.

ثم يتـفـاقم الوضع والتـصـرف بالنسبة لهذا الإنسـان، فيرى أنه مـا دام قد أصبح سيئاً، وأن الرذيلة قد صارت جزءاً من حياته وسلوكه، وأنه ضائع ضائع، وهالك هالك، فيفعل إذن ما يشاء.. وينتـقل من فـعل تلك الأفـعـال إلى ارتكاب منكرات أشد، وفواحش أكبر.

وقد لاحظ القرآن الكريم هذه الناحية.

«يتبـع»

ص ١٦١٢

(٩) لسان الميزان ٦/٢٦٥.
(١٠) البيهقى ٩/١٧٠.
(١١) ص (٢٦).

دعوة للأدباء

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

كثيراً ما نسمع عن مصطلح «الأدب الملتزم» فتطرب له أرواحنا، وتسعد به نفوسنا، لكننا سرعان ما نفيق على الحقيقة المرة التى تنبؤنا عن ندرة ذلك الأدب وسط هذا الكم الهائل من الكلام الغث شعراً كان أو نثراً حينما نستمع إليه كأنك تسمع طبلاً أجوف يصيب رأسك بالدوار ولا يزيد العقل إلا تشويشاً وخبالاً. أقول هذا وديننا الإسلامى الحنيف يحثنا ليل نهار على استخدام كل ما أعطينا من نعم واستثمار كل ما أغدق الله علينا من مواهب ومهارات فى نشر الخير وتوسيع دائرته وجعل الفضائل نسيماً يحيى موات القلوب وعبيراً يغرى الإنسان بشكل عام بالانطلاق فى الحياة يبنيها ويعمرها على أسس واسعة من الحق والخير والجمال.

وحتى لا يضيع الطريق من أقدامنا دعونا نعود إلى النقطة التى بدأنا بها الحديث ألا وهى الإشادة بالأدباء الملتزمين الحريصين على السير فى الطريق المستقيم ينشرون الفضائل ويحيونها بين الناس ويحثونهم على اتباع سبيلها فى مقابلة فئات من الناس يزينون الشر ويجعلون المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، وربما كان لنصيحة يزجيها أديب ملتزم فى شكل قصة أو قصيدة تأثير فى أيام معتادة لكن هذا التأثير يصبح فعالاً وتزداد إيجابيته حينما يصدر عنه فى شهر رمضان المعظم التى يعد بحق مضماراً يتسابق فيه الكل لنيل رضا الرحمن الذى يعود بالنفع العميم على كل بنى الإنسان.

والعمل الذى أضعه بين يدى المتلقى الكريم مقطوعة شعرية ملهمة، آثر صاحبها أن يضعها فى قالب أدبى جذاب كاد يلم بالموضوع المثار من كل أطرافه فى نصح غير مباشر يضع المحاسن والعيوب فى كفتى الميزان ويترك للقارىء المنصف حرية الحكم الذى سيحالفه التوفيق إن اقتنص فرصة الشهر الكريم وأصر على أن يتخذ منه دافعاً وحافزاً تقوى به إرادته وتعلو فيه همته ويشتد عزمه فكلنا يعلم أضرار التدخين الصحية والمادية والاجتماعية التى يعتبر الخوض فيها من نافلة القول ولذا يبدأ شاعرنا بنداء يحس منه سامعه أنه وصمة عار أو لنقل عيب يود لو تخلص منه ونودى بسواه. يقول الشاعر:

يا شارب التمباك ما أجراك
من ذا الذى فى شربه أفتاك

وأرى أنه لو قال: «يا شارب الدخان» لكان المعنى أشد وقعاً. وهو فى هذا البيت يلمح ولا يصرح برأى وهو يفتى بحرمة شرب الدخان وهو رأى لانقره ولانعترض عليه وإنما يرجع فيه لأهل الذكر الذين قدموا من أسباب التحريم ما يستشفه القارىء عبر السطور. أما المجوزون فإنهم يقدمون وجهة نظر جدير بنا أن نلتفت إليها فهم يقولون إن الجواز حتى ولو مع الكراهية يوحى بأن فى ديننا فسحة وأنه لم يقيد حرية أتباعه تقييداً مطلقاً يحرمهم من بعض ما يتوهمونه متعة وهو فى حقيقته أذى وضرر وهى النقطة التى ينطلق منها الناظم حيث يطرح السؤال الثانى على مستمعيه ثم يتبعه بثالث لا يجد عنه المتلقى جواباً ـ إن كان جاداً ـ إلا أن ينصاع لما يسمع فيقول الشاعر:

أتظن أن شرابه مستعذب

أم هل ترجى أن فيه غذاك

ولأن الشاعر واثق من أن الدخان لا يمثل طعاماً ولا شراباً ولا يسمن ولا يغنى من جوع فإنه ينتقل حثيثاً إلى سؤال معنوى يستنهض فى الآدمى عقله وفكره ثم يجيبه جواباً شافياً لا لبس فيه فيقول:

هل فيه نفع ظاهر لك يافتى

كلا فلا فيه سوى إيذاك

ومضرة تبدو وخبث روائح

مكروهة تؤذى بها جلساك

وهو فى هذين البيتين يزجر سامعه فينهره عن أن يدخن مؤكدا الضرر الحسى والمعنوى والظاهر والباطن ومنبها إلى أن الفتى الذى يهتم بمظهره وإثبات رجولته أشد الاهتمام، هذا الفتى نفسه يسىء من حيث لا يدرى إلى ذاته حين تنبعث منه روائح كريهة تنفر منه لداته وقرناءه وهو يذكره كذلك فى كلمات قلائل بحديث فذ لرسول الله ﷺ حين قال: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير» فحامل المسك إما أن يحذبك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما تجد منه ريحاً منتنة.

ثم ينبه الناظم سامعه إلى مضار صحية أثبتها الأطباء فلا مجال للجدال فيها تضاف إلى ما سبق فيقول:

وفتور جسم وارتخاء مفاصل

مع ضيق أنفاس وضعف قواك

وهى أمور كثيراً ما كانت سبباً لرفع قضايا فى المحاكم على كبرى شركات التبغ فى أمريكا حيث استطاعت شاكية أن تحصل على مبالغ مالية طائلة نظراً لما تذرعت به من فشل تلك الشركة فى تنبيهها إلى المضار الصحية الخطيرة لتلك العادة المرذولة.

ثم ينتقل بنا الشاعر إلى المضار المالية فيقول:

وضياع مال لا تجد عوضاً له

إلا دخاناً قد حشا أحشاك

ورضيت فيه أن تكون مبذراً

وأخو المبذر لم يكن يحناك

وهو يذكرنا هنا بقول الله عز وجل:

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾(١).

والشاعر فيما قال يذكرنى بمنظر لا أنساه ما حييت يريك كيف يتضامن العالم المخلص فى إيضاح الحق وتعريف الخلق به. ولهم عليه المنظر كان ذلك فى ندوة حضرها فضيلة المرحوم الشيخ إسماعيل صادق العدوى - الذى تحل ذكراه فى العشر الأواخر من الشهر الكريم - فقد جادله أحدهم فى حرمة السجائر فما كان من الشيخ الجليل إلا أن أخرج من جيبه عملة ورقية وكاد يشعل فيها عود ثقاب ليقنع المجادل أن التدخين ما هو إلا حرق لمال وذره فى الهواء هباء منثور.

فرحم الله ذلك الداعية الكبير وأسكنه فسيح جناته.

ثم يعاود شاعرنا مشكوراً الكرة لعله يظفر من سامعيه بآذان مصغية وقلوب واعية فيقول:

فإذا حضرت بمجلس واستنشقوا
من فيك ريحا يكرهون لقاك
يكفيك ذماً فيه أن جميع من
قد كان يشربه يود فكاك

وهو لعمرى محق لو التفت إلى تنفير الرسول ﷺ لا أقول من المدخنين بل من آكل الثوم والبصل غير المطهى وإلزامه له بأن يعتزل مجالس المؤمنين أو مساجدهم فما بالك بمن يشعل السيجارة من أختها، ثم يختم الشاعر بالإشفاق على المدخنين داعياً لهم أن يرفقوا بأنفسهم وأهليهم والأجنة فى بطون أمهاتهم وأصدقائهم. فالمدخن لا يؤذى نفسه فقط بل يحرم أخاه من حقه الذى كفله الله له فى استنشاق الهواء النقى والمعروف عندنا بالتدخين السلبى فيقول:

فارفق بنفسك واتبع آثار من
أهداك لا من فيه قد أرداك
إن كنت شهماً فاجتنبه ولا تكن
فى حبه مستتبعا لهواك
إنى نصحتك فاستمع لنصيحتى
ونهيت فاتبع قول من ينهاك
وبذلت قولى مخلصاً لك يا أخى
فعساك نيل ما أقول عساك

وهو هنا يذكرنا بسنة كادت تموت بين المسلمين وهى سنة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر التى يمكن التعبير عنها بلغة العصر الحديث بأنها النقد الاجتماعى الذى هدفه الأول والأخير هو الإصلاح ابتغاء وجه الله. لقد كانت الأبيات السابقة منبراً دعوياً عظيماً مس فيه الشاعر وتراً حساساً فاخرج منه أعذب النغمات التى تتغيا الصالح العام وتتزيا بثوب الإسلام الفضفاض الذى وسع الدنيا وما فيها وعلى الشاعر والأديب بشكل عام أن يوظف أدبه فى خدمة قضايا مجتمعه فلا يجعل منه معول هدم وإنما يكون أداة للبناء ترتقى بالمجتمع إلى آفاق الفضيلة والأمة الرائدة.

(١) الإسراء «٢٦ ، ٢٧».

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

استغفار ابن مسعود

دخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - المسجد فى آخر الليل فسمع من يقول: «اللهم دعوتنى فأجبت، وأمرتنى فأطعت، وهذا السحَر فاغفر لى».

قال: فاستمعت للصوت فإذا هو عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - فسألته عن ذلك الدعاء! فقال: إن يعقوب - عليه السلام - أخّر بنيه إلى السحر بقوله:

﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾[1] وقد قال الله - تعالى -: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾[2].

حق النعمة

أن تحسن لباسها، وتنسبها إلى وليها، وتذكر ما تناسى عندك منها.

حقيقة

قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضى الله عنه -: إنما أعطاكم الله الدنيا لتطلبوا بها الأخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، وإن الدنيا فانية والأخرة باقية، فلا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية.

كيف كان بر ابنك بك؟

قيل لعمر بن ذرٍّ: كيف كان بر ابنك بك؟

قال: ما مشيت نهارا قط إلا مشى خلفى، ولا ليلا إلا مشى أمامى، ولا رقى سطحا وأنا تحته.

من أنت؟

وقف أعرابى على قوم يسألهم، فقالوا: من أنت؟ قال: إن سوء الاكتساب يمنعنى الانتساب.

(١) يوسف ٩٨.

(٢) آل عمران ١٧.

أنـــواع النـــاس

يقول الشاعر:

لا أشـــتكى زمنى هذا وأظلمـه
وإنما أشـــتكى من أهل ذا الزمن
هم الذئاب التى تحت الثياب فلا
تكن إلى أحــد منهم بمؤتمن

وقال آخر:

إنى بلوت الناس أطلب منهم
أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
فلم أر فيما ساءنى غير شامت
ولم أر فيما سرنى غير حاسد

أصدق الناس فراسة

أصدق الناس فراسة ثلاثة:

العزيز فى قوله لامرأته عن سيدنا يوسف – عليه السلام –:

﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا﴾(٣).

والتى قالت لأبيها عن سيدنا موسى – عليه السلام –:

﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾(٤).

وسيدنا أبوبكر – رضى الله عنه – فى الوصية بخلافة سيدنا عمر – رضى الله عنه –.

ما أحسن هذه الكناية

وقفت عجوز على قيس بن سعد، فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان، قال: ما أحسن هذه الكناية! املئوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا.

حقـــا

قال الحكماء: إذا أراد الله بعبد خيراً الهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه فى الدين، وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف.

دعاء الإفطار

اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، وعليك توكلت، وبك آمنت، ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر، يا واسع الفضل اغفر لى، الحمد لله الذى أعاننى فصمت، ورزقنى فأفطرت، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وأصحابه وسلم.

(٣) يوسف ٢١.

(٤) القصص ٢٦.

تأملات فى منهج الدعوة الإسلامية

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

الدعوة الإسلامية كانت ولازالت الحديث الدائم والشغل الشاغل ليس على مستوى المنظمات والهيئات الإسلامية بل على مستوى الشعوب فالكل يسعى نحو الأفضل وينشد الاقتراب من مستوى الكمال.

فجعنى خبر قرأته بإحدى الصحف يقول: إن الدول العربية البترولية تحتفظ فى بنوك الولايات المتحدة الأمريكية وحدها بأرصدة تتراوح مابين سبعمائة إلى ألف ومائتين مليار دولار. نحيت الصحيفة وأمسكت بغيرها ففجعت ثانية بتصريح لمسئول فى إحدى المنظمات الإسلامية المنتسبة لتلك الدول البترولية يشكو قلة المال اللازم لتمويل نشاط الدعوة الإسلامية.

تذكرت حينها لقاء جمعنى بصديق من الأخوة الوافدين الدارسين بجامعة الأزهر، ودار بيننا حديث عن حال الإسلام والمسلمين فى بلاده، سألته أولاً: أنت اليوم داعية من دعاة الإسلام فى بلادك، أو هكذا ينبغى أن تكون، هل ترى أن الهيئات الإسلامية سواء فى بلادك من حيث معايشتك لها أو فى العالم من خلال أجهزة الإعلام، هل ترى أن هذه الهيئات الإسلامية تعمل بشكل جيد ينتج ثمرة طيبة؟

قال: بداية أنا لا أعرف من بين الهيئات الإسلامية العاملة فى حقل الدعوة الإسلامية غير الأزهر - ورابطة العالم الإسلامى.. صحيح توجد هيئات ومؤسسات أخرى تعمل فى مجال الدعوة الإسلامية، ولكن يبقى الأزهر دائما على القمة بما يملكه من رصيد ضخم يتمثل بشكل رئيسى فى استضافة الطلاب المسلمين من مختلف دول العالم لتعليمهم مبادىء الدين الإسلامى الحنيف.. يستضيفهم من مرحلة التعليم الإبتدائى حتى الدكتوراه، وهذا بلاشك له مردود قوى عندما يعود هؤلاء إلى بلادهم وقد صاروا حملة للرسالة يبلغونها لذويهم ويبصرونهم بها فى بلادهم.

الأزهر ورابطة العالم الإسلامى هما أكثر الجهات التى تقوم بإيفاد الدعاة إلى مختلف بلاد العالم، وإن شئت الدقة إلى معظم بلاد العالم، ولكنى سأحصر حديثى معك عن المجتمع الذى أعيش فيه.. المجتمع الإفريقى، وقبل أن أحدثك عن عمل الهيئات الإسلامية أحدثك أولا عن عمل مؤسسات التنصير.

عمل هذه المؤسسات التنصيرية يتميز بالتنظيم الشديد والدقة فى تنفيذ المهام، فالبعثة التبشيرية عندما تذهب لدولة ما تقوم أولا بعمل مسح

جغرافى وسكانى وبيئى وطبى لكل أقاليم هذه الدولة، ثم تبدأ فى إعداد مواصفات وشروط ينبغى أن تتوفر فيمن يتم تكليفه بالعمل بالتبشير فى كل قرية مهما كان صغر مساحتها، فهم أولا يجوبون البلاد طولا وعرضا، ثم يضعون خطط العمل ثم يبدأون فى التنفيذ.

فإذا كانت هناك قرية تتفشى فيها الأمراض والأوبئة يتم إعداد فريق من الأطباء فى التخصصات التى تحتاجها هذه القرية الصغيرة، بل ولعلها تكون متناهية فى الصغر وغير واضحة على الخريطة.

أعضاء هذا الفريق الطبى وبكامله منصرون هدفهم الرئيسى تنصير هذه القرية عن بكرة أبيها.. يبدأون عملهم بمخاطبة المرضى بجمل وعبارات من الإنجيل ويطلبون منهم ترديدها زاعمين أنها بداية طريق الشفاء.. يقدمون لهم الأناجيل يطلبون منهم وضعها تحت وسائدهم لأن فيها الشفاء وذلك مع تقديم العلاج الطبى والأدوية بالمجان، فعندما يشفى هؤلاء المرضى الذين يعيشون أصلاً فى مجتمع يؤمن بالسحر تأبى عقولهم أن تصدق أن الأدوية التى تعاطوها هى التى تسببت فى شفائهم، ويعلقون الشفاء بالعبارات والترانيم التى رددوها خلف طاقم العلاج الطبى، وبالكتاب الذى وضعوه تحت الوسادة. وبالتالى ينجح هذا الفريق التنصيرى فى أداء عمله على الوجه الأكمل.

وإذا كانت هناك قرية ما تعانى من الجفاف وندرة الطعام وقلة مياه الشرب، فإن البعثة المركزية للتبشير على الفور تقوم بإعداد فريق عمل من المهندسين المتخصصين فى زراعة الأراضى وحفر آبار المياه، ويصل هذا الفريق ويبدأ العمل بأجهزة ومعدات وإمكانات ضخمة تحمل كلها شعارات التنصير يقرأون عبارات وترانيم وهم يزاولون أعمالهم على مرأى ومسمع من أهل هذه القرية الصغيرة الفقيرة البائسة والناس يراقبونهم ذاهلين بما يفعلون وبعد أيام تتدفق المياه من باطن الأرض لتروى عطش الظامئين وتنسال بين شقوق الأرض الجافة لتعيد إليها وجه الحياة وبعد أشهر قليلة تكتسى تلك الأرض بالخضرة، فيندفع الأهالى يعانقون هؤلاء الذين جرى الخير على أيديهم عندها ينسب هؤلاء المهندسون عملهم إلى ما قرأوه من عبارات وما كتبوه من جمل على أجهزتهم، فيطلب الأهالى معرفة هذه الجمل والعبارات فتكون بداية العمل الحقيقى.

إنهم يعملون بشكل يبدو طبيعيا، غير مفتعل، وينجحون فى عملهم إلى أبعد مدى، وبعد أن يتنصر الناس تبدأ البعثات التبشيرية فى العمل بشكل مباشر فيتدفق رجال الدين وتُشيد الكنائس الضخمة وسط دعم وترحيب شعبى هائل.

سألته: ولكنك لم تجبنى بعد عن سؤالى: ما هو تقييمك لعمل الدعاة المسلمين فى بلادك.

نظر لى مستنكراً سؤالى وقال: أجب عن سؤالك بنفسك.

عندها تذكرت المليارات العربية الهائلة المودعة بالبنوك الأمريكية لتزيد انتعاش الاقتصاد الأمريكى وقلت فى نفسى أين هذه المليارات؟ ألم يكن الأجدر توجيه ولو مقدار ضئيل منها إلى خدمة الدعوة الإسلامية وما أصدق قول من قال قديما: «إسراف هناك وتقتير هنا».

بين الصحف و المجلات

اعداد الأستاذ
محمود الفشني

الإعلان وقيم المجتمع

كتب الأستاذ محمد نجار الفارسى فى جريدة الوفد معبراً عن رأى ملايين المسلمين وغير المسلمين فى الإعلانات التى تخدش الحياء قائلا:

لاشك أن الإعلان ـ ولاسيما فى التليفزيون ـ عن المنتج هو أحد دعائم نجاح ترويجه، بل يقوم بالدور الأكبر، لذلك أضحى فى عصرنا الراهن علماً يدرس أكاديميا لحساسية الدور الذى يضطلع به، واعتباره حلقة من منظومة الارتقاء الاقتصادى فى عالمنا الحديث.

ولا أحب أن أدخل فى استطرادات عن دور الإعلان ولكن نحن بصدد هذا الإسفاف المرئى ـ بدعوى الإعلان ـ الذى لطمنا لطمة قوية كادت تخرس وتشل جسدى، وجعل أسئلة كثيرة هاجت كالعاصفة فى نفسى: هل هذا الابتذال والغمز واللمز والعرى هو الإعلان العلمى الذى يدرس أكاديميا ليرتقى بالاقتصاد الوطنى؟ أين ذهبت القيم ـ والدين ـ والرقيب، هذه الفتاة التى تغمض وتفتح فى عينيها وتلقى برأسها الى الخلف مع زم شفتيها لتعلن عن منتج، هل أصبح الإعلان لدينا لايهمه سوى جنى الأموال ولو كانت على حساب قيم وتقاليد المجتمع؟!

أننى لا أشك بأن لهذه الإعلانات المبتذلة خلفية إعلانية أخرى وقد وقع التليفزيون فى الفخ دون قصد وأصبح شريكا فى الإطاحة بقيم المجتمع، إننى لا أعمم ولكن مايشاهد من أفعال يؤكد ماأقول.

لغتنا الجميلة .. ياتليفزيون يا!!

اما جريدة عقيدتى فقد طالعنا فيها تحت عنوان كلمة لابد منها للأستاذ ممدوح العشرى فى عددها الصادر فى ٢٩/١٠/٢٠٠٢ هذه الكلمة:

كان اهتمام الأجهزة المرئية والمسموعة فى الماضى باللغة العربية على أعلى مستوى.. وكانت اختبارات المذيعين

والمذيعات فى اللغة العربية من أصعب الامتحانات.. واجتياز هذه الاختبارات كانت تحتاج الى المذيعين والمذيعات السوبر فى اللغة العربية.. لذلك كانت الإذاعة والتليفزيون مدرسة تعلمنا منها.. وكان هذا الاهتمام له أسبابه.. فاللغة العربية هى لغة القرآن الكريم.. وهى لغة الضاد التى تجمع العرب.. والمحافظة على هذه اللغة واجب مقدس دينى وقومى.. فهى لسان القرآن.. وهى التى تحافظ على هويتنا أمام عولمة إعلامية ضخمة واردة من الخارج.. تحاول تدمير حضارتنا التاريخية العربية الإسلامية حتى نضيع ونتشتت داخل حضارات أخرى.. فنصبح مسخا لا تاريخ لنا ولاحضارة ولاقومية.. وواجبنا جميعا أن نتكاتف للمحافظة على لغتنا العربية أمام هذه الهجمة.. وعلينا أن نفهم جيداً أن لغتنا العربية من أهم العوامل الأساسية التى تحافظ على منظومتنا العربية والتى من خلالها تظهر قوتنا.. لأنها تجمعنا على قلب رجل واحد.. من هنا فإننى أناشد أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة أن تحافظ على لغتنا من خلال برامجها.. واللغة العربية سهلة ويستطيع أن يفهمها الجميع.. وهذه أمانة أحملها لجميع العاملين بالإذاعة والتليفزيون وخاصة التليفزيون لأن الإذاعة لازالت إلى حد كبير تحافظ على اللغة العربية، أما التليفزيون فحدث ولا حرج.. وبدلا من الأوامر التى تطالب المذيعين والمذيعات بالحديث باللغة العامية خاصة فى الفضائيات.. كنت أنتظر اهتماماً أكبر بلغتنا الجميلة.. ولا أعلم مغزى هذا القرار الذى أتمنى أن يكون إشاعة.

الإباحية فى مناقشة القضايا الجنسية مجاهرة بالمعصية

وفى جريدة اللواء الإسلامى تحليلا لهذا الموضوع من الناحية الشرعية إجاب محمد الشندويلى وزكريا الشناوى وخالد السيد فى تحقيق جرئ فى عددها الصادر فى ٢٤/١٠/٢٠٠٢ منها

قالت الدكتورة ليلى عبدالمجيد عميدة كلية الإعلام بجامعة ٦ أكتوبر بشكل عام هناك أخلاق إعلامية لابد أن يتبعها الإعلامى فالفضائيات ليس هدفها تقديم ثقافة التجريح أو خدش الحياء.

وأشارت إلى أن ماقدمته قناة دريم هو حرية مفرطة مبالغ فيها وكان ينبغى أن نراعى حق المشاهد وخاصة أننا فى دولة لها قيمها الدينية.

ويعتبر الدكتور جمال النجار رئيس قسم الصحافة بكلية البنات جامعة الازهر أن الإسراف فى تناول هذه القضايا بشكل علنى فيه إخلال بقيم المجتمع وترويج لعادات ليست من صميم الإسلام وأخلاقياته.

وقد ثبت علميا خطورة مثل هذه العادات المحرمة على عقل وأخلاق الشباب.

ويحذر الدكتور جمال من مقولات تدريس الثقافة الجنسية من خلال قنوات خاصة أو على شاكلة الكتب الجنسية على الأرصفة فليست هذه هى رسالة الإعلام فى المجتمع.

وطالب الدكتور النجار فى ظل وجود قنوات فضائية مخلة بوجود ميثاق شرف وهدف علمى وتربوى وثقافى تعمل فى ظله هذه القنوات.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعى خفاجة

أمن الأمة وضرورة التكامل

تحدثنا فى العدد الماضى عن التكامل الاقتصادى بين الشعوب العربية، وأشرنا إلى أهمية الرُّقى بالمستوى التعليمى والبحثى فى كافة مجالات الحياة المختلفة للوصول إلى ذلك التكامل المنشود كخطوة أساسية لإقامة الوحدة الشاملة بين المسلمين تنفيذاً لأمر الله ـ تعالى ـ للمؤمنين فى غيرما آية أن يتحدوا ولا يتفرقوا قال تعالى:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾(١).

وقال ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً،: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا...»(٢).. وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً»(٣).

وهو قولٌ صريح فى تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والتعاضد فى غير إثم ولا مكروه.

ولعله من الضرورى إذا كنا ننشد هذه الوحدة أن نبدأ فى توحيد المناهج الدراسية فى المدارس والجامعات العربية أو على الأقل تماثلها.. بحيث تكون الشهادات فى دولة عربية ما مناظرة لمثيلاتها فى الدول العربية الأخرى، وإن كان الاهتمام بالكَمْ شيئًا ضروريًا، فإن الاهتمام بالكَيْف أكثر ضرورة؛ لذلك يجب الاهتمام بالوسائل التعليمية والتركيز على المناهج التى تُفَتِّق طاقات التفكير والاستنتاج أى التى تركز على الفهم أكثر من تلك التى تهتم بالحفظ والتلقين.

وهذا يتطلب منا التركيز على:

١) إدخال العلوم الحديثة (التى تتفق مع العصر) فى مراحل التعليم المختلفة.

---

(١) آل عمران/ ١٠٣. (٢) صحيح مسلم ـ كتاب الأقضية ـ حديث رقم ٣٢٣٦.
(٣) صحيح مسلم ـ كتاب البر والصلة ـ حديث رقم ٤٦٨٤.

٢) الارتقاء بطرق التدريس وتكنولوجيا التعليم.

٣) خفض عدد التلاميذ فى الفصل الواحد بحيث يتوافق مع طاقة المدرس الذى يقوم بتلك العملية التعليمية.

٤) الارتقاء بالمستوى المادى للمعلم، لكى يتمكن من التفرغ لأداء تلك الرسالة المقدسة ومواجهة أعباء الحياة دون اللجوء إلى الدروس الخصوصية التى تعد أولى آفات التعليم فى بلدنا.

فمن غير المعقول أن تنفق الدولة كل هذه المليارات من الجنيهات على التعليم، وتستمر الشكوى من تدنى مستوى الخريجين بصفة عامة.

هذا عن العملية التعليمية، أما عن البحوث العلمية وأعنى بها: بحوث المستوى الجامعى وما بعده.. فلدينا والحمد لله فى العالم العربى كمٌّ لا بأس به من البحوث فى جميع المجالات قام بها نخبة طيبة من العلماء والباحثين، ولكن يبقى لنا أن نقوم بتفعيل هذه الأبحاث بما ينفع هذه الأمة، وأمام أعيننا وملء أسماعنا قول الرسول الكريم:

« اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع »(٤).

بل يجب أن يكون المبدأ الأساسى فى اختيار هذه الأبحاث قبل البدء فيها أن تمس حاجة المجتمع.

ومن هنا يجب توفير المناخ المناسب لإجراء تلك البحوث على المستوى عالمى وتحشد لذلك الإمكانات اللازمة من توفير المراجع والمجلات العلمية وإنشاء المعامل ذات المستوى المتقدم وإمدادها بالمواد اللازمة لها بشكل دائم والعمل على تحديثها كلما لزم الأمر ذلك.

فإذا قام كل بلد من بلدان الوطن العربى بإنشاء مركز بحثى متقدم وتم التكامل فيما بين هذه المراكز جميعاً، لكان لها شأن عظيم فى البحث عن حلول لجميع المشكلات التى تواجه التنمية والإنتاج فى كل المجالات: (الزراعية - والصناعية - والاقتصادية - والطبية - والدينية.. إلخ....)

رجال الأعمال ومسئولية البدء :

ويا حبذا لو حقق رجال الأعمال خطوة البدء فتقدموا بمشكلاتهم إلى المعاهد البحثية، على أن يقوموا بتمويل تلك الأبحاث بدلاً من الاستعانة بمن يطلق عليهم الخبراء الأجانب، وما يستلزمه ذلك من نفقات باهظة.

ولا شك أن هذه الخطوة الأولى من رجال الأعمال إذا أثمرت ستكون نواة حقيقية لربط تلك المعاهد فى بلدان العالم العربى جميعاً، بغرض الاستفادة المتبادلة بينها وبين رجال الأعمال فى الوطن العربى، مما يزيد الانتماء إلى وطننا العربى العزيز.

ومن الأعمدة الرئيسية - أيضاً - لتحقيق تلك الوحدة النهوض بالمستوى الإعلامى أعنى النهوض بوسائل الإعلام من: (كتاب - جريدة - إذاعة - تليفزيون - « انترنت » دور العرض السينمائية إلخ....) بحيث يكون دورها الأول تثقيف المواطن العربى، وزيادة الوعى بين أفراد الأمة

(٤) صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء - حديث ٤٨٩٩.

العربية ومناقشة قضايا الأمة بطريقة جيدة بالإضافة للإمتاع الذى يبتغيه القارىء والمشاهد والسامع.

وهذا يتطلب التنسيق بين أجهزة الإعلام فى هذه الدول العربية جميعاً وتبادل الخبرات فيما بينها.

وعلينا أن نضع نصْبَ أعيننا أن هذه الوسائل الإعلامية لو أتيح لها التنسيق الجيد لأدى ذلك إلى زيادة الترابط والانتماء بين شعوب المنطقة، ولا شك أنه إذا نجح الإعلام العربى فى تشكيل رأى موحد لقضايانا المختلفة فإن ذلك سيؤدى إلى قوة الموقف العربى، ونكسب معه مناصرة الأصدقاء.

وعلينا أن نتأمل مواقف من حولنا ونراجع مواقفنا!!..

نعم.. علينا أن نتأمل الموقف الأوروبى وما وصل إليه من وحدة بلغت حداً من النجاح حتى وصلت إلى وحدة العملة النقدية.

برغم ما لكل شعبٍ من لغةٍ تخصه وتاريخ يختلف عن جيرانه.

وعلينا أن نراجع مواقفنا ـ نحن العرب ـ فبرغم تاريخنا الواحد ولغتنا الواحدة التى نعتز بها وأن ما يجمعنا أكثر كثيراً مما زرعه الاستعمار ليفرقنا ـ وبرغم أن العرب قاموا بإنشاء الجامعة العربية كخطوة على الوحدة قبل أن يفكر الأوروبيون فى إنشاء وحدتهم.

علينا أن نتأمل أنهم يجنون ثمار وحدتهم فى حين أننا مازلنا بعيدين عنها.

وبعد.. فإنه لابد لنا ـ نحن العرب ـ أن نسمو فوق خلافاتنا ويجب أن نتحلى بالإيثار فنؤثر إخواننا على أنفسنا عملاً بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(٥)

فإذا كان سعينا للوحدة إرضاءً لله تعالى أصبحنا أمة مؤمنة قوية لايؤثر فيها تغير المصالح.

لابد أن نتكاتف من أجل الجماعة، فيد الله مع الجماعة، لابد أن نعمل بجدٍ ومثابرة وصبر حتى نحقق أمل أمتنا فى إنجاز تلك الوحدة وبناء أعمدتها الراسخة فى عالم أصبحت الغلبة فيه لمن يحوز قصب السبق العلمى.

وأصبحت الدول المتقدمة علميًا تتحكم فى غيرها من الدول النامية لتبقيها فى جهل دائم، بل وتسعى إلى صرفها عن طريق العلم، إذا حاولت ولوجه.

لقد كنا فى عهودٍ سابقة أهلاً للريادة العلمية وإن فى إعادة افتتاح مكتبة الإسكندرية خير دليل على ذلك العصر السالف المجيد.

فإذا كنا أصحاب ريادة علمية فات زمانها، فلا يجب أن نكتفى بالقول «كنا» ولكن وجب علينا البحث والعمل الجاد لاستعادة ذلك المجد العلمى مرة أخرى.

وبذلك نكون قد مهدنا الطريق لأبنائنا والأجيال القادمة لتعيش عيشة حرة كريمة.

نسأل الله التوفيق

عادل خفاجة

---

(٥) الحشر (٩).

وإلــى رســـائل القـــراء

الرسالة الأولى من الأستاذ عبدالفتاح آدم على الطيب يقول فيها :

أستاذنا الكريم / عادل خفاجة

وكل أساتذتنا الكرام فى مجلة الأزهر

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

شيء عظيم أن تفتحوا أبوابكم لقرائكم، ومريديكم، ومنذ خمسة عشر عاماً وأنا أواظب على اقتناء مجلة الأزهر، ولا أرى الآن إلا أنها فى تطور ملحوظ، وارتقاء لا يُنكر، وشيء عظيم أن نرى قراءكم يتجاوبون معكم مما يثبت تلاقى أحباب مجلة الأزهر فى شتى بقاع الأرض. وهذه أول مرة أشرف فيها بمراسلة المجلة من خلال بابكم الكريم(بين المجلة والقارىء) بعد أن قرأت فى العدد الأخير فتح صدوركم لإسهامات القراء فى مجال الكتابة عن الصحابة رضى الله عنهم، وأطمع فى كرمكم فى قبول إسهامى هذا عن سيدنا (المقداد بن عمرو) رضى الله عنه، وفقكم المولى عز وجل لخدمة الدين ورفع راية التوحيد .

أخوكم / عبدالفتاح آدم على الطيب

موجه التربية الإسلامية واللغة العربية

بإدارة كوم أمبو التعليمية- أسوان

● **المحرر: بل نحن نشكر للقارئ الكريم لسرعة الاستجابة**

المقداد بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

رجل من خيار صحابة المصطفى ﷺ ومن العظماء الذين صدق فيهم قول ربنا عز وجل :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾

(الأحزاب) ٢٣

حقاً كان المقداد من هؤلاء الذين لم يسمحوا للشيطان أن يداخل قلوبهم بريبة أو شك أو تبديل، إنه من السابقين فى الإسلام، كان سابع سبعة جاهروا بإسلامهم، متلقين من أذى وضراء قريش ما لا تقوى الجبال على حمله، وكان رجلاً أظهرت المواقف عظمته، وكشفت الأحداث عن شموخه، حتى تمنى عظماء الصحابة أن يقفوا موقفه، يقول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه :

«لقد شهدت من المقداد مشهداً، لأن أكون صاحبه أحب إلىَّ مما فى الأرض جميعاً» ويقصد عبدالله مشهد المقداد وموقفه يوم بدر، حين طلب النبى ﷺ المشورة من أصحابه فى شأن هؤلاء الذين أقبلوا بعداوتهم وعددهم وعدتهم، وأراد النبى ﷺ أن يبلو

نفـوس أصـحـابه بهـذه المشـورة، ويرى استعدادهم لملاقاة أعداء الله، فهمَّ المقداد أن يتكلم بما نطق به الفؤاد، ولكن تكلم أبوبكر الصديق قبله، فاطمأن المقداد، وتكلم عمر الفاروق فازداد المقداد اطمئناناً، ثم تقدم وقال: «يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون. بل نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون، والذى بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، ولنقاتلن عن يمينك، وعن يسارك، وبين يديك، ومن خلفك حتى يفتح الله لك». فتهلل وجه النبى ﷺ وامتن الله على المقداد بدعاء النبى له، وألهبت كلمات المقداد حماس الصحابة حتى هبَّ سعد زعيم الأنصار - رضى الله عنهم - وقال كلمات كان من بينها: «... فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، وما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصُبرٌ فى الحرب صدق فى اللقاء...».

والتقى الجمعان، ولم يزد الفرسان فيهم عن ثلاثة، منهم المقداد بن عمرو، وكان بقية الصحابة إما مشاة أو راكبين إبلاً، وحدث ما حدث فى غزوة بدر مما لا يخفى على أحد.

ومن جوانب عظمة المقداد أنه كان صريحاً مع نفسه إلى أبعد حد، سأله النبى ﷺ: «كيف وجدت الإمارة؟ فأجاب فى صدق: لقد جعلتنى أنظر إلى نفسى كما لو كنت فوق الناس وهم جميعاً دونى، والذى بعثك بالحق لا أتأمرن على اثنين بعد اليوم أبداً.

رضى الله عن المقداد وعن صحابة النبى أجمعين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

إدراك معنى العقيدة

وهذه الكلمة أرسل بها الشيخ / خيرى محمد أبوالروس / كفر الجرايدة بيلا.

يقول فيها :

لابُدَّ للمؤمن الموحد بالله تعالى أن يدرك معنى العقيدة الصحيحة التى هى أصل الدين والتى هى الركن الركين والتى هى أساس الملَّة.

ولاتُقبل الأعمال والأقوال إلا إذا صدرت عن عقيدة سليمة وصحيحة كمال قال ـ المولى ـ جل جلاله ـ «وهو أصدق القائلين».

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾

المائدة الآية رقم٥

وقـال ـ تعـالى ـ فى قُـرآنه وهو أصـدق القائلين :

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾

الزمر الآية رقم ٦٥

وقد دلّ كتاب ربّ العالمين وسنة رسوله الأمين على أن العقيدة الصحيحة تتلخص فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره فهذه الأمور الستة هى أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة . ويتفرع عن هذه الأصول كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب وجميع ما أخبر الله به رسوله سيدنا محمد ﷺ وأدلة هذه الأصول الستة فى الكتاب والسنة كثيرة جداً . فمن ذلك ـ قوله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو أصدق :

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾

سورة البقرة الآية رقم ١٧٧

وقوله ـ جل جلاله ـ وهو أصدق القائلين :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾

النساء / ١٣٦

أما الأحاديث الصحيحة الدّالة على هذه الأصول الستة فكثيرة جداً ومن ذلك . الحديث المشهور الذى رواه الإمام مسلم فى صحيحه من حديث أمير المؤمنين ـ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن جبريل عليه السلام ـ سأل ـ النبى ﷺ عن الإيمان فقال له : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» وهذه الأصول الستة يتفرع عنها جميع ما يجب على المسلم اعتقاده فى حقّ ـ الله سبحانه وتعالى ـ وفى أمر المعاد وغير ذلك من أمور الغيب .

***

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة ، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء . ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها . كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا .

أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ / محمد الشرقاوى

اجتماع مجلس مجمع البحوث الإسلامية

عقد مجلس مجمع البحوث الإسلامية أولى جلساته فى دورته التاسعة والثلاثين يوم الخميس ١٩ من رجب سنة ١٤٢٣هـ الموافق ٢٦ من سبتمبر سنة ٢٠٠٢م وذلك برياسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ورئيس المجمع وقد ناقش المجلس عددا من الموضوعات وعلى رأسها.

١ـ مؤلفات صادرة باللغة العربية عن الإسلام وقضاياه المختلفة وردت إلى الأزهر من جهات مختلفة لبيان الرأى الشرعى فيما تحتويه وقد عهد المجلس بفحصها إلى عدد من السادة العلماء أعضاء المجلس ومن تلك المؤلفات:

« ودخلنا التشيع سجدا » تأليف / محمد على المتوكل.

« حقيقة الحجاب وحجية الحديث » تأليف / محمد سعيد عشماوى.

كما وافق المجلس ـ بعد الفحص والدراسة ـ على نشر وتداول بعض المؤلفات الصادرة باللغة الإنجليزية عن الإسلام وذلك لبعدها عن التعصب وتشويه صورة الإسلام بما ليس فيه، ومنها: « الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر » تأليف مونتجمرى وات، ترجمة الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ.

« عقيدة الشيعة » تأليف محمد رضا المظفر (باللغة الإنجليزية).

ووافق المجلس ـ بعد الفحص والدراسة ـ على حجب وعدم تداول بعض المؤلفات التى تعرض بالإسلام، وتسىء إلى أصوله الثابتة ومنها « الربانى عيسى » تأليف بريوس شلتون وهو يسىء

إلى الكتب المقدسة عامة والعقيدة الإسلامية خاصة.

« كنوز الإسلام » تأليف فيصل عبدالحميد شهوان، وفيه اعتداء صارخ على ثوابت العقيدة الإسلامية.

« الله الواحد الحق » تأليف وندى استارك وفيه دعاية يهودية خبيثة ضد الإسلام والمسيحية معا.

وفى مجال التسجيلات المسموعة والمرئية:

وافق المجلس على السماح بتداول بعض التسجيلات التى تتناول موضوعات إسلامية وذلك بعد فحصها من السادة العلماء ومنها:

« بستانى الإسلام » إصدار هيئة الإذاعة البريطانية « B.B.C »؛ بينما حظر المجلس نشر وتداول بعض تلك الأعمال لمساسها بالعقيدة ومنها شريط بعنوان « أحد اللقاءات الدينية » لكارم السباعى مرشد الطريقة البرهانية.

فى مجال الأعمال المرئية: رفض المجلس - بعد المشاهدة والدراسة - سيناريو عن قصة سيدنا موسى عليه السلام إنتاج شبكة « B.B.C » وذلك لما يحويه من أخطاء صارخة، ونيات خبيثة تسيء إلى الإسلام وقد أوصى المجمع بعدم إخراجه أو عرضه بأية صورة فى مصر وخارجها.

هذا وقد عقدت اللجان العلمية للمجمع أولى جلساتها المختلفة فى دورتها التاسعة والثلاثين:

لجنة بحوث القرآن الكريم

حيث عقدت لجنة بحوث القرآن الكريم جلستها الثلاثين برياسة فضيلة الشيخ محمد الراوى وقد اختارت اللجنة موضوع [أكذوبة تحريف القرآن الكريم] ليكون موضوعها الرئيسى خلال الدورة.

عرض على اللجنة موضوع بعنوان [البرهان على تحريف القرآن] نشر على أحد مواقع الإنترنت وقد ناقشت اللجنة الموضوع وعهدت إلى فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب مفتى الجمهورية وعضو اللجنة بدراسة الموضوع.

لجنة التعريف بالإسلام

كما عقدت لجنة التعريف بالإسلام جلستها برياسة فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف حيث قررت اختيار بعض الكتب والمصنفات التى تعرف بالإسلام مما كتبه رجال التراث وعلماء الأزهر للنظر فى نشرها.

كما قامت اللجنة بتحديد عدد من الموضوعات التى يكتب فيها للتعريف بالإسلام على ضوء التقارير التى سبق تدارسها فى اللجنة.

لجنة القدس والجهاد والأقليات الإسلامية

كما عقدت لجنة القدس والجهاد والأقليات جلستها برياسة فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف حيث أكدت على أهمية دور الأزهر والهيئات الإسلامية العالمية فى توحيد الصف الإسلامى والعربى ودراسة الموضوعات الخاصة بالقضية الفلسطينية ومتابعة أحوال الأقليات الإسلامية فى البلدان غير الإسلامية، وكذلك ضرورة المساهمة فى حل النزاعات بين الدول والمنظمات الإسلامية من جهة وبين الدول غير الإسلامية من جهة أخرى بالطرق السلمية عن طريق الحوار المفتوح والذى يعكس الصورة المشرقة للإسلام وتعاليمه السامية.

لجنة إحياء التراث الإسلامى

وعقدت لجنة إحياء التراث الإسلامى جلستها برياسة الأستاذ الدكتور عبدالعزيز غنيم حيث رأت اللجنة أن تكون خطة عملها خلال الدورة الجديدة الاستمرار فى تحقيق كتب التراث والتى ترى اللجنة جدارتها بالتحقيق والنشر من ذخائر التراث الإسلامى وكنوزه وقررت كذلك اختيار بعض كتب التراث التى تعالج قضايا معاصرة مثارة حاليا على الساحة المحلية والعالمية والعمل على تحقيق هذه الكتب ونشرها.

لجنة العقيدة والفلسفة

وعقدت لجنة العقيدة والفلسفة جلستها برياسة فضيلة الأستاذ الدكتور عوض الله حجازى حيث قررت اللجنة ان تكون خطة عملها خلال هذه الدورة هى: بحث ما يمس العقيدة الإسلامية من تيارات معاصرة وبحث كل ما ينشر فى المجلات والصحف ووسائل النشر المختلفة متعلقا بالإسلام والرد عليه.

لجنة السنة والسيرة

كما عقدت لجنة بحوث السنة والسيرة جلستها برياسة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم حيث قررت النظر فى مراجعة موسوعة السنة الخاصة بالحديث والرجال ودراسة تشكيل وتشغيل مركز السنة والسيرة والنظر فى تحقيق بعض كتب التراث والنظر فى ترشيح بعض بحوث رسائل الماجستير والدكتوراه للطبع والنشر والنظر فى طبع ونشر بعض البحوث والكتب الموجزة لعلاج بعض القضايا المعاصرة فى ضوء السنة.

لجنة التعاون بين جامعة الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية

وعقد لجنة التعاون بين جامعة الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية جلستها برياسة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عبدالنبى العدوى حيث قررت أن تكون خطة عمل اللجنة خلال هذه الدورة هى: علاقة التعاون بين المجمع والجامعة فى ضوء المادة (١٥) من القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م مع وضع الضوابط اللازمة والكفيلة بتطبيقها.

ودراسة اقتراح فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عبدالنبى العدوى بشأن تدريس مادة الحاسوب لطلاب جامعة الأزهر.

ودراسة موضوع تعريب العلوم بالكليات العملية بجامعة الأزهر.

أول مجمع فقهى فى الولايات المتحدة الأمريكية

نجح المسلمون فى الولايات المتحدة الأمريكية فى تأسيس أول مجمع فقهى يضم خمسين من أبرز فقهاء العالم الإسلامى وذلك خلال مؤتمرهم الأول الذى عقد لهذا الغرض.

يهدف المجمع إلى الاجابة عن أى اسئلة فقهية فى القضايا المستحدثة ورسم خطة الوجود الإسلامى فى أمريكا فى ضوء المتغيرات بعد احداث سبتمبر واعداد بحوث فقهية عن ما يتعلق بآمال وآلام الأمة عامة والأقلية الإسلامية فى الولايات المتحدة خاصة.

وانتخب المؤتمر الدكتور حسين حامد عثمان رئيسا له ويتولى الأمانة العامة للمجمع الدكتور صلاح الصاوى رئيس الجامعة الإسلامية المفتوحة بأمريكا

ونائبان للرئيس هما الدكتور على السالوس والدكتور وهبة الزحيلى وشارك فى عضوية اللجنة الفقهية من مصر كل من الدكتور محمد رأفت عثمان العميد السابق لكلية الشريعة والقانون وعضو مجمع البحوث الإسلامية والدكتور أحمد طه ريان أستاذ الفقه بكلية الشريعة والدكتور يوسف قاسم الأستاذ بحقوق القاهرة وقرر المجمع استخدام كل الوسائل التكنولوجية وفى مقدمتها الدوائر التليفزيونية عبر الاقمار الصناعية للربط بين الراغبين فى السؤال وأى عضو فى المجمع فى الدولة التى يقيم فيها.

مسح ضوئى لمكتبة الأزهر

أعلن فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر أن سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولى عهد دبى وزير الدفاع الإماراتى تكفل بإجراء مسح ضوئى لمكتبة الأزهر، وأن سموه كلف إحدى الشركات المتخصصة لإجراء هذا المسح.

جاء ذلك عقب لقاء سمو ولى العهد أثناء زيارة وكيل الأزهر للإمارات.

أوضح وكيل الأزهر أن مشروع المسح الضوئى لمكتبة الأزهر سيجعل لمكتبة الأزهر موقعا الكترونيا يستفيد منه جميع الباحثين والعلماء وطلاب العلم.

وأضاف: إن تكلفة هذا المشروع تقدر بنحو ٥ ملايين دولار وهذا المشروع هو أحد المشاريع الخيرية والتعليمية التى يتبناها ويرعاها سمو ولى العهد للنهوض برسالة الأزهر ومساعدته على أداء رسالته الإسلامية والإنسانية.

وقال وكيل الأزهر: إن مكتبة الأزهر تحتوى على تسعة آلاف مخطوط نادر و« ٤٢ » ألف مخطوط متكرر ونحو ٢٥٠ ألف كتاب فى مختلف العلوم الشرعية والإنسانية.

البيت الأبيض يرفض انتقاد رجال دين أساءوا للإسلام

رفض المتحدث باسم البيت الأبيض «آرى فلايشر» توجيه نقد مباشر إلى عدد من رجال الدين المسيحى البارزين فى الولايات المتحدة عقب تطاولهم على الإسلام والرسول ﷺ وذلك على الرغم من مشاعر الغضب المتزايد بين المسلمين تجاه هؤلاء الاشخاص وقال «فلاشر» ردا على سؤال بشأن موقف الرئيس بوش من تصريحات ثلاثة من رجال الدين البروتستانت والتى تسىء إلى شخص النبى محمد ﷺ: لقد أعلن الرئيس بوش فى العديد من المناسبات وأثناء زياراته للمساجد ولقاءاته مع الزعماء المسلمين أن الإسلام هو دين سلام وتلك إشارة هامة على انفتاح أمريكا على المسلمين وترحيبها بهم.

قناة أمريكية تتطاول على الرسول ﷺ

استنكرت رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة تطاول البرنامج الأمريكى «هانيتى آند كولمز» الذى تبثه قناة «فوكس» التليفزيونية على شخص رسول الله ﷺ.

وقد أصدر الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى بيانا أعرب فيه عن استياء الشعوب والأقليات الإسلامية فى العالم من تطاول هذا البرنامج على الإسلام بالإساءة إلى شخص رسول الله ﷺ واتهامه بالكذب والجنون وابتداع الرسالة وأكد البيان أن الافتراء على الإسلام والهجوم على رسوله ﷺ دليل على ازدياد الاقبال عليه.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل رئيس جمهورية المالديف

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف فخامة الرئيس / مأمون عبدالقيوم رئيس جمهورية المالديف والوفد المرافق لفخامته، وتأتى هذه الزيارة فى إطار زيارته لجمهورية مصر العربية لحضور افتتاح مكتبة الإسكندرية، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بالضيف والوفد المرافق وأشاد بعمق العلاقة بين مصر وأزهرها الشريف وجمهورية المالديف.

والأزهر الشريف يقدم كل عون ومساعدة لأبناء العالم الإسلامى وخاصة أبناء المالديف الذين يدرسون بالأزهر الشريف، وقدم رئيس المالديف الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقوم به الأزهر من مجهود فى استقبال أبناء المالديف وتلقيهم العلوم الدينية بالأزهر الشريف وكذا استقبال الأزهر للعلماء الذين يحضرون من المالديف لحضور الدورات التدريبية التى تعقد كل ثلاثة أشهر مع علماء ووعاظ العالم الإسلامى أيضا قدم الشكر على البعثات العالمية من العلماء الذين يحضرون من الأزهر للمالديف لتعليم أبناء المسلمين فى بلادهم، كما أشاد الضيف بمجهودات مصر فى كل المجالات وخاصة افتتاح مكتبة الإسكندرية، واعتبر أن هذا عمل رائع تحت قيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية، يجدر بالذكر أن الرئيس المالديفى من خريجى الأزهر الشريف، وقد وجه فخامته الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة المالديف على رأس وفد من العلماء لما لتلك الزيارة من أهمية بالغة لدى حكومة وشعب المالديف. حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

سوار الذهب يطلب تدريس مناهج الأزهر بالسودان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد المشير / عبدالرحمن محمد حسن سوار الذهب رئيس جمهورية السودان الأسبق ونائب رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة وقد رحب فضيلته بالسيد المشير فى مصر وأزهرها الشريف مؤكدا على عمق العلاقة الطيبة بين مصر والسودان ومن جانبه أكد السيد المشير على أنه يعتبر السودان الجزء الجنوبى لمصر والعلاقة بين البلدين قوية ومتينة وتزداد قوة

وارتباطا كما طلب موافقة الأزهر الشريف على قيام مؤسسة تعليمية تدرس المنهج الأزهرى بالسودان، ويقوم الأزهر بالإشراف على هذه المؤسسة وإمدادها بالمناهج والكتب والمدرسين وتشمل المراحل الدراسية الابتدائية والإعدادية والثانوية والمرحلة الجامعية، وأعرب سيادته أن هذه الخطوة تعبر عن رغبة الكثير من أبناء السودان لتدريس مناهج الأزهر الشريف التى تمتاز بالتوسط والاعتدال والبعد عن المغالاة لأنها تستمد تعاليمها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر وأبدى الاستعداد التام للوقوف إلى جانب أبناء السودان وتحقيق هذه الرغبة والتعاون من أجل تنفيذها حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وفد جامعة داود الفطانى الإسلامية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا من جامعة الشيخ داود الفطانى الإسلامية - بدولة تايلاند برياسة الشيخ / وان حسن وان إبراهيم، حيث رحب فضيلته بالوفد مؤكدا على أن الأزهر دائما فى خدمة أبناء المسلمين فى كل بلاد العالم ولا يدخر وسعا فى تلبية طلبات المسلمين فى شتى أنحاء المعمورة، وأكد على أن أبواب الأزهر الشريف مفتوحة لطلبات المسلمين فى أى وقت.

شكر الحضور فضيلته على حسن اللقاء وعلى سعة صدر فضيلته، وطلب الحضور تزويدهم بالكتب والمراجع التى تعين الباحثين فى أبحاثهم الجامعية وليستعين بها أبناء تايلاند فى معرفة أمور دينهم، كما قدموا الشكر لفضيلته على تعليم أبناء تايلاند فى الأزهر الشريف، وقد تخرج فى الأزهر أعداد كثيرة من أبناء تايلاند، يكنون للأزهر ولمصر كل محبة واعتزاز وتقدير وقد وافق فضيلته على تلبية طلبهم.

سفير إيران باليونسكو يؤكد على أهمية دور الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور / أحمد جلالى سفير إيران باليونسكو الذى حضر لمصر لحضور حفل افتتاح مكتبة الإسكندرية، حيث رحب فضيلته بالضيف الكريم مشيدا بالأخوة الصادقة التى تجمع بين الشعبين المصرى والإيرانى، ومن جانبه أشاد الضيف بدور الأزهر الشريف ومكانته العلمية والعالمية لدى شعوب العالم أجمع حيث يستقبل الطلاب من معظم دول العالم ليدرس لهم الإسلام الصحيح، وأوضح أنه لشرف عظيم لكل أبناء إيران أن يحظوا بمنح دراسية بالأزهر الشريف، وناشد الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف القيام بالتنسيق من أجل توحيد الكلمة بين المسلمين والمسيحيين للتصدى لمن يسىء للإسلام والأنبياء، وعلى الإخوة المسيحيين أن يوجهوا كلمات تحث فيها القيادات المسيحية للتصدى لمثل هذه الادعاءات، وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن العالم كله مسلمين ومسيحيين ويهود وغيرهم فيهم العقلاء وفيهم السفهاء، والعقلاء هم الذين يقرأون ويكتبون بدون إثارة للفتن، أما غيرهم فهم يسمعون

ويقرأون ولا يبحثون عن الحقائق، فيكتبون بما لا يعرفون أو بما يسمعون بعيدا عن الحقيقة فالمسائل تحتاج إلى موازنة، وعلينا أن نتفهم الحقائق ونبحث عنها فى الكتب والمراجع الأصلية، لتكون كتاباتنا بعيدة عن الجهل، ونكتب من واقع المعرفة، ونحن والحمد لله نرد على تلك الادعاءات والافتراءات التى تثار ضد الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ودون تجريح لأحد، كما طلب الضيف من فضيلة شيخ الأزهر الشريف تنسيق الجهود مع المملكة العربية السعودية لتنظيم الحج من خلال وسائل الإعلام، ويلتزم جميع الحجاج من كل البلاد بأسلوب فيه التعاون حفاظا على أرواح الحجاج وفى نهاية اللقاء شكر الضيف على حسن اللقاء والحفاوة.

سفير موزامبيق يطلب زيادة عدد المنح الدراسية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير/ دانيال إدوارد موندلان سفير موزمبيق بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف مؤكدا على أن الأزهر الشريف الذى عمره الآن أكثر من ألف عام يؤدى رسالته فى خدمة المسلمين ويفتح أبوابه لطلاب العالم للدراسة به، وبه طلاب من موزمبيق يدرسون بمراحله المختلفة ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية وعددهم عشرون طالبا يتلقون العلوم الدينية والعربية جنبا إلى جنب مع إخوانهم من طلاب العالم ومصر، والأزهر لا يدخر وسعا فى تقديم العون والمساعدة لأبناء المسلمين، ومدينة البعوث الإسلامية بها طلاب وطالبات من خمس وتسعين دولة فى القاهرة والإسكندرية، وقدم السيد السفير الشكر لمصر وللأزهر الشريف ولشيخه وعلمائه على ما يقدمه للإسلام وللمسلمين فى شتى أنحاء العالم ومنهم دولة موزمبيق وطلب الضيف زيادة عدد المنح الدراسية من الأزهر الشريف، كذا فتح الباب أمام تعليم أبناء بلاده اللغة العربية حيث إن موزمبيق عضو فى منظمة المؤتمر الإسلامى، وأن تعليم اللغة العربية يساعد على ترجمة الموضوعات فى كافة الأنشطة والمجالات التى تخدم دولة موزمبيق، وقد رحب فضيلته بدراسة طلبات السيد السفير تمهيدا لتلبيتها.

الإمام الأكبر يؤكد:

لا يصح أن تعتدى دولة كبرى على أخرى صغرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ بيتر هولينجورث حاكم عام استراليا والوفد المرافق لسيادته، رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بالعلاقة الطيبة التى تربط مصر ودولة استراليا منذ أمد بعيد، وأوضح فضيلته أن الناس جميعا من أصل واحد وهى الحقيقة التى أكدتها جميع الأديان السماوية، وأن اختلاف العقائد بين الناس لا يمنع التعاون فيما بينهم، ونحن فى مصر مسلمين ومسيحيين نعيش إخوة متحابين وكل له عقيدته، ونتزاور فى الأعياد وفى المناسبات المختلفة، ونعمل سويا جنبا إلى جنب لتحقيق صالح الوطن، وأنا كشيخ للأزهر لدى رسالة دينية أقوم بها فى شرح وتوضيح المفاهيم والأمور الدينية لدى عامة المسلمين فى مصر وغيرها، ودراستنا فى

الأزهر الشريف تقوم على الاعتدال والتوسط وإعطاء كل ذى حق حقه، ونرفض الظلم والاستغلال والاستعباد، واغتصاب الأرض وهدم المنازل وقتل الآمنين، وكان للأزهر الشريف دور بارز ونشط عقب أحداث ١١ سبتمبر المؤلمة، حيث أعلن الأزهر الشريف للعالم كله أن هذه الأحداث هى جرائم بشعة بكل المقاييس الدينية والقانونية والاجتماعية، وقلنا: إن من حق الدولة التى وقع اعتداء على أرضها أن تبحث عن المجرمين وتقدمهم للمحاكمة العادلة عن طريق الهيئات القضائية لتقول كلمتها العادلة فيهم، وقد شهد بذلك السيد الرئيس الأمريكى، وأرسل للأزهر خطاب شكر ودائما نقول: نحن ضد الإرهاب بكل صوره وأشكاله وألوانه، ونحن ضد من يفسر الإرهاب على هواه ونؤكد: أن الإرهاب هو العدوان على الغير واحتلال أرضه وحصاره وقتل النساء والأطفال والشيوخ أما من يدافع عن أرضه وعرضه وكرامته الإنسانية، وحريته ليس إرهابيا ونحن نؤيده ونقف بجانبه حتى يظفر بحريته، ونحن فى عصر نالت فيه كل دولة حريتها واستقلالها، ولا يصح أن تعتدى دولة كبرى على أخرى صغرى، ويجب على العالم كله أن ينطق بكلمة الحق ويقف بجانبه ويسانده، وأكرر بأننا نحترم جميع الأديان، ولدينا فى الأزهر الشريف لجنة دائمة للحوار تجتمع شهريا، لأننا نؤمن بتعاون الحضارات ولا نؤمن بصدام الحضارات، والعقلاء يؤمنون ويؤيدون تعاون الحضارات فيما بينها، ونحن نأخذ من الحضارات فى العالم ما يصلح لنا، وكذلك الحضارات الأخرى تأخذ من حضارتنا ما يناسبها وذلك من أجل بناء حياة جديدة لصالح البشرية من أجل نفعها وليس من أجل ضررها، ننتفع بالماضى ونسلك طريق العدل والكرامة الإنسانية، من أجل مستقبل يبشر بالخير والعدل والسلام ويعود ذلك بالخير على البشرية بدل الحروب والخراب والدمار، ووظيفتنا كرجال دين وحكام أن نعلم ونصحح ونبين المفاهيم حتى يكثر عدد الحكماء عن طريق نشر العدل والفضائل ليزداد الأمان والرخاء، ونحن نؤمن بالتخصص فرجل الدين يتخصص فى الأمور الدينية والشرعية، ورجل السياسة له تخصصه ولا يمنع أن تكون المعرفة بجميع الأمور واضحة ونتعاون ونتعلم من بعضنا البعض.

قدم الضيف الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما سمعه من كلام مفيد، وقال: إنه كان رجل دين قبل أن يعين حاكما عاما لأستراليا منذ عام ولذلك هو يقدر كلام فضيلة الإمام الأكبر بكل احترام وتقدير ورغم أنه رجل سياسة إلا أنه قد انجذب لهذا الحديث فى الجوانب الدينية وإعجابه الشديد بسلاسة الحديث، وقد وجد أن الأفكار متطابقة، والتعاليم الدينية واحد. وقال: إننا فى استراليا نفتح الأبواب أمام الحريات والعبادات للجنسيات المختلفة ليمارسوها بكل حرية وقد قام هو وقادة القساوسة بزيارة أماكن تحت رياسة مسيحية ويقوم بالتدريس فيها مسلمون والتعاون معهم قائم على أكمل وجه وفى نهاية اللقاء تمنى فضيلته للضيف إقامة طيبة.

الإمام الأكبر:

شعب مصر أسرة واحدة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة الدكتورة / ماريان ماكلير مديرة العلاقات الدولية للكنيسة المشيخية بالولايات المتحدة الأمريكية والوفد المرافق لها يرافقهم الدكتور / صفوت البياضي رئيس الطائفة الإنجيلية بالقاهرة، ومما يذكر أن الكنيسة المشيخية من أكبر الكنائس في الولايات المتحدة الأمريكية التي تؤيد القضية الفلسطينية والشعب العراقي هذا ما جاء على لسان رئيسة الوفد.

ومن جانبه أكد فضيلة الإمام الأكبر على أهمية الجهود الاجتماعية الموفقة للكنيسة المشيخية، كما أعرب فضيلته عن أن شعب مصر يعيش أسرة واحدة مسلمين ومسيحيين لأننا جميعا من أب واحد وأم واحدة هما آدم وحواء - عليهما السلام -، ونحن نتكاتف من أجل نشر السلام والأمان والرخاء والتراحم من أجل الأمة كلها، والأديان السماوية كلها تدعو إلى التسامح والتواصل والتعاون وأن يكون الإنسان أخ للإنسان، كما أعربت رئيسة الوفد عن سعادتها بهذا اللقاء مشيدة بعمق العلاقة والمحبة بين الإنجيليين الذين يهتمون بحب مصر منذ قرن ونصف القرن، كما أشادت بالنموذج الطيب المتسامح الذى يجمع بين المسلمين والمسيحيين فى مصر معلنة عن رغبتها فى أن يطبق هذا النموذج الطيب فى بلادها بالولايات المتحدة الأمريكية التى هى فى أمس الحاجة لمثل هذا النموذج الفريد، مشيدة أيضا بزيارة فضيلة الإمام الأكبر لأمريكا والتى أعطتهم غطاء للتسامح والتعايش بين المسلمين والمسيحيين فى الشرق، وأوضحت أنها زارت فلسطين وشاهدت الوضع هناك وقالت إنها حقا أوضاع مأساوية وأن الكنيسة المشيخية لها وقفة معروفة فى حق تقرير المصير، وأعلنت الكنيسة حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم وتهتم الكنيسة بالاتجاه السياسى المزعج الذى تتجه إليه حكومتها نحو العراق، لأن الشعب العراقى ظل يعانى من الحصار منذ فترة طويلة، والآن هو يتعرض لهجمة شرسة لم يبدأها العراق وأشادت بجهود فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتأييده لحقوق المرأة ووضعها فى المجتمع، مؤكدة على التعاون بين المسلمين والكنيسة الإنجيلية والكنائس الإنجيلية الأخرى فى مصر برياسة الدكتور/صفوت البياض قائمة على المحبة والتزاور، ونحن نكن له كل محبة وتقدير واحترام، وأشاد فضيلة الإمام الأكبر بموقف الكنيسة المشيخية المعتدل الحكيم فى الولايات المتحدة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية والشعب العراقى.

الإمام الأكبر:

الأديان السماوية كلها ضد العدوان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / ريتشارد هاس مدير إدارة تخطيط السياسات بالخارجية الأمريكية يرافقه السيد السفير / ديفيد ولش سفير أمريكا بالقاهرة والوفد المرافق.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف قائلا : إن القيادات الدينية

والأديان السماوية كلها ضد العدوان، فالأديان السماوية تدعو إلى التراحم والتعاون والحب والسلام بين الناس جميعا والعقلاء فى كل مكان مهما اختلفت عقائدهم يعرفون ذلك ويدعون إليه، ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على هذا الحديث الطيب المتزن الحكيم، وأوضح أن زيارته جاءت فى إطار جولته للسعودية وقطر والبحرين، لاهتمامه بالسياسات الخارجية بصفة عامة وبالمنطقة العربية بصفة خاصة، وأنه يقدم مشورته لوزير الخارجية الأمريكى، وأعرب عن رغبته فى معرفة رأى فضيلة الإمام الأكبر تجاه الموقف بين الفلسطينيين والإسرائيليين، كذا التوتر الذى يسود المنطقة فى الموقف من الجانب العراقى، وتأثير ذلك من الناحية الدينية على العالم العربى والعالم الإسلامى مقدراً رأى فضيلته لاحتواء هذا التوتر، وقد أوضح فضيلته بأن حديثه سيكون من منطلق الجانب الدينى وليس من الجانب السياسى، أنا كإنسان أرى أن ما يحدث فى الأراضى الفلسطينية من الاعتداءات الإسرائيلية على الفلسطينيين أمر مرفوض، مستحيل أن تستمر الأمور على هذه الطريقة من هدم للمنازل وقتل للأبرياء وتجريف للأراضى وهدم للبنية الأساسية، لا حل بالنسبة للطرفين إلا بوجود قوة دولية رادعة تفصل بينهما وتمنع أى اعتداء من أى جانب من الطرفين، ثم بعد ذلك يجلس الطرفان ويحلوا قضاياهم، وإذا أراد أحد الطرفين بعض المعاونة من المسئولين من دول أخرى فهذا يرجع لهم، واستمرار الموقف على هذا الوضع القائم سيجعل الطرفان خاسرين.

وفيما يخص العراق فأقول للحرب أهوال ليست سهلة وعندما تحل الأمور بالعدل وبالحق وبالطرق القانونية فهذا أفضل، وأرى أن توجيه ضربة عسكرية للعراق أمر لا نوافق عليه، ونحن نقرأ ونسمع أن الحكومة العراقية قد وافقت على دخول المفتشين الدوليين إلى أراضيها للتفتيش فليس هناك داع لضرب العراق، ونحن ضد ضرب المدنيين والعدوان على الأطفال والنساء، والإسلام يمنع ذلك، والرسول ﷺ حينما كان يهيىء جيشا للدفاع كان يوصيهم لا تقتلوا طفلا أو شيخا ولا امرأة ولا تقطعوا شجرا ولا تقلعوا زرعا وما يحدث لإخواننا فى فلسطين من قتل ومن هدم لبيوتهم ومحاصرتهم ومحاصرة رئيسهم وعدم تمكينهم من القيام بمعيشتهم حيث أصبحوا فى شلل تام وأرضهم مغتصبة، فماذا يفعل من هدم بيته؟ وبعيدا عن السياسة أقول من يتحمل كل هذا؟ إذن لابد من وجود قوة دولية حازمة للفصل بينهما ثم تحل المسائل بعد ذلك وكما قلت دائما إن هناك العقلاء وهناك السفهاء، فيأتى السفهاء يعطلون ما يقول العقلاء، وتظل الأمور هكذا معلقة وتزداد إلى أسوأ، وكما سمعت منكم بأن الرئيس الأمريكى أخذ على عاتقه مسئولية إقامة دولة فلسطينية طبقا لحدود ٦٧ فى خلال ثلاث سنوات بشرط تخلى الطرفين عن العنف، إذا كان الأمر كذلك فهذا يحتاج إلى قوة تقوم بالتنفيذ وأكرر أنه لابد من وجود قوة دولية للفصل بينهما، وفى نهاية اللقاء شكر الحضور فضيلة الشيخ الأزهر على ما سمعوه وطلب السيد ريتشارد من فضيلة الإمام الأكبر زيارة أمريكا لشرح وتحديد المفاهيم الإسلامية للشعب الأمريكى، وأنه سيقوم بالتنسيق لهذه الزيارة.

الدورة التدريبية لأئمة ووعاظ العالم العربي

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى رقم ٥٨ الذين استضافهم الأزهر لمدة ثلاثة أشهر بمدينة البعوث الإسلامية تلقوا خلالها العلوم والمعارف والثقافة الإسلامية على أيدى علماء الأزهر الشريف ومن الأساتذة المتخصصين، وعلى رأسهم فضيلة شيخ الأزهر وفضيلة وكيل الأزهر وفضيلة رئيس جامعة الأزهر الشريف وقد تحدث أحد الأئمة فشكر مصر والأزهر الشريف والسادة العلماء على حسن استقبالهم وعلى ما قدمه الأزهر لهم من رعاية وعناية فى جميع النواحى العلمية والصحية والاجتماعية وعلى التزود بالعلم النافع من شيوخ الأزهر وعلمائه.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة وجههم فيها إلى أن يبينوا للناس شريعة الإسلامة التى تقوم على الحق والعدل واليسر والسماحة، وأن تكون دعوتهم لوجه الله ـ تعالى ـ ولخدمة الدين والأمة وأوصاهم باستمرار التواصل بينهم وبين الأزهر الشريف، وأن يقرأوا كثيرا حتى يستطيعوا أن يردوا على الأفكار الخاطئة التى تنشر عن الإسلام والمسلمين، وأن يبلغوا رسالة الإسلام السمحة إلى إخوانهم وأبنائهم وأهلهم، وأن يتعاونوا على البر والتقوى وأن ينبذوا العنف والعدوان، وأن يتحلوا بمكارم الأخلاق، وأن تكون فتاويهم معتدلة وأن ييسروا على الناس أمور دينهم ودنياهم ودعا لهم بالتوفيق والسداد وقال: إن مصر وأزهرها الشريف قلوبها وأبوابها مفتوحة، وتلبى احتياجات المسلمين فى كل مكان من أرض الله، شارك فى هذه الدورة علماء من دول: جامبيا، كوت ديفوار، موريتانيا، أوغندا، الجزائر وعددهم ٢٥ طالبا وفى نهاية الحفل قام بتوزيع شهادات التخرج والكتب الدينية على العلماء، كما أعلن فضيلته عن افتتاح الدورة ٥٩ من العلماء والأئمة والدعاة من دول: الصين، والجزائر، بنين، والفلبين، وألبانيا، والكونغو برازفيل وعددهم ٢١ إماما وواعظا. حضر الحفل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وعدد من سفراء الدول.

الإمام الأكبر يستقبل وفد أمناء الجالية الإسلامية بهونج كونج

استقبل فضيلة الإمام الأكبر وفدا من أعضاء أمناء الجالية الإسلامية بهونج كونج برياسة السيد/ سعد الدين رئيس الاتحاد الباكستانى ورئيس الجمعية الإسلامية الدولية، ودار الحديث حول سبل دعم الصين بالكتب العلمية والمراجع الدينية ليستفيد منها أبناء الجاليات الإسلامية بالصين كذا تمثيل الأئمة والوعاظ فى الدورات التدريبية التى يعقدها الأزهر الشريف وكذا زيادة المنح الدراسية لأبناء الصين للدراسة بالأزهر الشريف، وقد وجه فضيلته بتلبية طلباتهم فورا خدمة لمسلمى الصين ومما يذكر أن طلاب الصين الذين يدرسون فى الأزهر الشريف عددهم ٧٢ طالبا.

The ones who closely follow the Messenger, the Prophet, the illiterate one, whom they find written down in their presence in the Tawrah and the Injil, commanding them to beneficence, and forbidding them maleficence.
[Al-A'raf (The Battlements) :157].

It is suffice for him that Jesus (Isa), Maryam's son, gave tiding about him as The Al-Mighty said:

And as Isa, son of Maryam, said, "O Seeds of Isra'il, surely I am the Messenger of Allah to you sincerely (verifying) that which is before me of the Tawrah, and a constant bearer of good tidings of a Messenger who shall come up even after me, whose name is Ahmad" Then, as soon as he came to them with the clear evidences, they said, "This is evident sorcery". [As-Saff (The Ranks) : 6].

In reply to what Jerry Falwell has stated that : Moses has given a good example, Jesus good tiding but Muhammad acted contrary to that, we say that the distinction between the Messengers, concerning love and respect, cannot be said by anyone except by someone who has untrue creed, bad nature, ignore the manifest facts and interested in abusing and contradicting what came in the Heavenly Laws calling for the honoring, love and respect of all the prophets, peace be upon them all.

Allah guides whomsoever He decides to a straight path.

The Islamic Law decisively prohibited distinction between any of the prophets, concerning faith, amicability and respect, and warned whoever does this that he will be among the losers as Allah stated in His Ever-Glorious Qur'an;

Surely the ones who disbelieve in Allah and His Messengers and would make a distinction between Allah and His Messengers, and say, "We believe in some, and disbelieve in some (others)," and would take themselves a way in-between. Those are truly the disbelievers; and We have readied for the disbelievers a degrading torment.

[An-Nisa' (Women) : 150 : 151].

When Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him, came, he showed respect to the prophets preceding him and forbade being favored or distinguished by his followers as all the prophets came with the same Message involving being loyal to Allah, The Ever-Lasting, in worship and being endowed with the best honorable manners.

Honorable Messengers including Muhammad are the best good-mannered among mankind as they are considered the sun that lit minds and guides to virtues and what benefits man. *They are made of living stars casting their bright light everywhere, although they were but men. They illuminating around as lamps.*

It is suffice for Muhammad that the Heavenly Books, the Old Testament (***Tawrah***) and the New Testament (***Bible***) gave tidings about his coming as Allah said:

them and their messages is considered as an essential pillar of faith. Allah said:

Messengers (who are) constant bearers of good tidings, and constant warners lest mankind should have argument against Allah after the Messengers.

[An-Nisa' (Women) :165].

Moses was praised in many verses as Allah, The Ever-Lasting, said:

And mention in the Book Musa; surely he was ever-faithful and he was a Messenger, a Prophet. [Maryam (Mary) : 51].

And Jesus (Isa), peace be upon him, as well as his mother, Mary, as Allah said:

And We made Maryam's son and his mother a sign, and gave an abode to (both of) them upon a mound, with a (refreshing) residence and a profuse (spring).

[Al-Mu'minun (The Believers) :50].

Islam commanded us to believe in all the Messengers as Allah said:

The Messenger has believed in what has been sent down to him from his Lord, and the believers; everyone (of them) has believed in Allah, and His Angels and His Books, and His Messengers; we make no distinction between any of His Messengers.

[Al-Baqarah (The Cow) : 285].

And recite to them the tiding of the two sons of Adam with the truth as they offered a sacrifice, (and) it was (graciously) accepted of one of them and not (graciously) accepted of the other. One (of them) said "Indeed, I shall definitely kill you". (The other) said, "Surely Allah (graciously) accepts only of the pious. [Al-Ma'idah (The Table) : 27].

Many people, from different ages and lands did not feel satisfaction with their Creator and livelihood for that some of them associated other Gods with Allah.

On contrary to the mindful people, priest, Jerry Falwell ignored these crystal-clear facts when he said that the Prophet Muhammad was a terrorist, upon viewing Muslims' and non-Muslims' books and that he was a man of war not peace. Among the evidences that prove his ignorance and non-objectivity is that if some writers wrote abusive writings about the Prophet Muhammad, there are so many mindful writers, Europeans, Americans and others, who wrote objectively about his true features and aspects. He can read, for example, the book written by the very well known writer, ***La Martin*** in which he praised the Messenger, Muhammad and also, the book written by the American writer, ***Michael Hart e***ntitled ***"The hundred immortals and Muhammad is their greatest"***.

Concerning the fourth fact, the Islamic Law, topping all the Divine Laws, honored and respected all the prophets and commanded us to honor, dignify, love and respect them although some with spoiled nature disagreed. Moreover, the Islamic Law praised all the prophets and stated that believing in

And help one another to benignancy and piety, and do not help one another to vice and hostility.

[Al-Ma'idah (The Table) :2].

And He, the Al-Mighty, said:

Allah does not, forbid you, (as regards) the ones who have not fought on account of the religion, and have not driven you out of your homes that you should be benign to them, and be equitable towards them; surely Allah loves the equitable ones. [Al-Mumtahanah (The Women Tested) : 8].

War, in the Islamic Law, is not the only solution except for defending soul, money, honor, home, human freedom or dignity as Allah said:

And fight in the way of Allah the ones who fight you, but do not transgress; surely Allah does not love transgressors.

[Al-Baqarah (The Cow) : 190].

If some of the Muslims do not apply these sublime principles, there are other non-Muslims squander and fail to make use of them and base their behavior on injustice not equity, on aggression not peace and on desire not straightness.

As for the third fact, since the creation of man in this universe, there are different kinds of people: the mindful and the foolish, the good and the bad. When there was one family that represented mankind namely, Adam and his wife, one brother killed the other and this is a fact stated in all the Divine Books and in the Ever-Glorious Qur'an as Allah, The Most High, said:

The word ***"Salam"*** or ***"Peace"*** is one of Allah's names and the Prophet Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him, is the holder of the flag of Peace as he came to all mankind with guidance, mercy and good. He says: ***"I'm nothing but a granted mercy."*** Allah described him saying:

And in no way have We sent you except a mercy to the worlds. [Al-Anbiya' (The Prophets): 107].

"Peace be upon you" is the greeting chosen by the Islamic Creed to its followers. The Messenger of Allah said: ***"Allah made the word peace a greeting to our nation and a tranquility to the people of other religions who live among us."***

Allah's greeting to His bondsmen who believed and did good is Peace as He said:

Their greeting, on the Day when they shall meet Him will be "Peace"! [Al-Ahzab (The Allied Parties) :44].

And the Angels' greeting to the truthful believers is Peace as Allah, The Al-Mighty, said:

And the angels shall enter to them from every gate. "Peace be upon you, for that you endured patiently".

[Ar-Ra'd (Thunder) : 23 : 24].

To sum up, Peace in the Islamic Law which Muhammad came with is the deep-rooted principle and pillar as people's dealings should be based on peace and cooperation and it does not matter to what extent creeds are different as Allah, Glory be to Him, said:

dissemination of peace among people as he called his followers to feel the spirit of peace in their souls and in dealing with others; not to harm or encroach upon. Concerning this, he was saying: ***"Peace is Islam"***, ***"The Muslim is the one who does not harm others"***, ***"Spread Peace among you"*** and ***"Do not ever wish to fight and ask Allah to grant you (good) health"***. He used to invoke Allah a lot saying: ***"O, my Lord, You are The Peace and we draw peace from You. O, Allah, greet us with peace."*** So, the mindful will see that the Messenger's life was built on peace not war and on cooperation in doing good and piety not wrongdoing nor aggression.

In brief, if the virtue of peace were a tangible perceptible thing, it would be a part of his soul, nature, manners and behavior. And that which have been said by the priest ***Jerry Falwell*** that he thought that the Prophet was a terrorist is considered to be a false accusation uttered by someone who does not relate to a sound creed nor a straight nature.

As for the second fact, peace is one of the Islamic principles. The word ***"Islam"*** which is considered the title of this creed is derived from the word ***"Salam"*** meaning peace and they both mean security and tranquility to mankind who relate to one father and one mother as Allah, Glory be to Him, Says:

O you mankind, be pious to your Lord, Who created you of one self, and created from it its spouse, and from the two disseminated many men and women.

[An-Nisa' (Women) : 1].

and invocation saying: ***"O, my Lord, guide my people as they do not know."***

After his migration to Medina and after establishing his strong nation, the Messenger's slogan, concerning his call, was to spread Islam and security. It did not happen that he, may the blessing and peace of Allah be upon him, use his sword or fight except against the aggressors and that all his battles were directed to defend self and money. For example, the Battle of ***Badr*** in which the Messenger achieved victory over his enemies was for the sake of helping the weak Muslims who could not migrate and were wronged by the disbelievers, who came very close to Al-Medina.

As for the Battle of ***Uhud***, the disbelievers were those who came to the superb of Al-Medina to fight Muslims so, Muslims had to fight back to defend their souls and money.

Concerning the Battle of ***Al-Ahzab*** (***The Allied Parties***), the disbelievers and their allied surrounded Al-Medina aiming at harming and killing the Prophet and his followers so, the Prophet and his followers had to defend their land, money and honor. Moreover, the aim behind the ***opening of Mecca*** was to help and support the weak and wronged Muslims. However, the Messenger avoided shedding the blood of his enemies and called for peace. After ***Mecca's Conquest***, he said to its people who caused him a lot of suffering: ***"Go, you are free"***, and he forgave them all.

During his life, the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, was the most one caring for the

what he has mentioned, and guide him to the right and make him able to find out the unquestionable truth. ***As for the first fact***, terrorist means the one who transgresses upon others' lives, money, honor, freedom and human dignity. A terrorist is the one who encroaches upon the lives of the peaceful, houses, and livelihood and destroys whatever he faces. Moreover, he is described by being an arrogant who does not accept advice as he walks on Satan's way. Furthermore, he is the one who compels others to injustice and humiliation, coerces others to submission and resorts to all the different means to make them give up their rights, freedom and dignity. These are some of the terrorist's features.

Since his birth till his death, Muhammad, the Messenger of Allah, may the blessing and peace of Allah be upon him, knew nothing about injustice or terrorism as he was a man of peace in his soul, manners, dealings and nature. Before his mission, the Messenger was called, among his people, as the ***truthful*** and ***honest***. Moreover, he was beloved by all whomsoever knew him for his pure soul, beauty of reason and care for disseminating love, amicability and peace. After his mission, the Messenger, stayed at Mecca for 13 years calling people to be loyal to Allah and have good manners.

The Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, suffered the most bitter means of torture, persecution, terrifying and boycott on the hands of the disbelievers. Nevertheless, he did not resort to sword against the transgressors but he met their wrongdoing and harming with patience, peace

A Message to the one who offended
The Seal of Prophets and Messengers, Muhammad (P.B.U.H)
By: The Grand Imam, Dr. Muhammad Sayyid Tantawy,
The Grand Sheikh of Al-Azhar.

I viewed what has been published in the Egyptian and international mass media, regarding to what was broadcasted in the news channel ***CBS*** in its program ***"60 Minutes"*** on 6/10/2002. The interviewer hosted seven speakers among them was the priest, Jerry Falwell, one of the American Christian Coalition Leaders. After stating each of their opinions in different matters, priest Jerry Falwell resumed talking commenting on the confrontation between Jews and Christians on one side and Muslims on the other side as he said that he thought that the Prophet Muhammad was a terrorist according to what he has read of Muslims' and non-Muslims' writings and that he was a man of war not a man of peace. Then, the interviewer asked the priest saying: "Moses was a good example to Jews and Jesus (Isa) was a good example to Christians so, does Muhammad represent the same to Muslims?" Falwell replied: "Jesus propagated and came with peace but Muhammad did not."

These are some of what has been published in the Egyptian and international mass media concerning what came in CBS news channel and its weekly popular program "***60 Minutes***".

Aiming at answering priest Falwell, I would like to state some facts that might motivate him to apologize, concerning

At the Pre-Islamic period, Arabs were magnifying this month and considering it one of the prohibiting months. When Islam came, its honoring and prohibition increased. Before his mission, the Messenger of Allah was worshipping Allah in that month, at the cave of Hiraa.

Whosoever resorts to the Sunna of the Prophet will find that he, may the prayers and peace of Allah be upon him, stated many traditions, showing the advantages of this month as he indicated the following:

I. Fasting this month is one of the pillars of Islam, and whosoever pays attention to it will be among the winners.

II. In the month of Ramadan the gates of Heavens open and the gates of Hell close as it is related by Ahmad, An-Nasa'y and Al-Bukhary on the authority of Abu Hurayyrah that the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, said: ***"A blessed month wherein (along its days), Allah prescribes for you the Fast and makes gates of Heavens open, gates of Hell close and Devils fasten. In that month a night that is better than a thousand months. He who would not have of its good and blessing, he would be the true deprive***d."

III. The Messenger of Allah (May the prayers and peace of Allah be upon him) says: ***"Whosoever fasts Ramadan, making no sins and seeking only for Allah's mercy, satisfaction and forgiveness, he will be forgiven of all his previous sins".***

Lastly, Fasting is a secret between a believer and his Lord. Moreover, it is a good chance that we should make use of its advantages to protect ourselves from odious deeds and Hell.

magnify Allah for having guided you and that possibly you would thank (Him).❳

[Al-Baqarah (The Cow): 185].

Concerning the Prophet's Sunna, its obligation is prescribed in many traditions (Hadiths), among them what was related by Al-Bukhary and Muslim on the authority of Ibn Umar, may Allah be satisfied with them both, who said: I heard the Messenger of Allah (May the prayers and peace of Allah be upon him) say: ***"Islam has been built on five [pillars]: testifying that there is no god but Allah and that Muhammad is the Messenger of Allah, performing the prayers ,paying the Zakat, making the pilgrimage to the House, and fasting on Ramadan".***

Allah's wisdom stated that He prefers some people to others and some prophets to others as He, the Al-Mighty, says: **❲Those are the Messengers; We have graced some of them over some others; of them (there are some) to whom Allah spoke, and some He raised in degrees.❳**

[Surat Al-Baqarah (The Cow): 253].

Moreover, Allah, Glory be to Him, preferred some places to others and times to others as He favored and distinguished some days and months with Divine fragrance; whosoever regards them will be one of the winners and whosoever disregards and neglects them will be among the losers. The Messenger of Allah, may the prayers and peace of Allah be upon him, said: ***"Allah distinguished some days with Divine fragrance, so, do your best in worship, because He who shall do righteousness, it may possibly that he will face difficulty no more."***

Ramadan is the most preferred month by Allah, Glory be to Him, so, if people realize how much good, mercy and blessings in it, they will wish all the months of the year be Ramadan.

The Acceptable Fasting (As-Saumul Maqbool)
By: The Grand Imam, Dr. Muhammad Sayyed Tantawi,
The Grand Sheikh of Al-Azhar.

Fasting means ***"Refraining"***. For example, it is said that someone fasted from talking which means that he stopped talking. Allah, Glory be to Him, says about Maryam:

﴾Surely I have vowed a fast to the All-Merciful; so I shall never speak today to any human being.﴿.

[Surat Maryam (Mary): 26].

This verse means that she made a vow to stop talking about her son Isa, may the peace of Allah be upon him.

In terms of jurisprudence, Fasting means "refraining from eating, drinking and whatever causes breaking of fast (sins), beginning with clear dawn and ending at sunset with the presence of intention."

Fasting was enjoined on Muslims in the month of Sha'ban, in the second year A.H. Its obligation is prescribed by the Glorious Qur'an, it can be seen clearly in Allah's saying:

﴾O you who have believed, prescribed for you is the Fast, as it was prescribed for (the ones) who were even before you, that possibly you would be pious.﴿

[Surat Al-Baqarah (The Cow):183]

And also

﴾The month of Ramadan (is the month) wherein the Qur'an was sent down: a guidance to mankind, and clear evidences of the guidance and the criterion; so, whosoever of you is present at the month, then he should fast it; and whosoever is sick or on a journey, then a (fixed) number of other days; Allah wills for you ease, and He does not will difficulty for you; and that you should complete the (fixed) number and

The Admonition of Present Ramadan
By: Dr. Ibrahim Al-Assil

This year, Ramadan came involving a great pressing admonition that we have to mention as Allah, the Al-Mighty, says:

﴿And remind; then surely reminding profits the believers.﴾

[Ath-Thariyat (The Winnowers) : 55].

Muslims all over the world are ordained, by Allah's command, to fast Ramadan.This spreading of astonishment unity concerning fasting makes others feel the power of Muslims. What would happen if this unity shed its verdant shadows on Muslims' social and political life for good and made them stand like impenetrable barricade in the face of covetous craving and running after the wealth of the Islamic Nation using all the possible means to crack its unity, defame its Islamic faith and attack its Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, as the two of the American Evangelist group, Pat Robertson and Jerry* Falwell did. What would happen if the Islamic Nation joined ranks and stood against all these evils without weakness or fear of the power of the others? Only by the power of faith and certitude in Allah, the Al-Mighty, Muslims' forefathers won their battles against their enemies not by their equivalence in numbers and accounterments.

﴿And do not feeble, neither grieve; and you are the most exalted, in case you be believers.﴾

[Al-Imran (The Household of Imran) : 139].

In fact, being "***in one boat***", Muslims have to work together for reaching the shore safely, otherwise, Allah forbids, they will be ruined.

---

*Read (in this section) the most decisive essay, written by the Grand Imam, Dr. Muhammad Sayyed Tantawy, the Grand shickh of Al – Azhar, refuting the falwell's atrocities .

AL-AZHAR
MAGAZINE
Ramadan 1423 A. H.

ENGLISH
SECTION
Nov/ Dec 2002

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهـــرس

● الصوم فى مرآة الغزالى (افتتاحية العدد)
للأستاذ الدكتور/محمد رجب البيومى ١٣٦٢
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٣٦٨
● فاتحة الكتاب بين تفسيرين (٢)
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٣٧٦
● سمات التربية القرآنية
للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب ١٣٨٢
● محاورة بين السادة والأتباع
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ١٣٨٥
● السنة: التساؤل والاختلاف
لفضيلة الشيخ/ فكرى ياسين ١٣٨٩
● صامت الأكوان بما فيها الإنسان فمتى تصوم المدافع
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٣٩٣
● إعجاز الكلمة فى شهر القرآن
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٣٩٧
● هلال الصوم (قصيدة)
للأستاذ الدكتور/ عبدالمنعم عبدالله ١٤٠١
● الصوم وأنواعه
للأستاذ الدكتور/ محمد بدر معبدى ١٤٠٣
● خطبة الجمعة: الإيمان طريق النصر
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٤٠٩
● الصيام والصحة
للدكتور/ حسين الأنصارى ١٤١٢
● التحدى الحضارى بين مفكرى الإسلام والمستشرقين
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١٤١٦
● رشيد رضا ومدرسة الإحياء والتجديد
للدكتور/ محمد عمارة ١٤١٩
● قراءة إيمانية فى كتاب الكون والحياة
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٤٢٤
● عالمية الأدب الإسلامى فى فكر بديع الزمان النورسى
للدكتور/ عبدالحليم عويس ١٤٢٨
● مكانة الشهداء فى سبيل الله
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٤٣١
● كتاب الشهر: من هو اليهودى؟
عرض وتقديم / أ.د. إبراهيم عوضين ١٤٣٥
● ماذا ينتظر العرب والمسلمون؟!
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٤٤٤
● جواب الشهيد (قصيدة)
للدكتور/ محمد عبدالمنعم العربى ١٤٥٠
● النشاط العلمى فى إسرائيل
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم ١٤٥٣
● الصوم فى الديانة اليهودية
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٤٥٨
● صنائع المعروف
بقلم/ عابر سبيل ١٤٦١
● إستفتاءات القراء
للأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب ١٤٦٨
● كليات القدرة تصحب خواطرنا
للدكتور/ على أحمد على ١٤٧١
● الموعظة الحسنة وأثرها فى إصلاح النفوس
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٤٧٥
● دعوة للأدباء
للأستاذ/ مجدى بشير ١٤٧٩
● طرائف ومواقف
للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٤٨٢
● تأملات فى منهج الدعوة الإسلامية
للأستاذ/ احمد السيد تقى الدين ١٤٨٤
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمود القشنى ١٤٨٦
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل خفاجة ١٤٨٨
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٤٩٤
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للشيخ/ عمر البسطويسى ١٤٩٨
● القسم الإنجليزى
إشراف أ.د/ إبراهيم الأصيل ١٥١٩

١٢٠٢
٢٢٢٢٦
٢٠٠٢/٧

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى
مدير التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدى
سكرتير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- المنهج الإسلامى فى الحوار
لفضيلة الشيخ / محمود عاشور
- واجبات المسلمين فى غير أوطانهم
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
- الإسلام قضية عادلة فى يد محام فاشل!
للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى
- التحدى الحضارى بين مفكرى الإسلام والمستشرقين (٢)
للأستاذ الدكتور / محمد إبرهيم الفيومى

الاشتراك السنوى

- داخل مصر .... ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية .... ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ..٥٧٨٦١ - ٥٧٨٦٢٠٠

شوال ١٤٢٣هـ - ديسمبر ٢٠٠٢م - الجزء العاشر - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

فى عالم النفس

كيف نتغلب على الأحزان

تقابل الفقير المحروم فتجده متأففاً متضجراً، يحمل أكْداساً من الغم والشجن وتسمع إليه يفيض فى وصف ما ابتلى به من المحن والنوائب، فتيأس لمصابه، وتنفطّر لبلواه، وتُقابل ثرياً مُتْرفاً يتقلب فى أعطاف النعيم، فتعتقد أنه ناعم البال، هادئ النفس، ولكنك تنصت إليه فتجده ينوء بأعباء ثقيلة من الهم، فله من وساوسه المتلاحقة غيوم داكنة تخيِّم على نفسه، فتطرد عنه الصفاء والدعة، وإذ ذاك تعلم أن الحزن ديمقراطى النزْعة، يدب إلى الأكواخ المتضائلة، كما يتسلق إلى القصور الشمَّاء دون حذر أو مبالاة.

ولكلٍّ إنسان فى الحياة رغائب ينشدها، وآمالٌ يكدح فى سبيل تحقيقها، فالفقير والغنى معاً يحلمان بحياة غير الحياة التى يواجهانها أمام الناس، وكثيراً ما يسرفان فى الأمل، ويَجهدان فى السعى، وقد يكون الأملُ عزيزاً بعيد المنال، فمهما أحثَّا السير وراءَهُ فلن يصلا إليه، وهُنا تكون الحسرة اللاذعة، والهمُ الناصب، والحُزن المُقيم.

وكأن القدر ـ والحال كذلك ـ قد جَعَلَ من هموم الأغنياء عزاً للفقراء، فإذا نظر البائس المكدود إلى الغنى المترف فوجده يقاسمه الكَدر والضيق، خفف من حزنه، وجفف من دموعه، وهان عليه ما يكابد، وللحُزْن دواعٍ مختلفة، بل إنها تتناقض فى بعض الأحيان، فقد يفرح زيدٌ لما يبكى له عمرو، ومِن هنا اشترك الغنى والفقير فى اللوعة برغم اختلاف الآلام والآمال.

وأنت تشاهد المحزونين فَتَأْسى لوجوههم الشاحبة، ورءوسهم المطرقة، ونفوسهم الكسيرة، وكل إنسان فى الحياة قد طاف به وقتٌ كريه أذاقه مرارة اللوعة والأسف، فاكتأب خاطره، ومَر الطعام الهنيء فى حلقه، وغامت الدنيا فى وجهه، ولو امتد به الحال على ذلك لضاقت به الحياة ولكن الله لطيف بعباده، يجعل من الضيق سعة، ويُعقب الظلام الدامس بالصباح الوضيء.

وللحزن زواياه المختلفة ولن تعدم فيها زاوية حيوية تدفع إلى العمل المنتج والسعى الدءوب، فكم من نفوس صهرها الحزن والألم فذهبت تتلمس النجاة والخلاص، وحشدت مواهبها للنضال والصيال حتى تفتقت عن عبقريات ملهمة، وإذا الألم يكشف عن نبوغ مقنع وذكاء تكمن جذواته تحت الرماد، واقرأ معى تراجم العباقرة فى مختلف الأجيال، فستجد من الألم والحرمان والاضطهاد أسباباً قوية، مهدت لهؤلاء النوابغ سبيل التألق والسطوع ولو خلت حياتهم مما يكدرُ ويؤلمُ، ما سطع عليهم الإلهام فى بيانٍ يُرَدَّدْ أو اختراع يُفيد!!

ولكن هل استفاد جميع المحزونين من أشجانهم الثائرة؟. فقطفوا الثمرة المشتهاة، وأبرزوا ما استتر لديهم من مكنون المواهب والكفاءات؟. لو كان الأمر كذلك لأصبحت الأحزان أمانى غالية يحرص على تحقيقها الناس ولكن السواد الأعظم من المحزونين قد ناءوا تحت أثقالهم المرهقة، وهم فى حاجة ماسة إلى بَلْسم ناجع يبرئ أدواءهم الناغرة، ولن يكون ذلك إلا بفهم الحياة واستكناه حقائقها الخافية، والنظرة إليها نظرة واقعية، فقد طبع فى أذهان كثير من الناس أن صفاء الدنيا وخلوصها من الشوائب أصلٌ ثابتٌ تستقيم عليه الأمور، وأن ما يطرأ من الكوارث والخير شذوذ يخالف القاعدة الأصلية، فحُقَ عليهم أن يجزعوا لغير ما يتوقعون، ولا أدرى من أين أتى لهم ذلك، وهم يلمسون النوائب تتزاحم فى كل زمان ومكان، حتى ليصحَ أن يكون الكدرُ طبيعة لازمة للحياة ومتى استقام لأذهاننا هذا الفهم العملى الصحيح، فلنوطن نفوسنا على قبول المكاره والأحداث، فلا نفزع لخطب ملم أو خطر يكرث، ولسنا بذلك ندعو إلى الاستكانة والخضوع، أمام الكوارث الحازبة، بل نعتبر وجودها أمراً طبيعياً فقط، فعلى الإنسان أن يحتاط جهده لنفسه فيسلك السبيل السوى ويأخذ الحذر من المكروه، فإذا دهمه الخطب بعد الحيطة، تقبله راضياً قانعاً، وعلم أنه سُنة لازمة من سُنَنْ الحياة ذات الخير والشر، والإعسار والإيسار.

ومُكَلِّف الأيام ضِدَّ طباعها
مُتَطَلِّبٌ فى الماء جذوة نار

وقد يكون من المفيد أن نضرب مثلاً واضحاً، يُرسل بعض الأضواء الكاشفة، فنقول: أنت فى الحياة مُعرض للأمراض الجسيمة القاتلة، فعليك أولاً أن تُعنى بالقواعد الصحية

عناية تامة وتجتهد في تطبيقها تطبيقاً واعيا مستنيراً كما لا تنس في الوقت نفسه أن المرض الجسمي سُنَّة من سُنَنْ الحياة فأنت معرض له مهما توقيت، بل ربما جاءك من باب خاف لا تفطن إليه، ومن الذى يعصم نفسه من الاصطدام بسيارة أو الوقوع في حفرة مهما أخذ الحذر والانتباه، فإذا أفرغ العاقل جهده في التوقى والحيطة ودهمه المرض بعد ذلك من أحد طرقه فلا يليق به أن يجزع لأمرٍ طبيعي يتوقعه الجميع، بل عليه أن يكافحه بما يستأصله من أفانين الدواء، فإذا قدر الله الشفاء فقد بلغ ما يريد، وإن كانت الآخرة فهذه سُنَّة الحياة، فلا يجوز لك أن تسترسل في الهلع المرعب، فتسقط صريع الأسى في حياة يلاحقها الفناء.

وليس المرض أو الموت كل شيء في مصائب الدنيا، فالتاجر الذى يفاجئه السوق، بما يبدد أمواله بعد أن أخذ الأهبة، وصاحب المصنع الذى تلتهمُ النار أدواته لأمرٍ خارج عن إرادته، والتلميذ الذى يكبو في مادة درسها واستوعبها ثم خانته الذاكرة، هؤلاء وأمثالهم يُلغون عقولهم إذا استسلموا لليأس والقنوط، بل عليهم أن يواصلوا السير من جديد، فقد بذلوا أقصى ما يَدَّخِرون من اليقظة والكدح ثم جاءت الريح أخيراً بما لا تشتهى السفن، وحسبهم أن ترتاح ضمائرهم فلا توخزهم بتأنيب مرير.

هذا الفهم البصير قادرٌ على أن ينقذ المحزونين من ظلماتهم الدامسة، فمتى توقع الإنسان الخير والشر معاً، فقد استعد لقبولهما، فلا يخرج عن الاعتدال في همٍ أو سرور، ثم إن مجال الأسوة فسيحٌ للبائسين، فالمهموم لا يقف وحده في ميدان غائم عبوس، بل يجد حشداً زاخراً من زملائه الملتاعين، ولو سألت كل إنسان عن مآسيه، لتعذَّر عليك أن تجد القانع السعيد، ولئن وجدته وتَبَطَّنْتَ دَخَائل نفسه، ثم وازنْتَها بميزان الناس، فستطلع على دفائن مستورة، خفيت عنه لحُسْن حظه، فبات بنصيب من السعادة والهدوء، بينما غرق الجميع في طوفان رهيب.

أجل إن ميدان الأسوة فسيح مديد، وما من الناس إلا مَنْ رُزِئَ في نفسه أو ماله أو ذويه، وقد رُويت عن الإسكندر قصة إن فاتها صِدْقُ الواقع، فلن يفوتها مغزى الأسطورة، وإيحاؤها السحرى، فقد ذكروا أن الفاتح المقدونى أوصى والدته أن تدعو الناس بعد وفاته ليومٍ يجتمعون فيه على الطعام والشراب والسرور، ليكون مأتم الإسكندر بَهيجاً مرحاً على غير عادة الناس، على ألا يوافيها للعزاء أحدٌ أصابته مصيبة، فيكدر الصفو ويطفئُ الأنس، فلما هلك النجل، ونفذت الأم الوصية، لم تجدْ أحَداً أمَّ ساحتها، فسألت مندهشة: ما بال الناس تخلَّفوا عنا مع ما قدمنا؟. فقيل لها: إنك أمرتِ ألا يوافيك أحدٌ أصابته مصيبة، وكُلُّ الناس مصابون!! فعرفت أن الإسكندر أحسن تعزيتها بما أوصى به. لينحسرَ عن عينها الغطاء!!.

ولن يغفل الملْتاع ما أعده الله للصابرين من جزاء، فقد بوأهم أحسن الدرجات فى مقعد صدقٍ، بل إنه عز شأنه قد جعل من المحَن ابتلاء صادقاً يمتحن به المؤمنين المخلصين.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[١].

وفى الأثر أن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ سأل رسول الله ﷺ عن قول الله:

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[٢] قال: فكل سوءٍ عملنا سنُجْزَى به، فكيف الخلاص يا رسول الله؟.. فقال النبى ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تحزن؟. ألست تنصب؟. فهذا ما تُجْزَون به، وإن ذاك بذاك»[٣].

وقد أثبت التحليل النفسى أن أكثر الأمراض العقلية يرجعُ إلى هموم متراكمة، تجمعت شيئاً فشيئاً، ثم اندفعت إلى العقل الباطن تَنْفثُ السموم، وتستدعى إليها غيرها مما ينخرط معها فى سلك الشقاء وفى النهاية تتألّب على صاحبها المسكين، فتُثْكله صوابه الراشد، وتخرج به عن نطاق العُقلاء، ومن الخير للمحزونين ـ ومأساتهم تلك ـ أن يُنفسوا عن صدورهم بالبث والإعلان لمن يثقون فى مروءتهم وإخلاصهم، حتى تتبخر رواسبهم المدمرة شيئاً فشيئاً وعلى هؤلاء أن يفسحوا لهم سبيل الإذاعة والتنفيس، وأن يجدوا لهم بعض الأدوية الناجعة فى توجيه سديد، أو معونة صادقة، دون سخرية واستهزاء، على ألا يكون المريض شَكَّاءً مُتَباكياً، فاللجاجة وحدها مَرَضٌ خبيث يتطلب العلاج، ولكن أين من يرحم المحزون فى دنيا تشابكت فيها المطامع، وتَدَابرت بها العواطف والأهواء.

أُسَاةُ جِسْمِك شَتَّى حين تَطْلُبهم
فمن لِروْحك بالنطْس المداوينا

د./ محمد رجب البيومى

---

(١) البقرة (١٥٥ ـ ١٥٧). (٢) النساء (١٥٣).
(٣) أحمد ١/١١.

تفسير سورة البقرة

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا
لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ
هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ
قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ
قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ
يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

الآيات : ٢٤٦ : ٢٤٧

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

ثم ساق القرآن قصة من قصص بنى إسرائيل مع أنبيائهم، فيها العظات والعبر، وملخص هذه القصة: أن قوما من بنى إسرائيل كانوا قد انهزموا أمام أعدائهم هزيمة منكرة جعلتهم يولون الأدبار تاركين ديارهم وأبناءهم، فقالوا لنبى لهم بعد أن ذاقوا مرارة الهزيمة: أبعث لنا ملكا يقودنا للقتال فى سبيل الله، فقال لهم نبيهم بعد أن حذرهم من عاقبة الجبن والكذب:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾

فاعترضوا على هذا الاختيار، ونقصوا من شأن من اختاره الله قائدا لهم، ولكن نبيهم ساق لهم من الحجج التى تدل على صلاحية طالوت لهذا المنصب ما أخرس ألسنتهم.. ثم سار طالوت بجنوده لقتال أعدائه، وفى الطريق قال لمن معه:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾(1).

ثم بعد هذه المخالفة جبن أكثرهم عن قتال أعدائهم وقالوا:

﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾(2)

ولكن الفئة القليلة المؤمنة منهم استطاعت أن تنتصر على كل عقبة فى طريقها، وأن تقاتل أعداءها بشجاعة وصبر واعتماد على الله، فكانت النتيجة أن انتصرت الفئة القليلة المؤمنة بقيادة طالوت على الفئة الكثيرة الكافرة بقيادة جالوت. هذا تلخيص لتلك القصة العامرة بالعظات، ولعل من الخير قبل أن نبدأ فى تفسير آياتها أن نقرأها بتدبر وتأمل كما صورها القرآن بأسلوبه البليغ المؤثر.

وقوله - تعالى - :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ ﴾

إلخ استئناف ثان بعد قوله قبل ذلك:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾(3)

وقد سيق هذا الاستئناف مساق الأستدلال لقوله - تعالى - :

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(4) حتى تتشجع النفوس على الجهاد، وتهون عليها المصاعب فى سبيل حياة العزة والكرامة.

﴿ ٱلْمَلَإِ ﴾ الأشـــراف من الناس. وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه. وإنما سمى الأشراف بذلك لأن هيبتهم تملأ الصدور، أو لأنهم يتمالؤون أى يتعاونون فى شئونهم، وأصل الباب الاجتماع بما لا يحتمل المزيد.

والمعنى: كما سبق أن بينا فى قوله:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ ﴾. قد علمت أيها العاقل حال أولئك القوم من بنى إسرائيل

---

(1) البقرة (٢٤٩).
(2) البقرة (٢٤٩).
(3) البقرة (٢٤٣).
(4) البقرة (١٩٠).

الذين كانوا بعد وفاة موسى - عليه السلام - إذ قالوا لنبى لهم أقم لنا أميرا لكى نقاتل معه فى سبيل الله. ومن لم يعلم فها نحن أولاء نعلمه بحالهم فعليه أن يعتبر ويتعظ.

فقوله: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ ﴾ بيان للزمن الذى كان يعيش فيه أولئك الملأ من بنى إسرائيل والمراد بالنبى الذى قالوا له:

﴿ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾

على الراجح - «شمويل بن حنة» وكان السبب فى طلبهم هذا من نبيهم أن العمالقة أتباع جالوت كانوا قد أخرجوهم من ديارهم، وأنزلوا بهم هزائم شديدة، فطلبوا منه ذلك لكى يستردوا مجدهم الضائع، وعزهم المسلوب، على يد هذا القائد المختار من جهة نبيهم.

وفى الإتيان بلفظ هذا النبى بصيغة التنكير إشارة إلى أن محل العبرة ليس هو شخص النبى وإنما المقصود معرفة حال أولئك القوم، وما جرى لهم مع نبيهم من أحداث من شأنها أن تدعو إلى الاعتبار والاتعاظ. وهذه طريقة القرآن فى سرد القصص لا يهتم بالأشخاص والأزمان إلا بالقدر الذى يستدعيه المقام. أما الاهتمام الأكبر فيجعله لما اشتملت عليه القصة من وجوه العظات والعبر.

ويبدو أنه كان يتوجس منهم خيفة لأنه أعرف بطبيعتهم، فنراه يقول لهم كما حكى القرآن عنه:

﴿ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ ﴾

فالاستفهام للتقرير والتحذير. أى إنى أتوقع عدم قتالكم إذا فرض عليكم القتال، فراجعوا أنفسكم وقوتكم قبل أن تطلبوا هذا الطلب، لأنه إذا فرض عليكم ثم نكصتم على أعقابكم فإن عاقبتكم ستكون شرا لاشك فى ذلك.

وعسى هنا بمعنى التوقع والمقاربة، والجملة استئناف بيانى.

قال صاحب الكشاف؛ والمعنى: هل قاربتم ألاتقاتلوا؟ يعنى هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون؟ أراد أن يقول: عسيتم ألا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل ﴿ هَلۡ ﴾ مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب فى توقعه. وخبر ﴿ عَسَيۡتُمۡ ﴾: ﴿ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ ﴾ «والشرط فاصل بينهما»(٥).

ثم حكى القرآن ردهم على نبيهم فقال:

﴿ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ ﴾

أى قال الملأ من بنى إسرائيل على سبيل الإنكار والتعجب مما قاله نبيهم: وأى صارف يصرفنا عن القتال وحالنا كما ترى؟ إننا قد أخرجنا من ديارنا وحيل بيننا وبين أبنائنا وفلذات قلوبنا فكيف لا نقاتل مع أن الدواعى موجودة، والبواعث متوفرة، والأسباب مهيئة؟ فأنت تراهم فى إجابتهم هذه يستنكرون ما توقعه نبيهم

(٥) تفسير الكشاف (١/٢٩١).

منهم، ويجزمون بأن الطريق الوحيد لعزتهم إنما هو القتال وأن هذا الأمر لا مراجعة فيه ولا جدال. وهكذا شأن الجبناء والمغرورين فى كل زمان ومكان يرحبون بالمعارك قبل قدومها فإذا ما جد الجد كذبت أعمالهم أقوالهم، وأعطوا أدبارهم لأعدائهم!

ثم حكى القرآن أن نبيهم كان صادقاً فيما توقعه منهم من جبن وكذب، وأنهم قوم يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم فقال – تعالى – :

﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾

أى: فحين فرض عليهم القتال بعد أن ألحوا فى طلبه، أعرضوا عنه، ونفروا منه إلا عدداً قليلا منهم فإنه ثبت على الحق، ووفى بعهده.

قال الآلوسى: وقوله:

﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ وهم الذين جاوزوا النهر وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أهل بدر على ما أخرجه البخارى عن البراء – رضى الله عنه – والقلة إضافية فلا يرد وصف هذا العدد أحيانا بأنه جم غفير(٦).

ثم ختم الله – تعالى – الآية بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ لإفادة الوعيد الشديد لهؤلاء الذين نقضوا عهودهم، ونكصوا عن القتال عندما فرض عليهم، ولكل من يفعل فعلهم، وسار على طريقهم.

أى: والله – تعالى – عليم بالظالمين الذى يظلمون أنفسهم وأمتهم بترك الجهاد، وبترك ما أمرهم الله به بعد أن عاهدوه على عدم الترك.

ثم بين القرآن ما أخبرهم به نبيهم ليحملهم على الطاعة والامتثال فقال – تعالى – :

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾

أى وقال لهم بعد أن أوحى إليه بما يوحى: إن الله – تعالى – وهو العليم الخبير بأحوال عباده قد بعث لكم من أجل مصلحتكم طالوت ليكون ملكاً عليكم، وقائدا لكم فى قتالكم لأعدائكم، فأطيعوه واتبعوا ما يأمركم به.

و ﴿ طَالُوتَ ﴾ اسم أعجمى قيل: هو المسمى فى التوراة باسم «شاول» وقيل: إن هذا الاسم لقب له من الطول كملكوت من الملك، لأن طالوت كان طويلاً جسيماً.

ولقد كان الذى يقتضيه العقل أن يطيعوا أمر نبيهم، ولكنهم لجوا فى جدالهم وطغيانهم وقالوا لنبيهم معترضين على من اختاره الله قائداً لهم:

﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾

﴿ أَنَّىٰ ﴾ أداة استفهام بمعنى كيف، والاستفهام هنا للتعجب من جعل طالوت ملكاً عليهم. أى قالوا لنبيهم منكرين ومتعجبين من اختيار طالوت ملكاً عليهم: كيف يكون له الملك علينا والحال

(٦) تفسير الآلوسى (٢/١٦٦).

أننا أحق بالملك منه لأننا أشرف منه نسباً، إذ منا من هو من نسل الملوك أمـا طالوت فليس من نـسلهم، وفضلاً عن ذلك فـهو لا يملك من المال ما يملكه بعضنا فكيف يكون هذا الشخص ملكا علينا؟

فأنت تراهم ـ لانعدام المقاييس الصحيحة عندهم ـ ظنوا أن المؤهلات الحقيقية لاستحقاق الملك والقيادة إنما تكون بالنسب وكثرة المال أما الكفاءة العقلية، والقوة البدنية، والقدرة الشخصية فلا قيمة لها عندهم لانطماس بصيرتهم، وسوء تفكيرهم.

قال بعضهم: «وسبب هذا الاستبعاد أن النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من أسباط بنى إسرائيل وهو سبط لاوى بن يعقوب، وسبط المملكة بسبط يهوذا، ولم يكن طالوت من أحد هذين السبطين بل من ولد بنيامين» والواو فى قوله:

﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ ﴾ للحال، والواو الثانية فى قوله: ﴿ وَلَمْ يُؤْتَ ﴾ عاطفة جامعة للجملتين فى الحكم(٧).

ثم حكى القرآن ما رد به نبيهم عليهم فقال:

﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

أى قال لهم نبيهم مدللا على أحقية طالوت بالقيادة: إن الله – تعالى: أولاً:

﴿ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ ﴾ أى اختاره وفضله عليكم واختياره يجب أن يقابل بالإذعان والتسليم. وثانياً: ﴿ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ أى أن الله – تعالى – منحه سعة فى العلم والمعرفة والعقل والإحكام فى التفكير المستقيم لم يمنحها لكم، وثالثًا: فى ﴿ ٱلْجِسْمِ ﴾ بأن أعطاه جسماً قوياً ضخماً مهيباً. وهذه الصفات ما وجدت فى شخص إلا وكان أهلا للقيادة والريادة وفضلاً عن كل ذلك فمالك الملك هو الذى اختاره فكيف تعترضون يا من تدعون أنكم تريدون القتال فى سبيل الله؟ لذا نراه – سبحانه – يضيف الملك الحقيقى إليه فيقول:

﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴾.

أى: يعطى ملكه لمن يشاء من عباده لحكمة يعلمها. فلا يجوز لأحد أن يعترض على اختياره، ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾ الفضل والعطاء ﴿ عَلِيمٌ ﴾.

«يتبع»

***

(٧) حاشية الجمل على الجلالين (٢٠١/١).

من الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم

يوم الناقور

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

قال تعالى فى سورة المدثر :

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٖ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٖ ﴾(1).

جاءت هذه الآيات الثلاث فى سورة المدثر، أوائل ما نزل من القرآن الكريم. وفيها إثارة للحس، وإعمال للخيال، فى تصور مقدم يوم القيامة، بهوله الفازع، ورهبته القوية التى تذهل الإنسان عن نفسه.

جاءت هذه الآيات، وقبلها قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾(2).

وبعدها جاء قوله تعالى :

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمْدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدٗا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾(3).

---

(١) المدثر (٨:١٠).
(٢) المدثر (١:٧).
(٣) المدثر (١١:١٧).

جاءت هذه الآيات بعد النداء العلوى، الصادر من الله – تعالى – لرسوله ﷺ بإلقاء الدثار، الذى تدثر به، وإلقاء الخوف. والحزن عن كاهله الشريف، والتهيؤ لما سوف يكلفه به الوحى من الدعوة إلى الله العلى القادر، مما يلزم لإتمامه والنجاح فى تحصيله التطهر التام وإنكار الذات والصبر على المشاق.

ولما كانت هذه الدعوة المباركة – شأن الدعوات السماوية الكبرى – سوف تقابل عاجلا وآجلا بالإنكار الشديد، والحرب التى لاهوادة فيها، من جانب فئة باغية كافرة، لاترى للحساب على ماقدمت دليلا فى مرآة نفسها المظلمة، ولاليوم القيامة علامة واضحة فى ضميرها القاحل.. لما كانت هذه الدعوة كذلك – حسبما سبق فى علم الله تعالى – كان لابد من هز هذه الضمائر الخربة، والمشاعر الصلدة، بتصوير مقدم هذا اليوم العظيم. تصويرا يحمل من الظلال والألوان مايغمر القلب.. ويوقظ الحس.. ويضعهما فى المواجهة الحية أمام هذا الحدث الهائل، وهما مايزالان – بعد – يتنسمان – عبير الحياة، علهما يفيقان من غفوتهما، ويثوبان إلى الطريق.

قلنا كان لابد من تصوير مقدم هذا اليوم.. وذلك قبل أن يدخل النص الكريم فى مواجهة مباشرة مع واحد من رموز الشرك والضلال(٤) يصل به إلى قرار سحيق إلى ﴿ سَقَرَ ﴾(٥) التى ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾(٦).

فكيف تم تصوير مقدم هذا اليوم؟ وبأى الألوان كان هذا التصوير؟ وما الظلال التى ألقتها هذه الصورة فى النفس؟ وما العوامل المؤثرة فى بنائها؟ ذلك موضوع محاولتنا مع هذه الآيات.

اهتمت الصورة بإلقاء الضوء على اللحظات المبكرة فى وقوع هذا الهول الرهيب الرعيب وهى لحظة النفخ الأول فى الصور، حيث ركزت على إطلاق النقرة الأولى، التى تؤذن بانقلاب الأرض لتصير غير الأرض التى نعرفها، وانقلاب حال السماء لتصير غير السماء التى نعهدها. فهاهو ذا الملك الموكل بالناقور(٧)، قد التقم الناقور فى فمه، وهاهو ذا قد حنى جبهته، استعدادا للأمر الأعلى(٨) الذى يوشك أن يصدر من لدن الحق – تبارك وتعالى.

فالموقف قد تخطى مرحلة الإعداد والاستعداد، وحددت ساعة الصفر، التى لايعرفها إلا عالم

---

(٤) هو الوليد بن المغيرة المخزومى، وتمت مناقشة صورته ضمن فصل «صور ساخرة».

(٥) المدثر (٢٦). (٦) المدثر (٢٨، ٢٩).

(٧) الناقور: هو القرن الذى ينفخ فيه إيذانا بفناء العالم. جاء فى «الجامع لأحكام القرآن»: «الناقور فاعول من النقر، كأنه الذى من شأنه أن ينقر فيه للتصويت، النقر فى كلام العرب الصوت.. وهم يقولون: نقر باسم الرجل إذا دعاه، مختصا له بدعائه. وقال مجاهد وغيره: هو كهيئة البوق».

(٨) عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كيف أنعم، وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته، ينتظر متى يؤمر فينفخ؟».

الغيب والشهادة وليس هناك إلا أن يصدر الأمر بالنقرة الأولى والحق أن النقر قد لوحظ فيه معنى الدّقّ فالنقر له دويّ فى الآذان. يقول الشهيد سيد قطب «فى ظلال القرآن» : «والنقر فى الناقور، هو مايعبر عنه فى مواضع أخرى بالنفخ فى الصور. ولكن التعبير هنا أشد إيحاء بشدة الصوت ورنينه، كأنه نقر يصّوت ويدوّى. والصوت الذى ينقر الآذان أشد وقعا من الصوت الذى تسمعه الآذان».

فما أن يُنقر فى الناقور، إلا ويكون اليوم الشديد العصيب.. الذى لايعرف لحظة من لحظات اليسر والاستقرار. فالأرض أصبحت غير الأرض، والسموات أصبحت غير السموات.. ولم يعد هناك إلا الفزع والرعب، الذى يحيط بالمرء من كل جانب، وأنى توجه.

ولكن ماحقيقة مفهوم اليوم الذى ذكرته الآية المباركة؟!! إنه يوم لا كأيام الدنيا!! وهو غاية مايقال فيه، فلقد نقر فى الناقور، وانقلبت الحال، واختلف مفهوم الزمان، كما اختلف معنى المكان.. فلم يعد اليوم هو تلك الفترة التى تدور فيها الكرة الأرضية دورتها فى مواجهة قرص الشمس، فهو يوم لايشترك مع يوم الناس الذى تعارفوا عليه إلا فى الاسم فقط أما حقيقته.. أما مقداره.. فقد خضعت لمقياس آخر، ليس لنا أن نتعرف عليه، لأنه ليس فى مقدورنا أن نتعرف عليه. ويكفى أن نعرف أن معيار الزمن الذى عرفناه، لم يعد له وجود، بمجرد أن نقر فى الناقور..!! لكن كل مايمكن أن يعرف عن هذا اليوم أنه:

﴿ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾[9]

فلا يتخلله يسر، «ولايفصل أمر هذا العسر، بل يدعه مجملا مجهلا يوحى بالاختناق والكرب والضيق..»[10] لتذهب فيه النفس كل مذهب، وينطلق فيه التصور أنى شاء.. وكيفما شاء. وهى طريقة مشهورة فى القرآن الكريم عند التعبير عن مثل هذه المعانى الكبيرة، التى لايحتويها فكر بشر ولاتصوره.

وإن من يتصور هذه الصورة الفنية.. يرى أنه لايستطيع أن يحدد فيها لونا بعينه، فلونها أنها لا لون لها، فالصورة تبدأ بصوت رهيب رعيب، بعدها تختلط كل ألوان الموجودات، إذ لا أرض.. ولا سماء.. ولا نجوم.. ولانبات.. ولاماء.. ولاشىء مما نعرف لونه.. كل مافى الصورة ﴿ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ لايسر فيه، واليوم لا لون له. ولكن هل معنى هذا أنها لاتلقى ظلا على النفس البشرية؟!! كلا.. إنها تلقى عليها ظلا من الخوف والفزع، الذى يقع فى الروع عندما يسمع المرء لفظة ﴿ فَإِذَا ﴾ التى تحمل فى طيها بطانة من الوعيد الشديد، والذى يستولى على الإنسان حينما يسمع فجأة، وبلا مقدمات هذا الصوت الذى تصطك منه الآذان، وتنقلب له كل موازين الوجود، وهو لايدرى مصدره، ولا يدرى من الذى أطلقه، فمصدر هذا الظل المخيف، إنما هو توالى المجهولات بعد الوعيد الشديد الذى تضمنته ﴿ فَإِذَا ﴾ فمصدر النقر مجهول.. ويومه

(٩) المدثر (٩، ١٠).

(١٠) سيد قطب «فى ظلال القرآن».

مجهول.. ولون الأرض بعدها مجهول.. ولون السماء مجهول.. ومن هذه المجهولات التى تنطلق فى الآفاق، لتحيط بالإنسان وتكتنفه فى كل أقطار نفسه ومشاعره وتصوراته.. يتكون فى النفس ظل هذه الصورة الفنية. ولكل من النفس المؤمنة والنفس الكافرة أن تشعر بما شاء الله لها أن تشعر..!!

وإن من يتأمل هذه الصورة الفنية، يرى أنها بلغت الغاية فى القوة والتأثير وذلك للعوامل الآتية:

أولاً: أنها جاءت وسط جو كله شدة، وكله كرب، وكله تبعات جسام، وكله يؤذن بأن هناك شيئا عظيما يوشك أن يحدث، سواء على مستوى الوجود كله، أو على مستوى الأفراد. فهاهو ذا رسول الله ﷺ يؤمر فى حسم وحزم بالنهوض من رقدته. والاستعداد لمقابلة هذا الأمر الجلل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴿٥﴾ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾

وهو سوف يقابل بالغلظة والإنكار من فئة كافرة باغية طاغية.. وهاهو ذا أحد نماذج البغى، والطغيان، والوليد بن المغيرة، ومايتهدده به الله - تعالى:

﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ ﴾

وهاهى ذى ﴿ سَقَرَ ﴾ التى سيصلاها هذا الكفور وأضرابه، وقد جاء فى ذكر أوصافها ماجاء فحينما تأتى صورة النقر فى الناقور، ومايتلوها من أحداث جسام وسط هذه الأهوال تكون أشد تأثيرا فى النفس وأوقع فى الضمير.

ثانيا: اختيار ﴿ فَإِذَا ﴾ كأداة شرط تفيد التحقق من وقوع الشرط، كما تفيد سرعة ماسيقع بعده: فالنقر فى الناقور لامحالة واقع، وسيتبعه فورا وبلا إبطاء وقوع هذا اليوم العسير، مما يوحى بهول الموقف وشدته، فضلا عما فيه من إطلاق معنى العسر.. ونفى اليسر. يضاف إلى كل ذلك هذا الربط القوى بين ماقبلها وما بعدها فى سلسلة متصلة الحلقات متتابعة الأحداث عن طريق الفاء.

ثالثا: بناء الفعل للمجهول:

﴿ نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ مما يوحى بالرهبة والفزع، لأنه نقر قوى يصك الآذان، فجأة ودون أن يعرف مصدره، ودون أن يعرف فاعله. فماهو إلا طلقة قوية، أو صوت رعيب.. وبعده يكون اليوم العسير.. يضاف إلى ذلك تعريف ﴿ ٱلنَّاقُورِ ﴾ بأل التى للعهد. وهى تلقى فى النفس ظلا من الرهبة والرعب، فهو ناقور معروف فى الضمير البشرى، وإن لم يسبق له ذكر صريح. فهو مسلط على رأس الحياة وقد التقمه صاحبه الموكل به، وحنى عنقه فى انتظار لحظة الأمر الإلهى الأعلى، وكل الخلائق يعرفونه، وكأنهم يرونه رأى العين.

ولايظن ظان أن هذه القضايا - ومعظمها يقوم على التحليل اللغوى، فى مفاد الألفاظ والعبارات، والتحليل البلاغى الفنى للأساليب وجوها الشعورى العام - لايحس معطياتها، أو ينفعل لها إلا من درب

على تحليل العبارة تحليلا يعتمد على الدراسة الفنية المتعمقة.. لأن هذه الدراسة لم تكن إلا نتيجة لما كان يحسه العربى عند الاستعمال، فالدراسة والتحليل نتائج، وليست مقدمات. ولعل فى هذا مايفسر انطباعاتنا الأولية التى ترسبت فى عقولنا ومشاعرنا وتصوراتنا، فى بواكير حياتنا أيام أن كنا نقرأ هذه الآيات ونحن أطفال فى الكتاتيب. ومما يؤكد هذه الحقيقة رواية الشهيد سيد قطب عن قصته مع القرآن فى كتابه «التصوير الفنى فى القرآن»، نوردها هنا للاستئناس بها، ولنتبين من خلالها أن شعورنا بروعة الصورة الفنية فى القرآن، يسبق دراستنا الفنية المتخصصة، ولايترتب عليها. قال الشهيد - رحمه الله تعالى: «.. ومن تلك الصور الساذجة صورة كانت تتمثل لى كلما قرأت هذه الآية:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾(١١).

ولم أكن أدرك من معانى هذه الآية شيئا - والكلام للشهيد - ولا من مراميها، ولكن صورة كانت تشخص فى مخيلتى. صورة رجل. فاغر الفم، متدلى اللسان يلهث ويلهث، ولا أجرؤ على الدنو منه!

وصور من هذه شتى، كانت ترتسم لخيالى الصغير، وكنت ألتذ التأمل فيها، وأشتاق قراءة القرآن من أجلها، وأبحث عنها - كلما قرأت - فى ثناياه.

تلك أيام - ولايزال الكلام للشهيد - ولقد مضت بذكرياتها الحلوة، وبخيالاتها الساذجة، ثم تلتها أيام، ودخلت المعاهد العلمية، فقرأت تفسير القرآن فى كتب التفسير، وسمعت تفسيره من الأساتذة ولكننى لم أجد فيما أقرأ أو أسمع ذلك القرآن اللذيذ الجميل، الذى كنت أجده فى الطفولة والصبا.

واأسفاه! لقد طمست كل معالم الجمال فيه، وخلا من اللذة والتشويق.. ترى هما قرآنان؟ أم إنها جناية الطريقة المتبعة فى التفسير؟

وعدت إلى القرآن أقرأه فى المصحف لا فى كتب التفسير. وعدت أجد قرآنى الجميل الحبيب، وأجد صورى المشوقة اللذيذة، إنها ليست فى سذاجتها التى كانت هناك. لقد تغير فهمى لها فعدت الآن أجد مراميها وأغراضها وأعرف أنها مثل يضرب، لاحادث يقع.

ولكن سحرها مايزال. وجاذبيتها ماتزال والحمدالله. لقد وجدت القرآن!»(١٢)

فالفهم الأولى المؤثر للصورة الفنية فى القرآن، لايترتب على الدراسة المتعمقة أو المتخصصة، ولايتوقف عليها، وإنما يسبقها، ولكن تأتى هذه الدراسة لتحلل وتعلل مااستقر فى النفس وترسخت صورته فى الشعور.

---

(١١) الأعراف (١٧٥، ١٧٦).

(١٢) التصوير الفنى فى القرآن ص٧، ٨ ط الشروق.

السنة

الحداء

لفضيلة الأستاذ الشيخ / فكري ياسين

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

أخرج البخارى عن أنس بن مالك قال: كان النبى ﷺ فى مسير له، فحدا الحادى، فقال النبى ﷺ: «ارفق يا أنجشة - ويحك - بالقوارير».

جرت عادة الإبل أنها إذا سمعت الحداء استهوتها أنغامه، وهزتها ألحانه، وتأثرت به تأثرا تستخف معه الأحمال الثقيلة، وتستقصر فى سماعه المسافات الطويلة، وينبعث فيها من النشاط والقوة والشوق والحنين ما يسكرها ويولهها، فتراها حتى ولو طالت عليها البوادى، واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال - تمد أعناقها، وتنصب آذانها مصغية إلى صوت الحادى، ومنصتة إلى نغمات الحداء، وهى مسرعة فى خطوها وجادة فى سيرها، وربما تتلف نفسها من شدة السير وثقل الحمل، وهى لا تشعر، تأثرا بما ملأها من طرب وهيام، كما أنه قد ينشأ عن كثرة اهتزازها، وتلاحق خطواتها ما يزعج الراكب، ويتعبه، وما لا يؤمن معه على النساء والضعفاء من السقوط.

مختارات من مجلة الأزهر - المجلد الحادى والعشرون - ١٣٦٩هـ، ص ٣٩٣.

وكان النبى ﷺ فى بعض أسفاره، ومعه نساؤه وسواق يسوق بهن ويحدو، يقال له: أنجشة، وكان حسن الصوت، فقال له ﷺ: «أرفق يا أنجشة بالقوارير». وقد سمى النساء قوارير، لضعف عزائمهن، تشبيها لهن بالقوارير من الزجاج فى رقتها وضعفها وإسراع الانكسار إليها، والنساء يُشبهن بالقوارير فى الرقة واللطافة وضعف البنية، وقيل: شبههن بالقوارير لسرعة انقلابهن عن الرضا، وقلة دوامهن على الوفاء؛ كالقوارير يسرع إليها الكسر، ولاتقبل الجبر.

واختلف فى المراد من هذه التسمية على قولين: فأصحهما أن أنجشة كان حسن الصوت، وكان يحدو بهن وينشد شيئا من القريض والرجز، وما فيه تشبيب، فلم يأمن أن يفتنهن، ويقع فى قلوبهن حداؤه، فأمره بالكف عن ذلك؛ وهذا هو الأشبه بمقصوده ﷺ، وبمقتضى اللفظ، وبما يدل عليه كلام أبى قلابة المذكور فى رواية أخرى، إذ يقول: تكلم رسول الله ﷺ بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه، يريد قوله فى تلك الرواية: سوقك بالقوارير.

والقول الثانى: أن المراد من تسمية النساء بالقوارير: الرفق فى السير؛ لأن الإبل إذا سمعت الحداء، اشتدت فى المشى، واستلذته، فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك، وطلب إليه أن يتطلف فى سوقه بهن، كتلطفه فى السوق، بالقوارير لو كانت محمولة على الإبل؛ لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة، ويخاف عليهن الضرر والسقوط، ولأنه إذا تمهلت المطايا، ومشت رويدا، اطمأن النساء فى رحالهن، وأمن مما يصيبهن من أذى ومكروه. وقال أصحاب هذا القول: إن هذا من الاستعارة البديعة، لأن القوارير أسرع شئ تكسيرا، فأفادت الكناية بالقوارير عن النساء من الحض على الرفق بهن فى السير ما لم تفده الحقيقة، فيما لو قال: ارفق بالنساء. قال فى الكواكب: هذه استعارة لطيفة بليغة، فلم تعاب؟ ثم قال: ولعل أبا قلابة نظر إلى أن شرط الاستعارة أن يكون وجه الشبه جليا بين الأقوام، وليس بين القارورة والمرأة وجه شبة ظاهر عندهم. والحق أنه كلام فى غاية الحسن، والسلامة من العيوب، ولايلزم فى الاستعارة أن يكون جلاء وجه الشبه من حيث ذاتهما، بل يكفى الجلاء الحاصل من القرائن، وهو هنا كذلك.

وقيل: إن أبا قلابة قال هذا لأهل العراق، لما كان عندهم من التكلف، ومعارضة الحق بالباطل. وقيل: إن قصده من كلامه أن هذه الاستعارة تحسن من مثل رسول الله ﷺ فى البلاغة، ولو صدرت من غيره ممن لا بلاغة له لعبتموها.

الحداء: سوق الإبل بضرب مخصوص من الغناء، وهو من حدا الإبل، وحدا بها: ساقها، والحادى: المتغنى عند السوق. ويقال: إن أول من حدا الإبل عبدلمضر بن نزار ابن معد بن عدنان، كان فى إبل لمضر، فقصر، فضربه مضر على يده فأوجعه، فجعل يتألم ويقول: يا يداه، يايداه! وكان حسن الصوت، فأسرعت الإبل فى السير لما سمعته، فكان ذلك مبدأ الحداء.

وأرفق: من الرفق، وهو اللطف وحسن الصنيع، يقال: رفق به وعليه رفقا، وأرفقه: رفق به ونفعه. وترفق به: رفق، والرفيق: ضد الأخرق.

وأنْجَشَة - بفتح الهمزة، وسكون النون، وفتح الجيم، ووقع في بعض الروايات أنجش بالترخيم- هو غلام أسود للنبى ﷺ، وكان حبشيا يكنى أبا مارية، وذكروه في الصحابة، وذكر أبوعمر في الاستيعاب أنه كان يسوق أو يقود بنساء النبى ﷺ فى عام حجة الوداع، وكان حسن الصوت، وكان إذا حدا أعنقت الإبل، وأخرج الطبرانى أنه كان ممن نفاهم النبى ﷺ من المخنثين.

ويحك: كلمة ترحم وتوجع، وهو منصوب على المصدرية، وقد ترفع وتضاف، ولاتضاف، يقال: ويح زيد، وويحا له، وويح له. وقال سيبويه: ويل: كلمة تقال لمن وقع فى هلكة، وويح: زجر لمن أشرف على الوقوع فى هلكة، وقال الفراء: ويل وويح وويس بمعنى، وقيل: ويح: كلمة لمن وقع فى هلكة لايستحقها، فيرثى له، ويترحم عليه، وويل: ضده. وقال بعض أهل اللغة: لايراد بهذه الألفاظ حقيقة الدعاء، وإنما يراد بها المدح والتعجب وجاء فى القاموس أن ويح أصلها وى، فوصلت بحاء مرة، فقيل: ويح، وبلام مرة، فقيل: ويل، وبباء مرة، فقيل: ويب، وبسين مرة، فقيل: ويس.

والقوارير: جمع قارورة، وهى الزجاجة، وسميت بذلك لاستقرار الشراب فيها.

نقل ابن عبدالبر الاتفاق على إباحة الحداء، وفى كلام بعض الحنابلة ما يشعر بوجود خلاف فيه، والمانعون له محجوجون بالنصوص الكثيرة المفيدة لمدح الصوت الحسن، ومشروعية الحداء، وذلك مثل قوله تعالى فى معرض الامتنان على عباده:

﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾[1]، فقيل إنه هو الصوت الحسن، وقوله:

﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[2].

فإنه يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن؛ ومثل خبر: «مابعث الله نبياً إلا حسن الصوت»، وخبر أبى موسى الأشعرى فى معرض المدح: «لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود» ومثل حديث أنس: «أن النبى ﷺ كان يحدى له فى السفر، وأن أنجشة كان يحدو بالنساء، والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال». وقال أهل العلم: لم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب فى زمان رسول الله ﷺ، وزمان الصحابة - رضى الله عنهم - وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة، وألحان موزونة، ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره، بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال، وتارة للاستلذاذ، فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم

---

(١) فاطر (١).

(٢) لقمان (١٩).

مستلذ، مؤدى بأصوات طيبة، وألحان موزونة.

وألحقوا بالحداء فى الحكم غناء الحجيج، وهو المشتمل على التشويق إلى حج بيت الله - تعالى - بذكر الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر الكريمة، والمشاهد العظيمة، ووصف البادية وغيرها، ووصف الثواب على ذلك، والغناء الذى يحرض به أهل الجهاد على الغزو، إذا كان الغرض منه تشجيع النفوس، وتحريك النشاط على القتال، والتمدح بالبسالة والنجدة، وإثارة الهمة والحمية، وغناء الأم لتسكيت ولدها فى المهد، والغناء فى أوقات السرور إن كان ذلك السرور مباحا، كالغناء فى أيام العيد وفى العرس، وفى وقت قدوم الغائب، وفى وقت الوليمة والعقيقة، وعند ولادة المولود، وعند ختانه، وعند حفظه القرآن العزيز.

واستدل بجواز الحداء على جواز غناء الركبان المسمى النصب، وهو ضرب من النشيد بصوت فيه تمطيط، واستدل به قوم على جواز الغناء مطلقا بالألحان التى تشتمل عليه الموسيقى. وقال الماوردى: اختلف فيه، فأباحه قوم مطلقا، وكرهه قوم مطلقا، وكرهه مالك والشافعى فى أصح القولين. ونقل عن أبى حنيفة المنع، وكذا أكثر الحنابلة. ونقل ابن طاهر فى «كتاب السماع» الجواز عن كثير من الصحابة. وقال ابن عبدالبر: الغناء الممنوع ما فيه تمطيط، وإفساد لوزن الشعر، طلبا للطرب، وخروجا من مذاهب العرب، وإنما وردت الرخصة فى الضرب الأول دون ألحان العجم، وهو الضرب الذى لم يزل يرخص فيه البعض من غير نكير، إلا فى حالتين: أن يكثر منه جدا، وأن يصحبه ما يمنع منه.

واحتج المبيحون له بأن فيه ترويحا للنفس، فإن فعله صاحبه ليقوى على الطاعة فهو مطيع، وإن فعله ليقوى على المعصية فهو عاص، وإلا فهو مثل التنزه فى البستان، والتفرج على المارة.

وقال الغزالى: الغناء اجتمعت فيه معان ينبغى أن يبحث عن أفرادها، ثم عن مجموعها، فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى، محرك للقلب، فالوصف الأعم أنه صوت طيب، ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره، والموزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار، وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات، وسائر الحيوانات؛ أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب، فلا ينبغى أن يحرم، بل هو حلال بالنص والقياس، ثم أخذ فى بيان ذلك، وبيان شروط الإباحة وظروفها، وأوقاتها ودرجاتها وملابساتها، وأطال بما لا يتسع المجال لذكره هنا، فلينظر هناك.

***

المنهج الإسلامى فى الحوار

لفضيلة الشيخ
محمود عبد الغنى عاشور
وكيل الأزهر الشريف

لقد أسس الإسلام منهجا متكاملا للتعامل بين الشعوب والحضارات المختلفة فقد قرر اختلاف الناس، والأجناس وقنن هذا الاختلاف وربط المسلمين مع سائر البشر على اختلاف انتماءاتهم الحضارية برباط من الأخوة الإنسانية النابعة من وحدة الأصل البشرى، وألزم المسلمين بالتعاون والتعايش والتعارف مع غيرهم ونشر الخير بين الجميع ومع الجميع بصرف النظر عن دينه، أو جنسه، أو لونه. فقال سبحانه عز من قائل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾(١).

فالحوار بالنسبة للمسلمين فريضة واجبة وضرورة شرعية فرسالة الإسلام ودعوته عالمية لا تختص بجنس، أو لون، أو عرق، ولا بلد بعينه، والخطاب القرآنى يتوجه فى الكثير من آياته إلى البشر جميعا. يؤكد على الإخاء الإنسانى والتعايش السلمى ويستهدف خير الإنسانية وتقدمها ونمائها. وينطلق هذا من وحدة الأخوة الإنسانية ويتأكد فى قول المولى سبحانه:

﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(٢).

فالإسلام يفرض التواد والتعارف والعدل مع المختلفين معه فى الدين طالما هم يسالمون المسلمين ويعيشون معهم فى جوار طيب يقول الله ـ تعالى:

---

(١) الحجرات (١٣).
(٢) آل عمران (٨٤).

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٣)

فالناس جميعا أمام شرع الله سواء، فلم يفرق الإسلام بين مسلم وغير مسلم فى مجال المعاملات وبالذات فيما يختص بالعقوبة المترتبة على الجرائم، والقاعدة العظيمة التى نادى بها الإسلام فى التعامل مع غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى هى: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

ويقول سبحانه فى شأن المعاملات التجارية:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٤)

فهذا النهى عن أكل أموال الناس بالباطل عام يشمل المسلمين وغير المسلمين.

وإن دينا هذا شأنه يعطى للآخر حقوقا مثل ما لأتباعه، بل إن الآخر له حقوق مقدسة مصونة فى مجتمع الإسلام وبين المؤمنين به، لهو دين يدعو إلى الحوار والوصول إلى تفاهم مشترك وتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان فهو يؤكد أن دعوة الأنبياء جميعا واحدة، وأنهم جميعا جاءوا بدعوة التوحيد. ونادوا بالإيمان بالله وبعبادته وحده لا شريك له وإلى الإيمان بوجود الملائكة وبالأنبياء السابقين. ودعوا الناس إلى فعل الخيرات وترك المنكرات واجتناب الشرور والتمسك بالقيم الفاضلة وهذا كله ما تضمنته كلمة «سواء» التى دعا إليها القرآن الكريم فى قول الله سبحانه:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾(٥).

فمبدأ الحوار مع الآخر قد أمر به القرآن الكريم كما نصت هذه الآية الكريمة على سبيل الوجوب أحيانا إذا كان يتصل بواجب شرعى فيكون من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وقد يكون على سبيل الندب أحيانا أخرى كوسيلة من وسائل التعرف على الغير ومدخل من مداخل الدعوة إلى الله.

وقد تحقق ذلك فعلا وواقعا فى حياة الرسول ﷺ على المستوى النظرى الوارد فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. كما تحقق على مستوى التطبيق العملى على يد الرسول ﷺ وبأمره لصحابته.

فعلى المستوى النظرى نجد القرآن الكريم يأمرنا بالحوار مع أهل الكتاب وفتح الجسور معهم خلال الحوار الهادف إلى بيان الحق وتوضيحه ودعوتهم إليه حرصا على تحقيق الخير النافع للإنسان كما ورد فى الآية السابقة.

وفى مستوى تعليمى من مستويات الحوار يقول لهم:

---

(٣) الممتحنة (٨، ٩).

(٤) البقرة (١٨٨).

(٥) آل عمران (٦٤).

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ ﴾(٦) .

ومن المعلوم تاريخيا أن التوراة والإنجيل إنما نزلتا بعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ فليس من المتصور عقلا أن يكون عند اليهود علم يقينى عن إبراهيم فيعتقدون صحته أو خطأه فكيف يجادلون فى أمر ليس لهم به علم؟

وقال تعالى :

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾(٧) .

ثم يأمرنا القرآن الكريم بمراعاة المستوى العقلى والحضارى للحوار مع الآخر فليس الهدف منه مجرد إقناع الخصم أو التغلب عليه وإنما هو حوار بالحكمة والموعظة الحسنة. وجدال بالتى هى أحسن وينهى القرآن بأسلوب صريح واضح لا يحتمل التأويل بألا نجادل أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن. وإلا تحمل الإنسان كرها على اعتقاد أمر لا يقوم دليل على صحته ولا برهان على صدقه فلا إكراه فى الدين. وروح القرآن الكريم تسرى بين آياته على هذا النحو فى أسلوب الحوار ومقاصده وأهدافه. ولابد أن يكون ذلك مشمولا ومحروسا بقلب لين هين ولسان رطب عذب الكلمات حتى يؤتى الحوار ثمرته ويصل إلى تحقيق مقاصده ويجسد القرآن الكريم هذا المعنى فى خطابه للرسول ﷺ فى قوله :

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾(٨) .

وفى هذا المستوى التعليمى ينبهنا القرآن الكريم إلى قضية على جانب كبير من الأهمية فى ترقيق القلوب وترويض العقول. فلا نغمط أصحاب الحقوق حقهم حتى ولو كانوا يدينون بغير ملتنا ذلك أن الحق أحق أن يتبع، وأولى الناس بذلك أصحاب الدعوات والمبادىء فالقرآن الكريم فى حديثه عن أهل الكتاب يفرق بين نوعين منهم فإذا كان فيهم الظالم والمكابر والمعاند فإن فيهم أيضا المنصف والعادل وأصحاب المروءة والحريص على الوفاء بالوعد فلا ينبغى أن نصدر حكما عاما يشمل الظالم والعادل والمنصف وصاحب الهوى.

قال تعالى :

﴿ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٩) .

(٦) آل عمران (٦٥).
(٧) سورة الكافرون.
(٨) آل عمران (١٥٩).
(٩) آل عمران (١١٣، ١١٤).

وقال فى آية أخرى:

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾(١٠)

هذه آيات نتعلم منها معالم المنهج القرآنى فى الحوار مع الآخر فلانغمطهم حقهم إذا كان لهم حق فى ذلك كما قال سبحانه:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾(١١).

هذه معالم عامة ترشدنا إليها آيات القرآن الكريم لنتخذها مبادىء لحوارنا مع الآخر على مستوى الفكر والكلمة.

أما على المستوى التطبيقى العملى نجد أن حياة الرسول ﷺ كانت المثل والقدوة فى رسم معالم هذا المنهج فى التعامل مع الآخر نصرانيا كان أو يهوديا أو مجوسيا.

حيث كان ﷺ يوضح فى أمره أو نهيه أو فعله المعنى المقصود لأصحابه والهدف المنشود من التعامل مع الآخر والحوار معه ومن الثابت تاريخيا أن أول هجرة للمسلمين من مكة طلبا للحماية وأملا فى الجوار الآمن كانت إلى الحبشة وكان ملكها النجاشى نصرانيا وأوضح الرسول ﷺ لصحابته المعنى النبيل الذى اختار الهجرة الى الحبشة على أساسه فقال لصحابته إذهبوا إلى الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، فإن العدل الذى افتقده المسلمون الأوائل فى مكة جعلهم يطلبونه عند النجاشى النصرانى هربا من الظلم الذى حاق بهم.

هذا الموقف يعد نموذجا لكيفية التعامل مع الآخر لأن الطرفين كان الحق رائدهما والهدف النبيل غاية لهما.

ومن الثابت تاريخيا أن الرسول ﷺ قد اتخذ له دليلا فى هجرته إلى المدينة هو عبد الله بن أريقط ولم يكن مسلما.

وأنه قبل هدية المقوقس عظيم القبط فى مصر وكانت هذه الهدية هى «مارية القبطية» ولم يرفض الرسول هذه الهدية بدعوى أنها جاءت من غير مسلم بل تقبلها قبولا حسنا وأوصى بأقباط مصر خيرا.

إذن فالحوار كما أسلفنا إما أن يكون عمليا كما حدث مع الرسول ﷺ وإما أن يكون نظريا كما جاء به القرآن أو حوار يعتمد على التعرف على الثقافات والحضارات الأخرى من خلال الدراسات والبحوث والكتب المعتمدة، ففى الوقت الذى كانت فيه حروب سميت خطأ الحروب الصليبية كان هناك حوار ثقافى لم ينقطع. وقد كانت الأندلس هى حلقة الوصل بين الثقافة الاسلامية والثقافة الغربية وأسهمت إسهاما عظيما فى توصيل الحضارة الإسلامية إلى الغرب.

وفقنا الله وإياكم لما فيه خير الإنسانية وسعادتها.

---

(١٠) آل عمران (٧٥)

(١١) المائدة (٨).

الإسلام قضية عادلة فى يد محام فاشل! والمُدَّعُون عليه مُزورون

(١)

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

شيخنا الجليل الإمام محمد الغزالى -رحمه الله- كان داعية ملهما، استل قلمه ولم يخمده فى خدمة الدعوة حتى أتاه اليقين. وقدَّر الله- ونِعمَ ما قدَّر- أن تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها، وهو يناصر الإسلام ويرد زيف المتطاولين عليه، من الكارهين لما أنزل الله وأن مثواه فى مدينة «النور» مع النبى ﷺ والشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا.

وكنا -ونحن طلاب صغار- فى الأزهر الشريف، فى الخمسينيات من القرن العشرين الميلادى. كنا شديدى الحرص على سماع خطبه ومحاضراته العامة، وعلى قراءة مقالاته وكتبه، لا يفوتنا منها شىء، حتى فى الأجازات الصيفية حين يعود الكثير منا إلى مسقط رأسه فى القرى، كنا نكلف المقيمين منا فى القاهرة، أن يكتبوا لنا ملخصات وافية عن موضوعات خطبه ومحاضراته، وأن يبعثوا بها إلينا ونحن ناءون عن القاهرة. وكان يوم الجمعة من أحب الأيام إلينا للصلاة خلفه وسماع خطبه القيِّمة. وأقسم بالله أن بعضنا كان يسير عدة كيلومترات على قدميه ذاهبا إلى المسجد -أى مسجد- يكون خطيب الجمعة فيه هو الشيخ محمد الغزالى الداعية المخلص، الغزير العلم، الصادق القول، الأدبى الأسلوب، القوى الحجة، الرفيع البيان.

ولم يكن همنا أن نسمعه متحدثا فحسب، بل أن نراه وهو يتحدث، ونرى إشاراته وتوزيع نظرته على جمهور المصلين.

ولذلك كنا نذهب إلى المساجد التى يخطب فيها مبكرين لم يدخلها أحد قبلنا، فنجلس أمام المنبر، حتى لا يكون بيننا وبينه أحد، وكنا نجد متعة روحية، نتخذ منها زاداً لقلوبنا طيلة الأسبوع، لما فى خطبه من غذاء يثلج الصدور، وله

بحة صوت شجية آسرة للأسماع. إنه -رحمه الله- كان حسنة من حسنات القدر الإلهى الحكيم.

وكان له -رحمه الله- عبارات حكيمة، تبدر منه، وهو يخطب أو يحاضر، تبدر منه تلقائيا، ومن تلك العبارات ما نحفظه كما سمعناه منه مباشرة حتى الآن، منها عبارة قالها وهو يخطب فوق منبر مسجد «الثورة» فى الزمالك، وكان موضوع الخطبة - فيما أذكر- أن يعامل المسلمون خصومهم بالمثل. قال يخاطب أولئك الخصوم الذين كانوا يناصبون الإسلام العداء فى الغرب:

«اعترف لى بحقى فى الحياة.. أعترف لك بذلك الحق، أمِّنِّى على حاضرى ومستقبلى لا أجدْ باعثا على معاداتك».

ومنها عبارة قالها فى ظاهرة الإعراض عن التفقه فى الدين.

«لو قرأ المسلمون فى فقه دينهم مثلما يقرأون الصحف السيارة، والمجلات، لكانوا فى مصاف الأئمة الأربعة الكبار، أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد».

ومنها العبارة التى اخترناها عنوانا لهذا الحديث، وهى:

«الإسلام قضية عادلة، فى يد محامٍ فاشل» وهى عبارة ذات مغزى عميق، صادرة عن تجارب مريرة، ناتجة عن أوضاع المسلمين فى هذا العصر.

أما العبارة الثانية: «والمدعون عليه مزورون» فقد أضفناها من عندنا، مبالغة فى فشل المحامى الذى أُبْتلى به الإسلام، ليكون مدافعا عن قضيته وهو عاجز عن الدفاع عنه، مع عدالة القضية وتزوير المتهمين لها.

الشيخ الغزالى قال هذه العبارة منذ زمن وعلى طول هذا الزمن، فإن المحامى عن قضية الإسلام يزداد فشلا يوما بعد يوم، ولم يطرأ على قدراته أى تحسن للأسف الشديد.

والمقصود بـ«المحامى الفاشل» فى عبارة الشيخ الغزالى هو العالم الإسلامى كله -عرباً وغير عرب- فهو لايريد فرداً ولا أفراداً معينين، لا علماء ولا أمراء بل يريد الأمة كلها، بكل شرائحها وشعوبها، وأجناسها وبيئاتها.

تُرى: هل كان الشيخ الغزالى مبالغا فى هذه العبارة، أو ظالما لأمته، متحاملا عليها؟ أم هو صوَّر الواقع كما هو، بدون «رتوش» ولا «خدوش»؟

وفى التمهيد للحكم على عبارة الشيخ الغزالى نذكر أنه لم يكن «أوحديا» فى إدانة العالم الإسلامى فى إساءاته للإسلام بوجه عام، فقد سبقه بعض كبار الدعاة إلى إعلان هذه الإدانة: فالإمام جمال الدين الأفغانى له عبارة مأثورة فى هذا المجال، قال فيها:

«إن أكبر خدمة يقدمها المسلمون للإسلام، هى أن يبرهنوا للغرب أنهم ليسوا مسلمين».

يريد: أن انتماء المسلمين للإسلام، مع ترك العمل به، إساءة بالغة للإسلام. وقد صدق رحمه الله، فالغرب -الآن- يعزو ضعف المسلمين وتخلفهم للإسلام نفسه؟

وللشيخ محمد عبده -تلميذ جمال الدين الأفغانى- عبارة مأثورة تقرر ما قاله جمال الدين. قالها حين سافر إلى الغرب فرأى النظام الباهر، والعمل الدءوب، والحرص على استثمار المتاح من

الطاقات، ومنها المحافظة على الوقت. تقول تلك العبارة:

«جئت من الشرق، وتركت فيه مسلمين بلا إسلام، وحللت فى الغرب، ووجدت فيه إسلاماً بلا مسلمين»؟!

يريد أن الناس فى الشرق ينتسبون إلى الإسلام انتماء اسميا «صوريا» لا واقعيا يبدو على أقوالهم وسلوكياتهم.

أما المجتمع الغربى -وإن لم تكن عقيدته ونظمه إسلامية فعمله وسلوكه فى فقه الدنيا، عمل إسلامى.

والعبارات التى قالها الأئمة الثلاثة شكوى مرة من إعراض المسلمين عن العمل بمبادىء دينهم وتوجيهاته، على المستوى الفردى، والمستوى الجماعى، إلا من عصم الله، حتى صارت أوضاعهم فتنة لغير المسلمين، تدعوهم إلى وصف الإسلام بكل النقائص والعيوب. والسبب هو حال المسلمين، فى عدم انتفاعهم بالإسلام، مع قرب الإسلام منهم، وعليهم يصدق قول الشاعر:

كالعيس فى الصحراء يهلكها الظما

والماء فوق ظهورها محمول

والمعنى الذى أراده جمال الدين فى عبارته مستمد من القرآن الكريم، وهو من دعاء أبى الأنبياء إبراهيم - عليه السلام:

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(١)

وبعد هذا التمهيد أتوقع موافقة القراء على أن شيخنا الغزالى لم يتجاوز الحقيقة فى عبارته التى ذكرنا من قبل، فجاء تشبيهه للأمة فى خذلانها لدينها بالمحامى الفاشل أو الخائب، الذى لم يستفد فى دفاعه عن قضية الإسلام بقوة عدالة هذه القضية، مضموما إلى عدالتها أن خصومها الذين رفعوا دعاواهم ضدها مزورون كذبة، كما نلمح فى هذا التشبيه البليغ معنى آخر قصده الشيخ - رحمه الله - ليحدد - بكل دقة - ما يريده من عبارته الحكيمة.

فالمحامى طبيعة عمله أن يكون فى ساحات القضاء وسلاحه هو «الكلمة» القائمة على قوة الحجة وقطع البرهان، وغايته هى الزام العقل وإقناعه بالحق الذى يدافع عنه.

ثم بيان ما فى دعوى الخصوم من زيف وبطلان وليست مهمة «المحامى» هى حمل السلاح المادى من أى نوع كان.

هذا ما كان يتصوره الشيخ الغزالى وهو يصوغ هذه العبارة الحكيمة، فهو إذن لم يرد ضعف الأمة العسكرى فى ميادين القتال؛ لأن الأمة قد يُلتمس لها ألف عذر وعذر فى ترك المواجهة العسكرية، وليس لها مثقال ذرة من عذر فى تركها الدفاع عن الإسلام بوضوح الدليل، وقوة البرهان، لأن وضوح الأدلة، وقوة البراهين أمور هى من صنع الله - عز وجل - أودعها فى كتابه، وفى قيم دينه ومبادئه ومقاصده، ساحقة لكل باطل، قاهرة لكل عناد ومكابرة.

أما السلاح المادى المعروف فهو من صنع البشر «الأمة» يقوى بقوتها، ويضعف بضعفها، بقدر ما تكون صلتها بالإسلام.

(١) الممتحنة (٥).

فالمسلمون لم يصنعوا الإسلام، ولكن الإسلام «صُنع الله» وصانه ـ باعتباره قيما ومبادىء ومقاصد ـ من أى هزيمة تلحق به، أليس هو القائل فى وصف دينه:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾(٢).

والإظهار هو الانتصار، فليس الإسلام عرضة للهزيمة ولو تصدت له كل النظم والأيديولوجيات أيا كان منزعها. بل هو قادر على دحرها وإظهار ما فيها من «زيوف» فلا يبقى أمامه منها شىء ولو خاصمه من فى الأرض جميعا، وكان بعضهم لبعض ظهيرا.

ضعف الأمة فى مناصرة الإسلام بـ «الكلمة» هو ما كان يعنيه الشيخ الغزالى بعبارته تلك. وإن كان ضعفها فى الدفاع عنه وعن حرماته فى ميادين القتال، لم يغب عنه -رحمه الله- باعتبار أن هذا الضعف، سمة من سمات فشل الأمة، التى شبهها الشيخ بالمحامى الفاشل.

* * *

وها نحن أولاء نقصر حديثنا على هذا الجانب الذى أراده شيخنا -رحمه الله- لأن الأمة ليس لها عذر مقبول فى هذا الفشل المتعلق بهذا الجانب.

ونحدد - أولاً - المجالين اللذين أصاب الأمة الفشل فيهما، فى الدفاع عن الإسلام بالكلمة ونصاعة الدليل، وقوة البرهان. وذانك المجالين هما:

الأول: حسنات للإسلام سلبها خصومه عنه، ونسبوها إلى حضارتهم زوراً وبهتانا مع أن الإسلام هو الذى جاء بها، فى كتاب الله العزيز، وفى سنة رسوله الكريم ﷺ، وفيما انبثق عن هذين المصدرين من قيم ومبادىء، وتوجيهات وإرشادات، هى واقع الإسلام كله:

عقائد، وعبادات، وتشريعات، ومعاملات وأخلاق تنتظم كل أنشطة الحياة الراقية المهذبة.

الثانى: مساوىء وعيوب نسبوها للإسلام. والإسلام برىء منها، براءة الشمس من لون السواد.

فمن محاسن الإسلام الخالدة، التى استلبتها الحضارة الغربية، ونسبتها إلى منجزاتها المعاصرة، تحرير الرقيق، وتقرير الحريات الشخصية، وأن الإنسان ليس له سيد إلا الله ـ عز وجل.

هذا المبدأ أقره الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، وحين أقر الإسلام هذا المبدأ العظيم لم يكن للغرب، ولا لحضارته وجود. وكان الإسلام حكيما كل الحكمة فى مواجهة هذه الظاهرة البغيضة لأنه واجهها على مراحل، وبالتدريج، فلم تنزل آية، أو آيات، تحرم استمرار «الرق» دفعة واحدة، لأنه لو حدث هذا لوقعت أضراراً جسيمة بمالكى العبيد، حيث كانت هذه الظاهرة تمثل ركنا عظيما فى النظام الاقتصادى، والموارد المالية فى حياة الناس، لذلك هادنها الإسلام فى أول الأمر، ثم أصدر تشريعات على مراحل تعمل على تصفية تلك الظاهرة، شيئا فشيئا، حتى

---

(٢) التوبة (٣٢)، الفتح (٢٨)، الصف (٩).

لأُيضار طرف على آخر من ملاك العبيد والإماء، فلم يهملها الإسلام كل الإهمال، ولم يصدر تشريعا دفعة واحدة لاجتثاث هذه الظاهرة من الوجود.

لأنه لو حدث الأول (الإهمال) لأضر بحقوق المملوكين. ولو حدث الثانى (الاجتثاث السريع) لأضر بحقوق مالكى العبيد ولأحدث خللا فظيعا فى الاستقرار الاقتصادى المالى، والمال عصب الحياة كما يقولون.

لم يفعل الإسلام هذا ولا ذاك، لما فى كل منهما من أضرار وإنما نهج نهجا هو العدل كله، والحكمة كلها. الذى فعله الإسلام هو تصريف ما تراكم من هذه الظاهرة، ثم إيصاد الأبواب فى وجوهها ولم يسمح بتجدد أية حالة منها.

● فقد جعل الإسلام لتحرير الرقاب سهما من أسهم الزكاة الثمانية. والزكاة ركن مالى عملى من أركان الإسلام:

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾(٣).

أى على ولى أمر المسلمين، أن يخصص جزءاً من ثمانية أجزاء، يوظفه فى شراء العبيد من مالكيهم ثم يرسلهم أحراراً.

● جعل عتق الرقاب إحدى صور كفارة القتل الخطأ وتكرر ذلك مرات فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾(٤)

جعل عتق الرقاب صورة من صور كفارة الظهار، كما جاء فى قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ﴾(٥).

● جعل عتق الرقاب احدى صور كفارة اليمين بالله. وفى ذلك نزل قوله تعالى:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ ﴾(٦).

جعل عتق الرقاب من فضائل الأعمال التى تنفع صاحبها فى الدار الآخرة، ترى ذلك فى قوله تعالى:

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ (١١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾(٧).

● جعل عتق الرقاب إحدى صور كفارة من أفطر عمداً فى نهار رمضان كما جاء فى حديث الذى واقع أهله وهو صائم(٨).

● إذا وطئ المالك أمته فولدت منه حرّم عليه الإسلام بيعها. وتصبح حرة بعد وفاته.

---

(٣) التوبة (٦٠).
(٤) النساء (٩٢).
(٥) المجادلة (٣).
(٦) المائدة (٨٩).
(٧) البلد (١١:١٣).
(٨) رواه الشيخان.

● حث القرآن القادرين من المسلمين على مساعدة العبيد فى تحرير رقابهم من مالكيهم، وذلك فى قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ ﴾(٩).

إلى غير هذا من الإجراءات والمنافذ، التى شرعها لتصفية ظاهرة الرق والاستعباد، والإسلام غير مسئول عن وجود ظاهرة الرق ولا عن نموها وانتشارها، لأنه جاء والظاهرة موجودة بكثرة فى الحياة، فرسم المنهج القويم للتخلص منها وإعدامها تماما.

حدث هذا من القرن الأول الهجرى السابع الميلادى.

ولم يسمح الإسلام بنشوء حالة واحدة من الرق. لكن ضعف المسلمين -بعد القرون الأولى- لم يمكنهم من منع استمرارها بين الناس بقرار تنفيذى «إدارى» حاسم.

أما ما فعلته منظمة الأمم المتحدة فهو المنع بقوة القانون، ولا دخل لها ببُعد النظر فى تحريم الظاهرة، ولا فى سبب تحريمها أصلاً، ولا فى حكمة التشريع فيها، فهذا كله عمل إسلامى خالص، لم يشاركه فيه أى نظام وضعى، أو نظام له أصل واه، بوحى السماء.

وما صنعته منظمة الدول المتحدة انتصار للإسلام على كل الحضارات والأيديولوجيات، وليس قدحًا فيه لأن فى ذلك اعتراف ضمنى من حضارات الغرب بالإسلام وتشريعاته، حيث نادت هذه الحضارات وأقرت ما قرره الإسلام منذ مئات السنين. وكون مفكرى الغرب وسياسييه وكتَّابه ينسبون هذا «الرقى» إلى حضاراتهم فهذه سرقة بالإكراه وسلب لمحاسن الإسلام ومزاياه.

وقد عجزت الأمة «المحامى الفاشل» عن استرداد هذا الحق الإسلامى من مخالب ناهبيه، مع سهولة إجراءات استرداده، وسكتوا عنه تفريطا فيه واستهانة به.

وكان من الممكن إلزام حضارة الغرب، ومجتمعاته بصدق الإسلام وعلو مصدره، لو تحولت الأمة إلى «محام ناجح» وطريق هذا التحول ميسور؛ فالإسلام سلاح لا يُهزم من يستعمله بكفاءة وبصيرة. فهُزموا وهم قادرون على أن يكونوا منتصرين. وهذا عيب قبيح، وكأننى أقول: إن الشاعر القديم كان يعنيهم بقوله:

ولم أر فى عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على التمام

«يتبع»

---

(٩) النور (٣٣).

واجبات المسلمين فى غير أوطانهم

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

الإسلام دين عالمى، اشتملت تعاليمه على قوانين السعادة دنيا وأخرى.

وأريد أن أوضح أهم واجبات المسلمين فى خارج أوطانهم، حيث يوجدون فى بلاد غربية أو أجنبية عن بلادهم الإسلامية ويطالعنا فى أولويات واجباتهم ان يكونوا صورة مشرفة لدينهم.

إذ أن غير المسلمين فى المجتمعات الأوروبية والأجنبية لهم نظرتهم لما يأتيه الإنسان تخالف نظرة الإنسان المسلم أو المسلمين فى مجتمعاتهم.

فعلى سبيل المثال، لو أخطأ إنسان فى بلده الإسلامى مثلاً، يقولون فلان بن فلان فعل كذا، ولكنه حين يخطىء خارج وطنه أو يأتى أمرا غير كريم لا يقولون فلان ولا يعرفون اسمه، ولكن يقولون هذا مسلم، هؤلاء هم المسلمون، فمن أجل ذلك كان سلوكنا فى أوطان غير إسلامية معبراً عن ديننا وعقيدتنا.

فمن الواجب أن نتمثل الصورة المثلى: فإن الإسلام قد انتشر فى مجاهل الأرض وأفريقيا لا بالكلام ولا بالوعظ ولا بالإرشاد فحسب وإنما انتشر بالسلوك والقدوة الحسنة.

وتأثير الإنسان الواحد بسلوكه فى مائة شخص، أقوى من تأثير مائة متكلم فى شخص واحد، فمن أجل ذلك، كان علينا أن نكون صورة مشرفة لديننا وعقيدتنا ودستورنا السماوى وهو القرآن وشفيعنا وحبيبنا وقائدنا ورسولنا سيدنا محمد ﷺ.

ولا تتمثل هذه الصورة الكريمة إلا بالسلوك الكريم وبالخلق العظيم الذى حثنا عليه الإسلام والذى دعانا إليه، وطالما ترامت بعض الأخبار فى الصحف أو فى الكتب، أو فى أحاديث الناس فى المجتمعات الأجنبية، وانتشرت دعاوى عن الإسلام لا يقولون إن المسلمين متشددون أو مخالفون لعقيدتهم، ولكن يقولون إن الإسلام دين متشدد، دين دموى، كيف؟ لأنهم شاهدوا بعض ممارسات من بعض أشخاص لا يمثلون الإسلام يحكمون بها على الإسلام.

أبداً العكس صحيح، فالإسلام دين رحمة وجوهر رسالته الرحمة نقد لخص الله - تعالى - وركز وأوجز رسالة سيدنا محمد ﷺ فى كلمة واحد، حينما قال:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1].

فكيف يدعى على دين جوهر رسالته الرحمة وما بعث رسوله إلا لينشر الرحمة فى ربوع الدنيا بأسرها، كيف يقال إنه دين متشدد وأنه دين غير حضارى وأنه دين يخالف العلم، وأولى آيات الوحى الإلهى التى صافحت قلب خاتم الأنبياء والمرسلين هى دعوة للعلم والحضارة:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[2].

دعوة للعلم والقراءة والحضارة والتقدم، من أجل ذلك كان علينا أن نتمثل فى سلوكنا وفى تصرفاتنا وفى أقوالنا وفى أفعالنا الصورة المثلى لديننا الحنيف حتى لا نظلم هذا الدين وحتى لا يحكم عليه من خلال سلوك البعض ممن أخطأ فيحكم بذلك على الإسلام نفسه ويقال إنه دين غير حضارى أو إنه دين متشدد وإنه دين عنف، وكل هذا لا يمثل الدين فى شىء والعكس هو الصحيح.

فهو الدين الذى دعا إلى التقدم الحضارى وهو الدين الذى قال:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[3].

وهو الدين الذى تنزلت آياته يوم تنزلت، ولم تكن وسائل المواصلات سوى الرواحل والأنعام والدواب فحين قال:

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4].

لا كانت السيارة ولا الطائرة ولا الصاروخ، ولكنه قال:

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[5].

واتضح هذا بعد حين.

ويظل قوله: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يتلوها أولادنا وأحفادنا وأحفاد أحفادنا، فيكتشفون الجديد فى الحياة وتطالع عالمنا بالجديد والجديد مصداقا لقول الحق ومصداقا لنبوءة أشرف الخلق ﷺ.

إنه ليس دينا دمويا ولا يقر عنفاً ولا إرهاباً ولا قتلاً ولا عدواناً على النفس الإنسانية بأى حال من الأحوال حتى فى القصاص، لقد جعله الإسلام فى يد ولى الأمر حتى لاتكون الحياة فوضى ولننظر إلى رسولنا ﷺ وهو يطوف بالكعبة المشرفة قائلاً «ما أعظمك وما أعظم حرمتك وما أطيبك وما أطيب ريحك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك دمه وماله وعرضه»[6].

وحين ترامى إليه نبأ الصحابى الذى قتل

---

(1) الأنبياء (107).

(2) العلق (1).

(3) فصلت (53).

(4) النحل (8).

(5) النحل (8).

(6) اتحاف السادة المتقين 9/179، ابن كثير 7/357.

فى إحدى السرايا، إنساناً نطق بالشهادة وسأل عنه فقال: ما نطق بها إلا تعوذا من السيف يارسول الله، فقال: «هل فتشت عن قلبه؟ وماذا تفعل بـ لا إله إلا الله يوم القيامة أقتلته؟ بعد أن قال لا إله إلا الله؟ وظل يقول: وماذا تفعل بـ لا إله إلا الله يوم القيامة؟» حتى قال: وددت أن أمى لم تكن ولدتنى بعد[٧].

إنه الدين الذى يصون الدماء ولو كان أصحابها مشركين قال تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾[٨].

إنه دين يحمى الدماء والأموال والأعراض على هذا النحو، دين كانت أولى كلماته اقرأ، دين تلخصت دعوته فى الرحمة، كيف ويساء فهمه بهذه الصورة؟!

هذا أول واجبات المسلمين فى غير أوطانهم، أن يكونوا صورة مشرقة لدينهم.

أما الواجب الثانى الذى أختاره، من بين هذه الواجبات الكثيرة فهو استقلال شخصية المسلم، ألا يذوب فى ركام العادات والتقاليد، ألا يقع فريسة الحضارات والتبعية، فعليه أن يستقل بشخصيته، وليس معنى الاستقلال ألا يستفيد من كل ما هو جديد ومفيد. لا، فلنأخذ ما يفيدنا ولنطرح ما يسئ إلينا فالرسول ﷺ نبهنا إلى ذلك.

فليس معنى استقلال الشخصية ألا نأخذ المفيد من المجتمعات البشرية فلنأخذ المفيد، ولنأخذ التقدم الحضارى ولنأخذ بأحدث أسباب التكنولوجيا الحديثة ولكن لا نذوب أخلاقياً ولا عقائدياً ونقع فريسة التقاليد العمياء التى تأسرنا فى ضلالها، بل علينا أن نحافظ على أخلاقنا وعلى أبنائنا وعلى بناتنا وعلى هويتنا لأن سيدنا المصطفى ﷺ قال: «لا يكن أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم»[٩].

هذه هى تعاليم ديننا الحنيف التى تأخذ بأيدينا إلى كل تقدم حضارى وإلى كل جديد، هذه هى تعاليم ديننا الحنيف التى تأخذ بأيدينا إلى كل تقدم حضارى، وألا نذوب وسط عادات ورذائل لا تقع تحت حصر، وألا نقع فريسة التبعية لأى فكر أو حضارة من الحضارات فلدينا من ديننا وحضارتنا ما انتفع به العالم وقبست من نوره الدنيا بأسرها قبل أن تقوم هذه الحضارات.

أما الواجب الثالث على المسلمين فى غير أوطانهم من المسلمين، فهو ألا يتنافروا وألا يتخاصموا وألا يختلفوا.

---

(٧) البخارى ١٨٣/٥.

(٨) التوبة (٦).

(٩) مجمع الزوائد ١٨٠/١.

لقد زرت العديد من المراكز الإسلامية فى الخارج وكنت أرى، ويا أسفى لما أرى من خصومات واختلافات ولقد كان من الممكن أن يكون المسلمون قوة واحدة فى هدوء وسلام.

ولكننا نرى البعض فى خلافات وفرقه، بسبب أشياء، ليست فريضة ولا سنة، وأذكر ما قاله أحد الدعاة المخلصين المصلحين، يوم أن اختلف الناس فى صلاة التراويح من يقول إنها ثمانية ومن يقول إنها عشرون ووقف وقالوا له أنقذ المسلمين فإنهم يقتتلون، قال: لماذا يكادون يقتتلون؟ قالوا فى صلاة التراويح منهم من يريد أن يصليها ثمانية ومنهم من يريد أن يصليها عشرين فقال: فلتصلوها ما شئتم فصلاة التراويح سنة، ولكن وحدة المسلمين فريضة.

إن وحدة الصف أمر واجب علينا فكلنا موحدون والحمد لله، نؤمن بالله ربا وبسيدنا محمد نبياً ورسولاً، لماذا الفرقة والتنافر، لماذا الاختلاف؟ قد نختلف فى الرأى، كما اختلف من قبلنا من الصحابة أنفسهم فى فهم النصوص، ولقد اختلف الأئمة الكبار العظماء، ولكن كانوا يقولون رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب، وإذا خالف الرأى كلام الله وسنة رسول الله ﷺ، فاضربوا بالقول عرض الحائط! انظروا إلى المسلمين الكبار، وإلى الأئمة العظام، الذين ما سمحوا للخلاف يدب فى صفوفهم ولا الخلاف ولا التصدع فى البناء الإسلامى، وإنما كانوا مع اختلافهم فى الرأى لا يتخاصمون، فالاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية.

ها هو الإمام مالك، حين كلفه الخليفة بأن يقوم بتأليف وتدوين كتاب فى السنن والأحكام يكون وسطا ويجمع الناس عليه، وقال له: تجنب شدائد عبدالله بن عمر ورخص ابن عباس وشواذ ابن مسعود، وأقصد إلى أواسط العلم ودون كتابه النفيس «الموطأ» وعرضه على شيوخ عصره فوافقوه.

فسماه الموطأ فلما أعجب به الخليفة ورأى فيه الوسطية بأسمى صورها، أراد أن يلزم كل الأقطار الإسلامية به وأن يعلقه فى الكعبة، وحين عرض على مالك - وما أحب أن يعرض على أى مؤلف أن يكون كتابه معمولا به فى العالم - حين عرض هذا الرأى على مالك خرج إلى الخليفة، وقال له: لا يا أمير المؤمنين، لا ألزم الناس بقولى، فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا فى الأمصار الإسلامية وتفرقوا فى الأقطار الإسلامية، وعند بعضهم من الأحاديث ما ليس عند الآخر ولبعضهم من الفهم ما ليس عند الآخر، فاترك الناس وما اختاروا ما داموا لم يصادموا نصا من كتاب الله ولا حديثا من أحاديث رسول الله ﷺ.

ثم قال مالك - رحمه الله - مالكا فاترك الناس وما اختاروا مما يناسب عصرهم ومصرهم، ثم قال بالحرف الواحد: (إن اختلاف العلماء رحمة الله بهذه الأمة، كل

مـا يرى مـا صح به عنده ووكل على هدى، وكل يريد وجه الله) انظروا إلى الدعوة وإلى وحدة الصف.

إننا نعيش الآن عالم الكيانات الكبرى والتكتلات الدولية، فما بال المسلمين يتفرقون في الحياة وما بالهم يتصدع بناؤهم بددا في الحياة، إن الدعوة إلى وحدة الصف أمر هام، إن على الذين يقيمون في غير أوطانهم أن يوحدوا صفوفهم، وأن يكونوا على قلب رجل واحد وأن يعذر بعضهم بعضا، إذا رأى شيئا لا يعجبه ولا يروقه، وأن ندعو بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نتصافح وأن نتسامح وأن نعفو عن إخواننا فسيدنا المصطفى ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة ناد مناد، أين الذين أجرهم على الله فلا يقوم إلا من عفا»، فلنعف عن إخواننا، فلنصفح، فلنتسامح، لنستجب لدعوة رسولنا ﷺ «لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا»[(١٠)].

إن المسلمين اليوم واجبهم أن يكونوا يدا واحدة، واجبهم أن يشعروا بما يشعر به إخوانهم، وإذا كانت بعض الأقليات تعاني اليوم من سياسة الإبادة والتصفية والتنكيل في كوسوفا وفي غيرها من الأقليات الإسلامية، ولا نريد أن نقول نريد أن ندين ونشجب، ولكن نريد قبل أن تقع الواقعة أن نبعث وكم بعثنا إلى المنظمات الدولية لتقف ولتكن لها وقفة جادة مع أولئك الذين يعيثون في الأرض فسادا، لا نريد أن نكون غثاء كغثاء السيل.

لقد رجا الرسول ﷺ بالقرآن أن يكون أكثر الأمم تابعا يوم القيامة حيث قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»،[(١١)] وقد أصبح أكثر الناس تابعا يوم القيامة، وأصبح المسلمون يمثلون أكثر من خمس سكان العالم، لو توحدت صفوفهم لكانوا أصحاب القرار الضاغط والمؤثر في كل الأرض ولكن يا أسفاه إن تفرقهم وتمزقهم هو الذي جعلهم غثاء كغثاء السيل كما حذرنا رسولنا ﷺ: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت)[(١٢)].

وبالله التوفيق

---

(١٠) فتح الباري ٤٨١/١، ٤٨٤.

(١١) مسلم ١٣٤، وأحمد ٣٤١/٢، ٤٥١.

(١٢) أحمد ٢٧٨/٥.

إشكاليات التحدى الحضارى (٢)

التحدى الحضارى بين مفكرى الإسلام والمستشرقين

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

سادساً : هل يدرس الاستشراق : الشرق : وفق مفاهيم الغرب أو الشرق أو ماذا؟

يرى الغرب : أنه منذ أربعة قرون قام ببلورة المفاهيم الأساسية للبحث، وفى الغرب وحده، تبلورت مفاهيم التاريخ والتجريب والتنمية والتقدم أى كل ما يشكل الميراث الفكرى للإنسان الحديث.. ويرى الغرب أن الشرق لم يساهم فى الميراث الحديث طيلة تلك الفترة وتلك مفخرة يحسبها الغرب لنفسه.. لذلك يرى الغرب أن من أغرب الغرائب أن يطلبوا ـ أى أهل الثقافات المدروسة ـ من الغرب التراجع عن مفاهيمه وتصوراته ومنهجياته عندما يدرس حضارات الشرق لمجرد إرضاء الشرق.. والأشد غرابه كما يرى الاستشراق : أن يطلب منه تبنى مفاهيم الشرق وتصوراته فى عملية الدراسة، لا ريب فى أن هذه المفاهيم والتصورات ذات قيمة تاريخية عظيمة، بل وعظيمة جداً ولكنها أصبحت الآن من قبل التطور للفكر البشرى، جزءا لا يتجزأ من التراث البشرى العام وهى ذات قيمة تاريخية، فالواقع يجبرنا على الاعتراف بأننا لا نجد للشرق المعاصر أى مساهمة فى بلورة المفاهيم الحديثة والأفكار الأساسية والتأويلات الحديثة للتاريخ والحياة، إنه لم يساهم طيلة القرون الأخيرة بأى شىء منها، ونحن لا نزال ننتظر منه أن ينهض ويقول لنا العكس ويكذب رأينا.

ولكن مادام الشرق فى نظر الاستشراق لم ينجح حتى الآن فى كسر هذه العقدة، عقدة الظنون والاشتباه والضغينة تجاهه والتى تسىء إلى تعاونه الصادق مع الغرب فسوف يظل الخلاف قائما.. لكننا نرى أن الشرق ليس بهذه الصورة القاتمة، إنما الشرق علم وثقافة ومنهج.

وإذا كنا مقبلين على طريق عمل مشترك ومتقابلين على ورقة تحمل صيغة ثقافية مشتركة، فعلينا متآزرين أن نتفق على قواعد منهجية يقوم عليها الحوار المشترك وتكون مرجعية معيارية دون التلويح بالتنابذ والإثارة.

لقد كان الاستشراق أولا أحد الجوانب المتفرعة من عصر التنوير ثم الوضعية والمادية التاريخية الأوروبية، وهو يحمل رؤيته الأوروبية إلى خارج نطاق الغرب للحضارة والتاريخ والسياسة والدين، وللمجتمع والبشر، وقد اعتبر فى البداية كعلم واحد متكامل ثم سرعان ما انقسم إلى فروع وتخصصات مستقلة بعضها عن بعض ومتعلقة بمختلف الحضارات الخاصة بالشرق الأفريقى والأسيوى، . كل هذه التخصصات راحت تحمل اسم التسميةالعامة: «الاستشراق» وأصبحت هذه التسمية هى القاسم المشترك بينها.

غير أن الاستشراق اتهم من قبل بأنه المساعد والحليف للتغلغل الاستعمارى الأوروبى فى أرض الإسلام وحاكَمَ الشرق على أصوله ومقاصده ومناهجه ونتائجه وتلك مرحلة خلت حكم فيها الشرقَ وحاكَمَه واستبد بآرائه وكان وفق مناهجه، هو، فكيف يطلب من الشرق أن يسلم قيادته مرة ثانية، بل وعليه أن يعلن وصاية الغرب على نفسه، إن الاستشراق من خلال تاريخه فى نظر الشرق متهم بأنه كان دائما إما المستكشف الطليعى الذى يسبق الاستعمار ويمهد له الطريق، وإما الحليف والمستشار التقنى للتاجر الأوروبى أو للسياسى الأوروبى، أو للمستغل الغربى، إنه أحد المسئولين، إن لم يكن المسئول الأول، عن الشرور التى أصابت الشعوب الشرقية من جراء الاستعمار، غير أن المستشرقين يرون أن هذا الاتهام قد ضخم وبولغ فيه، أما اعتزازهم بالجانب الآخر، وهو الاستشكاف العلمى للحضارات فى التاريخ العام للبشرية وقيمة هذه المساهمة، فإن هذه المساهمة وهى من مفاخر الاستشراق ينظر إليها على أنها ساعدت أوروبا على تغلغلها الاقتصادى والسياسى فى الشرق الحديث من اجل استعباده واستغلاله وهذا لا ينكر.

ولكن الاستشراق يرى من العدل والإنصاف ألا تعمم هذه الحالات والأحداث الخاصة حتى تشمل الإدانة كل بحوث الاستشراق ومثل هذا التعميم وهو من أخطاء المنهج نتيجة خلط الأمور، إذ من الخطأ والمغالطة فى نظر الاستشراق المعاصر أن يكون الباعث الوحيد والأساسى لاهتمام أوروبا بالعالم الشرقى من النواحى التاريخية واللغوية والأدبية كان مرتبطا بالمخططات السياسية والاقتصادية للاستعمار.

ويعترف الاستشراق المعاصر بأخطاء الرعيل الأول من المستشرقين الذين أقاموا فى كنف الاستعمار لكنه يرى أنه إذا ما تجاوز الشرق هذا الموقف المغلوط ضد الاستشراق وارتفع مستوى التطور التاريخى للبحث العلمى وابتعد عن الانخراط فى المماحكات الجدلية سوف يصبح الجو الثقافى خالصا من المغالطات الثقافية وتحقق المزيد من التقدم والتطور.

أما إذا وقف الطرفان عند قوة الظنون والاشتباه والضغينه تجاه بعضهما ساء الأمر منقلباً.

سابعاً : تجديد مناهج الإسلاميين :

ان تأخر المجتمعات الشرقية منذ بضعة قرون بالقياس إلى المجتمعات الغربية قد أدى إلى عدم تمكنها، حتى وقت قريب، من إنتاج العلماء والباحثين القادرين على انتاج البحث العلمي. أقصد عدم تمكنهم من الاستفادة من تقدم العلم التاريخي وتطبيقه على تاريخهم الخاص بذلك. ومن المعلوم أن تطبيق النقد التاريخي على كل الثقافات والشعوب شئ ضروري ولا يمكن التراجع عنه إنه يمثل حركة التاريخ.

إن دخول الزملاء المسلمين إلى ساحة البحث العلمي مؤخراً سوف يتيح إعادة التوازن هذه وسوف يعين على تقديم صورة مدروسة دراسة علمية واضحة عن تلك المجتمعات المعنية من الداخل لا من الخارج فقط.

ونأمل أن يتم ذلك بروح التعاون والأخوة الصادقة بينهم جميعا وذلك هو الواجب الثقافي.

هناك فرق ولابد أن يكون هناك فرق، بين الطريقة التي يدرس بها المسلم المعاصر تاريخه والطريقة التي يدرس بها المستشرقون، وبعض هذه الاختلافات يعود إلى تعلق بعض المسلمين بالمناهج القديمة لثقافتهم وفقط. وبعضها الآخر يعود إلى بعض العلماء الغربيين وتمسكهم بمناهج معادية لدراسة الدين وبرغم ذلك فإننا نجد أن هؤلاء العلماء قد اختاروا موضوع دراستهم ووجهوا أبحاثهم طبقا لحاجيات البيئات الاجتماعية التي ينتمون إليها وآن الأوان أن يقوم المفكرون الإسلاميون بعبء رسالتهم – وهي مشروع قومي ديني – بتوضيح أنفسهم وشعوبهم وكيفية مواكبة العصر أو ملاحقته.

ثامناً : الدعوة إلى إنشاء علم الاستغراب :

يرى المستشرقون : أن نقطة اللقاء بين المستشرقين والشرقيين تتركز حول تعلم المسلمين المناهج الحديثة في البحث العلمي وهم بذلك يكملون مناهج الاستشراق في البحث وقد يصححونها.

ويرى الإسلاميون : أن نقطة اللقاء بينهم تتركز حول عدم اقحام المناهج المعادية للدين وإن استجاب الاستشراق لذلك كملت حلقات التلاقي.

وإذا كان الإسلاميون ينزعجون من تطفلنا على مجال دراستهم وأنهم أولى بذلك منا فإنه ينبغي أن يعرفوا أيضا أن الاستشراق الأوروبي هو الذي أخذ المبادرة في العصور الحديثة لدراسة تاريخهم الخاص، وأنه لولاه لكانوا عاجزين عن أن يقولوا عن ماضيهم نصف ما يستطيعون قوله اليوم، بطريقتهم الخاصة.

فنحن لا نزال نمتلك حتى الآن الميزة المتفوقة التالية : أننا قادرون على الاهتمام بتاريخ شعوب العالم وليس فقط بتاريخنا الخاص.

بمعنى آخر : فإننا نقدم لدراسة كلٍ من هذه الشعوب حسا تاريخيا عاما ولا يستطيع الشرقيون أن يمتلكوا ما يوازيه ماداموا عاجزين عن توليد علماء الاستغراب » وهكذا يتقاذفن سهام النقد الجدلي عن قوس خاب بارية.

يطرح فرانسيسكو جبرائيل سؤالاً – كثيراً ما يردده الشرقيون على سمع المستشرقين – وهو :

على فـرض أن لكم بعض الفـضل فى دراسـة ماضينا. فماذا تفعلوا بحاضرنا؟

فحاضرنا يطرح عليكم همه ومشكلته منذ الآن فـصـاعـداً ويفـتـح بيننا وبينكم أزمـة أنه يشكل أزمة، فهذا الشرق يريد أن يدخل التاريخ من أوسع أبوابه أنه يريد أن يخرج من هامشيته، وهذا الشـرق المنبعث الآن يقف أمـامكم بكل مشاكلة وحاجياته ورغبته العميقة فى تذوق ملذات هذا العالم وأطايبه. وهو رغبة لم تشبع بعـد كـمـا حـصل عندكم فـمـا هى نوعـيـة اهتـمـامكم به؟ ومـا هى الوسـيلة التى ستستخدمونها لدراسته ومساعدته بعد أن قضى على قمعكم البشع واستعماركم؟

وكـيف يمكنكم أن تطمعـوا بعـد الآن فى كتابة تاريخنا وتحليل مشاعرنا وآمالنا عن طريق منهجيتكم القديمة المصبوغة بالعرقية المركزية الأوروبية؟

ومن المعـروف أن هذه المنهـجـيـة، أو ذلك التـصـور هو الذى أتاح لكم أن تعـتـبـروا أوروبا محور التاريخ العالمى ومركزه، هذا مع العلم أنها قـد أصـبـحت الآن فى طريق الانحطاط العـرقى تلك التى أخرجت قضية العلاقات الثقافية بين الإسلام والاستشراق عن الموضوعية إلى المناظرة والمساجلات الجدلية.

إن هذه التساؤلات والاحتجاجات الغاضبة تعكس أسلوب الهـيـاج الصـارخ والعـواطف الغاضبة التى حكمت لغة حوار ذميم وقع فيه الطرفان.. لكن بعد دخول المفكرين الإسلاميين حلبة البحث العلمى. وأصبحت ذاتا فاعلة على مـسـرح التـاريخ وليس فـقط ذاتا سلبيـة منفـعلة تدار أمـورها من الخـارج تسـتطيع أن تناقش قضاياها والقضايا المشتركة بهدوء وتعقل.

يقـول كلود كـاهـين: إننى أعـتـرف بأن المستشرقين كانوا قد ركزوا اهتمامهم أكثر مما يجب - وفى غالب الأحيان - على بعض الفترات التـاريخـيـة أكثر من غيرها،وهى الفـتـرات التى بدت لهـم أكـثـر إشعـاعـا واشراقـا من غـيـرها، وهكذا أهملوا فـتـرات تاريخـيـة أخـرى أكـثـر حداثة من حيث الزمن، وهى لا تقل أهمية من أجل فـهـم العـالم الحـديث للشـعـوب العـربيـة والإسلامية إذا ما نظر إليها من وجهه نظر معينة أو من زاوية أخـرى. ولن ينبـغى أن لا تقع فى التطرف المعاكس فلا تهتم إلا بالتاريخ الحديث وتهـمـل القـديم. فلكى نـنمى الوعى القـومى لشـعب مـا، ولكى نساهم فى انطلاقـة ثقافتـه الجديدة، فـإن أفضل وسيلة ليست بالضـرورة استخدام تاريخه الحديث وإنما تاريخه القـديم والمنسى.

وهذا التـحـدى يرتـهن عـلاجـه بالنظر فى المناهج الجامعية وفتح أقسام علمية تتابع بعمق وبجدارة العلاقات الثقافية بين الإسلام والغرب وعلى الأزهر أن يطور من نفسه ليتحمل عبء تلك الرسـالة بمنهج ناضج رشـيـد ولا أدرى إن قلت: عليه متابعة التواصل الثقافى للشعوب جميعها، هل أكون واهماً؟.

كتاب الشهر

انتشار الإسلام بحد السيف
بين الحقيقة والافتراء

تأليف

د/ نبيل لوقا بياوى

١

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

مازال الخلاف بين المتأدبين والمفكرين قائماً حول صدق مقولة (التاريخ يعيد نفسه) ولكل أدلته وتعليلاته وتفسيراته.

ولكن ما تردده أجهزة الإعلام الغربية اليوم من صيحات محمومة، وادعاءات صارخة تعتمد على تصريحات زعمائه وقادته لتخويف الشعوب من الإسلام وتنفيرها منه.. حين شعرت أن هناك من هذه الشعوب توجهاً لقبول الإسلام دينا حضاريا يلائم الفطرة الإنسانية؛ فنهض هؤلاء القادة والزعماء صائحين فى كل مناسبة، يرددون: إن الإسلام يعادى الحضارات، ويدعو إلى الإرهاب، ولا يعرف إلا الحرب؛ مستغلين - فى ذلك - بعض النصوص القرآنية المبتسرة، مثل قوله تعالى:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(١).

أقول: إن ما تردده أجهزة الإعلام الغربية اليوم من ادعاءات وافتراءات إن هو إلا تأكيد لهذه المقولة؛ إذ هو فى مجمله وتفصيله تكرار لما ادعاه أجدادهم من قبل وما افتروه على الإسلام - إزاء مده وانتشاره - بين كل الفئات لينفروا شعوبهم من الإسلام، ويقدموه إليهم مشوهاً، كريهاً، بغيضاً، مفزعاً.

فما يردده اليوم زعماء أمريكا وأوروبا من أوصاف ينعتون بها الإسلام ليصرفوا شعوبهم عنه من جهة، وليبرروا غزوهم بلاد المسلمين من جهة أخرى، إن هو إلا صدى لما ردده زعماء الغرب فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى، وما تضمنته خطبة البابا (أربان الثانى) من إثارة الجماهير الأوروبية، وحضهم على النفور لغزو بلاد المسلمين؛ درءاً لما يتهددهم بالإسلام، وفتحاً لآفاق جديدة تشبع حاجاتهم، وتخفف من حدة فقرهم وعوزهم؛ ناسباً تلك الدعوة إلى الرب بترديده عبارة (Deuslo Volt. أى: الرب يريدها. تلك العبارة التى أصبحت فيما بعد شعاراً يردده الصليبيون، حيث تطورت تلك الحرب - بعد نحو قرن ونصف - ليصبح اسمها (الحرب الصليبية) بعد أن كانت تحمل اسم (الحملة، والرحلة إلى الأرض المقدسة، والحملة العامة، ومشروع يسوع المسيح)، حتى إن كثيراً من قادة الغرب ومفكريه اليوم يتداعون إلى استئناف حرب صليبية جديدة، يستعيدون بها تسلطهم على بلاد المسلمين.

وما ردده هؤلاء اليوم، وردده أولئك الأسلاف منذ القرن الحادى عشر إن هو إلا صورة لما ردده من ناهضوا الإسلام، منذ بزوغ فجر الإسلام، من مشركين وثنيين، ويهود، وأروام مسيحيين، وفرس مجوسيين، على الرغم من اختلاف مشاربهم، وتباين مواطنهم، وتنوع مقاصدهم؛ فقد توحدوا جميعاً تحت مقصد واحد، هو القضاء على المد الإسلامى، والاطمئنان على ما حاز كلٌّ من سلطة وسلطان.

وإذا كان من بين المنصفين ومحقى الحق فى الطورين الأول والثانى من نهض يدفع تلك المزاعم والمفتريات، سالكاً طريق الحوار والجدل، فإن من بينهم من نهض فى العصر الحديث، يدحض تلك المزاعم، بعد طول أناة وريث، أوقفاه على حقيقة الإسلام التى شاء هؤلاء وأولئك أن يخفوها عن عامة الناس.

---

(١) البقرة (١٩٠).

صوت الواقع أوضح من صوت الفكر

ولعل من أبرز من سعوا وراء الحقيقة الإسلامية من معاصرينا الأستاذ الدكتور نبيل لوقا بباوى الذى تحمل عناء الرجوع الواعى إلى شتى المراجع والمصادر، بعد أن جرد فكره من الفرض المسبق، وخلع عن عقله ركام التعصب الأسود البغيض، وهيأ نفسه لتحمل ما قد ينتظره من إعنات وضيق. ثم قدم خلاصة ما أوصله إليه مسعاه هذا فى كتاب قدمه تحت عنوان (انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء).

أما الدكتور فمما عُرِف به نفسه فى ظهر كتابه أنه حاصل على الدكتوراه فى القانون. ودكتوراه فى الاقتصاد، ويعد الدكتوراه فى الشريعة الإسلامية، وأنه عضو جماعة الإخاء الدينى، وعضو المجالس القومية المتخصصة، وعضو اللجنة الاقتصادية بالحزب الوطنى، وأنه أستاذ القانون بكلية الشرطة والحقوق. ورئيس مجلس إدارة مجموعة شركات البباوى.

مما يومىء إلى أن الدكتور ذو فكر علمى متوثب، وأنه ذو حس اجتماعى متطور، وأنه أستاذ قانونى مجتهد، وأنه قد أوتى من المال ما يمنعه من احتمالات الشبهات والشكوك.

وأما الكتاب فيقع فى ثنتين وتسعين ومائة صفحة من القطع المتوسط، ويضم خمسة أبواب، تشتمل على خمسة عشر فصلاً، طبع فى مطابع الأهرام بمصر، ونشرته دار البباوى للنشر بمصر سنة ٢٠٠٢م.

وحرصاً من الدكتور نبيل ـ فيما يبدو ـ على أن يغلق أمام المتلقين باب الجدل الذى لا ينتج سوى الطنطنة، جمع فى كتابه بين منهجى التأمل الفكرى، ووصف الواقع، حيث رأى أن المنهجين يكفلان له الوقوف على الحقيقة التى عمل على طمسها أعداء النور فى أجيال متلاحقة، وقرون متطاولة.

وإذا كان واقع الدكتور نبيل ـ بشهاداته العلمية، ومكانته الاجتماعية، وممارسته العملية ـ يحميه من دعوى أنه مأجورٌ، فإن تصريحه الحاسم فى مقدمته يقيه من زعم أنه ارتد عن دينه، واعتنق الإسلام؛ فقد قال فى مقدمة كتابه: « ورغم أننى قبطى أرثوذكسى أعتز بمسيحيتى، إلا أننى وجدت من واجبى الوطنى أن أبين الحقيقة فيما يدعيه بعض المستشرقين الغربيين من أن الإسلام انتشر بحد السيف ».

ومن هنا.. سلك الدكتور ـ فى كتابه ـ نهجاً قد يمتاز به عن غيره، وذلك أنه تناول كل مبحث من وجهتين؛ أولاهما: العرض التاريخى المستقى من مختلف المراجع والمصادر. وثانيهما: تقديم ثمرة رؤيته المتفحصة المتأملة.

هل ينسب إلى المسيحية تعصب الكاثوليك؟!

وفى المقدمة يبدأ الدكتور دراسته باستعراض مجمل لما شب من حروب دامية بين المسيحيين الكاثوليك والمسيحيين البروتستانت إثر قيام الراهب (مارتن لوثر) بإنشاء مذهب (البروتستانتية) بعد أن فاض به الكيل من صكوك الغفران التى كانت تمنح للبعض من أجل جمع الأموال، بعد أن أصبحت تلك الصكوك تجارة رابحة للكهنة؛ مما أضعف الإحساس بالندم الذى يجب أن يشعر به مرتكب الخطيئة، ومما جعل الخطيئة

تبدو أمراً تافهاً، يمكن تسويته ودياً بعد صفقة مع تاجر يتاجر فى صكوك الغفران.

لذلك.. قام (لوثر) بثورته الدينية بعد أن تعلم أصول الديانة المسيحية فى دير (أوغسطين) بمدينة (فنتبرج) بألمانيا؛ فأصدر (ليو) العاشر البابا الكاثوليكى أمراً بأن تحرق علناً كل مؤلفات (مارتن لوثر) وكتبه فى عام ١٥٢٠م، بعد بدء انتشار (البروتستانتية).

ثم صبت ألوان العذاب على معتنقى البروتستانتية؛ فشدت أطراف بعضهم حتى اختلعت، وأحرق بعضهم حتى غدت أجسادهم رماداً، وشوى لحم بعضهم فوق الأعمدة، أو مزقوا إرباً بكماشات ملتهبة، وشنق آخرون فوق الأشجار، وقذف بالكثيرين منهم فى غياهب السجون.

وقد ذكر (ول ديورانت) طرفاً من ألوان هذا العذاب فى كتابه (قصة الحضارة) فى المجلد الثانى عشر.

وأومأ الدكتور إلى أن هذه الحرب التى شنها المسيحيون (الكاثوليك) على المسيحيين (البروتستانت) منذ مطالع القرن السادس عشر لم يخمد أوارها إلى اليوم، فمازالت مشتعلة بين الطائفتين فى (أيرلندا).

وتساءل الدكتور: أهذا الذى يصنعه المسيحيون (الكاثوليك) يمكن أن ينسب إلى المسيحية السمحة، أو ينسب إلى المسيحيين جميعاً، أم أنه ينسب إلى أصحابه فقط؟!

ثم سأل بعض المستشرقين الذين يتصيدون أخطاء بعض المسلمين، وينسبونها إلى الإسلام فى أصوله، وإلى المسلمين فى عمومهم. داعياً إياهم إلى أن يرجعوا إلى ما قاله السيد المسيح فى إنجيل لوقا: (إصحاح ٦ آية ٤١):

«أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذى فى عين أخيك»

انتشار الإسلام فى عهد الرسول ﷺ

وعقد الدكتور الباب الأول لتتبع بدء الدعوة إلى الإسلام، وكيفية انتشاره فى أول أمره؛ فمهد لذلك بالحديث فى الفصل الأول عن مولد الرسول ﷺ؛ مستعرضاً فى ذلك وصف طبيعة البيئة المكانية التى استقبلت مولد محمد ﷺ وطبيعة البيئة الزمانية كذلك، مشيراً بذلك إلى أن البيئتين ساعدتا على انتشار الإسلام ذلك الانتشار المحدود الذى يلائم طبائع الأشياء مع البدء وما يناسبها.

وقد اعتمد الدكتور فى وصف هاتين البيئتين على ما التقت عليه المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية العامة والخاصة؛ منبهاً إلى ما ووجهت به الدعوة ـ منذ لحظة الجهر بها ـ من صد وكيد وعدوان. اضطر إزاءه الرسول ﷺ إلى الإذن للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة مرتين، ثم الهجرة العامة إلى يثرب ـ التى أصبح اسمها المدينة المنورة ـ ليواجه هناك مكر اليهود وتدابيرهم، ويضطر هو والمسلمون إلى مواجهات لم تكن فى الحسبان.

ففى الفصل الثانى (الدفاع عن الدعوة وموقف اليهود) قدم عجالة تاريخية، تحكى سيرته ﷺ فى المدينة بعد أن تتابع وصول المسلمين، واستقر جمعهم فى المدينة، وأشار إلى عقد التآخى بين المسلمين ـ المكيين والمدنيين ـ وعقد الأمان بين المسلمين واليهود.

ثم خلص من ذلك لتقديم هذين العقدين، وتبيان دورهما في إشاعة الأمن والسلام بين طوائف المدينة الثلاثة؛ طائفة الأنصار، وطائفة المهاجرين، وطائفة اليهود، فذكر:

أن أبرز ما يقوم عليه عقد التحالف بين المهاجرين والأنصار يتمثل في الجمع بين جميع المسلمين على اختلاف قبائلهم في رابطة واحدة، جعلتهم أمة واحدة، يلتزمون فيها بالتعاون فيما بينهم على الباغي والظالم منهم، حتى لو كان والد أحدهم أو ابنه، وتحمل كل طائفة فداء أسيرها بالمعروف والقسط والعدل بين المؤمنين.

وأن أبرز ما يقوم عليه عقد الأمان مع اليهود يتمثل في: تأمين اليهود على حياتهم، ودينهم، وأموالهم، وتساويهم مع المسلمين في المصلحة العامة، والتمتع بما للمسلمين من حقوق، والتخيير الكامل لليهود المقيمين بالمدينة بين البقاء على دينهم وممارسة شعائرهم في حرية تامة، وبين الدخول في الإسلام، إذا رغبوا في ذلك.

وأعقب الدكتور ذلك بتساؤل صارخ: أين هو الإجبار إذن على الدخول في الإسلام؟! وأين هو حد السيف الذي انتشر به الإسلام؟!

وأتبع هذين التساؤلين بقوله: لقد كان في مقدور محمد ﷺ أن لا يعطي لليهود حق الاختيار الحر، وكان يستطيع أن يفرض الإسلام بحد السيف؛ لأن عدد المسلمين - أنصار أو مهاجرين - كان أضعاف عدد اليهود الموجودين في المدينة، ولكن النص القرآني صريح في النهي عن الإجبار على اعتناق الإسلام. وذلك قوله تعالى:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ ﴾(٢)

وما يرد في القرآن لا يجوز للرسول ولا للمسلمين مخالفته.

تداعي القوى لفرض الحرب على محمد ﷺ

١ - ووقف الدكتور نبيل مع الرسول ﷺ في المدينة المنورة، بعد أن وضحت العلاقة بين المهاجرين والأنصار من جهة، وبين المسلمين واليهود من جهة أخرى.. وقف الدكتور معه ﷺ في أناة الناقد المحايد البصير أمام أربعة من أبرز الأحداث، فرآه ﷺ في أول مواجهاته مع قوى الشرك المعادية في موقعة بدر - وتعد الموقعة الحربية الأولى بينه وبين مشركي مكة - محاولة لاسترداد بعض ما اغتصبه القرشيون في مكة من أموال المسلمين ومنازلهم عند مهاجرهم، حيث نهض ﷺ على رأس نحو ثلاثمائة مسلم لاعتراض القافلة التجارية القرشية في طريق عودتها من الشام، فتمكن أبوسفيان من تهريب القافلة بعيداً عن طريق المسلمين، وأرسل إلى قريش مستنجداً، فأرسلوا له جيشاً في نحو ألف مقاتل، أملاً في القضاء على المسلمين، ولكن عقيدة الإيمان منحت المسلمين قوة فوق قوتهم، فتمكنوا بعون الله من هزيمة قريش، وتحقيق أعز نصر وأخطره، فقد ارتفع به شأن المسلمين في نظر القوى المجاورة - على اختلاف مشاربها - وتضاءلت هيبة قريش، وضعفت شوكة اليهود

(٢) البقرة (٢٥٦).

داخل المدينة. أمام الامتزاج العضوى والمعنوى بين المهاجرين والأنصار.

وأنهى الدكتور تأملاته تلك بتقرير صريح حاسم، مفاده: أن معركة بدر لم تكن لنشر الإسلام بحد السيف، بل كانت تعرضاً لقافلة تجار مكة ليأخذ المسلمون جزءاً من أموالهم التى اغتصبها المكيون منهم عند هجرتهم.

٢ ـ ووقف الدكتور هذه الوقفة الناقدة المتأملة المحايدة مع الرسول ﷺ مرة ثانية فى موقعة أحد، فوجد أن قريشاً بقيادة أبى سفيان أرادوا الثأر لهزيمتهم فى موقعة بدر، واستعادة ما أهدر من هيبتهم، وتأمين طريق تجارتهم إلى الشام، ومحاولة القضاء على الدعوة الإسلامية فى مهدها، قبل أن تشتد قوتها، وتكسب أرضاً جديدة فى شبه الجزيرة العربية.. فأعدوا جيشاً ضخماً بلغ أربعة أضعاف قوة المسلمين، نزل عند جبل أحد بالقرب من المدينة لغزوها، ومهاجمة المسلمين فى بيوته.

وقد بلغ الحقد والكراهية بالقرشيين درجة فاقت كل تصور، حيث اندفعت هند بنت عتبة، زوج أبى سفيان، فبقرت بطن حمزة بن عبدالمطلب حين قتل، وانتزعت قطعة من كبده أخذت تلوكها فى فمها، واندفع وراءها الآخرون يمثلون بجثث المصابين بطريقة وحشية.

ومن هنا.. قرر الدكتور أن موقعة أحد كانت دفعاً لعدوان مهاجم؛ فكانت دفاعاً عن النفس، ودفاعاً عن الدعوة الإسلامية فى الوقت ذاته، وأن محمداً وصحبه ألجئوا إلى الحرب على غير رغبة منهم.

٣ ـ وتأمل فى أبعاد واقعة الخندق (الأحزاب)، وما واكبها من أحداث، وما لابسها من ظروف.. فلاحظ أن اليهود كانوا هم المحرضين الأساسيين عليها؛ حيث أغروا قريشاً بالتحالف مع قبائل العرب، والانقضاض على محمد ومن معه فى المدينة، وسعوا إلى قبيلتى غطفان وبنى مرة ليتحالفوا مع قريش، ثم دعموا ذلك بتحريض قبائل سليم، وأشجع، وفزارة، وسعد، وأسد؛ لينهضوا مع قريش فى معركتهم مع محمد ﷺ، واتفقوا مع هؤلاء الأحزاب المتحالفين من العرب على أن يقوموا هم بدورهم فى المعركة، فيطبقوا على المسلمين من الجهة الأخرى، فتكون الضربة القاصمة، وبذلك يتحقق للجميع مأربهم ويقضى على القوة الإسلامية والدعوة الإسلامية فى آن واحد.

ولم يكن أمام الرسول ﷺ إلا أن يستجيب لرأى سلمان الفارسى بحفر خندق من الجهة الشمالية لمنع الأحزاب من دخول المدينة.

ولما وجد يهود المدينة ـ بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة ـ ضخامة جيش الأحزاب، وأدركوا أن ما أصاب المسلمين فى المدينة من ضوائق مع طول الحصار.. يعنى انتصار الأحزاب، والقضاء الباتر على المسلمين.. عندئذ تنصلوا جميعا مما كان بينهم وبين محمد ﷺ من عهود ومواثيق، واتصلوا بقيادات الأحزاب لتنسيق عملية الهجوم على المدينة.

ولكن عون الله كان أقوى من تدبيرهم، فأرسل عاصفة شديدة، اقتلعت خيام الأحزاب، وألقت الرعب فى قلوبهم، فقرر أبوسفيان فك الحصار والعودة إلى مكة بجيوشه، فذاع صيت محمد ﷺ والمسلمين بين العرب جميعا، ورأوا فيما حدث نصرا للإسلام مؤزرا.

وخرج الدكتور نبيل من تأملاته تلك ليقرر أن موقعة الخندق - بما حققته من كسب للإسلام - لم تكن من تدبير محمد ﷺ وأنه ما قام فيها إلا بتدابير الدفاع عن النفس، والدفاع عن الدعوة الإسلامية.

٤- وختم الدكتور نبيل تأملاته تلك بالنظر فى صلح الحديبية، فرأى أن هذا الصلح فى ذاته يعلن صراحة أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف، وأن محمد ﷺ لا ينطوى على رغبة فى الحرب، ولكنه يجنح دائما إلى السلم، حتى تفرض الحرب عليه فرضا.

فقد رأى أن رسول الله ﷺ أراد أن يظهر لعرب الجزيرة تعظيم الحج والعمر، حتى يعرفوا جوهر الإسلام الذى اعتبر الكعبة المشرفة قبلة الصلاة، فتوجه ومعه ألف وأربعمائة من رجاله إلى مكة لأداء العمرة، وليس للحرب ولا لفرض الإسلام عليهم بالقوة، كما يدعى المدعون.

ولقد كان فى مقدوره ﷺ - حين منعه القرشيون من دخول مكة - أن يدخلها عنوة، ولكنه ﷺ جنح إلى السلم، وأرسل إليهم عثمان ابن عفان رضى الله عنه لمكانته فيهم، حتى يقوم بدور السفارة بينه وبين قريش، ويوضح لهم أنه ما جاء محاربا، فاحتجزوه أسيرا.

وعندما شاع بين المسلمين أن قريشا قتلوا عثمان دعا النبى ﷺ إلى مبايعته على قتال قريش ثأرا لعثمان، فبايعه المسلمون تحت شجرة فى الوادى، فلما علمت قريش بذلك أعلنت أن عثمان لم يمس بسوء، وأوفدت رسولاً من قبلها يطلب من محمد ﷺ التصالح مع قريش، وإرجاء العمرة إلى العام القادم، فكان عهد الحديبية الذى أظهر بعد نظر محمد ﷺ وحكمته وحنكته، السياسية، حتى أظهر - بمرونته - قريشا أمام العرب فى هيئة المعتدى الذى يمنع زيارة البيت الحرام وأظهر الإسلام دينا سمحا، وكسب للإسلام مناصرين فى كل قبيلة، حتى شعر القرشيون أنه سوف ينتشر، فأسرع كثير من قادة قريش إلى اعتناق الإسلام. ثم ختم الدكتور تأملاته تلك بتساؤله: فأين هو حد السيف فى انتشار الإسلام. وإقبال قادة قريش على اعتناقه؟!

وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله

وانتقل الدكتور نبيل مصطحبا تأملاته إلى المدينة المنورة ثانية، لينظر فيما آل إليه عهد الأمان بين محمد ﷺ وبين يهود المدينة فتوقف أمام ما كان من يهود بنى قينقاع من نقض عهد السلم مع المسلمين الذى أعطاهم الأمان على شعائرهم وأموالهم، ولهم مثل حقوق المسلمين، وكان من أهم بنوده قيام حلف عسكرى بين المسلمين واليهود لرد الاعتداء على المدينة وأن يشترك الطرفان فى نفقات الحرب، شرط أن تكون الحرب مشروعة، وأن يتشاوروا قبل أن يدخل الحرب أى طرف.

ولكن يهود بنى قينقاع نقضوا هذا العهد - كما نقضه جميع يهود المدينة - وأخذوا يثيرون الشكوك حول النبى ﷺ ويطعنون فى الإسلام بقيادة شاس بن عدى، وشاس بن قيس، ورافع بن أبى رافع.

وحاولا إثارة الحقد والكراهية ببث الفتن بين الأوس والخزرج، حيث أوعز شاس بن قيس إلى

أحد فتية اليهود فجلس مع جماعة من الأوس والخزرج، وأخذ يذكرهم بما كان بينهم من حروب ونزاع، حتى رفع بعضهم السلاح فى وجه البعض الآخر، وكادوا يقتتلون لولا تدخل الرسول ﷺ فى الوقت المناسب، فألقوا السلاح، وعادوا إلى بعضهم.

وكانوا دائمى التهجم على الله ـ سبحانه وتعالى ـ، والسخرية من القرآن الكريم والرسول ﷺ، حتى إن أبا بكر الصديق لم يتمالك نفسه، فضرب وجه فنحاص اليهودى، حين قال له: «والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان غنيا عنا ما استقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم؛ ينهانا عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنيا عنا ما أعطاناه».

وأنهم لعبوا دورا كبيرا فى شن الحرب النفسية على المسلمين لهزيمتهم فى موقعة أحد للنيل من عزيمة المسلمين، كما قاموا بتحريض قريش على محمد ﷺ، فكان أبو عقل اليهودى ينشد الشعر طعنا فى المسلمين، وتحريضا لقريش عليهم، وقاموا بانتهاك حرمات المسلمات ظنا منهم أنهم فى منعة، واستغلالا منهم لجنوح محمد إلى السلام.

لذلك.. كان على الرسول ﷺ ان يؤمّن جبهته الداخلية، فيرحل اليهود عن المدينة؛ فلم يكن غرضه ﷺ الحصول على الغنائم، كما يقول بعض المستشرقين، وعلى رأسهم «مرجليوث».

ولو سأل هؤلاء المستشرقون أنفسهم: ما الذى يصنعه أى حاكم فى أى دولة متقدمة الآن مع من يعملون على تخريب جبهته الداخلية ويقومون بالتجسس عليه لحساب أعدائه، لما قالوا ما قالوه عن محمد ﷺ، بل إنه لو قتلهم جميعا ـ كما رأى بعض الصحابة ـ لما كان فى تصرفه أى تجاوز، فهذا ما تفعله كل الدول المتحضرة فى هذا العصر الحديث.

مار جليوث

ولكنه ﷺ وافق على ما طلبه عبدالله بن أبى ابن سلول: أن يغادروا المدينة أحياء إلى منطقة أذرعات فى شمال الحجاز، على حدود بلاد الشام، دون أن يمسهم أحد.

يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين

ولما تأمل الدكتور نبيل تصرفات يهود بنى النضير مع محمد ﷺ ـ وهم ممن عاهدوا محمدا على الأمان والتعاون ـ وجد أنهم تجاهلوا ذلك العهد، وانضموا إلى جبهة مشركى مكة بالعون والمناصرة، ورفضوا الاشتراك مع رسول الله ﷺ فى موقعة أحد بحجة أن القتال يدور يوم السبت، وأن العهد ينص على المشاركة فى الدفاع عن المدينة، وأحد يقع خارج المدينة، متجاهلين أن موقعة أحد كانت لمنع قريش من دخول المدينة.

ووجد الدكتور أن يهود بنى النضير لما علموا بخروج محمد ﷺ فى عشرة من كبار الصحابة إلى منطقة قريبة من قباء لدفع دية أسيرين من المسلمين، حاول يهود بنى النضير اغتيال الرسول ﷺ بأن يلقى عمرو بن جحاش صخرة عليه من

أعلى جدار، رتبوا أن يجلس بجواره، ولكن الرسول ﷺ فضح مؤامرتهم، وغادر المكان عائدا إلى المدينة، فانكشفت التى تعلن - مع ما يجرى اليوم تحت سمعنا وبصرنا - أن الغدر صناعة يهودية منذ أربعة عشر قرنا.

وقد كان فى مقدور الرسول ﷺ - إزاء ذلك كله - أن يقتل جميع بنى النضير، ويتخلص من غدرهم ومكرهم. ولكنه ﷺ أنذرهم بالجلاء عن حصونهم خلال عشرة أيام، فرفضوا الإنذار، وأخذوا يستعدون للقتال، فرمموا حصونهم وأقاموا متاريسهم، وأمدوها بالسلاح، وزودوها بمؤن تكفى أشهرا طويلة، فحاصرهم الرسول ﷺ حتى استسلموا ووافقوا على الجلاء عن المدينة، كما شرط عليهم أن يخرجوا بكل شيء يريدون حمله من أملاكهم، على أن لا يحملوا معهم أى سلاح فخرجوا يرقصون ابتهاجا وسرورا بما توصلوا إليه؛ لأنهم يدركون مدى ما حاولوا الكيد به للإسلام والمسلمين.

وقد كان فى مقدوره ﷺ ورجاله أن يتخلصوا من جميع بنى النضير بالقتل ويريحوا أنفسهم من مكرهم وغدرهم ويغنموا كل أملاكهم ولكن الرسول ﷺ وعدهم بعدم التعرض لهم، وأوفى بوعده..

فما كان داعيا للإسلام بقوة السلاح، ولا كان فى مسلكه كارها اليهود، ولا ساعيا وراء مغنم.

وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم

ومن تأمل الدكتور نبيل ما كان من يهود بنى قريظة الذين بقوا فى حصونهم على حدود المدينة، تبين أنهم لم يهدأ لهم بال وهم يرون الإسلام ينتشر، ويرون أن المدينة كادت تخلص للمسلمين بعد خروج من خانوا العهد من إخوانهم.

وتبين أنهم أخذوا يدعون القبائل المختلفة للنهوض مع قريش فى جيش يقضى على محمد وصحبه، واعدين إياهم بمناصرتهم وتأليب المنافقين فى داخل المدينة للانقضاض من الداخل على المسلمين، فلا يستطيعون الخلاص، ولا يجدون لهم مهربا.

وتبين أن المسلمين لما حفروا الخندق، وحاصرت جيوش الأحزاب المدينة من الشمال والجنوب، نقض بنو قريظة عهدهم مع محمد ﷺ، فمنعوا عنهم الطعام والمؤن، وظاهروا المشركين، وتعاونوا معهم؛ فجعلوا من أنفسهم عيونا على المسلمين يكشفون عوراتهم للعدو، مكونين مع المنافقين فى داخل المدينة جيشا آخر ليضعوا المسلمين بين فكى كماشة.

ولما انقشعت جيوش المشركين، وعادت كل قبيلة أدراجها، كان على محمد أن يعود إلى بنى قريظة ليصفى حساباته معهم.

وكان فى مقدوره أن يقتلهم جميعا ليتخلص منهم ومن مكائدهم وخياناتهم، ولكنه جنح إلى السلم - كذلك - واستجاب لرغبتهم ووافق على أن يختاروا من شاءوا ليحكم فيهم، فاختاروا بكامل إرادتهم سعد بن معاذ ليحكم بينهم.

وبعد استماع سعد لوجهة نظر اليهود فيما كان، وسماع وجهة نظر المسلمين، حكم سعد بقتل الرجال، وسبى النساء، وتقسيم الأموال.

وبتنفيذ هذا الحكم قضى على شوكة اليهود،

استكمالا لحماية الدولة الإسلامية الناشئة من خيانة اليهود المتواصلة، على نحو ما قدره الواقع، وصوره القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾(٣).

فالتخلص من يهود المدينة لم يكن طمعا فى أموالهم، ولا فرضا للإسلام عليهم، ولكنه كان دفاعا عن النفس لتأمين مستقبلهم وحماية للدعوة الإسلامية من مكائد اليهود التى لا تنتهى.

أما يهود خيبر المقيمون فى حصونهم المنيعة فى مسافة نحو ثمانين ميلا شمالى المدينة، والذين انضم إليهم يهود بنى النضير بعد جلائهم عن المدينة، فقد رأى الدكتور نبيل كيف سعوا إلى بنى عمهم اليهود من تيماء، وفدك، ووادى القرى للتأهل للإغارة على المدينة والقضاء على الإسلام، وعلى الرسول ﷺ فى معقله.

ورأى أن النبى ﷺ عندما علم بذلك قرر معاجلتهم، والتوجه إليهم بقواته، لأن الهجوم خير وسيلة للدفاع عن المدينة.

ورأى كذب ما أدعاه بعض المستشرقين من أمثال «مرجليوث» أن المسلمين لم يهاجموا خيبر إلا رغبة فى الحصول على أموالهم؛ لأنهم لو كانوا كذلك لاستولوا على أرضهم، ولما سمحوا لهم بزراعتها.

فالحقيقة التى لا جدال فيها: أن محمدا ﷺ إنما هاجم خيبر لأنها أصبحت أكثر المناطق عداء للرسول، وأشدها خطرا على المسلمين، بعد أن لجأ إليها معظم اليهود الذين أجلوا عن المدينة.

وكانت قوات المسلمين أضعاف قوات خيبر، ومع ذلك نراه ﷺ -بعد انتصاره على الحارث بن أبى زينب زعيم خيبر ورجاله- يرفض أن يستمر فى القتال لقتل جميع المقيمين فى خيبر، ولكنه وافق على أن يدفعوا الجزية مقابل بقائهم على دينهم، وإقامتهم فى منازلهم، وتركهم يمارسون حياتهم، وزراعة أرضهم؛ من كل ما يؤكد أن هذه الموقعة -كذلك- لم تكن لفرض الإسلام بحد السيف، كما يزعم المستشرقون.

ويقرر الدكتور نبيل: أن سماحة الإسلام هى التى جعلته ﷺ يرد إليهم صحائف التوراة التى غنمها المسلمون حين طلبها اليهود لمباشرة عقائدهم الدينية.

وبعد هذه الجولة التأملية فيما كان من يهود المدينة من خيانة ونقض عهود.. امتدت تأملاته لتربط بين اليهود فى عصر الرسول ﷺ، واليهود فى هذا العصر الحديث؛ مقررا أن خيانة العهد خاصية ينفرد بها اليهود فى كل زمان ومكان حتى ليبدو أنها جزء من شخصيتهم، فما كان من اليهود مع المسلمين أيام الرسول ﷺ هو كائن اليوم منهم مع عرب فلسطين.

«يتبــــع»

---

(٣) الأحزاب (٢٦، ٢٧).

العطاء العلمى للحضارة الإسلامية

تأسيس منهجية البحث العلمى

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

* إن البحث العلمى واحد من أوجه النشاط المعقدة التى يمارسها العلماء باستقصاء منهجى فى سبيل زيادة مجموع المعرفة العلمية وتقنياتها، ويطلق على العلم المعنى بطرائق وأساليب البحث فى العلوم الكونية للوصول إلى الحقيقة العلمية أو البرهنة عليها اسم «علم مناهج البحث» Methodology كما يطلق على منهج البحث فى العلوم الكونية التى تبحث فى الظواهر الجزئية للكون والحياة اسم «المنهج التجريبى الاستقرائى» ويقصد به منهج استخراج القاعدة العامة «النظرية العلمية» أو القانون العلمى من مفردات الوقائع استنادا إلى الملاحظة والتجربة.

وينسب الكثير من المؤرخين وعلماء المناهج الفضل فى اكتشاف هذا المنهج إلى العالم الإنجليزى «فرنسيس بيكون» الذى وضع إبان عصر النهضة الأوروبية الحديثة كتابه المشهور «الأورجانون الجديد» ويعنى به منهج البحث التجريبى، ليعارض به أرسطو فى كتابه «الأورجانون القديم».

* ويشهد استقراء تاريخ الفكر البشرى بأن علماء الحضارة الإسلامية كانوا أسبق من الغربيين إلى نقض منطق أرسطو النظرى واتباع المنهج التجريبى قبل «بيكون» بعدة قرون، فقد استطاعوا أن يميزوا بين طبيعة الظواهر العقلية الخالصة من جهة، والظواهر المادية الحسية من جهة أخرى، وفطنوا إلى أن الوسيلة أو الأداة التى تستخدم فى هذه الظواهر يجب أن تناسب طبيعة كل منها، ويعتبر شيخ الإسلام «ابن تيمية» من أوائل العلماء المسلمين الذين نقدوا منطق أرسطو الصورى، حيث هاجمه بعنف فى كتابه «نقض المنطق» ودعا إلى الاستقراء الحسى الذى يصلح للبحث فى الظواهر الكونية ويوصل إلى معارف جديدة.

* واتجه علماء الحضارة الإسلامية إلى المنهج التجريبى الاستقرائى عن خبرة ودراية بأصوله وقواعده، وأحرزوا على أساسه تقدما ملموساً فى حركة التطوير العلمى والتقنى.. فهذا هو الحسن بن

(*) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم ونائب رئيس جامعة القاهرة.

الهيثم - على سبيل المثال لا الحصر - يصف ملامح المنهج التجريبي الاستقرائي الذى اتبعه فى بحث ظاهرة الإبصار بقوله: «رأينا أن نصرف الاهتمام إلى هذا المعنى بغاية الإمكان، ونخلص العناية به ونوقع الجد فى البحث عن حقيقته ونستأنف النظر فى مبادية ومقدماته، ونبتدئ باستقراءالموجودات، وتصفح أحوال المبصرات، وتمييز خواص الجزئيات، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر فى حال الإبصار، وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس.. ثم نترقى فى البحث والمقاييس على التدريج والترتيب، مع انتفاء المقدمات والتحفظ من الغلط فى النتائج، ونجعل غرضنا فى جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى، ونتحرى فى سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء.. فلعلنا ننتهى بهذه الطريقة إلى الحق الذى به يثلج الصدر، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التى عندها يقع اليقين، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التى يزول معها الخلاف وتحسم بها مواد الشبهات.. وما نحن، من جميع ذلك، براء مما هو فى طبيعة الإنسان من كدر البشرية، ولكننا نجتهد بقدر مالنا من القوة الإنسانية، ومن الله نستمد العون فى جميع الأمور».

ويوضح هذا النص - المقتبس من كتاب «المناظر» لابن الهيثم - بما لا يدع مجالاً للشك أن القواعد العامة التى وضعها ابن الهيثم لمنهج الاستقراء تتميز عن قواعد المنهج البيكونى بأنها ليست مجموعة من التعليمات والإرشادات التى تلتزم ترتيبا محدداً لا ينبغى تجاوزه، مما يضفى عليها قدراً كافياً من المرونة يحول دون جمودها أمام حركة العلم وتطوره، كذلك تعكس عبارات ابن الهيثم كثيراً من خصائص العلم التجريبى ومقومات نجاح البحث العلمى التى افتقدها كل من المنطق الأرسطى والمنهج البيكونى، وتوضح المقارنة أن التجريبية خطوة مقصودة فى أسلوب البحث العلمى عند علماء المسلمين.

* من ناحية أخرى، يتضح من القراءة المتأنية للنصوص العلمية فى التراث الإسلامى أن الفضل فى اكتشاف المنهج العلمى «التجريبى الاستقرائى» لا ينسب إلى عالم إسلامى بعينه، على غرار ما يقال عادة عن منهج أرسطو أو بيكون أو ديكارت، بل إنه يعزى إلى علماء كثيرين مهروا فى مختلف فروع العلم. فهذا هو جابر بن حيان يلقى مزيداً من الضوء على خصائص المنهج التجريبى الذى اتبعه، فيؤكد أن «لكل صنعة أساليبها الفنية». ويحذر من الإفراط فى الثقة بنتائج تجاربه بالرغم من موضوعيته فى البحث العلمى فيقول: «إنا نذكر فى هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط - دون ما سمعناه أو قيل لنا أو قرأناه - بعد أن امتحناه وجربناه، وما استخرجناه نحن قايسناه على أقوال هؤلاء» ويقول أيضاً: «ليس لأحد أن يدعى بالحق أنه ليس فى الغائب إلا مثل ما شاهد، أو فى الماضى والمستقبل إلا مثل ما فى الآن» ونجد فى مؤلفات: الرازى، والبيرونى، والبتانى، والبوزجانى، والتيفاشى، والخازنى، وابن النفيس، وابن يونس، وغيرهم ما يؤكد إيمانهم بالمنهج الجديد فى تحصيل الحقيقة العلمية، وممارستهم لهذا المنهج عن إدراك وفهم دقيق لكل مسلماته وأدواته وخصائصه وغاياته. وفى هذه الحقيقة الهامة يكمن السر والدافع وراء نجاح هذا المنهج ومواكبته لحركة التقدم العلمى التى حثت عليها تعاليم الإسلام الحنيف ومبادئه السامية، متمثلة فى آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التى تكرم العلم والعلماء وتحث على إعمال العقل ومداومة البحث فى ملكوت السموات

والأرض، وتحرر التفكير من القيود والأوهام المعوقة للكشف والإبداع وتحارب التنجيم والتنبؤ العشوائى والتعصب للعرق والعرف، وتحذر من الاطمئنان إلى كل ما هو شائع أو موروث من آراء ونظريات ولا شك أن هذا كله أوسع وأشمل مما يعرف بأوهام الكهف والسوق والمسرح والجنس، وهى الأوهام الأربعة المنسوبة لبيكون، والتى كثيراً ما يباهى بها فلاسفة العلم وشراح المنهج العلمى.

* وتدلنا قراءة التراث الإسلامى على أن المسلك الذى اتبعه علماء الأصول وعلماء الحديث فى الوصول إلى الصحيح من الوقائع والأخبار، والأقوال قد انسحب على أسلوب التفكير والتجريب فى البحث العلمى، فنرى - على سبيل المثال - أن الحسن بن الهيثم يستعمل لفظ «الاعتبار» وهو «لفظ قرآنى» ليدل على الاستقراء التجريبى أو الاستنباط العقلى، ويستخدم قياس الشبه فى شرحه لتفسير عملية الابصار وإدراك المرئيات.. كذلك نجد أبا بكر الرازى يستخدم الأصول الثلاثة: الإجماع والاستقراء والقياس فى تعامله مع المجهول، فهو يقول: «إنا لما رأينا لهذه الجواهر أفاعيل عجيبة لا تبلغ عقولنا معرفة سببها الكامل لم نر أن نطرح كل شىء لا تدركه ولا تبلغه عقولنا، لأن فى ذلك سقوط جل المنافع عنا، بل نضيف إلى ذلك ما أدركناه بالتجارب وشهد لنا الناس به، ولا نحل شيئا من ذلك محل الثقة إلا بعد الامتحان والتجربة له.. ما اجتمع عليه الأطباء وشهد عليه القياس وعضدته التجربة فليكن أمامك».

* ولقد استند علماء الحضارة الإسلامية على اختلاف تخصصاتهم - فى ممارستهم للمنهج العلمى - إلى مبادىء أساسية استمدوها من تعاليم دينهم الحنيف ويمكن إيجازها فيما يلى:

١- عقيدة التوحيد الإسلامى هى نقطة الانطلاق فى رؤية الإنسان الصائبة لحقائق الوجود.. قال تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(١).

فالله - سبحانه وتعالى - هو الحق المطلق، وهو مصدر كل الحقائق المعرفية الجزئية التى أمرنا بالبحث عنها واستقرائها فى عالم الشهادة، باعتبارها مصدراً للثقة واليقين، وليست ظلالاً أو أشباحاً كما نظرت إليها الثقافة اليونانية قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾(٢).

٢- الإيمان بوحدانية الله - سبحانه وتعالى - يستلزم بالضرورة العقلية أن يرد الإنسان كل شىء فى هذا الوجود إلى الخالق الحكيم الذى أوجد هذا العالم بإرادته المباشرة المطلقة على أعلى درجة من الترتيب والنظام والجمال، وأخضعه لقوانين ثابتة لا يحيد عنها، وحفظ تناسقه وترابطه فى توازن محكم بين عوالم الكائنات. وقد شاءت إرادته تعالى أن تبين لنا

(١) العلق (١ : ٥).

(٢) فصلت (٥٣).

من خلال نظام الكون ووحدته اطراد الحوادث والظاهرات كعلاقات سببية لنراقبها وندركها وننتفع بها في الحياة الواقعية بعد أن نقف على حقيقة سلوكها ونستدل بها في قدرة الخالق ووحدانيته. والانطلاق في التفكير العلمي في إطار المفهوم الإيماني لمسلمة النظام الكوني يجعل الطريق مفتوحاً دائماً أمام تجدد المنهج العلمي وتطوره بما يتناسب مع مراحل تطور العلوم المختلفة، كما أنه يضفي على النفس الاطمئنان والثقة اللازمين لمواصلة البحث والتأمل، وينقذ العلماء من التخبط في التيه بلا دليل، كالإحالة على الطبيعة، أو العقل، أو المصادفة، أو ما إلى ذلك من التصورات التي طرحتها الفلسفات الوضعية المتصارعة قديماً وحديثاً وأصابتها بالعجز والعطب. قال تعالى:

﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾(٣).

٣- منهج البحث والتفكير يقوم في المفهوم الاسلامي على التأليف بين العقل والواقع، ويعول في اكتساب المعرفة على العقل والحواس وباقي الملكات الإدراكية التي وهبها الله للإنسان. وقد حملنا الله - سبحانه وتعالى - مسئولية استخدام وسائل العلم وأدواته في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، مثل قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٤)

وقوله سبحانه:

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(٥).

وقوله عز من قائل:

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(٦).

* وهكذا نجد أن علماء الحضارة الإسلامية قد تشربوا تعاليم دينهم الحنيف، واصطنعوا لنفسهم منهجاً علمياً إسلامياً تجاوزوا به حدود الآراء الفلسفية التي تميزت بها علوم الإغريق، وانتقلوا إلى إجراء التجارب واستخلاص النتائج بكل مقومات الباحث المدقق، مدركين أن لمنهجهم الجديد شروطاً وعناصر نظرية وعملية وإيمانية يجب الإلمام بها. وتكشف قراءتنا المتأنية لعلوم التراث الإسلامي عن سبق علماء المسلمين إلى تحديد عناصر المنهج العلمي بما يتفق مع كثير من المسميات والمصطلحات الجديدة التي يتداولها اليوم علماء المنهجية العلمية، مثل أنواع الملاحظة والتجربة «الاستطلاعية، الضابطة، الحاسمة»، ومقومات الفرض العلمي، واستخدام الخيال العلمي في المماثلة بين الظواهر المختلفة والكشف عن الوحدة التي تربط بين وقائع متناثرة.

---

(٣) الملك (٣، ٤).

(٤) النحل (٧٨).

(٥) الإسراء (٣٦).

(٦) البلد (٨ : ١٠).

وليس هناك من شك فى أن الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى تعتبر حلقة هامة فى تاريخ العلم والحضارة بما قدمه علماؤها من تأسيس لمنهج علمى سليم ساعد على تطوير معارف جديدة. لكننا فى عالمنا الإسلامى لانزال بحاجة ماسة إلى إعادة قراءة تراثنا بأسلوب العصر ومصطلحاته، ليس فقط من أجل تحديث الثقافة العلمية الإسلامية، بل أيضا من أجل أسلمة طرق التفكير العلمى، طبقا لخصائص التصور الإسلامى ومقوماته.

إن إسلامية المعرفة بعامة، والمعرفة بخاصة، يجب أن تكون من الروافد الأساسية للصحوة الإسلامية المنشودة.

هذا وبالله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين؛

أهم المراجع

(١) مصطفى نظيف، الحسن بن الهيثم - بحوثه وكشوفه البصرية. مطبعة نورى بمصر، ١٩٤٢م.

(٢) د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

(٣) د. أحمد فؤاد باشا، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

(٤) د. أحمد فؤاد باشا، أساسيات العلوم المعاصرة فى التراث الإسلامى - دراسات تأصيلية، دار الهداية، القاهرة، ١٩٨٧م.

(٥) د. أحمد فؤاد باشا، نحو صياغة إسلامية لنظرية العلم والتقنية، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٥٥، ١٩٨٩م.

(٦) د. أحمد فؤاد باشا، فى فقه العلم والحضارة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٧م.

(٧) د. أحمد فؤاد باشا، دراسات إسلامية فى الفكر العلمى، دار الهداية، القاهرة، ١٩٩٧م.

(٨) د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمى الإسلامى - شيء من الماضى أم زاد للآتى، دار الفكر العربى، القاهرة ٢٠٠٢م.

(٩) المستشار عبدالحليم الجندى، القرآن والمنهج العلمى المعاصر، دار المعارف، ١٩٨٤م.

(١٠) سيد قطب، مقومات التصور الإسلامى، دار الشروق ١٩٨٦م.

- خصائص التصور الإسلامى ومقوماته، دار الشروق، ١٩٨٧م.

(11) I.R. Al-Faruqi; Tawhid: Its Implications for thought and Life, International Institute of theIslamic thought, 1402 AH/1982 AC.

(12) J.R Hayes (Editor); The Genius of Arab Civilization, Source of Renaissance, 2nd edition; London 1983.

الأندلسية

للشاعر العربى الكبير الأمير / شكيب أرسلان

في وقفة له يوم ١٧ من صفر سنة ١٣٤٩هـ أمام معجزات الفن العربى فى قرطبة

لَكَ اللهُ إن شئتَ الصَّبُوحَ فَبكِّرِ ** بكأسٍ دهاقٍ منْ حُمَيَّا التَذكُّرِ
وغنِّ على ذكرَى الليالى التى خَلَت ** قصائدَ إنْ تُنشدْ على الميْت يُنْشَرِ
فقد تَعذُبُ الذكرى ولو لفجيعةٍ ** ويَشْفى أوارَ الصَّدرِ فرْطُ التحسرِ
ولولا المراثى والمآقى وراءَها ** لأفنى الورى حَرُّ الأسى المتسعِّرِ
تَقضَّتْ لُبانات الرجال من الجوَى ** بتذكارِ ماضٍ أو إثارةِ مُضمَرِ
لَعَمرُكَ لا يُرجى لنشأةِ مُقبلٍ ** ومُستقبلٍ مَنْ لم يفكر بمدبرِ
وما هذه الدنيا سوى متقدِّمٍ ** يُكوِّر تجديداً على مُتأخِّرِ
أدرْها تردُّ الرشدَ فى عقلِ ذاهبٍ ** وتُذهبُ عقلَ الراشدِ المتبصِّرِ
وتُحيى لنا عهداً يَصُوب عهادُه ** منازلَ قلبٍ من هَوى الذكْرِ مُقفرِ
وكائنةٍ لم يعرف الدهرُ أختَها ** ولا حدَّثتْ عن مثلها كتبُ مخبرِ
يكادُ الذي يَقرا غريبَ حديثها ** يَظُنُّ خَيالاً أو أحاديثَ مُفترِى
يقولون: كانت أمةٌ عربيةٌ ** بأندلسٍ سادتْ بها جَمُّ أعْصرِ
وقد عَمَرتْ أقطارُ أندلسٍ بهم ** فكم بلدٍ فخمٍ ومصرٍ مُمصَّرِ
وكم أربعٍ خُضرٍ وحَرْثٍ مُطَبقٍ ** وفاكهةٍ رَغْدٍ وزهرٍ منوّرِ

وكم قائدٍ قرمٍ وجندٍ مدرَّب ** وكم سائسٍ فحلٍ. وأمر مُدبَّر
وكم بطلٍ إن ثارَ نقعٌ رأيته ** يبيعُ بأسواق المنايا ويشترى
وما شئتَ من علمٍ ورأيٍ وحكمةٍ ** ودرسٍ وتحقيقٍ وقولٍ محرَّر
إلى شممٍ جَمٍّ ومجدٍ مُؤثَّل ** وفى عزَّةٍ قعْسا ووفْرٍ مُوفَّر
نعم. كان فيها من نزارٍ ويعرُب ** جُموعٌ تحيلُ الأرضَ فى يوم محشر
فراحتْ كأنْ لم تُغْنِ بالأمس، وانقضى ** لهم كلُّ ركزٍ غيرُ ذكرٍ مُعطَّر
كأنْ لم يكن بين الحجون إلى الصَّفا ** أنيسٌ ولم يسمرْ هناكَ ويَسْهر
كأنْ لم تكن فى أرضِ أندلس لنا ** جَحافلُ إنْ تحملْ على الدهر يُذْعَر
فماذا الذى أخنى عليها، وما الذى ** رماها بهذا الخَسف بعد التصدُّر؟
إذا أعملَ المرءُ البصيرةَ لم يجدْ ** لها علةً غيرَ الخلاف المتبَّر
خلافان: هذا بينَ قَيْسٍ ويَعرُب ** مقيمٌ ،وهذا بين عُرْبٍ وبربر
ولا شرَّ يحكى شرَّ حربٍ إذا التقتْ ** صَناديدُ قيس معْ غطاريفِ حِمْيَر
لَعمرُكَ لولا الخُلفُ لم يكُ مشرقٌ ** ولا مغربٌ يعصى عليهم ويجترى
لقد عصفتْ فى شُقة الغرب ريحهم ** فسادتْ، ولكن لم تكنْ ريحَ صَرْصَر
فقدْ أثَّلوا فى أرْضِها مدنيةً ** ترى الخصمَ فى عليائها ليس يمترى
وسَوَّوا جميعَ العالمينَ بعدلِهم ** ومَنْ يتمسكْ بالسَّوية يعمُر
ولا عارضوا فى دينه غيرَ مسلم ** ولا عاملوا أهلَ الكتاب بمنكَر
ولا نصبوا ديوانَ تفتيشهم على ** عقائد أقوام تجوسُ وتفترى
ولا أحرقوا بالنار مَنْ قيلَ إنه ** على صلةٍ معْ دينه بالتستر
بذلك هاتيكَ الممالكُ أصبحتْ ** مثالا قويما للعُلى والتحضُّر
وقد صارَ نهرُ الرون ثغرَ بلادهم ** وكم صَبغوهُ في الجهاد بأحمر
وشكّوا لواهم فى ذُرَى قرقشنَة ** وسَلوا على تربولةٍ كل أبتر
ودانت لهم صيدُ الجلالقة الألى ** بَلا منهمُ الرومانُ كلَّ غضنفر

ولم يَقف البْـشكنس في وجـه زحـفـهم ** ولا أوطأوا الجـرمـانَ ثُغْـرَةَ مُـعـور
وإن يكُ لاقى الغـافـقيَّ حَـمـامَـهُ ** ومـحص في يوم البـلاط المقـدَّر
فـقـدْ لبـثتْ منْ بعـد ذاكَ جيـوشُهم ** تَعـرضُ دَهراً لـلفـرنج وتَنبَـرى
يقـول الألى قـد شـاهدوا غـزواتهمْ: ** همُ العـربُ فـوق الخـيل، أم جنُّ عَـبقَـر؟
وصـقـرُ قـريش حين جـاء مـشـردا ** فـأنشبَ فـيـهمْ أيّ ظفـر مظفّـر
وشـادَ بهـاتيكَ القـواصى إمـارةً ** لهـا أجـفل المنصـورُ والدُ جـعـفـر
وخلَّف أمـلاكـاً سَـمـوا وخـلائفـاً ** أسـودَ عَـرينٍ منهمُ كل مُـخـدر
كـفى بالإمـام الناصـر الفـذِّ عـاهلا ** كـسـا أُمـة الإسـلام حُلةَ مَـفـخـر
تُقـبِّلُ أمـلاكُ الفـرنجـة كـفَّـهُ ** ويقـصـدُ عـالى بابه وفـدُ قـيـصـر
غـداةَ تجلَّى للخـلافـة رَونقٌ ** بـه ظهـر الإسـلامُ أروعَ مظهـر
وأضحتْ بهـا «الزهرا» تميدُ جُـمـوعُـهـا ** فـيـالكَ من يومٍ أغـرَّ مـشـهَّـر
تَلعـثم فـيـه كلُّ ربّ فـصـاحـة ** فـعـيَّوا سـوى قـاضى الجـمـاعـة مُنذر
ولا تُهـمـلِ المسـتنصـرَ الحكمَ الذى ** تلاه، ومنْ يسـتنصـرِ اللهَ يُنصَـر
غـدتْ قـبـةَ الإسـلام قـرطبـةُ العُلى ** وسـارَقـت الـزوراء لحـظـةَ أزور
وبارى بنى العـبـاس فـيـهـا أُمـيَّةٌ ** وجـروا علي بغـدادَ ذيلَ التـبـخـتُـر
وكـانَ بهـا العـمـرانُ يزخـر مـثلمـا ** تـلاطمُ أمـواجُ الخِـضَـمّ المهـدّر
ولما رأيتُ المسـجـدَ الجـامعَ الذى ** بقُـرطبـة من فـوق فـوق التـصـوّر
عـضـضتُ على كـفى بكل نَواجـذى ** وقلتُ لعـينى: اليـومَ دورُك فـاهمـرى
هو الجـامعُ الطامى العُـبـاب بوقـتـه ** يحـاكي به عُـمـاره لُجَّ أبحـرُ
ظللتُ به بين الأسـاطين سـائحـاً ** بفكرىَ حـتى غـاب عنى مَحْـضـرى
تخـيَّلتُـه ـ والذكـرُ يُتلى خـلالَه ـ ** نظيـرَ دوىّ النحلِ من كل مـصـدر
تأملْ خـليلى كم هنـا من مـهـلِّل ** إلي ربـه صلَّى، وكـم مـن مكـبِّـر
وكم أزهرتْ فـيـه ألوفُ مـصـابح ** وكم أوقـدتْ أرطالُ عـودٍ وعَنبـر
وكم قـارىء بالسـبع فى وسط حَلقـة، ** وكم خـاطبٍ بالسـجع من فـوقـه منبـر

وكم عـالم يُلقى على الجمع دَرسَه ** وكم واعظ يمرى مدامع مُحجر
وكم مَلك ضخمٍ، وكم من خليفة ** هنا كان يجثو عن جبينٍ معفّر
تَسدُّ فجاجَ المغربين جيوشُه ** ويبدو هنا في ثوب أشعثَ أغبر
خليلى تأمّلْ ـ كالعرائس تنجلى ـ ** أساطينَ قد تحصى بألف وأكثر
أساطينُ من صُمّ الجماد مواثلٌ ** يَذوبُ لها قلبُ الحنيف المفكر
تراها صفوفا قائمات كأنها ** حدائقُ نُصتْ من جماد مُشجّر
من العَمَد الأسنى فكلٌّ يتيمة ** لها نسبٌ من مقطعٍ مُتخير
أجادَتْ تحريها قُرومُ أمية ** مَعادن شتى من فلز ومرمر
نبت دونها زرق الفئوس وأصبحتْ ** لدى الفرى تهزا بالحديد المعصفر
ولكنْ لفضلِ الفنّ ألقتْ قيادها ** فصالتْ بها الصنّاع صولة عنتر
فبينا هى الصمُّ الصلادُ إذ انثنتْ ** مقاطعَ جبن أو قوالبَ سُكّر
عرائسُ للتخريم فوقَ رءوسها ** أكاليلُ دُرٍّ فى قلائد جَوهر
ووجّهْ إلى المحراب طرفَك ينسرح ** من الصخر فى مثل الطراز المحبَّر
وحدقْ بهاتيكَ النقوشِ وزَهْوها ** كأنْ فاتها صُنّاعها مُنذ أشهر
وبالقبةِ العلياء يَبْدُو شُعاعها ** بأبلغ من زُهر النجوم وأزهر
لو أن الثريا فى سَماها تعرضتْ ** لَظَلتْ تحدّى للثريا وتَزْدَرى
أقول لخصمٍ يبخسُ العُربَ حقَّهم: ** أجاحدَ نورِ الشمس، دُونَك فانظُر!
ويا سائحاً يبغى مآثرَ قومه ** ويَنْشُدُها فى كل سهل ومَوعر
تطوّفْ فلا تلقاك غيرُ بدائع ** يميلُ لديها كلُّ عطف مخصر
تَطلّعْ فلا تلقاكَ غيرُ روائع ** لها الليثُ يَرْنو عن لواحظ جُؤذَر
خليلى، فما فحصُ السرادق نائياً ** وهذا برأس الطَوْد حصنُ المدوَّر
وهذى رسومٌ للمنيف ومؤنسٍ ** وقصرِ السرور الدارس المتبعْثر
وكان هنا قصرُ الدمشقِ وإنه ** يُطاول عُلْيا بعلبكَّ وتدمُر
وزاهرة المنصورِ لا شك جنةٌ ** تُمَدُّ من الوادى الكبيرِ بكَوثر

وسـائلْ عن المنصـورِ نجل ابن عـامـر ** يُجـاوبكَ عنه كلّ قـوسٍ مُـوتَّر
غـزا فى العـدى سـتا وخـمسين غـزوةً ** وآضَ بـهـا طُراً بنصـر مُـؤزَّر
خليلى، وعـرج بالبـهـورِ فـإنه ** تَقَطَّعَ عن أمـثـاله كلُّ أبهـر
وهذى التى كـانت تسـمَّى شَـقَنْدةً ** وتدخلُ فى التـخطيطِ ضـمن المسـور
وفـيـهـا جـرى ذاك العـراكُ الذى جـرى ** ورَوَّى ثَراها بـالدم المتـفـجّـر
وقـائعُ قـيسٍ واليـمـانى، وكلهـا ** مـصـائبُ إن تُذكـر لنا نتـفطّر
وزُرْ ضُـفـةَ الوادى الكبـيـر وسُحْ بهـا ** وعـرّجْ علي الجـسـر الطويل المقنطَر
وهذِى الطواحين الشـهـيـرَة لم تزل ** كـأَنْ تركـوها أمس لم تتـغـيَّـر
قـصـورٌ نبـا عنهـا قـصـورُ مُشَيـد ** وعليـاء لم تَعلمْ مـشـيـدَ مـقـصِّـر
وأقنيـةٌ تحكى الجنانَ نضـارةً ** وأقنيـةٌ تجْـرى على كلِّ أخـضـر
وشُمُّ حـصـون لا تُعـدُّ، ودونهـا ** مَـقـاصِف إنْ تُذْكـر نُهـزَّ ونَسْكر
علـي هِمَـمٍ دلَّتْ لـهم وقـرائحٍ ** ويُعـرفُ بـالآثار قـدرُ المؤثّر
فـأخنى على تلك المحـاسن كلهـا ** غـرامـهمُ بالانقـسـام المشطَّر
مـحـا الخلفُ من أوضـاعـهم كلَّ نافع ** وصـوّحَ من أعـمـالهمْ كلَّ مـثـمـر
ولم يسـتـفـيـدوا من تَقـاطُع بينهمْ ** سـوى عـيشِ ذلٍّ تحت نقـمـة مُوتر
فكلُّ الذى قـد شَـيدوه بحـزمـهـم ** أضـاعـوه حـقـاً بالشـقـاق المدمِّـر
ولـم يبقَ فـى هـذى الديار لنا سـوى ** ممالكِ فكـرٍ من حـروف وأسـطر
ممالكُ لا تقـوى عليـهـا كـتـائبٌ ** ولا سـالبٌ تاريخـهـا زحْفُ عـسكر
إذا حـضـرتْ آثارُ قـومى، وإن خَلَوا ** فـإنى منهـا فى قَـبـيـلٍ ومَـعـشـرِ
وأشـعـرُ أنى فى بلادى كـأنما ** تخـاطبنى الأرواحُ من كل مَـقـبـر
وإنـى أرى بـالعـينِ مـا لـم أكـن أرى ** حـقـيـقـتـه في وصف طِرسٍ ومـزبر
لـعـل الـذي قـد كـان منه بـوارُنا ** يعـودُ علينا خـيـرَ وعظٍ ومـزجـر

منار الإحياء والنهضة والتجديد

٢

للدكتور
محمد عمارة

لقد كان رشيد رضا هو « ترجمان » أفكار الأستاذ الإمام.. وقادح زناد اجتهاداته، والمبدع لما في خواطره.. ولقد عبر الشيخ محمد عبده عن هذه الحقيقة عندما قال: « إن الله بعث إليَّ بهذا الشاب ليكون مددا لحياتى، ومزيداً فى عمرى. إن فى نفسى أموراً كثيرة أريد أن أقولها أو أكتبها للأمة، وقد ابتليت بما شغلنى عنها، وهو يقوم ببيانها الآن كما أعتقد وأريد، وإذا ذكرت له موضوعا يكتب فيه، فإنه يكتبه كما أحب، ويقول ما كنت أريد أن أقول، وإذا قلت له شيئا مجملا بسطه بما أرتضيه من البيان والتفصيل، فهو يتم ما بدأت، ويفصّل ما أجملت.. »(١)

أما عن (المنار).. فلقد قال الأستاذ الإمام: « إن الحق يظهر في (المنار) عريانا فى الغالب، ليس عليه شئ من الحلى والحلل التى تجذب إليه أنظار من لم يألفوا الحق لذاته »!

ولقد قاومت الحكومة العثمانية هذه المجلة عند صدورها، وحرمت على رعاياها تلقيها - كما سبق وصنعت السلطات الإنجليزية مع (العروة الوثقى)! -.. ورد أغلب المصريين الذين أرسلت إليهم أعداده بالبريد - مجانا -.. ردوها إلى رشيد رضا!!.. ولم يبدأ رواجه، وتعلق الناس به إلا بعد خمس سنوات من صدوره!.. فكان استمراره درسا في الصمود والجهاد.. ذلك أن صاحبه قد نظر إليه نظرته إلى أداء الفريضة الإلهية الاجتماعية - فريضة الكفاية - التى يقع الإثم بتخلفها على الأمة جمعاء.. وعن هذه الحقيقة كتب يقول: « إننى لم أنشئ (المنار) ابتغاء ثروة أتأثلها، ولا رتبة من أمير أو سلطان أتجمل بها، ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهى به الأقران، وأبارى به أعلياء الشان، بل لأنه فرض من الفروض يرجى النفع من إقامته، وتأثم الأمة كلها بتركه، فلم أكن أبالى بشئ إلا قول الحق والدعوة إلى الخير، والأمر

---

(١) «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده» ج٣ ص١٣٥.. دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م

بالمعروف والنهى عن المنكر، فكنت إن أصبت بحسب علمى فسيان رضي الناسُ أم سخطوا، مدحوا أم ذموا، قبلوا (المنار) أم رفضوا..»[٢]

لقد صابر الإمام رشيد رضا.. وصمد (المنار).. حتى غدا «ديوان» مدرسة التجديد والإصلاح الاجتماعى، وغدت أعداده دليل عمل النهضة الإسلامية لأكثر من أربعين عاما.. وأخذت أعداده – ولاتزال – يعاد طبعها.. بل وتستخرج من بطونها الكتب والمجلدات فى مختلف ميادين الفكر التجديدى والإصلاحى.

مجلة.. ومشروع للنهضة

ولما كانت هذه المدرسة الفكرية.. التى أصبح (المنار) لسانها – قد تجاوزت نطاق «التجديد الفكرى» إلى ميدان «تجديد الواقع»، أى أن مقاصدها كانت «تجديد الدنيا بالدين»، فلقد دعت إلى نهضة حضارية مؤسسة على المرجعية الإسلامية، وذلك فى مواجهة الخيار الغربى فى التقدم، مع الرفض لخيار الجمود والتقليد للسلف والتراث، ذلك الذى يفتح – بالعجز والقصور– أبواب الواقع الإسلامى لخيار التغريب.

فالأفغانى قد دعا إلى هذا الخيار الحضارى الإسلامى، عندما قال: «إنا معشر المسلمين، إذا لم يؤسس نهوضنا وتمدننا على قواعد

جمال الدين الأفغانى

الإمام محمد عبده

ديننا وقرآننا فلا خير لنا فيه، ولا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا وتأخرنا إلا عن هذا الطريق. وإن ما نراه اليوم من حالة ظاهرة حسنة فينا ـ من حيث الرقى والأخذ بأسباب التمدن ـ هو عين التقهقر والانحطاط، لأننا فى تمدننا هذا مقلدون للأمم الأوروبية، وهو تقليد يجرنا بطبيعته إلى الإعجاب بالأجانب، والاستكانة لهم، والرضى بسلطانهم علينا، وبذلك تتحول صبغة الإسلام، التى من شأنها رفع راية السلطة والغَلَب إلى صبغة خمول وضعه واستئناس لحكم الأجنبى.. إن الدين هو قوام الأمم، وبه فلاحها وفيه سر سعادتها، وعليه مدارها.. وهوالسبب المفرد لسعادة الإنسان»[٣].

وإلى نفس المرجعية الإسلامية فى النهضة دعا محمد عبده فقال: «إن سبيل الدين، لمريد الإصلاح فى المسلمين سبيل لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين، يحوجه إلى إنشاء

(٢) مقدمة رشيد رضا للطبعة الثانية لمجلدات «المنار» ص٢، ٣ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٧هـ

(٣) «الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى» ص ٣٢٧، ٣٢٨، ١٣١، ١٧٣ دراسة وتحقيق د.محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م

بناء جديد، ليس عنده من مواده شيء ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحدا وإذا كان الدين كافلا بتهذيب الأخلاق وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله من الثقة فيه ما ليس لهم في غيره وهو حاضر لديهم، والعناء في إرجاعهم إليه أخف من إحداث ما لا إلمام لهم به، فلم العدول عنه إلى غيره؟!!..[٤]

ولقد حمل [المنار] رسالة البلورة لمعالم هذا المشروع الحضاري الإسلامي إلى كل أقطار العالم الإسلامي. «لأن التاريخ قد علمنا انه لم تقم مدنية في الأرض من المدنيات التي وعاها وعرفها إلا على أساس.. الدين، حتى مدنيات الأمم الوثنية، كقدماء المصريين والكلدانين واليونانيين وعلمنا القرآن أنه ما من أمة إلا وقد خلا فيها نذير من الله - عز وجل - لهدايتها، فنحن بهذا نرى أن تلك الديانات الوثنية كان لها أصل إلهي، ثم سرت الوثنية إلى أهلها حتى غلبت على أصلها.. وليس للبشر ديانة يحفظ التاريخ أصلها حفظا تاما إلا الديانة الإسلامية.. فاتباع الرسل وهداية الدين أساس كل مدنية لأن الارتقاء المعنوي هو الذي يبعث على الارتقاء المدني[٥].

وذلك لأن الشريعة الإسلامية جامعة للإصلاح الديني والسياسي كليهما. «فمن مقومات الإصلاح الديني: الإصلاح السياسي المدني، على أن الإصلاحين متلازمان في الأمة الإسلامية، لا يقوم أحدهما حق القيام إلا بالآخر، والشريعة الإسلامية هادية للإصلاحين، إذ كل خير وصلاح للعباد يتعلق بالمعاش والمعاد قد قرره الإسلام..»[٦].

والاجتهاد هو الشرط الأول لبقاء الشريعة الإسلامية وافية بمتطلبات هذا الاصلاح لأن هذه الشريعة هي خاتمة الشرائع الإلهية وحكمة ذلك أن الله - تعالى - قد أكمل بها الدين الحق، فجعلها جامعة بين مصالح الروح والجسد، ومنح الأمة حق الاجتهاد والاستنباط وبهذين كانت موافقة لمصالح البشر في كل زمان ومكان»[٧].

● وهذا المشروع النهضوي الإسلامي، المتسلح بالتجديد الديني، إنما يحارب في جبهتين:

أ- جبهة الجمود المذهبي عند غلاة المقلدين لأفكار السلف، كما هو الحال عند «حماة تقليد الكتب المدونة في المذاهب» المتبعة، من سنية وشيعة زيدية وشيعية إمامية وإباضية، وحجتهم أن علوم الشريعة المودعة في الكتاب والسنة إجمالا وتفصيلا قد انحصرت فيها، فمن لم يأخذ بمذهب منها فليس على ملة الإسلام».

---

(٤) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ج٣ ص ٢٤٨.

(٥) رشد رضا «تفسير القرآن» ج٤ ص٤٢٩ طبعة دار المعرفة بيروت.. بدون تاريخ

(٦) «المنار» مجلد ١جـ ٣٩ ص ٧٩٥.

(٧) المصدر السابق . مجلد ١٩ جـ ٢ ص١٠٥

ب- وجبهة التقليد للحضارة الغربية، الداعين للانسلاخ عن الموروث، من « دعاة الحضارة العصرية » والنظم المدنية، والقوانين الوضعية، الذين يقولون: إن هذه الشريعة المدونة لاتصلح لهذا الزمان، ولايمكن أن تصلح بها حكومة، ولاتستقيم بها مصالح أمة، فيجب تركها واستبدال قوانين الإفرنج بها، أو استقلال كل قوم وشعب من المسلمين كغيرهم بتشريع جديد يوافق مصالحهم، وإلا كانوا من الهالكين »[٨].

● والتبشير بشمولية الإسلام للدين والدولة.. للشرع والسياسة، لايعنى - كما يفهم المتغربون - الكهانة التى عرفتها أوربا عندما جمعت كنيستها السلطة الزمنية إلى السلطة الدينية.. لأن الإسلام ينكر هذه السلطة الدينية - بهذا المعنى- ويحاربها.. وحتى السلطة الروحية للتصوف -فى التجربة الإسلامية- لم تبلغ ما بلغته كهانة الأكليروس فى التاريخ الأوروبى.. « ولو كان الإسلام شرع هذه السلطة المعروفة فى الملل السابقة عليه، من البوذيين والبراهمة والإسرائيليين والنصارى، أو أجازها، لوجد لها فى المسلمين نظام ورؤساء، ولكن شيئا من ذلك لم يوجد، وإنما وجدت طائفة منهم تصدت للتربية والإرشاد، ثم انقسمت إلى طوائف وجماعات، ولم تكن لهم سلطة على أحد، وإنما يتبعهم من شاء باختياره، ولم يسلموا مع ذلك من رمى الفقهاء لهم بالانحراف عن الدين، ومن تفريق الحكام شملهم، ولذلك لم يكن لهم ظهور إلا حيث يضعف علم الدين وحكمته.. »[٩].

● والتميز الإسلامى فى المشروع الحضارى، لايعنى القطيعة مع الحضارات الأخرى، وفى مقدمتها الحضارة الغربية المعاصرة.. وإنما يعنى هذا التميز: الانفتاح الحضارى، والتفاعل الفكرى، واستلهام المشترك الإنسانى فى المعارف والعلوم، مع الاحتفاظ بسمات وقسمات الخصوصية الحضارية الإسلامية.. فنحن فى حاجة إلى التعلم من الغرب علوم التمدن المدنى، لترقية الواقع المادى مع الاحتفاظ بتميزنا فى العقائد والفلسفات والشرائع واللغات والآداب. وفى ميادين الخصوصية الثقافية والحضارية، نحن مدعوون إلى التعلم من الغرب خبرات أممه وشعوبه فى تطوير وترقية خصوصياتها الثقافية والحضارية.. « إننا فى أشد الحاجة إلى الصناعات الإفرنجية، وما تتوقف عليه من العلوم والفنون العملية، وإلى الاعتبار بتاريخهم وأطوار حكوماتهم وجماعاتهم، ولكن يجب أن يقوم باقتباس ذلك جماعات منا يجمعون بينه وبين حفظ مقوماتنا ومشخصاتنا، وأركانها: اللغة. والدين، والشريعة، والآداب فمن فقد شيئا من هذه الأشياء فقد فقد جزءا من نفسه، لايمكن أن يستغنى عنه بمثله من غيره، كما أنه لايستغنى بعقل غيره عن عقله ولابجسم

(٨) المصدر السباق مجلد ٢٩ جـ١، ص٦٦

(٩) المصدر السابق.. مجلد ٥ جـ ٢٢ ص ٧٤٨.

سواه عن جسمه، وإنما نستفيد من العبرة بحالهم، كيف نرقى لغاتنا كما رقوا لغاتهم، وكيف ننشر ديننا كما ينشرون دينهم، وكيف نسهل طرق العلم بشريعتنا وآدابنا كما سهلوا طرق شرائعهم وآدابهم..»[10].

● وإذا كان التقليد للغرب قد جاءنا - ضمن ماجاءنا - بالنزعات القومية العنصرية المتعصبة، التى تمزق وحدة الأمة - التى هى فريضة إسلامية - فإن الجامعة الإسلامية هى إطار الوحدة والانتماء لشعوب الأمة الإسلامية «ذلك أن أكمل الجنسيات وأنفعها للبشر ما كانت أعم وأشمل للطوائف والجمعيات المختلفة فى النسب والوطن واللغة والدين والحكومة، بأن يقصد بها الخير للجميع، للمساواة فى الحقوق وتمكينهم من الرقى إلى ماأعدتهم له الفطرة البشرية من الكمال الاجتماعى. وإنها لجنسية يتحسر عليها نوابغ الحكماء وهى موجودة فى الملة الإسلامية. وإن كان المسلمون من أبعد الناس عنها!.. فالملة الإسلامية تساوى بين المختلفين فى الأنساب والأوطان والأديان، وتسمح لمن يحل فى حكمها، وهو على دينه أن ينشىء فى بلادها محاكم لأهل ملته وأبناء جلدته، فلا تلزمه بأحكامها إلزاما، فإن هو اختار حكمها بنفسه ساوت بينه وبين أقرب الناس من بنيها أو أعلى أفرادها مكانة فيها، فهى تدعو جميع البشر إلى التعارف والتآلف فى ظل حمايتها، وإنه لظل ظليل يباح للمستظل به كل شىء إلا محاولة إزالته أو إزالة فائدته للناس، وهى دفع الشر والأذى عنهم، وتقريب الخير منهم مع حفظ حريتهم فى أديانهم وأعمالهم..!!»[11]

على صفحات [المنار] تم بسط الحديث عن معالم المشروع الحضارى النهضوى، الذى دعت إليه مدرسة الإحياء والتجديد: المرجعية الإسلامية للنهضة.. وشمول الشريعة الإسلامية للإصلاح الدينى والإصلاح السياسى كليهما.. وضرورة الاجتهاد والتجديد دونما انغلاق على تجارب السلف، أو قطيعة مع التراث توقع أصحابها فى تقليد الحضارة الوافدة والغازية.. والاعتصام بالشرع الإسلامى دون الوقوع فى شراك الكهانة والسلطة الدينية - بالمعنى الكنسى الغربى - تلك التى يرفضها الإسلام والتى برىء منها تاريخنا الحضارى.. والانفتاح على الحضارات المختلفة، والتفاعل مع كل المعارف والعلوم التى تمدن الواقع، مع الاحتفاظ بخصوصيتنا الحضارية، وهويتنا الثقافية، وشخصيتنا التى تتميز باللغة والدين والشريعة، والآداب.. والتعلق برابطة الجامعة الإسلامية، التى تستوعب شعوب الأمة وأجناسها ولغاتها وأوطانها ومللها،

---

(١٠) المصدر السباق.. مجلد ١٧ جـ ١ ص١٠.

(١١)المصدر السابق .. مجلد ٨ جـ ١٩ ص ٧٨٦، ٧٨٧ «في نصوص» «المنار» رجعنا إلى «فلسفة المشروع الحضارى» الدكتور أحمد جاد طبعة المعهد العالى للفكر الإسلامى - بأمريكا - سنة ١٩٩٥ م.

حذرا من ضيق التعصب القومى والعصبية الإقليمية.. وغير ذلك من قسمات هذا المشروع النهضوى الذى بشر به هذا التيار.

وإذا كان [المنار] قد اقتصر - أثناء حياة الشيخ محمد عبده - فى السياسة وممارساتها ومعاركها وتياراتها، فلقد زادت اهتماماته بهذا الميدان بعد وفاة الأستاذ الإمام (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م) فأفاض [المنار] فى معالجة قضايا «الخلافة» و«علاقة العرب بالأتراك» و«المسألة الشرقية» و«التدخل الاستعمارى الغربى فى الشرق العربى والإسلامى»، كما كان له موقف بصير من «الخطر الصهيونى» على فلسطين والوطن العربى.

وفى الممارسة السياسية وجدنا صاحب [المنار] قطبا من أقطاب [حزب اللامركزية] الذى تألف من مجاهدى المشرق العربى لإبراز الكيان العربى فى الإطار العثمانى - وهو الحزب الذى تألف فى القاهرة (١٣٣٠هـ ١٩١٢م) ووجدنا العلاقة الوثيقة بينه وبين حركة الشريف حسين [١٢٧٢ - ١٣٥٠هـ ١٨٥٦ - ١٩٣١م] لتأسيس دولة عربية مستقلة عن العثمانيين، حتى لقد ذهب إلى سوريا عندما أعلن أهلها استقلالها تحت حكم الملك فيصل بن الحسين [١٣٠٠ - ١٣٥٢هـ ١٨٨٣ - ١٩٣٣م] وانتخب رئيسا للمؤتمر السورى فيها، ولم يغادرها إلا عندما أجهض الاحتلال الفرنسى هذا الكيان العربى [١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م].

كذلك وجدنا (المنار) وصاحبه من دعاة الإصلاح الدستورى للدولة العثمانية، يزور الشام، ويخطب للإصلاح من فوق منبر الجامع الأموى بدمشق عقب إعلان الدستور العثمانى (١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨م)، حتى لقد فجرت خطبه الصراع بين أعداء الإصلاح وأنصاره، الأمر الذى اضطره للعودة إلى مصر:

كما رأينا رحلاته إلى الحجاز، والعراق، والهند، والكويت.. الخ. وثيقة الصلة بالإصلاح السياسى، ممزوجا بالإصلاح والإحياء الدينى.. ناهيك بعلاقاته الوثيقة بالحركة الوهابية والملك عبدالعزيز بن سعود (١٢٩٧ - ١٣٧٢ هـ ١٨٨٠ - ١٩٥٣م)

لقد برز الطابع السياسى فى الدعوة الإصلاحية- على يدى رشيد رضا بعد وفاة الأستاذ الإمام- وأخذت السياسة الدولية بصراعاتها وتوازنات قواها، تجد لها مكانا بارزا على صفحات (المنار).. من الثورة البلشفية.. إلى المسألة الليبية.. مرورا بالهند، ومراكش، والحجاز.. إلخ. ولقد عبر الشيخ رشيد عن هذا التحول فى افتتاحية المجلد الثانى عشر من (المنار)- أى بعد أربع سنوات من وفاة الأستاذ الإمام -فقال: «لقد سالمنا السياسة فساورت وواثبت؟ وأسلسنالها فجمعت وتقحمت: وكنا نهم بها فى بعض الأحيان، فيصدق بها عنا الأستاذ الإمام ولم ننل منها ما نهواه، إلا بعد ان اصطفاه الله!!..»(١٢).

---

(١٢) «تاريخ الأستاذ الإمام» جـ ١ ص ١٠٢٣.

وبذلك استوى (المنار) ديوان الإصلاح الإسلامى، دينيا وسياسيا على امتداد أربعين عاما من عمر المدرسة الإصلاحية الإسلامية.. وفيها تأسست معالم المشروع النهضوى للشرق الإسلامى، وطالعته الأمة على صفحات (المنار).

وكما كان (المنار) هو الامتداد المتطور لصحافة هذا التيار التجديدى - وخاصة (العروة الوثقى) و(الوقائع المصرية) عندما رأس تحريرها الشيخ محمد عبده - فلقد غدا الشيخ محمد رشيد رضا بعد وفاة الأستاذ الإمام هو إمام هذا التيار الفكرى.. فمنذ السنوات الأخيرة فى حياة محمد عبده، كانت قد رسخت فى الأذهان حقيقة سلم بها الجميع، وهى: أن مكانة الشيخ رشيد من الأستاذ الإمام هى مكانة الإمام من أستاذه الأفغانى، وأنه هو رأس حركة الإصلاح الدينى من بعده وأبرز تلاميذه العاملين فى هذا الميدان.. بل لقد عبر الأستاذ الإمام، تلميحا يشبه التصريح، عن هذه الحقيقة فى الأبيات الشعرية التى نظمها وهو على فراش الموت، عندما صور رسالته الإصلاحية ومكان الشيخ رشيد فيها ومنها، وهو مكان «المرشد» فى هذا التيار!.. الذى يأمل الإمام منه مواصلة السير على طريق الإصلاح.. عبر عن هذه «الوصية».. وهذا «الأمل».. فقال:

ولست أبالى أن يقال محمدٌ
أبلَّ أو اكتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد أردت صلاحه
أحاذر أن تقضى عليه العمائم
وللناس آمال يُرَجُّونَ نيلها
إذا متُّ ماتت واضمحلت عزائم
فيارب إن قدّت رُجْعَى قريبة
إلى عالم الأرواح وانفضّ خاتم
فبارك على الإسلام وارزقه مرشدا
رشيدا يضئ النهج والليل قاتم
يماثلنى نطقاً وعلماً وحكمة
ويشبه منى السيف والسيف صارم!(١٣)

ولقد شاء الله أن يحقق آمال الأستاذ الإمام فى تلميذه الشيخ رشيد رضا، فتبوأ الرجل قيادة وإمامة المدرسة الإصلاحية بعد وفاة أستاذه.. ومضت «المنار» ساحة وديوانا لمعالم هذا الإصلاح، الذى ارتاد ميدانه جمال الدين الأفغانى. ومثّل فيه محمد عبده أبرز العقول المبدعة فى ميادينه الفكرية.. رحمهم الله جميعا. وهيأ لنا منارا جديدا يخلف ويجدد ويطور رسالة «المنار»!

***

(١٣) المصدر السابق.جـ ١ ص ١٠٢٦، ١٠٢٧.

بين الأمس واليوم

كيف نصبح خير أمة أخرجت للناس؟

للدكتور / حمدى فتوح والى

كثيرة هى الأمراض التى تصيب بدن الإنسان فتسقمه، ومازال به حتى تنخر كيانه وتهدمه، وأكثر منها مايصيب فكر الإنسان فيفسده، وما يصيب عقله فيفقده الإدراك، ويحرمه صحة النظر، ودقة الحكم على الأشياء. وصدق القائل:

يقضى على المرء فى أيام محنته

حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

وبرغم خطورة أمراض الفكر والروح، فإن أمراض البدن على ضآلة خطرها، ومحدودية أثرها، تلقى من اهتمام الإنسان أضعاف أضعاف ماتلقاه أمراض الفكر والروح، وذلك دليل آخر، وآفة جديدة من آفات الحكم على الأشياء.

ويكمن خطر الأمراض التى تصيب الفكر، فى قدرتها على إصابة العقل بالشلل، وتكبيله بقيود من العجز والقهر والخور، فإذا صاحبها دائم الإحساس بالتبعية، مفتقر إلى من يقوده، دائم القول لمن حوله «أنا مع من؟» لايخطر بباله يوما أن يقول «مَنْ معى؟» إنها حالة من الإحساس بالهوان والدونية عبر عنها نبينا ﷺ عندما وصف صاحبها بالإمعة، وحذر منها أصحابه وكره ﷺ أن تكون صفة لأتباعه فقال محذراً: «لايكن أحدكم إمَّعَة. يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤا أن تجتنبوا إساءتهم»(1).

إنها غيرة من رسول الله ﷺ على أمته أن تُرى خفيفة الوزن ضائعة الهيبة فاقدة الهوية، مهيضة الجناح وكأنى بالمرارة تعتصر قلب رسول الله ﷺ وهو ينظر بعين الغيب فيرى أبناء هذه الأمة اليوم على كثرة عددهم أذلاء وعلى وفرة أموالهم فقراء. إن أصدق وصف لحالهم هو أنهم كما وصفهم نبينا

(1) مجمع الزوائد ١/ ١٨٠.

ﷺ : « كثير، ولكنهم غثاء كغثاء السيل » .(٢) إنهم لم يؤتوا من قلة عددهم ولكن من خفة وزنهم، وغياب وعيهم وهوان أمرهم إنها كثرة لايجمعها هدف، ولايحكمها منهج، ولايضمها كيان وماذا تجدى الكثرة فى أناس فقدوا القدرة على إدراك الغاية من وجودهم، وعجزوا عن إحسان السير فى الأرض، سيراً يحفظ كيانهم، ويصون حقوقهم، ويعلى شأنهم ويؤكد هيبتهم؟

وماذا تجدى ملايين الأصفار إن وضعت على يسار الواحد الصحيح، ولم ترزق القدرة على احتلال مكانها عن يمينه؟

إن الأمة اليوم بحاجة إلى معجزة لتنقل هذا الرقم الصحيح على يسار تلك الأصفار، لكى تغدو بهذا الواحد كيانا يخشى ومقاماً يهاب.

وإن الأمة التى قهرت كسروية الفرس، وقيصرية الروم، وامتدت تنشر أشعة الهداية إلى هضاب أوربا، ومجاهل آسيا، وأدغال أفريقيا، وجبال الهند والصين، هى نفسها الأمة التى قهرت الشرك فى جزيرة العرب، وغسلت منه أدمغة الناس فى شرق العالم وغربه، وشماله وجنوبه وهى نفسها التى استشعرت خطر الصليبية، فأصاخت سمعها للقائد الربانى المسلم عماد الدين زنكى، ومن بعده ولده الشهيد السلطان « نور الدين محمود » هذا الرجل الذى صنع فى بلاطه وبين يديه بطل الإسلام العظيم، الناصر صلاح ا لدين الأيوبى.

إن الأمة التى صنعت حضارة العالم الحديث بما قدمته إليه من إنجازات، وما أهدته إليه من معارف ونظريات علمته منذ القديم كيف يكون حوار الحضارات. هذا الحوار الذى ازدهر فى الأندلس، واكتمل فى غرناطة، وأثمر فى قرطبة وأشبيلية، وطليطلة و فى صقلية، وجنوب إيطاليا وشمالها، بالإضافة إلى مدارس القيروان، والقاهرة وبغداد والكوفة وبلخ ونيسابور، وسمرقند.

إنها الأمة الوحيدة التى تولى الله -عز وجل- حفظ كتابها، وصيانة شريعتها، وسلامة نصوصها، عندما عجز علماؤها، وضعف أبناؤها، وانفرط عقدها.

ولك أن تتساءل.. ما الغاية من وراء حفظ الكتاب وصيانة الشريعة وسلامة النصوص، إلا لأن الله -سبحانه وتعالى- يدخرها لدور عظيم ستؤديه، ونظام عالمى جديد ستبنيه. فالله لايحفظ شيئا عبثا ولايترك أمر الناس سدى.

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾(٣).

إن الأمة الإسلامية التى حباها الله سلامة الفطرة، وألوهية المنهج، وصحة المعتقد، وربانية القيادة، ماتزال هى المؤهلة للقيادة، والمنتدبة للسيادة، والمفضلة على العالمين بالرغم مما تعانيه من ضعف قوتها، وقلة حيلتها، وهوانها على الناس.

ومن منا لايذكر جيوش الغرب الصليبى، وكيف جاءت غازية باغية، فرجعت منهزمة عسكريا، لكنها عادت بزاد روحى، ومدد حضارى، وفكر جديد.

---

(٢) أحمد ٥/٢٧٨.

(٣) سورة محمد آية ٣٨.

وكلنا يذكر كيف جاء التتار مدمرين مخربين، حتى إذا عاينوا حضارة الإسلام وعايشوها، رآيناهم يذوبون في الكيان الأقوى، والعقيدة الأقوم، عقيدة الإسلام ورأينا منهم صناديد راسخة، وهامات شامخة، انكسرت على أيديهم جحافل الشرك، وعبدة الأوثان، حتى من التتار أنفسهم، ومن هؤلاء القادة: سيف الدين قطز، وركن الدين بيبرس، والمنصور قلاوون وغيرهم.

والذى يلفت النظر ويسترعى الانتباه، أن الأمة الإسلامية قد أدت هذا الدور الحضارى، فهزمت الغرب الصليبى، وسحقت الخطر التترى، بالرغم مما كانت تعانيه يومها من فقر ومجاعات، وتشرذم وصراعات. لكن قوة العقيدة وسلامة الفطرة، وربانية القيادة، كانت دائما أسلحة ماضية في يد المخلصين من أبناء هذه الأمة، فقد استطاع هؤلاء المخلصون تجاوز هذه الانكسارات، والقضاء على تلك الصراعات، عندما نجح صلاح الدين الأيوبى في استثمار انتصارات أستاذه نور الدين محمود على الصليبيين، كما انتهز فرصة النزاع الدائر في مصر بين الوزيرين المتنافسين: شاور، وضرغام، واستطاع أن يحسم النزاع لصالح مستقبل الأمة وسيادتها، وأن يصل إلى مصر فاتحا، ليضع حدا لمهاترات هذين الوزيرين اللذين شقيت بهما مصر في ظل الخليفة الفاطمى العاضد، الذى تحول في أيديهما إلى دمية يحركونها كيف يشاؤون.(٤)

لقد أدرك صلاح الدين الأيوبى بحسه السياسى الملهم أنه لاغنى لمصر عن الشام، ولاغنى للشام عن مصر، وأن المعركة المرتقبة لتحرير بيت المقدس لابد أن تمر من مصر. وأدركت الأمة بحسها الإيمانى، إخلاص القيادة وتجردها فهبت من خلفها هادرة قادرة، فاستطاعت برغم جراحها السياسية، أن تذوب تلك الجيوش الجرارة في تيار حضارتها، وأن تصهرها في بوتقة عقيدتها، وأن تضيف مكتسبات الغزاة ومواهبهم إلى تراثها وأصالتها.

وهذا مايجعلنا نستشعر جسامة الجريمة وفداحة الجناية، من فئة من المستغربين، ممن أداروا ظهورهم لمنهج الإسلام القويم، وراحوا يشككون أبناء أمتهم في تراثها العظيم، وقد يمموا وجوههم شطر حضارة الغرب، يرجون من نارها ريا لقلوبهم الظمأى وأرواحهم الثكلى ورءوسهم الجوفاء.

ولا أدرى ماذا عند أهل الغرب من خير يرجى أو نفع يرام، وهم الذين لم تعرف جباههم لذة السجود لله ولم تخفق قلوبهم بخشيته، رغبة في ثوابه، أو رهبة من عقابه، أو حياء من وجهه الكريم، فآباؤهم عندما تدينوا اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وأما أبناؤهم وأحفادهم، فقد ازدروا الأديان جملة، واتخذ كل واحد منهم إلهه هواه. فعبدوا القوة واللذة والشهوة ووسائل الإنتاج. يقول المفكر النمسوى «ليبولد فايس» الذى اعتنق الإسلام: «إن الاتجاه الدينى مبنى دائما على الاعتقاد بأن هناك قانونا إلهيا مطلقا شاملا، وأننا نحن البشر مطالبون بأن نخضع أنفسنا لمقتضياته. ولكن المدنية الغربية الحديثة لاتقر الحاجة الى خضوع ما إلا لمقتضيات اقتصادية، أو اجتماعية، أو قومية. إن معبودها الحقيقى ليس من نوع روحانى، ولكن الرفاهية.

---

(٤) انظر: الأيوبيون والمماليك. د/قاسم عبده قاسم - دار المعارف- سنة ١٩٩٥ ص ٢٣.

وإن فلسفتها الحقيقية المعاصرة إنما تجد قوة التعبير عن نفسها عن طريق الرغبة فى القوة، وكلا هذين موروث عن المدنية الرومانية القديمة».[٥]

استسمح القارئ أن يتوقف معى أمام تلك العبارة: «إنما تجد قوة التعبير عن نفسها عن طريق الرغبة فى القوة» ثم انظر الى ما تفعله أمريكا بالمستضعفين فى العالم، وإصرارها على مواصلة التهديد بالإفناء والتدمير لكل من يخالفها، أو يفكر فى العيش مستقلا عن إرادتها أو متحرراً عن سلطانها.

ألا ما أشقى العالم! وما تعس البشرية! إذا كان كل حظها من العيش، ماتجود به تلك القلوب القاسية، أو مايتبقى من فرائس تلك المخاب الدامية.

وما ظنك بقوم، اجتمع عقلاؤهم، واتفقت آراؤهم، فى أعلى المجامع التشريعية لديهم، على إباحة جريمة الشذوذ، واستصدروا لها قانونا ينظم زواج الرجل بالرجل. وهو أمر تعافه البهائم وتنفر منه طباع الحيوانات[٦] وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[٧].

وإذا كان الغرب قد اختار لنفسه هذا المنهج، وارتضى لذويه هذا المصير، انطلاقا من إرثه الرومانى الوثنى، فعذر هؤلاء القوم أنهم لم يعرفوا فى أرضهم رسالة ولاشهدت سماؤهم آيات الوحى المقدس.. «وجبريل روّاح بها غداء».

فإذا غلبتهم الوثنية على أمرهم، وصرعتهم ضرباتها القاسية فغدوا عبيد تلك الأهواء، وأسرى تلك الشهوات. فما الذى نملكه نحن من أعذار، وكتاب الله بين أيدينا، وسنة رسول الله ﷺ محفوظة فينا. ورصيد الفطرة الكامن فى أعماق الناس يستحثنا، ورصيد التجربة لهذا المنهج على مدى التاريخ الإسلامى يستنهضنا، ولايبقى إلا أن نخرج من حالة الذهول عن الذات، تلك الحالة التى طالت حتى أثارت عجب الدنيا كلها وأن نتقدم للدنيا بهذا المنهج الإلهى الذى يمثله الإسلام فى صورته النهائية، كما جاء بها محمد ﷺ منقذين مرشدين، على أن يكون واضحا لدينا جيدا، أن هذا المنهج الإلهى، لايتحقق فى الأرض، وفى دنيا الناس بمجرد تنزله من عند الله، ولايتحقق بكلمة «كن» الإلهية مباشرة لحظة تنزله. ولايتحقق بمجرد إبلاغه للناس وبيانه، ولايتحقق بالقهر الإلهى على نحو مايمضى ناموسه فى دورة الفلك وسير الكواكب، إنما يتحقق بأن تحمله جماعة من البشر. تؤمن به إيمانا كاملا، وتستقيم عليه -بقدر طاقتها- وتجتهد لتحقيقه فى قلوب الآخرين وفى حياتهم كذلك وتجاهد لهذه الغاية بكل ماتملك، مستشعرين معنى قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٨].

---

(٥) الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد - ترجمة عمرو فروخ ص ٣٥.

(٦) انظر تفصيل ذلك فى كتاب: المرأة والأسرة فى الحضارة الغربية الحديثة - محمد عطية خميس - دار الاعتصام صن ١٩٧٩م ص ٣٥ ومابعدها.

(٧) سورة الأعراف آية: ٥٨.

(٨) العنكبوت (٦٩).

مواقف
إسلامية

الفَارُوق عُمَر رضي الله عنه
الحَاكم الإنسَان

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

مثل الهرمزان بين يدى عمر - رضى الله عنه - لتنفيذ حكم الإعدام فيه.. فطلب منه عمر أن يسلم..

فقال: لا أرغب. قال عمر: إذن.. تضرب بالسيف

فطلب شربة ماء.. قائلا: يا أمير المؤمنين، آنا آمن حتى أشربها؟ قال: نعم.. فرمى بالماء ثم قال: الوفاء.. يا أمير المؤمنين!! فقال عمر: صدقت.. حتى أنظر فى أمرك!

ثم أسلم الهرمزان، فقال له عمر: أسلمت أحسن إسلام.. فلماذا لجأت إلى هذا؟ قال: خشيت أن تقول أسلم خوفا!؟ فقال عمر: إن للفرس عقولا استحقوا بها ما كانوا فيه من ملك.

وإذن.. فقد كانت بذرة الإيمان جاهزة فى قلب القائد الفارسى فلماذا، بالعنف فلماذا نقتل الجنين قبل أن يتخلق؟!!

ولقد أحسن عمر مثوبة الرجل.. فكان خير دعاية للإسلام.. الذى يغزو القلوب لا بمعسول القول.. وإنما بالقدوة التى تمثلها عمر - رضى الله عنه - بوفائه بوعده.. وفى الموقف الحرج..

إن عمر - رضى الله عنه - والذى كان يملك ويحكم لم يفرض رأيه.. صادرا عن روح القرآن القائل:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾(١)

انه يعرضها.. ولا يفرضها.. إن فى ذلك لعبرة لأهل زمان ذهب فيه الرجال.. وبقى الجدال!!

لقد ذهب الرجال الذين كانوا يجادلون بالحسنى.. بالمنطق الأسنى..

لا يدعون احتكار الحقيقة.. وإنما الحقيقة ملك للجميع.. لا يقابلون التجريح بمثله.. وشعار أحدهم ما يحكيه واحد منهم: أن تفرض إرادتك على الآخرين.. فهذه قوة.

وأن تفرضها على نفسك.. فأنت أقوى..

يقول أحدهم:

لا أرد الإهانة بمثلها.. فلا أحد يستطيع أن ينقص من شأنى، ولكنى أنا وحدى الذى أستطيع أن أنقص من شأن نفسى، ومن أراد أن ينقص من كرامتى.. فلن يستطيع، لن يستطيع، لا بالنفاق، ولا بالتهديد، ولو كان عاصفة. فلن أنحنى لها، سأركبها سأطوعها لإرادتى بدل أن تحتوينى وفى هذا الموقف الصعب وقف رئيس الدولة كالطود الأشم.. أمام منطق العدو الماكر.. ولم يجد إلا القيمة.. إلا خلق الوفاء يكسب به الرجل.. الرجل الذى كسبته الدعوة وكسب هو حياته.

إن الناس يستطيعون أن يقتلونا.. لكنهم لا يستطيعون أن يأكلونا.. ربما تسقط.. غدرا.. أو حيلة.. أما أن تسلم نفسك هذا ليأكلك الآخرون وأنت ساكت فلا!!.

لقد كان الفاروق - رضى الله عنه - كالعهد به دائما: رجلا عظيما، فمقياس العظمة أن يكون الرجل أكبر من شهوته، وأن يكون الحق أكبر منه!!.

ولقد كان عمر كذلك.. وفى كل المواقف: رجاعا إلى الحق..

لقد أحرجه سلمان يوما.. وعلى الملأ فى المسجد الجامع لما رأى الخليفة يلبس ثوبين بينما كان نصيب الفرد غيره ثوبا واحدا ولم يتبرم واعتصم بضبط النفس حتى كسب القضية.. وهو هو نفسه الذى تحرجه امرأة جادلته فى شأن المهور.. بينما هو أولا: عمر.. وثانيا هو الخليفة.. لكنه عاد إلى الحق لما ظهر.

وهو فى موقفه هنا مع العدو «الهرمزان» كان فى قمته حين قدر.. لكنه عفا.. فصار عفوه بابا مفتوحا أمام الناس يدخلون منه إلى دين الله أفواجا.

عمر..مع القاعدة الشعبية

عرفنا تقدير عمر - رضى الله عنه - لأهل الحل والعقد حتى من الأعداء.. فكيف كانت معاملته للقاعدة الشعبية من البسطاء، والأيتام والضعفاء؟

إنه من الصعب على المتأمل النزول إلى أعماق نفس عمر - رضى الله عنه - ومن ثم فهو عاجز عن وصف النفس فى كل أطوارها: فى رضاها.. وغضبها، فى ألمها، وأملها، فإذا تعلق الأمر بنفس عبقرى كعمر - رضى الله عنه - كانت المهمة أصعب.. وكل ما نستطيع أن نفعله.. إنما هو حبات السكر نلتقطها من أفواه النمل!!.

ولكننا - وبجهد المقل - نحاول الاقتراب من

(١) الأحزاب (٧٢).

الرجل.. لنسدد.. ونقارب.. لنعود من الرحلة المباركة.. بما يفيد.

خرج عمر - رضى الله عنه - فى جولة تفتيشية.. وخرج هذه المرة متنكرا.. ثم طرق بابا.. ففتحت له ربة البيت. فسلم عليها.. ثم قال: ما بال هؤلاء الصبية يبكون؟ قالت: إنهم جياع وليس عندى ما أطعمهم به. فقال لها: وما هذا الذى توقدين عليه فى القدر؟ فقالت: ماء... وحصى.. ألهيهم به. حتى يناموا. الله بيننا وبين عمر!! فقال: وما يدرى عمر بكم يا أختاه؟!! قالت: عجبا!! يتولى أمرنا ثم يغفل عنا؟!

من دروس الموقـــــف

(١)

خرج رضى الله عنه متنكراً.. لماذا؟

ليرى الأمور على طبيعتها.. وليتوفر عنصر المفاجأة الذى لا يتيح للمهمل فرصة الاستعداد خوفا وطمعا. وهو بذلك يوفر على بيت المال نفقات استقبال المسئول الكبير.. والتى تشكل عبئا على ميزانية الدولة.

(٢)

عندما سمع الحاكم أنات الشعب متمثلة فى هؤلاء الصغار.. اتخذ القرار الفورى.. والذى حمى به الصبية من الضياع.. والمرأة من الانحراف.. لأن بكاء الصبية يعنى هما كبيرا.. قد يكون: غياب الزوج.. أو مرض الصبى.. أو جوعه..

(٣)

لم تكن النجدة العمرية ملهاة تسكت الصبيان.. ولا تشبعهم.. وإنما كانت غذاء غنيا بعناصر العافية يسرى فى عروقهم دما.. وتلك هى الخطة السريعة.. إلى جانب خطة طويلة الأمد هى هذا الراتب الشهرى.

وقبل هذا.. كان هذا التحقيق السريع.. أو التحقق من أسباب ما رأى وما سمع.. فى بيت أغلب الظن أنه بلا عائل..

(٤)

وكان من حيلة المرأة أنها تعاملت مع الظروف القاسية بالحيلة.. بالنار.. والحصى.. والماء.. لكن الجوع كان أعلى صوتا من حيلتها.. فضج البيت بصراخ الصغار ولاحظ من أدبها انها لم تشتم عمر.. ولكنها تشكو منه فقط.. وحين ترشح صاحب النجدة للخلافة.. كم أسعدها أن يكون هو عمر نفسه.. والذى أعاد بالنجدة ثقة هو أحق بها وأهلها.

وعاد الخليفة إلى بيته.. فحمل دقيقا.. وسمنا.. وعسلا ثم جلس يساعدها فى الإعداد والدخان يتخلل من لحيته!. ثم قرر راتبا شهريا للأسرة. ولم يغادر الدار «حتى سمع الأطفال يتضاحكون».

وقالت له المرأة: جزاك الله خيرا. أنت أولى بهذا الأمر- تعنى الخلافة - من عمر!!.

أما بعد:

فقد قالوا: إن عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان، ولقد كان الفاروق - رضى الله عنه - ذلك السلطان.. الذى نفع الله به الأمة...

وكما يرسل الله الرياح بشرا بين يدى رحمته.. فقد كان - رضى الله عنه - من حراس الأرض الذين ثبت الله بهم دعائم الدين وأغاظ به الكافرين.

من فقه عمر فى تغيير المنكر

مهما كانت مسئولية الحاكم عن ملاحقة الانحراف والتصدى له، فإن ذلك لا يسقط مسئولية المحكوم عن الوقوف إلى جانبه، بالكشف عن المنحرفين، وتقديمهم إلى ساحة القصاص.

قيل لعمر - رضى الله عنه - إن فلانا يتابع الشراب، فكتب إليه: إنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير.

فلم يزل الرجل يرددها، ويبكى، حتى تاب، وصحت توبته. وبلغت توبته عمر - رضى الله عنه - فقال لمن حوله: هكذا فاصنعوا:

إذا رأيتم أخاكم قد زل: فسددوه، ووفقوه، وادعو الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه.

لا يتناول الحيوان طعاماً يؤذيه.. ولا يأكل من العشب إلا القدر الذى يكفى حاجته ولا يزيد. والنبات أيضاً، لا يمتص من الضوء أكثر من حاجته ولا أقل منها، مقتصراً على ما يكفيه مما يحقق توازنه.

ولكن الإنسان وهو المأمور بالاعتدال.. يتأبى.. فلا يقتصر على ما يفيده، بل يطعم ويشرب مما يحل، ولا يحل.. واضعاً أصابعه فى أذنيه فلا يسمع نداء الطب، ولا نداء الفطرة!.

ومن هنا يشرب الخمر.. ضارباً صفحاً من عمره الذى يخربه بهذا الداء العضال، بل إنه لخصيم مبين يحاول فلسفة الشراب الوالغ فيه تسويغا لمواقفه.

قال رجل لإياس بن معاوية: لو أكلت تمراً أتعاقبنى؟

قال: لا.

فقال الرجل: لو شربت ماء أتعاقبنى؟

قال: لا

فقال: لماذا تعاقبنى على نبيذ التمر وهو: تمر، وماء؟!

فقال له إياس: لو رميتك بقبضة من تراب، هل تتألم؟

قال الرجل: لا.

فقال: لو صببت عليك ماء، هل ينكسر عضو لك؟

قال: لا.

فقال إياس القاضى الذكى: لكنى لو مزجتهما، فصنعت منهما قالبا من الطوب، كسرت به رأسك!!

فبهت الذى سأل!!

مسئولية المحكوم

فلندع فلسفة الشاربين الكاذبة، لنرى كيف تعاون المجتمع كله على التصدى للانحراف، كل فيما يخصه.

فماذا فى موقف اليوم من دروس؟

الشعب هنا مفتاح العين، يلاحق الانحراف فى مظانه.

وها هم أولاء صحابة رسول الله ينصحون الشارب أولاً بالطرق السلمية، حتى لا يرفعوا أمره إلى الحاكم.

فلما «تابع» الرجل الشرب وأصم أذنيه عن

نصح الناصحين، كان لابد من القبض عليه وتسليمه إلى جهة الاختصاص، وتنتهى مسئولية المحكوم بالإبلاغ.

ثم تبدأ مسئولية الحاكم، بالحساب، ثم العقاب.

وهذا ما فعله عمر - رضى الله عنه - بدأ على الفور يباشر سلطاته فأرسل للرجل هذه الرسالة الرقيقة المؤثرة. ذكره بحمد الله الذى لا يُحمد على مكروه سواه والذى شرع التوبة خروجاً من الأزمة، ثم لقنه درساً فى التربية الراشدة حين جمع له بين عنصر الترغيب «غافر الذنب» وعنصر الترهيب «شديد العقاب» مؤكداً له أن المصير فى النهاية إليه تعالى وحده.. وعليه أن يستعد للموقف الرهيب.

من ثمـــــرات الحكمـــــة

وقد سألت نفسى: أين «عصا» عمر هنا؟ لماذا لم يضرب هذا الرجل؟

ثم.. ألم يتسور عمر الجدار يوماً وراء شباب يحتسون الخمر ليفاجئهم فى عقر دارهم؟

لماذا يتخلى اليوم عن صرامته المعهودة؟!

إنها الحكمة التى تدرس الواقعة، وتضع المذنب فى نقطة الضوء، كشفا لكل ملابسات الذنب.

فلما رآه مدمناً، غارقاً إلى الأذقان فى شرابه، لم تكن العصا هى الحل الأمثل، وإنما الكلمة البليغة المؤثرة، والآية القرآنية تمسك بخناق الرجل، فى محاولة لانتشاله من غفلته.

وإلا.. فإن منازلة المخمور المدمن بالقوة، لن تسفر فى النهاية عن توبة نصوح بقدر ما ستؤدى إلى مهاترة فسجن، ثم خروج من السجن إلى الحانة من جديد؟!

إن توحيد العقوبة مع اختلاف الملابسات منهج خاطىء لا يقتلع الداء من جذوره، والحكمة قاضية بالدراسة المستأنية الواصلة إلى قلب المذنب، حتى إذا ظهرت ملامح الداء كان الدواء.

وهذا ما فعله عمر - رضى الله عنه - حين استثنى هذا الشارب من القاعدة العامة، فصحت توبته.

بل إنه أى الرجل الذى كان يردد الآية وكأنما يسمعها لأول مرة، فتحدرت دموعه الصادعة بتوبته الشاهدة بما تفعله الموعظة الحسنة من آثار، وما تحطه من آصار.

منهـــــج فى الإصـــــلاح

ولم يشأ عمر - رضى الله عنه - أن يترك الموقف يمر دون أن يتخذ منه معلما بارزا للهداية والإرشاد.

لقد نبه قومه إلى ما يمكن عمله فى مثل هذا الموقف:

أ - إذا زل أخوكم، فاعلموا أنه ما زال مع خطئه.. أخاكم.. وتفرض الأخوة عليكم أن تنصحوه لا أن ترجموه.

ب - حولوا وجهته ليسير معكم فى الاتجاه الصحيح.. «سددوه».

جـ - ثم «وفقوه» مصاحبين له فى رحلة الطهر حتى يستقيم على الخط القاصد.

د ـ ومع دوركم البشرى، اسألوا الله أن يعينه ليستمر مثلكم صالحا.

هـ ـ واعلموا أن الشيطان واقف لكم بالمرصاد، فناظر كيف تعملون حتى يضرب ضربته، فكونوا مع أخيكم ضد عدوكم المشترك: الشيطان.

ولماذا الدرة هذه المرة؟

ونقلب الصفحة لنرى عمر – رضى الله عنه – فى موقف آخر يهوى بالدرة على رأس مذنب آخر، فما هو السر، بل ما هى القصة؟.

سمع عمر سائلا يسأل بعد المغرب، فقال لرجل فى مجلسه: قم عش الرجل.

فقام الرجل، فاصطحب السائل فعشاه.

ثم سمع ابن الخطاب السائل يسأل ثانية. فقال للرجل: ألم أقل لك قم عش الرجل؟

فقال الرجل لابن الخطاب: قد عشيته.

حينئذ نظر عمر فإذا تحت إبط الرجل مخلاة مملؤة خبزاً، فناداه عمر وقال له: لست سائلا، ولكنك تاجر.

ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدى أهل الصدقة، وضربه بالدرة وقال له: لا تعد لمثلها.

إن بين الموقفين فرقا كبيرا:

فقد تسوقك أقدارك فإذا أنت فى مجلس شراب، وقد يغريك رفقاء السوء فتقع فى المستنقع الآسن مكرها، وقد كنت من قبل ملاكاً، وإذن فمن الحكمة إنقاذك برفق، لأن الشخصية حينئذ قابلة للكسر!.

وربما كان فى أعماقك ندم يقض مضجعك، فليستثمر ذلك الشعور فى مساعدتك على النهوض، أما هذا السائل فما باله يستجدى فيما يشبه التحدى؟.

لقد وصل سمعه إلى الحاكم الذى أسرع فأصدر توجيهاته بإطعامه، فاستجاب المأمور فوراً .فماذا بعد الشبع إلا أن يكون تاجراً؟

إنه يتاجر فى كرامته، ومع سبق الترصد والإصرار.

وإذن فلا ينفع فيه إلا العصا:

العبد يقرع بالعصا
والحر تكفيه المقالة

وما أصدق ما قاله الشاعر الحر معبراً عن ذل السؤال. لاسيما إذا كان المسئول لئيما.

فقد سأل اعرابى رجلا موسراً، فلم ينل منه، فقال شعراً:

والله والله مرتين
لحفر بئر بإبرتين
ولكنس مصر بريشتين
وغسل عبدين أسودين
حتى يحولا أبيضين
وحمل ثورين باليدين
ونزع طودين راسيين
ونقل بحرين زاخرين
على صعيد بمنخلين
ولا وقوفى على لئيم
يضيع منه حياء عينى

التكاملية بين الدينى والدنيوى فى الرؤية الإسلامية

نموذج سعيد النورسى

للدكتور/ عبد الحليم عويس

لم يفصل المصلح والمجدد والداعية الإسلامى التركى «بديع الزمان سعيد النورسى» (١٢٩٠ - ١٣٧٩هـ) (١٨٧٣ - ١٩٦٠م) - بين ما هو دينى، وما هو دنيوى، وبين ما هو متصل بالعقيدة (التوحيد ومقتضياته الكونية والعبادية) وما هو عقل متصل بالشريعة وما هو وجدان متصل بالقلب والأدب والفن، وما هو أخلاق ونظرة للإنسان والكون والحياة، فكل دين موصول ومتكامل كما يعلمنا القرآن نفسه. وفى موسوعة رسائل النور، التى كتبها النورسى انطلاقاً من المنهجية القرآنية لا تجد فواصل قاطعة، ولا تجد منهجية مدرسية أو أكاديمية تقدم لك المعارف أو القضايا عبر سلسلة أو حلقات من الأبواب والفصول والمباحث بل تجد إنسياباً هنا يلتقى مع انسياب هناك، قد يكون التركيز فى جانب إبراز عقيدة التوحيد، لكن الاعتماد فى تأكيد هذه الرؤية الإيمانية القرآنية النورسية يقوم على حقائق الكون والإنسان.

الأنا الإنسانية التى تمثل مرآة أسماء الله الحسنى ونقطة تجلّياتها. ولأن الاعتماد فى الرؤية الإيمانية يقوم على أساس هذه النظرة الشمولية غير التقليدية، فإنه بالتالى يعتمد فى عرضه على أسلوب لا يمكن أن يكون رياضياً أو علمياً خالياً من الروح والفكر الروحى الموصول بالقلب، وبالكيان كله.......!!

وفى الوقت نفسه لا يمكن أن يكون أسلوباً أدبياً بلاغياً إنشائيًا حسْبُه أن يقرع الأذن، ويحرّك العاطفة، ثم لا يترك أثراً فى توجيه الصياغة السلوكية الفردية أو الاجتماعية فى الحياة، وكأنه أقربُ إلى الشعر بمفهومه عند أكثر المحدثين والحداثيين..

ـ إن (الأدب) ـ انطلاقاً من المنهجية القرآنية التى انطلق منها النورسى . . . يجب أن يكون (كالعلم) فى انضباطه بالحق، وفى توظيفه توظيفاً يتكامل مع (العقل) ـ أو مع العلم ـ فى خدمة الدين والحق والحياة الإنسانية الكريمة اللائقة بإنسانية الإنسان . ولئن كان العقل والعلم يخاطبان جانباً ضرورياً ومهماً فى كيان الإنسان، فإن الأدب والوجدانيات يخاطبان كذلك الجانب الآخر المتّم للحقيقة الإنسانية . .

ـ وقد دفعت حضارة المسلمين فى قرونها الأخيرة ثمناً غالياً عندما فقدت التكامل بين الجانبين، وأهملت جانب العقل والعلم ومقتضياتهما، ولسوف تدفع الحضارة المادية (الأورو ـ أمريكية) الحديثة ثمناً باهظاً لإهمالها دور الأدب والوجدان والروح بطريقة أخلاقية توازنية إيجابية إنسانية . .

ـ ولئن كانت المنظومات الحضارية اللائقة بالإنسان والضامنة لسلامة مستقبله الحضارى تقتضى التكامل بين لُغتى العلم والأدب، وبين قضاياهما، وآلياتهما فى الحدود المقبولة منهجياً ـ وأهدافهما الوظيفية الإنسانية والكونية والإلهية . . كما ترى الرؤية النورسية التى عبّرت عنها بتفصيل ووضوح رسائل النور . .

ـ لئن كان الأمر كذلك فإن المعرفة الحقّة الصحيحة الكفيلة بتحقيق سعادة جنْس الإنسان لن تتحقق ـ كذلك ـ إلا من خلال الترابط والتكامل بين المعرفة الكونية، الشاملة للوعى بالنواميس والعلوم الطبيعية وتسخيرها، والمعرفة الإنسانية المعبرة عن مفردات الكينونة الإنسانية، وكل ما يتعلّق بها باطناً وظاهراً، والمعرفة الإلهية التى ترتبط بوجود الله وتوحيده وربوبيته وتجليات أسمائه الحسنى فى خلقه وفى كونه . .

ـ ومن حقنا ـ بل من واجبنا ـ أن ننبّه إلى التكاملية فى الرؤية النورسية بين العقل والعلم ـ من جانب ـ والأدب والوجدانيات . . من جانب آخر، كما أنه من حقنا أن نشير إلى التكاملية فى (نظرية المعرفة النورسية) إلى التكامل بين ما هو كونى يعتمد على العقل والعلم، وإنسانى يعتمد على القلب والروح وأدوات الأدب والفنّ، وإلهى مصدره الوحى، يقود الجانبين السابقين إلى تحقيق السعادة الحقة للإنسان الفرد والإنسان المجموع صانع الحضارة، ويمكّن الإنسان من أن يكون إنسانياً وربانياً مترجماً من خلال الأمانة التى عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان . . . (بالأنا) ـ أى بالشعور بالوجود والإرادة، وبالقدرة على تمثل معظم أسماء الله الحسنى فى الكون . . كما تمثل المرآة الكائنات التى تظهر أمامها .

ـ وفى ضوء هذا تتعاشق المعارف الثلاث فيما بينها (الكونية والإنسانية والإلهية) كما تتعاشق زوايا مثلث الأضلاع، تقوم قاعدته فى أحد طرفيها على المعرفة الكونية، وعلى المعرفة الإنسانية فى طرفها الآخر، بينما تعلو قمته (المعرفة الإلهية)[1] . . . ولعلنا ـ من خلال هذه الرؤية التكاملية نعرف موقع الأدب ورسالته فى فكر النورسى . . . ونعرف ـ أيضاً ـ طبيعة الرؤية النورسية الشمولية القرآنية .

---

(١) أديب إبراهيم الدباغ: نظرية المعرفة عند النورسى صـ ٧٥: ضمن أعمال المؤتمر العالمى الثالث حول تجديد الفكر الإسلامى فى القرن العشرين عند النورسى ط تركيا ١٩٩٦.

ـ ولكى يتعامل المسلم مع الكون والحياة ـ فى الرؤية النورسية ـ لابد له من تحريك طاقاته كلها، أى كيانه كله، أى ملكاته العقلية والروحية والوجدانية. فإنَّ تحريك طاقة العقل وحده بالعلم، أو القلب وحده بالأدب والفن، لن تحقق الرؤية الصحيحة القادرة على النفاذ إلى أعماق الكون، فمن الضرورى أن تتحقق الرؤية الشمولية التى لا تمنع اعتماد السببية فى شؤون الحياة، ولا تمنع كذلك من نفاذ الرؤية الإيمانية بعيداً عن قفص السببية فى محاولة لاختراق الجدران الصلبة للسببية انطلاقاً إلى الأبد اللامحدود، ذلك الذى نسمع قوانين إيقاعه فى جنبات الروح والوجدان حيث تعجز السببية عنه وتنكفئ دونه... ولهذا فإن (النورسى) لا يرى فى عالم «الشهادة» الكثيف معضلة ما تفقد بصيرته الروحية قدرتها على النفاذ إلى «عالم الغيب» وراء هذا الكون،.. بل إن عالم الشهادة يشكل فى حسِّه لوحةً إعجازية خارقةً فى إعجازيتها، رَسَمتها وأبدعت فيها يد المبدع البارئ القدير جلَّ جلاله، غير أنه ـ أى عالم الشهادة ـ يظل رمزاً وإيماءً وظلاً يدل، بشَبحيته وظلّه على عالم أجمل وأقدس وأروع، أبدىّ لانهائى ينتظر عيون المؤمنين الوالهة الشغوفة بالجمال[٢].

ـ وبقدر ما فى نفوسنا من توق وحنين فطرى إلى مشاهدة الجمال والأُنس به، كذلك فإن الجمال نفسه يبادلنا هذا الشوق، ويطلب لنفسه صفوةً من المشاهدين الذواقين الذين يحسنون المشاهدة.

ويوضح (النورسى) هذه العلاقة التبادلية بين الإنسان (المشاهِد) (بكسر الهاء)، وبين إبداع الله فى الكون (المشاهَد) (بفتحها) فيقول: «من الحقائق المستقرة الثابتة أنّ كلّ ذى جمال فائق يحب أن يشاهد جماله بنظره وبنظر غيره، وينظر إلى محسانه بالذات وبالواسطة، ويشتاق إلى مرآة فيها جلوة جماله المحبوب، وإلى مشتاق فيه مقاييس درجات حسنه المرغوب فالحسن والجمال يقتضيان الشهود والإشهاد، وهما يقتضيان وجود مستحسنين متنزهين فى مناظرهما، ووجود مشتاقين متحيرين فى لطائفهما[٣].

ـ وعن هذا الإيمان الذى تؤكده المعرفة، والمعرفة التى يقويها الإيمان، وعن التجاذب بين المشاهِد والمشاهَد، وبين ما هو عقلى علمى، وما هو وجدانى أدبى ـ يحدثنا أحد طلاب رسائل النور قائلاً: «كنتَ أُحسُّ فراغاً كبيراً فى نفسى، وفى روحى، وبينما كنت أبحث عن كتاب لأقرأه وجدت رسائل النور التى ما إن قرأتها حتى علمت بأننى لن أستطيع بعد مفارقتها، إذ أحسست بأنها هى التى تسدُّ هذه الحاجة القلبية لدىّ، لأننى وجدتُ فيها البراهين والأدلة العقلية والإيمانية المنقذة من الشبه العلمية والإيمانية، وتخلصت بذلك من القلق، ومن الضيق الذى كانت الشبهات تحدثه وتولده فىّ. وأدركتُ من هذه الحقائق أن رسائل النور كتبت لإنسان هذا العصر.

ـ وقد أحسست أن إيمانى يقْوى كلما قرأتها، وهذا أنقذنى من السقوط فى هوة الضلالة، وأنقذنى من العدول عن دينى الجامع لكل جوانب الحق والحقيقة.

---

(٢) أديب الدباغ المرجع السابق صـ ٧٩

(٣) بديع الزمان النورس ـ المثنوى العربى النورى صـ ٩٢ ط١ ١٤١٥هـ مصر ـ ترجمة إحسان الصالحى نشر دار سوزلر للنشر بالقاهرة.

ـ وهما أسس أرقى مدنية ـ وأنقذنى من أن أكون لقمة سائغة يلتهمها الوحش الأحمر(٤).

ـ إننا نرى هنا ـ فى أسلوب تلميذ النورسىّ ـ رشحاً لأسلوب النورسى نفسه، فهو أسلوب علمى أدبى ـ عقلى روحى ووجدانى فى نسيج واحد.

ـ لقد كان من بديهيات الأمور ـ ولابُدَّ ـ أن يكون خطاب النورسّى عالمياً بطبيعته؛ لأنه مادام قد وهب نفسه لخدمة الكلمة القرآنية والحقيقة القرآنية والبيان القرآنى، فلابُدّ ـ بالتالى ـ أن يكون خطابه عالمياً.. عالمياً فى فكره.. وعالمياً فى أسلوبه وأدواته البحثية، وعالمياً فى جانبه العقلى والعلمى، وعالمياً فى خطابه الأدبى وأساليب تعبيراته وتخييلاته الأدبية والفنّية..

ـ كان النورسى ينفر من التحزّب والفرقية والطرقية، فقد ابتعثه الله ـ كما ابتعث كثيراً من المجددين والمصلحين ـ لينقذ حقيقة إنسانية عالمية وهى الحقيقة الإيمانية.

ـ فحتى لو كان خطابه للأتراك أو للعرب أو للفرس أو الأكراد، فإنه إنما كان يخاطبهم لينبّههم إلى طبيعة رسالتهم التى ارتضوها حين ارتضوا الإسلام دينًا، والقرآن منهجًا، ومحمداً ﷺ نبيًا ورسولاً.

ـ إنها الطبيعة العالمية الإنسانية الإسلامية..

ـ أليس الله قد خاطب نبيّه محمداً بقوله:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾(٥).

وبقوله:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٦)

ـ فعلى المسلمين مهما كانت أجناسهم أو أوطانهم أنَ ينتبّهوا إلى أنهم حملة الراية بعد أستاذهم ومعلمهم محمد ﷺ وعليهم أن ينتبّهوا إلى أن الأمانة التى ائتمنهم الله عليها، وهى (البلاغ للناس بالقرآن) إنما هى نور للناس جميعاً، إذا آمنوا بها، لا فرق بين أسود وأبيض.. يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٧)

فالمهم ـ لكى يتحقق النور ـ أن يَتبعه الناس..!!

ـ وعندما عَرَضَ سعيد النورسى ـ من خلال رسائل النور ـ للرؤية القرآنية فى حلّ مشكلات العصر الحديث، ولم يعرضها لتحل المشكلات فى الدائرة الإسلامية أو التركية أو العربية وحدها، وإنما عرضها ليحلّ ـ من خلالها ـ مشكلات الحضارة الإنسانية كلها..!!

---

(٤) بديع الزمان النورسى ـ الشعاعات ـ صـ ٥٩٠ ـ ٥٩١ ط٢ ١٤١٤هـ مصر ـ ترجمة إحسان الصالحى ـ نشر دار سوزلر للنشر بالقاهرة.

(٥) الأنبياء (١٠٧). (٦) سبأ (٢٨). (٧) المائدة (١٥ـ ١٦).

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

اطلعنا على الطلب المقدم من الأستاذ / الطاهر محمد أحمد الطاهر - مدير تحرير مجلة الأزهر المقيد برقم ١٣٥٨ لسنة ٢٠٠٢م المتضمن :

● **السؤال : من المواطن ى . ى من القاهرة :- والمرسل على مجلة الأزهر الشريف :-**

حصلت على مبلغ نظير بلوغى سن المعاش مقداره ١٠٠,٠٠٠ جنيه « مائة ألف جنيه » وضعت منه مبلغ ٥٠,٠٠٠ جنيه « خمسين ألف جنيه » لشخصى فى البنك لأننى مسئول عن أسرتين. والنصف الباقى ٥٠,٠٠٠ جنيه « خمسون ألف جنيه » قررت أن أقسمه وفقاً للشريعة الإسلامية للذكر مثل حظ الأنثيين ويوضع لكل واحد نصيبه فى البنك وللزوجتين كذلك.

فهل لو أعطيت من المبلغ المخصص لى جزءاً وليكن ١٠,٠٠٠ جنيه « عشرة آلاف جنيه » لكل بنت مساهمة فى الجهاز هل فى هذا وزر أو حرمة حيث إننى لم أعط لأبنائى الذكور مثل البنات واقتصرت على إعطائهن من مبلغ الـ ٥٠,٠٠٠ جنيه الأولى. ويطلب السائل بيان الحكم الشرعى؟

●● **الجواب :**

إن ما يريد أن يقوم به السائل من تقسيم نصف مكافأة نهاية الخدمة على أولاده وزوجتيه على أن يكون للذكر من أولاده مثل حظ الأنثيين فهو جائز شرعاً على ما ذهب إليه الإمام أحمد بن حنبل من جواز تقسيم العطية أو الهبة قسمة الميراث.

وذهب جمهور الفقهاء مالك والشافعى وأبو حنيفة وابن المبارك إلى استحباب المساواة بين الأبناء فى العطية بمعنى إعطاء الذكر مثل ما يعطى الأنثى لأن النبى ﷺ قال للبشير بن سعد « سو بينهم »[1] والابن كالبنت فى استحقاق برها فكذلك فى عطيتها.

(١) البخارى ٣/٢٢٤.

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

ويجوز للشخص أن يفاضل بين أولاده إذا كانت له أسباب ومبررات شرعية تقتضى المفاضلة.

هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال ومما ذكر يعلم الجواب.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الطلاق يقع سواء كانت الزوجة على طهر أو غيـــــر طـــــهر

● السيدة / س.ر.ك.ش أقامت دعوى إبطال إشهار الطلاق المؤرخ فى ٢٨ / ١٠ / ١٩٩٩ لأن زوجها طلقها وهى حائض أمام محكمة الجيزة الكلية للأحوال الشخصية أمام الدائرة ١٥ شرعى كلى جنوب. وبجلسة ٢١ / ١ / ٢٠٠٢ طلبت المحكمة رأى دار الإفتاء فى هذا الطلاق الذى تم أثناء الحيض وهل هو واقع أم لا؟

وتطلب الجهة السائلة بيان الحكم الشرعى فى ذلك.

●● الجواب:

قال الله تعالى:

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾(٢).

أى أن الطلاق المشروع يكون مرة يعقبها رجعة، ثم مرة ثانية يعقبها رجعة كذلك ثم أن المطلق بعد ذلك له الخيار، بين أن يمسكها بمعروف، أو يفارقها بإحسان، والطلاق قد يكون سنياً وقد يكون بدعياً.

الطلاق السنى: وهو الموصوف بكونه واقعاً على المنهج الذى عليه سنة التشريع الإسلامى وسنة النبى ﷺ.

والطلاق البدعى: وهو المخالف لسنة النبى ﷺ.

(٢) البقرة (٢٢٩).

ويوصف الطلاق بأنه سنى إذا وقع بعد الدخول أو الخلوة الشرعية الصحيحة فى طهر ولم يجامع فيه ويكون طلقة واحدة. فإن جاء على غير ذلك وصف بأنه بدعى أى غير موافق للسنة النبوية ويتحقق البدعى إما بالطلاق أثناء الحيض وأما بطلاق تم فى طهر جومع فيه وإما بلفظ جاء فيه أكثر من طلقة سواء كان ذلك فى حيض أو فى طهر.

وهذا عند الجمهور من الفقهاء، ولكن الحنفية يعتبرون طلاق السنة بالنسبة للعدة مرتين إحداهما الأحسن، ويكون بواحدة فقط لا يتجاوزها حتى تنتهى العدة والأخرى الحسن وهو الذى يتكرر فيه ثلاثة أطهار وحجة الحنفية فى اعتبار القسم الأخير من السنة أنه ورد فى بعض الروايات أن النبى ﷺ قال لابن عمر: «أن من السنة أن تستقبل الطهر استقبالاً، تطلقها لكل طهر تطليقة»[٣].

ولا توصف الزوجة غير المدخول بها بأن طلاقها سنى أو بدعى بالنسبة للطهر وإنما يكون من جهة العدة فقط، فإذا ما طلقها واحدة فقط ولو فى حيض كان طلاقاً للسنة لأنه يكون بائناً فى جميع الحالات أى سواء كانت فى حيض أو طهر لأنه بعد الطلاق لا يحل له رجوعها إلا بعقد ومهر جديدين لأنها قد بانت بينونة صغرى عند الفقهاء [المغنى ٧ / ٩٨ وما بعدها والاختيار ٣ / ١٧٣] ويتفق الفقهاء على أن من يطلق طلاق البدعة فهو آثم ولكنهم اختلفوا فى وقوعه وصحته حيث صححه البعض ولم يعتبره البعض الآخر.

وجمهور الفقهاء يرون وقوع الطلاق البدعى وإن كان مع الإثم، وهو قول أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة، وهو قول أهل العلم، ولهذا قال ابن المنذر وابن عبد البر لم يخالف فى ذلك إلا أهل البدع والضلال [الاختيار ٣ / ١٧٣، ومغنى المحتاج ٣ / ٣٠٧، حاشية الدسوقى ٣ / ٣٦١، والمغنى ٧ / ٩٩].

والفريق الآخر وهم الشيعة الإمامية وابن تيمية وابن القيم يقولون: إن الطلاق البدعى لا يقع ولا يعتد به شرعاً وحجتهم فى ذلك الآثار وأقوال الصحابة والتابعين، فقد سئل عبدالله بن عمر فى رجل طلق امرأته وهى حائض فأجاب بأنه لا يعتد به.

كما استدلوا بما روى أن عبدالله بن مسعود كان يقول: «من أتى الأمر على وجهه، فقد بين الله له وإلا فوالله ما لنا طاقة بكل ما تحدثون» المغنى ٧ / ١٠٠.

وقال ابن القيم: إن الطلاق البدعى منهى عنه والنهى يقتضى الفساد والحكم بالصحة يقتضى المناقضة لأن الله يحكم بالصحة ونحن نحكم بالفساد والواجب حكم الله لا حكم البشر. المغنى (٤ / ٤٤).

والجمهور يستدلون لمذهبهم بما روى من حديث ابن عمر - رضى الله عنه - أنه طلق امرأته وهى حائض فأمره النبى ﷺ بمراجعتها على أن يطلقها إن أراد فى طهر لم يقربها فيه وقال له: فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء أى فى قوله تعالى:

﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾[٤]. أى مستقبلات لعدتهن.

---

(٣) مسلم ٣/١٤.

(٤) الطلاق (١).

والرجعة لا تكون إلا بعد طلاق وما دام النبى ﷺ قد أمر ابن عمر بأن يراجع زوجته فهذا دليل على إقرار النبى ﷺ بوقوع الطلاق من ابن عمر وإن خالف طريق السنة فى وقوعه وقد أمره النبى ﷺ أمر ندب لا أمر إيجاب بالمراجعة لالتزام السنة فى أمر الطلاق عند أحد الصحابة الذين كانوا دائماً يحرصون ويتلمسون – وبخاصة ابن عمر – طريق السنة التماساً، فالأمر بالمراجعة للإرشاد والندب لا للإلزام والوجوب [المغنى ٧ / ١٠٠].

ودار الإفتاء تميل للأخذ بقول جمهور الفقهاء من أن الطلاق يقع ويلحق الزوجة سواء كانت الزوجة على طهر أو غير طهر.

والله سبحانه وتعالى أعلم

استئجار الأرحام حرام

● **السؤال من الأستاذ / أ.أ: يقول : ما موقف الشريعة الإسلامية من أطفال الأنابيب؟ وما الفرق فى الحكم بين هذه الحالة وبين استئجار الأرحام؟**

●● **الجواب :**

أولاً : بالنسبة للإنجاب بوضع لقاح الزوج والزوجة خارج الرحم ثم إعادة نقله إلى رحم الزوجة لا مانع منه شرعاً إذا ثبت قطعاً أن البويضة من الزوجة والحيوان المنوى من زوجها وتم تفاعلهما وإخصابهما خارج رحم هذه الزوجة – أنابيب – وأعيدت البويضة ملقحة إلى رحم تلك الزوجة دون استبدال أو خلط بمنى إنسان آخر، وكانت هناك ضرورة طبية داعية إلى ذلك كمرض بالزوجة أو الزوج يمنع ذلك، أو أن الزوجة لا تحمل إلا بهذه الوسيلة، وأن يتم ذلك على يد طبيب حاذق مؤتمن فى تعامله.

ثانياً : أما استئجار الأرحام فإنه محرم وممنوع شرعاً، وقد صدر قرار مجمع البحوث الإسلامية رقم (١) بجلسته بتاريخ ٢٩ / ٣ / ٢٠٠١ بتحريم تأجير الأرحام. وكذلك أجمع الفقهاء المعاصرون أثناء بحث هذه المسألة (فى إحدى ندوات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) على حرمتها، لأن هنا طرفاً ثالثاً غير الزوج صاحب النطفة والزوجة صاحبة البويضة، ولا يمكن الجزم مع وجود الطرف الثالث بتحديد الأم الحقيقية لهذا الطفل: فهل الأحق به صاحبة البويضة التى تخلّق منها الطفل وحمل كل خصائصها الوراثية؟ أو الأحق به الأم الحاضنة صاحبة الرحم الذى تم فيه نموه وتطوره وتبدله حتى صار جنيناً مكتملاً؟... والطفل الذى يأتى بين والدتين لا يدرى من أمه على سبيل القطع والتأكد، سيعيش ممزقاً بين انتمائه لهذه وانتمائه لتلك... وهذا من الأسباب التى حملت الفقهاء على أن استئجار الأرحام محرم شرعاً.

وبناءً على ما سبق يتضح :-

أولاً : جواز أطفال الأنابيب بشرط أن يكون الماء من الزوج والبويضة من زوجته. وإعادة البويضة الملقحة مرة أخرى فى رحم ذات الزوجة التى أخذت منها البويضة ومع مراعاة بقية الشروط المنوه عنها سابقاً.

ثانياً : تحريم ما يسمى باستئجار الأرحام تحريماً قطعياً للعلل المذكورة سابقاً.

والله سبحانه وتعالى أعلم

خطبة الجمعة

آداب الأعياد

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

الحمد لله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(١).

أشهد أن لا إله إلا الله، يأخذ المنحرفين بالتأديب حتى يردهم عن غيهم وهواهم:

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾(٢). وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، معلم الخير والبر، وناشر الإيمان والإحسان، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى الطيبين من آل بيته، والمقربين من أهل صحبته، والمؤمنين برسالته ودعوته:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾(٣).

يا أتباع محمد ﷺ !...

الأعياد أيام معلومة، تمر على الأمة فتتلقاها لقاء خاصاً، لارتباطها بما تحبه وتجله، من ذكريات عزيزة أو عقائد كريمة، فإذا مر بالأمة عيد من هذه الأعياد تحركت عواطفها، وانبعثت مشاعرها،

---

(١) الفتح (٤). (٢) محمد (١٧).

(٣) الرعد (٢٩).

وأحست بهزة تنال عطفها، وانتفاضة تشمل حسها ونفسها، ومن طبيعة الأعياد أن تتسم بالفرح والسرور، لأنها تأتى فى أعقاب نصر وفوز، وتكون خاتمة لمرحلة من مراحل التوفيق فى أمر من أمور الدين أو أمور الدنيا، ولا عيب على المسلم إذا أخذ حظه من الفرح فى مواطن البهجة، أو أبدى سروره فى مقامات السرور؛ والله - عز وجل - قد جعل السرور من خير الثواب الذى يلقى به عباده يوم الجزاء:

﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾(٤).

ولكن الذى يحسن بالمسلم هو أن يكون قاصداً معتدلاً فى فرحه وسروره، فلا يسرف ولا يشتط، بل يتوسط ويقارب، لأنه من الأمة الوسط، وفى القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾(٥) أى الذين يكثرون الفرح بزخارف الدنيا. وليذكر المسلم هنا أن عيد الفطر يأتى عقب جهاد هو الصوم، وما يكاد المسلم يأخذ حظه من الراحة والاستجمام حتى يعود إلى جهاده الحسى والروحى، ويستعد لموسم الحج؛ وعيد الأضحى يأتى عقب رحلة الحج التى يبذل فيها المسلم ما يبذل من جهده وجهاده، وما يكاد يعود إلى بلده عقب الحج حتى تطل عليه أضواء عام هجرى جديد تدعوه إلى أخذ الأهبة للبدء فى مرحلة جديدة من مراحل العمل لخير الذات، وخير الجماعة المسلمة وخير الناس كلهم..

ومعنى هذا أن المسلم من شأنه أن يعمل، فإذا استوفى حظه وجهده من العمل وقف وقفة الراحة والاستجمام، ليأخذ نصيبه من الهدوء والرضى، ثم يعاود العمل، فإذا قطع مرحلة أخذ فترة راحة، ثم عاود العمل. وهكذا يدأب المسلم على ذلك دون أن يسرف فى العمل فيرهق نفسه أو يزهقها، ودون أن يسرف فى فرح فيوهن دعائم التماسك والنضال فيها:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾(٦).

ومن الشائع لدى العامة أن الأعياد مواسم يعبون فيها من اللهو عبا، ويشربون خلالها من الأهواء بأوفى المكاييل، بلا تحرز من حرام، أو تباعد عن باطل، وهذا ضلال فى الاعتقاد، وانحراف فى الاتجاه، فما كانت الأعياد فى الإسلام إلا واحة فيحاء يجد المسلم عندها وارف الظل ونمير الماء ورقيق الهواء وطهور المتاع. ومن الجدير بالمسلم أن يحسن المزج فى الأعياد بين اللهو الطيب والتعبد الحميد، وبين الإقبال على الراحة وعدم الغفلة عن واهب النعم ومصدر الكرم جل جلاله، وليذكر أن رسوله قد قال فى هذا المقام: «من أحيا ليلتى الفطر والأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»(٧). وقال الإمام الشافعى: «بلغنا أن الدعاء يستجاب فى خمس ليال: أول ليلة فى رجب، وليلة نصف شعبان، وليلتى العيد، وليلة الجمعة». وقال سهل التسترى عن هذه الأعياد: «إنها أيام يرجى فيها الفضل من الله، فإذا انشغلت فيها بهواك، ومتعت

(٤) الإنسان (١١، ١٢).
(٦) الإسراء (٢٩).
(٥) القصص (٧٦).
(٧) اتحاف السادة المتقين ٣/٤١٠ ٥/٢٠٦ مجمع الزوائد.

فيها النفس بالشهوات، فمتى ترجو الفضل والمزيد»؟. ولقد خطب الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز فى عيد فطر فقال: «أتدرون ما مخرجكم هذا؟ صمتم ثلاثين يوماً، وقمتم ثلاثين ليلة، ثم خرجتم تسألون ربكم أن يتقبل منكم». ولا شك أن من خرج إلى ربه يرجو ثواب عمله، يكون فى خشوع وخضوع، وأدب ووقار، حتى لا يريد اللّه عمله، وحتى لا يحرمه ثوابه.

ومن الشائع كذلك أن الأعياد فرصة للإسراف فى ألوان الطعام وكمياته إلى حد التخمة، من أن دستور المسلم فى ذلك هو قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[8]

وهذا الحاكم العادل عمر بن عبدالعزيز يعطينا درساً بليغاً فى الاقتصاد فى الطعام. فقد كان ابن عمه مسلمة بن عبدالملك شرهاً نهماً مسرفاً فى الطعام، يجمع الألوان من الأطعمة ويكثر منها فى نهم وتوسع، فأراد عمر أن يعطيه درساً، فدعاه إلى بيته مبكراً، وانتظر عمر حتى جاع مسلمة، وأراد أن يستأذن فاستبقاه عمر، وأمر أهل بيته بأن يعدوا ثريد عدس وحده، وأن يعدوا ألواناً شهية أخرى من الطعام فلما امتد الوقت، واشتد الجوع بمسلمة أمر عمر بطعام العدس فأخذ مسلمة يأكل منه فى رغبة قوية وشهوة بادية، حتى شبع، ثم أمر عمر بتقديم الألوان الأخرى، فلم يمد إليها مسلمة يداً، فقال له عمر: كل. فأجاب: قد شبعت ولم يبق عندى ميل للطعام. قال عمر: فلماذا السرف فى الطعام والتقحم فى النار، وهذا يجزى عنه؟. فاعتبر مسلمة بذلك، وأخذ يحمل نفسه على الاقتصاد فى الطعام.

ومن آداب الأعياد وملامحها الأساسية الإحسان ومعونة الناس، لأن الأعياد أفراح ومسرات، وخير مسرة هى التى تعم الجميع، والرجل الأصيل يميل إلى الانفراد بما يهمه أو يحزنه، فإذا شملته نعمة أسعده أن يجد الذين حوله يشاركونه فيها، ويقاسمونه بهجتها ومسرتها، ولذلك كان العيدان الرئيسيان فى الإسلام يومين من أيام التوسعة على الفقراء والمحتاجين، ففى عيد الفطر يخرج المسلم زكاة الفطر، وفى عيد الأضحى يضحى المسلم بذبيحة يأكل منها، ويهدى إلى أحبائه وأصدقائه، ويحسن منها إلى الذين لا يجدون سعة فى هذا اليوم الكريم....

يا أتباع محمد ﷺ !...

فلنتذكر جيداً أنه ليس من آداب الأعياد فى شئ زيارة القبور، أو إتيان الفجور، أو شرب الخمور، أو الاختلاط الفاحش بين الرجل والنساء، أو بيات النساء فى المقابر، أو تلك المهازل التى يرتكب فيها المتحللون مختلف الآثام والمنكرات، ويصفونها بأنها احتفال أو ابتهاج بالأعياد، فتلك أيام مجيدة مشهودة، مجموع لها الناس، فيجب أن نتنزه عما لا يليق بالعقلاء والفضلاء، واللّه يقول الحق وهو يهدى السبيل.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾[9].

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[10]

(٨) الأعراف (٣١). (٩) المائدة (٨٨). (١٠) النحل (١٢٨).

الأُسرة من المنظور الإسلامي

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

(١) تنطلق نظرية الإسلام في بناء الأسرة المسلمة من قاعدة أساسية تشكل فلسفة متكاملة ذات مستويات متعددة.

- مستوى كونها احتمالاً لم يتحقق بعد.
- ومستوى كونها فعلاً يتحقق الآن.
- ومستوى كونها فعلاً قد تحقق.
- ومستوى كونها فعلاً استقر على قاعدة صلبة أو تعرض لرياح القلق والاهتزاز.

(٢) من المنظور الأول: (كون الأسرة احتمالا لم يتحقق بعد).. يحرض الإسلام على تخير نوعية المرأة التي ستصير زوجة للرجل، وأما للأبناء ومصنعاً لتخريج جيل من الشبيبة المسلمة، ونموذجاً لنصف الأمة المسلمة، وفي هذا الصدد يوجه الإسلام إلى ضرورة التريث وضرورة الانتخاب حتى يقوم بناء الأسرة على منطق الحب وليس على منطق الصفقة، ولعل في حديث النبي ﷺ ما يؤكد هذه الوضعية الراشدة.

« تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم »(١). « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله - عز وجل - خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله »(٢).

« الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة »(٣) « تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم »(٤).. « تنكح المرأة على إحدى خصال: لجمالها ومالها وخلقها ودينها، فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك »(٥).

« أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن على البلاء صابر، وزوجة لا تبغيه حوبا في نفسها ولا ماله »(٦).

هذه التوجهات الراشدة والحاسمة معاً تفرض بالضرورة على المسلم أن يصحح من منظوره في اختيار شريكة الحياة، وتضعه أمام مرحلة الاختيار في منطقة الوعي بأن المال عرض وبأن الجمال عارية، وبأن الحسب مقياس ترابي، وبأن الدين وحده هو الأساس الحقيقي

(١) أخرجه ابن ماجة والحاكم.
(٢) أخرجه ابن ماجة.
(٣) أخرجه مسلم.
(٤) أخرجه أبو داود.
(٥) أخرجه أحمد.
(٦) أخرجه الطبراني والبيهقي.

الذى يمكن أن تقاس به درجة القبول والرفض لأنه هو الأساس الحقيقى الذى يعصم المرأة من أن تصبح شريكة بالمال فى حياة تستهدف السكن والحب ودفء العلاقات أو شريكة بالانتماء العائلى فى حياة عقيدية يمكن أن يضحى المرء فى سبيلها بكل الانتماءات إذا تعارضت مع سمته العقائدى ويبقى الدين وحده جامعا لا يتعرض للتفتت، وجامعة لا تتعرض للانفكاك.

(٣) ومن المنظور الثانى (كون الأسرة فعلا يتحقق لحظة القبول) يحرص الإسلام على التعرف الكامل من جانب كل من الشريكين على الآخر، لأن ذلك أدعى إلى تمتين أواصر الحب وأخلق ببناء الهرم الاجتماعى المسلم الصغير على قاعدة الاستبصار وليس على عشوائية الربط بين النقيضين - إن من حق الرجل والمرأة على السواء أن يعرف كلاهما الآخر، وأن يرى كلاهما الآخر فى حياطة الأسرة ورعاية المناخ العائلى.. ومن حق الرجل والمرأة على السواء كذلك أن يرضى كلاهما بالآخر، وأن يوافق كلاهما على الآخر حتى تبدأ الرحلة الحياتية بكلمة الحب لتنتهى إلى حب دائم يظلل مسافات الحياة، وقد أقر النبى ﷺ هذه الوضعية الصوابية فى حادثة الفتاة المسلمة التى وفدت على عائشة - رضى الله عنها - تشكو إليها أن أباها زوجها من ابن أخيه ليرفع بها خسيسته، وحين يدخل الرسول ﷺ يبعث بمن يستقدم له أباها ويلومه على ما فعل، ويترك للفتاة حرية القبول والرفض.. فتقول الفتاة (يارسول الله قد أجزت ما صنع أبى، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شئ).. ليس ذلك فحسب ولكن الإسلام أعطى كلاً من الرجل والمرأة على السواء كذلك حق أن تتعادل كفتاهما فى هذا اللقاء، وهو ما عبر عنه المصطلح الإسلامى بالكفاءة المادية والكفاءة الروحية والكفاءة الفكرية فإن ذلك أعون بالضرورة على خلق المناخ الصالح لتبادل الرأى والمشورة وتبادل الحب والنجوى وتبادل البذل والعطاء وليس فى هذه النظرة الإسلامية ما يشى بحس طبقى كما يزعم الخابطون ولكنها نظرة موضوعية تضع كل شئ فى نصابه الطبيعى حتى لا يفقد أى من الطرفين طبيعة الأرض المشتركة التى يقف فيها إلى جوار صاحبه يبادله العطف والفكر والكدح وتوجيه أمواج الحركة الحياتية فى اتجاه شاطئ القرار.

على أن هذه (الكفاءة) محكومة بنظرة كل من الطرفين إلى الآخر وسكونه إليه، ولو كانا من نوعيتى تركيب اجتماعى متفاوت فى موازين العرف والمال والاجتماع.

(٤) ومن المنظور الثالث (كون الأسرة فعلاً قد تحقق بالفعل) يحرص الإسلام على التزام نوعيات محددة من الحقوق والواجبات فللزوج حقوق على زوجته وعليه واجبات حيالها. وللزوجة حقوق على زوجها وعليها واجبات حياله، وللوالدين جميعاً حقوق على أولادهما وعليهما جميعاً حقوق على أولادهما وعليهما جميعا واجبات حيال هؤلاء الأبناء وللأبناء حقوق على الوالدين وعليهم واجبات حيال هذين الوالدين - ولحكمة ما، لم يترك الإسلام هذه الحقوق وهذه الواجبات سدى استناداً إلى وشائج الدم والحب التى تربط بين أولئك وهؤلاء ولكنه حدد الحقوق والواجبات وجسد نوعية العلاقات بين الجميع فى ظل الوفاء بهذه الأطر وفى ظل نقضها جميعاً.

وإن كان الإسلام قد حرص على شئ قبل هذه العلاقات وبعد هذه العلاقات فهو حريص على بر الوالدين حتى فى لحظات الانشقاق العقائدى..

صحيح أنه حذر الأبناء من متابعة الآباء في قضية الشرك بالله، والكفر بواهب الحياة ولكنه حذرهم كذلك من التخلي عن أب ضل أو أم حادت، ويكفي أن لا نطيعهما في قضية الشرك، ولنصاحبهما بعد ذلك في الدنيا معروفاً.. إن الحقوق والواجبات تبدأ - في الوجهة الإسلامية - من حسن المعاشرة إلى كفالة الحق المادي والحق المعنوي، إلى تبادل الرأي وطرح الاستبداد، إلى تحديد مناطق النفوذ في البيت، إلى تأصيل دعائم الصون والاحترام في علاقة كل بكل وبهذا يستحيل البيت المسلم إلى جنة خضراء من جهة وإلى مملكة محروسة التخوم من جهة أخرى.

(٥) ومن المنظور الرابع (كون الأسرة فعلاً تحقق ثم تعرض بعد للقلق أو بداية الاهتزاز)

يحرص الإسلام على تحكيم العقل وتوطين النفس على مصابرة الخلافات.. وقد مرر علاقة الرجل بالمرأة - مع بداية الانشقاق في جدار الحب بينهما - في مراحل الوعظ الرفيق والهجر اللاذع، والزجر المستأني، فإذا لم تفلح هذه العلاجات الأولية لجأ الطرفان إلى التحكيم فيما بينهما، حكم من أهله وحكم من أهلها، وشرط في الحكمين أن يكونا على نية البناء وليس على نية الهدم.

﴿ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ ﴾(٧).

فإرادة الإصلاح في الحكمين أولية لازمة بينهما فإذا لم تفلح هذه العلاجات كذلك، فإن الإسلام يعطي مساحة زمنية لمراجعة النفس (بعد الطلاق) وبكلمة واحدة أو بملامسة مسترجعة تعود المياه إلى التدفق وتعود إلى الشفاه اليابسة بسمة الحب والاخضرار، وإلا فإن بتر الداء في بواكيره أجدى من تركة ليراكم أعطابه في كل اتجاه.

وهكذا.. يلوح - بلا ادعاء - أن نظرية الإسلام في بناء الأسرة المسلمة تنطلق من قاعدة أساسية تشكل فلسفة متكاملة ذات مستويات متعددة فهو ينظر إليها من مستوى كونها احتمالاً لم يتحقق بعد فيحرض على ضرورة الاختيار والانتقاء.

وهو ينظر إليها من مستوى كونها فعلاً قد تحقق الآن، فيحرص على التعرف والرؤية والرضى. وهو ينظر إليها من مستوى كونها فعلاً قد تحقق بالفعل يحرص على تحديد العلاقة القائمة في رحاب الحق والواجب.

وهو ينظر إليها من مستوى كونها فعلاً تحقق ثم تعرض للاهتزاز، فيحرض على تأجيل كلمة الفصل ومراجعة الذات حتى ينقشع غيم الكراهة الطارئة ويومض في الأعماق فجر الحب والتواصل من جديد.

إن هذه النظرية الإسلامية لا تنهض على جانب عاطفي مبتوت الصلة بتعقيل الأشياء والعلاقات وهي لا تنهض كذلك على جانب عقلي مبتور الوشائج بتنمية عواطف الحب والرحمة، ولكنها تنهض على فلسفة يتعانق فيها الجانب العقلي والجانب العاطفي حتى تستطيع أن تحتفظ في لغط الجدل الوجودي لنفسها بقيمة التوازن الراشد وتظل على الدوام عاملة في مجال التحقق الإنساني بكل ما ينحني عليه هذا التحقق الإنساني من عواطف الخير وخير العواطف وتعقيل كل أولئك في تناغم طبيعي يتواتر على حركة البقاء في انسياب وجودي حميم!!

(٧) النساء (٣٥).

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أضحكني وأبكاني

قال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: أضحكني ثلاث، وأبكاني ثلاث:

أضحكني: مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل ولا يغفل عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط ربه أم راض.

وأبكاني: هول المطلع، وانقطاع العمل، وموقفي بين يدى الله لا أدرى أيأمر بى إلى الجنة أم إلى النار.

يتمنون ما نحن فيه

روى سعيد بن بشر عن أبيه أن عبدالملك بن مروان الخليفة الأموى، قال حين ثَقُلَ، وقد رأى غَسَّالاً يلوى ثوبا بيده:

وددت لو كنت غسَّالا لا أعيش إلا مما اكتسب يوما بيوم.

فذكر ذلك لأبى حازم، فقال: الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه، ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه!!

حقيقة

حكى الأصمعى قال: مر أعرابى سائلا. فقلت له: كيف حالك؟ قال: أسأل الناس إلحافا فيعطونى كرها فلا يؤجرون على ما يعطونى، ولا يبارك لى فيما آخذ.

فيم تكذبان؟

نظر رجل إلى اثنين يتحدثان.

فقال: فيم تكذبان؟

فقالا: فى مدحك

صفة مالك بن أنس رضي الله عنه

قيل فى مالك بن أنس -رضى الله عنه-:

يأبى الجواب فما يراجع هيبة
والسائلون نواكس الأذقان
هدْىُ التقى، وعز سلطان التقى
فهو المطاع وليس ذا سلطان

حـــق العلـــم

إن عليك فى علمك حقا كما أن عليك فى مالك حقا:

لا تحدث العلم غير أهله فتجهل، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك، ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك، ولقد أحسن القائل:

قـالوا نـراك طويل الصــمت قلت لهم:
مـا طول صـمـتى عن عىّ ولا خـرس
لكنه أحـمـد الأشـيـاء عـاقـبـة
عـندى وأيـسـره من منطق شكس
أأنشـر البـز فـيـمن ليس يعـرفـه
أم أنثـر الدر بين العـمى فى الغلس

ولقد أحسن صالح بن عبدالقدوس فى قوله:

وإذا حـملت إلى سـفـيـه حكمـة
فلقـد حـملت بضـاعـة لا تنفق

الظلم على ثلاثة أوجه

قال بعض الحكماء: الظلم على ثلاثة أوجه، ظلم لايغفره الله، وظلم لايتركه الله، وظلم لايعبأ الله به شيئاً، فأما الظلم الذى لا يغفره الله فهو الشرك بالله، وأما الظلم الذى لا يتركه الله فمظالم العباد بعضهم بعضا، وأما الظلم الذى لا يعبأ الله به فظلم العبد ما بينه وبين الله تعالى.

قالـــوا...

● إن أعظم الحسرات يوم القيامة، حسرة رجل كسب ما لا فى غير طاعة الله، فورثه رجل فأنفقه فى طاعة الله -سبحانه- فدخل به الجنة، ودخل الأول به النار.

● الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر.

● إذا كنت فى إدبار، والموت فى إقبال فما أسرع الملتقى.

● إذا أقبلت الدنيا على حد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت سلبته محاسن نفسه.

● إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه شكرا للمقدرة عليه.

أعلـم التابعيـن

قال بعض العلماء: كان أعلم التابعين «بالطلاق» سعيد بن المسيب، «وبالحج»: عطاء، «وبالحلال والحرام»: طاووس، «وبالتفسير»: مجاهد، وأجمعهم لذلك كله: سعيد بن جبير - رضى الله عن الجميع.

دعـــاء

اللهم افتح مسامع قلبى لذكرك، وارزقنى طاعتك وطاعة رسولك، وعملا بكتابك.

الموعظة الحسنة
وأثرها فى إصلاح النفوس

٢

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف

لاحظ القرآن الكريم الإنسان الذى يقع ضحية فهم خاطىء لمتاع الحياة الدنيا وزينتها، فأفهم أن الاستمتاع الحلال بمتاع الحياة الدنيا وزينتها، والحصول على الطيبات من رزق الله من الأفعال المذمومة والرذائل المحظورة. فنص القرآن الكريم فى صراحة ووضوح على إباحة الرغائب السليمة للنفس، وترك لها فرصة التوسع الطيب، وعدَّ التدخل بالحظر والتحريم والتضييق على النفس ـ فى هذه الدائرة ـ قرينا لعمل السوء والفحشاء، لأنه موصل إلى عمل السوء والفحشاء، قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١).

أجل: إن حظر الحلال الطيب، قول على الله بلا علم، وهو أخو السوء والفحشاء اللذين يأمر بهما الشيطان.

ويقول الله تعالى:

---

(١) البقرة (١٦٨، ١٦٩).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(٢).

ويقول الله تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٣).

عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: جاء رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ؟ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أمّا أنا فإنى أصلى الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدا، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله وإنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى: أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى».

وقال ﷺ: «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة، ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه، كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولا مخيلة»(٤).

والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المقام. هل ترك الإسلام هذه النفس الإنسانية التى انحرفت عن الخير ومالت إلى الشر، وتغلبت نزعاتها الطائشة بارتكابها الآثام على فطرتها الصالحة التى تهفو إلى فعل الصالحات؟ هل ترك الإسلام هذه النفس الإنسانية بلا علاج؟؟.

لقد وضع الإسلام فى منهجه الإصلاحى علاجا لهذه النفس، حرصا منه على هدايتها إلى الخير وعودتها إلى الطريق المستقيم، ورغبة منه فى أن يصرف عنها غواية الشيطان ووساوسه وتحريضه لها على ارتكاب المعاصى والذنوب، ومحافظة منه على سلامتها ونقائها وصفائها الفطرى.

يقول الله جل شأنه:

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾(٥).

لقد أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الرسول ﷺ بتذكير الناس بالهدى ودين الحق، بدون إبطاء أو انقطاع أو يأس، وتنبيه النفس البشرية على أن تخضع لتصريف العقل

(٢) البقرة (١٧٢).
(٣) الأعراف (٣٢).
(٤) كشف الخفا ٢٣٨/٢.
(٥) الأعلى (٩ : ١٩).

الرشيد، ومنطق الفطرة السليمة، وتذكيرها بالإيمان بالله، والتصديق بما جاءت به الرسالة السماوية، والالتزام بتنفيذ الأخلاق الكريمة التى دعت إليها، وحذّرها من الاستمرار فى غيّها، والابتعاد عن الاستماع إلى الموعظة، ومجانبة النصحية، وبيّن لها جزاء من يستمع إلى الموعظة والنصيحة، وهو: الفوز والفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة، كما بيّن لها عاقبة من يرفض التذكرة، ويصم أذنيه عن النصيحة والموعظة، وهى: الشقاء والتعاسة، ودخول جهنم الذى يلقى فى أشد طبقاتها عذاب السعير والحريق، وأوضح لها أن ما يقوله الرسول ﷺ من التذكير والوعظ والنصيحة ليس جديدا بل هو ثابت ومذكور فى صحف إبراهيم وموسى - عليهما السلام - التى سبق أن أنزلها الله على هذين النبيين الكريمين.

ويقول سبحانه وتعالى فى موضع آخر:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾(٦).

يدعو الله - تعالى - فى هذه الآيات الكريمة - رسوله الكريم ﷺ إلى الاستمرار والدوام فى دعوة الناس إلى الحق، وتذكيرهم بالإيمان بالله «بعد أن بيّن الله فى الآيات الكريمة التى سبقت هذه الآيات قدرته ووحدانيته، وبعد أن وبّخ هؤلاء المعاندين الرافضين لسماع التذكير والموعظة» فوجّه الخطاب إلى رسوله الكريم: «بأن تُداوم تذكير الناس وتدعوهم إلى الدين الحق، فهذه وظيفتك التى كُلّفت بها، وكِلْ أمرهم بعد ذلك إلى الله، فأنت لست بمجبر لهم أو مُكره إياهم على اتباعك، وإنما أنت عليك البلاغ والتنبيه والوعظ والنصيحة، واتركهم بعد ذلك وشأنهم، ونحن علينا الحساب، لأن الناس جميعا راجعون إلينا يوم القيامة للحساب، فنجازى المحسن ونعاقب المسىء.

ويتابع القرآن الكريم تحديد وظيفة الرسول ﷺ فى قوله تعالى:

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾(٧).

أى نحن - أيها الرسول الكريم - أعلم بما يقوله هؤلاء المشركون فى شأنك وفى شأن رسالتك وفى شأن دعوتك، وسنجازيهم على ذلك بما يستحقونه من عقاب، فاستمر أنت فى أداء وظيفتك، وهى: التذكير والتبليغ والموعظة، لأن هذه هى مهمتك، واصبر على أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم، وبلّغ رسالة ربك دون أن تخشى أحدا سواه، ودون أن تيأس أو يصيبك قنوط، فأنت لست بمسلط عليهم لتجبرهم على اتباعك، وتقهرهم على اتباع الحق، وإنما وظيفتك هى التذكير بهذا

---

(٦) الغاشية (٢١ :٢٦).

(٧) ق(٤٥).

القـرآن وبما فيـه من دعـوة إلى الصـراط المستقيم، وبما فيه من نصح وإرشاد للإنسان أن يؤمن بالله، ويلتـزم بالهـدى، ويخـشى عذابه، ويخاف وعيده.

وحـتى يسـتـمـر الرسـول ﷺ فى أداء وظيفته، وهى: التذكير والتبليغ والموعظة، بصدر رحب وقلب منشرح، حكى سبحانه وتعـالى للرسـول سلوك الأمم السـابقـة مع رسلهم، فقال جل شأنه:

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[8].

هذه الآيات الكريمة فيها أكثر من تسلية للرسول ﷺ، وفيها أمر من الله للرسول بأن يستمر فى أداء وظيفته.

والمعنى أن ما سمعته وتسمعه ـ أيها الرسول الكريم ـ من قومك حين تدعوهم إلى الإيمان بالله وطاعته، فيصفونك بأنك: ساحر أو مجنون، ليس جديدا ولا غريبا بالنسبة للرسل.. فإنه ما أتى الأقوام الذين قبل قومك من رسول يدعوهم إلى عبادة الله وطاعته، إلا وقالوا له ـ كما قال قومك فى شأنك ـ هو: ساحر أو مجنون.

ثم يضيف الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى هذه التسلية تسلية أخرى، فيقول سبحانه على سبيل الاستفهام التعجبى من أقوالهم وأحوالهم: هل أوصت الأقوام السابقة الأقوام اللاحقة بأن يقولوا لكل رسول يأتيهم من ربهم: أنت ـ أيها الرسول ـ ساحر أو مجنون؟ كلا لم يوص بعضهم بعضا بذلك لأنهم لم يتلاقوا، وإنما تشابهت قلوبهم فى المعصية والكفر فاتحدت ألسنتهم فى النطق بهذا القول المنكر.

ثم يضيف الله ـ سبحانه وتعالى ـ تسلية ثالثة، فيطلب من الرسول الكريم أن يعرض عن هؤلاء الجاحدين الكافرين، وعن الرد عليهم وجدالهم، وأن يسير فى الطريق الذى حدده الله ورسمه له.. وعندما يفعل ذلك فلن يقع عليه لوم أو عتاب على ترك مجادلتهم.

غير أنه يجب عليك أيها الرسول الكريم أن تداوم وتستمر فى أداء وظيفتك وهى: التذكير والتبليغ والموعظة مهما تقوّل المتقولون.. فإن التذكير بما أوحيناه إليك من هدايات سامية، وآداب حكيمة، وأخلاق كريمة ينفع المؤمنين ولا ينفع غيرهم من الجاحدين المعاندين..

لقد أكد الله – سبحانه وتعالى – وظيفة الرسول ﷺ، وهى: التبليغ والموعظة والتذكير.. فى أكثر من سورة من سور القرآن الكريم، يقول الله تعالى:

---

(٨) الذاريات (٥٢: ٥٥).

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٩)

عندما أنكر الكافرون أن يكون محمد ﷺ رسولاً لأنه من البشر، والله -فى تفكيرهم ومنطقهم- أعظم من أن يرسل رسوله بشراً.. أنزل الله أكثر من آية فى القرآن الكريم- منها هذه الآية- مؤكداً أن الرسل جميعا- عليهم الصلاة والسلام- دائما من البشر وأن الله أرسلهم لهداية الناس وإرشادهم إلى الحق، فهم رجال مثلك يا محمد، وقد أوحينا إليهم بما يبلغونه إلى أقوامهم من عبادات وتشريعات، ونصائح وإرشادات، مثل ما أوحينا إليك..

وقد اقتضت حكمة الله أن يكون الرسول من البشر فى كل زمان ومكان، فإن كنتم أيها الكافرون فى شك من ذلك فاسألوا علماء أهل الكتاب السابقة من اليهود والنصارى، فسيجيبونكم بأن الرسل جميعا كانوا رجالاً من البشر، ولم يكونوا من الملائكة، وقد أرسلهم الله مؤيدين بالمعجزات وبالكتب العظيمة المشتملة على العقائد السليمة، والتشريعات الحكيمة، والأخلاق الكريمة التى تسعد الناس فى دينهم ودنياهم..

ثم بينت الآية الكريمة وظيفة الرسول، وبعض الحكم التى من أجلها أنزل الله ـ تعالى ـ القرآن الكريم على الرسول وهى:

- تفسير ما اشتمل عليه القرآن الكريم من آيات خفى معناها على المسلمين بأن يوضح ويفسر لهم ما أجمله القرآن من آيات وتشريعات وأحكام.

- دعوة الناس إلى التفكير والتدبر فى آيات القرآن الكريم، والاتعاظ والتذكر بها، والعمل بمقتضاها.

والرسول ﷺ فى أدائه لوظيفته التى كلفه الله ـ سبحانه تعالى ـ بها وهى: التبليغ والتذكير والموعظة اتبع الأسلوب والمنهج الذى حدده الله له.

***

(٩) النحل (٤٣ : ٤٤).

القدرة... والكون... والمصير

للدكتور/ على أحمد على

من قلب القرآن الكريم جاء قوله تعالى:

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[يس - ٨٣]

الكونُ كله ملكٌ له -تعالى- فكما ليس له شريك فى خلقه، له ما شاء فى مُلْكه، مَلَكَ -سبحانه وتعالى- هذا الكون: سماواته وأرضه... وما فى سماواته وأرضه... وما بين سماواته وأرضه... وما فوق سماواته وماتحت الثرى من أرضه.

كل هذا المُلْك نُصَّ عليه فى التنزيل العزيز إجمالا وتفصيلا، وفى «كليات القدرة» كما فى غيرها من الآيات جاء الذكر الحكيم بهذا الإجمال والتفصيل

ونحن -المؤمنين- حين نقرأ قوله تعالى:

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(1).

موقنون أنه -تعالى- مالك لكل السموات والأرض، ومالك للكون كله، غير أن حكمته -تعالى- اقتضت أن ينص على هذه الملكية تفصيلا يزداد به المؤمن إيمانا، ويطبع به على قلوب الجاحدين إلحاداً، وهو من فوق ذلك -سبحانه- الشهيد القادر العليم.

ونذكر -بين يدى هذا المقال- قوله -تعالى-:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[فاطر - ١]

● فاطر السموات والأرض: بَدأَ خَلقهما -جميعا- على غير مثال سابق؛ فهو -سبحانه وتعالى- بدعهما، فلم تكن من سماوات ولا أراض قبل أن يخلقا، والكون كله كذلك.

قال ابن عباس: كنت لا أدرى: «ما فاطر السموات والأرض» حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها. أى أنا ابتدأتها ١هـ القرطبى فى الآية.

● جاعل الملائكة رُسلا: بينه -تعالى- وبين خلقه، يُرْسِلُ بها إليهم بما شاء من مقادير، لاتبديل لكلماته، ولامانع لقضائه.

● أولى أجنحة مثنى وثلاث ورُباع: زَوَّدهم -سبحانه وتعالى- بها إلى ما أعطاهم من قُوى يؤدون بها واجبهم كلمح البصر بين السموات..

(١) المائدة (١٢٠).

وبينها وبين الأرض على ما يشاء ربنا –عز وجل.

● يزيد فى الخلق ما يشاء: أى فى خلق الملائكة وغيرهم من آدمى وغيره؛ فليس فى لفظ ﴿ ٱلْخَلْقِ ﴾ فى الآية دليل على أن (الـ) فيها للعهد؛ لينصرف ﴿ ٱلْخَلْقِ ﴾ إلى مخلوق بعينه، محدود مخصوص، فاعتبارها (الـ) الجنسية قائم، وتكون زيادة المولى فى خلقه شاملة لكل مخلوق وللإمام الطبرى –رحمةُ الله عليه– فَضْلُ السَّبْق لهذا المعنى الجليل؛ إذ قال –بعد أن ذكر الزيادة فى أجنحة الملائكة –وَفْقَ ما يريُده– عز وجل:

وكذلك (ذلك) فى جميع خلقه، يزيد مايشاء فى خلق ماشاء منه، وينقص ماشاء من خلق ماشاء، له الخلق والأمر، وله القدرة والسلطان:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

فأن يتسع الكونُ فيزداد امتداداً أمرٌ واردٌ لا نقض فيه، بل أن تتبدل الأرضُ والسمواتُ قَدَرٌ مقرر لاشك فيه، قال –تعالى– فى أَحَدِ شئون القيامة:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾

[إبراهيم ٤٨]

●●●

وتتوالى كليات القدرة تسجل امتلاكه –عز وجل– للكون جملة وتفصيلا؛ قال –تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[آل عمران– ١٨٩]

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[المائدة– ١٢٠]

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[المائدة – ١٧]

فالسماوات والأرض، وما فى السموات والأرض، وما بين السموات والأرض.. كُلٌّ ملكٌ له – تعالى –:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[الملك– ١]

وَخَلْقُهُ –تعالى– منبث فى كلِ ملكه لا يحصيه إلا هو، منه ما نعلم –مشاهدةً أو إخباراً منه تعالى– ومنه مالانعلم:

فسماء الدنيا مزينة بالنجوم أكداسا ووحدانا، مفعمة بالكواكب وأقمارها أحجاما وأشكالا وفوق متنها سماوات ست عليها من الملائكة والخلق جماعات وأقواما، ثم خَلْقٌ فوقهن، نعلم منه «الكرسى» يعلوه «العرش»[٢].

ثم هو –سبحانه– المالك لما بين السماء والأرض، وما على سطح الأرض إلى ما تحت الثرى.

(٢) العرش: الجسم النورانى المرتفع على كل الأجسام المحيط بها، سُمى بالعرش لارتفاعه. اهـ انظر الفتوحات الإلهية ٢/١٤٩، والبيضاوى ١/٣٥١.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴾ .

[النساء– ١٢٦]

وكما أحاطت كليات القدرة بالحديث عن ملكه الشامل –جَلَّ علاه– شاركت آيات أخرى في الحديث تفصيلا عنه، يقول –سبحانه وتعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ .

[النمل– ٢٦]

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٣) .

[البقرة– ٢٥٥]

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾

[طه– ٦]

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾

[المعارج– ٤٠]

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾

[النحل– ١٢]

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾

[يس– ٣٩]

وتنتقل بنا كليات القدرة إلى أمر آخر: إلى علاقة ذوات هذا الكون بربها –عز وجل– لتذكر لنا عبادتها لله –سبحانه وتعالى–، وفي وضعها هذا دلالة على ما أشرنا إليه في صدر هذا البحث من أن كل كلية من كليات القدرة، وردت بالقرآن الكريم لها موضوع يخصها –فيما سيقت له– بجانب ماجاء فيها من أمر أو أمور أخرى؛ فلابد من جديد.

وتسهم – في بيان هذه العبادة وأنواعها آياتٌ كريمة وأحاديث شريفة أخرى – إلى جانب «كليات القدرة» فتجمع لنا كل أشكال هذه العبادة التي نعلم بعض كيفياتها دون بعض، فمنها (غَيْبٌ) لايعلمه إلا الله – عز سبحانه وجل–:

إذًا، ذواتُ هذا الكون العظيم وأجرامُهُ من: سماء وأرض، وما عَمَرَ السماءَ من خَلْقٍ ومَلَك، ومادَبَّ على الأرض، أو سَبَح في مائها ببحر أو نَهَر، وما بين السماء والأرض من كوكب وشمس وقمر، وما عَلا الأرض من نبات وشجر، ومن آمن بالله مخلصا من جن وبَشَر، كل أولئك لله قانتون عابدون، قال – تعالى–:

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[التغابن– ١]

(٣) لا يؤوده حفظهما: لا يَشُقُ عليه – سبحانه – حفظهما؛ فهو القادر على كل شيء.

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾(٤).

وتقول الملائكة:

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾(٥).

[البقرة– ٣٠]

﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾

[الصافات– ١٦٤ : ١٦٦]

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

[الشورى– ٥]

﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾

[الرعد– ١٣]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾

[نهاية الأعراف]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾

[النور– ٤١]

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾

[النحل ٤٨]

أى ألم ير هذا الخلق – وفى مقدمته أولئك الماكرون بالسيئات –أنه ما من جسم له ظل كشجرة أو جبل تتمايل ظلاله يمينا وشمالا– أن تمايلها هو سجودها لله عابدة خاضعة صاغرة.

(عن القرطبى فى الآية)

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴾

[ص– ١٧ : ١٩]

وكما نص التنزيل العزيز– فى إطار عبادة الكون لله– على كائنات تتعبد لربها، نص كذلك الحديث الشريف على شيء منها، ففى الصحيح برواية مسلم والبخارى عنه ﷺ :

« أن نملةً قرصت نبيا من الأنبياء، فأَمَر بقرية النمل فأُحْرِقَتْ، فأوحَى اللهُ إليه: أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمةً من الأمم تُسبِّح »(٧) اللفظ لمسلم ٧ / ٤٥٢.

وعن أبى الدرداء عنه ﷺ :

(٤) الإسراء (٤٤).

(٥) نسبح أى نقول: سبحانك اللهم وبحمدك وننزهك عما لا يليق بك. (من تفسير السيوطى– الجلالين)

(٦) أى نحن الملائكة الصافون أقدامنا فى الصلاة– المحلى (الجلالين).

(٧) يرى بعض العلماء أنه يكره قتل النمل إلا أن يؤذى... ولكن لا تحرق بالنار. نفس المرجع لِشُرَّاح مسلم ٤٥٣/٧

«... وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء»[8].

وهذا قُبيصة بن المخارق ذهب يطلب علما من رسول الله ﷺ:

«فقال لي: يا قبيصة ما جاء بك؟

قلت: كبرت سني ورق عظمي؛ فأتيتك لتعلمني ما ينفعني الله -عز وجل- به.!

قال: يا قبيصة، ما مررت بحجر ولا شجر ولا مَدَر[9] إلا استغفر لك....».

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«المؤذن يغفر له مدى صوته، ويستغفر له كل رطب ويابس»[10].

●●●

هكذا قدمت لنا الآياتُ: كلياتُ القدرة وغيرُها، والأحاديث الشريفة- بيانا واضحا عن علاقة هذا الكون كله، بربه، فإذا هو (ذلول) لله في طاعته، يتعبد له: بالصلاة والتسبيح، والحمد، والاستغفار، والسجود، مع الدوام على ذلك بالعشي والإشراق وما شذ عن ذلك إلا فريق كبير من الجن والإنس يستكبرون عن عبادة ربهم، وقد ورد فيهم قوله -تعالى-:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

[غافر- ٦٠]

وجاءت آية الحج جامعة فاصلة في هذه العبادة، وفي المؤمنين والجاحدين، قال -تعالى-:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾

[الحج- ١٨]

هذا، ونحن البشر على علم بعبادتنا من قيام وركوع وسجود، وغيرها؛ فأما كيفية هذه العبادة في تلك الكائنات فغيب يعلمه الله:

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾

[الجن- ٢٦، ٢٧]

وشاء - سبحانه - أن يُطلعَ يوسف -على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام- على سجود الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا، قال -تعالى- حاكيا عنه قوله لأبيه يعقوب:

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾

[يوسف- ٤]

فكيف سجدت..؟ أمر يعلمه الله، لم

(٨) رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي وأحمد، وهو من الصحيح، واللفظ الذي أثبتناه لابن ماجه في سننه ١/٨١ من المقدمة

(٩) المدر: الطين اللزج المتماسك

(١٠) سنن ابن ماجه ١/٢٤٠، ومثله عن ابن عمر- مسند أحمد ٢/١٣٦.

يحدثنا المفسرون عنه..، .. فحسبنا اللفظ، أعنى أنها قد سجدت له. قال الإمام الخازن:

«رأى يوسف فى منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له». ا. هـ

هذا هو الكون، وتلك هى ذواته.. من أدق ذرات الثرى إلى العرش المحيط... لها لله تسبيح وتحميد وصلاة وتمجيد يدور فى الفلك كله خشوعا وتقى وإخلاصا وهدى.. فليحذر امرؤ أشركه الله فى حكمه فآتاه مُلكا أن يدخل فيه الظلم، فينزعه –سبحانه– منه، ويلعنه هذا الفلك بمن فيه حتى ينفلق من تحت قدميه جسر جهنم، ويهوى إلى أسوأ قيعانها بؤسا وشقاء:

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[آل عمران– ٢٦]

●●●

وتأتى كليات القدرة إلى المصير:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾(١١).

فيبدأ الكون خلقا آخر:

﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٢).

﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٣).

﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٤)

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٥)

وبعد: فهذه كليات القدرة، جمعت فأوعت، وحدَّثت إجمالاً وتفصيلاً، عن الكون والإنسان نشأة ومصيراً، نسأل الله - تعالى - أن يلهمنا بها وعيا وسلوكاً.

***

(١١) إبراهيم (٤٨).

(١٢) النحل (٧٧).

(١٣) الشورى (٩).

(١٤) هود (٤).

(١٥) العنكبوت (٢٠).

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

الرسالة الأولى [في هذا العدد] وردت من القارئ س. ع. ف. من طنطا يقول فيها: تلبَّستْ زوجتى روح شيطانية يهودية زعمت أن عمرها ١٤٠٠ سنة وأن اسمه ميخائيل وأنه جاء إليها بتكليف سحر ليقطع فى ذراعها ووسطها وظهرها، والمصيبة أن السحر من أهلها كما تقول.

وقد استطاعت هذه الرُّوح أن تسيطر على عقل زوجتى فأوهمها أنه جاء لمساعدتها على إخراج جان من المنزل وحماية أولادها من أعمال سحرية تعمل لهم من طليقتى السابقة عليها محاولاً بهذا صرف النظر عنه واتهام طليقتى. وقد استجاب الشيخ المعالج لطلبات هذا الجان وقد أصبحت زوجتى وأمست لا تردد إلا اسم طليقتى هذه.

والطامة أنى وقعت فى المحظور وذهبت بزوجتى إلى راعى كنيسة عن طريق أحد الشمامسة ليصرفه عنها وفعلاً أحضروه فى ساحة الكنيسة واعترف أنه يضحك عليها لتُبقيه معها، وقال لراعى الكنيسة إنه شيطان رجيم فطلب منه الخروج من جسمها فهدد بقتلها إن أجبر على ذلك فخاف راعى الكنيسة وتركه وأنا يا سيدي فى حيرة من أمرى لأن زوجتى مثقفة وتعمل بالتعليم لكنها صارت عبدة لهذا الجان وحوَّلت البيت إلى ضنك وجحيم لى وللأولاد.

ـ وبداية أوجه للأخ السائل صرخة عتاب « لا همسة » لأنى أعرفه جيداً من خلال رسائله السابقة التى كانت تتسم بالعقلانية والتدين والبُعد عن الخرافات لكنى أحترم رغبته فى عدم كتابة اسمه ولعله استشعر ما تورَّط فيه بالنسبة لموضوع الرسالة فلم يشأ أن يعرفه الناس به، خاصة المقربين إليه الذين يعرفونه مثلى وأسأل الأخ (س) ماذا دهاك حتى تنساق بل تنجرف وراء هذه الخرافات وبالنسبة لموضوع السؤال أقول :

ـ جاء فى كتاب « بحوث وفتاوى إسلامية فى قضايا معاصرة » لفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق الإمام الأكبر السابق ما خلاصته : « إن

الروح سرها عجيب لا يدرك الإنسان منه إلا قليلاً. قال تعالى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١).

والأرواح لثلاثة أصناف من العوالم: الملائكة والجن والإنس ومعهم الحيوانات والطيور وكل ما يدب ويسعى ويزحف على الأرض.

أما الملائكة فهم خلق معصومون ولا يستطيع أى مخلوق أن يتسلط على أرواحهم ولا أن يستعين بهم. وأما الإنسان فإذا فارقت روحه جسده فلا يعرف مكانها إلا الله -سبحانه وتعالى- وستظل فى أماكنها التى لا يعلمها إلا الله إلى يوم البعث والنشور وبناء على ذلك فلا يستطيع أى بشر أن يتسلط على روح الميت ويحضرها ويتحدث إليها ولكن قد يحدث اتصال بها فى الرؤى والأحلام دون أن يتسلط عليها.

وقد صح أن كل واحد من بنى آدم له قرين يلازمه من يوم مولده إلى أن يموت، روى مسلم عن النبى ﷺ قال: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه» ثم قال أبوهريرة راوى الحديث: «اقرءوا إن شئتم:

﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(٢)»

وفى رواية مسلم لهذا الحديث أن الصحابة -رضى الله عنهم- قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم» أى دخل الإسلام، أو أسْلَمُ أنا من أذى القرين، هذا ويمكن لبعض الناس تحضير روح القرين فيقلد صوت قرينه الإنسان وربما تشكل بشكله وقد يكون هذا القرين روح شريرة فيحصل البلاء كما فى حالة الأخ السائل لكن القرين فى كل الأحوال لا يعلم الغيب، أما الجن فهم أرواح عاقلة مكلفة مجردون من المادة مستترون ولهم قدرة على التشكل، مخلوقون من نار السموم. وقد عرفنا كل ذلك عنهم عن طريق الوحى. وقد سخر الله الجن لسيدنا سليمان ولم يحدث ذلك لغيره، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن عفريتا من الجن تفلت علىَّ البارحة ليقطع علىَّ الصلاة فأمكننى الله منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخى سليمان:

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾(٣)

قال أحد رواة الحديث: فرده الله عن النبى خاسئاً.

هذا.. وتحضير الأرواح -إذا وقع فعلاً- هو استحضار لأرواح الجن وليس لأرواح الملائكة أو البشر ولا يجوز الاعتماد على ما تخبر به هذه الأرواح فقد تكون صادقة وقد تكون كاذبة وهذا هو الغالب وفى كل الأحوال فالجن أو أرواحهم أو

(١) الإسراء (٨٥).
(٢) آل عمران (٣٦).
(٣) ص (٣٥).

القرناء لا يعلمون الغيب. قال تعالى عن جنْ سليمان بعد موته:

﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾(٤).

وقال عَزَ منْ قائل:

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(٥)، (٦).

ويقول فضيلة الشيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى السابق بالأزهر إن التزاوج بين الإنس والجن ممكن حدوثه وقد أثبته الجمهور مستدلين بقوله تعالى لإبليس:

﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾(٧) وما روى أن النبى ﷺ قال: «إذا جامع الرجل امرأته ولم يُسم انطوى الشيطان فى إحليله فيجامع معه»(٨).

ويرد العلماء المثبتون على أدلة المنكرين بأن الجن خلقوا من النار والإنس خلقوا من تراب أو من طين وهذا مانع من التزاوج يردون بأن الذى خلق من نار أبوالجن (إبليس) والذى خلق من تراب أو من طين أبوالبشر آدم -عليه السلام- أما ذرية كل منهما فليست مخلوقة مما خُلق منه أبوهما يؤيد ذلك أن الرسول ﷺ أخبر أنه وجد برد لسان الشيطان الذى عرض له فى صلاته لما خنقه لأن برد لسان الشيطان دليل على أنه انتقل من العنصر النارى إلى عنصر آخر(٩).

ويتبين مما نقلناه عن هذين العالمين الكبيرين إمكان اقتران الأرواح الشريرة بالإنسان لكنها ليست أرواح الجن أنفسهم بل أرواح القرناء وأن ما تقوله هذه الأرواح خليط من الصدق والكذب وإن كان أكثره كذباً.

وأضيف أن الذى يقوم بتحضير هذه الأرواح ينبغى أن يكون من الصالحين ومن حملة كتاب الله -تبارك وتعالى- وألا يكون محترفا أى متكسبا بهذا العمل فأغلب هؤلاء من الدجالين الذين لا يؤمَنْ جانبهم.

وأعيذك يا أخ (س) أن تكون من هؤلاء الذين ينخدعون بالدجالين مهما قالوا. والله أعلم.

والرسالة الثانية من الأخ القارىء أحمد على أحمد معوض من شارع على ريحان شرق السكة الحديد -كوتسيكا بالمعادى- يقول فى رسالته: طالعت فى مجلة الأزهر عدد رجب ١٤٢٣هـ- سبتمبر ٢٠٠٢م خطبة الجمعة لفضيلة الدكتور أحمد الشرباصى وقد ذكر فضيلته وصف البراق الذى ركبه الرسول ﷺ فى الإسراء فقال إنه أبيض اللون وفى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه ويخطو الخطوة فإذا حافره يقع عند نهاية بصره، لكن سيادته لم يذكر الحديث الذى وصف فيه الرسول ﷺ هذا الوصف ولا ذكر رواية من من الصحابة رضوان الله عليهم فى حين أن الحديث

---

(٤) سبأ (١٤). (٥) النمل (٦٥).

(٦) بحوث وفتاوى إسلامية لفضيلة الشيخ جاد الحق المجلد الرابع ص٣١٤ وما بعدها بتصرف واختصار.

(٧) الإسراء (٦٤). (٨) تخريج.

(٩) أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام- المجلد الثانى ص ٢٦٥ ومابعدها بتصرف.

يقول إن البراق دابة، وحدد لونه فقال أبيض، وحدد شكله وصفته، فقال فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ولم يذكر في الحديث أن له أجنحة أو نحو ذلك فأرجو التوضيح وجزاكم الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.

● وبادىء ذى بدء أقول للأخ القارىء إن فضيلة الشيخ الدكتور الشرباصى ذكر حديث البراق ضمن خطبة ولم يذكره فى مقام حديث حتى يذكر بلفظه ثم كلمة براق فيها إشارة إلى البرق. وكما يقول شيخنا الغزالى -رحمه الله- أن كلمة براق يشير اشتقاقها إلى البرق.

أما عن وصف البراق فبعض الأحاديث ذكرت أن للبراق جناحين يحفز بهما -أى يدفع بهما- رجليه، وبعضها لم يذكر ذلك لأن حديث البراق روى بعدة طرق فحديث أنس -رضى الله عنه- الذى فى البخارى لم يذكر الجناحين ونصه: (عن أنس بن مالك -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه. قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل -عليه السلام- بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل ﷺ: اخترت الفطرة ثم عرج بى إلى السماء... إلخ»(١٠).

أما الأحاديث التى ذكرت جناحى البراق فمنها حديث الحسن -رضى الله عنه-. قال ابن اسحاق وحُدثت عن الحسن أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم فى الحجر إذ جاءنى جبريل فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيئا فعدت إلى مضجعى فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيئا فعدت إلى مضجعى فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه فجلست فأخذ بعضدى معه فخرج بى إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض بين البغل والحمار فى فخذيه جناحان يحفز -أى يدفع بهما رجليه يضع يده عند منتهى طرفه -أى بصره- فحملنى عليه ثم خرج معى لا يفوتنى ولا أفوته(١١).

وها أنتذا ترى يا أخى أن وجود جناحين فى فخذ البراق ثابت فى كثير من الروايات ولم يذكر أستاذنا الدكتور الشرباصى ذلك فى خطبته (ملامح القوة فى الإسراء والمعراج) لأنه لم يكن غرضه منها سرد الروايات بل كان غرضه الإشارة إلى عناصر القوة فى هذا الحادث المعجز القوة فى الإيمان والقوة فى الأخلاق والقوة فى العتاد والجهاد وقوة الأوطان والمواطنين على وجه العموم كما صرح فضيلته بذلك كى يتحقق فى المسلمين قول ربهم تبارك وتعالى:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾(١٢).

هذا والله أعلم وبه التوفيق.

---

(١٠) فتح البارى جـ٨ ص٦٣٢ نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم جـ١ ص٥٢٦ ط. دار الوسيلة.

(١١) السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثانى ص٣، ٤ دار البيان المكتبة التوفيقية.

(١٢) الفتح (٢٩).

نقاش صريح:

دفع مفتريات حول السيدة نفيسة رضى الله عنها

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدى

لسيدات البيت النبوى الكريم مكانة مرموقة عند المسلمين، والحديث عنهن لابد أن يكون صحيحا ينقل عن الواقع دون افتئات لذلك كان من العجب أن يتحدث بعض المندفعين فى إحدى القنوات الفضائية حديثا لاصحة له ولا يرتكز إلى أدنى دليل، فيقول: إن السيدة نفيسة رضى الله عنها ليست صاحبة المشهد الموجود فى مسجدها وإنما هى السيدة نفيسة المرادية زوجة مراد بك، وقد غلط العامة فنسبوا الضريح للسيدة نفيسة وشاع هذا الوهم، ثم يعلن أن الأستاذ إحسان عبد القدوس قد قرر ذلك من زمن بعيد. وأنا أعلم أن الأستاذ إحسان عبد القدوس، رحمه الله، قصاص وروائى ويكتب أحيانا فى السياسة ولا صلة له بالبحوث التاريخية فكيف قرر ذلك ومتى؟ ومضت مدة شهرين وأنا أطيل البحث عن المقال المشار إليه، وأسأل من أتوسم فيه الاطلاع حتى أخبرنى أحد الأساتذة الأجلاء بأن لديه المقال الذى نشره الأستاذ إحسان عبد القدوس إذ احتفظ به منذ قرأه فى مجلة الإثنين بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٧م وقد سارعت بالاطلاع عليه فوجدته يقول:

«إن صاحبة الضريح المعروف باسمها والذى يحج إليه آلاف المصرين يتمسحون بجدرانه ويقرءون الفاتحة أمام الجثمان الطاهر طالبين من صاحبته أن تشفع لهم عند الله، السيدة نفيسة صاحبة هذا الضريح ليست من سلالة النبى محمد كما يظن الكثيرون، ولم تكن فى حياتها من المتفرغات لشئون الدين، ولكنها زوجة مراد بك أحد زعيمى المماليك اللذين حاولا صد نابليون، والتحما مع جيشه فى موقعة إمبابة. هذا ما ذكره الأستاذ إحسان عبد القدوس وقد أخبرنى الأستاذ الفاضل صاحب هذه القصاصة أنها أحدثت استنكارا وقد رد عليها الباحثون فى حينها بما يثبت خطأها الصريح واعتذر الأستاذ إحسان عن خطئه فإذا كان هذا ما وقع فعلا فلماذا يحاول هذا المتحدث على الشاشة أن يعيد الخطأ من جديد؟ وإذا كان يتحدث عن خرافات بعض العامة الخاصة بزيارة الأضرحة والتبرك بها فما صلة السيدة نفيسة بهذه الخرافات حتى يأتى اسمها وتاريخها على لسانه فى حديث ملىء بالأخطاء وبما أن بعض السامعين للحديث قد يكونون على غير دراية بخطأ المتحدث فأنا أحاول أن أقوم برد حاسم يكشف الزيف الصريح.

تاريـــخ السـيدة نفيســـة

ليست حياة السيدة نفيسة ـ رضى الله ـ عنها بالمجهولة حتى نفترى عليها الأقاويل ولكن عشرات الكتب التاريخية تحدثت عنها، وندع الكتب الصوفية جانبا الآن ونشير إلى الكتب التاريخية الصادقة ذات الثقل العلمى لدى الباحثين فنذكر أن كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، وكتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى، وكتاب البداية والنهاية لابن كثير، وكتاب الكواكب السيارة لابن الزيات، وكتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى، وكتاب حسن المحاضرة للسيوطى، وكتاب شذرات الذهب لابن العماد، هذه الكتب جميعها افاضت فى حديثها فأوضحت كيف نشأت بالمدينة وانتقلت إلى مصر فاستقبلت أحسن استقبال ثم دفنت فى قرارها القائم الآن بالحى المشهور باسمها، وبما أن ابن خلكان هو أقدم هؤلاء جميعاً، وكلهم قد ورد مورده واستقى من مائه فإننى أنقل هنا ما قاله فى الجزء الخامس صـ ٥٦، ط سنة ١٩٤٩ عن الطبعة التى قام بنشرها وتحقيقها شيخنا الأستاذ محمد محيى الدين عبدالحميد.

نص ابن خلكان ببعض التلخيص

دخلت السيدة مصر مع زوجها إسحق بن جعفر الصادق ـ رضى الله عنه ـ وهى من النساء الصالحات التقيات ويُروى أن الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ لما دخل مصر حضر إليها وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد كبير ولما توفى الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ أدخلت جنازته إليها، وصلت عليه فى دارها وكانت موضع مشهدها اليوم ولم تزل به إلى أن توفيت فى رمضان سنة ٢٠٨هـ، ولما ماتت عزم زوجها إسحق بن جعفر الصادق على حملها إلى المدينة لتدفن هناك، فسأله المصريون بقاءها عندهم فدفنت فى الموضع المعروف الآن بين القاهرة ومصر وقبرها معروف بإجابة الدعاء عنده وهو مجرب ـ رضى الله عنها ـ وقد زاد شمس الدين محمد الزيات مؤلف كتاب الكواكب السيارة وهو من علماء القرن التاسع الهجرى فقال فى صـ ٣١ وما بعدها ما ملخصه: «مما لم يذكره ابن خلكان هى السيدة العالية القدر الرئيسة ابنة الإمام الحسن الأنور ابن زيد ابن الإمام الحسن السبط وهناك إجماع على أنها ولدت فى مكة ونشأت بالمدينة وكانت لها صحبة بكثير من النساء اللاتى عشن مع الصحابيات أو سمعن عنهن أو تلقين العلم عن طريقهن» وقد قالت خادمتها السيدة زينب بنت يحى المتوج «خدمت عمتى نفيسة أربعين سنة فما رأيتها تنام الليل وكانت تحفظ القرآن وتفسيره»

كـــلام مـــؤرخ معاصـــر

أما الأستاذ أحمد رمزى بك صاحب كتاب «منادمة الماضى» فقد قال عن السيدة نفيسة:

«كان الإمام الشافعى يؤم صفوف الناس فى الصلاة بالمسجد العتيق وكانت السيدة نفيسة تحضر صلاته فى شهر رمضان وتقف وراء الصفوف لتصلى خلفه وحين انتقل الإمام إلى جوار ربه حزنت مصر جميعها عليه وسارت

جنازته من المسجد العتيق مسجد سيدنا عمرو ابن العاص فمرت بالمنزل الذى كانت تقيم به السيدة نفيسة فصلت عليه ثم سارت جنازته إلى المكان الذى دفن فيه» وقد كانت ذات مال وجاه فأخذت تواسى الناس وتشملهم ببرها وعطفها، وكانت عابدة وزاهدة وقد زار مشهدها الرحالة ابن جبير وتحدث عنها كما زار مشهدها الرحالة ابن بطوطة، وتحدث عنها، وتعرض الأستاذ رمزى إلى بناء مسجدها فذكر أن الولاة تعهدوه بالرعاية حتى جاء السلطان المنصور سيف الدين قلاوون فأنشأ قبة عالية فوق الضريح وعين أشهر علماء مصر للخطابة فى المسجد ابتداء من سنة ٧١٤هـ وحضر الاحتفال به الخليفة المستكفى بالله وكثير من الأمراء.

والد السيدة نفيسة

أما الإمام الحسن بن زيد والد السيدة التى نشأت فى حجره الكريم فقد كان واليا على المدينة من قبل أبى جعفر المنصور وأقام بالولاية مدة خمس سنين ثم غضب عليه المنصور فعزله واستصفى كل شىء له وحبسه فى بغداد فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور وولى ابنه المهدى مكانه فأخرجه من محبسه ورد عليه كل شىء ذهب له وكان الحسن عطوفا محسنا يتجاوز عن السيئات، ويعفو عمن هجاه طمعا فى صلاح حال خصومه ومن هؤلاء أبوعاصم الأسلمى فقد قال فى الإمام ما يكره ثم وفد عليه متنكرا فى زى الأعراب فأنشده قصيدة قال فيها:

ستأتى مدحتى الحسن بن زيد
وتشهد لى بصفين القبور
قبور لم تزل مذ غاب عنها
أبو الحسن تعاديها الدهور
قبور لو بأحمد أو على
يلوذ مجيرها حمى المجير
هما أبواك من وضعا فضعه
وأنت برفع من رفعا جدير

فتبسم الحسن وقال له: حياك الله، وبسط له رداءه وأجلسه عليه، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فهذه السماحة التى بدت من الحسن مع هاجيه وثالبه انتقلت إلى كريمته السيدة نفيسة، وهذا الجود بالمال الكثير ورثته عنه أيضا إذ تحدث أصحاب المناقب عن مآثر خالدة لها فى هذا المضمار وهى بعد هاشمية نبوية علوية.

علم وسلوك

كانت السيدة نفيسة عالمة فقيهة تسأل فى الأمور الدينية فيما يتعلق بالرجال والنساء معا، فتجيب إجابة شافية، وقد كان الوالى يقع فى بعض المظالم فيشتكى إليها الناس فتتعرض له فى موكبه حين يذهب لصلاة الجمعة وقد سعى الساعون عليها فى بيت الخلافة فصودرت أموالها فى مصر وأراد أحد الموسرين أن يعوضها فرفضت رفضا صريحا وقالت: «نحن من معشر لانقبل الهبة والصدقة ولو كانتا فى مظهر المودة الخالصة اتقاء للشبهات» ولما أحست بدنو أجلها بنت

قبرها بيدها فى درب السباع وهو مكان المسجد الآن وأخذت تنزل فيه كل يوم وتقرأ جزءا كبيرا من القرآن الكريم، ثم فاضت روحها الكريمة فى أوائل شهر رمضان فاجتمع الناس لتشييعها فى محفل كبير وتقدم الوالى المشيعين وجعلوا يقرءون القرآن مترحمين.

السيدة نفيسة المرادية

أما السيدة نفيسة المرادية التى ذكر الأستاذ إحسان عبدالقدوس أن الضريح ضريحها فتاريخها معروف، رواه الجبرتى بإفاضة، لأنها كانت زوجة الحاكم مراد بك ومن ثم سميت بالمرادية، وقد لخص الأستاذ محمود الشرقاوى ما كتبه الجبرتى فى الجزء الأول من كتابه (مصر فى القرن التاسع عشر) وأنقل هنا ما قاله الأستاذ الشرقاوى سكرتير تحرير مجلة الأزهر الأسبق فى كتابه القيم حيث قال صـ ١٦٦ من الطبعة الأولى ما ملخصه:

« كانت السيدة نفيسةالمرادية من جوارى الجراكسة وذاع صيتها حينما اختارها مراد بك من الجوارى لتكون موضع رعايته الخاصة فأصبحت زوجة حرة وكانت تعرف القراءة والكتابة على غير عادة الجوارى فى هذا العصر ولما دخل نابليون القاهرة غازيا تحدث الناس بمكانتها لديهم فلم يشأ أن يصادر أموالها ودعا إلى احترام حياتها الخاصة وأهداها ساعة ذهبية ثم لاحظ تعاطفها مع أبناء الشعب المعارضين لسياسته فاضطر إلى مصادرة أموالها واعتقلها وفرض عليها الضرائب الفادحة، وكانت هى الوحيدة التى تعارض زوجها مراد بك فيما يأتى من المظالم الفادحة وخاصة مصادرة أموال المصريين، وقد فرض الفرنسيون على نساء البكوات من الأمراء نصف مليون فرنك فقدمت السيدة نفيسة الساعة الذهبية التى أهداها لها نابليون عند نزوله القاهرة استرضاء لها كى لا تؤلب عليه الجماهير قدمت الساعة كبعض ما فرضه من الغرامة فقدرت بأربعة وعشرين ألف فرنك وقد تأثر نابليون بشخصيتها الجريئة حتى إنه بعث بعد خروجه من مصر وبعد أن أصبح إمبراطوراً إلى قنصل فرنسا بمصر يوصيه أن يبذل جهده فى حمايتها من الوالى التركى الذى شاء أن يستصفى أموالها وكان أحمد باشا خورشيد أشد الولاة الأتراك قسوة عليها ولكنها لم تذعن لأمره ووقفت صامدة فى وجهه وقد جابهته بقولها: « إن الفرنسيين وهم أعداء البلاد لم يمسوها بسوء فكيف يعاقبها دون جريرة » وقد ذهب إليه عمر مكرم والشيخ السادات والشيخ الأمير للشفاعة فى أمرها وخاطبه الشيخ الأمير خطاباً شديداً ونفر من مجلسه غاضباً فتخوف رشيد من ثورة العلماء وأذن للسيدة أن تبقى فى منزل الشيخ السادات مكرمة دون أن تحبس فى مكان خاص وجاء محمد على فواصل الاضطهاد واستأصل أموالها فماتت عجوزاً فقيرة بعد أن كانت ملكة مصر وكانت وفاتها فى آخر أبريل سنة ١٨١٦ ودفنت فى مكان غير معروف للآن. وواضح من سيرتها الكريمة أنها لاتمت بسبب إلى السيدة نفيسة وأن دفنها بالمسجد أسطورة لا ندرى كيف اخترعها أو قبلها الأستاذ إحسان عبدالقدوس. إن الحق حق ويجب على الذين يتحدثون عن الفضلاء ألا يرجموا بالغيب وألا يكرروا ما ثبت بطلانه من الأراجيف.

تحريم أكل الميتة وأخواتها فى ضوء العلم الحديث

للأستاذ الدكتور / عفيفى محمود عفيفى

التسليم المطلق هو آية صدق الخضوع للدستور: «إفعلْ... ولا تفعل»، الذى كثيراً ما يصطدم بأهواء النفس البشرية وفى مقدمتها اشتهاء الطعام، وقد تميز الإسلام عن الأديان السابقة بوضع الحدود العامة للمباح وغير المباح فأحل لأتباعه الطيبات وحرم عليهم الخبائث.. ولله فيما حرم علينا حكمة عليا شاء أن تظل بالنسبة لمداركنا مثل جبل الجليد العائم فى المحيط: لا يبدو لأنظارنا منه إلا جزء صغير قد لا يتجاوز العشر هو الذى نُعمل عقولنا فى دراسته على ضوء معطيات العلم الحديث، أما الأعشار التسعة الباقية - وهى الغائصة تحت السطح.. فتمثل الجانب التعبدى الذى تتوقف أفهامنا أمامه عاجزة، وكل ما نملكه هو الاحتراس من أن ترتطم به سفينة الفكر فتتعطل عن مواصلة رحلتها فى بحر المعرفة...

تعريف علمى موجز

● تتصدر الميتة قائمة الخبائث التى حرَّم الله أكلها على الإنسان، ونصّت عليها آيات قرآنية عديدة أشملها ما جاء فى سورة المائدة التى يستهلها الحكيم العليم بقوله:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾(١).

وبمقارنة هذه الآية بنظائرها يتضح أنها تنفرد بذكر خمس محرمات هى: المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطحية، وما أكل السبع وتجمعهن بالميتة طبيعة بيولوجية مشتركة دعت إلى اعتبارهن

(١) المائدة «٣».

أخوات لها، واتخاذهن موضوعاً لدراسة مستقلة تهتم - في المحل الأول - بتوضيح أحد جوانب الحكمة من تحريمها وهو تجنب ما يعود على آكلها من ضرر، قد يعين على فهمه هذا التعريف البيولوجي الموجز:

● **الميتة**: هي ما فارقت روحها جسمها قبل أن يسيل منه الدم، وهي في ذلك تختلف عن الذبيحة وعن صيد البر حيث يكون الإدماء سابقاً لخروج الروح أي سبباً للموت.

● **المنخنقة**: هي التي تحرم من مواصلة التنفس بأن يحبس عنها الأكسجين سواء بسدّ منافذ دخوله جسمها، أو بحبسها هي في مكان غير متجدد الهواء إلى أن ينفد ما به من أكسجين أو يتشبع بهواء زفيرها، وهذا ينطبق أيضاً على الأحياء المائية إذا ركد الماء الذي تعيش فيه أو زاد تركيز الملوثات فيه متجاوزاً حدود الأمان.

● **الموقوذة**: هي المضروبة بأداة غليظة أو ثقيلة وغير حادة بحيث لا تجرح، وبخاصة في المواضع القليلة اللحم حيث يؤدي الضرب إلى احتباس الدم الوريدي الفاسد، وعلامة ذلك حدوث كدمات يكتسب الجلد فيها لوناً أزرق يتحول إلى الطوبي المحروق.

● **المتردية**: التي تسقط من مرتفع وهي لا تحسن الطيران فيرتطم جسمها بسطح صلب، وهذا يؤدي إلى حدوث السكتة (القلبية أو الدماغية)

● **النطيحة**: التي تشرف على الموت بعد معركة مع غريم من ذوات القرن، والنطح أشد صور الوقذ

● **ما أكل السبع**: السبع هو كل حيوان مفترس (أي يأكل اللحم حياً)، وتندرج تحته أنواع الطيور الكواسر كالصقور، أما ما يأكل الجيفة (لحم الميتة) فليس من السباع ولو كان ذا أنياب، والمقصود بالأكل هنا: الشروع فيه، فإن بدأ فالمقصود توقفه قبل قتل الفريسة.

اجتماع السكتتين والموت الشرعي

إلى وقت قريب كان الطب يعتمد في تشخيص حالات الوفاة على علامات ظاهرة مثل سكون النبض وبرودة الجلد وانعدام الحس والعجز عن الحركة وعن البلع والتنفس، ثم حدث تقدم في هذا المجال واستحدثت معايير تشخيصية دقيقة تعتمد على تحليل رسم نبض القلب Cardiograph، ورسم نشاط العضلات Myograph ونشاط الدماغ (المخ) Cephalo-graph ولكل هذه المعايير أهميتها التشخيصية في الحكم - إكلينيكياً - بوقوع الوفاة (أو النفوق).

● ومهما بلغ علمنا بالأسباب المؤدية إلى الموت فإن سببه المباشر - وهو مفارقة الروح الجسد - سيظل سراً مغلقاً يستعصي فهم كنهه علينا، وغاية ما يمكن لعلم البيولوجيا قوله: إن الموت مقرون بتزامن العجز الوظيفي الشامل لكل أعضاء الجسم مع اجتماع حدوث السكتة القلبية والسكتة الدماغية، بصرف النظر عن الترتيب لأن كلاً منهما تؤدي إلى الأخرى فوراً، فلو كان البدء بالسكتة القلبية لحرمت كل أعضاء الجسم من وصول الدم إليها حاملاً المواد النافعة، ومن مغادرتها بعد غسلها من المواد الضارة، وأسرع الأعضاء تأثراً بهذا الحرمان هو المخ أو الدماغ الذي يتوقف بمجرد توقف القلب وهكذا تجتمع السكتتان؛ ولو كان البدء بالسكتة الدماغية لتوقف الدماغ عن بث الومضات العصبية اللازمة لحفز أي عضو لممارسة وظيفته، وأسرع الأعضاء تأثراً بهذا هو القلب الذي يتوقف فوراً بمجرد توقف الدماغ وهكذا تجتمع السكتتان أيضاً... وأيا ما كانت السكتة

القادمة منهما على أختها فإن اجتماعهما يؤدى فى لحظات إلى العجز الشمولى لكل أعضاء الجسم، وهو الذى يعوِّل عليه الطب الشرعى فى الحكم بحدوث الوفاة بالنسبة للإنسان والنفوق بالنسبة للبهائم.

طبيعة فساد لحم الميتة

● أهم ما يستهدفه الطاعم من جسم البهيمة هو لحمها، وأية قطعة لحم تتألف من حزم من الألياف العضلية التى هى فى الحقيقة خلايا حيّة من نوع خاص يؤهلها كبر حجمها وانسياب طولها ومتانة غشائها الحسى أداء مهمتها فى حمل ثقل الجسم وتحريكه.. وهى وظيفة شاقة تحتاج إلى طاقة كبيرة وبخاصة فى الحيوانات البرية الكبيرة الحجم... ولهذا فإن لحوم هذه الحيوانات - وبخاصة القطع الحمراء فى الأفراد الكبيرة السن - تتخللها الشعيرات الدموية بغزارة أكثر من غيرها، وذلك لإمدادها، بما يكفيها من المواد الغذائية البانية والمولدة للطاقة ومن الأكسجين اللازم لإطلاق الطاقة منها... وكذلك ليتمكن تيار الدم من غسل هذه الخلايا مما يتولد فيها.. نتيجة لنشاطها الزائد - من مواد ضارة فى مقدمتها البولينا وحمض اللكتيك وثانى أكسيد الكربون.

● وعندما تموت البهيمة يحتبس الدم فى الشعيرات فيتوقف إمداد الخلايا - بما فيها الألياف العضلية بالمواد النافعة كما يتوقف تصريف ما تتولد فيها من المواد الضارة.. ويزداد الأمر سوءاً بفقد أغشية الشعيرات الدموية وأغشية الخلايا قدرتها على التعرف على هوية الجزيئات الملامسة لها، وبهذا تعجز عن التحكم فى مرورها بين الدم والخلايا فى الاتجاه الصحيح الذى يحقق مصلحة الخلية.. ونتيجة لهذه «الفوضى المرورية» يفرغ الدم ما به من مواد ضارة (مصدرها غسل الأنسجة التى سبق المرور عليها).. يفرغها فى الألياف العضلية، فتتراكم فيها - وفيما بينها - هذه المخلفات بدرجة متزايدة تصل إلى درجة السُمِّيَّة Toxicity

● وتمتد الآثار الضارة لتشمل مادة الخلية نفسها، وهى السيتوبلازم المكون من المغذيات الأساسية التى كانت طوال حياة الخلية محصنة ضد الفساد الكيميائى والميكروبى بفعل ما كان يتكون فى تيار الدم الجارى وفى السيتوبلازم من مواد واقية ومضادات للميكروبات يتوقف تكوينها بعد الموت فتتحول مكونات السيتوبلازم من مواد نافعة كغذاء للإنسان إلى مواد لا تصلح إلا غذاء للميكروبات الضارة التى تنمو وتتكاثر بمعدلات رهيبة، وتتزايد إفرازاتها السامة وتسرى فى كل أنسجة جسم الميتة - وفى مقدمتها اللحم، وضررها لا ينفع معه الطهو الذى ثبت أنه يقتل الميكروبات ولكنّه لا يبطل سُمِّيَّة إفرازاتها.

● وهنا قد يثور سؤال: إذا كان خبث لحم الميتة سببه موتها فلماذا لا يعد من الخبائث أيضاً لحم الذبيحة علماً بأنها - هى أيضاً - تفارقها الروح قبل إعدادها للطعام؟ والجواب عن هذا التساؤل هو: أن السبب المباشر للموت (وهو اجتماع السكتة القلبية مع السكتة الدماغية) فى حالة الذبيحة لا يقع إلا بعد الجرح والإدماء بفترة زمنية يواصل فيها الدم غسل الأنسجة (ومن بينها اللحم) حاملاً أدرانها فى اتجاه مكان قطع الأوردة، كما تظل العضلات قادرة على الاختلاج والتقلص وهذا يعمل على «اعتصار» الشعيرات الدموية التى تتخلل اللحم وتصفيتها من بقايا الدم الوريدى (وهو أول مصادر الفساد)، وبهذا تتم تذكية البهيمة على النحو الذى سيأتى شرحه بعد قليل.

المنخنقة وأخطار نقص الأكسجين

● لا يجهل أحد أن استمرار الحياة متوقف على مواصلة التنفس، ولكن علينا ألا ننسى أن التنفس الفعلى إنما هو عملية كيموحيوية تجرى داخل الخلايا، وأنها لا تتم على وجهها الصحيح إلا بالأكسدة الكاملة، لعنصر الكربون (الموجود فى جزيئات المواد الغذائية)، أى تحويله إلى ثانى أكسيد الكربون الذى يسر الله على كل الأعضاء سبيل التخلص منه أولاً بأول.

● ولكن فى حالة الاختناق (يرجى مراجعة التعريف فى صدر المقال) تنقص كمية الأكسجين فى هواء الشهيق ويتأخر وصوله إلى الخلايا، وهذا يؤدى إلى وقوع سلسلة من الأحداث المتصاعدة الأخطار هى فى مجملها:

١ـ تناقص إمكانية استفادة الخلايا من الطاقة الكامنة فيما يدخلها من مواد غذائية نتيجة لتوقف أكسدتها عند مرحلة أول أكسيد الكربون، وهو غاز يصعب على الجسم التخلص منه، بل إنه يلتحم بمجرد تكوينه بمادة هيموجلوبين الدم فتضعف قدرتها على اقتناص الأكسجين من هواء الشهيق، فتزداد حدة الاختناق زيادة مطردة إلى أن تتلاشى إمكانية إطلاق الطاقة.

٢ـ والخطر الثانى لنقص الأكسجين هو تحلل مادة الخلية (السيتوبلازم) عن طريق الهضم الذاتى Autolysis، فقد كشف المجهر الإلكترونى عن أن فى كل خلية عدداً مناسباً من الحويصلات الدقاق (تسمى الـ «ليزوزومات Lysosomes») وأثبت علماء بيولوجيا الخلية أن وظيفتها هى هضم المواد الغذائية التى تدخل الخلية كخطوة تمهيدية لإطلاق ما بها من طاقة عن طريق الأكسدة، وقد أودع الله سبحانه ـ فى أغشية هذه الحويصلات خاصية التعرف على «هوية» ما يلامسها من جزيئات المواد، وبهذا تفرز الحويصلة المختصة ما بداخلها من إنزيم نوعى بالقدر المناسب وفى الوقت المناسب، وتظل الأمور سائرة على الوجه الصحيح مادام إمداد الخلايا بالأكسجين يتم بانتظام.. أما عند الانخناق فإن أغشية الليزوزومات تفقد قدرتها على التحكم فى إطلاق ما بداخلها من إنزيمات، ويلى ذلك انفجارها بصورة جماعية، وبذلك تزيد كمية الإنزيمات فى السيتوبلازم فجأة على ما فيه من مواد غذائية، فلا تجد الإنزيمات الزائدة أمامها ما تهضمه إلا مادة الخلية نفسها، وتكون هذه هى بداية تحلل الجسم بفعل الميكروبات، وبخاصة البكتريا اللاهوائية التى تبدأ مزاولة نشاطها فى تحليل المواد الكربوهيدراتية بعد غياب الأكسجين الذى هو العدو الأكبر لهذه البكتريا.

٣ـ والخطر الثالث هو تكوين الخمر فى أنسجة جسم البهيمة نتيجة لاستمرار عملية تحليل الكربوهيدرات لا هوائياً إلى آخر مراحلها حيث يتكون الكحول؛ فإذا لم نبادر بإسعافها بالتهوية الجيدة (ثم بتذكيتها قبل موتها) سرت هذه المادة المسكرة فى كل جسمها واجتمعت فى لحمها حرمة الخمر إلى حرمة الميتة.

وباقى الأخوات على أعتاب الموت

● بعد المنخنقة ترد فى الآية الثالثة من سورة المائدة أربع محرمات أُخر: هن الموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع (يرجى مراجعة التعريف فى صدر المقال)... ولحوم هذه البهائم عرضة

للفساد المؤدى إلى التحريم من عدة مصادر نذكر منها:

١- احتباس الدم الوريدى فى مواضع الكدمات وتجلط ما يسيل من الدم الشريانى فى حالة حدوث نزيف داخلى (وقد سبق شرح طبيعة الفساد الناتج عن ذلك).

٢- اختلال عمليات الأيض والتمثيل الغذائى، والنتيجة هى حدوث تغيرات كيمائية(٢) فى المواد الغذائية الأساسية الموجودة فى اللحم، وتحولها من مواد نافعة لآكليها إلى مركبات يصل ضررها إلى درجة السُّمِّية.

٣- التلوث الميكروبى وقد سبق التعريف بمصادره الداخلية عند الحديث عن فساد لحم الميتة والمنخنقة، ويضاف هنا المصدر الخارجى، وهو وارد فى الحالات الثلاث الأولى من هذه المجموعة إذا حدثت فى الجلد تمزقات من أى نوع، بل هو مؤكد فى الحالة الرابعة نتيجة لإنشاب السبع مخالبه، وأنيابه فى جسم الفريسة، ويزداد التلوث باستمرار تعرضها للعراء.

● والأمر الجدير بالبيان هو أن معظم التغيرات المؤدية إلى فساد اللحم فى هذه الحالات الأربع إنما تحدث نتيجة لاختلال التوازن الهرمونى المصاحب لحالة المعاناة التى تسيطر على البهيمة، وأوضح مظاهر هذا الاختلال هو الارتفاع المفاجئ والكبير فى منسوب هرمون الـ «أدرينالين» الذى أطلق عليه اسم «هرمون الفاءات الثلاث» لارتباط زيادة إفرازه بثلاث ظواهر سلوكية تبدأ بحرف «ف» هى: الفزع، والفرار والفتك.

● هذه الأخطار - بالإضافة إلى ما سبق ذكره فى حالة المنخنقة - هى أهم دواعى فساد لحم البهيمة على النحو الذى سبق توضيحه فى حالة الميتة، مع فارق دقيق هو أن الفساد فى حالة الميتة يكون قد بلغ غايته التى عندها وجب تحريم لحمها... أما المنخنقة وباقى الأخوات الواقفات على أعتاب الموت فإن الأمل فى درء فساد لحومهن مازال قائماً مادامت أنفاس البهيمة تتردد وقلبها ينبض، وذلك بالتذكية التى تمنع عبورها ذلك الخط الدقيق المؤدى إلى دائرة التحريم.

التذكية: ميقاتها وأركانها وآدابها

● التذكية - كالتزكية - لفظ متعدد وجوه المعنى، والوجه الرئيسى لمعناه: التطهير من الخبث؛ والخبث هنا هو الدم الذى يأتى ذكره بعد الميتة مباشرة فى جميع النصوص القرآنية الخاصة بالأطعمة المحرمة، وأشهر هذه النصوص الآية الثالثة من سورة المائدة؛ والذى يتدبر هذه الآية يتبين أن الكلام عن التذكية منصب على خمس محرمات هن: المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطحية، وما أكل السبع، وبالرجوع إلى التعريف العلمى فى صدر المقال يتضح أن الحالة الخامسة تحتاج إلى توضيح إضافى: هو أن معظم الحيوانات المفترسة تخاف الإنسان بدليل أنها إذا رأته مقبلاً عليها (وبخاصة إذا كان يحمل سلاحاً) فرّت هاربة تاركة فريستها بين الحياة

(٢) أهم هذه التغيرات: الـ «نزمنة» Deamination (بالنسبة للبروتينات) والتزنخ Roncidity (بالنسبة للدهون) والتخمر الكحولى Alcoholic Fermentation (بالنسبة للكربوهيدرات).

والموت، . . . وهكذا تبقى الفرصة سانحة لتذكيتها . . أما إذا أجهز عليها الوحش فإن فرصة تذكيتها تنعدم لأنها صارت ميتة مقطوعاً بتحريمها .

● وميقات التذكية هو قبل حدوث السكتة القلبية ولو بدقائق، ويمكن التأكد من صحة الميقات بعلامات محسوسة أسهلها اختباراً: تردد أنفاس البهيمة . . والحرص على دقة الميقات واجب لأن استمرار نبض القلب ضرورى لمنع احتباس الدم، فهذا الاحتباس ـ يحول دون إمكان أداء التذكية على وجهها الصحيح .

● والركن الأعظم للتذكية هو إراقة دم البهيمة، ولأدائه تجب المبادرة، بقطع أحد أوردتها الرئيسية[٣] على أن يكون ذلك مقروناً (أومسبوقاً) بذكر اسم الله (ويفضل بصوت مسموع) . . . وقد يسر الله هذا الأمر بأن جعل هذه الأوردة ممتدة فى مكان سطحى ظاهر على جانبى الرقبة (تحت الجلد مباشرة)، ويساعد فى انبثاق الدم منهما تدليك جسم البهيمة بدءاً من موضع القلب وفى اتجاه مكان الجرح إلى أن يتوقف تقاطر الدم، مع الحرص على غسل ما يتجمد أولا بأول كيلا يسد الجرح (وحبذا غسل سائر بدن الذبيحة بعد سلخها) .

● وللتذكية آداب كان نبىّ الإسلام ﷺ يحرص عليها ويوصى صحابته بالالتزام بها ومنها : التلطف فى إبعاد البهيمة عن رفيقاتها، وتحاشى شحذ السكين على مرأى منها (بل ولا على مسمع منها)؛ وإراحتها على جنبها (والأيمن أفضل)، وعدم وضع القدم عليها لمنعها من الإفلات، ولا شك فى أن الالتزام بهذه الآداب يوفر للبهيمة من الطمأنينة ما يجعلها تستسلم دون أدنى مقاومة، كما يجنبها أسباب الذعر الذى تتعرض له المتردية والنطيحة وباقى أخواتهما، وفى ذلك محافظة على التوازن الهرمونى الذى أشرنا إليه، وإغلاق لأهم أبواب التلوث الكيميائى لأنسجة الجسم ومنها اللحم .

استثناءان من تحريم الميتة

أولهما : السمك والجراد، وذلك بنص الحديث النبوى الصحيح : « أُحل لأمتى ميتتان ودمان : سمك وجراد، وكبد وطحال » .

وهذا الاستثناء ليس إباحة مشروطة بالاضطرار، وإنما هو حل مطلق نابع من طبيعة الحالة المستثناة، وفى الوقت ذاته لا يتعارض مع المبدأ الإسلامى العام وهو : تحريم الخبائث .

● فالسمك ـ بحكم كونه حيواناً مائياً ـ لا يستطيع التنفس فى الهواء الجوى، بل إنه يختنق بمجرد خروجه من الماء ولا يلبث أن يموت بعد وقت قصير لا يكفى لمجرد نقله إلى حيث يتم حفظه أو إعداده للأكل . . ومن هنا فلا مفر من أكله ميتاً . . ولا ضرر فى ذلك إذا تم قبل أن يدركه الفساد، ومصدره الأول هنا خارجى (خلافاً لما ذكرناه عن الميتة وأخواتها من حيوانات البر وهو أن فساد لحومها يبدأ من داخل أجسامها وبالأخص من الدم الجارى فى عروقها) .

---

(٣) نوصى المستزيد بمراجعة مقال «الذبح والنحر» المنشور فى عدد ذى الحجة ١٤٢٢ من مجلة الأزهر.

● وإباحة أكل السمك ميتاً تنسحب على سائر أنواع الحيوانات البحرية من غير ذوات الرئتين، ويمكن الاستدلال على ذلك من قوله تعالى فى سورة فاطر:

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾(٤).

● وإشادة الله فى قرآنه بطراوة لحوم صيد البحر نابعة من علمه - وهو الذى خلقها - بأفضليتها على لحوم صيد البر، وهى أفضلية لا تقتصر على سهولة طهوها ومضغها وهضمها، بل تتجاوز ذلك إلى زيادة محتواها من العناصر المفيدة وفى مقدمتها الفوسفور اللازم لسلامة الأعصاب، واليود اللازم لإتمام عمليات التمثيل الغذائى، يضاف إلى ذلك قلة محتواها من مادة الـ « كولستيرول » المسببة لتصلب الشرايين ومن مادتى البولينا وحمض اللكتيك اللتين تتراكمان فى لحوم الماشية نتيجة للجهد العضلى الكبير فى تحريك الجسم ضد اتجاه الجاذبية الأرضية، بينما فى حالة أحياء البحر تكون قوة دفع الماء إلى أعلى وتياره إلى الأمام عاملاً مهماً فى تخفيف العبء عن العضلات، ولهذا فإن لحومها لا يتخللها الدم الذى هو المصدر الرئيسى للتلوث الداخلى فى الحيوانات البرية كما عرفنا.

● وإذا كان الحديث النبوى الشريف لم يذكر من الأحياء المائية إلا السمك فذلك لكونه أكثرها تداولاً كطعام، فضلاً عن كونه نموذجاً جيداً لتوضيح الحكمة فى الاستثناء من التحريم: ذلك أن شبكة الشعيرات الدموية للسمكة تتمركز فى خياشيمها وهى جزء غير مرغوب فيه كطعام، ويسهل نزعه مع الرأس واستبعادهما (وحبذا أن يتم ذلك قبل تعليب الأسماك أو حفظها بالتجميد ونحوه).

● **والميتة الثانية المستثناة من التحريم**: هى الجراد، والمقصود على الأرجح هو تلك الحشرة الكبيرة الأصبعية الشكل التى كثيراً ما نشاهدها تتنقل بين المزروعات قفزاً وبين الحقول طيراناً، ومطعمها طيب فهى لا تأكل إلا المواد النباتية، ومنها أنواع تتجمع موسمياً فى أسراب كبيرة العدد، وتطير عابرة البحار أياماً عديدة متصلة إلى أن يغلبها الإعياء فتتساقط وهى بين الحياة والموت، فيجمعها البدو ويأكلونها مشوية، فهى بذلك تسد فجوة نقص البروتين الحيوانى فى بقاع يندر فيها الكلأ لرعى الماشية، وتكاد تخلو من المسطحات المائية الصالحة لتكاثر الأسماك.. ودم الجرادة لا يتجاوز بضع قطرات تكاد تكون محصورة فى أنبوب دقيق ممتد بطول الظهر ينفصل عن الجسم بكل سهولة عند نزع قشرته الخارجية.

● إن فى إباحة أكل الأحياء المائية والجراد بعد موتها لدليلاً على رحمة الله بعباده، وقد نوّه القرآن عن بعض جوانبها، ثم كشفت عن المزيد منها سنة نبى الإسلام عندما صرح لأتباعه بما علمه الله الذى أسبغ عليه اثنتين من صفاته هما الرأفة والرحمة، وشهد له بأنه لا ينطق عن الهوى:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾.(٥)

---

(٤) فاطر « ١٢ ».

(٥) النجم « ٤ ».

الشاعر الإسلامى

محمد عبد الرحمن صان الدين في رحاب الله

للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

مـــثلمـــا يـنداح لألاء القـــمـــر

فى مـــحـــاق.. ليس يبـــقى أو يذر

مـثلمـا تصـفـر أوراق الشـجـر

كـــهـشـيم.. بيـد الريح انـتـشـر

مـــثلمـــا يرفض عِـــقْـــدٌ للدُّرر

شع إشـــــراقـــا.. وولى واندثر

.. هكذا يمـضى «صـفـيى» للحـفـر

دون ريـــث أو أنـــاة.. تُـــنـــتـــظـــر

هكذا شاءت رحمة الله - تعالى - أن تستأثر بالشاعر الإسلامى الكبير محمد عبدالرحمن صان الدين، فى صباح يوم الإثنين الموافق الخامس من شعبان - الثانى والعشرين من أكتوبر سنة ٢٠٠١م، بعد رحلة معاناة شديدة، مع المرض الوبيل، الذى ألزمه الفراش لسنوات عديدة، وجعله غير قادر على الحراك إلا بصعوبة بالغة، وهو فى أواخر السبعينيات وأوصابها، ولكنه - رغم ذلك - ما اشتكى أمره، بل زاد إيمانا، واسترسالا فى إبداع أرق الأشعار، فى تمجيد الإسلام، ومناجاة الحياة والناس، بل والطيور أيضا، التى تخيل أن حاله من حالها، حينما لمح بعضا منها فى إطلالة له من نافذة غرفته يغلب عليه السكون والصمت العميق، فقال

لـم لا تـغـنـى يـا طـيـــــــور

لـم لا تـطيـــــــرى فى البـكـور؟

مـــــالى أراك قـــــد انـطـويـت

فـــلا رفـــيـف ولا حـــبـــور

ولا يلبث إلا قليلا، ثم يتولى هو الإجابة بنفسه عن هذه التساؤلات التى تضع النقاط على الحروف، بقوله:

الروض صـــوَّح أيكـه والماء غاض من الغدير
والجو قد ملكته أســــــراب الجوارح والصقور
والعـيش تحكمـه قـوا نين المخالـب والغـرور

وفي هذه الأبيات الرمزية، شبه إفصاح عما لاقاه الشاعر، في حياته الحافلة، المفعمة بالإحباط، الأمر الذى دفعه إلى تمزيق ما تجمع لديه من شعره الخاص، في أربعينيات حياته.. وانقطع تماما، بعد ذلك، عن قول الشعر، لفترة طويلة، تقرب من عشرين عاما، كانت كفيلة بإنضاب ينابيعه في مخيلته.. إلا أنه اندفع ذات يوم، فجأة - كما أخبرني - مترنما بالشعر العميق، وكأنه النهر الذى تدفق مزبدا، ليكتسح ما اعترض مجراه، من صخور وجنادل، قائلا:

أأفــصـــيح أم أمـــوت بما أعـــانى
وأمــــضى بين تيـــار الزمـــان
وفي قلبــــــى أناشـــيد عـــذاب
وفي الوجــــدان أبكار المعـــانى
وأطمـــر تحت أنقــاض الليـــالى
عـديم الذكـر.. مـجـهـول المكان؟

وكان هذا متوقعا من شاعر موهوب مثله، لازالت ملكة الشعر تهدر في كيانه، وتمور في وجدانه.. وإن بدا «السطح» هادئا، يقول:

وكم في القـــاع من در يتــــيم
خـــفيٍّ.. لم تلامـــســه يدان
كـــتـــمت روائع الأنغـــام دهرا
وقـــيـــدت الشـــوارد في جنانى
وعـشت كـمـا يعـيش العـمـر حينا
حليف الصـمت، مـعـتـقل اللسـان

ويختتم أبيات قصيدته تلك - وهي بعنوان «سأشدو» - بهذا البيت:

أنا في دوحــــة الدنيـــــا هزار
وهل يحــيـا الهــزار.. بلا أغــان؟!

ومهما يكن من شيء، فإن الشاعر صان الدين، كان لا يبدع شعرا أو نثرا، إلا من منطلق عقيدته الدينية الراسخة، التى جعلته يجأر بالدعاء والابتهال إلى مولاه، قائلا:

أتغـــسل كل أخطائى الدمـــوع
ويمـحـوها التـبـتل والخـشـوع؟
إذا مـــا الليـل ران على الروابى
وغـــاصت في دياجــــره الربوع

●●●

وقد عمل هذا الشاعر، بعد تخرجه في الأزهر الشريف، بالمعاهد الدينية المختلفة، إلى أن استقر به المقام بالقاهرة، ثم أعير للعمل بالكفرة بليبيا، لمدة أربع سنوات، عانى خلالها من آلام الغربة، بعيدا عن أرض الوطن، ففاضت عبراته، مع أبياته التى يقول فيها:

تعج بقلبى ضـــــروب الجـــوى
ويهــــفـــو بروحى حنين النوى
كـــأنى فطيم - قـــبـــيل الفطام -
جـــفـــتــــه المراضع حـــتى ذوى

إلى أن يقول في مخاطبة مصر:

فـأنعم بأرضك يا مـصـــر.. حـتى
ولو غـــالنى منك.. ناب الطوى!

ويحدث، في أثناء ذلك، أن يقوم أحد الليبيين بزيارة لمصر، ثم يعود بعدها، ليتحدث

مبهورا، عما شاهده فيها، بمسمع من الشاعر، فيثير كوامن أشجانه وحنينه لوطنه، فينطلق قائلا:

يا قــادمـا من أرض مـصـر بلادى
حـيـاك قلب فى الجـوانح صـاد
فـتـدان منى، قـد فـديتك، إننى
أسـتـاف منك أريج عـرف بلادى!

إلى أن يطلق الزفرة الحارة، المتمثلة فى قوله:

أواه يا مـصـر الحـبـيـبـة إننى
مـذ بنت عنك، حـرمت طول رقـادى
تا الله مـا فـتـر الحنين بمهـجـتى
كـلا.. ولا أغـفت عـيـون فـؤادى
هل كنت إلا قطعـة من أرضـهـا
أبداً تحـن لأصلهـا، وتنـادى

وبعد انتهاء فترة الإعارة، عاد إلى مصر، ثم خرج إلى المعاش، مختارا عام ١٩٨١م، للتخلص من قيود الوظيفة، والتفرغ للإبداع الأدبى، الذى ملك عليه لبه.. والطريف فى الأمر، أنه بدأ فى نشر شعره الإسلامى، لأول مرة فى حياته ينشر فيها شعره، فى مجلة «الأزهر» بصفة خاصة، ومجلات: منبر الإسلام والوعى الإسلامى، ومنار الإسلام، والأمة، والهلال، والجديد، وغيرها من المجلات الإسلامية والثقافية بمصر، والعالم الإسلامى، حينما وجد نفسه، واستطاع أن يلتقط أنفاسه اللاهثة، فى خضم الحياة، والخروج من عزلته الفكرية، وغربته الروحية، التى يصورها بقوله:

إننى أحـيـا غـريـبـا
وسـط أقـرانى وقـومى
ذاهـل عـنـهـم بـحـسـى
حـاضـر فـيـهـم.. بجـسـمى

وإذا خاطبه أحد فى طول اصطباره، وعمق إيمانه، رغم ما يلقى من جحود، أجاب:

مثمر الأشجار يرمى كل آن.. بالرجـام
هل نجا المرموق بين النَّـاس.. من رمى السهام

إلى أن يقول، بذات القصيدة التى تحمل عنوان «الخير يبتلى»، مع تغيير القافية، كل خمسة أبيات منها:

لكن الأقـدار تحـمـى من أعـاصيـر الغـوائل
وترد الفـضل أضـعـا فا.. إلى أهل الفضائل

ثم يختتم هذه القصيدة، بهذا النداء، أو الرجاء:

يا أولى النعماء كونوا - حيث كنتم - أهل جود
لا تكفوا عن فعال الخير.. حتى.. لكنود
فـزفـيـر الزهر عطر.. هكذا طبع الورود

●●●

وفى قصيدة أخرى له، بعنوان: «خذها كما هى» تتبدى لنا حنكته وخبرته بالحياة، التى ذاق حلوها ومرها طوال عمره المديد «٧٨ عاما»، وكأنه يعزينا - سلفا - عن فقدنا له، حينما اخترمته المنون، فى وقته المعلوم.. ويستهلها بقوله:

الأرض تنبت والحـدائق تثـمـر
والظل يورف، والنـسـائم تخطر
والماء يجـرى فى الجـداول سلسلا
والمزن يعـقـد فى السـمـاء ويمطر

والأرض - إن حجب الغمام غياثها -

فعيونها بنميرها تتفجر

والليل - إن أرخى السدول - فإنه

يبدى مصابيح النجوم ويقمر

كل هذا جميل، ووصف بديع لدورة الحياة.. ولكنه يمهد به السبيل، لغايته يتوخاها.. ويدخل فى صميم الموضوع، حينما يستتلى قائلا:

والرزق للأحياء يأتى غامرا

من حيث لا تدرى، ولا تتدبر

فعلام يا إنسان تركض لاهثا

بين الوعور، بظلمة.. تتعثر

تسطو على أرزاق غيرك عنوة

وتظن أنك بالغنائم أجدر!

ثم ينتهى إلى نتيجة أخرى حتمية، نستشعر وقدها ولواعجها، حينما صدمتنا منيته المباغته، إذ يقول بعد ذلك:

هل أنت فى هذى الحياة مخلد

تحيا على بسط النعيم وتخطر

أم أنت مثل الخلق تخفق برهة

حتى يوافيك الحمام فتقبر؟

ثم يعطينا الأمثلة الحية الواقعية، التى تمثل فلسفة الحياة والموت لديه، بقوله مستطردا:

يا ناقما ماذا تريد من الحيا ة، وأنت فيها قطرة تتبخر؟

أتريدها صفوا كما تهوى فلا تنتابها سحب ولا تتكدر؟

ذاك الذى ما ناله إنس، ولا جن.. له عرض الحياة مسخر

وهكذا تسلس له القافية قيادها، وتتابع الصور، بعفوية ويسر، فيقول مؤكدا على ما يذهب إليه، بثاقب فكره، وسعة خبرته، وتدفقه:

لا الحسن يبقى فى نضارة حسنه كلا ولا قبح يظل ينفر

تتقلب الأمواج فى بحر الحيا ة، وفى نهاية أمرها.. تتكسر

والصور المتحركة، والخواطر المترابطة فى هذه الأبيات، تذكرنا بقول كولردج: «ليست الصورة وحدها - مهما بلغ جمالها، ومهما كانت مطابقتها للواقع، ومهما عبر الشاعر بدقة -.. هى الشىء الوحيد الذى يميز الشاعر الصادق.. وإنما تصبح الصور معيارا للعبقرية الأصلية، حين تشكلها عاطفة سائدة، أو مجموعة من الأفكار، والصور المترابطة، وحينما تتحول منها الكثرة إلى الوحدة، والتتالى إلى لحظة واحدة.. وحينما يضفى الشاعر من روحه حياة إنسانية وفكرية»(١).

وهذا ما تحقق إلى حد كبير لصان الدين فى أبيات قصيدته تلك، دون مراء وليس المجال اليوم مجال الدراسة المتعمقة لشاعرية صان الدين، فإن مصيبتنا فيه لم تهدأ بعد، خاص وأن قوله فى استقبال الموت، مازال راسخا فى الذاكرة، وكأنه كان يتتبعه خطوة خطوة:

(١) أنظر كتاب «دراسات فى الشعر والمسرح» للدكتور مصطفى بدوى ط. دار المعرفة سنة ١٩٦٠ ص٢٧.

يا برزخ الأرواح إني قادم
كدحا إليك، وقد شددت رحالي
أواه من عمر تسرب من يدي
أواه من وزري ومن أثقالي
وسفينة الموت المحتم قد دنت
وشراعها المنشور صار حيالي
في غمضة أو شهقة، أغدو بها
في الراحلين.. أجر في أسمالي

إلى أن يخاطب «برزخ الأرواح» بقلق وخشية، وتأرجح بين اليأس والرجاء، بقوله:

أترى مقري فيك جدب قائظ
أم أنه.. في روضة وظلال
أيكون من فوق الأرائك مضجعي
أم فوق جمر محرق وصلال؟
وأحل في أنس يسكن روعتي
أم في ظلال جائش الأهوال؟
.. ويلي إذا دنت المنون وقصرت
بي عن صعود المرتقى أعمالي

●●●

وكما يتفق أحيانا نوع من الجلاء البصري أو السمعي، فقد اتفق لشاعرنا نوع من «الجلاء الحدسي» - إن صح التعبير - حينما قال مستشرفا آفاق مرحلة ما بعد الموت، بقوله في إحدى خماسيات ديوانه: «أصداء الحياة»، وكأنه قد عاش تجربة الموت، وهو مازال حيا بين ظهرانينا:

كنت في جسمي أسيرا
بيد الأهوال أمرى
صرت حرا دون قيد
حين فك الله أسرى
كنت لا أدرى فصرت اليوم بالمستور أدرى
وانجلى عنى الذى غشَّى فؤادى طول عمرى

وإذا أردنا أن نقف على رحلة حياة الشاعر، بإيجاز، أدركنا ذلك، من «خماسيته» التالية:

عشت عمرى في طريق الـ عيش.. أمضى في استواء
فوق أرض الناس أقدا مى، ورأسى في السماء
لم أداهن أى جبا ر، لخوف أو رجاء
أو أنافق، لنوال رب جاه أو ثراء
حسب نفسي: ما تأتى من لقيمات.. وماء

إلى أن يقول في خماسية أخرى:

إنني في الأرض أحيا وفق وجداني وديني
كل أقوالي وأفعا لي بوحْي من يقيني
لست أعدو خلف أوها م ورجم بالظنون
أو بريق المال في دنيا التباهي يستبيني
إنني عن كل زيف أو خنى.. أغضي جفوني

وهكذا، يتبين لنا أن شاعرنا صان الدين - رحمه الله - ولد مفطورا على حب الإسلام، وازداد فهما ووعيا بقيمه وآدابه، ونواحي إعجازه، حينما التحق بالأزهر.. فارتشف من

حياضه رحيق الثقافة الإسلامية: نقية صافية، فجاء أدبه، بصفة عامة، و«خماسياته» بصفة خاصة، ترفرف فيها الروح الإسلامية، وينساب فيها غير الإسلام سيالا متدفقا[٢].

هذا بالإضافة إلى أن خماسياته - بجزئيها - تعد عملا فريدا فى أدبنا العربى.. فوحدة الوزن، مع فلسفة الإسلام التى تسرى فى جميع جنباتها - على الرغم من تعدد موضوعاتها - جعلا منها أطول قصيدة فى الشعر العربى، قديمه وحديثه. إذ يقع الجزء الأول منها فى ٢١٠٤ بيتا، وطبع ونشر بدار المعلمى بالرياض عام ١٩٩٣م[٣] أما الجزء الثانى، ويحمل عنوان «أصداء الحياة» فتقع أبياته فى ٢٢٠٥ بيتاً.

وبقى بعد ذلك من آثار شاعرنا مخطوط ديوانه الذى يحمل عنوان «فى بحار الكون»، الذى أودعه الشاعر منذ ست سنوات، بالإدارة العامة للنشر بالهيئة المصرية العامة للكتاب، ولم ير النور بعد.. وعدد قصائده ٦٤ قصيدة، تتغلغل فيها الروح الإيمانية، التى سبح الشاعر بها فى بحار الكون[٤] ليكشف عن إعجاز الخالق فى الخلق، والإبداع فى التصوير.

وخير ما نختتم به كلمة اليوم، هو ترديد قول صان الدين، فى مناجاة روح طيبة، وروحه هو أيضا:

طيرى بآفاق الضياء وحلقى
وإلى ربا الفردوس خفى واسبقى
رفافة كالنور فى هالاته
نشوى بغفران الإله المغدق

رحم الله شاعرنا محمد عبدالرحمن صان الدين رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

***

(٢) أنظر كتاب الدكتور غانم السعيد، الذى يحمل عنوان: القضايا الفكرية والخصائص الفنية فى خماسيات صان الدين ط سنة ١٩٩٨ م ص٢٣٧.

(٣) طبع بعنوان: «الإنسان فى الميزان».

(٤) انظر كتاب الدكتور غانم «القضايا الفكرية» سالف الذكر.

أطماع إسرائيل في المياه العربية

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

لا أبالغ حينما أقول إن أحد أهداف إسرائيل الحيوية هو الوصول إلى أحواض الأنهار العربية، خاصة أنها تعانى من أزمة مياه خطيرة بسبب مواردها المائية المحدودة، وفتحها باب الهجرة اليهودية إليها بموجب قانون العودة مما يضاعف من حدة أزمتها المائية - ولما كانت الهجرة اليهودية تمثل جوهر المشروع الصهيونى، فقد أدرك الصهاينة الأوائل - قبل تحويل الفكرة الصهيونية إلى دولة لليهود - أهمية تأمين موارد المياه اللازمة لها - ومن ثم بدأت طلائع اليهود، فى بداية القرن الماضى، تخطط للهجرة إلى فلسطين العربية، وهى تضع مسألة المياه، وضرورة توفيرها، فى مقدمة أولوياتها، على أساس أن توفير المياه وتأمينها يعنى المزيد من المهاجرين اليهود إلى الأرض المأمولة.

وفى هذا الإطار، بذل كبار اليهود الصهيونيين مع زعماء العالم - أثناء مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ - جهودا مضنية لكسب تأييدهم لدعم توسيع رقعة فلسطين لتضم الأراضى التى تجرى فيها وتنبع روافد نهر الأردن، ليتوفر لليهود السيطرة الكاملة على النهر بكامله. ومن هنا تواصلت جهودهم، لوضع أيديهم على مصادر المياه اللازمة لإحياء الكيان اليهودى القادم، ففى عام ١٩٢٦ تمكن قادة اليهود من الحصول على امتياز لمدة ٧٠ عاما من الحكومة البريطانية لاستغلال مياه نهر الأردن، ونهر اليرموك فى توليد الطاقة الكهربائية.

وفى هذا السياق، ومنذ عام ١٩٣٨، تم تكليف عدد من خبراء المياه اليهود لإجراء الدراسات والبحوث المائية، التى أكدت نتائجها ضرورة سحب المياه من شمال فلسطين، وتحويلها إلى صحراء النقب لريها وجدير بالذكر أن ثمة عديدا من المشروعات المائية اليهودية،

استطاع خبراء المياه اليهود القيام بها - قبل قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ - بهدف استغلال موارد المياه العربية فى فلسطين، نذكر منها مشروع «أيونيدس» عام ١٩٣٠ لاستغلال مياه نهر اليرموك، ونهر الأردن، ومشروع «لاودر - ميلك» عام ١٩٤٤ للاستفادة من مياه نهر الأردن، ومشروع «جيمس هيس» عام ١٩٤٧، وهو امتداد للمشروع السابق. وما كاد يأتى عام ١٩٥١، حتى شرعت إسرائيل فى تنفيذ مخططها لتحويل نهر الأردن، غير أن العرب تصدوا، بقوة لهذه الفكرة الإسرائيلية.

وامتدادا للأطماع الإسرائيلية فى المياه العربية تفاجئنا إسرائيل بإنشاء مشروع« جون كوتون» عام ١٩٥٤ لاستغلال مياه نهر الأردن بهدف إدخال مياه نهر الليطانى فى قائمة تقسيم المياه بين إسرائيل والدول العربية، كما ظهر على الساحة المائية مشروع «جون كوتون»، المعروف باسم «مشروع الحامل القومى» أو «مشروع الناقل القطرى»، وقد تدرج تنفيذه على مراحل ثلاث: الأولى من ١٩٥١ - ١٩٥٣ بهدف تجفيف بحيرة الحولة، والثانية من ١٩٥٣ - ١٩٥٥ بهدف إنشاء القنوات الثلاثة: الشرقية والغربية والشمالية، والثالثة من ١٩٥٥ - ١٩٥٧ بهدف نقل المياه السطحية إلى قنوات نهر الأردن، وتحويل ١٢ مليون متر مكعب من بحيرة الحولة إلى نهر الأردن. وتلا ذلك مشروع «إريك جونستون» بهدف تحويل نهر الأردن عام ١٩٥٦، لكن العرب رفضوا هذا المشروع، فى أول مؤتمر قمة عربى بالقاهرة عام ١٩٦٤ بوصفه سطوا على المياه العربية، واعتداء على المصالح العربية.

وفى عهد حكومة الليكود الإسرائيلية عام١٩٧٧، شرع البروفيسور الإسرائيلى «يوفال نئمان» فى دراسة مشروع مائى باسم «مشروع قناة البحار» لربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الميت من خلال قناة تمتد من خليج حيفا إلى وادى نهر الأردن بالقرب من بيسان. وقد ظل هذا المشروع تحت الدراسة حتى عام ١٩٨٤ حيث جرى تجميده فى ولاية حكومة «شيمون بيريز»، غير أن فكرة هذا المشروع لاتزال تراود أحلام إسرائيل الآن. ولا يفوتنى أن أنوه عن الفترة من يناير إلى مايو عام ١٩٦٣، حينما حاولت إسرائيل ضخ المياه من نهر الأردن لتحويلها لرى صحراء النقب، مما اضطر الدول العربية أن تمنع تدفق رافدين من الروافد المغذية لنهر الأردن، هما نهر الحاصبانى فى لبنان، ونهر بانياس فى سوريا، بتحويل مياههما إلى الجنوب - خلال الأراضى السورية والأردنية - لتعاود الالتقاء بالنهر، جنوب بحيرة طبرية، داخل الأردن. وإزاء ذلك هددت إسرائيل بشن الحرب، وعدم السكوت على مثل هذه التصرفات ويجدر ذكره أنه فى ١٧ / ٣ / ١٩٦٥ وجه رئيس الوزراء الإسرائيلى «ليفى أشكول»، حينذاك، تهديدا إلى الدول العربية ضد تحويل الروافد العليا لنهر الأردن، بقوله: «إن أية محاولة لحرمان إسرائيل من المياه، نالت فيها حقا قانونيا بموجب «مشروع جونستون» فإنه يعد عملا عدوانيا».

وفى إطار الصراع الإسرائيلى حول المياه، واصلت إسرائيل جهودها لتحويل مياه نهر الأردن، ببناء محطة الرافع القومى فى الجزء الشمالى لبحيرة طبرية لضخ المياه من خلال

الأنابيب، والقنوات إلى تل أبيب، وصحراء النقب. وكان رد الفعل الأردني، هو شق القناة الرئيسية للغور الشرقي في وادي الأردن، باستخدام مياه نهر اليرموك، وبناء سد الملك طلال على نهر الزرقاء. وما يجب التأكيد عليه أنه إذا نظرنا إلى خريطة الموارد المائية الإسرائيلية نجد أن إسرائيل تعتمد على مصادر مائية عديدة تأتي في صدارتها بحيرة طبرية التي تمد إسرائيل بحوالي ٦٦٠ مليون متر مكعب من المياه سنويا، وتمثل هذه الكمية المنسوب السنوي لنهر الأردن الذي تتولى إسرائيل سحبه من هذا النهر إلى هذه البحيرة، مقابل التزام إسرائيل بمد الأردن بـ٥٠ مليون متر مكعب من المياه سنويا بموجب اتفاقية السلام الإسرائيلية الأردنية، ويلي ذلك المياه الجوفية التي تتمثل في خزانين جوفيين: الأول الخزان الجوفي الساحلي، الذي يمتد من جبل الكرمل شمالا حتى قطاع غزة جنوبا، ويوفر لإسرائيل حوالي ٧٠٠ مليون متر مكعب سنويا، والثاني الخزان الجوفي بالضفة الغربية، ويمدها بحوالي ٧٤٠ مليون متر مكعب سنويا، وتحتل مياه السيول المرتبة الأخيرة في خريطة إسرائيل المائية، وتوفر حوالي ٤٠ مليون متر مكعب سنوياً. ومن ناحية أخرى تشكل مياع نهري الحصباني والوزاني، والتي تبلغ حوالي ١٣٨مليون متر مكعب، أكثر من نصف كمية المياه اللبنانية الجنوبية، التي تنساب خارج الحدود في اتجاه إسرائيل، ففي دراسة أعدها «المهندس حسين رمال»، رئيس المصلحة الفنية في الهيئة الوطنية لنهر الليطاني، حول المياه السطحية والجوفية في جنوب لبنان، ذكر فيها أن إجمالي كمية المياه اللبنانية التي تنساب إلى إسرائيل بالسيلان السطحي، والانسياب الجوفي لا تقل عن ٣٤٠ مليون متر مكعب سنويا، وهي توازي تقريبا ما يتبقى للجنوب اللبناني من مياه تبلغ حوالي ٣٦٥ مليون متر مكعب سنويا. وتقسم هذه الدراسة كمية المياه العابرة للحدود في اتجاه إسرائيل إلى قسمين: الأول مياه منسابة سطحية تبلغ حوالي ١٤٥ مليون متر مكعب، والثاني مياه عابرة بالانسياب الجوفي تبلغ حوالي ١٩٥ مليون متر مكعب، ووفقا لهذه الدراسة، فإن كمية المياه التي يفقدها لبنان بالتسرب الجوفي إلى البحر هي ١٧٥ مليون متر مكعب سنوياً، وبذلك تصبح كمية المياه التي يفقدها لبنان من هذه المصادر ٥١٥ مليون متر مكعب ، وهي عبارة عن ٣٤٠ مليون متر مكعب، منسابة إلى إسرائيل، و١٧٥ مليون متر مكعب منسابة إلى البحر. وانطلاقا من الأطماع الإسرائيلية في المياه العربية، لا ينسى أحد أنه حينما غزت إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢، كان في طليعة أهدافها الوصول إلى نهر الليطاني اللبناني، وبالفعل تمكنت إسرائيل من السيطرة على منطقة بطول ٣٠ كيلو متراً من مجرى النهر، استغلتها لصالح المستوطنين اليهود في شمال إسرائيل، وهذا ما أشار إليه الوفد اللبناني في مؤتمر وزراء الخارجية العرب في مارس ١٩٩٠ بقوله: «إن إسرائيل تستغل مياه الأنهار اللبنانية استغلالا كاملا، فهي تستولي من نهري الحاصباني والوزاني على حوالي ١٤٠ مليون متر مكعب سنويا». ومنذ الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٧٨ وحتى مايو ٢٠٠٠. أنشأ

الاحتلال الإسرائيلى، محطة لضخ المياه على نهر الوزانى تغذى بلدة الغجر بمياه الشفه، ومازالت هذه المحطة تعمل بعد تحرير الجنوب اللبنانى عام ٢٠٠٠.

وعلى الرغم من انسحاب إسرائيل من الجنوب اللبنانى، فإنها لاتزال تطمع فى مياه الحصبانى ورافده الوزانى، وتهدد - من خلال أبواقها الإعلامية على لسان شارون - بشن حرب على لبنان، فى محاولة لمنعه من إقامة محطة على نبع الوزانى، تقوم بضخ مياهه لتغذية ٦٠ قرية وبلدة فى الجنوب اللبنانى. ومن جهة أخرى فإن إسرائيل تستولى على حوالى ١٠٠ مليون متر مكعب سنويا من مياه نهر اليرموك، الذى يعتبر الرافد الرئيسى لنهر الأردن والفاصل بين إسرائيل والأردن من جهة، وسوريا والأردن من جهة أخرى.

ونظرا لحاجة الأردن إلى مليار متر مكعب من المياه، فقد اتفقت سوريا والأردن على بناء سد على نهر اليرموك، لحجز حوالى ٢٢٠ مليون متر مكعب، بهدف تنظيم الاستفادة من مياهه. ومن المعروف أن مياه بحيرة طبرية التى تشكل ٤٠٪ من احتياجات إسرائيل المائية تأتى من منابع نهر الحصبانى فى لبنان، ونهرى بانياس والدان فى سوريا، ولعل أحد أسباب حرب ١٩٦٧، كان الاستيلاء على منابع نهرى بانياس والدان فى سوريا، خاصة بعد محاولة سوريا تحويل مياه نهر بانياس بعيدا عن إسرائيل ليصب فى حوض نهر اليرموك. وما يجب لفت الأنظار إليه أن من أهداف استراتيجية الأمن المائى الإسرائيلى هو محاولة إسرائيل الوصول إلى أحواض الأنهار العربية، بالإضافة إلى سعيها فى تحريض دول الجوار غير العربية المسيطرة على منابع الأنهار الكبرى، وإشعارها أن العرب يسيئون استخدام الموارد المائية، ويسرفون فى استعمالها، وحرصها على التلويح لهم بورقة الهاجس الأمنى فى مواجهة الدول العربية المشاركة فى أحواض الأنهار، خاصة إذا علمنا أن ما يربو على ٦٦٪ من موارد المياه العربية تأتى من أراض غير عربية، وهذا ما شدد عليه رئيس الوزراء الأسبق «ديفيد بن جوريون» فى وصيته بالاهتمام بالبعد الثالث فى الصراع العربى الإسرائيلى، والذى يتمثل فى دول الجوار الاستراتيجى المشارك فى أحواض الأنهار الكبرى مثل تركيا، وأثيوبيا، وأوغندا، وزائير، ورواندا وكينيا. واللافت للانتباه أيضا أن ثمة ورقة أعدها «مركز غزة للحقوق والقانون» تحت عنوان: «المياه فى الأراضى الفلسطينية» ذكر فيها أنه فى الوقت الذى يحصل فيه المواطن الإسرائيلى على ٣٥٧ كوبا سنويا، فإن المواطن الفلسطينى لايزيد ما يحصل عليه عن ٨٥ كوبا فى السنة، وضرب مثالا على ذلك بمستعمرة «كريات أربع» الموجودة فى محيط مدينة الخليل، فذكر أن هذه المستعمرة الإسرائيلية يبلغ عدد سكان حوالى خمسة آلاف مواطن، وتحصل يوميا على ستة آلاف متر مكعب من المياه، بينما سكان الخليل الفلسطينيون - والبالغ عددهم حوالى مائة ألف مواطن لا تزيد حصتهم اليومية من المياه على سبعة آلاف متر مكعب، هذا فى مجال مياه الشرب، أما فى مجال الرى والزراعة

فتبلغ نسبة استهلاك الإسرائيليين ٢٢٨ كوبا سنويا، بينما يصل نصيب الفلسطينيين إلى ٥٦٥ كوباً سنويا. وفى هذا السياق أصدرت إسرائيل العديد من الأوامر العسكرية بهدف استنزاف المياه الفلسطينية، نذكر منها الأمر العسكرى رقم ٩٢ الذى يخول الحاكم العسكرى السلطة المطلقة فى تحديد كميات المياه التى يحق للعرب استخدامها، وفرض العقوبات والغرامات على المخالفين لهذا الأمر، وأيضا الأمر العسكرى رقم ٩٤٨ الذى يلزم كل مواطن فى قطاع غزة الحصول على موافقة الحاكم العسكرى فى حالة رغبته إقامة أى مشروع يتعلق بالمياه. وفى إطار سعى إسرائيل إلى تأمين مواردها المائية، يذكر أحد الباحثين أن إسرائيل تطمح فى أن يوفر لها العالم العربى مصادر جديدة للمياه، خاصة فى ظل الوضع المائى فى المنطقة، واحتمالات عدم كفاية مواردها المائية فى الأعوام القادمة، وأن إسرائيل أعدت العديد من الخطط الجاهزة للاستفادة من المياه العربية على أساس المبادلة بتنفيذ مشروعات زراعية ضخمة فى سيناء تعتمد على وسائل الرى الحديثة مقابل توصيل مياه النيل إلى صحراء النقب، وإقامة مشروعات زراعية أخرى فى الأردن وسوريا ولبنان مقابل الانتفاع بحصة من مياه منابع نهر الأردن، ونهر اليرموك، ونهر بانياس، ونهر الحصبانى، ونهر الليطانى، بالإضافة إلى مشروع «أنابيب السلام» لنقل المياه من تركيا إلى إسرائيل.

وفى الختام لا يسعنى إلا التأكيد على أن إسرائيل، بسبب أزمتهاالمائية، تحاول، بوسيلة أو بأخرى، وضع يدها على أى مورد مائى، سواء بالتهديد والوعيد، أو بالسعى لعقد اتفاقيات منفردة مع أى جانب عربى فى المنطقة، ومن ثم فهى لا تتوقف عن أطماعها التوسعية فى المياه العربية، خاصة بعد إعلانها حالة الطوارىء فى مرفق المياه الإسرائيلى منذ عدة سنوات، بهدف تأمين مواردها المائية حتى لو اقتضى الأمر الاستيلاء بالقوة على مصادر مائية جديدة من خارج حدودها. ولم تزل فكرة الانقضاض على المياه اللبنانية أحد أهداف إسرائيل الرئيسية التى لن تتوانى فى سبيل تحقيقها، وما مسألة مياه نبع الوزانى(١) ببعيدة. وفى ضوء ذلك أرى أنه من الضرورى وضع استراتيجية عربية مشتركة فى مجال تنظيم الاستغلال الكامل للمياه العربية، تراعى فيها المصالح العليا للأمة العربية، وحتمية وجود آلية عربية - ولتكن تحت إشراف الجامعة العربية - لتنفيذ الحد الأدنى المتفق عليه عربيا، حتى يمكن تحقيق عامل الردع ضد مخاطر السطو على المياه العربية.

---

(١) يبلغ حجم المنسوب المائى لنهر الحصبانى ونبع الوزانى حوالى ١٤٠ مليون متر مكعب سنويا تستولى منه إسرائيل على ١٣٣ مليون متر مكعب سنويا، بينما تحصل لبنان فقط على ٧ ملايين متر مكعب سنويا، رغم أن حصتها المتفق عليها هى ٨٠ مليون متر مكعب سنويا وتبتلع إسرائيل هذا الفرق، غير أن لبنان بعد افتتاحه محطة ضخ المياه على نبع الوزانى فى ٢٠٠٢/١٠/١٦ سوف يرتفع ما يحصل عليه إلى ٩ ملايين متر مكعب سنويا وهذا هو سبب تهديد إسرائيل بشن حرب على لبنان مؤخرا.

التدابير الوقائية للحد من ظاهرة الطلاق: (٢)

قبل عقد الزواج

للأستاذ الدكتور/ محمد الدسوقى

إذا كان كل أمر مهم يحتاج قبل الإقدام عليه إلى التأنى والتروى، والنظر فيه حتى يتم وفق رغبة صادقة وإرادة رشيدة فإن عقد الزواج لأهميته وخطورته وضعت له الشريعة قبل الإقدام عليه بعض القواعد والضوابط، وقاية له من أسباب الشقاق والتفرق بين الزوجين، وحتى يحكم العلاقة بينهما الوئام والمودة والسكن والستر المشترك. وأهم هذه القواعد والضوابط ما يلى:-

أ - حسن الاختيار:

تدعو الشريعة الغراء كلا من الرجل والمرأة إلى الحرص على أن يكون اختيار شريك العمر فى رحلة الحياة مناطه الاعتصام بالدين والخلق، فذلك وحده هو السبيل المستقيم لبناء أسرة قوية لا تعرف التفكك، وأن تعرف الترابط الحميم، والتعاون على الخير والبر..

والنصوص التى تحض على حسن الاختيار، وتحذر من الاهتمام بالأعراض الزائلة دون الحرص على القيم الخالدة كثيرة، ومنها ما روى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[(١)].

يبين الرسول الكريم فى هذا الحديث تباين الرغبات فى اختيار المرأة زوجة، وأمر بالظفر بذات الدين، وحذر من الزواج بغيرها، فمن يتزوج غير متدينة بسبب مالها أو حسبها أو جمالها فقد عرض نفسه للمذلة والهوان، وهذا ما تشير إليه كلمة «تربت يداك»[(٢)].

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) يدل المعنى اللغوى للفعل ترب على التراب والفقر، وقال ترب المكان، إذا كثر ترابه، وترب فلان: إذا افتقر، ويقال فى الدعاء تربت يداه: خسر أو افتقر «وانظر المعجم الوسيط مادة ترب».

ويتحدث الرسول ﷺ عن صفات المرأة التي ينبغي أن يظفر بها الرجل فيقول: «خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك وإن غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك»(٣).

والصفات التي اشتمل عليها هذا الحديث، وبها تكون المرأة خير النساء هي: أن تكون في نظر زوجها جميلة، فهي تسره إذا نظر إليها، والجمال أمر نسبي، فرب امرأة تكون في نظر إنسان دميمة تكون بالنسبة لغيره جميلة يأنس إليها، ويسعد بلقائها.

وأن تكون المرأة مع هذا مطيعة لزوجها، فلا تعصى له أمرا اللهم إلا إذا كان معصية، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأن تعين زوجها على الخير، وأن تكون أمينة على نفسها ومال زوجها وبيته إن غاب عنها.

إن مثل هذه المرأة التي تتوافر فيها هذه الصفات تكون كنزا ينبغي على الرجل أن يظفر به ويحرص عليه.

كذلك حث الرسول ﷺ أن يختار المرء زوجته من بيئة صالحة طاهرة، لأن العرق دساس، قال ﷺ: «تخيروا لنطفكم وانكحوا الاكفاء»(٤).

فالزوجة إذا كانت كريمة العنصر طيبة الأرومة، نشأت في بيئة صالحة فإنها تملأ بيتها بأسباب السعادة، وتبث في أولادها كل خلق حميد، وتجنبهم كل خلق قبيح.

وقد روى أن أبا الأسود الدؤلي «ت: ٦٩هـ» امتن على بنيه باختياره أمهم عفيفة كريمة الخلق، إذ قال لهم: لقد أحسنت إليكم صغارا، وكبارا وقبل أن تولدوا، فقالوا: كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون(٥) بها، وفي هذا المعنى يقول بعض الشعراء:

وأول إحساني إليكم تخيري
لما جدة الأعراق باد عفافها

وقد حذر ﷺ من نكاح المرأة التي لا تتمتع بالدين والخلق، وإن كانت جميلة، لأنها نشأت في بيئة فاسدة، قال: «إياكم وخضراء الدمن، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء»(٦).

إن الزوجة إذا كانت قد نشأت في بيئة فاسدة فإنها لا تكون حميدة الطباع وتبذر في بيتها بذور الفساد، وتزود أهلها للحياة بأسوأ زاد، ولذا كان تحذير الرسول ﷺ من مثل هذه المرأة، لأنها لا تصلح زوجا وأما، ولأنها تسيء إلى بعلها وإلى أولادها.

قال الشاعر:

وأول خبث الماء خبث ترابه
وأول خبث القوم خبث المناكح(٧)

ويستحب أن تكون المرأة مع تمتعها بكل تلك الخلال الطيبة، ولودا، ويعرف ذلك غالبا من أحوال النساء في أهلها كأمها وأختها وخالتها، روى معقل بن يسار أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ

---

(٣) رواه النسائي.

(٤) رواه البخاري.

(٥) المرأة في الشعر الجاهلي للدكتور أحمد الحوفي ص١١٨ط القاهرة.

(٦) رواه الدارقطني.

(٧) أنظر عيون الأخبار لابن قتيبة ج٤ ص٢ ط دار الكتب المصرية.

فقال: «إنى أصبت امرأة ذات جمال وحسن، وأنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»[(٨)].

ودعوة الرسول ﷺ إلى الحرص على زواج الولود لا يعنى عدم الزواج بغيرها، وأن العقيم قد كتب عليها أن تعيش حياتها بغير بعل، وإنما هى إشارة إلى أن المسلم لا يتزوج استجابة للرغبة الجنسية فحسب، وإنما يتزوج استجابة للفطرة السوية فى حب الإنجاب والذرية ولهذا كم فرق العقم بين زوجين على الرغم مما قد يكون بينهما من حب ووئام، فعاطفة الأبوة أو الأمومة تنتصر على كل ما يحول دون إشباعها أو تحقيق أشواقها.

وكما وردت الآثار الكثيرة التى تدعو إلى أن يكون اختيار المرأة مناطه الاعتصام بحبل الله، والتخلق بأخلاق القرآن، وردت آثار كثيرة أيضا تدعو إلى أن يقاس الرجل بهذا المقياس الصحيح، مقياس الإيمان والتقوى، والخلق الكريم، ومن هذه الآثار قول الرسول ﷺ: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض[(٩)] فهذا الحديث الشريف يوضح للمسلمين أن الرجل إذا كان ذا دين وخلق فهو زوج صالح، فإن لم يزوج لاعتبارات أخرى لا تقيم لها الشريعة وزنا كبيرا كالمال والجاه كان هذا فتنة وضلالاً مبيناً.

ولا يفهمن أحد أن دعوة الإسلام لأن يكون مرجع الاختيار إلى القيم الثابتة والفضائل السامية أن ينبذ المال والجمال وما إليهما، فالمال نعمة والجمال نعمة ولكن الإسلام يجعل الدين والخلق الشرط الأساسى لقيام علاقة زوجية، لأن ما سوى ذلك لا يدوم، ولا يمثل عنصرا جوهريا فى الحياة، وقد يكون الحرص عليه على حساب ما يجب أن يكون من الدين والخلق، فتصبح العلاقة بين الزوجين مادية شكلية تفتر أو تنتهى بزوال هذا المتاع الزائل.

الكفاءة بين الزوجين

يقتضى الحديث عن حسن الاختيار وما يتمتع به كل من الزوجين من الدين والخلق ودعوة الرسول ﷺ إلى الحرص على زواج الولود الإشارة إلى موضوع الكفاءة وما صدر عن الفقهاء من آراء فيها، فلهذا الموضوع صلة وثيقة بحسن الاختيار وآثاره فى الحياة الزوجية.

والحديث عن الكفاءة لن يعرض لكل أقوال الفقهاء فيها وإنما يشير إلى أهم ما يخدم قضية التوافق بين الزوجين، فيدخل طوعا لهذا فى باب التدبير الوقائى قبل العقد.

وتعرف الكفاءة لغة بأنها المماثلة والمساواة، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم» أى تتساوى دماؤهم فى الدية والقصاص فلا فرق بين غنى وصعلوك، وذوى حسب ومن لا حسب له.

وهذا المعنى اللغوى للكفاءة يلتقى مع أحد معانى الزواج، حيث يقصد به التماثل والتناظر، كما فى قوله تعالى:

(٨) رواه ابن ماجة.

(٩) رواه أبوداود وابن ماجة.

﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾(١٠)

فأزواجهم فى الآية بمعنى أنواعهم أو أشباههم، وقيل للرجل والمرأة زوجان، لأنهما قد تناسبا بعقد الزواج.

وتستعمل الكفاءة لغة - وإن كان استعمالاً مولداً(١١) - بمعنى القدرة على العمل وحسن تصريفه، وأما الكفاءة فى اصطلاح الفقهاء فتعنى مساواة الرجل للمرأة فى أمور مخصوصة يعتبر الاخلال بها مفسدة للحياة الزوجية، أو سببا لأن تعير الزوجة أو أولياؤها بالزوج(١٢).

وينقسم الفقهاء بالنسبة لاعتبار الكفاءة بين الزوجين إلى فريقين:

الأول: يرى أن الكفاءة لا اعتبار لها أصلا فى الزواج، فالناس سواسية كأسنان المشط، ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح، وإن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

ويمثل الفريق الثانى جمهور الفقهاء الذى اعتبر الكفاءة شرطا فى الزواج، وقد رد على الفريق الأول بأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تتحدث عن المساواة وتبين أن معيار التفاضل هو التقوى تشير إلى أن الناس كافة متساوون فى الحقوق والواجبات لا فى المنازل والدرجات الدنيوية، فالتفاوت فى هذه سنة كونية أومأت إليها بعض الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴾(١٣).

فهذه الآية تبين أن الحق - تبارك وتعالى - جعل الناس يعمرون الأرض خلائف، أى جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن، وأنه سبحانه رفع بعضهم فوق بعض درجات، أى فوت بينهم فى المواهب والطاقات والأرزاق، وأن هذا التفاوت للابتلاء والاختبار.

وهؤلاء الفقهاء الذين قالوا بالكفاءة فى الزواج قد اختلفوا اختلافا واسع المدى فى الأمور التى تعتبر فيها الكفاءة، كما تعددت الروايات التى نقلت عن بعضهم فى هذا الموضوع، ولكن أقوالهم مع هذا تلتقى عند التأكيد على أن الدين والخلق والإصلاح والتقوى أساس الكفاءة بين الزوجين، وأن ما سوى هذا من الحرفة والمال والحسب لا يراد بها التفريق بين الناس، والحكم عليهم بأنهم طبقات اجتماعية لكل منهما منزلتها الخاصة، وإنما يراد بها أن يكون بين الزوجين قدر من التقارب فى المستوى الاجتماعى والمالى، وحبذا لو تحقق هذا التقارب فى السن أيضا، فذلك أنفى للشقاق وأحفظ للمودة وأدعى للوفاق والوئام، وأجدر أن يجعل من الزواج خير علاقة توثق عرى المصاهرة، وتوسع دائرة الأسرة(١٤).

---

(١٠) الصافات (٢٢).

(١١) المولد من الكلام: كل لفظ كان عربى الأصل، ثم تغير فى الاستعمال، وهو أيضا اللفظ العربى الذى يستعمله الناس بعد عصر الرواية.

(١٢) انظر أحكام الشريعة فى الأحوال الشخصية للشيخ عمر عبدالله ص٢٥٤ ط الإسكندرية.

(١٣) الأنعام (١٦٥).

(١٤) انظر الزواج فى الشريعة الإسلامية ص١٢٢.

صحيح أن من الناس من تجاوز حد القصد والاعتدال فى مفهوم الكفاءة، وكان لهم كما يقول الإمام الصنعانى «للناس فى هذه المسألة عجائب لا تدور على دليل من غير الكبرياء والترفع، ولا إله إلا الله كم حرمت المؤمنات النكاح لكبرياء الأولياء واستعظامهم أنفسهم، اللهم إنا نبرأ إليك من شرط ولده الهوى وولده الكبرياء»[(١٥)]، ولكن سلوك هؤلاء لا يطعن فى أن الغاية من الكفاءة وما يعتبر فيها من الأمور هو حماية العلاقة الزوجية وكفالة حياة المودة والاستقرار لها، وأن الفهم الصحيح للكفاءة لا يخرج بها عن الغاية منها، ومن ثم لا يتخذها الناس وسيلة لإحياء النعرات الجاهلية أو الأهواء الطبقية.

وجملة القول إن الفقهاء فى حديثهم عن المعانى المعتبرة فى الكفاءة لم يكونوا فى غفلة عن أن الإسلام دين الأخوة والمساواة، وأن التفاضل بين الناس فى هذا الدين مناطه الاعتصام بحبل الله، كما أنهم فيما أفاضوا فيه عن الأمور المعتبرة فى الكفاءة كانوا يحرصون أبلغ الحرص على أن يظل عقد الزواج - وهو عقد مؤبد فى أصل إنشائه - معبرا تعبيرا صحيحا عن حسن العشرة، وقوة الألفة والمودة بين الزوجين، حتى لا ينتهى هذا العقد إلا بوفاة أحد الطرفين أو كليهما، وهم إلى هذا نظروا إلى أن العلاقة الزوجية ليست علاقة بين فردين فحسب، ولكنها علاقة أيضا بين أسرتين، فهم فيما صدر عنهم توخوا مصلحة الأسرة، وحماية صلة المصاهرة، وراعوا مشاعر المرأة إذا ما تزوجت من دونها منزلة، فهى وإن رضيت به لا تسلم من نظرات النقد والتعبير، فتضيق بحياتها مع هذا الزوج، وتبدأ مرحلة النفور منه وعدم النزول على مقتضى قوامته وسلطانه، فتضطرب الحياة ويسود الشقاق ويقع التفريق.

على أن شرط الكفاءة ليس من شروط صحة العقد، وإنما هو شرط لزوم، وشرط اللزوم يعطى لمن له حق الاعتراض أن يطالب بفسخ العقد، فالعقد بدون هذا الشرط يقع صحيحا نافذا، ولكنه قابل للفسخ، إذ يجوز لولى المرأة أن يرفع الأمر إلى القاضى ليفسخ العقد لعدم الكفاءة، والقاضى يجيبه إلى طلبه بشرط ألا تكون المرأة قد حملت أو ولدت، محافظة على الولد.

الخطـــــبة

للفقهاء فى الخطبة حديث ذو شجون، والذى يعنينا من هذا الحديث الجانب الذى يتعلق بالغاية من تشريع الخطبة، وما يحل بها للرجل والمرأة.

وتعرف الخطبة بأنها طلب الرجل يد امرأة معينة للتزوج بها، فإذا أجيبت رغبته بالقبول من المرأة، أو من له النيابة الشرعية عنها تمت الخطبة، فالخطبة لا تأخذ حكم عقد الزواج، وهى ليست إلا طلبا له، أو مرحلة تمهيدية تسبق هذا العقد.

والخطبة لدى جمهور الفقهاء مباحة فمن الفقهاء من يراها مستحبة غير أن رأى الجمهور هو الأرجح والمعول عليه، فليس بلازم أن يسبق كل عقد للزواج خطبة، وذلك إذا كان كل من

(١٥) أنظر سبل السلام للصنعانى ج٣ ص١٦٩ط القاهرة.

الرجل والمرأة يعرف أحدهما الآخر معرفة لا تحتاج إلى فرصة للتروى والبحث والفحص وغالبا ما يكون هذا فى داخل الأسرة بمفهومها الواسع بين أبناء الأعمام والعمات والخال والخالات، أو فى التجمعات السكانية المحدودة كالقرى الصغيرة، فأهلها - وإن لم يجمع بينهم نسب أو رحم - يعيشون كأسرة واحدة، يتعاطفون ويتعاونون، ويعرف كل منهم عن غيره ما يغنيه عن السؤال عنه إن رغب فى أن يصهر إليه.

ولا خلاف بين الفقهاء فى أن المرأة فى فترة الخطبة أجنبية عمن تقدم يطلب الزواج منها، ولهذا يحرم عليه أن يختلى بها، أو يسافر وحده معها وإنما يجوز لهما أن يلتقيا فى محضر من أهل المرأة ومحارمها لقاء مهذبا، فيعرف الجل من أخلاق المرأة وعقلها وحسن تصرفها ما يرغبه فيها، كما تعرف المرأة من الرجل ما يدعوها إلى قبوله زوجا ورفيق عشرة وحياة.

أما ما يفعله بعض الناس من إعطاء الخطيبين حرية اللقاء والتنقل وحدهما بحجة أنهما فى حكم الزوجين، وأن هذه الحرية تيسر لهما أن يدرس كل منهما الآخر دراسة وافية خطأ فادح، ويجر إلى مفاسد كثيرة، ويؤدى غالبا إلى عدم إتمام الزواج.

وإذا كان منح الخطيبين حرية اللقاء دون رقيب خطأ فادحا فإن ما يراه بعض الناس من أن رؤية الخاطب لمخطوبته أمر لا يسمح به شرف العائلات ولا الغيرة على الكرامة والعرض[١٦] خطأ فادح أيضا، ويتعارض مع النصوص التى رويت فى هذا، ومنها ما روى أنه ﷺ قال لبعض الصحابة حينما خطب امرأة: «هل نظرت إليها، فقال: لا، قال: انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»[١٧]، أى أن يكون سببا لاستقرار الحياة واستمرارها بينكما.

وللمرأة كما للرجل جواز أن تنظر إلى من تقدم يرغب فى البناء بها، فالنساء شقائق الرجال، لهن حق الاختيار والرضا، ومن وسائل ذلك أن ترى المرأة الرجل الذى جاء خاطبا، وأن تطمئن إلى رجاحة عقله وحسن تصرفه، كما يطمئن هو أيضا إلى هذا.

إن تشريع الخطبة يحقق للمقدمين على الزواج حرية الاختيار، وفرصة التعارف والتآلف، والاطمئنان إلى أن شريك العمر ورفيق الدرب سيكون خير شريك ترجى معه العشرة الطيبة، والحياة الآمنة والسعادة المنشودة.

ولا شك فى أن أسرة تؤسس على القيم الخالدة، قيم الدين والخلق والفضيلة، كما يراعى فى بنائها التقارب بين الزوجين فى المستوى الاجتماعى والثقافى والعمرى، ويتحقق لها قبل عقد الزواج الرؤية الواضحة والرغبة المتبادلة ستكون أسرة سعيدة، يسود حياتها الاطمئنان والأمان، ولا تهب عليها رياح القلق والاضطراب، فلا يعرف الشقاق سبيلا إليها، وتظل العلاقة بين الزوجين، وبينهما وبين الأولاد علاقة ود ورحمة وعطف وحنان ومحبة، ولهذا كان حسن الاختيار، ومرحلة الخطبة تدبيرا وقائيا مهما يحمى الأسرة من التمزق أو التفرق.

---

(١٦) أنظر الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ص١٦٨ط القاهرة.

(١٧) رواه النسائى.

لا تنقضى عجائبه

إعجاز العلم الأعجمى فى القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

تروى كتب السنة حديثا لرسول الله ﷺ يقول فيه: « من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل. فليقرأه على قراءة ابن أم عبد »[1] وفى هذا حث على إحسان القراءة. وتجويد الأداء. وتحرى الدقة وكان يعجبه ﷺ من يؤدى الأداء الجيد. وكان يستمع اليه.

أتخيل مسجده ﷺ بالمدينة كخلية نحل لا تهدأ. أصوات القراء تتجاوب فيه ليل نهار.

وذات سحر. أذن[2] النبى ﷺ لقارىء يشدو سَحَراً بكتاب الله. فجلس فى بيته يستمع إليه. حتى قارب الفجر فخرج فعرف أن القارئ الشادى بالقرآن أبا موسى الأشعرى فقال له مانحًا إياه وسامًا لم ينله سواه. قال: « لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود »[3]. فقال أبو موسى - حيث إنه لم يكن يعرف أن رسول الله ﷺ كان يسمعه قال: لو أعلم أنك تسمعنى لزينته لك تزييناً وحبرته لك تحبيراً. فالنبى كان يتسمع القرآن من أصحابه وهم يشدون به.

وورد - أيضًا - أنه كان يطلب من أحدهم أن يقرأ ويسمع هو. عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال لى النبى ﷺ: إقرأ علىَّ. قلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: إنى أحب أن أسمعه من غيرى[4].

(١) سنن ابن ماجة، كتاب المقدمة، فضل عبدالله بن مسعود رضى الله عنه.
(٢) أذن: تسمع.
(٣) صحيح البخارى، فضائل القرآن، باب حُسن الصوت بالقراءة، حديث رقم ٤٦٦٠.
(٤) البخارى، فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن، حديث رقم ٤٦٦٨.

وكما أن فى التلاوة من المصحف تعطير للنظر، وفى التلاوة من الحفظ تحصين للذاكرة. فإن فى السماع إعمالاً للفكر، والتأمل لأن السامع لا يشغله شىء عن التفرغ الكامل لما يسمع. وفيه اقتداء برسول الله ﷺ حيث إنه كان يستمع إلى القرآن من صحابته وما هذا البحث إلا نتاج سماع وتأمل، والتأمل مع الإصغاء مطية الإلهام، وأنت ترى من نفسك عجباً، فقد تتلو الآية أو السورة فى صلاتك أو قد تسمعها فى غدوك أو رواحك وتمر عليها مراً ثم تتلوها نفسها أو تسمعها فى ساعة أخرى من ساعاتك، فإذا هى تهزك من الأعماق هزاً. وتملأ كل جوانحك بهجة وضياء وتتفجر فى قلبك أنهار من الحكمة والإلهام والهدى لم يكن لك بها عهد وربما تعجب كيف غُيِّبَ عنك هذا الخير. وتوشك أن تقسم وكأنك لم تسمع هذه الآية من قبل وصدق رسول الله ﷺ حيث قال «لا يخلق من كثرة الرد. ولا تنقضى عجائبه».

وما موقف الفاروق عمر بغائب عنك فبعد انتقال الحبيب إلى الرفيق الأعلى فزع الناس حتى قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - من قال إن محمداً قد مات قطعت عنقه. فقام الصديق - رجل المواقف الصعبة - فقال: «أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت». ثم تلى قول الله تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾(٥)

يقول عمر، والله لكأنى أسمع هذه الآية لأول مرة.

فالقرآن كلما قرأته أو سمعته أشرق فى قلبك معنى لم يكن يخطر لك وذلك من إعجاز القرآن ومن عجائبه التى لا تنقضى ولو عرفت أن كاتبا كتب كتاباً بعنوان «القلمُ الأعجمى فى القرآن مفسراً بالقرآن» والكتاب مؤلف من جزءين، الجزء لا يقل عن ٣٠٠ صفحة. والعجيب فى ذلك أن المؤلف لم يؤلف قبل الكتاب شيئا وأظن أنه لم يؤلف بعده، وأنه كتب كتابه بعد تقاعده فى ديسمبر ١٩٨٨م وبدأ حياته العملية بإحدى شركات التأمين ثم عمل مترجما بإحدى مؤسسات الأمم المتحدة بجنيف. وبعد أن تقاعد ورجع إلى بلده الإسكندرية. وهو على علم بأكثر من لغة غَيْر العربية خصوصاً اللغات القديمة. كان يستمع إلى الآية فيها علم من الأعلام الأعجمية فيرى أن الآية أوردت ترجمة العلم الأعجمى فى سياقها وكانت المفاجأة

(٥) آل عمران (١٤٤)

أن هذه الترجمة تطَّرد فى القرآن الكريم كله. لا يكاد يخلو علم أعجمى فى القرآن من النص على ترجمة معناه فى سياق الآية ترجمة دقيقة مطابقة. ولكنك تمر عليها دون أن تفطن لها. لأن العبارة التى تعطيك معنى الاسم الأعجمى كلام من نسيج الآية معناها مطلوب لذات الآية والترجمة إضافة تظنها جاءت عرضًا. وهى دليل العلم والقدرة.

يقول المؤلف: وأما كيف هدانى الله إلى موضوع هذا البحث فهى بارقة إلهام ليس لى فيها من فضل، إنما الفضل كله لله - سبحانه وتعالى - ثم يقول: وهو بحث ليس فى وجوه إعجاز القرآن. فوجوه إعجاز القرآن بحر لا يدرك ساحله. وإنما هو بحث وجد فى وجه من وجوه إعجاز القرآن جديد لم أقع عليه فيما كتبه المفسرون. إنه العَلم الأعجمى فى القرآن مفسراً بالقرآن.

والقرآن، بفعل هذا غير مسبوق. لأنه يفسر ما يسفره عن علم وغيره يخطىء وقد يصيب».. وقبل أن أسرد لك أمثلة من هذا الإعجاز الإلهى أنقل لك بعض حديث المؤلف محمود رؤوف عبدالحميد أبو سعده، عن اللغة العربية وكيف أنها وسعت القرآن بإعجازه حيث ضاقت عنه اللغات الأخرى يقول: «الحق أن اللغة العربية هيئت تهيئة لتلقى القـرآن وزينت تزييناً لتليق به. وأنضجت إنضاجاً لتكون وعاءه وأحكمت إحكاماً لتعبر عنه فما نزل القرآن إلا وقد تهيأ لها هذا كله ضد منطق التاريخ ومنطق الحضارة.

ثم يقول: على أن فى [اللغة] العربية خصائص لغوية وبيانية وموسيقية قل أن تجتمع لسواها، إنها لغة الإيجاز البليغ والسلم الموسيقى الكامل، لغة اجتمعت لها كل الحروف، وصحت المخارج لا تندغم فى الحلق ولا تتآكل على أطراف اللسان.. لغة غنيت حروفا فغنيت جذوراً، لا تعرف اللواصق من رواكب وروادف.

وبعد أن تحدث عن ضعف اللغة وضعف المثقفين وأن الضعف أصبح متبادلا قال: «تلك كبوة حضارية عابرة ليست القاصمة وكم صادف أهل القرآن كلما تنكبوا صراط القرآن كبوات.. ثم يصف هيمنة القرآن على أساطين الكفر واللغة وأنهم رغم كراهتهم للقرآن لم يستطيعوا أن يسبوا القرآن بسوء، بل لو وجدوا فى القرآن مغمزا لما عفوا. ولكن القرآن أعجزهم أن ينالوه بسوء. ولو ادعوا عليه العجمة لافتضحوا بين العرب.

وسوف أضرب لك أمثلة من أعلام أوردها القرآن، أورد ترجمتها كما هى فى لغاتها الأصيلة دون إخلال بالسياق والجمال والروعة والبيان خذ مثلاً كلمة «اسحاق» وهو علم أعجمى، ما معناه؟ هل تعرف أنه فى لغته الأصلية «الضحاك» فيورد القرآن هذا التفسير لمعنى الاسم الأعجمى بأسلوب معجز لا تكاد

تلحظه ولا يخل بالعرض الجيد المعجز يقول المؤلف : ولأن النسيج القرآني نسيج محكم بالغ الإيجاز برىء من الحشو والافتعال كل لفظ فيه موزون بميزان ، معناه مطلوب لذات معنى الآية واللفظ أو العبارة المفسِّرة لمعنى الاسم العلم جزء من هذا البيان المتضام المتكامل . أو أداة لتصوير الحدث نفسه لا لتفسير الاسم فلا تفطن إن كنت لا تعرف لغة الاسم لوجه التناسب بين المفسر والمفسر به كما لا تفطن لوجه المشاكلة بين هذا وذاك ، كما تجد في تفسير اسم اسحاق بقوله عز وجل :

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ ﴾(٦) .

وكأن الملائكة قالت «ضحكت يا أم الضحاك ، تسمية من الملائكة للمولود المبشر به . لأنك لا تفطن لوجه التناسب بين «ضحكت» و«اسحاق» لأنك لا تعلم أن معنى «إسحاق» هو «ضحاك» كما قد لا تفطن لوجه المشاكلة في عبارة مثل «أحسنت يا حسن» إن قيلت لك بالإنجليزية أو بأى لغة غير العربية .

لكن هذا الذى لا تلتفت إليه - أى تفسير الاسم العلم - يتواتر في كل علم أعجمى مذكور باسمه أو بكنيته في القرآن الكريم فتتساءل : أمقصود هو ، أم غير مقصود أم أنه الإعجاز البيانى الذى يؤلف بين الألفاظ والصور على هذا النسق المتناغم المتجانس ؟ !

ذات مرة كان يسمع المؤلف سورة مريم :

﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾(٧) .

وكان معنى اسم زكريا في العبرانية «ذاكر الله» فتأمل تلك الترجمة التى جاءت في هذا التجانس الجميل بين زكريا زاكر الله .

كما نرى ذلك في اسم جبريل فإنه ورد ثلاث مرات بلفظه ، ثلاث مرات في الآية ٩٧ ، ٩٨ من سورة البقرة ، وآية ٤ التحريم ، وورد في سورة النجم ١ - ١٠ وسورة التكوير ٩ - ٢٣ محذوفًا لدلالة السياق عليه الذى يدل على معناه في لغته وهو القوى الشديد أو ذو القوة وليس ذلك فحسب بل إن القرآن يصوب ما أخطأت فيه الكتب السابقة حيث إنهم فسروه بأنه عبدالله وليس ذلك بشئ هذه عظمة القرآن وأنت بإزاء عظمة هذا الكتاب المعجز بين أمرين لا ثالث لهما فإما أن تصدق محمداً - ﷺ في دعواه ، والوحى ، وأنه نبى ، أو أن نقول إنه إله ، ولكنك إن ألهته معاذ الله - فقد كذبته - تلك هى المعضلة الكبرى أمام خصائص هذا القرآن المعجز وهى بذاتها وجه من وجوه إعجاز القرآن . . ولله الحجة البالغة .

---

(٦) هود (٧١).

(٧) مريم (١).

وَلَا تَفَرَّقُوا

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

سؤال له وجاهته.. طرحه عدد من الإخوة المسلمين الذين يعيشون خارج نطاق الدول الإسلامية.

السؤال يقول: لماذا لا يتم توحيد مطالع الشهور الهجرية؟

ويجيبون أنفسهم: صحيح أن الفقهاء قديمًا وحديثًا أيضًا قالوا: لكل إقليم مطلعه.. ولكن هناك اليوم مصلحة مهمة أو مصالح تتحقق للمسلمين لو أمكن توحيد مطالع الشهور الهجرية، وأعظم هذه المصالح على الإطلاق زرع الأمل فى النفوس بإمكانية توحيد الأمة الإسلامية، خصوصًا وأن وسائل الإعلام الدولية مقروءة ومسموعة ومرئية تتناقل أنباء الخلافات القائمة بين سائر الدول الإسلامية حول تحديد بدايات الشهور الهجرية، بل إن إحدى الصحف نشرت خبرًا حول دولة عربية حددت بداية لشهر رمضان، ورفض مالك إحدى الصحف اليومية الاعتراف بهذه البداية وصدرت الصحيفة تحمل تاريخًا هجريًا مغايرًا لما اعتمدته الدولة التى تصدر فيها تلك الصحيفة.

والعالم كله يتهكم على المسلمين الذين عجزوا عن وضع تقويم موحد لبدايات الشهور الهجرية المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بعقيدتهم، على عكس التقويم الميلادى الذى له صفة الثبات ولا يمكن أن يتغير إلا فى نطاق ضيق جدًا معلوما سلفا.

والمشكلة تزداد عمقًا واتساعًا لدى مجتمع الأقليات الإسلامية، فهل يصدق أحد أن أقلية تعيش فى دولة واحدة تختلف فيما بينها حول تحديد مطالع الشهور الهجرية، بل قد يحدث هذا الخلاف بين سكان الحى الواحد، فتجد طائفة من سكانه تصلى صلاة عيد الفطر، وطائفة أخرى من نفس الحى تصلى صلاة العيد فى اليوم التالى، وقد يكون هناك من لايزال صائمًا رمضان ولم ير هلال شوال بعد، وكل طائفة منهم تتشبث برأيها وترى أنه هو الصواب، بل قد تحاول كل طائفة فرض رأيها على غيرها من الطوائف بالقوة الأمر الذى تضطر معه الشرطة للتدخل.

ولا يوجد مجال للحديث عن خلافات مذهبية لأن هذه الخلافات تحدث بين أهل مذهب

واحد وهو السنة بمفهومها الواسع فالناس هناك لم يتبحروا فى المذاهب، فلم يدرسوا الفقه الحنفى ولا الشافعى، ولا المالكى، ولا الحنبلى والله سبحانه وتعالى- قال فى تعليل رسالة نبيه ﷺ :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

والرحمة تتضمن رعاية مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم[2].

وطرح الإخوة - وهم عدد من المسلمين المغتربين الذين يعيشون فى مدينة أوتاوا الكندية - طرحوا ما يعتبرونه حلاً معقولاً وهو :

● الإسلام بُنى على خمس فرائض، وهى :

- شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

- إقام الصلاة «وفيها نولى وجهنا شطر مكة».

- إيتاء الزكاة.

- صوم رمضان.

- حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

الفريضة الأخيرة، وهى الحج يتحد المسلمون جميعاً فى ميقات شهرها، شهر ذى الحجة، لأن الجميع يلتزم برؤية هلال مكة المكرمة والتقويم الهجرى فى سائر بلاد العالم يلتزم فى هذا الشهر بهلال مكة المكرمة.

ألا يعنى هذا أن أبناء الأمة جميعًا مطالبون بالالتزام بالرؤية الشرعية التى تتم فى بلد الله الحرام وفى شهره الحرام، ماداموا قد التزموا بها لمدة شهر واحد فما المانع إذا أن يلتزموا بها طوال أشهر السنة، وهناك بالفعل أقليات إسلامية طبقت هذا المفهوم، وهى تلك التى تعيش فى بلاد تتجاوز ساعات النهار فيها الـ ٢٠ ساعة وفرصتهم تكون محدودة جدا لرؤية الهلال ولذلك فهم يلتزمون بالرؤية الشرعية لمكة المكرمة ويصومون ويفطرون تبعا لفجر ومغرب مكة ومنهم من يصومون تبعا لرؤية أقرب بلد إسلامى ولكن هذا لا يتجاوز مستوى جماعات داخل الأقليات التى تعيش فى الدولة الواحدة.

بمعنى أن هناك من يصوم بالفعل ٢٠ ساعة يوميا، وهناك من لا يصوم أصلا لأنه لا يطيق صيام ٢٠ ساعة يوميا، ولا ترتاح نفسه للصيام وفق رؤية وتوقيت بلد يبعد عنه مئات الآلاف من الأميال، وبالتالى فلابد من تدخل يحفظ للمسلمين فى كل مكان فريضتهم.

أخذت أفكر فيما سمعت وقلت لنفسى : ما معنى قول الله تعالى :

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[3]

الآية خاصة بتحويل القبلة ولكن هل القبلة مخصصة فقط للصلاة، أى أنها أمر وتوجيه إلهى للأمة بأن تكون مكة هى قبلة الصلاة فقط؟ لا أعتقد هذا بل الذى أراه - فى ظل عدم ذكر كلمة الصلاة فى الآية - أن المسلمين مأمورون بأن

---

(١) الأنبياء (١٠٧).

(٢) عبدالكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية صـ ٤٦ ط دار عمر بن الخطاب - الاسكندرية.

(٣) البقرة (١٤٤).

يتوجهوا إلى مكة ويجعلوا كعبتها فى قلوبهم ويجعلوها حكماً فيما يشجر بينهم من خلاف سعياً وراء التوحد وعدم التفرق تنفيذا لأمر الله عز وجل بألا نتفرق فى قوله :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾(٤)

« والشريعة الإسلامية ما وضعت إلا لتحقيق مصالح العباد فى العاجل والآجل ودرء مفاسد أو جلب مصالح »(٥).

والفقه الإسلامى ليس إلا وجها من وجوه الفهم والتفسير والبيان لنصوص الشريعة وأحكامها وتطبيقا لمبادئها وقواعدها على جزئيات الوقائع والأحداث حسب الأمكنة والأزمنة ومصالح الناس(٦) والمصلحة الآن تقتضى أن يجلس فقهاء الأمة وعلماؤها فى الجغرافيا والفلك لدراسة نصوص الكتاب والسنة، والبحث فى إمكانية توحيد مطالع الشهور الهجرية وإمكانية ربطها باستطلاع هلال قبلة المسلمين.. مكة المكرمة.

ونحن عندما نطرح مثل هذه القضية للنقاش فإننا لا نبتدع - وقانا الله شر البدع - وإنما نقتدى بسلفنا الصالح - رضى الله عنهم أجمعين - فقد منع سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - المؤلفة قلوبهم نصيبهم من الزكاة، وقد كان لهم فيها حق نص عليه المولى - عز وجل - فى كتابه الكريم بقوله :

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(٧)

وقد أثبت الفقهاء أن عمر - رضى الله عنه - لم يخالف القرآن، ولا سنة رسول الله ﷺ فى فعله هذا، وإنما كان يتبعها ويحكم بها، حيث رأى أن المؤلفة قلوبهم لا يستحقون العطاء إلا إذا كانوا محتاجين إليه.

وذلك ما يمكن أن نطبقه - بعد بحث ودراسة مستفيضة - على الأهلة، وأتساءل : إذا كان هناك من يصر ويتمسك بالتطبيق الحرفى للعبارة الفقهية « لكل إقليم مطلعه » وهو أمر لا نشكك فى سلامته، ولكنه كان قديما يحقق مصالح الأمة، أما اليوم فهو لا يحققها بعد أن صار العراق إقليما، والكويت إقليما وقطر إقليما، وكذلك البحرين والإمارات وعمان، وقديما كانت كلها إقليم واحد له مطلع واحد.

الأمر ليس مجرد تحديد مطالع الشهور وتوحيدها فقط، إنما الأمر يتجاوز هذا بكثير.. إنه وجودنا فى عالم لم يعد يعرف إلا لغة القوة، ونحن لن نصبح أبدا أقوياء إلا إذا سعينا نحو تحقيق الوحدة الإسلامية، والوحدة ليست أبداً مجرد إلغاء للحدود السياسية كما يتوهم البعض، بل يجب أن تكون رغبة كامنة فى القلب.. ونحن إذا نجحنا فى توحيد مظاهر حياتنا مادياً ومعنوياً نكون قد نجحنا فى تحقيق الوحدة المنشودة فلنبدأ بتلمس مظاهر وحدتنا من ديننا الحنيف من قواعده التى بُنى عليها عسى الله أن يهىء لنا من أمرنا رشداً.

---

(٤) آل عمران (١٠٣).

(٥) عبدالكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ص ٤٦، نقلاً عن: قواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام (٩/١).

(٦) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية صـ ٦٧.   (٧) التوبة : (٦٠).

سفينة التقوى والإيمان

للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير

فى رياض الأخلاق الحسنة والخلال الطيبة والخصال الكريمة، يبدأ المؤمن المسير بإعمال العقل فى معناه الواسع الرحب الذى يجعل من الذهن المتوقد والبصيرة النيرة نبراساً يهتدى به كل ذى لب حائر، ويعدل فى حكمه كل حاكم جائر، والعقل هنا يجعل من شكر النعمة أساساً يدفعه للعناية الشديدة والرعاية الأكيدة لكل من ابْتُلى بإعاقة ذهنية سلم الله منها الأصحاء. وأما الأساس الذى يلى العقل فهو الدين الحنيف الذى يزداد به شرفاً لكل شريف.

وتكتمل أضلاع مثلث التقدم والازدهار بالعلم النافع المفيد الذى يبنى ويشيد.. وهذا المثلث ـ أعنى العقل والدين والعلم ـ لا يمكن فصل أحد أضلاعه عن الآخر خصوصاً إذا كان الهدف الفعلى هو حضارة أمة ومدنية دولة.

وفى دنيا المعالى لابد للمتريض فيها أن يتحلى بخلق هام، اكتسبه من الصيام واتخذه دستوراً له فى التعامل مع الآنام، إنه الحلم الذى نوه بأهميته الجوهرية النبى مُحَمَّد خير البرية وأزكى البشرية ﷺ.. حين قال ﷺ لأشج عبدالقيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله.. الحلم والأناة» وصدق ﷺ فيما قال إذ الحلم هو الطريق الفطرى الموصل لأس المكارم، وأساسها المتين. ألا وهو الجود والكرم الذى يعد من أسمى أخلاق رسولنا العظيم ﷺ فى رمضان، فقد كان جبريل ـ عليه السلام ـ يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، وكان ﷺ حينها أجود بالخير من الريح المرسلة.

والكرم والسخاء، طبع أصيل مركوز فى هذه الأمة الرائدة. ولقد ضُرِبَ المثل بحاتم الطائى فى هذا الباب وسجل التاريخ له ولأمثاله صحائف بيضاء من نور ظلت على مدى الأجيال مناراً للبركات، وقد أوصى الطائى زوجته وصية قليلة الكلمات، عميقة العظات، فقال فى أسلوب خلاب:ـ

أمـاوىَّ إن المـال غـادٍ ورائـحٌ ويبقى من المال الأحاديث والذكر

نعم، فالذكر الحسن للإنسان عمر يضاف إلى عمره، وفى سعيه الدءوب وراء المحاسن والمكارم يتوقف المؤمن المحتسب أمام العرف الذى قدمه رسول الله ﷺ لكل مسلم عنقوداً شهى الطعم لذيذ المذاق حينما نزل عليه أمين الوحى جبريل ـ عليه السلام ـ بقول الله ـ عز وجل ـ: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين».

فلما استفسر عن معناها أخبره جبريل جواباً من رب الأرض والسماء فقال: «أن تعطى من حرمك وتعفوا عمن ظلمك وتحلم عمن جهل عليك وتحسن إلى من أساء إليك». إنها ببساطة الترقى فى سلم الفضائل من الإسلام إلى الإيمان إلى الإحسان، إنها المعنى الدقيق لقوله ـ جل وعلا ـ:

﴿ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ . وإذا كان هذا هو الإطار الذى يفترض أن يعيش فيه من صان أخلاقه فى رمضان فلم يشهد زوراً، ولم يغش فجوراً، وقضى نهاره فى طاعة، وأنفق ليله فى ضراعة منتظراً فى يوم الدين من الصيام والقرآن شفاعة، فإن رمضان يفتح له باب البر على مصراعيه. وليس البر مجرد عبادات شكلية وإنما هو طريق طويل ومنهل عذب، فالبر كما صورته آية البر فى سورة البقرة، إيمان بكل ما للإيمان من حلاوة وطلاوة وبذل للمال وتحصينه بالنفس والنفيس على الرغم من الحب التلقائى الفطرى للحياة والمال حب يدفع صاحبه ويحفزه إلى أن يواسى بماله ونفسه كل محتاج ويأسو بهما جراح المعوذين، ويسد خلة كل محتاج اقتضت مشيئة البارى أن يمتحن فيما هو عصب الحياة وطاقتها المحركة ويلى الإيمان والبذل عبادتى الصلاة والزكاة أو لنقل: إن البذل والعطاء توسط ركنى الإيمان والصلاة تماماً كما توسط ركن الزكاة وهو العبادة المالية بين الصلاة وفضائل الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد، فهل هناك سياحة إيمانية فى عالم الفضيلة أطيب من الإبحار فى موج البِّر على متن سفينة التقوى والإيمان وصولاً إلى شاطئ المحبة والوئام، وابتعاداً عن اللجاج، ونأياً عن الخصام.. ولا يفوت من يعيش أفراح العيد بعد أن صام وقام لله أن يذكر أن الحياة كل الحياة، تدور بين أمدين، إما نعمة يشكر الله على أن اختصه بها، وإما بلية يحمد الله على أن ألهمه الصبر عليها، ويختتم هذا التطواف فى رياض الصالحين وبساتين المفلحين بأن يعى المؤمن يقيناً ويدرك حقاً القانون العام الذى نبه رسول الله ﷺ إليه أم المؤمنين عائشة حين قال: «ما كان الرفق فى شىء إلا زانه، وما نُزِع من شىء إلا شانه».. كما لا ننسى قوله: «إن الله يحب الرفق فى الأمر كله».. ولا يغيب عن بالٍ دعاء دعاه فقال ﷺ: «اللهم من ولىّ من أمر أمتى شيئاً فَرَفَق بهم فارفق به».. وليس معنى اللين والرفق أبداً التهاون مع النفس بعد انقضاء رمضان، فجهاد النفس والهوى والشيطان والدنيا ومغرياتها، دأب المتقين لا ينفك كل منهم يمارسه فى رمضان وفى كل شهور العام.

أيها الأخ الكريم: إن العيد فرصة طيبة لكنها لا تطيب ولا تهنأ إلا بمصافاة الأهل والإخوان والتودد والتحبب إليهم بالزيارة وصلة الرحم غرساً للألفة وبذراً للوئام، فزارع المعروف وبازل الخير لن يجنى إلا الخير حتى وإن تأخر موسم الحصاد. وفى منظومة جميلة تصور كل تلك المعانى يقول الإمام علىّ - كرم الله وجهه -:

إن المكارم أخـــلاق مطهـــرة ... فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والعرف ساديها
والبر سابعها والصبر ثامنها ... والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم أنى لا أصدقها ... ولست أرشد إلا حين أعصيها

فما أبلغ أبيات الإمام، تلك الأبيات العبقرية التى قدمت الفضائل وكأنها طاقات من الفُلِّ والياسمين، تُرَصِّع جبين الزمن وتزين صدر الأيام فى لفظ جميل أخاذ يستخدم فيما يستخدم بمهارة منقطعة النظير أمراً نحوياً يكاد ينساه أهل النحو واللغة، ألا وهو (الترخيم) أى حذف الحرف الأخير فى قوله: (ساديها - عاشيها).. وإن شئنا البحث التطبيقى لبعض تلك الشمائل، فلن نجد بحق من يطبقها خيراً من السلف الصالح.

ضلال أو تضليل: «الإسلام والإرهاب»

كتب الأستاذ فكرى مكرم عبيد فى جريدة الأهرام تحت عنوان قضايا وآراء فى عددها الصادر فى ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٢ يقول:

مخطئ من يتخيل أن اتهام الإسلام بالإرهاب جاء وليد جهل أو خطأ، بل تدبير آثم، جريمة مكتملة العناصر والأركان، من فعل وقصد جنائيين، أرفقتها وخاطت رسومها عقول واعية شريرة رمت إلى هدف ذى شقين، أولهما التخلص من هذا الوزر، وثانيهما إلصاقه بعدو عنيد، تلك هى عقول الصهيونية العالمية.

لسنا نلقى هذا القول على عواهنه، ولا هى اتهامات عاطفية ناشئة عما نعانيه من إسرائيل والإسرائيليين، بل هو الواقع الذى عاشه العالم كما يدل عليه تسلسل الواقع التاريخى وتحليله الموضوعى.

قبل نشأة إسرائيل لم يكن العالم قد سمع بتعبير «الإرهاب» بالمعنى المتعارف عليه حديثا، فهى قامت أول ما قامت على عصابات إرهابية مثل «الهاجاناه» و «إرجون زفاى ليومى» «شيترن» التى بدأت نشاطها بإرهاب الجيش البريطانى عن طريق خطف رجاله وتعليقهم من أرجلهم كالخراف، ثم إلى إرهاب السكان الأصليين العرب الذين كانوا قد قاوموا إغراء الذهب اليهودى ورفضوا بيع أراضيهم بأى ثمن، وكان هذا البيع يتم بأثمان مرتفعة تدفع إلى أصحاب الأرض فى الصباح ويستردونها منهم فى المساء فى ملاهى تل أبيب ومواخيرها، وإزاء رفض وامتناع غالبية العرب عن البيع، عمدت العصابات اليهودية إلى الاستيلاء عليها قوة وعنوة بإرهاب أصحابها تزهيدا لهم فى بلدهم.

سمعنا بعد ذلك عن الإرهاب اليهودى المنظم، فاغتالوا لورد موين الوسيط الإنجليزى فى رائعة النهار فى القاهرة فوق كوبرى الزمالك، ثم اغتيال الكونت برنادوت رئيس لجنة الهدنة السويدى

المسالم، ثم اغتيال داج همرشولد أمين عام الأمم المتحدة، ثم جريمة قتل ليفون فى الإسكندرية وما ترتب عليها.

لم يقتصر إرهاب الجماعات اليهودية على غير اليهود، بل شمل أبناء جلدتهم، فكانوا يرهبون ويبتزون أغنياء اليهود وثراتهم، يفرضون عليهم «فردة» مقدرة بنسبة مئوية من رءوس أموالهم، مهددين من يمتنع عن الدفع لا بالقتل فحسب، بل باختطاف أولاده، وحصلوا بهذه الطريقة على مئات الملايين من الدولارات ليستخدموها ـ بعد نهب نصفها لأنفسهم ـ فى تمويل عمليات الإرهاب المتتالية.

ومن المعروف أن فى أمريكا عصابات «المافيا» المكونة من أمريكيين من أصل إيطالى، تنافسها فى أنشطتها الإجرامية مافيا اليهود، والمعروف أن للمافيا ما يطلقون عليه العائلات، وهى خمس، يرأس إحداها إرهابى يهودى اسمه كمينسكى ينافس بل يبز آل كابونى وديلنجر.

حرص اليهود فى ذكائهم الشرير مستخدمين أموالهم وتسلطهم على وسائل الإعلام والدعاية، وحتى ينسى الناس إجرامهم، على أن يلصقوا تهمة الإرهاب بالعرب والمسلمين، مستغلين جهل الأمريكان والأوروبيين بحقيقة الأمور ومستغلين انتفاضة الفلسطينيين فى مقاومة الاحتلال، وهى حق شرعى ومشروع سبقهم إليه كل من احتلت بلاده أمثال المقاومة الفرنسية بقيادة ديجول، وحرب تحرير أمريكا بقيادة واشنطن، بنسبة الإرهاب إلى المقاومة الفلسطينية، وهى نسبة كاذبة، فعملوا بمهارة الإجرام على أن يتنصلوا من جرائمهم بإلصاقها بسواهم.

هذا هو الإرهاب اليهودى كما عرفناه وأقمنا عليه الدليل، ومع أسفى للحديث عن أهل «دين سماوى» بهذا المقت والكراهية، لكن ما حيلتى بعد أن أعلن اليهود أنفسهم وأطلقوا على إسرائيل ـ وهى الدولة التى اغتصبوها سفاحا ـ أنها الدولة اليهودية Jweish State.

عالمية الإسلام لكل زمان ومكان

فى جريدة الجمهورية فى عددها الصادر فى ٢٤ / ١١ / ٢٠٠٢ نشرت وقائع ندوة عالمية الإسلام لكل زمان ومكان.

تحدث الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف قائلاً: إن الإسلام به ثوابت ومتغيرات وهذا أمر ليس جديداً، وربما كان حوار النبى ﷺ مع معاذ بن جبل وهو يرسله إلى اليمن هو الدليل الدامغ على ذلك خاصة عندما قال له: «فإن لم تجد فى كتاب الله وسنة نبيه؟ فقال معاذ: «أجتهد رأيى ولا آلو» فالثوابت تتضح فيما قاله معاذ فى النصوص الصريحة فى القرآن والسنة ثم هناك المتغيرات التى تخضع للظروف الطارئة والتى أشار إليها معاذ بقوله: «أجتهد رأيى ولا آلو» فالاجتهاد هو الآلية التى اعتمدها الإسلام لمواجهة كل المتغييرات.

وأضاف: إن المتغيرات لا تتعارض أبداً مع الثوابت فالمرونة فى الأحكام لا تتعلق بالثوابت وإنما بالأشياء القابلة للتغيير وهو ما نسميه اجتهاداً كما أن عدم الاجتهاد يعد ذنباً لأن الاجتهاد استخدام العقل وقد جرم القرآن عدم استخدام

العقل بقوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ
١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(١).

وأشار إلى أن استهداف المسلمين والتآمر عليهم حقيقة لا جدال فيها لكن هناك بعداً غائباً فى الموضوع وهو مسئولية المسلمين فيما يحدث لهم فالمسلمون هم المسئول الأول عما يحدث لهم وعليهم أن يعالجوا أسباب التخلف عندهم أولاً ثم يقفوا بعد ذلك فى وجه الاستهداف وسوف يكون الأمر سهلاً.

وقال الإعلامى أمين بسيونى رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون السابق: إن محاولة حماية المجتمعات الإسلامية من التدفق الثقافى المغاير لثقافتنا وهويتنا لا يمكن أن يتحقق بمحاولة منع التدفق الإعلامى والثقافى من كل من حولنا عبر الفضائيات ومن يفكر فى ذلك فهو كمن يحاول حجب ضوء الشمس بغربال.

وأضاف أنه ليس أمام العالم الإسلامى لمواجهة الثقافات المغايرة إلا أن يتجه إلى إعادة بناء الإنسان، بناء يحفظ عليه هويته وثقافته ويجعله يختار ما يفيده وينفعه ويرفض ما يضره ولا يضيف إليه شيئاً وبالتالى فإن منطق الاختيار المطلق أو الحرية المطلقة يجب أن يتعامل معه إنسان واع بثقافته وحضارته وقيمه وما ينفعه وما يضره.

وأكد أن الدعوة الإسلامية أصلاً قائمة على منطق الاختيار الحر فهى بلاغ ثم اختيار مطلق:

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(٢).

وقال: إن بناء الإنسان هو أصعب ما يواجه الأمم لأنه لا يتحقق من قبل جهة واحدة وإنما تتضافر فيه جهود كثيرة ومتكاملة من الأسرة إلى المدرسة إلى الإعلام إلى الشارع إلى كل ما يلقاه الإنسان ويتعامل معه بشكل يومى فإذا وجد منهجاً إيمانياً فى كل ما يراه نشأ مستقيماً ثابتاً لا تهزه الرياح العاتية أما إذا اجتهدت جهة دون جهة فإن ما تبنيه الأسرة مثلاً يفسده الإعلام أو المدرسة أو الشارع فلا يتحقق البناء.

أما الدكتور سوزان القلينى مدير مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس فأكدت أن تطوير الخطاب الدينى خاصة فيما نتوجه به إلى الغرب يحتاج إلى إعادة تأهيل الدعاة وإعدادهم إعداداً جديداً يتناسب مع الهدف المرجو منهم لأن كل دعوة تعتمد على الداعية فقد تكون الدعوة واضحة وعظيمة وتحمل للناس خيراً كثيراً لكن الذى يقوم بعرضها لا يقدمها بالشكل الذى تستحقه وبالتالى لا يقبل عليها الناس، وقد تكون دعوة لا تقف على حق واضح لكنها تقوم بتزيين لباطلها وإظهاره وكأنه حق فيقبل عليها بعض الناس ومن هنا فلابد من إعادة إعداد الدعاة.

---

(١) الملك (١٠، ١١).

(٢) الكهف (٢٩).

دراســة الغــزوات من بــدر إلى العــراق

فى جريدة الجمهورية كتب الأستاذ عبداللطيف فـايد يوم ١٩ / ١١ / ٢٠٠٢ **يقـول**: الغـزوات الإسلامية تتطلب من المسلمين دراسة وافية تشمل ظروفها وأحداثها ونتائجها وعوامل النصر فيها، وشخصيات المجاهدين فى معاركها، وارتباطها كلها بالالتزام وتنفيذ أوامر القادة فيها وخاصة فى عهد رسول الله ﷺ فقد يخفى الهدف من أمر من الأمـور على منفـذيه من الجنود ولكن له فـائدة استراتيجية كبيرة يتوقف عليها النصر، فإذا اختل تنفيذ هذا الأمر فإن الهزيمة أو ما يشبهها تنزل بالجيش كله، والدرس معروف من غزوة أحد التى تتطلب وحدها دراسة مستقلة فى هذا الشأن، كذلك دراسة الهدف الذى يجمع هذه الغزوات كلها، وهو هدف دفاعى فى المقام الأول لا يعتدى على الآخرين، ولا ينشر الدين بالسيف، وإنما ينشره بالحكمة والموعظة الحسنة والقدوة فى الأخلاق السلوكية.

وأكثر بلاد الأمة الإسلامية انتشر فيها الإسلام بالقـدوة، وهذا واضح فى انتشـاره الآن بالبـلاد الأوروبية وأمريكا، وقد انتشر فى أفريقيا وآسيا بالأسلوب ذاته عن طريق العلاقات التجارية والنشاط الاقتصادى للأفراد حتى أن كبرى البلاد الإسلامية وهى أندونيسيا لم يرفع فيها سيف لنشر الإسلام، وإنما انتشر فيها إيماناً من أهلها بقيم هذا الدين التى حملها التجار المسلمون إليها، وهى الدولة التى تتعرض للحملات التى تسمى بالتبشيرية لاقتلاع الإسلام منها بالإضافة إلى جهود الاستعمار لتفكيك وحدتها باسم الاستقلال وحريات الشعوب.

كذلك كانت الحملات الإسلامية تهدف إلى رفع الظلم عن المظلومين فيها وتمتع أهلها بالحرية المفقودة فى اختـيـار الدين أو المذهب الدينى الذى يريدون اعتقاده بالإضافة إلى تأمين الدولة الإسلامية من الإغارات العدوانية، وهذا واضح فى فتح مصر والشام وغزوة تبوك، وهناك هدف آخر وهو استخلاص الحقوق الضائعة خلال الفترة التى سبقت الهجرة من مكة إلى المدينة، وهذا واضح فى الأسـبـاب التى سـبـقت غزوة بدر، وهو يعطى الدلالة على الحق المشروع فى القتال لاستخلاص ما ضاع بقوة الأعداء.

هناك أيضاً سرية العمل والحفاظ على القوة التى تتمتع بها الدولة واستخدامها فى مواضعها، لأن التجربة أفادت أن استخدام هذه القوة فى العدوان على الآخرين مسلمين أو غير مسلمين لا تفيد الدولة القوية، وإنما تبدد قوتها وتجعلها نهبا للآخرين وهدفاً لعدوانهم وضرب المسلمين جميعاً، وبخاصة فى فترات ضعفهم وتفكك وحدتهم، والمثل قائم الآن فى العراق الذى دخل معارك مع إيران سالت فيها دماء الطرفين ثمانى سنوات، فلما وضعت الحرب أوزارها بينهما اتجهت العراق لغزو الكويت، فكان ما كان مما يعانى منه شعب العراق حتى الآن، وكان سبب هاتين الحربين حيلة استعمارية لتبديد القوة الإسلامية فى المال والرجال، ودليل ذلك أن أمريكا هى التى دفعت العراق لحرب إيران وكانت تغذيها بالمال والسلاح، ثم هى التى نصبت الفخ للعراق فى ضرب الكويت فوقعت فيه قيادتها، والآن يعانى العراق وتعانى الدول الإسلامية وخاصة فى المنطقة العربية من نتائج ذلك، لأن الدول الإسلامية لا تملك القدرة على رد العدوان الأمريكى على العراق والمتمثل فى الأمم المتحدة التى تتخذها أمريكا ستاراً لأهدافها العدوانية على المسلمين.

بين المجلة ... والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

WWW. alazharonline.org

مشروع سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم لحفظ مخطوطات الأزهر ونشرها على الإنترنت

www.sheikhmohammed.co.ae

تلقيت بمزيد من الاعتزاز والتقدير دعوة سمو الشيخ / محمد بن راشد آل مكتوم ولى عهد دُبى.. وزير الدفاع بدولة الإمارات العربية لحضور المؤتمر الصحفى الخاص بمشروع حفظ مخطوطات مكتبة الأزهر الشريف.

بدأ المؤتمر بكلمة للأستاذ **جمال خلفان الحويرب** المدير العام لشركة الشيخ محمد التكنولوجية WWW Sheikh mohamed.co.ae الذى أوضح الاهتمام البالغ لصاحب السمو ولى عهد دبى بالمخطوطات بصفة عامة وبمخطوطات مكتبة الأزهر الشريف بصفة خاصة لما تضمه من تراث نادر.

وقد أبانت كلمة الأستاذ **جمال الحويرب** عن دراية الرجل بالمخطوطات وأهميتها وأنواعها المختلفة **من حيث كونها كُتِبَت بخط المؤلف، أو بخط أحد تلامذته وسمعها المؤلف، أو تَحْمِل تعليقات من أحد الشيوخ الكبار.. إلخ.**

وفى الواقع فإننى لاحظت أن الرجل محب للتراث عاشق للمخطوطات فجزاه الله خير الجزاء.

ثم جاءت كلمة السيد صاحب الفضيلة الشيخ / أحمد خليفة وكيل الوزارة ورئيس الإدارة المركزية لشئون المكتبات الأزهرية.. الذى أفاض فى شرح تاريخ مكتبة الأزهر، فكان مما قاله: «إن الأزهر كان به قديماً نظام الأروقة، والرِواُق عبارة عن بناء يسكنه الطلبة من الجنسيات المختلفة، وقد بلغ عدد الأروقة سبعاً وعشرين رواقاً، وكانت هذه الأروقة تضم العديد من الكتب، غير أنها لم تكن تخضع لنظام المكتبات الحديثة.

نقلة حضارية تضع التراث الإسلامى فى متناول الأجيال

وقد تعرضت هذه الكتب للضياع بأيدى الذين لا يعرفون قدرها، الأمر الذى جعل الأستاذ الشيخ / محمد عبده.. مفتى الديار المصرية آنذاك يفكر فى إنشاء المكتبة الحديثة وتم التنفيذ فى أول المحرم سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٧م. وقد تم نقل كتب الأروقة إلى الأماكن التى خصصت لها، وقد لاقى المباشرون للتنفيذ صعوبات فى ترميم الكتب وإصلاحها، ولم يكن بها من كتاب سليم إلا النذر اليسير»(١).

بُدئ فى فهرسة الكتب وتبويبها وتسجيلها أثناء تولى الشيخ أبوالوفا المراغى(٢) العمل بها.

أما المكتبة فى شكلها الحالى.. فقد بدأ العمل فى إنشاء مبناها الحديث عام ١٩٨٢م. فى عهد الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السابق تغمده الله برحمته، وتم الافتتاح فى عهد فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الحالى أطال الله فى عمره.

وقد تبرع السلطان حسن بلقية.. سلطان بروناى بمبلغ خمسة ملايين دولار خصصت لتحديث المكتبة الأزهرية وإنشاء معهدين لطلاب الأزهر.

وهذا التبرع الذى قدمه سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولى عهد دبى ويبلغ خمسة ملايين دولار أمريكى خصصت جميعاً لمشروع المسح الضوئى لمكتبة الأزهر وتخصيص موقع إليكترونى.

أما المهندس معين مكى - المدير الفنى للمشروع فقد قال كلمة يُستفاد منها ما يلى:

(١) أنه تم استقدام عشر ماسحات ضوئية خاصة بتصوير الوثائق والمخطوطات بتقنية متقدمة

---

(١) يمكن لمن يريد الاستزادة الرجوع إلى: اللمحات الشذية عن المكتبة الأزهرية - بقلم فضيلة الشيخ/ أحمد خليفة - الأزهر - مطبعة المصحف.

(٢) فهو - غفر الله له - الذى قام بهذا المجهود، وعالج فى الحديث عن كل كتاب ذكر شيء من مقدمته، ثم تلاها بذكر طبعاته - إن كانت له أكثر من طبعة، أو كان لم يُطْبع وظل مخطوطاً... كان جهداً ليس له إلا الله - سبحانه - الذى نضرع إليه أن يثيب هذا العالم الجليل على ما فعل، فلولا ما قام به من حصر لمقتنيات هذه المكتبة ومشاركة الشيخين حسن حسين ومحمد أحمد الشحات.. عملاً، وإشرافاً، لكانت الخسارة فيها أكثر وأكثر، ولولا إخلاص رافق عملهم جميعاً لما هيأ الله لهذا العمل كل هذا الانتشار العالمى - فليرحمهم الله جميعاً رحمة واسعة.

جداً أنتجت خصيصاً لمكتبة الأزهر الشريف منْ قـبَلْ I.B.M بحيث لا تؤثر على المخطوطات المصورة وتعطى صورة طبق الأصل من المخطوط.

(٢) كذلك مائة جهاز حاسب آلى موزعة بين مكتبة الأزهرالشريف للباحثين وبين الإدارة العامة.

(٣) نظام Rs/6000 Sp2 الذى يقوم بمهام كثيرة منها: حفظ ما يقرب من ستة ملايين صفحة رقمية من المخطوطات.

(٤) برمجيات بحلول عالية الأداء من I.B.M.

(٥) نظام I.B.M . Web Sphere.

(٦) جهاز I.B.M 3995 C66 Optical Librar-ies Storag.

(٧) جهاز I.B.M 3583 Tape Storag.

وسيتم التنفيذ وفقاً للمراحل التالية:

تركيب الكابلات والتشبيك / تركيب الأجهزة وتصميم الموقع على الإنترنت / تشغيل البرامج / تخزين الصور / المرحلة النهائية..

ويتم الافتتاح فى كل من دبى والقاهرة ونيويورك ولندن.

.. وعن سؤال عن ضياع بعض المخطوطات:

قال الشيخ أحمد خليفة:

بفضل الله - تعالى - لم يُفْقَد كتاب واحد أو مخطوط منذ تم فهرسة المكتبة أيام الشيخ المراغى، حيث كان عدد المخطوطات بها سبعة آلاف وتسعة مخطوطات، بلغ الآن اثنين وأربعين ألف مخطوط من بينها تسعة آلاف مخطوط نادر لا يوجد إلا فى مكتبة الأزهر فقط.

كما تضم المكتبة الآن ١٢٥ ألف كتاب وجميع هذه الكتب والمخطوطات مثبتة وموجودة بالكامل فى المكتبة كما أنه توجد لدى المكتبة مقتنيات أخرى غير الكتب وهى مثبتة أيضاً فى دفاتر وسجلات خاصة.

مثل: (المزولة، أدوات رصد النجوم، حبة قمح مكتوب عليها سورة لإيلاف قريش بالكامل.. إلخ.).

أما ما تم أثناء الحملة الفرنسية من اختلاس وسرقة لبعض الكتب، فإن ذلك من دأب الاستعماريين الذين نهبوا آثار البلاد التى استعمروها سواء مصر أو غير مصر، وذلك تم قبل التسجيل فى السجلات الخاصة بالمكتبة، وإلا لأمكننا المطالبة بها.

وعن مجلة الأزهر باعتبارها واحدة من أهم ما تحتويه مكتبة الأزهر وما تحويه المجلة من فتاوى كبار العلماء وما قدمته على مدى خمسة وسبعين عاماً دفاعاً عن الإسلام، كان سؤالى عن وضع المجلة من ذلك المشروع، وهل سيتم وضع المجلة بالكامل على الإنترنت أم سيكتفى بالأعداد التى تصدر حديثا؟..

وقد جاءت الإجابة من الأستاذ جمال الحويرب تثلج الصدور، حيث قال:

«إننا ننظر إلى مجلة الأزهر كأفضل المجلات الإسلامية، وسنبدأ فى وضع الأعداد الثلاثة الأخيرة من مجلة الأزهر على موقع WWW. ALAzhar Online. Org.

أما بقية الأعداد الماضية فستأخذ طريقها مع بقية محتويات المكتبة بمشيئة الله - تعالى - حيث هى جزء من محتويات الموقع الذى يضم: موضوعات إسلامية تهم جميع المسلمين مثل: الفقه، والفتوى، والحضارة الإسلامية، ومجلات الأزهر، ومحاضرات المؤتمرات الأزهرية.

بالإضافة إلى أكثر من اثنين وأربعين ألف مخطوط ومائة وخمس وعشرين ألف كتاب، سيصبح كل هذا الإرث العلمى والكنوز الإسلامية بصيغتها الإليكترونية متوفرة للجميع لأول مرة.. وذلك للتعريف بقيم العالم الإسلامى وسماحة الإسلام وانفتاحه.

ونستخلص من الحديث الذى دار بين الحضور أن:

(١) المشروع ينتهى بإذن الله - تعالى - بعد سبع سنوات.. ويحمل عنوان: WWW ALAzhar . Online. Org

(٢) المرحلة الأولى للمشروع تنتهى سنة ٢٠٠٣م. مع نهاية الاعتماد المالى الذى يقدر بنحو خمسة ملايين دولار أمريكى هى مقدار التبرع الذى قدمه صاحب السمو ولى عهد دبى لهذا الغرض.

(٣) الدلائل تشير إلى أن اهتمام صاحب السمو بمكتبة الأزهر لن يتوقف عند حد المرحلة الأولى، بل سيستكمل المشروع بإذن الله - تعالى - حتى النهاية.

(٤) المشروع يتيح الاطلاع على محتويات مكتبة الأزهر بالمجان، باستثناء رسم بسيط للباحثين الذين يودون الاطلاع على المخطوطات.

(٥) سيتم إنشاء شبكة اتصالات داخلية للربط بين المعاهد الأزهرية الرئيسية.

(٦) سيتم اختيار بعض الكتب لترجمتها وبثها بعدة لغات من خلال موقع الأزهر على الشبكة.

* * *

وكم أتمنى أن يضع القائمون على هذا العمل المتميز فى اعتبارهم ما يلى:

(١) توجيه الدعوة الكريمة لكل مَنْ يحتفظ بمخطوطات إسلامية نادرة كبعض العلماء والأثرياء الذين اقتنوا أو ورثوا مثل هذه المخطوطات ليتقدموا بها إلى الأزهر لضمها إلى المكتبة أو على الأقل لتصويرها وإعادتها لأصحابها مرى أخرى؛ حتى لا تضيع هذه الكنوز مع مرور الزمن من أيدى أحفادٍ قد لا يقدرونها حق قدرها.

(٢) أما عن بث بعض محتويات المكتبة باللغات المختلفة، فإننى أرى واجباً علىَّ وبخاصة أن هذه النصوص ستضم - بالضرورة - فى استشهاداتها الكثير من الآيات القرآنية وأحاديث الرسول الكريم ﷺ أرى واجباً أن أقول: إنه يجب أن يختار لهذا العمل، العالم الأزهرى المتمكن من أمورالدين واللغة المراد الترجمة إليها، والمترجم الكفء الذى يتقن اللغة كأهلها، ولا تغيب عنه أمور الفقه ومصطلحات علوم الدين: كالحديث والتفسير.. إلخ..... ليشكلا معاً فريق عمل للتصدى لترجمةٍ تحمل صحيح الدين فى أفضل صياغة؛ ليشرق بها ديننا الإسلامى الحنيف على العالم الغربى.

ونسأل الله التوفيق والسداد لكل من أسهم فى نشر ذلك الدين القَيِّم.

وعلى الله قصد السبيل.

عادل خفاجة

وإلى رسائل القراء:

جاءنا من الأستاذ / محمد يس عبدالرحيم فتوح - الموجه العام للتربية الدينية واللغة العربية بقنا (سابقاً) تعقيب على قصة (وا مثنياه) التى نشرت بعدد صفر ١٤٢٣هـ مايو ٢٠٠٢.

وفحوى النقد هو اختلاف الرواية بشأن استدعاء المثنى بأمر عمر بن الخطاب أم بأمر أبى بكر الصديق رضى الله عنه. ونقول للناقد الفاضل: إن الروايات فى هذه الناحية وفى غيرها مختلفة وإذا ذهب العقاد إلى رواية فهذا لا يمنع الاعتماد على رواية أخرى، لا سيما والمجال مجال قصة تحليلية وليس مجال نقدٍ تاريخى.

من أعلامنا المنسيين

الأستاذ / زكى المهندس

على درب الوفاء كانت كلمة القارىء فرج مجاهد عبدالوهاب - من شربين دقهلية - عضو اتحاد الكتاب وعضو نادى القصة، ليذكر القراء بأحد الرواد الأوائل ممن كانت لهم آثار واضحة فى حياتنا الأدبية، حيث يقول:

الأستاذ / زكى المهندس من علماء التربية والتعليم وأحد الرواد الأوائل الذين أسهموا فى وضع أسس جديدة للتربية والتعليم منذ عام ١٩٢٥.

ولد فى عام ١٨٨٧ وتخرج فى كلية دار العلوم ١٩١٠ ثم أتم دراسته بانجلترا كما حصل على دبلوم التربية والآداب وشهادة تخصص فى علم النفس كان من أوائل من درسوا بكلية دار العلوم مادتى التربية والفلسفة ثم اختير وكيلاً ثم عميداً للكلية حتى أحيل إلى المعاش سنة ١٩٤٧.

ألف وترجم وراجع الكثير من الكتب المدرسية ومن أشهرها: «تهذيب البنين» و«أخلاق الفتى» و«النحو المصور» و«رجل القرن العشرين» و«أحلام اليقظة» و«المراهقة» و«رسالة المعلم».

كما ألف - أيضا - فى مجال التربية: «التربية العلمية» و«تاريخ التربية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر» و«إلى المجد». هذا إلى جانب البحوث والمقالات العديدة التى نشرت فى الصحافة والإذاعة.

تم اختياره عام ١٩٤٦ عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة حيث شارك فى كثير من لجان المجمع مثل لجنة الأدب، ولجنة نشر التراث القديم، ولجنة العلوم الفلسفية والاجتماعية، ولجنة تيسير الكتابة.. وغيرها.

أشرف أيضا على مجلة المجمع بعد وفاة الأديب الكبير على الجارم، وفى سنة ١٩٦٤ تم انتخابه نائباً لرئيس المجمع.

يذكر أيضاً أنه والد الفنان الكبير فؤاد المهندس والإذاعية صفية المهندس.

● المحرر: ما أجمل الوفاء، وكم هو جميل أن نعترف بفضل وجهود هؤلاء الرواد الذين مهدوا الطريق فى شتى صنوف المعرفة، وكم أتمنى أن يتناول القراء الكرام بأقلامهم فى كل عدد شخصية من هؤلاء الرواد.

حقوق المرأة المسلمة.. بقلم غربية منصفة

والرسالة الأخيرة وردت من القارىء أحمد محمد خلف من سمالوط بالمنيا يقول فيها:

- يثير خصوم الإسلام كثيراً من الشبهات الباطلة والمضللة حول بعض الأحكام الإسلامية. وقد دأب العلماء على تفنيد هذه المزاعم والأباطيل والرد عليها، وللأسف الشديد فإن بعضاً من أبناء الأمة الإسلامية يؤيدون هذه الدعاوى ويحاولون نشرها وترويجها- وللأسف الشديد -أيضاً- فإنهم يجدون أبواقاً يبثون من خلالها سمومهم وبالرغم من أنها شبهات بالية- عفا عليها الزمن- إلا أنهم لا يجدون فى أنفسهم حرجاً ولا خجلاً من كثرة ترديدها وإثارتها وذلك كالشبهات التى تثار حول الحدود فى الإسلام وحق المرأة فى العمل ونصيب المرأة فى الميراث..... إلخ.

- وقد سئمت شخصياً من كثرة ما أراه فى الصحف والمجلات من أمثال هذه الشبهات والرد عليها وكأنه كما قال الشاعر: [لا حياة لمن تنادى].

- وأودُّ أن أذكر فى هذا المقال مقتطفات عن حقوق المرأة من مقال نشر باللغة الإنجليزية فى مجلة «العالم العربى» بقلم الكاتبة «نورة تويتشل» - Norah Twicthell- فى عام ١٩٤٤م تحت عنوان «بلاد العرب» وقد ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور/ محمد بن منصور أباحسين -جامعة الملك سعود- ونشرت الترجمة بمجلة «الدارة» السعودية -العدد الأول- المحرم ١٤٢٣هـ- السنة الثامنة والعشرون- أقدمه لبنى قومى المخدوعين بالحضارة الغربية قبل أن أقدمه لخصوم الإسلام وكما يقول فضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى [حتى لا يُروَّجَ لهذه الأباطيل فى بنى قومى فإن كثيراً منهم إما غِرٌّ ساذج مخدوع بدعايات الغرب وزخرف المدنية الغربية أو صنيعة للقوم تربوا على موائدهم واستأنسوا تحت أقدامهم يروجون لأفكارهم. لا نتهمهم بالعمالة وإن كانوا لا يتنزهون عنها فنحن لا نبغى إلا المحافظة على الشباب الغر الساذج نجلو له الحق ونبيِّن له وجه الصواب وأثناء ذلك ومن قبله ومن بعده ندعو بالهداية للجميع][(١)].

- والكاتبة تصف فى مقالها بإجمال الرحلة التى قامت بها إلى الجزيرة العربية فى النصف الأول من القرن العشرين حيث تقول الكاتبة [فى الجزيرة العربية تحتل المرأة منزلة عالية فالمعنى الأصلى لكلمة (حريم) هو (الشرف) أو (الحرمة) إذ تدعى الزوجة (الحرمة عائشة) و(الحرمة فاطمة) وهكذا. والمرأة خارج منزلها محجبة تتسوق وتزور صديقاتها، وتذهب إلى المكان الذى تريد بسلام دون خوف من أن يكشف حجابها أحد].

فهل يعى أحد ممن ينصبون أنفسهم أوصياء على المرأة بدعوى المطالبة بحقوقها وهم إنما يريدونها فى الحقيقة سافرة وثائرة على دينها.

(١) انظر مقال الشيخ/ الطاهر الحامدى «هامش على كلمة الدكتور أسامة الباز» مجلة «الأزهر» عدد جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ ص٨٩٧، ٨٩٨.

إن الكاتبة الغربية أعطت من يتشدقون بحرية المرأة درساً فى هذا الأمر حينما ذكرت معنى كلمة « حريم » على أنها « الشرف » أو « الحرمة » وحينما أثبتت أن حجاب المرأة بجانب أنه يستر عورتها فإنه يكون حجاباً لها أيضاً من الاعتداء. وهؤلاء الأوصياء الذين يرددون كالببغاوات عبارات « زمن الحريم »، « حجاب المرأة تخلف عن ركب المدنية والتطور » . . . إلخ عليهم أن يروا ما قالته الكاتبة المنصفة، بدلاً من ترديد عبارات يعرف القاصى والدانى أنها عبارات مضللة وراءها أغراض أخرى غير الحقوق والحريات.

ـ وعن معاملة الرجل للزوجة ومكانة المرأة فى الجزيرة العربية تقول الكاتبة [لا تختلط -أى الزوجة- بأصدقاء زوجها فى المناسبات الاجتماعية، ولكنه يحترم ذكاءها ويقدره، ويستشيرها فى جميع الأوقات وحينما يسافر الزوج مع زوجته وليس لديهما سوى حمار أو بغل فإن الزوجة تركب والزوج يمشى إلى جانبها، وبعبارة أخرى فالزوج والزوجة فى الجزيرة العربية شركاء حقاً. والمرأة فى منزلها ملكة .]

ـ وعن فكرة الغربيين عن المرأة الشرقية تقول : [وعلى العموم فإن لدى الغربيين فكرة خاطئة عن وضع المرأة فى الشرق، ومع أن وجهة نظرنا الغربية ترى أن حريتهن محدودة، فإنهن فى الواقع يعاملن باحترام وفروسية واعتبار] .

ـ وقارنت الكاتبة مقارنة منصفة بين العرب والغربيين حين قالت عن العرب [شجعان أشداء، وربما قساة، ولكن فيهم رقة لا توصف فلم أسمع بحالة عنف موجهة ضد امرأة أو طفل، ولا يمكننا أن نقول ذلك فى أوروبا وأمريكا] .

- بعد ذلك أقول : هذا هو الفضل -فى ديننا- وقد شهدت به كاتبة غربية منصفة وكأنى بالشاعر الكبير / محمود غنيم وهو يقول :(٣)

يترسمون الغرب حتى يوشكوا
أن يعبدوه عبادة الأصنام

للغرب عادات مسممة، سرت
فى الشرق مسرى الداء فى الأجسام

لا تأمنوا المستعمرين ؛ فكم لهم
حرب تقنع وجهها بسلام

والشعب إن سلمت له أخلاقه
ولسانه، لم يخش قطع الهام

إنى أعيذ الشرق من متمسح
بالأجنبى لقومه هدام

---

(٢) د. محمد عمارة: شبهات وإجابات حول القرآن الكريم. ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. سلسلة : دراسات إسلامية (٧١). ص٧١.

(٣) انظر قصيدته «قومى بين الشرق والغرب» والمنشورة بمجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ ص٩١٦.

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعاً بمشيئة الله تعالى.

أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ / محمد الشرقاوى

من أخبار مجمع البحوث الإسلامية

الموافقة على تحديد نسبة الربح مقدماً

صرح فضيلة الشيخ / سيد وفا أبو عجور – الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية– بأن مجلس المجمع قد عقد جلسته الثانية فى الدورة التاسعة والثلاثين بتاريخ ٣١ / ١٠ / ٢٠٠٢م– برياسة فضيلة الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الإسلامية.

وقد استعرض المجلس الكتاب الوارد من ا. د / حسين عباس زكى عضو المجمع ورئيس بنك الشركة المصرفية العربية الدولية بشأن الحكم الشرعى عن المعاملات المصرفية بالبنك، وبعد مناقشة الموضوع ودراسته قرر المجلس:

الموافقة على تحديد نسبة الربح مقدماً بأغلبية الأعضاء –الحاضرين– ماعدا عضو واحد.

عـــــــود حميــــــد

عاد السادة العلماء الذين تم إيفادهم من قِبَلْ الأزهر الشريف للقيام بواجب الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية فى مختلف دول العالم خلال شهر رمضان المعظم وأفاد الأستاذ / توفيق رواش مدير عام الإدارة العامة للبعوث بمجمع البحوث الإسلامية بأن قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بابتعاث العلماء قد شمل عدد (٥٣) عالماً من علماء الأزهر الشريف إلى كل من:

السودان– النرويج– كندا– استراليا– الجابون– فرنسا– فنزويلا– روما– نيوزيلندا– المكسيك– هولندا– سويسرا– المالديف– المجر– بلجيكا– أسبانيا– الدنمارك– البرازيل– جواتيمالا– العراق– فنلندا. وقد عادوا فى أول شهر شوال المبارك.

من العطـــاء الإنســـانى

وهذه الزهرة نقطفها من بستان العطاء الإنسانى لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى -شيخ الأزهر الشريف. حيث كفل فضيلته طالبتين يتيمتين من دولة «داغستان» بعد أن فقدتا الأب والأم، وبعد عرض قصتهما على فضيلته أمر على الفور بأن يتم وضعهما على منح الأزهر المخصصة لفضيلته وأن يرعاهما طوال سنوات الدراسة وبكفالتهما على حسابه الخاص.

والطالبتان هما: فالكوفا فاطم محمد، وعمرها عشر سنوات. فالكوفا غازى محمد، وعمرها ثمانى سنوات.

وقد أحست الطالبتان بالأمان وهما تواصلان مسيرة الدراسة بالأزهر الشريف بفضل الله ونعمته.

والمجلة تشكر فضيلة الإمام الأكبر على هذا العطاء الطيب وتسأل الله أن يكون هذا العمل قدوة للموسرين من أهل الفضل.

الأزهــر قبلـــة العالــم العلميـــة

انتهت أعمال التنسيق للطلاب الوافدين من مختلف دول العالم للالتحاق بجامعة الأزهر الشريف وبلغ عدد الطلاب المتقدمين حوالى (٢٥٠٠) طالب وطالبة وافدين على منح الأزهر وغيرهم.

كما تم الانتهاء خلال شهر نوفمبر الماضى من أعمال امتحانات تحديد المستوى للطلاب المتقدمين من مختلف دول العالم للالتحاق بالمعاهد الأزهرية للعام الدراسى ٢٠٠٢/٢٠٠٣ وبلغ عدد الطلاب حوالى ثلاثة آلاف طالب وطالبة.

وأضاف الأستاذ شوقى السبكى مدير عام الإدارة العامة للطلاب الوافدين بأن الإدارة العامة للوافدين انتهت من أعمال تجديد المنح لجميع الطلاب الوافدين.

البحــوث والتأليــف والترجمـــة

توافق على تداول عدد من الكتب

صرح فضيلة الشيخ/ سيد مصباح مدير عام الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بأنه تم الموافقة على تداول مجموعة جديدة من الكتب وهى:

- «مدخل إلى الدين الإسلامى» باللغة الألمانية تأليف «ريتشارد هارتمان» أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة برلين.
- «انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء» تأليف/ نبيل لوقا بباوى.
- موسوعة «سنريهم آياتنا فى الآفاق».
- كتاب «الذين يحبهم الله والذين لا يحبهم».
- موسوعة «شعيرة الحج».
- كتاب «كيف تجعل الدعاء سلاحاً خطيراً يغير مجرى حياتك».
- كتاب «الإسلام ضد الإرهاب».

طـــريق الدعـــوة

أصدرت الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية كتاب «طريق الدعوة» لفضيلة الشيخ/ محمود عاشور -وكيل الأزهر- أفاد بذلك الأستاذ/ فؤاد الشريف مدير عام الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية

أنبـــاء عالميـــة

مراقبة مساجد ماليزيا بالفيديو

قررت حكومة ماليزيا تسجيل خطب أئمة المساجد الذين ينتقدون الحكومة بالصوت والصورة وتسجيل خطب الأئمة الآخرين بالصوت فقط لمراقبة تحركات المعارضة الإسلامية.

استجواب المسلمين بالولايات المتحدة

أعلنت وزارة العدل الأمريكية أنها سوف تبدأ فى تطبيق برنامج يقضى بإخضاع الآلاف من مواطنى خمس دول إسلامية يقيمون بالولايات المتحدة إقامة مؤقتة لنظام أخذ البصمات والتصوير والاستجواب فيما وصف بأنه خطوة جديدة تتسم بالتمييز ضد العرب والمسلمين، تعرض وزير العدل الأمريكى «جون أشكروفت» المعروف بتوجهاته اليمينية لموجة انتقادات لاذعة.

فى أوزبكستان السجن للصائمين والمصلين

تأثرت الحرية الدينية والسياسية فى «أوزبكستان» الواقعة فى وسط آسيا على الحدود مع أفغانستان بأحداث الحادى عشر من سبتمبر.

فبعد أن كانت حكوماتها حريصة على مر العصور على تجنب الاضطهاد الدينى أو السياسى بدأت فى الدخول إلى دائرة انتهاك حقوق الإنسان. وذكرت «ماتيلدا بوجنر» من منظمة «هيومن رايتس واتش» لحقوق الإنسان -فى طشقند- أن المتدينين من المسلمين يتعرضون للاضطهاد والتعذيب. مضيفة أن «التعذيب منتشر بدرجة كبيرة، إنهم يعاقبون على الصوم والصلاة».

حملة ضد المنظمات الإسلامية فى البوسنة

استأنفت الحكومة البوسنية حملتها الموجهة دولياً ضد المنظمات الخيرية الإسلامية العاملة فى بلادها فيما أثار هذا الإجراء استياءً شديداً فى صفوف المسلمين المحليين. وذكرت مصادر مطلعة من «سراييفو» أن الشرطة ختمت بالشمع الأحمر مقار كل من مؤسستى «الحرمين» و«الفرقان» الإسلاميتين للإغاثة، إضافة إلى «جمعية الشباب المسلم» البوسنية التى اتهمت بالتطرف الدينى وإقامة ارتباط مع جهات خارجية تسعى إلى نشر الأصولية فى البوسنة- على حد زعم السلطان هناك. وأشارت المصادر إلى أن الحكومة البوسنية تذرعت بقرارها لإغلاق مؤسستى الإغاثة بأنهما تعملان بصورة غير شرعية بسبب عدم وجود ترخيص قانونى لهما للعمل فى البوسنة لكن الحقيقة أنها تنفذ مطالب جهات دولية تعتبر أن صفة الإغاثة هى غطاء لتمرير سعى هذه المنظمات إلى إقامة قواعد أصولية بين المسلمين البوسنيين.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر:

أتمنى أن يحكم العالم العقلاء!

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / ديڤيد وولش سفير الولايات المتحدة بالقاهرة حيث قدم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة حلول شهر رمضان المعظم، والتطلع إلى مزيد من العلاقات الطيبة بين مصر وأزهرها الشريف والولايات المتحدة الأمريكية، كما أبلغ السيد السفير التهنئة لأصحاب الفضيلة علماء الأزهر وقياداته الدينية والعاملين به مؤكداً على أن تلك العلاقات الطيبة تمثل أهمية قصوى لدى أمريكا ونتطلع إلى تقويتها، كما قدم سعادة السفير شكر وتقدير السيد ريتشارد هاس مدير التخطيط للسياسات بالخارجية الأمريكية الذى استقبله فضيلة الإمام الأكبر وقد سعد بهذه الزيارة لما كانت تحتويه من آراء طيبة وحكيمة لفضيلة شيخ الأزهر الشريف، وقد أعلن السيد السفير استعداده شخصياً لتذليل أية عقبات تحول دون سفر السادة علماء الأزهر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر سعادة السفير على تلك الزيارة مؤكداً أن شريعة الإسلام تحرص على أن يعامل الإنسان معاملة كريمة وقد ظهر ذلك فى خطاب السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية، الذى حيا فيه ذكرى إسحاق رابين لا فى حياته فقط بل بعد مماته، وذلك لمواقفه الإيجابية نحو السير لتحقيق السلام، مما يدل على أن القيادة السياسية فى مصر تتعامل مع المواقف بحكمة وموضوعية، وأتمنى أن يحكم العالم العقلاء ويكثر عددهم ويقل عدد الجهلاء حضر اللقاء فضيلة الشيخ / محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يؤكد:

الدول التى تطالب بإلغاء الإعدام لا تحترم حقوق الإنسان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور / ميجل الفونسو مارتينيز (دبلوماسى كوبى الجنسية) المقرر الخاص للجنة الفرعية لحقوق الإنسان، فى إطار جولة يقوم خلالها بزيارة عدد من الدول الإفريقية والآسيوية، يرافقه السيد / لويس ماريس فيجورد وسفير كوبا بالقاهرة، والسيد / أرماندو فيرجارا المستشار بالسفارة، رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف مؤكداً على أن الشرائع السماوية جميعها تكرم الإنسان وتعطيه حقوقه كاملة، لأنه خليفة الله فى الأرض، مثل حقه فى الحرية وفى طلب العلم وأن يعيش آمنا مطمئناً على ماله وعرضه وكرامته وعلى كل ما يتعلق به من حقوق مستدلا على ذلك بآيات من القرآن الكريم، ومشيراً إلى أنه لا يجوز أن يعتدى عليه أحد بأى صورة من الصور، وشريعة الإسلام اعتبرت أن من يعتدى على إنسان فكأنما اعتدى على البشر جميعاً، فمن حق الإنسان أن يعيش حياته مكرماً وأن يحصل على الضروريات التى يحتاج إليها ليعيش ومن حقه أيضاً الحصول على العمل الشريف الذى يجعله لا يمد يده للغير ليعيش حياة كريمة ويصون نفسه، كما أكد على حق الإنسان فى أن يعيش فى أمان وأن يعبر عما يراه مناسباً، وفى الوقت نفسه هذا الإنسان عليه واجبات منها عدم الاعتداء على غيره سواء أكان فرداً أم دولة، فلا تحتل دولة أرض دولة أخرى أو تهدم بيوتها أو تصادر أموالها أو تعتدى على أطفالها ونسائها وشيوخها أو تحاصرها اقتصادياً لأنه فى هذه الحالة تكون هذه الدولة معتدية وإرهابية، والواجب على الإنسان أن يطيع خالقه - عز وجل - وأن يعتنق الفضائل وينبذ الرزائل وأن يحترم أباه وأمه، وأن يرعى أبناءه، ويربيهم تربية حسنة وأن يعامل زوجته بالحسنى، وعلى الزوجة أن تصون زوجها وتحافظ عليه وعلى أبنائه، وعلى الإنسان أن يحافظ على جاره وأن يتعاون معه ويساعده على الخير سواء أكان مسلماً أم غير ذلك، وعلى الإنسان أن يكون إيجابياً نحو مجتمعه الذى يعيش فيه، يبنى ولا يهدم، يعمر ولا يخرب يصلح ولا يفسد يؤدى ما عليه من واجبات قبل أن يطلب ما له من حقوق، وأن يكون أمينا فى عمله، وبذلك تسعد الدول بأبنائها العقلاء الذى يحافظون على المال العام ويؤدون واجبهم بأمانة فيحولون الأرض الصحراء إلى أرض خضراء.

وقال فضيلته: إن الدول التى تطالب بإلغاء عقوبة الإعدام هى دول لا تحترم حقوق الإنسان ولا تعرف العدل أو الحق لأنها تنافق الظالم وتعتدى على المظلوم.

ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام على سماعه لأنه عين الحق وأنه يعرف مكانة فضيلة الإمام الأكبر العالمية قبل أن يراه وسوف يردد ما سمعه حينما يعود لبلاده لأنه كلام مفيد، وسوف يقدم تقريراً عن نتائج زيارته للدول الإفريقية والآسيوية ولقاءاته بزعمائها الدينيين والتى اختتمها بمصر، حيث يلقى الضوء على وجهة النظر الإسلامية، كما قدم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على الحديث عن حقوق الإنسان، لأن الكل يتحدث عن الحقوق متجاهلاً الواجبات، وقال: إنه منذ ثلاثين عاماً وهو يحمل نفس تفكير فضيلة الإمام الأكبر فى كل ما قاله، وأن من يأخذ الحقوق ولا يؤدى الواجبات فهو أنانى، وقال: إنه مع الشعب الفلسطينى ليسترد حقوقه وأكد على أن الصهيونية مساوية للنازية، كما أعرب السيد السفير عن أن ما سمعه من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف هو ما تسير عليه حكومة كوبا وهى تناصر الشعب الفلسطينى.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

النيجر تطلب زيادة عدد المنح الدراسية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير حابى محمد ثالث وزير التعليم الثانوى والعالى والبحث العلمى والتكنولوجى بدولة النيجر يرافقه السيد السفير/ إيلامنكسو سفير النيجر بالقاهرة، والسيد/ عثمان عبدالقادر مدير التعليم العربى والسيد/ عبدالعزيز عيسى مدير عام التعليم والوفد المرافق.

وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف مشيداً بعمق العلاقة بين البلدين موضحاً بأن الأزهر الشريف به حوالى ١٢٠ طالباً على منح يدرسون بجانب إخوانهم المصريين، ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية وتقدم لهم كل الإمكانات، وتوفر لهم سبل الراحة، لكى يتفوقوا فى دراستهم ثم يعودون إلى بلادهم بالعلم النافع الذى تعلموه ودرسوه فى الأزهر الشريف وهى الرسالة التى تحملها الأزهر الشريف منذ مئات السنين.

شكر الوزير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ما تقدمه مصر وأزهرها الشريف لأبناء العالم بصفة عامة وما تقدمه لأبناء النيجر بوجه خاص، مشيداً بالدور الرائد والمكانة العالية المرموقة لمصر وأزهرها الشريف حيث إن التعاون المثمر القائم بين البلدين ممتد منذ عام ١٩٦٢م وحتى الآن وهو فى تزايد مستمر ومطرد فى مجالات شتى مثل التعاون فى الزراعة وفى الاقتصاد وفى الطب وفى السياسة، كذا البعثات من الأزهر الشريف التى تصل إلى النيجر كل عام والتى تشمل الأساتذة والدعاة والمنح الدراسية للطلاب،

وأعرب الوزير عن سعادته لمجيئه لمصر وذلك لتوقيع اتفاقية التعاون العلمى المشترك بين النيجر ووزارة التعليم العالى بمصر وزيارته للأزهر الشريف، وقد طلب الوزير من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر زيادة المنح الدراسية المخصصة لأبناء النيجر، وإقامة دورات تأهيلية لمدرسى اللغة العربية والتربية الإسلامية، وزيادة عدد الأئمة والوعاظ الذى يحضرون إلى الأزهر لحضور الدورات التدريبية مع أئمة ووعاظ العالم الإسلامى والتى تعقد فى الأزهر الشريف كل ثلاثة شهور، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بدراسة كل الطلبات تمهيداً لتلبيتها.

الإمام الأكبر يستقبل مدير المؤسسة الإسلامية للتعليم بأستراليا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور القاضى / اشفاق أحمد مدير المؤسسة الإسلامية للتعليم والتربية باستراليا، ودار الحديث من جانب الضيف عن أحوال المسلمين فى أستراليا بصفة عامة، وعن رغبته فى الحصول على مساندة الأزهر الشريف للمؤسسة الإسلامية وذلك بإرسال مدرسين مؤهلين يجيدون تدريس اللغة العربية والإنجليزية معاً، وذلك لتعلم أبناء المسلمين فى استراليا اللغة العربية لمن لا يعرفها، كذا يعلمون اللغة الإنجليزية لمن لا يتحدث بها، وقد أوضح الضيف أن منهج الأزهر الشريف فى التعليم يحتل المكانة المثلى بمقارنته بالمناهج الأخرى وذلك لما يشتمل عليه من اعتدال ووسطية وبُعد عن المغالاة والتشدد، لأن الإسلام يدعو إلى الاعتدال والسماحة واليسر، ومن جانبه أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن الأزهر الشريف دائماً يقدم العون والمساعدة لأبناء المسلمين فى شتى بقاع الأرض، لأن هذه هى رسالته التى يقوم بها ووعد فضيلته بتلبية طلباته.

الإمام الأكبر يستقبل وفدا إيرانيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / خسرو شاهى سفير دولة إيران بالقاهرة يرافقه سماحة الشيخ / محمد السعيد نعمانى مساعد وزير الثقافة الإيرانى والمستشار الإعلامى للتقريب بين المذاهب لمجمع آية الله تسخيرى بجمهورية إيران، وقد رحب فضيلته بالضيفين فى الأزهر الشريف وقد أشاد الضيف بالأزهر الشريف وعلمائه الأجلاء والمواقف التى تحمل فى طياتها العقل والرزانة والاعتدال فى تناول القضايا الإسلامية الهامة، مما يعطى العالم كله صورة صحيحة للإسلام، كما أبلغ تحيات حكومة وشعب ومشايخ إيران لفضيلة شيخ الأزهر الشريف ولعلمائه، مشيداً بوفد علماء الأزهر الشريف رفيع المستوى الذى زار إيران فى العام الماضى برياسة فضيلة الأستاذ الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وقد تركت هذه الزيارة آثاراً طيبة فى قلوب المسئولين الإيرانيين، ومن جانبه أوضح فضيلة الإمام

الأكبر شيخ الأزهر الشريف أن الحياة علمتنا أن نكون عقلاء فى تصرفاتنا وأن نكون معتدلين لأنه فى النهاية سيكون النجاح، وعلى أهل الحكمة والاعتدال أن يصبروا وأن يتعاونوا على الخير حتى يكون الرخاء والمحبة بين الناس، ونحن فى الأزهر الشريف ندرس العلوم الشرعية والعربية بوسطية واعتدال، وعلى المسلم العاقل ألا يختلف مع زميله فى أى مسألة من الأصول، ولكن قد يختلف فى بعض الفروع - وخلافات الفروع موجودة منذ القدم - مادام الغرض الوصول إلى الحق والحقيقة وإلى ما يرضى الله - عز وجل - فيكون خلافا ينتهى بالوفاق، وقد قدم السيد السفير طلباً بتقديم خمس منح دراسية للطلبة المصريين للدراسات العليا بوزارة العلوم والبحوث والتكنولوجيا بالجمهورية الإيرانية.

الإمام الأكبر يستقبل ولى عهد ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نائب السلطان وولى العهد الماليزى فائز الدين بوترا بن سيد سراج جمال الليل، وداتوتن سرى شهيدان بن قاسم كبير وزراء ولاية برليس الماليزية، وفضيلة الشيخ مت يحيى بن حسين مفتى الولاية والسيد عمر عيسى بن سابو عضو المجلس التشريعى بالولاية وحاج رسلى مدير مكتب التنمية بالولاية، وحاج شكرى سكرتير نائب السلطان، والشيخ عمر بن محمد السقاف مدير المعهد الدينى، وقد رحب فضيلته بالوفد الكريم فى الأزهر الشريف موضحاً بأن أعداداً كبيرة من أبناء ماليزيا يدرسون فى الأزهر الشريف ويمثلون النسبة الكبرى من الطلبة الذين يدرسون فى الأزهر من خمس وتسعين دولة من دول العالم، كما أن أبناء ماليزيا الذين درسوا بالأزهر الشريف وتخرجوا فيه بعد حصولهم على الشهادات وبعضهم حصل على الدكتوراه يحتلون المراكز الكبرى فى بلدهم ماليزيا، وأوضح أن طلاب ماليزيا يمتازون بحسن الخلق وبالإخلاص فى طلب العلم والاستقامة، ونحن نعلم أن دولة ماليزيا الشقيقة على رأس الدول الإسلامية التى تخدم الإسلام وتقدر العلماء، وتفهم الإسلام فهماً صحيحاً وسليماً، وقدم فضيلته التحية والتقدير لجلالة ملك وحكومة وشعب ماليزيا، مؤكداً على أن الأزهر الشريف فى خدمة دولة ماليزيا ويقدم كل العون والمساعدة لأبناء ماليزيا والتى تربطنا بهم أقوى الروابط، ومن جانبه شكر نائب السلطان وولى العهد فضيلة الأمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ما يقدمه الأزهر من دور تعليمى هام لأبناء العالم الإسلامى مشيداً بعمق العلاقات القوية والمتينة والقديمة التى تربط ماليزيا بالأزهر الشريف وأيضاً على الإشراف على المعاهد الدينية فى دولة ماليزيا، وقدم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وذلك لحضور المؤتمر الدولى الذى سيعقد بماليزيا

تحت عنوان [العلماء ورثة الأنبياء]. وقد وعد فضيلته بدراسة الدعوة، كما استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف الوفد ودار الحديث حول تنسيق التعاون بين الأزهر وماليزيا في مجال التعليم والعلوم والثقافة وأسلوب إشراف الأزهر على المعاهد الدينية بماليزيا.

ويستقبل وفد قضاة باكستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفداً من قضاة باكستان حيث رحب بهم في الأزهر الشريف وأوضح فضيلته بأن شريعة الإسلام تأمرنا بأن نتحرى العدل في كل شأن من شئون حياتنا مع الأغنياء والفقراء مع الأقرباء ومع الأعداء مشيراً إلى أن شريعة الإسلام تمتاز بالوضوح في عقائدها لأنها تدعو الناس إلى عبادة إله واحد، وتدعو الناس إلى الصلاة والصيام والزكاة والحج وكلها عبادات تطهر النفس الإنسانية، وأن شريعة الإسلام واضحة في معاملاتها حيث يكون التراضي بين الناس وفي حدود ما أحله الله ـ عز وجل ـ وطالما تقوم على الحق والعدل.

وشريعة الإسلام واضحة في نظمها القضائية فهي تجعل لكل جريمة العقوبة التي تناسبها فكلما عظمت الجريمة عظمت العقوبة، والعقوبات ليست ظلماً للناس وإنما هي من أجل أمن المجتمع، وإذا لم تطبق العقوبات على المعتدى، يفسد المجتمع وتضيع الحريات والحقوق، فالعقوبات في الإسلام شرعت من أجل حماية أمن الناس ومن أجل حماية حقوقهم والذين يقولون بإلغاء عقوبة القصاص أو عقوبة الإعدام للقاتل لغيره ظلماً وعدواناً، هؤلاء الذين يزعمون بأنهم يحمون حقوق الإنسان، هم أول من يعتدى على حقوق الإسلام وحقوق الإنسان، لأنهم يحمون حقوق المعتدى، ولا يحمون حقوق المعتدى عليه المظلوم، فأين حقوق أولاده الذين تركهم وأين حقوق زوجته وورثته، فلابد من إقامة العقوبة العادلة على المعتدى وإلا فسد المجتمع وعمه الإضطراب والفوضى.

كما تحدث عن دور الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام وأنه يؤكد في دراسته على حفظ القرآن الكريم ودراسة السنة النبوية المطهرة، موضحاً بأن الدراسة في الأزهر الشريف تقوم على التوسط والاعتدال وتمتاز شريعة الإسلام بالسماحة واليسر، كما تمتاز الدراسة بالمحافظة على قواعد وأساليب اللغة العربية، وأكد فضيلته على أهمية تعليم اللغة العربية لمن أراد أن يفهم الإسلام فهماً صحيحاً وسليماً حتى يقف على فهم المعاني والألفاظ، لأن الترجمات أحياناً لا تعبر عن الحقيقة تعبيراً تاماً، وقال فضيلته إن الأزهر الشريف على استعداد للتعاون على نشر اللغة العربية لدى الأجيال الجديدة حتى ينشأ جيل عارف للغة العربية وأساليبها وذلك من أجل بيان محاسن الشريعة الإسلامية، وقد أوضح بأنه يوجد بعثة كبيرة من علماء الأزهر في دولة باكستان لتعليم أبناء المسلمين هناك.

ملتقى الفكر الإسلامى

ألقى فضيلة الإمام الأكبر محاضرة فى إطار ندوات ملتقى الفكر الإسلامى الذى نظمته وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بالاشتراك مع الأزهر الشريف ورياسة الجمهورية طوال شهر رمضان المعظم أمام مسجد الإمام الحسين ـ رضى الله عنه ـ حيث حضر علماء الأزهر والأوقاف والطلاب وجماهير المسلمين وكثير من الوزراء والمسئولين.

قال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف إنه لا سبيل لتحقيق تقدم الأمة ونهضتها إلا من خلال التمسك بكتاب الله – عز وجل – وسنة نبيه ﷺ والتزود بالعلم النافع والمعرفة فى شتى مجالات الحياة حتى تتبوأ الأمة مكانتها بين الأمم وتكون كما أرادها الله:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1]، مشيراً إلى ضرورة توحيد صفوف الأمة الإسلامية لمواجهة الأخطار المحدقة بها، مؤكداً على ضرورة أن ينتهز المسلمون فرصة شهر رمضان المعظم الذى خصَّ الله به أمة الإسلام فيشمرون عن ساعد الجد ويؤدون الصيام كما أراده الله ـ عز وجل ـ بعزيمة قوية.

كما تحدث فضيلته فى الذكرى الثلاثين لنصر العاشر من رمضان مشيراً إلى أهمية هذا اليوم فى تاريخ مصر والأمة العربية والإسلامية، حيث خرج أبناء مصر وفى طليعتهم أبناء القوات المسلحة ليدكوا حصون الأعداء الظالمين ويستعيدوا الأرض المغتصبة والحقوق السليبة وهم يهتفون الله أكبر بروح معنوية عالية وإيمان عميق ـ بالله تعالى ـ مصممين على تحقيق إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وقال فضيلته: ولأن جنودنا استوعبوا الدرس، وبذلوا الجهد والعرق، وأخلصوا لله النية، ولأن الأمة وقفت خلفهم وقفة رجل واحد، فقد مَنّ الله علينا بالنصر المبين، واليوم وأمتنا تمر بهذا المنعطف الخطير فى تاريخها، ما أحوجنا إلى استلهام روح العاشر من رمضان واستيعاب الدروس المستفادة منه فى الوقوف بجانب إخواننا فى فلسطين نمدهم بكل ما يحتاجون إليه ونقف إلى جانبهم ونساندهم وندعو لهم ونؤيدهم بكل ألوان التأييد والمساعدة والمعاونة حتى يستردوا أرضهم ومقدساتهم ويحصلوا على حقوقهم وحريتهم كاملة غير منقوصة، وعلينا أن نتمسك بديننا ونوحد صفوفنا حتى ينصرنا الله عز وجل:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[2]

---

(١) آل عمران (١١٠).

(٢) الحج (٤٠).

1. Islam stated that there is only one religion sent down from Allah to His first Messenger then to the following messengers in other eras to restore its first revealed edition. Allah, the Al-Mighty, says:

﴿He has legislated for you as the religion what He enjoined on Nuh, and that which We have revealed to you, and what We have enjoined on Ibrahim and Musa and Isa (saying) "Keep up the religion, and do not be disunited therein." Greatly (detested) to the associators is that to which you call them. Allah selects to Himself whomsoever He decides, and guides to Himself whosoever turns penitent.﴾ **[Ash-Shura (Counsel): 13]**

2. Religion is a Divine instinct planted by Allah in the human nature as He, Glory be to Him, says:

﴿So set your face upright to the religion, unswervingly upright, the original (innateness) of Allah upon which He originated mankind. There is no exchange for the creation of Allah. That is the most upright religion, but most of mankind do not know.﴾

[Ar-Rum (The Romans): 30]

3. Set the comprehensive mind as a guide that can be referred to, concerning any dispute, under the light of the Divine Revelation.
4. Every dispute arises among people regarding religion, is the result of injustice, negligence of mind and blind imitation as The Ever-Lasting says:

﴿And in no way were they disunited, except ever after knowledge had come to them, being inequitable among themselves.﴾

[Ash-Shura (Counsel) : 14]

5. Islam is the first religion revealed to the Seal of Messengers, Muhammad, may the blessing and peace of Allah be upon him. This religion was sent down to all mankind, by Messengers, to inform them about these facts and to eliminate disputes among them as Allah, The Ever-Lasting, says:

﴿"Do they then (inequitable) seek other than the religion of Allah, and to Him has surrendered whosoever is in the heavens and the earth, willingly and unwillingly, and to Him they shall be returned?﴾ **[Al-Imran (The Householdz of Imran): 83]**

Islam Calls For Unity Of The Religious Creed,
As The Origin Of All Religions Is One
By: The Great Scholar Muhammad Farid Wajdi

The call to the religious unity – as all religions are derived from one source but they differed due to addition, omission and distortion that occurred to the first religion – is one of the major human issues that made Islam be perceived as an everlasting continuous religion.

Due to the all-out differences among religions, this call was considered one of the inconceivable matters. For those concerned with social affairs, not acquainted with Islam, it is still seen as one of the far-reached wishes because of the mingling of religions with the national affairs and racial traditions. So, they directed their efforts to isolate them all from the field of material dealings and invalidate their effects in shaping societies in order to achieve public peace and mutual knowledge without being stopped by any obstacles or barriers. However, if those concerned with human affairs looked deeply into the bases on which Islam established its call and the historical facts supporting it, they would realize that it is the fastest mean of gathering nations together compared to any other means.

Concerning this, an oppose may refuse saying that civilized nations today do not pay the least attention to religious matters and if we suppose that they responded to Islam's call and followed one religion, the economic matters might overwhelm them causing them to fight each other. So, he says, what could be the effect of our call aiming at uniting religions in contrary to the fact that it is affected by the social facts?

We answer him saying: "Alright. But do not you see that these nations have realized that wars became odious means and that they have destructive consequences on both the victorious and the defeated? So, would not it be beneficial and serviceable for them and for the whole world if these countries exert their efforts in an approach to spread the idea of one religion among them? Let's consider the bases on which Islam based its call and view the historical facts that support this call.

All organisms are an organized complementary system

All organisms complement each other in their roles on earth and perform their functions with harmony and enthusiasm according to the law of attraction between positive and negative or male and female in all things. Even the relationship between man himself and the universe, even though it is a relationship in which the universe serves man, yet it is not a demeaning relationship but a loving and generous one. For example, the Prophet Muhammad loved the mountain of *Uhud* and the trunk of a certain tree used to bend lovingly towards the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him.

In any case, things around us are one of three categories: One is like water as it is seen and felt but cannot be held within fingers. In this material type, we cannot resort to imagination but only to science in order to reveal the hidden miracles that indicate the existence of a Great Creator. The second is like air as it is felt but cannot be seen or held. It is partly physical and partly moral. It requires both science and insight to reveal the greatness of the Ever-Merciful. The third type is like light as it can be seen but not sensed. It cannot be held or taken so it requires all the human senses like feelings of heart and soul. This requires clear thinking and great inner vision to realize the greatness of the Ever-Wise.

However, the first thing that can be realized is that this world cannot exist without a Generous Creator that arranges and controls everything. From two perspectives, everything in existence necessitates the presence of an Al-Mighty Creator. As for the first one, all things are made of particles that perform great functions that exceed its limited abilities. This serves to prove the existence of Allah. Concerning the second, every organism lives according to a universal arrangement to maintain a balance between all the organisms. This leads to harmony and understanding resulting from the existence of an All-Knowing Powerful Creator.

The earth and what is above it is an indication of the Great Creator

When we look on earth, we see the animals and we see flights of birds between the earth and the sky that fly across oceans with a computerized memories that do not mistake their way home.

When man meditates deeply, using his conscious mind, on the worlds of birds and animals, he finds that they speak in thousands of distinct sounds and languages. Moreover, he will find three important facts that prove the existence of a one and only God and these are:

Firstly, the fact that these creatures were created and given life. Secondly, the fact that they each have a unique beauty that distinguishes each one from the other. Thirdly, the fact that all these distinct creatures came out of eggs that share the same features. Did all this happen by coincidence? What coincidence could result in this ingenious miracle that can cause distinction between members of the same species?

If we move from talking about the sky, outer space, water, wind and rain and turn our attention to the earth we walk on with our feet and sleep on with our bodies, we may imagine that it is flat, stable and hard. While actually it moves just like the clouds and rotates around just like the hands of a clock. Yet, we find on it hills and mountains that act as huge posts to balance it. What's strange is that when we meditate and think about this world of mountains and deserts we find that the usefulness of the mountains is very confusing to the mind; the rise of mountains from the earth actually slows down the earth's raging movement and decreases the effect of the internal unrest in its core. This helps to avoid destructive earthquakes. So, mountains are actually anchors to help keep the earth steady. In addition, they contain springs, metals and other useful substances mercifully buried within it.

❬And the mountains as bulwarks?❭

[An-Naba' (The Tiding) : 7]

❬And the earth–We have extended it and cast on it anchorages.❭

[Al-Hijr:19].

making any noise or fault. The sky is full of thousands of lighted lanterns that help people to see their way. They are lighted without oil or electricity and they decorate the sky making it looking so beautiful to any on-looker.

With all the tremendous advances in science, the sky remains a rich field for investigations. What is known so far is so little compared to could be found out. Yet, a lot of signs are clear to whoever looks up at the sky with sense and insight. Moreover, whoever looks up at the sky would realize that the sky and everything in it is controlled and employed to serve in an ordered universe. Who could have such an enormous ability and power but Allah, the One and Only.

When we look at space, we find that it is a panorama of strange wonders. It contains clouds that hang between earth and sky and serve to give the earth water which is the basis for life. Who controls and orders these clouds to pour their water but Allah, The Al-Mighty. And the air that fills the space around us is made up of particles that obey a divine command ; it is breathed in by all the living organisms and it transfers sound, temperature, light and electricity. In addition to many other functions, it is a means of pollinating plants. How did it become so organized and useful?! Look at the rain that the All-Merciful pours on earth to act as a means of revival for all living creatures; plants and animals. How did it become so useful and serving to man?

Are all these gifts only coincidental? How did this coincidence last for millions of years? Or is it actually the creation of an Al-Mighty Creator Who is Merciful and All-Knowing and Who has all the secrets that are known to no one else. He controls the rain and distributes His mercy on the earth and skies.

﴾Have you then seen the water you drink? Is it you who have sent it down from the rainy clouds or are We even The (Ones) Who sent it down? If We had (so) decided, We would have made it biter; so had you only thanked (Us).﴿

[Al-Waqi'ah (The Inevitable Truth) : 68 :70]

[*] Man and the Universe between Scientific Belief and Superstitious Atheism

By : Dr. Abdul Halim Owais

Order of the universe indicating a Great Creator

The universe is an open book full of miracles of divine creations that prove the existence of a one and only God having great power and supremacy. There are many Qur'anic verses dealing with the universe and mentioning its different worlds whether seen or unseen, known or unknown.

﴿Yet no, I swear by whatever you behold and whatever you do not behold.﴾ [Al-Haqqah (The Inevitable Truth) : 38: 39]

﴿The no! I swear by the sites of the stars, and surely it is indeed a tremendous oath, if you only knew (it).﴾

[Al-Waqi'ah (The Event) : 75 :76]

Many of the verses mention different forms of divine creations ; in plant life, animal life and the world of nature and man.

﴿We shall soon show them Our signs in the horizons and in themselves till it is evident to them that it is the Truth. And does it not suffice as to your Lord that He is the Ever-Present Witness over everything?﴾ [Fussilat (Expounded) :53].

Moreover, many of the verses discuss the minute details of elements of the universe. In general, we find that the Ever-Glorious Qur'an is full of great verses that draw our attention to this amazing universe in which we live. This allows us to see how it is arranged with great care and order which indicates that this universe belongs to a great Creator who created it with such magnificent precision.

﴿The seven heavens and the earth and whosoever in them, is hymn to Him.﴾ [Al-Isra' (The Night Journey) : 44].

The sky is the surface of a beautiful painting that indicates the inevitable presence of a Creator and symbolizes His Greatness. The countless heavenly bodies; some of which are a thousand times bigger than our earth and move with the speed of a missile. All of these bodies move in space without colliding with each other or

---

[*] An article published (In Arabic) at Al-Azhar Magazine.

Concerning the lessons of interpretation delivered by the Grand Sheikh, Mustafa during his post as the Grand Sheikh of Al-Azhar, he mentioned the texts of the great interpreters like At-Tabary, Az-Zamakhshary, Al-Fakhr Ar-Razy and Imam Muhammad Abdou to compare them with each other moderately to give preponderance to the best. Scholars found out that these lessons require brilliant minds that can perceive and understand them without difficulty.

During his post as the Grand Sheikh of Al-Azhar, Sheikh, Mustafa worked out a regulation to organize the Magazine of Al-Azhar.

He made this Magazine aim at spreading the researches supporting the rules and laws of Islam that abrogate the suspicions of atheism and following the right principles in the methods of research in the Islamic sciences specially and literature, science, arts and sociology generally.

Also, publishing books in different languages related to Islam as well as answering whatever needs to be answered. Moreover, spreading the outstanding topics in the field of religious and social reformation as well as providing readers with information and reports about Al-Azhar's colleges and Institutions and the scientific missions.

The magazine was of many benefits to its readers as it came with every useful, new and important pieces of news.

The great Ustaz Ahmad Hassan Az-Zayyat wrote about him, saying that he took a great part in reforming constitution and fighting for freedom, exerting self and money, seeking no personal gains. Moreover, he participated in culturing mind and soul seeking no fame.

theology and Muslim's true sufism. In order to explain this, the Grand Sheikh of Al-Azhar wrote down many rich chapters concerning the gradual development of the Islamic jurisprudence.

So, he tackled this topic deeply exceeding all the other previous studies. He, may Allah rest his soul, wrote a detailed study regarding the sources of the Islamic legislation, clarifying the stages of its development one by one.

Moreover, he wrote explaining the aspects of agreement and disagreement between the four popular schools. Then he talked mentioning briefly the theme of theology. The aim of the Sheikh Mustafa Abdur-Razeq regarding all his studies about the revelation, religion, Islam, and the Arab philosophers, was to increase the amount of texts to bring them close to the minds of his students.

In fact, one chapter of what he has written about Al-Faraby, Al-Kennedy or Ibn Taymia is considered to be a comprehensive material fits to be a separate book; the ideas of each chapter are rich and brief that result in many other ideas that can be perceived by those concerned with scientific research. All the Sheikh's scientific results need a careful study as they concentrate on the pure cores of the issues of science and philosophy.

They also concentrate on gathering all the different views to be able to distinguish between evil and good in a quiet peaceful atmosphere filled with the spirit of tolerance that criticizes the opposite opinion smoothly. The philosopher's manner of the Sheikh obligated him to appreciate the efforts of his opponents exerted in his study and research to reach his results whatever they are.

Sheikh Mustafa Abdur-Razeq
The former Grand Sheikh of Al-Azhar
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Biomi

The delusions of the orientalists about the Islamic philosophy spread as they wrote pages and pages filled with their false opinions. All this urged the Grand Imam ,Mustafa Abdur-Razeq, to face all these false attitudes and refute them in his great book entitled" **An Introduction towards the Islamic philosophy".** It is a comprehensive book of the Islamic philosophy not just an introduction.

This book is of great benefits not only to the students of the Islamic philosophy but it also extends to the students of jurisprudence, monotheism and Sufism. The Grand Sheikh perceived that sciences are based on deep-rooted principles extracted from the Islamic philosophy. This proves that this philosophy is of independent roots that have nothing to do with the Greek's as some of the western writers continued to look down upon this philosophy as they claim that it is a distorted excerption of the Greek philosophy.

Amongst those philosophers is ***Ernest Rennin*** who affirmed in his book entitled **"History of religions"** and **"Articles and lectures"** that the Islamic philosophy is nothing but a weak imitation, in Arabic, of the Greeks that was not understood by the Arabs as Islam, he claimed, does not permit the freedom of thought, etc.

The great Imam proved, undoubtedly, that the Islamic philosophy is not based on the Greek theories embraced by *Ibn Sina, Ibn Rushd, Al-Faraby* and their likes but it can be seen clearly in the principles of the Islamic jurisprudence, scholastic

Day of Islam's Decisive Ones

By : Dr. Ibrahim Al-Assil.

When the Messenger of Allah, may the blessing and peace of Allah be upon him, joined the Highest Companion – without a bequest stating the coming caliph – leaving a great gap among Muslims, *Al-Ansar* (*Aws* and *Khazrag*) rushed to hold a meeting at *Bani Sa'idah's* roofed gallery wishing to nominate *Saad Ibn Ubadah*, the chief of *Al-Khazrag* (the biggest of the two tribes). When *Abu Bakr, Umar* and other companions knew about this, they rushed to the *Thaqifah* and *Umar* wanted to begin but *Abu Bakr* told him to keep still. Then *Abu Bakr* talked mentioning the fact of the immigrants' precedence as well as thanking *Al-Ansar* greatly. After that he related the Messenger's saying: "Muslims' leaders have to be from *Quraysh*."

So, people were convinced and satisfied by his opinion and this motivated *Abu Bakr* to address *Umar* saying: " Raise your hand and we will pledge allegiance to you." *Umar* answered: "You are better than me." *Abu Bakr* said: "But you are stronger than me." *Umar* said: "Besides your goodness, my strength will support you." And he took *Abu Bakr's* hand pledging allegiance and people followed. Concerning this, *Ali Ibn Abi Taleb,* may Allah grant him honor, thought that he is the one who deserves to be the leader of Muslims so, he lingered pledging allegiance then he did.

In conclusion, a very dark cloud loomed large on Islam's Nation was removed. Consequently, a flood of faith ran and branched that led to the existence of the true human civilization that is being denied by the west today.

AL-AZHAR MAGAZINE

Shawwal 1423 A. H.

ENGLISH SECTION

Dec. Jan 2002

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

الفهرس

● في عالم النفس: كيف نتغلب على الأحزان
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٥٢٢
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٥٢٦
● يوم الناقور
لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة ١٥٣١
● السنة: الحداء
لفضيلة الشيخ/ فكري ياسين ١٥٣٦
● المنهج الإسلامي في الحوار
لفضيلة الشيخ/ محمود عاشور ١٥٤٠
● الإسلام قضية عادلة في يد محام فاشل!
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعني ١٥٤٤
● واجبات المسلمين في غير أوطانهم
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٥٥٠
● التحدي الحضاري بين مفكري الإسلام والمستشرقين (٢)
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي ١٥٥٥
● كتاب الشهر: انتشار الإسلام بحد السيف
عرض وتحليل أد/ إبراهيم عوضين ١٥٥٩
● العطاء العلمي للحضارة الإسلامية
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٥٦٩
● الأندلسية (قصيدة)
للشاعر العربي الكبير/ شكيب أرسلان ١٥٧٤
● منار الإحياء والنهضة والتجديد
للدكتور/ محمد عمارة ١٥٧٩
● كيف نصبح خير أمة أخرجت للناس؟
للدكتور/ حمدي فتوح والي ١٥٨٦
● مواقف إسلامية: الفاروق عمر الحاكم الإنسان
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٥٩٠
● التكاملية بين الديني والدنيوي في الرؤية الإسلامية
للدكتور/ عبدالحليم عويس ١٥٩٦
● استفتاءات القراء
يجيب عنها أد/ أحمد الطيب ١٦٠٠
● خطبة الجمعة: آداب الأعياد
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي ١٦٠٤
● الأسرة من المنظور الإسلامي
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٦٠٧
● طرائف.. ومواقف
للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٦١٠
● الموعظة الحسنة
للشيخ/ فوزي الزفزاف ١٦١٢
● القدرة.. والكون.. والمصير
للدكتور/ علي أحمد علي ١٦١٧
● رسالة.. و.. رد
للشيخ/ عبدالفتاح جمعان ١٦٢٣
● دفع مفتريات حول السيدة نفيسة
للأستاذ الدكتور/ عبداللطيف الحديدي ١٦٢٧
● تحريم أكل الميتة وأخواتها في ضوء العلم الحديث
للأستاذ الدكتور/ عفيفي محمود عفيفي ١٦٣١
● الشاعر الإسلامي محمد عبدالرحمن صان الدين
للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ ١٦٣٨
● أطماع إسرائيل في المياه العربية
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ١٦٤٤
● التدابير الوقائية قبل عقد الزواج
للأستاذ الدكتور/ محمد الدسوقي ١٦٤٩
● إعجاز العلم الأعجمي في القرآن الكريم
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدي ١٦٥٥
● ولا تفرقوا
للأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين ١٦٥٩
● سفينة التقوى والإيمان
للأستاذ/ مجدي عبدالحميد بشير ١٦٦٢
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمود الفشني ١٦٦٤
● بين المجلة والقارئ
للأستاذ/ عادل خفاجة ١٦٦٨
● أنباء العالم الإسلامي
للأستاذ/ محمد الشرقاوي ١٦٧٥
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للشيخ/ عمر البسطويسي ١٦٧٨
● القسم الإنجليزي
إعداد وإشراف أد/ إبراهيم الأصيل ١٦٩٥

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م.نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر
- الخدمة الأساسية المطلوبة للسنة النبوية.
للمستشار الدكتور / محمد شوقى الفنجرى
- من المنافع الاقتصادية للحج والعمرة
للأستاذة الدكتورة / زينب الأشوح
- رؤية إسلامية للتعددية الفكرية
للدكتور / محمد عمارة
- قيم التقدم ومعايير الثقافة العلمية الإسلامية
للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

الاشتراك السنوى

- داخل مصر .... ١٨ جنيهاً مصرياً
- الدول العربية .... ٥٠ دولاراً أمريكياً
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولاراً أمريكياً
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

ذو القعدة ١٤٢٣هـ - يناير ٢٠٠٣م - الجزء الحادى عشر - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

الحج ارتقاء خلق

يحتاج الإنسان إلى أن يُروّح عن نفسه برحلة صيفية أو شتوية يتركُ بها مكان إقامته الدائم نازحا إلى مصيف أو مَشْتى مدة أسبوع أو أسبوعين ليرجعَ إلى مكانه الأول وقد اكسبته الرحلة راحةً سعيدة فى تبدّل المكان، ولقاء من لا يعرف من الناس، وكم يطيب له أن يتحدث عند عودته مع معارفه عما شاهد من الجديد فى رحلته، حديث المغتبط السعيد، وقد يُوطد العزم على أن يستأنف الكرّة فى عامه المقبل، لما آنسَ من تجدّد النشاط، وامتداد النظر إلى ما لم يَرهُ من قبل، واكتساب الخبرة ذات المهارة النافعة فى مزاولة أمور الحياة.

هذه الرحلة التى تحدثت عنها، وأشرتُ إلى بعض ثمارها، رحلةٌ دنيويةٌ خالصة، ليست لها أبعاد روحية ترتفع بصاحبها من ضيق الأرض إلى رحابة السماء، فليسَ بها استشرافٌ إلى عالم علوى يفيضُ بالرحمَة، ويكافىء على المعروف، ويفتحُ بابَ الأمل لمن قام جدار اليأس حائلاً دون سعادته! ومع ذلك كله فهى رحلة منتظرة يترقبها بعض الناس فى شوق، ويسألُ أحدهم الآخر: أين ستقضى أجازتك السنوية، وكأنه يحدثه عن أمل منشود، ومطمع يحوطه الرجاء.

فإذا انتقلنا من هذه الرحلة المحبوبة المشتهاة إلى رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، فإننا سنجد الفرق الشاسع بين الرحلتين فرق ما بين السموات والأرض من أبعاد! إن كل ما يكسبه الراحل فى سفره الدنيوى إلى مكان الاصطياف أو المشتى، متحقق متهيأ فى رحلة الحج، ولكن وراء ذلك كله تأتى معجزة الإنقاذ فعلاً حين يتأكد صاحب الرحلة أنه سيكسب مغنما هائلا رفيع الدرجات حين يعلمُ أنّ عين الله تحرسه وترعاه، وأن خطواته المخلصة ذات جزاء أخروى يُدّخَر له حين لا تُغنى نفس عن نفس شيئا، والأمر يومئذ لله.

أول ما يكسبه الحاج من المغانم، أنه سيتطهر من ذنوبه السالفة، وأنه سيرجع إلى موطنه

ـــى وطهارة نفسية

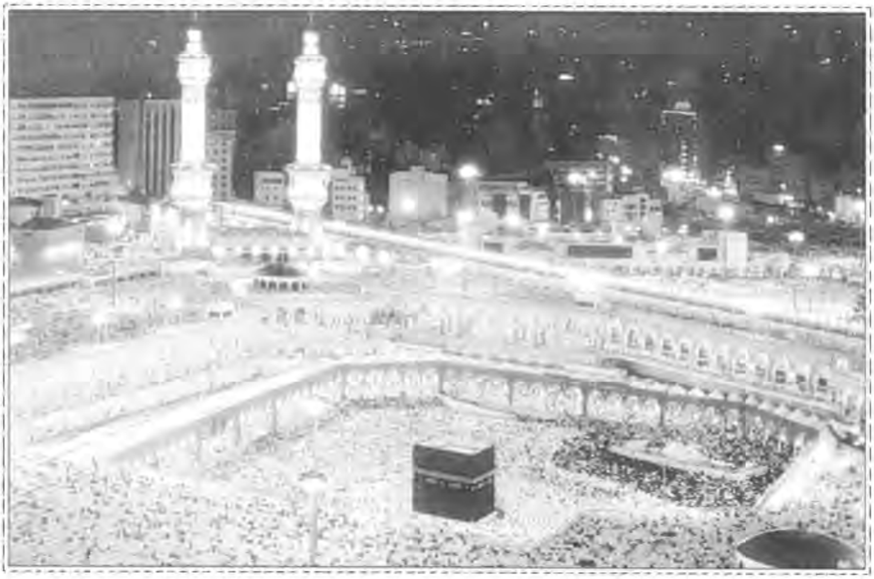

كيوم ولدته أمّه، حين يُسلم وجهه لله ملتمساً هُداه، بعيداً عن موبقات الرجس، بريئاً من هواجس الإثم، إنّ لكل إنسان مؤمن نفساً لوّامةً تحصى عليه سيئاته، وتُجسّد له ما اقترف من السيئات، وكأنه تمثالٌ ناهضٌ بين عينيه يسد عليه منافذ الطريق، ويُحاول أن يتحاشى رؤيته فلا يستطيع، وفى بعض الأديان ما يُسمى بالاعتراف، حين يلجأ المنتسب إلى هذا الدين لكاهنٍ يجلس بين يديه، فيفصح له عن ذات نفسه، ويكشف ما توارى من آثامٍ فادحة قد تبلغ خطورتها مبلغاً يدعو إلى اليأس من النجاة! فإذا أفرغَ ما فى نفسه اعتقد أنّه باعترافه قد تخلى عن آثامه، فاستشعر بعض الهدوء، ولكن دين الإسلام قد جعل البشر سواء إذ لا وساطة بين العبد وربه، فبدل أن يجثو الإنسان أمام شخص مثله يبثّه بلواه، وهو

لا يملك من أمر نفسه شيئا، فوق أن يملك منح الغفران لمن اعترف له، بدل ذلك فإن اللجوء إلى بارىء السموات والأرض فى مناجاة تائبة نائبة، تحقق هذا الاطمئنان النفسى دون أن يعلم أحد من الناس سر أحد، فإذا كانت هذه المناجاة فى موسم الحج، وقد سافر المسلم إلى بيت الله تائبا نائبا، وكلما توجه إلى مشعرٍ من المشاعر دبَّ دبيبُ إيمانه، فصدع بالتلبية والتكبير ثم خَلا بنفسه إلى المناجاة الإلهية مستغفرا من ذنبه، مُصمما على التوبة النصوح دون عود إلى المعصية! ففى هذا الجو الروحى الذى لا يُمكن أن تكون السماء أقرب إلى الأرض فى موضع سواه تنكشف الهواجس عن صاحب النفس اللوامة شيئا فشيئا، فيحس بنسيم مُنعش يراوح صفحة وجهه، ويدب إلى رئتيه فيشرح صدره! فإذا آنس ذلك كله، أحس أن طوداً ثقيلاً كان يجثم على صدره أخذ يتزحزح شيئا فشيئا، وبمواصلة التضرع خيفة وخشية يتخفف الداعى من أثقاله، حتى إذا انشرح صدره وثب من مكانه ظافرا، وقد ارتاح من عبء ثقيل، لأن الله رحيم بعباده، وقد قال فى محكم كتابه:

﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1]. هذا الشعور بالراحة النفسية لا يجدهُ أىَ رحَّالةٍ فى أى مكان من الأرض شرقا وغربا، أقوى ما يكون تحققا، وأصح ما يتم كائنا إلا فى بيت الله، وفى مناسك الحج حين ينتقل من البيت إلى عرفات إلى المزدلفة إلى منى! فإذا رَمى الجمرات، فقد طَرَد عن نفسه هواجس الشيطان، وتهيأ لاستقبال عهد جديد.

ومما يكسبه الحاج حين يطأ بقدمه منازل الوحى الكريم أنه يزداد إيمانا بنبيّه، إذ يرى بعينيه الربوعَ الطاهرة التى مسَّها قدمُه الشريف، وكانت مسرحاً لغدواته وروحاته فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية بين المشركين، فرؤية الصفا الذى صعد عليه الرسول ليبلغ دعوة ربه حين أذن الله له بالجهر بها بَعد أن مكثت سرّيةً ثلاث سنوات، ورؤية حراء العظيم الذى كان مجالاً للتأمل النبوى الصامت بعضَ الوقت، حتى نزل الوحى به أول ما نزل، ورؤية عرفات، هذا الجبل الممتد الذى شهدَ حجة الوداع، وبه نطق الرسول أبلغ خطبة حفظت حقوق الإنسان قَبل أن يعرفها الغربيون بأكثر من ألف عام، كلّ هذه الأماكن ما ذكرت منها ومالم أذكر تزيد المسلم إيمانا ويقينا، حدثنى صديقى المسلم المجرى الكبير الأستاذ عبدالكريم جرمانوس أنه أثناء قيامه بشعيرة الحج المبارك قد دُهش دهشا عظيما حين زار جبل حراء، ورأى من صعوبة مرقاه ما جعله يتعجب كيف كان الرسول ﷺ يقطع فى هذا المكان الموحش الليالى ذوات العدد وحده دون أنيس، لقد كانَ الحاج عبدالكريم فى قوة

---

(١) غافر (٦٠).

شبابه، وريعان صحته يحاول أن يصعد إلى قمة الجبل حتى يرى الغار بعينيه، فكان يصعد متشجعا ثم يحس التعب المجهد فى ارتياد هذا الجبل الشاهق، ويهم بالرجوع حين يسيل عرقه فيشجعه من معه من الشباب، وكل منهم يبذل غاية جهده كيلا يُحرم من رؤية الغار! هذا وقد قدم إلى الجبل راكباً السيارة المريحة فلم يتحمل من قبل عناء الطريق كما كان يتحمله محمد ﷺ حين يخرج من منزله وحيداً بعد أن تُودعه السيدة خديجة وتشد من أزره فلا ينتهى إلى الغار إلا بعد عناء الطريق ليستأنف عناءً أشق وأطول هو عناء الصعود إلى الجبل، والمكان حار، جاف الهواء، وكلما صعد الدكتور جرمانوس درجة ازداد الجفاف وتساقط العرق، ثم بلغ الدكتور موضع الغار بعد خمسة وأربعين دقيقة قطعها فى العناء المتواصل، فما كاد ينتهى إلى أربه، حتى سقط إعياءً!! وحتى وجد ثيابه تكاد تُعصر عصرا مما غسلها من العرق! ومعنى ذلك أن رسول الله ﷺ وهو بشرٌ محدود القوة كان مؤيّدا ببأس قوى من روح الله! أضف إلى ذلك تلك الوحشة القابضة فى ظلام الليل بأكناف الجبل، وهو بانعزاله وتفرّده ملجأ للوحوش، وقد يَدبُّ إلى الغار بعض الأفاعى القاتلة فيرهب الإنسان أن يجلس به ساعة واحدة فَضلاً عن الليالى ذوات العدد!! إن فى رؤية حراء، والصعود إليه ومشاهدة الغار ما يؤكّد صدق هذا النبى المناضل فى سبيل ما ألهمه الله إياه من الاعتزال، ولا أنسى قول الدكتور جرمانوس: هذه معجزة لرسول الله ﷺ، لا أدرى لماذا لا يسجلها المؤرخون مع سائر المعجزات! والالتفات إليها كان ثمرةً من ثمار حجِّ بيت الله الحرام التى قطعها مسلم أوروبى جاءَ من بودابست حيث يعمل أستاذاً للتاريخ فى جامعة المجر.

وأكبر كسب للحاج فى رحلته الإيمانية هو شعوره الحقيقى بالأخوة الإسلامية الممتدة إلى القارات الخمس، فالمسلم فى وطنه الصغير يظن أنه محدود بمواطنيه الذين يألفهم ويألفونه فإذا اتسع تفكيره إلى سواهم فإلى إخوانه فى البلاد العربية وحدهم، ولكنه فى

غار حراء على
قمة جبل النور

موسم الحج يجد شيئا عجبا لم يعهده من قبل، يجد المسلمين من شتى بقاع العالم، مختلفى اللغات والألوان والأجناس يجد الأندونيسى والماليزى والصينى واليابانى والهندى والباكستانى والإيرانى والأفغانى والتركى والألبانى والغانى والنيجيرى والصومالى والمالديفى والبرناوى.

بل يجد القادم من أمكنة لم يسمع بها من قبل وكلهم متجرد من ثيابه رافع كفيه إلى السماء مبتهلاً مكبرا، هذه الشعوب المختلفة تجد بها الشعور الفردى لكل إنسان منها مكتسحا فرديته الضيقة إلى حيث الفضاء الشامل لأكثر مناحى الكرة الأرضية، وإذ ذاك يشعر المسلم أنه أخو المسلم فى كل مكان، وأن أخوته الممتدة هذه قد منحته قوة تدفعه إلى الاتحاد، إذ يجد أن العالم الإسلامى فى القارات الخمس هو عالمه الكبير، وأن المسلم بها للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه بالمرض تداعى له جميع الأعضاء بالسهر والحمى! هذا النور ينقل الحاج من نفق ضيق إلى فضاء فسيح، وقد شاهدت بعينى من رجع من حجه ليحدثنا عن أحوال إخوانه الحجاج، وقد عرف عنهم ما كان يجهل، لذلك أقول إن الحج هو الخطوة الأولى للتعارف الإسلامى، ولتكوين وحدة إسلامية إن لم تخضع لسياسة واحدة فإن من الواجب أن تخضع لمبادىء مقررة أكدها القرآن وفرضتها الشريعة! والإسلام هو الوطن الحقيقى للمسلم، فليست هذه الحدود الجغرافية المصطنعة بملغية ما يحسّه فى أعماقه من أخوته الصادقة لأبناء دينه، وقديما قال الشاعر العربى صادقا:

أبى الإسلام لا أب لى سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

وقد عرفنا فى تاريخنا المعاصر بلاء القوميات وما جرته على شعوبها من هزائم منكرة تقهقرت بها إلى الوراء مئات السنين، فمتى نفيق!

وأبلغ أثر للحج فى نفس المؤمن التائب، أنه بعد عودته الخاشعة، سيُحاسب نفسه حسابا شديدا؛ سيقول فى خواطره الصامتة إذا حدثه الشيطان بسوء: أنت اليوم غيرك بالأمس، إنك لا تدرى أتعيش لعام قادم أو لا تعيش، ففرصة الحج التى سنحت من قبل قد لا تعود، وعليك أن تحاذر الخطيئة بعد أن تطهرت مما سلف، ومثلما يصير الشاب كهلا، ويحاسب نفسه على هفوات الشباب، كذلك تماما حال الحاج حين يرجع إلى أهله، إنه يحس بفاصل قوى بين حاضره وماضيه، هذا الفاصل يحتم عليه أن يتقدم إلى الأمام لا أن ينحدر للوراء! كما أن نظرة المجتمع إليه بعد عودته غيرها قبل أن يرحل إلى الحج، هذه النظرة تصبح عاملاً مساعدا على التقوى، لأن الحرص على السمعة الخارجية ليس رياءً كما يتوهم بعض الناس، ولكنه مبالغة فى التقية، وهذا الحرص لا يُناقض الوازع الداخلى ولكنّه يعمل على تقويته وتأكيده، فهو سلاح آخر يُضاف إلى النازع المستتر المستكن! ولستُ أفترض القولَ افتراضا، ولكنى أتحدث عن واقع لمسته بين الكثيرين ممن كان الحج حداً فاصلاً فى حياتهم بين اتجاهين مختلفين، ولا أنكر أن بعض الناس لا يسعده التوفيق الإلهى فيستمر بعد عودته على سلوكه الآبق، وهؤلاء قلة قليلة تصلح أن تكون استثناء من قاعدة مطردة! والشاذ لا يقاس عليه بحال.

لقد قلت: إن الحج تطهير للنفس، وهو تطهير حقيقى لا اختلاف عليه، وآية ذلك أن نرى بعض الحجاج يُصرون على تكرار الرحلة مهما كانت العوائق، حيث لمسوا فى ضلوعهم أشواقًا ملتهبة يريدون إطفاءها برؤية هذه الربوع الطاهرة، وهم يذرفون الدموع أسفا، حين يُحال بينهم وبين ما يريدون لأمور تنظيمية، يفرضها القائمون على التوجيه، ولعل عزاءهم الشافى أنهم يقيمون على العهد، إذ يجتنبون الرذائل، ويتلمسون الصراط القويم.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة البقرة

قال تعالى :

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ
سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ
تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾
فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ
مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ
فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ
قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ
أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ
ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الآية : ٢٤٨ : ٢٤٩

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

ثم حكى القرآن أن نبيهم لم يكتف بهذه الدلائل الدالة على صلاحية طالوت للقيادة، وإنما ساق لهم بعد ذلك من العلامات التى تشهد بحقيته بهذا المنصب ما يثبت قلوبهم، ويزيل شكهم ويشرح نفوسهم.

﴿ ٱلتَّابُوتُ ﴾: بوزن فعلوت - من التوب وهو الرجوع، وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كجبروت، والمراد به صندوق التوراة وكانوا إذا حاربوا حمله جماعة منهم ويتقدمون به أمام الجيش فيكون ذلك سبب نصرهم. وكان عهدهم به قد طال فذكرهم بمآثره ترغيباً فيه وحملا على الانقياد لطالوت»[1].

﴿ سَكِينَةٌ ﴾: من السكون وهو ثبوت الشيء بعد التحرك: أو من السكن - بالتحريك - وهو كل شيء سكنت إليه النفس وهدأت.

والمعنى: وقال لهم نبيهم ليقنعهم بأن طالوت جدير بالملك ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ أى علامة ملكه وأنه من الله - تعالى -:

﴿ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ﴾ أى أن يرد عليكم التابوت الذى سلب منكم:

﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أى فى إتيانه سكون لنفوسكم وطمأنينة لها أو مودع فيه ما تسكنون إليه وهو التوراة:

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ من آثار تعتزون بها، وترون فيها صلة بين ماضيكم وحاضركم وقوله:

﴿ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ حال من التابوت.

قال صاحب الكشاف: قوله:

﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾

هى رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة. وكان رفعه الله - تعالى - بعد موسى - عليه السلام - فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه، فكان ذلك آية لاصطفائه لطالوت.

فإن قلت: من هم ﴿ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾

قلت: الأنبياء من بنى يعقوب بعدهما، ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شأنهما[2].

وقال ابن كثير: قال ابن عباس: جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض حتى وضعته بين يدى طالوت والناس ينظرون[3].

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

أى: إن فى ذلك الذى أتاكم به طالوت لآية عظيمة وعلامة ظاهرة لكم تدل على أحقية طالوت بالملك والقيادة إن كنتم مؤمنين بآيات الله وبالحق الذى جاء به أنبياؤه.

وبذلك نرى أن القرآن الكريم قد حكى لنا أن هؤلاء القوم من بنى إسرائيل قد جاءهم نبيهم

---

(1) تفسير القاسمى جـ ١ ص ٦٤٦.

(2) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٩٣.

(3) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٠١.

بأنصع الحجج، وأوضح الأدلة، وأثبت البراهين التى تؤيده فيما يدعوهم إليه .

ثم بين – سبحانه – ما دار بين طالوت وجنوده فقال :

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾

﴿ فَصَلَ ﴾ بمعنى الفصل . قال الزمخشرى : فصل عن موضع كذا : إذا انفصل عنه وجاوزه .

وأصله فصل نفسه . ثم كثر : حذف المفعول حتى صار فى حكم غير المتعدى كانفصل . وقيل : فصل عن البلد فصولا . ويجوز أن يكون فصله فصلا، وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده »[٤] .

و(النهر) بالفتح والسكون = : المجرى الذى يجرى فيه الماء مأخوذ من نهر الأرض بمعنى شقها .

أى : فلما انفصل بهم عن المكان الذى كانوا يقيمون فيه، وتوجهوا معه لقتال جالوت وجنوده، قال لهم : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ أى مختبركم وممتحنكم بنهر، وكان طالوت قد سار بهم فى أرض قفرة فأصابهم عطش شديد . وفى هذا الابتداء اختبار لعزيمتهم، وامتحان لصبرهم على المتاعب حتى يتميز من يصبر على الحرب ممن لا يصبر، ومن شأن القواد الأقوياء العقلاء أنهم يختبرون جنودهم قبل اقتحام المعارك حتى يكونوا على بينة من أمرهم . ثم بين لهم موضع الاختبار فقال :

﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ﴾

﴿ يَطْعَمْهُ ﴾ أى يذقه من طعم الشىء يطعمه إذا ذاقه مأكولا أو مشروباً .

﴿ غُرْفَةً ﴾ – بالضم – اسم للشىء المغترف وجمعه غراف . وأما الغرفة – بالفتح – فهى اسم للمرة الواحدة من الغرف وقيل : هما لغتان بمعنى واحد .

أى قال لهم طالوت : من شرب من هذا النهر فليس من شيعتى، فعليه أن يتركنى ولا يصاحبنى فى خوض هذه المعركة لأنه ثبت ضعفه وخوره، ومن لم يذقه أصلا فإنه من شيعتى وحزبى الذى سيكون معى فى هذه المعركة الخطيرة . ثم أباح لهم أن يغترفوا من النهر غرفة يخففون بها من عطشهم فقال :

﴿ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ﴾ فإنه لا يخرج بذلك عن كونه منى .

وفى هذه الجملة الكريمة قدم – سبحانه – جواب الشرط على الاستثناء من الشرط فقد قال (ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده) والتأليف المعهود للناس أن يقال :

﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ ﴾ ولكن الآية الكريمة جاءت بتقديم الجواب على الاستثناء لحكمة بليغة، وهى المسارعة إلى بيان الحكم، وإثبات أن أساس الصلة التى تربطهم بنبيهم أن يمتثلوا أمره وألا يشربوا من النهر، ثم رخص لهم بعد ذلك فى الاغتراف باليد غرفة واحدة .

وقد أشار صاحب الكشاف إلى هذا المعنى فقال : فإن قلت : مم استثنى قوله :

(٤) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٩٤ .

﴿ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ ﴾؟ قلت: من قوله:

﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾ والجملة الثانية فى حكم المتأخرة إلا أنها قدمت للعناية.. ومعناه: الرخصة فى اغتراف الغرفة باليد دون الكروع»(٥).

ثم ختم – سبحانه – ما كان من بنى إسرائيل نتيجة لهذا الامتحان فقال:

﴿ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾.

أى: فشربوا من النهر حتى امتلأت بطونهم مخالفين بذلك أمر قائدهم فى وقت تعظم فيه المخالفة لأنه وقت إقدام على الحرب، إلا عدداً قليلا منهم فإنهم لم يشربوا إلا كما رخص لهم قائدهم. وعلى هذا التفسير – الذى قال به جمهور المفسرين – يكون جميع الذين مع طالوت قد شربوا من النهر إلا أن كثيراً منهم قد شربوا حتى امتلأت بطونهم مخالفين أمر قائدهم، وقلة منهم شربت غرفة واحدة وهى التى رخص لهم قائدهم فى شربها.

وبعض المفسرين يقسم أتباع طالوت ثلاثة أقسام:

قسم شرب كثيراً مخالفاً أمر طالوت.

وقسم شرب غرفة واحدة بيده كما رخص له قائده.

وقسم لم يشرب أصلا لا قليلاً ولا كثيراً مؤثراً العزيمة على الرخصة وهذا القسم هو الذى اعتمد عليه طالوت اعتماداً كبيراً فى تناوله لأعدائه.

وممن ذكر هذا التقسيم من المفسرين الإمام القرطبى فقد قال: «قال ابن عباس: شربوا على قدر يقينهم، فشرب الكفار شرب الهيم (٦)، وبقى بعض المؤمنين لم يشرب شيئاً، وأخذ بعضهم الغرفة، فأما من شرب فلم يرو بل برح به العطش، وأما من ترك الماء فحسنت حاله وكان أجلد ممن أخذ الغرفة»(٧).

ثم بين – سبحانه – ما كان من أتباع طالوت بعد اجتيازهم للنهر معه فقال:

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾

أى: فلما جاوز طالوت ومن معه النهر وتخطوه، وشاهدوا كثرة جند جالوت، قال بعض الذين مع طالوت لبعض بقلق ووجل: لا قدرة لنا اليوم على محاربة أعدائنا ومقاومتهم فهم أكثر منا عَدداً، وأوفر عُددا.

والضمير ﴿ هُوَ ﴾ فى قوله:

﴿ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ مؤكد للضمير المستكن فى جاوز. والقائلون، هذا القول هم بعض المؤمنين الذين عبروا معه النهر، ولم يقولوا ذلك هروباً أو نكوصاً عن القتال، وإنما قالوه كمظهر من مظاهر الوجل الذى يعترى بعض النفوس عند الاستعداد للقتال، لأن الذين عصوا الله وخالفوا طالوت بشربهم من النهر جبنوا عن لقاء العدو ولم يسيروا معه لقتالهم. أما المؤمنون الصادقون الذين اتصلت قلوبهم بالله، والذين أذعنوا أنه لا نصر إلا منه ولا اعتماد إلا عليه، فقد حكى القرآن موقفهم المشرف فقال:

---

(٥) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٩٥.

(٦) **الهيم**: الإبل التى يصيبها داء، فلا تروى من الماء واحدها أهيم والأنثى هيماء.

(٧) تفسير القرطبى جـ٣ ص٢٥٤

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

أى: قال الذين يتيقنون أنهم ملاقو الله يوم القيامة فيحاسبهم على أعمالهم. قالوا مشجعين لإخوانهم الذين تهيبوا قتال أعدائهم: كم من جماعة قليلة بإيمانها وصبرها تغلبت بإذن الله وتيسيره على جماعة كثيرة بسبب كفرها وجبنها وتفككها، والله - تعالى - بعونه وتأييده مع الصابرين.

وعلى هذا التفسير يكون المراد بلقاء الله الحشر إليه بعد الموت، ومجازاة الناس على ما قدموا من عمل، ويكون المراد بالظن اليقين لأن كل مؤمن متيقن بأن البعث حق.

ويجوز أن يكون المراد بلقاء الله قربهم من رضاه يوم القيامة، وإثباتهم على جهادهم بالجنة، وعليه يكون الظن على معناه الحقيقى وهو الاعتقاد الراجح، لأن خواتيم الحياة لا يعلمها كيف تكون سوى علام الغيوب.

و ﴿ كَم ﴾ فى قولهم: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ ﴾ خبرية للتكثير، وفى هذا التعبير الذى حكاه القرآن عنهم دليل على قوة إيمانهم وصفاء نفوسهم وثقتهم فى نصر الله ثقة لا تحد، لأنهم أتوا بصيغة التكثير حتى لكأنما أن القاعدة العامة هى انتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة الكافرة.

وفى تعليقهم النصر على إذن الله للإشعار بأنهم لم يعتمدوا على قوتهم وثباتهم وشجاعتهم فحسب وإنما جعلوا اعتمادهم الأكبر على تأييد الله لهم. وهذا شأن العقلاء يبذلون أقصى جهدهم فى بلوغ غايتهم مستعينين على ذلك بتأييد الله وتوفيقه.

ورحم الله الإمام القرطبى الذى عاصر دولة الإسلام فى الأندلس وهى تسير فى طريق الضعف والتدهور فقد قال فى ختام تفسيره لهذه الآية: قلت: هكذا يجب علينا أن نفعل؟ لكن الأعمال القبيحة والنيات الفاسدة، منعت من ذلك حتى انكسر العدد الكبير منا أمام اليسير من العدو وكما شاهدناه غير مرة، وذلك بما كسبت أيدينا! وفى البخارى: وقال أبو الدرداء: إنما تقاتلون بأعمالكم. وفى البخارى - أيضاً - أن النبى ﷺ قال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم» فالأعمال فاسدة والضعفاء مهملون والصبر قليل، والاعتماد ضعيف، والتقوى زائلة!! قال - تعالى - : ﴿ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾(٨).

وقال: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ ﴾(٩) وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾(١٠) وقال: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾(١١). وقال: ﴿ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(١٢).

فهذه أسباب النصر وشروطه وهى معدومة عندنا غير موجودة فينا، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحل بنا»(١٣).

(٨) آل عمران (٢٠٠). (٩) المائدة (٢٣). (١٠) النحل (١٢٨).
(١١) الحج (٤٠). (١٢) الأنفال (٤٥). (١٣) تفسير القرطبى جـ ٣ صفحة ٢٥٤.

السنة

الحدود الشرعية

للأستاذ الكبير عبد الرحمن الجزيرى
عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر (●)

١

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عائشة رضى الله عنها: «أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ ثم قالوا من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «يا أسامة أتشفع فى حد من حدود الله!» ثم قام فاختطب فقال: «إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

● تحدث الفقية الكبير الأستاذ / عبدالرحمن الجزيرى عن الحدود الشرعية حديثا جامعا مستوعبا، وقد رأينا تخفيفا على القارىء أن ننشره فى أربع حلقات لنفعه الجزيل «المحرر».

من مختارات مجلة الأزهر
المجلد التاسع سنة ١٣٥٧هـ

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور :

(١) بيان معناه

(٢) بيان الحدود الشرعية وما فى معناها وحكمة مشروعيتها

(٣) إذا لم يوجد فى الشريعة نص على حكم من الأحكام فماذا يكون العمل ؟

(١) معنى هذا الحديث ظاهر، وهو أن امرأة من علية القوم اسمها فاطمة غلبت عليها رذيلة خلقية مرة واحدة فى حياتها، وهى سرقة شئ يستوجب إقامة الحد عليها بقطع يدها، فعز على قريش أمرها لما لها من علو المنزلة، ولكنهم كانوا يعلمون شدة استمساك الرسول صلوات الله عليه بإقامة حدود الله وتنفيذها على العظيم والضعيف، والغنى والفقير، بنسبة واحدة، فوقفوا بإزاء ذلك حائرين، ولكنهم ظنوا أن أسامة بن زيد يستطيع أن يشفع لها عند رسول الله ﷺ، لأنه كان محبوباً عند الرسول كما كان أبوه زيد من قبل، ولذا كان يلقب بالحب ابن الحب. فأجابهم أسامة إلى طلبهم، ومضى إلى رسول الله وسأله العفو عن السارقة فأنكر عليه الرسول هذه الشفاعة، وقال له : « أتشفع فى حد من حدود الله ! » أى ما كان يليق بك أن تجرؤ على هذا.

ويظهر من هذا أن أسامة كان يعلم أنه لا تصح الشفاعة فى حدود الله بعد أن يصل أمر الجريمة إلى ولى الأمر، ولهذا أنكر عليه النبى ﷺ، ولو كان يجهل الحكم لعلمه إياه. ولعل اعتقاد أسامة فى فاطمة المخزومية من كون هذه الخلة ليست عادة لها وأنها زلة قد لا تعود إليها، هو الذى دفعه إلى الشفاعة فيها.

والواقع أن فاطمة هذه قد أصبحت بعد تنفيذ الحد عليها من الصالحات، فلم تؤثر عنها أية رذيلة خلقية بعد.

على أن الرسول صلوات الله عليه لم يقتصر على الإنكار على أسامة، بل جمع الناس وخطب فيهم مبينا لهم أن الاستهانة بمعاقبة الجناة إذا كانوا من العظماء، والتشدد فى معاقبة الضعفاء، لا نتيجة له إلا هلاك الأمة وفناؤها، وقد هلك بسببه بعض الأمم الذين خلوا من قبل. وأقسم لهم أنه لا يتأخر عن تنفيذ حدود الله على بنته نفسها. وذلك حق لا ريب فيه، إذا لا معنى لهذا إلا إبطال القانون، والقضاء على العدل والنظام، فلو لم ينفذ القانون على القوى والضعيف بنسبة واحدة كان ذلك تحريضا للقوى على انتهاك حرمات الضعيف، والعدوان عليه وهو آمن من العقاب، فإذا فرض وقوى الضعيف كان من حقه أن ينتقم لنفسه وهو آمن من العقاب، ويعتدى على غيره وهو آمن أيضا، وهلم جرا، وهذا هو عين الفوضى المقوضة لدعائم العمران، الموجبة لهلاك الأمم وفنائها.

ويؤخذ من هذا الحديث أنه لا يحل لحاكم أن يقبل الشفاعة فى حد من حدود الله الآتى بيانها، كما لا يحل لأحد أن يشفع عن مجرم فى حد وصل الى الحاكم. وهذا مما لا خلاف فيه. أما قبل وصول الأمر الى الحاكم فإن الشفاعة تصح كما يصح العفو، بشرط أن يكون مستحق العقوبة غير معروف بالجرائم، أما إذا كان من المعتادين على إيذاء الناس، أو كان من الأشرار الذين لا يصلحهم العفو، فإنه يجب أن يرفع أمره الى الحاكم ليوقع عليه الحد الذى يزجره عن ارتكاب الجريمة. فإذا سرق شخص من آخر ولم تكن هذه عادة له من

قبل، وظن الشفيع أن العفو عنه لا يغريه، فإن له أن يشفع فيه، وللمعتدى عليه أن يعفو عنه، وإلا فلا يحل له العفو. وقد وردت أحاديث بهذا المعنى. منها ما رواه الدار قطنى «اشفعوا مالم يصل إلى الوالى فإذا وصل إلى الوالى فعفا فلا عفا الله عنه» هذا فى الحدود.

أما فى القصاص فإن الشفاعة فيه تجوز، لأنه حق العبد، وله أن يعفو على أى حال. وأما فى التعزير، فقد قال الفقهاء: إن الشفاعة تحل فيه. ولكن الظاهر المعقول أن عقوبة التعزير إن توقف عليها تأديب الجناة والمحافظة على النظام العام، فإن الشفاعة لا تحل فيه، كما لا يحل للحاكم أن يعفو، وإلا فإن العفو يصح والشفاعة تجوز. وذلك لأن الشريعة الإسلامية مبنية على جلب المصلحة ودرء المفسدة، فعلى الحاكم أن ينظر فى هذا إلى ما فيه المصلحة ودفع المفسدة.

(٢) أما الجواب عن الثانى فهو أن أصل معنى الحد فى اللغة: المنع، ويطلق على العقوبة التى وضعها الشارع لمرتكب الجريمة. وذلك لأنها سبب فى منع مرتكب الجريمة من العودة إليها، وسبب فى منع من له ميل إلى الجريمة عن ارتكابها. وكذلك يطلق على المعاصى، ومنه قوله تعالى:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾[1] أى تلك المعاصى التى نهى الله عنها فلا يحل لكم قربانها، ويطلق أيضا على ما حده الله وقدره من أحكام، ومنه قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾[2].

ونحن الآن بصدد بيان الحدود الشرعية بمعنى العقوبات وما فى معنى الحدود من قصاص وتعزير. فإليك البيان:

إن الشريعة الاسلامية قد قسمت العقوبات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الحدود. وقد عرف الفقهاء الحد بأنه عقوبة مقدرة حقا لله ـ تعالى ـ فمتى علم الحاكم بجرم استحق عقوبة الحد فإنه يجب عليه التنفيذ ولا يملك العفو. والجرائم التى تستوجب الحد هى: الزنا. ومثله اللواط ـ على خلاف ستعرفه ـ السرقة، القذف، شرب الخمر ـ على خلاف ستعرفه ـ أما حد الذين يسعون فى الأرض فسادا فلا يخرج عن حد السرقة أو القصاص أو التعزير.

القسم الثانى: القصاص. وهو معاملة الجانى بمثل اعتدائه، فإن القصاص معناه المماثلة، ومنه قص الحديث إذا أتى به على وجهه. ولا يسمى القصاص حدا لأنه حق للعبد له أن يعفو عنه كما يأتى.

القسم الثالث: التعزير. وهو تأديب على ذنب لا حد فيه ولا كفارة له كما ستعرفه بعد. ثم إن المتفق عليه من الحدود ثلاثة: حد الزنا، وإن قال بعضهم إنه لا رجم، حد القذف، حد السرقة. أما حد شرب الخمر فجمهور الائمة والعلماء على أنه حد. وبعضهم قال إنه من باب التعزير.. ومع ذلك فقد اختلفوا فى مقداره.

فالمالكية والحنفية والحنابلة يقولون إنه ثمانون جلدة، لأن عمر قدره بثمانين جلدة، ووافقه عليه الصحابة.

---

(١) البقرة «١٨٧».

(٢) الطلاق «١».

والشافعية يقولون إنه أربعون جلدة، لأنه هو الثابت عن النبى ﷺ، فقد روى مسلم عن أنس - رضى الله عنه : « كان النبى يضرب فى الخمر بالجريد والنعال أربعين ».

ويكفى هذا الحد ولو تكرر منه الشرب، أما ما فعله عمر فقد كان من باب التعزير حيث رأى أن الخمرة قد فشت فى بعض الجهات فشدد العقوبة لزجر الشاربين، فالزيادة ليست من الحد، وإنما هى تعزير للإمام أن يفعله.

وقد اختلف العلماء فى آلة الضرب : فبعضهم قال : إنهم كانوا يضربون فى عهد النبى بالجريد والنعل وأطراف الثياب والأيدى، وعلى هذا فلا يصح الخروج عن هذه الآلات. والجمهور على أنه يصح بهذه الآلات كما يصح بالسوط. وبعضهم يرى أنه لا يصح بالسوط إلا إذا كان الشارب متمردا فاجرا لا يؤثر فيه ضرب اليد أو الجريدة. هذا هو حد الشرب المختلف فيه. فلنرجع الى الكلام فى الحدود المتفق عليها :

فأما حد الزنا فقد فرقت الشريعة فيه بين الذى تزوج والذى لم يتزوج، فشددت العقوبة على الأول، لأنه عرف معنى الزوجية، وقدر قيمة العدوان على العرض حق قدره، فكان جزاؤه الإعدام، ولا ريب فى أنه جزاء يناسب هذه الجريمة مناسبة تامة، لأن العدوان على العرض بهذه الصورة الشنيعة كالعدوان على النفس، بل ربما فضل الغيور قتله على الزنا بحليلته أو محرمه، وكثيراً ما نرى الناس يقتل بعضهم بعضًا من جراء ذلك. ولذا نجد القوانين فى كل الشرائع قد رفعت القصاص عن قاتل الزانى بامرأته، لأنها ترى أن هذه الجناية تستوجب قتل مرتكبها.

أما غير المتزوج فقد قدرت له مائة جلدة، لما عرفت من أنه لم يعرف معنى الغيرة على الزوجة، فكان له حق فى التخفيف.

ولم يخالف فى هذا الحد إلا بعض المعتزلة والخوارج، فإنهم قالوا : إن عقوبة الرجم كانت موجودة فى صدر الإسلام ثم نسخت بقوله تعالى :

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖ ﴾(٣)

فالزانيان يستحقان الجلد مطلقا سواء كانا محصنين أولا. ولكن دليلهم هذا لا يتم إلا إذا ثبت أن النبى ﷺ لم يرجم أحدا بعد نزول هذه الآية.

ولكن الجمهور قالوا : إن رسول الله قد رجم بعد نزول هذه الآية، بدليل أن أباهريرة حضر الرجم وهو لم يسلم إلا سنة سبع، وسورة النور نزلت سنة ست أو خمس. وقد رجم الخلفاء بعد النبى ﷺ وصرحوا بأن الرجم حد.

وقد نازع هؤلاء بأن الكتاب لا يصح نسخه بالسنة، وأجيب بأن السنة المشهورة تخصص بلا خلاف، وهنا خصصت السنة الزانى بغير المحصن. وهذا الخلاف لا يترتب عليه كبير فائدة عملية، لأن حد الزنا منوط فى الواقع

(٣) النور «٢».

بإقرار الزانى، فإذا لم يقر فإنه لا يمكن إثباته عليه بالبينة، لأنه لا يثبت إلا بأربعة شهود يرون الإيلاج بالفعل، وذلك إن لم يكن محالا فهو متعذر. ومن يتتبع أحاديث الرجم الذى وقع فى زمن النبى ﷺ وزمن الخلفاء فإنه يجد أن مرتكب الجريمة هو الذى كان يذهب بنفسه ويعترف بأنه زنى، وكان مع هذا يناقش مناقشة تدل على عدم الرغبة فى توقيع هذه العقوبة. فكانت هذه العقوبة لا تنفذ إلا على من أراد أن يطهر نفسه من هذه الفاحشة، ومن إثم الاعتداء على عرض غيره. على أنه إذا وجد مع امرأة لا زوج لها فإن له أن يدعى أنه تزوجها، وذلك شبهة تدرأ الحد فى بعض المذاهب.

ولعل قائلاً يقول: إن هذا لا يجعل للحد كبير فائدة، لأن إثباته منوط بأربعة شهداء والشهود الذين يعلمون أن من ورائهم حد القذف وهو ثمانون جلدة إذا قصر واحد فى أداء الشهادة، لا يقدمون على الشهادة. وهل ترى أنه إذا وجد الزوج أجنبيا مع امرأته يتركهما على هذه الحالة ويخرج يتلمس الشهود حتى إذا جاءوا وجدوا الرجل قضى وطره، وضاع حق الزوج!

والجواب: أن هذه الجريمة الشنعة والفاحشة المنكرة، لم يقتصر ضررها على الزانية والزانى وحدهما، بل يتعداهما إلى الأسرة بتمامها، فتهدم شرف قوم غافلين لا ذنب لهم، وتعرضهم للمهانة والعار، وتسقطهم عن مرتبتهم المحترمة بين الناس. فحرصا على كرامة الأسر وصيانة لأعراض الناس شددت الشريعة الإسلامية فى إثبات هذه الجريمة كى لا يجرؤ الناس على اتهام بعضهم بعضا بدون مبالاة. وفى الوقت نفسه جعل لها أقصى عقوبة (إذا كان فاعلها محصنا) تقديرا لفظاعتها وإشعارا للناس بأنها تساوى جريمة القتل. وبذلك يزدجر المؤمنون الذين يخافون الله ويخشون غضبه وبطشه، ويحسبون لغيرته على عباده حسابا. فالمؤمن الذى يقرأ قول الله تعالى:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(٤).

ويعلم أن حد الزنا يساوى حد القتل، فإنه يدرك عظم المسئولية إذا أفلت من عقوبة الزنا. ولهذا ذهب بعض المؤمنين حقا إلى الرسول واعترف بجريمة الزنا الموجبة للقتل لينجو من عذاب الآخرة بالحد الدنيوى.

«يتبع»

***

(٤) النساء «٩٣».

السنة النبوية وهل خدمت

الخدمة الأساسية المطلوبة للسنة النبوية

للمستشار الدكتور/ محمد شوقي الفنجرى

مصطلح السنة

السنة لغة هى السيرة حسنة أو قبيحة، ففى الحديث عن رسول الله ﷺ: «من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شىء. ومن سن فى الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء»[1].

وفى الاصطلاح الشرعى هى كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أما القول فهى أحاديثه ﷺ التى قالها فى مختلف الأغراض والمناسبات كقوله: (لا ضرر ولا ضرار)[2] وقوله (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى)[3]، وقوله (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)[4]، وقوله (عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله إلى الخير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)[5].

وأما الفعل فهو أفعاله التى نقلها إلينا الصحابة مثل وضوئه ﷺ، وأدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها، وكيفية أدائه مناسك الحج.. إلخ.

---

(١) صحيح مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.
(٤) صحيح مسلم.
(٥) صحيح مسلم.

وأما التقرير فهو ما أقره ﷺ مما صدر عن بعض أصحابه من أفعال وأقوال: سواء بسكوته وعدم إنكاره، أو بموافقته وإظهار تأييده.. فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار كأنه صدر عن الرسول، ومن قبيل ذلك إقراره فى الأعياد على مثل غناء الجاريتين، ومثل لعب الحبشة بالحراب فى المسجد، وإقراره لطريقة معاذ بن جبل فى القضاء حين بعثه على اليمن إذ قال له (كيف تقضى إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضى بكتاب الله، قال: فإن لم تجد فى كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد فى سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيى ولا آلو، فقال: الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى الله ورسوله)[٦].

منزلة السنة فى الإسلام

والسنة النبوية هى أحد مصادر التشريع الإسلامى، إذ هى وحى بمنزلة القرآن لقوله تعال:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[٧]

ويجب العمل بها لقوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[٨]

والسنة تلى القرآن فى المرتبة، لأن القرآن هو الأصل، والسنة جاءت شارحة مبينة له. فضلا عن أن القرآن مقطوع به جملة وتفصيلا، بخلاف السنة فمقطوع بها على الجملة لا على التفصيل.

والسنة مع القرآن على وجهين

أولهما: بيان وتفسير ما جاء مجملا فى القرآن كبيان كيفية الصلاة وعدد ركعاتها، وتحديد نصاب الزكاة، وكيفية أداء مناسك الحج.... إلخ.

ثانيهما: إضافة أحكام جديدة لم يرد بها نص من القرآن كإثبات الشفعة، وجواز خيار الشرط، وتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها وتوريث الجدة.... إلخ.

تدوين السنة

(أ) فى عهد الرسول:

فى أول عهد الإسلام كان الرسول ﷺ ينهى عن كتابة الحديث مخافة أن يختلط الحديث بالقرآن، فكان يقول: (لا تكتبوا عنى، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه)[٩]. حتى إذا شاع القرآن بين المسلمين وأصبحوا يتلونه آناء الليل وأطراف النهار ويميزونه عن الحديث، سمح الرسول بكتابة الحديث. من ذلك ما روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال للرسول: يا رسول الله إنى أسمع منك الشىء فأكتبه، قال: نعم قال عبدالله: فى الغضب والرضا، قال ﷺ (نعم فإنى لا أقول إلا حقا)[١٠].

ولذلك عرف فى عهد الرسول ﷺ مدونات أخرجها بعض الصحابة كابن عباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وجابر بن عبدالله الأنصارى،

---

(٦) سنن أبى داود.
(٧) النجم (٣، ٤).
(٨) النساء (٥٩).
(٩) صحيح مسلم.
(١٠) سنن أبى داود.

وكان أشهرها صحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو ضمت ألف حديث، وقد سماها كذلك بقوله (هذه الصادقة فيها ما سمعته عن رسول الله ﷺ وليس بيني وبينه فيها أحد)[١١]. هذا فضلا عن أنه كان بين الرسول ﷺ وكثير من بطون العرب وطوائف اليهود والنصارى وغيرهم، كتب ومعاهدات مدونة. كما كان الرسول يكتب إلى أمرائه وعماله وقواد جيوشه، وكذا إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة، فيما يتعلق بالدعوة إلى الإسلام وبيان أحكامه[١٢].

غير أن هذه المدونات كانت قليلة ومحدودة الأحاديث، إذ كان الصحابة يؤثرون حفظ الحديث عن كتابته تثبيتا لأنفسهم، وكما عبر أنس بن مالك (كنا نكون عند النبي ﷺ فنسمع منه الحديث، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه).

(ب) فى عهد الصحابة والخلفاء الراشدين:

كان همهم الأول، المحافظة على القرآن حيث جمع في عهد الصديق، ونسخ في عهد عثمان وبعث به إلى الآفاق. فلم يحرصوا على تدوين السنة خشية أن يشغل المسلمون بكتابتها ويدعوا القرآن، وهو المصدر الأساسي للتشريع الإسلامي.

لا سيما وقد اتفق رأى الصحابة حينئذ بأنه لا ينبغي أن يطلب المرء الحديث إلا بعد قراءة القرآن وحفظه كله أو أكثره، حتى روى أن عمر بن الخطاب فكر في تدوين السنة غير أنه عدل بقوله: (إني كنت أريد أن أكتب السنن، وأني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا)[١٣].

وبالرغم من ذلك فقد ثبت عن أبي بكر كتابة شيء من السنة، وكذلك عن عمر بن الخطاب، وذلك حين أمنوا حفظ القرآن[١٤] إلا أن ما دون في عهدهم من السنة، كان أيضا محدودا وذلك لشدة ورعهم وتقواهم ودقتهم في الرواية عن الرسول (فالذي يحدث إنما يدخل بين الله وبين عباده). فكانوا لا يروون الحديث إلا عند الحاجة، وهذا ما يفسر لنا إنكار عمر بن الخطاب على الصحابي أبي هريرة الإكثار من رواية الحديث. كما أنهم حين يروون الحديث كانوا يتحرون الدقة، وهذا ما يفسر لنا رفض عمر رواية للصحابي أبي موسى الأشعري إلا بعد أن أيده فيها صحابي آخر قائلا له: أما أني لم اتهمك، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ[١٥].

---

(١١) انظر طبقات ابن سعد جزء ٧، ص١٨٩.

(١٢) أنظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى، للدكتور محمد حميد الله حيدر آبادى، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨.

وانظر أيضا سيرة النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الملك بن هشام، وبتحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٥٦/١٩٣٧

(١٣) انظر طبقات ابن سعد جزء ٣، ص٢٠٦.

(١٤) انظر مسند الإمام بن حنبل.

(١٥) انظر الموطأ للإمام مالك جزء ٢، ص٩٦٤ من طبعة عيسى البابى الحلبى بمصر سنة ١٣٧٠هـ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى وانظر أيضا الرسالة للإمام الشافعى ص٤٣٥ من طبعة مصطفى البابى الحلبى الطبعة الأولى ١٣٥٨/١٩٤٠م بتحقيق أحمد محمد شاكر.

(جـ)- فى عهد التابعين:

عزف التابعون كالصحابة عن كتابة الحديث فى كراريس خشية أن يشتبه بالمصاحف، ولأنهم مثلهم كانوا يفضلون الحفاظ على الحديث بالرواية لا الكتابة، باعتبار أن فى الكتابة إضعاف للذاكرة وانصراف عن العمل به مرددين قولهم (لا تكتبوا فتتكلوا) ذاكرين أن أهل الحديث هم الذين يحفظونه بذاكرتهم فيكون جزءا من حديث أنفسهم وفكر قلوبهم وضابط سلوكهم، وذلك لأن الحفظ لا الكتابة هو سبيل التفقه والخشية حتى أثر عنهم (استعن بحفظ القرآن والحديث للعمل به)، وأنه ليس العلم ما جمع ودون، ولكن العلم ما حفظ ووعى) وكانوا يفخرون بحفظ الحديث، ويقول الواحد منهم: (ما كتبت حديثا قط)، وينقل عن عامر الشعبى (١٧-١٠٣هـ) عبارته (ما كتبت سوداء فى بيضاء، ولا سمعت من رجل حديثا فأردت أن يعيده على). وقد عبر عن هذا الأسلوب مؤيدا الإمام الأوزاعى (توفى سنة ١٥٧هـ) بقوله (كان هذا العلم- يعنى الحديث- شيئا شريفا إذا كان من أفواه الرجال يتلقونه ويتذاكرونه، فلما صار فى الكتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله)(١٦).

وقد ازدادت كراهية التابعين للكتابة، عندما اشتهرت آراؤهم الشخصية، فخافوا أن يدونها طلابهم مع الحديث فيدخله الالتباس(١٧).

وبالرغم من ذلك فقد أثر عن بعض التابعين مدونات حديثية أشهرها الصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه (٤٠-١٣١هـ) وهى تضم ١٣٨ حديثا نقلا عن الصحابى أبى هريرة، وقد أسماها الصحيحة على مثال الصحيفة الصادقة لعبدالله بن عمرو بن العاص وقد نقلها بتمامها الإمام أحمد فى مسنده، كما نقل الإمام البخارى عددا كبيرا من أحاديثها فى صحيحه فى أبواب شتى.

(د) فى عهد عمر بن عبدالعزيز وبداية التدوين الرسمى:

وفى عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ) بدأ التدوين الرسمى للحديث وقد عبر عن ذلك ابن شهاب الزهرى بقوله (أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن، فكتبناها دفترا دفترا، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا)(١٨).

وقد كان هذا التدوين الرسمى لأول مرة لسببين:

أولهما: انتشار الإسلام واتساع رقعته وما استتبعه من تفرق الصحابة والتابعين ومجالس العلم، وهو ما عبر عنه الخليفة عمر بن عبدالعزيز فى كتبه إلى الأمصار خاصة أهل المدينة (انظروا حديث رسول الله ﷺ فاكتبوه، فإنى خفت دروس العلم وذهاب أهله)(١٩).

ثانيهما: ظهور الوضع بسبب الخلافات السياسية والمذهبية، وهو ما عبر عنه ابن شهاب الزهرى بقوله (لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها، ما كتبت حديثا، ولا أذنت فى كتابته)(٢٠).

---

(١٦) انظر جامع بيان العلم وفضله لأبى عمر يوسف بن عبدالبر، جزء ١ ص٦٨ طبع بمصر المطبعة المنيرية.

(١٧) انظر أصول الحديث، للدكتور محمد حجاج الخطيب، ص١٦٧ من الطبعة الثانية سنة ١٩٧١ لناشره دار الفكر ببيروت.

(١٨) انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر، المرجع السابق ص٧٦.

(١٩) انظر صحيح البخارى فى كتاب العلم، وسنن الدارمى جزء ١ ص١٢٦.

(٢٠) انظر أصول الحديث، للدكتور محمد عجاج الخطيب- مرجع سابق، ص١٧٧.

وقد أعقب ذلك اهتمام العلماء بجمع الأحاديث والتدقيق فى تحقيقها حتى روى عن أبى العالية قوله: (كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم)[٢١]. وكانوا يتحققون من الرواية فلا يكتفون بالصلاح والأمانة، بل يشترطون الحفظ والضبط والإتقان، ويتشددون فى السؤال عن الراوية وسلوكه وأحواله، حتى يقال لهم: أتريدون أن تتزوجوه، وذلك شعورا منهم بقدر المسئولية وهو ما عبروا عنه بقولهم: (الحديث دين فانظروا ممن تأخذون دينكم).

وقد أسفر القرن الهجرى الثامن عن ظهور مدونات حديثية فى مختلف بلدان العالم الإسلامى، مرتبة أسانيدها فى أبواب مع فتاوى الصحابة والتابعين. ومن قبيل ذلك موطأ أنس بن مالك فى المدينة (٩٣-١٧٩هـ)، ومصنفات سفيان الثورى بالكوفة (٩٧-١٦١هـ) وعبدالرحمن بن عمرو الأوزاعى بالشام (٨٨-١٥٧هـ)، وعبدالله بن المبارك بخراسان (١١٨-١٨١هـ).... إلخ.

علوم السنة

ولم يمض القرن الثالث الهجرى إلا وقد ظهرت المدونات المستقلة فى الحديث سواء من حيث الرواية (أى إخراج الأحاديث بأسانيدها)، أو من حيث الدراسة (أى تحقيق الأحاديث من حيث السند ومن حيث المتن).

ويعتبر هذا القرن هو العصر الذهبى لخدمة السنة، حيث وجدنا جهابذة أفذاذا وعلماء عمالقة، أصحاب طاقات ضخمة، يقفون حياتهم كلها على طلب السنة والرحلة من أجل جمعها وتحقيقها. فعرفت الكتب الستة المشهورة وهى:

١- صحيح البخارى (١٩٢-٢٥٦هـ)، والذى أمضى فى إعداده ستة عشر عاما، سمع خلالها من نحو ألف شيخ وجمع نحو ٦٠٠٠٠٠ جم ستمائة ألف حديث، وأخرج منها بعد التحقيق الدقيق بضوابط شديدة التزمها، نحو ٤٦٠٠ أربعة آلاف وستمائة حديثا بغير المكرر ونحو ٩١٠٠ تسعة آلاف ومائة حديث بالمكرر واختلاف الروايات.

٢- صحيح مسلم (٢٠٤ / ٢٦١هـ)، تضمن بغير المكرر نحو ٤٠٠٠ أربعة آلاف حديث صحيح، وبالمكرر نحو ٧٣٠٠ سبعة آلاف وثلاثمائة حديث، أخرجها بعد التحقيق من بين ٣٠٠٠٠٠ ثلاثمائة ألف حديث مسموعة متحريا فى الرجال والمتون.

٣- سنن أبى داود (٢٠٢ / ٢٧٥هـ) تضمنت نحو ٤٨٠٠ أربعة آلاف وثمانمائة حديث، لم يقتصر فيه على إخراج الصحيح فقط بل منه الصحيح والحسن، وما دون ذلك اختارها من بين ٥٠٠٠٠٠ خمسمائة ألف حديث.

٤- سنن النسائى (٢١٥ / ٣٠٣هـ)، وهى فى مرتبة سنن أبى داود وأقل السنن حديثا ضعيفا.

٥- سنن الترمذى (٢٠٩ / ٢٧٩هـ)، ويعتبر من أجمع كتب الحديث إذ شمل الصحيح والحسن والضعيف، كما ذكر المنكر وبين وجه إنكاره.

(٢١) المرجع السابق، ص١٣١.

٦- سنن ابن ماجة (٢٠٧ / ٢٧٣هـ) وقد ضمه العلماء إلى الكتب الستة لكثرة زياداته، واشتماله على أحاديث لم تخرج فى الصحيحين والسنن.

وقد خدمت هذه الكتب بالشرح والتهذيب والاختصار والاستخراج عليها من قبل العلماء الذين جاءوا بعدهم. فعرفت فى مجال رواية الحديث الجوامع، والمسانيد، والسنن، والمستدركات، والمستخرجات، والمعاجم، والفهارس... إلخ(٢٢).

وعرفت فى مجال تحقيق الحديث علوم الجرح والتعديل، وعلم تاريخ الرواة، وعلم أصول الحديث، وعلم علل الحديث، وعلم أسباب ورود الحديث وعلم الناسخ والمنسوخ من الحديث.... إلخ، حتى لقد أثر عن علماء الحديث قولهم (إن علوم الحديث تشتمل على أنواع كثيرة تبلغ مائة، كل نوع منها علم مستقل، لو أنفق الطالب فيه عمره ما أدرك نهايته)(٢٣).

الموقف اليوم

نخلص مما سبق أن السنة باعتبارها المصدر الثانى للإسلام، قد لقيت عناية واهتماما كبيرا على مر الأجيال سواء من حيث الرواية أو من حيث الدراية. فقد ثبت لنا أن جانبا من الحديث قد دون فى عهد الرسول ﷺ وبإذنه ثم دون أكثره فى عهد الصحابة والتابعين. ثم تضافرت بعد ذلك جهود علماء المسلمين فى خدمة الحديث رواية ودراية، حتى نشأت حول الحديث علوم كثيرة لم يحظ مثلها علم من العلوم.

إلا أن أكثر هذه المؤلفات والتى تعدو الآلاف قد جعلت مهمة الباحث اليوم جد عسيرة. ويزيد الأمر صعوبة أن من الأحاديث ما صحت متونه ولم تصح أسانيده، كما أن منها ما أشكلت متونه وإن سلم من الطعن روايته. كما أنه فى مجالات المعاملات مازال يختلط الأمر بين ما قاله الرسول اجتهادا خاصا يحتمل الخطأ كالنهى عن تأبير النخل والفصل فى الخصومات، وبين ما قاله رأيا وإرشادا على سبيل الندب لا للتشريع والوجوب كحديث (احفوا الشارب واعفوا اللحى) وبين ما قاله تشريعا ملزما.

وهو الكثير الغالب، وهل هو تشريع خاص مرهون بظروف معينة كحديث (من كان له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ولا يكريها)، أم هو تشريع عام يلتزم به جميع المسلمين فى جميع العصور والأمكنة كحديث (من ترك ضياعا فإلى وعلى).

وإننا نجد فى كتب الفقه فى المذاهب المختلفة لاسيما كتب الحنفية فالمالكية فالشافعية مئات من المسائل المخالفة للأحاديث المتفق على صحتها مما ورد بصحيحى البخارى ومسلم ولا يعد أحد منهم مخالفا لأصول الدين(٢٤).

---

(٢٢) انظر تفصيل ذلك فى كتاب الحديث النبوى (مصطلحه وكتبه) لفضيلة الشيخ محمد الصباغ، منشورات المكتب الإسلامى ببيروت، طبعة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(٢٣) انظر تدريب الراوى لجلال الدين عبدالرحمن أبى بكر السيوطى، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، مكتبة القاهرة بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٧٩/١٩٥٩، ص١٤.

(٢٤) انظر فتاوى الشيخ رشيد رضا، تحقيق الدكتور/صلاح الدين المنجد، طبعة بيروت ١٣٩٠/١٩٧٠، صفحة ٢٠٧٢.

إنه فى مجال الوقوف على السنة، يشير جمهور العلماء بالاكتفاء بالصحيحين (صحيح البخارى وصحيح مسلم) . ولكن من المتفق عليه أن الصحيحين لا يحويان كل الأحاديث الصحيحة، فإن فى دواوين السنة العديدة الكثير من الصحاح التى لم ترد بصحيح البخارى أو مسلم هذا إلى أنه من المعروف أن صحيحى البخارى ومسلم وإن كانا فيما أورداه هما أصح كتاب بعد كتاب الله، إلا أنهما ليسا معصومين هما ورواتهما من الخطأ ولقد انتقد بعض علماء الحديث كالدارقطنى بعض أحاديث الصحيحين وجرحوا بعض رواتها، والأحاديث المنتقدة فى البخارى نحو ١١٠ مائة وعشرة منها ما انفرد به ومنها ما أخرجه مسلم أيضا، وما انتقد من أفراد مسلم أكثر مما انتقد من أفراد البخارى(٢٥) .

لقد وضع المستشرق فنسنك بالإنجليزية مؤلفه المشهور (مفتاح كنوز السنة)، ونقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى، وذلك للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة فى كتب أربعة عشر أماماً فى السّنة وهم البخارى، ومسلم وأبوداود، والنسائى، والترمذى، وابن ماجة، ومالك، وأحمد بن حنبل، والدارمى، وزيد بن على، وأبوداود الطيالسى، وابن سعد، وابن هشام، والواقدى. وقد كتب السيد رشيد رضا فى مقدمة ترجمته (لو وجد بين يدى مثل هذا المفتاح لسائر كتب الحديث، لوفر علىّ أكثر من نصف عمرى الذى انفقته فى المراجعة) . كما أعقبه فريق من المستشرقين بوضع (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى)، جمعوا فيه كافة الأحاديث النبوية التى وردت بمختلف كتب السنة المعتمدة، ورتبوها حسب الحروف الأبجدية مما يسهل الرجوع إلى أى حديث بمصادره متى عرف أحد ألفاظه، وهو عمل جليل كان أجدى أن يقوم بمثله جماعة من العلماء المسلمين.

وأيا كان الأمر، فإن السلف أحسن الله إليهم، قد قاموا بخدمة السنة وتركوا لنا تراثا ضخما غزيرا يتمثل فى ألوف المجلدات سواء فى مجال الرواية أو مجال الدراية والمطلوب اليوم الاستفادة من هذا التراث بتيسيره لكل طالب.

المطلوب اليوم

وخلاصة القول: إننا نحتاج اليوم إلى صحيح جامع مانع، يجمع كافة الأحاديث الصحيحة.

كما نرجو فى نفس الوقت أن تبوب كافة الأحاديث الصحيحة فى تقسيمات علمية عصرية سواء بحسب الموضوعات أو بحسب الحروف الأبجدية، مع أقرانها بشروح مبسطة متفق عليها، وأخرى مفصلة تعرض مختلف الاجتهادات.

كذلك ثمة أمر جوهرى، لم يتم حتى الآن رغم أهميته القصوى، وهو أن ترقم الأحاديث النبوية بحيث يصير لكل منها رقم تعرف به شأن الآيات القرآنية، وذلك تسهيلا للاستفادة والرجوع إليها.

---

(٢٥) انظر فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد الطبعة الأولى ١٣٩٠/١٩٧٠، الناشر دار الكتاب الجديد ببيروت، الجزء الثالث الفتوى رقم ٧٢٩ ص٢٠٢٨.

ومن المعلوم أن ما تقدم لا يتم إلا بعد الاتفاق على كافة الأحاديث الصحيحة سواء من حيث الرواية (السند) أو من حيث الدراية (المتن) .

ولا شك أن هذا العمل الجوهرى الذى نطرحه بمختلف أبعاده وضروبه، لا يمكن أن يقوم به فرد، وإنما يوكل إلى لجنة تشكل من أئمة الحديث فى العالم الإسلامى توضع تحت تصرفها كافة الإمكانيات المادية والمعنوية، فهل من دولة إسلامية أو مركز بحوث إسلامى، أو رابطة أو هيئة إسلامية، تتولى هذا المشروع خدمة للمصدر الثانى بعد القرآن، وتيسيرا لنشره وحفظه، وتمكينا للعمل به .

مؤتمرات عالمية

وهذا الذى نعرض له من حيث الحاجة الملحة إلى موسوعة جديدة للسنة النبوية الشريفة تضم الأحاديث الصحيحة التى يمكن الاعتماد عليها والعمل بمقتضاها دون اختلاف أو تضارب أقوال، كان محل توصية أربعة مؤتمرات عالمية حديثة للسيرة والسنة النبوية . وأولها الذى عقد فى إسلام أباد بباكستان سنة ١٩٧٦ وثانيها فى استانبول بتركيا سنة ١٩٧٧ وثالثها فى الدوحة بقطر سنة ١٩٧٩ وآخرها فى القاهرة بمصر ممثلا فى المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية الذى انعقد فى أول نوفمبر سنة ١٩٨٥ فى رحاب الأزهر الشريف وتحت رعاية رئيس جمهورية مصر .

ولقد بدأت فكرة عقد المؤتمرات سالفة الذكر، عندما وجد علماء المسلمين أن الدعوة الإسلامية بصفة عامة والسنة النبوية بصفة خاصة تواجه الكثير من الأخطار، لا سيما من الطوائف الخارجة عن النهج الإسلامى مثل القاديانية والبهائية ومزاعم بعض المستشرقين ومن نحا نحوهم من افتراءات وأضاليل حول السيرة والسنة النبوية .

وقد كانت هذه المؤتمرات العالمية للسيرة والسنة النبوية، مبادرات مدروسة للرد على الأفكار الدخيلة التى تندس بالذات فى مراكز الأقليات الإسلامية بالعالم والبعيدة عن مراكز الدعوة الرئيسية كالأزهر بمصر ورابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة . كما كانت هذه المؤتمرات ردا على من كان يدعو إلى الاكتفاء بالقرآن، متناسيا أن السنة النبوية تشكل عمادا أساسيا للمسلمين فهى الشارحة للقرآن والقضايا التى طرحتها آياته وتشكل المصدر الثانى للتشريع الإسلامى بعد القرآن . كما كانت ردا على من كان يطعن فى الراوى الأول للحديث الصحابى أبوهريرة، توصلا إلى الطعن فى كتب السنة الصحيحة التى أخذت عنه .

وأيا كان الأمر، فقد انتهى المؤتمر العالمى للسيرة والسنة النبوية المنعقد بالقاهرة فى نوفمبر سنة ١٩٨٥، إلى ضرورة تشكيل فريق عمل من كبار المحدثين فى العالم الإسلامى تحت إشراف الأزهر الشريف، تكون مهمته إعداد موسوعة جديدة للحديث النبوى تضم الأحاديث الصحيحة التى يمكن أن يعتمد عليها، مع تبويبها وشرحها على الوجه الذى ييسر الاستفادة منها والعمل بموجبها .

خاتمة وتلخيص

إن القضية كما عانيتها كباحث فى الاقتصاد الإسلامى . ويعانيها كل باحث فى الجوانب الإسلامية الأخرى المتعددة تتلخص فيما يلى :

أولاً: أن صحيحى البخارى ومسلم وهما المرجعان الأساسيان للسنة النبوية ولا يحويان كافة الأحاديث الصحيحة بل لابد من الرجوع إلى مدونات السنة الأخرى من السنن والمسانيد، والمستدركات، والمستخرجات، والمعاجم.. إلخ.

ثانيا: إن السنة باعتبارها المصدر الثانى للإسلام. لقد لقيت عناية واهتماما كبيرا على مر الأجيال سواء من حيث الرواية «السند» أو من حيث الدراية «المتن»، حتى نشأت حول الحديث علوم كثيرة لم يحظ بمثلها علم من العلوم.

إلا أن كثرة هذه المؤلفات التى تعدو الآن الآلاف، قد جعلت مهمة الباحث الإسلامى المتخصص فى غير مجال السنة، جد عسيرة. ويزيد الأمر صعوبة أن من الأحاديث ما صحت متونه ولم تصح أسانيده، كما أن منها ما أشكلت متونه وأن سلم من الطعن رواته.

ثالثًا: إننا لم نبذل جهدا كافيا فى مجال تيسير الرجوع إلى كنوز السنة، وذلك بفهرستها وتبويبها فى تقسيمات علمية عصرية سواء بحسب الموضوعات أو بحسب الحروف الأبجدية مع أقرانها بشروح مبسطة متفق عليها، وأخرى مفصلة تعرض مختلف الاجتهادات.

لقد وضع المستشرق فنسنك بالإنجليزية مؤلفه المشهور «مفتاح كنوز السنة»، ونقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى وذلك للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة فى كتب أربعة عشر إماماً فى السنة كما أعقبه فريق من المستشرقين بوضع (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى)، جمعوا فيه كافة الأحاديث النبوية التى وردت بمختلف كتب السنة المعتمدة، ورتبوها حسب الحروف الأبجدية بما يسهل الرجوع إلى أى حديث بمصادره متى عرف أحد ألفاظه.

رابعًا: إن ثمة أمرا جوهريا لم يتم حتى الآن رغم أهميته القصوى، وهو أن ترقم الأحاديث النبوية بحيث يصير لكل منها رقم تعرف به شأنها شأن الآيات القرآنية، وذلك تسهيلا للاستفادة والرجوع إليها بيسر.

ومن المعلوم أن مثل ذلك لا يتم إلا بعد الاتفاق على كافة الأحاديث الصحيحة سواء من حيث الرواية أو من حيث الدراية.

خامسًا: إن إعداد مرجع جامع مانع للسنة النبوية على الوجه الذى أطرحه بمختلف أبعاده وضروبه لا يمكن أن يقوم به فرد، وإنما يوكل إلى لجنة تشكل من أئمة الحديث فى العالم الإسلامى، توضح تحت تصرفها كافة الإمكانيات المادية والمعنوية.

حقًا لقد خدمت السنة النبوية فى مختلف العصور وبذل فى سبيلها أجل وأضنى الجهود. ولكنها اليوم تحتاج إلى خدمة أخرى أجل، هى جماع ما سبق بذله من جهود، وهى فى المحصلة اقتطاف ثمرة هذا التراث الخالد العظيم وتيسير الرجوع إليه للخاصة والعامة.

فهل من مجيب؟!

شهر الصيام في أمستردام

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

الحمد لله على نعمة الإسلام وأكرم بها نعمة، الحمد لله على نعمة الإسلام وأكرم بها نعمة، الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

عندما تطأ قدمك أوروبا وترى أهلها وشوارعها بعيون مسلم صادق لا تملك نفسك قلباً ولساناً من ترديد هذه الكلمات تتذوقها وتتلذذ بها حتى فى ساعات الضعف البشرى وإحساسى بالتفوق الغربى والعجز والتخلف الشرقى كان قلبى يرددها وعقلى يستوعبها وأحس كأنها تحتوينى ألوذ بها فى غدوى ورواحى. كم كان البرد قارساً ومزعجاً لكنى أعجب من حالى كيف أحتمله وأنا القادم من جنوب مصر بل كنت فى بعض الأحيان أضيق بما أتدثر به من الملابس الثقيلة كيف؟

الحق أنى كنت أغلى من هذا التناقض المزعج الذى يمزق عقلى وأحاول أن أجد له تفسيراً فلا أستطيع. تناقض هنا فى هولندا وتناقض هناك فى مصر أشاهد فى أمستردام وألمس الصدق والأمانة والنظافة والنظام والهدوء نعم نعمة الهدوء كأنهم يهمسون وهم يتحركون أو كأن أديبنا العملاق أبو العلاء المعرى كان يوجه كلامه إليهم حين أطلق بيته المشهور:

سر إن استطعت فى الهواء رويداً

لا اختيالاً على رفاة العباد

قالها أبو العلاء وسمعوها واستجابوا لها ولم نسمعها كأن في آذاننا وقرا ! لم نعبأ

وأقول بحق إن هؤلاء الناس سمعوها ووعوها، لا أقول حفظوها أو نفذوها ولكنى أقول كأنهم خلقوا لها.

كنا نقيم فى منزل يقع فى شارع السوق يسمونه سوق « ١٦ » وحتى تتخيل المكان لن أصف لك وأطيل في الوصف باختصار شديد أقول كأنك فى منطقة العتبة وأول شارع الموسكى قلت لرفيقى تخيل لو أننا كنا نقطن فى ميدان العتبة هل يمكن أن يسمع أحدنا صاحبه ونحن نتحدث، وهل يمكن أن ننتقل إلى محل إقامتنا ليلاً بعد نهاية النهار وانصراف الباعة دون أن نعثر فى أكوام القمامة وهل من الممكن أن نتنفس دون أن نستنشق ما يزكم الأنوف...

السوق هنا يتم تركيبه فى نهر الشارع تركيباً محكماً كل محل عبارة عن خيمة صممت بعناية.. وحتى تحفظ ما بداخلها مع الوضع فى الاعتبار ظروف الطقس السيء وفى المساء فى ساعة محددة تماما يتم رفع الخيام ويتم غسل الشارع بالمياه ويفتح لمرور السيارات فى ساعة محددة كأنك على موعد لإقلاع طائرة أو تحرك قطار.

دون أن تقصد تتم المقارنة ولابد أن يرتفع ضغط دمك رغمًا عنك لمجرد أنك إنسان لك عقل مفكر وقلب يدق بل بمجرد أن تهبط من الطائرة وتدلف إلى المطار تدرك أنك إنسان لك قيمة لمجرد أنك إنسان، وأن كل شيء منضبط ونظيف، ولابد أن تسأل نفسك لماذا نحن متخلفون؟ ولماذا هم لا يسلمون؟.

وأبسط شيء للإجابة بل أصدق شيء فى الإجابة أن هناك خللاً فى الغرب والشرق، خلل فى الغرب المتقدم مادياً الصادق فى المعاملات التجارية الذى لم يفكر فى الذى خلقه لأى شيء خلقه ولماذا خلقه؟

وخلل فى الشرق المتخلف مادياً الكاذب المنافق فى تعاملاته، الغربى رغم عقله وصدقه بعيد عن الإسلام يرفضه بل يعاديه ويحاربه والشرق مسلم رغم فشله، واستمرائه الفشل والنفاق والتخلف والخمول هذا

التناقض المزعج ذكرني على الفور مقالة العلاء بن الحضرمى مبعوث رسول الله ﷺ للمنذر بن ساوى أمير البحرين حيث قال رضى الله عنه كأنه اخترق ببصيرته حجب السنين والأعوام كأنه يخاطب الإنسان الغربى فى صلفه وغروره وعمايته وضلاله قال:

يا منذر إنك عظيم العقل فى الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة.....» إلى أن يقول: «ولست بعديم عقل ولا رأى» فانظر هل ينبغى لمن لا يكذب فى الدنيا ألا تصدقه ومن لا يخون ألا تأتمنه ومن لا يخلف ألا تثق به هذا هو النبى الأمى الذى والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به ينهى عنه، أوليت ما نهى عنه يأمر به، أوليته زاد فى عفوه أو نقص فى عقابه إذ كان ذلك على أمنية أهل العقل وفكر أهل النظر.

تذكرت هذه المقولة الواعية المستنيرة وأنا أتجول فى أمستردام وأدركت على الفور أنا نحن الكارثة التى حلت بالإسلام فليس للإسلام عيب إلا المسلمين، لم نقدم ديننا كما ينبغى له وكما يتناسب مع قيمه ومثله، قدمناه فى أحسن حالاتنا كخطب وميكروفونات، ولم نقدمه كسلوك متميز وسيرة حسنة، وخلق كريم.

وفى كثير من الأحيان كان تقديمنا للإسلام يحمل صفة التشرذم التى يعانى منها المسلمون فقد مزقناه وجعلنا منه إسلاماً سعودياً وآخر مصرياً وآخر شيعياً وهكذا بتعدد دويلات المسلمين مزقنا عالميته وأفقدناه جلاله وشموله، إن الإسلام انتشر فى آسيا وبلاد السند والهند عن طريق معاملات التجار الأمناء الصادقين، ولم تقم حرب، فالسلوك والقدوة هما الأساس ولم تقم حرب واحدة فى إفريقيا السوداء التى انتشر فيها هيناً ليناً وادعاً عن طريق رجالات التصوف والتجار الصادقين أيضاً، بل إن أوروبا وأمريكا ينتشر فيها الإسلام رغم هزيمة المسلمين الحربية والصلف الغربى، فإن الطريق مفتوح أمام الإسلام ليروى الظمأ الروحى الذى يعانى منه المجتمع الغربى فإن الحياة المادية الخالية من كل قيمة والتى مزقت روابط الأسرة تدفع الناس دفعاً إلى أحضان الإسلام لولا حماقات البعض

وشطحاتهم من المسلمين وحقد الإعلام الغربى وعدائه لكن الإسلام بوحدانيته ومبادئه وتواصله قادم بإذن الله فلم تعد الكنائس تقدم للإنسان الغربى ما يروى ظمأه للدين ويشفى غلته للإيمان ويجب علينا أن نتعامل مع الغرب كأطباء نفسيين يتعاملون مع مرضى لابد من علاجهم مما شوه فطرتهم ومسخهم.

إن ما نراه فى شوارع أمستردام يجعلك تسأل سؤالاً مباشراً ـ وأرجو أن يسمعه كل مدعى الحضارة ممن يمارس هذا العمل ويروج للإباحية متستراً أو معلناً بلا حياء أو خجل.

أسأل نفسك ما هو الفارق بين أن تشاهد مجموعة من الحيوانات الأليفة والظريفة ينزو بعضها على بعض فى وداعة وانسجام وبين مجموعة من البشر فى أى شارع من شوارع أوروبا يتهارشون جنسياً هذا التهارش المقيت ويسمونه حباً هل تجد فارقاً بين الجماعتين؟ كيف بالله؟ ألا توجد وسيلة للتعبير عن الحب غير هذا التهارش القبيح لماذا هم يمارسونه بلا غضاضة أو استهجان.

عجيب أمر هؤلاء الناس كيف هم على هذه الدرجة من الوعى والنظام والأمانة فى تعاملاتهم المادية، والتخلف الردىء فى الحياة الروحية، وهذا التناقض جعلهم يتناقضون مع أنفسهم فى كثير من أحكامهم، والعجيب أن مجموعة القردة المقلدين لهم من بنى جلدتنا يرددون معهم هذا التناقض، مثلاً يشنون حملة على زواج الصغيرات - ونحن لا نمانع - بشرط أن يكون الحكم متوازناً لكن العجب أن التليفزيون الهولندى فيما بلغنى يوجه نداءاً وتحذيراً إلى أمهات القاصرات بأن يذكرن بناتهن بأخذ الواقى الذكرى معهن حتى لا تعود الإبنة حاملاً لن نكلمهم عن الحلال والحرام فإنه يزعجهم، لكن أسأل جمعيات الدفاع عن المرأة وحقوق الإنسان لماذا تهاجمون زواج القاصرات فى البلاد الإسلامية وتجعلونه جريمة؟ ألأنه حلال مسلم؟ ولو أنه تم فى الحرام لكان حضارياً مقبولاً ما هذا الخبل أليست الصبية قاصرة فى الحالتين؟! إن هذا تشويه للفطرة الإنسانية واتباع للشهوات؛ بل وصل الأمر إلى حد إباحة الزواج مع اتحاد الجنس رجل برجل وأنثى بأنثى! إن هذا تدمير للخلقة السوية

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هلى تحسون فيها من جدعاء»[٢].

أى كما تلد البهيمة بهيمة كاملة الأعضاء غير ناقصة، سليمة غير مشوهة ثم يحدث التشوه بفعل الإنسان، لقد عميت البصائر وطمست القلوب، لقد توهم الغرب أنه بهذا المنهج الإباحي وصل إلى غايته. لا، إن ما أسماه حرية وخيل إليه أنه سوف يهنأ بها طويلاً فهو مخدوع، الواقع أن النهاية قريبة وسوف ينهار من الداخل ما لم يتداركه العقلاء منهم وعلينا أن نبادر ونجاهد ونسعى حثيثاً فى عرض الإسلام عرضاً مناسباً للإسلام يخالف واقع المسلمين الآن لقد سيطرت الأنانية على الأفراد فى الغرب وحذف الإنسان الغربى من قاموسه كل غاية أخلاقية أو روحية من حياته وأصبح يستهزىء ويسخر بكل ما ليس ربحاً مادياً أو صفقات تجارية.

يوجد فى أمستردام أكثر من ستين مسجداً قام على إنشاءها وعمارتها جالية هولندية مغربية الأصل وجالية تركية والمساجد تذخر بالمصلين في رمضان ويتردد فى جنباتها التهليل والتكبير وقراءة القرآن لكنهم جميعا - أى المسلمين - عمروا هذه المساجد وملؤوها بتشرذمهم واختلافاتهم التافهة واختلافهم الردىء كأن كل منهم صنع له إسلاماً خاصاً، ولذلك قلت فاعليتهم واستعذبوا التشرذم والخلافات البيزنطية العقيمة تسمع أسئلة عقب الدروس تكاد تجزم بأنها لتزجية الفراغ وسوف نعود لهذا فى مقال آخر إن سمحت ظروف النشر.

وعلى المسلمين أن يتركوا هذا التشرذم والانغلاق الخائف المذعور، ويعلموا أنهم حملة رسالة، وأصحاب دين، وأنهم مطالبون بالعمل الجاد مسئولون عن البلاغ، والبلاغ هداية تنبع من سلوك وليست خطباً ولا عبارات محفوظة تزعجك أكثر مما تأخذ بيدك، وتنفرك أكثر مما تهديك وتبلبل أفكارك أكثر مما ترشدك.

---

(٢) البخارى ٣/١٢٥، أبو داود (٤٧١٤، ٤٧١٦)، مسند أحمد ٢/٢٣٣، ٢٧٥، ٢٨٢، ٣٩٣.

مثلاً قام خطيب في أحد المساجد على المنبر تخيل ما الذى يشغله وأراد أن يشرحه للناس هل هو الحل الإسلامى لمشكلات العالم الغربى فى نظره؟ أبداً؛ أو هو تناول مشكلة تخص بنى جلدته من العرب والمسلمين؟ لا، لكن الخطيب أعلن فقال : إذا طلب الرجل زوجته فلابد أن تطيعه وله إرغامها إذا أبت بالإكراه! هل هذا كل ما يشغل بال الشيخ . وتصور أنه يهم جماعة المسلمين؟! إن الرجل بكل بساطة واستهتار حثا التراب على تراث الإسلام كله فى العلاقة بين الرجل والمرأة بهذه الكلمة! ألم يجد ما يتحدث فيه عن وجوب الطاعة وأنها تبادلية فى البيت للمرأة رأى وللرجل القرار؟ ألم يجد الشيخ فى البيت إلا هذا الجانب القبيح يعالجه وبهذا الأسلوب الفج؟ إن هذا يهدم أكثر مما يبنى . لقد عرف العلماء البلاغة بأنها مراعاة مقتضى الحال، فهل راعى الشيخ الحال ومقتضاه؟ وكيف تسربت هذه العقلية إلى أوروبا؟ بل كيف أنها لم تتأثر بما حولها ومن حولها إن كانت تريد أن تبلغ الدعوة غضة ندية .

ولا أجد ما أقوله لهذا الخطيب إلا أننى أستأذن رسول الله ﷺ وأستعير منه عبارته لما نزل قوله تعالى :

﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾(٣) .

فقد جاء أحدهم بخيط أبيض وآخر أسود واستمر يأكل ويشرب وهو ينظر إلى الخيطين عله يستبين الأبيض من الأسود حتى أوشك النهار أن يبين وكادت الشمس أن تشرق فلما أخبر المصطفى ﷺ بهذا قال كلمة فيها من البلاغة والتعبير النقى الصادق الرحيم المعبر عن اعتساف صاحبنا للأدلة والقياس والفهم المستقيم قال ﷺ له «إنك لعريض القفا» .

ظهر صاحبى تعلوه ابتسامة ماكرة فيها من العتاب والرجاء قائلاً : لم تحدثنا عن هولندا! قلت لماذا ترى النصف الفارغ من الكوب يا صاحبى، أليس فيما قلت حديثاً عن هولندا؟ وعلى أى حال لك هذا فى اللقاء القادم إن شاء الله .

---

(٣) البقرة (١٨٧).

من المنافع الاقتصادية للحج والعمرة

للأستاذة الدكتورة/ زينب صالح الأشوح

بعض الأقلام تنادى بتحجيم الأعداد فى الحج، وتشتد نبرة النداء ويعلو الصوت عندما تنادى بتحجيم العمرة ولاتعدم أن تقدم مزاعم يحسبها الغافل حججا قوية، وأهم هذه المزاعم أن حجم إنفاق المعتمرين يتجاوز المليارات، والاقتصاد المصرى الوطنى فى حاجة إلى هذه المبالغ.

ونحن نسلم بأن الاقتصاد الوطنى فى حاجة ماسة إلى ما هو أقل من هذا.

لكن من حقنا أن نسأل، هل نفقات العمرة هى الوجه الوحيد الذى يمثل الإسراف، أم أن هناك وجوها أخرى كثيرة تمثل سرفا وتبذيرا وإتلافا وتحتاج إلى ترشيد بصورة ماسة، نحن نعتقد أن المسألة خارجة عن التبريرات الاقتصادية، أو عن الدوافع الاقتصادية، إنما هو نوع من تحجيم المساحة الدينية حتى على المستوى الشخصى. وما المسألة الاقتصادية إلا وسيلة لتبرير النقاش وطرح الموضوع.

ومجلة الأزهر تقدم مقال الأستاذة الدكتورة زينب
الأشوح أستاذ الاقتصاد الإسلامى بجامعة
الأزهر يتسم بالرؤية الاقتصادية المستنيرة
لمن يريدون رأى أهل التخصص أو
أهل الذكر ماداموا لا يعلمون.

المجلة

يعتبر الحج إحدى المعجزات التى حظى بها أبو الأنبياء «إبراهيم» عليه السلام. فقد تمكن بأمر من الله وبفضله وبعونه من بناء الكعبة التى أصبحت تمثل بيت الله الحرام فى أرض البشر، كما مكنه الله ـ سبحانه ـ من دعوة جميع البشر لزيارة ذلك البيت المقدس وهو واقف فى مكان محدد بدون الحاجة للانتقال إلى كل فرد من البشر لتبليغهم تلك الدعوة لا على المستوى المكانى (حيث بلغ دعوته من نقطة مكانية محددة) ولا على المستوى الزمنى (حيث لم تتكرر تلك الدعوة للبشر عبر القرون المتتابعة من الزمان)، وذلك مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾(١).

أى ناد فى الناس داعياً لهم إلى الحج إلى البيت الذى أمرناك ببنائه. وقد ذكر أنه قال : يارب كيف أبلغ وصوتى لا ينفذهم؟ فقال : ناد وعلينا البلاغ. فقام من مقامه وقيل على الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبى قبيس (جبل مكة) وقال : يا أيها الناس إنَّ ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه. فيقال إنَّ الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من فى الأرحام والأصلاب وأجاب كل شىء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك (تفسير ابن كثير).

ونتيجة لتلك الدعوة اللحظية فى المكان والزمان، أصبح كل المسلمين فى حنين دائم إلى رؤية الكعبة والطواف بها والإتيان إليها من سائر الجهات والأقطار، حتى إن كان ذلك بدون سابق رؤية أو تجربة

﴿ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(٢).

وفى تفسير ابن كثير، قال الله سبحانه : « من الناس » ليختص به المسلمين فقط، فلو قال (أفئدة الناس) بدون « من » التبعيض لازدحم على البيت الحرام فارس والروم واليهود والنصارى وكل الناس.

ويلاحظ أن الحج الذى يعنى قصد البيت الحرام وزيارته عبادة قديمة ظهرت قبل ظهور الإسلام، إلا أنه بعد ظهور الرسالة الإسلامية المحمدية أصبح يأخذ وضعاً أكثر تحديداً فى نطاق المكلف بالقيام به وفى توضيح ما يجب أن يتم من شعائر لإتمامه. وأصبح الحج إلى بيت الله ممثلاً للركن الرابع لدعائم الإسلام الخمسة وذلك كما أ وضح الحديث الشريف « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان »(٣).

وعلى الرغم من ربط أداء فريضة الحج بالاستطاعة، إلا أنه لا يجوز إنكار تلك الفريضة أو الاستهانة بها أو بأدائها حال تحقق تلك الاستطاعة.

---

(١) الحج (٢٧).

(٢) إبراهيم (٣٧).

(٣) صحيح الجامع ٢٨٤٠.

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٤).

وتعتبر العمرة عبادة لصيقة بالحج وسُنّة لا يمكن إهمال أدائها لكل مسلم رشيد أثناء رحلة الحج أو فى رحلة منفصلة عنه. فكل من الحج والعمرة يمثل دعوة من الله لزيارته ـ سبحانه ـ فى بيته الحرام «الحجاج والعُمار وفد الله، دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم»(٥). ومما يدل على الأهمية البالغة للعمرة أنها يمكن أن تعدل (حجة) إذا ما تم تأديتها فى وقت معين هو شهر رمضان وذلك كما أوضح الحديث الشريف «عمرة فى رمضان تعدل حجة»(٦).

ويتضمن الحج والعمرة منفعة مزدوجة مؤكدة يتمثل أحد جانبيها فى المنفعة الروحية ويتمثل الجانب الآخر فى المنفعة المادية.

فيما يتعلق بالمنفعة الروحية لأداء الحج والعمرة والمداومة عليهما، توطيد الصلة بالله ـ عزّ وجل ـ والشعور بمزيد من الاقتراب النفسى من الخالق مع تدعيم الجانب التفاؤلى للإنسان من خلال الأدعية التى وعد الله سبحانه وتعالى أن تكون مستجابة فى مكان الحج الطاهر «الحجاج والعمار وفد الله، دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم».

ومن الثمار الروحية العظيمة للحج والعمرة تكفير ذنوب من يقوم بتأديتهما «أديموا الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد»(٧) ويلاحظ أن الحديث الشريف هنا يتضمن منفعة اقتصادية أيضاً ستتم الإشارة إليها فيما بعد.

كما أن أداء الحج والعمرة والمداومة عليها يمثلان وسيلة واقية من التخبط فى بحور الشرور والغرق فى بحور الآثام خاصة إذا ما امتدت بطوفانها إلى غالبية المجتمع وفى نفس الوقت فهما يعتبران علاجاً مقوياً لضعاف النفوس والإرادة أمام إغراءات الحياة ومساعداً لمن يداوم على إقامتهما على النجاح فى مقاومة تلك الإغراءات الدنيوية والثبات بمزيد من القوة والجدية على الطريق المستقيم. وتتأكد تلك المعانى والمنافع من قول الرسول ﷺ: «الحج جهاد كل ضعيف»(٨)، وذلك قوله ـ ﷺ: «عبادة فى الهرج والفتنة كهجرة إلىّ»(٩). فالمسلم الحريص على إرضاء ربه، يهرع إلى بيت الله من وقت لآخر لائذاً بذلك المكان المقدس الطاهر فى محاولة لإعادة شحن (طاقته الروحية) وتقوية نفسه البشرية على اجتياز بحور المفاسد والفتن المحيطة بسلام.

والواقع أن الإنسان الطبيعى هو من يتمتع بتوازن فى الجوانب الروحية والمادية المكونة له، بل إن تعاظم الجانب الروحى لديه يتيح له فرصة السمو إلى عالم المثاليات الذى يكسبه حب الله والناس أيضاً حيث إن الهدف الأساسى من خلق الإنسان هو أن يعبد الله:

---

(٤) آل عمران (٩٧).
(٥) صحيح الجامع (٣١٧٣).
(٦) صحيح الجامع (٤٠٩٧).
(٧) صحيح الجامع (٢٥٣).
(٨) صحيح الجامع (٣١٧١).
(٩) صحيح الجامع (٣٩٧٤ ـ ١٤٧١).

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١٠).

ومن ثم، يعتبر الحاج والمعتمر مستهلكاً رشيداً لأنه يوجه جزءاً من نفقاته للوفاء باحتياجاته الروحية -التى تمثل إحدى الحاجات الأساسية لبقائه الإيجابى الفعَّال فى الحياة - كما أنه ينجح فى تعظيم المنفعة التى يحصل عليها من أدائه للحج وللعمرة برضوان ربه والفوز بالجنة الخالدة «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(١١)، مع التخلص من كثير من الأمراض النفسية والاجتماعية وإعادة الشحن الروحى للبشرية، الذى يساعد أيضاً فى التخلص من كثير من الأمراض البدنية أيضا، والتى غالبا ما ترتبط بالأمراض النفسية. وكل هذا سيساعد على زيادة الإنتاجية والإنتاج لكل حاج ومعتمر مما سيعود على المجتمع ككل بزيادات تراكمية فى الإنتاج والدخل لمجموع مواطنى المجتمع من هؤلاء الحجاج والمعتمرين وكل من يرتبط اقتصاديا بهم حتى من غير الحجاج والمعتمرين.. كل هذا، بنفقات يسيرة نسبياً وأقل كثيراً مما يتم الحصول عليه من منافع تراكمية متعددة لأداء العبادة المذكورة. ومن هنا نجد أنفسنا متواجدين - تلقائياً - فى ميدان المنافع الاقتصادية للحج والعمرة.

وتستقبلنا أول بشرى اقتصادية لكل فرد يحرص على أداء الحج والعمرة والمداومة عليهما وهى وعد ـ الله سبحانه وتعالى ـ له بتخليصه من مشكلة الفقر إذا كان يعانى منها حيث يؤكد على ذلك الحديث الشريف الذى سبقت الإشارة إليه وهو «أديموا الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد». ويمكن من ذلك الحديث أن نلتقط درساً آخر مستفاد يكمن بين المعانى والكلمات وهو أن الإنفاق على تلك الرحلات المقدسة لا يمكن أن تتسبب فى نقصان ما يمتلك مؤديها من أموال كما هو الحال عند التصدق «ما نقصت صدقة من مال..»(١٢)، بل إن أداء تلك العبادات تعتبر فى الواقع وسائل وأسباب لزيادة ما يمتلكه مؤدوها من أموال وغيرها طالما أن أداءها يكون لوجه الله وفى سبيل تدعيم الصلة به ـ سبحانه ـ وصدق الله العظيم فى وعده الذى جاء بذلك المعنى حيث قال:

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(١٣).

ولأن مكة (البلد الحرام) لا توجد فيها زروع ولا أشجار مثمرة لطبيعة أرضها الجدباء، فقد جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ رحلات الحج والعمرة وسيلة لجلب الثمرات من كل بلدان العالم (الوافد منها الحجاج والمعتمرون)، وضمن الله ـ سبحانه وتعالى ـ استمرارية ذلك الخير على مكة بأن جعل أفئدة الناس من المسلمين تتعلق دائماً بالبيت الحرام ويتوق أصحابها لزيارته على الدوام:

---

(١٠) الذاريات (٥٦).

(١١) صحيح الجامع (٣١٧٠).

(١٢) صحيح الجامع (٥٨٠٩).

(١٣) البقرة (٢٦١).

﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾(١٤).

وبناء على ما تقدم، فإن رحلات الحج والعمرة تعم بفوائدها الأفراد القائمين بها، والبلد والوافدين إليها، كما أن هناك منافع اجتماعية تعود على مجتمعات الحجاج والمعتمرين أيضاً حيث تلك المجتمعات - كغيرها من دول العالم الأخرى - أصبحت تئن وتتوجع من الأمراض الاجتماعية والأخلاقية المتفاقمة التى تهدد أمن تلك المجتمعات واستقرارها الاقتصادى والسياسى والاجتماعى (مثل أمراض الإدمان وسرقة الأموال العامة والبلطجة والقتل اللامبرر حتى لأفراد الأسرة)، فإن الحج والعمرة يساعدان على القضاء على مثل تلك الأمراض التى قد يكون بعض الحجاج أو المعتمرين قد أصيب بها، وذلك يساعد ليس فقط على اتقاء شرورهم وتجنب أذيتهم لمجتمعاتهم، بل إنهم قد يصبحوا دعاة صالحين وفعالين للخير مما يمكن أن يساعد على هداية كثيرين آخرين فى مجتمعات هؤلاء الحجاج والمعتمرين.. فإن الخير ينتشر بين الناس من خلال النصح والإرشاد والرغبة فى الاقتداء والاستفادة من التجارب العلاجية الفعالة لبعض نظرائهم!.

كما أن تخلص حجاج ومعتمرى كل مجتمع (وفقاً لوعد الله ـ سبحانه ـ الذى أوضحناه فى الحديث الصحيح السابق الإشارة إليه)، يعنى زيادة دخولهم التى تمثل فى إجمالها - وبدورها - إضافة موجبة إلى الدخل القومى من ناحية، وتخفيفاً لبعض أعباء الدولة والتزاماتها تجاه الفقراء.

وما من شك فى أن تخفيف حدة الفقر والأمراض الاجتماعية سوف يساهم فى التخفيف من حدة الصراعات داخل المجتمع الواحد مما سيساعد - بدوره - على الإقبال على العمل التكسبى والنشاط المهنى المنتج بمزيد من الفعالية والجدية.. والانتعاش، مما ينعكس بدوره على تحسين جديد فى أحوال الأفراد ثم أحوال المجتمع وبالتالى يصبح المجتمع الذى كان أسيراً لحلقات الفقر المفرغة، فى وضع مضاد إيجابى ينقله إلى القدرة على السير فى حركة اقتصادية دائرية إيجابية.

وبتصويب نظرة اقتصادية أكثر تعمقاً لرحلات الحج والعمرة يمكن أن يتضح أن تلك الرحلات يمكن - إذا ما أحسن استغلالها - أن تصبح وسيلة للنهوض بالمجتمع الإسلامى ككل ونقله إلى مصاف الريادة الدولية والدخول بثقل تكتلى أكبر وأقوى فى سوق العالم التنافسية. ففى ظل العولمة والتكتلات الاقتصادية الكبرى والمنذرة بالتهام اقتصاديات الدول الضعيفة، ومع حدوث تلك الحروب البغيضة التى تستهدف المجتمع الإسلامى فى كل بقاع الأرض، تبرز أهمية رحلات الحج والعمرة كملتقى إسلامى ضخم بين المسلمين من جميع جنسيات العالم وبقاعها، حيث يعتبر كل وافد سفيراً لبلاده وممثلاً لها كما تضم

(١٤) إبراهيم (٣٧).

كل قافلة من الحجاج والمعتمرين جميع طوائف المجتمع العاملة وغير العاملة أيضاً. ويمكن اعتبار ذلك التجمع الإسلامى العالمى الشامل الذى يحدث بصفة دورية – خاصة فى فترة الحج – بمثابة تكتل اقتصادى إسلامى (غير منظم)، وبالتالى فإنه على علماء المسلمين الغيورين على هويتهم الدينية والراغبين فى بقائهم على أرض التنافسية العالمية المادية التى تقوم على مبدأ البقاء للأقوى وللأكبر، عليهم أن يسخرون كل خبراتهم ومعارفهم فى تحويل ذلك التكتل الإسلامى الاقتصادى غير المنظم إلى تكتل اقتصادى منظم يمكن من خلاله خلق نواة اقتصادية إسلامية قوية لتكون بمثابة أساس متين لتنظيم عدة تكتلات اقتصادية إسلامية فعالة بين الدول الإسلامية ويتم تصنيفها وفقاً لتناسق المستويات الاقتصادية والموارد المتاحة والمواقع الجغرافية.. إن ذلك إن تم بالفعل وفقاً لخطط وإجراءات مدروسة جيداً ومتفق عليها من الأطراف الوافد منها الحجاج والمعتمرون يمكن أن يساهم بحق ليس فقط فى تحقيق الرواج الاقتصادى فى المملكة العربية السعودية (كدولة مضيفة لرحلات الحج والعمرة)، ولكن أيضاً لبقية الدول الوافد منها قوافل الحج والعمرة. ولقد أشار القرآن الكريم إلى تلك المنافع الاقتصادية (الجماعية) ضمناً فى بعض آياته حيث يقول الله تعالى:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾(١٥).

وهنا يشير تفسير ابن كثير إلى أن المنافع المذكورة تتضمن منافع الأخرة (تكفير الذنوب ودخول الجنة) ومنافع الدنيا (ما يحصل عليه الحجاج من منافع البدن والذبائح والتجارات).

وفى آيات أخرى يقول سبحانه:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾(١٦).

لقد أجاز القرآن لكل زوار البيت الحرام الجمع بين تحصيل النفع الروحى والنفع الدنيوى. وبلغة عصر العولمة المعاصر، فإنه يمكن تدريب القادر والراغب من الحجاج والمعتمرين على المساهمة فى التعاون الاقتصادى الإسلامى الدولى من خلال ذلك اللقاء الدورى العملاق وذلك من خلال عقد الاتفاقيات الاقتصادية وتدعيم وتحسين العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الدول الإسلامية وتبادل العملات النقدية المحلية لكل دولة إسلامية من خلال تنشيط حركة تبادل السلع والخدمات المعروضة من كل دولة إسلامية.

(١٥) الحج (٢٨).

(١٦) الحج (٣٢، ٣٣).

من الذى يمكنه أن يمنع مثل هذا الرجل من الاستمتاع بأداء فريضة الحج والعمرة؟!

من خلال الوفود المرسلة من قبلها وذلك من خلال سوق تجارى منظم يتم إلحاقه والعمل به بعد الانتهاء من المراسم التعبدية للحج والعمرة وذلك قياساً على السعى الاقتصادى الذى دعا إليه الإسلام بعد صلاة الجمعة (التى تمثل - بدورها - إحدى صور التجمعات البشرية الإسلامية التعبدية بل والاقتصادية أيضاً ولكن على المستوى المحلى) وذلك كما قال سبحانه:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾(١٧).

وبذلك يمكن للحج والعمرة المساهمة فى إنعاش سوق السلع والخدمات المعروضة من قبل العالم الإسلامى مع زيادة حركة العملات الإسلامية لبلدانه مما يساعد - بالتالى - على مداواة بعض العملات الإسلامية الهزيلة والتمهيد لخلق عملة إسلامية موحدة وقوية يمكنها الوقوف - بثبات - أمام العملات الشرسة المفترسة مثل الدولار الأمريكى المستخدم كأحد أدوات الهيمنة الرئيسية على العالم مما أدى إلى تفشى ظاهرة (الدولرة)، واليورو الأوروبى الذى يمثل صورة مشرفة لتعاون عدد كبير من دول لا ترتبط لغوياً ولا تتمتع بالروابط الأخوية والروحية لدول العالم الإسلامى، ولكنها بدافع المصلحة والسلوك الاقتصادى الرشيد العقلانى قامت بإنشاء تلك العملة، ونجحت فى التعامل الفعلى بها كوسيلة دفاعية ضد افتراس الدولار، وأيضاً كوسيلة إنمائية لقوتها (التكتلية) الاقتصادية والاجتماعية، وفرض هيمنتها - هى الأخرى - وهويتها الذاتية ككتلة متوحدة المصالح فى عالم التنافسية المفترس.

من كل ما سبق، تتأكد أهمية تنشيط رحلات الحج والعمرة والتوسع فيها باعتبارها وسيلة فعالة للتنمية البشرية، ولتوجيه مزيد من الاهتمام لاستثمار وتنمية الجوانب الاقتصادية الاستراتيجية لتلك الرحلات والتى قد تكمن فيها إحدى وسائل إنقاذ العالم الإسلامى من الفكاك المختلفة - كل هذا، مع مزيد من التخطيط والتنظيم والترشيد العلمى المدروس بدقة والمتناسق بين الدول الإسلامية محل الاهتمام والاعتبار.

---

(١٧) الجمعة (١٠).

نظم الشاعر هذه القصيدة عند أدائه فريضة الحج سنة ١٩٦٨.

للأستاذ/ محمود غنيم

باب النبى وبابه لايقفل ** إن النبى مدى الزمان مبجّل
المؤمنون بكل أرض إخوةٌ ** وبنصرهم نَطقَ الكتابُ المنْزَلُ
إن كان حاضرُهم تجهَّم حقْبَةً ** فلهم بفضل الوحدةِ المُسْتقبَل(١)
سيسود آخرُنا بفضل وقوفنا ** صفًّا، كما سار الرَّعيلُ الأوَّل
ويقينُنَا فى اللَّه خير عَتَادِنا ** وعليه فى قهر العِدَا نتوكَّل
وسلاحُنا الماضى وسيلةُ نصرِنا ** لَسْنا بغيرِ سلاحنا نَتوسَّلُ
لاتَبْسُطوا للغَرْب، يا قومى، يَدًا ** للغَرْب طرف فى السياسة أحْوَل(٢)

(١) تجهم: عبس وكشر.
(٢) طرف أحول: يكنى به عن النظر غير المستقيم؛ لخداع الشعوب.

إنا لَنُشْهَدُ أهلَ بَدرٍ أننا ** في النصر أو نيل الشهادة نَأْمُل

ويقول قائلُنا لدى استشهاده : ** ياليتني في كلِّ يوم أُقْتَل !

جسدُ الشهيد إلى جوارِ اللّه في ** عَدْن، على أيدى الملائك يُحمَل

رجلُ العروبة من قديم في الوغى ** أسدٌ، وأنثاها لباةٌ مُشْبِل[3]

أسلافنا في كل ملحمةٍ لهم ** تاريخُ مجد بالدماء مُسَجَّل

لسْنا بأمجاد الأوائل نكتفي ** لكنْ كما فعل الأوائلُ نفعل[4]

عن ثالث الحرمين ندفعُ عُصْبة ** دخلتْهُ كالمكروب إذْ يتسلَّل

وعروقُنا تَغْلي بهنَّ دماؤنا ** فكأنما في كل عِرق مرْجَل

هُمْ أشعلوا في المسجد الأقْصَى اللَّظَى ** فلْيَحْترِقْ بشْواظها مَنْ أشعلوا

شعبٌ تحامتْهُ الشعوبُ، يكاد إن ** حملتْه أرضٌ تحتَهُ تتزلزل

مُتَفوِّقٌ في المخزيات، معوِّق ** رَكْبَ الحضارة، للفساد مُسَبِّل

حَصَّادُ مالِ العالمين بكلِّ ما ** يُنْدى الجبينَ، كأنما هو منْجَل

سلْ أرضَ يَثْربَ عن يهود قريظة ** وبنى النضير، يُجِبْك كيف استؤْصلوا

عرف اليهودَ محمدٌ؛ فأبادهم ** ماضَرَّ لو بمحمَّد نتمثَّل؟

ولسوف نُسْألُ عن تراث محمد ** ماذا يكون جَوابُنا إذْ نُسْأل؟

---

(٣) اللباة: لغة في اللبوة بسكون الباء، وبفتح اللام وكسرها، وقد تهمز، وتضم الباء أيضاً، وفيها اللبه واللب: الأسدة.

(٤) تأثر غنيم في هذا البيت بقول أحد القدماء:

لسنا وإن أحسابُنا كرمت ** يومًا على الأحساب نتكلُ

نبني كما كانت أوائلنا ** تبني، ونفعل مثلما فعلوا

يامَن ببيت اللّه طافوا سبعةً ** وتنسَّكوا فيه، وفيه تبتَّلوا
أعلمتموا- وقد استُبيحتْ أرضكم- ** أن الجهاد من التهجُّد أفضل؟
قولوا لقومي: إنَّ ذؤبانَ الفلا ** عبثت بهم فعلامَ قومي عجَّلوا؟
اليوم قد دخل العدوُّ بلادَنا ** وغدًا علينا في المخادع يدخل
إني لأطلقُها بمكة صَرْخةً ** مشبوبةً، في المشرقين تُجلْجلُ
حَمْلُ السلاح اليوم صارَ فريضةً ** والزحفُ للدين الحنيفِ مُكمِّل
مَن راح يبذُل نفسَه أو مالَه ** فلدينه ولعرضه ما يَبْذُل
لاكان منا مَن على أوطانه ** بأعزِّ ما مَلكتْ يداه يبخل
لا كان منا مُحْرِمٌ لا يرتدي ** بملابس الميدان إذ يتحلَّل
لا كان منا منْ بأمٍّ أو أب ** أو طفلةٍ في مهدها يتعلَّل
لاكان من أبناء يعرُب من يَني ** ويقول إنِّي عاجزٌ أو أعزَل
مَنْ لايُغيِّرُ بمدْفع، وذخيرةٍ ** تكفيه فأسٌ إذْ يغير ومعْول
لايعرف العربيُّ معنى اليأْس في ** خطب ولا هو في الشدائد يُعول
إن كان يَجْمُلُ في الحروب صمودُه ** فصموده بعدالهزيمة أجْمل
إن مرَّ بالعربيِّ يوْم عابِسٌ ** فأمامَه: يومٌ، أغرُّ، محجَّل

●●●

مواقف إسلامية

غزوة بنى المصطلق.. وتربية الأمة بالأحداث

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

بعد غزوة الأحزاب.. ظهرت قوة المسلمين بهذه الانتصارات المتعاقبة.. على قريش.. ثم على التحالف الباغى بينها وبين القبائل.. إلى جانب ما كان من إجلاء يهود بنى النضير.

وتأكد لأعداء الإسلام أن السيف لن يحسم المعركة مع المسلمين. فغيروا خطتهم ولجأوا إلى الحرب النفسية سبيلا إلى النيل من الإسلام والمسلمين. وذلك:

أ - بالتفرقة العنصرية، وإثارة النعرة القبلية.

ب- الإساءة إلى مقام الرسول ﷺ.

جـ- زعزعة الأسرة المسلمة التى هى ركيزة القوة.

وكانت غزوة بنى المصطلق مسرحا لهذه الحرب النفسية الماكرة.

نظرة عامة على الغزوة

لم تكن غزوة بنى المصطلق ساخنة المواجهة كغيرها من الغزوات السابقة. ولكنها كانت معركة من لون آخر.. كشفت للمسلمين أسلحة أخرى فى حوزة أعدائهم لا تقل خطرا عن السلاح الأبيض إن لم تكن أشد منه خطرا.

إثارة العصبية القبلية

بعد هزيمة بنى المصطلق.. حدث أن أجيرا لعمر بن الخطاب من بنى غفار اقتتل مع حليف للخزرج من جهينة. فصرخ الجهنى:

يا معشر الأنصار. وصرخ الأجير يا معشر المهاجرين. وبدأت المؤامرة عندما غضب عبدالله بن أبى بن سلول فقال: أو قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا. والله ليس الأمر إلا كما قيل «سمّن كلبك يأكلك». أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم: أحللتموهم بلادكم. وقاسمتموهم أموالكم. أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم»[1].

وهكذا تحرك الحقد القديم فى قلب ابن سلول.. وبلغ به الغرور حد الاستعلاء على المؤمنين.. بل على شخص الرسول ﷺ. ثم بلغ به الحسد أن أشار على قومه بقطع المعونة الاقتصادية عن المسلمين وفرض العزلة عليهم حتى ينفضوا.. محركا بذلك كله حمية الجاهلية فى صدور أتباعه.

موقف الرسول ﷺ

أثرت كلمة ابن سلول فى القوم الذين أسرعوا بسيوفهم. وكادوا يقتتلون.. وكل فريق يدعو بدعوى الجاهلية. وأسرع ﷺ فصاح فى الناس:

«دعوا هذه الكلمة.. إنها منتنة»[2].

واستجاب الناس لرسول الله ﷺ.. لكن تمادى ابن سلول أثار حفيظة المسلمين وعلى رأسهم عمر -رضى الله عنه- والذى اقترح عليه ﷺ أن يقتله جزاء مقالته الآنفة وقال:

«يا رسول الله مُر عباد بن بشر فليقتله وليأتك برأسه».

فرد عليه ﷺ قائلا:

«لا.. فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتلُ أصحابه.. ولكن أذن بالرحيل».

معنى الإذن بالرحيل

مشى الرسول بالناس يومهم ذلك. حتى أمسى. وليلتهم حتى أصبح. وصدر يومهم ذلك. حتى آذتهم الشمس.. ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقفوا نياما.

لقد كانت الشقة بعيدة.. ووقدة الحر تلسع الوجوه.. ومن ثم فلم يكن هو الوقت المعتاد للسفر.

لكنه ﷺ أراد إسكاتهم عن الخوض فيما لا يفيد.. فرارا بهم من كيد الشيطان.

وكانت لفتة تربوية نبوية شغل بها النفوس بما يفيد.. ليصرفها عما لا يفيد.. لأن النفس لا بد مشغولة بأمر ما.. فإذا لم نشغلها بالحق شغلت بالباطل. وذلك قوله تعالى:

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾[3].

وما أكثر ما نرى اليوم فى صفوف شبابنا.. وكيف ساعدهم الفراغ والزهد فى العمل على القيل والقال.. ولو شغلناهم.. لكفيناهم.

الآيات تحسم القضية

ونزل قوله تعالى:

---

(١) راجع السيرة النبوية للندوى ٣٠٣ وما بعدها.

(٢) رواه البخارى.

(٣) يونس (٣٢).

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٤).

عندما نحقق باللين ما لا نحقق بالشدة

آتت الحكمة النبوية أُكلها، حين تكفل عبدالله بن عبدالله بن سلول -وكان مسلما- بعقاب والده المنافق، كان عبدالله هذا من خيرة صحابة رسول الله فلما سمع بما حدث من أبيه تبرأ منه. ثم وقف له على باب المدينة. واستل سيفه. فلما جاء أبوه قال له: والله لا تجوز من هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ. فإنه العزيز وأنت الذليل. فلما جاء النبي ﷺ. أذن له فخلى سبيله. وكان ابنه قد قال: يا رسول الله: إن أردت قتله فمرني بذلك فأنا والله أحمل إليك رأسه»(٥).

وفي تعليل ذلك يقول الابن:

فوالله ما علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني. وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله. فأقتل رجلا مؤمنا بكافر فأدخل النار».

فقال ﷺ: «دعه. فلعمري لنحسنن صحبته ما دام بين أظهرنا»

ونلمح عاطفة البنوة التي لا تتنكر بحال إلى من كان سببا في وجودها.. وهو الأب.. ولا تقطع الصلة نهائيا.

فعلى رغم أن عبدالله الابن يحتفظ بولائه لدينه الذي رجح على أبيه.. إلا أن وشيجة القربى مازالت تعمل في قلبه.. وها هو ذا يخشى إذا قُتل أبوه بيد غيره أن تدفعه تلك الصلة إلى العدوان.. ثم الكفران.. وإذا قرر الإسلام أن يكون ولاية المسلم لدينه أولا.. فإنه يحتفظ للوالدين بحقهما في البر الذي يبقى موصولاً.. وإن بقيا على الكفر.

من ناحية أخرى فقد كان موقف الابن أقوى رد على والد أراد أن يقطع اليد التي امتدت إليه بالإحسان.. ولا يهز الشجرة إلا فرع منها. وهكذا تفعل الحكمة الهادية ما لا تفعله الجيوش الجرارة.

وقد ظهر ذلك فيما روى أن النبي ﷺ قال لعمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- بعد أن انكسرت شوكة ابن سلول وضاعت هيبته بين قومه:

«كيف ترى الآن يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له آنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته.

---

(٤) المنافقون ١ : ٨.

(٥) صحيح البخاري وابن هشام.

فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله أعظم بركة من أمرى»[٦].

تأملات فى الآيات الكريمة

تركز الآيات الكريمة على كشف خبيئة الطابور الخامس من المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون.. تحذيرا للمسلمين من مكرهم وردعا لهم عن الوقوع فى حبالهم.

إنهم يضمرون كفرا اختلط بدمائهم فطبعوا عليه.. فلا رجاء فيهم.. وظلمة القلب بهذا اللون الموغل فى النكران حائل بين العقل وبين الفهم والاستنباط.

ومن ثم فقد احتاطوا لأنفسهم حتى لا ينكشفوا. فاتخذوا من الأيمان المؤكدة.. ومن حسن المظهر.. ومعسول الكلام ستارا يحميهم من افتضاح أمرهم.

ومفروض على أمة الإسلام ألا تنخدع بالأيمان ولا بحُسن الشارة الخادعة.. فإن الأمر على ما يقول سبحانه:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾[٧].

سر التشبيه بالخشب المسندة

يتساءل الرازى قائلاً: «لِمَ شبّههم بالخشب المسندة لا بغيرها من الأشياء المنتفع بها»؟

ثم أجاب نقول: لاشتمال هذا التشبيه على فوائد كثيرة لا توجد فى الغير:

الأولى: قال فى الكشاف: شبهوا فى استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط لأن الخشب إذا انتفع بها كان فى سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع.

وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط. فشبهوا به فى عدم الانتفاع.

الثانية: الخشب المسندة كانت فى الأصل غصنا طريا يصلح لأن يكون من الأشياء المنتفع بها. ثم تصير غليظة يابسة. والكافر المنافق كذلك: كان فى الأصل صالحا لكذا وكذا. ثم يخرج عن تلك الصلاحية.

الثالثة: الكفرة من جنس الإنس حطب. كما قال تعالى:

﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[٨].

والخشب المسندة حطب أيضاً.

الرابعة: أن الخشب المسندة إلى الحائط أحد طرفيها إلى جهة والآخر إلى جهة أخرى. والمنافقون كذلك. لأن المنافق أحد طرفيه وهو الباطن إلى جهة أهل الكفر. والطرف الآخر وهو الظاهر إلى جهة أهل الإسلام.

إذن فلا قيمة لهؤلاء المنافقين.. فلا يغرنك قولهم.. واعلم -والأمة معك- أن هذه الأجسام التى تزحم الأفق لو وضعت على محك الاختبار فى ساحة المعركة فهم الجبناء الفارون عند كل صيحة.. ولو لم تكن الصيحة عليهم.

وهم بهذه المواصفات لا يصلحون لعمل.. فلا أمل فى أن يكونوا معك.. فمحاولة الاستغفار لهم غير مجدية، مهما استغفرت لهم حرصا منك على هدايتهم.

---

(٦) راجع كتب السيرة. (٧) المنافقون (٤). (٨) الجن (١٥).

شــــهادة الواقــــع

والواقع شاهد بهذه الحقيقة مؤكد لها: فهم الذين اقترحوا قطع المعونة الاقتصادية عنكم حتى تجوعوا.. وهم الذين تبجحوا فى شخص رئيسهم ابن سلول الذى زعم أنه الأعز وحده.. مع أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

وهكذا ربى الله -تعالى- أمته بالأحداث الحية المباشرة.. ثم يلقنهم دروسا عن أثر الحكمة والسماحة فى صنع المواقف العظيمة.

هذه الحكمة التى تجلت فى موقف الابن من أبيه.. الذى تطوع بقتله فى بيئة كانت العلاقة الأسرية فيها قوية راسخة.. ولكن الإيمان.. جعل البنوة للإيمان.. لا للسيف.

خاتمة

يقول صاحب الظلال:

« وننظر مرة إلى الأحداث. ومرة إلى الرجال. ومرة إلى النص القرآنى، فنجد مع السيرة، ومع المنهج التربوى الإلهى، ومع قدر الله العجيب فى تصريف الأمور:

فهذا هو الصف المسلم يندس فيه المنافقون.. ويعيشون فيه -فى حياة الرسول ﷺ- قرابة عشر سنوات.

والرسول ﷺ لا يخرجهم من الصف. ولا يعرفهم الله له بأسمائهم وأعيانهم إلا قبيل وفاته.

وإن كان يعرفهم فى لحن القول. بالالتواء والمداورة. ويعرفهم بسيماهم وما يبدوا فيها من آثار الانفعالات والانطباعات.

ذلك كى لا يكل الله -تعالى- قلوب الناس إلى الناس فالقلوب له وحده. وهو الذى يعلم ما فيها ويحاسب عليه.

فأما الناس فلهم ظاهر الأمر، كى لا يأخذوا الناس بالظنة. وكى لا يقضوا فى أمورهم بالفراسة، وحتى حينما عرف الله نبيه ﷺ بالنفر الذين ظلوا على نفاقهم إلى أواخر حياته، فإنه لم يطردهم من الجماعة، وهم يظهرون الإسلام ويؤدون فرائضه.

إنما عرفهم وعرف بهم واحدا فقط من رجاله هو حذيفة بن اليمان -رضى الله عنه- ولم يشع ذلك بين المسلمين.

حتى إن عمر - رضى الله عنه - كان يأتى حذيفة ليطمئن منه على نفسه أن الرسول ﷺ لم يسمه له من المنافقين؟!!

وكان حذيفة يقول له:

يا عمر: لست منهم. ولا يزيد!!

وكان رسول الله ﷺ قد أمر ألا يصلى على أحد منهم مات بدا. فكان أصحابه يعرفون عندما يرون الرسول لا يصلى على ميت. فلما قبض ﷺ كان حذيفة لا يصلى على من عرف أنه منهم.

وكان عمر لا ينهض للصلاة على ميت حتى ينظر. فإن رأى حذيفة هناك علم أنه ليس من المجموعة. وإلا لم يصل هو الآخر ولم يقل شيئا.

وهكذا كانت تجرى الأحداث -كما يرسمها القدر- لحكمتها ولغايتها. للتربية والعبرة وبناء الأخلاق والنظم والآداب»[٩].

---

(٩) الظلال: سورة المنافقون.

واجب أمتنا فى المرحلة الراهنة

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

فى هذا المنعطف الخطير الذى تمر به أمتنا، لا يوجد إنسان على ظهر الأرض إلا ويدين هذا العدوان الوحشى على الشعب الفلسطينى.

وقد أدنتُ هذا العدوان ودعونا الأمة الإسلامية والعربية والعالم المعاصر بأسره وسائر المنظمات العالمية لردع العدوان الإسرائيلى ودحره، ووقوف الجميع على قلب رجل واحد لمواجهة هذا الظلم والطغيان.

وفى إحدى لقاءاتى فى خطبة الجمعة بالأزهر وضحت الرأى الشرعى فى الأحداث المأساوية التى تمر بها الأرض المحتلة وأن واجب الأمة أن تنهض لردع الظالم ودحره.

وأن الله -تعالى- ينصر الفئة المؤمنة وإن قلّ عددها وعدتها، فعلينا أن نوثق صلتنا بالله تعالى، ودعوت المجتمع الدولى والمنظمات العالمية وسائر الدول والشعوب للوقوف بجانب الحق، وعندئذ تنادت بعض أصوات تريد الحرب والجهاد.. وتمت خطبة الجمعة وصلاة الجمعة بحمد الله -تعالى- ولكن للأسف الشديد طالعتنا بعض الصحف المعروفة بالإثارة وبعض القنوات الفضائية لتدّعى ما ليس صحيحاً، وتصوغ كلاماً كله من صناعة أصحابه ولم يحدث ولا أساس له من الصحة شكلاً وموضوعاً.

وكان الواجب على الجميع فى مواجهة الفتن التى تموج بها الساحة من جراء التكتل الصهيونى أن يواجه هذا بوحدة فى الصف واجتماع لكلمة الأمة، وألا ينبرى بعض الناس للافتراء على غيرهم، وبدل أن يصوبوا سهام الافتراء إلى العلماء ودعاة الوحدة والجهاد، يصوبونه إلى العدو الصهيونى إلى أعداء الأمة لكن للأسف فى أيام المحن تظهر معادن الرجال المخلصين، وتظهر أيضاً ضحالة البلهاء والسفهاء ممن يريدون تفريق الأمة وزعزعة الاستقرار.

فحسبنا الله ونعم الوكيل، والله يحكم بعدله بين الجميع فيما قالوه.. لقد قلت قديماً على لسان المسجد الأقصى:

فلا تطلبوا باللين حقاً مُضَيَّعاً ... فليس بغير النصر ترعى كراماتى

فيا أمتى إن لم تذودوا وتدفعوا ... فلا كنتمو أهلاً لتلك الرسالات

وإنى أُقرّر اليوم أن رب العزة -سبحانه وتعالى وضح لنا حقيقة لا مِرْية فيها وهى أننا لا نخشى من أعدائنا مهما كان عددهم ومهما كانت عدّتهم ومهما كان سبقهم التكنولوجى والعسكرى، فإنهم لا يعجزون الله القادر على كل شىء قال الله -تعالى :

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾(١)

أى أنهم مهما سبقوا فى التقدم العلمى والتحدى الحضارى، فإنهم لن يعجزوا الله القادر المدبّر وعلينا حين نُقَوّى معنوياتنا بهذه البشرى القرآنية أن نعلم بأنّ الله -تعالى- أمرنا بعدها مباشرة أن نُعدّ العدة لمواجهة أعدائنا حيث قال سبحانه :

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(٢) .

وقد وضح الله -تعالى- لنا قانون النصر الذى لا يتخلّف وهو أن ننصر دين الله وتعاليم الإسلام فينصرنا الله سبحانه حيث قال جل شأنه :

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾(٣) وقال سبحانه :

﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾(٤) .

وقد ضرب لنا القرآن الكريم أمثلة رائعة للمؤمنين الذين نصرهم الله فى غزوة بدر وكان عدد المسلمين أقل من الكافرين، وبين أن الكثرة لا تغني عن الإيمان وتوثيق الصلة بالله -تعالى .

فالتمسك بقانون النصر الإلهى، بنصر دين الله -تعالى- يثمر النصر على العدو فى المعركة المصيرية .

وقد وضح الله -تعالى- موقف رسول الله ﷺ والمؤمنين عندما همّ المشركون بإطلاق الشائعات فى صفوفهم لتضعفهم ،لقد كان موقف الرسول ﷺ والمؤمنين أنهم واجهوا الشائعات المثبّطة والمغرضة بإيمان لا يتزعزع بالله -سبحانه وتعالى- فحين سمعوا أنهم جمّعوا جموعهم قالوا من قلوبهم : حسبنا الله ونعم الوكيل، فكانت النتيجة ما أخبر الله -تعالى- عنه فى قوله سبحانه :

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾(٥) .

إنه لا يصح لإنسان يؤمن بالله، أو يدرك ما تمر به الأمة من محن أن يترك ميدان الجهاد والجد إلى العبث والكيد للناس والافتراء عليهم خاصة علماء الإسلام والدعاة .

إننا فى مرحلة نحتاج فيها إلى وحدة الصف لا إلى التفرقة، فكلنا نواجه عدواً واحداً فهل يليق بنا أن نتفرق، وأن نعادى بعضنا حتى مع

(١) الأنفال (٥٩).

(٢) الأنفال (٦٠).

(٣) الحج (٤٠).

(٤) محمد (٧).

(٥) آل عمران (١٧٣- ١٧٤).

ما قد يدفع البعض من أهواء معينة أو انتماءات خاصة لفكر خاص ما كان يليق بمن عنده بقية من دين أو ضمير أن ينال من مسلم فضلاً عن عالم أو داعية، ثم لمصلحة مَنْ هذا التهريج والافتراء؟!

أليس لمصلحة العدو؟ أليس هذا هو التنازع وأسلوب الإثارة والتشكيك الذى يضعف كيان الأمة والذى حذّر الله -تعالى- منه فى قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٦).

إننا نربأ بأصحاب الأقلام الشريفة والقنوات الجادة أن ينحرفوا إلى هذا المنزلق الذى انحرف فيه الذين افتروا الأكاذيب وندعو الجميع إلى وحدة الصف وجمع الكلمة والتعاون أمام العدو الذى جمع أعداده، وعتاده، ولم يتفرق كما تفرق دعاة الخلاف والفرقة والذين لا همّ لهم إلا النّيل من الغير والافتراءات الضالة.

فبدل هذا الافتراء على الدعاة وعلماء الإسلام، كان عليكم أن تجاهدوا الأعداء بأقلامكم وأنفسكم، قفوا مع الحق، وواجهوا الباطل بدل أن تصنعوا الأباطيل لتهيلوها على دعاة الأمة.

إننى أدعو كل قادر على الجهاد بالنفس أو المال أو اللسان أن يتقدم كما قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأنفسكم وأموالكم وألسنتكم»(٧).

إن الذين يفترون الكذب، ويشيعون علينا قالة السوء ضل سعيهم فى الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

تركوا قضية القدس وفلسطين، وتركوا قضايا الأقليات، وتركوا مشكلات بلادهم التى لا أول لها ولا آخر وركزوا على ما تبثه قنواتهم من إفك وافتراء وفسوق وعصيان، وعلى ما تكتبه أقلام خبيثة من كذب وزور، ففى إحدى البلاد العربية طالعتنا إحدى القنوات وإحدى الصحف بعدوان على أحد علماء الأزهر الشريف مُدَّعين زُوراً وبهتاناً أكاذيب وافتراءات لم يحدث شيء منها، ولكن حقدهم على مصر وعلى الأزهر وعلى شوامخ العلماء هو الدافع لهم على افتراءاتهم وأباطيلهم.. سبحانك هذا بهتان عظيم!! ونحن إذ ندين العدوان الوحشى على الأرض المحتلة، ندين أولئك العدوانيين الذين يمارسون أسوأ صور الإرهاب الفكرى وينطلقون إلى الساحة الإعلامية وقد عبّأهم الحقد وملأ صدورهم، إنهم يريدون إشعال الفتن، وزعزعة الاستقرار، والتشكيك فى القيم والرموز ،إنهم عملاء التيارات المشبوهة التى لا همّ لها إلا زعزعة الاستقرار، والتشكيك ومحاولة اقتناص الفرص ليظهروا على الساحة الإعلامية بأية صورة من الصور وبأى شكل من الأشكال.

ونحن نحذّر أمتنا وشباب أمتنا من هؤلاء العابثين والضالين المضلين والذين وظّفوا حرية

(٦) الانفال (٤٦).

(٧) أحمد ٣/١٢٤، ٢٥١.

الكلمة فى العدوان على الناس ومحاولة شحن نفوس الشباب بالتشكيك فى وطنه وفى علمائه ورموزه.. ولن ينالوا منا ولا من دين الله، ولا من علماء الإسلام، ولا من مصر الأزهر التى حمت دين الله بأزهرها الشريف أكثر من ألف عام.

إن مصر خاضت أربع حروب وضحت بأكثر من مائة وعشرين ألف شهيد من أجل القدس الشريف وفلسطين، وإن مصر ظلت قبلة العلوم الإسلامية يفد إلى أزهرها الشريف الملايين وستظل ولن يستطيع أعداء الحق أن يطفئوا نور الله بأفواههم، إن إحدى الصحف فى بلادنا العربية التى تمثل رمز الإسلام طالعتنا بكاتب يفترى علينا أكاذيب وأباطيل أتعفف عن ذكر الصحيفة والكاتب، وأدع حسابه لله -تعالى- ثم للقانون الدولى الذى يتعامل مع أمثال هؤلاء.

هل هذا يصح؟ ماذا أصاب الناس كتاب عرب ومسلمون يتراشقون بكم من الأقاويل التى لا أساس لها من الصحة، وقنوات فضائية تمطر المجتمعات بالهزل والأفلام الخارجة وتدع قضية القدس وفلسطين، وتنال من العلماء والدعاة بافتراءات تقتنص بعض أكاذيبها ممن يختلقون الإفك والبهتان ما هذا العبث؟ ألم يشعر هؤلاء وأولئك بما تمر به أمتنا الإسلامية والعربية من موقف جاد تجاه العدوان الوحشى على الأرض المحتلة؟!

ألم يشعر هؤلاء وأولئك بما تموج به الساحة العالمية من غضبة عارمة على إسرائيل ومن وراء إسرائيل؟!

ألم يشعر هؤلاء وأولئك بما قدمه شهداء الانتفاضة من عمليات استشهادية؟!

فهل قدموا دعماً للانتفاضة؟ أو خدموا القضية بما قدّموه من هزل أو بما افتروه من أكاذيب علينا وعلى غيرنا؟!

ألم يعرفوا أن الجهاد - حين تداس أرض الإسلام - يصبح فرض عين على الجميع وهذا ما أعلناه أكثر من مرة؟

ألم يعلموا أن واجب الأمة مواجهة عدوان إسرائيل المغتصبة؟ إن إسرائيل مارست أبشع صور الإرهاب والقتل الجماعى، والمقابر الجماعية ودفن الأحياء واقترفت من المجازر البشرية ما يندى له جبين الدنيا والتاريخ.

ألا يجب على هؤلاء وأولئك أن ينهضوا بدعوة الأمة كما دعوناها إلى الجهاد بالنفس والمال، إننا ندعوهم بمنهج الإسلام الذى يقول:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(٨).

وتقول لهم لا وقت لهذا الشغب الذى لا يستفيد منه إلا الأعداء، ثوبوا إلى رشدكم وتوبوا إلى ربكم، فما نزل بلاء بالأمة إلا بذنب، ولا يكشف إلا بالتوبة، وعلى الله قصد السبيل، وبالله التوفيق.

(٨) النحل (١٢٥).

انتشار الإسلام بحد السيف
بين الحقيقة والافتراء

تأليف

د/ نبيل لوقا بباوى

٢

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

بعد تلك المرحلة الأولى من الجولة التأملية المجردة، التى تحمل أعباءها الدكتور نبيل، فصحب الرسول ﷺ منذ مبعثه، مستعرضا ما قام فى وجهه ﷺ من عقبات دبرها المشركون العرب، ثم اشترك فى تدبيرها مع المشركين اليهود المقيمون فى شبه الجزيرة العربية ـ خصوصا فى مدينة يثرب ـ حيث فرضوا عليه المواجهات الحربية، دفعا لأذاهم، ووقاية من تحزبهم وتدابيرهم، فاضطروه ﷺ إلى أن يشغل عن الدعوة بالمنهج الإسلامى القائم على الموعظة الحسنة، والمجادلة بالتى هى أحسن.

فأوضح الدكتور ـ من هذا الاستعراض ـ أن مانشب من حرب بينه وبين مشركى مكة، وما نشب من حرب بينه وبين الأحزاب العربية، وما نشب من حرب بينه وبين يهود بنى النضير، وبنى قريظة، وبنى قينقاع فى المدينة، وما نشب من حرب بينه وبين يهود خيبر.. لم يكن ﷺ فى أى حرب من تلك الحروب ساعيا للإكراه على الدخول فى الإسلام، ولكنه كان مدافعاً عن النفس، أو مدافعا عن الدولة، أو حامياً الداعين إلى الإسلام بالحسنى من التعدى عليهم، أو حاميا حرمات المسلمين والمسلمات من الانتهاك، مقررا بذلك أنه ﷺ ـ على مدى أكثر من عشرين عاما الأولى ـ لم يكره واحدا على اعتناق الإسلام، ولم يشهر سيفه ليقهر أحدا على الدخول فى الإسلام، وأن الإسلام ـ مع ذلك ـ انتشر فى شتى أرجاء الجزيرة العربية.

التوجه بالدعوة خارج الجزيرة

بعد تلك المرحلة الأولى من الجولة التأملية، انتقل الدكتور نبيل بتأملاته ليصحب الرسول ﷺ بعد أن اطمأن إلى أنه لم يعد بين العرب من يخشى منه عدوانا، ولم يعد من اليهود من يتخفى وراء يهوديته ـ مستغلا عهد الأمان الذى عقده مع محمد ـ ويدبر المكائد للمسلمين، ويسعى لاستعداء الآخرين عليهم.

فكشفت له تأملاته أن محمدا ﷺ ما إن فرغ من تلك الحروب المتوالية التى فرضت عليه من أعداء الحق، حتى نهض يباشر واجبات الدعوة إلى الإسلام فى نطاق الالتزام الإسلامى بعدم الإكراه على الدخول فى الدين، وبالتوسل ـ فى الدعوة ـ بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتى هى أحسن، فلم يكن أمامه إلا بث الرسل المناسبين والرسائل الملائمة إلى من فى مشرق الأرض ومغربها، استجابة لأمر ربه:

﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾[1] فأرسل عمرو بن أمية الضمرى إلى نجاشى الحبشة، ودحية الكلبى إلى عظيم بصرى ـ وكانت خاضعة للدولة البيزنطية ـ وحاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس فى مصر ـ وكانت كذلك تابعة للروم ـ وعبدالله بن حذافة السّهمى إلى كسرى ملك الفرس، وشجاع بن وهب الأسدى إلى المنذر بن الحارث أمير غسان، وسليط بن عمرو العامرى إلى هوذة بن على أمير اليمامة، والمهاجر بن أمية المخزومى إلى الحارث الحميرى ملك اليمن، وعمرو بن العاص السهمى

(١) المدثر (٢).

إلى ملك عُمان، والعلاء الحضرمى إلى المنذر العبدى أمير البحرين.

ومن تأمل الدكتور نبيل فى مضامين تلك الرسائل، وما استقبلت به، وما ترتب عليها.. تبين له أمور، من أهمها:

أن جميع الرسائل كتبت بتواضع شديد، يبدى فيها رغبته فى اعتناقهم الإسلام بكامل إرادتهم، وعن اقتناع لا تشوبه شائبة إجبار أو إكراه، فكان يخيرهم بين اعتناق الإسلام أو الدخول فى تعاهد سلام وذمة مع المسلمين يلزمهم دفع مقابل مالى زهيد (الجزية) عن كل فرد يستطيع حمل السلاح، نظير ما تتحمله الدولة الإسلامية من تأمين لهم ولذويهم، ويعفى منه الصبيان والأطفال، والشيوخ، والنساء، والرهبان، وذوو العاهات، والفقراء، والمساكين.

وأن بعض المرسل إليهم ردوا بطريقة مؤدبة، وبعضهم استجاب واعتنق الإسلام عقب تسلمه الرسالة، وبعضهم ردوا رداً فاحشا غير مهذب، على الرغم من أنه ﷺ لم يتجاوز فى رسائله كلها حدود الحكمة والموعظة الحسنة، دون تهديد أو وعيد.

وإن حالة واحدة هى التى اضطر فيها الرسول ﷺ إلى الحرب. وذلك أن شرحبيل بن عمرو الغسانى، أمير مؤتة اعترض الحارث بن عمير الأزدى رسول محمد ﷺ إلى أمير بصرى، فقتله، فاضطر ﷺ إلى تجريد حملة لمعاقبة أمير مؤتة على فعلته الإجرامية.

وأن هذه الرسائل وما لابسها دليل واضح يدفع مزاعم المستشرقين، ويكذب ادعاءهم أن الإسلام لم ينتشر إلا بحد السيف، ويؤكد أن وسيلة الرسول ﷺ فى الدعوة إلى الإسلام كانت قائمة على الحكمة والموعظة الحسنة التى انشرحت لها قلوب الكثيرين ممن تسلموا رسائله، ولم يرفض دعوته إلا متعصب، أو حاقد متكبر.

بين السلام والاستسلام

ومن تأملات الدكتور نبيل فيما لابس فتح مكة، وإسلام أهل الطائف تبين أموراً، كان من أبرزها:

أن الرسول ﷺ خرج فى السنة السابعة للهجرة ومعه ألفان من المسلمين إلى مكة لأداء العمرة، كما يقضى اتفاق الحديبية فى العام السابق، لا يحملون سلاحا سوى السيوف فى أغمادها.

وأن أهل قريش خرجوا من مكة ليدخلها المسلمون لمدة ثلاثة أيام، فطاف المسلمون بالكعبة، ثم سعوا بين الصفا والمروة وفى اليوم التالى صعد بلال إلى سقف الكعبة، وأذن لصلاة الظهر، وصلى الرسول ﷺ بالمسلمين، وبعد ثلاثة أيام غادر المسلمون مكة، عائدين إلى المدينة.

وأن هذه العمرة تركت أثرا بالغا فى نفوس القرشيين، فكانت سبيلا لدخول كثير من القرشيين فى الإسلام،وفى مقدمتهم أشد القرشيين قسوة على المسلمين، مثل خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة الذين توجهوا إلى المدينة، ليعلنوا إسلامهم بإرادتهم الحرة، دون أدنى أكراه، حتى يمكن القول: أن هدنة الحديبية هيأت الفرصة أمام

هؤلاء القرشيين ليفتحوا عيونهم وقلوبهم على حقيقة الإسلام بعيدا عن ضلال التعصب، وعمى الحقد والبغضاء.

وأن إسلام هؤلاء القرشيين فتح الباب لدخول كثير من القبائل العربية فى تحالف مع الرسول ﷺ.

وأن كفار قريش نقضوا اتفاق الحديبية فحرضوا بنى بكر حلفاءهم على قتال بنى خزاعة حلفاء الرسول ﷺ، وأمدوهم بالمال والسلاح والرجال، وسمحوا لهم بانتهاك حرمة مكة التى احتمى فيها بنو خزاعة، وقتل كبيرهم منية الخزاعى.

وأن عمرو بن سالم الخزاعى توجه إلى المدينة مستنجدا برسول الله ﷺ، وطالبا منه مناصرة قومه المحاصرين بمكة والمحتمين بها، كما يقتضى ما بين خزاعة ومحمد ﷺ من عهد، فلم يكن أمامه ﷺ إلا أن يجمع قواته، ويتجه بها صوب مكة ليعاون حلفاءه.

وأن العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ لما توسط بين محمد وزعماء قريش، وعلى رأسهم أبوسفيان، قبل الرسول ﷺ الوساطة، وجنح إلى السلم، فأجاب أبا سفيان إلى طلباته بأن يدخل المسلون مكة بدون عنف، وآثر التسامح، ونسيان جرائم الماضى، فهو لما يأت لفرض الإسلام بالقوة، ولا للعدوان على القرشيين، ولكن لنجدة حلفائه، والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأن حكمة الرسول ﷺ فى تعامله مع القرشيين، وعفوه عنهم بدَّدا ماران على صدور القريشيين من ظلام وحقد، وركام التعصب، فما إن نطق بعبارته السائرة الحازمة «اذهبوا فأنتم الطلقاء» - بما تحمله من كرم خلق، وسماحة نفس، وجنوح إلى السلم - حتى أقدم القرشيون مجتمعين على الدخول فى الإسلام، فلم يكن للسيف وحده وجود أو أثر فى إقدام القرشيين على الدخول فى الإسلام.

وأن فتح مكة، ودخول المسلمين البيت الحرام بدون حرب، وإقبال القرشيين على الإسلام كان من أكبر العوامل التى ساعدت على نجاح الدعوة الإسلامية، وإقبال كثير من القبائل العربية على الإسلام؛ لتيقنهم أن عناية إلهية تقف بجانب المسلمين.

وأن حقد بعض القبائل العربية - وهى هوازن، وثقيف، ونصر، وجشم، وسعد - دفعهم إلى التجمع فى الطائف تحت قيادة مالك بن عوف النصرى، ومعاجلة المسلمين ومهاجمتهم فى مكة قبل أن يصيبهم ما أصاب أهل مكة، فنزل بقواته فى وادى حنين شرقى مكة، ليصنع كمينا للمسلمين؛ فلما علم الرسول ﷺ بذلك نهض بجيشه مضافا إليه ألفان ممن أسلموا من قريش لمقابلة جيوش المشركين، ودفعهم عن مهاجمة مكة والمسلمين، فلما انتصر المسلمون عليهم فروا مع قائدهم إلى الطائف، فتابعهم الرسول ﷺ وقوات المسلمين، وحاصروا الطائف لمدة شهر تقريباً؛ إرهاباً لهم، حتى لايعودوا لمثلها، ثم فك الحصار، وعاد إلى المدينة.

وقد كان فى مقدور الرسول ﷺ أن يطيل الحصار حتى يضطرهم إلى الاستسلام، ولكن لأن غايته كانت رد العدوان فحسب، ولم تكن إكراها على الإسلام، ولا رغبة فى الحصول على

الغنائم . . . لم يُدِم الحصار، وعاد أدراجه .

وأن هذا السلوك الحكيم من محمد ﷺ كان دافعا لدخول الكثيرين فى الإسلام بكامل إرادتهم، بعد أن لمسوا جنوحه ﷺ إلى السلم رغم ما تحقق له من قوة .

بعد عودة الرسول ﷺ إلى المدينة أدرك أهل الطائف أن جميع القبائل العربية قد أسلمت، ولم يبق على الوثنية سواهم فقرروا الدخول فى مفاوضات مع الرسول ﷺ، وأرسلوا إليه عارضين عليه أن يسلموا بشرط أن يترك لهم طاغوتهم (اللات)، فلما رفض إلا الإسلام بدون شروط، استجابوا له، مقررين أن يهدموا طاغوتهم بأيديهم؛ فأرسل معهم عثمان بن أبى العاصى ليعلمهم أمور الدين .

وهذا مما يقرر أن إسلام أهل الطائف وحلفائهم لم يكن لقهر السيف دخلٌ فيه، ولكنهم أسلموا بكامل إرادتهم، ومطلق حريتهم .

فزع الروم من انتشار الإسلام الكاسح

ومن تأمل الدكتور نبيل، والبحث عن الأسباب التى كانت وراء نشوب الحرب بين الروم ومحمد ﷺ، تبين له : أن ذلك بدأ عندما خرجت بعض القبائل العربية من تبعيتهم لهرقل قيصر الروم، ودخلت فى الإسلام، فتنبه إلى خطر الإسلام على دولته القائمة على التوسع الاستعمارى فى بلاد العرب، فقرر التحرك لمواجهة المسلمين، وحشد جيشا كبيرا فى بلاد الشام، وذهب به إلى تبوك، حيث انضمت إليه بعض القبائل العربية هناك، فلما علم الرسول بذلك خرج بجيش ضخم من المسلمين لمواجهة الروم قبل أن يصلوا إلى المدينة، فاضطر الروم بقيادة هرقل إلى الانسحاب ليختفوا داخل الحصون فى جنوب الشام، فأقام الرسول ﷺ عشرين يوما فى تبوك داعيا القبائل المجاورة للشام إلى الإسلام، معتمدا على الخيارات الثلاثة : الإسلام، أو الجزية مع الدخول فى الذمة والأمان، أو الحرب .

وأن والى أيلة (يوحنا بن رؤبة) عقد مع الرسول ﷺ عقد أمان، يلتزم المسلمون فيه لهم ولمن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن بحماية أموالهم وأنفسهم، والدفاع عنهم . وتركهم أحرارا يمارسون شعائرهم الدينية فى مقابل جزية مقدارها ثلاثمائة دينار كل عام .

وصنع أهل جرباء، وأهل أذرح مثل ماصنعه والى أيلة، فعقدوا مع الرسول ﷺ عقد الذمة والأمان، فى مقابل جزية قدرها مائة دينار فقط .

وأن الرسول ﷺ - بتلك المعاهدات والمحالفات - تمكن من تأمين الحدود الفاصلة بين المدينة المنورة وبلاد الشام التى فر إليها الروم وتحصنوا بها . . ولكنه - مع ذلك - أدرك أن دومة الجندل المجاورة للشام مازالت مصدر خطر، يتهدد المسلمين، وأن أميرها أكيدر بن عبدالملك الكندى لا يؤمن غدره وتعاونه مع قيصر ورجاله لمعاودة غزو المدينة، أو التعدى على حلفاء المسلمين، فوجه إليه خالد بن الوليد على رأس قوة من خمسمائة فارس، فلما عاد به أسيرا أعلن إسلامه، وتعهده بأن يكون حليفا للمسلمين، وعونا لهم .

عندئذ اطمأن المسلمون إلى تأمين تلك الجبهة من غارات الروم ومفاجآتهم، فعاد الرسول ﷺ بجيشه إلى المدينة، ليفرغ للدعوة، وتنظيم شئون الدولة الناشئة فى أمن وسلام، حيث كانت موقعة

تبوك آخر الوقائع التى اضطر ﷺ إلى خوضها لدفع شرور المعتدين من هنا ومن هناك.

ولو كان الرسول ﷺ يحارب رغبة فى الحرب، أو لنشر الإسلام بالقوة، أو للحصول على الغنائم، لاندفع وراء انتصاراته تلك، ولأغراه انسحاب قيصر الروم مع جيوشه بمواصلة الزحف إلى بلاد الشام، ومحاصرة الجيوش الرومية هناك، ولكنه - وقد دفع المعتدى عن أرضه واطمأن إلى تأمين الدعوة - اكتفى بذلك ليتفرغ للحياة العامة العادية.

الجزية لم تكن عقابا ولا تعسفا

ووقف الدكتور نبيل مع تأملاته الجادة المحايدة أمام مزاعم بعض المستشرقين أن الجزية كانت تُفرض عقابا على من يبقى على دينه ويرفض الدخول فى الإسلام ممن يعاهدهم محمد ﷺ، فخرج من تلك التأملات بعدة حقائق توجز فى:

أن هؤلاء المستشرقين انساقوا بزعمهم هذا وراء أهوائهم المضللة، فلم يروا الحقيقة فى صورتها الوضيئة؛ فهذه الجزية لم تكن عقوبة تُوقَّع على من لايدخل الإسلام، ولكنها - فى حقيقتها - ضريبة للمشاركة فى نفقات الجيوش الإسلامية التى تلتزم بالدفاع عنهم بموجب عقد الأمان؛ فليس من المعقول أن تدافع الجيوش الإسلامية عمن تعاهدهم، دون أن يسهموا فى نفقات الجيوش، وليس من العدالة ولا من السماحة أن يجبر غير المسلم على الانضمام إلى الجيش الإسلامى الذى يتحرك لأهداف إسلامية، وهم لايدينون بالإسلام.

يضاف إلى هذا أن المسلم ملزم كذلك بالزكاة لتمويل النفقات العامة فى الدولة الإسلامية، ومن بينها الإنفاق على الجيش الإسلامى.

ولا أدل على ذلك من أن قيمة الجزية لم تكن ثابتة فى كل الأحوال، ولكنها تختلف باختلاف الإمكانات المالية لمن تفرض عليهم، ويرجع فى تقديرها إلى طاقة الدافعين وقدرتهم، بحيث لايرهقون، فى حدود المصلحة العامة للأمة؛ فكانت جزية أهل جرباء وأذرح مائة دينار مراعاة لفقرهم، بينما التزم أهل أيلة بثلاثمائة دينار.

وأنه ﷺ فى عهده مع يهود المدينة اكتفى بالنص على التزام الطرفين - اليهود والمسلمين - بالاشتراك فى نفقات الحرب المشروعة.

ومن هذا الفهم للجزية كتب خالد بن الوليد فى عقد الأمان لغير المسلمين: «إن منعناكم - أى حميناكم - فلنا الجزية، وإلا فلا» ولذلك رأينا أبا عبيدة بن الجراح يأمر نوابه فى مدن الشام برد الجزية لمن أخذت منهم عندما أبلغه نوابه فى الشام أنهم غير قادرين على صد قوات الروم والدفاع عن أهل الذمة، وأمرهم أن يعلنوا ذلك.

وأن الجزية كانت تفرض على كل من يستطيع المشاركة فى الحرب، فلا جزية على طفل، ولا على امرأة، ولا على شيخ مُسنٍّ، ولا على مريض، ولا على راهب فى صومعته، حتى إنه إذا اشترك غير المسلم مع المسلمين فى الحرب سقطت عنه الجزية، كما نُصَّ على ذلك فى عقود الأمان التى أبرمها الرسول ﷺ وخلفاؤه من بعده.

وقد تنبه بعض المستشرقين لحقيقة الجزية، مثل (آدم ميتز) الذى يقول: «كان أهل الذمة - بحكم ما يتمتعون به من تسامح المسلمين

وحمايتهم لهم – يدفعون الجزية كل حسب قدرته، وكانت هذه الجزية أشبه بضريبة الدفاع الوطنى، فكان لا يدفعها إلا الرجال القادرون على حمل السلاح».

يدخلون فى دين الله أفواجا

وأن إسلام من أسلم لم يكن خوفا من سيف محمد، ولا فرارا من قيمة الجزية، ولكن جميع من اعتنق الإسلام قد اعتنقه بكامل إرادته الحرة.

وأن جميع المعارك التى فرض على محمد ﷺ أن يخوضها – والتى فرضها على مناوئوه – كانت سبيلا إلى التعرف على الإسلام من قرب، والاقتناع بأنه الدين الأصلح، وأنه مؤيد من قوة عليا؛ حتى إن فتح مكة وإسلام قريش وغيرهم، وفرار قيصر الروم بقواته الأسطورية.. دفع سائر العرب فى شبه الجزيرة للدخول فى الإسلام أفواجا؛ فما إن وقف العرب فى شتى أنحاء الجزيرة العربية على قوة المسلمين، وانتصاراتهم المتوالية فى جميع المواقع، حتى سارعت كل قبيلة بارسال وفد يمثلها إلى المدينة المنورة ليعلن دخول قبيلته فى الإسلام، وذلك فى أعقاب عودته ﷺ من تبوك فى العام التاسع للهجرة سنة ٦٣٠م، حتى سمى هذا العام عام الوفود، وامتن الله ـ سبحانه وتعالى ـ على رسوله آمرا إياه بشكره وحمده على ذلك فى قوله:

﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾(٢).

وهنا.. ينبرى الدكتور نبيل سائلاً – فى استنكار – أولئك المستشرقين الذين يصرون على زعمهم أن الإسلام انتشر بحد السيف: أين هو انتشار الإسلام بحد السيف فى عام الوفود، وها هى الوفود من القبائل على رأسها زعماء القبائل وسادتها يأتون طواعية إلى المدينة المنورة، ويتحملون عبء السفر، رغم وعورة الطرق فى ذلك الوقت، وتوجههم فور دخولهم المدينة لمقابلة الرسول ﷺ بإرادتهم الحرة. يعلنون إسلامهم باسم قبائلهم؟!

ثم يسأل المستشرقين..: أيهما أفضل للإنسان: أن يعيش كافرا بأسلوب الجاهلية، أم أن ينضم إلى دين سماوى يهذب السلوك ويعترف بالله واليوم الآخر؟!

فلو أن هؤلاء المستشرقين لم يتبينوا الحقيقة فيما كان قبل عام الوفود، فأى عذر لهم فى غفلتهم عن تلك الحقيقة فى عام الوفود؟!

الرسالة المحمدية عالمية عامة

ومن تأملات الدكتور نبيل المتأنية المحايدة فى حجة الوداع التى ختم بها الرسول ﷺ حياته.. لاحظ أمورا منها: أن كثرة عدد المسلمين الذين صحبوا الرسول ﷺ – وقد تجاوزوا مائة ألف – دليل واضح حاسم على ما وصل إليه انتشار الإسلام فى أواخر أيام محمد ﷺ بالإرادة الحرة؛ لأنه لا يتصور أحد أن يتوجه أكثر من مائة ألف مسلم لأداء مناسك الحج بدون إرادتهم.

(٢) النصر.

ومن تأمله فى تصدق محمد ﷺ فى اليوم السابق لوفاته بكل أمواله التى لم تزد على سبعة دنانير.. لاحظ أن فى ذلك أبلغ الرد على من يزعمون أن الغرض الأساسى من معارك الرسول ﷺ هو الحصول على الغنائم؛ فإذا كان دافعه ﷺ إلى الحروب هو الغنائم فأين هى تلك الغنائم التى حصل عليها، وقد مات ولم يترك سوى سلاحه وبغلته وتلك الدنانير السبعة؟!

ومن تأمله فيما آل إليه أمر المجتمع العربى فى شبه الجزيرة العربية.. لاحظ أن الرابطة القبلية التى كان يقوم عليها المجتمع - بما تنطوى عليه من عصبية عمياء وصراع دائم - قد ضعفت، وحل محلها رابطة الإسلام؛ حيث زالت الحزازات التى كانت تمزق شملهم، واعتصم الجميع برابطة واحدة، فصار المسلمون أمة واحدة، تنتمى إلى دين واحد، وتأتمر بأمر واحد - سواء كان بطريق مباشر، أو عن طريق الولاة - وتخضع لدستور واحد يكفل المساواة بين الجميع، بعد أن كانوا يدينون لرؤساء متفرقين، كل منهم يسير وفق هواه، فأصبحت جميع القبائل ترى فى الإسلام رمز وحدتها.

ومن تأمله فيما زعمه بعض المستشرقين مثل (وليم مور) أن عالمية الرسالة المحمدية لم يذكرها محمد ﷺ نفسه، وأن تفكير الرسول ﷺ كان مقصورا على إسلام القبائل العربية فحسب.. من تأمل الدكتور نبيل فى هذا الزعم على ضوء الواقع الحى وجد: أن كلام (وليم مور) يعتمد على التضليل، وخلط الأوراق؛ لأن واقع التاريخ يرفض هذا المنطق؛ ولا أدل على ذلك من أن الرسول ﷺ بعث برسائل كثيرة إلى الملوك والأمراء فى خارج الجزيرة العربية يدعوهم فيها إلى الإسلام؛ فأرسل إلى كسرى ملك الفرس، وإلى قيصر إمبراطور الروم، وإلى المقوقس عظيم القبط فى مصر، وإلى النجاشى فى الحبشة.. إلى غير كل أولئك.

ووجد أن محمدا ﷺ فى رسائله تلك - لم يكن مدفوعا بحماسة جوفاء، كما يزعم بعض المستشرقين، مثل (سيرتوماس أرنولد)، ولكنه ﷺ أرسلها استجابة لأمر الله - تعالى - فى نحو قوله عز وجل:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(٣).

وقوله عز شأنه:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٤).

وأن ما زعمه المستشرق (وليم مور) من أن الرسول ﷺ لم يكن يعرف غير الجزيرة العربية فقط، وأنه لذلك لم يفكر فى تعميم رسالته ولا عالميتها.. ووجد أن مازعمه هذا المستشرق لا يمت إلى الحقيقة الثابتة بصلة؛ لأن الرسول ﷺ كان دائم الأسفار للتجارة خارج شبه الجزيرة العربية؛ فقد سافر أكثر من مرة مع عمه بتجارته، ثم بتجارة خديجة بنت خويلد لبلاد الشام وهى خاضعة لقيصر الروم، وظل يشتغل بهذه التجارة حتى نزل عليه الوحى.

وأن عالمية الإسلام تظهر واضحة جلية فى فرضه على المسلمين جميعا أن يلتزموا بالتسامح مع كل

(٣) الفرقان (١).

(٤) سبأ (٢٨).

إنسان – مسلم وغير مسلم – لأن دستور المسلمين يأمرهم بأن ينظروا إلى الإنسان بتقديره كائنا مكرما، أيا كان دينه أو جنسه أو لونه، كما فى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(٥)

فلكل إنسان كرامته واحترامه، كما وضح من استجابة الرسول ﷺ لأمر ربه فيما رواه البخارى من أن جنازة مرت على رسول الله ﷺ، فقام لها واقفا، فقيل له: يا رسول الله إنها جنازة يهودى، فقال ﷺ: «أليست نفسا»(٦).

كما تظهر تلك العالمية فى نظرة الإسلام المتحضرة إلى مختلف الأديان، حيث يرى أن الاختلاف من فطرة البشر التى فطر الله الناس عليها جميعا، فترك كل إنسان يختار ما يشاء، حتى لو اختار الكفر؛ لأن كل إنسان يتحمل مسئولية اختياره، وما على الرسول إلا أن يقول الحق، كما فى قوله تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(٧).

وقوله عز وجل:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾(٨).

فليس على المسلم – ولا له – أن يحاسب الكافر على كفره، أو يعاقب الضال على ضلاله، إنما حساب الجميع عند الله فى الآخرة، كما نص عليه قوله تعالى:

﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(٩).

ومن هذا المنطلق كان الرسول ﷺ يعامل غيرالمسلمين من اليهود والنصارى معاملة حسنة، فكان يبرهم ويكرمهم ويحسن إليهم، ويزور مرضاهم، ويتعامل معهم، فيأخذ منهم ويعطيهم، ويقترض منهم، على ما رواه البخارى من أن الرسول ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله»، وقد كان فى وسع محمد ﷺ أن يقترض من أحد أصحابه، ولكنه ﷺ أراد أن يعلم الأمة الإسلامية فيقتدوا به.

ولذلك.. وجدنا المسلم الحقيقى الذى يؤمن بمشيئة الله لا يجبر الناس أن يكونوا كلهم مسلمين؛ لإيمانه أن الله لو شاء ذلك لفعل، كما يصرح به سبحانه وتعالى فى قوله:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(١٠).

فأين مزاعم المستشرقين من كل تلك الحقائق والأدلة الواضحة على عالمية الإسلام؟!

---

(٥) الإسراء (٧٠).
(٦) أخرجه البخارى.
(٧) الكهف (٢٩).
(٨) هود (١١٨).
(٩) الحج (٦٨، ٦٩).
(١٠) يونس (٩٩).

إلى أين نتجه؟

الإسلام هو المنقذ

للدكتور / حمدى فتوح والى

نعلم أن الموجة الغربية المادية طاغية، وندرك أنها تختلف عن كل الموجات السابقة بخبثها وشراستها، واستكمال أدواتها وأسلحتها.

ونعلم أن أخطر أسلحتها على الإطلاق هو خواؤنا الفكرى وضعفنا العقدى والروحى، هذا الخواء الذى هيأ الفرصة لتلك الموجة الخبيثة كى تمتد فى داخلنا وتحتل مساحة واسعة فى رءوس أبنائنا، مما يشكل نوعاً من الغزو الفكرى، الذى يثمر تبعية مهنية، واستذلالاً رخيصاً.

«ونحن نعرف أن هناك جهوداً جبارة تُبذل منذ قرون لحصر الإسلام فى دائرة الاعتقاد الوجدانى، والشعائر التعبدية، وكفِّه عن التدخل فى نظام الحياة الواقعية، ومنعه من الهيمنة الكاملة على كل نشاط واقعى للحياة البشرية كما هى طبيعته، وكما هى حقيقته، وكما هى وظيفته. ولكننا برغم علمنا بهذا كله، وبرغم إدراكنا بمخاطره، لا نشعر بالخوف على كياننا الروحى، وتميزنا العقائدى، لما نعلمه من اتساق منهجنا الإسلامى الإلهى مع حاجات الفطرة الإنسانية التى هى من صنع الله - سبحانه وتعالى - مما يضمن لهذا المنهج حالة من العناق الحميم بينه وبين الفطرة، فإذا أضفنا إلى ذلك مصادمة المناهج المادية للفطرة، والتوائها، واستعصائها على القبول، أدركنا سر صمود الإسلام أمام عقائد أهل الأرض جميعا على مدى تاريخه كله، على كثرة ما لاقى من عقائد الأمم المفتوحة من مكائد ومؤامرات، خرج منها جميعاً بانتصار ساحق وزاد عظيم. ولم تلبث تلك العقائد والنحل أن ذابت، ودخل أصحابها فى دين الله أفواجاً.

لكننا مع علمنا ذلك، ويقيننا، أن الله - سبحانه وتعالى - حافظ دينه، ومتم نوره، ندرك على الجانب الآخر أن لله - سبحانه وتعالى - فى كونه أسباباً وضعها لعباده، بها يتحقق نصرهم، ويتم تمكينهم، من أخذ بها سلم، ومن تركها أهمل وهزم. وهذا العلم بالأسباب، والأخذ بالنواميس الإلهية، هو الذى ضمن لسلفنا الكرام هذا الامتداد المبارك على مساحة الأرض كلها، وما كان لصحة المنهج واستقامته مع الفطرة وحدها أن تنهض بإملائه على الغير، إذا لم تجد من يؤمن به عقيدة، ويطبقه شريعة، ويقيمه نظاماً، ويحمله إلى عباد الله كامل الملامح، واضح السمات. حتى

يتسنى لهم الاختيار بينه وبين غيره، من مناهج البشر الأخرى. أما قبل ذلك فإنه لا يعقل أن ينتمي إليه أحد، أو أن يبحث عنه من يتلبسون بغيره من نحل الأرض ومللها، التي صنعت مع أصحابها حالة من المعايشة والألفة، لا يسهل فصلها أو تركها إلا بنوع من إيقاظ العقل وتحريره من سيطرة العادة وسلطان الموروث.. وهذا ما سيجعل سدنة الباطل يحرصون على بقائه، ويقابلون محاولات الإيقاظ والتحرير، بكل ما يملكون من وسائل القمع والإرهاب إبقاء لسلطانهم، وحرصاً على تألههم في الأرض من دون الله، وعند ذلك لا مفر من وقوع صدام بين من يحملون أمانة الله وينشرون هديه، وبين من يمنعون وصول هذا النور للناس. وهذا ما عناه الإسلام بقانون التدافع القائم على الجهاد في قوله سبحانه:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١).

وهو أمر يتطلب من أهل الحق قوة، تصون حقهم، وتفسح الطريق أمامه، لكي يصل إلى عباد الله ثم للناس بعدها أن يختاروا:

﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾(٢).

أما أن تقوم قوة في الأرض لتحول بين نور الله وبين الناس، فهذا ما ينبغي على أهل الحق أن ينهضوا ليدافعوه:

﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾(٣)

وعندئذ تصبح تلك المدافعة فريضة على أهل الحق، وضرورة لكي يصلوا بدين الله إلى الناس:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٤).

وحين يقوم المسلمون بواجبهم تجاه دينهم، إيماناً به، وتطبيقاً لشرائعه، وإقامة لنظامه، سيعظمون في عين ربهم وتقع مهابتهم في قلوب أعدائهم، فينصرون بالرعب كما نصر أسلافهم، ويومها لن نحتاج كثير جهد كي نقنع الدنيا بمنهج الإسلام، لأن الفطرة المركوزة في ضمائر البشر جميعاً تحن له وتنجذب إليه، ولأن الفطرة والمنهج كليهما من صنع حكيم خبير. ويومها لن يملك الغرب بعضلاته وحديده، أن يصاول الإسلام في معركة ميدانها الفطرة، ومجالها الروح، إذ لن يجد له نصيراً من العقل أو القلب، بينما سينساب الإسلام إلى القلوب انسياباً، ويمتد فيها امتداداً، ويتجذر فيها بقوة، ويضرب في تربتها بعمق وسنجد من أهل الغرب أنفسهم جنوداً يسبقوننا إلى حمل تلك الدعوة، والجهاد لتوصيل هذا الدين بعد أن يكونوا هم قد غدوا أصحابه والمنافحين عنه والساعين إلى نشره في العالمين.

(١) البقرة (٢٥١).
(٢) الكهف (٢٩).
(٣) سورة البقرة ١٩٣.
(٤) سورة العنكبوت آية ٦٩.

ولن يكون غريباً يومها أن يخرج من أمريكا من يصنف لنا أحاديث المصطفى ﷺ ويحفظها بأحدث الأجهزة وأدق التقنيات، كما خرج من روسيا من قبل أمثال الإمام البخارى ومسلم والنسائى وغيرهم.

وما بالنا نبعد كثيراً، أفليس الكاتب المسلم الغيور محمد أسد هو نفسه «ليبولد فايس» النمسوى النصرانى من قبل؟ ألم يتحول إلى منافح عن الإسلام، داع إليه، عامل له، مبلغ لتعاليمه مؤمن بمستقبله فى كل ما يكتب ويتكلم، وعندما سئل عن أى الجوانب كانت أكثر جذباً له إلى الإسلام قال: «لا أستطيع اليوم أن أقول أى النواحى قد استهوانى أكثر من غيرها، فإن الإسلام على ما يبدو لى، بناء تام الصنعة وكل أجزائه قد صيغت ليتم بعضها بعضا، ويشد بعضها بعضا فليس هناك شىء لا حاجة إليه، وليس هنالك نقص فى شىء، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص، ولعل هذا الشعور من أن جميع ما فى الإسلام من تعاليم وفرائض قد وضعت مواضعها، وهو الذى كان له أقوى الأثر فى نفسى»[(٥)].

أما عن رأيه فى إنقاذ البشرية مما ارتكست فيه، أو انحدرت إليه فهو لا يرى لها منقذاً فى غير الإسلام فيقول: «إن المدنية الغربية لا يمكن أن تكون الوسيلة الصحيحة لإيقاظ العالم الإسلامى من سباته العقلى والاجتماعى، ذلك السبات الذى أدى إلى انحلال مظاهر الدين حتى أصبحت عادة مجردة لا حياة لها، ولا باعث أخلاقياً فيها».

ثم يطرح الرجل سؤالاً نيابة عن المسلمين جميعاً فيقول: «أين يجب على المسلمين إذن أن يبحثوا عن الباعث الروحى والعقلى الذى هم اليوم فى أشد الحاجة إليه؟ ثم يقدم هو الجواب قائلا:

«إن الجواب على ذلك سهل سهولة السؤال عنه، بل إنه متضمن فى السؤال نفسه. أن الإسلام ليس اعتقاداً بالجنان فقط، ولكنه فوق ذلك منهاج ظاهر الحدود تمام الظهور للحياة الفردية والاجتماعية».. ثم يضيف الكاتب النمسوى المسلم قائلاً: «وفى هذا العالم المملوء بالآراء الجديدة المتصادمة أو التيارات الثقافية المتعارضة، لا يستطيع الإسلام أن يظل شكلاً أجوف. لقد انقضى نومه السحرى الذى دام أجيالاً فيجب أن ينهض أو أن يموت. إن المشكلة التى تواجه المسلمين اليوم هى مشكلة مسافر وصل إلى مفترق طرق. إنه يستطيع أن يظل واقفاً مكانه، ولكن هذا يعنى أنه سيموت جوعاً، وهو يستطيع أن يختار الطريقة التى تحمل فوقها هذا العنوان: «نحو المدنية الغربية» ولكنه حينئذ يجب أن يودع ماضيه إلى الأبد، أو أنه يستطيع أن يختار الطريقة التى كتب عليها: «إلى حقيقة الإسلام». إن هذه الطريقة وحدها هى التى تستميل أولئك الذين يعتقدون بماضيهم، وباستطاعتهم التطور نحو مستقبل حى»[(٦)].

---

(٥) من مقدمة كتاب: الإسلام على مفترق الطرق/ محمد أسد صـ ١٥.

(٦) الإسلام على مفترق الطرق صـ٨٥، ٨٦.

هذه الدعوة الهادفة الحارة، التى يحملها إلينا مسلم غربى تؤكد أن الإسلام لا يعرف الحدود الجغرافية، ولا التمييز العنصرى على أساس الجنس أو اللون أو اللغة، وإنما هو رسالة الله إلى العالمين - رسالة مصدرها الله، وميدانها الأرض ومجالها الإنسان كل الإنسان».

إن عنايتنا بالفكرة الإسلامية، والسعى الدءوب إلى تبليغها وتيسير وسائل نقلها، وتوظيف أحدث التقنيات لنشرها، هو مهمة العقلاء في زماننا هذا، لأنهم بتعبهم فى هذا الميدان يكسبون للإسلام كوادر علمية مدربة وجاهزة ويضيفون إلى العقلية الإسلامية أقوى العقليات البشرية، عندما تتوجه إلى الإسلام.

ولنا أن نتصور كم كنا سنحقق من المكاسب فى هذا العصر لو كنا مهيئين روحياً وسياسياً وعالمياً لوراثة دول الاتحاد السوفيتى، واحتواء ما خلفته وراءها من عقول مُبدعة مُنتجة. ينتسب معظمهم أو كثير منهم إلى الإسلام - وهذا يعنى أن الجهد المبذول معهم لن يكون بقدر الجهد الذى تبذله اليهودية وهى تتقدم لتستميلهم وتستوعبهم، وتهيىء لهم جميع الأسباب. لترث أبناء المسلمين وأحفاد البخارى ومسلم.

تُرى لو كانت الأنظمة القائمة على مقاليد بلاد المسلمين أنظمة عقائدية صادقة، أكان يفلت من يدها هؤلاء العلماء المتميزون فى مجالات الذرة والفلك والفضاء والطيران. ويتركونهم ليعرضوا عقولهم لتستأجر بالمال الإسلامى لمصالح يهودية وغربية.

إن العالم الغربى أحوج ما يكون إلى تصور ربانى يعيد له توازنه النفسى، ويحدد له علائقه بمن حوله ممن يشاركونه سكنى هذا الكوكب، بل هو بحاجة أشد إلى تحديد علاقته بخالقه وخالق هذا الكون، ولن يجد ذلك إلا فى الإسلام، ولأن السعى لإدراك تلك الغاية سعى حثيث فطرى ومصيرى لدى الإنسان، فإنه لن يهدأ حتى يصل إلى هذا التصور الربانى الصحيح كى يهدأ ويستريح. وهذا يعنى أن شوق الفطرة البشرية الظامىء إلى الأمان والهدوء والتوازن النفسى سيظل مشبوباً ولن يهدأ أو يستريح حتى يستقر على مرافىء هذا الدين القويم.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾(٧).

***

(٧) سورة الروم الآيتان (٤، ٥).

حتى نهزم اليأس في واقعنا المعاصر

للأستاذ الدكتور / محمد أحمد العزب

تحدد المعاجم اللغوية اليأس، بكونه قيمة سالبة ترفض الوقوف والمواجهة، وتتدثر بألوان من الانسحاب، والقنوط، ورفض الرجاء، ومخاصمة الأمل، وتخييب التطلع.. فإذا سددت المعاجم اليأس فى اتجاه معنى العلم فإن هذا العلم لا يقصد به مطلق المعرفة، ولا ظمأ الطموح إلى فض أية مغاليق، وإنما يقصد به معنى تحديد الدائرة وانتهاء التشوف، فلا تنفذ منه إلى آفاق التطوح واستقراء مطالح الأسرار.

واليائسون الذين نصادفهم فى هذه الحياة كثيرون، وأكثر منهم هذه الكلمات التى تتناثر على شفاههم يائسة وقانطة وسوداء، بحيث يلوح هؤلاء، قطيعاً سائماً بلا هدف يحققه، أو مجموعاً تائها بلا قيم تعصمه، أو قبيلاً حائراً بلا مصابيح من الأمل، يمكن أن تبدد ما يتراكم على حياته من ظلمات، وهذا هو حجم القضية المخيف، الذى ينبغى أن يستنفر جهودنا بلا ملال.

ومن العجيب حقا، أن هؤلاء اليائسين يرفعون شعارات الاستسلام واللا جدوى، ويبدون - تحت راية الهزيمة - كما لو كانوا مستعدين للدفاع عنها حتى الموت، ولو أنهم بذلوا هذا العناء الهائل، تحت راية الإيجاب وليس تحت راية السلب، نعنى تحت راية الأمل، وليس تحت راية اليأس، لأمكن أن يصبحوا جنوداً فى طليعة المقاتلين من أجل حياتهم وحياة الآخرين، ولأمكن لهم أن يطلوا على العالم، من خلال نوعية من النوافذ المضيئة، وليس من خلال ثقوب من الجدران، التى لا تفضى فى النهاية إلى رؤية متكاملة، أو حتى متفائلة.

وليت هؤلاء اليائسين، حين تحصنوا هكذا باليأس الرافض، كانوا رافضين لما فى الحياة من حولهم من ركاكة وتسطيح، إذن لتجاوزوا الواقع الهش الذى يعيشونه، إلى واقع يرفض الهشاشة، ويكون الرفض فيه حينذاك تمرداً على كافة الجوانب السالبة، وأيضاً على القعود أو إسلام الحياة لنوع من الرخاوة السهلة، المفضية فى النهاية إلى عبث فارغ من المضمون.

ولكن القانطين يحيون فى أبد الخمول، ويتوقون إلى حياة مثالية، تعطى بلا معاناة، ومن هنا، فهم يحاولون فلسفة يأسهم الهارب، وتبرير هزائمهم المتوالية، وإدانة الأمل لا اليأس، زاعمين أن الأمل سراب ووهم، وأن اليأس هو منطق العقل، فى مواجهة قوانين الأشياء، التى لا

تأبه بمنطق ولا بعـــقل، وتلك واحـــدة من أغاليطهم الغليظة!!

إن هؤلاء اليـائسين فى حـاجـة شـديدة إلى تعـديل سلوكـهم الهـابط، وتسـديد تفكيـرهم الركيك، وتسليح ذواتهم بمنطق الحياة، لا بمنطق الموت، ودفعهم إلى مواجهة تجارب الوجود، مرة بعـد مرة، ليـذوقـوا من خـلال هـذه المواجهـات، قساوة الفشل، وحلاوة النـجاح، فربما رفعوا ـ فى النهـايـة ـ راية الرفض فى وجه الفشـل، وربما نشأ بينهم وبين النـجاح، نوع من التـجاوب، المفضى إلى استمرارية النجاح.

قد لا ننكر أن بعض هؤلاء اليائسين، ضحايا قـصور مـعين، عن بلوغ غـاية مـعينة، ولكننا لا نسـتطيع أن ننكر كـذلك، أن فى أعـمـاق كل إنسـان طاقـات لا حـدود لهـا، من القـدرة على العـــمل، ومن القـــدرة كــذلك على التكيف، وتحقيق الذات فى مجال آخر، غير المجال الذى لم تستطع تحقيق ذاتها فيه.. فقد لا يفلح إنسان ما، فى أن يكون طبيبا مثلاً، ولكنه بالتأكيد، مـؤهل لكى يكون مـهندسـاً، أو عـالم ذرة، أو شاعرا، أو رجل فكر اجتـماعى، أو واحـداً غير هؤلاء، شىء واحـــد ينقص الإنســـان، هو أن يكتشف نفسـه، وأن يعرف طبيعة قدراته، وأن يتوجه إلى ما يجيد، فإن الطريق إلى اكتشاف حـقـيـقـة الذات، هو أول الطريق إلى تحـقـيق نجاحات بلا حدود مع التسليم بأن اكتشاف حـقيـقـة الذات، يحتـاج إلى كـثيـر من المعاناة الفـاهمـة، وإلى نوعـيـة من الثـقـافـة الجـادة وإلى اسـتمرار المحاولة، حتى يعثر على اتجاهه، الذى يجيد فـيه العطاء والابتكار، فإن فعل فقد وجد طريقه، المفضيـة به إلى حـتـمـية التوفيق، وعبر كـثيراً من المزالق، التى قد تصيبه بارتباك الرؤية وضـلال الاتجـاه، ولعل ذلك بعض حكـمـة الوحى الألهى فى القرآن الكريم:

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(١) فإن الدعوة هنا موجهة إلى قوة الوعى بخالقية الخالق، وأيضاً إلى قـوة الوعى بمكامن الطاقـة، فى تكوين إنسـانيـة الإنسان!! وبهاتين القوتين، يتوقى الإنسان مزالق اليأس، ويفتح أبواباً لديمومة الرجاء!!

٧ ولأن اليـائسين يعـيـشـون فى تلبـد نفسى غائـم، نتيجة الإحباط المستمر، فـــهم يـشكـلون خـطراً عـلى البـناء الاجتـمـاعى، بما يشيعونه من فلسفـات يائسة متشائمة، قد تتسرب ببريقهـا اللا مسئول، إلى جـهل الشـباب الطالع، فتطفئ فى عيـونهم بريق الأمل، وتـشل فى جـوارحـــهم طاقـة العـــمل، وتوجـهـهم إلى مـزيد من عناصر التخلى، واللا مـسئـولـيـة والهـروب.. ومن هـنا يستحيل هذا القطيع اليائس، ليس إلى مجرد يأس مغلق على ذاته، وإنما إلى مـصـدر من مـصادر تفريخ الشر، الذى ينقل غـلاظة آثاره المدمـرة إلى الآخـرين، فـيـصـيـب الحـيـاة بـنوع من السـقـوط، وتدلى المحـاولات، ولعلنا لا نهـمل حـقـيـقـة أن تقليد التخلى، أكثر شيوعاً من تقليد المواجهة، وهذه

(١) الذاريات (٢١).

واحدة من بوائق هذا النمط السلوكى، الجانح إلى صغائر الأمور، والناقل عدواه إلى غيره بلا حدود!!

وقد يخيل إلينا.. أن معاقرة الانحراف تبدأ من هذه المنطلقات، من اليأس الذاتى، أو اليأس الغيرى.. الفردى أو الجماعى، التى تندفع كلها فى اتجاه تعويض متخيل، أو هروب يظنون أنه يريحهم لحظة هنا ولحظات هناك.

إن رتل الانحرافات ينبعث بعضه من تجارب ذاتية مزلزلة، وينبعث سائره من تجارب غيرية منقولة أو مقلدة، فإدمان المخدر والمسكر، تبتدئ طريقه الوبيلة من إغراءات غيرية، يزين بها طائفة من الجانحين لغيرهم عوالم الغياب واللا وعى، وما تثمره هذه العوالم فى زعمهم من رؤى ملونة، وانعتاق يحلق فوق حدود الضرورة الواقعية الغليظة.. حتى فى الفكر الأدبى نجد من يؤلف داعياً إلى حتمية المخدر فى تشكيل تجربة فنية رائعة، لأن الإبداع - كما يدعى - غياب عن شروط الواقع الضامر، وتدمير لمنطق الأشياء فى سوائها الطبيعى.. وحتى فى العلاقات بين الجنسين، نجد من يلون للآخرين فعل المخدر والمسكر، وكيف تنقلهم هذه التجربة إلى عوالم من النشوة لا يستطيعونها بغير هذا الفعل.. وهكذا يتواتر مد هذه الظاهرة من مجرد دائرة إلى الانسياح فى دوائر بلا حدود.. ولو أننا أحسنا التعامل مع هذه الظاهرة وهؤلاء الجانحين، لعرفنا كيف نؤكد لهم أن الغياب قد يعطى راحة آنية، ولكنه بالتأكيد يعقب تدميراً فى كل الآناء.. فإن تخدر فى لذاذة عارضة عن مواجهة مصيرية فليس معنى ذلك أن المواجهة انتهت إلى حل، وإنما معناها أننى نسيت حلها للحظات فحسب، وأن حجمها فى هذه اللحظات قد تنامى وربما تضاعف.. وليتنا نستطيع تفهيم من يظن أن الإبداع غياب، حتمية أن الغياب مشروط بالحضور وليس النقيض، أى أننى أغيب عن الوعى المحدد إلى محاولة استكناه حقائق غير محددة، وليس هذا الغياب الذاهل حتى عن كونه الخاص.. وليتنا نستطيع كذلك تفهيم من يظن أن المخدر مدخل إلى لقاء جنسى مثير، إنه قد يكون كذلك فى جولة أو حتى فى جولات، ولكنه بالتأكيد يصيب الطاقة كلها فى النهاية بالعجز والتشتت وحتمية القصور.. وإذن فلو أننا أحسنا التعامل مع هذه الظاهرة ومع هؤلاء الجانحين، لعرفنا كيف نؤكد لهم أن هذه الإغراءات مدخل إلى دمار ذاتى وجمعى، وأن هوة يأس كونى يمكن أن تكون نهاية رحلة حياة بمثل هذا التسطيح!!

ولعلنا لو تأملنا حقائق الفرق، بين جوهر الوجود الإنسانى، وجواهر الوجودات الأخرى لأدركنا أن الوجود الإنسانى يمتاز بكونه موقفاً، وعلامة تحول، بينما الأشياء وجود يابس، لا يحقق لذاته أى موقف، ولا يصير إلى غير ما هو على الإطلاق.. وهذا وحده، كفيل بأن يعقد بين الإنسان والمستقبل، صداقة حميمة وجادة.. وبأن يسلحه ضد اليأس، فلا يناله اليأس، حتى فى أحلك مآزق التاريخ - نعنى: أن الإنسان وحده، يفكر فى ذاته، ويستطيع بهذا التفكير فى الذات، أن يصير إلى أفضل مما هو بكثير.. أى أنه: على موعد دائم مع المستقبل، لا يبيح

له وأد آماله بمزيد من التشاؤم القانط، واليأس المدمر؛ ولا انتحار البطئ أو السريع إلا إذا كان مستلب الوعى والضمير؟

والإنسان المسلم بالذات، مرشح لفهم هذه القضية، أكثر ممن عداه، لأن الإسلام، لا يخاطب المستقبل الزمنى وحده، ولكن يتجاوز حدود الزمن الوجودى، إلى ما وراء الوجود من أزمان.. نعنى إلى الزمن الأبقى من الزمن، إن صح هذا التعبير، وهو الزمن الأخروى، فتنفسح بذلك أبعاد الأمل، أمام كل البشر فلا يعقد بهم يأس، ولا يستبد بخطواتهم كلال، نابع من إحساسهم الجارف، بعبثية وجودهم فى الوجود.. كما تذهب إلى ذلك، بعض الفلسفات المعاصرة، التى تحاصر شبابنا فيما يشاهدون للأسف، وفيما يقرأون.

والإسلام يتعامل مع هؤلاء البائسين تعاملاً شجاعاً بلا حدود، فهو يرفضهم، ويتهددهم، ويدينهم إلى حد التكفير.. عاقداً بين يأسهم الحياتى ويأسهم العقيدى، ما يشبه الصلة العضوية.

فالقرآن الكريم يقول:

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾(٢).

ويقول:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾(٣).

والإسلام يضع الإنسان فى موضعه الطبيعى، على خريطة الواقع، فهو مستهدف للخير والشر، ولليسر والعسر، وللوفرة والفقد.. ومن هنا.. ينبغى أن يكون مؤهلاً للاحتفاظ بإنسانية، فى هذه وتلك، حتى لا يفقد ذروة التكريم، الذى منحته إياه السماء.. فالقرآن الكريم يقول:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ ﴾(٤)

ويقول:

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٥)

والإسلام لا يغلق الدائرة على اليائسين مع يأسهم، داعياً إلى شجاعة الصبر، ثم لا شئ... ولكن يفتح لهم عديداً من نوافذ الأمل، حتى ففى أحلك ساعات الظلام.. فالقرآن الكريم يقول:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾(٦).

---

(٢) يوسف (٨٧).

(٣) العنكبوت (٢٣).

(٤) آل عمران (١٤٦).

(٥) البقرة (١٥٥).

(٦) الشورى (٢٨).

ويقول:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٧].

ويقول:

﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٨].

٧ ومن المؤكد.. أن صوت النبوة - فى محاربة اليأس، والتمهيد لحضارة الأمل - كان صوتا مكملا للنداءات القرآنية الجليلة، التى طاردت اليأس، ومكنت الأمل، ودعت إلى حياة إنسانية، تتواتر فيها فتوحات الجهد البشرى، وتتوالى فيها انتصارات هذا الجهد بلا حدود.

والرائع.. أن أحاديث النبى ﷺ فى هذا الصدد، تضىء جوانب هذه الظاهرة، من كل الاتجاهات.. فهى تحاول أن تمسح على جراح الشخصية الإنسانية، التى انحرفت عن الجادة، حتى لا تلج هذه الشخصية فى تعشق الجنوح، فعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «كل بنى آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»[٩].. من هنا: تستيقظ المحاولة فى المتردى ولا يستبد به يأس الانحدار إلى الهاوية.

والنبى ﷺ، يرفض أن يتخلى عن الذى حاول وسقط.. فعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: «أصيب رجل فى عهد رسول الله ﷺ، فى ثمار ابتاعها، فكثر دينه فأفلس فقال رسول الله ﷺ: «تصدقوا عليه»، فتصدق الناس عليه، فلم يبلغ ذلك وفاء دينه، فقال رسول الله ﷺ لغرمائه: خذوا ما وجدتم، وليس لكم إلا ذلك»[١٠]!! فهنا محاولة نبوية لإقالة عثرة العثائر، حتى لا يستبد به يأس مدمر، ولا يرفض المحاولة الشجاعة من جديد.

والنبى ﷺ، يحرض فينا طاقات الفعل الحياتى، حتى لا نفاجأ بالعجز عن هذا الفعل فنسقط فى براثن اليأس والإحباط. فعنه ﷺ أنه قال: «ابن آدم. اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك، وغناك قبل فقرك»[١١] فهنا دعوة إلى الامتلاء، قبل حلول مواعيد الذبول!!

ويلوح النبى ﷺ، بقيمة الإيجاب والفعل فى قوله: «إن قامت الساعة، وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها، فله بذلك أجر»[١٢] فهنا رفض للتخلى، ورمز لحتمية أن نزرع، حتى ولو تأكدنا أن الرحيل قبل مواسم الحصاد!!

(٧) الزمر (٥٣).
(٨) آل عمران (١٣٩، ١٤٠).
(٩) ابن ماجة جـ ٢، رقم ٤٢٥١.
(١٠) ابن ماجة رقم ٣٤٦٩.
(١١) فتح البارى ١١/٢٣٥.
(١٢) أحمد ٣/١٩١.

ويحاول ﷺ، أن يلفتنا إلى ما فينا من قدرة على الفعل. وإلى ضآلة المسافة، المنوط بنا قطعها فيقول: «الجنة أقرب إلى أحدكم، من شراك نعله، والنار مثل ذلك»(١٣) وهنا دفع بالإنسان إلى صراط دقيق، قد يميل به هنا، وقد يميل هناك، ولكن المهم أننا نستطيع اجتياز الجنة بيسر إذا أردناها!!

وإذا كانت الحياة، هي أطلع الفعل الإنسانى، الذى يقترب به من تحقيق وجوده على السواء.. فإن النبى ﷺ، يهيب بنا، أن نتعشقها، ما دمنا قادرين على الفعل من خلالها، فإن عجزنا.. كان الموت أغدق رحمة، اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى.. وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى ـ

ولأن النبى ﷺ كان هذا القائد المقاتل، الرافض لكل عناصر الترهل والعجز، فقد كان دعاؤه الأثير: «اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وضلع الدين، وغلبة الرجال»(١٤).

ويؤسس النبى ﷺ لإنسان تاريخى جدير بإنسايته وتاريخه معا.. أى جدير بحمل أمانة الفعل الذى ينقل الحياة من مجرد الصيرورة، إلى رشاد التوجه فى هذه الصيرورة. فيقول في دعائه الحميم: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهى، لا إله إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»(١٥).. هنا تستحيل الأشياء إلى مجرد إطار يعيش داخله إنسان هذه الوضعية، ويستحيل هذا الإنسان الكونى إلى زخم عقيدى، يتحرك بالله ويحرك فى اتجاهه كل محاور الأشياء.

ويعمّق النبى ﷺ فى خلد المسلم إحساسه بمسؤلية الإنسان المثال، الذى لا يستسلم، لأن مسئوليته تتجاوز السطوح العابرة إلى الدخول فى أبهاء سرائر الأشياء، فيقول ﷺ: «أوصانى ربى بتسع أوصيتكم بها: أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية، والعدل فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمنى، وأعطى من حرمنى، وأصل من قطعنى، وأن يكون صمتى فكرا، ونطقى ذكرا ونظرى عبرا».

وهكذا.. يتردد الصوت النبوى الكريم، بين هدهدة الجراح، وإقالة العثرة، والدعوة إلى الإيجاب والتحريض على الفعل، والتحذير من الجنوح، والاستفادة من الرحلة الحياتية، والتوجه إلى الله بالعياذ من كل ما يُقْعِد ويَشُلُّ، واللباد به والابتعاد عمن سواه، وديمومة التصدى للعطاء حتى ولو شهروا في وجوهنا كل خناجر حقدهم الأسود.. وفى ذلك تلويح مضىء، بأن الوجود الإنسانى

(١٣) البخارى ١٢٧/٨.
(١٥) البخارى ٨٦/٨.
(١٤) البخارى ٢٨/٤.

للأمل، وليس لليأس، ولمزيد من الفعل، وليس لمزيد من الهروب، ولديمومة الرحلة. وليس إلى معالجة الموت قبل الموت، فقد تهدد الإسلام كل من يقترب من هدم الإنسان، لأن هذا الإنسان بنيان الله فى الأرض، وملعون من هدم بنيانه!!

وإذا قلنا: إن القرآن الكريم.. يستنقذ الملكة الإنسانية، من مخالب اليأس والقنوط، ويدفعها فى اتجاه التحقيق والفعل الإبداعى.. وإذا قلنا كذلك: إن السنة النبوية، ترسى في وعى الإنسان المسلم أنه للإيجاب وليس للسلب، وأن وجوده مساحة لتحقيق التقدم، وليس لتحقيق الدمار.. فإننا نستطيع أن نقول كذلك: إن تاريخ الحركة الإسلامية، كان تصديقاً جدلياً، لهذا الاتجاه القرآنى والنبوى.. فالمسلمون فى مطالع الدعوة واجهوا ألواناً من الاضطهادات الفادحة، التى كان يمكن أن تقتلع الجذور من ترابها، ولكن أصالة الوعى الإيمانى، وفدائية الحركة المسلمة، ربطت على قلب هذا الرعيل الأول، فرفض أن يستسلم لليأس وقاتل كل التحديات الباهظة، واستطاع أن يخرج من مأزق المواجهة، أكثر صميمية، وأرسخ يقينا بالمستقبل المنشود.

ولقد واجه المسلمون عديداً من الهزائم المادية، فى معارك القتال مرة.. وفى ارتداد بعض من آمن مرة أخرى.. وفى اكتشاف عناصر منافقة فى صفوفهم مرة ثالثة.. إلى غير ذلك وأولئك من كوارث، كان يمكن أن تصيبهم بنوع من التراجع، أو حتى بنوع من التوقف عن مواصلة الزحف.. ولكن ذلك كله، لم يقعد بهم عن المحاولة المجددة، واستئناف التوجه إلى ضرب معاقل الشرك، والتمكن لحضارة التوحيد.. فكان هذا التحقيق التاريخى المسلم، الذى فرض إيقاعه على الزمن، فى شتى العصور، وما يزال.

وما أحوجنا نحن الآن، ونحن نخوض أقصى معارك التحدى، ومحاولات التذويب، أن نسترجع هذا الصمود التاريخى المسلم، حتى نستعيد ذواتنا المفقودة، وحتى نرفض الهزائم الداخلية والهزائم الخارجية كذلك وحتى نمتلك أقدارنا، على أصالة الفعل، وحتى نتعالى على منطق الهروب اليائس من شتى المواجهات، فى شتى المجالات!!

ونحن بعد، مطالبون دائماً ببناء حضارة إسلامية، خالية من التهدم الشائه، أو التفلت الممرور.. نحن مطالبون بإصلاح مناهج التربية، فنميل بها إلى شاطئ الفعل، وليس إلى مجرد الثرثرة.. مطالبون بالكف عن الإرهاب، فى الفكر، وفى السياسة، وفى الاجتماع.. حتى نستطيع بناء جيل سوى، ينطلق من قناعات مؤمنة، وليس من خوف مشتت.. مطالبون بتنمية روح الجماعة فى الأفراد، حتى لا ينغلق كل على ذاته، فيعجز عن تحقيق أى فعل تاريخى، فيصاب بالإحباط والارتباك.. مطالبون بفتح مصحات نفسية شعبية لليائسين، والهاربين، والانسحابيين، حتى لا نتركهم فريسة لهذا السلب المدمر،

فنخسر بهم عناصر، يمكن أن تكون صفا فى جيش المواجهة المحتومة.. مطالبون بدفع موجات عارمة، من الاعتزاز بقيمنا.. وتراثنا.. وأصالة انتمائنا العقيدى.. مع الحرص الحريص على أن يتم كل أولئك فى غير مصادمة لا مع الحاضر، ولا مع المستقبل، فنحن مؤهلون أكثر من غيرنا للقاء المستقبل بلا هروب.. مطالبون بأن نزرع فى وعى الأجيال قيم التطلع إلى الممكن والمتاح، لا إلى قيم المستحيل والخارق، فإن وعى الأجيال بهذه الإمكانية يتيح لها مزيداً من الأمل، ويبعدها عن مزيد من مزالق اليأس، إن الطالب فى مراحل الدراسة الأولى ينبغى أن يتوجه إلى المراحل التالية، وليس إلى المرحلة القمة هكذا فجأة.. وكذلك المريض ينبغى أن يتطلع إلى عافية محدودة أولاً ثم إلى تمام العافية آخر الأمر.. وكذلك الزارع.. ينبغى أن يحرس بالأمل بذاره، ثم سنابله، ثم حصاده.. وهكذا فى كل قطاعات المجتمع الإسلامى.. لأن التطلع البدئى إلى كمالات غائبة قد يصيب صاحبه بنوع من الإحباط المستمر.. وقد فطن علماء التربية الإسلامية إلى هذه الحقائق فأكدوا على عدم إلقاء الغايات فى البدايات، وأوصوا بالتدرج العاقل، الذى لا يصيب المتلقى بنوع من تشاؤم اليأس، أو يأس التشاؤم، بلا تبرير..

ولا يظنن ظان أن اليأس قضية فردية تصيب بوبالها آحادا من الناس فحسب، ولكنها قد تصيب المجموع، فتتيبس فيه روح التطلع والطموح قد تصيب المجموع المستعمر فييأس من الخلاص وقد تصيب المجموع الجاهل.

فيتقاعد عن التثقيف.. وقد تصيب المجموع المتخلف فيقنط من طلاب الحضارة.. وقد تصيب المجموع المتفكك فلا يرى مستقبلاً للتلاحم والتوحد.. وقد تصيب المجموع الهازل فيهرب من مسئولية الالتزام.. وقد تصيب المجموع الطاغى فيخاف من زحف العدالة.. وقد تصيب المجموع الفقير فيهرب من مجرد التفكير فى الوفرة.. إلى آخر ما هناك من مستويات التوجه الجمعى فى هذا الاتجاه الوبيل.. وإذن فاليأس قضية جمعية كما هو قضية فردية.. وفى هذا تكمن خطورته كظاهرة تصيب قنيصتها بالشلل، وتترك أعطابها فى كل ما تلامسه، فإذا هو بوار مخيف!! ولو أننا تعمقنا قليلاً لرأينا كيف أن ظواهر الوجود تعلمنا درس الأمل: فالصغير يكبر، والواحد يتكثر، والقاحل يخضر، وتلك كلها دعوات مفتوحة إلى أمل حميم.

نحن مطالبون إذن بهزيمة اليأس فينا وفى الآخرين.. وبالتمهيد لحضارة أولها يبدأ من الأمل.. وآخرها لا ينتهى بانتهاء كل الآمال - فالإنسان المسلم - كما أراده الله - محاولة مستمرة، ومستقبل يولد من مستقبل، وصيحة رجاء تملأ جوانح الكون بعبق الجنة، حتى وإن كان زفير جهنم يدمدم من حوله فى كل اتجاه!!!!

***

رؤية إسلامية للتعددية الفكرية

للأستاذ الدكتور / محمد عمارة

«التعددية» تنوع، مؤسس على «تميّز.. وخصوصية».. ولذلك، فهى لا يمكن أن توجد وتتأتى بل ولا حتى تتصور.. إلا فى إطار «الوحدة.. والجامع».. ولذلك لا يمكن إطلاق «التعددية» على «التشرذم» و«القطيعة» اللذين لا جامع لآحادهما، ولا على «التمزق» الذى انعدمت العلاقة بين وحداته.. وأيضا لا يمكن إطلاق «التعددية» على «الواحدية» التى لا أجزاء لها.

فبدون الوحدة الجامعة لا يتصور تنوع وخصوصية وتميّز، ومن ثم تعددية..

وللتعددية مستويات، يحددها «الجامع.. الرابط» الذى يجمع ويوحد أجزاءها.. بفضل المستوى العالى، مثلا هناك تعددية الحضارات المتميزة، والقوميات المختلفة، المؤسسة على تعدد الشرائع والمناهج والفلسفات واللغات والثقافات، وبينها جميعا جامع الاشتراك فى الإنسانية التى لا تمايز فيها ولا اختلاف..

وعلى مستوى كل حضارة من الحضارات، هناك تعددية فى المذاهب ومدارس الفكر وفلسفاتها، وتيارات السياسة وتنظيماتها، وقد تكون.. فى بعض الحضارات تعددية فى القوميات واللغات والأوطان.. مع اجتماعها فى رابطة الحضارة الواحدة وجامعتها.

والتعددية، ككل الظواهر والمذاهب الفكرية، لها «وسط ـ عدل ـ متوازن»، ولها طرفا «غلو»، أحدهما «إفراط» والآخر «تفريط» ـ و«وسطها ـ العدل ـ المتوازن» هو الذى يراعى العلاقة بين «التميز.. والتنوع.. والتعدد» وبين «الجامع.. والرابط.. والوحدة»، بينما يمثل التشرذم «غلو القطيعة والتنافر» الذى لا جامع له.. كما تمثل «الوحدة» المنكرة للخصوصية، «غلو القهر» المانع من تميز الفرقاء واختصاصها.

***

وإذا كانت الرؤية الإسلامية قد قصرت «الوحدة»، التى لا تركب فيها ولا تعدد لها على الذات الإلهية وحدها، دون كل المخلوقات والمحدثات والموجودات، فى كل ميادين الخلق المادية والحيوانية والإنسانية والفكرية، تلك التى قامت جميعها على التعدد والتزاوج والتركيب والارتفاق.

فإن هذه الرؤية الإسلامية تكون، بهذا الموقف الثابت ـ ثبات الاعتقاد الدينى ـ قد جعلت من التعددية فى كل الظواهر المخلوقة «سنة» من سنن الله، - سبحانه وتعالى -، فى الخلق والمخلوقات جميعا، و«آية» من الآيات التى لا تبديل لها ولا تحويل.

إنها «القانون» الإلهى، و«السنة» الإلهية.. الأزلية الأبدية.. فى ميادين الكون المادى، والاجتماع الإنسانى، وشئون العمران وميادينه.. وبها تتميز عوالم «الخلق المتعددة عن ذات «الحق» الواحدة. وإذا كانت «الوسطية الجامعة»، فى التصور الإسلامى، هى خصيصة من خصائص الأمة الإسلامية

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(١)

وهى وسطية العدل المتوازن «الوسط العدل».

﴿ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾(٢).. فإن التعددية الموزونة بميزان الإسلام، لابد وأن تكون تميزا لفرقاء يجمعهم جامع الإسلام، وتنوعا لمذاهب وتيارات تظللها جميعا وتحكمها مرجعية التصور الإسلامى الجامع، وخصوصيات متعددة فى إطار ثوابت الوحدة الإسلامية.. فوحدة الأمة فيما هو معلوم من الدين بالضرورة - أى فيما يدركه الكافة بالفطرة، دون نظر، وبلا خلاف فيه - هى فريضة إلهية:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾(٣).

لا تعدد فيها ولا افتراق.. أما فيما هو فروع وموضوعات للاجتهادات، فإن التعددية فيها واردة، يجمع فرقاءها ومدارسها واجتهاداتها وتياراتها الوحدة فيما هو معلوم من الدين بالضرورة من العقيدة والشريعة والمبادئ والأركان.. فنطاق «الوحدة» بمثابة أصل الشجرة الطيبة.. والتعددية هى فروع هذا الأصل لهذه الشجرة الطيبة.. وهذه الفروع - التعددية - لا تكون فروعا حقيقية إلا إذا ارتوت من الأصل - الوحدة - وسرت فيها جميعها روح الأصل ومزاجه وصبغته التى بها يتميز عن الأصول الأخرى للمعتقدات.

بهذا المنظار والمنهاج يكون طريق النظر الإسلامى إلى قضية التعددية.. فيراها قانون التنوع الإسلامى فى إطار الوحدة الإسلامية.

***

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ميادين حكمت فيها السنة الإلهية بـ«التعددية» فى إطار «الوحدة» ففى «القوميات والأجناس» تعددية يتحدث عنها القرآن الكريم باعتبارها «آية» من آيات الله فى الاجتماع الإنسانى، فيقول:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾(٤)

---

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) الأنبياء: ٩٢.

(٤) الروم: ٢٢.

وهى تعددية فى إطار « جامع : الإنسان » . .

وفى « الشعوب والقبائل » هناك تعددية، تثمر التمايز الذى يدعو القرآن إلى توظيفه فى إقامة علاقات « التعارف » بين الفرقاء المتمايزين :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٥) .

فتعددية التمايز إلى شعوب وقبائل، قائمة فى إطار « جوامع : التعارف » بين بنى الإنسان . . أى التفاعل فيما هو معروف وما هو متعارف عليه .

وفى « الشرائع والمناهج » ومن ثم فى « الحضارات » ، هناك تعددية يراها القرآن الكريم الأصل الدائم والقاعدة الأبدية، والسنة الإلهية، التى هى الحافز للتنافس فى الخيرات، والاستباق فى الطيبات، والسبب فى التدافع الذى يقوّم ويرشّد مسارات أمم الحضارات على دروب التقدم والارتقاء . . فهى المصدر والباعث على حيوية الإبداع والتجديد الذى لا سبيل إليه إذا غاب التمايز وطمست الخصوصيات بين الحضارات :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾(٦)

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾(٧) .

فالتعددية هى الحافز على امتحانات وابتلاءات المنافسة والاستباق فى ميادين الإبداع والتجديد بين الفرقاء المتمايزين فى الشرائع والمناهج والحضارات .

وفى هذا الإطار أيضا، إطار « وحدة الدين » و« تعددية الشرائع » جاء القرآن الكريم بتقرير هذه الحقيقة :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾(٨) .

على حين تتعدد شرائع الأنبياء ومناهج أمم الرسالات، فى إطار جامع : الدين الواحد » ، وعلى النحو الذى صوره الحديث النبوى الشريف « الأنبياء إخوة لعَلاّت - [أى أمهات متعددات] ، دينهم واحد وأمهاتهم شتى »(٩) .

● وفى « رعية » الدولة الإسلامية الأولى - دولة المدينة، على عهد رسول الله ﷺ كانت هناك « تعددية » فى إطار « وحدة الأمة » -

---

(٥) الحجرات: ١٣ .

(٦) هود: ١١٨، ١١٩.

(٧) المائدة: ٤٨ .

(٨) الشورى: ١٣.

(٩) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والإمام أحمد.

تحدث عنها تفصيلا «دستور» تلك الدولة - المسمى فى تراثنا وفى صلب الدستور بـ«الصحيفة» و«الكتاب»-.. فالقبائل غدت لبنات متعددة.. تحدثت «الصحيفة» عنها وعن أحلافها وحقوقها وواجباتها.. فى إطار «وحدة الأمة».. والمهاجرون والأنصار، مثلوا جوامع فرعية، أشارت إليهم «الصحيفة» فى إطار الجامع الإسلامى الواحد، والأمة الإسلامية الواحدة.. والتعددية بين جماعة المؤمنين وجماعة يهود، تحدثت عنها «الصحيفة».. ونظمت أُطر وآفاق تعدديتها فى نطاق جامع الرعية ووحدة الأمة بالمعنى السياسى والدستورى والقانونى.

وعن هذه «التعددية»، وفى إطار «الوحدة» نصت مواد «الدستور» - «الصحيفة».. فقالت: «المؤمنون والمسلمون، من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس».

«وأن يهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم».

«وأن يهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين. وأن على يهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم. وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة. وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم».

«وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث،، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله»[١٠].

ففى إطار جامع الأمة الواحدة، والدولة الواحدة، ذات المرجعية الواحدة، تعددت الانتماءات القبلية والدينية، ونظم الدستور علاقات فرقاء هذا الانتماء.

● بل لقد وسعت «وحدة الأمة الإسلامية» ألوانا من التعددية بلغت تناقضاتها الداخلية حد الصراعات المسلحة، لأن فرقاء هذه التعددية، برغم صراعهم، قد ظلوا على ولائهم «للدولة الواحدة».. فحافظوا على «الجامع السياسى».. وعلى ولائهم «للدين الواحد».. فحافظوا على «الجامع الدينى».. فكان القتال بينهم على «التأويل» لا على «التنزيل».

وكانوا جميعا، رغم القتال، على ولاء لوحدة الدولة ووحدة الدين.. ولقد كانت صراعات الفتنة الكبرى، زمن الراشدين فى هذا الإطار، الذى وسعت فيه «وحدة الأمة» فرقاء هذه الفتنة وذلك الصراع.. فلم يكن اقتتالهم بالمخرج لأى منهم من «الأمة» ولا من «الملة» ولا من «الدولة».

وفى موقعة «صفين» [٣٧ هـ ٦٥٧م]، التى مثلت قمة صراعات تلك الفتنة،

---

(١٠) (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة) ص ٥-٢٠ تحقيق: محمد حميد الله الحيدر آبادى. طبعة القاهرة سنه ١٩٥٦م.

يتحدث الإمام على بن أبى طالب عن «الجامع الدينى» الموحد لفرقاء القتال، وكذلك عن «جامع الدولة» فيقول: «لقد التقينا، وربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا فى الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم فى الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، والأمر واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء»(١١).

«فالدين واحد» وجامع.. و«الأمر واحد» وجامع.. والخلاف فى «دم عثمان» رضى الله عنه، فقط.

كما يرد الإمام على على شبهة الخوارج وتأويلهم الفاسد، الذى كفروا به معاوية وأهل الشام، فيقول: «إننا، والله، ما قاتلنا أهل الشام على ما توهم هؤلاء -[الخوارج] - من التكفير والفراق فى الدين، وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة - [أى الجماعة السياسية] - وإنهم لإخواننا فى الدين، قبلتنا واحدة، ورأينا أننا على الحق دونهم»(١٢).

ثم يؤكد الإمام علىّ - كرم الله وجهه -، على أن مصادر النزاع هى «شبهات» أثمرها «التأويل»، فهى لا تُخْرِج من «أخوّة الإسلام» فيقول: «لقد أصبحنا نقاتل إخواننا فى الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبه والتأويل، فإذا طمعنا فى خصلة يلم الله بها شعثنا، ونتدانى بها إلى البقية فيما بيننا، رغبنا فيها، وأمسكنا عما سواها»(١٣).

وعندما سئل عن رأية فى «آخرة» قتلى الفريقين؟!.. أجاب «وإنى أرجو ألا يقتل أحد نقى قلبه منا ومنهم، إلا أدخله الله الجنة»(١٤).

هكذا وسعت وحدة الملة والدولة التعددية، حتى عندما بلغت الفتنة بين فرقائها درجة الاقتتال.. الأمر الذى لا نعتقد أن له نظيرا خارج منهاج الإسلام!.

***

هكذا انفتحت سبل التعددية واتسعت آفاقها أمام تيارات الفكر الإسلامى، فى إطار «وحدة وجامع التصديق» بما جاء به الدين، مما هو معلوم منه بالضرورة.. فظلل «الجامع الإسلامى» الذى وحد الأمة والعقيدة والحضارة ودار الإسلام.. ظلل التعددية فى اللغات والأقوام.. وفى الثقافات الفرعية... وفى الأوطان والأقاليم المتميزة وفى الفرق الإسلامية السياسية.. وفى المذاهب الفقهية.. وفى التيارات الفكرية.. فازدهرت تعددية الاجتهادات البشرية فى إطار الجامع الثابت الخالد الذى تمثل فيما علم بالضرورة من أصول الدين.

(١١) ابن أبى الحديد (شرح نهج البلاغة) ج ١٧ ص ١٤١ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩م.

(١٢) الباقلانى (التمهيد) ص ٢٣٧، ٢٣٨ تحقيق: محمود محمد الخضيرى، د. محمد عبد الهادى أبو ريدة. طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧م.

(١٣) (نهج البلاغة) ص ١٤٧، ١٤٨ طبعة دار الشعب القاهرة.

(١٤) الباقلانى (التمهيد) ص ١٣٧.

مكسيم رودنسون
وكتابه: جاذبية الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

حين كتبت كتابى «تأملات فى أزمة العقل العربى» وصدر ١٩٨١ وقر فى ذهنى آنئذ أن المشكلة الأساسية التى وراء أزمة العقل العربى هى غياب «الحوار» الفكرى عن متابعة رحلة اللقاء بين العرب والعرب، والعرب والعالم الإسلامى ثم بينهم جميعاً والغرب.

وراعنى، فى غياب الحوار، افتقادنا إياه على كافة المستويات، فالغرب كما قدمنا يرى أولوية نوذجة الأوروبى وتفوقه، وعنصريته وعرقيته وتلك هى فى نظره أولويات أساسية وعليها ينى أهداف الحوار. والشرق موصوم لديه بالدونية وبلادة الذهن والبداوة وعدم التحضر. وعلى هذا التصور تكون ظواهر الأزمة واضحة، وقائمة، يختلف أهل الرأى فى تفسيرها من مستشرقين وغيرهم من العرب.

لذلك كانت مسألة التفاهم تحتاج إلى أسس منهجية تطرح عليها القضية من جديد.

من هنا وجدت ثمة محاولة جديدة للحوار تبناها «مكسيم رودنسون» وأنا أطالع كتاب «الاستشراق بين دعاته وخصومه» اختار أبحاثه وترجمها ووحد بين موضوعاته من بين بحوث لكبار المستشرقين وهم:

محمد أركون، مكسيم رودنسون، آلان روبنسون، بيرنارد لويس، فرانسيسكو غابرييلى، كلود كاهين. وقام بإعدادها وترجمتها هاشم صالح. وتحدث عن الدافع الذى دفعه إلى القيام بهذا الجهد العلمى الرائع الذى يتحدث بجدارة عن متابعة ثقافية تعالج هما من هموم دارنا العقلية. ومازلنا ننقسم حول قضية الاستشراق ماله وما عليه. ويرى صاحب الكتاب أن قضية الاستشراق حولها سوء فهم، وخلل فى الرؤية، ربما كان مرد ذلك إلى أن المسألة لم تطرح من بابها السليم ولم تركز على الأسس التى ينبغى أن ترتكز عليها وبالتالى فلم نستطع أن نصل إلى نتائج مجدية أو حاسمة.

وكما قلنا سابقاً لا ينبغى أن نظن أن التاريخ يعطى نفسه بسهولة، ولا ريب فى أن العنتريات والمواجهات المكشوفة فى ظل اختلال كامل فى موازين القوى هى آخر ما يقودنا إلى دخول حلبة التاريخ. وربما كان أعداء الحوارات العلمية هم الذين يدفعوننا بشكل مباشر أو غير مباشر إلى تلك المناطحة. لذلك يقول الأستاذ هاشم صالح: إنه من أجل توضيح الصورة «رأيت أن من الضرورى أن يكون للجهة الأخرى - أى المستشرقين - حق الكلام، لقد آن الآوان للانتقال من الموقف الدفاعى التسجيلى أو الهجومى المتطرف إلى موقف المسئولية العقلية والنضج الثقافى ولذا قمت بعملية اختيار لبعض نصوص المستشرقين وجمعتها بعد أن ترجمتها وقدمت لها وأوضحت حيثياتها وسياقها».

ومما لفت نظرى من تلك الأبحاث: محاولة مكسيم رودنسون فى تبنى رؤية جديدة تتحرى الدقة الموضوعية فى تقييم وضع الاستشراق المختص بالدراسات الإسلامية: مكتسباته ومشاكله وما عليها من خلال استعراضه لتاريخ الدراسات المتراكمة لدى الاستشراق عن الشرق والإسلام فى الغرب من خلال كتابه: «جاذبية الإسلام».

أزمة اللقاء بين الاستشراق والإسلام فى نظر مكسيم رودنسون

١ - مكسيم رودنسون

يعتبر مكسيم رودنسون واحداً من أهم المستعربين إن لم نقل المستشرقين فى فرنسا، وقد أصبح على مدار الثلاثين سنة الماضية غنياً عن التعريف بالنسبة للقارىء العربى. فقد ترجمت معظم كتبه إلى لغتنا ودعى إلى مختلف العواصم للمحاضرة فى جامعاتنا والالتقاء بمثقفيها إن لم نقل وسياسييها. من أشهر كتبه: الإسلام والرأسمالية «١٩٦٦»، الماركسية والعالم الإسلامى «١٩٧٢» محمد «١٩٧٩» الطبعة الأولى تعود إلى «١٩٦١»، العرب «١٩٧٩»، جاذبية الإسلام «١٩٨٠، ١٩٨٩» هذا بالاضافة إلى مقالات عديدة ومهمة فى مختلف المجلات الاختصاصية من فرنسية وانجليزية. وكنا أخذنا عليه حين كتب عن الرسول مبكراً عدم الموضوعية التاريخية والتطاول المستفز على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم حين وصفه بـ«النبى المسلح» «على اليهود العزل» ثم بعد رحلة طويلة مع الإسلام والعرب جعلته يعيد النظر فيما كتب ثم أفرغها فى كتابه: جاذبية الإسلام.

يعرض مكسيم رودنسون فى كتابه: «جاذبية الإسلام» لقضية اللقاء بين الاستشراق والإسلام ومن خلال دراساته إلى تحديد مناط الخلاف - كما يقول الفقهاء - فيعرض للأزمة وظواهرها وقد لخصناها لعرضها وتقويمها وهى ولا شك رؤية جديرة بالنظر إليها من المثقفين العرب وهى كما يراها.

٢ - ظواهر الأزمة:

يحكم عمل المستشرقين نوعان من المناهج ويقعان على طرفى النقيض ويثيران بينهما

أزمة كبرى فى ساحة الاستشراق، أو فى ساحة الدراسات الإسلامية والعربية لديهم.

● هناك نوع من المستشرقين الذين يأخذون بالمناهج العقلية الجديدة التى تتحرى الدراسة الموضوعية والتيارات الجديدة للأفكار ويقفون من الدراسات الإسلامية موقفاً عادلاً منصفاً.

● وهناك نوع آخر منهم يقف عند المناهج العقلية القديمة التى كانت تساير الاستعمار ولم يزل يقف من الدراسات الإسلامية موقفاً عدائياً، وهذا ما يقيم فجوة بين الصنفين من الاستشراق الغربى. ويقف بين تخاصم المنهجين: القدماء والمحدثين من المستشرقين صنف آخر، وهو دخول المتخصصين الذين ينتمون إلى البلاد المدروسة، تلك التى عانت من الاستعمار أشد المعاناة، واشتد سخطها عليه فهم له كارهون، إلى ساحة البحث العلمى الأوروبى لأول مرة بعد استقلال بلادهم وسفر أبنائها إلى الغرب للدراسة. بعضهم جرفتهم أضواء الحضارة الأوروبية ومالوا إليها كل الميل غير عابئين بقضيتهم الوطنية فلم يفرقوا بين مطلبهم العلمى، ومطلبهم الوطنى. وقبلوا مناهج الاستشراق بما له وبما عليه.

وبعض آخر، جرفتهم نزعتهم الرافضة للاستعمار إلى رفضهم مناهج الاستشراق سواء الذى واكب الاستعمار أو الذى لم يواكبه بل رفض كل مكتسب علمى باعتباره من وجهة نظرهم، ملوثاً بالعقلية المركزية الأوروبية والعقلية الاستعمارية. وتحت ضغط تاريخ الاستعمار الأشد حلكة من الليل تشتد الحدة وتشتد الأزمة وتتجمد بنوع من المقاومة العمياء والتحجر العقلى بين الطرفين.

غير أننا نرى - أى مكسيم رودنسون - أن السبب فى عدم التفاهم بين الطرفين يرجع إلى أمور عارضة فى التاريخ السياسى والتاريخ الثقافى، فأصحاب البلاد المدروسة كانوا قد تكونوا علمياً على مناهج الاستشراق القديم، فعمموا كراهيتهم لغطرسة الاستعمار وأحكامه الظالمة على الشعوب وتراثها، ومساعدة الاستشراق القديم له، وتعميم أحكام التاريخ السياسى وهو التخلف والفقر والجهل، على التاريخ الثقافى، وهو غير التاريخ السياسى، إزدهار فكرى ونضوج فلسفى وعلمى وحضارى نراه قد عمم حكمه السياسى ووصفها هى الأخرى بالهمجية والتخلف فخلف لدى الشعوب وأبنائها كرها له وسخطاً عليه.

ومما يحسب للاستشراق الحديث، كما يرى مكسيم رودنسون، أنه هو الذى رفع رايات النقد والمعارضة وأثار الشكوك والشبهات حول منازع الاستشراق القديم ومناهجه ووصفه بأنه غير جدى فى بحوثه وغير جدير بلقبه العلمى، غير أن بعض الدارسين القوميين من البلاد المدروسة كانوا دائماً ينظرون بارتياب كبير تجاه مناهج

الاستشراق ولم يتحروا الدقة فى تمييز مواقف مدارس المستشرقين وهى مواقف ينبغى المكوث عندها بأناة حتى يتميز الخبيث من الطيب. فبعض منهم مازال يحتقر المنهجيات الجديدة والمكتسبات العلمية الجديدة وقد تركبهم عصبيتهم فتزيدهم نفوراً فى مواقفهم، ولا يتريثون حتى يميزوا بين الخبيث والطيب ابتغاء إحقاق الحق فى فرز أعمال المستشرقين قبل أن يسيؤا فهمها ويحتقرونها ويقعون تحت سطوة الأحكام العامة.

٣ - إشكالية المصالحة:

وسط هذه العصبيات الفكرية تجاه دراية الغرب بالإسلام والمواقف المشحونة بالمزايدات الانفعالية من قبل مفكرى الإسلام يقدم «مكسيم رودنسون» وجهة نظره، هدفها التواصل الثقافى بين الغرب والإسلام، التى تقوم على الحوار الفكرى الموضوعى من غير انفعال يشوبه، وهو طريق صعب شقه وسط مصاعب وأشواك بين فعل العرقية الأوروبية ذات التاريخ الاستعمارى الكريه وبين رد فعل القوميين أصحاب البلاد المدروسة الذين يرفضون مناهج الاستشراق رفضاً تاماً أو الذين ارتموا فى حضن الاستشراق، كذلك ينبغى علينا من أجل نجاح الحوار ويأخذ شكله الجدى الموضوعى بين الغرب والإسلام علينا أن نتصافى ونصفى الجو الفكرى من وباء العصبيات وردود الأفعال المتشنجة، إذ هى تعوق أصحابه من التعرف على المكتسب العلمى الذى خلفه المنصفون من المستشرقين الذين أنصفوا أنفسهم ودراستهم واتسمت مواقفهم بالموضوعية.

يضاف إلى ذلك - كما يرى - أن الارتياب الأسود جرف أهل البلاد المدروسة فلم يعد يشككهم فى الاستشراق القديم وحسب بل تجاوزوه إلى «قضية الاستشراق» بينما هم فى الغالب لم يتخلصوا بعد من تأثير المناهج البالية، وكان عليهم أن يتخلصوا منها قبل لينظروا من جديد نظرة إنصاف وعدل وعلى أساسها يكون حكمهم. من هنا يكون الخلاف الواقع ليس حول الأبحاث العلمية بقدر ما هو خلاف حول رؤى استثنائية واكتب فترات تاريخية استثنائية مازال بعض من المستشرقين غرقى فيها، وفى المقابل نرى خط الدفاع الإسلامى يقود ثورات الغضب فيه ضد الغرب الذين لا يزالون متأثرين بتاريخ الاستعمار الكريه الأسود.

ويرى مكسيم: وهؤلاء هم الذين يقدمون أنفسهم، تجاوزا الناطقين الرسميين باسمه أى باسم شعوب العالم الثالث وبخاصة الشعوب العربية والإسلامية. وهم أحياناً عبارة عن مجرد مغامرين ثقافيين يعرفون كيف يستغلون المنعطف التاريخى المضاد للاستعمار لصالحهم. فى هذا الجو المشحون بالغضب لا نستطيع التعرف على الدعوة الجامعة بين الشهود العدول من الطرفين وتلك هى مشكلة المصالحة.

٤ - منازع الإستشراق في دراسة الإسلام:

إن دراسة النظام الإسلامى مازالت تلقى جدلاً بين المستشرقين فهناك من يدرسه بروح المودة والتعاطف، ولا تزال تلك النزعة متواصلة فى أوروبا من قبل علماء ينتمون إلى مختلف الاتجاهات الروحية، بما فيهم العلماء المسيحيون الذين يطبقون العقلانية من أمثال «لويس غارديه»، وجورج قنواتى، هنرى لاوست جاك بيرك، فهؤلاء العلماء بسبب تكوينهم العلمى والدينى وبسبب تخصصهم ميالون بطبيعة الحال إلى تبنى الرؤيا العقدية فى نظرتهم لمختلف أنواع الظواهر ويزداد هذا التوجه رسوخاً إذا ما علمنا أن حياتهم الدينية الخاصة هى ذاتها موجهة نحو هيمنة الروحانية الدينية أو حتى الصوفية عليهم. ولكن كما يقول مكسيم رودنسون على الرغم من ذلك فإن الجزء الأكبر من بحوثهم وتحليلاتهم يمكن أن يقبل حتى من قبل الباحثين ذوى التوجه الفكرى المختلف تماماً عنهم، أما الشيء الذى ننتقده بشكل أكثر فى أعمالهم، فهو محاولتهم نشر وتعميم إشكاليتهم ورؤياهم لكى تشمل الإسلام وظواهر أخرى دينية بالمعنى الحرفى للكلمة، بينما الإسلام نظام مختلف عن النظم الأخرى يتشابه معها فى أشياء ويفترق عنها فى أكثرها.

ومازالت تلك النزعة سائدة وتشمل قطاعاً واسعاً ومهماً من المستشرقين، وهى وإن كانت تمثل التيار المضاد للاستعمار وللعرقية المركزية. كما تمثل الاتجاهات المسكونية للمسيحيين «الذين يشعرون بالذنب بسبب الأضرار القديمة التى سببوها للمسلمين» أقول - آى رودنسون - إن هذه الموجة السائدة حالياً وهى سيادة الأدبيات التبجيلية الإسلامية حالياً قد جعلت أى نفوذ للعقائد أو للشعائر الإسلامية «الممارسات الدنيوية للمجتمع الإسلامى» بمثابة السقوط فى حمأة الموقف الاستعمارى، أى موقف الهيمنة والاحتقار الذى كان سائداً فى المرحلة الاستعمارية السابقة. وقد زاد من هذه الظاهرة، ذلك التراجع العلمى عن بعض قضايا إسلامية توصل إليها مستشرقو المرحلة السابقة عن «التاريخ المقدس» الإسلامى وعن كيفية جمع القرآن بالدرجة الأولى كانت تعتبر سابقاً بمثابة المكتسبات النهائية للعلم ولكنها أصبحت الآن عرضة للتشكيك فى الغالب وخضعت لتعليقات جديدة وفق مصادر جديدة.

***

الإسلام قضية عادلة فى يد محامٍ فاشل! والمُدَّعُون عليه مُزورون

٢

للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى

رأينا فى المقال السابق، كيف فشل المسلمون المعاصرون، الذين شبههم الشيخ محمد الغزالى بالمحامى الفاشل فى عجزهم عن الدفاع عن الإسلام رأينا كيف فشلوا فى مجال ظاهرة «الرق» والقضاء على هذه الظاهرة على يد الإسلام بما أنزل الله فى كتابه العزيز من آيات حكيمات، عالج فيها تلك الظاهرة علاجا حكيما، ثم جاء الغرب فى العصر الحديث، وعزا القضاء على ظاهرة «عبودية البشر للبشر» إلى الحضارة الغربية الحديثة، متمثلة فى وثيقة حقوق الإنسان، التى أصدرتها منطمة هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية.

ولم يقف دور خصوم الإسلام عند حد هذه الفرية: فرية أن حضارة أوروبا الحديثة، بعد قيام الثورة الفرنسية، وهى صاحبة هذا الفضل على الإنسانية وليس الإسلام.

لم يقفوا عند هذا الحد، بل إن كثيرا من كتاب الغرب ومفكريه ادعوا أن الإسلام نفسه هو المسئول عن انتشار ظاهرة «الرق» وكون الإنسان أصبح فيها سلعة تباع وتشترى كما تباع الأبقار والحمير والبغال والنعاج والخراف؟

وفشل المسلمون عن إنصاف الإسلام فى هذه الظاهرة وصمة عار فى تاريخهم الحديث. وإن كان قليل منهم قد أجاد وأحسن فى إنصاف الإسلام فى هذه الدعوى وغيرها، مثل الأستاذ الدكتور على عبدالواحد وافى رحمه الإسلام فى كتابه القيم «حقوق الإنسان فى الإسلام» والأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه المعروف «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه».

ومع جودة ما كتباه فإنه لم يقض على ما قرَّ فى أوهام الناس من تصديق الفرية الأوروبية، التى يناصرها ويروج كثيرون من حملة الأقلام منا - نحن العرب والمسلمين- إما جهلا بالإسلام، وإما تجاهلا وتحاملا عليه، لحاجة فى نفس يعقوب.

وأشد ضرراً من فشل مسلمى العصر -المحامى الفاشل- فى هذا المجال، فشلهم فى مجال آخر أوسع نطاقًا من ظاهرة «الرق» وأقوى سلطانًا.

إنه مجال عدالة نظام الحكم، أو «الديمقراطية» أوروبا بعد الثورة الفرنسية، التى قضت على استبداد الحكم فى الغرب، ممثلا فى سلطة رجال الدين فى المجال الروحى، وعلى سلطة الملوك والإقطاعيين، والثنائية التى نتجت عنهما:

● رجال الدين يملكون روح الإنسان وقلبه.

● والملوك يملكون جسد الإنسان وعقله وعرقه، هذه الثنائية هى أخطر محنة تعرض لها الإنسان الأوروبى فى القرون الوسطى، حتى منتصف القرن الثامن عشر، حين حلت الفلسفة العقلية محل سيطرة النصوص الدينية المحرفة التى كانت تحميها الكنيسة وتباركها، ثم حلت الفلسفة الوضعية المادية على يد أوجست كُنْتْ، ثم تبناها مشعلوا الثورة الفرنسية، وأخرجوها من حيز النظر والفكرالمجرد، إلى مجال التنفيذ والتطبيق العملى، ولهذا كان شعارهم الذى يرددونه وهم يواجهون سلطتى رجال الدين والملوك:

أشنقوا آخر ملك، بأمعاء آخر قسيس.

●●●

منذ ذلك الوقت اعتقدت أوروبا الحديثة أن عدالة نظم الحكم أو «الديمقراطية» صناعة أوروبية خالصة، نظريا وعمليا، فقها وتطبيقا، وتدعم دعواها هذه بنظرية جان جاك روسو، التى تقوم على مجرد وَهْم توهمه، وخلاصة نظريته:

إن الفوضى والظلم كانت سائدة فى المجتمعات البدائية بين الناس، فالقوى يبطش بالضعيف، والكثير يظلم القليل، ولم تستطع الأديان، حتى الصحيح منها أن تحل هذه المشكلات، فاهتدى الناس إلى أن يختاروا واحدا منهم يسوسهم على نظام يصنعونه هم، ويكون الذى يختارونه هو المسئول عن تطبيقه على كل الناس فإذا انحرف عزلوه، ونصبّوا من هو أصلح منه هذا الوهم هو أصل النظام أو الفكرة «الديمقراطية» فى العرف السياسى المعاصر، حتى فى المجتمعات العربية والإسلامية. وفى أوروبا يطلقون على نظرية جان جاك روسّو مصطلح:

«إنجيل الثوار» أى الذين قاموا بالثورة منذ أكثر من مائتى سنة بقليل.

وسلمنا نحن -العرب والمسلمين- لأوروبا بصحة هذه الدعوى، وأن «الديمقراطية» هى صناعة أوروبية خالصة. وهى أساس العدالة المطلقة فى الحياة!!

كذلك لم يقف الافتراء على الإسلام عند هذا الحد: أنه لم يعرف شيئا عن عدالة نظم الحكم «الديمقراطية» بل أضافوا إلى ذلك أن نظام الحكم فى الإسلام نظام شمولى مضطرب، وعزف على هذا الوتر كثير من العلمانيين والحداثيين فى البلاد العربية والإسلامية وما يزالون يرددون هذه الافتراءات حتى هذه الآونة، والله -وحده- يعلم ما يحمل هؤلاء فى طواياهم من حقد وعناد للإسلام، أو جهل أو جهالة، والرأى العام العربى والإسلامى وقع ضحية لهذه الفرية، وفى الاحتفال بمرور مائتى عام على الثورة الفرنسية من يصف «باريس» بأنها «مدينة النور» هكذا، وممن قال هذا مسئولون كبار فى الوطن العربى.

ومن شأن هذا الإجلال «الأعمى» أن يطمس الحقيقة فلا يكاد يراها أو يسمع بها أحد، وخاصة قطاعات الشباب؟

وهذا كله تزوير لا أساس له، فالإسلام هو صاحب الفضل فيما فى النظام الديمقراطى من محاسن مع براءته الجلية مما فى النظام أو النظم الديمقراطية المعاصرة من مساوىء وعيوب ترتب عليها خلل جسيم فى واقعيات النظم الديمقراطية المعاصرة، فى المناهج النظرية، وفى التطبيقات العملية فى الشرق والغرب على حد سواء. إلا ما شاء الله له العصمة. وقليل ما هم.

وكما نعلم أن جوهر الديمقراطية هو حكم الشعب للشعب. وهذه العبارة مأخوذة من عبارة اليونان القدماء وهى:

« ديمو- كريت » أى حكم الشعب للشعب. أى أن الشعب هو الذى يحكم نفسه، لا حكما مباشراً، بل بمعونة النواب الذين يختارهم الشعب عن إرادته الحرة المباشرة.

إن ما فى النظم الديمقراطية من محاسن قد سبق إليه الإسلام سبقا غير قابل للنزاع والجدل، ولا يقدح فى ذلك أن اليونان القدماء قد عرفوا هذا النظام قبل الإسلام، فإن اشراك الشعب فى الحكم عند اليونان كان صوريا ومخادعة، فهم كانوا يختارون أفراداً من رؤساء العشائر والطبقات إرضاء لمن يرأسونهم كما يقول الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه «الديمقراطية فى الإسلام» مع بذل العطاء لأولئك الرؤساء المختارين، ولم يكن لدى اليونان مبدأ دستورى يحترم العدالة، ويتوخى الوسائل المحققة لها بين جميع الطبقات.

ولما جاء الإسلام كانت نظم الحكم فى شبه الجزيرة العربية والأطراف المتاخمة، وفى إمبراطوريتى الفرس والروم ترجع إلى رؤساء القبائل والعشائر فى شبه جزيرة العرب.

أما فى إمبراطوريتى الفرس والروم فكان الملك وأقرباؤه لا يرون للرعية أية حقوق عليهم. أما هم فلهم على الرعية كل الحقوق، وكانت الشعوب أشبه ما يكونون بعمال السخرة، يقومون بكل الأعمال التى تحقق السعادة لأسيادهم من العائلات الحاكمة.

وكان الناس ينقسمون طبقات عليا ودنيا ومتوسطة فالطبقة العليا التى تستبد بشئون الحياة وهى طبقة الحكام وأسرهم، والطبقة المتوسطة هم القائمون على توفير السعادة للملوك وعائلاتهم.

أما الطبقة الدنيا فهم عامة الشعب الكادحون، الذين يعملون فى فلاحة الأرض وما اتصل بها من أنشطة لتدر فى قصور ومرافق الحياة للأسر الحاكمة.

وقد أفاض الدكتور على عبدالواحد وافى فى مقدمة كتابه « حقوق الإنسان فى الإسلام » فى وصف هذه الطبقات ومدى ما أصاب الطبقة الدنيا من أضرار، وانعدام لصفاتهم الإنسانية التى فطرهم الله عليها. وحرمهم منها الأكاسرة والقياصرة والأباطرة. حتى أحيلت حياتهم إلى قهر واضطهاد يذيبان الصخور.

لقد مورس النظام الديمقراطى منذ فجر الإسلام المبكر فى حياة صاحب الدعوة ﷺ كما أرسى قواعد ذلك النظام القرآن الكريم ومما هو معروف الآن أن النظم الديمقراطية تقوم على مبدأ هو الأساس الأعظم فيها، وهو مبدأ الشورى فى غير مجالات التبليغ عن الله. وفى ذلك قال الله لرسوله الكريم:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(١)

كما وصف الرعيل الأول من المسلمين، وكل من نهج نهجهم من بعدهم فقال :

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾(٢).

وقرن امتداحه إياهم على تمسكهم بالشورى بثلاثة أمور هى أساس الإيمان والإسلام، وهى :

● الاستجابة لله .

● إقامة الصلاة .

● الإنفاق الواجب (الزكاة) وغير الواجب طاعة لله ورسوله :

« والذين استجابوا لربهم، وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم، وفثيما رزقناه ينفقون » .

كما كرر القرآن الحث على تحقيق العدالة بين الناس مهما تفاوتت أوضاعهم، حتى لو كانوا خصوما شديدى العداء للمسلمين، ودعا إلى عدم التأثر بالحب أو البغض تجاه الخصوم فى إصدار الأحكام .

واعتبر أعمال العاطفة أو الهوى ضلالا يستحق صاحبه سواء المصير .

ففى مجال الفصل بين الأفراد أنزل الله الضوابط الصارمة الآتية :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(٣) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾(٤) .

والشنآن هو البغض والكراهية

أما فى مجال جماعات الخصوم، المعادين للإسلام، بل المحاربين له فعلا، المتربصين به الدوائر، فقد شدد القرآن فى إنصافهم وإعطائهم حقوقهم والأصل فى ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ﴾(٥) .

أى لا يحملنكم عداؤهم إياكم أن تظلموهم وتعتدوا عليهم .

أما التطبيق العلمى فى حياة النبى ﷺ فمنه :

● استشارة النبى أصحابه فى التصرف فى أسرى غزوة بدر، قبل أن ينزل فى شأن الأسرى - عموما - حكم فى القرآن الكريم .

---

(١) آل عمران (١٥٩).
(٢) الشورى (٣٨).
(٣) النساء (١٣٥).
(٤) المائدة (٨)
(٥) المائدة (٢).

● استشارة النبى أصحابه فى الخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة فى غزوة أحد، أو البقاء فيها يدافعون عنها من الداخل.

● العمل برأى أحد الصحابة فى المكان الذى عسكر فيه المسلمون لملاقاة المشركين فى غزوة بدر، وكان هذا الرأى يختلف عن رأى رسول الله ﷺ، لكنه ﷺ عمل به لما رآه أكثر نفعا من الرأى الذى رآه هو ﷺ. عرض الأمر على أصحابه فى التعرض لعير قريش قبل العزم على التصدى لقريش فى غزوة بدر نفسها.

● كثرة ما كان يقول ﷺ لأصحابه «اشيروا علىّ أيها الناس».

وهذا كان فى غير أمور التبليغ والتشريع، فهما ليسا من مجالات الشورى لقوله عز وجل:

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾(٦).

وهكذا سلك أصحابه من بعده، فما كان يستبد بإدارة شئون المسلمين فرد واحد قط.

وقد تجلت ممارسة الديمقراطية عقيب وفاة النبى ﷺ، وبرز الوعى الفطرى بها عند الصحابة -رضوان الله عليهم- فقد هرعوا إلى اختيار والٍ لشئونهم قبل أن يواروا الجثمان الطاهر فى مثواه الأخير، ولأهمية هذا الاختيار وجثمانه الطاهر مايزال بين أيديهم.

وكان اجتماع سقيفة بنى ساعدة أول عمل ديمقراطى بعد حياة صاحب الرسالة.

وقد برزت فى هذا الاجتماع ثلاث نظريات سياسية:

● أن يكون الخليفة من المهاجرين.

● أن يكون الخليفة من الأنصار.

● أن تكون الخلافة بين المهاجرين والأنصار، أمير من الهاجرين وأمير من الأنصار.

ثم سرعان ما استبعدوا نظرية الانقسام وأجمعوا أن يكون الخليفة واحدا لا اثنين.

كذلك أجمعوا بإرادة حرة على أن يكون الخليفة من المهاجرين.

ثم رشحوا لها ثلاثة من كبار المهاجرين:

أبوبكر وعمرو وأبوعبيدة بن الجراح، الذى وصفه الرسول بأنه «أمين هذه الأمة» لكنه تنازل عن ترشيحه، فبقى الأمر بين أبى بكر وعمر، وأخذ كل منهما يفضل الآخر على نفسه. فانحصر الترشيح فى أبى بكر فأسرع الناس إلى مبايعته، وكان أولهم عمر بن الخطاب -رضى الله عنه.

وكانت مبايعة الصحابة لأبى بكر علنية، لم يتخلف منهم أحد إلا سعد بن عبادة، لأنه كان يرى أنه أحق من غيره بها ولكن لم يبايعه أحد، حتى قدمه الأنصار.

●●●

---

(٦) الحجر (٩٤).

وقـد رسم أبوبكر فى خطابه للأمـة فـور اختياره خليفة لرسول الله ﷺ . . حيث بيَّن فى ذلك الخطاب :

● أنه وُلىّ على الأمة وهو فرد منهم وليس له خيرية على أحد منهم :

« إنى وليت عليكم ولست بخيركم » .

● إنصاف الضعفاء من ظالميهم الأقوياء « الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له . والقوى فيكم ضعيف عندى حتى أخذ الحق منه » .

● وجـوب طاعـتـه إذا أطاع هو الله ورسـوله، فـإذا لم يطع الله ورسـوله فـلا طاعة له عليهم .

وكان هذا البيان مع سلوكه فى إدارة شئون المسلمين وسلوك عمر من بعده . ثم عثمان – رضى الله عنه – والإمـام على من بعـده، مصدرا لما استقر عليه فقه الإمامة الدستورى الإسلامى .

● إن تعيين الإمام الأعظم (رئيس الدولة) لا يكون إلا بالإرادة الحرة من أبناء الأمة .

● إن الإمام الأعظم هو وكيل فعلى للأمة .

● إن من حق الأمة مراقبة الإمام الأعظم فى ممارسته لمهام الإمامة، وهى حراسة الدين، وسياسة الدنيا .

إن من حق الإمامة تقديم النصح للإمام الأعظم .

● إن من حق الأمة عزل الإمام الأعظم إذا ارتكب أخطاء جسيمة، ولم يستجب لنصح الأمة .

وهذا هو ما يسمى فى العرف السياسى الوضعى الحديث بـ« نزع الثقة » عن القادة الكبار إذا انحرفوا عن أداء الأمانة أو عجزوا عن تحقيق مصالح الأمة العليا أو جاروا وظلموا ظلما لا يحتمل .

● إذا عزلت الأمة واليا فهى صاحبة الحق وجدها فى تنصيب من هو صالح للأمة العظمى (رياسة الدولة) .

وهذا هو السند فى قولهم : الأمة مصدر السلطات فهل –ياترى– فى النظم الديمقراطية الوضعية الحديثة إجراءات أكثر مما ذهب إليه فقهاء الشريعة الإسلامية قديما وحديثا أكثر مما أقره الإسلام فى نصوصه التشريعية وتطبيقاته العملية عبر العصور؟

قد يقول قائل : نعم، فليس فى ما ذكرت منسوبا إلى نظام الحكم فى الإسلام أحزاب ولا معارضة، كما هو معروف فى النظم الديمقراطية الوضعية المعاصرة والإجابة على هذا ملخصها فى الآتى :

إن المعارضة كانت معروفة حتى فى حياة صاحب الرسالة ﷺ، وقد ذكرنا نماذج منها فيما تقدم ونضيف إليه نماذج أخرى من عصر الخلفاء الراشدين –رضوان الله عليهم .

● فبعد وفاة الرسول مباشرة حدثت المعارضة لنظرية انقسام أمر المسلمين إلى خليفتين لما فى ذلك من إضرار بمصالح الأمة . كما حدثت المعارضة لجعل الخلافة فى الأنصار دون المهاجرين .

وحدثت المعارضة لأبى بكر رضى الله عنه فى شأن عزمه على محاربة المرتدين وكان

أشدهم معارضة له عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- ثم حُسم الأمر لما بين لهم أبو بكر -رضى الله عنه- سلامة ما عزم عليه، وذكر لهم فى ذلك حديثا عن رسول الله ﷺ وما لبث الصحابة جميعا طويلا حتى أجمعوا على رأى أبى بكر -رضى الله عنه.

كما حدثت المعارضة لأبى بكر لما جعل أسامة بن زيد قائدا لجيش كان قد أعده رسول الله ﷺ لمواجهة الروم، وكان أسامة أصغر سنا (١٨ عاما).

وقد تمسك أبوبكر -رضى الله عنه- بأن رسول الله هو الذى عين أسامة قائدا قبل وفاته فكيف يعزل أبوبكر مَنْ ولاه رسول الله.. وأنفذ أبوبكر بذلك أمر الرسول بدون خلاف.

فالمعارضة مشروعة فى الإسلام، والحجة فيها تقارن بالحجة أما العمل فيكون بالصواب أو الأصوب وهناك فرق واضح بين المعارضة فى نظام الإسلام وبين المعارضة فى النظم الوضعية الحديثة، فالمعارضة فى نظام الإسلام لم يكن فيها أحزاب تبحث العيوب، أو تفتريها إذا لم تجدها بقصد التشهير.

والمعارضة فى الإسلام كانت تريد أن تصل إلى ما هو حق وصواب فإذا تبين الحق والصواب فالجميع مؤيدون مناصرون.

فالإسلام هو أبو النظم العادلة، أقر هذه العدالة قبل أن يولد الغرب وحضاراته ومع هذا فإن الحق الأبلج تسلبه أوروبا من الإسلام - ونحن أربابه- ثم تعجز الأمة- المحامى الفاشل- الآن عن الجهر بحق الإسلام، وتسلم وهى مقهورة أو عاجزة لخصومها بشمولية نظام الحكم فى الإسلام واضطرابه وعشوائيته.

●●●

هذا الفشل الفكرى الأدبى، الذى تسبب فيه «المحامى الفاشل» عن الإسلام «الأمة» أوقع العالم الإسلامى -الآن- فى مخالب الغرب الصليبى، ومنح الغرب فرصا ذهبية لفرض الحضارة الغربية المادية على واقع الحياة فى الشرق أو الجنوب الإسلامى، الذى بدأه الغرب أو الشمال الصليبى منذ احتلال الهند من قبل الإنجليز عام ١٨٥٧م واحتلالهم مصر عام ١٨٨٢م.

ولكنه الآن دخل مرحلة الفرض بالسلاح الأمريكى الأخضر «الدولار» فإن لم يفلح السلاح الأخضر، فلا مناص من استعمال السلاح الأحمر.. الحرب المسلحة.. وفى إطار هذا الاتجاه أعلن كولن باول وزير خارجية أمريكا مشروع الولايات المتحدة لإجراء إصلاحات ديمقراطية فى دول الشرق الأوسط (العرب) تشمل هذه المجالات: السياسية- الاقتصادية- التعليمية- الثقافية- العقائدية.

بالسلاح الأخضر أولا. وبالسلاح الأحمر ثانيا ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

***

قيم التقدّم ومعايير الثقافة العلميّة الإسلامية

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

من يستقرئ التاريخ الإنسانى فى مساره الطويل، منذ آلاف السنين، مذ كان الإنسان يقدح حجر الصوان لاستخراج الشرر، حتى وصوله إلى تفجير الطاقة من الذرة، واكتشافه أثناء ذلك أن فكرة «التقدم» تعنى أن يكون الحاضر أفضل من الماضى، وأن يكون المستقبل أفضل من الحاضر، سوف يجد أن حصاد هذه المسيرة الوعرة لم يكن ليتحقق إلا بعثوره على «كلمة السر» المتمثلة فى منهج النظر السليم، سواء فى مجال التفكير العلمى، أو فى مجال الحياة على نطاقها الواسع. وكان هذا المنهج العلمى الذى دلت عليه تعاليم الإسلام الحنيف بمثابة حجر الزاوية فى منظومة القيم التى بنى عليها الإنسان ثقافته ورسمت له خطى التقدم والتطور. فمنها يستبصر آفاق النجاح، وعنها تتفرع أغصان الحضارة. بل إن استمرار حضارة ما أو اندثارها إنما يتوقف على جانب القيم وجانب الأفكار السائدة التى لها قوة التوجيه والدفع إلى الأمام، والتى تحدد العلاقة الوثيقة بين تنمية الإنسان وانتمائه.. إذ النماء والانتماء صنوان، فهما بمثابة السبب ونتيجته. ولطالما أكد علماء التربية على وجود هذه العلاقة الوثيقة بين تنمية الإنسان حضاريا وبين انتمائه فكريا وعقديا. وتدلنا حقائق الواقع المعايش وتجارب الخبرة الإنسانية على أن المجتمع القادر على تحقيق التوافق والانسجام بين حركة الحياة الواقعية وبين النسق الفكرى الموجِّه لهذه الحركة هو القادر فى ذات الوقت على احتضان الفكرة الصائبة واستثمارها حضاريا بما يحقق الخير والتقدم، سواء كانت هذه الفكرة فى مجال العلم أو التقنية أو الاجتماع أو الاقتصاد أو غير ذلك من مجالات النشاط الإنسانى.

وهكذا أصبح فى حكم المؤكد والثابت أن هناك أعمدة رئيسية يقوم عليها بنيان الحضارة.. ويضاء بها قنديل التقدم، ألا وهى منظومة القيم التى تؤثر فى حياة البشر وسلوكياتهم، وتحدد شكل العلاقات الاجتماعية وأنماط التفاعل الإنسانى. وهى صمام الأمان داخل التجمعات البشرية. وتمثل هذه القيم أدوات الضبط الاجتماعى ومحركات السلوك، وتفرز آليات الاستقرار والتوازن فى المجتمعات البشرية. وإذا تعرضت هذه المنظومة القيمية إلى هزات أو تحولات، أو انتابها نوع من الخلل، تدهورت أحوال البشر وعم الفساد فى الأرض، وشعر الناس

بفقدان التوازن وعدم الثقة وضياع الرؤى، وانتابت المجتمعات البشرية حالات من الإحباط والعجز والقلق والتوتر وعدم الرضى، وشاعت بين الناس حالات من التردى والوهن، وسادت الفوضى الأخلاقية والسلوكية، وفقد النظام الاجتماعى قدرته على الاستمرار، وظهرت حالة من « اللامعيارية » يضيع معها الشعور بالإنتماء، ومن ثم تتعطل معها حركة التنمية والنماء، وتظهر أنماط معاكسة من القيم السلبية المتمثلة فى صور التقليد الأعمى والتعاون السلبى والحوار التصادمى (ثقافة العنف) وافتقاد مقومات الدقة والإتقان والأمانة وغيرها.

وإذا كانت القيم السائدة فى مجتمع ما هى جزء لا يتجزأ من ثقافة هذا المجتمع، وهى التى تحدد للإنسان ما يجوز له فعله بالمعلومات التى يجمعها والقوانين العلمية التى يتوصل إليها، مثلما تحدد معايير السلوك فى تعامل الناس مع بعضهم البعض فإن هذا يعنى أن صياغة معنى « الثقافة » ومعاييرها لا تكتمل إلا بوجود قيم الحق والخير والجمال، وفى هذه الحصيلة تكمن القوة الدافعة للفكر الإنسانى بأن يفعل شيئا معينا ويحجم عن فعل شىء آخر. ولو لم يدرك الإنسان - منذ خرج إلى نور التاريخ - أن فكرة « التقدم » وثيقة الارتباط بمدى فهمه لحقائق الكون والحياة بالقدر الذى يتناسب مع ما يكتسبه من خبرات وما يحصله من معارف، وبالصورة التى تلائم قدرته على التكيف مع ما يحيط به من ظروف خلال المرحلة التى يمر بها من تاريخه المحدود فى هذا الوجود، ولو لم يكن مدركا قبل هذا كله دور القيم الإيجابية الفاعلة فى تحقيق أقصى فائدة ممكنة من علومه التى جاءت ثمرة لنشاطات العقل فى مختلف مجالات المعرفة، ولو لم يفطن أيضا بفطرته النقية إلى العلاقة المتبادلة بين العلم والقيم التى لها هى أيضا قوة الدفع نحو الأنفع، وأنها - شأنها شأن النماء والانتماء - بمثابة السبب ونتيجته، لولا هذا كله لتعثرت مسيرة الحضارة، ولضلّ الإنسان طريقه نحو الارتقاء والتطوير واستبصار آفاق النجاح على مراحل تاريخية متعاقبة.

وإلى جانب المنهجية العلمية السليمة فى النظر والتفكير، كعنصر أساسى فى منظومة قيم التقدم، تأتى قيمة « الهدف الأسمى » لمعرفة الحق والحقيقة فى أعماق النفس الإنسانية وفى آفاق الوجود، وللوقوف على طبيعة العلاقة العضوية بين الذات والموضوع أو بين عالم الأفكار وعالم الأشياء. ففى غياب « هدف أسمى » يتجمد عالم الأفكار وعالم الأشياء، ويفقد كل منهما فاعليته الحضارية فى الإفادة من الملكات التى منحها الله - تعالى - للإنسان، والثروات التى سخرها جل وعلا لخدمة الإنسان ومنفعته فى هذا الكون. ومرة أخرى، عندما تختل العلاقة السليمة بين الأفكار والأشياء، أو بين الذات والموضوع، أو بين الإنسان والكون، كما أرادها الله - سبحانه وتعالى - فإن هذا لا يثمر مردودا حضاريا فاعلا يحقق ارتقاء الإنسان فكريا وعمليا. وهذه هى السمة الغالية للأمم فى عصور التخلف والانحطاط، حيث يكون للناس آذان لا يسمعون بها، وعيون لا يبصرون بها، وقلوب لا يفقهون بها، فيعرضون عن تأمل مشاهد الكون وآياته، ويصبح الاتصال بين الإنسان والأشياء اتصالا

سطحيا، فهو لا يرى من السماء إلا زرقتها، ومن الأرض إلا غبرتها.. وهى حالة لا تؤدى مطلقا إلى إثارة الأسئلة عن الأسباب والعلل، ولا تسفر أبدا عن قضايا ومشكلات تتطلب أحكاما وحلولا.. والتقدم العلمى والتقنى لا يتحقق إلا بمثل هذه الأسئلة والمشكلات.

وتكتسب «قضية القيم» عموما أهمية خاصة فى عصرنا بعد أن بدأ تيار «العولمة» يخترق الحدود والخصوصيات من خلال الفضائيات والشبكة الدولية للاتصالات (الإنترنت)، وأصبح الجميع مطالبين على وجه السرعة بتدارس إمكانية التعامل مع هذه العولمة ومواجهة آلتها الطائشة والعمل على ترشيد وجهتها بإعادة التوازن الطبيعى لقطبية الكوكب الذى نعيش عليه من أجل الحفاظ على ماهية الإنسان وإنجازاته الحضارية. وإذا كان الحديث عن الجانب القيمى والأخلاقى قد فرضته خلال العقود الأخيرة مشكلات عديدة أفرزتها ثورة العلوم الفيزيائية والبيولوجية المتطورة، وفجرتها تقنيات المعلومات والاتصال، فعلى قدر ما تضيف هذه العلوم والتقنيات إلى حصيلتنا المعرفية، وتزيد من قدرتنا على التحكم بالأشياء وتتيح لنا خيارات جديدة على الدوام، نجدها تثير أيضا قضايا جديدة تدور حول ما هو صواب وما هو خطأ. أما المعايير التى تحدد صواب الأمور أو خطأها فإنها تنبع من مصادر متباينة بشأن المبدأ الأخلاقى والموقف القيمى.

عند هذه النقطة تبرز واضحة جلية أهمية الدين فى حياة الإنسان. وتتفق الأديان جميعا على استنادها إلى موقف معين من القيم، ولعلها هى نفسها - أى الأديان - موقف قيمى صريح لأنها تحدد ما ينبغى للإنسان أن يقوم بعمله إزاء هذا الكون.. حيث يكبر الحكم على قيم الأشياء والأعمال بشعور ما يترتب عليها من ثواب، فثمة ما هو أسمى وما هو أدنى، ومتى عرف ذلك التدرج فى المنزلة، كان التزام المؤمن إزاءها بمواقف محددة. ومن شأن هذا التدرج القيمى أن يسلم إلى قيمة أعلى تكون منبع القيم جميعا، ومصدر السلطة والإلزام، وعلى هذا يكون الخلاص أو الفوز فى الدنيا والآخرة مصحوبا بمدى الامتثال للقيم الدينية والأخذ بما تأمر به واجتناب ما تنهى عنه.

ومن فضل الله علينا - نحن أبناء الأمة العربية والإسلامية - أن أمدنا بمنهاج إسلامى قويم، وأمرنا بالسعى فى ظله إلى تحصيل العلم وفهمه ونقده وتمحيصه دون أى قيد، ثم علينا أن نعرضه على قيمنا وحاجاتنا، فيكون لنا من بعد ذلك فيه رأى واختيار، على ضوء ما جاء فى شريعتنا الإسلامية الغراء.

وفى الإسلام، يعتبر الخطاب الإلهى والبيان النبوى هما الفيصل فى الحكم على الحسن والقبيح، وعلى المباح والمحرم، والحسن ما وافق الشرع واستوجب الثواب، والقبيح ما خالف الشرع ويترتب عليه العقاب فى الآخرة.. والله يغفر لمن يشاء.

ولقد قدمت الحضارة الإسلامية نموذجا رائعا لما ينبغى أن تكون عليه العلاقة بين عناصر ثلاثية «القيم والدين والعلم»، فقد نقلت حضارات

الأقدمين وتفاعلت معها - دون مانع من جنس أو لون أو عقيدة - ولخصتها وتمثلتها وطورتها وقدمتها علما عالميا موحدا، وثيق الارتباط بمبادىء الدين والخلق القويم.. واستهداء بقوله سبحانه:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(١).

ولا يمكن أن نجد مفهوما مقنعا للحقيقة إلا فى إطار الثقافة الإسلامية، حيث سمى الله نفسه فى القرآن الكريم بالحق، وذلك فى مثل قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾(٢).

وقوله:

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾(٣). ولكن الله -جل وعلا-، بالإضافة إلى أنه الحق، فهو مصدر ما نراه فى هذه الدنيا من حق أو حقيقة، لأنه هو الذى خلق بالحق، وهو الذى يقضى بالحق ويهدى به، يقول تعالى:

﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾(٤)، ويقول:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾(٥).

ويقول:

﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٦).

ويقول:

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ ﴾(٧).

وأول سمات الحقيقة فى الثقافة الإسلامية هو أن البحث عنها لا يفصل بين النظرية والتطبيق، فلا يعقل أبدا أن تكون الهداية إلى الحقيقة مجرد هداية إلى الفكرة الصائبة وحدها، بل لابد أن تتعدى ذلك فتصبح هداية إلى السلوك السليم أيضا. إذ لا فصل بين النظر والعمل فى عرف الإسلام، ولا خير فى علم عنده إلا إذا كان معه عمل نافع، فإن البحث عن الحقيقة بمنظور إسلامى لا يمكن أن يكون مجرد بحث معرفى فقط، بل لابد أن يمتزج بالبحث عن قواعد السلوك القويم من الناحية الأخلاقية. وليس من سبيل الصدفة أن توضع كلمة الباطل فى مقابل كلمة الحق فى المنهج الإسلامى، وذلك لأن الحق فى هذا المنهج لا يعنى مجرد الصحة أو السلامة فى التفكير المنطقى النظرى، بل يشير فى معناه إلى دائرة أكثر شمولا واتساعا تتداخل بطريقة أو بأخرى مع دائرة الخير. كما أن كلمة الباطل لا تعنى فقط الفساد فى التفكير، بل تشير فى معناها إلى دائرة أكثر شمولا واتساعا تتداخل على نحو أو آخر مع دائرة أخرى هى دائرة الشر.

---

(١) فصلت (٥٣).
(٢) الأنعام (٦٢)
(٣) يونس (٣٢).
(٤) يونس (٥).
(٥) الأنعام (٧٣).
(٦) غافر (٢٠).
(٧) يونس (٣٥).

كذلك يتسم البحث عن الحقيقة فى الثقافة الإسلامية بتحديد مركز الإنسان من العالم الذى يعيش فيه. ويشير القرآن الكريم فى آيات كثيرة إلى أن الإنسان هو خليفة الله فى الأرض، وهو الذى حمل الأمانة بعد أن عرضها الله - تعالى - على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، وهو الذى سخر الله له ما فى السموات وما فى الأرض. كما يشير القرآن الكريم فى آيات أخرى إلى الوجه الآخر من حقيقة الإنسان وحدوده، ويظهره على أن الكون أكبر منه، وعلى أن مركز الثقل فى بحثه عن الحقيقة لا يوجد فى عقله ونفسه فقط، بل يوجد أيضا فى الكون من حوله، فيقول الله تعالى:

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾(٨).

ويقول:

﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٩)

كما يشير القرآن الكريم إلى الأصل الترابى للإنسان وتسويته من مادة قبل أن ينفخ الله فيه من روحه، وذلك فى قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾(١٠).

ومعنى هذا كله أن الصورة الحقيقية للإنسان كما أرادها الله سبحانه وتعالى هى ارتباطه بالعالم، لا ليمثل فيه مجرد جزء منه فقط، بل ليرتبط بتاريخه أيضا، ويكون أهلا للبحث عن الحقيقة وحمل الأمانة.

وعندما غاب هذا الهدف الأسمى للحقيقة وسماتها، كما عرفتها الثقافة الإسلامية، فى العلاقة بين الإنسان والكون أو بين العلم والدين، حدث الانفصام بين الفكرة والشىء، ولم تعد للمرء سيطرة فاعلة لا على الأفكار ولا على الأشياء، فهو يلمّ بالأفكار بعض إلمام دون أن يستوعبها، ويمر بظواهر الأشياء دون أن يتصل بكياناتها ليستنطقها.. ومنذ حدث ذلك عند المسلمين أفلت حضارتهم وظهرت شمسها عند أناس غيرهم عرفوا كيف يستنطقون التفاحة قبل أن يفكروا فى التهامها.. وعرفوا من خلال ذلك كيف يخلعون على الأفكار وعلى الأشياء فى أن معا قيمتها المعرفية وفاعليتها الحضارية.. لكنهم - بتخليهم عن الهدف الأسمى الحقيقى الذى قدمه المنهج الإسلامى الرشيد - إنما يحفرون قبرا لدفن حضارتهم المادية المهددة بالفناء بين لحظة وأخرى.

وهكذا يقودنا تحليل مجرى التاريخ الإنسانى وفهم مسيرة التقدم الحضارى على أن معنى «الثقافة» يجب تحديده بحيث تعنى رصيد الفاعليات الإنسانية متجلية فى السلوك العملى والفعلى والروحى، وأن عناصر «الثقافة الإنسانية» هى العلوم بقوانينها وتقنياتها، والقيم بتأثيرها وتوجيهها، والفكر بتاريخه ومنهجه، والمجتمع الذى تنشأ فيه بنظمه وسلوكياته. ويمكن لثقافتنا الإسلامية أن تقدم ما هو أكثر من عناصرها المادية والفكرية لبناء المجتمع المتوازن الذى يتجه أبناؤه بحمية وحماس إلى الابتكار والإنتاج بعزيمة وإيمان لثقتهم فى قدرة هذا المجتمع المتوازن على احتضان الأفكار الصائبة ورعايتها واستثمارها حضاريا.

---

(٨) النازعات (٢٧).

(٩) غافر (٥٧).

(١٠) الروم (٢٠).

شجاعة العلماء في إسداء النصيحة إلى الخلفاء والأمراء

١

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف

يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾(١).

أي: إنما يخاف الله ـ تعالى ـ ويخشاه، العالمون بما يليق بذاته وصفاته، من تقديس وطاعة، وإخلاص في العبادة.. وكفى بهذه الجملة الكريمة مدحاً للعلماء، وتشريفاً لهم، حيث قصر ـ سبحانه ـ خشيته عليهم.. فالعلماء الصادقون لا يخشون إلا الله، وهذه الخشية من الله جعلتهم لا يهابون أحداً من خلق الله مهما كانت منزلته، ومهما كانت سطوته وقوته وجبروته، ولا يخشون في الحق لومة لائم، وأعطتهم هذه الخشية ثقة في أنفسهم، وعزة في موقفهم، وشجاعة في قول الحق، فنطقوا به ناصحين، وقالوه غير مترددين وجابهوا به الخلفاء والأمراء والحكام غير خائفين..

ومن الخلفاء والولاة والحكام من عرفوا قدر العلماء ومنزلتهم وإخلاصهم في النصيحة فاستمعوا إليهم، وأنصتوا لهم، وأفسحوا صدورهم لما يستمعون، حتى ولو كانت النصيحة موجهة إليهم في صراحة وقسوة.

فقد قدم سليمان بن عبدالملك إلى المدينة وهو يريد مكة، فأرسل إلى أبي حازم فدعاه. فلما دخل عليه قال له سليمان: يا أبا حازم مالنا نكره الموت؟

فقال أبو حازم: لأنكم خربتم آخرتكم وعمّرتم دنياكم، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

فقال سليمان: يا أبا حازم كيف القدوم على الله؟

قال: يا أمير المؤمنين: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسئ فكالآبق يقدم على مولاه.

فبكى سليمان وقال: ليت شعري مالي عند الله؟

(١) فاطر (٢٨).

قال أبوحازم: أعرض نفسك على كتاب الله – تعالى– حيث قال:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾[٢]

قال سليمان: فأين رحمة الله؟

قال: قريب من المحسنين.

ثم قال سليمان: يا أبا حازم أىّ عباد الله أكرم؟

قال: أهل البر والتقوى.

قال: فأىّ الأعمال أفضل؟

قال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم.

قال: فأىّ الكلام أسمع؟

قال: قول الحق عند من تخاف وترجو.

قال: فأىّ المؤمنين أكيس؟

قال: رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها.

قال: فأىّ المؤمنين أخسر؟

قال: رجل خطا فى هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره

قال سليمان: ما تقول فيما نحن فيه؟

قال: أو تعفنى؟

قال سليمان: لابد فإنها نصيحة تلقيها إلىّ.

قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين: إن آباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا، فلو شعرت مما قالوا وما قيل لهم؟

فقال له رجل من جلسائه: بئسما قلت!

قال أبو حازم: إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليُبيِّننه للناس ولا يكتمونه.

قال سليمان: وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد؟

قال: أن تأخذه من حله فتضعه فى حقه.

فقال سليمان: ومَنْ يقدر على ذلك؟

قال: مَنْ يطلب الجنة ويخاف من النار

فقال سليمان: ادع لى.

فقال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليُّك فيسِّره لخيرى الدنيا والآخرة، وإن كان عدوّك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى.

فقال سليمان: أوصنى.

فقال: أوصيك وأوجز. عظِّم ربك ونزِّهه أن يراك حيث نهاك، أوْ يفقدك حيث أمرك.

● وقال عمر بن عبدالعزيز لأبى حازم: عظنى.

فقال أبو حازم: اضطجع ثم أجعل الموت عند رأسك، ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن، وما تكره فيك تلك الساعة فدعه الآن، فلعل تلك الساعة قريبة.

● قدم هشام بن عبدالملك حاجاً إلى مكة، فلما دخلها قال: أئتونى برجل من الصحابة، فقيل له: يا أمير المؤمنين قد تفانوا، فقال: من التابعين، فأتى بطاوس اليمانى، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه، ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال: السلام عليك يا هشام، ولم يُكَنِّه، وجلس بإزائه وقال: كيف أنت يا هشام؟

فغضب هشام غضباً شديداً حتى هَمَّ بقتله، فقيل له: أنت فى حرم الله وحرم رسوله، ولا يمكن ذلك.

فقال هشام: يا طاوس ما الذى حملك على ما صنعت؟

قال طاوس: وما الذى صنعت؟

فازداد هشام غضباً وغيظاً، ثم قال: خلعت

(٢) الانفطار (١٣، ١٤).

نعليك بحاشية بساطى، ولم تُقَبِّل يدى، ولم تُسَلِّم علىّ بإمرة المؤمنين، ولم تكننى، وجلست بإزائى بغير إذنى، وقلت: كيف أنت يا هشام؟

قال طاوس: أما ما فعلت من خلع نعلىّ بحاشية بساطك فإنى أخلعهما بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبنى ولا يغضب علىّ، وأما قولك: لم تُقبل يدى فإنى سمعت أمير المؤمنين على ابن أبى طالب -رضى الله عنه- يقول: لا يحل لرجل أن يُقَبِّل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة، أما قولك: لم تُسلم علىّ بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب، وأما قولك: لم تكننى فإن الله - تعالى - سمى أنبياءه وأولياءه فقال: يا يحيى يا عيسى. وكنى أعداءه فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[٣]، وأما قولك: جلست بإزائى فإنى سمعت أمير المؤمنين علياً -رضى الله عنه - يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام.

فقال له هشام: عظنى.

فقال طاوس: سمعت من أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول: إن فى جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيته. ثم قام وهرب.

● وعن سفيان الثورى -رضى الله عنه- قال: أدخلت على أبى جعفر المنصور بمنى فقال لى: أرفع إلينا حاجتك. فقلت له: اتق الله فقد ملأت الأرض ظلماً وجوراً، قال: فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال: أرفع إلينا حاجتك. فقلت: إنما أنزلتَ هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار. وأبناؤهم يموتون جوعاً فاتق الله وأوصل حقوقهم. فطأطأ رأسه ثم رفع فقال: ارفع إلينا حاجتك. فقلت: حَج عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهماً، وأرى ههنا أموالاً لا تطيق الجمالُ حملها. وخرج.

● ودخل ابن أبى شميلة على عبدالملك بن مروان فقال له: تكلم، فقال له: إنّ الناس لا ينجون فى القيامة من غصصها ومرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه، فبكى عبدالملك.

وقال: لأجعلن هذه الكلمة مثالاً نصب عينى ما عشت.

● ودخل مالك بن دينار على أمير البصرة فقال: أيها الأمير: قرأتُ فى بعض الكتب أن الله- تعالى- يقول: ما أحمق من سلطان، وما أجهل ممن عصانى!! ومنْ أعَز ممن اعتَز بى؟ أيها الراعى السوء دفعتُ إليك غنماً سماناً صحاحاً فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاماً تتقعقع» فقال له والى البصرة: أتدرى ما الذى يُجرّئك علينا ويُجَنبنا عنك؟ قال: لا، قال: قلة الطمع فينا وترك الإمساك لما فى أيدينا.

● وحكى أن أبا بكرة دخل على معاوية فقال: اتق الله يا معاوية، واعلم أنك فى كل يوم يخرج عنك، وفى كل ليلة تأتى عليك لا تزداد من الدنيا إلا بعداً ومن الآخرة إلا قرباً، وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علماً لا تجوزه، فما أسرع ما تبلغ العلم، وما أوشك ما يلحق بك الطالب، وإنا وما نحن فيه زائل، وفى الذى نحن إليه صائرون باق إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ما أحوجنا الآن إلى أن نهتدى بهديهم وإلى أن نسلك طريقهم، وإلى أن نتتبع خطاهم.

---

(٣) المسد (١).

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أسأل الله - تعالى - من فضله

قال حكيم لابنه: يا بنى، أكلت الحنظل، وذقت الصبر، فلم أر شيئا أمر من الفقر، فإن افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينقصوك، ولكن اسأل الله – تعالى – من فضله فمن ذا الذى سأل الله فلم يعطه، أو دعاه فلم يجبه، أو تضرع إليه فلم يكشف ما به.

أنا أعرف نفسى

كان يزيد بن المهلب مسافراً بصحبة ابنه معاوية فمرا بامرأة بدوية فاستضافتهما، وذبحت لهما عنزا، فلما أكلا، قال يزيد لابنه: ما معك من النفقة؟ قال: مائة دينار فقال: يزيد: أعطها إياها، فقال له ابنه: هذه امرأة فقيرة، يرضيها القليل وهى لا تعرفك، فقال يزيد: إن كان يرضيها القليل فأنا لا يرضينى إلا الكثير، وإن كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى.

حقًا

وما شىء أحب إلى سفيه
إذا سب الكريم من الجواب
متاركة السفيه بلا جواب
أشد على السفيه من الجواب

نصيحة

إذا أشكلت عليك الأمور، وتغير لك وجه الجمهور، فارجع إلى العقلاء وافزع إلى استشارة العلماء، ولا تأنف من الاسترشاد، ولا تستنكف من الاستعداد، فلأن تسأل وتسلم، خير لك من أن تستبد وتندم.

كذب

من قال: إن الشر يطفأ بالشر، فإن كان صادقا فليوقد نارين، ثم ينظر هل تطفىء إحداهما الأخرى، وإنما يطفىء الخير الشر، كما يطفىء الماء النار.

يا أمير المؤمنين.. تذكرني بالراعي

روى أن بعض وزراء هارون الرشيد، قال له: وقد رآه ينفق أموالاً طائلة على العيون والجواسيس: إنك يا أمير المؤمنين تذكرني بالراعى الذى خاف على غنمه من الذئاب فاصطحب كثيرا من الكلاب، ولكنه اضطر بعد ذلك إلى ذبح نصف قطيعه لإطعامها.

حقيقـــــة

النفس تجــــزع أن تكون فــــقــــيــــرة
والفــقــر خــيــر من غنى يطغــيــهــا
وغنى النفــوس هو الكفــاف فـإن أبت
فــجــمــيع مـا في الأرض لا يكفــيــهـا

قالـــــــوا...

المرأة تخاف الرجل الذى يمضى مع غضبه، وتخاف أكثر من الرجل الذى يملك غضبه، ونخاف أكثر من هذا وذاك الرجل الذى يملك غضب الآخرين ويسيطر عليهم وهم غاضبون.

حتى لا يتأذى بها غيرى

تزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق، فكان يصبر عليها، فقيل له: لم لا تطلقها؟ فقال: أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها، فيتأذى بها.

أرد بثلاث على ثلاث

سئل قائد لجيش كيف استطعت أن تولد الثقة فى نفوس أفراد جيشك؟ فأجاب: كنت أرد بثلاث على ثلاث من قال: لا أقدر، قلت له: حاول، ومن قال: لا أعرف قلت له: تعلم، ومن قال: مستحيل، قلت له: جرب.

فـــرح.. وحـــزن

تزوج مغن بنائحة، فسمعها تقول: اللهم أوسع لنا فى رزقنا.

فقال لها: إنما الدنيا فرح وحزن، وقد أخذنا بطرفى ذلك، فإن كان فرحاً دعونى وإن كان حزناً دعوك.

يسير الكـــلام

النفس الذليلة لاتجد ألم الهوان، والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام، وفيه قيل:

من يهن يســـهل الهـــوان عليـــه
مــــــا لجــــــرح بميت إيلام

دعـــــاء

اللهم بنورك اهتديت، وبفضلك استغنيت، وبك أصبحت وأمسيت، ذنوبى بين يديك، وأستغفرك وأتوب إليك فلا حول ولا قوة إلا بك.

من مذكرات عمر بن أبى ربيعة

ذات النطاقين

للأستاذ / محمود محمد شاكر

قال عمر بن أبى ربيعة بعقب حديثة» :

.. فواللّه لقد جهدنا البلاء - يا أهل مكة - ولقد صبرنا على حصار الحجاج سبعة أشهر أو تزيد فى غير حصن ولا منعة، وإن أحدنا ليرى وقد لحقت بطنه بظهره من الجوع والطوى، ولولا بركة تلك العين (يعنى زمزم) لقضينا، وصدق رسول اللّه ﷺ «إنها مباركة، إنها طعامُ طُعم» لقد أشبعنا ماؤها كأشد ما نشبع من الطعام، وما ندرى ما يُفعَلُ بنا منذ اليوم. فلقد خذل «ابن الزبير» أصحابه خذلاناً شديداً، وما من ساعة تمضى حتى يخرج من أهل مكة من يخرج إلى الحجاج فى طلب الأمان. ألا شاهتْ وجوه قوم زعموا أن سينصرونه، يحمون «البيت» أن يُلحد فيه، ثم ينكشفون عنه انكشافة كما تتفرق هذه الحمامُ عن مجثمها على الرَّوْع.

وخرجتُ، ومكة كأنها تحت السَّحَر خليّة نحل مما يدوِّى فى أرجائها من صوت داعٍ ومكبرٍ وقارىء، وصمدتُ أريد المسجد فأسمع أذان «سعد» مؤذن ابن الزبير فأصلى ركعتى الفجر، فيتقدم ابن الزبير فيصلى بنا أتمّ صلاة، ثم يستأذن الناس ممن بقى من أصحابه أن يُودِّع أمه «أسماء بنت أبى بكر الصديق» فأنطلق وراءه وما أكادُ أراه مما احتشد الناس فى المسجد، وقد ماجوا وماج بهم يتذامرون ويحضِّضُون ويُحرضون، وزاحمت الناس بالمناكب أرجو ألا يفوتنى مشهد أسماء تستقبل ولدها وتودِّعه ولقد تعْلَمُ أنه مقتول لا محالة، فما أكاد أدركهُ إلا وقد انصرف من دارها يريد المسجد، وإذا امرأة ضخْمة عجوز عمياء طُوالة كأن سرْحة فى ثيابها، قد أمسكت بعُضادتى الباب تصرف وجهها إليه حيثما انتقل، فواللّه لكأنها تثبتُه وتُبصرهُ، وقد برقت أسرة وجهها تحت الليل برق العارض المتهلل، ثم تنادى بأرفع صوت وأحنّه وألينه، قد اجتمعت فيه قوة إيمانها وحنينُ قلبها: «يا عبداللّه أيا بنى، إنى أمك التى حملتك، وإنى احتسبتك فلا تهن ولا تجزع. يا بنى ابذل مُهجة نفسك، ولا تبعد إلا من النار.. يا عبد اللّه لا تبعد إلا من النار، أستودعك اللّه يا بُنى!» ثم تدور لتلج الدار فكأنها شراعٌ قد طُوى.

رحمة الله عليكم يا آل أبي بكر، لأنتم أصلبُ الناس أعوادا وألينهم قلوباً. وأحسن الله عزاءك ياذات النطاقين، فلقد تجملت بالصبر حتى لقد أنسيت أنك أمٌ يجزع قلبها أن يهلكَ عليها ولدُها فيتقطع عليه حشاها.

وانصرفتُ عنها بهمّي، أسعى فو الله ما رأيت كاليوم أكسبَ لعجب وأجدَ لحُزن من أمّ ثكلى يحيا ظاهرُها كأنه سراجٌ يزهر، ويموتُ باطنها كأنه ذُبالةٌ توشكُ أن تنطفىء، وذهبتُ ألتمس الوُجوه وأحزانها، فما أرى وُجُومها وقُطُوبها وانكسارها ورهقها وصُفرتها إلاّ ذلة النفس وخضوعها واستكانتها وضعفها وعلّتها، وأن المؤمن حين يحضُره الهمُّ أشعثَ أغبر يردُّه إيمانُه - حين يؤمن- أبلج يتوقّد، ليكون البُرهانَ على أنّ الإيمان صيقلُ الحياة الدُّنيا، ينفي خبثها ويجلو صدأها، فإمّا ركبها من ذلك شيء، عاد عليها يُحادثها ويصقُلها حتى يتركها بيضاء نقيّة...

وما بلغتُ المسجد حتى رأيتُ ابن ذات النّطاقين قائما بين الناس كأنه عمود من طُوله واجتماعه ووثاقة بنائه؛ وحضرته وهو يقول: «أيها الناس، عجّلوا الوقاع، ولا يرعكُمْ وقْع السيوف، وصونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم، فلينظرْ رجُلٌ كيف يضرب، لا تخطئوا مضاربكم فتكسروُها، فإن الرجُلَ إذا ذهب سلاحُه كان أعزلَ أعضبَ يؤخذُ أخذا كما تؤخذ المرأة، ليشغلْ كلَّ امرىء قرنه، ولا يُلهينكم السؤالُ عني: أين عبدالله بن الزبير؟ ألاَ منْ كان سائلا عني فإني في الرّعيل الأول»... ثم يدفعُ في صدور أهل الشام دفعة عند باب بني شيبة كأنه صاعقة، وكأنه أسد في أجمة، ويحيصُ أصحابُ الحجاج حيصة في منازلهم من الرُّعب، فلقد رأيتُه يقفُ ما يدنو منه أحد، حتى ظننتُ أنه لا يُقتَلُ، حتى إذا كان بين الركن والمقام رُمي بحجر فأصاب وجههُ فبلغ منه حتى دمي، وسال دمُه على لحيته، وأُرعشت يدُه.. وغشيهُ أصحابُ الحجّاج من كلّ ناحية وتغاووا عليه، وهو يقاتلهم جاثما أشدَّ قتال حتى قُتل.

وارحمتا لك يا بنت أبي بكر!! أيُّ كبد هي أشدُّ لوعة من كبدك! لقد والله رُحمت رحمة إذ كفّ الله منك البصر، لئن لم تكوني تجزعين لموته، لقد كنت جزعت لما مثّلُوا به وحزّوا رأسهُ، ورفعوه على خشبة مُنكّسا مصلوبا...

وما كدْتُ حتى أقبلتْ أسماء بين يديها كفن قد أعدّته ودخّنتْهُ، والناسُ ينفرجون عن طريقها في أعينهم البكاء، وفي قلوبهم الحُزْنُ والرُّعب، قد انتُسفت وجوههم كأنما نُشروا من قُبورهم لساعتهم، وسكنت الأوصالُ، وجالت الأحداقُ في محاجرها وكأنها همّت تخرُج، وتمشي أسماءُ صامدة إلى الخشبة صمدا وكأنها ترى ابنها المصلوب، وكأنها تستروح رائحة دمه، حتى إذا بلغتْهُ - وقد وجم الناس وتعلقت بها أبصارهُمْ ورجفت بهم قُلوبُهم - وقفتْ، وقد وجدت رائحة المسك تحت ظلاله فقالت: «يا بُنيَّ طبتَ حيّا وميّتا، ولا والله ما أجزعُ

لفراقك يا عبدالله، فمن يكُ قُتل على باطل فقد قتلتَ على حق، والله لأثنينّ عليك بعلمي: لقد قتلوك يا بُني مُسلما محرما ظمآن الهواجر مصليا في ليلك ونهارك».

ثم أقبلتْ وجهها السماء ومدّت بيديها تدعو: «اللّهمّ إني قد سلّمته لأمرك فيه ورضيتُ بما قضيتَ له، فأثبني في عبدالله ثوابَ الشاكرين الصابرين، اللهم ارحم طولَ ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب، وبرّهُ بأبيه وبي».

ووجم الناس وجمة واحدة، وخشعوا خشعة لكأن السماء والأرض صارتا رتقا فما يتنفّسُ من تنفّس إلا من تحت الهمّ والجهد والبلاء، وكأنّ مكة بيت قد غُلّقت عليه أبوابهُ لا ينفُذُ إليه أحد ولا يبرحه أحد، وكأن الناس قد نزعت أرواحهم وقامت أبدانهم وشخصت أبصارهم، وبدت أسماءُ بينهم وكأن وجهها سراج قد نُصَ على سارية، لايزال يزهر ويتلألأ، ثم تتلفت كأنما تتطلع في وجوه هذه الأبدان الخوالد، وأضاء ثغرها عن ابتسامة، والله لقد بلغتْ من العمر وما سقطت لها سنّ، ومازال ثغرها ترفُّ غروبه ثم قالت: «يا بني، لشد ما أحببتم الحياة وآثرتم دنياكم، فخذلتم أخاكم، وفررتم عن مثل مصرعه، يا بني يغفر الله لكم وجزاكم الله عن صاحبكم خيرا».

وأطرقت أسماءُ إطراقة ثم رفعت رأسها تُومئُ إلى الخشبة فوالله لقد رعدت فرائصي حتى تزايلتْ أوصالي، وصرَّ الناس كأنما تقصّفت أصلابُهم، وإذا هي تقول: «ألاَ مَنْ مُبلغ الحجاج أن المُثْلة سبّة للحي وما تضرّ الميّت، ألا مَنْ يُبْلغ الحجّاج عنّي أن الشاة إذا ذُبحَتْ لم تألم السّلْخ».

وحامتْ أسماءُ وطافت بين الناس وبين هذه الخشبة ساكنة صابرة، لا يُرى إلا بريق وجهها يومضُ كأنه سيف صقيل، ثم طفقت تردّد «يا بني، أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ يا بنيّ ليستأذنْ أحدُكم حجّاجكُم هذا أن يدفع إليّ هذه العظام، أدّوا عني، يرحم الله من أدّى عنّي».

فيجيء الرسول من قبل الحجاج يأبى عليها أن تُدفع إليها عظامُ ابنها المصلوب، ويجيءُ على أثره موكلون قد وكلهم بجثته يقومون عليها يحرسونها، كأنما خشي أن يحيا ميت قد حُزْ رأسه أن تمسّهُ أُمّه. فوالله لقد سمعتْ أسماء وخُبّرتْ فما زادت على أن ولّت عنهم كما جاءت ما تقطر من عينيها قطرةُ دمْع، وما تجاوز قوماً إلا جاوزتهم كأنهم فُسطاط يتقوّض، حتى ولجتْ بابها وغلّقته عليها.

وانطلقتُ أنفضُ الناس بعينيّ، فرأيتُ أخي الحارث (ابن عبدالله بن أبي ربيعة) وابن أبي عتيق (هو عبد الله بن محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق) ما في وجهيهما رائحة دم من الحزن والفرق. فقلت: ما هذا أوان جزع؛ انطلقوا بنا - يرحمكم الله- إلى دارها نواسيها ونترفقُ لها، فوالله لقد تخوّفتُ أن يذهبَ بها الحزن عليه، وإنه لفالقٌ كبدها ما لقيته. ويطرق الباب ابن أبي عتيق. فيجيبُ الصوت من

داخل: قد أسمعت فمه. فيقول: أنا ابن أبي عتيق يا أماه. ويؤذن لنا فندخل دارها تجف قلوبنا من الروع والرهبة، ونأخذ مجلسنا عند بنت أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ وزوج حوارية عليه السلام، وكأن قد تركنا الدنيا وراءنا وأقبلنا على الآخرة.

استضحكت أسماءُ حتى بدت نواجذُها وقالت: «مرحباً بكم يابنيَّ، جئتم من خلل الناس تعزُّون أمكم في عبد الله. يرحم الله أخاكم لقد كان صوّاماً قواماً ما علمتُ. وكان ابن أبيه الزُّبير أوّل رجل سلّ سيفه في الله، وكان أشبه الناس بأبي بكر.

يا بنيّ، والله لقد حملته على عُسْرة، والمسلمون يومئذ قليلٌ مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس، ولقد سعيتُ به جنيناً بين بيت أبي بكر وغار ثور بأسفل مكة في هجرة رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر - رضي الله عنه- آتيهما تحت الليل بما يصلحهما من الطعام؛ ويسكنُ الطلبُ عن رسول الله ﷺ، فأتيتهما بسفرتهما وسقائهما ونسيت أن أتخذ لهما عصاماً؛ فلما ارتحلا ذهبتُ أُعلِّق السُّفرة فإذا ليس لها عصامٌ، فوالله ما أجدُ ما أعلقهما به، ووالله ما أجدُ إلاّ نطاقي وإذا أناْ حبلى متمٌّ. فيقول أبو بكر: يا أسماء شُقّيه باثنين؛ فأشقه فأربط بواحد منهما السقاء وبالأخر السفرة؛ فلذلك ما سمّاني رسول الله ﷺ «ذات النطاقين» يعني في الجنة وأعود بعبد الله يرتكض في أحشائي، قد احتسبت نطاقي في سبيل الله فوالله ما أجدني احتسبتُ بنيَّ عبد الله اليوم إلا كما احتسبت نطاقي ذا كم. وأعود إلى دار أبي بكر ويأتي نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا ببابها، فأخرج إليهم فيقولون: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ فأقول: لا أدري والله أين أبي؛ فيرفع أبو جهل يده -وكان فاحشاً خبيثاً- فيلطم خدي لطمة يطرح منها قُرطي، فتغول بي الأرض الفضاء، فوالله لما لقيتُ من حجاجكم هذا أهونُ عندي مما لقيتُ من لطمة أبي جهل وأنا بعبد الله حاملٌ مُتمٌّ. يا بنيَّ إني آخرُ المهاجرين والمهاجرات، لم يبق على ظهرها بعد عبد الله منهم غيري؛ فلا والله ما حسنٌ أن يجزع من هاجر -وإنّ شأن الهجرة لشديدٌ- وما حسنٌ أن يجزع من شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكيف وقد أربيت على المائة؟

«يا بني جزاكم الله عني وعن أخيكم خيراً، قوموا لشأنكم وذروني وشأني يرحمكم الله».

وودّعنا وانصرفنا، ولا والله ما نجدُ لأسماء في الرجال ضريباً، فأين في النساء؟ ولكنها كانت تصبر صبر المهاجرين الأولين على الجهد والبلاء.

وما كان صُبح خامسة من مقتل ولدها حتى استجابت لدعوة ربّها - رضي الله عنها وأرضاها - وهي أمٌّ حنَّت تكتم حنينها، ولكأنه عجّل بها موته فقطع نياطها وصدع فؤادها، وفلق كبدها عليه حنينها إليه.

* الرسالة، العدد الممتاز، السنة السابعة سنة ١٩٣٩م.

الأزهر في عيده الألفي

لشاعر الأزهر الأستاذ الدكتور حسن جاد حسن

أرأيت كـــيف طوى القـــرون الأزهرُ ** وأدال عـــمـــر الدهر وهو مـــعـــمـــر؟
مـــرت عليـــه الألف لم توهن لـه ** عـــزمـــا ولا أوهت قـــواه الأعـــصـــر
وأشـــاب ناصـــيـــة الزمـــان ولم يزل ** وأهـابه غـض الشـــبـــاب منضـــر
اللـه ناط بـه الكـتـــــاب وهديـه ** حـــفظا، فـــلا يَبْلى ولا يتـــغـــيـــر
وحـــبـــا كنانتـــه بـه فـــأحلـهـــا ** شـــرفـــا تطول به الســـمـــاكُ وتظهـــر
هـــرم مـــن الأهـــرام إلا أنـــه ** حـــرم يلم به الحـــجـــيج ومـــشـــعـــر
أبدا تشـــد له الرحـــال حـــثـــيـــثـــة ** ويؤم بعـــد المســـجـــدين ويذكـــر
يســـعـــون من كل الفـــجـــاج ليـــأخـــذوا ** ممن يـصـح الـقـــــول عـنـه ويؤثـر
لا تغـــتـــرر يومـــا بصـــرح شـــاده ** وهم على عـــقـل البناة مـــســـيطر
ليس الذي يبنى الحـــجـــارة مـــثل من ** يبنى العـــقـــول النيـــرات ويعـــمـــر
مـــا شـــاد بان في الكنانة مـــثلمـــا ** شـــاد المعـــز الفـــاطمي وجـــوهر

●●●

يامـــعـــهـــدا عم المشـــارق نوره ** فـــمـــشى على أضـــوائه المتـــحـــيـــر
واســـتنهض الدنيـــا فـــرجع شـــرقـــهـــا ** عنه وجـــاوب غـــربهـــا المتـــحـــضـــر
ووعى علوم الدين والدنيـــا مـــعـــا ** مـــتـــوثب الخطوات لا يتـــعـــثـــر
وحـــمى الشـــريعـــة وهو حـــصن كـــتـــابهـــا ** وبه يفـــيـــض نميـــرها المتـــفـــجـــر
وتعـــهـــد الفـــصـــحى فكان لســـانهـــا ** وعليـــه ألوية البـــلاغـــة تنشـــر

كم أطلعت آفاقه من أنجم ** زهر، وكم تنساب منه أبحر
من كل ركن فى الشريعة يستبى ** فى العلم أفذاذ العقول ويسحر
من كان يلتمس الحقيقة حرة ** فلدية جوهر لبها المتخيّر
كم فى رحاب الأرض من طلابها ** حجوا إليه خاشعين وكبروا
ما ضر لو سلك الشباب سبيله ** فى الحق واستهدوا به واستبصروا
طلبوا الهدى من غيره فتطرفوا ** وتخبطوا فى الوهم حتى كفّروا
ولو استبانوا الرشد لم يتشددوا ** فالدين أسمح فى الأمور وأيسر
علل النفوس خطيرة لكنما ** علل التدين والعقيدة أخطر
من ذا سواه يروض جمح نفوسهم ** بهداه وهو على الرياضة أقدر؟
كم ذا رماه بالتخلف مغرض ** فهل الأصالة رجعة وتأخر؟!
حسبوا الحفاظ على التراث تحجرا ** فهل الحفاظ على التراث تحجر؟
إفك تورط فيه كل مضلل ** لما تولى كبره المستعمر
من لم يؤسس بالقديم جديده ** فجديده واهى الأساس مزوَّر

●●●

مرت عليه الحادثات فجازها ** متجلدا حينا، وحينا يزأر
كم قاد ثورات النضال وشبها ** نارا على المستعمرين تُسعر
وجرى زكيا من بواكيه دم ** عبق بأنفاس الخلود معطر
وإذا استضيم الشعب أو ريع الحمى ** صرخت مآذنه وضج المنبر
من أشعل الحرية الحمراء فى ** ساحاته نورا ونارا تصهر؟
وملا حما يجثو لها تاريخه ** غرا بأقلام الخلود تسطر
من بث روح الوعى حرا لم يزل ** بلد البطولات التى لا تقهر؟
إن الموكل بالحنيف وهديه ** أحرى وأخلق بالجهاد وأجدر

●●●

يا أزهر الماضي المجيد تحية ** الند فوح أريجها، والعنبر
غراء يوجبها الوفاء وذمة ** ترعى الحقوق، ومنة لك تشكر
أنا من غراس يديك فرع خميلة ** كرمت منابتها وطاب العنصر
يجري البيان الحق في أعراقها ** عذبا فتطلع نابهيه، وتثمر
تتفيأ الفصحى ظليل ظلالها ** وغصونها للعبقرية مزهر
ماض عليه من الجلال مهابة ** يعنو لها المختال، والمتجبر
أني لأذكره فيبهر خاطري ** والمجد حقا ما يروع ويبهر

●●●

لبيك شيخ الجامعات ومن به ** مصر على الدنيا تتيه وتفخر
كنت السماء ترفعا ومكانة ** طلع الشيوخ بها نجوما تزهر
كانوا ملوكا للملوك وكلهم ** في وجه طغيان الملوك غضنفر
لم يغرهم جاه ولا أزرت بهم ** دنيا ولا استهواهمو ما ينكر
من مد في وجه الخديوي رجله ** زهدا، وضم يديه وهو المقتر؟
من صير الأمراء في سوق الحمى ** سلعا تقوم قبل أن يتأمروا؟
والراسخ الإيمان ليس يخيفه ** من دهره إلا العلي الأكبر
والعلم كان مناهلا يروي الصدى ** ظمآنه منها، وعنها يصدر
حلقاته الغراء حول شيوخه ** هالات أقمار سناها أقمر
كانت خلايا النحل عند دويها ** وبها جناها، والرحيق السكر
وبساحها شتى المذاهب تلتقي ** فالساح حشد والأئمة حضر
تغشى مجالسها الملائك خشعا ** ويحفها مدد السماء النير

وتعمها النفحات من أنفاسها ** وكأنها المسك الفتيق الأنفر
فالعلم قصد الطالبين لذاته ** لا يبتغى جاه به، أو مظهر
يا أزهر الماضى وكم فى النفس من ** ذكرى يؤججها أسى وتحسر
عقدت لسانك عجمة ولطالما ** قد كان باللغة الفصيحة يهدر
جيل - لعمرك - مايصحح آية ** حتى غدت منه المنابر تسخر
من أهمل القرآن حفظا نما له ** عيُّ اللسان الأعجمى فيحصر
نفثات أشجان زحمن مشاعرى ** ومن الشجون مقيد ومحرر
أشدو وفى عينى وبين جوانحى ** دمع يجول ومهجة تتفطر
لكننى فى عيدك الألفى لا ** أنسى الرجاء فرب كسر يجبر
مهما نظمت لك الوفاء وصغته ** درا فإنى فى الوفاء مقصر
يكفيك أنك أنت مصر ومجدها ** يوم الفخار وأن مصر الأزهر

اقرأ فى هدية

عدد شهر ذى الحجة

الجزء الرابع من بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخارى لابن أبى جمرة الأندلسى

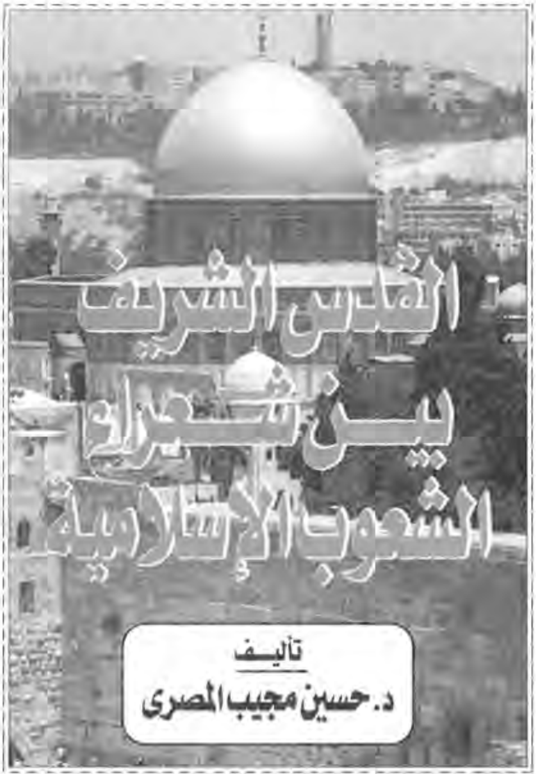

عرض وتحليل

دكتور/ عبدالحليم عويس

ـ فى تقدمة بحثه يؤكد المؤلف والأديب الكبير الدكتور حسين مجيب المصرى على أنه لا حاجة إلى دليل قاطع ولا برهان ساطع ندعم به ماتذهب إليه من أن (القدس) أصبحت أمراً ذا بال يشغل المتقين والمتفكرين، فى كل أرض تقول لا إله إلا الله، وبذا جرت الأقلام وفاضت القرائح بعدما فعل الصهاينة من أفاعيل وكان لهم مالهم من أهاويل خصيصاً...!!

ـ ولهذا ـ ألزم الكاتب نفسه ـ كما يقول ـ منذ مايربو على أعوام خمسين بالتعريف بآداب وتواريخ الشعوب الإسلامية، ليعلم قارئ العربية مالم يكن يعلم من تراثه الإسلامى. مخافة أن يظن بعضهم أن هذا التراث المجيد ليس إلا فى العربية وكفى.

ـ ومع أن عدد الصفحات التى تضمنت (أشعار العرب) حول القدس الشريف أكثير بكثير من الصفحات التى تضمنت شعر غيرهم، إلا أن مالايدرك كله، لا يترك جله، وجهد المقل غير القليل، وأن القليل أمارة على الكثير ـ كما يقول المؤلف الفاضل.

ـ وفى البداية ـ وفى نحو (٤٥ صفحة) يقدم الباحث دراسة تحت عنوان (القدس فى تاريخها)... لكن يبدو أنه ركز على تاريخها الإسلامى فحسب...

ـ وبعد أن يستعرض المؤلف بعض النصوص الواردة فى معاجم البلدان ينتهى إلى أن القدس تقع على خط عرض ٣٥ْ، ٤٦ْ، ٤٥ْ شمال خط الاستواء، وعلى خط طول ٣٥ْ، ١٣ْ، ٢٥ْ شرق جرينيتش، وهى هضبة غير مستوية تتراوح فى ارتفاعها بين ٢١٣٠ و٢٤٦٩. أما جوّها فهو قاريّ صحراوى، والتفاوت كبير فى الحرارة بين ليلها ونهارها، وليس بها أنهار بل تحيط بها عيون، وتندفع من بعضها جداول عند هبوط الأمطار،

وموقعها على هضبة يجعلها فى موقع حصين، لأن العدو لا يراها من بعيد بينما تستطيع حاميتها رؤية من يهاجمها. ومن أهم جبالها (جبل الزيتون) وهو من الناحية التاريخية من أهم الجبال المحيطة بتلك المدينة، وجبل موريا أو (جبل بيت المقدس)، وقد ورد اسم هذا الجبل فى التوراة فى قصة الذبيح الذى قدمه ابراهيم - عليه السلام - قرباناً.

● والقدس القديمة تتألف من أربعة أحياء هى: حى المسلمين فى الشمال الشرقى، وفى الجنوب الشرقى حى اليهود الفرنجة الروم فى الشمال الغربى، وفى الجنوب الغربى حى الأرمن، أما الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود فأقيم بينها جدران، وثمة أرض واسعة مساحتها ٣٠٠ × ٤٨٠ ثلاثمائة متر فى أربعمائة وثمانون متراً على أرض مرتفعة، وهذه ماتسمى بالحرم الشريف، وشوارع القدس ضيقة، والمنازل مبنية بالحجر ولها أفنية.

● واسم هذه المدينة (إيلياء) وهى كلمة سريانية فى اللغة السريانية، وينسب إليها أحد الأنبياء، وهى كذلك اسم (بيت المقدس)، كما يقال إن هذا الاسم هو اسم الخضر - عليه السلام - ومعناه الصديق الأكبر. وقال لنا من له علم بالسريانية أن الرومان هم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم عند فتحها... (هكذا يقول المؤلف الكبير - رحمه الله).

● وفى شعبان على رأس ستة عشر شهراً، وقيل على رأس سبعة عشر شهراً حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وقبل ذلك كانت القدس أولى القبلتين.

● وقيل إن سليمان - عليه السلام - هو الذى بنى المسجد فى القدس، وكان داود - عليه السلام - شاء أن يبنيه، فأوحى الله - تعالى - إليه: أنّ هذا بيت المقدس وأنك صبغت يدك فى الدماء فلست ببانيه، ولكن ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدماء (وهذا من أكاذيب التوراة!!).

● وفى العام الثالث عشر للهجرة وهو العام الذى توفى فيه أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - شرع عمر فى تجهيز جيوش المسلمين إلى الشام، فحشد جيشاً عظيماً قسمه أقساماً، وجعل على كل قسم منه أميراً عين له البلد الذى يفتحه.

● ومضى عمر - رضى الله عنه - إلى الشام، وقيل إن سبب قدومه الشام أن أبا عبيدة لما حاصر بيت المقدس قال له أهلها أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام وأن يكون من يتولى العقد عمر بن الخطاب فكتبه وقدمه إليهم.

> وبعد أن يستعرض المؤلف تاريخ القدس فى العهد الإسلامى مروراً بصلاح الدين وحتى العصر الحديث ومافعله اليهود.. يقول: (إن تلك المدينة الجريحة أقدم الأماكن فى التاريخ لها مالها من رفعة المكانة عند

أصحاب الديانات السماوية، ولذا كانت محط نظر الدول التى تحرص على التوسع، وتسعى إلى السيطرة على مناطق الجذب فى العالم.

ولا ينسى التاريخ ولن ينسى مافعل الصهاينة بالعرب من أفاعيل وأهاويل، ونسوق المثل لذلك (مذابح صابرا وشاتيلا) التى قيل فيها إن التقتيل والتذبيح دام فيها أربعين ساعة متوالية، وقُتل فيها أكثر من ثلاثة آلاف شخص، كما قُتل فى مسجد الخليل فى فجر رمضان من المسلمين من كانوا يؤدون صلاة الفجر.

كما قُتل من قُتل فى النفق بالقدس، وذكر الحديث عن تلك البشاعات والشناعات طويل طويل. والقليل أمارة على الكثير.. (!!)

***

وإذا كان تاريخ القدس... أو (القدس فى تاريخها) ـ حسب تعبير المؤلف ـ قد شغل هذا الحَيز الممتد إلى ص٥٢ مع أن الكتاب عن (القدس الشريف بين شعراء الشعوب الإسلامية).

ـ فإن (القدس فى الشعر العربى) قد امتد من ص٥٣ وحتى ص١٧٢ ـ أى أنه استغرق مساحة تزيد على (١٢٠ صفحة) بينما يحتل الموضوع الثانى (القدس فى الشعر الفارسى) الصفحات من ١٧٣ ـ إلى ـ ١٨٢ ـ أى عشر صفحات فقط، ويحتل الموضوع الثالث (القدس فى الشعر التركى) الصفحات من ١٨٣ ـ إلى ـ ١٩٧ ـ أى ثلاث عشرة صفحة فقط، ويحتل الموضوع الرابع (القدس فى الشعر الأردى) مساحة ثلاث وعشرين صفحة (١٩٨ ـ ٢٢١)...

وبهذا الموضوع ينتهى الكتاب « مؤكداً صدق مؤلفه مع نفسه حين قال فى صدره: « وجدت مادة ـ عن القدس ـ سخية فى الشعر العربى، ولكنها شحيحة فى شعر اللغات الأخرى » [ص٥] وهو أمر يوجب استمرارية البحث عن أصداء (القدس) فى اللغات الإسلامية الأخرى، بواسطة تلامذة الدكتور حسين مجيب المصرى المنتشرين فى أقسام اللغات الشرقية فى الجامعات المصرية والعربية، وحبذا أن يتمكن بعضهم من ترجمة البحوث التى كتبها أبناء هذه اللغات أنفسهم عن (القدس الشريف)... ولربما وجدت رسائل علمية قدمت فى جامعاتهم، وإذا لم يكن ذلك قد تحقق فلا مانع من إعداد رسائل حول (القدس الشريف) فى اللغات الإسلامية هذه... كدراسات مستقلة بكل لغة على حدة، أو دراسات تعتمد منهج النقد الأدبى المقارن!!

***

ومع ملْحظى الإطالة فى الجانب التاريخى والشعر العربى، فى مقابل الإيجاز الشديد (اضطرارياً لعدم وجود مادة كما اعترف المؤلف الفاضل) فى الشعر الفارسىّ والتركى

والأردى... مع هذين الملحظين اللذين خضع لهما المؤلف (اضطرارياً) كما أشرنا... إلا أن المؤلف الكبير ـ مع ذلك ـ قد قدم عدداً لا بأس به من نتاج الشعراء فى حديثهم الشعرى عن القدس، ويكفى أن نذكر أنه عرض لأشعار أكثر من سبعين شاعراً، منهم أربعة عشر شاعراً غير عربى.

ـ وكان من أبرز من عرض لأشعارهم من العرب (الأعشى ـ وامرؤ القيس ـ والفرزدق ـ وعمر بن أبى ربيعة ـ وأبو العلا المعرى، والعماد الأصفهانى، وابن حسان الأندلسى، والعماد الكاتب، وأحمد شوقى، وخليل مطران، وصالح جودت (وحتّى نزار قبانى له شعر فى القدس أيضاً...!!!) ومحمود حسن إسماعيل، ومحمد التهامى، وأحمد سويلم، وحسن عبدالله القرشى، ومحمود مفلح، وفاروق جويدة، وعلى هاشم رشيد... وغيرهم.

ـ أما من الشعراء الفرس والترك والهنود (الأوردية) فقد عرض لأشعار محمد عاكف، ويونس أمره، ويحيى بك، ونفعى، وغانى زادة نديرى، وبازجى أوغلو، ونشاطى، وأسرار ده ده، وسزائى قراقوج، ورمضان آلتين طاش، وعمر لطفى، وطوران قوج، وفيض أحمد فيض، ونبيلة إسحاق إبراهيم. [ولم يقدم المؤلف من الشعر الفارسى إلا شعراً له شخصياً كتبه بالفارسية!!]

● ولم يكن المؤلف مجرد مقدم للأشعار على طريقة (الاختيارات) أو (المختارات) بل كان يقدمها فى سياق عرض أدبى، مع قيامه بتحليل بعضها، وبالتعليق عليها، وشرح بعض اللفتات الموجودة فيها والمقتضية للشرح، بالإضافة إلى جهده غير العادى الذى بذله فى الوصول إلى النصوص الخاصة بالقدس من بين قصائد طوال وأشعار كثيرة ربما لا علاقة بموضوعاتها بالقدس.. إلا عرضاً.

وبعض هذه الأشعار كانت الإشارة فيه إلى القدس تلميحًا وتصريحًا.. ومع ذلك نجح الكاتب فى اصطياد هذه الإشارات، والقيام بتوضيح دلالاتها الحقيقية المتصلة بالقدس ـ كما أن الباحث ـ رحمه الله ـ التزم السياق التاريخى فى تتبع الأشعار المتصلة بالقدس خلال العصور: الجاهلى، ثم الأموى، ثم العباسى.. وحتى العصر الحديث. وبالطبع، فإن لنا أن نتوقع أن يكون صدى الشعر فى العصر الحديث (عصر نكبة فلسطين) هو الأكثر، وهو الأقرب إلى الوجدان، لأنه ينطلق من معايشة واقعية مأساوية يعيشها الشعراء، ويعبرون عنها، من موقع الشعور بالعجز والقهر...

ـ والشعور ـ كذلك ـ بالأمل ـ فى تغيير الواقع المأساوى...

● وعندما يورد المؤلف أبيات (شوقى) فى القدس، وهى الأبيات التى يقول فيها:

بيت على أرض الهدى وسمائه
الحق حائطه وأس بنائه

الفـتح من أعـلامـه، والطهـر من
أوصـافـه، والقـدس من أسـمـائه
تحنو مناكـبـه على شـعب الهـدى
وتـطل سـدته على سـينائه

نراه يعلق على هذه الأبيات الرائعة قائلاً:

هذه أبيات جياد أصابت صفة القدس على الحقيقة لا نجد لها مثيلاً فيما أوردنا من نصوص الشعر القديم ونعنى به التى قيلت فى الإسلام إنه يبدع فى قوله إنها مدينة أقيمت على أرض الهدى وسمائه وفى هذا إشارة لامحة إلى تلك السماء التى عرج فيها سيدنا محمد ﷺ كما فيه إشارة إلى أرضها الطاهرة (ص٦٢) وعندما نقترب مع الزمن إلى الماضى القريب، أى بعد أن استولى الإسرائيليون على القدس نجد الشاعر (حسين عرب) وزير الحج والأوقاف الأسبق بالمملكة العربية السعودية يقول:

القـدس يامسـرى النبىّ
ومـنـارة الحـق الأبـى
يـاأخـت مـكـة والمـديـنـة
فـى الـتـراث الـطـيـب
هتف الجـهـاد بنا إليك
فـجـاهدى وترقـبى
اليـوم يوم الثـأر من
أعـدائنا فـتـأهبى
المسـلمـون توافـدوا
من مـشـرق أو مـغـرب
المسـجـد الأقـصى يُنا
ديهم لـعـزّ المطلب
رايات أحـمـد أقـبلت
تحـمى حـمـاك فـرحّـبى

ـ ونحن نسوق هذه الأبيات.. لا لدلالاتها الرائعة فحسب، بل لأننا فى حاجة إلى هذه الأبيات اليوم... أكثر من أى يوم مضى.

● فـمن أجل ألا تضيع (القدس) وأن ينشغل المسلمون عنها، يشعل اليهود حروباً بين أمريكا والعالم الإسلامى، ويدفعونها دفعا فى عمليات مجنونة لتهاجم شعباً فقيراً أعزل مثل الشعب الأفغانى... وقد يدفعونها ـ وهى كالثور الهائج الأرعن ـ إلى مزيد من الحروب على بلدان أخرى مجاورة ـ فى بحر قزوين وآسيا الإسلامية.. لتكون ـ بحق ـ حرباً صليبية، كما أعلن بوش، وحرباً عالمية على الإسلام كما هى فى حقيقة الأمر... منذ حرب الخليج، ومنذ الإعلان العالمى بالحرب على الإسلام الذى أصدره (المفكر العسكرى ـ وليس الاستراتيجى). (صمويل هنتنجتون) فى كتابه: صدام الحضارات!!

ـ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

النشاط التقنى الصناعى فى إسرائيل

للأستاذ
صلاح عبدالرحيم محمد

تدرك إسرائيل، منذ قيامها، أهمية تفوقها التكنولوجى على العرب كافة، لتأمين وجودها قوية، وتحرص، فى نفس الوقت، على تعميق «الفجوة التكنولوجية» بينها وبين الدول العربية لصالحها، وتسعى إلى جعل هذا الفارق التقنى فى طليعة أهدافها القومية التى تحظى من جانب النخبة الحاكمة بمحل الاهتمام الأول. والحقيقة التى لا يمكن تجاهلها أن إسرائيل منذ اغتصابها فلسطين التاريخية، تولى عناية فائقة بدعم جهود البحث والتطوير فى مختلف مجالاتها الإنتاجية، بهدف تحقيق تقدم تكنولوجى يكفل لها السيادة، والهيمنة على المنطقة العربية، خاصة أن لدى الكيان الصهيونى العديد من المؤسسات البحثية، والمعاهد العلمية، التى تسهم فى النهوض بتكنولوجيا راقية النوعية فى مجالات المعلومات، والفضاء، والصناعات العسكرية، والطاقة النووية، ففى مجال تكنولوجيا المعلومات أحرزت إسرائيل نجاحاً باهراً فى تأمين مواقع متقدمة لها فى معظم فروع هذه التكنولوجيا، فقد تنوعت مجالاتها من البرمجيات التعليمية، وبرمجيات صناعة السياحة، إلى تطبيقات البحث فى الإنترنت، والنشر من خلالها. فعلى صعيد شبكة الإنترنت تحتل إسرائيل المرتبة العشرين على المستوى الدولى فيما يتعلق بعدد المواقع الإسرائيلية على الإنترنت (٣٢٣ : ٢٥٢ موقع) ويكاد يعادل عدد المواقع الإسرائيلية على الإنترنت، عدد مواقع الدول العربية مجتمعة، ومن جهة أخرى، فإن إسرائيل أولت اهتماماً خاصاً بتطبيقات المعالجة الآلية للغات بواسطة الكمبيوتر، وعلى رأسها اللغة العربية، وتأتى نظم الترجمة الآلية فى مقدمة قائمة هذه التطبيقات، فقد تقدمت إسرائيل إلى منظمة الوحدة الأوروبية لتطوير نظم للترجمة الآلية من لغات دول السوق الأوروبية المشتركة إلى اللغة العربية، وجدير بالذكر أن الشركات الإسرائيلية المعنية بتطوير البرامج تحاول عرض خدماتها على الشركات العالمية لتعريب نظمها، وبرامجها، لتأهيلها لاختراق السوق العربية، ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن معظم الشركات العالمية الرائدة فى مجال تكنولوجيا

المعلومات لها فروع داخل الكيان الإسرائيلى مثل شركة «آى. بى. إم»، رائدة صناعة الشرائح الإلكترونية عالمياً، وشركة «مايكرو سوفت» رائدة تطوير البرمجيات عالمياً، وشركة «جى. تى. إى» وهى من كبرى شركات الاتصالات فى العالم. ولاشك أن إسرائيل تستفيد كثيراً من وجود هذه الشركات الرائدة، داخلها، وتسعى إلى خطب ودها لعقد اتفاقات شراكة معها. وفى هذا الإطار ترصد إسرائيل منذ عقد الثمانينات ٤٠٠ مليون دولار سنوياً للإسهام فى تأسيس «بدايات شركات» Start Ups فى قطاع التكنولوجيا المتقدمة، لتقوم من جانبها، بتمويل برامج «الحاضنات التكنولوجية» التى تساند وتدعم الشركات الوليدة لتأخذ بيدها، أثناء عبورها مرحلة المخاض، وقد شهدت سنة ١٩٩٩ ميلاد ١٥٠٠ شركة جديدة تعمل فى مجال التكنولوجيا المتقدمة، أسهمت بدورها فى زيادة الاستثمارات إلى حوالى مليار دولار سنويا وتؤكد أحد التقارير أن إسرائيل أصبحت أحد المنافسين البارزين فى ميدان التكنولوجيا، فهى تملك ١٧٠ من شركات التكنولوجيا المتطورة، وهى مسجلة فى بورصة نيويورك «ناسداك» وقد ارتفعت حصتها فيها فى الفترة من ١٩٩٢ - ١٩٩٧ إلى نحو ٣,٥ مليار دولار، وتحتل إسرائيل الآن المرتبة الثانية بعد بريطانيا فيما تمتلك من أسهم فى بورصة لندن، كما تشير التقارير إلى ارتفاع الاستثمارات الأجنبية فى مجالات التكنولوجيا فى إسرائيل، من ٤٠٠ مليون دولار عام ١٩٩٢ إلى ٢,٤ مليار دولار عام ١٩٩٦، وإلى ٣,٧ مليار دولار عام ١٩٩٧. وفى إطار الصادرات التكنولوجية الإسرائيلية، تذكر الإحصاءات أنها زادت إلى نحو ٦٠٪ من إجمالى الصادرات الصناعية عام ١٩٩٨ بالمقارنة بعام ١٩٩١ حيث لم تتجاوز الصادرات التكنولوجية ٢٣٪ من إجمالى الصادرات الصناعية، أو بلغة الأرقام فقد ارتفعت هذه الصادرات التكنولوجية من ٣,٢٥ مليار دولار عام ١٩٩١ إلى نحو ١٠ مليارات دولار عام ١٩٩٨، وارتفعت أيضاً مبيعات البرمجيات وحدها من ٤٥٠ مليون دولار عام ١٩٩٠ إلى نحو ٣ مليارات دولار عام ١٩٩٩. أما بالنسبة لصادرات إسرائيل من المنتجات الالكترونية، فقد تصاعدت من حوالى مليار دولار عام ١٩٨٦ إلى نحو ٦ مليارات دولار عام ١٩٩٩. ومن ثم فقد أفضى النمو فى صادرات التكنولوجيا المتطورة الإسرائيلية إلى دعم جهود البحث والتطوير فى مختلف مجالات التكنولوجيا بوجه عام، كان من نتيجته تحقيق تطور نوعى، لافت للانتباه، فى الناتج التقنى فى عدة مجالات حيوية، منها مجال الزراعة الذى تستخدم فيه إسرائيل نظام الرى بالتنقيط والرش لترشيد استغلال المياه، وحققت أيضا نجاحاً ملحوظاً فى إدخال الحواسب الآلية لضبط العمليات الزراعية، وتهجين السلالات النباتية والحيوانية لتنمية الثروة الغذائية، بالإضافة إلى استخدام أساليب جديدة لزراعة الصحراء،

ومكافحة الآفات الزراعية، وفى مجال الطب، تعتبر إسرائيل من طليعة الدول التى استخدمت الليزر فى العمليات الجراحية، من الثمانينات، وفى علاج سرطان الجلد، كما استخدمت الحواسب فى تشخيص الحالات المرضية، وفى مجال البرمجيات نجح «معهد وايزمان» فى ابتكار حاسوب إلكترونى باسم «ويزاك» فى عام ١٩٥٤، كما قامت شركة «إيلبت» بتطوير حاسوب صغير للأغراض العسكرية، وبدأت شركة «إكسنت للبرمجيات» Accent Soft Ware تنتج برنامج «الإنترنت بلكنة» للتجول فى شبكة المعلومات بأكثر من ٣٠ لغة عام ١٩٩٢، وقيام شركة «ميرابليس» بابتكار برنامج باسم «أنا أبحث عنك» I Seek You فى نهاية عام ١٩٩٦، الذى يسمح لمستخدم الإنترنت بعمل قائمة بعناوين أشخاص، وتوجيه رسالة لأى عضو فى القائمة، فور دخوله على الإنترنت والاتصال به كما تتمتع إسرائيل بمكانة متميزة فى مجال تأمين شبكات المعلومات، وتأمين المرور خلالها، ومجال معالجة الكلمات المتعددة اللغات، وابتكار المحافظ الالكترونية، لتحويل الأموال إلكترونيا، وفى مجال تكنولوجيا الفضاء يشير البروفيسور «زامير» إلى أن أبحاث الفضاء تتركز فى جامعة تل أبيب، خاصة فى دائرة الجغرافية الفيزيائية، والعلوم الفلكية، وتجرى دراسة المناخ الجوى، المنخفض فى الجامعة العبرية فى القدس، بينما يتولى «معهد التخنيون» دراسة الفيزياء الفلكية وكل مايتعلق بالهندسة الفضائية، وتشغيل الصواريخ، ومن ناحية أخرى فإنه فى إطار التعاون الدولى، استطاعت الوكالة الإسرائيلية لاستغلال الفضاء (سالا) أن تبنى علاقات وثيقة، من خلال التعاون التقنى والأكاديمى، مع كل من وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) ووكالة الفضاء الأوروبية (أيا) والمركز القومى الفرنسى لأبحاث الفضاء (سينس) ومركز الفضاء الألمانى الغربى، ووكالة الفضاء اليابانية. ومايجب التأكيد عليه فى هذا السياق أن إسرائيل قامت بتطوير برنامج لإطلاق الأقمار الصناعية، مثل القمر الصناعى «أوفيك -١» الذى أطلق فى ١٩/٩/١٩٨٨، و«أوفيك - ٢» الذى أطلق فى ٣/٤/١٩٩٠، و«أوفيك - ٣». الذى أُطلق فى ٥/٤/١٩٩٥ ومهمته هى التجسس على المنطقة العربية، و«أوفيك -٤» الذى أُطلق فى ٢٣/١/١٩٩٨، ومهمته التجسس على إيران والعراق وسوريا، و«أوفيك -٥» الذى أُطلق فى ٢٨/٥/٢٠٠٢ وهو من أقمار التجسس أيضا، كما قامت إسرائيل بإنتاج وتطوير قمر صناعى آخر باسم «عاموس»، أطلقته لأول مرة فى نوفمبر ١٩٩٥، ويغطى إرساله المنطقة الممتدة من إيران شرقاً إلى ليبيا غرباً، ومن أوكرانيا شمالاً إلى السودان جنوباً، ويغطى هذا الإرسال أيضاً مصر وسوريا والأردن ولبنان وإسرائيل ومنطقة الخليج، ومهمته بث الإرسال التليفزيونى، والمكالمات الهاتفية، وتغطية المؤتمرات على الهواء مباشرة، ونقل المعلومات

من أجهزة الكمبيوتر، ونقل الخرائط والمخططات المصورة، وفى هذا الإطار طورت إسرائيل الصاروخ «هوك» أرض - جو بتحويله إلى صاروخ مضاد للطائرات، وتطوير ٢٤٠ صاروخ «حوما» المضاد للطائرات، وإنتاج وتطوير الصاروخ «أرو» أى السهم، المضاد للطائرات بمعونة تكنولوجية أمريكية. كما نجحت إسرائيل فى تطوير نظام تسليح إشعاعى محمول جواً قادر على اعتراض الصاروخ المعادى وتدميره فى الجو، بالإضافة إلى تطوير نظام يعتمد على تزويد «طائرات بدون طيار» بمواد متفجرة، وتوجيهها نحو مواقع الصواريخ المعادية لتدميرها، وتبلغ تكاليف هذا النظام حوالى ٤٠٠ مليون دولار، وتشير الإحصاءات إلى أنه فى غضون اثنى عشر عاماً أنفقت إسرائيل مايزيد على ١,٣ مليار دولار على تطوير الصاروخ «جيتس» لمطاردة وتعقب الصواريخ المعادية لتدميرها. ويذكر «عوزى روبين» وهو أحد المتخصصين فى مجال تكنولوجيا الصناعات العسكرية «أن هناك حوالى ٥٠٠ صاروخ بعيد المدى تهدد إسرائيل فى الوقت الحاضر». ويضيف محذراً بقوله: «إنه بعد عدة سنوات قادمة سوف يتزايد هذا التهديد، ويصبح لدى سوريا، وليبيا، والعراق، وإيران حوالى ١١٠٠ صاروخ، يبلغ مداها مابين ٣٠٠ و٢٠٠٠ كيلو متر» ويواصل «عوزى روبين» حديثه منبها بقوله: «أنه إذا لم يكن هناك نظام رقابة صارمة على العراق، فسوف تمثل أكبر تهديد موجه إلى إسرائيل، خاصة أن العراق يمتلك حوالى ٥٠ صاروخاً من طراز «الحسين» ويضيف محذراً بقوله: إنه مع استمرار «صدام حسين» فى الحكم، سوف يسعى العراق إلى تطوير الصواريخ لتصبح بعيدة المدى، وفى هذا تهديد خطير لإسرائيل». ولعل ذلك أحد الأسباب، إلى جانب هدف الهيمنة الأمريكية على المنطقة العربية، التى تكمن خلف الإصرار الأمريكى على ضرب العراق، وتغيير نظام الحكم فيها، بإيعاز من إسرائيل، وبضغط متواصل من اللوبى الصهيونى الأمريكى، أما فى مجال تكنولوجيا الطاقة النووية فى إسرائيل فيكفى دليلاً على تطويرها ما لدى الكيان الصهيونى من عدة مفاعلات نووية، منها مفاعل «ريشون لينسيون» الذى أقيم فى عام ١٩٥٤، وهو أمريكى الصنع، ومفاعل «ناحال سوريك» الذى أنشىء فى عام ١٩٥٧، وهو أيضا أمريكى الصنع، ومفاعل «ديمونا» الذى بُنى عام ١٩٦٥، وهو فرنسى الصنع، ومفاعل «بنى روبين» الذى شُيد فى عام ١٩٦٥، وهو أمريكى الصنع، وقد سبق هذه المفاعلات النووية الأربعة تشكيل أول لجنة للطاقة النووية فى عام ١٩٥٢. وتتوزع الأسلحة النووية التى تنتجها هذه المفاعلات على العديد من المواقع الإسرائيلية على النحو التالى:

- موقع بالميكيم: وهو يقع شمال مفاعل «ناحال سوريك» وهو مخصص لإجراء التجارب على الصواريخ النووية مثل صاروخ «أريحا-٤».

– موقع يوديفات : وهو المكان الذى يتم فيه تجميع الأسلحة النووية وتفكيكها .

– موقع بئر يعقوب : وهو المصنع الذى يجرى فيه بناء صواريخ « أريحا-٣ » .

– موقع كفار زكريا : وهو عبارة عن قاعدة للصواريخ النووية، وبه ملاجئ لتخزين القنابل النووية الخاصة بقاعدة « تل نوف » الجوية .

– موقع عيلبون : وهو يقع شرق منطقة الجليل، وهو المكان الذى يتم فيه تخزين الأسلحة النووية التكتيكية .

وعلى الرغم من مخطط التعتيم الإسرائيلى حول قدرات إسرائيل النووية، فإن ما كُشف النقاب عنه، فى السنوات القليلة الماضية، هو أن إسرائيل تحتل المرتبة السادسة بالنسبة للدول المنتجة للسلاح النووى، فذكر المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بلندن، فى أحد تقاريره أن إسرائيل تمتلك مابين ١٠٠ و٢٠٠ رأس نووى . ومن جهة أخرى تسربت أنباء من وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) تفيد امتلاك إسرائيل نحو ٤٠٠ سلاح نووى متنوعة القدرات، من قنابل تكتيكية ونيتروجينية، وهيدروجينية، وهذا ما أكده الكولونيل المتقاعد فى الجيش الأمريكى « ورنر فارد » فى مقال له بقوله : « إن إسرائيل، كانت عشية حرب ١٩٦٧، تمتلك ١٥ رأساً نووياً، ارتفعت فى بداية الثمانينات إلى ٢٠٠ رأس نووى، وتضاعفت بعد ذلك إلى ٤٠٠ قنبلة نووية مختلفة الأحجام » . وفى ضوء ذلك أصبحت إسرائيل فى الحقيقة هى المحتكرة الوحيدة للسلاح النووى فى المنطقة العربية، لايشاركها أحد من الدول العربية فى ذلك، وترتكز سياسة الاحتكار الإسرائيلى للسلاح النووى على ثلاثة ركائز، الأولى رفض إسرائيل الانضمام إلى معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، والثانية لاتعترف إسرائيل حتى الآن بامتلاك السلاح النووى، والثالثة لاتوافق إسرائيل على وضع منشآتها النووية تحت الرقابة الدولية، وذلك كما نرى خروج من جانب إسرائيل على القانون الدولى، واستثناء من الرقابة الدولية، تساندها فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى الختام يمكن القول بأن التقدم التكنولوجى الذى أحرزته إسرائيل فى العديد من المجالات الحيوية التى عرضناها سلفاً كان محصلة تفاعل عاملين رئيسيين : الأول تواجد قاعدة علمية قادرة على الإبداع والابتكار، والثانى تواجد قاعدة صناعية متقدمة مرتبطة بالبحوث التطبيقية القادرة على تحويل الإنجاز العلمى إلى واقع عملى ملموس، ومايجب التأكيد عليه أنه على الرغم من « الفجوة التكنولوجية » التى أفرزها هذا التقدم التقنى فى إسرائيل لصالحها، فلا يجب أن يكون ذلك مبرراً لجلد الذات العربية، وتهويناً من شأنها خاصة أن لدى العرب رصيداً ضخماً من الموارد البشرية، المؤهلة تأهيلاً علمياً وتقنياً ومجموعة متميزة من مؤسسات البحث العلمى والتكنولوجى التى تكفل للأمة العربية احتلال مركز الصدارة فى مختلف ميادين التكنولوجيا الفائقة .

الأطفال .. أضحية أو قرابين

للدكتور / على أحمد على

للعدوان على الأطفال: ذَبْحاً وقرباناً وتضحيةً، تاريخٌ تَبْرأُ منه السماء، نبت فى أحضان الوثنية على هَوًى من أساطينها، ضَلُّوا بها، وأضلوا، وما كانوا مهتدين فى وثنيتهم بأثارةٍ من عِلْمٍ أمين، أو دِينٍ راشدٍ حكيم.

ولهذا التاريخ اتجاهان:

(أ) اتجاه اجتماعى: لا صلة له بعقيدة مطلقاً، يندفع فيه الآباء، والأمهات إلى قتل أولادهم ذكوراً أو إناثاً خيفة الجوع أو العار، وكثرت ضحايا هذا اللون بين الأمم الجاهلية، ومنهم العرب، وفى هذا اللون جاء قوله ـ تعالى ـ فى واحدة من الوصايا:

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾

الأنعام ـ ١٥١

وقال تعالى:

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾

التكوير ٨، ٩

فكان قتلُ الأطفال عاماً فى الذكور، والوأدُ عاماً فى البنات، وهو دَفْنُهن أحياء، وذلك إمَّا مخافةَ الحاجة والإملاق، وإما خوفاً من السَّبْى والاسترقاق.. قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما: «كانت المرأة فى الجاهلية إذا حَمَلَت حَفَرَتْ حفرة وتمخضت على رأسها، فإن ولدتْ جاريةً رمت بها فى الحفرة، وردت التراب عليها، وإن ولدت غلاماً حبسته» اهـ. «أى لم تئِدْه» ولم يكن ذلك عُرْفاً عاماً فى كل العرب، والحمد لله.

وممن وَأَدَ من الرجال قيس بن عاصم ـ وله صحبة ـ رضى الله عنه: جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنى وأدتُ ثمان بنات كُنَّ لى فى الجاهلية. قال ـ عليه الصلاة والسلام: فأعتق عن كل واحدة منهن رقبة»[1].

وكتب ابن الأثير أبوالحسن بن على بن محمد الجزرى ـ فى ترجمته لكَبِيرة ـ أو كثيرة ـ بنت سفيان الخزاعية ـ أو الثقفية، وكانت ـ رضى الله عنها ـ من المبايعات. قالت:

قلت: يا رسول الله، إنى وأدتُ أربع بنين لى فى الجاهلية!؟

قال ـ عليه الصلاة والسلام: أعتقى أربع رقاب. أ. هـ[2]

(١) القرطبى المجلد العاشر ص٧٢٦٩ فى تفسير آيتى التكوير.

(٢) أسد الغابة المجلد السابع ص٢٥٠ نشر الشعب.

كذا «أربع بنين» وتذكير «أربع» في الخبر يرجع أنهن بنات لا بنين؛ فإن الوأد كان فيهن، والله أعلم

(ب) وتاريخ ديني: يكشف عن اندفاع آباء وأمهات إلى تقديم أبنائهم وبناتهم طُعْمة للنار، ضحايا لأوثانهم قانعين مغتبطين بتشريع كهانهم هذا الوضع، فَيُعْبَر بالطفل والطفلة فوق النار فيسقطان فيها. وفيهم.. وفي ألوان هذا النوع وأشكاله يقول تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾

الأنعام(١٣٧)

والآية واضحة المراد بذكر «المشركين» و«شركاؤهم» و«دينهم» فحديثها يعني هذا البلاء من التَّعَبّد الذي يحدثه رؤساء هذه الأديان وكهانهم، وإن شملت عامة قتل البنين والبنات.

قال الفراء والزجاج: شركاؤهم ها هنا هم الذين كانوا يخدمون الأوثان. «أ. هـ»

وفي الحق أن السَّدَنة: أعني خُدَّام الأوثان أحد طبقات القائمين عليها. وهم جميعا يأمرون هؤلاء الأتباع بتلك المراسيم ويرغبونهم فيها ويخلطون عليهم دينهم فلا يتبينون فيه رشدا ولا صلاحا.

وما كان هذا اللون من الضحايا والقرابين بالأطفال إلا نتاج هذه الوثنية المحضة.

●●●

ولما اشتعلت الفتنة بهذه القرابين عصر الخليل إبراهيم- على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام- أراد- سبحانه- أن يبين للمؤمنين براءة السماء من هذا الخبث، وتلك الجريمة، وطبقا لسنته- تعالى- التي لا تبديل فيها ولا تحويل، كان المنع بـ(حادثة) فريدة.

قال الخليل- عليه السلام- لولده إسماعيل:

﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾

قال إسماعيل- لإدراكه أن رؤيا الأنبياء وَحْي:

﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾

أي استسلما طائعين أمر الله، وهما موقنان بوجوب الذبح ولا رادَّ له ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ أي أنامَهُ على أحد جنبيه وَهَمَّ بالذبح طاعة لله- تعالى- نَزَلَ بيانه- سبحانه بالمنع من الذبح وبالفداء معا، قال تعالى:

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾

أي قد فعلت ما أريتك إياه في منامك «أ. هـ» فلم يقع ذبح إطلاقا، ولكن هاك فداء تَقَرُّ به عيناك وعينا إسماعيل وعينا والدته:

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾(٣).

(٣) الآيات بسورة الصافات ١٠٢-١٠٩

وعلى نفس الطريقة أعنى بـ (حادثة) كان بيانه ـ سبحانه وتعالى ـ فى براءة السماء من كل عرف أو تقليد فاسد؛ فإنه يأخذ هذا اللون من البيان العملى الذى يُساقُ فى حادثة على كيفية تنتهى ببيان فساد هذا العُرْف، وحسبك فى ذلك إبطاله- سبحانه وتعالى- للتبنى وبيانه حلَّ زواج من كان متبنيا ـ لزوج من كان تبناه.. الخ.

●●●

ولو أردنا أن نمر بأحكام الأبناء وحقهم على الآباء فى شريعة السماء لوجدنا الرحمة المصفاة؛ فهم ﴿ زينة الحياة الدنيا ﴾ الكهف- ٤٦، ينبغى اختيار أحب الأسماء لهم، وتربيتهم على أحسن حال مستطاع، وعدم الدعاء عليهم، قال رسول الله ﷺ لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة إجابة فيستجيب لكم(٤). أى فيهلك مَنْ دَعْوَتُمْ عليه مِنْ وَلَد أو مال.. الخ.

وهل بعد أن أقرت الشريعة إعطاء الولد العاق حقه من الميراث كلمة فى هذا المقام؟

أساء ما أساء إلى والديه، وكَفَّ الله- سبحانه- أيديَهُما عنه؛ فما استطاعا حرمانه من ميراثهما.

●●●

وَاسْتَوْثَنَ فريق من بنى إسرائيل، وإنه لفريق كبير(٥)، وقدموا أبناءهم وبناتهم للذبح والنار، وإنها لوثنية عجيبة. وذلك أمر لم يكن يتوقعه مؤمن، فهم:

ذرارى الأنبياء- على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام،

وعاشت فيهم شريعة لا تزال مسطورة فى «العهد القديم» أعنى التوراة المتبادلة بأيديهم،

وعاش إلى جوار الشريعة أنبياء، ظلوا متداركين حتى ولادة المسيح ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

فأنَّى كان يخطر ببال المؤمن، وفيهم هذه الثلاث أنهم مغرمون بالوثنية، وأنهم اندفعوا إليها أثناء غياب موسى ليتلقى التوراة.

ولم يقص علينا القرآن الكريم أن أحدا من أتباع الأنبياء من قبل موسى آمن مع نبيه ثم ارتد إلا هذا الفريق من بنى إسرائيل عبدوا العجل- فى غياب موسى- وفيهم نزل «حكم الردّة» التى لم تكن فى مؤمنى الأنبياء من قبل، وكان الحكم قتل المرتدين، قال- تعالى-:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

البقرة- ٥٤

---

(٤) رواه مسلم وأبو داود وابن خزيمة.

(٥) يدل على كِبَرِهِ هاتان الآيتان الكريمتان من سورة الأعراف.

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾

ومن الآيتين نتبين والله أعلم أن نسبة الصلاح إلى الفساد فيهم هى (١: ١١) ذلك أنهم اثنتا عشرة سِبْطا أمما، منهم أمة واحدة تهدى بالحق وترضى به.

أى: يقوم فريق من الذين لم يرتدوا بقتل المرتدين، ونفذ الحكم.

وسجله العهد القديم فى سفر «الخروج» الإصحاح رقم (٣٢) النصوص: ٢٧-٢٩.

قال موسى: قال الرب إله إسرائيل: «ضعوا كلٌ واحد سيفه على فخذه.. واقتلوا كُلَّ واحدٍ أخاه، وكلٌ واحدٍ صاحبه، وكل واحد قريبه. ففعل بنو لاوى بحسب قول موسى، ووقع من الشعب فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل. ا.هـ

ومن السَّفَه السافل أن بنى إسرائيل تلصق عبادة العجل - فى هذه الفترة - بهرون - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، ويكتمون ذكر «السامرى» صانع العجل، ويقع كتبة هذا السفر فى تناقض رهيب؛ فلو كان هرون صانع العجل لكان من عُبَّاده. ولقتله موسى قولا واحدا، لكن موسى لم يقتل هرون، ولم يذكر «العهد» ان موسى تقدم لهرون باتهام بالكفر، وبرأ الله هرون، فقد قال لهم - وقد هموا بالعجل صناعة وعبادة:

﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴾

طه - ٩٠، ٩١

وما الحيلة مع قوم يقتلون أنبياءهم، أفلا يكون يسيراً عليهم تكفيرهم؟!

وما فعلوه مع هرون فعلوه مع «سليمان» على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام - فاتهموه بأنه صنع لهم الأوثان ووضعها بأعالى المرتفعات وذبح لها[٦]، ورد الله - سبحانه - ذلك كله بأبسط عبارة، فقال - جل علاه:

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ ﴾ البقرة - ١٠٢.

ويشاء الله أن يقع كاتبو سفر الملوك فيما وقع فيه إخوانهم الذين اتهموا (هرون)، فإذا نفس الكتبة - فى نفس السفر يكتبون أن سليمان - عليه السلام - طلب «يَرْبْعام بن ناباط» ليقتله، فقد كان هذا اليربعام وراء الأوثان، بل صنع عجلين من ذهب فيما بعد وفاة سليمان ليصرف بنى إسرائيل عن الاتجاه إلى (بيت الرب) بأورشليم وهرب يربعام يوم طلبه سليمان إلى «شيشق» ملك مصر، وظل بها حتى مات سليمان[٧].

●●●

ولا تنفك الوثنية قائمة فى بنى إسرائيل وما يتبعها من طقوس كذبح الأطفال أو إلقائهم فى النار؛ فهى فى مد وجزر بينهم من بعد موسى حيث قام فيهم «قضاة» يتولون أمرهم، ثم «ملوك» من بعد القضاة، ثم تستمر الوثنية فيهم إلى عهد المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

●●●

انتهى القرن الخامس عشر من قبل الميلاد، ولحق موسى - عليه السلام - بالرفيق الأعلى، نبيا كريما فى منازل الصديقين والشهداء، وكان هرون - عليه السلام - قد مات قبله.

---

(٦) راجع العهد القديم الملوك الأول ١١/٤، وما بعدها

(٧) راجع العهد القديم الملوك الأول ١١/٤٠.

وعاش بنو إسرائيل من بعدهما وعليهم «يوشع ابن نون» فتى موسى ـ عليه السلام ـ وهو «يشوع ابن نون» فى العهد، حتى إذا قضى يوشع تولى الأمر فيهم قضاة إلى أن طلبوا إلى ـ نبى فى بنى إسرائيل، يذكر «العهد» أنه «صموئيل»[٨]. أن يكون لهم ملك، يجمعهم على وحدة جامعة شاملة لكل الأسباط، ذلك أن القضاة لم يكونوا ـ فى الواقع ـ أكثر من أبطال ليس لهم من سياسة الحكم نصيب[٩]، وفى التنزيل العزيز مصداق ذلك، قال ـ تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾

البقرة ـ ٢٤٦ ـ ٢٤٧

فكان طالوت أول ملوكهم[١٠] بأرض كنعان

---

(٨) صموئيل أول ٨/٢٢

(٩) وها هم قضاة بنى إسرائيل من بعد يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام.

أ - يهوذا بن يوشع (يشوع)، ب - عُثْنيل بن قناز، جـ - أهود بن جيرا، د - شمجربن عناة، هـ - جدعون بن يوآش، و - أبيمالك بن جدعون، ز - تولع بن فواة، ح - يائير الجلعادى، ط - يفتاح بن يائير الجلعادى، ى - إبصان من بيت لحم، ك - إيلون الزبولونى، ل - عَبْدون بن هليل، م - شمشون بن منوح، راجع سفر القضاه.

(١٠) وها هم ملوكهم:

أ ملوك الشمال (إسرائيل) من بعد سليمان:

١ - يربعام الأول (٩٢٢ ٩٠١ ق. م).، ٢ - ناداب بن يربعام (٩٠١ ٩٠٠ ق. م)، ٣ - بعشا بن أخيا (٩٠٠ ٨٧٧ ق. م)، ٤ - أيله بن بعشا (٨٧٧ ٨٧٦ ق. م)، ٥ - زِمْرِى وفيه غموض مات منتحرا، ٦ - عمرى (٨٧٦ ٨٤٢ ق. ق)، ٧ - أخاب بن عمرى (٨٤٢ ٨٢٠ ق م)، ٨ - أخزيا بن أخاب (حكم عامين)، ٩ - يهورام بن أخاب، ١٠ - ياهو، ١١ - ياهو أحاز (٨١٥ ٨٠١ ق م)، ١٢ - يهو آش ابنه (٨٠١ ٧٨٦ ق م)، ١٣ - يربعام الثانى حكم أربعين سنة، ١٤ - زكريا بن يربعام حكم ستة أشهر تَلاه، ١٥ - شلوم بن يابيش (٧٤٥) مغتصب عرش زكريا، ١٦ - منحيم بن جادى (٧٤٥ ٧٣٦ ق م)، ١٧ - فقحيابن منحيم (٧٣٦ ٧٣٥ ق م)، ١٨ - فقح بن رمليا. اضطراب فى مدة حكمه، ١٩ - هوشع بن أيلة (٧٣٢ ٧٢٤ ق م)، ثم سقطت إسرائيل. [راجع سفرَى الملوك].

ود/محمود بيومى مهران دراسات فى الشرق الأدنى إسرائيل ص ٤٩٥.. الخ مطبعة الأمانة.

ب ملوك الجنوب (يهوذا) من بعد سليمان

١ - رحبعام بن سليمان (٩٢٢ ٩١٧ ق.م)، ٢ - أبيام بن رحبعام (٩١٥ ٩١٣ ق. م)، ٣ - أسا ابن أوخو أبيام (٩١٣ ٨٧٣ ق.م)، ٤ - يهو شافط بن أسا (٨٧٣ ٨٤٩ ق. م)، ٥ - يهورام بن شافط (٨٤٩ ... (٨ سنوات)، ٦ - أخزيا بن يهورام (٨٤٣)، ٧ - عَثْليا أم أخزيا (٨٤٣ ٨٣٧ ق م)، ٨ - يَهُوآش (٨٣٧ لمدة أربعين أو ٣٧ عاما)، ٩ - أمصيا بن يهوآش (٨٠٠ ٧٨٣ ق م)، ١٠ - عزريا بن أمصيا (٧٨٣ ٧٤٢ ق م)، ١١ - يوثام بن عذريا (٧٤٢ ٧٣٥ ق م)، ١٢ - أحاز (٧٣٥ ٧١٥ ق م)، ١٣ - حزقيا بن أحاز (٧١٥ ٦٨٧ ق م)، ١٤ - منَسَّى (٦٨٧ ٦٤٢ ق م)، ١٥ - أمون بن منسى (٦٤٢ ٦٤٠ ق م)، ١٦ - يوشيا بن أمون (٦٤٠ ٦٠٩ ق م)، ١٧ - يهو أحاز بن يوشيا حكم ثلاثة أشهر، ١٨ - يهوياقيم (٦٠٩ ٥٩٨ ق م)، وقع أسيرا بأيدى البابلين، وعين نبوخد نصر، ١٩ - متنيا عمَّهُ حاكما ليهوذا، وأسماه صدقيا، ثم قضى على يهوذا عام ٥٨٦.

التى سموها (إسرائيل) وطالوت هو شاول فى العهد القديم، تولى الملك الفترة (١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق.م).

وباختصار شديد قويت الدولة هذه فى عهد طالوت، ثم داود - عليه السلام - (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م) من بعده، ثم سليمان عليه السلام - (٩٦٠ - ٩٢٢ ق. م) حتى إذا مات سليمان تقسمت الدولة من بعده إلى (إسرائيل) فى الشمال، وإلى (يهوذا فى الجنوب).

وضعفت كلتا الدولتين حتى إذا كان عام (٧٢٢ ق.م) قضى « سرجون الآشورى » على إسرائيل فى الشمال، ثم قضى « نبوخذ نصر » على « يهوذا » فى الجنوب عام (٥٨٦ ق.م) وانتهت الدولة إلى الأبد بمشيئة الله تعالى.

●●●

إن بين يدى القارىء ثَبَتاً بالقضاة والملوك، بلغَ القضاة فيه ثلاثة عشر قاضيا، وبلغ ملوكهم ثمانية وثلاثين ملكاً. يأبى كتبة أسفار القضاة والملوك إلا أن ينصوا على استمرار الوثنية بين بنى إسرائيل خاصة طيلة حكم الملوك، اللهم إلا من نذر قليل بين هؤلاء وهؤلاء تمكن فيه بعض القضاة والملوك من كبح جماحها وإخمادها، فما كانت تخمد إلا لأجل قليل، ثم تعود فتبسط نفوذها من جديد، خذ مثلا هذا النص - باختصار مع الحفاظ التام على اللفظ كما هو:

« وعَبَدَ الشعبُ الرَّبَّ كل أيام يشوع، وكُلَّ أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع الذين رأَوْا كلَّ عَمَلِ الرب العظيم الذى عَمِلَ لإسرائيل، ومات يشوع... وكل ذلك الجيل أيضا، وقام بعدهم جيل آخر لم يعرف الرب ولا العمل الذى عمل لإسرائيل، وفَعَلَ بنو إسرائيل الشر.. وعبدوا « البعليم »... وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها.. وعبدوا « البعل » و« عشتاروت »... ولقضاتهم لم يسمعوا بل زَنَوْا وراء آلهة أخرى... وعند موت القاضى كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم » قضاة - ٢.

ولنترك القضاة إلى ملوكهم من بعد داود وسليمان - عليهما السلام: وقد علمنا انقسام الدولة إلى شطرين: إسرائيل فى الشمال، ويهوذا فى الجنوب، وكانت « أورشليم » فى أرض يهوذا، وهنا نجد كتبة سفرى الملوك يَصمُونَ ملوك الشمال جميعا بالوثنية، بينما يندر الملك الوثنى فى الجنوب، ولنا فى ذلك تعقيب قريب.

سجد بنو إسرائيل للأوثان: ما اصطنعوه منها لأنفسهم، وما كان من أوثان للأوطان من حولهم كما عبدوا أيضا ملوكا لأمم أخرى، مثل: « كوشان رشعتايم » ملك آرام النهرين، و« عجلون » ملك موآب.

وهذه طائفة من أوثانهم تضاف إلى ما تقدم، وشىء منْ تَقْدِماتِهم لها:

أَدْرَ مَّلك، عَنَمَّلَك، بعل زَبوُب، ثيران يصطنعونها بجانب البعل، رفع أوثان على المرتفعات «وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل وعَبروا بنيهم وبناتهم فى النار» ملوك ثان ١٧ / ١٦ .

وتبعوا الوثنيين من الممالك المجاورة الذين حرقوا بنيهم بالنار لـ «أدرملك» و«عنملك» ١٧ / ٢١ وكتبوا عن مَنَسَّى ملك يهوذا أَنَّهُ: «سجد لكل جند السماء وعبدها... وعَبَّر ابنه فى النار» ملوك ثان ٢١ / ٤ ، ٥ .

وفى نص آخر: «وَعبَّر بنيه فى النار» أخبار الأيام الثانى ٢٣ / ٦ «وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان، وأهرقوا دما زكيا.. دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان»[١١] مزامير ١٠٦ ص٩٠٨ .

وبعد: فلسنا نشك فى اندفاع كثير إلى الوثنية، وأدائهم لطقوسها. غير أننا ينبغى أن نمسك بتؤدة عن ذكر الكتبة لأشخاص بأعينهم، نظرا لما سَبقُوا إليه من اتهام لهرون وسليمان ـ عليهما السلام ـ من ناحية، ولفقدنا لمصادر دقيقة أخرى إسرائيلية يمكن على مادتها عَمَلَ مقارنة ومقابلة نستنتج على ضوء كل منها الوضع الصحيح.

فأما الكثير جداً من عامتهم فقد صحب الوثنية من فجر طويل.. من أيام موسى ـ عليه السلام ـ كما مَرَّ، أضف إلى ذلك: أن اهتمام كل ملوك الشمال والجنوب بالحرب فيما بينهما كان فرصة ليعمل بنو إسرائيل ما يريدون فكانت تلك الوثنية التى أورثتهم لعنة الله ـ تعالى ـ إلى الأبد، وقضت على الكاهن، واندثر الهيكل، فلا كاهن ولاهيكل لترتفع عنهم اللعنة؛ فهى قابعة لن تزول لقد قضى الله بالحق وأقام شرعة السلام.

***

(١١) انظر فى إلقاء الأبناء فى النار صفحات العهد القديم: ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، «وإسرائيل للدكتور محمد بيومى مهران».

الأعياد اليهودية

للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق

إذا أردنا إلقاء الضوء على الأعياد اليهودية، والتى تقوم أساسا على التقويم العبرى، سنجد أن التقويم العبرى معقد للغاية، لأن شهور السنة العبرية تتبع الشهور القمرية، والشهور اليهودية مكونة إما من ثلاثين يوما أو تسعة وعشرين يوما، وبذلك تصبح السنة عندهم ٣٤٥ يوما، والفرق بين السنة القمرية والسنة الشمسية أحد عشر يوما، وقد تحايل اليهود على ذلك بإدخال تعديلات معقدة على تقويمهم بحيث يتطابق التقويمان تمام المطابقة مرة كل عشرين عاما، فأقحموا شهرا مدته ثلاثون يوما فى كل عام ثالث وسادس وثامن وحادى عشر ورابع عشر وسابع عشر وتاسع عشر من هذه الدورة العشرينية وأسموه آزار الثانى (أواخر فبراير - مارس).

أما السبب الثانى لتعقيد التقويم اليهودى فهو سبب طقوسى بحت، فمثلا لا ينبغى أن يقع عيد الغفران يوم جمعة أو أحد، كذلك لا يجوز أن يكون اليوم السابع من عيد المظال يوم السبت.

وغريب أمر هؤلاء القوم، فقد خالفوا أمم العالم قاطبة فى نظرتهم للكون، الذى يعتقدون أن الله قد خلقه لأجلهم بوصفهم شعب الله المختار وأضفوا القداسة على الأرض والشعب واللغة وكل ما يتعلق بهم فنرى التقويم الإسلامى يبدأ بالهجرة «هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام وأفضل السلام».

والتقويم المسيحى يبدأ بميلاد المسيح - عليه السلام - وهى أزمان تاريخية معينة، أما التقويم اليهودى فيجعل نقطة بدايته لحظة كونية لا تاريخية، هى خلق العالم، كما أن نهاية التاريخ حسب تصورهم هى عودة المسيح المنتظر اليهودى فى سبت التاريخ.

وقد حدد حاخامات اليهود بدء الخليقة على أساس التواريخ التوراتية التى بين أيديهم بعام ٣٧٦٠ ق.م وبذلك يصبح عام ٢٠٠٢ ميلادية لديهم ٣٧٦٠ + ٢٠٠٢ = ٥٧٦٢م

وقد تصدى حاخامات اليهود لأية محاولة لإدخال بعض التعديلات على التقويم، كى لا يمس يوم السبت لديهم.

وإذا أردنا أن نتحدث عن الأعياد. فكل سبت عيد عند اليهود والسبت بالعبرية «شبات» بمعنى راحة، وقد وردت قدسية هذا اليوم فى مواضع متعددة من العهد القديم فقد ورد فى سفر الخروج:

«اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك وأما اليوم السابع فهو سبت للرب الهك» [خروج ٢٠ / ١١]

وورد أيضا فى سفر التثنية :

« احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك » [تثنية ٥ / ١٥] .

كما احتل مكانة كبرى فى التلمود، وخصص له باب فى قسم الأعياد كما تحدثوا عنه فى كتب التفسير (المشنا والجمارا) باتساع ويذخر القاموس العبرى بالعديد من أسماء يوم السبت فهناك سبت الخليقة ويقرأ فيه سفر التكوين (أى خلق العالم) والسبت الكبير ويقع قبل عيد الفصح مباشرة . . إلخ وكل مناسبة دينية هناك اسم خاص للسبت الذى يسبقها .

والسبت هو الذى جمعهم طوال الشتات، وكان الرمز الوحيد الذى يذكرهم بيهوديتهم . ولم يكن عند اليهود خطيئة تفوق عدم حفظ شعائر السبت إلا عبادة الأوثان . ويبدأ الاحتفال به بدخوله مساء يوم الجمعة والحقيقة أنه يوم أسبوعى يعقد فيه اللقاءات وتحاك المؤامرات، وهو همزة الوصل قريبة المدى بينهم .

عيد الفصح - عيد الربيع

من الأعياد المهمة لديهم، فهو أول عيد، وقد ورد ذكره فى التوراة، وكلمة « أفيف » بالعبرية تعنى الربيع، وأصل معنى الكلمة القديم هو المرور والعبور، وهو إحياء لذكرى نجاة بنى إسرائيل من فرعون ويسمونه أيضا (عيد الفطير) وبالعبرية « حَجْ مَتسوت » لأن طقوسه توجب على اليهود أن يأكلوا فيه الخبز من عجين فطرى لا يدخله الملح ولا الخميرة تذكيرا بأنهم عند فرارهم مع موسى من وجه فرعون لم يكن لديهم الوقت ولا الفراغ للتأنق فى الخبز والانتظار على العجين حتى يختمر .[١]

عيد الغفران

وبالعبرية (يوم كيبور) وهو أهم الأعياد اليهودية على الإطلاق وأقدس يوم فى السنة ويطلق عليه سبت الأسبات .

يصوم اليهود خلاله ليلا ونهارا ولا يقومون بأى شىء سوى التعبد وقد أضيفت إليه ذكرى انتصار القوات المصرية فى العاشر من رمضان عام ١٣٩٣ هـ الموافق ٥٧٣٣ يهودية .

عيد رأس السنة: وبالعبرية (روش هشانا)

ويحتفل بهذا العيد أول وثانى يوم من شهر تشرى (سبتمر - أكتوبر) وهو عيد ليس له ذكرى تاريخية، ولكن حاخامات اليهود أضفوا عليه القداسة - وقد ذكر فى « المِشْنا » أن هذا اليوم هو اليوم الذى بدأ الله فيه خلق العالم، وهو أيضا يوم الحساب السنوى، وهو أول أيام التكفير العشرة التى تنتهى بيوم الغفران، وهناك تقاليد غريبة تتعلق بالأكل والشرب كى يتطهروا من ذنوبهم ويحتفل به يومين على التوالى .

عيد المظال

بالعبرية « السوكوت » ومدته سبعة أيام والمناسبة التاريخية هى إحياء ذكرى خيمة السعف التى آوت أبناء إسرائيل فى العراء .

ويقول موشيه صدوق : أما وقت الحلاقة فقد كانوا يجتهدون لتأجيله حتى يوافق عيد المظال، وفى ذلك اليوم يدخلون به إلى المعبد فى احتفال

(١) د.حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ٢١٩/٢/٨.

كبير، ومنذ ذلك الوقت يتأنق الولد بالضفائر، يموجها بسرور ويرى فيها علامة لبلوغه.[2]

عيد الحانوكة

فى الخامس والعشرين من شهر كسلو العبرى الذى يقابل ديسمبر وأيام عيد الحانوكة «عيد التدشين» هى أيام فرح ويستمر العيد ثمانية أيام، والعيد بحكم توقيته يمكن اليهود من الاحتفال بعيد يهودى فى نفس الفترة التى يحتفل فيها المسيحيون بعيد الميلاد.

عيد البوريم «عيد النصيب»

وكان الكتاب العرب يسمونه «عيد المسخرة» أو عيد المساخر.. والسبب فى ذلك ما يحدث فى هذا العيد من مهازل حيث كانوا يسرفون فى شرب الخمر والشكر ولبس الأقنعة والملابس التنكرية. وهذا العيد لا يمت بصلة إلى رسول الله موسى ـ عليه السلام ـ ولا إلى شريعته، بل هو احتفال تذكارى متصل بملابسات ممهدة للعودة من السبى البابلى فى القرن الخامس ق.م وهو احتفال أشد التصاقا بالسياسة منه بالدين ولهذا فإن هذا الاحتفال يحظى فى ظل الصهيونية الحديثة باهتمام خاص.

واسم بوريم جاء من كلمة «بور» فى اللغة الفارسية وتعنى «قُرعه» وجمعها «بوريم» بالعبرية، فقد أقسم الوزير «هامان» أن يقطع دابر اليهود من بلاده وأجرى قرعه لاختيار يوم مذبحة اليهود وأسفرت القرعه من تحديد يوم الثالث عشر من آذار موعدا لتنفيذ العملية، حتى قامت استير بمهمتها المعروفة.

عيد الأسابيع

بالعبرية (شافوعوت) ومدته يومان ويعتبر عيد الحصاد حيث كان الفلاحون اليهود يأخذون أولى ثمار الحصاد إلى الهيكل والآن يأخذونه إلى الصندوق القومى اليهودى.

وله مناسبة تاريخية راسخة فى عقولهم وهى نزول التوراة ـ الوصايا العشر على موسى ـ عليه السلام ـ فوق جبل سيناء.

ويقولون حاشا لله: هو عيد زواج الله بالشعب. يزينون المعابد ويقيمون حفل زفاف للتوارة تماما كأنها عروس تزف إلى الله.

التاسع من آب

بالعبرية (تيشاع بآب) وهو يوم صوم وحداد عند اليهود فى ذكرى سقوط أورشليم وتخريب الهيكل، وتربط التقاليد اليهودية بين هذا التاريخ وكوارث يهودية أخرى يقال إنها وقعت فى هذا اليوم مثل خروج اليهود من أسبانيا وغيره.[3]

عيد الاستقلال: حج هاعتسمئوت

وكما ذكرنا أن بداية أعيادهم هو عيد الفصح وخروجهم من مصر فإن آخر أعيادهم، كما يسموه عيد الاستقلال أى عيد إنشاء الدولة الصهيونية، والمقصود عيد الاحتلال واغتصاب أراضى الغير وأهم مظاهر الاحتفال هو استعراض القوة الغاشمة من أحدث الآليات العسكرية التى تستخدم فى قتل الأبرياء من الشعب الفلسطينى الأعزل بمباركة وتمويل أمريكى.

---

(٢) موشيه صدوق: يهودى تيمان - يهود اليمن (مصدر عبرى) ص ١٤٦.

(٣) موسوعة المفاهيم ص١٢٩.

من جرائم اليهود الصهاينة

لفضيلة الشيخ/ عبد الخالق نصير
الأمين العام المساعد للثقافة

يعتمد اليهود اليوم على العنصرية والعدوانية بلا شفقة ولا رحمة كما فعل أسلافهم من قبل، ولهم من الجرائم والفظائع ما لا يكاد يحصى، والإرهاب ملازم لليهود منذ قدم التاريخ وهم لا يعرفون معنى السلام والرحمة، فالسلام فى نظرهم يعنى العدوان والقسوة ضد غيرهم والتاريخ بين لنا ذلك، ولنذكر على سبيل المثال لا الحصر بعضاً من جرائم اليهود حتى نعرف حقيقة أعدائنا الذين هم فى نفس الوقت أعداء العالم كله ويضعون جميع العراقيل أمام السلام فى كل زمان ومكان، يقول التاريخ: (كما جاء فى كتاب الجمعة ـ للشيخ كمال الدين الطائى ط بغداد سنة ١٩٧٥م)

١- كان أهل قبرص والقيروان يعاملون اليهود بالعطف والرحمة عندما كانوا يسكنون تلك البلاد وذلك فى عهد الإمبراطور (تراجان) عام (١١٧ - ٩٨) ق.م، فتآمر لليهود وثاروا على أهل هذه البلاد، وأخذوا يفتكون بهم بدلاً من أن يقابلوا هذا العطف بالولاء والحب وأبدوا من الهمجية والقسوة ما لا يكاد يصدقه أحد، حيث كانوا يأكلون لحوم قتلاهم، ويشربون دمهم، ويتخذون من أمعائهم أحزمة، ويلتفون بجلودهم، وقد شطروا الكثير منهم من أعلى رؤوسهم إلى أسفل، وأرغموا كثيرين على قتل بعضهم بعضاً، وروى أنهم قتلوا من أهل قبرص (مائتين وأربعين ألفاً)، وقتلوا من أهل ليبيا والقيروان (مائتين وعشرين ألفاً) فأى جرم بعد هذا؟!

٢- وفى أوائل القرن السابع الميلادى وفى مدينة (أنطاكية) أعلن اليهود العصيان وهجموا على المسيحيين وقتلوا بطريقهم، وحرقوا المنازل، وقتلوا أهلها، فأرسل إليهم القيصر جيشاً لقتلهم وتشريدهم.

٣- عندما غزا الفرس بلاد الشام عام ٦١٥ م وأسروا من أسروا من النصارى واشترى اليهود عدداً كبيراً منهم يتراوح بين ثمانين وتسعين ألفاً ثم ذبحوهم عن آخرهم وأشعلوا النار فى جميع كنائس النصارى حتى كنيسة القيامة، فالذين يعطفون على اليهود الصهاينة اليوم سيلقون الغدر والتنكيل منهم غداً كما فُعِلَ بأشياعهم من قبل.

٤- وفى عام (١٣٢١ م) قام اليهود بسرقة أولاد المسيحيين وإلقاء السم فى الآبار فى أواسط فرنسا، فهاج عليهم الفرنسيون وذبحوا منهم جماعة وحرقوا البعض ونفى من بقى منهم خارج فرنسا.

٥- وفى عهد (لويس التاسع) أصدر أمراً بإلغاء ثلث ما كان لليهود على رعاياه المسيحيين من الدين، تراكم بسبب الربا والاستغلال.

٦- وفى عهد الملك هنرى الثالث عام (١٢٣٠ م) أصدر أمراً بأن يدفع اليهود إلى خزينة البلاد فى بريطانيا

– ثلث أموالهم بسبب التعامل بالربا والاحتكار ثم نصحهم بترك الربا لتتحسن الأحوال وتنتهي كراهيتهم التي عمت البلاد، ولكنهم لم يستجيبوا للنصائح لأنهم طبعوا على امتصاص أموال الشعوب فقام الإنجليز بالثورة عليهم في عام ١٢٩٠ م حتى أخرجوا من انجلترا.

٧– وفي ألمانيا تمادى اليهود في استغلال الشعب والاستيلاء على ثروته إلى أن طردوا من البلاد بحيث لم يبق أحد منهم في ألمانيا، ثم أذن لهم بالعودة إليها بعد أن ألغت الحكومة – الدين – الذي كان على الشعب بسبب الربا، ثم سيطر اليهود على البلاد اقتصادياً وسياسياً وأصبحوا جواسيس لأعداء ألمانيا فاضطهدهم (النازيون) وقتلوا كثيراً منهم وأبعدوهم عن بلادهم.

٨– وفي أسبانيا – وهي آخر دولة أوربية تعترف بإسرائيل، والتي أقيمت في عاصمتها (مدريد) – الجولة الأولى من محادثات السلام بين العرب وإسرائيل – قام اليهود بالسيطرة على منابع الثروة وأصبحت الغالبية من أملاك (الأسبان) مرهونة عندهم وتزايد نفوذهم وأوشكوا على القضاء على الشعب الأسباني وعلى أملاكه بالإذلال والاستغلال، فقام الشعب الأسباني بالثورة على اليهود وقتلهم وحرق الألوف منهم، وفي عام ١٤٩٢ م تم طرد من بقي من اليهود بعد أن استولت أسبانيا على ثرواتهم.

٩– وعن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: « قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبي من أول النهار، وأقاموا سوقا لبقلهم من آخره » (رواه ابن أبي حاتم).

١٠– وفي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ : « يا أبا عبيدة: قتلت بنو إسرائيل ثلاثة

الطفل الشهيد
محمد الدرة

الطفلة الشهيدة
إيمان حجو

وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة وسبعون رجلاً من بني إسرائيل يأمرونهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعاً في آخر النهار من ذلك اليوم » وهم الذين نزل فيهم قول الله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

(سورة آل عمران – ٢١) تفسير ابن كثير ج١.

فنسأل الله أن يحفظ المسلمين من جرائمهم وأن ينصرنا عليهم.

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

أحكام في الحج

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده»

اطلعنا على سؤال القارىء م.ع.س: يطلب بيان رأى شرعى فى بعض الأمور الخاصة بالحج وهى :-

س١ : ماهو حكم الذهاب لمنى يوم التروية. وهل هناك دم أو وزر على من لم يحضر يوم التروية؟

س٢ : هل يجوز عدم المبيت بمزدلفة للحجاج الأصحاء أم لا؟ وهل هناك دم على من لم يبت بمزدلفة سواء أصحاء أم مرضى أم لا؟ وما هو وقت الانتظار بمزدلفة، هل هو جزء من الليل أم بعد منتصف الليل؟ أم مقدار صلاة المغرب والعشاء وجمع الحصى؟

س٣ : ماهو وقت طواف الإفاضة خاصة لأصحاب الأعذار والمرضى والنساء الذين ذهبوا إلى مكة مباشرة ووكلوا غيرهم فى رمى جمرة العقبة الكبرى وهل هناك مخالفة عليهم إذا طافوا طواف الإفاضة قبل منتصف ليلة العيد أم لا؟ وهل يعاد طوافهم مرة أخرى أم لا؟

وماهو الحكم لمن قضوا جزءاً من الليل بمزدلفة وتحركوا قبل منتصف الليل إلى منى، وقاموا برمى جمرة العقبة الكبرى ثم ذهبوا إلى مكة لطواف الإفاضة قبل منتصف الليل حرصا منهم على تجنب الزحام الشديد أثناء الرمى وطواف الإفاضة؟

س٤ : متى يبدأ رمى الجمرات أيام التشريق - هل بعد منتصف ليلة ثانى أيام العيد؟ أم بعد صلاة الفجر لليوم التالى؟ أم بعد الزوال فى اليوم الثانى؟ وما الحكم لمن قام برمى الجمرات بعد منتصف ليلة ثانى أيام وليلة ثالث أيام العيد تجنباً للزحام؟

ويطلب السائل الحكم الشرعى فى ذلك؟

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

●● **الجواب** :

ج١ : بالنسبة لحكم الذهاب إلى منى يوم التروية فنفيد بالآتى :-

حكم الذهاب إلى منى يوم التروية - سنة - ومن السنة أن يتوجه فى هذا اليوم إلى منى فإن كان الحاج مفرداً أو قارنا ذهب إليه بإحرامه، وإن كان متمتعا أحرم بالحج من الموضع الذى هو موجود به - فإن كان موجوداً بمكة أحرم منها - وإن كان موجوداً فى غيرها أحرم من مكانه مادام داخل المواقيت المكانية.

فإن ترك الحاج شيئا من ذلك فقد ترك السنة. ولكن ليس عليه دم، لأن السنة هى ما يثاب المرء على فعلها ولايعاقب على تركها.

ج٢ : بالنسبة للمبيت بالمزدلفة نفيد بالآتى :-

قال تعالى فى كتابه العزيز:

﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾(١).

وقد سمى هذا المكان بالمزدلفة لقربه من منى وقد سمى بالمشعر الحرام ويسمى أيضاً جمع لاجتماع الناس فيه.

وأما حكم المبيت بالمزدلفة فهو كالآتى :-

يرى الحنابلة: أن المبيت بالمزدلفة واجب لغير أصحاب الأعذار كالرعاة والسقاة، ويرى غيرهم أن المبيت بها ليس واجباً وإنما الواجب هو الوقوف بها لفترة غير محددة.

والمقصود بالوقوف هو الوجود على أية صورة سواء كان واقفاً أو قاعداً أو سائراً أو نائماً.

ويرى المالكية: أن الواجب هو النزول بالمزدلفة ليلاً قبل الفجر بمقدار مايحط رحله وهو سائر من عرفة إلى منى مالم يكن له عذر.

وقال الشافعية: إن الواجب هو الوجود بالمزدلفة فى النصف الثانى من ليلة يوم النحر بعد الوقوف بعرفة. ولايشترط المكث فيها بل يكفى المرور بها.

(١) البقرة (١٩٨).

وقال الأحناف: إن الواجب هو الحضور إلى المزدلفة قبل فجر يوم النحر، فلو ترك الحضور بدون عذر لزمه دم، أما إذا كان معذوراً ولم يحضر فلا شيء عليه حينئذ، وأفضل مكان للوقوف بالمزدلفة يكون عند المشعر الحرام وهو جبل صغير يسمى قزح.

ج٢ : بالنسبة لطواف الإفاضة نفيد بالآتي :-

أجمع المسلمون على أن طواف الإفاضة ركن من أركان الحج وأن الحاج إذا لم يفعله بطل حجه لقوله تعالى:

﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾(٢).

وقت طواف الإفاضة: يرى الشافعية والحنابلة: أن أول وقت طواف الإفاضة يبدأ من النصف الثانى من ليلة النحر بالنسبة لشهر ذى الحجة ولايجب على الحاج دم إذا أخره عن أيام التشريق وإن كان يكره له ذلك.

ويرى الأحناف: أن وقت طواف الإفاضة من فجر يوم النحر إلى آخر العمر بعد الوقوف بعرفة ويشترط أن يطوف فى أشهر الحج المعلومة وهى شوال. وذو القعدة وذو الحجة. فإذا وقف بعرفة فى شهر ذى الحجة ولم يطف طواف الإفاضة حتى فرغ ذلك الشهر كان عليه أن يطوف فى هذه الأشهر فى سنة أخرى. أما إذا لم يقف بعرفة فى زمنه قبل طواف الإفاضة لم يصح طوافه، وكذا لو سعى أو طاف قبل أشهر الحج فلا يصح طوافه.

ويرى المالكية: أن وقت طواف الإفاضة من فجر يوم النحر ولا بأس بتأخيره إلى أيام التشريق وتعجيله أفضل ويمتد وقته إلى آخر شهر ذى الحجة، فإن أخره عن ذلك لزمه دم وحجه صحيح لأن جميع ذى الحجة عنده من أشهر الحج ويستحب تعجيله بالنسبة للنساء خوفاً من أن تفاجئهن الدورة الشهرية وكانت السيدة عائشة - رضى الله عنها - تأمر النساء بأداء طواف الإفاضة فى يوم النحر خشية الحيض.

وبناء على ذلك: إذا طاف الحاج طواف الإفاضة قبل النصف الثانى من ليلة العيد وبعد الوقوف بعرفة فلا يصح طوافه؛ لأنه إذا طاف قبل النصف الثانى من ليلة العيد فلا يصح طوافه لطوافه قبل وقته المحدد له شرعاً ويجب عليه الإعادة فى أى يوم من أيام النحر فى هذه السنة أو فى آخر أيام التشريق أو فى آخر يوم فى ذى الحجة. فإن تأخر عن ذلك وفعله لزمه دم عند الإمام مالك لأن «ذى الحجة» عنده من أشهر الحج.

أما بالنسبة لرمى جمرة العقبة الكبرى قبل منتصف ليلة النحر وكذا الطواف طواف الإفاضة قبل منتصف ليلة النحر فالرمى غير صحيح وطوافه غير صحيح أيضا وذلك لوقوعهما قبل وقتهما المحدد لهما شرعاً.

بالنسبة لرمى الجمرات أيام التشريق: رمى الجمرات واجب عند عامة الفقهاء ويلزم بتركه دم ويبدأ رمى الجمرات فى أيام التشريق الثلاثة وهى

---

(٢) الحج (٢٩).

الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من شهر ذى الحجة فيبدأ الرمى في هذه الأيام بعد زوال الشمس إلى الغروب وأجاز بعض الفقهاء رمى الجمار قبل الزوال ولكن بدءاً من الفجر لا قبله.

وقال فضيلة الشيخ عبدالعزيز عيسى فى كتابه كيف تعتمر وتحج س٣٧ ما نصه: (ولك أن ترمى هذه الجمرات من الزوال إلى الغروب وبعده أيضاً وهو عقب الزوال أفضل لموافقة فعل الرسول ﷺ متى تيسر ذلك دون حرج).

وقال الإمام أبوحنيفة: (أحب إلىَّ أن لا يرمى الحاج فى اليوم الثانى والثالث حتى تزول الشمس فإن رمى قبل ذلك أجزأه):

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(٣).

وقرر الإمام الشافعى أن رمى الجمرات الثلاث فى كل يوم من أيام التشريق الثلاثة التى هى عقب يوم النحر ويدخل وقت الرمى بانتصاف ليلة النحر بشرط تقدم الوقوف ويمتد وقته إلى آخر أيام التشريق ولا يلجأ الحاج إلى الرمى قبل الزوال فى أيام التشريق الثلاثة إلا للضرورة القصوى. وتجوز الإنابة فى رمى الجمرات لغير القادر على ذلك ولأصحاب الأعذار.

فإذا أخر الحاج إلى الليل لوجود عذر يمنعه من الرمى بعد الزوال جاز له ذلك مع الكراهه. أما إذا لم يوجد عذر ضرورى ورمى بالليل فالرمى غير صحيح شرعاً لوقوعه فى غير وقته المشروع ويلزمه دم وحجه صحيح.

أما بالنسبة لوقت الرمى يوم النحر وهو اليوم العاشر من ذى الحجة فنفيد بالآتى:-

يرى الشافعية والحنابلة أن وقت رمى جمرة العقبة يبدأ بحلول النصف الثانى من ليلة النحر لحديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ أرسل أم سلمه ليلة النحر فرمت قبل الفجر وأجمع الفقهاء على أنه لايجوز الرمى قبل منتصف ليلة النحر. وأن الوقت المختار للرمى فى يوم النحر من وقت الضحى فى يوم العيد أى بعد طلوع الشمس وذلك لقول ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال رسول الله ﷺ: «لاترموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس» رواه الترمذى وصححه. فإن أخر بعض الحجاج رمى جمرة العقبة إلى آخر النهار من يوم النحر فلا بأس وجاز ذلك.

وإذا كان فيه عذر يمنع الرمى نهاراً جاز تأخير الرمى إلى الليل لحديث ابن عباس قال: كان النبى ﷺ يسأل يوم النحر بمنى فقال رجل: رميت بعدما أمسيت فقال ﷺ: «لاحرج» أما إذا لم يكن فيه عذر يحمل على تأخير الرمى فى نهار يوم النحر فإنه يكره تأخير الرمى إلى الليل.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالى: مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

(٣) البقرة (٢٨٦).

بيت الله الحرام

للأستاذ / عبد السلام ناصف

يمثل الحرمان الشريفان: البيت الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة مكان الصدارة فى حب المؤمنين لله - تعالى - ولرسوله ﷺ ومامن مؤمن ولامؤمنة كتب الله لهما أداء حج أو عمرة إلا أحسًا برضا الله -تعالى- عنهما وحبه لهما.

لذا صار للحرمين الشريفين جلال التعرف إلى الله -عز وجل- ثم رسوله ﷺ ولقد سبق لنا الحديث عن المسجد النبوى الشريف على صفحات هذه المجلة المباركة[1] وآن أن نتحدث عن البيت الحرام، ملاذ التائب وأمان الخائف، وعصمة المستجير.

فى هذا البيت وفى رحابه وعلى امتداد مناسكه إلى عرفات يهرع المؤمنون ملبين بالنداء الخالد: «لبيك اللهم لبيك» مؤدين النسك، داعين ربهم أن يظهر دينه، وأن يعلى كلمته، وينصر أمته، فإنه لأكرم بقاع أوت إليها أفئدة المؤمنين والمؤمنات، وفاضت على أرضه همسات تسبيحهم وتهليلهم من عهد عتيق.

جاء بمسند الإمام الشافعى - رضى الله عنه - (أن الملائكة التقت بآدم - عليه السلام - بعد حجه وقالت له: بر نسكك آدم، لقد حججنا قبلك بألفى عام).

هذا هو البيت الحرام.. البيت العتيق..

أول بيت وضع للناس يؤدون فيه عبادتهم على وجهها الصحيح، ولقد حظى البيت من عهد قديم بالتكريم والتقديس وزاد رفعة وقدسية على يدى إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وجاءه الخلق من كل مكان وفج عميق، وترسخت قدسيته فى الإسلام - وزاد مهابة وإجلالاً وتكريماً وتشريفاً.. وطلب من كل حاج أو معتمر أو زائر أن يدعو له كلما دخله بالتكريم والتشريف والإجلال والتعظيم والمهابة فدعى له هذا الدعاء بكل لسان حاج للبيت.

والبيت هو الكعبة نفسها، والحرم ماحولها، ويتسع الحرم فيشمل أرض مكة كلها ثم يتجاوزها من كل جهاتها إلى مسافات بعينها، حددت بعلامات منصوبة حديثاً فالحرم الشريف أوسع من مكة، ومن أحكامه الفقهية ألا يدخله حاج أو معتمر إلا محرماً، فإن دخله غير محرم وجب عليه دم.

١-ولقد شهد الحرم المكى العديد من التوسعات، وأعمال العمارة والترميم اختلفت فى الحجم والمساحة والميزانية رغبة فى إعماره فقد شهد أكثر من عشر توسعات

منذ كانت سن رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة حين شارك بنفسه فى وضع الحجر الأسود فى ثوب يحمله رؤساء وشيوخ القبائل المختلفين ووضعه فى مكانه الحالى فحسم بذلك مابينهم من خلاف. وحينذاك لم تكن مساحة المسجد تزيد على ٢١٢٦ متراً مربعاً تقريبا، وتلك التوسعة كانت تعرف بتوسعة قريش التى كانت بيوتها تحد مبناه.

توسعة الفاروق عمر - رضى الله عنه سنة ١٧ هـ.

اشترى الخليفة عمر بن الخطاب البيوت التى كانت تحد مبنى المسجد الحرام وهدمها وأضاف أرضها لمساحة المسجد فأصبحت مساحته نحو ٣٦١٣ متراً مربعاً أى أنه - رضى الله - عنه اشترى مساحة تقدر بنحو ١٤٨٧ متراً مربعاً وهذه هى التوسعة الأولى فى عصر الإسلام وفيها تم وضع مقام الخليل إبراهيم - عليه السلام - فى موضعه الحالى.

توسعة الخليفة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - سنة ٢٦ هـ.

وفيها أضيفت للحرم الشريف مساحة تقدر بنحو ٨٦٩ متراً مربعاً لتصبح مساحة ٤٤٨٢ متر مربع.

توسعة عبدالله بن الزبير سنة ٦٥هـ

فقد أضاف عبدالله بن الزبير ٢٩٨٢,٩٦ متر مربع فاتسعت مساحته إلى ٧٤٦٤,٩٦ متر مربع.

توسعة الوليد بن عبدالملك سنة ٩١هـ.

قام الوليد بن عبدالملك بعمل توسعة للمسجد الحرام فأضاف إليه مساحة نحو ٢٨٠٥,٠٤ متر مربع لتصبح مساحة الحرم ١٠٢٧٠ متراً مربعاً.

توسعة الخليفة أبى جعفر المنصور سنة ١٣٧هـ.

قام خليفة المسلمين أبوجعفر المنصور بعمل توسعة للمسجد الحرام، فأضاف مساحة تقدر

بنحو ٥٢٢١ متراً مربعاً لتصير مساحته بعد هذه التوسعة نحواً من ١٥٤٩١ متراً مربعاً.

توسعة الخليفة محمد المهدى سنة ١٦١هـ.

وفيها أضيف للمسجد الحرام مساحة قدرها ١٢٥١٢ متراً مربعاً لتصبح مساحته نحو ٢٨٠٠٣ أمتار مربعة

توسعة المعتضد بالله سنة ٢٨٤هـ.

أضاف المعتضد بالله نحو ١٣٣٩,٣١ متر مربع لتصير مساحة الحرم الشريف ٢٩٣٤٢,٣١ متر مربع.

توسعة الخليفة العباسى المقتدر بالله سنة ٣٠٦هـ.

أمر الخليفة العباسى المقتدر بالله عام ٣٠٦هـ بإضافة مساحة تقدر بنحو ٧١٤,٨٥ متر مربع فصارت مساحة المسجد الحرام نحو ٣٠٠٥٦,١٦ متر مربع.

توسعة الملك عبدالعزيز آل سعود سنة ١٣٧٥هـ.

أما توسعة الملك عبدالعزيز آل سعود فهى التوسعة التى أعطت للمسجد الحرام مايصبو إليه المسلمون من توسعة بعد طول انتظار، فقد وفقه الله - سبحانه وتعالى - فأمر بإضافة نحو ١٣٠١١١,٨٤ متراً مربعاً على ثلاث مراحل نفذها أولاده وأحفاده من بعده ففى عهد المغفور له جلالة الملك فيصل والملك خالد أضحى الحرم على مساحة ١٦٠١٦٨ متراً مربعاً علاوة على التجهيزات الفنية الحديثة.. إلى أن جاءت التوسعة الأخيرة.

توسعة خادم الحرمين الشريفين سنة ١٤٠٩هـ

الملك فهد بن عبدالعزيز - أمد الله فى عمره ومتعه بالصحة والعافية أضاف لمساحة المسجد الحرام مايزيد على ٢٠٦ آلاف متر مربع - ولم تكن الزيادة فى المساحة فقط، وإنما كانت عمراناً وتعميراً وتحديثاً وتطويراً لم يشهده البيت منذ تأسيسه من حيث العمارة والزخرفة وتهيئة وسائل الراحة بأسلوب (تقنى) رفيع المستوى فقد أضاف فى الناحية الغربية من المسجد فى منطقة السوق الصغير بين باب العمرة وباب الملك عبدالعزيز مبنى غاية فى الأناقة والجمال وتحقيق الراحة والهدوء لكل من يدخله على مساحة تقدر بنحو ٧٦ ألف متر مربع مكون من ثلاثة طوابق عبارة عن قبو (بدروم) ودور أرضى ودور أول تتسع لنحو ١٩٠ ألف مصل.

إضافة إلى تجهيز عديد من الساحات الخارجية فى الجهة الغربية والجهة الشرقية أمام أبواب المسعى الستة عشر بمساحة إجمالية تزيد على ٥٩ ألف متر مربع تتسع لنحو ١٣٠ ألف مصل فى وقت واحد.

وهو بهذا قد سهل الصلاة لنحو مليون مصل فى وقت واحد خاصة فى أيام شهر رمضان والحج، وقد أضاف للمبنى مئذنتين بارتفاع ٨٩ متراً على نسق المآذن السبعة الأخر، كما أنشأ سلمين كهربيين ليسهل للمصلين الصعود للدور الأول وللسطح من كل جهات المسجد فطاقة السلم الكهربى تحمل أكثر من خمسة عشر ألف مصل فى الساعة الواحدة إذ أضاف سلمين كهربيين للسلالم السبعة المنتشرة حول المسجد.

وقد أنشىء هذا المبنى على ٤٩٢ عاموداً فى كل دور من الأدوار الثلاثة إضافة إلى كونها معمدة فوق (خوازيق) مزروعة فى الأرض - وقائمة على هيكل خرسانى مسلح - وارتفاع القبو ٤,٣٠ متر، وارتفاع الدور الارضى ٩,٨٠م، والدور الأول ٩,٦٤م ، كما أنشئت ثلاث قباب ترتكز كل منها على أربعة أعمدة خرسانية.

ولقد أمر جلالة الملك خادم الحرمين بإنشاء مصنع لتصنيع الأعمدة والأسقف بالقرب من مكة المكرمة ولعمل الزخارف والحليات والنقوش الرائعة على أعلى مستوى من التقنية الفنية الهندسية الحديثة التى تليق بالمسجد الحرام بواسطة عمالة مدربة بقيادة فنية ماهرة.

الأبـــواب

استحدثت التوسعة مدخلاً رئيسياً من الجهة الغربية باسم الملك فهد عبارة عن ثلاث فتحات متجاورة - كما استحدثت ثمانية عشر بابا- وقد تم تصنيع الأبواب الخشبية فى بريطانيا من خشب الساج بعد معالجته وتجفيفه فى أفران خاصة بواسطة الحواسب الآلية لمدة تزيد على ستة أشهر ثم نقلت الأخشاب إلى (برشلونة) فى أسبانيا لتصنيعها بطريقة حديثة لايستخدم فيها المسامير وإنما تعتمد على مايعرف فى لغة النجارين بالحشو (عاشق ومعشوق) أما الأشكال الهندسية الزخرفية النحاسية المطلية بالذهب فقد أعدت خصيصاً فى مدينة (رواه) بفرنسا لتثبيتها على الأبواب.

الطـــاقة الكهربية

يستخدم الحرم طاقة عالية جباره من الكهرباء تستمدها من مصادر ثلاثة :

١- أربع مغذيات رئيسية من كهرباء المنطقة الغربية التى تغذى مكة كلها فوق جبل أبى قبيس وجبل حارة الباب وهى مغذيات دائمة العطاء بسخاء.

٢- مصدر تغذية احتياطى يعتمد على ثمانى محطات توليد كهربية تبعد عن الحرم نحو ثلاثة كيلو مترات ونصف الكيلو بطاقة تفوق المصدر الرئيسى.

٣- مصدر تغذية احتياطى يعتمد على البطاريات يتحمل تغذية كهربة الحرم الشريف لنحو ثلاثين دقيقة على الأقل فى حال انقطاع التيار الرئيسى والاحتياطى - وذلك فى النادر.

التهويـــة

تعتمد التهوية على أكثر من ألف ونصف مروحة بالسقف ومثلها على الأعمدة إضافة إلى نظام فريد فى التبريد (التكييف) المندفع من فوهات سداسية الشكل على قمة الأعمدة فى حين تستقبل فتحات دائرية بأسفلها لسحب الهواء الساخن وطرده إلى محطات التبريد العملاقة الموجودة فى منطقة (كدى) التى تبعد عن الحرم بنحو أربعة كيلو مترات وتضم أحدث نظم التبريد فى العالم كله بطاقة ٤٥ ألف طن من الهواء البارد فى الساعة من خلال ٣٢ وحدة تبريد حديثة تنتقل عبر أنابيب عملاقة تحمل الهواء

الساخن لإعادة تبريده بطريقة دائرية- وقد روعى ألا تزعج أصوات الماكينات رواد المسجد الحرام بفنية حديثة متقدمة ومتطورة.

الإنارة

جهزت إنارة التوسعة بطريقة حديثة توفر أعلى قدر من الإضاءة وتتناسب مع الشكل المعمارى المميز للحرم الشريف فقد زودت بثريات غاية فى الأناقة والجمال مستديرة الشكل محلاة بالزخارف النحاسية والذهبية.

الإذاعة

تم تنفيذ شبكة إذاعة داخلية تتناسب ومساحة التوسعة وعمارتها - وقد تم دمجها مع شبكة الحرم الحالية بفنية وتقنية حديثة عالية المستوى بكفاءة وعلاوة على أنها تتصل بالإذاعة والتليفزيون السعودى.

الأنفاق

لقد استدعت أعمال التوسعة منع مرور السيارات حول الحرم فأنشئت الأنفاق تحت الساحات الخارجية بصورة تحجب أصوات السيارات وضجيجها حتى لاتؤذى مشاعر المصلين بالحرم وبالساحات وتأمينا لهم من حوادثها وتسهيلاً لسيل المرور ومنع أى اختناقات مرورية وقد تطلب الأمر عمل أربعة جسور على تلك الأنفاق زيادة لتسهيل المرور الآمن ودورات المياه.

أنشئت دورات مياه حديثة ومطورة مكونة من دورين تحت سطح الساحة القبلية بطول المسجد الحرام إضافة إلى دورات أخرى تحد الساحة الشرقية بطول حدها الشمالى مكونة من ثلاثة أدوار تحوى كل منها ١٤٤٠ دورة ألف وأربعمائة وأربعون دورة و١٠٩١ صنبوراً للوضوء و١٦٢ صنبور مياه للشرب من ماء زمزم المبرد. علاوة على الدورات الثلاثة القديمة، إضافة إلى دورة مخصصة للسيدات قبالة حى القشاشية تجاه الغزة.

وقد تكلف المشروع بدءاً من شراء الأراضى وتعويض ملاك البيوت التى نزعت ملكيتها منهم مبلغاً وقدره ٣,١٧٨,١٨١,٧٧٥ ثلاثة مليارات ومائة وثمانية وسبعين مليونا ومائة وواحد وثمانين ألفاً وسبعمائة وخمسة وسبعين ريالاً سعودياً، خلافا لم تم صرفه على تطوير مناطق منى ومزدلفة وعرفات التى تساعد الحجيج على أداء مناسكهم فى يسر وسهولة، ودون عناء تطبيقا لشعار المملكة الذى أطلقه خادم الحرمين الشريفين (خدمة الحاج شرف لنا).

والله سبحانه القائل:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[1].

---

(١) البقرة (١٢٥)

فى الحج

للشاعر / عبدالفتاح سالم

أفق شعرى من السكرِ ... وطف بالبيت والحجر
وخلِّ القلبَ من شُغلٍ ... بدنيا حَالها يُغْرى
تحلى بالتقى دومًا ... ترى خيراً على خير
تجلى الله خالقنا ... على الأحباب بالظَفَر
لذا أحرمت فى خوف ... بأكفان كما تدرى
فطف سبعًا وكن وجلاً ... وخاطب مالك الأمرِ
خطاب الصدق منتظراً ... قبول العذر بالنظَرِ
ولبِّ الله فى صدقٍ ... يجيبك سابلُ الستر
فزمزم ماؤها يشفى ... سقام القلب من غدرِ
فقد قال الأمين لنا ... فزد فى الشرب والطهر
وعجل للصفا سعيًا ... وليتك ساعيًا تدرى
فعند المروة الكبرى ... يدق القلب فى الصدرِ
أيا عرفات بارينا ... تراءت نسمة الفجر
وراح عدونا يبكى ... وينعى تعسة الدهرِ
رجمناه وقد ولى ... حمدنا الله بالنحر
قعدنا نرتجى فضلا ... وحزنا فرحةَ العُمرِ
توجهنا إلى طه ... وما أحلاه من قدرِ
هنيئًا سادتى حج ... يبدد ظلمة القبرِ
ويمحو كل معصية ... ويغنى كل ذى فقرِ
ومن كانت وسيلته ... بمال الحل والطهر
فإن الله بشره ... بكل الفضل والخير
فطوبى للذى لبَّى ... وحاز الغنم بالشكر

تأملات فى خلق الإبل

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

كلما أطلت أشهر الحج المباركة وأخذت مواكب الحجيج تملأ الدنيا بهجة ونوراً وعطراً روحانياً كلما تذكرت أزماناً لم يكن يتوفر لمن أراد أداء فريضة العمر إلا وسائل محدودة يصل عن طريقها إلى الرحاب المقدسة، وقفز إلى ذهنى على الفور صورة ذلك المخلوق الحميم الذى كان عليه ذات يوم العبء الأكبر فى إيصال الناس إلى مكان هو لكل مؤمن مرفأ الروح وطمأنينة النفس وسعادة القلب ويغمرنى إحساس عارم بالأهمية القصوى التى كان يمثلها ذلك الحيوان فى البيئة العربية.

أجل إن الأسطر التالية سيتمحور الحديث فيها حول الإبل وتتناول فى تفصيل غير ممل إن شاء الله بعض الحقائق العلمية التى تدور كلها حول الجمل وكيف أن القدرة الإلهية الباهرة أهلته ليؤدى مهمته فى يسر وسهولة وجعلت منه آية عظمى يلفت ربنا سبحانه وتعالى عباده إليها فيقول:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[1].

فالجمل سفينة الصحراء كبير الجسم هائل المنظر ذو حاسة شم قوية. وهو من الحيوانات المجترة التى تمتز بخاصية ربما لا تتوافرإلا للإنسان ألا وهى الحياء والمزاج الذى يكون أحيانا معتدلاً رائقًا ويكون سيئًا فى أحيان أخرى.

إنه يستطيع العمل الدؤوب فى الأرض غير الممهدة والمناطق القاحلة والأجواء الحارة التى يتحملها بصبر وثبات. وهو كذلك من الدواب التى أحل الله – عز وجل – لحومها وألبانها وهو وسيلة النقل الوحيدة تقريبا التى استطاعت قبائل البدو والرحل استئناسها منذ ألفى عام قبل الميلاد وذلك قبل استئناس الكثير من الأنعام. ولقد كان للجمل عظيم الأثر فى مساعدة الأمريكان فى اكتشاف أراضيهم التى تقع وراء المحيط الأطلسى فى الغرب. ترى إذن ما الخصائص التى مكنت الجمال من العمل بجلد من المناخات الجافة والسير لمسافات طويلة حاملة على ظهورها أحمالاً ثقالاً لا طاقة للإنسان بحملها إلا بشق الأنفس، كما أوضح ذلك القرآن الكريم؟ إنها خصائص عديدة جاءت فى كتاب عنوانه «الجمال أو الإبل» لمؤلفين غربيين

(١) الغاشية (١٧).

تجتزيء بعضها حتى تعم الفائدة وحتى نوفى ذلك المخلوق المهضوم بعض حقه شكرًا لله على سابغ نعمه.

وأولى الخصائص قدرة الإبل الفائقة على اختزان الماء ولها فى ذلك أساليب وطرق منها قلة بولها وجفاف روثها وهى لا تختزن الماء فى سنامها على خلاف المعتقد الشائع بين الناس، إنها تختزن فى سنامها الدهن وتقوم عبر العمليات الهضمية المختلفة بتحويل ذلك الدهن إلى طاقة تستخدمها عند الحاجة إليها. وسر احتفاظ الجمال بالدهن فى سنامها بدلا من توزيعها وتفريقه فى شتى أجزاء جسمها وهو تمكين الصفائح الدموية من الوصول إلى سطح الجلد، الأمر الذى يمكن الجمل من الإحساس بجو لطيف حيث تتبدد الحرارة بسرعة فى هذه الحال. أما تكيفه مع ضوء شمس الصحراء الساطعة فإن حدقتى عينيه بهما من الزوائد التى تقى عينى الإنسان العين وتسمح لكميات ضئيلة ومناسبة من الضوء للوصول لشبكية العين. كما أن لعينى الجمل أيضا أهدابًا طوالا تصد عنه ما يهب من العواصف الرملية. أما فتحتى الأنف التى هما أشبه شيء بفتحات حصالات النقود الضيقة فبإمكان الجمل إغلاقها لمنع دخول الرمال فيها.. بينما تقوم التجاويف الداخلية للأنف بترطيب الهواء الذى يستنشقه البعير وتبريد الهواء الخارج فى عملية الزفير.. كل ذلك بهدف وحيد هو التقليل من الماء المفقود فى التنفس، أما وبر الجمل فهو يحميه من الحر الزائد إذ تحت ذلك الوبر توجد غدد عرقية لترطيب الجسم عند اللزوم.

وللجمل قدرة خارقة على تحمل الجفاف فهو يفقد ٤٠٪ من وزنه بسبب الجفاف بينما يمكن أن يموت الإنسان بعد فقدان ١٢٪ فقط من حجمه أما عادات الجمل الغذائية فتمكنه من الصمود فى الأرض التى لا يتوافر فيها إلا الأعشاب الجافة النادرة والقليل من موارد الماء. كما أن أرجل الجمل الطويلة تجعل بمقدوره أن يسير فى مناطق شاسعة، ويتجول بحثا عن الغذاء. وبث الله فى الجمال من الذكاء ما يجعلها لا تركز فى غذائها على التهام عشب واحد بعينه ومن هنا تكتمل وجبتها الغذاذية لتنوع الأعشاب التى تأكلها. كما أنها تمكن العشب نفسه من أن ينمو من جديد أما فم الجمل فبه من القوة ما يستطيع بواسطته مضغ أقوى الجذور النباتية ذات الأشواك الحادة التى لا طاقة لغيره من الحيوانات بمجرد التفكير فيها أما رقبة الجمل الطويلة فتمكنه من الوصول للعشب مهما كان ارتفاع الشجرة الموجود بها ذلك العشب وجهازه الهضمى بارع فى استخلاص الماء من نباتات شح فيها الماء أصلا.

وذاكرة الجملة قوية تنطبع فيها بشدة أماكن توافر الغذاء وآبار الماء وعيونه الثرة حتى ولو كانت على بعد أميال عديدة.

أما عن حاسة الشم لدى الجمل فحدث ولا حرج، إنها قوية مرهفة تستقصى منابع الماء وأماكن هطول الأمطار ولو كانت على مسافات بعيدة.. كما تستطيع الجمال التعرف على بعضها البعض ولو على بعد ستة أميال. وللجمل القدرة على السير بسهولة على رمال الصحراء غير الثابتة لأن أقدامه تكون من ظلفين كبيرين ضخمين لكل منهما طرف ناعم يمكنه من حفظ توازنه فوق الرمال الملساء أما الشكل المنحنى لظهر الجمل هو الذى يمكنه من حمل الأعباء الثقال تماما كالدعامة فى المبنى، ويستطيع الجمل أن يحمل أكثر من نصف طن أى ٥٥٠ كيلو جرام وهو حمل ثقيل قد لا تتقبله العقول أو تتصوره ودليل على لك أن البدو يعتبرون أن ٦٠٠ رطل هى الحمولة القصوى أو ٣٠٠ رطل إذا كانت المسافة أقصر وهى على أية حال مسألة نسبية.

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

● **رسالة من الأخ القارىء «ج.ع» يقول فى رسالته:**

أثناء قراءتى للآية رقم ٢٤٧ من سورة البقرة جال بخاطرى السؤال التالى:

هل يجب أن يتصف رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء بالبسطة فى العلم والجسم أم هذه الصفات فقط للقائد المحارب؟ وجزاكم الله خيراً.

الآية التى يشير إليها الأخ السائل هى قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

الآية ٢٤٧ - البقرة

والآية جاءت فى سياق قصة الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى الذين قالوا لنبيهم صموئيل أقم لنا أميراً يقودنا فى الحرب لنسترد ما سلب منا ونستعيد مجدنا وعزنا بعد أن ذلنا العمالقة واستولوا على تابوت الرب الذى به التوارة وكانوا قد خرجوا من ديارهم وأبنائهم واحتاجوا لقتال العادين عليهم واسترجاع ديارهم واستعدوا للقتال غاية وسعهم وقالوا لنبيهم ما قالوا فأجابهم نبيهم: أخشى إن كتب عليكم القتال أن تعودوا إلى طبيعتكم فى الجبن والنكوص على الأعقاب فقالوا له: أى شىء يجعلنا جبناء بعد أن صرنا إلى ما ترى من الاحتلال والاستعباد والطرد من البلاد:

﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١).

(١) البقرة (٢٤٦).

فقال لهم نبيهم إنى قد أقمت لكم بأمر الله، طالوت ملكاً عليكم يقودكم فى المعارك فقالوا: كيف يكون له الملك علينا وليس من سلائل النبوة ولا سلائل الملوك وليس من الأغنياء.. فأجابهم أن الله هو الذى اختاره ملكاً وقائداً لما فيه من الاستعداد الفطرى للقيادة وسعة العلم وبسطة الجسم وقوة البدن.

وقد بدا لك أخى السائل أن سعة العلم وبسطة الجسم كانا من أسباب اختيار الله - تعالى - لهذا الملك القائد لأن قيادة الجيوش تقتضى العلم بفنون الحرب وقوة البدن لتحمل أعباء الحرب والتصرف فيها كراً وفراً وهجوماً وتراجعاً.

وعليه فليس بلازم أن يكون رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء من ذوى الأجسام الفارهة وإن كان لابد أن يكونا من ذوى العلم الذى يحتاج إليه فى تدبيرالرعية وسياسة الحكم وقد حكى لنا التاريخ القديم والحديث عن رؤساء جمهوريات ووزراء كانوا فقراء ومن أصحاب الأجسام العادية وقد جاء فى القصة نفسها أن داود - عليه السلام- قتل جالوت ملك العمالقة وقائدهم:

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾(٢).

ولم يكن داود يومئذ ذا قوة جسمية لأنه كما جاء فى القصة كان صغير السن ذا جسم عادى وكان راعى غنم وراعى الغنم من صفاته نحالة الجسم لما يبذله من الجرى هنا وهناك خلف الغنم وحولها ليلم شعثها ويمنع عنها عاديات الذئاب ولذا وصف الشاعر راعى الغنم بقوله:

دقيق العصا بادى العروق ترى له

عليها إذا ما أجدب الدهر أصبعا

والخلاصة أن بسطة الجسم وقوة البدن ليست شرطاً فى الرؤساء والوزراء والساسة لكنها لو وجدت يكون خيراً على اعتبار أن «العقل السليم فى الجسم السليم» لكن الشىء المهم فى هؤلاء أن يكونوا ذوى عقول راجحة وعلم يعينهم على تدبير شئون الرعية وتسيير أمورالدولة والإقليم الذى يتولون حكمه.

أما المال فليس بلازم على الإطلاق، على أن الرئيس أو الوزير لو كان غنياً يكون ذلك خيراً على اعتبار أن يساره يجعله لا يمد عينيه إلى أموال الدولة أو الرعية ولو كان فقيراً ومتعففاً ونظيف اليد مع العلم الذى ذكرنا لاستوفى كل الخير وحاز كل الفضل.

والله أعلم

(٢) البقرة (٢٥١).

الـدروس الخصوصـية حـرام

● **والرسـالة الثـانيـة من القـارىء المدرس مـصطفى حـسنى مـصطفى من التل الكبير بالإسماعيلية يقول فى رسالته :**

هل الدروس الخـصـوصـيـة حـرام أم حـلال ؟ وهل إذا كـانت بأجـر زهيـد تصـيـر مشروعة ؟

وبداية نقول إن هذه الرسالة أثارت قضية شغلت الرأى العام هذه الأيام وكثر الحديث عنها فى وسائل الإعلام وسنت الحكومة من التشريعات ما يحدها أو يقضى عليها دون جدوى .

والدروس الخصوصية حرام فى حالات منها :

١- إذا كان المدرس لا يؤدى واجبه فى الفصل كما ينبغى حتى يلجأ التلاميذ إليه فى الدروس الخصوصية لأنهم لا يستفيدون منه فى الفصل .

٢- إذا أجبر المدرس التلاميذ على هذه الدروس عن طريق درجات أعمال السنة أو التهديد بالرسوب آخر العام أو ماشاكل ذلك لأنه فى هذه الحالة يأخذ الدرس الخصوصى رغم أنفه ومضطر ويكون الأجر حينئذ بسيف الحياء وهو حرام .

٣- إذا صرح أو لمح للتلاميذ بأن عنده مزيداً من المعلومات لا يتسع وقت المدرسة لها لضيق الوقت أو كثرة التلاميذ فيرغب بعضهم فى التعرف على هذه المعلومات الزائدة عن طريق الدرس الخصوصى .

وتكون حلالاً فيما عدا هذه الحالات بأن يرغب التلميذ أو ولى أمره فى الدرس الخصوصى بلا ضغوط من أى طريق، وأدى المدرس واجبه فى الفصل على الوجه الأكمل ولم يألُ جهداً فيه وأدى كذلك واجبه فى الدرس الخصوصى فإن ذلك يعتبر أجراً نظير عمل سواء كان الأجر زهيداً أو غير زهيد .

وقد يقول قائل إذا أدى المدرس واجبه فى الفصل فلن يحتاج التلميذ إلى درس خصوصى، وأقول إن هذا غير صحيح فالتلاميذ كشأن كل الناس متفاوتون فى قدراتهم العقلية وطاقاتهم لكن ذلك يكون بنسبة قليلة لا تشكل ظاهرة على الإطلاق .

أما ما نراه الآن فإن الدروس الخصوصية تزيد على نسبة تسعين فى المائة ومعنى هذا أنها ظاهرة خطيرة وليس سببها تخلف بعض التلاميذ عقلياً بل هى بسبب الضغط بل قل الإكراه فهى لذلك حرام قل الأجر أو كثر .

هذا والله أعلم وبه التوفيق

***

حتى لا يصبح الإفتاء مهنة من لا مهنة له

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

الإفتاء واحد من أدق الأمور المتعلقة بعمل الداعية المسلم، والمسلمون فى كل زمان ومكان لديهم دائماً ما يسألون عنه مما يتعلق بفقه المعاملات، وفقه العبادات، وفقه الأحوال الشخصية واليوم لا توجد صحيفة أو مجلة يومية أو أسبوعية أو شهرية إلا وتجدها قد خصصت بابا للإفتاء، وكذلك الحال فى سائر وسائل الإعلام من إذاعة وتليفزيون، بل وعبر شبكات الإنترنت، وبالتليفون أيضاً.

أن يسأل الناس عن أمور دينهم سعياً وراء تطبيق منهج الإسلام فى حياتهم ومعيشتهم أمر جميل جداً، بل هو رائع.

ولا ننكر أن من حق من حفظ كتاب الله - عز وجل - ووعى عن علم ودراسة بآيات الأحكام، ودرس السنة دراسة فهم واستيعاب، مثل هذا يكون من حقه أن يتصدى لتوضيح ما غمض عن الناس من أمور ثابتة فى الكتاب والسنة، على أن يضع نصب عينيه أن الشريعة الإسلامية ما وضعت إلا لتحقيق مصالح العباد، وها هو عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عندما قيل له: فلان يعاقر الخمر. كتب إليه قائلا: «إنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، غافر الذنب، قابل التوب، شديد العقاب، ذى الطول، لا إله إلا هو إليه المصير».

فلم يزل الرجل يرددها ويبكى حتى تاب وصحت توبته، وعلم عمر بذلك فقال لأصحابه: «هكذا فاصنعوا.. إذا رأيتم أخاكم قد ذل فسددوه ووفقوه، وأدعو الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه».

فعمر لم يسارع إلى جلد الرجل وفضحه بل بذل له النصح، وهذا فهم كامل لمقاصد الشريعة الاسلامية التى تهدف أكثر ما تهدف إلى جلب المصالح ودرء المفاسد.

فالفقه الإسلامى يمتاز بمرونته وقابليته للبقاء بسبب وفائه بحاجات الناس

ومصالحهم المشروعة اعتماداً على الفهم والتفسير والبيان لنصوص الشريعة وأحكامها وتطبيقا لمبادئها وقواعدها على جزيئات الوقائع والأحداث حسب الأزمنة والأمكنة ومصالح الناس.

وكل هذا لا يكون إلا بدراسة واعية متعمقة ومقدرة على فهم آيات الأحكام والعلم بالناسخ والمنسوخ بما يؤدى إلى مقدرة واعية من المتصدى للإفتاء على الاجتهاد والقياس والاستنباط فيما لم يرد فيه نص.

هذا هو رأيىَ وأعتقد أن به على الأقل شيئاً من الصواب، خاصة وأن هناك حالياً من يقول بأن الإفتاء حق لكل مسلم يحفظ القرآن أو لديه القدرة على قراءته والرجوع إلى كتب التفسير والحديث والفقه وصاحب هذا الرأى يزعم أن الإفتاء ليس حكراً على من درس دراسة دينية فقط، بحجة أن الرعيل الأول من السلف الصالح لم يدرس كتباً وإنما كان لديه فقط الكتاب والسنة يقيس ويجتهد فى إطارهما.

وصاحب هذا الرأى تحديداً لم يدرس أى دراسة دينية، وإنما جاءت دراسته وثقافته كلها عسكرية صرفة، فلما أُحيل للتقاعد لم يجد له وظيفة يقوم بها سوى الإفتاء، وصار يحمل لقب شيخ - بين أعضاء أحد الأندية - هذا الشيخ سألته فتاة من منطلق أنه شيخ يتحدث فى الدين: أنها مخطوبة لشاب منذ فترة ولم يتزوجا وقد وقعت بينهما أمور لا تتجاوز اللهو والعبث - هكذا قالت - فبماذا أجابها ذلك الشيخ؟

أجابها قائلاً: إنه لا تثريب عليها فيما فعلت وذلك من اللمم! فهل هناك جهل وفساد أكثر من ذلك؟!

واقعة أخرى سمعتها من أبطالها، وهما زوج وزوجة، وكلاهما تجاوز الخمسين من العمر شجر بينهما خلاف فطلق الزوج زوجته ولم يراجعها فى شهور العدة، ثم عقد عليها بعقد ومهر جديدين، ولكنها شرطت أن تكون [العصمة] بيدها فوافق الزوج.. ثم وقع بينهما الطلاق الثانى فى حياتهما معاً ومرت شهور العدة، فعقد عليها الرجل مرة ثالثة بعقد ومهر جديدين، واحتفظ الزوج بالعصمة فى يده، فى حين طلبت الزوجة من المأذون أن يجعل العصمة لها فى العقد، فما كان منه (المأذون) إلا أن حرر قسيمة زواج لكل منهما جعل العصمة فى النسخة الخاصة بالزوج للزوج، والنسخة الخاصة بالزوجة كانت العصمة فيها للزوجة.

ثم قامت الزوجة بتطليق الزوج فلم يعترف الزوج بهذا الطلاق لأنه لم يتنازل عن العصمة وتمسكت الزوجة بقرارها، ووضعوا المشكلة أمام متصدٍ للإفتاء فأفتاهم بوقوع التطليقات الثلاث وأوعز إليهما بفكرة (المحلل) فوجد الطليقان ضالتهما

فى ابن أخ الزوج الذى وافق على القيام بدور (المحلل) فعقد على طليقة عمه واختفى رافضاً التطليق، فرفع الرجل دعوى على ابن أخيه فخسرها وأسقط فى أيديهما معا.

بالتأكيد هما يتحملان جزءاً كبيراً مما حدث لهما، عندما التمسا الفتوى والمشورة، حيث إنهما لم يلتمساها فى مظانها عند أهلها فضلا الطريق.

وظهر من أفتى بجواز زراعة المخدرات لتصديرها إلى الدول الغير مسلمة. ومؤخراً أفتى أحدهم بأن مشاهدة الأفلام الإباحية مكروه وليس بمحرم.

وغير ذلك من أمور كثيرة لم يرد بشأنها نص صريح كانت مرتعاً لكل ناعق.

هذا لون من ألوان الفتاوى المتعلقة بالحياة اليومية والتى اعتقد أن لها نظيراً فى شتى جوانب الإفتاء فى العقيدة والفقه والمعاملات، فكيف يمكن كبح جماح من عندهم شره للفتوى دون علم؟

الدولة قررت فى القانون (١٠٣) لسنة ١٩٦١ وتعديلاته أن: «مجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية، وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة».

ولكن المشكلة أن القانون لم يمنع أحداً من أن يتصدى للإفتاء فالباب مفتوح على مصراعيه لمن يريد، والناس دائماً يعجبهم من يحسن الكلام وتنميقه ويحقق لهم مآربهم أياً كانت.

أعتقد أننا وكما نحرص على النصح للناس بضرورة تنظيم النسل من خلال حملات إعلامية ضخمة ينبغى أن نحرص على توعيتهم وإرشادهم فيما يتعلق بالحصول على فتاوى تتفق وصحيح الدين، وحصر الجهات المخولة بإصدار هذه الفتاوى فى هيئات وأفراد بعينهم يختارهم أولو الأمر والاختصاص، وإصدار قانون ينظم هذا الأمر حتى لا يصبح الإفتاء مهنة من لا مهنة له.

***

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ
محمود الفشنى

● أكد المفكرون الإسلاميون أن العداء الغربى للإسلام أصبح سافرا وغاشما، خاصة بعد أحداث سبتمبر وحذروا من خطورة تصديق القيادات الغربية وخاصة الولايات المتحدة لأكاذيب وافتراءات الإعلام الصهيونى الذى يقلب الحقائق ويشعل نار الصراع الحضارى بين الشرق الإسلامى والغرب المسيحى.

المحرر

الغرب يعادى شريعتنا بالوراثة

فى تحقيق عرضته جريدة عقيدتى فى ١٧ / ١٢ / ٢٠٠٢ يتناول عداء الغرب للشريعة الإسلامية أسبابه ودوافعه.

كانت البداية مع الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية وأحد المفكرين الإسلاميين الذين زاروا كل الدول الغربية والتقى بمفكريها ورصد أسباب العداء الغربى للإسلام والمسلمين قائلا: يرجع ذلك للعصر الأندلسى ومواجهة أوروبا مع الإسلام والمسلمين وانتشار الإسلام بصورة فائقة والعداء بدأ منذ الحروب الصليبية ودخول الأوربيين فى مواجهة مع العثمانيين ثم زاد الكلام فى الربع الأخير من القرن العشرين عن صراع الحضارات وأول من روج له المستشرق الأمريكى برنارد لويس وتحذيره للغرب من الإسلام وسرعة انتشار الإسلام وحضارته.

ثم أشار الدكتور محمد أبوليلة رئيس قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية وهو من علماء الأزهر الذين عاشوا فترة طويلة فى الغرب وترجم أمهات الكتب الإسلامية للإنجليزية إلى أن هذا العداء ضد المسلمين والحملة الظالمة على الإسلام ترجع إلى توافد المسلمين على الدول الغربية ونقل الإسلام بصورة عملية إلى الغرب وانتشار الإسلام فى أوروبا بصورة كبيرة وازدياد المسلمين المستمر ففى أمريكا أكثر من عشرة ملايين مسلم، و٢٠٠٠ مسجد ومركز إسلامى، كما يوجد ٤ ملايين مسلم فى ألمانيا وفى فرنسا ٦ ملايين، ١٦٠٠ مسجد ومركز إسلامى.

وحول أوهام الغربيين قال د. محمد شامة الأستاذ بجامعة الأزهر ومستشار وزير الأوقاف وهو من العلماء الذين ساهموا فى نشر الدعوة فى الغرب حيث قال: إن هذا العداء بدأ منذ ظهور الإسلام وهو مستمر حتى قيام الساعة وذلك لخوفهم على مناصبهم وأموالهم وتجارتهم وقد نبه كتاب (الإسلام قوة الغد العالمية) منذ ١٩٣٩ وشخص عدة عوامل أهمها الموقع الجغرافى للمسلمين والمواد الخام الموجودة فى أرض المسلمين.

وأكد الدكتور محمد السيد الأستاذ بكلية دار العلوم بأن هناك أسبابا تاريخية لهذا العداء، ذلك أن الغرب لم يستطع أن يتخلص من موروثات العقيدة الصليبية التى قامت من أجلها الحروب الصليبية فى العصور الوسطى وفق فكرة محورية فى الحضارة الأوروبية وهى مركزية الحضارة الأوروبية ومحاولة سيطرتها على العالم العربى والإسلامى، لأن الحضارة الإسلامية هى الوحيدة التى تحتوى على عناصر المقاومة بين الحضارات السائدة الآن.

وأشار الدكتور محمد أبوحطب أستاذ اللغة الألمانية بجامعة الأزهر والعميد الأسبق لكلية اللغات والترجمة والذى قضى فترة فى ألمانيا إلى أن هذا العداء تقليدى ويجمل أسبابه فى انتشار الإسلام بصورة سريعة بين شعوب مختلفة العقائد والتقاليد ثم وصول الإسلام إلى أوروبا عن طريق الأتراك والمسلمين فى الأندلس، وبلاد الشمال الأفريقى.

بوش متهم بالاعتداء على حقوق العرب والمسلمين

وفى صفحة آراء وأخبار فى جريدة الأخبار فى عددها الصادر فى ١١ / ١٢ / ٢٠٠٢.

أكدت جماعات حماية الحريات المدنية فى الولايات المتحدة أن الأرقام المخيفة التى كشف عنها التقرير السنوى لمكتب التحقيقات الفيدرالى حول جرائم الكراهية العنصرية ضد العرب والمسلمين فى الولايات المتحدة أقل كثيرا عن الواقع حيث يتغاضى العديد من العرب والمسلمين الذين يتعرضون لهذه الاعتداءات العنصرية عن الإبلاغ عنها.

وكان تقرير مكتب التحقيقات الفيدرالى قد كشف عن أن جرائم الكراهية العنصرية ضد العرب والمسلمين فى الولايات المتحدة قد زادت من ٢٨ جريمة عام ٢٠٠٠ إلى ١٧٠٠ جريمة عام ٢٠٠٢.

وفى الوقت الذى أشادت فيه جمعية «هيومان راتيس ووتش» لحقوق الإنسان فى معرض تعليقها على التقرير بالرئيس بوش وكبار المسئولين فى إدارته على إدانتهم لمثل هذه الحوادث لكنها فى الوقت نفسه اتهمت الرئيس وإدارته بالازدواجية ففى الوقت الذى صدرت عنه هذه الإدانات لجرائم الكراهية العنصرية ضد العرب والمسلمين قام مكتب التحقيقات الفيدرالى ومكتب الهجرة والجنسية باحتجاز والتحقيق مع عشرات الآلاف من العرب والمسلمين الذين يعيشون داخل الولايات المتحدة.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعي خفاجة

النظام ضرورة حضارية

حينما تحرك مترو الأنفاق لأول مرة فى مصر، شعرت أن قاطرات المترو تحمل معها ذلك التاريخ التليد وتلك الحضارة المجيدة لمصرنا الحبيبة، لتنقلها سريعا الى المكان اللائق بها بين الدول المتقدمة.

لم يكن هذا لمجرد عربات جديدة أو عربات تسير تحت أو فوق سطح الأرض، وإنما كان ذلك الانطباع حين وجدت خطوات الانسان المصرى قد ازدادت ثقة وسرعة ونظاماً.

وهو ما يؤكد أن الانسان المصرى لديه مقدرة عالية للتعامل والتوافق السريع مع كل ماهو عصرى، حيث استوعب ذلك الأسلوب الجديد ونجح بصورة مبهرة!

غير أن هذه الصورة لم تلبث أن تبدلت وتغيرت بعد عدة سنوات وبخاصة فى ساعات الذروة، ليحل محلها صورة يرفضها كل مصرى يحب بلاده، لأنها صورة تفتقد إلى النظام، ذلك أنك إذا أردت اليوم أن تستخدم ذلك المشروع الحضارى الذى نفخر به، فجعت بأمواج من البشر لايحكمها نظام لا حال نزول ولا صعود، وهم لايعرفون ولا يميزون بين باب للصعود وبين آخر للنزول. فجميع الأبواب صعود ونزول فى آن واحد، وهذا أبعد مايكون عن النظام ـ الذى حثنا إسلامنا على اتباعه، وإذا كان من المسلَّم به أن تُتْرك الفرصة للنازل، ثم بعد ذلك يركب من يشاء، فإن من يخالف ذلك النظام إنما يُظْهِر نوعاً من الأنانية؛ حين يركب سريعاً دون أن يترك فرصة لنزول غيره وهو فى نفس الوقت

ينسى أنه بعد قليل سيحتاج إلى النزول وإلى فرصة لم يتركها هو لغيره من قبل!!

ولذلك نقول : لماذا لاتحدد الأبواب بألوان وعلامات واضحة من الداخل ومن الخارج وعبارات : (نزول) أو (ممنوع النزول) و(صعود) أو (ممنوع الصعود) مع وضع غرامات مناسبة لمن يصعد أو ينزل من غير الأبواب المخصصة لذلك!! مع موالاة المتابعة حتى يصبح ذلك سلوكا مطبوعا لدى الأفراد حتى يعود لذلك المشروع الكبير سمته الحضارية.

ولايخفى عن فطنة القارىء ما للنظام من أثر في الحفاظ على الوقت، بالإضافة الى منع حدوث مشاكل اجتماعية جمة قد تنشأ نتيجة شعور الانسان أن أخاه سلبه حقه، مهما كان هذا الحق بسيطا.

مثال فقدان النظام أيضا :

عند الذهاب للحصول على تذكرة المترو أو القطار، فإنك تجد عشر أياد من عدة اتجاهات مختلفة الكل يود الحصول على تذكرة وينصرف قبل غيره بغض النظر عن هذا الغير، هل جاء قبله أم بعده؟ وهذا لايخرج عن كونه منطق حب الذات، أي : «نفسي وما بعدي الطوفان» والسؤال : لماذا يتفشى بيننا هذا المنطق الأعوج، وعندنا قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(١)

إن ترك السلوكيات الخاطئة بلا توجيه أو نقد إنما هو بمثابة ترك الفرصة لحب الذات، واللامبالاة لتثمر تلك الثمار البغيضة من فقدان للذوق العام، وترسيخ لقبول الفوضى واستساغتها، والترحيب بها، لتحل محل القيم والأخلاق النبيلة التي يسعى لتحقيقها المصلحون.

وإذا كنا نرصد مثل هذه السلوكيات الخاطئة في مثل :

١ ـ الصعود والهبوط من المترو وسيارات الأوتوبيس والقطارات.

٢ ـ الحصول على تذكرة أمام شباك التذاكر

٣ ـ الحصول على بعض الاحتياجات اليومية التي تحتاج إلى دور مثل : الخبز....... الخ

وهي أمور لاتحتاج إلا إلى بعض النظام كزيادة منافذ التوزيع مثلاً.

فإننا ـ أيضا نُقرُّ بوجود صور مشرفة للنظام في مثل :

١ ـ بعض البنوك : حيث يوجد نظام حفظ «الدور» بالرقم.

٢ ـ الأوتوبيس المكيف : حيث لاتزاحم.

٣ ـ قسم الجوازات بالمطار : حيث يوجد «دور» وتوجد مسافة بينيه تقارب

(١) الحشر (٩).

المترين بين من يتعامل ضابط المطار معه وبين من يليه وكم هو يسير تنفيذ ذلك الأمر فى البنوك، حيث لا يحتاج سوى رسم خط على الأرض على بعد خطوتين لحفظ هذه المسافة البينية بين من يتعامل مع الموظف وبين من يليه، وهو نوع من النظام بالإضافة إلى احترام خصوصيات الانسان، وهى خصوصيات أشار الاسلام الى ضرورة احترامها حيث قال الرسول الكريم : «من نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر فى النار»[٢] أى : كأنما ينظر إلى مايوجب عليه النار فأضمره فى الكلام، ويرى بعض أهل العلم أنه إنما أراد به الكتاب الذى فيه أمانة أو سر يكره صاحبه أن يطلع عليه أحد»[٣].

وكم هو جميل أن نرى كيف يحافظ الاسلام على حق الانسان فى أن تكون له أسرار لايطلع عليها أحد بغير إذن منه، وعلينا ـ أيضا ـ أن نتأمل ذلك النظام البديع الذى بثه الله فى أرضه وسمائه.

ولنتأمل قوله تعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٤].

أى : كل واحد من الشمس والقمر والنجوم (يجرى فى الفضاء فى فلك خاص به، وفلكه خط سيره على شكل دائرى) ولنتأمل ـ أيضا ـ قوله تعالى :

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٥].

إن هذه الآيات ومثيلاتها فى كتاب الله العزيز يجب أن تدفعنا للتفكر فى ذلك النظام الذى أراده الله أن يحكم سير هذه الأجرام؛ لأن لكل واحد منها مسلكا لايتمكن أحدهما من الدخول على الآخر، ولكل واحد وقته، ولايسبقه صاحبه.

ولنتأمل هذا النظام الذى ينتظم أفراد الجماعة فى صلواتنا صباح مساء.

وبعد.. فهذا هو إسلامنا يدعونا إلى النظام وإلى كل ماهو نافع وحسن وجميل، وليس أمامنا إلا أن نتلمس كل ماهو إسلامى حتى نفيق من كبوتنا وننتهى من تلال المشاكل التى نعيشها.

وعلى الله قصد السبيل.

عادل خفاجة

---

(٢) سنن أبى داوود/كتاب الصلاة/حديث رقم ١٢٧٠.

(٣) راجع عون المعبود شرح سنن أبى داود على الحديث السابق.

(٤) الأنبياء/٣٣.

(٥) يس/٤٠.

والى رسائل القراء :

سعد بن أبى وقاص

● استجابة لرغبات القراء فى تخصيص ركن من هذا الباب يتناول أحد الصحابة أرسل القارىء/حسام جابر محمد / محرم بك/الأسكندرية هذا التعريف بالصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص يقول :

أسلم سعد وهو ابن سبع عشرة سنة وقد كان ممن سارعوا إلى الإسلام ويتحدث عن إسلامه ويقول : « رأيت فى المنام قبل أن أسلم كأنى فى ظلمة لا أبصر شيئاً إذ أضاء لى قصر فاتبعته فكنت أنظر إلى من سبقنى إلى ذلك القصر فانظر إلى : زيد بن حارثة وإلى على بن أبى طالب وإلى أبى بكر وكأنى أسألهم : متى انتهيتم إلى هاهنا؟ فيقولون الساعة، وبلغنى أن النبى ﷺ يدعو إلى الإسلام مستخفياً فليقته فى شعب أجياد وقد صلى العصر، فأسلمت، فما تقدمنى أحد الإ هم» . وقد أخفقت جميع المحاولات لرده وصده عن الإسلام لذا لجأت أمه إلى وسيلة لم يكن أحد يشك فى أنها ستهزم روحه وترده عن الإسلام فقالت له : ما هذا الدين الذى أحدثت؟ لتدعنه أولا آكل ولا أشرب حتى أموت فُيتعير بى، فقال لها : والله لو كانت لك ألف نفس، فخرجت نفساً نفساً ماتركت دينى هذا لشىء. فلما رأت هذا الإصرار منه أكلت وشربت فنزل قوله تعالى :

﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾

[لقمان ١٥]

جهاده : لقد شهد سعد مع النبى ﷺ العديد من الغزوات وقد كان فيها نعم الفارس المغوار بما فيها غزوتى بدر وأحُد وامتد جهاده بعد وفاة النبى ﷺ فقاد جيوش الإسلام فى القادسية ومن بعدها معركة المدائن.

زهده فى الإمارة : فقد قال حيث عرض عليه ابن أخيه هاشم بن عتبة الخلافة وقال له : ياعم هاهنا مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر، فقال : « من المائة ألف سيف أريد سيفاً واحدا له عينان ولسان وشفتان يقول إذا قاتلت، هذا مؤمن وهذا كافر» واعتزل الناس.

من مناقبه ـ رضى الله عنه : أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من رمى بسهم فى سبيل الله وأول من رُمى أيضاً.

والوحيد الذى افتداه الرسول ﷺ بأبويه فقال له يوم أحد [ارم سعد . . فداك أبى وأمى].

قال على بن أبى طالب : « ما سمعت رسول الله ﷺ يفدى أحدا « بأبويه إلا سعدا» .

(٤) وكان مستجاب الدعوة وقد دعا له النبى ﷺ وقال : [اللهم سدد رميته . . وأجب دعوته].

وفاته : توفى سعد فى العام الرابع والخمسين للهجرة وهو فى سن جاوز الثمانين فى داره بالعقيق. رحم الله سعد بن أبى وقاص رحمة واسعة.

الابداع القصصى فى القرآن الكريم

● أما القارىء / ناصر مصطفى عبدالحميد مرسى ـ إمام وخطيب بأوقاف الشرقية فيرسل هذه الكلمة عن الابداع القصصى فى القرآن الكريم حيث يقول :

لقد احتلت القصةُ القرآنية مكاناً عظيماً إذ تمثل ابداعاً ويَدُلُّ على ذلك ما جاء فى قول اللَّه عزَّ وجلَّ:

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ .

آل عمران (٦٢)

يقول فضيلة الدكتور / محمد بكر إسماعيل فى مقاله القَيِّم بعنوان « تأملات فى قصص القرآن ـ مقاصد القصص القرآنى وتوجيهاته » الذى نُشر بمجلة منبر الإسلام العبارات التالية : « تحتل القصة مكانةً رفيعةً فى نفوس البشر . . . وذلك لما فيها من شحذ للأذهان، واستنهاض للهمم . . . وإبراز للمعانى فى أسلوبٍ شيقٍ يتفق مع أهل العصر على اختلاف درجاتهم فى الثقافة والفهم، سواء كانت القصة منتزعة من الواقع المشاهد أم كانت مستمدة من الخيال، فهى قريبة المنال سهلة التأثير، مع قوة فاعليته فى النفوس بما يحدثه من إثارة وتشويق، هذا هو شأن القصة التى يحكيها الناسُ ويتفننونَ فى سرد أحداثها ومشاهدها .

أما القصص القرآنىٌ فهو نسيج وحده، يحملُ فى طياته منَ العظات والعبر ما يعبر عن الحياة الإنسانية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ويكشف عما فيها من جوانب مشرقة وأخرى مُعتمة، تتميز من خلالها أساليب الخير وأساليب الشر، فهو مرآةٌ تعكس لأهل كل عصر ما وقع فى العصور التى سبقتهم، وتُجَلِّى لهم بوضوح خطر ما هم عليه وخير ما هم فيه من خير وشر تذكيراً وتحذيراً وبلاغاً لكل من أراد أن يتذكر ويعتبر »[1] .

وقد حظيت القصة القرآنية بالعديد من الكتابات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - القرآن ونظرية الفن « محاولة لتأصيل نظرية إسلامية فى الفنون » للأستاذ الدكتور حسين على محمد .

٢ - من نسمات القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عبدالحميد على عميد كلية اللغة العربية بالزقازيق .

٣ - التعبير بالقصة من بين وجوه الإعجاز لكاتب هذه السطور بمجلة الوعى الإسلامى الكويتية .

٤ - التصوير الفنى فى القرآن للأستاذ سيد قطب .

٥ - المعجزة والإعجاز فى القرآن الكريم للأستاذ الدكتور سعد الدين السيد صالح .

وهناك العديد والعديد سوى ما ذكرت لأن المقام لا يتسع لذكرها .

وأعتقد أن الطريق مازال مفتوحاً أمام الباحثين من الدراسين حول القرآن الكريم وقبساته وبحوره التى لا تنضب .

المحرر: نشكر للقارىء مشاركته فى الباب بهذا الموضوع القيم، وكنا نود أن يرسل رفق كلمته صورة مما نشر له فى هذا الموضوع تحت عنوان : « التعبير بالقصة من بين وجوه الإعجاز » . ونتمنى له التوفيق .

---

(١) مجلة منبر الإسلام - السنة ٥٦ - العدد ٢ - صفر ١٤١٨ هـ يونيه/يوليو ١٩٩٧م.. ص٢٣.

من إبداعات القراء :

نور على نور

لكل من منّ الله عليه بحفظ القرآن الكريم كتب الشيخ / محمد أحمد المعصرانى إمام وخطيب بأوقاف القاهرة

قُم حىّ أهل العلْم والقُرآن ... بربى بلادى.. جنة البُلْدان
حفظُوا كتاب الله.. أسمى غاية ... فالذّكْر منْهُم رائعُ الألْحان
ترنو إليهم مُغرماً بقراءة ... وتلاوة كقلائد العقْيان
وأراك هيْماناً بحُسْن أدائهم ... وكأنّنا فى جنّة الرّضْوان
يا فوز من حفظ الكتاب جميعهُ ... فهداهُ للْعمل العظيم الشّان
العلْمُ مفتاحُ الجنان لأهْله ... وهُو الأميرُ على ذوى السُّلْطان
وبذاك أخْبرنا النبىُّ محمّدٌ ... فى قوْله المُتفرّد النُّورانى
من يطْلُب العلْم الشّريف تحُفّهُ ... زُمرُ الملائك قاصياً أو دانى
يا صاحب التوحيد روّ جنُودنا ... بالنّصْر والتّمْكين والإيمان
يا نعْمة الإسلام دُومى بيْننا ... عزاً يُتوّجُنا بكُلّ زمان

إعلان الفداء

أما الأستاذ حمدى أبو إسماعيل المدرس بالأزهر فنقدم له هذه الأبيات من قصيدة «إعلان الفداء»

اليوم أعْلنُ أننى ... قدْ بعْتُ رُوحى للإله
فالبغى قدْ عمّ الرُّبا ... والظّلمُ جاوز مُنْتهاه
والقلبُ لا يرضى بذُل ... فالله للعز اصطفاه

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصًا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

مجمع البحوث يرشح نبيل بباوى لجائزة الدولة التقديرية

● صرح فضيلة الشيخ السيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأن مجلس المجمع قرر فى جلسته الثالثة من الدورة الثانية والثلاثين والمنعقدة بتاريخ ٢٢ من شوال ١٤٢٣هـ الموافق ٢٦/١٢/٢٠٠٢ ترشيح:

١ـ أ.د/ طه أبو كريشة نائب رئيس جامعة الأزهر.. لجائزة الدولة التقديرية فى الآداب.

٢ـ د/نبيل لوقا بباوى لجائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية.

٣ـ أ. د/ أحمد فتحى الزيات لجائزة الدولة التقديرية فى العلوم.

وترشيح كل من:

١ـ أ.د/أحمد كمال أبوالمجد ـ لجائزة مبارك فى العلوم الاجتماعية.

٢ـ د.محمد عمارة مصطفى عمارة لجائزة مبارك فى الآداب.

للأستاذ/ محمد الشرقاوى

(١٨٠٠) منحة أزهرية لمسلمى دول العالم

ـ تمت مناقشة وإقرار مشروع منح الوفورات بلجنة الطلاب الوافدين بالأزهر الشريف لعدد «٤١٤» طالباً وطالبة تم وضعهم على منح الوفورات ممن انطبقت عليهم الشروط الخاصة بهذه المنح.

كما يتم مناقشة مشروع منح الأزهر الشريف لمختلف دول العالم وشمل المشروع «١٢٤» دولة وأقلية إسلامية وذلك بمقر وزارة الخارجية لجنة شئون الطلاب الوافدين.

كما أفاد الأستاذ/ شوقى السبكى مدير عام الإدارة العامة للوافدين بمجمع البحوث الإسلامية بأن المشروع يتضمن (١٨٠٠) منحة أزهرية وأنه أكبر مشروع منح يقدم لمختلف دول العالم بقاراته الخمس.

ريـــاض الصـــالحين

أصدرت الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية الجزء السابع من كتاب رياض الصالحين شرح وتعليق فضيلة المرحوم الأستاذ الدكتور / الحسينى هاشم وكيل الأزهر الأسبق ضمن سلسلة البحوث الإسلامية.

أفاد بذلك الأستاذ / فؤاد الشريف ـ مدير عام الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية.

منع نشر وتداول « ودخلنا التشيع سجدا ».

قررت لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية التصريح بتداول:

ـ كتاب: « بين متبع ومقلد أعمى فى الفروع الفقهية » للدكتور / عامر سعيد الزيبارى.

ـ كتاب: « تحفة الطالب والجليس » للأستاذ / عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ.

ـ كما قررت اللجنة منع نشر وتداول كتاب « ودخلنا التشيع سجدا » تأليف / محمد على المتوكل أفاد بذلك الأستاذ / صابر تعلب مدير الإدارة العامة للجان والأروقة بمجمع البحوث الإسلامية.

من صـور التعصـب الصـهيونى

تشن المنظمات اليهودية فى فرنسا هذه الأيام حملة ضارية ضد رواية بعنوان « حلم عن فلسطين » كتبتها فتاة إيطالية من أصل مصرى في الخامسة عشر من عمرها تدعى « راندة غازى » وتحكى قصة المعاناة التى يتعرض لها الشعب الفلسطينى على يد جنود الاحتلال الصهيونى.

وكانت هذه الفتاة قد اشتركت بروايتها فى مسابقة لكتب الشباب باللغة الإيطالية وحازت الرواية إعجاباً كبيراً بين الشباب لكن المنظمات اليهودية والتى تملك نفوذاً ساحقاً فى فرنسا وكل أوروبا تقريباً وقفت لها بالمرصاد وطالبت بسحب الرواية من الأسواق ومنع تداولها وعدم وضعها على الإنترنت وذلك بتهمة معاداة السامية.

ومن المثير للدهشة أن هذه الجماعات تطالب الآن بتطبيق قانون حماية النشء الذى صدر فى فرنسا عام ١٩٤٩م والذى يحظر كل أشكال التعبير التى تروج للعنف والكراهية.

ومما يذكر فى هذا الصدد أن المحاكم الفرنسية رفضت أخيراً منع الكتاب الذى نشرته المؤلفة الإيطالية « أوريانا فلاتشى » وتُرْجم إلى الفرنسية وهاجمت فيه الإسلام والمسلمين ووصفتهم بأقذع الصفات وطالبت بطردهم من أوروبا.

وكذلك رفضت حظر كتاب آخر لمؤلف فرنسى يدعى « ميشيل هويلبيك » وصف فيه الدين الإسلامى بأنه « أغبى عقيدة عرفها التاريخ » ولم تجد المحكمة الفرنسية فى هذا الكتاب أى نوع من العنصرية والتحريض على الكراهية بل اعتبرتها نوعاً من حرية التعبير وسوف ترينا الأيام المقبلة مدى مصداقية معايير العدالة الفرنسية وموقفها من كتاب الصبية المصرية عندما تتقدم المنظمات اليهودية بدعاوى حظره أمام المحاكم الفرنسية.

تدريس الإسلام على الطريقة الأمريكية

ـ ذكرت صحيفة « النيويورك تايمز » الأمريكية أن وزارة الدفاع الأمريكية تدرس إصدار أمر سرى للقوات الأمريكية للقيام بعمليات سرية للتأثير

على الرأى العام وصناع السياسة فى الدول الصديقة والمحايدة.

ونقلت الصحيفة عن مصادر فى الإدارة الأمريكية أن البرنامج الدعائى يتضمن جهوداً للتأثير على دور المساجد والمراكز والمدارس الإسلامية التى تعتبرها أمريكا مركزاً لتفريخ الناشطين وتعزيز العداء ضد أمريكا خاصة فى الدول العربية والإسلامية وأوروبا ويتضمن البرنامج أيضاً إمكانية إنشاء مدارس مدعومة من الجيش الأمريكى لتدريس الإسلام التى تراه أمريكا معتدلاً.

معاملة لا إنسانية للمهاجرين المسلمين فى أمريكـــــا

وجه زعماء مسلمون وجماعات أمريكية للدفاع عن الحريات المدنية انتقادات حادة لسلسلة إجراءات أمريكية بهدف «مكافحة الإرهاب» ـ على حد زعمها ـ وتشمل هذه الإجراءات إخضاع الوافدين من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وكوريا الشمالية لعمليات تفتيش ذاتى وأخذ بصماتهم ومعاملتهم بشكل لا إنسانى فى مراكز اعتقال.

وقال محامون متخصصون فى الدفاع عن المهاجرين: إن مئات من الرجال والصبية المسلمين يخضعون لعمليات تفتيش بتجريدهم من ملابسهم فى مراكز احتجاز تنخفض فيها درجة الحرارة إلى مستوى التجمد فى «جنوب كاليفورنيا» بعد اعتقالهم بسبب مخالفات روتينية تتعلق بتأشيرات الدخول. وقال المحامون: إن ما بين ألف و٢٥٠٠ شخص معظمهم من الذكور الإيرانيين وبعضهم لايتجاوز عمره ١٦ عاماً محتجزون فى ظروف غير إنسانية رغم أنهم قدموا أنفسهم بمحض إرادتهم إلى مكاتب الهجرة لتسجيل أسمائهم لدى السلطات المختصة. وذكرت المحامية «سهيلة جنوبى» من لجنة الدفاع عن المهاجرين أنه فى أحد المراكز أُمروا بخلع ملابسهم وجرى تفتيشهم وهم عرايا ولم يتم إعطائهم سوى لباس سجن دون أية ملابس داخلية أو قمصان أو جوارب أو أحذية ولم يتم إعطاؤهم أغطية وقالت إنهم يتجمدون» وقال «كايهان شكيب» رئيس اتحاد المحامين الإيرانيين الأمريكيين إن هؤلاء الأشخاص يُحتجزون فى أوضاع غير إنسانية».

وقال إننا لانعرف عددهم ولكنه يقدر على أية حال مابين «١٠٠٠» إلى «٢٥٠٠» شخص معتقلين فى جنوب كاليفورنيا.

الجيش التركى ضد الحجاب

أعلن الجنرال «تونجر جلنج» السكرتير العام لمجلس الأمن القومى التركى ـ الذى يهيمن عليه الجيش ـ إن المجلس لايرغب فى إثارة قضية الحجاب مرة أخرى.

وأوضح جلنج فى تصريحات صحفية أن المجلس سيواصل تحذيراته من أى مسعى لرفع الحظر عن الحجاب، وأشار إلى أنه أجرى اتصالات بهذا الشأن مع زعيم حزب العدالة والتنمية الحاكم «رجب طيب أردوغان» ورئيس الوزراء «عبدالله جول» وألمح «جلنج» إلى احتمال إلغاء مدارس الأئمة والخطباء الخاصة بالفتيات، قائلاً: إن بلدنا مثل البلدان الأخرى لاتريد أن تخرج فيها راهبات لأنه لامجال لعملهن.

ـ ألم يعلم الجنرال أن البلدان الأخرى تخرج راهبات!

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل وزير التعليم بدولـــة برونـــاى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير/ فيهين داتو حاج عبدالعزيز وزير التربية والتعليم بدولة بروناى - دار السلام وسعادة السفير/ محرم بن بياه سفير بروناى بالقاهرة والوفد المرافق وذلك فى إطار دعم التعاون بين الأزهر وبروناى فى العملية الدينية والتعليمية وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف موضحا لهم دور الأزهر الشريف فى استقبال طلاب من خمس وتسعين دولة يدرسون بالأزهر الشريف على منح من الأزهر وبجانب إخوانهم الطلبة المصريين وينالون كل رعاية وعون ومساعدة ومنهم طلاب دولة بروناى الشقيقة ومن جانبه قدم الضيف الشكر لفضيلة الإمام الأكبر لما يقدمه الأزهر الشريف من دعم دينى وتعليمى لأبناء دولة بروناى، كما قدم شكر بلاده حكومة وشعبا لفضيلة شيخ الأزهر ولعلماء الأزهر على المجهود الذى يبذل من جانب الأزهر من أجل توضيح المفاهيم الدينية وتبسيطها مشيدا بطلبة بروناى الذين تخرجوا فى الأزهر لأنهم يحتلون مناصب ومراكز هامة فى بلادهم ويشاركون فى عملية التنمية وهم ينقلون ما تعلموه من الأزهر لأبناء بلادهم وأهليهم، وتمنى أن يزور فضيلة شيخ الأزهر الشريف دولة بروناى، وطلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء دولة بروناى، ومن جانبه رحب فضيلته بتوفير كافة السبل التى يطلبها الضيف لدعم سبل التعاون بين البلدين.

ويستقبل وزير خارجية سيراليون

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير/ ممادو كوروما وزير الخارجية بدولة سيراليون يرافقه السيد سفير سيراليون بالقاهرة والوفد المرافق، رحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق فى الأزهر الشريف وتم مناقشة سبل دعم التعاون بين الأزهر ودولة سيراليون فى المجال الدينى، وأبلغ السيد وزير الخارجية تحيات رئيس جمهورية سيراليون لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ولعلماء الأزهر الشريف لما يقدمونه من مساعدات تعليمية لدولة سيراليون مشيدا بالمنح الدراسية التى يحظى بها أبناء سيراليون للدراسة بالأزهر على منح من الأزهر الشريف مبينا أن حوالى ٧٠٪ من شعب سيراليون مسلمون، وأوضح أن الحروب الأهلية التى تعرضت لها البلاد تركت آثارا

سيئة مما يتطلب دعاة ووعاظا من علماء الأزهر الشريف لدولة سيراليون لتعليم المسلمين وتبصيرهم بأمور دينهم وتوضيح سماحة الإسلام ويسره ووسطيته، كذا طلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء سيراليون للدراسة بالأزهر وإمداد سيراليون، بالكتب الدينية للنهوض بعملية الإعمار والتنمية، فى أعقاب انتهاء الحرب الأهلية، ومن جانبه وعد فضيلة الإمام الأكبر الضيف بدراسة طلباته وتلبيتها.

الإمام الأكبر يؤكد:

نرحب بحوار الحضارات والثقافات والأديان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / ميجيل موريشنز الممثل الخاص للاتحاد الاوروبى لدى الشرق الاوسط يرافق سعادة السفير / أولدنبرج سفير الدانمارك بالقاهرة، والسيد / كريستيان جورات المستشار السياسى، والسيد المستشار الشخصى والصحفى، والسيد مفوض المفوضين الأوروبيين، رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف موضحا بأن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة، وقال: إننا نرحب بحوار الحضارات والثقافات والأديان، ومؤكدا على أن الكثير من الناس يعرفون الحق ولا يجهرون به ولا ينتمون إلى الكتيبة التى تناصر الحق بشجاعة وهناك من الناس من يميلون إلى الباطل، ورغم ذلك يوجد من يحب العدل ويكره الظلم وعلينا وعلى المجتمع أن يقف إلى جانب من هم على الحق حتى يظفروا بحقوقهم ليسود الأمن والأمان والرخاء، لأن الأمان يولد الرخاء، أما الإرهاب والظلم والقهر فيولد الخراب، ودائما أقول: إن الاختلاف فى العقائد لا يمنع التعاون، فالشرائع السماوية تأمر بالتعاون على الخير ونشر الأمان، وتنهى عن الظلم، والبغى، ولكل إنسان عقيدته والذى يحاسب على العقائد هو الله ـ عز وجل ـ ونحن كبشر يجب أن نتعاون ونساعد الضعيف حتى ينال حقه.

وأوضح فضيلته أن الفرق بين الإسلام وبين الإرهاب كالفرق ما بين السماء والأرض، فمن يدافع عن نفسه وأرضه وحريته وعرضه وماله مستحيل أن يسمى فى الشرع أو فى العقل إرهابى، وإنما الإرهابى، هو من يحتل ارض غيره ويقتلع زرعه ويحاصره ويعتدى عليه ويطرده من بيته أو يهدم عليه بيته فهذا هو الإرهابى، وهذا واضح فى الشرائع السماوية والعقول الإنسانية، وقال فضيلته: إننا ضد قتل الأبرياء سواء أكانوا أطفالا أم نساء، أم شيوخا، ومن وجهة نظرى أن الدولة صاحبة الكلمة يجب عليها أن تحسم القضية الفلسطينية، بأن توجد قوة دولية رادعة ومعها الأسلحة التى تؤدب الخارجين، وبهذا يجد الجانبان أنفسهم أمام الحل الأمثل الذى يناسبهم، وعلى الدول الأعضاء فى مجلس الأمن أن يسعوا لذلك حتى تتاح فرص التفاوض.

ومن جانبه أعرب الضيف عن اتفاقه التام مع ما قاله فضيلة شيخ الأزهر الشريف، وأن الاتحاد الأوروبى يسعى فى محاولة لإيجاد الحلول المناسبة قبل مضى عام ٢٠٠٥، وهناك من يتحرك من أعضاء مجلس الأمن لمحاولة وضع خريطة تحديد بداية الطريق، وأن تضع الموضوعات تحت المجهر، ولكن قبل ذلك علينا أن نضع حدا للعنف، كما أننا نتمنى أن تكون الأيام القادمة تحمل بشارة توصل الجانبين من فتح وحماس الى اتفاق يوصلنا إلى نتائج أفضل لإيقاف العنف، وأن الفلسطينيين

لهم الحق، ولكن نحن ضد أن يذهب الأفراد إلى المدن الإسرائيلية ويقتلون الآمنين.

وقد أوضح فضيلة شيخ الأزهر الشريف بأننا نعلن فى وسائل الإعلام جميعها بأننا ضد قتل الآمنين من الأطفال والنساء، والرجال، ونحن قلوبنا مفتوحة للحوار مع الشرق والغرب والأوروبيين والآسيويين ونحن نتحاور مع كل من يطلب الحوار، ويأتينا رجال من الفاتيكان ومن أوروبا، ومن الشرق، وإنما نتحاور من أجل نصرة المظلوم ومعاونة المحتاج ولتحقيق العدل والاستقرار وهو ما تدعو إليه الشرائع السماوية كلها.

الإمام الأكبر:

غير العقلاء هم الذين يخلطون بين الإسلام وبين الإرهاب

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اثنين وعشرين سفيرا من مجموعة سفراء الدول الآسيوية بالقاهرة برياسة الدكتور/ وراويت لنياشين سفير مملكة تايلاند بالقاهرة وعميد مجموعة سفراء الدول الآسيوية، رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف شارحا لهم نظام التعليم بالأزهر الشريف، وموضحا لهم بأن الأزهر الشريف يخصص منحا للطلاب من تسعين دولة من دول العالم يدرسون فى الأزهر الشريف وبعد انتهاء دراستهم وحصولهم على الشهادات العليا يعودون إلى بلادهم ويحتلون المراكز العليا، وقد رأينا كثيرا من رؤساء الدول ومن الوزراء والسفراء تخرجوا فى الأزهر الشريف وهم رسل الأزهر فى بلادهم ينقلون ما تعلموه لأهلهم وذويهم، ويزورون الأزهر الشريف من آن لآخر، وصلة الأزهر الشريف ممتدة مع العديد من الدول منذ أكثر من مائة عام، وقدم فضيلته شرحا لدور الأزهر الشريف بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، والبيان الذى أعلنه مجمع البحوث الإسلامية، برياسة شيخ الأزهر الشريف رئيس المجمع والذى أوضح فيه للعالم أجمع بأن ما وقع من عدوان على الآلاف من العاملين الآمنين فى نيويورك من المسلمين وغير المسلمين من قارات مختلفة من نساء ورجال وقتل لهؤلاء الأبرياء على اختلاف جنسياتهم وهم يؤدون عملهم فى وظائفهم إنما هى جريمة بكل المقاييس الدينية والخلقية والإنسانية والقانونية، والأزهر الشريف يرفض هذا العدوان رفضا تاما، كما أوضح البيان بأن على من وقع عليه العدوان أن يبحث عن هؤلاء المجرمين وأن يقدمهم للهيئات القضائية المختصة لتقول كلمتها العادلة فيهم، وقال البيان إنه ليس من حق الدولة التى وقع عليها العدوان أن تعاقب شعبا بأكمله، وجميع الشرائع السماوية والعقول الإنسانية السليمة تمنع العدوان على الآمنين، وقال فضيلته: إن الدراسة فى الأزهر الشريف تقوم على الاعتدال والتوسط والبعد عن التطرف والتعصب، وعدم التدخل فى عقيدة أحد، موضحا بأن العقائد لاتباع ولا تشترى والذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - وأجاب فضيلته عن الأسئلة التى دارت حول الذين يسيئون إلى الإسلام ويخلطون بين الإسلام والإرهاب قائلا: إن غير العقلاء هم الذين يخلطون بين الإسلام والإرهاب مع أن الفرق بين الجهاد فى الإسلام وبين الإرهاب كالفرق بين السماء والأرض، فالجهاد معناه الدفاع عن الوطن وعن الدين وعن الحرية الإنسانية وعن المال وعن العرض وعن الكرامة، وعن اغتصاب

الأرض بالقوة، وهدم المنازل، وقتل الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ، ومن يدافع عن كل ذلك فهو مجاهد، وعلى عكس ذلك فمن يغتصب الأرض ويقتل الآمنين ويهدم البيوت ويضيق عليهم الأرزاق فهو إرهابى، وجميع الأديان والعقائد والعقول السليمة تقول ذلك وتقول بأن الدفاع عن المال والعرض والأرض والأنفس واجب مشروع، وفى نهاية اللقاء شكر السادة السفراء فضيلة شيخ الأزهر على الشرح الذى قدمه وعلى الإجابة عن أسئلتهم واستفساراتهم وأنهم يرسلون ما سمعوه من فضيلته لبلادهم حتى تظهر وتتضح صورة الإسلام ومكانته وحتى لا يكون هناك مجال للألسنة التى تتحدث باسم الإسلام وتخلط الأمور.

الإمام الأكبر:

الأمم العاقلة هى التى يتشاور أبناؤها لصالح أمتهم

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السادة أعضاء الدورة التدريبية المؤهلة لشغل وظيفة كبير خبراء وعددهم خمسون عضوا من أنحاء الجمهورية ورافقهم الأستاذ/ حسن أنيس أحمد رئيس المحكمة وعضو المكتب الفنى للمركز القومى للدراسات القضائية وذلك فى إطار حضورهم دورة تدريبية بالمركز القومى للدراسات القضائية.

رحب فضيلته بالسادة الخبراء فى الأزهر الشريف وأوضح بأن رأى ومشورة المتخصصين فى المجالات المختلفة مهم جدا ومطلوب الاستفادة منه حتى تنهض الأمم وترقى، موضحا بأن الأمم العاقلة الرشيدة هى التى يتشاور أبناؤها لصالح ولخدمة أمتهم لأنهم أهل الخبرة والمعرفة، وبخاصة فى هذا الزمن الذى نعيشه، لأن التخصصات أصبحت دقيقة، وأصبح الوضوح سمتها، ومن أجل ذلك فإن الأمم العاقلة هى التى تأخذ بمشورة المتخصصين فى كافة المجالات، والعالم الآن أصبح عالما يسوده التخصص، وكل متخصص فى علم معين هو تلميذ لغيره من المتخصصين فى علوم أخرى، وعلى المتخصصين الاستفادة من بعضهم البعض لخدمة أمتهم ورقيها، كما أوضح فضيلته أن من أسباب الانحراف عن الحق هو عدم الوصول إلى الحقيقة فى أمر من أمور الدنيا عندما نلجأ إلى المعرفة عن طريق غير المتخصصين والقرآن الكريم يقول:

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

وأهل الذكر فى كل علم هم المتخصصون فيه وأكد على أن تحديد المفاهيم عند طرح الأسئلة هى من الأمور الهامة للمتخصصين عندما يجيبون عن الأسئلة حتى لا يكون هناك لبس فى فهم الموضوعات وبذلك تحدد الإجابات دون أن يكون هناك مجال للفهم الخاطىء، مؤكدا أن على الإعلاميين أن يتفهموا الأسئلة جيدا، والإجابات من مصادرها حتى تكون الإجابات واضحة للعامة ضاربا الأمثال على معاملات البنوك والمسميات التى يختلط فيها الفهم فيما بين القرض والاستثمار، والوديعة والمضاربة وغيرها من أنواع المعاملات، وكذا تحديد الأرباح موضحا بأن المعاملات بمقاصدها لا بألفاظها وإنما الأعمال بالنيات، والضرورات تقدر بقدرها، وخير من يفهم الأمور فهما سليما هم السادة المتخصصون.

(١) النحل (٤٣).

وأجاب فضيلته عن أسئلة السادة الحضور والتى دارت حول شرح وتوضيح فتوى مجمع البحوث الإسلامية التى صدرت أخيرا بحل أرباح استثمار الأموال فى البنوك وتحديد الربح مقدما، كذا أجاب عن أسئلة الحضور حول أحكام التدخين، والزكاة، والختان، والفرق بين الصدقة والزكاة، وحول فريضة الحج الخ الأسئلة التى طرحت وأجاب عنها فضيلته.

وفى نهاية اللقاء شكر الحضور فضيلته على المعلومات القيمة التى سمعوها والتى وضحت أمورا كثيرة مؤكدين بأن تلك المعلومات هى خبرة لهم ويسترشدون بها فى عملهم، وقد صححت مفاهيم كثيرة عندهم.

الإمام الأكبر يلتقى برؤساء ومديرى عموم المناطق الأزهرية

اجتمع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بالسادة أصحاب الفضيلة رؤساء ومديرى عموم المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية، وذلك لدراسة الجوانب والمقومات ذات الصلة بالمسيرة التعليمية حيث أكد فضيلته على الانضباط وعدم المحاباة ومراعاة الضمير واتباع سبل العدل والحق فى أعمال الامتحانات الشفوى والتحريرى للفصل الدراسى الأول وأكد فضيلته على مراعاة الأسس التى تضمن المتابعة الجادة لسير الدراسة بالمواقع المختلفة، والاطمئنان على مدى التزام هيئة التدريس بالخطة والمنهج حتى تبدأ مواعيد الامتحانات للفصل الدراسى الاول مع مراعاة تجهيز مقار اللجان واختيار أعضاء المراقبة والملاحظة والتصحيح وتقدير الدرجات وكذا مراكز توزيع الأسئلة والكنترولات، واحتياطات التأمين والإجراءات اللازمة طبقا للوائح والقوانين المنظمة لأعمال الامتحانات، وفيما يتعلق بالمعينين الجدد من المدرسين والإداريين والعمال، وأكد على توزيعهم على المعاهد التى تحتاج إلى تخصصاتهم والمعاهد التى بها عجز، وألا يتعارض ذلك مع المصلحة العامة، ومراعاة توزيع العنصر النسائى للصف الأول والثانى والثالث الابتدائى وذلك لتوفير الجو الأسرى المناسب لهؤلاء الطلاب والطالبات، وفيما يخص الكتب الدراسية اللازمة للفصل الدراسى الثانى أكد فضيلته على المسئولين أن تكون الكتب فى أيدى الطلاب فى بدء الدراسة بالفصل الداسى الثانى، وأكد على أن يستفيد الطلاب والطالبات من الحواسب الآلية والكمبيوتر الموجودة بالمعاهد تذليل كافة السبل لذلك والمناطق التى لم تصلها هذه الأجهزة عليها التقدم بطلبات لتوفير هذه الأجهزة، وبالنسبة للمعاهد التى أضيرت بالزلزال أو غيره أكد على متابعة أعمال الشركات المسند إليها أعمال الترميم لمعرفة حجم الإنجازات التى تمت وسرعة الانتهاء من الأعمال المسندة إليهم حضر الاجتماع فضيلة الشيخ/ عبدالكريم محمد عبدالرحمن الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الشيخ/ شوقى نويجى رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة وكلاء القطاع والمسئولين عن العملية التعليمية والإدارية.

الإمام الأكبر يعلن:

المرحلة الابتدائية هى البديلة عن الكتاتيب

اجتمع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بالسادة أعضاء المجلس الأعلى للآباء والمعلمين حيث تم التصديق على محضر الجلسة السابقة، كما تم التصديق على الموقف المالى لحساب المجلس خلال

الفـتـرة من ١ /٧ /٢٠٠١ وحـتـى ٣٠ /٦ /٢٠٠٢ والمتـمـثلة فى الصـرف على الخدمـات الطلابيـة التى قدمـتهـا الإدارة المركـزية لرعاية الطلاب من خـدمـات تعاونية للطلاب استفاد منها ١٨٢٨١ حالة بإجمالى مبلغ مليون وثلاثمائة وستين ألفا وأربعمائة وخمسة وسـتـين ألفـا من الجنيـهـات كـذا مـجـالس الآباء وخـصـصـت لهـا مـبلغ مـائتـين وتسـعـين ألفـا من الجنيهات لتدعيم الأنشطة الطلابية المختلفة « رياضى اجتماعى وثقافى » وقام المجلس الأعلى للآباء بتدبير مليـون جنيه من ميزانيتـه للإسـهام فى تزويد بعض المعاهد الأزهرية بأجهزة الحواسب الآلية، وفى مجال بيـوت الشبـاب تم إنشاء العـديد من بيوت الشبـاب الأزهرية فى كل من أسوان، والأقصر، وبنى سـويف، وأسيـوط، والسـويس، الإسمـاعيلية، وبورسـعيـد، والعريش، والإسكندرية، والقاهرة، واستفاد منها أكثر من سـتـة آلاف طالـب وطالبـة، وفى مـجـال رعـاية الطلاب ذوى الاحـتـيـاجات الخاصة فـإن الأزهر يولى اهـتـمـامـا كـبـيـرا بأبنائه من الطـلاب والطالبـات ذوى الاحتياجات الخاصة حيث يقدم لهم الخدمات التى تساعـدهم على التكيـيف مع المجتمع من خلال برامج رياضية واجتماعية وثقافية وترويحية وإرشادية بمعرفة المتخـصصـين واسـتـفـاد منهـا أكـثـر من ٨٠٠ طالب وطالبة باعتمادات مالية قدرها خمسون ألف جنيه، وفى مـجـال الاتحـادات الطلابيـة أحـد التـنظيـمـات الطلابية التربوية فى المعاهد الأزهرية والتى تهدف الى تدريب الطلاب على الحياة الديمقراطية السليـمة من خـلال الأنـشطة والبـرامج التى تعـد لهـذا الغـرض باعتمادات مالية بلغت ثلاثمائة وخمسة وعشرون ألف جنيه لتدعيم الأنشطة الثـقـافيـة والاجتـمـاعيـة والرياضيـة بالإضافة إلى المؤتمرات والندوات ولقاءات التعارف والمسابقات والرحلات، واستفاد منها حوالى عشرة آلاف طالب وطالبة، كما تم تجهيز قسم داخلى للبنين والبنات المغـتـربين فى كل من الوجه البـحـرى والقبلى وتخدم حوالى ١٠٢٥ طالبا وطالبة وتتمثل فى الإقامة والإعاشة وتوفير الحياة الاجتماعية السليمة لهم وممارسة الأنشطة المختلفة، وفى مجال التغـذية التى اسـتـفـاد منهـا جـمـيع طلاب وطالبات المرحلة الابتـدائيـة بالإضـافـة إلى طلاب وطالبـات المعـاهد الإعـدادية والثـانوية بالمناطق النائيـة فـقـد خـصـصـت لهذه الميزانية مبلغ خمسين مليون جنيه بزيادة قدرها ٢٨ مليون جنيه عن العام الماضى، كما ناقش فضيلته إمداد المعاهد بمسجلات لسماع شرائط تسجيل القرآن الكريم فى المرحلة الابتدائية بدءا بالصف الأول الابتدائى والتسجيل بصوت المرحوم الشيخ / محمود خليل الحصرى حتى يتعود الأطفال منذ الصغر على القراءة الصحيحة فينشأون على ذلك، وأكد فضيلته على أن المرحلة الابتدائية هى البديلة عن الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم وسيتم تنفيذ هذه التجربة أولا على منطقة القاهرة الأزهرية ثم يتم تنفيذها تدريجيا على باقى مناطق الجـمـهورية فى مـعاهدها الأزهرية علمـا بأنه قـد وزع المصـحف المعلم على المعـاهد الأزهرية منذ ثلاث سنوات ليتم سماع شرائط القرآن الكريم فى طابور الصباح لمدة خمس دقائق.

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ورئيس الإدارة المركزية لرعاية الطلاب والسادة وكلاء القطاع والمسئولون عن العملية التعليمية والإدارية.

gloomy well full of evil. So, Allah, The Most High, sent His Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, in order to eliminate all this and guide people to the most upright path that benefits them all.

For the above mentioned, Islam asserted that man should meditate concerning soul and creatures. Moreover, it motivates people to consider the signs of Allah concerning His creatures and matchless creation. There are dozens of verses stated in the Ever-Glorious Qur'an showing this as Allah, Glory be to Him, says:

﴾And in the earth are signs for the ones having certitude. And in your selves; do you then not behold?﴿

[Ath-Thariyat (The Winnowers) : 20:21]

and He also says:

﴾So let man look into what he was created from; he was created from effusive water, going out between the loins and the breast-bones.﴿ [At-Tariq (The Night Visitant) : 5:7]

In these verses, Allah urges man to look at himself and his origin.

Those (opponents) who claim that Islam resists and opposes science, are ignoring and disregarding the very distinct feature of this religion that it sets mind as a judge differentiating between wrong and right, calls for science in many of its verses and urges people to contemplate and think about everything around them. We answer them saying that such a religion cannot be described or, in order to be more accurate, stained by being resistant to science. Those claiming this not only described by being illogic, but also they completely do know nothing about the topic they are writing about. Allah, The Most Exalted, says:

﴾We shall soon show them Our signs in the horizons and in themselves till it is evident to them that it is the Truth. And does it not suffice as to your Lord that He is The Ever-Present Witness over everything?﴿

[Ash-Shura (Counsel) : 53]

given to them even what involved deriding at creeds and traditions. Whoever thinks about these nations, finds what cannot be perceived by mind; subjugation to illusions and complete belief in delusions and superstitions.

Islam came with its clear evidence to eliminate these dark clouds which have been let down by the delusive (ones) on thinking, contemplating and deducting, so whoever believes in it is like the one who is taken from a dark well to the world of light and sees, by his own eyes, what cannot be effaced by falsifiers and hears, by his own ears, what cannot be hidden by opinionated. Therefore, he accepts the right without hesitation, adheres to it like the drowning (man) does to a straw and work, self-motivated, according to it. Islam's scholars decided on what can be considered a logical consequence for this crucial reformation namely, imitator's belief is unacceptable as imitation in right is similar to imitation in wrong. Islam criticizes imitation and imitators and urges to resort to thinking and be dependent on argument and evidence. Moreover, it does not command anyone what he cannot bear. Islam' clear signs, concerning this, are evident even to the most ignorant. The aim behind this is to make everyone (believes in Islam) feels the responsibility thrown upon his shoulders, so he shall resort to his reason and apply his faculties on deduction in order to protect himself from fossilization of the delusive (ones).

Due to this, Muslims are considered the hardest of nations to be misled by the callers of wrong, everywhere and time, as they are the most adherent to their religion compared to other nations on earth.

The human soul is disposed by nature for thinking in the principle of its source, faculties and destiny. Therefore, if man prevented himself from contemplating and thinking, like in the middle ages, ignorance and blindness would prevail, sciences and arts would be neglected and people would fall in dark

Islam's Call for Contemplation and Thinking
By: The Great Scholar Muhammad Farid Wajdi

At the time when Islam was sent down by the All-Knowing Wise Lord, chiefs of religions on earth have been restricting the power of contemplation and thinking in narrow circles drawn in order not to exceed the silly daily affairs of life. To contemplate or think about the soul, creatures and universe in order to establish a science, deduct wisdom, was considered as matters that do not concern people, as only leaders were those who were allowed to criticize. If they found someone exceeded, according to them, the narrow field of knowledge that common people were allowed to know, they would consider this a violation and would ask him to repent. And if he turned to do this again they would throw him in an overflowing oven or imprison him in a dark well for the rest of his life.

Therefore, Allah sent His Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, to deliver the true religion in order to get people out of darkness to light. This Prophet asks everyone of us to meditate, think and consider, deduct, resort to our minds and to be guided by the help of the mindful seeking more knowledge as Allah, Glory be to Him, says:

﴿And say, "Lord! Increase me in knowledge". ﴾

[Taha :114]

Islam aimed, by this, at achieving one of the most sublime goals; to urge all the faculties of mind to perform their functions and to awaken them from their dullness so, the human character can perfect its elements and acquire a natural immunity against instructions inconsistent with mind and science. Consequently, man shall become hard to be misled by the delusive.

Efforts of the delusive were directed to prohibit, on their people, contemplation, freedom of thought and independent opinions in order to enslave them by delusions and to be able to control their minds. Nations, like those, accepted what was

of taste: sweetness, saltiness, bitterness and acidity so that man can recognize and distinguish between any of them easily. We have realized that the Ever-Glorious Qur'an did not focus on only stating the "material taste" as in:

❮Then, as soon as they (both) tasted the tree, their shameful parts appeared to them.❯,

[Al-A`raf (The Battlements) :22]

but it also stated the "moral one" as Allah, Glory be to Him, says:

❮So, taste the torment for that you have disbelieved❯

[Al-Anfal (The Spoils) :35]

From the Signs of Rain:

Allah says:

❮Allah is He Who sends the wind; so they stir up clouds (and) then He outspreads them in the heaven how He decides, and makes them into lumps. Then you see raindrops coming out of the midst of them. So when He makes it alight on whomsoever of His bondmen He decides, (then), only then they are glad at the tidings.❯

[Ar-Rum (The Romans) : 48]

This honorable verse refers, in an inimitable way, to the stages of rain formation starting at clouds referred to, in this verse by the word **"outspread"** which means that the wind sent by Allah is the cause behind forming clouds and making them apparent to eyes after being an invisible transparent vapor. Due to Allah's mercy, He made the process of water evaporation from earth and condensation in clouds continuous without any request or any interference from man. Moreover, He assigned wind to perform that task.

Furthermore, Allah, in this verse, related sending wind and moving clouds to Himself as they are considered two signs of His Will that indicates that there is a Wise, Able Creator behind the existence of this universe.

means that when we did this, we had done it before 10 billion light-year and that Allah, is the only One Who knows about them as man was not created then; namely, before 10 billion light-year).

From Allah's Signs in the Self:

The features of inimitability of the Divine Creation are not confined to one kind of creatures around us, but they extend to include man himself in order to be an established evident sign before us. For example, man's body is considered a miraculous structure involving accuracy, beauty of appearance and harmony of coordination. Allah, Glory be to Him, decided by this to draw our attention to this magnificent structure in order to be able to acquire more knowledge and awareness of the greatness of the Creator and beauty of creation as He, The Al-Mighty, says:

﴾And in your selves; do you then not behold? ﴿

[Ath-Thariyat (The Winnowers) : 21]

and

﴾Indeed We already created man in the fairest stature.﴿

[At-Tin (The Fig): 4]

If we take the tongue as an example of the gifts endowed to man by Allah so as he can consider, learn from and contemplate on the secrets of this blessing as He, The Ever-Lasting, says :

﴾Have We not made for him two eyes, and a tongue and two lips?﴿,

[Al-Balad (The Land) : 8:9]

we shall find that modern science has been of much help concerning clarifying some of the inimitable features relating to the creation of tongue and its sense (taste). In his daily life, man, though eating so many different kinds of foods and drinking so many of beverages, he is able to distinguish between them efficiently. Actually, there are four types concerning the sense

Faithful Reading Through
The Book Of The Universe And Life.
By: Dr. Ahmad Fu'ad Pasha

<u>**Sites of the Stars**</u>

﴿Then no! I swear by the sites of the stars, and surely it is indeed a tremendous oath, if you only knew (it) ﴾.
[Al-Waqi'ah (The Event) :75:76]

In this verse, The Ever-Glorious Qur'an refers to the greatness of the secret involved in the sites of stars as well as their predetermined motions in their orbits. It also refers to the great oath made by Allah. Therefore, Allah, The Al-Mighty, draws our attention that perceiving some of the secrets and perspectives of this great oath will not be fulfilled except by practicing reason and acquiring knowledge.

From the scientific perspective, talking about the sites of the stars requires dealing with much more astronomical distances than those we are accustomed to on earth. Scientists have agreed to apply a new unit for measurement which is called "light-year"; the distance crossed by light in a complete earthly year (365 days). So, the nearest star (to earth) after the Sun Star is called the Pale-lighted Star (4.4 light-year or about 42.000.000.000.000 km.). This means that whoever looks at the this star will see the light that was coming out of it 4.4 light-year ago. Consequently, whatever happens here on earth is as past there due to the vast distance of stars. If this is the case with the nearest star, how would it be with the others?

When we cannot see remote stars with our naked eyes, we resort to telescopes provided with photographic and electronic cameras that could receive invisible light (more than billion light-year). Recently, observatories have helped us in discovering so many stars, semi-stars and galaxies that are very far distant from our earth (more than 10 billion light-year). This

and future. It is time to set the stage of the intellectual conflict aside and move to the stage of the intellectual conversation. In other words, we have to move from the defensive attitude, self-praising or extreme attack to a more wise responsible mature attitude.

Third : Non-equivalence between the western and Islamic speeches:

On the cultural level, there is non-equivalence as the west is more powerful than Muslims. However, it is not true that wise opinions be always with the powerful as it is always accompanied by frightening, deterrence, imposing unjust control and loss of wisdom.

For the above-mentioned reasons, Islamic speeches are always full of anger, protest, accusation and doubt as the way with the helpless defeated. On the contrary, west's speeches seem cold, quiet and well-balanced and sometimes arrogant and haughty as the way with the victorious predominant not only economically, technologically, politically and military but also in method and knowledge.

Fourth: Exchange of misunderstanding of the other's culture:

The west is not one entity as we think but it is formed of several cultural and intellectual trends, racial discrimination and policies that encroach upon the rights of others due to excessive use of power. So, its attitude is not the same against Arabs or Islam.

To conclude, the reason behind the non-concurrence, culturally, between the east and west is that many of the educated are not acquainted enough with the methodical revolution that happened in the west. However, the new western methodical revolution did not show anything new in the attitudes of the orientalists regarding their studies for Arabs and Islam. What can we call this; is it a failure or negligence?

First :Abusing Islam and Arabs by the western mass media:

The western and American mass media continue to depict Islam as a devilish giant that would ruin progress, civilization and modernity if released out of its bottle. Arabs, according to their view, are ignorant by nature and Muslims are fanatic by nature while Christians, according to them, are forgivable and tolerant by nature. This means that we cannot be tolerant as long as we are not Europeans. These pre-decided opinions have turned to be absolute, inevitable features attached to others. Consequently, this always threatens society; internal conflicts or civil wars.

This is the actual base on which pillars of cultural challenge were established; the western racism against any other races especially Arabs and Muslims.

Although technology has made history to civilization, namely, civilization of tools, it is the time for wisdom that elevated the human concept to record its sublime history by spreading peace among nations. On one hand, whoever resorts, directly or indirectly, to force or confrontations using lethal weapons aims at nothing but destroying himself. On the other hand, resorting to wisdom, whatever takes long, is the only guaranteed way for peace, safety and survival. "Wisdom is the believers' aim"

Second : Psychological preparation to accept criticism as well as self-criticism:

Why do not we try to know the west's opinions and what are their answers and arguments used in defending themselves?

As said before, the scientific objectivity necessitates proving opinions and their opposites in order to clarify the aspects of the discussion imposed on developing nations by the west. We have to be self-confident so as to be able to go into this intellectual conflict that concerns our past, present

[*]The cultural challenge between Islam's thinkers and orientalists By: Dr. Muhammad Ibrahim Al-Fayoumi

The idea of the cultural challenge between Islam and west goes back to an old dilemma falls under the Arab Islamic issue with all its problems and issues. We used to view the relationship between them as a misunderstanding as it was not tackled rightly on the research table. Moreover, its study was not based on mutual bases of understanding that resulted in missing the truth and reaching no decisive results.

There is another way that would be more useful, in order to deal with this issue, other than the noise of mass media based on nothing except baseless matters. We do not think that being rush or resorting to force, especially during the imbalance of powers nowadays, is the opened gate to history. In order to clarify the picture of the Arab cultured and the orientalists and to stress on the necessity of cooperation in setting bases of new relations, we have to handle this mutual misunderstanding; clearing the cultural and ideological atmosphere, on both sides, from the cultural misleading. This will not be achieved except by allowing the other side to express its opinions and points of view freely.

Scientific objectivity necessitates proving our opinions as well as others' in order to show the values of the mutual understanding regarding this conflict. We do not fear others' opinions or even their criticism as we do have enough self-confidence allowing us to handle this intellectual conflict regarding one of the most serious issues that affects our past, present and future. This issue can be represented through the issues of challenge between orientalists and Arab including :

[*] An Article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

The Messenger,
The Merciful Leader And The Wise Politician
By : Dr. Ibrahim Al-Assil

Abu Sufyan accompanied both Hakim Ibn Hezam and Budayl Ibn Warqaa' in order to find out what's behind people's gathering close to Mecca. He was astonished due to their huge number, so he turned to Budayl Ibn Warqaa' and said to him: "I have never seen such fire nor army before." Budayl answered him saying: "They are the tribe of Khuza`ah". Abu Sufyan said to him: "No, it can't be. Khuza`ah is less in number and rank than those."

Upon hearing this, Al-`Abbas who was sent by the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, to spread despair among the people of Mecca in order not to fight or resist, called Abu Sufyan and stressed on the seriousness of the situation. So, Abu Sufyan immediately asked for his advice. Al-`Abbas suggested that they should go to the Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, to ask him to guarantee their safety and to reach a settlement with him regarding the conditions of surrender in order to prevent blood-shed and keep their lives. Abu Sufyan accepted Islam. The Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, rewarded him by sending him as his messenger to the people of Mecca carrying a message saying "Whoever enters the Sacred Mosque is safe, whoever enters Abu Sufyan's house is safe and whoever keeps himself at his house is safe."

Islam's army entered Mecca from all its sides and the Ka`bah was purified from idols and stones. The Messenger, may the blessing and peace of Allah be upon him, addressed the surrendered saying: "O people of Quraysh, what do you think that I am going to do with you?" They replied: "Good, as you are a benign brother and the son of a benign brother." He, the Prophet of mercy, said: **" Go, you are the free."**

AL-AZHAR MAGAZINE
Dhul-Qi'dah 1423 A. H.

ENGLISH SECTION
Jan.Feb. 2003

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

الفهرس

● الحج ارتقاء خلقى وطهارة نفسية (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور /محمد رجب البيومى ١٦٩٨
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر............ ١٧٠٤
● الحدود الشرعية
لفضيلة الشيخ/ عبدالرحمن الجزيرى ١٧٠٩
● السنة النبوية وهل خدمت
للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى ١٧١٤
● شهر الصيام فى أمستردام
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٧٢٣
● من المنافع الاقتصادية للحج والعمرة
للأستاذة الدكتورة/ زينب الأشوح ١٧٢٩
● فى موسم الحج (قصيدة)
للشاعر/ محمود غنيم ١٧٣٦
● مواقف إسلامية: غزوة بنى المصطلق
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٧٣٩
● واجب أمتنا فى المرحلة الراهنة
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٧٤٤
● كتاب الشهر: انتشار الإسلام بحد السيف
عرض وتحليل أ. د/ إبراهيم عوضين ١٧٤٨
● الإسلام هو المنقذ
للأستاذ الدكتور/ حمدى فتوح والى ١٧٥٧
● حتى نهزم اليأس فى واقعنا المعاصر
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٧٦١
● رؤية إسلامية للتعددية الفكرية
للدكتور/ محمد عمارة ١٧٦٩
● مكسيم رودنسون وكتابه: (جاذبية الإسلام)
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١٧٧٤
● الإسلام قضية عادلة فى يد محام فاشل
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٧٧٩
● قضية التقدم ومعايير الثقافة العلمية الإسلامية
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٧٨٦
● شجاعة العلماء
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٧٩١
● طرائف.. ومواقف
لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٧٩٤
● ذات النطاقين
للأستاذ/ محمود شاكر ١٧٩٦
● الأزهر فى عيده الألفى (قصيدة)
للأستاذ الدكتور/ حسن جاد حسن ١٨٠٠
● القدس بين شعراء الشعوب الإسلامية
عرض وتحليل د/ عبدالحليم عويس ١٨٠٤
● النشاط التقنى الصناعى فى إسرائيل
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ١٨٠٩
● الأطفال أضحية أو قرابين
للدكتور/ على أحمد على ١٨١٤
● الأعياد اليهودية
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٨٢١
● من جرائم اليهود الصهاينة
لفضيلة الشيخ/ عبدالخالق نصير ١٨٢٤
● استفتاءات القراء
لفضيلة أ. د/ أحمد الطيب ١٨٢٦
● بيت الله الحرام
للأستاذ/ عبدالسلام ناصف ١٨٣٠
● فى الحج (قصيدة)
للشاعر/ عبدالفتاح سالم ١٨٣٥
● تأملات فى خلق الإبل
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٨٣٦
● رسالة..و..رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ١٨٣٨
● حتى لا يصبح الإفتاء مهنة من لا مهنة له
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٨٤١
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمود الفشنى ١٨٤٤
● بين المجلة والقارئ
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ١٨٤٦
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٨٥٢
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للشيخ/ عمر البسطويسى على ١٨٥٥
● القسم الإنجليزى
إعداد أ. د/ إبراهيم الأصيل ١٨٧١

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

داخل العدد

- تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
- من ركائز التضامن الإسلامى
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
- المفاهيم الحضارية
للدكتور / عبد الحليم عويس
- المشروع الغربى والتعددية فى الحضارات
للدكتور / محمد عمارة
- كيف نقتلع جذور الثأر
للأستاذ الدكتور / عبد الحليم حفنى

الاشتراك السنوى

- داخل مصر .... ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية .... ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا .... ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا .... ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ..٥٧٨٦١ - ٥٧٨٦٢٠٠

ذو الحجة ١٤٢٣هـ - فبراير ٢٠٠٣م - الجزء الثانى عشر - السنة الخامسة والسبعون

افتتاحية العدد

من زائرات البيت الحـ

حفظَ التاريخ أسماءً عزيزة لسّيدات فُضليات كانتْ زيارتُهن لبيت الله فى موسم الحج مصدر خَير ويُمن، لأنّ الشعور الدينى النبيل قد حملهنّ على أن يكنّ ذوات أثر طيب يبقى حديث الأجيال من بعدهن. والمرأةُ إذا كانتْ مؤمنة صادقة الإيمان، ووجدت فى يدها سعة من الرزق فإن عاطفتها الدينية تدفعها إلى أن تقومَ بما يشبع هذه العاطفة برا وفَضلا، وبعض الكاتبين من المؤرخين لايروق له أن يتحدث عن هذه المآثر، دون أن يعقب عليها بما يحسبه تحليلاً نفسياً لإرضاء النزعات الشخصية، ومرحباً بهذه النزعات الشخصية إذا أثمرت خيرها فى حقل المعروف. فآتت كل لون بهيج، وخير لنا أن نبارك هذا التيار ليكونَ قدوةً دائمة للخالفين عن السالفين من أن نظهر البراعة فى تسجيل مبررات لانملك دليها الأكيد، إن الواقع المشهود يسجل أن بعض الفضليات قد قمن بمآثر جليلة، أدّتْ إلى خَير العامة، وأرسلت الألسنَ بالدعاء، ومن حقّ هؤلاء على التاريخ أن يرصد مافعلنه ابتغاء مرضاة الله، مما تردّد صداه فى الصفحات على ممر الأعصار.

وواضحٌ أنّى لا أحاول حصْر هؤلاء الفضليات، فهذا مالا يَقومُ به فرد واحد، أو يستقلّ به كتاب مفرد، ولكنى أضرب الأمثلةَ مما قرأت متذكراً قول القائل.

وإذا فاتـك التـفـات إلى الماضـى   فـقـد غـاب عنك وجـه التـأسّى

زوج المهـدى

وأولُ ما أذكر من هؤلاء الفضليات الخيزران زوج أمير المؤمنين المهدى الخليفة العباسى، فقد كانت سيدة جليلة القدر فى قصر الخلافة أيام المهدى، وكان لها رأيها الحاسم فى تصريف كثير من الأمور إذ كان زوجها الخليفة يرجع إليها مستشيراً فمنفذاً ماتوحى به، وقد سجلت فى صحيفة أعمالها طرائف زاكيةً من أعمال البر تتجه إلى

ـــرام فى موســم الحــج

إنشـــــاء المســـاجـد، ورعـــــاية الأيتـــام، ثـم رأت أن تحـــج بيـــت اللـــه الحرام فَتهـيأ لـهـــا من المـــوكـــب الحـــاشـــد مـــايناسب قدرها العظيم زوجاً لأمير المؤمنين، وقد حملت من بغداد من طرائف الغذاء والكساء وبدرات المال، ماكان حديث الرائح والغادى فى الموسم المشهود، ثم بدا لها أن تقوم بعمل تاريخى يضمن لها حسن الأحدوثة إذ سألت عن دار الأرقم بن الأرقم المخزومى وهى أول دار اجتمع فيها المسلمون لأداء الصلاة بعيداً عن أنظار المتربصين، وكانت تعلم أن أبا جعفر المنصور اشتراها من حفدة الأرقم بمال كثير بذله فى إرضائهم كى يتنازلوا عنها، ولكنها بقيت على حالها دون عمارة ما فى عهد المنصور، فأرادت أن تحلها المحل اللائق بمنزلتها كأول معهد دينى فى الإسلام فاشترت ماحولها من الدور وأحاطتها بسور متين، وقد كتبت اسمها فى لوحة تسجل مأثرتها، فكان الناس فيما بعد يسمونها دار الخيزران، ثم توالى تجديدها من بعد ذلك.

وحين تركت الخيزران مكة قاصدة المدينة المنورة لزيارة صاحب الروضة الشريفة ﷺ رأت أن تكسو الحجرة الطاهرة بستائر حريرية مرصعة بالألوان الزاهية، وهى أول من كسا الحجرة الشريفة وفرقت كثيرا من الصدقات بهذه المناسبة، وأرضت شعورها الدينى بما قامت به فى مكة والمدينة من أعمال.

زبيدة زوجة الرشيد

إنّ حديث (عين زبيدة) التّى فجرتْها السيدة الفاضلة فى مكة ممّا تواتر ذكره، وقد تردّد فى كتب التاريخ بأسلوبها التقريرى، ولكنّ الأستاذ عبدالله عفيفى مؤلف (المرأة العربية) قد كتب عنه كتابة حيّة كاشفة حين قال فى الجزء الثانى من كتاب (المرأة العربية):

« لم يكن لأهل مكة من المناهل إلاّ المسايل يجودها المطر أحياناً، وبعض الآبار التى تفيض آناً وتجف آناً، فإنْ جفاهم الغيث عاماً اشتد البلاء.

أما الحجاج فكانوا يحتملون من قرب الماء مايؤودهم، ويوقر صدورهم، وقد أخذ بقلب السيدة زبيدة ماعلمت فى حجها من أن راوية الماء تباع بدينار، وأن الفقير إنما يتبلغ بما يتساقط من قطرات الغنىّ فاعتزمت أن تحفر لآل مكةَ ولقُصّاد البيت الحرام، ضَراً جارياً، يتصل بالماء وبمساقط المطر، بالغاً من بعد الشقة، ووعورة الطريق مابلغت مساحتُه:

ولم يسنح بخاطر أحد منذ عهد إسماعيل - صلوات الله عليه - حتى عهد زبيدة مثل هذا الخاطر الوثاب، خاطر إجراء نهر بين شعاب مكة، بل ولم يتمنّه متمن، لأنه أبعد من حدّ التمنى، أما زبيدة التى تحكم على خراج الدولة الإسلامية فقد اعتزمت أن تجرى هذا النهر مهما بلغت نفقاته.

دعت خازن أموالها وأمرته أن يدعُو العرفاء والمهندسين والعمال من أطراف الأرض، ليحفر النهر فاستعظم خازنَها الأمر، ومايستنفذ من المال فيه، فقالت له تلك الكلمة الخالدة: اعملْ ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً! فأذعن وساق إلى مكة أهل الكفاية من كل مهندس وعامل، فأخذوا يصلون منابع الماء فى شعفات الجبال، ويظاهرون ذلك بما يحتفرون من الآبار، وما يعمقون من المسايل، ثم يغلغلون ذلك منّ أعطاف الصخور تارة وفى أعماق الأرض طورا، حتى ينتهى ذلك إلى النهر الذى احتفروه.

وأهمّ ما اعتمدوا عليه عين حنين فى جبال « طاو » إلى الشمال من عرفة، وعلى مدى خمسة وثلاثين كيلو مترا من مكة- أعزها الله- ثم ظاهروا ذلك بمجرى آخر، من وادى النعمان، من مسايل جبال كسرى إلى الشرق والجنوب من عرفات على مدى عشرة كيلو مترات منها، وعزّزوا المجريْن بعد ذلك بسبع أقنية تتبعوا فيها مساقط السيل، فسار ذلك

كله في ممر عظيم بين الصخور حتى إذا انتهى إلى « منى » انحدر في خزان عميق نقروه لذلك في الجبل، وسموه (بئر زبيدة) ومن هناك يسير الماء في فرعين، يذهب أحدهما إلى عرفات، وينتهي الآخر إلى مسجد نمرة، ولكيلا يأسن الماء صرف مافضل منه من ري الظماء إلى بركة (ماجن) بالمسفلة، وزرع حولها الزهر والتمر وهذا العمل الخارق في بابه لايحتاج إلى تعليق.

أميـــرات كريمـــات

لاتعنى كتب التاريخ العام كثيراً بتسجيل رحلات الحاجّات والحاجين إلى بيت الله، وبذلك ضاع المفيد الجيد من أخبار هذه الرحلات، ولكن كتب الرحلات قد أنقذت من الضياع مواقف نبيلة لمن تكبدن المشاق في سبيل الله سعياً وإنفاقا وبذلا للمعروف، وقد تحدثت رحلة ابن جبير الأندلسي فيما تحدثت عن ثلاث سيدات كريمات من البيت السلجوقي الشهير قمن بالحج أثناء مقدم ابن جبير، فكشف عن مآثر فاضلة قمن بها عن أريحية ماجدة وتقى عظيمة، هن الملكة خاتون بنت الأمير مسعود السلجوقي، والأميرة أم عز الدين صاحب الموصل، والأميرة ابنة الدقوس صاحب أصبهان، وكلهن صاحبات فضل غامر، ومنافسة كبيرة في أعمال البر، ويقول صاحب الرحلة[1]: «إن شأنهن جميعاً عجيب فيما قمن بسبيله من أعمال الخير».

أما الملكة خاتون فقد كانت في مفتتح شبابها، ولكنها ذات صلاح وإيمان، فقد حرصت على أن تصلي بين القبر والمنبر، ومن فوقها المحفة المانعة لرؤية الناس لصلاتها، والعامة يتزاحمون على مشهدها وجموع الحرس تدفعهم عن ساحتها ثم مشت إلى الجهة الغربية من الروضة المكرمة فقعدت في مكان قيل عنه إنه كان مهبط جبريل – عليه السلام – وأرخى الستر عليها. وقد علمت أن صدر الدين الأصبهاني رئيس الشافعية سيلقي درساً دينياً وعظة خُلقية فانتظرت حتى سمعت الدرس، ويقول ابن جبير عن تأثير هذا الواعظ: «إنه أطار النفوس خشية ورقة وتهافت عليه الأعاجم يعلنون التوبة، وقد طاشت ألبابهم وذهلت عقولهم إلى حديث ممتد يدور هذا المدار، ثم التقت بصاحبتيها وهما تكبرانها سنا، ولهما جلالة وهيبة فتنافسن كلهن في إسداء ما بأيديهن من المال على كثرته، وفرح بهن ذوو الحاجات فرحاً لايحد إذ أعطين مافاق حد الآمال»[2] ولعل الأميرة الشابة كانت أكثرهن هبات، إذ اختصها الرحالة بوصف جيد.

---

(١) الرحلة، طبعة د.نصار ص ١٦٧.

(٢) الرحلة ٢٢٤.

ولم تقصر سعادة الحجاج بهن على مكان الحرم الشريف بل تعدى ذلك إلى طريق الرحلة الممتدة من الحجاز إلى الموصل، فأصبهان، حيث لاذ بهن الحجاج خائفين من هجوم قَطَعة الطريق، وماكان أكثرهم فى هذا الحين، حيث تمكن الشيطان من نفوسهم فسول لهم إرهاب من سعوا لبيت الله طائعين، فكان موكب الأميرات بكثرة جنوده، وهيبة حراسه، ويقظة أمنائه ستارا واقيا، وحمى آمناً، وكان ابن جبير ممن ساروا فى ركب الأميرات. وقد وصف استقبال الموصليين للأميرة أم عز الدين وصفا باهرا، حيث جللت أعناق الإبل ورقاب الخيل بالحرير الملون والقلائد الثمينة، وجعلت قبة الأميرة مغشاة بسبائك الذهب! «وكان مشهدا أبهت الأبصار، وأحدث الاعتبار ونحن لانحبذ هذا الإغراق المسرف فى مظاهر الزينة. ولكننا نتحدث عن أمر وقع، ومشهد سجل، ناقدين مابه من إسراف.

أميــــــرة مغربيـــــة

هى الأميرة الماجدة خُنانة بنت الشيخ بكار المعفرى، زوجة سلطان عصره بالمغرب، اسماعيل بن محمد العلوى المتوفى عام ١١٣٩، وكانت ذات جمال رائع فوقعت من نفس السلطان أجمل موقع، زيادة على اهتمامها بالثقافة الدينية والأدبية معا، مما جعلها موضع الإعجاب والعجب، والغريب أن كتب المغرب قد أسهبت فى تاريخ زوجها السلطان العلوى فأفردت كتب كثيرة لترجمة حياته، وتسجيل وقائعه، حيث قام فى الملك ستين عاما، وهو أمد طويل اتسع لأعمال حربية، واتساع عمرانى كبير، ولكنها لم تكتب عن هذه السيدة المثالية مايشفى الغلّة، وظلتْ سيرتها مطوية حتى ظهر مخطوط للإسحاقى فى خزانة القرويين يتحدث عن أمجادها الكثيرة، ومما قاله عن رحلتها إلى الحج ما أنقله عن مجلة «المنهل»: حيث نقلت المجلة عن مخطوط الإسحاقى قوله[٣].

«إنها آثرت أشرافَ ينبع بعطاياها الفاخرة، وهدايا سنية لم يعرفوها من ذى قبل، وكستهم أنواع الثياب الرفيعة، علاوة على المبالغ النقدية الذهبية الباهظة، كما روى عنها أنها أغدقت خيراتها على سائر رجال العلم والفضل بمكة المكرمة ليلة فتح البيت المبارك خصيصاً لها من لدن شريف مكة، الأمر الذى ظلّ أحدوثة ينعت بها المغرب على الدوام، وقد دفعها حب الخير إلى اقتناء عقار بمكة يقع فى أشرف بقعة، بما يناهز الألف مثقال من الذهب: حبستها على جماعة من المقرئين والطلبة، وكتبت بذلك حجة للمعنيين بالأمر، وعينت ناظراً يتسهر على ريع الوقف وتوزيعه».

---

(٣) مجلة المنهل ربيع الأول ١٣١٤هـ، ص ٢١٢.

وقد أنشد شعراء مكة قصائد كثيرة بهذه المناسبة.

وما نُقل عن الإسحاقى فى سطور يحتاج إلى بسط فى عدة صحائف، وقد قال الزركلى فى الأعلام[٤] إنها حجت عام ١١٤٢هـ فعمت الناس بعطاياها حتى بلغ ما أنفقته فى حجتها مائة ألف دينار، كما ذكر أن لها علماً بالفقه والأدب، وهذا ما جعلها موضع مشورة زوجها السياسية إذ كانت تشاركه على مسرح الأحداث وتبدى من الآراء مايكون موضع الاحتفاء والتنفيذ.

ولا أنسى أن أشير إلى رحلة (أم المحسنين) والدة الخديوى عباس الثانى إلى مكة، مصاحبة ولدها الخديوى فى موكب حاشد، فقد كان لها موكب خاص يحفل بسيدات البيت الحاكم من الأميرات والنبيلات، وبذلت من العطاء ماعناه أحمد شوقى حين قال:

وأمَ أميــــر النيل فى الركب هالةٌ	من العــزّ فى أترابهـا الخفـرات
أقلت عـلاها فى خبـاء من القنا	هوادج كالإيـوان ذى الشرفات
تجلَ نسـاء المسلمين ثناءها	ويبسطن راح الحمد مبتهلات
أخذن بتقـواها وسرن بهديها	ومنها علمن البرّ والصدقات
مواكب لم تعهد لغيـر زبيدة	ببغداد فى الأعياد والجمعات
أعادت حديث الخيزران وعزّها	وما أغدقتْ من أنعم وهبات

إن من الوفاء أن نسجل للفاضلات فضلهن، إذ قمن به فى أشرف مكان، فصدرن عن إيمان واثق، وكرم نبيل، وما أشرت إليه فى هذا المقال قليل من كثير، وعلى اللواتى يظهرن الآن فى حفلات التبرج داعيات للخير مظهرياً لاعمليا، أن يعرفن أن التاريخ لسان صادق ولايسجل غير النافع المثمر، فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض.

د./ محمد رجب البيومى

(٤) الأعلام جـ (٢) ص ٣٢٤.

تفسير سورة البقرة

قال تعالى:

وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

الآيات: ٢٥٠ : ٢٥٢

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

وقوله: ﴿ بَرَزُواْ ﴾ أى صاروا إلى براز الأرض وهو ما انكشف منها بحيث يصير كل فريق من المتقاتلين يرى صاحبه، ومنه سميت المبارزة فى الحرب لظهور كل قرن إلى قرنه. أى: وحين برز طالوت ومن معه لقتال جالوت وجنوده، وأصبح الفريقان فى مكان متسع من الأرض بحيث يرى كل فريق خصمه اتجه المؤمنون إلى الله - تعالى- بالدعاء قائلين بإخلاص وخشوع:

﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ أى: أفض علينا صبرا يعمنا، ويملأ قلوبنا ثقة بنصرك، ويحبس نفوسنا على طاعتك.

قال الإمام الرازى ما ملخصه، الإفراغ: الصب. يقال أفرغت الإناء إذا صببت ما فيه. وقولهم هذا يدل على المبالغة فى طلب الصبر من وجهين:

أحدهما: أنه إذا صب الشىء فى الشىء فقد أثبت فيه بحيث لا يزول عنه وهذا يدل على التأكيد.

والثانى: أن إفراغ الإناء هو إخلاؤه وذلك يكون بصب كل ما فيه، فمعنى:

﴿ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ اى أصبب علينا أتم صب وأبلغه- حتى تتحقق فينا صفة الصبر كأحسن ما يكون التحقق[1].

أما الدعوة الثانية فقد قالوا فيها- كما حكى القرآن عنهم- ﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ أى هب لنا من كمال القوة والرسوخ عند القتال ما يجعلنا نثبت أمام أعدائنا، ونتمكن من رقابهم دون أن يتمكنوا منا. فهذا الدعاء كناية عن أن يمنحهم- سبحانه- الثبات عند الزحف، وعدم الفرار عند القتال.

وفى قوله:

﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ تعبير بالجزء عن الكل، لأن الأقدام هى التى يكون بها الفرار، فتثبيتها إبعاد عن الفرار، ومتى حصل الثبات كان النصر متوقعا، والصبر متحققاً.

ثم ختموا دعاءهم بأن قالوا:

﴿ وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أى اجعل الغلبة لنا عليهم، لأننا مؤمنون بأنك المعبود المستحق للعبادة وهم يكفرون بذلك.

والمتأمل فى هذه الدعوات الثلاث يراها قد جمعت أسمى ألوان الأدب وحسن الترتيب، فهم قد صدروا دعاءهم بالتوسل بوصف الربوبية فقالوا ﴿ رَبَّنَآ ﴾ أى ياخالقنا ويامنشئنا ويامربينا ويامميتنا، وفى ذلك إشعار أنهم يلجأون إلى من بيده وحده النفع والضر، والنصر والهزيمة. ثم افتتحوا دعاءهم بطلب الصبر عند المخاوف لأنه هو عدة القتال الأولى، وركنه الأعلى، إذ به يكون ضبط النفس فلا تفزع، وبه يسكن القلب فلا يجزع. ثم التمسوا منه- سبحانه- أن يثبت أقدامهم عند اللقاء، لأن هذا الثبات هو مظهر الصبر، ووسيلة النصر، وعنوان القوة.

(١) تفسير الفخر الرازى جـ٦، صفحة ١٩٩.

ثم ختموا دعاءهم بما هو ثمرة ونتيجة للصبر والثبات وهو النصر على الأعداء.

فماذا كانت نتيجة هذا الدعاء الخاشع الخالص؟ كانت نتيجته النصر المؤزر الذى حكاه القرآن فى قوله: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾.

وأصل الهزم فى اللغة الكسر. ومنه سقاء منهزم أى انثنى بعضه على بعض مع الجفاف. ويقال للسحاب هزيم، لأنه يتشقق بالمطر. والفاء هنا فصيحة أو سببية أى أنهم بسبب دعائهم المخلص، وإيمانهم القوى، واستجابتهم لما أمرهم الله به، استطاعوا أن يكسروا أعداءهم ويهزموهم، وقوله:

﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أى بتوفيقه وتيسيره وتأييده. والباء إما للاستعانة والسببية وإما للمصاحبة.

ثم قال- تعالى-:

﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ أى: وقتل داود بن إيشا- وكان فى جيش طالوت- جالوت الذى كان يقود جيش الكفر، وبقتله مزق أتباعه شر ممزق، ورزق الله طالوت ومن معه النصر والغلبة.

ثم بين- سبحانه- ما منحه لداود من نعم فقال:

﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾

والحكمة المراد بها هنا النبوة، ولم يجتمع الملك والنبوة لأحد قبله فى بنى إسرائيل، وورثه فيهما ابنه سليمان- عليه السلام-.

أى: وأعطى الله- تعالى- عبده داود ملك بنى إسرائيل وأعطاه النبوة التى هى أشرف من الملك زيادة فى ترقيته فى درجات الشرف والكمال، وعلمه- سبحانه- مما يشاء من فنون العلم، ومن أمور الدين والدنيا كمعرفته لغة الطيور، وكلام الدواب، وصناعة آلات الحرب وغير ذلك من ألوان العلوم المختلفة التى لا تحدها إلا مشيئة الله وإرادته.

وفى قوله- تعالى-:

﴿ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ بعد الإخبار بأنه- سبحانه- آتى داود الحكمة، إشعار بأن الإنسان لا يستغنى عن التعلم سواء أكان نبيا أم لم يكن، لأن داود- عليه السلام- مع حصوله على النبوة لم يستغن عن تعليم الله إياه، وقد أمر الله- تعالى- نبيه محمدا ﷺ أن يلتمس المزيد من العلم فقال:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾.

ثم بين- سبحانه- بعض مظاهر فضله على عباده فقال:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾

أى: ولولا أن الله- تعالى- يدفع أهل الباطل بأهل الحق، لفسدت الأرض، وعمها الخراب، لأن أهل الفساد إذا تركوا من غير أن يقاوموا استطارت شرورهم، وتغلبوا على أهل الصلاح والاستقامة، وتعطلت مصالح الناس، وانتشر الفساد فى الأرض.

فلولا فى الجملة الكريمة حرف امتناع لوجود. أى: امتنع فساد الأرض لأجل وجود دفع الناس بعضهم ببعض.

فالجملة الكريمة تأمر الأخيار في كل زمان ومكان أن يقفوا في وجوه الأشرار، وأن يقاوموهم بكل وسيلة من شأنها أن تحول بينهم وبين الفساد والطغيان.

ثم ختم- سبحانه- الآية بقوله:

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

أى: ولكن الله- تعالى- صاحب فضل عظيم، وإنعام كبير على الناس أجمعين، لأنه وضع لهم هذا التنظيم الحكيم الذى أوجب فيه على المصلحين أن يدافعوا المفسدين، وأن يقاوموهم بالطريقة التى تمنع فسادهم حتى ولو أدى ذلك إلى رفع السلاح فى وجوههم، لأن السكوت عن فساد المفسدين سيؤدى إلى العقاب الذى يعمهم ويصيب معهم المصلحين.

ثم ختم- سبحانه- قصة هؤلاء القوم من بنى إسرائيل بقوله:

﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾

أى: تلك الآيات التى حدثناك فيها عن قصة أولئك القوم وما جرى لهم هى آيات الله التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، نتلوها عليك يامحمد عن طريق جبريل الأمين تلاوة ملتبسة بالحق الثابت الذى لا يحوم حوله الباطل، وإنك يامحمد ﴿ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ الذين أرسلهم الله- تعالى-:

﴿ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾

فالإشارة فى قوله:

﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ إلى الآيات المتلوة من قوله- تعالى-:

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ إلى آخر القصة. وقيل إليها وإلى القصة التى قبلها وهى قصة القوم:

﴿ ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ ﴾

وكانت الإشارة للبعيد، لما فى ذلك من معنى الاستقصاء للآيات، ولعلو شأنها، وكمال معانيها، والوفاء فى مقاصدها.

وأضيفت الآيات إلى الله لأنها جزء من هذا القرآن الذى أنزله - سبحانه - على نبيه محمد ﷺ ليكون هداية للناس، وليحملهم على تدبرها والاعتبار بها لأنها من عند الله الذى شرع لهم ما يسعدهم.

وجعل- سبحانه- تلاوة جبريل للقرآن تلاوة له فقال:

﴿ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ للإشعار بشرف جبريل، وأنه ما خرج فى تلاوته عما أمره الله به، فهو رسوله الأمين إلى رسله المكرمين.

وجملة:

﴿ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ ﴾ فى محل نصب حال من الآيات والعامل فيها معنى الإشارة.

وقوله: ﴿ بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ فى موضع نصب حال من

مفعول نتلوها أى ملتبسة باليقين الذى لا يرتاب فيه عاقل. أو من فاعله أى: نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب.

وأكد- سبحانه- قوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ بحرف «إن» وباللام فى «لمن» وبالجملة الإسمية، للرد على من شكك فى صدق رسالته ﷺ ولتسليته عما يقوله الجاحدون فى شأنه.

وبعد: فهذه قصة الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى، وإن فيها لعبرا متعددة، وعظات متنوعة لقوم يعقلون. من العبر التى تؤخذ منها:

١- أن الشعور بالظلم والهوان، والابتلاء بالمحن والهزائم، والوقوع تحت أيدى المعتدى، كل ذلك من شأنه أن يصهر النفوس الحرة الكريمة، وأن يدفعها بقوة إلى الذود عن كرامتها المسلوبة، وعزتها المغصوبة، حتى تنال حقها ممن سلبه منها أو تموت دونه، لأن النفوس الأبية تشعر دائما بأن الموت مع العزة خير من الحياة مع الذلة. يدل على ذلك قوله- تعالى-:

﴿ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ﴾

٢- أن الناس فى كل زمان ومكان، يلجأون- خصوصا عندما تنزل بهم الشدائد إلى من يتوسمون فيهم الخير والصلاح، لكى يرشدوهم إلى ما يأخذ بيدهم إلى طريق السعادة، ولكى يهدوهم إلى أفضل السبل التى تنقذهم مما هم فيه من بلاء، ولكى يختاروا لهم من يقودهم إلى النصر والفلاح. ألا ترى إلى الملأ من بنى إسرائيل كيف لجأوا إلى نبى لهم ليقولوا له بعد أن أصابهم من الذل ما أصابهم:

﴿ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾؟

إنهم لم يلجأوا إلى زعيم من زعمائهم، أو إلى أمير من أمرائهم، وإنما لجأوا إلى نبيهم يبثون إليه شكواهم، ويطلبون منه أن يختار لهم من يقودهم للقتال فى سبيل الله، لأنهم يرون فيه الأمل المرتجى، والعقل السليم، والخلق القويم، والأسوة الحسنة.

٣- أن القائد يجب أن تتوفر فيه صفتان: قوة العقل، وقوة الجسم لأنه متى توفرت فيه هاتان الصفتان استطاع أن يقود أتباعه بنجاح، وأنه قبل أن يلتقى بأعدائه يجب عليه أن يختبر جنده ليعرف مبلغ إيمانهم وقوتهم وطاعتهم وثباتهم وألا يكلفهم بما لا يستطيعونه حتى يحارب أعداءه وهو على بينة من أمره. انظر إلى طالوت كيف اختبر جنده قبل أن يخوض المعركة بأن قال لهم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ﴾

وهكذا القواد العقلاء يقدمون على حرب أعدائهم وهم على بصيرة من أمرهم.

٤- أن الفئة القليلة المؤمنة كثيرا ما تنتصر على الفئة الكثيرة الكافرة، لأن المؤمنين الصادقين يحملهم إيمانهم على اليقين بلقاء

الله، وعلى التضحية من أجل إعلاء كلمته، وعلى الإقدام الذى يرعب الكافرين، ويخيف الفاسقين، وصدق الله إذ يقول:

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

٥- أن هزائم الأمم يمكن إزالتها متى توفر لتلك الأمم القادة العقلاء الأقوياء، والجند الأشداء على أعدائهم، الرحماء فيما بينهم، وأن من شأن المؤمنين حقا أنهم مع مباشرتهم للأسباب، وإحكامهم لكل ما يحتاج إليه القتال، وإحسانهم لكل وسيلة تعينهم على النصر، مع كل ذلك لا يغترون ولا يتطاولون بل يعتمدون على الله- تعالى- اعتمادا تاما، ويتجهون إليه بالضراعة والدعاء ويلتمسون منه النصر على أعدائه وأعدائهم انظر إلى الصفوة المؤمنة من جند طالوت ماذا قالت عندما برزت لجالوت وجنوده، لقد قالت كما حكى القرآن عنها:

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾

٦- أن من سنن الله فى خلقه أنه- سبحانه- جعل الحياة صراعاً دائماً بين الحق والباطل، ونزاعاً موصولاً بين الأخيار والأشرار، ولولا أن الله- تعالى- يدفع بعض الناس الفاسقين ببعض الناس الصالحين لفسدت الأرض، لأن الفاسقين لو تركوا من غير أن يدافعوا ويقاوموا لنشروا فسوقهم وفجورهم وطغيانهم فى الأرض، ولكنه- سبحانه- أعطى لعباده الصالحين من القوة والثبات ما جعلهم يقاومون الظالمين ويعملون على نشر الخير والصلاح بين الناس.

٧- أن القصة الكريمة تصور لنا ما جبل عليه بنو إسرائيل من نقض للعهد وكذب فى القول:

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾

ومن تطاول على أنبيائهم، وعصيان لأوامرهم، واعتراض على توجيهاتهم، وتفضيل للجاه والمال على العقل والعلم:

﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾

ومن خور عند الابتلاء والاختبار، وحماس فى ساعة السلم ونكوص فى ساعة الجد، تأمل قوله تعالى:

﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾

***

من الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم

أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

قال الله تعالى فى سورة «النحل»

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ
أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَـٰمَ
خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾
وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ
وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم
بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ
مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾
وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

[الآيات من ١ :١٨]

هذه الآيات البينات وردت فى مفتتح سورة «النحل» وتسمى أيضا سورة النعم وهى مكية وقد جاءت السورة كلها لتعالج العقيدة بقضاياها الأصلية والفرعية ـ شأن أخواتها المكيات ـ وما يترتب عليها من الإيمان بالموت والحساب، وما يجب فى العقيدة الصحيحة من تنزيه الله- تبارك وتعالى- عما لايليق به من الشريك والولد..

وقد جاء فى سبب نزول هذه الآيات التى معنا، أنه ﷺ، لما أكثر من تهديد الكفار بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة، ولم يروا شيئا نسبوه إلى الكذب فأجاب الله- تعالى- عن هذه الشبهة بقوله تعالى:

﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ﴾ ولذا قال رسول الله ﷺ ـ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بإصبعيه: السبابة والتى تليها، يقول: «إن كادت لتسبقنى فسبقتها. وقال ابن عباس: كان بعث النبى ﷺ من أشرط الساعة، وأن جبريل لما مر بأهل السموات مبعوثا إلى محمد ﷺ قالوا: الله أكبر، قد قامت الساعة(1).

وهذه الآيات، ترسم صورة كبيرة لأنعم الله على عباده، بحيث يتأملها الإنسان بكل أطرافها وأبعادها، ليرى فضل الله- تعالى- وقد أحاط به من كل جوانب حياته بدءاً من إيجاده من عدم.. وحتى آخر لحظات حياته.

هذه الأنعم التى لو تأملها لأدرك من فوره قدرة الله- تبارك وتعالى- على قيام الساعة، وإنهاء الحياة والإحياء فى طرفة عين، وإعادتها للجزاء والحساب مرة أخرى فى طرفة عين أيضا، ولتأكدت لديه حقيقة أن الله- تعالى- هو وحده الجدير بالعبادة، لأنه هو الذى خلق هذه النعم كلها.. لاتلك الأصنام التى لاتستطيع أن تخلق شيئا، ولذا ختم هذا الشوط من السورة بقوله تعالى:

﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾

والقرآن الكريم ـ كعادته فى معالجة مثل هذه القضايا العقيدية الهامة ـ يلجأ إلى طريقة التصوير، لتكون أبلغ فى إقامة الحجة، وأنفى للمعذرة، وأبعد أثرا فى النفس، والصورة فى هذه المرة لاتقوم على تجسيد المعنوى فى صورة محسوسة، أو تصوير أحد مشاهد القيامة، التى لاتزال حتى الآن طىّ المستقبل، أو حتى بدء قيام الساعة وفساد نظام الكون إيذانا بالانقلاب الهائل، الذى لايزال علم وقته رهنا بمشيئة الله- تبارك وتعالى- وإنما قوامها هذه الحياة الحاضرة المعيشة، والمفعمة بأنعم الله التى تحيط بالإنسان من كل جانب ويراها بعينيه ويتقلب بينها ليلا ونهارا، ولايعيرها انتباها ولذا لم يكن فى حاجة إلا إلى أن تذكره بهذه الآيات، وتلفت نظره إليها عله يزدجر ويرعوى.

فبعد أن تؤكد الآيات على أن قيام الساعة أمر مفروغ منه؛ حيث صدر الأمر الإلهى بذلك، ولم يعد هناك مجال للعجلة فى وقوع أحداثها، هذه العجلة التى تنشأ من استهزائهم بخبرها الذى سمعوه من رسول الله ﷺ لأن وقوع أحداثها أمر متروك لمشيئة الحق تعالى:

(1) اقرأ تفسير مفاتيح الغيب للرازى، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى.

﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾

بعد ذلك تبدأ الآيات فى رسم أنعم الله- تعالى- فى نسق عجيب، وترتيب دقيق يعمق الإيمان بقدرته تعالى، التى لاتحدها حدود ويدعو إلى إدامة النظر فى هذا الكون الفسيح، الذى تتجلى أبعاده يوما بعد يوم.

فى مقدمة هذه الصورة الفنية، تطالعنا سيدة هذه النعم الإلهية على العباد، وهى الملائكة تنزل بالروح من السماء إلى الأرض على من اختارهم الله ليكونوا رسله إلى الناس:

﴿ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ وهى وصية عامة شاملة لكل ألوان الخير. فتوحيد الله تعالى رأس كل نعمة، وأساس كل فضيلة وهو الغاية العظمى وراء خلق هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه:

﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾(٢).

هذا هو الإطار العام الذى يلف الصورة من أولها إلى آخرها وهو الذى يشكل مع التعقيب عليها الذى يقول الله فيه:

﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

المدخل إليها والمخرج منها؛ وبينهما استعراض منسق لأجزاء هذه اللوحة الفنية. التى تبرز بوضوح فضل الله على عباده، ذلك الفضل الذى إن ذهب الإنسان ليعد آثاره عليه فلن يستطيع له عدا:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾.

فالخالق واحد، والمنعم واحد، والذى ربط بين هذه النعم برباط الأسباب التى تؤدى إلى مسبباتها واحد. . كما أن تأمل الصورة على هذا النحو، إنما يقوى روابط الإيمان بالله- تعالى- فى النفس، ويدعوها إلى أن ترى وحدانية الله فى كل شىء مما نتأمله:

وفى كل شىء له آية

تدل على أنه الواحد

وداخل هذا الإطار العام، تبدأ الآيات فى استعراض أنعم الله- تعالى- فى شىء من التفصيل، فها نحن أولاء، نرى السموات والأرض وقد خلقهما الله على هذا النحو الذى تتمكن به الأرض من استقبال الإنسان ليكون خليفته فيها، وقد خلقها بالحق الذى لاعبث معه ولامجال فيه للعشوائية أو المصادفة؛ إنما كل شىء فيها بقدر ومحسوب بميزان دقيق، لا اختلال فيه ولا اعتلال، إنما هى الحكمة والتدبير اللذان يرجعان كل شىء إلى علمه الأزلى، الذى أحاط بكل ما سيدور فيهما منذ نشأتهما وإلى أن يرثهما الله بما فيهما ومن فيهما:

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾

ثم يخلق الله الإنسان من نطفة، لاتعى شيئا ولاتملك من أمر نفسها قليلا ولاكثيرا، ويمنحه القدرة على أن يعبر عن إرادته التى وهبه إياها، ويستقل بقدرته المحدودة على الفعل والترك:

(٢) الذاريات آية رقم ٥٦.

﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ فى خصومته، معاند شديد فى معاندته لجوج جحود ظاهر فى لجاجته وجحوده. «ويالها من نقلة ضخمة بين المبدأ والمصير، بين النطفة الساذجة والإنسان المخاصم المجادل، الذى يخاصم خالقه، فيكفر به ويجادل فى وجوده أو فى وحدانيته، وليس بين مبدئه من نطفة وصيرورته إلى الجدل والخصومة فارق ولامهلة فهكذا يصوره التعبير، ويختصر المسافة بين المبدأ والمصير، لتبدو المفارقة كاملة والنقلة بعيدة، ويقف الإنسان بين مشهدين وعهدين متواجهين: مشهد الإنسان النطفة المهينة الساذجة، مشهد الإنسان الخصيم المبين.. وهو إيجاز مقصود فى التصوير»(٣) ومما توحى به لفظة خصيم، التى وصف بها الإنسان فى هذا المشهد أنه «منازع للخصوم بعد أن كان نطفة قذرة، وجمادا لاحس له ولاحركة»(٤) فبدلا من أن يكون متعاونا مع أخيه رحيما فى معاملته، شاكرا لنعمة ربه عليه، إذا به لجوج.. متكبر.. خصيم.. معاند!!

ها قد أحس الإنسان بكيانه، واطمأن إلى وجوده من خلال رؤيته للسماء التى تظله، والأرض التى تقله، وعقله الذى يربط بينهما برباط واحد هو رباط التكامل والتساند، الذى يؤدى إلى الاستقرار، مما هو من شأنه أن يقرر أن كل شىء فى السموات والأرض، لابد من أن يكون بقدر معلوم ولحكمة إلهية بالغة.. !! ولذا كان أول شىء يلفت نظره بعد ذلك هذا الحيوان الذى يشاركه وجوده ويساكنه أرضه، ويتحرك معه هنا وهناك: ما علاقته به؟ ولماذا هو بهذه الكيفية التى تشترك معه فى بعض الخصائص وتختلف فى بعضها الآخر؟ هل هو منافس له فى عمارة الكون أو مشارك؟ هل هو صديق له أو خادم؟ وفى إطار هذه التساؤلات، تثور فى الإنسان غريزة البحث والدرس، ليرى فيها سببا من أسباب حياته المستقرة على سطح هذه الأرض، فهذا الحيوان، نعمة كبرى تنطوى فيها كثير من مفردات النعم التى لا غناء له عنها فى مواجهة الحياة:

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

يالها من نعم كبرى، لايؤدى حقها من الشكر، ومن يظل طول حياته ساجدا لله رب العالمين وإن طال به المدى!! فهو لم يخلقنا ويتركنا هكذا.. دون أسلحة نتدرع بها فى مواجهة معركة الحياة، وإنما زودنا بكل آلات الاستقرار فى حياتنا؛ فهذه المخلوقات تحتوى على كثير من مصادر الدفء والنفع العام، كما أن فيها مصادر غذاء الإنسان، الذى لايقوى على الحياة بدونه، ولم ينس أن يزوده بعنصر المتعة والإحساس بالجمال فى حله وترحاله؛ حتى لايلفنا الشقاء والإحساس بمرارة الحياة.

«وهذه اللفتة لها قيمتها فى بيان نظرة القرآن ونظرة الإسلام للحياة ـ هكذا يقول الشهيد سيد قطب ـ فالجمال عنصر أصيل فى هذه النظرة،

---

(٣) سيد قطب «فى ظلال القرآن» جـ٤ ص٢١٦٠ ط الشروق.

(٤) مفاتيح الغيب للفخر الرازى جـ٥ ص٤٧٦ ط دار الغد العربى.

وليست النعمة هي مجرد تلبية الضرورات : من طعام وشراب وركوب، بل تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات، تلبية حاسة الجمال ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان »[٥] وما أجمل أن يكون ذيل الآية هكذا :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ فهذه النعم كلها إنما خلقت لراحة البشر وفي خدمتهم، وهو ما يعد من مظاهر التكريم الذي قال الله تعالى فيه :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾

فمن تكريم الله لنا أن خلق لنا ما به تستقر حياتنا في السفروالحضر..

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وهو ما يترك عقل المسلم مفتوحا لاحتمالات ما يستحدث بعد ذلك وإلى أن تقوم الساعة من مخترعات العلم في وسائل الانتقال؛ حيث إن الإسلام دين يسر وسهولة واستقرار، وهو يقدر كل ما تتفتق عنه أذهان البشر من وسائل تريحهم في حياتهم وتعينهم في الارتقاء بمعيشتهم.

وهنا تلفت الآيات نظر المسلم إلى أن هذه النعم التي أوجدها الله لتكون من أسباب راحته واستقراره لاينبغي أن تنسيه طلب الهداية من ربه- تبارك وتعالى- في استخدامها حلا وترحالا، وذلك حينما تتشعب به الطرق وتتعدد أمامه المسالك؛ فمنه الفضل وإليه يرجع الأمر كله، والمعصوم من عصمه الله- تعالى-:

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٦].

وبعد هذه الوقفة اليسيرة، التي يقفها الإنسان، ليتابع أنعم الله عليه في خلق هذه الحيوانات المختلفة الأشكال والأحجام والمهام.. وبعد أن يضع أمامه أسباب الهداية في طريق حياته، يواصل رحلته الإيمانية في تتبع أجزاء الصورة وتعداد أنعم الله عليه وهو في هذه اللقطة أمامه مشهد الماء ينزل من السماء صافيا عذبا لتتجدد به أسباب الحياة على الأرض، ويستوى في ذلك حياته هو أو حياة ما به تستقر حياته : كالأنعام والخيل والبغال والحمير، فليس هناك ولو للحظة من عمر الزمان غناء عن هذا الماء. إذ بدونه يهلك الزرع والضرع، ويهلك هو تبعا لذلك :

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾

ثم تعقب الآية على ما عرضته من أنعم الله بهذه الإضاءة السريعة للإفادة مما يراه، وليقوى إيمانه برب هذا الكون مدبره وذلك عن طريق إعمال عقله وفكره، الذي ميزه الله به عن سائر المخلوقات :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾!!

يتفكرون فيما يرون : من أين جاء وكيف يكون الانتفاع به.. وكيف يرتقي الإنسان به في استخداماته ولاينتكس، وكيف يعلو به.. في حاضره ومستقبله ولايدمر به نفسه أو يقضي على آماله :

---

(٥) في ظلال القرآن.

(٦) النحل (٩)

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

هذا الإنسان الذى امتن الله عليه بهذه النعم التى لاحدلها.. تتقلب حياته بين الحركة والسكون.. واليقظة والنوم.. والعمل والراحة.. مما يفضى به إلى ضرورة أن تكون هناك دواعى التغيير فى نمط الحياة: من ليل ونهار.. وضياء وظلام.. وما يتبع ذلك مما به تكون حرية الحركة فى كل من الحالين إذا دعته ضرورة حياته إلى شىء من ذلك ومن هنا كانت نعمة التسخير لهذه المتقابلات:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴾

فكل هذه الظواهر الكونية إنما هى أمام أمر الله- تعالى- ذوات تعقل، تأتمر بأمره، وتنتهى بنهيه، وليست مجرد أجرام جامدة، لاتعى شيئا ولاتسمع شيئا ولاتطيع أمرا إنما هى:

﴿ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴾ وكعادة العرض القرآنى لهذه النعم وبعد كل فوج منها، يعقب بما يلفت النظر إليها ليضعها فى مكانها الذى يجب أن تتبوأه من العبرة والموعظة:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

يـنقلون حكمة الله فى كل ذلك «فكل أولئك طرف من حكمة التدبير، وتناسق النواميس فى الكون كله، يدركه أصحاب العقول التى تتدبر وتعقل وتدرك ما وراء الظواهر من سنن وقوانين(٧):

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

أما هذه الأرض، التى يعيش عليها، ويسرح ويمرح على وجهها، فإنها ليست جرما مغلقا، لا فائدة فيه، ولاخير يرجى من باطنه، وإنما هى مفعمة بالخيرات التى لايعلم إلا الله حقيقتها، فما هو إلا أن يعمل الإنسان فكره وأدواته التى يستحدثها فى كل عصر، ليرى فيها من أنعم الله وفضله ما لا يقع تحت حصر؛ لذا كانت هذه الإشارة السريعة، التى يرى المؤمن المستبصر تحتها ما يغريه بالبحث والدرس والكشف فى كل عصر وفى كل ركن من أركانها:

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾

لم تتحدث الآية هنا عن كل ما فيها أو بعض ما فيها تفصيلا، وإنما أشارت إلى ما فيها من بعيد من مكنون كنوزها، ليقرأها المسلم فى كل عصر وإلى أن تقوم الساعة هكذا:

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾ وكأن الأرض فى كل عصر، وماتزال بكرا، ولم تفترشها يد إنسان ولم تفض بكارتها آلة من آلاته، ثم تلفت نظره إلى أن يظل ذاكرا - ولا ينسى يوما ما أن يد الله رب العالمين هى التى أودعتها هذه الكنوز، التى تصلح له فى كل عصر وفى كل مكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ .

وإلى اللقاء فى مقال تال لنتعرف على بقية النعم التى أنعم الله بها على الإنسان وأشارت إليها الآيات

«يتبع»

(٧) سيد قطب فى ظلال القرآن جـ٤ ص٢١٦٣.

الحدود الشرعية

للأستاذ الكبير عبد الرحمن الجزيرى
عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر(•)

٢

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عائشة رضى الله عنها: «أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ ثم قالوا من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «يا أسامة أتشفع فى حد من حدود الله!» ثم قام فاختطب فقال: «إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

● تحدث الفقية الكبير الأستاذ / عبدالرحمن الجزيرى عن الحدود الشرعية حديثا جامعا مستوعبا، وقد رأينا تخفيفا على القارىء أن ننشره فى أربع حلقات لنفعه الجزيل «المحرر».

من مختارات مجلة الأزهر
المجلد التاسع سنة ١٣٥٧هـ

أما حق الزوج فإن الشارع لم يهمله فى هذه الحالة، بل جعل له حدا معقولا يدفع عنه أذى الغضب والغيظ من جهة، ويشكك الناس فى أمر الزوجة فلا تتأذى أسرتها بشرها من جهة أخرى.

بيان ذلك: أن الأجنبى إذا رمى امرأة عفيفة أو رجلا عفيفا بالزنا ولم يأت بأربعة شهداء كان جزاؤه أن يحد حد القذف « ثمانين جلدة». أما الزوج فإنه إذا ادعى أن امرأته قد زنت فإن الشارع لم يكلفه الإثبات كالأجنبى، إذ لا مصلحة للزوج العاقل فى قذف زوجته واتهامها بالزنا جزافا. فإن عار ذلك وإن لم يلحقه هو دائما لإمكانه أن يتخلص منها، ولكنه يلحق أبناءه وبناته، فإن لم يكن له منها أبناء وبنات فإنه يضن بكرامته عن الامتهان بين الناس مؤقتا، ولهذا لم يسو الله ـ عز وجل ـ بين الزوج وبين الأجنبى إذا اتهم زوجه، فشرع لهما فى هذه الحالة اللعان، وهو أن يقول الزوج أمام القاضى: أشهد بالله أننى صادق فيما رميتها به من الزنا، ويكرر ذلك أربع مرات، ثم يقول بعد ذلك: لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. وتقول الزوجة: أشهد بالله إنه لكاذب فيما يرميها به من الزنا، وتكرر ذلك أربع مرات، ثم تقول: إن غضب الله عليها إن كان من الصادقين. وبذلك تبين منه مؤبدا. وهذا المعنى يسجل غضب الله ولعنته على الكاذب حقا.

ثم إذا ثبت أن الأجنبى كان معها فى خلوة فإن الشارع جعل لها عقوبة على الخلوة بالأجنبى، فأوجب على الحاكم تعزيرهما بالسجن والضرب.

وبهذا تعلم أن حد الزنا فى الشريعة الإسلامية قد اشتمل على ثلاثة أمور:

« أحدها » شدة الحيطة فى إثباته، لأنه ليس جريمة شخصية بل يتعير بها الأبرياء.

« ثانيها » أنه عقوبة تناسب العدوان على العرض، وهو وإن كان شديدا فى بعض النواحى، ولكن هذه الشدة تنبىء بعظم الجريمة عند الله فقط، ومن أفلت منها فى الدنيا لصعوبة الإثبات فله فى الآخرة سوء الجزاء.

« ثالثها » إذا تعذر الإثبات على الزوج فله فى تأديبها طريقان: التعزير على خلوتها بالأجنبى بالسجن ونحوه، وهى المستعملة فى القوانين الوضعية الآن، ومسألة اللعان التى ذكرناها.

وفى ذلك من الزجر عن هذه الفاحشة والاحتياط فى درئها وتذكير المؤمنين بخطورة أمرها عند الله وتخويفهم من عقابه الدنيوى والأخروى مالا مزيد عليه فى الحسن والإبداع. لأن الشريعة الإسلامية حريصة على محو الرذائل الخلقية، والضرب علي أيدى العابثين بالأخلاق التى عليها قوام حياة الأمم وسعادتها. حريصة علي كرامة الناس وأنسابهم. فلم يبق أمام الأمة إلا أن تستمسك بالصيانة والحياء، ولا تجاهر بالفواحش، وإلا أوشك الله أن يسلط عليها من لا يرحمها.

أما اللواط فإنه من الجرائم الخلقية التي لا تليق بالنوع الإنساني وفطرته التي فطره الله عليها. فاللواط فيه عدوان ظاهر على الإنسانية، وخروج عن سنن الله الطبيعية، ولذا سماه الله فاحشة كالزنا. قال تعالى:

﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾

فمن ارتكب هذا الفعل الشائن فقد اختلفت فيه آراء الأئمة: فمنهم من قال: إنه يعاقب عقوبة الزاني وهي الإعدام إن كان محصنا، أما الموطوء فعقوبته الجلد كالبكر، لأنه لا يتصور فيه إحصان. ومنهم من يقول إن عقاب اللائط من باب التعزير لا من باب الحد، فعلى القاضي أن يحبسه، أو يجلده بما يراه رادعا له عن الجريمة، فإذا تكررت منه ولم يزدجر عزر بالإعدام.

أما حد السرقة فقد بينه الله - تعالى - بقوله:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾(٢)

أي اقطعوا اليد اليمنى من كل واحد سرق سواء كان رجلا أو امرأة.

واعلم أن الشريعة الإسلامية قد وضعت قوانين المعاملات وفصلتها أحسن تفصيل، فوضعت نظما للبيع والشراء، والرهن والإجارة، والشركة والشفعة. ووضعت قوانين للاقتصاد والتجارة والزراعة والصناعة. ولم تترك شيئا إلا وضعت له نظاما مبنيا على مصلحة النوع الإنساني، وترقية حاله، ورفع الخصومات من بين الناس، وتوطيد علائق الثقة فيما بينهم، ونزع العداوة والبغضاء من قلوبهم، وحفظ حقوق الضعفاء ورفع الحيف عنهم. وقد أخذ المجتهدون من النصوص التي جاء بها الكتاب الكريم أو السنة الصحيحة ما فيه مصالح الناس التي اقتضتها حادثات الأزمنة المختلفة. فكان للمسلمين أعظم ثروة فقهية يمكنهم أن يجعلوها أصلا لكل قانون صالح ينتفع به المجتمع، وتقوم عليه دعائم العمران، وتسعد به الشعوب والأمم سعادة حقيقية. ومع هذا فإنها لم تضع عقوبات خاصة لمن خالف قوانين المعاملات المالية، بل تركت أمر هذه العقوبات للحاكم ليضع لها ما يناسب كل زمان ومكان. وهذا هو باب التعزير. فقد جعلت الشريعة للحاكم سلطة يضع بها العقوبات التي تليق بمن يخالف أمر الشريعة أو نهيها، بحسب البيئات والأزمنة، وبحسب ما يترتب علي مخالفتها من الشر والفساد، ما عدا السرقة فإنها قد وضعت لها الحد الذي سمعته.

ولقائل أن يقول: لماذا عنيت الشريعة الإسلامية بالسرقة دون غيرها من الأنواع المؤذية للمجتمع، فتركت الغاصب والمختلس والخائن، كما تركت الذي ينفق أمواله في

(١) الأعراف (٨٠).

(٢) المائدة (٣٨).

الشهوات الضارة، أو فى إيذاء المجتمع أو نحو ذلك؟

والجواب: أن الذى جاءت به الشريعة الإسلامية من ذلك هو تقدير العزيز الحكيم، وهو عين الحكمة والصواب.

بيان ذلك: أن السرقة هى أخذ مال الغير خفية من حرز «أى محل محفوظ فيه». ولا ريب أن الذى يقدم على هذا الفعل خطره يطرد فى كل زمان ومكان، لأنه لا يبالى فى سبيل الوصول إلى غرضه بارتكاب أية جريمة يتوقف عليها الحصول على ما يريد، فهو ينقب الدار، ويكسر القفل، ولا يتأخر عن قتل من يقف فى سبيله أو التمثيل به، فهو مهدد للناس فى حياتهم وأموالهم وأعراضهم. فإذا لم يضرب على يد السارق من أول الأمر، وإذا لم تشدد عليه العقوبة، كان شره عظيما، وخطره شديدا. وقد عرفتنا الحوادث أن السارقين قد قتلوا أنفسا كثيرة فى سبيل وصولهم إلى سرقة المال، واعتدوا علي أعراض كثيرة.

أما غير السارق كالخائن والغاصب وغيرهما فإنه يقابل رب المال وجها لوجه، غايته أنه خدعه أو غشه، أو أخذ منه المال بقوته على مرأى من الناس، وكل هؤلاء يمكن اتقاء شرهم والضرب على أيديهم قبل أن يستفحل أمرهم. فلهذا ترك الشارع أمر تأديبهم للحاكم كى يعزرهم بما يراه زاجرا لهم بحسب ما يناسب البيئة ويتفق مع نظام الأمن العام. على أن الحوادث التى من هذا القبيل قد يتفاوت سببها، وقد تكون عظيمة وحقيرة، فيجب أن يترك تقدير عقوبتها للحاكم ليقدر لها ما يناسبها بخلاف السرقة فإنها جناية ترتكب في الخفاء، وآثارها المترتبة عليها لا تختلف غالبا، فهى تهدد الناس فى كل زمان ومكان.

ومثل الخيانة والغصب سائر المخالفات المالية، فإنه لا يمكن ضبط عقوبة مطردة لها، لأن آثارها تختلف اختلافا كبيرا. مثلا شخص بذر ماله فى المباحات والزخارف حتي نفد ماله فإن عمله هذا فى نظر الشريعة الإسلامية لا يجوز، ولكن ضرره يختلف، فإذا كان فى بيئة صالحة مستقيمة بحيث لا يتأثر به أحد كان الضرر مقصورا عليه وحده، أما إذا كان فى بيئة سريعة التقليد فإن ضرر عمله يتعداه للغير فيكون قدوة سيئة، ولذا يجب أن يترك تقدير تأديبه للحاكم. ولذا قال بعض الأئمة: إذا بذر ماله فى مباح فإن ذلك التبذير لا يوجب الحجر عليه. ولكن الجمهور يقولون: إن التبذير فى ذاته يوجب الحجر، والحجر نوع من أنواع التعزير، فإن فيه إعلانا بأن الرجل لا يحسن التصرف، ولا يوثق به فى باب الأموال، وذلك توبيخ مستمر لا يرضاه عاقل. أما التبذير فى الشهوات المحرمة فإنه يوجب الحجر باتفاق.

وها هنا سؤال معروف، وهو أن قطع اليد فيه إتلاف لعضو من أعضاء الإنسان، وذلك لا يتناسب مع الجريمة إذا كانت يسيرة، فإن أقل ما تقطع فيه اليد عشرة دراهم، فالعقوبة شديدة. وهذا الكلام منشؤه الغفلة عن معنى

الجريمة وعن الآثار الضارة المترتبة عليها، فإنك قد عرفت أن هذه الجريمة من أشد الجرائم خطورة، فإذا فشت السرقة بين الناس فقد هددوا فى أموالهم وأعراضهم وأنفسهم كما ذكرنا، وأصبحت حياتهم مريرة لا فائدة منها، فإن السارق كالحيوان المفترس الذى يفتك بكل ما يلاقيه، فجريمته يجب أن تقابل بالقسوة المتناهية كى ينقطع دابرها من بين الناس بتاتا. فإذا تخيل شخص أن العقوبة شديدة فإنه يجب أن يعلم أن فظاعة الجريمة وآثارها فى المجتمع أشد وأنكى. ثم إن العقوبات لم توضع إلا لزجر فاسدى الأخلاق، وهؤلاء لا ينزجرون بالرفق واللين بدون نزاع. فإذا لم تتمثل أمامهم شدة العقوبة فإنهم لا يزجرون أبدا. ولنا على ذلك أمثلة ملموسة عملية: مثلا: الكوكايين والحشيش قد وضعت لهما الحكومة فى أول الأمر عقوبة خفيفة، فكانت مغرية لضعاف النفوس والأشرار على ارتكاب الفعل لا زاجرة لهم، فلما سنت قوانين صارمة، وأدرك هؤلاء الأشرار خطواتها، كفوا عن تعاطى هذه السموم. وهذه القوانين تقرها الشريعة الإسلامية وتحبذها، لأن للحاكم أن يعزر بما يراه قاطعا للجرائم، سواء كانت مقصورة على الشخص أو تتعداه إلى المجتمع.

وأيضا فقد رأينا فى زمن من الأزمنة اضطراب حبل الأمن فى البلاد المقدسة اضطرابا شديدا، فلما نفذ فيهم حكم الله - تعالى - وقطعت أيدى بعض السارقين، لم تلبث الجريمة أن اختفت وحل محلها الأمن والطمأنينة.

على أن الذى يتأمل فى المثالين المذكورين يدرك أن شدة العقوبة إنما هى فى ظاهر الأمر، أما فى الواقع فهى رحمة بالسارقين فاسدى الأخلاق، فإنها قد زجرتهم فعلا، وأوقفتهم عند حدهم فتركوا هذه الجريمة المؤذية للمجتمع شر إيذاء.

ولعل قائلا يقول: إن النظر الى الجريمة على هذا الوجه يقتضى أن يد السارق تقطع ولو سرق درهما واحدا، فما فائدة تخصيص القطع بعشرة دراهم!

والجواب: أن الشارع أراد أن يجعل سبب القطع ما لا له قيمة فى الجملة، وهو ما يتضرر به صاحبه، فالعشرة دراهم قد تكون قوت أسرة فقيرة يومين، فإذا سرقت منها تضررت، أم ما دون ذلك فإنه لا يوجب القطع لهوانه غالبا، فإذا أفلت من القطع فى هذه الحالة فإنه لا يفلت من التعزير بالسجن أو الضرب حتى لا يتعود.

ومثل ذلك ما إذا أراد أن يسرق فنقب الدار أو تسور الجدار ثم منعه من السرقة مانع، فإنه يستحق في هذه الحالة عقوبة التعزير الرادعة له عن العودة. وكذا من أقدم على السرقة ولم تتوفر فيه الشروط التى ذكرها الفقهاء، فإن الشارع يوجب تعزيره كى لا يعود.

ولعل فيما ذكرناه ما يقنع هؤلاء الذى يتخيلون شدة هذه العقوبة، فيدركوا أنها هى عين الرحمة للسارقين وللمجتمع.

هذا وقد ضاق المقام عن تكملة الكلام، فانتظره فى العدد القادم، إن شاء الله،

مواقف إسلامية

في «اليرموك» المرأة المؤمنة تصنع المستقبل.. ولا تنتظره

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

فى مواجهة الأحداث الكبرى.. وحين يبلغ بك اليأس مداه.. يمكن أن تحدث المعجزة.. ويصبح المستحيل ممكنا.. بشرط واحد هو: أن تعمل.. وأن تكابد.. باذلا أقصى ما تستطيع واضعا روحك على كفك مهرا للمجد المنتظر.

ذلك بأن الذى يريد أن يحصل على أشبال «النمر».. عليه أن يدخل عرينه أولا.. متحملا مسئولية هذا الاقتحام.. وحتى لو فشلت محاولاتك.. فأنت المنتصر فى معركة التحدى، ذلك بأن الجندى إذا حاول الحصول على شىء.. ثم فشل فى اقتناصه.. فإن حاله يكون أفضل منه.. لو أنه لم يفعل شيئا! لأن اليأس يضيع فرصا أخرى لتدارك ما فات.. وذلك أجدى من أن نذرف الدموع غضابا آسفين!!

هذه خواطر تعبر آفاق خيالنا.. ونحن نذكر موقعة «اليرموك» عندما هبت الروم عن بكرة أبيها فى جيش عرمرم سد الأفق كأنه غمامة سوداء.. خرج ليلتهم جيش المسلمين والذى كان يفوق العشرين ألفا بقليل! فماذا حدث؟

التعبئــــــة الروحيــــــة

من السهولة بمكان أن تضع للمعركة خطة.. ولكن المهم: كـيف.. وبمن تضع هذه الخطة موضع التنفيذ؟ قد تكون هناك فى خيالك أحلام وردية فى نصر مؤزر.. ولكن هذه الأحلام.. سرعان ما تذهب.. حين تدوسها أقدام قوم هم أكثر منك استعدادا وعتادا حين يغلبونك.. تاركين لك الخوف والتمزق تقتاته.. ثم يموت الرجاء بعدما جف الأمل فى نصر قريب.

وهذا ما أدركه الصديق ـ رضى الله عنه ـ عندما أحكم الخطة.. ثم شحن رجاله بطاقة إيمانية.. تشد العزائم و لاتسترخى.. عندما يهجم الخطب قوى الإيقاع.. لقد وزع الأدوار بدقة وإخلاص:

« سفيان بن حرب »: يعظ الجند ويحثهم على القتال.

والمقداد بن الأسود يدور على الجند ويقرأ عليهم آيات الجهاد

موقــــف القائــــد المســـلم

وكان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ يشحن الجند بالطاقة الإيمانية.. لم يهون من أمر اللقاء.. لم يمدهم بالزهو أو بالغرور.. خداعا وتمويها.. ولكنه رضى الله عنه – وفى صحبة أمل وثيق فى نصر الله والفتح – يمدهم بطاقة هى أمضى من كل سلاح.. تعينهم على تجاوز الخطر بنجاح.. عن طريق هذه الرسالة التى وجهها إليهم وهم يستعدون لخوض غمرات المعركة:

تقول الرسالة:

[اجتمعوا. وكونوا جندا واحدا. وألقوا جنود المشركين، فأنتم أنصار الله. والله ينصر من ينصره. وخاذل من كفره. ولن يؤتى مثلكم عن قلة. ولكن. من تلقاء الذنوب. فاحترسوا منها].

لقد كان القائد الأعلى صادقا مع نفسه.. ومع الجيش حين كشف النقاب عن سر الهزائم.. وهو الذنوب وأن النصر من عند الله ـ تعالى ـ والذى يمنحه لمن آمن به.. وكان مع غيره فى كتلة عصية على الاختراق.. لأن يد الله مع الجماعة.

إنه لم يقلل من خطورة الموقف.. بل كشف عن خطورته فيما وجه إليه من ضرورة الاستعداد.. وصرف النظر عن حظ النفس فى إحراز نصر هو فى الحقيقة من عند الله ـ تعالى ـ وإذا كان جيش الروم يملأ الأفق.. يختال عجبا وإذا كان الأمر كما يقولون:

إن العصافير لاتغرد فوق نوافذنا.. وإذا كانت لاتقفز فى باحة الدار.. وإذا بدا أن الفرع منكسر، فلن ينتج أزهارا.. وإذا كان ظاهر الحال ذلك.. فإن العبرة باليقين فى نصر مبين.. ثم بالتصميم على الانتصار.. منطلق من هذه البديهة: إن أية قنبلة لن تلحق الدمار أكثر مما يلحقه به الخوف والتردد!

إن الموقف عندئذ كان مغلفا بالضباب.. وكانت الرسالة ضوءاً كاشفا.. بدت به الأمور واضحة جلية.. ذلك بأن كل شىء يمكن أن نتستر عليه.. إلا الحقيقة.. الحقيقة التى يجب أن تكون عارية!

والحقيقة هنا هى: أن الموقف خطير.. والأزمة ليس لها من دون الله كاشفة.. ولكن النصر ممكن

متى كنا مستعدين له، والاستعداد يعنى: إعداد القوة.. والبراءة من المعاصى، على أن يكون مفهوما أن النصر من عند الله - عز وجل - والذى يجىء فى أوانه!

جنودنا.. فى تصور أعدائنا

فى وصف كاشف لطبيعة الجندى المسلم.. قال أحد قواد الروم للقائد الأعلى هناك: [وجدت قوما: رهبانا بالليل.. فرسانا بالنهار.. والله لو سرق فيهم ابن ملكهم.. لقطعوه أو زنى لرجموه]!

ولما سمع القائد ذلك قال أسفا: [لئن كنت صادقا.. لبطن الأرض خير من ظهرها] ويعنى ذلك أن المعركة محسومة سلفا.. وأن لواء النصر معقود للقوى المؤمنة.. من الآن!

وليس هناك أصدق فى وصف شجاعة الجندى المؤمن من هذا الذى شهد به العدو! لأن الفضل ما شهدت به الأعداء.

وبدأت المعركة

أجل: بدأت «وليمة» الموت! كان «المشير» خالد بن الوليد - رضى الله عنه - يصدر الناس كلهم عن رأيه.. وبين يدى المعركة قام خالد فى الناس خطيبا فأمرهم بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف، فاجتمع الناس وتصافوا فى مواجهة عدوهم.. وقام خالد فى الجند خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن هذا يوم من أيام الله. لاينبغى فيه الفخر ولا البغى أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم. وإن هذا يوم له ما بعده، لو رددناهم اليوم إلى خندقهم.. فلانزال نردهم وإن هزمونا لانفلح بعدها أبدا فتعالوا فلنتعاور الإمارة - نتداول ونتبادل - فليكن عليها بعضنا اليوم.. والآخر غدا.. حتى يتأمر كلكم..]

وهكذا كانت طبيعة المشير..

قال لأبى عبيدة: تأخر عن القلب.. إلى وراء الجيش كله حتى إذا رآك المنهزم استحيى منك ورجع إلى القتال.

فقال له أبوعبيدة كما قال له خالد: إنى مشير بأمر: «قل أسمع وأطيع» وهكذا كان القواد الذين حقق الله - تعالى - بهم النصر، كانوا يستخيرون الله.. فإن ذلك أوثق لدينهم.. ثم يستشيرون البشر.. فإن ذلك أوفق بمصلحتهم.

أبوعبيدة.. القائد.. الواعظ

ولما تراءى الجمعان.. وعظ أبوعبيدة المسلمين فقال: عباد الله: «انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم».

يامعشر المسلمين: اصبروا.. فإن الصبر منجاة من الكفر. ومرضاة للرب ومدحضة للعار.

ولاتبرحوا مصافكم ولاتخطوا إليهم خطوة ولاتبدأوهم بقتال. وأشرعوا الرماح واستتروا بالدرق «الصلب». والزموا الصمت إلا من ذكر الله فى أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله تعالى».

ولقد فهم الجند الرسالة.. فهبوا فيما يشبه الاحتجاج على ما فى العدو من اعوجاج! أجل.. هبوا على قلب رجل واحد: يقدمون الواجب على الحق.. فى شخص هذا الجندى الذى أعلن

اعتذاره عن قبول الغنيمة لأنه ما جاهد لغنيمة.. وإنما هو فقط يرجو الشهادة التى تكفيه شرفا وذكرا.

الموقف على الجبهة المعادية

مشكلة الناس اليوم.. أن إحساسهم حاد بحقوقهم التى يلحون فى طلبها.. بينما لايكادون يحسون بالواجب عليهم بنفس القوة مع أنه السبيل القاصد إلى تحقيق آمالهم.. وهكذا كان الجندى الرومى: إنه جاء من أجل الغنيمة.. من أجل الدنيا.. أو جاء مرغما مدفوعا، لقد كان فى داخله إحساس قوى بأنه وحيد.. يريد جليسا، عجوز، يريد سندا.. مسافر يريد مودعا أو مرحبا، فى مأزق، يريد مخرجا.. مقاتل فى غير قضية، لهيف يريد غوثا، عريش يريد جدارا.

وإذن فلم يكن القوم هناك صادقين مع أنفسهم.. بل لم تكن لهم أنفس على الإطلاق.. بعدما تركوها مع دنياهم المؤثرة.

لقد جاء الجند يصيحون بأصوات صاخبة.. وكان الرهبان يتلون الإنجيل.. ويحثون الجند على القتال..

ولربما كان لهم بعض الأثر الوقتى.. ولكن وفى النهاية وعندما تهب العواصف الهوج، تسقط الأشجار الضخام.. بينما الأعشاب من تحت أقدامها تعيش! لأنه.. مهما كان القائد بليغا.. ومهما كانت الموعظة مؤثرة.. فإنها لن تستطيع إقناع القلب الجزوع ولا النفس الهالعة!

ولقد حاول الجيش الرومانى أن يجمع شمله المهلهل.. ولقد تجمع الشمل فعلا.. ولكنه كان تجمع العصافير الخائفة.. فى أعالى الأشجار.. تاركة الساحة لرواد الحق.. للنسور المحلقة فى جو السماء.

وعن هذه النهاية التى لم تشر إليها البداية.. تساءل المنهزمون فى «الغرب» عن سر هذا الانتصار، قال هرقل لمن جاءوه منهزمين: أخبرونى عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم: أليسوا بشرا مثلكم؟! قالوا بلى

قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافا فى كل موطن.. قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتصافون بينهم. ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزنى ونركب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضى الله ونفسد فى الأرض

فقال: أنت صدقتنى[1]. وفى رواية:

[أتاكم منهم ما لاطاقة لكم به].

دور المرأة فى تحقيق النصر

قد يسبق إلى الوهم: أن تحقيق النصر حكر على الرجال.. من دون النساء ومن هنا قيل:

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ٧ ص١٥ـ١٦.

ولكن الحق أن المرأة زاحمت الرجال فى ساحات النضال وإذا كانوا يقولون: إن أكثر الثمار نضجا هى ما كانت هناك فى أعلى الأشجار.. فإن ذلك لايمنع من وجود ثمار أخرى خلف الأوراق لاتراها العيون! وقد كانت المرأة تلك الثمرة الخفية.. والتى لولاها لما كان هذا النصر المبين: لقد كان للمرأة.. كالرجل - أمل فى النصر، ولقد كانت تؤمن فى نفس الوقت أنه لا أمل.. بلا ألم ومن أجل ذلك خاضت المعركة بشجاعة نادرة، لم تكن المرأة تختار «الأحسن».. ولكن الأحسن كان هو الذى يطلبها! وإذا كان الخائف.. هو الذى يخاف قبل الخطر.. والجبان يخاف.. أثناء الخطر.. فإن المؤمن.. وإن المؤمنة لاتخاف لاقبل الخطر ولامن بعده.. وإنما هى على ما قال عزوجل:

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(٢).

لقد خرجن من لهب الحرب ذهبا أكثر صفاء.. وأشد تألقا.

صمت القمر

ولم تكن المرأة تتحدث عن نفسها.. وبلائها.. وقيمها التى هى أغلى من كل ما طلعت عليه الشمس. إنها لم تكن تتحدث عن هذه القيم.. لكن القيم هى التى تتحدث عنها شاهدة بأنها: إذا بليت القيم.. فإنها تجددها.. وإذا ابتليت الأمة بالأزمات.. فإنها تسددها وإذا نكبت أنعشتها.. وإذا ذهب ريشها.. كستها! وإذا كان هناك من نساء العالم من مهرت الدنيا.. دينها فزفت الدنيا إليها بالندم.. والألم فإن أسماء بنت يزيد - رضى الله عنها - قد قدمت الدنيا إلى الدين مهرا.. فزفت إليها المعالى.. جزاء من جنس عملها.. مؤكدة أنها لم تكن شرطا من شروط النهضة، يؤثر من الخارج.. ولكنها كانت «ركنا» فيها.. يؤثر من الداخل.

[لقد قاتل نساء المسلمين فى هذا اليوم وقتلوا خلقا كثيرا].

لقد ساق خالد - رضى الله عنه - النساء إلى وراء الجيش ومعهن السيوف ثم قال لهن: من رأيتموه موليا - هاربا - فاقتلنه..

وقد نفذت النساء أوامر القائد بدقة وحماس كن يضربن من انهزم من المسلمين بالخشب وبالحجارة ثم يقلن لهم غاضبات عاتبات: [أين تذهبون.. وتدعوننا للعلوج] ويعنى ذلك ثبات المرأة ورحى الحرب دائرة،، وآتونها مستعر..

وفى مقدمة الثابتات كانت خولة بنت ثعلبة والتى كانت تواجه الرجال الهاربين، وعندئذ لايملك الهارب إلا أن يستجمع أطراف شجاعته ثم يكر على العدو من جديد.

وأين من هذه المرأة الأبية.. تلك الزوجة التى كانت تعشق المجوهرات .. والتى كانت تمنى نفسها بعودة زوجها بنفائس المجوهرات فى قصور الأعداء.. ثم لم يعد إليها.. أو عاد مفلسا.. ولا بخفى حنين!!

---

(٢) آل عمران (١٧٣).

فى مجـــال التطـــبيق

لقد كانت الشجاعة الأبية حلية المرأة المؤمنة: أثناء الحرب.. وبعد أن تضع الحرب أوزارها، أما ورحى الحرب دائرة فقد كانت من الشجاعة على أوفى معانيها.

أ ـ فى مواجهة بنى قريظة قالت صفية بنت عبدالمطلب ـ رضى الله عنها: مر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن.. فقلت: ياحسان: إن هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن، وإنى والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من اليهود وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه. فأنزل إليه.. فاقتله.

قال: يغفرالله لك يا ابنة عبدالمطلب! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا؟!

قالت: فلما قال لى ذلك ولم أر عنده شيئا.. احتجزت(٣) ثم أخذت عمودا.. ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود.. حتى قتلته! قالت: فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن(٤).

ب ـ أم عمارة: وها هى ذى «أم عمارة» تؤكد كيف كان دور المرأة فى تحقيق النصر «ظاهرة» ولم يكن حالة فردية، لقد كانت فى أحد تسقى الماء.. ولما اشتد القتال.. حملت السلاح وتركت القداح! لقد حجزت ثوبها على وسطها فتركت على الساحة بصماتها.. وقد جُرحت ثلاثة عشر جرحا.. فما وهنت لما أصابها فى سبيل الله!

وهو موقف.. يشكل رسالة عاجلة إلى المرأة التى تجاهد اليهود تقول لها: لا نامت أعين لم تحافظ على يوم يرجى خيره ويحمينا من الحساب ولا نامت عين لم تحافظ على ساعة من نهار.. ولاعلى دقيقة من ساعة.. لاوقت للتسويف فلم يجىء من يقول لنا: أنها ضجعة بغير حساب!

جـ ـ أسمـاء بنـت يزيــد وافـدة النســاء:
ولقد اشتهرت أسماء بأنها خطيبة النساء.. لكن ذلك لم يضائل من دورها العسكرى المرموق.. وبالذات فى معركة اليرموك.. فمن هى أسماء بنت يزيد؟ وماذا نحن قائلون عنها.. وماذا نحن فاعلون تأسيا بها؟ نقول: قد تستغنى الأمة عن لقمة الخبز لكنها أبدا لاتستغنى عن القيم العليا، هذه القيم التى لولاها لفقدت الحياة معناها. غير أنها لن تكون كذلك.. إلا إذا وجدت من يؤمن بها.. مستعدا للموت فى سبيلها.

ولقد كانت «أسماء بنت يزيد» الأنصارية مسكونة بهذه المنظومة من المثل العليا والتى انحدرت إليها من قومها الأنصار علما وفصاحة وشجاعة ثم فداء.. وتضحية.. وإذ يمدح الله ـ تعالى ـ الأنصار بقوله ـ عز وجل:

---

(٣) شددت وسطى.

(٤) يحاول الكاتبين تبرئة حسان ـ رضى الله عنه ـ من تهمة الجبن الذى تصوره من قوله [لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا] يتلمسن له العذر بأنه كان معتلا يومئذ والحق أن الرجل ليس فى حاجة إلى الدفاع بعد أن نتذكر انه كان الجبهة الإعلامية التى فل الله بها غرور الاعداء. وهذا تخصصه على الجبهة الداخلية أما على الجبهة العسكرية فلا يعيبه أنه لايحسن القتال بالسلاح الأبيض لأن العسكرية أيضا تخصصات وقد يكون الجندى «قناصا» يصيد دبابات العدو فى الوقت الذى لايجيد فيه القتال المتلاحم من حيث كان فنا قائما بذاته.

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(٥) فقد انفقت أسماء مما رزقها الله ـ تعالى ـ هذه القيم الحضارية،، والتى عبرت عنها عمليا.. بسلوكها الفريد.. فى السلم والحرب.. على سواء.

أما علمها: فقد روت عن الرسول ﷺ جملة من الأحاديث وروى عنها كوكبة من الرجال.. على نحو كانت به شريانا من شرايين الأمة.. تدفق بالمعرفة تسرى فى عروق الأمة عافية وتسعى بين يديها نورا..

وأما فصاحتها: فقد كانت «خطيبة النساء» بشهادة الرسول ﷺ والذى نوه ببيانها.. وبلاغتها على رؤس الصحابة الذين كانوا فرسان البيان..

وإذا كان الأطباء أقدر على تمييز الطبيب من غيره فقد كان الصحابة أقدر على إدراك فصاحتها.. التى زاحمت بها بلاغة الرجال.

أما عن شجاعتها الأدبية:

فقد قالت: [مر بى النبى ﷺ وأنا فى جوار أتراب لى فسلم علينا وقال «أياكن وكفران المنعمين» ودون أترابها جميعا تسأله ﷺ: يارسول الله: وما كفران المنعمين؟ ثم تسجل فى نفس الوقت شهادتها لنفسها حين تقول: «وكنت من أجرئهن على مساءلته» هذه الجرأة التى تنامت مع الأيام.. حتى رشحتها أخيرا لتكون «وافدة النساء» إلى الرسول ﷺ بما تتطلبه هذه السفارة من حكمة وروية.. وثبات ثم عرضت قضيتهن عرضا كانت به «خطيبة النساء» ثم كانت ممن بايع رسول الله ﷺ «بيعة الرضوان» وبهذه المبايعة.. تأكدت شجاعتها التى سلكتها فى زمرة الرجال.. الرجال الثائرين الذين التفوا حول الرسول ﷺ يحملون أرواحهم على أكفهم.. فداء للحق الأعزل، وإذا كان للرجولة ما يعينها على تحمل المواقف الصعبة، فقد كان حضورها وإيمانها فى لحظة لايصمد لها إلا الذين صبروا.

ذلك بأنها كانت مؤمنة ومن شأن الأزمات أن تشد عزائم المؤمنين.. الذين يعتبرون الموت أمرا طبيعيا وما كان طبيعيا فلا مفر منه.. ولقد كان شعارها عندئذ:

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد

لنفسى حياة غير أن أتقدما

أما عن شجاعتها فى ميدان القتال.. فحدث عنها ولاحرج لقد أحبطت ببسالتها الفكرة القائلة:

كتب القتل والقتال علينا

وعلى الغانيات جر الذيول!

ففى معركة «اليرموك».. بدت كفاءتها القتالية: لقد تقدمت حين كان الإقدام مغرما ولم يكن مغنما.. تقدمت والموت الزؤام يطل من كل أفق.

لم يكن حماسها للقتال شرارة لاتكاد

---

(٥) البقرة (٣).

تبرق حتى تنطفىء وإنما كانت إرادة القتال غائرةفي قلبها.. ولم تنكسر إرادتها في الموقف الرهيب.. إلى الحد الذى تراجع فيه بطل كعمرو بن العاص - رضى الله عنه - فى مشهد لانرى فيه إلا مخا ساقطا.. ومعصما طائرا وكفا مندثرة لقد حملت سلاحها.. ثم شدت مئزرها ورمت بنفسها فى لجة الأهوال.. وماذا كان سلاحها؟ لقد كانت من القوة بحيث اقتلعت عمود خيمتها.. ثم قتلت به تسعة من الروم

وليت شعرى: لو كان الذى قاتلت به مدفعا.. أو صاروخا لكان لهذه البطولة ما يسوغها ولكنه كان «عمودا» من الخشب قلعته بيديها ثم صوبته إلى أعدائها.. الذى تساقطوا بين يديها كأوراق الخريف وتعجبت من سخرية القدر حين يهزم الضعفُ الشريف.. القوة السافلة! ونتساءل فى أية مدرسة للتدريب تعلمت فن التصويب؟! وعلى أرض مكشوفة فى الوقت الذى يقاتل الرجال اليوم.. والذين يتترسون بقرى محصنة أو من وراء جدر؟!

لقد تحملت أسماء هول الموقف: فقد كان أمامها مجموعة من الخيارات: أن تثبت في مكانها «محلك سر» أو أن تأخذ حركتها إلى الخلف هاربة.. ولكن فضلت الانطلاق إلى الأمام.. لم تتردد، لأن التردد يضيع الفرص السانحة.. وأمام هجمة الخطر لايغنى أن نتألم.. وإنما هو اختيار الحركة التقدمية.. التى تدفع بالأمة إلى قلب مستقبل واعد يناديها.

لقد كان من حولها جرحى من الرجال.. والجثث تغطى بين يديها تلك الرمال العفراء.. ولأنها أنثى.. فقد كان المتوقع أن تبكى.. أن تعزف على أوتار الجراح.. هذا البطل الذى راح.. لكنها خلعت عمود خيمتها.. خلعته.. ولم «تأخذه» جاهزا كما أخذته صفية من قبلها - رضى الله عنهما.

لقد كانت تتمتع بصحة قوية يوم أن كانت تعيش على الفطرة بلا منشطات.. ولامساحيق.. إنها قيمة الشجاعة فى أسمى معانيها.. تتمثلها امرأة لم تمنعها أنوثتها من أن تحتال.. ثم تفعل ما لايفعله الرجال إنها لم تتحدث عن قيمة الشجاعة حديثا يقال.. أو يكال، إنما هى تصنع هذه القيمة صنعا.. وعلى الطبيعة.. مؤكدة فى نفس الوقت طبيعة المؤمن الذى لايأتمر بالأمر فقط يكلف به.. وإنما هو يأتمر أساسا بالأمر أولا، لأنه يحب الأمر، ومن أجل ذلك يهون علية التكليف.. مهما كان شديداً.

***

من ركائز التضامن الإسلامى

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(١).

فى هذه الآية الشريفة، يقرر الإسلام أخوة الإيمان، وأنها لا تتقيد بعلاقة النسب. فإن أخوة النسب تنقسم بمخالفة الدين، ولكن أخوة الدين لاتنقسم بمخالفة النسب وفى الصحيحين عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا»(٢) والتجسس: هو الاستماع لحديث القوم، والتناجش: هو أن تزيد فى ثمن السلعة دون رغبة فى شرائها لتحريض الغير عليها، وفى رواية أخرى بلفظ مسلم يبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه حقوق هذه الأخوة وواجباتها «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(٣).

ومن الواجبات المترتبة على أخوة الإيمان بين المسلمين ما جاء فى الآية الشريفة:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

فالإصلاح بين كل مسلمين أو طائفتين واجب تمليه أخوة الإيمان، وقد مهدت الآية الشريفة طريق الإصلاح بالتزام التقوى، حتى لا يحيد

(١) سورة الحجرات آية (١٠).

(٢) أخرجه البخارى ومسلم.

(٣) رواه مسلم.

المصلحون ولا يحابى بعضهم بعضاً، بل يكون العدل رائدهم والتقوى طريقهم، وبهذا تتحقق الغاية الكريمة وهى رحمة الله بالمؤمنين دنيا وأخرى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ويدعو القرآن الكريم جميع المؤمنين أن يطهروا البيئة الإسلامية من رذائل شتى:

١- منها الرذائل الظاهرة التى تتعلق بالجوارح كالسخرية واللمز والتنابز بالألقاب.

٢- ومنها الرذائل الباطنة التى تتعلق بالمشاعر كالظن.

أما الأولى الظاهرة: فيقول فيها القرآن:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾(٤).

فينهى الله - تعالى - عن سخرية بعض الناس ببعض، فعسى من سخروا منه أن يكون خيرا منهم عند الله - تعالى - فى عقيدته وفى عمله وفى باطن أمره. فإن مقاييس الخيرية ليست فى المظهر ولا فى الشكل، ولكنها فقط فى التقوى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٥) وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(٦).

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾.

نرى أنه ورد فى سبب نزولها آراء منها: أنها نزلت فى وفد بنى تميم عندما استهزأوا بفقراء الصحابة أمثال: عمار، وبلال، وخباب، وابن فهيرة، وصهيب، وسلمان، وسالم مولى أبى حذيفة وغيرهم، لما رأوا من رثاثة حالهم.

وقيل: نزلت فى سخرية الغنى بالفقير، وقيل: فى عكرمة بن أبى جهل، فعندما جاء إلى المدينة مسلما كان بعض المسلمين إذا رأوه قالوا ابن فرعون هذه الأمة، فشكا ذلك إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه فنزلت هذه الآية، وقال ابن عباس: نزلت فى ثابت بن شماس كان فى أذنه وقر فإذا سبقوه إلى مجلس النبى ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبى ﷺ فلما انصرف النبى ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه فرضى كل رجل منهم بمجلسه وعضوا فيه- أى لزموه- فلا يكاد يوسع أحد لأحد حتى يظل الرجل لا يجد مجلسا، فيظل قائما فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس ويقول: تفسحوا تفسحوا، ففسحوا له حتى انتهى إلى النبى ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له: تفسح فقال الرجل: قد وجدت مجلسا فاجلس، فجلس ثابت من خلفه مغضبا ثم قال: من هذا؟ قالوا: فلان، فقال ثابت: ابن فلانة، يعيره بها يعنى أما له فى الجاهلية فاستحى الرجل فنزلت(٧).

---

(٤) سورة الحجرات آية (١١).

(٦) رواه مسلم.

(٥) سورة الحجرات آية (١٣).

(٧) الجامع لأحكام القران للقرطبى.

وقد نصت الآية على النساء كذلك وأفردتهن بالذكر في النهي عن السخرية، وذلك لأن السخرية تقع كثيرا منهم «فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه» ولذا نص عليهم فيقول:

﴿ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾.

وقد جاء في سبب نزولها أن امرأتين من أزواج الرسول ﷺ سخرتا من أم سلمة عندما ربطت خصريها بثوب أبيض وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجرها فقال عائشة لحفصة رضي الله عنهما: انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب، فهذه سخريتها. وقال أنس وابن زيد: نزلت في نساء النبي ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر. وقيل: نزلت في عائشة أشارت بيدها: يانبي إنها لقصيرة، تعني صفية بنت حيي - رضي الله عنها - وقال عكرمة عن ابن عباس: إن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله إن النساء يعيرنني فأنزلت هذه الآية..

وقد نهى الله - تعالى - كذلك عن اللمز (وهو العيب)، ويكون تعبيرا باليد، أو العين أو اللسان أو الإشارة.

وأما الهمز فيكون باللسان. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ ويدل هذا التعبير الحكيم على أن المؤمنين نفس واحدة، فلا يليق بهم أن يعيب بعضهم بعضا، وكما لا يعيب المؤمن نفسه لا ينبغي أن يعيب غيره، فالمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

دون تنابز

ومن الرذائل التي نهى عنها الإسلام: التنابز بالألقاب. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ ﴾ قيل إنها نزلت في بني سلمة، قدم رسول الله ﷺ وليس رجلا إلا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يارسول الله إنه يغضب من هذا الاسم، فنزلت الآية، وقال الحسن ومجاهد: كان الرجل يعير بعد إسلامه بكفره كأنه يقول له: يايهودي يانصراني، فنزلت الآية، وقال قتادة: وقول الرجل للرجل يافاسق يامنافق.

قال تعالى:

﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ ﴾ يقول ابن زيد أي بئس أن يسمى الرجل كافراً أوزانيا بعد إسلامه وتوبته.. وقيل: من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق. أما بعض الصفات التي يكون ظاهرها الكراهة، ولكن لا يراد بها العيب حين التحدث بها فلا بأس بها. وقد سئل عبدالله بن المبارك عن الرجل يقول: حميد الطويل، سليمان الأعمش، وحميد الأعرج، ومروان الأصفر، فقال: إذا أردت صفته ولم ترد عيبه فلا بأس به.

وقد ختم الله تعالى الآية الكريمة التي نهى فيها عن تلك الرذائل بتهديد من تسول له نفسه الاسترسال في مثل هذه المعايب بأنه وقع في

الهلاك وأصبح من الظالمين لأنفسهم لارتكابها فقال تعالى:

﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ وإذا كان التنابز بالألقاب مما يعيب المسلم ويمزق ود الصدور، فإن بديله وهو نداء المسلم لأخيه بأحب الأسماء مما يصفى له ود أخيه، يقول عليه الصلاة والسلم: «ثلاث يصفين لك ود أخيك: تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه»(٨).

ومثال النوع الثانى وهى الرذائل الباطنة التى تتعلق بالقلب والشعور: (ظن السوء) وقد حذر الله – تعالى – من الظن فى قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾(٩).

وقد نزلت هذه الآية الكريمة كما قال أبو عبدالله القرطبى فى رجلين من أصحاب النبى ﷺ اغتابا رفيقهما، «وذلك أن النبى ﷺ كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما فضم سلمان إلى رجلين، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام، ولم يهيىء لهما شيئا فجاءا فلم يجدا طعاما وإداما فقالا له: انطلق فاطلب لنا من النبى ﷺ طعاما وإداما فذهب فقال له النبى ﷺ: إذهب إلى أسامة بن زيد فقل له إن كان عنده فضل من طعام فليعطك. وكان أسامة خازن النبى ﷺ فذهب إليه فقال أسامة: ما عندى شىء، فرجع إليهما وأخبرهما، فقالا: قد كان عنده ولكنه بخل، ثم بعث سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فقالا: لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة – وهى بئر قديمة بالمدينة بها ماء غزير – لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شىء فرآهما النبى ﷺ فقال: مالى أرى خضر اللحم فى أفواهكما؟ فقالا: يانبى الله والله ما أكلنا فى يومنا لحما ولا غيره، فقال: ولكنكما ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة» فنزلت الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾.

وجاء فى الصحيحين عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»(١٠).. والظن الذى تحذر الآية منه هو: الظن الذى يقوم على اتهام لا أساس له ولا سبب يوجبه.

ومن الرذائل المنهى عنها «التجسس» وهو البحث عما يكون خفيا عن الإنسان كمن يتهم إنسانا بفاحشة أو بشرب الخمر مثلاً دون أن يبدو له ما يقتضى ذلك أو أن تظهر له علامة على تحقيق ظنه، كأن يكون المظنون به من أهل الصلاح والتقوى فإن ظن السوء به حينئذ يكون محرما، هذا بخلاف من عرف واشتهر بين الناس بمخالفة الشرع والمجاهرة بالمعاصى فلا يكون الظن به محرما.

---

(٨) رواه الحاكم والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى شعب الإيمان.

(٩) سورة الحجرات آية (١٢).

(١٠) رواه البخارى ومسلم.

هذا ويترتب على الظن التجسس ثم الغيبة، وذلك لأن مجرد التهمة يكون سببا فى البحث عما ساور الإنسان من خاطر فيحاول التجسس ليتحقق مما يظنه فينتقل من درجة الظن إلى درجة التجسس ثم يدعوه وقوفه بالتجسس على بعض ما يعلم أو ما لا يعلم إلى غيبة أخيه فينتقل إلى درجة أسوأ وحالة أكبر وهى الغيبة وهكذا.

وينقى الإسلام جو المجتمع على مختلف طبقاته ويوضح كيف يتفاقم الخطر من جراء الظنون السيئة بين الناس بعضهم مع بعض، بل وبين الحاكم والمحكوم، فحين يبتغى الحاكم الريبة فى الناس يفسد ذات بينهم، ويوضح الرسول ﷺ خطر الغيبة والتجسس ويبين نتائجها السيئة التى لا تقتصر على الآخر فحسب، بل إن المغتابين والمتجسسين ينالون جزاءهم فى الدنيا وعقابهم فيها قبل الآخرة، قال ﷺ «يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن اتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته»(١١). ولذلك أدرك سلفنا الصالح خطر التجسس فنهوا عنه وحذروا منه.

فقد كان سلفنا الصالح يدركون خطر التجسس ومدى حرمته، فكانوا يبتعدون عن التجسس وعن تتبع أسرار الناس وحتى ولو ترتب على ذلك إقامة حكم من أحكام الشريعة، أو إقامة حد من حدود الله، قال عبدالرحمن بن عوف: حرست ليلة مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالمدينة إذ تبين لنا سراج فى بيت بابه مجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهما الآن شرب فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه.. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ وقد تجسسنا وانصرف عمر وتركهم.

كفارة الغيبة

ومن الرذائل المنهى عنها الغيبة قال الله - تعالى:

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ وقد فسر الرسول ﷺ معنى الغيبة: ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله قال «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»(١٢).

وقد رأى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج صورة محسوسة لأولئك المعتدين المغتابين وكيفية عذابهم، عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ «لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء ياجبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس ويقعون فى أعراضهم»(١٣). وقد صور

---

(١١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

(١٢) رواه مسلم.

(١٣) رواه أحمد وأبو داود.

القرآن الكريم صاحب الغيبة فى هيئة مستقذرة، وصورة تدل على خسة الطبع ودناءة النفس وفساد القلب، قال تعالى:

﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾

فصور الله – تعالى – الغيبة بأكل الميتة لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحى لا يعلم بغيبته ممن اغتابها، ولننظر بعد تصوير الرسول ﷺ للغيبة: روى أبوهريرة – رضى الله عنه – أنه حين جاء ماعز إلى النبى ﷺ فشهد على نفسه بالزنا فرجمه الرسول ﷺ فسمع نبى الله رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر: انظر إلى هذا الذى ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلاب، فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: «أين فلان وفلان»؟ فقالا: نحن يارسول الله، قال: «انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، فقالا: يانبى الله ومن يأكل هذا؟ قال: فما نلتما من عرض أخيكما أشد من الأكل منه، والذى نفسى بيده إنه لفى أنهار الجنة ينغمس فيها»[١٤]!!

وحكم الغيبة: أنها من الكبائر، قال رسول الله ﷺ «دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»[١٥]. واتفق العلماء على أنها من الكبائر تجب التوبة إلى الله منها، واختلفت الآراء هل يستحل المغتاب أم لا؟!

١- فقال بعض العلماء: ليس عليه استحلاله، وإنما هى خطيئة بينه وبين ربه، واستدل أصحاب هذا الرأى بأنه لم يأخذ شيئا من ماله، ولا أصاب من بدنه ما ينقصه فليس فى ذلك مظلمة يستحلها منه وإنما المظلمة ما يكون فى المال والبدن.

٢- وذهبت فرقة أخرى: إلى أن الغيبة مظلمة، وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذى اغتابه، واستدلوا على ذلك بما روى عن الحسن: كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته.

٣- وذهبت فرقة ثالثة: إلى أن الغيبة مظلمة، وعلى صاحبها الاستحلال منها، واستدلوا على ذلك بما أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون له دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[١٦].

والذى نرجحه: هو الرأى الثالث القائل بأن على الذى اغتاب الاستحلال من غيبته لحديث البخارى، فهو يدل على التحليل، وحديث الرسول ﷺ هو الحجة والبيان الصحيح ولأن التحليل كذلك يدل على التعاطف والتراحم وهو من قبيل العفو قال تعالى:

---

(١٤) رواه أبو داود.

(١٥) رواه البخارى ومسلم.

(١٦) رواه أحمد والبخارى.

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(١٧).

اللهم إلا إذا ترتب على الاستحلال خطأ شديد، ومخافة أن يجر إلى اندلاع فتنة كبرى فإنه حينئذ يمسك عن الاستحلال حتى يواتيه الوقت الملائم له ويقول بالتوبة والاستغفار لأخيه.

وأما الرأيان الثاني والأول: فنرى أن أصحاب الرأى الأول ينفون الاستحلال متعللين بأنه لم يصب مالا ولا بدنا فليس فى ذلك مظلمة، والحق: أن إجماع العلماء منعقد على أن على القاذف للمقذوف مظلمة بأخذه بالحد حتى يقيمه عليه، وذلك ليس فى البدن ولا فى المال، فهذا دليل على أن الظلم فى العرض والبدن والمال، وأما الرأى الثانى القائل: أنها مظلمة يستغفر لصاحبها ففيه تناقض لأن قولهم «مظلمة» يثبتون ظلامة المظلوم وإذا ثبتت لم يزلها عن الظالم إلا إحلال المظلوم له، وهذه الأحكام سارية فى سائر المظالم. وأما صاحب الهوى والفاسق المعلن فسقه والإمام الجائر فكل هؤلاء لا غيبة فى حقهم فإن من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له، بل إن ذكرهم بما هم عليه يحذر ويكشف عوارهم.

قال رسول الله ﷺ: «اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس»(١٨) وإذا كانت واجبات الأخوة فى الدين تقتضى تكريم المؤمن ونفى كل الرذائل عن دائرة نفسه ومجتمعه، وتحتم احترام المسلم لأخيه، ومساعدته له وعدم التعرض بما يسيئه فى نفسه أو ماله أو عرضه.

إذا كانت هذه وغيرها من أسمى المبادىء لتكريم الإنسان المسلم فإن الله - تعالى - قد وسع دائرة هذه الأخوة فلم يجعل للأسرة الإسلامية حدودا تحدها قرابة أو نسب أو زمان أو مكان أو بيئة أو مجتمع بل أن الإسلام فتح أمام أتباعه آفاق التعارف والتآلف.

واستهدف من وراء جعله لهم شعوبا وقبائل التعارف المثمر الذى يكمل بعضهم بعضا فى إطاره المشرق.

ولم يجعل من اختلافهم فى اللون أو اللغة أو المال أو القوة سببا للتمايز والتعاظم، فنفى أن تكون هذه الأسباب أصولا للتكريم أو قواعد للتعظيم، وإنما جعل المعيار الحقيقى الذى توزن به منازلهم منحصرا فى شىء واحد هو «تقوى الله»..

قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١٩).

---

(١٧) سورة الشورى آية (٤٠).

(١٨) رواه ابن أبى الدنيا وابن عدى والطبرانى.

(١٩) سورة الحجرات آية (١٣).

انتشار الإسلام بحد السيف
بين الحقيقة والافتراء

تأليف
د/ نبيل لوقا بباوى

٣

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

بتأملاته المتأنية والمتعقلة.. استعرض الدكتور نبيل لوقا أبرز الأحداث والمعارك التى وقعت فى حياة الرسول محمد ﷺ، بحثا عن دور السيف فى انتشار الإسلام، فما عثر على أى أثر للسيف فى نشر الإسلام، بل وجد السيف مقصوراً على الدفاع عن النفس، أو الدفاع عن الأرض، أو درء التحالف على العدوان، أو مجازاة نقض العهود.

وفى أثناء تلك التأملات التفت الدكتور إلى ما ارتكز عليه بعض المستشرقين فى أمر الجزية، حيث موهوا حقيقتها، وجعلوها وسيلة إكراه على الدخول فى الإسلام، فرأى الدكتور أن الجزية لم تكن وسيلة إكراه، ولا أسلوب عقاب ينزله المسلمون بمن لا يعتنق الإسلام، ولكنها كانت ضريبة دفاع وطنى، تفرض على كل من يستطيع حمل السلاح، إذ سماحة الإسلام وعدالته اقتضت أن لا يفرض على المعاهدين من غير المسلمين الانضمام إلى الجيش الإسلامى، حتى لا يفرض على غير المسلم أن يدافع عن الدعوة الإسلامية، ولكن عليه أن يقدم قدراً من المال يناسب حالته المالية فى مقابل تأمينه، والمحافظة عليه.

ثم التفت إلى دعوى محدودية الإسلام، وزعم أنه مقصور على العرب، فرأى على ضوء تأملاته: أن الأدلة الواقعية والعقلية، والنصوص القرآنية تقرر - فى وضوح وجلاء لا ينكره إلا ضال أو مضلل - عالمية الإسلام وعموميته.

وحروب الردة لم تكن إكراها على الإسلام

وبوفاة الرسول ﷺ، وتولى أبى بكر -رضى الله عنه- خلافة رسول الله ﷺ انتقل الدكتور نبيل بتأملاته إلى ما ووجه به الحاكم الجديد من مشكلات، بحثاً عن الكيفية التى عالج بها تلك المشكلات، فرأى أن أخطر مشكلة فاجأت الصديق كانت مبادرة كثير من القبائل العربية بالارتداد عن الإسلام، أو رفض فريضة الزكاة، أو محاولة الانفصال عن القيادة المركزية فى المدينة المنورة، فلما انتفض الخليفة فى حزم وحسم لمقاومة هذا... عدَّه بعض المستشرقين إكراها من الصديق للناس على الإسلام.

ولكن تأملات الدكتور نبيل فى الأحداث التى وقعت فى شبه الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول ﷺ هدته إلى: أن تلك الأحداث كانت متباينة، وإن كانت متفقة فى الخروج على السلطة المركزية فى المدينة، وأن السبب الذى أدى إلى ذلك كله يرجع إلى أن غالبية القبائل العربية لم يمض على دخولها فى الإسلام أكثر من عامين اثنين، لم تستطع فى أثنائهما التخلص من تسلط الزعماء والسادة السابقين، ولم يستطع هؤلاء الزعماء والسادة التخلص من حب السيطرة والتسلط الذى هيمن عليهم أزمانا طويلة، ولم يستطع هؤلاء وأولئك أن يتخلصوا من فكر الجاهلية ومعتقداتها.

وإن بعض القبائل كانت تعتقد أن ارتباطها بالدولة الإسلامية ليس ارتباطا بدولة مركزية، وإنما هو ارتباط بشخص محمد ﷺ، قائم على الإعجاب به، أو على التهيب منه، فلما توفى ﷺ حاولوا الانفصال عن الدولة الأم، والتمرد عليها لتكوين دولة خاصة، حتى إن بعض تلك القبائل - حين علموا بوفاة الرسول ﷺ، وضعف جيش المسلمين الموجود فى المدينة لخروج أسامة بن زيد بقوات المسلمين إلى الشام - طمعوا فى مهاجمة المدينة، وغزوها للتخلص من سلطة قريش.

وإن بعض القبائل - وإسلامها حديث - لم تكن على وعى بحقيقة الزكاة المفروضة على المسلم،

فكانت تظن أن الزكاة دليل تبعية، فإيتاء الزكاة مرتبط بمحمد ﷺ ووجوده، فلما توفى الرسول ﷺ خرجوا من تلك التبعية، فطردوا عمال الزكاة الذين كان محمد ﷺ قد عينهم، وأعلنوا رفضهم تقديم الزكاة.

وأن ارتداد بعض القبائل لم يكن عودة إلى الوثنية، ولكنه كان انخداعا فى أناس ادَّعوا النبوة، وتعصبوا لهم.

فلم يكن أمام أبى بكر - رضى الله عنه - خليفة محمد ﷺ إلا أن يواجه تلك التحركات المتمردة بالحزم الحاسم، ليحافظ على هيبة الدولة، وليقضى على تلك الفتنة فى مهدها، من غير هوادة ولا تردد.

فحروب الردة - كما أطلق على تلك الحروب - لم تكن لنشر الإسلام بحد السيف، ولكنها حروب قصد بها الحفاظ على وحدة الدولة الإسلامية، فقد نشبت بسبب تمرد بعض القبائل على الحكومة الجديدة، ونقض بعضها للعهود والمواثيق المبرمة بينها وبين الرسول ﷺ قبل وفاته.

وما صنعه أبوبكر مع هؤلاء المتمردين والمنشقين هو نفسه الذى تصنعه اليوم أى حكومة مركزية فى العالم مع من يتمرد عليها، أو يخرج على النظام العام فيها.. فلا صلة لذلك بنشر الإسلام كما يزعم المستشرقون ويتوهمون.

بل إن أبا بكر لو لم يصنع ذلك لكان غير جدير بتولى منصب خليفة محمد ﷺ، ولما استحق أن يختاره المسلمون خليفة لرسول الله ﷺ، ولا استحق أن يبايعه المسلمون على القيام بأعباء الدولة، والحفاظ عليها، والإبقاء على توازنها.

وحرب الفرس والروم

وواصل الدكتور نبيل تأملاته الجادة المتأنية، فالتفت إلى ما حدث بعد أن استعاد الصديق هيبة الدولة، وكبح جماح المتمردين وناقضى العهود والمواثيق، فوجد أن الصديق - رضى الله عنه - لم يكد يستنشق أنسام الاستقرار، ويفرغ لأمر الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة - حيث بدأ بتشكيل لجنة لجمع القرآن الكريم فى مصحف واحد - حتى جاء أحد قواد القبائل العربية فى العراق - وهو المثنى بن حارثة الشيبانى - ممثلا لقبائل بنى بكر، وبنى شيبان، وبنى محجل، معلنا إسلام تلك القبائل، وطالبا من الصديق مساعدتهم فى الخلاص من سيطرة الفرس واستعمارهم إياهم، فلم يستطع أبوبكر إلا تلبية طلبهم، والنهوض لمعاونتهم ومناصرتهم، فأرسل خالد بن الوليد على رأس ألفين من المسلمين إلى العراق، وانضم إليهم ثمانية آلاف من قبائل ربيعة ومضر، وفى البصرة انضم إليهم سائر القبائل العربية التى طلبت الدعم بزعامة سويد بن قطبة، فانتهت المعركة بهزيمة الفرس، وفرار قائدى الجيش الفارسى.

ومع محاولة الفرس استعادة هيبتهم، واسترداد مستعمراتهم... توالت الحرب بين الفرس والمسلمين، وكلما هزم الفرس فى موقعة انسحبوا ليتجمعوا من جديد فى محاولة لاسترداد هيبتهم، ولكن الهزائم ظلت تلاحقهم، حتى إذا ما تم خضوع بلاد الفرس جميعها لسلطان المسلمين، وظن المسلمون أنهم مقدمون على مرحلة من الاستقرار ليتفرغوا لأمر الدعوة.. فوجئوا بتحرك الروم فى الشام بجيش كبير يزيد على مائة ألف مقاتل، ظناً منهم أن

المسلمين قد أرهقتهم حروب الفرس، وأن الفرصة أصبحت مهيأة لهم ليوقعوا بالمسلمين هزيمة يتمكنون بها من الاستيلاء على بلاد العرب وبلاد الفرس معاً، فاضطر أبوبكر لتجميع القوات الإسلامية في جيش واحد، بقيادة خالد بن الوليد، الذى تمكن من إحراز الانتصار الحاسم على القوات الرومية فى موقعة اليرموك، فتنفس عرب الشام وعرب العراق أنسام الحرية، ومن لم يدخل فى الإسلام منهم دخل فى عقود الأمان مع المسلمين التى ضمنت لهم حرية مباشرة عقائدهم الدينية، وكفالة العيش، والتأمين عند العجز والشيخوخة والفقر، حيث أصبحوا من رعايا الدولة الإسلامية، التى التزمت بأن تكون مسئولة عن كل رعاياها.

وعندما توفى الصديق.. حاول الفرس من جديد أن يستعيدوا سلطانهم على ما كان خاصاً لهم من بلاد العرب، فاضطَّروا المسلمين ثانية إلى معاودة حربهم، ودفعهم عن بلاد العرب، وحماية من دخلوا فى عهدهم وذمتهم من عرب البلاد العراقية، وانضم إلى القوات الإسلامية بعض القبائل العربية النصرانية، حيث كانت معركة القادسية التى انتهت بهزيمة الفرس.

وقد صنع الروم ما صنعه الفرس من معاودة الكرة على المسلمين فى بلاد الشام التى أخرجوا منها، ولم يتوقف الفرس والروم عن محاربة المسلمين إلا بسقوط دولتيهما.

ومن تأملات الدكتور نبيل تبين أن انتصار المسلمين فى موقعة اليرموك وأجنادين كان وراء احتفال جميع مدن الشام بانتصار المسلمين على الروم، فبعد أن قارنوا بين عدل المسلمين - فى تعاملهم، وأسلوب حياتهم الملتزم بالجد والزهد والتقشف - وبين ظلم الروم البيزنطيين فى فرض الضرائب الباهظة عليهم، وحياتهم المفعمة بالفساد واللهو.. جنحوا إلى الدخول تحت عباءة الدولة الإسلامية عن اقتناع.

وتبين أن مما سهل على العرب فتح ولايات الدولة الرومانية الشرقية البيزنطية.. ما كان بين أهل هذه الولايات وبين العرب المسلمين من صلة الجنس، وتقارب اللغة، وصلات التجارة.

بينما كانت علاقة هذه الولايات العربية بتلك الدولة الرومانية لا تخرج عن علاقة العبد بالسيد، خصوصاً فى ظل الحكم الرومانى الجائر الذى يعتمد على العنف، وفرض الضرائب الباهظة التى تثقل كاهل الناس، والذى يغذى الانقسامات الدينية ذات التعصب الأعمى.

فلم يكن أمام أهل تلك الولايات إلا أن يرحبوا بحكم العرب المسلمين الذى خلصهم من الحكم الرومانى الجائر، واستبداد الكنيسة البيزنطية فى فرض اعتقاداتهم اللاهوتية عليهم بقوة السلاح، على الرغم من مخالفتها لاعتقادات هؤلاء العرب اللاهوتية المسيحية.. فى حين وجدوا أن المسلمين يبيحون لغير المسلمين من يهود، ومسيحيين، وزراد شتيين، وصابئة - أن يتدينوا بما يرضيهم وما يرضونه لأنفسهم من دين، ويسمحون لهم أن يمارسوا طقوسهم الدينية بحرية، ويتولون تأمينهم وحمايتهم فى مقابل دفع الجزية.

وساعد على الترحيب بالعرب المسلمين.. ما آل إليه أمر الدولة الرومانية فى ذلك الوقت من ضعف وانحطاط نتيجة الثورات والفتن التى انتشرت فى أواخر عهد (جستنيان) إلى وفاة هرقل.

المصريون بين الروم الكاثوليك والعرب المسلمين

ولم يغب عن الدكتور نبيل أن يرصد – فى هذا السياق – موقف الشعب المصرى القبطى المسيحى الأرثوذكسى من الروم البيزنطيين، فرأى كيف كان هذا الشعب يعانى من شدة الفقر، والاضطهاد الدينى فى ظل سيطرة الإمبراطورية البيزنطية، حيث كانوا يفرضون عليهم الضرائب الباهظة، ويستولون على الحاصلات الزراعية لإرسالها إلى بيزنطة، وكيف كانوا يبغضون المصريين بسبب عنادهم ورفضهم الدخول فى المسيحية الكاثوليكية، وإصرارهم على البقاء على مسيحيتهم الأرثوذكسية.

ودعم رؤيته تلك بذكر الصورة التى رسمها المؤرخ (ملن) فى كتابه (تاريخ مصر فى عهد الرومان) حيث قال: إنهم فرضوا ضرائب على الرءوس من الأقباط – أى على كل نفس حية – وعلى الحيوانات، والمنازل. وأكثر من ذلك فرضوا ضرائب على الأثاث الموجود داخل المنازل، بالإضافة إلى الضرائب العادية، بل لقد فرضوا ضرائب على الموتى، بحيث لا يدفن ميت، ولا يصرح بدفنه إلا إذا دفع أهله ضريبة الموتى.

ولذلك.. سارع المقوقس حاكم مصر إلى توقيع معاهدة الأمان مع عمرو بن العاص، حيث فر البيزنطيون إلى الإسكندرية، ثم أجبروا على الخروج منها عائدين إلى بلادهم.

وحظى المصريون – مع تلك المعاهدة التى كفلت لهم أمان الإسلام – بتلك الخصوصية التى صرح بها محمد ﷺ فى أحاديث عديدة، منها: ما روته أم المؤمنين، أم سلمة – رضى الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال عند وفاته: «الله فى قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعواناً فى سبيل الله»[١]، وما روى عن أبى عبدالرحمن الجبلى أن رسول الله ﷺ قال: «فاستوصوا بهم – يعنى قبط مصر – خيراً، فإنهم قوة لكم، وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله»[٢]، وما روى عن كعب بن مالك الأنصارى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً»[٣].

وفى مقابلة هذه الصورة المبهجة قدم الدكتور إجمالا لصورة المصريين تحت حكم الرومان البيزنطيين، حيث رأى ما أنزله هؤلاء الرومانيون بالمصريين المسيحيين منذ سنة ٦٨م من اضطهاد وتعذيب تشيب لهوله الولدان، فكانوا يلقونهم فى النار أحياء، أو يكشطون جلدهم بآلات خاصة، أو يغرقونهم فى الزيت المغلى، أو يصلبونهم ورؤوسهم منكسة إلى أسفل ويتركونهم أحياء على الصليب حتى يهلكوا جوعا... إلى غير ذلك من وسائل التعذيب التى صبت على أكثر من مليون مسيحى، والتى ذكر منها الدكتور نبيل طائفة منها، والتى كانت سبباً فى تسمية تلك المرحلة (عصر الشهداء).

ولذلك لم يكن غريباً ولا شاذاً أن يتنفس المصريون الصعداء، ويستشعروا الراحة والأمان والحرية فى ظل العهد الإسلامى الذى كفل لهم الحياة

---

(١) الطبرانى ٦١/١٩.

(٢) مجمع الزوائد ٦٣/١٠.

(٣) السيوطى (طب ك) عن كعب بن مالك.

الإنسانية الحقة، الخالية من القلق والاضطهاد والخوف، والمعاناة المرهقة.

فالمسيحيون - فى مصر - الذين تلقوا أشكال العذاب بكل صنوفه على يد الرومانيين المسيحيين الكاثوليك.. هم أنفسهم الذين أظلهم المسلمون بالحماية والأمان، والحرية العقدية، والفكرية، حيث أصبح لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، فانطلقوا يمارسون عباداتهم، ويجددون كنائسهم، ويضيفون إليها ما يحتاجونه من كنائس جديدة.

وبلغ التسامح والمساواة الإسلامية أعلى درجاته.. حين ضرب ابنُ عمرو بن العاص ابنَ القبطى بالسوط قائلاً: «أنا ابن الأكرمين»، فلما ذهب أبوه إلى عمر ابن الخطاب فى المدينة شاكياً، استدعى الخليفة عمرو ابن العاص وابنه من مصر، وأعطى السوط ابن القبطى، وقال له: «اضرب ابن الأكرمين» ثم استدار إلى عمرو قائلاً: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!»

ليت كاثوليك باريس أفادوا من سماحة الإسلام

والتفت الدكتور نبيل إلى أن هذه الانتصارات المتوالية لم تخدع المسلمين، فلم يستسلموا لنشوة الانتصارات، ويفرضوا الإسلام على غير المسلمين، ليقينهم أن ذلك يخالف أحد مبادئ الإسلام الأصيلة، فليس فى مقدور أى قائد من المسلمين أن يخالف نصوص القرآن فى أى زمان، وأى مكان.

وأن الإسلام لم يحاول إفناء أصحاب الديانات الأخرى، أو إرغامهم على الدخول فى الإسلام بالإكراه.. على عكس ما صنعته الكنيسة الكاثوليكية - بعد ذلك بزمن طويل - مع البروتستانت، فحينما ظهر المذهب البروتستانتى فى أوروبا على يد (مارتن لوثر) قاومت الكنيسة الكاثوليكية أتباع هذا المذهب بكل ما أوتيت من قوة، وعرف تاريخ الاضطهاد بين الكاثوليك والبروتستانت مذابح بشرية رهيبة، من أهمها مذبحة باريس فى ٢٤ من أغسطس سنة ١٥٧٢م، حيث استضاف الكاثوليك قادة البروتستانت فى باريس للبحث فى تسوية تقريب وجهات النظر بين الكاثوليك والبروتستانت، فما كان من الكاثوليك إلا أن سطوا على ضيوفهم البروتستانت فى ظلمة الليل وقتلوهم جميعاً، حتى جرت دماؤهم فى شوارع باريس، وبدلا من استنكار هذه الجرائم.. انهالت التهانى على (تشارلز) التاسع ملك فرنسا من بابا الفاتيكان، ومن ملوك الدول الكاثوليكية على نجاح هذه المجزرة البشرية.

ولكن المستشرقين يأبون إلا الاستسلام لتعصبهم العنصرى الأعمى، ويغمضوا أعينهم عن سماحة المسلمين فى تعاملهم مع مخالفيهم فى الدين، ويغمضوا أعينهم، ويصموا آذانهم عن غدر الكاثوليك بأهل ملتهم، ووحشية صنيعهم مع من ذهب من المسيحيين مذهباً يخالفهم.

مجتمع السماحة والأمان

ولو أن هؤلاء المستشرقين جردوا أنفسهم من الغرض الجائر، وتخلصوا من التعصب الأعمى... لرأوا أن المجتمع الإسلامى مجتمع يقوم على عقيدة وفكرة أيديولوجية خاصة بها، ينبثق نظمه وأحكامه من هذه العقيدة - أو الفكرة الأيديولوجية - وهى الإسلام. وهذا معنى تسميته بالمجتمع الإسلامى، فهو مجتمع اتخذ الإسلام منهاجا لحياته، ودستورا لحكمه، ومصدراً لتشريعه فى كل شئون الحياة.

ومن أهم أسس الإسلام فى مجتمعه.. أن يضم هذا المجتمع المسلمين وغير المسلمين، وأن تقوم العلاقة بين عناصر هذا المجتمع - مسلمين وغير مسلمين - على التسامح، والعدالة، والبر، والرحمة، والمحبة... دون أن يكون للاختلاف فى الدين، أو فى الفكر، أو فى المذهب، أو فى الجنس، أو فى اللون أى أثر فى تلك العلاقة، تحت شعار كبير واضح محدد، له مصداقيته:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾(٤).

وهذه العلاقة التى جعل منها الإسلام حبلا يعتصم به كل عناصر المجتمع.. تجاوزت النظرية إلى التطبيق العملى، حيث قامت عليها العلاقة بين عناصر المجتمع الإسلامى المختلفة، وبدت واضحة فى سلوك عمر بن الخطاب يوم فتح بيت المقدس، حيث شارك أهل الكتاب مآكلهم، ولم يتحرج من أكل ذبائحهم ولا من مصاهرتهم، والتزوج من نسائهم المحصنات، ولا من مخالطتهم والحياة معهم فى مودة ورحمة، حتى لقد كان - رضى الله عنه - يسأل الوافدين عليه من الأقاليم عن حال أهل الذمة، خشية أن يكون أحد المسلمين قد أفضى إليهم بأذى، فيقولون له: إنهم يعاملون بمقتضى العهد والعقد الذى بينهم وبين المسلمين.

وقد وضح ذلك بينا فى كتب الفقه الإسلامى، فذكر ابن عابدين المتوفى سنة ١٨٣٦م: «إن ظلم الذمى أشد من ظلم المسلم إثما»، وعلل ذلك بأن ظلم القوى للضعيف أعظم فى الإثم.

ولا ريب فى أن أمثال هؤلاء الأئمة - فيما قرروه - يترسمون خطى الرسول ﷺ فيما قرره فى قوله: «من آذى ذميا فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله»(٥).

ويتساءل الدكتور نبيل قائلاً: فأى حماية لأصحاب الديانات الأخرى تضارع تلك الحماية؟!

ويواصل مقرراً: تلك هى سماحة الإسلام، تكفل لأصحاب الديانات الأخرى من الحماية ما لم يكفله أى قانون أو مذهب آخر، وهذا يعنى: أن لا عبرة بما قد يصدر من بعض المنتسبين للإسلام من ممارسات تخالف ما جاء به الإسلام، فهؤلاء - فى ممارساتهم التى تسيئ إلى أهل الديانات الأخرى - لا يختلفون عن ذلك الذى ينتسب إلى الإسلام ويمارس من الرذائل ما نهى عنه الإسلام من معاقرة الخمر، وأكل مال الآخرين بالباطل.. إلى غير ذلك من المحرمات الإسلامية.

فالإسلام كما يبرأ من هذه يبرأ من تلك، ولا يصح بأى حال نسبة مثل تلك الممارسات إلى الإسلام، ولا أخذ جمهور المسلمين بها.

ولم يغب عن الدكتور نبيل أن يسلط تأملاته الجادة على ما أصاب الأمة الإسلامية من تمزق فى أخريات عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، فوجد أن السبب فى ذلك يرجع إلى ما بثه شياطين الإفك، وجماعة المنافقين من فتن جرّت جمهور المسلمين إلى خلافات سياسية أو مذهبية لا تمت إلى الإسلام بأى صلة.. شغلت الكثيرين منهم عن مواصلة الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة

---

(٤) البقرة (٢٥٦).

(٥) أخرجه السيوطى عن ابن مسعود بلفظ: «من آذى ذميًا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة».

الحسنة،والمجادلة بالتى هى أحسن، بل فعلت فعلها فى تقطيع أواصر العلاقات الوثيقة بين المسلمين بعضهم مع بعض. مما أطمع الروم المقيمين بالإسكندرية، فأرسلوا إلى الإمبراطور (قسطنطين بن هرقل) يهونون عليه فتح الإسكندرية، فأرسل جيشاً بيزنطياً استولى على الإسكندرية، ففزع الأقباط الأرثوذكس من ذلك، وخشوا أن يعود الروم بويلاتهم إلى مصر، فيقعوا فريسة الاضطهاد والانتقام، والقهر الذى طالما عانوا منه، فأرسلوا إلى عثمان بن عفان يستنجدون به، راجين أن ينقذهم من بطش الروم الكاثوليك، فأرسل عمرو بن العاص على رأس جيش استطاع به أن يدحر الروم، ويوقع بهم هزيمة منكرة، اضطرتهم إلى الفرار من الإسكندرية ثانية.

من كل ما يقطع: أن الأقباط الأرثوذكس فى مصر كانت مصلحتهم وأمنهم فى التعايش مع العرب المسلمين، وليس مع الروم المسيحيين الكاثوليك الذين أذاقوهم شتى ألوان العذاب.

وأن المسلمين - بإسلامهم - ما جنحوا إلى الحرب إلا دفاعاً عن النفس، أو عن الأرض، أو عن الدعوة، موقنين أن مبادئ الإسلام وسماحته كفيلة بإغراء الناس على الدخول فيه، دون الحاجة إلى القهر والإكراه بالسيف أو بغير السيف.

أقربهم مودة للذين آمنوا

وبعد... فالكتاب كلمة حق، نطق بها رجل مسيحى أرثوذكسى، على أعلى مستوى ثقافى وفكرى، دفعه اعتزازه بمسيحيته أن يعلنها، فى وقت تداعت القوى السياسية الغربية لتحمل الإسلام وزر أحداث الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م، وتوالى صراخ شياطين الفتن من هنا وهناك، تعلن - بكل وسائل الدعاية والإعلان - أن الإسلام دين عنف، يحرض معتنقيه على العنف، حقدا على الحضارة الغربية الحديثة، وبغضاً لها، وتدعم هذه الدعاوى الباطلة بالزعم الاستشراقى القائل: إن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف.

وكأنى بالرجل - وقد بذل هذا الجهد فى النظر والتأمل والبحث والتحليل ليقف على حقيقة الإسلام فى ماضيه وحاضره - تفسيراً لقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(٦).

فاعتزاز النصرانى بمسيحيته، وتمكنه من مبادئها، وإخلاصه نفسه لها، يقيه خطل الجهل، ويمنحه القدرة على البحث عن الحقيقة، والقوة على إحقاق الحق وبسطه، مهما كلفه ذلك من عنت المتعصبين، وكيد الكائدين.

وهذا... الذى يعلنه ذلك الكتاب - فى مضمونه، ومسيرة البحث فيه، والتزام الجدية المحايدة فى نظراته - فلم يدفعه التعصب لأهل ملته إلى التزوير والتزييف والمغالطة التى تسود كتابات الكثرة من المستشرقين، فكان قوّاما بالقسط، شهيدا به.

بيد إن النظر الناقد للكتاب يلفتنا إلى بعض الهنات التى أرجوا أن يتلافاها الأستاذ الدكتور فى

---

(٦) المائدة (٨٢).

طبعته التالية، إذا اقتنع بها، كى تصح بها عباراته، كما صحت مضامينه.

وكان من أبرز تلك الهنات:

١- كثرة الأخطاء المطبعية والنحوية التى قد تجهد بعض متلقى الكتاب، وتعكس المقصود بالعبارة، مثل عبارة: «وهل كان لأصحاب الديانات الأخرى خيارات فى عدم دخول الإسلام أما أن الإسلام يفرض بحد السيف» ص٢٩، ولا ريب أن المقصود (أم)، وليس (أما).

ومثل: «ومنطقة الحجاز بها أهمُّ قريتان، مكة ويثرب» ص٣٤، والمراد: أهمُّ قريتين،

ومثل: «سالمت المسلمين، وتعهدت أن تكون عونا لهم، وأن تقاتل معهم فى معاركهم شريطة ألا تأخذ الجزية» ص١٣٨، والصواب: شريطة ألا تدفع الجزية.

ومثل: «روى ابن أبى شيبة عم جابر بن يزيد» ص ١٣٩، والصواب: روى ابن شيبة عن جابر.

٢- كثرة الأخطاء فى أسماء الأعلام مثل: «النعمان بن مقرت» ص١٣٤، ص١٣٦، والصواب: النعمان بن مقرن.

ومثل: «مدينة جولاء» ص١٣٥، والصواب: جلولاء.

ومثل: «عياض بن غنيم» ص١٣٥، والصواب: عياض بن غنم.

ومثل الخطأ فى انتماء قاتل عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حيث جاء فى ص١٣٩: «لقد طعن الخليفة عمر بن الخطاب من أحد الرجال المسيحيين من أهل الذمة... هو أبولؤلؤة المجوسى»، ولا ريب أن الصواب: من أحد الرجال المجوسيين.

٣- ورد بالكتاب ترتيب الخيارات التى يبذلها المسلمون لأعدائهم على النحو التالى: «إما القتال، أو الإسلام، أو الجزية» ص١٢٨، وتكرر ذلك فى مواطن عديدة من الكتاب، مثل ص١٣٤، ص١٣٧، ص١٤٠، ص١٤٧، ص١٥٢، ص١٦١ والصواب أنها: الإسلام أو الجزية أو القتال، على ما رواه الإمام الشيرازى، عن بريدة - رضى الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرا على جيش أو سرية قال: «إذا أنت لقيت عدوا من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال، فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم: ادعهم إلى الدخول فى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم... وإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن فعلوا فاقبل منهم وكف عنهم، وإن أبوا فاستعن بالله عليهم، ثم قاتلهم»(٧).

وقد علق الإمام الشيرازى على ذلك قائلا: وذلك تنبيه إلى أن المسئولية تحتاج إلى التبليغ أولاً، فتبليغ الدعوة لابد من أن يسبق القتال، مصداقا لقوله تعالى:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(٨).

وأيا ما تكن قيمة هذه الهنات، فهى هنات لا تؤثر فى قيمة الكتاب وأهميته، ولا تنتقص من إخلاص الدكتور نبيل وحياديته، ولولا حرصى على تخليص الكتاب من الشوائب لأغمضت العين عنها: لأن عين الناقد بصيرة، ولا أملك إلا أن أهنئ الدكتور نبيل على إفادته من عقليته العلمية، وصفاء نفسه، وترفعه على الأغراض العنصرية.. تلك التى قادته إلى هذه النتائج المتجردة عن التعصب الأعمى البغيض، وارتفعت به عن التكبر والمكابرة الضالة.

---

(٧) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الجهاد رقم (٣).

(٨) الإسراء (١٥).

الأمة الحضارية بين التأصيل العلمي والتضليل التحريفي!!

للدكتور / عبد الحليم عويس

● فى موجات التّية ينقلب الظلام نوراً، والنور ظلاماً، ويصبح المحتلّ صديقاً، والأصيل المنتمى غريباً وشاذا ومحروماً.. إن لم يكن مرفوضاً، وتنقلب المفاهيم والدلالات.

● وكان من أكبر مظاهر التّيه والضياع ما حاوله بعضهم من محاولة الاحتفاء والاحتفال بالحملة الفرنسية التدميرية على مصر سنة ١٧٩٨م.. والزعم بأنها بداية التحديث والعلمنة والتطور!!.. نعم التحديث بوضع سليمان الحلبى على الخازوق، ونشر الفساد بل والانحلال الرسمى بين سيدات المجتمع، ومداهمة الأزهر بالخيول، وقهر العلماء والوطنيين، وإشاعة الفرقة الطائفية بين أبناء الوطن الواحد.. إلى غير ذلك من صور التدمير الفرنسية المعروفة فى كل البلاد التى وقعت فريسة الاحتلال الفرنسى البغيض!!

● وإذا علمنا أن كثيرا من أمراضنا الحضارية المعاصرة، وكثيرا من معاركنا الداخلية بين شرائح المفكرين والمثقفين تعود إلى ضباب الرؤية، وعدم تحديد المصطلحات تحديداً علمياً، ومحاولة كثير من المغتربين عن دين الأمة وحضارتها أن يتلاعبوا بالمصطلحات، وأن يروجوا لها ترويجاً مبتذلاً دون ضبط وتقنين، وأن يقدموا- فى كثير من الأحايين. المصطلحات بطريقة تدميرية لا صلة لها بحقيقة المصطلح ولا تأثيره الموضوعى.. إذا علمنا ذلك تأكدّ لنا أن الجهد الذى سوف نبذله مهما كان كبيراً يستحق أن تضحى فى سبيله بالكثير.. وهذا الجهد يتصل بضرورة ضبط المصطلحات ضبطاً معجمياً ومجمعياً معاً.

● لقد أصبحت مصطلحات مثل (النهضة) و(التقدم) و(الحداثة)- أو (التحديث)- أو (العصرية) و(التنوير)- أو (الحضارة)... تستعمل بإسراف من العامة أو المزوّرين لحضارة

أمتهم من أنصاف المثقفين، وذلك دون ضبط وتحديد، بل ربما استعملوها على غير بابها وفى عكس حقيقتها..

● وقد أصبحت كلمات مثل (التغريب) أو (العلمنة) أو (الكونية) أو (الأورْبة) ومثلها (الأمركة) تساق وكأنها (قيم محايدة) يمكن أن تطبق على كل الناس، شأنها شأن قوانين الجبر والهندسة دون النظر إلى الاعتبارات الخصوصية أو القسمات الحضارية التى ترتبط بكل أمة ارتباط تاريخ ووجود.

– وكل ذلك قد أدخل أمتنا فى نهاية القرن العشرين، وبداية الألفية الثالثة فى مرحلة يمكن أن نسميها التضليل الاصطلاحى والتزوير فى الفقة الحضارى..

●●●

● لقد كان التضليل الاصطلاحى والتزوير فى الفقة الحضارى أو ما يمكن لنا تسميته بقضية (خداع المصطلحات) من أكبر المعابر التى استطاع خصوم عقيدتنا وحضارتنا– أن ينفذوا منها، إلى تضْليل مسيرتنا، وتبديد طاقتنا، وإرباك خطواتنا على درب الإقلاع الحضارى.

– ومن العجيب أن هذا التضْليل– أو الخداع– يساق هكذا بطريقة تبدو عفوية وتلقائية– وكأنه مسلمة من المسلمات، أو كأنه غير قابل للاعتراض، وليس فى حاجة إلى التحليل والتعميق!!

● وبالطبع فكثيرا ما تكون الصحف اليومية أو المجلات الأسبوعية أو الدورية، أو الكتب– غير العلمية أو الأكاديمية والأجهزة الإعلامية هى المجال الخصب لهذه الجراثيم الخداعية الاصطلاحية التى تنفذ إلى عقول الناس– مع اختلاف مستوياتهم الثقافية– ومع انعدام الحصانة الفكرية لدى أكثرهم..!!

– وبعدّ (المجال التاريخى والحضارى) من أهم المجالات التى توجه إليها جهود كبيرة من التضليل والخداع التى يتنفس الناس هواءها، وتزكمهم روائحها فى كل يوم على المستوى الإعلامى والفكرى!!

● وكما ذكرنا سلفاً فإن كلمات مثل (التحديث) و(التقدم) و(التحضّر) و(النهضة) و(السلام) تستعمل بامتهانٍ شديد، ودون وعى بحقيقتها، أو فحص دقيق لمدلولاتها الاصطلاحية الدقيقة!!

– وفى جريدة الأهرام القاهرية كتب الأستاذ (غالى شكرى) سلسلة مقالات تحت عنوان: «قرن من التحديث»، مع أن كل ما فى مقالاته لا علاقة له بالتحديث، بل هو ضّد التحديث والإقلاع الحضارى الصحيح الذى بحثه وكتب فيه (كلّ) فلاسفة التاريخ، بدءاً من ابن خلدون، وانتهاءاً بأرنولد توينبى واشبنجلر ومالك بن نبى(!!)..

– إن الكاتب لم يفعل سوى أنه قام بالخداع المصطلحى فوضع مصطلح (التحديث) مكان مصطلح (التغريب) أو مصطلح (العلمنة) أو (الأورْبة)...

● وقد بلغ من تضليل الكاتب للجماهير العربية والمصرية أنه أعطى (الحملة الفرنسية على مصر) سنة ١٧٩٨م بقيادة (نابليون بونابرت) حقّ ريادة مرحلة التحديث، مع ما هو معروف من الآثار السلبية (الفاسدة) للحملة الفرنسية حضارياً وأخلاقياً ودينياً على مصر[١]، بل إنها كانت (البوابة) التى أراد بطلها منها فتح الباب للصهيونية كي تستولى على فلسطين.. ولعلهم- لهذا- يكرِّمونها!!

● وكان من قدر الله ولطفه بعقولنا وبالتاريخ أن يصدر الكاتب المصرى المعروف الأستاذ (محمد حسنين هيكل) كتابه: (تاريخ المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل) فى الأيام نفسها التى كان (غالى شكرى) قد كتب فيها سلسلة مقالاته.

● ويثبت الأستاذ هيكل فى هذا الكتاب- بالوثائق- أن مشروع إقامة دولة إسرائيل- كحاجزٍ بشرى يمنع العرب من (الإقلاع الحضارى)، وقيادة الحضارة الإسلامية من جديد- إنما تقَرر على يد « نابليون » وكانت بالتالى هذه الحملة جزءاً من هذا الهدف، إذ فى الاستيلاء على مصر ضرب لطاقة كبرى عربية، واختراق للعرب من قلبهم.. وكل محاولات نابليون (التحديثية - التغريبية) كانت تسير فى اتجاه تحقيق أحلامه... المتعانقة مع الأحلام

نابليون

محمد حسنين هيكل

الصهيونية منذ مولد الثورة الفرنسية!!

● وهذا التضليل الذى مارسه (غالى شكرى) فى سلسلة مقالاته المذكورة آنفا، ويمارسه- دائما- كل أنصار التبعية الغربية والعلمانية والمادية.. إنما يمثل نماذج تحتاج إلى رصدٍ وتحليل... فى ظل يقظة أصيلة تعى خطورة (المصطلح)، وتقاوم هذه (السطحية الإعلامية) فى استخدام المصطلحات، وهى سطحية قد تكون ساذجة تنبع عن جهل فى أحيان قليلة، وقد تكون خاضعة لانتماء حضارى معاد فى الأعم الأغلب!!

●●●

● والحق أن عرض تاريخنا الإسلامى وتحليله- كانا موضوع غزو مصطلحى كبير، وقد أُسقطت عليه مفاهيم ومصطلحات لا تمتّ إليه بصلة.. فمرة نجد مجموعة من الكتاب فى

---

(١) ينظر فى هذا: السِّفر الضخم للأستاذ محمد جلال كشك (رحمه الله): «ودخلت الخيل الأزهر» نشر الزهراء للإعلام العربى- القاهرة، فقد كشف حقيقة الدور التخريبى (الصهيونىّ العلمانى الماسونى) للحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت ورجاله. وينظر ما كتبته د.ليلى عنان عن الحملة الفرنسية فى جزءين من مطبوعات دار الهلال.

عصر المدّ الشيوعى والاشتراكى يخضعون هذا التاريخ- وقائع وتحليلات- لمصطلحات (التفسير الاشتراكى- أو المادى للتاريخ).. لدرجة أن كثيراً من هؤلاء الشيوعيين قد ذهبوا إلى تقسيم الصحابة إلى يسار ويمين، وإلى ثوريين ورجعيين، وإلى اشتراكيين وبرجوازيين!!

- وكان طبيعيا فى رأيهم أن يكون الرسول ﷺ زعيم (اليسار) الثورى، ويقف وراءه علىّ ابن أبى طالب، وأبو ذرّ الغفارى، وعمار بن ياسر!!

ولكن الرسول ﷺ فى رأيهم- كان مضطراً لأن يهادن أهل اليمين (الرجعيين!!) من أمثال أبى بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، وأن يحاول قيادة السفينة التى تنتظر الجميع.

وكانت الضرورة تقضى أن يكون هناك حزب لليمين، ولهذا تخيل هؤلاء أن (بنى أمية) وعلى رأسهم (عثمان بن عفان) يقفون فى موضع قيادة هذا الحزب، كما أضافوا عبدالرحمن بن عوف إلى قيادته..

والأمر كله- كما نرى- مجرد تضليل مصطلحى، وتفسير أيديولوجى، وهو لا يعدو أن يكون إسقاطا لمصطلحات تخضع لشجرة حضارية وتجربة تاريخية وعقدية غير شجرة الحضارة الإسلامية وتجربتها التاريخية والعقدية، وقد أفْرزَت هذه المصطلحات تأثيرات بيئية وتاريخية وأمراضاً حضارية لا علاقة لها بتجربتنا الحضارية الإسلامية ولا قيمها السائدة.

- بل إنه لا يمكن لبيئة تنفست تعاليم الإسلام أن تفُرز هذه القيم مهما كانت أخطاؤها البشرية...

●●●

وإلى جانب هؤلاء الماركسيين والماديين الخاضعين لهذا الانتماء الأيدلوجى الاعتسافى- وُجدت- كذلك- المدرسة العلمانية أو اللا دينية التى تريد إسقاط المصطلحات الليبرالية والرأسمالية على التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية- وقد حاول هؤلاء- بجرأة لا يسندها العلم- مثل إخوانهم الشيوعيين- أن يُسقطوا على حضارتنا مصطلحات مثل (العالمانية، والمجتمع المدنى، والليبرالية، والفردية، (والحرية) والديمقراطية بالمعنى الليبرالى الذى لا يلتزم بدين ولا خُلق)، كما حاولوا تشويه التاريخ بعد الراشدين، بحيث يصبح هذا التاريخ ثمرة حركة عقلية مادية (مدنية) لا أثر للوحى الكريم فيها، ولا تربطها صلة بموازين الإسلام، وشريعة الإسلام وأخلاق الإسلام.

- وكل ذلك تضليل اصطلاحى، وتضليل مفاهيمى، وقلب للحقائق، وإخراج لحضارتنا الإسلامية عن طبيعتها، ومحاولة مستميتة لفرض التّية والضياع الحضارى علينا.. حاضراً ومستقبلاً.

***

رودنسون

ومشروع خطاب التفاهم المشترك إلى المثقفين العرب

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

مدخل المشروع الثقافى. سؤال

ومن خلال رصد تلك المشكلات ذات النزوات العصبية التى تحكم العلاقة القائمة بين الإسلام والغرب ومن بين الغيوم الملبدة بالتنابز المجافى للحوار الثقافى بينهما، راح «رودنسون» يطرح سؤاله الذى يعبر به عن أمنيته مسهما فى تقديم ورقة تصالح تعبر عن وضع معالم جديدة لمرحلة اللقاء الحضارى بين الإسلام والعرب فى صيغة علمية جديدة وهو:

كيف يمكن أن نخطط لمستقبل الدراسات المتمحورة حول العالم الإسلامى؟ ما الآمال التى يمكن أن نحلم بها فيما يخص التوجيهات التى تستحق أن تتبع فى هذا المجال، والتى يمكنها أن تقدم أكبر خصوبة ممكنة لهذه البحوث؟ سوف أورد فيما يلى رأيى الشخصى، الذى أشعر فعلا أنه نسبى تماما، وأنه ذاتى، فلا أحد يستطيع أن يدعى الموضوعية الكاملة. ولن أخفى على نفسى ولا على الآخرين أنه خاضع بالتأكيد لعوامل ومحدوديات غير ملحوظة منى بسبب العوامل الشخصية أو الجماعية. فأنا أيضا مشروط بأشياء لا واعية قد تخرج عن إرادتى وطاقتى. ووفق تحفظاته التى عبرت عن طبيعة النقص البشرى الذى قد يطبع بصماته على المنهج العلمى مهما يتحرى الإنسان الموضوعية، وهى من المسلمات، خطا خطواته نحو صياغة مشروعه الثقافى الذى يحمل معالم منهجه الجديد ليعبر به عن مرحلة جديدة تجمع بين المستشرقين ومثقفى العرب.

فرزجعبة الاستشراق القديم

سوف أقول أولا وقبل كل شىء إنه لا ينبغى أن نرمى فى سلة المهملات تلك المكتسبات الضخمة والثمينة التى تجمعت أثناء القرنين الماضيين، ذلك أنه توجد مادة علمية كثيفة ومعلومات غنية جدا جدا. صحيح أنه يمكننا إعادة تفسيرها جزئياً أو كلياً، ولكن خسارتها تعنى تراجعا مأساويا للمستوى الثقافى لمجتمعاتنا.

لا ملكية خاصة للعلم

كان «ماركس» يقول: «لا توجد طريق ملكية خاصة للعلم» بمعنى أن الصفة الأساسية للمسار

العلمى، هى أنه يتقدم خطوة وبحذر وأناة ولا يسمح بالقفز إلا بشرط واحد، هو: العودة إلى الوراء فيما بعد من أجل التحقق من صحة المسافة المقطوعة. ينبغى على العالم أن يضع نصب عينيه دائما وأن يغرس فى أعماق قلبه وروحه حكمة من حكم أبوقراط، هذه الحكمة التى تمثل بداية العلم الغربى كله، والتى كانت قد ترجمت بكل إيثار وتفضيل من قبل العلماء العرب «الحياة قصيرة والعلم طويل»، والمناسبة سانحة قد تفلت من أيدينا فى أى لحظة والنزعة الارتجالية خطرة والتعقل صعب.

جمع الوقائع والمعطيات

ولكن ينبغى على المسار العلمى أيضا أن يشتمل على اهتمامات جديدة لم تكن تلعب إلا دوراً صغيراً فى الماضى. فمن الضرورى عليه أن يتجه نحو التنظير أو أن يمهد له الطريق. وينبغى على هذا التنظير أن يأخذ بعين الاعتبار الإشكاليات العامة الأكثر حداثة.

ينبغى أيضا وبالدرجة نفسها أن ندمج فى عملية البحث العلمى تلك المجالات أو الموضوعات التى كانت مهمشة أو محتقرة من قبل التبحر الاستشراقى الكلاسيكى وهى جمع الوقائع والمعطيات.

تحديد المشكلة والتفاهم المشترك حولها

هكذا نجد أنه من الضرورى بشكل لازم وحتمى أن نتجاوز المرحلة الصعبة لجمع الوقائع والمعطيات، وأن نتوصل أخيرا إلى صياغة المشكلة أو طرحها على الأقل، فجمع المعطيات متأثر، شئنا أم أبينا، شعرنا بذلك أم لم نشعر بالأفكار المسبقة غير الواعية للباحث. وهى أفكار يتشربها بشكل لا واع من المجتمع ومن تاريخه الشخصى.

رودنسون

وفى رأيه: أنه لا ينبغى تجاهل منظور هذه المجتمعات للأشياء ولا احتقارها ولا الخضوع لها، وإنما ينبغى تحليل جذورها إلى أقصى حد ممكن من أجل فهم أصوله وهضم العناصر الصالحة فيه وإغناء مسارها. وهذه عبارة عن عملية تفاهم مشترك ليتصالح على أصوله الطرفان.

وتلك خطوة على الطريق، وهى شاقة، ينبغى ألا نخفى عن أنفسنا أن الصعوبات التى تعترض تحقيق هذه الخطوة لوضع ذلك البرنامج المثالى من البحوث ضخمة جدا فمن المؤكد أننا سنصطدم بأنواع عديدة من سوء التفاهم وبشبهات مزعجة جدا فى الغالب.

لكن هناك ملاحظة يبدو أن التجربة العلمية تؤكدها وهى تقوى فينا روح الأمل. تقول لنا هذه الملاحظة: إن الناس يعترفون، فى نهاية المطاف، بالعمل الجاد الشريف مهما تنكروا له وأساءوا فهمه فى البداية. ومن الشاهد أن الباحث الأكثر تعرضا للإشاعات والإهانات يجد دائما مؤيدين له إذا ما بقى مخلصا للقواعد الذهبية للمسار العلمى أو المنهجية العلمية. فهو يساهم فى زرع الأفكار واستنباتها، هى التى سوف تتطور يوما ما وتخصب فكرة الخاص بالذات.

من المعروف أن الاختصاصيين الغربيين فى الشئون العربية والإسلامية أو فى شئون الشعوب والمجتمعات والحضارات الشرقية، وغير الشرقية، أناس ينتمون إلى مجتمع متميز أو ذى امتيازات. كما أنهم ينتمون بشكل عام إلى الطبقات العليا ذات الامتيازات فى هذه المجتمعات بالذات. بالطبع لا ينبغى أن نحقد عليهم بسبب ذلك أو نستخلص منهم مكانتهم المتميزة وهى عرض طارىء ولا تدخل فى صميم المنهج ولا تخرج عن كونها نتائج تعسفية. ولكننا لا نستطيع أن نهمل هذه الحقيقة، وإنما ينبغى أن تؤخذ بعين الاعتبار فلا ننساها أبدا.

اهتمام أوروبا بدراسة خصائص الشعوب

ليس هناك شرق مأخوذ ككتلة واحدة. وإنما هناك شعوب وبلدان ومجتمعات وثقافات ذات عدد كبير ومتنوع على وجه الأرض. وبعضها يمتلك خصائص مشتركة (دائمة أو عابرة) وكل دراسة مشتركة لأحد هذه الكيانات أو لبعضها ينبغى أن تكون مبررة عن طريق وجود بعض هذه الخصائص المشتركة خلال فترة معينة. ولكن هذه الخصائص تترك دائما خارجها صفات أخرى تظل خصوصية كمن يضع الدنانير فى كيس رث قديم. فلا ينبغى ترك الدنانير لقذارة الكيس أو نترك الدنانير من غير حرز. كذلك لا ينبغى للانتقادات التى وجهناها آنفا إلى الاستشراق القديم أن تنسينا أو تجعلنا نحتقر كل البحوث التى يقوم بها مؤلفون نختلف مع أفكارهم الفلسفية العامة (صريحة كانت أم ضمنية) فماذا تهمنا أفكار شامبليون عن المجتمع إذا كان قد فك لنا رموز اللغة « الهيروغليفية » يكفيه أنه اكتشف هذا الاكتشاف الكبير، ولا يعنينا فى شىء أن تكون أفكاره عن المجتمع، تقدمية أم محافظة.

إن الدراسات المتركزة على شعوب وثقافات ومجتمعات المناطق العديدة المشمولة سابقا تحت اسم الشرق سوف تستمر. وسوف يساهم فيها منذ الآن فصاعدا اختصاصيو البلدان أو المناطق المدروسة. ولكن هؤلاء الأخيرين لن يكونوا أكثر تحررا من المستشرقين من تلك العقبات التى تسببها « الايديولوجيات » أو المشروطيات الاجتماعية الخاصة برؤيتهم للاشياء سواء كان الأمر يتعلق بعوامل خاصة بزمننا أم بعوامل ملازمة لكل فعالية فكرية عبر العصور.

تقييم عمل الاستشراق القديم

توجد هناك بعض الممارسات العلمية فى أوروبا وأمريكا، وهى تتركز على دراسة الشعوب والمجتمعات والحضارات واللغات الخاصة بالعالم الإسلامى (أى مجمل الشعوب التى فيها الدين الإسلامى).

إن دراسة هذه الميادين العلمية لم تتم بشكل مثالى ونموذجى عن طريق التعرف عليها أولا، ثم تقسيمها بشكل عقلانى إلى اختصاصات محددة كما هو متوقع. وإنما هى تمت بشكل تاريخى تحت تأثير عوامل متنوعة، وراح كل باحث يتعمق دراسة مجاله الاختصاصى من جهته مع الالتقاء بالآخرين أو دون أن يلتقى بهم. وقد دعيت هذه الممارسات العلمية باسم الاستشراق.

هذا الاستشراق كان يعبر عن الرغبة فى توسيع الفلسفية الإنسية (هيومانيزم) أى المذهب

الإنسانى لعصر النهضة. ففى نهاية القرن الثامن عشر، وبداية التاسع عشر أرادوا أن يضيفوا إلى الحضارات النموذجية القديمة التى تستلهمها أوروبا حضارات أخرى. من المعروف أن اليونان وروما كانتا تشكلان هذا النموذج التاريخى القديم الذى كان يعتبر مصدرا للإلهام والتقليد والمرجعية والاستشهاد والمثال الأعلى بالنسبة لكل الأوروبيين.

ولما كانت تلك الفترة ،فترة الدراسة العلمية فإنهم أرادوا التوصل إلى معرفة علمية بتلك الحضارات النموذجية. وقد عزيت هذه الإرادة أو ذلك الطموح فى الغالب وقبل كل شىء إلى التغير الذى طرأ على العلاقات بين الغرب الأوروبى والشرق الإسلامى، بمعنى: أن الغرب أصبح أقوى من الشرق بكثير. ولكنه ناتج أيضا عن تطور داخلى للعقلية التى غلفتها الحساسية الأوروبية.

ولقد حصل منعطف تاريخى فى الحساسية والاهتمام باتجاه التركيز على ما هو خصوصى. واستكشاف الروح القومية للشعوب، كل فى خصوصيته ووطنه المحلى، إلخ..

بالطبع فإن الشرق كان مدروسا من قبل بل ومنذ وقت طويل ولكنه كان يدرس لأهداف توليفية اجتماعية، أى من أجل البحث فيه عن الإنسان الكونى.. أو أنه كان يتخذ موضوعا للمماحكات الأيديولوجية، وكان أهمها فيما يخص الموضوع الذى أدرسه هنا التبجيل المسيحى «القروسطى» المستمر فى هجومه ضد الإسلام (كأن الإسلام يشكل التكتل السياسى- الأيديولوجى المعادى) وقد أدى هذا الخط الثانى إلى حماسة غير مفهومة وكان عنادها للإسلام مفضوحا.

ولكن هذا المطمح الجديد لمعرفة الشرق سوف يخدم من قبل تسهيلات أكبر تمكن من الدراسة المباشرة للمصادر الشرقية. فقد كانت القرون الثلاثة: السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر قد جمعت الأعمال التمهيدية بشكل متراكم (كتب النحو العربى، والمعاجم، والنصوص المختارة..) كما تراكمت خلالها مجموعات المخطوطات الشرقية أو العربية فى مكتبات أوروبا (كتلك التى تشكلت بفضل البعثات التى أرسلها كليبر إلى الإمبراطورية العثمانية لهذا الغرض) وقد شهد القرن التاسع عشر تقدم وسائل النقل وتعدد الرحلات التى سهلت العلاقات كثيرا. فى الواقع أن هذه العلاقات لم تكن معدودة فى أى وقت من الأوقات، وذلك فى كل الاتجاهين. نضرب على ذلك مثال، حالة الهولندى « توماس فان ايرب ايربنيوس » الذى ألف كتابا فى النحو العربى فقد استفاد من مساعدة شخص مغربى التقى به بالصدفة بالقرب من باريس عام ١٦١١.

إن تطور العلوم الشرقية فى الغرب يندرج ضمن مسيرة التقدم النوعى للمسار العلمى فى كل المجالات. فالنهضة الأوروبية التى ابتدأت منذ القرن السادس عشر انعكست على كافة المجالات وهذا التقدم أصبح ممكننا بفضل تكاثر المؤسسات التى أقيمت ببطء من قبل المتخصصين وبفضل تخصصها مثل (شبكات البحث التخصصى، مؤسسات العلماء الأكاديمية وجمعياتهم، ثم الجامعات.. إلخ).

تصفية تشكيل الشرق بصيغ عامة

إن الخصائص التى تميزت بها الممارسات العلمية المتجمعة تحت اسم الاستشراق القديم قد تشكلت أيضا طبقا للحاجيات العلمية المرحلة الأولية لهذه الدراسات الاستشراقية أنها ترتكز على المعرفة باللغات القديمة لآسيا (كالعربية، الفارسية، التركية، الأوردو، السنسكريتية، الصينية وإلخ...) كما ارتكزت على فك المصادر الأولية.

كان العلماء يعتقدون آنذاك أنه لكى نتوصل إلى مرحلة التعليم (أو استنتاج الخلاصات والنتائج العامة) فإنه ينبغى أولا البحث عن المعلومات والوقائع بشكل تفصيلى دقيق إلى أبعد حد وذلك عن طريق العمل الطويل والصعب وكانوا يعتقدون أن الانتقال إلى هذه المرحلة الثانية لا يمكنه أن يتم بشكل يرضيهم إلا بعد أن تتوافر كل الشروط. هذا إذا أمكن الانتقال إليها أصلا فى يوم من الأيام[1]. وكان الكثيرون آنذاك يكرسون حياتهم كلها لدراسة ميدان علمى ضيق جدا. وأما أولئك الذين لا يستطيعون القيام بأعباء هذا المثال الأعلى التقشفى للعلم فقد كانوا يكتفون غالبا بأيسر الطرق. كانوا يكتفون غالبا بالأفكار العامة التى تلقوها من الفلسفة ومن الوعى الاجتماعى لعصرهم. وأما البعض الآخر فكانوا يمتلكون أحيانا حدسا عبقريا[2] معزولا. وأما الآخرون فكانوا يستسلمون لتركيب نظريات خيالية لا أساس لها من الصحة بسبب استعجالهم لتجاوز التفاصيل والوقائع ولكن دون أن يكونوا مسلحين لذلك[3]. لم يكونوا مؤهلين للتنظر والتفلسف واستخلاص النتائج العامة، ومع ذلك راحوا يتفلسفون (وهذه العادة لا تزال شائعة حتى اليوم).

وكانت العلوم الإنسانية القادرة آنذاك على التأثير على الأفكار العامة للعلماء المستشرقين هى تلك التى تتمثل بتاريخ الأديان الذى انتشر إلى أوسع مدى بفضل المعركة الجدلية المضادة للمسيحية فى القرن الثامن عشر (بفضلها جزئيا) ولكنه انتشر بعمق أكثر وبجدية أكثر فى ألمانيا بشكل خاص.

إن مكتسبات ذلك الاستشراق الكلاسيكى القديم كانت ضخمة، ولا نستطيع أن نستعرضها كلها وإنما نحن مضطرون للانتقاء والاختيار. نذكر من بين هذه المكتسبات تلك الكمية من الوثائق الجدية المتراكمة، كما نذكر تحقيق تلك النصوص القديمة والعديدة بطريقة علمية لم تكن قد حصلت حتى ذلك الوقت كما نذكر مسائل التاريخ الوقائعى (أو الحدثى) والتاريخ الأدبى والترتيب الزمنى الصحيح للتواريخ الزمنية المتسلسلة. وكل هذا كان ضروريا كقاعدة

---

(١) انظر كارل ماركس فى حكمه العام على الأديان ولو أنه درس الديانات على حدة لعرف خصائص نظام الإسلام.

(٢) انظر نظريات أرنست رينان عن العقل السامى والآرى وكان هدفه منها مساندة الاستعمار فى إعلان وصايته على الشرق.

(٣) انظر كتاب كارل ماى عن الشرق والعرب والإسلام، حيث قدمها للقارئ الأوروبى على أنها عصارة رحلاته فى الشرق بينما هو كما أثبت هينز فول شليجر لم يسافر إلى الشرق أبدا وما كتبه محض خيال.

للانطلاق بقدر الإمكان وإن كان غير كاف بحد ذاته.. إنه يشكل المرحلة الأولى من الدراسة العلمية، لكن ليست الدراسة العلمية كلها. فبعده ينبغي على الدارس أن يحلل ويستنتج ويركب وينظر. لذلك كانت نواقصه قصائر صارخة. نذكر منها على وجه الخصوص:

ظاهرة العرقية المركزية الأوروبية الرؤيــا المثاليــة للحضـــارات

كان هناك ترابط لا مفر منه بين الاستشراق وحركة الأفكار العامة للغرب في تلك الفترة. فقد كانوا يعتقدون بأولية النموذج الأوروبى وتفوقه على جميع النماذج الحضارية الأخرى. وكان هذا الاعتقاد يتجلى بكل وضوح في كل الخلاصات الانتربولوجية لتلك الفترة، هذه الخلاصات المتعلقة بالتطور البشرى فقد كانوا يعتقدون أن كل خطوط التطور سوف تنتهى فى خاتمتها إلى النموذج الأوروبى[٤] وكانوا يعتقدون أن هذا النموذج يعلوا على كل شيء؛ في طريق الانحطاط العرقي، تلك التي أخرجت قضية العلاقات الثقافية بين الإسلام والاستشراق عن الموضوعية إلى المناظرة والمساجلات الجدلية.

إن هذه التساؤلات والاحتجاجات الغاضبة تعكس أسلوب الهياج الصارخ والعواطف الغاضبة التي حكمت لغة حوار ذميم وقع فيه الطرفان. لكن بعد دخول المفكرين الإسلاميين حلبة البحث العلمى. وأصبحت ذاتا فاعلة على مسرح التاريخ وليس فقط ذاتا سلبية منفعلة تدار أمورها من الخارج، تستطيع أن تناقش قضاياها والقضايا المشتركة بهدوء وتعقل.

يقول كلود كاهين: إنى «أعترف بأن المستشرقين كانوا قد ركزوا اهتمامهم أكثر مما يجب- وفى غالب الأحيان- على بعض الفترات التاريخية أكثر من غيرها، وهى الفترات التى بدت لهم أكثر إشعاعا وإشراقا من غيرها، وهكذا أهملوا فترات تاريخية أخرى أكثر حداثه من حيث الزمن، وهى لا تقل أهمية من أجل فهم العالم الحديث للشعوب العربية والإسلامية إذا ما نظر إليها من وجهه نظر معينة أو من زاوية أخرى. ولن ينبغى أن لا تقع فى التطرف المعاكس فلا تهتم إلا بالتاريخ الحديث وتهمل القديم. فلكى ننمى الوعى القومى لشعب ما ولكى نساهم فى انطلاقة ثقافته الجديدة فإن أفضل وسيلة ليست بالضرورة استخدام تاريخه الحديث وإنما تاريخه القديم والمنسى.

وهذا التحدى يرتهن علاجه بالنظر فى المناهج الجامعية وفتح أقسام علمية تتابع بعمق وبجدارة العلاقات الثقافية بين الإسلام والغرب، وعلى الأزهر أن يطور من نفسه ليتحمل عبء تلك الرسالة بمنهج ناضج رشيد، ولا أدرى إن قلت: عليه متابعة التواصل الثقافى للشعوب جميعا، هل أكون واهما؟

---

(٤) انظر كتاب «صراع الحضارات» «لصومئيل هاتشجتون» وقدمنا تعليق عليه فى صحيفة الأخبار ١٩٩٧/٩/١٢ وكذلك كتاب «نهاية التاريخ «غوكوياما» وعرضناه هو الآخر فى صحيفة الأخبار ١٩٩٧/٨/٣.

المشروع الغربى.. والتعددية فى الحضارات

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

إذا كان «جامع الإيمان» و«موحد المؤمنين» هو «التصديق بما جاء به الرسول ﷺ »، فإن مظلة هذا «الجامع» وإطار هذا «التصديق» قد اتسع لتعددية أثمرها «التأويل» فيما يجب أو يجوز فيه «التأويل» فإذا ما التزم الفرقاء المتأولون بقواعد التأويل ـ التى قررتها العربية ـ والتى لا تخرجه عن ثوابت «التصديق الجامع»، انفسحت أمامهم آفاق التعددية فى هذا الإطار، الذى يعطى «مذاهب الفكر» طابعها «الإسلامى»، مع ما بينها من فروق وتعددية فى التصورات.

وإذا كان تعريف ابن رشد (٥٢٠ ـ ٥٩٥هـ ١١٢٦ ـ ١١٩٨م) للتأويل يقول: «إنه إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل بعادة لسان العرب فى التجوز، من تسمية الشئ بشبيهه، أو بسببه، أو لاحقه، أو مقارنه، أو غير ذلك من الأشياء التى عددت فى تعريف أصناف الكلام المجازى»[1] فإن الإمام الغزالى يفصل «لمراتب الوجود» التى تتصورها التأويلات المتعددة «لما أخبر به الصادق»، تفصيلا يجعل للتعددية، النابعة من التأويل، خمسة مذاهب مفتوحة سبلها أمام تصورات العقل المسلم للموجودات التى تحدث عنها الرسول ﷺ، والتى للتأويل مدخل فى تصورها. فالإيمان قائم عند فرقاء هذه التأويلات والتصورات، لقيام التصديق، وانتفاء «التكذيب» لصاحب الرسالة، عليه الصلاة والسلام ـ لأن «الكفر: هو تكذيب الرسول فى شئ بما جاء به، والإيمان: تصديقه فى جميع ما جاء به.. وحقيقة التصديق: الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول ﷺ، عن وجوده. إلا أن للوجود خمس مراتب:

الوجود الذاتى: وهو الوجود الحقيقى، الثابت خارج الحس والعقل، ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة، فيسمى أخذه إدراكا.

---

(١) (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) ص٣٢ دراسة وتحقيق: د.محمد عمارة. طبعة القاهرة ١٩٨٣م.

والوجود الحسى: الذى يتمثل فى القوة الباصرة من العين، مما لا وجود له خارج العين، فيكون موجودا فى الحس، ويختص به الحاس، ولا يشاركه غيره، وذلك كما يشاهد النائم، بل كما يشاهد المريض المتيقظ..

والوجود الخيالى: الذى يخترعه الخيال لصور المحسوسات إذا غابت عن الحس، فهو موجود فى الدماغ لا فى الخارج..

والوجود العقلى: فيما له روح وحقيقة ومعنى.. كاليد، مثلا، فإن لها صورة محسوسة ومتخيلة، ولها معنى هو حقيقتها، وهى القدرة على البطش.. التى هى «اليد العقلية»..

والوجود الشبهى: وهو أن لا يكون نفس الشئ موجودا، لا بصورته ولا بحقيقته، لا فى الخارج، ولا فى الحس، ولا فى الخيال، ولا فى العقل، ولكن يكون الموجود شيئا آخر يشبهه فى خاصة من خواصه وصفة من صفاته.. وكل من نزل قولا من أقوال صاحب الشرعة ﷺ، على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين، وإنما التكذيب: أن ينفى جميع هذه المعانى، ويزعم أن ما قاله لا معنى له، وإنما هو كذب محض، وغرضه فيما قال التلبيس أو مصلحة الدنيا، وذلك هو الكفر والزندقة ولا يلزم كفر المتأولين مادامـوا يلازمون قانون التأويل.. وكيف يلزم الكفر بالتأويل، وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إليه؟!»(٢).

هكذا انفتحت سبل التعددية واتسعت آفاقها أمام «تيارات الفكر» الإسلامى، فى إطار «وحدة وجامع التصديق» بما جاء به الصادق، عليه الصلاة والسلام!.

وهكذا ظلل «الجامع الإسلامى» الذى وحد الأمة والعقيدة والحضارة ودار الإسلام.. ظلل تعددية فى اللغات والأقوام.. وفى الثقافات الفرعية..وفى الأوطان والأقاليم المتميزة.. وفى الفرق السياسية.. وفى المذاهب الفقهية.. وفى التيارات الفكرية والمدارس الفلسفية..وأيضا فى الشرائع والحضارات، فازدهرت تعددية الاجتهادات البشرية، فى إطار الجامع الثابت الذى تمثل فى أصول الإيمان بالله الواحد..واليوم الآخر وخبر الصادق، عليه الصلاة والسلام..

●●●

بل إن «السبيل الإسلامية» التى حددها الإسلام، وتميزت بها شريعته، فى «حل التناقضات» بين فرقاء التعددية، جاءت طبيعتها وآلياتها ومقاصدها لتكرس قيام هذه «التعددية» عند المستوى الوسطى، الذى لا يذهب بها إلى إلغاء الآخر و«نفيه».. ولا إلى «التشرذم» و«القطيعة» التى لا رابط ولا جامع يوحد بين فرقائها.. فلقد رفض الإسلام

(٢) (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) ص٤ ـ ٩.

مذهب « الصراع » سبيلا لحل التناقضات بين فرقاء التعددية، لأن « الصراع » غاياته « صرع.. وإفناء.. ونفى » الآخر، ومن ثم فهو يلغى التعددية وينفيها.. هكذا جاء معناه فى الموطن الذى ورد مصطلحه بالقرآن الكريم:

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾(٣).

فالصراع غايته إهلاك الآخرين، حتى لا « ترى لهم من باقية »!.. فسلوك سبيله فى حل التناقضات بين الفرقاء ينفى فلسفة التعددية ويلغى وجودها.

وبدلا من « الصراع » سبيلاً لحل التناقضات بين فرقاء التعددية، زكى الإسلام « سبيل التدافع »، الذى لا يتغيا « نفى الآخر »، وإنما « تعديل موقعه » من « المعايير الإسلامية الجامعة والضابطة والحاكمة ».. فهو « حراك » لا « إهلاك » و« تعديل » فى المواقع والمواقف لا « نفى وإلغاء » للآخرين.. وعندما يخاطب الله- سبحانه وتعالى- رسوله ﷺ، فيقول له:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾(٤).

فإنه يعلمنا معالم هذا السبيل.. فالتدافع لا يتغيا « صرع الآخر وإلغائه »، وإنما تحويل موقفه وموقعه عن « العداوة » التى تجعله من أهل « السيئات »، إلى موقع وموقف « الولى الحميم »، الذى يجعله من أهل « الحسنات » »!.. فيتم « الحراك »، بواسطة « التدافع »، مع بقاء تعددية الفرقاء المتمايزين »!.. بل لقد حدثنا القرآن الكريم عن هذه « السبيل الإسلامية » ـ سبيل « التدافع »، لا « الصراع ».. باعتبارها الحافز الذى يدفع الحياة والعمران إلى الأمام دائما وأبدا.. وهذا يعنى اقتران التقدم بالتعددية، إذ بدونها لا تدافع، لأنه مستحيل بدون وجود الفرقاء المتدافعين أبدا؟!

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(٥)

وعندما أذن الله- سبحانه وتعالى- لرسوله والمؤمنين بالقتال، جاء الحديث عن « التدافع »، لتكون غايات القتال تعديل مواقف المشركين من مواقع الشرك إلى الإيمان، فهى « حراك » لا « نفى وإهلاك ».

---

(٣) الحاقة: ٥ ـ ٨.

(٤) فصلت: ٣٤، ٣٥.

(٥) البقرة: ٢٥١.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ
لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن
يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ
صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ
كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾(٦).

فهى، إذن، سبيل إسلامية واضحة: «التعددية» فى إطار «الجامع».. و«التنوع» فى إطار «الوحدة» وبغيبة طرف منهما يغيب المعنى وتغيب الحكمة عن الطرف الآخر!

● «فالشرائع» المتعددة، لا تتأتى تعدديتها إلا فى إطار «الدين» الواحد، وبالنسبة إليه، وبالمقارنة معه.

● و«الحضارات» المتعددة، لا تتأتى تعدديتها إلا فى إطار «المشترك الإنسانى العام» المتميز عن الخصوصيات الحضارية..

● والتعددية داخل أية حضارة من الحضارات، لا تتأتى إلا مع وجود المرجعية الواحدة، والجامع الواحد، فى هذه الحضارة.. فلو انتفت المرجعية الواحدة.. والموحدة للحضارة.. انتفى معنى «التعدد» فى هذه الحضارة أيضا!.. فلا تعددية بدون «استقلال.. وتميز» لحضارات هذا العالم الذى نعيش فيه؟!..

●●●

نظـــرة مقارنـــة

وإذا كانت بضدها تتميز الأشياء.. والشئ يظهر حسنه الضد.. فإن هذا الذى تميزت به الحضارة الإسلامية فى الإيمان بالتعددية وتجلى فى تطبيقاتها بمختلف الميادين، وعلى كل المستويات، لا تتبدى حقيقته الكاملة، ولا تتألق دلالته العظيمة، إلا إذا قورن.. ولو بإشارات.. لما كانت عليه.. بل ولاتزال.. الحضارة الغربية فى هذا الميدان.

● فبالمقارنة، سيتأكد أن الفارق بين الحضارتين، فى هذه القضية، ليس مرجعه «التسامح» الذى تحلى به حكام مسلمون، وافتقر إليه حكام غربيون.. إذ «التسامح» فى النهاية خلق فردى، لا يثمر قاعدة مطردة على مر تاريخ حضارة من الحضارات وفى مختلف ميادين عمرانها.. بل إن هذا «التسامح» ذاته، هو فى جوهره ثمرة.. إن فى وجوده أو غيابه ـ لموقف حضارى، ومكون من مكونات الحضارة، التى تحييه أو تواريه!..

● وبالمقارنة، سنعرف كيف أن الشعب المصرى، مثلا عندما تدين «بتوحيد» «آتون» فى عصر أخناتون (١٣٧٢ ـ ١٣٥٤ق.م)، اضطهد

(٦) الحج: ٣٨ ـ ٤١.

كهنة «آمون» وأتباعه.. فلما انتصر كهنة «آمون» اقتلعوا «توحيد دعوة «أخناتون» من الجذور، وطاردوا أتباعه في كل مكان!.. وكيف أن هذا الشعب المصرى عندما تدين بالنصرانية لم يعرف التسامح مع الديانة المصرية القديمة، فمارس الاضطهاد، بل والإبادة مع كهنتها وفلاسفتها ومدارسها ومكتباتها ومتاحفها وأتباعها جميعا.. فلما تدينت الدولة الرومانية ـ الحاكمة ـ بدأت الديانة النصرانية (٣١٣م)، ولكن بمذهب متميز عن مذهب المصريين النصارى، لم تعرف التسامح معهم، بل لقد عاشوا حقبة اضطهادهم، وعصر الشهداء الذى تؤرخ به النصرانية المصرية حتى الآن!.

لكن هذا الشعب المصرى ذاته.. الذى لم يعرف التسامح الدينى فى تاريخه القديم.. هو ذاته الذى أصبح مضرب الأمثال فى كل بلاد الدنيا على التسامح الدينى، عندما تدين بالإسلام؟!.. فعاشت فى ظلال إسلامه أكبر الأقليات النصرانية فى بلد إسلامى، وازدهرت فى حضارته الإسلامية أعرق كنائس النصرانية على الإطلاق، وتعانقت فى ثوراته وأفراحه وأتراحه شعارات «الهلال» و«الصليب»!.. بل إن أغلبية هذا الشعب قد ظلت على نصرانيتها، فى ظل الحكم الإسلامى، عدة قرون.. ولم تدخل هذه الأغلبية فى الإسلام أفواجا إلا عندما عجزت كنيستها عن تلبية حاجاتها الروحية، وبدا لها ـ بالمقارنة مع بساطة عقيدة التوحيد الإسلامية.. تفوق الإسلام فى تلبية هذه الحاجات، فاندفعت أفواجها إلى الإسلام، دون ترهيب ولا ترغيب.. ويشهد على هذه الحقيقة بعد وقائع التاريخ أحد علماء النصرانية «كيتانى» فيقول: «إن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التى جلبتها الروح الهللينية إلى اللاهوت المسيحى. أما الشرق الذى عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة، فقد كانت الثقافة الهلينية وبالا عليه من الوجهة الدينية، لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة، مليئة بالشكوك والشبهات، فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها. فلما أهلّت، آخر الأمر، أنباء الوحى الجديد فجأة من الصحراء، لم تعد تلك المسيحية الشرقية قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد. الذى بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة، وقدم مزايا جليلة، إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التى لا تقبل الجدل. وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى فى أحضان نبى العرب»!

لقد أقبل الناس على الإسلام، الذى رأوه.. كما يقول «مونتيه» «عقلانى الجوهر، بأوسع معانى هذه الكلمة»... أقبلوا عليه دون أية محاولة للإرغام والاضطهاد كما يقول «أرنولد» (١٨٦٤ - ١٩٣٠) فى كتاب (الدعوة إلى الإسلام).. [٧]

(٧) أرنولد (الدعوة إلى الإسلام) ص٨٩، ٩٠، ٤٥٥، ٩٨، ٩٩ ترجمة: د.حسن إبراهيم حسن، وعبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوى طبعة القاهرة ١٩٧٠م. وانظر كتابنا «الغزو الفكرى.. وهم أم حقيقة؟» ص١٥٥ وما بعدها. طبعة القاهرة ١٩٨٩.

فتم تحول جمهور المصريين إلى الإسلام، فى ظل «التعددية»، المؤسسة على الحرية والاختيار، وعبر قرون عدة، فكانت التجربة العظمى التى تعلم فيها هذا الشعب التسامح الدينى لأول مرة فى تاريخه الطويل!..

● وبالمقارنة، سنجد أن دار الإسلام قد تفردت بين أوطان الحضارات ببقاء الديانات، السابقة على الإسلام، جميعها فيها، بعد ظهوره، وفى ظل دولته وحاكمية شريعته، مع ازدهار مدارس لاهوتها كلها، بل لقد تمتعت هذه الديانات كلها، فى ظل الإسلام، بالتعددية التى حافظت على علاقاتها، والتى ضبطت وقننت هذه العلاقات السلمية لأول مرة فى تاريخها، حيث طوى الإسلام نهائيا صفحة «الحروب الدينية» بين أتباع كل الديانات وكأن - تاريخها - المنظم لتعددية المذاهب داخل مختلف الديانات!.. ولم يقف ذلك عند أتباع الديانات الكتابية المعروفة، وإنما شمل ديانات وضعية وشبه وضعية مثل ديانات فارس والهند والصين أدخلها الفقهاء المسلمون فى عداد الديانات الكتابية، وقالوا لقد كانت لها كتب فضاعت، أو لعل أمرها كان كذلك؟!..

حدث هذا الإنجاز - فى ميدان «التعددية» - بدار الإسلام، وعلى امتداد تاريخه.. فى الوقت الذى ضاقت فيه صدور أوربا الوثنية بكل ما هو «آخر» وغير وثنى.. فلما تدينت بالنصرانية ضاقت صدورها بكل ما هو غير نصرانى.. بل وضاقت حتى بالتعددية المذهبية داخل النصرانية الوحدة.. فـ« شارلمان » (٧٤٢ - ٨١٤م) فرض النصرانية على السكسونيين بحد السيف.. وفى الدانمرك، استأصل الملك « كنوت » الديانة غير المسيحية من بلاده بالقوة والإرهاب.. وفى بروسيا، فرضت جماعة «إخوان السيف» المسيحية على الناس بالسيف والنار.. وفى ليفونيا، فرض فرسان Drdo Frotrum Militiae Christ المسيحية على الشعب فرضا.. وفى جنوب النرويج ذبح الملك «أولاف ترايجفيون» كل من أبى اعتناق المسيحية، أو قطع أيديهم وأرجلهم، ونفاهم وشردهم، حتى انفردت المسيحية بالبلاد.. وفى روسيا، فرض فلاديمير عام ٩٨٨م المسيحية على كل الروس، سادة وعبيدا، أغنياء وفقراء، غداة اعتناقه لها!..ولم يعترف فيها بإمكانية تعدد الأديان إلا فى مرسوم صدر عام ١٩٠٥!.. وفى الجبل الأسود - بالبلقان - قاد الأسقف الحاكم «دانيال بيتروفتس» عملية ذبح غير المسيحيين بمن فيهم من المسلمين ليلة عيد الميلاد عام ١٧٠٣م وفى المجر أرغم الملك «شارل روبرت» غير المسيحيين على التنصر أو النفى من البلاد عام ١٣٤٠م وفى أسبانيا - قبل الفتح الإسلامى.. كان المجمع السادس، فى طليطلة، قد حرم كل المذاهب غير المذهب الكاثوليكى.. وأقسم الملوك على تنفيذ هذا القانون بالقوة..؟!.

وحيثما امتد نفوذ وحكم الحضارة الغربية، امتد الإنكار للتعددية «فاليعاقبة» فى مصر والشرق، اضطهدهم الأرثوذكس الملكانيون، بالقتل والنفى والتشريد.. وقتل «يستنيان الأول» (٥٢٧ ـ ٥٦٥م) مائتى ألف من القبط فى مدينة الإسكندرية وحدها، حتى اضطر من نجا من القتل إلى الهرب فى الصحراء!.. وفى أنطاكية، حدث نفس القهر والاضطهاد لمعتنقى غير المسيحية، بل وغير مذهب الدولة الرومانية بالذات!.. وفى الحبشة، قضى الملك «سيف أرعد» (١٣٤٢ ـ ١٣٧٠م) بإعدام كل من أبى الدخول فى المسيحية أو نفيهم من البلاد.. وصنع مثل ذلك الملك «جون» فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى!».. ناهيك عن مأساة المسلمين.. وأيضا اليهود.. فى الأندلس على يد فرديناندو (١٤٥٢ ـ ١٥١٦م) وإيزابيلا (١٤٥١ ـ ١٥٠٤م)[8].

وبعد ظهور البروتستانتية كانت إقامة قداس بروتستانتى فى بلد كاثوليكى عقوبتها: سجن النساء مدى الحياة، وإرسال الرجال للتجديف حتى الموت، وإعدام الكهنة!.. وكانت المواكب تسير، فى ذكرى المذابح الدينية، شكرا لله؟![9]

وعندما يحتفل الغرب .. فى «برشلونة» ١٩٩٢م بالدورة الأولمبية ـ إحياء لذكرى خمسمائة عام على إبادة المسلمين فى الأندلس؟!.. ثم يتبع ذلك بمجزرة إبادتهم فى البلقان؟! فإنه يعلمنا أن رفضه للتعددية ليس بالصفحة التى طواها تطور التاريخ؟!.. ففارق بين حضارة لاتريد للآخر الدينى «وجودا» على خريطة أوطانها.. وبين حضارة حافظت وتحافظ على وجود الآخر الدينى حفاظها على الشعائر الدينية التى تتقرب بالحفاظ عليها إلى الله- سبحانه وتعالى- وتنفذ به سنة رسوله ﷺ.. بل لقد تجاوزت فى ذلك مستوى الحفاظ على «وجود» الآخر، إلى حيث تستطيع أن تقرأ أسماء أعلام الأقليات الدينية فى تراجم وزراء دول الإسلام على مر التاريخ!..

● وإذا كان عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- عندما فتحت القدس قد أبى أن يصلى فى كنيسة القيامة، كى لا تكون هناك شبهة، لمن يأتى من بعده، بوجود «حق» للمسلمين فيها.. فإن الصليبيين الذين اغتصبوها (٤٩٢هـ ١٠٩٩م) لم يكتفوا بإبادة المسلمين فى مذبحة سبحت فيها خيولهم بدماء المسلمين فى مسجد عمر؟!.. وإنما حولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة.. وإبان سنوات الاغتصاب الصليبى للقدس والأقصى، اشتاقت نفس الأمير المؤرخ أسامة

(٨) (الدعوة إلى الإسلام) ص٣٠ ـ ٣٢، ٧٢، ٧٣، ١٢٢ ـ ١٢٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٥٤ ـ ١٥٦، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٦.

(٩) وول ديورنت (قصة الحضارة) الطبعة العربية. القاهرة.

ابن منقذ (٤٨٨ ـ ٥٨٤ هـ ١٠٩٥ ـ ١١٨٨م) للصلاة فى الأقصى، فذهب إليه.. بواسطة علاقات كانت له مع بعض الفرسان الصليبيين.. فلما توجه إلى القبلة، ودخل فى الصلاة إذا بمن يحول وجهته عن قبلة الإسلام قسرا.. وكلما عاد إلى قبلة الإسلام أعادوه إلى قبلتهم هم.. فهم لا يعرفون.. وإن عرفوا لا يطيقون.. التعددية حتى فى التوجه إلى رب المشارق والمغارب جميعا؟!(١٠)

● وبالمقارنة، بين الفتح الإسلامى ـ الذى كان يسلك للتعايش مع «الآخرين» طريق «التعددية» وعليها يتأسس التسامح، الذى تقننه الشريعة، لا المرهون بسجايا حاكم من الحكام، أو خلق أمير من الأمراء.. بمقارنة هذا الفتح بما صنعه بونابرت (١٧٦٩ ـ ١٨٢١) ـ نموذج «الحرية.. والإخاء.. والمساواة» الغربية، فى أرقى وأحدث صورها ـ مع المصريين عندما جاءهم طليعة للغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة.. نكتشف الفارق بين حضارتين فى هذا الميدان.. فإبان الفتوحات العثمانية فى البلقان ووسط أوربا، صاغ القصص الغربى أسطورة تناقلها الناس أثناء وعقب الحرب بين السلطان العثمانى والأمير المجرى «هنيادى» تقول: إنهم سألوا الأمير المجرى:

– ماذا تصنع لو انتصرت على المسلمين؟

– فقال: أؤسس العقيدة الرومانية الكاثوليكية..

فلما سألوا السلطان العثمانى:

– ماذا تصنع لدينا لو انتصرت؟

– قال: «أقيم كنيسة إلى جانب كل مسجد، وأدع مطلق الحرية لكل فرد أن يصلى فى أيهما شاء»؟!.(١١)

أما بونابرت الذى لم يتعلم التعددية، ولم يعرفها سبيلا للتعايش مع «الآخر» فلقد رأيناه يسلك إلى التعايش مع المصريين سبيل الكذب عندما ادعى «أن الفرنساوية هم أيضا مسلمين خالصين»..وأنه أكثر من المماليك، يعبد الله– سبحانه وتعالى– ويحترم نبيه محمد والقرآن العظيم..»(١٢) وأنه «محب الملة المحمدية»؟!.(١٣)

فهذا فاتح يمثل حضارة لم تعرف التعددية سبيلا إلى التعايش مع الآخرين.. وذاك فاتح كانت التعددية سبيل حضارته إلى التعايش مع الآخر، داخليا وخارجيا.. وعلى كل المستويات!.

---

(١٠) أسامة بن منقذ (الاعتبار) ص١٣٤، ١٣٥ تحقيق: فيليب حتى. طبعة جامعة برنستونة ١٩٣٠م.

(١١) (الدعوة إلى الإسلام) ص٢٢٣.

(١٢) د.أحمد حسين الصاوى (المعلم يعقوب بين الأسطورة و الحقيقة) ص١٠٦ طبعة القاهرة ١٩٨٦.

(١٣) الجبرتى (عجائب الآثار) تحقيق: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقى، السيد إبراهيم سالم. طبعة القاهرة ١٩٦٥م.

الإسلام قضية عادلة في يد محام فاشل! والمدّعُون عليه مُزوِّرون

٣

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

من المجالات التى فشل المسلمون فيها فى الدفاع عن الإسلام مع ظهور الحق فيها، وزيف شبهات الخصوم، مجال « حقوق الإنسان » وحقوق الإنسان فى الفكر المعاصر مبدأ مقدس، ومغال فيه فى الفكر الغربى إلى أقصى الحدود، ومما هو معروف للعامة والخاصة أن مبدأ تقرير حقوق الإنسان تنسبه أوروبا المعاصرة إلى منجزاتها هى، لا إلى منجزات أية حضارة غير حضارتها الغربية.

وهذا ـ وحده ـ فيه حيف عظيم على الإسلام وحضارته الإنسانية. ذات الجذور العريقة بوحى الله ـ عز وجل ـ ، ثم بعقيدة التوحيد.

وسكوت المسلمين عن هذا الادعاء قصور فى واقع الأمة لايغفر.

وليت الأمر وقف عند هذا الحد، وهو مجرد نسبة « حقوق الإنسان » إلى الحضارة الغربية. ولكنه تجاوز فى التعدى على الإسلام، فاتهموه بأنه لا يعرف شيئا عن حقوق الإنسان، ورموه بالتخلف والرجعية، وبلغ الهجوم على الإسلام فى هذا المجال المدى بعد كوارث ١١/ ٩/ ٢٠٠١ وانضم رجال السياسة فى الغرب، إلى حملة الأقلام فى إلصاق هذه التهم بالإسلام بما لايخفى على أحد.

ونحن لاننكر أن جهوداً فردية لعلماء ومفكرين مسلمين تصدت لهذه الافتراءات فى جيلنا هذا، وفى جيل العمالقة السابق على جيلنا.

لاننكر هذا، ولكن الذى ننكره أن تكون هذه الجهود الفردية كافية.

والذى ننكره انعدام العمل الجماعى للأمة ومؤسساتها ومنظماتها ومواقفها الرسمية فى وجه هذا الهجوم الذى لايستنكف أحد فى الغرب أن يكون جنديا فيه ولو من وراء ستار.

وقد مرّ على أمتنا عهد قريب كانت لاتقيم أى وزن لأى دفاع عن الإسلام يصدر عن المفكرين والعلماء والأفراد، بل لم يسلم هؤلاء من الأذى أو الوصف بالتزمت والانغلاق والرجعية، حتى وقع الفأس فى الرأس كما يقول المثل. وظهر لساسة الأمة أن الذى كان يردده أولئك الأفذاذ هو حق لأمتهم. وقوة وعى لا تزمت.

ولكن بعد فوات الأوان. فقد تجاوزت أوروبا ـ الآن ـ مجرد الأقوال، إلى واقعية الأفعال، ومبادىء حقوق الإنسان أوروبا آخر من تتكلم عنه علماً وتطبيقاً.

أما الإسلام فهو أبوعذرة هذه المنجزات، لم يتقدم عليه نظام وضعى، أو دين سماوى، ولم يتأخر عنه نظام وضعى، أو دين سماوى قط، فهو مسبوق بنظم وضعية، وبرسالات سماوية، لم نر فيها، ولن نجد فيها رعاية لحقوق الإنسان وموضوعية شاملة مثلما وجدنا فى الإسلام، ومثلما نجده نحن الآن، ويجده معنا كل منصف من واحات وارفة الظلال، يانعة الثمار، تشمل كل من تحقق له وصف الإنسان، وهو جنين فى رحم أمه، أو رضيع أو فطيم إلى آخر يوم من حياته، بل وله حقوق فى الإسلام حتى بعد موته يجب الوفاء بها.

إن صلة أوروبا بحقوق الإنسان نظريا عمرها الآن ما يزيد قليلا على نصف القرن.

وقد يغالى فريق فيرجع هذه الصلة إلى أكثر من مائتى سنة بقليل، حيث يؤرخون لها بقيام الثورة الفرنسية.

بيد أن رجوع هذه الصلة إلى صدور وثيقة حقوق الإنسان عام ١٩٤٨ هو الأقرب إلى الصواب أما قبل هذا فلم يكن للغرب صلة إيجابية بمبادىء حقوق الإنسان. ولايملك أحد ذرة من واقع مقبول يجعل للغرب أصالة فى مجال حقوق الإنسان، لان إنسان أوروبا كان موزع الولاء بين سلطتين ظالمتين غاشمتين، تقاسمتا واقع الإنسان الغربى فى العصور الوسطى، هما :

● سلطة رجال الكنيسة، وكانت تملك قلب الإنسان وعقله، أو هكذا ينبغى أن يقال.

● وسلطة الملوك التى كانت تملك جسم الإنسان وطاقاته أمام الإنسان نفسه فلم يكن يملك شيئا من شئونه لا فى سره ولا فى نجواه.

نظام فاجأ الإسلام به الدنيا كلها

بدأت حقوق الإنسان مع بدء الإسلام نفسه، ثم أخذت فى مدارج النمو والازدهار مواكبة لنمو الإسلام وازدهاره.

● حقوق الإنسان نزل بها القرآن الكريم على مدى ثلاث وعشرين سنة.

● وحقوق الإنسان أقرتها السنة النبوية على مدى العمر النبوى الشريف.

● وحقوق الإنسان أقرها الفقه الإسلامى الاجتهادى استنباطا من القواعد الكلية الإجمالية من الفاحص الدءوب فى مصدرى الشريعة (الكتاب والسنة).

هذا، وقد واكب وضع حقوق الإنسان فى الإسلام كل الوقائع والأحداث، التى حفل بها العصر النبوى. وكان لوضع حقوق الإنسان فى الإسلام مرحلتان :

الأولى : المرحلة التفصيلية فى الكتاب والسنة ونعنى بها الحقوق التى نزل بها القرآن فى بعض الآيات التى لها أسباب نزول، وهى لاتكاد تحصى ثم قضية النبى ﷺ، وفصله بين الخصوم فى الوقائع التى رفعت إليه فى حياته الشريفة.

المرحلة الثانية : ونعنى بها ما ورد فى الخطبة الجامعة، التى ألقاها صاحب الرسالة فى حجة الوداع، فى موسم الحج الأكبر الجامع، وذلك حين الوقوف على عرفات فى التاسع مع ذى الحجة فى السنة العاشرة بعد الهجرة الشريفة، إن هذه الخطبة هى

« الوثيقة الحقوقية لحقوق الإنسان » قبل أكثر من أربعمائة سنة بعد الألف.

فقد أجمل النبى ﷺ أهم وأبرز حقوق الإنسان التى تفرق ذكرها فى آيات الكتاب العزيز، والأحاديث النبوية الشريفة هاتان هما المرحلتان اللتان وضع الإسلام فيهما مبادىء وأسس حقوق الإنسان، ويعتبر ما ورد فى المرحلة الإجمالية الثانية (خطبة حجة الوداع) توكيدا وزيادة تقرير وتوصية لما ورد فى المرحلة التفصيلية الأولى.

وتتميز حقوق الإنسان فى الإسلام بسمتين عظيمتين :

الأولى : باعتبار من هو الإنسان الذى وضع الإسلام حقوقه.

هذا الإنسان فى الإسلام هو الإنسان من حيث هو إنسان، دون النظر إلى جنسه أو لونه أو شرفه أو وضاعته، أو غناه أو فقره أو قوته أو ضعفه، أو كونه رئيسا أو مرءوسا فكل من ولدته أمه حيا أحاطه الإسلام بهالة من الحقوق أو الضمانات، التى تهيىء له حياة طيبة كريمة آمنة. ومن هذه الحقوق :

● حرمة دمه، فهو من يوم يولد يكون معصوم الدم. لايجوز لأحد ـ مهما كان ـ الاعتداء على دمه فيقتله، فإن قتله عدوانا ظلما، وجب القصاص العادل فيقتل فيه، إلا أن يعفو أولياؤه.

وكذلك لايجوز لأحد الاعتداء على جسده دون القتل، ولا على أحد أطرافه، فإن تعمد ذلك فالإسلام يبيح للمعتدى عليه أن يقتص من المعتدى كما يلزم المعتدى دفع تعويض مناسبا إذا اعتدى على عضو فى الجسم عطله عن أداء وظيفته فى الحياة حرية التملك، فلكل إنسان أن يمتلك ما شاء من المقومات المباح امتلاكها.

وله حرية مقدار ما يمتلك دون حد أقصى يقف عنده، مادامت مصادر كسبه مشروعه، وله حرية الاحتفاظ بما يملك، وليس لأحد أن يجبره على إخراج شىء من ملكيته قهرا وإكراها.

● وله التصرف فيما يمتلك بالبيع أو الهبة أو الصدقة.

● حرية الاعتقاد، فليس لأحد، ولو كان رسولاً أو حاكما أن يفرض على إنسان ما عقيدة معينة هو غير مقتنع بها، ولا أن يكرهه على الخروج من عقيدة هو بها مؤمن ومقتنع، مهما كانت باطلة أو يشوبها شىء من البطلان. وحرية الاعتقاد تكرر تقريرها مرات فى الذكر الحكيم، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾(١)

وقوله عز وجل :

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(٢)

وقوله جل شأنه :

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا ﴾(٣).

● حريات القول والعمل، فليس لإنسان أن يحجر على إنسان فى قول أو عمل، لكن بشرط أن

---

(١) البقرة (٢٥٦).

(٢) يونس (٩٩).

(٣) الكهف (٢٩).

يكون القول غير آثم، وحتى فى هذه الحالة إن تعلق القول بأذى آخرين فمن حقهم رفع الأمر لولى الأمر (القاضى) لزجره وردعه، أما إن القول إثما عاما فأمره إلى الله- عز وجل-، يعنى أن عقوبته أخروية.

والعمل مباح لكل إنسان حسب مواهبه وقدراته إلا إذا تعلق بالمحظور شرعا، أو كان ضاراً بحقوق الآخرين. فالعمل يشترط فيه تحقيق نفع العامل - وهذا حق له- . ثم عدم الإضرار بالناس.

ومن الحقوق الإنسانية التى أقرها الإسلام أن الإنسان لا واسطة بينه وبين الله -عز وجل- ولا سلطان لأحد عليه. وهذا معناه أن الإسلام فى وضعه لحقوق الإنسان حرر البشرية جمعاء من الخضوع والإذلال أمام أحد من الخلق وهذا المعنى هو الذى عناه ربعى بن عامر فى إجابته على سؤال وجهه اليه هرقل عظيم الروم عن المهمة التى جاء بها الإسلام، فقال ربعى : « جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ».

إنها أبلغ عبارة قيلت فى وصف الإسلام فى مجال حقوق الإنسان. وشرحها يحتاج إلى مجلدات مع وضوحها فى نفسها.

وما يتشدق به مفكرو الغرب من أن الحرية والعدل والمساواة مبادىء وضعتها الثورة الفرنسية فى حقوق الإسان. هذا الكلم محض افتراء أو جهل، لأن الإسلام، قبل الثورة الفرنسية باثنى عشرة قرنا كان قد أقر هذه المبادىء قولا وعملاً، منهجا وسيرة. وتفصيل هذا أمر غير ممكن فى هذا المقام، لأن تاريخ الإسلام حافل بأروع الصور، التى حدثت عبر تاريخه الطويل ومما ورد فى القرآن فى هذا المجال قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

كان المخاطب فى هذه الآية هو « الناس » وليس الذين آمنوا، لأن المبدأ المقرر فى الآية مبدأ عام يشمل البشرية كلها مهما اختلفت عقائدهم، إنه مبدأ « المساواة » بين بنى آدم، فأصلهم واحد هو آدم وحواء، وهو المراد من قوله « ذكر وأنثى » وبهذا المعيار فلا فضل ولا امتياز لأحد على أحد، لا بقوته، ولا بغناه ولا بجاهه، لأن أباهم واحد، وأمهم واحدة وبذلك ألغي الإسلام كل القيم الأرضية الزائفة التى يتباهى بها فريق على آخر، كما ألغى الفوارق القبلية والشعبية والأسرية، وبين أن هذه الفصائل إنما هى لمجرد التعارف المساعد على تسهيل التعامل بين الناس فى شئون الحياة.

أما معيار الفضل والكرامة فهو لا صلة له لا بالكثرة ولا بالقلة، ولا بالنسب ولا فى الجاه، وإنما هو « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » والتقوى هى عمران القلب بالايمان، والسلوك الطيب والعمل الصالح. وبهذا علا مقام بلال العبد الحبشى عند الله، ونزل مقام أبى جهل القرشى الرفيع النسب.

والحديث في هذا المجال لايحاط به إلا فى موسوعات، أما الإنسان فى حضارة الغرب، وحقوق الإنسان التى تدعى أوروبا نسبتها إلي نفسها، فإن الإنسان فيها هو : « الإنسان الأوروبى » ونملك على ذلك عشرات الأدلة « الطازجة ».

(٤) الحجرات (١٣).

● موقف أوروبا من الصراع البوسنى الصربى.

● موقف أوروبا من الصراع الفلسطينى الاسرائيلى.

● موقف أوروبا من تيمور الشرقية وتيمور الغربية.

● موقف أوروبا من العراق وكوريا الشمالية.

● موقف أوروبا من مشكلة الشيشان وروسيا.

اما السمة الثانية لحقوق الإنسان في الإسلام، فهى الموضوعية والثبات، فلا انحياز فيها لفريق ضد فريق، ولا تغيير ولا تبديل فيها ولا إحلال مبدأ بعد رفع مبدأ آخر، جريا مع الهوى، وجريا مع العواطف والمحاباة والد ليل نموذج لاتجده فى حضارة أوروبا ففى فتح سمرقند فى عهد الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبدالعزيز خالف قائد الجيش المسلم الذى فتح سمرقند منهج الإسلام فى عرض الدعوة، وأخضع المدينة للنفوذ الإسلامى، فرفع أهل سمرقند الأمر الى عمر بن عبدالعزيز، فأمر - رضى الله عنه - بتشكيل محكمة ميدان تنظر فى هذه الواقعة، وإذا بالقاضى المسلم يحكم لأهل سمرقند، ويأمر بخروج الجيش المسلم منها. كما قضى بأن تدفع الدولة الإسلامية تعويضات لأهل سمرقند من جراء الأضرار التى لحقت بهم من الفتح غير المستوفى شروط السلامة ويهم الجيش بالخروج، إلا أن أهل سمرقند يعدلون عن شكواهم، ويطالبون ببقاء المسلمين فى بلدتهم لما رأوه فيهم من كرم الأخلاق وحسن العشرة! هل تعرف حضارة أوروبا شيئا صنعته مثلما صنعت حقوق الإنسان فى الإسلام؟

وهل تملك مبادىء حقوق الإنسان فى حضارة أوروبا الحديثة مثالاً واحداً مما تذخر به حقائق الإسلام فى أوثق مصادره :

ففي عصر نزول القرآن سرق أحد سفهاء الأنصار جرابا مملوءا بالدقيق، ثم أودعه عند رجل يهودى. دلت التحريات أن الجراب موجود لدى اليهودى. فلما سئل عنه قال : هذا وديعة لفلان، فأنكر السارق أنه أودع اليهودى جراب الدقيق، وشهد قومه زوراً على تبرئته وإدانة اليهودى. حتى هم النبى ﷺ أن يدين اليهودى بالسرقة، ولكن الله سارع وأنزل وحيه الأمين بهذه الآيات الحكيمات :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ جَـٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَـٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾(٥).

(٥) النساء (١٠٥ : ١١٢).

أنظر كيف واجه القرآن هذه الجريمة، التى حاول بعض الناس إلصاقها باليهودى، ليبرأوا قريبا لهم، فنزلت هذه الآيات الثمانى تشير إلى براءة اليهودى مما رمى به ظلما وعدوانا، واليهود كانوا حربا شعواء على الإسلام يحاولون إطفاء نوره، ويتآمرون مع خصومه عليه. لكن الحق هو الحق، وحماية الإنسان، إى إنسان، من الظلم حق مقدس في الإسلام للمظلوم.

فهل فى حضارة الغرب الحديثة واقعة تماثل هذه الحقيقة فى الإسلام أو تدانيها.

إن الإسلام منهجا وسيرة هو المصدر الأول لمبادىء حقوق الإنسان فى كل زمان ومكان، دون التفرقة بين الناس جميعاً.

إن أمام المسلمين، إن أخلصوا فى نصرة الإسلام، ورد مزاياه المسلوبه إليه، أمامهم أعظم حجة، وأقوى برهان، يفحمون به خصوم الإسلام فى أوروبا الحديثة ولو فعلوا لسدوا كل الطرق أمام الطاعنين فى الإسلام ولألزموهم بأن الإسلام، وليس غيره، هو الذى أعلى شأن الإنسان، وقرر حقوقه، وحرره من كل أشكال العبودية والتبعية لغير الله – عز وجل.

تلك الحجة، التى يجب شهرها فى وجوه الخصوم هى وثيقة حقوق الإنسان التى آصدرتها هيئة الأمم منذ نصف قرن أو يزيد قليلا.

لقد درسنا هذه الوثيقة، وقارنا ما ورد فيها مادة مادة، فوجدناها مستقاة من مبادىء الإسلام وقيمة وشريعته، وقد أرجعنا كل ما ورد فيها إلي أصوله الإسلامية، إلا قليلا خالفت فيه هذه الوثيقة شريعة الإسلام، مثل :

لكل إنسان أن يتزوج من يشاء، مهما كان دينه وعقيدته فهذا «الحق» يتحفظ عليه الإسلام، ولا يسمح به على إطلاقه.

اما فيما ذلك فوثيقة حقوق الإنسان الدولية مستوحاة كلها من نصوص الإسلام (الكتاب والسنة) ثم أصول الفقه والفقه.

إذن فإن هيئة الأمم لم تأت بجديد فى مجال حقوق الإنسان لم يقرره الإسلام منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، اللهم إلا ما انحرفت فيه هذه الوثيقة، وهو قليل، عن الحقوق الفطرية للإنسان التى قررها الإسلام من قبل.

والمطلوب لتفعيل هذه الوثيقة، أن تؤصل المواد التى وردت فيها بخصوص حقوق الإنسان إسلامياً بإرجاع كل فكرة فيها إلي النصوص التشريعية الإسلامية وما انبثق عنها من قيم فى الفقه الإسلامى وأصوله، وأن يضاف إليها ما أغفلت الوثيقة ذكره من مبادىء حقوق الإنسان فى الإسلام، ثم تترجم هذه الأعمال إلي اللغات الحية، وتبث بكل وسائل البث الحديث المنتشرة فى العالم، ليطلع عليها الناس فى كل دولة على أن تتضمن الرسائل إشارات صريحة إلي أن وثيقة حقوق الإنسان الدولية، التى عمرها الآن نصف قرن قد سبق الإسلام الوجود كله وأقرها قبل عصر النهضة الحديثة فى أوروبا وغيرها.

وحبذا لو عقد من أجل ذلك مؤتمر عالمى تعرض فيه هذه الحقائق، ثم يقال لمفكرى الغرب ولخصوم الإسلام، الذين اتهموه بأنه لايعرف شيئا عن حقوق الإنسان. يقال لهم :

إنكم تتباهون بـ« وثيقة حقوق الإنسان الدولية الحديثة، وتدعون أنها عمل مبتكر نشأ وترعرع برعاية العقل الأوروبى الحديث. وهاهو ذا الإسلام قد سبقكم بها منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة عام.

ما أشبه الليلة بالبارحة

العيد الحزين

للشاعر الأستاذ/ أحمد مخيمر

عيد وعيد

للشاعر العراقى الأستاذ/ إبراهيم الوائلى

قصيدتان دامعتان قيلتا فى عيد مرّ من قبل على الأمة العربية وهى فى أشد غمرات الحزن. واليوم يعود العيد، والأمة العربية تعانى من الآلام ما لا قبل لها به والمأساة هى المأساة. فرأينا أن ننشر هاتين القصيدتين، وهما لشاعر مصرى، وآخر عراقى.

المحرر

العيد الحزين

للشاعر الأستاذ / أحمد مخيمر

لا عيد حتى يتم النصر والغلب ... وتأخذ الثأر من أعدائها العرب[1]

لا عيد.. والشعب لم ترقأ مدامعه ... على الضحايا.. ولم يسكن به الغضب[2]

لا عيد.. والمعتدى داست جحافله ... على تراب بلادى.. وهو مغتصب[3]

ليس العويل الذى فى الريح أسمعه ... إلا صراخ أساه.. وهو ينتحب[4]

يرى وجوها غريبات.. تطالعه ... وأيديا قاتلات.. منه تقترب

وظل ضيم لرايات يشاهدها ... عليه.. ليست إلى التاريخ تنتسب[5]

ما خاض من ركزوها قبل معركة ... يكون فيها لهم.. من بعدها الغلب

هانت.. وهان لهم فى ظلها شرف ... أذله أهله والدهر والحقب[6]

لا عيد يا ولدى.. أما الذين ترى ... فإنهم فى يد المأساة قد لعبوا

لو أنهم عرفوا.. لم يطربوا أبدا ... لكنهم عندما لم يعرفوا.. طربوا

والجهل فيهم سلاح.. ليس يملكه ... إلا العدو.. به لما التقوا ضربوا[7]

فلا تكن مثلهم.. والدمع مغترف ... والهول منتظر.. والموت مرتقب[8]

ولعبة العيد.. إن تفرح بها زمنا ... فالعيد يمضى.. وتمضى بعده اللعب

---

(١) الغلب: الغلبة والظفر.

(٢) رقأ الدمع: انقطع ولم ينزف.

(٣) الجحافل: جمع جحفل وهو الجيش، والضمير فى «هو» يعود على تراب البلاد.

(٤) الأسى: الحزن، ينتحب: يبكى.

(٥) الضيم: الظلم.

(٦) الحقب: جمع حقبة وهى الفترة من الدهر.

(٧) يقول: إن جهل العرب كان سلاحا فى يد أعدائهم.

(٨) مغترف: منزوف.

سَأَشْتَرِيهَا.. ولكن سَوْفَ يَحْمِلُهَا ... إليكَ.. يَوْمُ انْتِصَارٍ صُبْحُهُ عَجَبُ
يَوْمٌ.. ترى الشَّعْبَ فيه راقِصاً فَرِحاً ... ورافعاً جَبْهَةً.. ذَلَّتْ لَهَا النُّوَبُ[٩]
لا.. يا بُنَيَّ.. فإسرائيلُ مَا بَقِيَتْ ... أُسْطورةٌ صَاغَهَا العُدْوانُ والكَذِبُ
جَزيرةُ البُغْضِ فِي بَحْرٍ يُحيطُ بها ... عاتي الرِّياحِ.. يَمُوجُ الحِقْدُ يَضْطَرِبُ
فليس يُورِقُ في قَلْبٍ لَهَا أَمَلٌ ... وليس يُثْمِرُ في رُوحٍ لَهَا أَرَبُ[١٠]
وما لَهَا أبداً مَاضٍ تَحِنُّ لَهُ ... ولا غَدٌ تَرْتَجِيهِ.. فَهْوَ مُحْتَجِبُ
وَلَنْ تَعِيشَ.. وقد سُدَّتْ مَسَالِكُهَا ... إلى الحياةِ.. فَخَابَ السَّعْيُ والطَّلَبُ
مَنْ يَبْنِ فَوْقَ فَمِ البُرْكَانِ مَنْزِلَه ... لم يَبْقَ من أمنِهِ فيه له سَبَبُ[١١]
فلا يَرُوعُكَ منهُمْ أَنَّهُمْ هَجَمُوا ... أَوْ أَنَّهُمْ غَدَرُوا.. أو أَنَّهُمْ نَهَبُوا
فَمَا السَّمَاحَةُ فيهمْ إنْ هُمُ نَزَلُوا ... ولاَ الشَّجَاعَةُ فيهمْ إنْ هُمُ رَكِبُوا
ولا الإِباءُ بِمَوْجُودٍ إذا ظُلِمُوا ... ولا الوَفَاءُ بِمَأْمُونٍ إذا صَحِبُوا
مُشَرَّدُونَ على الأَجْيالِ مُذ وُجِدُوا ... فكلُّهُمْ تائِهٌ في الأَرْضِ مُغْتَرِبُ
أَخْطاؤُنا نحنُ.. أَعْطَتْ كُلَّ مَا أَخَذُوا ... وَفُرْقَةُ الرَّأْيِ جادَتْ بالذي كَسَبُوا
وَمَكَّنَتْهُمْ من الفَجْرِ الذي سَلَكُوا ... وَأَسْلَمَتْ لهمُ الأَرْضَ التي سَلَبُوا
لكنَّ أَخْطاءَنا لَيْسَتْ تَدُومُ لَهُمْ ... فالشَّعْبُ يَكْشِفُها فِيمَن بها نُكِبُوا[١٢]
وَقَبْضَةُ الجَيْشِ إنْ تَضْرِبْ سَتَسْحَقُهُمْ ... في حَيْثُمَا سَكَنُوا.. أو أَيْنَمَا ذَهَبُوا
كأَنَّهَا جَبَلٌ من فَوْقِ أَرْؤُسِهِمْ ... يَهْوِي.. وبَحْرٌ مُخِيفُ المَوْجِ يَنْقَلِبُ
لن يُفْلِتُوا منهُ.. واليَوْمُ الأَخِيرُ لَهُ ... تُضيءُ من نُورِهِ الأَيَّامُ والحِقَبُ
إنْ كانَ يَشْقَى ويَلْقَى دُونَهُ تَعَباً ... فإنَّمَا الرَّاحَةُ الكُبْرَى لِمَنْ تَعِبُوا

---

(٩) النوب: الخطوب والنازلات.
(١٠) الأرب: الغاية المنشودة.
(١١) السبب: الوسيلة والطريقة.
(١٢) نكبوا: أصيبوا.

عيد وعيد

للشاعر العراقي الأستاذ / إبراهيم الوائلي

لكُمُ العيدُ نعيماً وهناء ... ولنا العيدُ جحيماً وشقاء
لكُمُ العيدُ كأنفاس الضُحى ... ألقاً يَبْسِمُ حُسناً وبهاءً(١)
ولنا العيدُ ظلاماً دامساً ... لم نُطالعْ فيه للفجر ضياءً(٢)
لكُمُ العيدُ نشيداً ورؤىً ... وأهازيجَ ولحْناً وغناءً(٣)
ولنا العيدُ حنيناً وأسىً ... ومَناحاتٍ وشجْواً وبُكاءً(٤)
لكُمُ العيدُ ابتهاجاً ومُنىً ... ضاحكاتٍ وانطلاقاً وازدهاءً(٥)
ولنا العيدُ قلوباً ذوبتْ ... فأذالتْها مآقينا دماءً(٦)
لكُمُ العيدُ قرىً فارهةً ... وبُيُوتاً تملأ النَفْسَ رَجاءً(٧)
ولنا العيدُ تهاويلَ دُجىً ... تبعثُ الرعب صباحاً ومساءً(٨)
نحنُ ما نحنُ أفي أوطاننا ... نلبس التشريد والذل رداء؟(٩)
نحن ما نحنُ أعن تربتنا ... للطريدين غدونا طرداءَ؟(١٠)

---

(١) ألقا: نورا.
(٢)دامساً: حالكاً.
(٣) أهازيج: أغاريد.
(٤)شجو: حزن.
(٥)ازدهاء: فرحاً.
(٦) أذالتها: سكبتها، المآقي: العيون.
(٧)فارهة: ناعمة رغدة.
(٨) تهاويل: تصاوير، دجى: ظلام.
(٩)الاستفهام للتحسر.
(١٠)الطريدين: اليهود الذين طردوا من كل موطن.

الطُّفُولاتُ عراها ما عَرا ... من أذى اليتم ولم تلقى عزاء[١١]
والأيامى وسلُوا تاريخها ... هل أباحت لسَنا الشمس سناء[١٢]
هَيمَنَ الثكلُ عليها ومضتْ ... تعْبرُ البيدَ وتطويها حفاء[١٣]
هى بالأمس ترى سيدها ... حارسَ البيت كما شاءت وشاء[١٤]
وهى الْيومَ تراهُ شبحاً ... لثم التربة واشتاق الثواء[١٥]
كلَّما نادتْ به لمْ تستجبْ ... غيرُ دُنيا الفقر للثكل نداء[١٦]
زُمر باتتْ على مسغبة ... تحْصُدُ الشوْك وتقتاتُ الغُثاء[١٧]
فتيم أفلَتَ اليُتْمُ به ... من وحوش ملئوا الليل عواء[١٨]
وفتاةُ أسندتْ راحتها ... طفْلةَ تبْكى وأما نفساء[١٩]
ورضيعٌ كلَّما اشتدَّ به ... ألم الجوع احتسى الدمع غداء[٢٠]
لم يجدْ فى الثدْى ـ إذ يلمسُهُ ـ ... بيد واهنة ـ إلاّ ذماء[٢١]
لكُمُ العيدُ مروجاً تزدهى ... ونسيماً فى مجاليها رُخاء[٢٢]
ولنا العيدُ رمالاً تلتظى ... وأعاصير وشوكا وعراء[٢٣]
لكُمُ العيدُ تُضَحُّونَ به ... ما تشاءون من الضأن فداء[٢٤]
ولنا العيدُ وما فديْتُهُ ... غير أحرار تفانواْ شهداء[٢٥]

---

(١١) عراها: غشيها. (١٢) الأيامى: فاقدات الأزواج، هل أباحت: لم تترك للشمس ضوءاً.
(١٣) هيمن: سيطر، حفاء: دون أحذية. (١٤)سيدها: زوجها. (١٥)لثم: قبل، الثواء: المقام.
(١٦)تستجيب: تلبى. (١٧)زمر: جماعات، مسغبة: مجاعة. (١٨) أفلت به: نجا به.
(١٩) نفساء: ذات نفاس بعد الوضع. (٢٠) احتسى: شرب. (٢١)واهنة: ضعيفة، ذماء: بقية.
(٢٢)مروجاً: حقولا ذات نضرة، رخاء: لينا. (٢٣)تلتظى: تحترق، أعاصير: رياح شديدة، عراء: فقد المأوى واللباس.
(٢٤) تضحون: تقدمون ضحايا الأنعام. (٢٥)تفانوا: هلكوا.

كتبوا تاريخَ جيلٍ ثائر ... ما ونى يوماً ولا ارتدَّ وراء[٢٦]

واستجابوا لأماني وطنٍ ... كافح الظلم وداس الكبرياء[٢٧]

البُطولاتُ وما أعظمها ... قد خبرناها رجالا ونساء

والميادينُ وكم قد حجبتْ ... بدُخان الثورة الكبرى سماء[٢٨]

قد وُلدْنا نحنُ والحربُ معاً ... واحتملناها فلم نشك العياء[٢٩]

وحَصَدْنا شَوْكَةَ البغْي التى ... غرستْها «لَنْدَنُ» فى الشرق داء[٣٠]

وتسابقْنا فلم نخش الرَّدى ... يوم أن ثرنا ولم نحذر فناء

ثوْرةُ الشَّرْق وما ازدادت لها ... شُعلٌ إلاَّ ليزداد مضاء[٣١]

أيُّها التاريخُ هذى صفحةٌ ... سوف تطويك خلودا وبقاء

قد كتبْناها ولكنْ بدمٍ ... ونشرناها على الدهر لواء[٣٢]

ونضال طال لكن ما رأى ... غيرنا فيه الضحايا الأبرياء[٣٣]

عبر الوحشُ فألْفى تُربةً ... خصبة المرعى وأفياء وماء[٣٤]

ومَضَى يكْرَعُ ما شاء وقد ... كان يشكو فى المتيهات الظماء[٣٥]

وعلى «المانْش» يدٌ عاتيةٌ ... كلما أوغل زادته احتماء[٣٦]

---

(٢٦) ونى: استراح.

(٢٧)الكبرياء: هنا كبرياء المحتل الغاصب.

(٢٨)حجبت: غطت، كناية عن اشتداد القتال.

(٢٩)العياء: العجز والضعف.

(٣٠) شوكة البغى (يهود إسرائيل) وقد غرستها لندن لأن الانجليز قد ساعدوا على الاحتلال الصهيونى أيام الانتداب كما أصدر وزير خارجيتهم بلفور أول وعد بالوطن القومى لليهود.

(٣١) مضاء: قوة وعزيمة.

(٣٢) لواء: علماً مرفوعاً.

(٣٣) الضحايا: ما قدمنا من الشهداء.

(٣٤) ألفى: وجد، أفياء: ظلال.

(٣٥)المتيهات: أماكن التيه التى كان حائرا فيها، الظلماء: العطش.

(٣٦) المانش: بحر المانش ببريطانيا، وكان الإنجليز هم الحماة لليهود قبل الامريكان..

يدُ «جنْبُـــولَ» ويـادُنْيـــا اشـــهـــدى | كم أســـاءت يدُ جنبـــولٍ وســـاءَ[٣٧]
هـذه التـــربـة مـــاذا كـــابـرتْ | منـذ أن كـــانـت تـقـل الـدخـــلاءَ[٣٨]
صـــيَّـــرُوهـا مـــزقـــاً خـــاويـةً | وأحـــالوهـا عـظامـــاً ودمـــاءَ[٣٩]
فـــإذا نـحْنُ حـــيـــارى فـــزعـــاً | نستـجـيـر البـيـد والقـفـر الخلاءَ[٤٠]
ونـرودُ المـاءَ لـكـنْ مـــا نـرى | غـــيـــر أوشـــالٍ فنرتد ظـمـــاءَ[٤١]
أيهـــا العـــدْلُ ســـلامـــاً فلقـــد | صـــيـــروا عـــهـــدك فى الكون هبـــاءَ[٤٢]
مـــلأوا العـــالم رعـــبـــاً ومـــضـــوا | يـدعـــون الحق كـــذبـاً ومـــراءَ[٤٣]
فـــإذا «الأمْنُ» خَـــيَـــالٌ كـــاذبٌ | وطيـــوف تتـــجـــافـــانا ازدراءَ[٤٤]

جـــفَّتِ الأرضُ من الرِّيِّ فـــيـــا خَـــالقَ ذى النبـــتـــة أمطرها الســـمـــاءَ[٤٥]

(٣٧)جانبول: هو اسم عام لكل انجليزى، اخترعته الصحف الكاريكاتورية هناك.

(٣٨) كابدت: قاست، تقل: تحمل، الدخلاء: المراد اليهود.

(٣٩) مزقا: قطعاً، خاوية: خالية.

(٤٠) نستجير: نطلب الجوار، البيد: الصحارى.

(٤١) نرود: نطلب باحثين، أوشال: بقايا الماء الكدر.

(٤٢) هباء: لا حقيقة له.

(٤٣) مراء: لجاجة وادعاء.

(٤٤) تتجافانا: تبتعد عنا وتتحامانا.

(٤٥)جفت: نضبت فلا ماء بها، السماء هنا: المطر.

معاداة السامية فى الفكر الصهيونى

للأستاذ / صلاح عبدالرحيم محمد

يُعتبر العالم النمساوى « شلوترز » أول من استخدم مصطلح « السامية » فى عام ١٧٨١، وقد آثر رجال الفكر الصهيونى استخدام هذا المصطلح بدلا من « اليهودية » لأن لفظ « اليهودية » - فى نظرهم يحمل دلالات قد لا تلقى قبولا عند كثير من شعوب أوروبا. أما مصطلح « معاداة السامية » Anti-simitism الذى يعنى « معاداة اضطهاد اليهود »، يطابق تماما مصطلح « اللاسامية » فى معناه، ولم يكن هذا المصطلح معروفا حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ويُعَدُّ العالم اليهودى « فيلهالم مار » أول من استخدم هذا المصطلح فى عام ١٨٧٩ بمعنى اضطهاد اليهود من الأغيار (غير اليهود) وما يجب لفت الأنظار إليه - فى البداية - أن اليهود ليسوا وحدهم ساميين، لأن علماء الأجناس يعتبرون العرب أيضا ساميين، كما أن الغالبية العظمى من يهود اليوم لا تمت إلى الجنس السامى بصلة، لاعتناق أجناس أخرى اليهودية، وللتزاوج من غير اليهود، بعد شتات بنى إسرائيل فى أنحاء الأرض، وقد أدى ذلك، بطبيعة الحال، إلى اختلاط الدماء والأنساب. ويذكر كثير من الأدباء والكتاب الصهيونيين أن « معاداة السامية » ظهرت أول ما ظهرت، فى الكتابات، فى ألمانيا فى أواخر التسعينات من القرن التاسع عشر، فهى لذلك ألمانية المنشأ ويمكن القول أن « موسى هيس » (١٨١٢ - ١٨٧٥) مؤلف كتاب « روما والقدس » هو أحد رواد الفكر الصهيونى، الذى أفلح فى توظيف اللاسامية لمهاجمة اندماج اليهود فى البلاد التى يعيشون فيها، بهدف دفعهم للهجرة إلى فلسطين. أما المفكر اليهودى الصهيونى « ليو بنسكر » (١٨٢١ - ١٨٩١) فقد تناول اللاسامية (معاداة اليهود) فى كتابه « التحرر الذاتى » بوصفها مرضا موروثا ينتقل من الأب إلى الابن، ولا يمكن علاجه، ما لم يتغير اليهود جذريا.

وفى هذا السياق يقول الزعيم الصهيونى اليهودى « حاييم وايزمان » (١٨٧٤ -١٩٥٢) أول رئيس لإسرائيل : « إن اللاسامية، بالدرجة الأولى، هى مسألة نفسية، باقية، ما دام اليهود موجودين ».

ويرى زعماء الصهيونية الأوائل أن العدو الأول لليهود فى العالم والذى تحاول الصهيونية القضاء عليه يتمثل فى فكرة التنوير اليهودية « الهاسكلاه » التى تدعوإلى اندماج اليهود فى البلاد التى يقيمون فيها، ومصدر خطورة هذه الفكرة أنها تحدُّ من هجرة يهود الشتات إلى فلسطين. واللافت للنظر أن الصهيونية استغلت دعوى « معاداة السامية »

لتحريض يهود الشتات على عدم الاندماج في الشعوب التي يعيشون معها، وحثهم على الهجرة إلى فلسطين. وفي هذا الإطار يقول المفكر الصهيوني «ليو بنسكر» : «إن اليهود بمنزلة الضيوف في كل مكان، وليسوا أصحاب منزل خاص بهم، حيث يسود العداء للسامية العالم كله، وأن الخوف من اليهود صار مرضا نفسيا، يتوارثه الناس، ولا أمل في شفائهم منه». لذلك حرص قادة الفكر الصهيوني على تعظيم الهولوكست (اضطهاد وإبادة اليهود) التي تعرض لها اليهود - بزعمهم - لتربية اليهود وتنشئتهم على الخوف الدائم من الأغيار (غير اليهود)، وتعميق الإحساس بعدم الأمن في ظل وهم تهديد الآخرين لهم بالإضطهاد والإفناء، لتشجيعهم على عدم الاندماج معهم، والهجرة إلى فلسطين. ويجدر الإشارة إلى أن الفكر الصهيوني لا يرفض اندماج اليهود في بلاد الشتات التي يعيشون فيها فحسب، بل يتقبل معطيات اللاسامية، فيقول «هرتزل» في مذكراته : «أنا اتفق مع «نوردو» على معاداة السامية، فهي وحدها القادرة على أن تجعل من اليهود يهودا» ويبدو أن هرتزل يذهب، في رأيه، إلى أن ثمة صلة قوية بين هويته اليهودية ومعاداة السامية حتى إنه كان يرى «أن الهوية» اليهودية تنمو بنمو اللاسامية». ويذكر الزعيم الصهيوني «هرتزل» في كتابه «الدولة اليهودية» :«أن اليهود أينما يعيشون، فهم معرضون للاضطهاد، ففي روسيا تُفرض على القرى اليهودية الضرائب، وفي رومانيا يُحكم على بعض اليهود بالموت، وفي ألمانيا كثيرا ما يتعرض اليهود للضرب المبرح، وفي النمسا يمارس اللاساميون مختلف أساليب الإرهاب ضد اليهود في شتى مناحي الحياة». ويرحب «هرتزل» بمعاداة السامية بدلامن مناهضتها بقوله : «إن المعادين للسامية حلفاء لنا» وهذا يعني أن الزعيم الصهيوني لا يرفض اللاسامية تماما، بل يقبل بعض مظاهرها، ويصور كل من هو معاد للسامية بأنه حليف طبيعي للصهيونية لأنه يدفع بهجرة اليهود من بلاد الشتات إلى حيث يريدون، ولعل ذلك ما يؤكده الصهيوني اليهودي «يافنيلي» بقوله : «إن معاداة السامية خير خالص، لأنها تساعد على هجرة اليهود من الشتات، والعودة إلى فلسطين» ويواصل «هرتزل» تأكيد الدور الحيوي الذي تلعبه أسطورة «معاداة السامية» في تحقيق أهداف المشروع الصهيوني، وكيف يحمل اليهود في نفوسهم نزعة الشعور باضطهاد الأغيار لهم، فيقول في مذكراته : «لقد نمت اللاسامية، وهي تستمر في النمو، وكذلك أنا» وهو بذلك لا يخفي تشجيعه لاستمرار وجود هذه النزعة، ويرى أن تنامي «العداء لليهود» هو تنام للحركة الصهيونية نفسها.

ويؤكد الكاتب اليهودي «هـ. كوهين» في مقال له بعنوان : «صهيون والفكرة القومية اليهودية» علّق فيها على تعاليم هرتزل بقوله : «لقد اعتبر هرتزل معاداة السامية هي القوة الفاعلة التي ينبغي على الصهيونية أن تتعلم كيف تستغلها لمصلحة اليهود، فإن ملامح التاريخ وحقائقه تتجسد في اللاسامية، وكل ما عدا ذلك ثانوي لا قيمة له». وامتدادا لذلك السياق ذكر الكاتب الصهيوني «بن هخت» في كتابه «الغدر» «أن القيادة الصهيونية كانت حريصة على حث، وتشجيع الاضطهاد النازي ضد يهود شرق أوروبا لدفعهم للهجرة إلى

فلسطين وإقامة الدولة اليهودية». ومن هذا المنطلق يقول الزعيم الصهيوني «ناحوم جولدمان» : «إن ضعف تيار معاداة السامية قد يحمل خطرا جديدا على الكيان اليهودي». ويساير هذا الرأى «لبويفغر» أحد أعضاء المؤتمر اليهودي الأمريكي فيقول : «إن مثل هذا الاضطهاد قد يكون بركة، ومن الممكن أن شيئا من اللاسامية قد يكون ضروريا لتعزيز الكيان اليهودي».

ومن جهة أخرى تدرك الصهيونية، منذ البداية، أن روح الحرية، والتسامح الديني، وتطور الوعي السياسي في المجتمع الصناعي الحديث، قد يهدد بوضع نهاية لاضطهاد اليهود، وانتهاء معاداة السامية، ومن ثم يهدد بذوبانهم في الأمم التي يعيشون فيها ثقافة، ولغة، ودينا وجنسا. ومن هنا تسعى الصهيونية بكل ما أوتيت من إمكانات، وقدرة لاستبقاء «مناخ الاضطهاد» ومحاولة تجسيد أسطورته لإيقاف تيار الذوبان لليهود في الشعوب التي يعيشون معها. لذلك فإن الصهيونية كافأت الصهيوني غير اليهودي «بلفور» فبوأته مكانة متميزة في التاريخ اليهودي لوعده المشهور بإقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وأطلقت اسمه على أحد المزارع الجماعية في إسرائيل.

وبرغم ما أسداه لورد «بلفور» لليهود من خدمات فإنه لم يَسْلَم من جحود الصهاينة له عندما وصفوه بأنه معاد للسامية، إذ تعتبره مساهما فاعلا في إصدار «مشروع قانون الأجانب» الذي كان يهدف إلى وضع حد لدخول يهود شرق أوروبا إلى إنجلترا لأنه رأى أن الكوارث التي حلت بانجلترا كان سببها، هجرة الأجانب إليها، خاصة أن غالبيتهم كان من يهود شرق أوروبا. وفي هذا الشأن يذكر لورد «بلفور» وزير خارجية بريطانيا وقتذاك «أن ولاء اليهود للدولة التي يعيشون فيها هو ولاء ضعيف بالمقارنة بولائهم لعرقهم وديانتهم». والحقيقة التي لاينكرها أحد من قادة الصهيونية، بشهادة التاريخ، أن الاضطهاد الذي يزعم اليهود، ويبالغون أنهم تعرضوا له، أثناء شتاتهم في الأرض، لم يكن كما يزعمون بسبب نقاء جنسهم، وتميزهم، وامتلاكهم للثروة والنفوذ، ولكن بما ارتكبوه من مخازٍ في حق غيرهم، وما اقترفوه من مآسٍ في حق غيرهم ممن آووهم، واستضافوهم. وتأسيسا على ذلك طردهم الإنجليز من بريطانيا عام ١٢٧٥ وعام ١٧٠٠، وطُردوا من فرنسا عام ١٣٠٦، ومن بلجيكا عام ١٣٧٠، ومن النمسا عام ١٤٢٠، ومن هولندا عام ١٤٤٤، ومن أسبانيا عام ١٤٩٢، ومن ليتوانيا عام ١٤٩٥، ومن البرتغال عام ١٤٩٨، ومن إيطاليا عام ١٥٤٠. والحقيقة التي يعرفها اليهود جيدا، بعد عمليات الطرد والملاحقة لهم من هذه البلاد، أنهم لم يجدوا المأوى الدافيء، والملجأ الآمن، والحضن العطوف إلا في بلاد العرب والمسلمين.

وما يجب لفت الأنظار إليه في هذا السياق أن اليهود أثناء تواجدهم في بلاد الشتات، لم يحاولوا، بصدق، التعايش مع شعوبها، بل على خلاف ذلك حرصوا وبشدة على انعزالهم في «جيتوات» «حارات اليهود»، فكانت أرض جاسان، من محافظة الشرقية في مصر أول جيتولبني إسرائيل، وكانت بابل في العراق، الجيتو الثاني، غير أنهم عقب السبي الروماني انتشر بينهم الجيتو، وصار لهم في كل مكان يقيمون فيه

« جيتو » فرضوه على أنفسهم قبل أن يفرضه عليهم الأغيار الذين استضافوهم وآووهم.

حمل شقيقه فرارا من حكم بالإعدام أصدره شارون والتهمة: معاداة السامية

وكان هذا الجيتو هو الردم أو الحاجز بينهم وبين غيرهم من غير اليهود، الذى صنعوه بأيديهم، وكان هو السبب فى اهتزاز الثقة فى اليهود، لرفضهم الاندماج مع هذه الشعوب التى أمنتهم بعد خوف، والتى استضافتهم بعد تشتت، وهذا الردم، وهذا الحاجز هو الجيتو الذى ضاعف من إحساس اليهود باضطهاد الغير لهم. وما يلزم التأكيد عليه أن الصهيونية الآن تتاجر بالهولوكست « المحرقة والإبادة النازية لليهود » بحيث بات صناعة رائجة فى الثقافة الأمريكية، فصار الهولوكست المرجع التاريخى الوحيد الذى يتم دراسته فى العديد من كليات وجامعات أمريكا، فتشير استطلاعات الرأى فى الولايات المتحدة الأمريكية أن عدد الأمريكيين الذين يستطيعون الحديث عن المحرقة النازية - المزعومة التى تبالغ الصهيونية فى وصفها - أكبر بكثير من الذين يعرفون ضرب اليابان للأسطول الأمريكى فى « بيرل هاربر » أو القنبلة الذرية الأمريكية على « نجازاكى » و« هيروشيما » فى اليابان، فقد سمحت ١٧ ولاية أمريكية، باستخدام برامج تتعلق بتمجيد وتعظيم أسطورة الهولوكست، كما خصصت عدة كليات وجامعات « كراسى جامعية » لدراسة « المحرقة النازية لليهود »، كما أن الذكرى السنوية للهولوكوست صارت من الأعياد القومية الأمريكية. وقد استغلت الصهيونية أسطورة « الهولوكست »، ووظفتها بصورة أفضل لتوطيد النفوذ الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكية، بعد أن رأت فيه سلاحاً فعالاً لدفع تهم النقد عنها. ولكسب عطف الرأى العام، والإدارة الأمريكية ولدعم الكيان الإسرائيلى فى فلسطين المحتلة، وأصبحت دعوى « معاداة السامية » وسيلة للابتزاز المعنوى والمادى للحصول على المزيد من الأموال، وهذا ما يراه العالم من ابتزاز إسرائيلى لألمانيا، وسويسرا، وبولندا للاستيلاء على المزيد من مليارات الدولارات فى شكل تعويضات ومساعدات.

وفى الختام يمكن القول أن الدافع الحقيقى وراء إشهار سلاح معاداة السامية فى وجه كل من يكشف عنصرية الكيان الصهيونى فى فلسطين العربية، ودمويته، وشراسته ضد أصحاب الأرض الحقيقيين، هو المتاجرة بالاضطهاد المزعوم لليهود، ومحاولة تأجيج ناره، وإشعال جذوته لتوحيد الخليط المتنافر من سكان الجيتو الإسرائيلى. فالصهيونية ترى - حتى بعد قيام إسرائيل - أن اضطهاد اليهود فى بلاد الشتات يجب ألا تخبو شعلته لأنه السبيل الأكيد لهجرة اليهود إلى الكيان الصهيونى، وفى نفس الوقت لا تترك الصهيونية

وسيلة إلا استخدمتها لخلق الكراهية بين إسرائيل وجيرانها العرب من ناحية وبينها وبين الفلسطينيين من ناحية أخرى، وهذا ما يشهد عليه التاريخ، من معاداة إسرائيل لكل ما هو عربى، بما يرتكبه جيشها فى الضفة الغربية وقطاع غزة من قتل، واغتيال، ونسف للمنازل، وهدم للبنية التحتية، وتجريف للأرض، وإغلاق للمدن، وحصار للقرى، وتمزيق لوحدة الأرض الفلسطينية، ويتساءل الجميع ألا يبعث ذلك كله إلى بث الكراهية وزرع الحقد فى نفوس أبناء الشعب الفلسطينى الذى تريد إسرائيل سحقه، وإلى إثارة مشاعر العرب والمسلمين؟ لا شك أن إسرائيل تقدم كل يوم الدليل على استحالة ذوبان كيانها الصهيونى فى محيط السلام العربى، بسبب نزعة الشعور المعادى لكل ما هو عربى ولقد وصل الأمر بإسرائيل أن تصف منظمات حماس، والجهاد الإسلامى، وحزب الله، «بالمعاداة الإسلامية الجديدة للسامية» وترى فى الوقت ذاته ما يقوم به أبناء الشعب الفلسطنى من مقاومة ضد الاحتلال الإسرائيل بأنه معاداة للسامية، وصورة من صور الإرهاب، والحقيقة التى يجب أن تدركها إسرائيل أن العرب ليسوا خصوما لليهود، ولكنهم خصومٌ «للصهيونية».

قرر شارون أن هؤلاء الأطفال وغيرهم ممن قتلهم أعداء للسامية وينبغى إعدامهم

←

أساسيات علوم الأرض فى التراث العربى

للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا

مقدمة:

تشهد الفترة الحالية من عصرنا اهتماما كبيرا بتاريخ العلم وفلسفته، خاصة فيما يتعلق بقضية التأصيل لنشأة العلم وأولوية المنهج العلمى، حيث يدور الجدل بين الباحثين حول الإجابة عن أسئلة أين ومتى وكيف نشأ العلم وتكونت بذرة المنهج العلمى فى فكر الإنسان؟!

وتاريخ العلم والتقنية جزء من التاريخ الإنسانى العام الذى أسهمت فى صنعه جميع الأمم على مر العصور، إنه تاريخ الفكر الذى منحه الله ـ سبحانه وتعالى ـ للإنسان لكى يرتقى بعقله ويدرك أهمية المعرفة فى صنع التقدم وفهم حقائق الأشياء. ومن يقرأ تاريخ أى علم من العلوم - بحيدة وموضوعية بعيدا عن مختلف ضروب الهوى والتحيز ـ يجد أنه وثيق الارتباط فى تقدمه وتعثره بمراحل ازدهار حضارات الإنسان وانحطاطها، منذ عصور الحضارات القديمة، ومرورا بعصر الحضارة العربية الإسلامية، فعصر النهضة الأوروبية الحديثة، وصولا إلى حضارة التكنولوجيا المعاصرة، كما يجد أن فلسفة العلم معنية بتتبع نمو المشكلات العلمية وتطورها عبر تلك المراحل، ومهتمة بما قدمه العلماء من نظريات أو حلول لتلك المشكلات.، وفق منهج تحليلى مقارن يهدف إلى وضع الحقائق فى نصابها المقبول عقليا والممكن تاريخيا ومنطقيا.

من هنا، فإن الأمانة فى سرد تاريخ أى علم من العلوم تقتضى أن نتتبع مراحل تطوره منذ نشأته، ونقف على كيفية نموه وتدرجه، ونتعرف على ماقام به عظماء رجاله من الأعمال التى أحدثت هذا النمو والتدرج، فذلك كله أدعى إلى حسن تصور الآراء والنظريات المختلفة، فضلا عن أنه الأسلوب الواجب لإيضاح التسلسل الطبيعى للخطوات التى أدت إلى الكشف عن الحقائق العلمية منسوبة إلى أصحابها الشرعيين.

وانطلاقا من هذه المقدمة سوف نعرض للحديث بإيجاز عن أصول بعض العلوم الجيولوجية فى كتب التراث العربية لإلقاء الضوء على ماتضمنه هذا التراث من نظريات وآراء وأفكار ذات قيمة معرفية أو منهجية فى تاريخ العلم والحضارة، وأن نكشف عن بعض المفاهيم التى تشكل أساسا لكثير من المباحث الجيولوجية التى تعامل اليوم كعلوم تخصصية مستقلة، نظرا لاتساع دائرة البحث فى موضوعاتها، وسوف نعتمد فى توثيق هذا العرض على بعض النصوص المحققة المنتقاة من أمهات الكتب التراثية.

(أ) علم شكل الأرض (الجيومورفولوجيا)

إذا بدأنا بعلم شكل الأرض فإننا نعرف أن هذا العلم فى صورته المعاصرة يهتم بدراسة التضاريس الأرضية المختلفة فوق سطح اليابسة والمغمورة تحت الماء، ويعنى بتتبع أطوارها المتعددة، وتفهم الأسباب والعوامل المؤثرة فى تكوينها، وذلك فى ضوء مايسمى بالنظرية الجيومورفولوجية، الحديثة التى تقضى بأن تطور أشكال سطح الأرض يعتمد على عوامل عديدة كالتعرية والإرساب والحركات الأرضية وغيرها، وهى عوامل ناتجة عن تأثير قوى البناء والهدم.

والباحث المدقق فى كتب التراث العلمى يجد العديد من النصوص التراثية التى تؤكد سبق علماء الحضارة الإسلامية إلى وضع أصول النظرية الجيومورفولوجية الحديثة وصياغة المبادئ والمفاهيم العلمية التى تطور على أساسها مبحث شكل الأرض «الجيومورفولوجيا» وأصبح واحدا من أهم العلوم الجيولوجية المعاصرة.

ونؤكد فى البداية أنه كان لدى علماء الحضارة العربية الإسلامية تصور مقبول عن فكرة الجاذبية الأرضية وقوة تأثيرها، وذلك من خلال دراستهم لحركة المقذوفات والسقوط الحر للأجسام. فقد ذكر الهمدانى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) أن الأرض «أشبه بحجر المغناطيس الذى تجذب قواه الحديد من كل جانب» وأوضح البيرونى أن الأرض تجذب مافوقها نحو مركزها على استقامة أقطارها.

وتحدث الإمام فخر الدين الرازى عن انجذاب الجسم إلى مجاوره الأبعد.. وهى بداية الطريق إلى تعميم فكرة الجاذبية على جميع الأجسام الموجودة فى الكون، وصياغة نيوتن لقانون الجذب العام فى القرن السابع عشر الميلادى.

وهاهو أبو الريحان البيرونى يحدد لنا مفهوماً أساسيا واضحا فى تفكيره عن قوى البناء والهدم، ويقدم أفكارا غير مسبوقة عن تكون الصخور الرسوبية الفتاتية (الحطامية)، وتصنيفها بحسب حجومها إلى الحصى والرمال والتراب، وتفسير الطريقة التى تؤدى إلى استدارة الحبيبات الفتاتية والحصى، وبيان العلاقة بين حجمها وبعد المصدر الذى نشأت منه. وهى موضوعات يعالجها علم الرسوبيات الحديث.

يقول أبو الريحان البيرونى فى كتابه «تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات

المساكن » الذى أتم تأليفه بمدينة غزنة « كابول حاليا » سنة ٤١٦هـ - ١٠٢٦م :

« ولا نعلم من أحوالها (أى الأرض) إلا ماتشاهده من الآثار التى تحتاج فى حصولها إلى مدد طويلة ، وإن تناهت فى الطرفين ، كالجبال الشامخة المتركبة من الرضراض الملس (أى الحصى الصغار وفتات الحجر) المختلفة الألوان المؤتلفة بالطين والرمل المتحجرين عليها . ، فإن من تأمل الأمر من وجهه ، وأتاه من بابه ، علم أن الرضراض والحصى هى حجارة تتكسر من الجبال بالانصداع والانصدام ، ثم يكثر عليها جرى الماء وهبوب الرياح ، ويدوم احتكاكها فتبلى ، ويأخذ البلى فيها من جهة زواياها وحروفها ، حتى يذهب بها فيدملكها (أى يملسها ويدورها) ، وأن الفتات التى تتميز عنها هى الرمال ثم التراب . وإن ذلك الرضراض لما اجتمع فى مسايل الأودية حتى انكبست بها ، وتخللها الرمال والتراب فانعجنت بها واندفنت فيها وعلتها السيول ، فصارت فى القرار والعمق بعد أن كانت من وجه الأرض فوق ، تحجرت . .

. . وإذا وجدنا جبلا متجبلا من هذه الحجارات الملس - وماأكثره فيما بينها - علمنا أن تكونه على ماوصفناه ، وأنه تردد سافلا مرة وعاليا أخرى » .

واستطاع أبو بكر الكرجى فى القرن الحادى عشر الميلادى أن يزيد على هذه المفاهيم مايعمق مفهوم توازن الأرض ، وفكرة الدورة التضاريسية التى تقول بتطور معالم سطح الأرض بحيث كلما أثرت قوى الرفع البانية على منطقة ما ورفعتها فوق مستوى سطح البحر ، فإنها تكتسب طاقة كامنة بفارق الارتفاع عما حولها ، مما يسهل لقوة الجاذبية الأرضية أن تنقلها شيئا فشيئا إلى مواقع أقل ارتفاعا منها ، مثل قيعان المحيطات ، فى محاولة لكى يتساوى بعد قممها عن مركز الأرض ، وينتج عن ذلك تطور فى تضاريس الأرض ينتهى معه السطح النهائى بالتعرية إلى سطح منخفض ومستو هو « السهب » . وقد نسبت هذه الفكرة إلى ديفيز » فى القرن التاسع عشر الميلادى ، ولكننا نجد مايصحح هذا الإسناد الخاطئ عندما نقرأ للكرجى قبل ذلك بثمانية قرون ، مانصه :

« إن فى الأرض حركات دائمة ، منها طلب الأبنية للوقوع والانهدام ، والميل عن سمت الاستقامة ، وكذلك الجبال والتلاع تنهار قليلا قليلا ، وتتفتت طلبا للمركز . والأرض الرخوة فى تربتها حركة دائمة ، وهى طلب أجزائها الصلابة باعتماد بعضها على بعض . وأعظم هذه الحركات المذكورة انتقال المياه العظيمة ، وجريان الأودية القوية من أرض إلى أرض فى الأزمنة الطويلة ، فإذا اجتمعت موادها فى ناحية من نواحيها ، وارتفعت حتى بعد سطحها من المركز ، وساوى ذلك بعد الموضع المحاذى له الذى يقابله ، ثم بعد المساواة زاد عليه ، تحركت الأرض طلبا للمعادلة المذكورة ، فتتغير لذلك عروض البلاد ومطالعها وأنصاف نهارها ، ويصير

ذلك سبب انتقال البحار، وظهور عيون وغيض عيون، ولا يكون ذلك دفعة واحدة فى ساعة واحدة، بل يكون على التدريج كانتقال العمارات من أرض إلى أرض.

والمتأمل فى هذا النص الذى أورده الكرجى فى كتابه «إنباط المياه الخفية» لبيان أنواع الحركات الأرضية الدائمة وأثر الجاذبية الأرضية عليها، لابد أن تستوقفه بعض الإشارات العلمية، منها:

١- قوله: «الأرض الرخوة فى تربتها حركة دائمة، وهى طلب أجزائها الصلابة باعتماد بعضها على بعض» مشيرا إلى حركة الأجزاء الترابية الدقيقة لتترابط وهو إدراك مبكر جدا لما عرف حديثا باسم «عمليات مابعد الترسيب» أو «النشأة المتأخرة» Diagenesis، حيث تتحول الرسوبيات الرخوة غير المتماسكة إلى صخور قاسية». وذلك حين تقع تحت وطأة ثقل طبقات أحدث منها تكوينا، فتضغط وتصبح صخورا كاملة التماسك نتيجة فقدها أثناء الانضغاط كميات كبيرة من المياه المتواجدة بين مسامها، وترتبط بعد فترة طويلة من الزمن بواسطة محاليل وسط الترسيب والمياه الجوفية بملاط (مادة لاحمة) فتتماسك وتقسو.

٢- الإشارة إلى ظاهرة التغير النسبى فى مواضع الماء واليابسة من خلال إشارته الى تغير عروض البلاد ومطالعها وأنصاف نهارها تبعا لتغير وضع اليابسة (القارات) ومايرافق ذلك من تغير فى موقع البحار ووضعية الخزانات الجوفية «فتظهر عيون وتغيض عيون».

٣- الإشارة إلى مفهوم الزمن الجيولوجى، وتعاقب الأحداث على الأرض منذ أزمنة وعصور طويلة، وأن ماينشأ عن هذه الأحداث من تغيرات فى سطح الأرض يحتاج إلى مدد زمنية طويلة.

ويضيف أبو الريحان البيرونى مايجعل نظرية تبديل البحر واليابسة أكثر عمقا وأقرب صحة إلى الواقع التاريخى لكوكب الأرض، ويجعل من الاستقراء منهجا تاريخيا يمتد تطبيقه ليشمل الأحداث الجيولوجية القديمة، فيقول عن بادية العرب:

«... وعلى مثله ينتقل البحر إلى البر فى أزمنة، إن كانت قبل كون الناس فى العالم فغير معلومة، وإن كانت بعده فغير محفوظة، لأن الأخبار تنقطع إذا طال عليها الأمد، وخاصة فى الأشياء الكائنة جزءا بعد جزء، بحيث لايفطن لها إلا الخواص.. فهذه بادية العرب وقد كانت بحرا فانكبس، حتى إن آثار ذلك ظاهرة عند حفر الآبار والحياض بها» كما يقول عن أرض الهند:

«.. بل لو تفكرت عند المشاهدة فيها، وفى أحجارها المدملكة حيث يبلغ الحفر: عظيمة بالقرب من الجبال وشدة جريان مياه الأنهار، وأصغر عند التباعد وفتور الجرى، ورمالا عند الركود والاقتراب من المغايض والبحر.. لم تكد تصور أرضهم إلا بحرا فى القديم قد انكبس بحمولات السيول».

ونلاحظ هنا أن البيرونى يطوع منهجه العلمى تبعا لطبيعة الموضوع، فلا يحصر عملية البحث عن الحقيقة فى المشاهدة

والتجربة العملية فقط، على غرار ماعرف وشاع منسوبا إلى فرنسيس بيكون فى عصر النهضة الأوروبية الحديثة باسم «المنهج التجريبى»، بل إن رؤيته المنهجية الرائدة تعطى عملية التفكير والاستدلال، إلى جانب الربط التاريخى، الأهمية التى تستحقها عندما يكون موضوع البحث قائما على أحداث تاريخية تفصلها أزمان مديدة، مثل تراجع البحر وانكشاف اليابسة وتبدل مواضعها ومن عجب ألا يفطن فلاسفة العلم إلى هذه المعالجة المنهجية عند البيرونى، والتى تعتبر تأصيلا لما يسمى بالمنهج الفرضى ـ الاستنباطى، أو المنهج العلمى المعاصر.

ويأتى ابن سينا من ناحية أخرى ليدعم هذه الرؤية المميزة للبحث العلمى فى عصر الحضارةالإسلامية. فيؤكد على دور الملكات الإدراكية الأخرى، ومنها الحدس، إلى جانب الملاحظة والتجربة والاستقراء،. فى الوصول إلى الحقيقة العلمية، وهو يرى أن عملية تبادل توزيع الماء واليابسة ذات طابع كونى لاتتوارث فيها التواريخ، وليست ـ كما قال فلاسفة الإغريق ـ محصورة فى مناطق ضيقة عند السواحل ومصاب الأنهار، فيقول موضحا كل هذا وغيره:

«ونحن نعلم بأقوى حدس أن ناحية الشمال كانت مغمورة بالماء حتى تولدت الجبال، والآن فإن البحار جنوبية، فالبحار متنقلة وليس يجب أن يكون إنتقالها محدودا، بل يجوز فيه وجوه كثيرة».

(ب) علم الأحياء القديمة (البليونتولوجيا)

وإذا انتقلنا إلى علم الأحياء القديمة، نجد أن علماء الحضارة الإسلامية قالوا بنظريات رائدة تحدثت عن طبيعة الحفريات ومدلولاتها العلمية التى يتم على أساسها استنباط التاريخ الجيولوجى ومعرفة تطور الكائنات الحية وتطور البيئات القديمة عبر العصور الجيولوجية المختلفة.

وكان أبو على الحسين بن سينا فى مقدمة الذين أوضحوا بجلاء أن الطبقات الرسوبية تترسب بعضها فوق بعض فى البحار، وأثناء ترسب كل طبقة، وهى مازالت لزجة، تدفن بها أجزاء الحيوانات المائية كالأصداف وغيرها، ثم تحدث عملية الجفاف والتحجر لتلك الطبقات وتجرى كل هذه العمليات ببطء شديد جدا يستغرق ـ على حد قوله ـ «مددا لاتفى التأريخات بحفظ أطرافها».

كذلك كان البيرونى هو الآخر رائدا فى تناول هذا الموضوع بالبحث المنهجى السليم وكانت آراؤه متفقة مع آراء ابن سينا فى أن أصل الحفريات بقايا لكائنات حية نباتية وحيوانية متحجرة، وقد تكونت متزامنة مع تكون طبقات الصخور التى وجدت فيها. لكن ينسب للبيرونى أنه أدرك بالملاحظة الدقيقة أمرين مهمين جديرين بالتسجيل:

١- الأمر الأول يتعلق بأشكال الحفريات، وفيه يقول: .. بل يخرج منها أحجار إذا كسرت كانت مشتملة على أصداف وودع ومايسمى آذان السمك، إما باقية فيها على

حالها، وإما بالية قد تلاشت وبقى مكانها خلاء « تشكل بشكلها » . ويلاحظ أنه أشار إلى ما نعرفه حاليا من أن الحفريات قد تكون عبارة عن الكائن نفسه بجميع أجزائه، أو تكون بقايا الأجزاء الصلبة الهيكلية فقط، وتوجد هذه البقايا بدون أى تغيير فى مادتها الأصلية، أو توجد متحجرة بعد استبدال مادتها بمادة أخرى، وقد تكون الحفرية مجرد طابع خاص أو أثر لبقايا الكائن الحى على الصخور التى كان يعيش عليها عندما كانت رخوة لم تتصلب بعد، وعندما تتصلب بمرور الزمن تحتفظ بهذه الطوابع أو هذا الأثر.

٢- والأمر الثانى يتعلق بوجود حفريات برية أيضا، وليست مائية فقط، وفى ذلك يقول: « حمل إلينا من آبار معادن الذهب بزربان عدة حلزونات وجدت فى بئر بعد حفر مائة وخمسين ذراعا فى مقادير الجوزة، إلا أن قشرها غلاظ جدا حجرية بزيادة خطوط كالحفر فى عرض لوليها، وقد خلت من حيوانها وامتلأت بالطين، ثم استحجر بها ذلك الطين . . ولم يحصل من مشاهدة ذلك إلا أن أرض تلك الآبار كانت وجه الأرض مكشوفة وقتا ما، وكان العظم والصغر يلحقها بحسب المكان والماء وكنه طبيعتها،، فإن الحلزونات البحرية تكون أعظم جثة وأغلظ خزفا وأصلب.

إن وجود هذه الحفريات ذات المنشأ البرى، والتى وجدت فى البئر على عمق مائة وخمسين ذراعا، استدل بها البيرونى على أن تلك الطبقة التى استخرجت منها كانت على وجه الأرض فى الماضى البعيد.، وكان منطقه فى هذا الاستدلال مبنيا على الملاحظة، حيث إن وجود تلك الحلزونات ذات المنشأ البرى فيها يدل على البيئة القارية القديمة لمنشأ تلك الطبقة.

وهذا الربط والتوظيف للحفريات فى التعرف على البيئة القديمة وخصائصها لم يكونا بالأمر المقبول فى الفكر العلمى الغربى قبل نهاية القرن التاسع عشر الميلادى. ولابد أن يكون البيرونى قد قارن بين أنواع شتى من الأصداف لحيوانات تعيش فى الحاضر، وبين حلزونات قارية وأخرى بحرية، حتى يستنتج أن الأخيرة تكون أكبر حجما وأكثر غلظة وصلبة كالخزف. وهذا يعنى أن البيرونى كان مدركا لدور الحاضر فى فهم عمليات حدثت فى الماضى، وهى القاعدة والأساس لنظرية « التواتر » Unifomitarianism المنسوبة فى المؤلفات الجيولوجية الحديثة إلى العالم الاسكتلندى جميس هاتون فى عام ١٧٨٥م.

(جـ) علم المعادن والتعدين

يزخر التراث العربى بالكثير من المؤلفات التى تناولت دراسة العديد من المعادن وتعدينها والتنقيب عنها ففى كتاب « المسالك والممالك » تحدث ابن حوقل عن استخراج الرخام من تبريز، والرصاص من فرغانة وكرمان، والكحل من أصفهان، والنفط من باكو، والملح من عبدان، وملح البارود من بخارى، والكبريت من سوريا وفلسطين، والياقوت والزمرد والعقيق من مصر

وخراسان وجنوب شبه الجزيرة العربية. كما تحدث عن مناجم الذهب فى العلاقى على مسيرة خمسة عشرة يوما من أسوان. وفى كتاب «أزهار الأفكارفى خواص الأحجار» يقول التيفاشى عن تعدين الزمرد الموجود خلف أسوان بمصر:

«... فيخرج منها الزمرد قطعا صغارا كالحصباء منبثة فى تراب المعدن وأخبرنى رأس المعدنين بمصر المكلف من قبل السلطان بهذا المعدن أن أول مايظهر من معدن الزمرد شئ يسمونه الطلق.. ثم يحفر فتجد طلقا هشا فيه الزمرد فى تربة حمراء لينة.. وربما أصيب العرق منه متصلا فيقطع، وهو جيده. وأما صغيره فإنه يوجد فى التراب بالنخل. وذلك أنهم ينخلون التراب ثم يوجد خلاله فيغسل كما يغسل تراب الفضة».

ويعتبر الحسن بن أحمد الهمدانى من أفضل الذين كتبوا فى علم المعادن والتعدين، فقد سرد فى كتاب «الجوهرتين العتيقتين» مناجم الذهب والفضة المعروفة فى جزيرة العرب وبلاد الأعاجم وأرض النوبة والحبشة، واهتم بوصف مناجم اليمن وتهامة ونجد، ونقل ماقاله معدنو الفضة من أن ليس بخراسان ولابغيرها كمعدن اليمن، وهو معدن الرضراض فى حد نهم (تقع شمال شرقى صنعاء فى الطريق إلى مأرب) ومخلاف يام من أرض همدان. وبفضل هذه المعلومات اهتدت بعثة المسح الجيوفيزيائى لمعرفة موارد اليمن المعدنية والبترولية إلى الكشف حديثا عن العديد من المناجم الهامة، وتجرى حاليا دراسة تقديرية لجدواها الاقتصادية، خصوصا بعد التأكد من توافر الزنك والحديد والرصاص، إلى جانب الفضة، بكميات تجارية. وهذا إن دل فإنما يدل على الأهمية المتزايدة للدراسات التراثية فى الحياة المعاصرة.

من ناحية أخرى، اعتمد علماء الحضارة العربية الإسلامية على الملاحظة والتجربة فى كثير من دراساتهم للمعادن والجواهر والأحجار الكريمة، وفى تمييز دخيلها من أصيلها بحسب لونها وشفافيتها وبريقها وصلابتها وحكاكتها (أو مخدشها) وتشعيرها (أو تشققها) وغير ذلك من الخواص الفيزيائية التى تميز بها المعادن اليوم، وقد حاولوا قياس بعض هذه الخواص وتقديرها كميا، مثل خاصية الوزن النوعى التى عينوها لمواد كثيرة بدقة تطابق التقديرات المعروفة حاليا، ومثل خاصية الصلادة HARDNESS التى تحدد درجة تماسك (صلابة) المعدن وقدرتها على خدش معدن آخر، فقد ذكر التيفاشى من خواص الألماس، أنه يقطع كل حجر يمر عليه، وهو نفسه عسر الانكسار، وذكر أن الياقوت يقطع الحجارة شبيها بالماس، وليس يقطعه شئ غير الماس. وذكر البيرونى فى كتاب «الجماهر فى معرفة الجواهر» أن الماس أصلب الجواهر ويليه الياقوت ثم أشباه الياقوت، وقال: «إنما قدمت ذكر الماس على ماذكر مما بقى من مثمنة الجواهر التى لها الرياسة، أعنى اللؤلؤ والزمرد، لأنه فاعل فى الياقوت الفاعل فيما

دونه، وغير منفعل بشئ فوقه ولامتأثر، مما دونه. والمناسبة بينه وبين الياقوت أقرب المناسبات بالرزانة والصلابة وقرب الجوار فى المعدن وقهر الغير بالثقب ،القطع. وبهذا يكون البيرونى والتيفاشى قد وضعا اللبنة الأولى فى فكرة بناء «مقياس موهز» للصلابة Mohs scale ذى الدرجات العشر، ويشغل الألماس والياقوت الدرجتين العاشرة والتاسعة فيه على الترتيب.

مباحث جيولوجية أخرى

هناك مباحث جيولوجية أخرى نجد أساسا لبعض مفاهيمها فى ثنايا الكتب التراثية، فقد تحدث الهمدانى وابن سينا وإخوان الصفا وغيرهم، عن الطاقة الزلزالية فى باطن الأرض ووصفوا ماينتج عنها من آثار متفاوتة الشدة، كما وصفوا بعض أنواعها وسموها «الرياح المحتقنة» ودونوا ملاحظاتهم عن الهزات الزلزالية التى تعرضت لها البلدان العربية والإسلامية خلال القرون الماضية، وهى سجلات يمكن الاسترشاد بها فى الدراسات المتعلقة بخرائط التوزيع الزلزالى.

كذلك نجد فى مخطوطات التراث العربى معلومات كثيرة عن البحار والمحيطات والأنهار، والظواهر المتعلقة بها، ونجد فى مؤلفات لابن وحشية، وإخوان الصفا، وابن سينا، والبيرونى، معلومات عن المياه الجوفية والدورة الهيدرولوجية وآلية صعود الماء الجوفى وأنواع الآبار من عادية وارتوازية وقد خصص الكرجى كتابا بعنوان «إنباط المياه الخفية» متفردا بمعلوماته واختصاصه فى شرح وتفصيل طرق الاستدلال على الماء الجوفى وهندسة استخراجه.

خاتمة:

لعل فيما قدمناه من عرض موجز لأساسيات بعض العلوم الجيولوجية فى التراث العربى مايوضح أهمية هذا التراث فى تاريخ العلم والحضارة. ويدفعنا إلى البحث عن المفقود منه وهو كثير جدا، ليحظى من جموع الباحثين - كل فى تخصصه - بدراسات تحليلية مفصلة تعود بالعلوم التخصصية المعاصرة إلى جذورها فى المجتمع الذى كان شاهدا على ميلادها. وتتعرف على طبيعة الظروف التى سمحت للمفاهيم والأفكار الوليدة أن تنمو وتزدهر، وتصبح بعد ذلك فروعا فى شجرة المعرفة، وروافد لا غنى عنها لتغذية الحضارة الإنسانية، فليس ثمة معرفة إنسانية لاتفقد طابعها العلمى متى نسى الناس الظروف التى نشأت فى أحضانها، وأغفلوا المسائل التى تولت الجواب عليها، وإن تاريخ العلوم لايدلنا فقط على المراحل الزمنية للتغيرات التى شهدها،ولكننا نتعلم منه أيضاً أن بعض المشكلات والقضايا العلمية التى تواجهنا الآن ليست جديدة تماما فالأساليب التى عولجت بها هذه القضايا فى ظروف مغايرة عبر العصور لن تخلو أبدا مما يمكن أن نفيد منه اليوم أو غدا.

الكعبة المشرفة

للأستاذ / عبد السلام ناصف

ما من مسلم فى هذا الكون إلا ويسمع عن الكعبة المشرفة - وإن لم تسنح له فرصة التطلع إليها والتمتع برؤيتها والنظر إلى بهائها ورونقها - فأنت حين تنظر إليها يتسلل إليك شعور بالمهابة والإكبار وإدراك عميق لمعنى (الله أكبر) وفهم دقيق لقوله تعالى :

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾(1) وهى من الداخل بهو خال من كل زخرف وكأنها بساطة الفطرة ممثلة فى هيكل التوحيد فى أسمى معانيه يذكرك بـ« الله أكبر » التى رفعها بلال - رضى الله عنه - ذات يوم بجانبها وتدور عيناك إلى ما فى جوارها من زمزم والمقام والحجر والميزاب والكسوة والحزام.

ويقال إن الكعبة المشرفة هى مركز الأرض وهى تسمى بهذا الإسم لتكعيبها وتسمى الطبلة وتسمى البيت المعمور وتسمى بيت الله الحرام.

تاريخ الكعبة

بنيت الكعبة اثنتى عشرة مرة إذا اعتبرنا البناء من الجذور أو البناء الترميمى الشامل فقد كان أول من بناها هم ملائكة الرحمن قبل إعمار الأرض لتصبح مركزا لهذا الكون - وعندما هبط أبوالبشرية آدم - عليه السلام - إلى الأرض اتجه إليها وجدّدها وسعد بترميمها ومن بعده جاء شيث - ولده - عليه السلام - فأعاد ترميمها وشرف بتجديد بنائها وظلت على هذا الحال حتى أمر الله نبيه وخليله ببنائها، فالتزم بأمر ربه وبناها مع ولده إسماعيل - عليه السلام - وكانت مستطيلة الشكل طول ضلعها الشرقى

(1) البقرة (115).

نحو اثنين وثلاثين ذراعا، والضلع الغربى نحو واحد وثلاثين ذراعا، فى حين أن الضلع الشمالى كان نحو اثنين وعشرين ذراعا، والضلع الجنوبى المقابل نحو عشرين ذراعا، وكان ارتفاعها يومئذ نحو تسعة أذرع وكان لها بابان ملاصقان للأرض، وقد حفر بداخلها حفرة لتكون بمثابة خزانة، وبنى فى شمالها عريشًا لغنم ولده إسماعيل - عليه السلام - لازال باقيا حتى اليوم منذ أكثر من أربعة آلاف سنة وهو ما يعرف بحجر إسماعيل، ويعتبر جزءاً من الكعبة يلزم الطواف حوله مع كل طواف.

وقد أعاد القرشيون بناءها بعد تصدعها إثر الحريق الذى شب فيها وهو العمل الذى شارك فيه محمد الأمين - صلوات الله وسلامه عليه - قبل بعثته بل كان له دور حكيم ريادى قيادى أرضى جميع الأطراف المختلفة فى وضع الحجر الأسود المبارك فى وضعه الحالى - ولئن زاد القرشيون فى ارتفاعها حتى ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها عن الأرض من الجهة الشرقية وبنوا لها سلما يوصل إلى سطحها وأحاطوا حجر إسماعيل بسور لحمايته ومن ثم أصبح جزءا من الكعبة.

وأعاد عبدالله بن الزبير - رضى الله عنه - بناءها بشكل مربع ومكعب ولكن على نفس القواعد التى ارتكز عليها الخليل إبراهيم - عليه السلام - ووفقا لرغبة سيد الخلق محمد - صلوات ربى وسلامه عليه - ودعم سقفها بدعائم خشبية لحمل السقف وزاد من ارتفاعه لنحو سبع وعشرين ذراعا.

أما الحجاج بن يوسف الثقفى فقد أعاد بناءها على قواعد القرشيين.

ولما ولى الخلافة السلطان العثمانى مراد خان سنة ١٠٤٠ هـ أمر بإعادة بنائها بعدما غمرتها المياه كما أمر بعمل حزام حولها من الذهب الخالص.

وأخيراً كانت الطفرة السعودية التى اعتنت بكل الأماكن المشرفة فنالت الكعبة المكرمة عناية خاصة إذ أعيد بناؤها على نظم تقنية حديثة من حيث البناء وعمل «المونة» واختيار الحجارة وبقية مواد البناء. إضافة إلى استقدام العمالة الفنية المدربة عالية الخبرة وكانت الكعبة التى نراها اليوم.

وتتكون الكعبة من أجزاء تكمل بعضها البعض فى شكل متناسق لتصبح صورة رائعة ترتاح لها العين ويؤمن بها القلب وينشرح لها الصدر وهذه الأجزاء جزء لا يتجزأ منها لكنه يكمل الأجزاء الباقية لتخرج للناس صورة الكعبة المشرفة وهذه الأجزاء هى :

أركان الكعبة

للكعبة المشرفة أربعة أركان هى :

الركن اليمانى، والركن العراقى، والركن الشامى، إضافة إلى الركن الأساسى، وهو ركن الحجر الأسود الذى يبدأ منه الطواف وينتهى عنده - وكلمة الركن تعنى الحجر الأسود وكلمة الركنين تعنى الحجر الأسود والركن اليمانى.

روازن الكعبة

هى المناور التى تدخل الضوء إلى داخلها، ولقد كانت أربعة روازن وروزن السلم الموصل إلى سطحها.

وقد ألغاها الملك الأشرف برسباى ليحميها من المطر عام ٨٣٤هـ.

الميـــــزاب

وضع عبـدالله بن الزبير - رضى الله عنه - ميزابا للكعبة لأول مرة إلا أن الخليفة الأموى الوليد بن عبدالملك - رحمه الله - أبدله بميزاب من صفائح الذهب.

وفى العصر العثمانى جدده السلطان عبدالمجيد عام ١٢٧٣هـ بميزاب جديد من الذهب الخالص - وفى عصر التوسعة الكبرى التى تمت للبيت الحرام جدده خادم الحرمين الشريفين بميزاب أحدث من الذهب الخالص.

حجـــر إســـماعيل

هناك منحنى فى شمال الكعبة محاط بسور رخامى قصير هو حجر إسماعيل، ويسمى الحطيم لأن قريشا حطمته وانقصته من الكعبة عندما أعادت بناءها - وقد رُمّم أكثر من خمس وعشرين مرة على يد المصلحين من الخلفاء والأمراء والملوك كان آخرها ترميمة خادم الحرمين الشريفين بعدما كسى بالرخام وهو يرتفع عن سطح الأرض بنحو متر ونصف المتر تقريبا ويلزم الطواف حوله باعتباره جزءا لا يتجزأ من الكعبة عند أى طواف.

الملتـــزم

هو ذلك الحجر الملاصق للحجر الأسود وحتى باب الكعبة - وهو موضع يستجيب الله فيه الدعاء ويستحب أن يلصق الداعى خدّه وصدره وذراعيه مفتوح الكفين إليه أثناء الدعاء.

المســـتجار

وهو الجزء الواقع بين الركن اليمانى وموضع الباب المسدود المقابل للملتزم ويسمى ملتزم عجائز قريش.

الحطـــيم

يطلق الحطيم على حجر إسماعيل - عليه السلام - كما تطلق كلمة الحطيم على المساحة الواقعة بين مقام إبراهيم - عليه السلام - وبئر زمزم وهى التى تتحطم فيه الذنوب..

الحجـــر الأســـود

وهو الحجر الذى يبدأ منه الطواف وينتهى عنده وقد شارك رسول الله - صلوات ربى وسلامه عليه - فى وضعه فى هذا المكان حينما اختلفت القبائل فى أحقية كل منها فى وضعه وهو من يواقيت الجنة ولونه المغمور اليوم يذكرك بلونه الأبيض فى غابر العصور، وهو موضع سكب العبرات ويسنّ تقبيله أو استلامه أو الإشارة إليه إذا ما تعذر تقبيله، وهو يمين الله فى الأرض بمعنى أنه مقام مصافحة العهد مع الله على التَّوبَة - ولسوف يشهد لكل من استلمه أو قَبَّله ومن فاوضه فقد عاهد الله، والمسح عليه يحط الخطايا وهو ملتقى شفاه الأنبياء والتابعين والصالحين والحجاج والمعتمرين والزوار.

بـــاب الكعبـــة

كان أول من أمر بتصنيع باب للكعبة هو أسد تُبَّعْ أحد ملوك اليمن السابقين وجعل لها مفتاحا أودعه إلى شيبة، وكان مصنعا من أجود أنواع الأخشاب ومحلّى بآيات قرآنية بارزة إلى أن أمر جلالة الملك

عبدالعزيز - رحمه الله - بإعادة تصنيعه من أخشاب مستوردة وبصفائح من الذهب والفضة مزينا بأسماء الله الحسنى وبعض الآيات القرآنية حتى كانت التوسعة الكبرى حين أمر خادم الحرمين الشريفين بتصنيعه من الذهب الخالص بما يزيد على مائتين وثمانين كيلو جراما مزيّن بالآيات القرآنية البارزة وله قفل ذهبى أنيق يغلق الباب ويفتح عند الحاجة.

المِعجَن

المعجن عبارة عن حفرة بجوار الكعبة من الناحية الشرقية فيها مقام إبراهيم الخليل وقد صلى فيها الأمين محمد ﷺ يوم تم له فتح مكة المكرمة غير أنها سويت بالمطاف بعدما كان يتعثر فيها الطائفون.

الشاذوران

هى الوزرة التى تقع أسفل الكعبة المشرفة وهى مسنمة الشكل من الرخام تدور حول الكعبة من الجهات الثلاث حيث يكمل حجر إسماعيل - عليه السلام - محيطها والذى يعتبر جزءا من الكعبة يلزم الطواف حوله.

مصطبة حراسة الحجر

شيدت تلك المصطبة بجوار الحجر من جهة باب الكعبة ليعتليها جندى الحراسة الذى ينظم عملية استلام الحجر الأسود أو تقبيله ودرء تدافع الحجاج والمعتمرين أثناء التزاحم.

دعائم السقف

للكعبة ثلاثة أعمدة بداخلها تحمل سقفها قطر كل منها نحو ذراع يباعد كل منها عن الآخر نحو مترين وخمس وثلاثين سنتيمترا، وكان عبدالله بن الزبير أول من شيدها وأقامها لحمل السقف حين شيد الشاذوران حماية من الأمطار.

جُبّ الكعبة

هى حفرة تقع على يمين الداخل إلى الكعبة المشرفة جعلها الخليل إبراهيم - عليه السلام - بعمق ثلاثة أذرع لتكون مستودعا لما يهدى إلى الكعبة من علية القوم أو من الناذرين - وقد أزيلت هذه الحفرة حين تحولت الخزانة إلى بنى شيبة بن عثمان بن طلحة واستعيض عنها بمشاجب تعلق عليها الهدايا والآثار بداخل الكعبة.

السدانة والحجارة

وهى تولى خدمة البيت عامة والكعبة خاصة، وهى فى أهل عثمان بن طلحة وفى ولده حتى اليوم بأمر من رسول الله ﷺ إذ قال:

(خذوها يا بنى طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم).

المقام

هو مقام إبراهيم خليل الله - عليه السلام - الذى شيد الكعبة مع ولده، ويحسن أداء ركعتين أمامه باتجاه الكعبة بعد كل طواف، فقد نزل فيه أمر إلهى باتخاذه مصلى، وأثر أقدام الخليل واضحة المعالم بداخله.

تطييب الكعبة

تُطيب الكعبة منذ العصر الجاهلى وقد أقره سيدنا رسول الله - صلوات الله عليه وسلامه - وسار على نهجه الخلفاء الراشدون ثم الخلفاء

الأمويون والعباسيون والعثمانيون الذين أولوا الحرمين الشريفين جُلّ اهتمامهم وتتابع الملوك والأمراء والشيوخ على سنة تطييبها حتى يومنا هذا حبا لها وفيها متأسين بالآية الكريمة :

﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾(٢) .

الكسوة

أول من كسا الكعبة المشرفة هو سيدنا إسماعيل – عليه السلام – بكسوة جزئية وكانت توضع فوق بعضها البعض – الجديد فوق القديم إلى عهد تُبَّعْ أحد ملوك اليمن الذى أمر بكسوتها بكسوة كاملة تامة سابلة، وأقر رسول الله ﷺ كسوتها كاملة حيث أمر بكسوتها بعدما احترقت أثناء تبخيرها، وكساها الخلفاء الراشدون بعده بكسوات جديدة توضع فوق القديمة، حتى عام ١٦٠هـ حيث رؤى كسوتها بالكسوة الجديدة ورفع القديمة، وتؤخذ أجزاؤها للتبرك بها . وفى عهد محمد على حاكم مصر شيدت مصر مصنعا خاصا بالكسوة الشريفة بعمالة مدربة واعية مستعينة بأجود أنواع الخيوط الحريرية وحليات زخرفتها المصنعة من الذهب والفضة لتزيينها وتحليتها بالآيات القرآنية . وكانت الكسوة تنقل إلى مكة المكرمة فى موكب شعبى لوضعها على الكعبة المشرفة فى مهرجان شعبى كل عام واستمرت هذه الاحتفالات بالكسوة الشريفة حتى عام ١٣٤٦هـ حين أمر الملك عبدالعزيز آل سعود – رحمه الله – بإنشاء دار خاصة لصناعة الكسوة بمكة المكرمة، ولقد جدده وطوره من بعده جلالة الملك فيصل – رحمه الله – ثم تعهده خادم الحرمين الشريفين فأنشأ لها مصنع الكسوة بمدينة جدة .

ومصنع الكسوة غاية فى التقنية العالية من حيث الدقة فى العمل بأقسامه المتعددة بدءاً من النسيج إلى الصباغة إلى النقش والتطريز والطباعة والتجهيز والتجميع – وهى من النسيج المحكم من الحرير الطبيعى الخالص المحلّى بالآيات القرآنية المكتوبة بأسلاك الذهب الخالص، وتبلغ تكلفتها نحو ما يقرب من سبعة عشر مليون ريال سعودى، فهى تتكون من سبعة عشر ثوبا طول الثوب الواحد نحو أربعة عشر مترا بعرض متر واحد يعمل فى إخراجها نحو مائتين وخمسين عاملا فنيا ماهرا متخصصا متفرغا .

وللكعبة المشرفة ستارة داخلية وستارة اخرى للباب الذهبى .

أبعاد الكعبة

رغم أن الكعبة المشرفة تبدو لناظرها أنها مربعة الشكل ومكعبة إلا أن أبعادها تختلف من ضلع إلى آخر فالضلع بين الحجر الأسود إلى الركن الشمالى نحو ١١,٦٨ متر، والضلع الواقع بين الركن اليمانى إلى الركن الغربى نحو ١٢,٠٤ متر، والضلع الواقع بين الركن الشامى إلى الركن الغربى نحو ٩,٩٠ متر، والضلع الواقع بين ركن الحجر الأسود إلى الركن اليمانى نحو ١٠,٨ متر وأما ارتفاعها فيبلغ نحو ١٢,٩٥ متر بعدما كان عند أول بنائها فى عهد الخليل إبراهيم لا يجاوز ٤,٣٢ متر وفى عهد عبدالله بن الزبير نحو ٨,٦٤ متر .

(٢) الحج (٢٦).

شجاعة العلماء فى إسداء النصيحة إلى الخلفاء والأمراء (٢)

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

سجل التاريخ كثيراً من المواقف الشجاعة الجريئة التى وقفها أبطال من علماء الإسلام يتحدون فيها الظلمة والطغاة من الخلفاء والأمراء، والملوك والولاة، ويرفعون راية الحق فى وجوههم فى شجاعة بالغة وجرأة نادرة، فكانوا قمما شامخة فى دنيا البطولة والإيمان، ونماذج فريدة فى إسداء النصيحة للحكام.

من هؤلاء العظماء العالم الجليل، والفقية التقى: سعيد بن جبير، الذى واجه جبروت الحجاج وقسوته، وتعطشه لإراقة وسفك دماء خصومه، وإزهاق أرواح المعارضين لظلمه، الرافضين لبطشه.. واجه ذلك بشجاعة وثبات نادرين، فلم يرهبه طغيان الحجاج، ولم يضعفه جبروته..

فبعد أن قضى الحجاج على ثورة القائد / عبدالرحمن بن الأشعث الذى ثار ومعه أتباعه ـ وفى طليعتهم سيد التابعين سعيد بن جبير ـ ضد طغيان الحجاج، وتفرق جيش الثائرين وفر أغلبهم هاربين، وقبض الحجاج على ناصية الأمر، أصدر أوامره بعقد المحاكمات الدامية لمن قبض عليهم من الثائرين ومنهم سعيد بن جبير.

وكانت محاكمة سعيد بن جبير حدثاً تاريخياً سجل آيات البطولة من عالم مسلم يؤمن بالله وبوعده، ويرى بثبات إيمانه وقوة عقيدته أن من المحتم عليه أن يجابه الطغيان فى جبروته ولا يعنيه ولا يثنيه عن موقفه نهاية ونتيجة محاكمته مهما كانت قاسية أليمة، لأنه يؤمن بأن حياة الذل والهوان، والضعف والاستسلام، والخنوع والخضوع، لا تقاس بالشهادة العالية فى مناضلة الفساد والتشهير بزويه..

وتصدر الحجاج مجلس المحاكمة، وهو منتفخ الأوداج فى جلسته، يملؤه الغرور والكبر، وتسيطر عليه الرغبة الجامحة فى التشفى والانتقام من خصومه، وسأل فى استخفاف:

ما اسمك؟

فسمع سعيد يجيب فى صلابة وعزة:

اسمى سعيد بن جبير!!

ولكن الطاغية يتهكم فيقول مبالغاً فى استخفافه: بل شقى بن كسير!!

فيندفع سعيد ليجيبه بقوله: أبى كان أعلم باسمى منك!!

وإذ ذاك يتضايق الحجاج فيصيح فى تبرم وغيظ: لقد شقيت وشقى أبوك، ويظن انه بذلك قد قطع الرد على غريمه!

ولكنه يسمعه يجيب: الغيب إنما يعلمه غيرك.

فيستشرى غيظه ويلجأ إلى الوعيد والتهديد، فيصيح: لأبدلنك ناراً تتلظى!

وهنا يرده سعيد إلى حقيقته فيقول له فى بساطة هادئة: لو علمت أن ذلك لك ما اتخذت إلها غيرك!!

وطالت الأسئلة، ولم يصل الحجاج إلى إفحام غريمه كما يريد.. إذن ليسلك مسلكاً آخر يقرب الفريسة من الوقوع فى فخها المرصود... - وكان الكلام عن بعض الصحابة آنذاك مجالاً للكيد، ووسيلة للاتهام بمناوأة الدولة، والثورة على سياستها العامة، ولاسيما إذا تطرق الحديث إلى الإمام علىّ كرم الله وجهه.. فأدار الدفة إلى أهل البيت، وسأل سعيداً:

ما قولك فى محمد؟ وهو سؤال لا يتطلب روية من عالم بصير كسعيد.

فصاح يقول: نبى الرحمة، إمام الهدى، بعثة الله رحمة للعالمين...

وهنا نفذ الطاغية إلى هدفه فقال: وما رأيك فى على؟ أهو فى الجنة أم فى النار؟

واستمع الرد فوجد حزماً بالغاً وحيطة تامة فى قول سعيد: لو دخلتها وعرفت من فيها لعرفت أهلها.. فأقفل بسداده الحازم باب اللجاجة فى وجه أقوى حاقد.

فاستشاط الحجاج غيظاً وصاح: ما قولك فى الخلفاء؟

فيأتيه الرد حاسماً: لستُ عليهم بوكيل.

وتوالت الأسئلة من الحجاج، والردود من سعيد، وتطرقت من باب إلى باب.. ومن موضوع إلى موضوع دون أن يزل سعيد بن جبير فى رد على تهمة تدع حيثية الإعدام فى يد عدوه..

ولما يئس الحجاج فى محاولاته قال فى سخرية مريرة: أتريد ان أعفو عنك؟

فإذا سعيد يقول فى ثقة وإيمان: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا تملك عفوا عن إنسان!!

غير أن حمى الانتقام التى سيطرت على الطاغية دفعته صائحاً: اختر أى قتلة تريد أن أقتلك بها؟

فيجيبه سعيد فى هدوء الصابر، وإيمان المحتسب: بل اختر ياعدو الله لنفسك، فوالله ما تقتلنى اليوم قتلة إلا قُتلت فى الآخرة بمثلها!!

ثم تكون الخاتمة الأليمة، فيساق الشهيد إلى المذبحة الحمراء، وكانت آخر دعوة ترددت بها أنفاسه الطاهرة: اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدى!!

وكأن السماء قد سمعت دعاء المظلوم الشهيد، فمات الحجاج بعد مصرع غريمه بخمس

عشرة ليلة دون أن يريق دماً لإنسان بعد سعيد، وقد أصيب الحجاج بلوثة فى عقله بعد أن شاهد رأس الشهيد تتطاير عن جسمه، فلم يذق النوم إلا لماماً، وكان يستيقظ فزعاً وهو يصيح: يا قوم، مالى ولسعيد بن جبير، وكان يتخيل هاتفاً يصلصل فى أذنه: أى عدو الله.. فيم قتلت سعيداً!!

لقد استشهد سعيد بن جبير فى حومة المجد والكرامة، ليعلِّم الناس جميعاً أن الحرية لا تنال إلا بالدماء، وأن الشهادة فى سبيل الحق مثوبة رفيعة لا يدركها غير المثاليين من ذوى النفوس الرفيعة والمعدن الأصيل... رحم الله العالم التقى الشهيد سعيد بن جبير، وأنزله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

●●●

عندما ولى عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ الخلافة لم يبهره المنصب، ولكنه قدّر مسئوليته الضخمة.. فقرر أن يستعين عليها بأهل الخبرة والصلاح وكان من دلائل صلاحه أنه لم يتسبد برأيه ولكنه طلب المشورة من أهلها.. فطلبها من واحد من كبار الزاهدين العلماء.

وكان من رحمة الله بأمة الإسلام أن أتم عليها نعمته: بالحاكم الصالح... والعالم الصادق.. وها هو ذا الحسن ـ رضى الله عنه ـ يستجيب لرغبة الخليفة فيرشده بقوة وصراحة إلى طريق الحق والعدل... ويقدم له النصيحة الخالصة فيما يجب عليه اتباعه... التى نحن فى حاجة متجددة إلى مثلها...

فقد كتب عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ لما ولى الخلافة إلى الحسن بن أبى الحسن البصرى طالباً منه: أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل. فكتب إليه الحسن البصرى ـ رضى الله عنه ـ يقول:

إعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كلٍ مائل، وقصْد كلٍ جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومَفْزَع كل ملهوف.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله الرفيق بها، الذى يرتاد لها أطيب المراعى، ويزودها عن مراتع التهلكة، ويحميها من السباع، ويُكنها من أذى الحرّ والقر.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم فى حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كُرها ووضعته كُرها، وربته طفلاً تسهر بسهره، وتسْكُن بسكونه، تُرضعة تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصىُّ اليتامى، وخازن المساكين، يُربِّى صغيرهم، ويَمُون « ينفق » كبيرهم.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح: تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر إلى الله ويُريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم. فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله ـ عز وجل ـ كعبد

ائتمنه سيده واستحفظه على ماله وعياله، فبدد المال وشرّد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف إذا أتاها من يليها؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتصّ لهم؟ واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذى أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك، يسلمونك فى قعره فريداً وحيداً فتزود له ما يصحبك:

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝٣٦ ﴾(1).

واذكر يا أمير المؤمنين:

﴿ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾(2).

فالأسرار ظاهرة، والكتاب

﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾(3).

فالآن يا أمير المؤمنين وأنت فى مهل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل، لا تحكم يا أمير المؤمنين فى عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبل الظالمين، ولا يسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك. ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات فى دنياهم بإذهاب طيباتك فى آخرتك، ولا تنظرن إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأنت مأسور فى حبائل الموت، وموقوف بين يدى الله ـ تعالى ـ فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد:

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾(4).

إنى يا أمير المؤمنين، وإن لم أبلغ يقظتى ما بلغه أُولُو النهى من قبلى، فلم آلك «أقصر» شفقة ونصحاً، فأنزل كتابى إليك كمداوى حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له فى ذلك من العافية والصحة.

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

رحم الله الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز، وجزاه خيراً على ورعه وتقواه، فقد عاش المسلمون فى ظل ولايته فى أمن وأمان، وخير ورخاء.

ورحم الله الحسن بن أبى الحسن البصرى الناصح الصادق الأمين. الذى زهد فى الدنيا فلم يفتنه مال الحاكم ولا جاهه فأخلص فى النصيحة وصدق فى المشورة.

البقية فى العدد القادم

(1) سورة عبس ٣٤ : ٣٦.
(2) سورة العاديات ٩، ١٠.
(3) سورة الكهف ٤٩.
(4) طه (١١١).

قصة العدد

دار مؤمنة (*)

للأستاذ / محمد سعيد العريان

« ضلت البشرية إن كان هذا مبلغها من العلم بالله ! » همس بها « زيدٌ » فى أذن صحابته فالتفتوا إليه مذعورين يسألونه الصمت والحذر ! هذه بطون قريش جميعاً فى عيد لهم عند صنم من أصنام الجاهلية مُلبين ضارعين يعظمونه وينحرون له عاكفين عليه. ذلك شأنهم فى كل عيد.. وأولئك أربعة نفر من قريش قد اجتمعوا لغير ما اجتمع آباؤهم وأبناؤهم وإخوتهم من سائر قريش، ينظرون إلى القوم فى ضجيجهم حافين حول المعبود الأخرس لا يتكلمون، وعلى شفاههم بسمات، وفى أعينهم نظرات يخافتون بها، وفى صدورهم رغبات مكبوته، لو تأتى لهم لأهوَوْا على هذا المعبود فكبُّوه على وجههُ جذاذاً محطماً !

وانتبذ الأصدقاء الأربعة ناحيةً يتناجون فى همس، وإن المكان ليضجّ بمن فيه بين داعٍ ومُلبّ وسائل ومستغفر. وعاد الرجل يقول لصحابته :

« أما والله إنكم لتعلمون ما قومكم على شىء ؛ لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم. ما حجرٌ نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم فإنكم والله ما أنتم على شىء ! »

ويؤمن صحابته على ما يقول، ذلك زيد بن عمرو بن نفيل، من بنى عدى بن كعب ؛ وأولئك أصحابه : ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحارث.

أربعة نفر أضاء الله لهم على حين غفلة وضلال، فسبقوا قومهم إلى التوحيد والإيمان بالله ؛ وجلسوا يداولون الرأى بينهم، فأجمعوا أمرهم على أن يتفرقوا فى البلدان يسألون أهلَ العلم ما يعلمون عن دين إبرهيم.

(*) مجلة الرسالة – السنة السابعة – العدد الممتاز سنة ١٩٣٩م.

وأقام زيد بن عمرو بمكة زماناً، معتزلاً قومه وما يعبدون من دين الله؛ لا يؤاكلهم ولا يشاربهم، ولا يخشى أن يباديهم بالعيب على ماهم فيه، وحرّم على نفسه ما أحُلو لأنفسهم من الميتة والدم وما ذُبح على النُّصب.

وعرف القرشيون ما أجمع عليه أمره، فاعتزلوه وخلّوا بينه وبين نفسه، لكنه لم يخلّ بينهم وبين أنفسهم؛ فإنه ليقصد إلى البيت فيسند ظهره إلى الكعبة يقول: «يا معاشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري وإنكم لتعبدون مالا يغنى عنكم من الله شيئاً. يا معاشر قريش، إنكم لتأتون المنكر، وتقارفون الشر، وتئدون البنت، وتكفرون النعمة. يا معاشر قريش، أيما رجلٍ منكم هم أن يقتل ابنته خشية إملاق فأنا أكفيه مئونتها. يامعاشر قريش... يامعاشر قريش...» فإذا فرغ من دعوته وجّه وجهه لله يقول: «لّبيك حقًّا حقا، تعبُّداً ورقًّا، عُذْتُ بما عاذبه إبرهيم. اللّهم لو أنى أعلم أىّ الوجوه أحب إليك عبدُتك به، ولكنى لا أعلمه...» ثم يسجد على راحَته ويقول:

أنفى لك اللّهم عان راغمُ
مهما تجشمنى فإنى جاشمُ

ولم يزل زيد على ذلك: يذكّر قومه ويعيب عليهم ما يعبدون، حتى ضاقوا به؛ فأجمعوا على نكايته وتربّصوا به الشر؛ ثم ما زال به عمه (الخطّاب ابن نفيل) يؤذيه وينال منه حتى ألجأه إلى (حراء) لائذاً بالله مستجيراً؛ فوكل به الخطاب شباباً من سفهاء قريش يأخذون عليه الطريق وينالونه بما يكره إن هَمَّ أن يعود إلى مكة، خشية أن يُفسد عليهم دينهم ويتأثره بنوهم. وكانت زوجه فيمن كان من عيون الخطاب عليه، لا يكاد زيد يهم أن يدخل مكة حتى تؤذن به الخطابَ فيقف له؛ ثم يتناوله السفهاء من شبابهم بما يقدرون عليه حتى يعود على وجهه!

رجل فرد في وجه أمة، قد برىء منه أهله، وتمردت عليه زوجه، وتذامر سفهاء الإنس وشياطين الجن على مناهضته والوقوف له؛ ولكنه من قوة الإيمان بحيث يغالب مالا غلبة عليه!

وأىّ قوة في الأرض تنال من الرجل يعمر قلبه الإيمان؟.... وأرادوه على أن يلزم مكمنه من الجبل لا يبرح، لا هابطًا إلى الكعبة يسبح الله في البيت الحرام، ولا مصعداً يلتمس أسباب المعرفة في بلاد الله؛ ولكن صوتاً من وراء الغيب يهتف به، ونوراً يتنوّره على بعد يضىء بين يديه، وإيماناً يعمر قلبه يذلّل ما يتكاءده من عقبات الطريق.

كان يؤمن إيماناً لا شك فيه أن للكون رباً غير ما يعبد الخطاب وبطون قريش؛ هو رب إبرهيم وموسى؛ فمنذا يهديه الطريق إليه؟

... ووجد زيد غفلة من حراسه فأفلت يقصد قصده، متنقلاً بين الموصل والجزيرة إلى بلاد الشام، يسأل عن دين إبراهيم ويبتغيه، ومضى تتقاذفه البلاد يستطلع أنباءه بين أحبار اليهود ورهبان النصارى؛ فما منهم إلا من يبشره بنبى قد أظلّ زمانه، يبعثه الله بدين إبرهيم في أرض الحجاز!

يا ناقُ سيرى عَنَقًا فسيحاً إن نبياً قد أظلَّ زمانه يبعثه الله بالهدى ودين الحق في أرض الحجاز. يا ناقُ هذا سبيلك إلى الوطن النائى يجمع شملك بالأحباب من آل عدىّ بن كعب في أرض الهدى والسلام. يا ناقُ هذا فجر يوشك أن ينبثق بالنور فسيرى بى إليه أقبس من نوره نوراً لقلبى وسلاماً لروحى. يا ناقُ هذا يومُك المأمول تبرق شمسه في حواشى الأفق فأبلغينى مأملى قبل الغداة.

ذلك زيد بن عمرو بن نفيل فى طريقه إلى مكة يسعى نوره بين يديه إلى أمل يرجوه، فإنه ليحدو بعيره مغتبطاً جذلان أن يعود إلى وطنه ومرتع صباه فيظفر بالحسنَيَين من لقاء الأهل والولد وصحبة النبى القرشى الذى أظلَّ زمانه؛ وإنه ليغذُّ السير وفى نفسه شوق ولهفة، وعلى لسانه تسبيح ودعاء!

وانطوى الطريق تحت أخفاف البعير الذى أنضاه السرى وجهد السفر، فلما صار على قرب قريب من أرض الحجاز وأوشك أن ينعم بلقائه الأهل والولد ورؤية النبى الذى قطع مفازة الحياة سعياً إلى لقاه – عَدَا عليه من عدا من أهل السبيل فصرعه قبل أن يبلغ حيث يريد، فإنه ليقول وهو يلفظ أنفاسه: «اللّهم إنى أشهدك أنى على دين إبرهيم!» يرحمك اللّه أبا سعيد!

... وأشرق الصبح على أرض الحجاز، وفاض النور من غار حراء يغمر بطحاء مكة ويسيل سيل العرم فيمحو الظلمات ويدخل منه فى كل دار قبس يضىء. وداعبتْ أشعةُ الصبح الضاحك نافذةَ الدار التى آوتْ زيد بن عمرو بن نفيل عُمْراً من عمره، ثم هجرها ساعياً إلى اللّه يبتغى الوسيلة إلى دين الحق، فكان ولده سعيد بن زيد وزوجه فاطمة بنت الخطاب – من السابقين الأولين فى الإسلام!

وعاد النور والإشراق إلى الدار التى يُعْزَى إليها أولُ مذكر بدين إبرهيم على حين غفلة وضلال. وكان إيمان سعيد واستجابته لدعوة الحق امتداداً لدعوة أبيه فى الجاهلية وصفحةً مشرقة من التاريخ تنضم إلى صفحات!

ثم دار الفلك دورة، وإذا فتى عارمٌ من فتيان قريش يدخل دار سعيد متوشحاً سيفه، وفى عينيه شرٌّ وعلى لسانه وعيد، فما إن راه سعيد وزوجه حتى سكت القرآنُ وخَفتَ الصوت وانكمش بعضٌ فى بعض؛ وأوشكت أن تنقض صاعقة تزلزل أركان الدار المؤمنة.. ياعجبا! ما بال هذا الفتى قد نسى ما جاءَ له ورَقَّ بعد عُرام وعنف؟ هل كان يقصد إلا هذا الفتى العربىَّ وزوجَه، أن ينالهما بأشد الأذى على ما صَبَا وفارقا دين قومهما؟

ها هو ذافى موقفه منهما خاشع الطرف يتلو من صحيفة فى يده: «بسم اللّه الرحمن الرحيم.

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤﴾(١)

فما يكاد يفرغ من تلاوته حتى يلتفت إلى خَتَنه سعيد وأخته فاطمة بنت الخطاب يقول: «دُلّأنى على محمد حتى آتيه فأسلم!» ذلك عمر بن الخطاب وتلك دار سعيد بن زيد بن عمرو؛ دخلها دخول الفاتك المتقحم لا تهدأ نفسه إلا أن يريق دما؛ فما احتوته الدار حتى كان عمرٌ غيرِ عمر!

إن فى بعض الأمكنه لَسِرًّا يهمس، ونجوى تخافت؛ وإن فى هذه الدار...! وجلس سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل، وعمر بن الخطاب بن نفيل، مجلسهما إلى رسول اللّه غدوة، فقالا: «يا رسول اللّه استغفر لزيد بن عمرو!»

قال رسول اللّه ﷺ: «نعم، فإنه يبعث أمةً وحده!»

رحمة اللّه عليه

(١) طه (١:٤).

كيف نقتلع جذور الثأر؟

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفني

كنت طالبا فى السنة النهائية فى الكلية حينما قرأت إعلانا من وزارة الشئون الاجتماعية لمسابقة عن العادات والتقاليد، وما إن وقع بصرى على عادة الأخذ بالثأر بين هذه العادات حتى سيطر علىَّ الشعور بضرورة الإسهام فى الكتابة حولها لعل ما أكتبه يصل إلى آذان المسئولين، وكنت قدنشأت فى بيئة قريبة من قرية (بيت علام) بسوهاج التى تناقلت وسائل إعلام العالم بشاعة أحداثها التى قتل فيها قرابة خمسة وعشرين فى حادث واحد، وكانت أحداث بيئتى التى شهدتها فى صباى لا تقل بشاعة إن لم تزد عن أحداث (بيت علام) ومنها أن عائلة واحدة فقدت خلال عام واحد سبعا وعشرين نفسا ذهبوا صرعى فى حوادث الثأر، وظلت نفسى مفعمة بالأسى لما شهدته من قتلى مزقتهم الطلقات النارية، وآخرين غارقين فيما تدفق من دمائهم، فحين وجدت المسابقة هانت علىَّ التضحية بمعظم الوقت الثمين المتبقى على الامتحان، والذى لم يكن له بديل لأحافظ على تقدير يتيح لى أن أحظى بالتعيين بعد التخرج، وكان علىَّ حين عزمت على الكتابة أن أضع نفسى تحت إشراف أستاذ اختارته وزارة الشئون الاجتماعية وهو الدكتور على فؤاد الذى كان عائدا من أمريكا بعد حصوله على الدكتوراه فى علم الاجتماع، وكان يدرس لنا هذه المادة، وكانت آخر محاضرة له قبل لقائى به فى الإشراف مضمونها: أنه لا يمكن لأى تشريع أو قانون أن ينجح فى أى مجتمع إلا إذا كان مراعيا لظروف هذا المجتمع وعاداته وتقاليده، وحين التقيت به كان إشرافه موجزا محددا ولكنه عميق، حيث قال: أنا لا أسألك عن وصف عادة الثأر فهذا أمر ميسور، ولكنى أسألك عما تراه لعلاج هذه العادة، قلت: وسائل عديدة، ولكن فى مقدمتها القصاص، وما إن سمع كلمة القصاص حتى زمجر فى غضب قائلا: كيف ونحن فى القرن العشرين تريد أن تعيدنا إلى قتل القاتل وقطع يد السارق وهذا التفكير البدائى؟ ولثقتى فى معلوماتى لم أغضب ولم أتأثر، بل قلت له لنفترض جدلا أن التشريع الإسلامى تشريع بدائى، ولكنى أسألك عن عادة الثأر، هل هى عادة حضارية أم بدائية؟ قال: بل هى طبعا عادة بدائية، قلت: والعادة البدائية كيف تعالج؟ هل بتشريع حضارى أم بتشريع.. ولم يدعنى أكمل كلامى، لأنه عرف أنى أذكره بمحاضرته الأخيرة المشار إليها، فقال: اكتب البحث واعرضه علىَّ..

وحين مضى فى تصفح البحث بدا عليه الاستغراق شيئا فشيئا، وحين استوعب مضمون البحث نظر إلىّ متجهما غاضبا يقول فى انفعال شديد: كيف توجد فى الإسلام هذه الحلول لمشاكلنا ونحن لا ندرى بها؟ فقلت فى هدوء: هذا ليس عيب الإسلام، ولكنها مسئوليتنا نحن أننا لم نحاول معرفة الإسلام.

والموضوع فى عرض سريع موجز هو كما يلى:

أولاً: من التبسيط المخل أن يتصور بعض الناس أن الدافع إلى الثأر فى بيئاته هو مجرد الجهل، أو الغباء، أو النغمة الجديدة وهى تحريض النساء على الثأر أو نحو ذلك، فالحقيقة أن الأمر أخطر وأعمق من ذلك بكثير، فمما يعرفه علماء الاجتماع أن للعادات والتقاليد سلطانا على المجتمعات المحافظة أقوى من سلطان الدين والقانون معا، ويضربون مثالاً لذلك بعادة الثأر، حيث يحرص عليها حتى المتدين، وهو يعلم أنها مخالفة للدين، ومخالفة للقانون، ويتحمل متعمدا تبعاتهما رضوخا للعادة المتأصلة، كما أن التعليم لم يكن مانعا من مزاولة الثأر أو التحريض عليه، بل من الغريب أنه كان حافزا ودافعا إلى الثأر، ومن ذلك أننى كنت قد أجريت استفتاء مكتوبا عند كتابة بحث الثأر، وعند جمع نتائجه فوجئت بأن فئة المتعلمين كانت أشد الفئات فى القرية حرصا على الثأر، وقد زالت الغرابة عند تحليل النتائج وتعليلها، حيث إن المتعلمين فى العائلة هم أشدها حرصا على كرامة العائلة، وفى يقينهم أن أخذ الثأر هو من أبرز مظاهر كرامة العائلة، ولا أنسى أن عالما أزهريا شديد التمسك بدينه كان عائدا من الإعارة، فوجد عائلته متورطة فى ثأر، فجمع عائلته وقدم لهم كل ما عاد به من مال فى إعارته ليشتروا به سلاحا استعدادا لأخذ ثأرهم.

كما أن من تأصل عادة الثأر فى أبناء الريف ما تدل عليه هذه المقولة الحكيمة لأحد فلاسفة علم الاجتماع وهى: (تستطيع أن تنتزع شخصا من الريف ولكنك لا تستطيع أن تنتزع الريف من شخص) بمعنى أن الريفى يمكن أن ينتقل إلى أية مدينة أو دولة، ولكن طابع الريف يظل راسخا فى أعماقه، ومن طابع الريف عادة الثأر وخصوصا فى الصعيد، ومن هنا ندرك خطورة التهوين من الأسباب الدافعة إلى الثأر، لأن ذلك يصرفنا عن التفكير فى الحلول السليمة لعلاج هذه العادة الخطيرة، ومن نحو هذا التهوين كان اقتراح أحدهم حلا مضحكا لإنهاء خصومات الصعيد، وقد نشر فى بريد الأهرام، وهو أن يؤتى بطرفى الخصومة، ويعطى كل منهم عصا غليظة، ويوضعون جميعا فى مكان واحد يغلق عليهم، ويتركون يضرب بعضهم بعضا حتى ينهوا خصومتهم بأنفسهم.

ثانياً: الحلول الجذرية فى التشريع الإسلامى تبحث عن مواطن الخطورة فى مشكلة الثأر لتقتلعها من أساسها، ومن أهم مواطن الخطورة:

١- التقاليد فى الثأر تتيح لكل فرد ممن ينتمى إليهم القتيل من عائلته أو بلدته أن يأخذ ثأر هذا القتيل، وهذا الشيوع يمثل خطورة كبيرة واضحة، ولكن التشريع الإسلامى يقضى على هذه الخطورة من جهتين، جهة المطالبة بالثأر، وجهة تنفيذ الثأر، فأما المطالبة بالثأر فيقصرها التشريع الإسلامى على الورثة الشرعيين للقتيل، فالذين

يرثون تركة القتيل هم الذين يرثون المطالبة بالقصاص دون غيرهم، وكل منهم يملك من حق القصاص بمقدار نصيبه فى التركة، وأما تنفيذ القصاص حين يثبت فيجعله التشريع الإسلامى بيد ولى الأمر صاحب السلطة والحكم أو من ينوب عنه وهو القضاء.

٢- من التقاليد فى الثأر اختيار شخص بارز من عائلة القاتل أو عدة أشخاص ليكون قتلهم موجعا لعائلة القاتل، وشفاء لنفوس أهل القتيل كما حدث فى قضية (بيت علام) بسوهاج، ولكن التشريع الإسلامى لا يبيح إطلاقا أن يؤخذ بالجريمة أحد غير القاتل أو القاتلين إذا اشتركوا فى القتل، وفى القرآن الكريم:

﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾(١).

ومن الإسراف فى القتل قتل غير القاتل أو أكثر من القاتل، والسلطان الذى جعله الله لولى الدم هو حق القصاص.

٣- من أهم أسباب عدم نجاح كل القوانين الحالية فى معالجة عادة الثأر أن أهل القتيل يصرون على أن يشعروا مجتمعهم بأنهم أخذوا حقهم بأنفسهم، ولا تعنيهم إطلاقا الأحكام التى تصدر ضد القاتل، وحادث (بيت علام) أوضح مثال لذلك، حيث دبر أهل القتيل جريمتهم بحيث تكون فى ذات اليوم الذى ستنظر فيه القضية فى المحكمة، وقبل أن تنظر، دون أن ينتظروا ماذا سيكون الحكم، لأن الحكم أيا كان لا يعنيهم، وإنما يعنيهم أن يأخذوا حقهم بأيديهم.

وهنا تبدو الحكمة البالغة للتشريع الإسلامى، حيث يؤكد لأهل القتيل أصحاب الحق فى القصاص - أن القصاص حق وملك خاص لهم، يستطيعون أن يطالبوا به، وأن يتنازلوا عنه فى أية مرحلة من مراحل القضية، وأن كل جهات السلطة التى تباشر القضية إنما تعمل لبيان حقهم وإثباته، بل إن التشريع الإسلامى يستثنى حقوق القصاص من قواعد التشريع رغبة فى منع نزيف الدم، وذلك أن الحقوق فى التشريع الإسلامى نوعان، حقوق الله وعقوبتها تسمى الحدود، كحد السرقة وحد الزنا، وحد شرب الخمر، وحين تثبت لا يملك أحد العفو عن الجانى فيها لأنها حق الله، ويقابلها فى القانون الوضعى الحالى الحق الجنائى، ولا يملك أحد العفو عن الجانى لأنه حق المجتمع، والنوع الثانى فى التشريع الإسلامى حقوق العباد كسائر المعاملات المالية بين الناس، وهذه يملك صاحب الحق العفو عن الجانى فيها والتنازل عن حقه فى أية مرحلة من مراحل القضية، ويقابلها فى القانون الوضعى الحالى الحقوق المدنية التى يملك صاحب الحق فيها التنازل عن حقه فى أية مرحلة من مراحل القضية، وكان حق جريمة القتل وهى كبرى الجرائم أن تكون من حقوق الله التى لا يملك أحد العفو فيها عن الجانى، بل هى أولى بذلك مما دونها من الجرائم كالسرقة، ولكن التشريع

---

(١) سورة الإسراء (٣٣).

الإسلامى لا ينظر إلى جريمة القتل من زاوية العقاب، وإنما من زاوية الأثر الاجتماعى الخطير لها، فيستثنيها ويجعلها من حقوق العباد وليست من حقوق الله، أى يجعلها حقا مدنيا وليس حقا جنائيا، والحكمة الواضحة فى ذلك أن يشعر أهل القتيل أن العقاب وهو القصاص ملك خاص لهم يستطيعون أن ينفذوه، ويستطيعون أن يتنازلوا عنه، وهذا الشعور يريح نفوسهم ويطفىء جانبا كبيرا من جذوة الغضب لديهم وهو أهم ما فى الموقف كله، أن يشعر أصحاب الثأر أن الأمر فى أيديهم هم.

ومن هنا كانت الفجوة الشاسعة بين أصحاب الثأر فى الصعيد وبين القانون، حيث إن القانون لا يجعل لأصحاب الثأر اعتبارا، ولا يعترف أصلا بأنهم أصحاب حق، لأن جريمة القتل فى القانون الحالى حق جنائى، وهو حق المجتمع وليس حق أهل القتيل، فيصر أهل القتيل على أخذ حقهم بأيديهم فى صورة الثأر مهما يكن حكم القانون، بينما كانت نظرة التشريع الإسلامى فى هذه النقطة فيها مفتاح الحل حيث جعل القصاص حقا مدنيا يملكه أهل القتيل.

ثالثًا: إذا كان أعداء الإسلام ينحون بكل اللوم وكل التشهير عليه بأنه دين العنف وسفك الدماء متخذين من تشريع القصاص مثالا لتشهيرهم فلينظروا كيف أن الإسلام فى تشريع القصاص يبذل كل وسيلة مشروعة لإنقاذ حياة القاتل نفسه، مع ضمان حل المشكلة اجتماعيا، وذلك باتباع الخطوات التالية:

١- يجب على القاضى وجوبا ألا يلجأ إلى تنفيذ القصاص حين تثبت الجريمة على القاتل، بل يجب قبل ذلك أن يعرض على ورثة القتيل - وهم وحدهم أصحاب الحق فى القصاص - العفو عن القاتل، ويرغبهم فى ذلك بكل أنواع الترغيب، فإذا رفضوا العفو وأصروا على القصاص يجب أن يعرض عليهم قبول الدية، وهى مبلغ مالى كبير فيه إغراء ولو لبعض ورثة القتيل. ولا تقل الدية فى أدنى تقدير لها عن مائة ألف جنيه، بل مائة ألف دولار، ولا عقبات فى تطبيقها، لأنها توزع على كل الذين ينتمى إليهم القاتل ويتعصبون له، ليحولوا بعد ذلك بين أفرادهم والعدوان على أحد، فإذا لم يمكن وزعت الدية على أبناء مهنة القاتل أو نقابته، فالإسلام أول من شرع نظام النقابات المهنية فى التاريخ.

٢- إذا أصر ورثة القتيل على القصاص أمر القاضى بتنفيذ القصاص، منعا لنزيف الدم الذى سيراق فى دوامة الثأر الذى يدور فى حلقة مفرغة لا نهاية لها، ولكن الإسلام يبلغ من حرصه على إنقاذ حياة القاتل أنه إذا عفا ولو صاحب أصغر نصيب من ورثة القتيل أو قبل نصيبه من الدية سقط القصاص، ويخير باقى الورثة بين العفو أو الدية أو لا شيء لهم كما فى نص التشريع الإسلامى، والتعليل الرائع لهذا فى التشريع الإسلامى أن الحياة أولى من الموت، والذى عفا أو قبل الدية كأنه قرر حياة نصيبه فى القاتل، والحياة لا تتجزأ، كما أن الحياة أولى من الموت، فيفضل جانب الحياة على جانب الموت فيسقط القصاص وينجو القاتل من الموت.

٣- من الاحتمالات الغالبة فى حوادث القتل أن القاتل يحاول أن يرتكب جريمته فى خفاء حتى ينجو من العقاب، ولكن أهل

القتيل وإن جهلوا شخص القاتل حين لا يكون هناك دليل عليه فإنهم يعرفون الشخص أو العائلة التى بينهم وبينها من الخصومة ما يدفعها إلى القتل منهم، وحينئذ يلجأون إلى قتل أى شخص من هذه العائلة إذا لم يتمكنوا ممن يتوقعونه القاتل، والنتيجة أنه مع الجهل بشخصية القاتل يظل خطر الثأر قائما كما هو، وحينئذ يقف القانون الوضعى الحالى عاجزا ولا يملك إلا قيد القضية ضد مجهول، ولكن التشريع الإسلامى يلجأ حينئذ إلى استثناء لا يوجد فى أى قانون فى العالم حرصا على الحياة ومنعا لنزيف الدماء، وهذا الاستثناء هوما يعرف بالقسامة، وهى نظام جاهلى أبقاه الإسلام التماسا لأية وسيلة تحقن بها الدماء، ومضمونها أن يطلب القاضى من أهل القتيل أن يختاروا خمسين شخصا ممن يثقون فى صدقهم وأمانتهم من أهل القاتل أو من ينتمى إليهم القاتل، ليحلف كل منهم ما قتلته ولا أعلم قاتله، ولا ينتظر عادة أن يتفق خمسون من الموثوق فيهم على باطل أو إخفاء الحقيقة، وحينئذ إما أن يظهر القاتل، وإما أن تطمئن نفوس أهل القتيل إلى أن القاتل ليس من بين هؤلاء المتهمين بالقتل، وفى كلا الحالين لا يلجأون إلى الثأر، بل إن التشريع الإسلامى يقول: فإذا لم يجد أهل القتيل من يثقون فيهم من أهل القاتل سوى عشرين مثلا أو أكثر أو أقل من الخمسين أعيد حلف الأيمان عليهم حتى تبلغ الإيمان خمسين يمينا.

ومن نحو هذا نتبين فى جلاء أن التشريع الإسلامى يقدم النظرة إلى إصلاح المجتمع والمحافظة على الحياة على النظرة إلى العقاب، وصدق الله حيث يقول:

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٢].

حيث لا بديل للقصاص فى وقف نزيف الدم والمحافظة على صلاح المجتمع.

وكما استثنى التشريع الإسلامى جرائم القتل فى بعض جوانبها من قواعد التشريع فإذا أردنا علاجا حقيقيا – وليس مسكنا وقتيا – لعادة الثأر، فإنى اقترح - إذا لم يمكن تطبيق التشريع الإسلامى كاملا - أن تستثنى جرائم القتل التى يخشى أن ينبع منها ثأر فيصاغ لها قانون خاص يسير على نهج التشريع الإسلامى فى الحلول المشار إليها، ثم تشكل فى كل محافظة دائرة قضائية من قضاة ملمين بالثقافة الإسلامية، أو على الأقل ممن تربوا فى الريف ليكونوا أقرب إلى نفسية الفلاحين وأعرف بها، وتحال إلى هذه الدائرة جرائم القتل التى يخشى تحولها إلى ثأر، وتستعين هذه الدائرة بأشخاص معينين يحسنون أسلوب التفاوض مع أهل القتيل، ويعرفون الحلول الاجتماعية، على أن يكون من أهم ما يتضمنه هذا القانون الخاص إبراز أن جريمة القتل حق مدنى يملكه ورثة القتيل ويشرفون عليه من بداية القضية إلى نهايتها، فإذا لم يكن بد من القصاص فيحضره ورثة القتيل وهم أولياء الدم لعل أحدهم عند التنفيذ تأخذه عاطفة دينية أو رحمة بالقاتل فيعفو عنه فينجو من الموت.

---

(٢) سورة البقرة (١٧٩).

خطبة الجمعة

أسلوب الدعوة إلى الله (*)

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصى

الحمد لله عز وجل، وهب أصفياءه الحكمة، وكتب على نفسه الرحمة:

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١)، أشهد أن لا إله إلا الله، هو وحده العليم بالسرائر، المطلع على خفيات الضمائر: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٢) وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، منحة الرحمن، وصفوة الإنسان: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٣)، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه:

﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٤).

يا أتباع محمد ﷺ :

لعل أهم صفة من صفات رسول الله أنه داعية إلى الله، ولذلك خاطبه ربه فى محكم تنزيله بقوله:

(*) ألقيت بالتليفزيون فى ١٣ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٥هـ - ٨ من أكتوبر سنة ١٩٦٥م.

(١) الأعراف (٥٦). (٢) الملك (١٤).

(٣) القلم (٤). (٤) فاطر (١٨).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾(٥).

هو يشهد بالحق ويحث عليه، وهو يبشر بالخير ويحبب فيه، وهو يحذر من الشر ويباعد عنه، وهو حين يدعو إلى الله بإذن الله، ينير الطريق ويضيء المسالك، ويفتح أمام المهتدين المحسنين أبواب الفضل الإلهى الكبير:

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٦)

ومعنى هذا أن الدعوة إلى الله ليست لعبة يتلهى بها الغر والجاهل، وليست أمراً يحسنه القاصر والغافل، وليست شهوة يندفع إليها كل من عرف قشوراً من الدين، أو أراد تظاهراً بين الناس، وإنما الدعوة إلى الله كالحرم الربانى الزكى، يدخله من تطهر وتدثر بالعقل والعلم والإخلاص والاعتدال على الصراط المستقيم بلا انحراف ولا اعتساف ولا إسراف، ولذلك وكل الله- تبارك وتعالى- هذه المهمة الجليلة فى نطاقها العام إلى أنبيائه ورسله ومن ورائهم ورثتهم والأخيار من أتباعهم الراسخين فى العلم، البصراء بالحق، الخبراء بطرق الهداية فى حذق ورفق، ولذلك قال الله- تعالى- لحبيبه ومصطفاه:

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٧).

ولجلال الدعوة إلى الله ودقتها رسم الرحمن الرحيم لرسوله الكريم أصولها وقواعدها، حتى تكون هدياً ونوراً، وخيراً وبراً، تجمع ولا تفرق، وتوحد ولا تمزق، وتبنى ولا تهدم، وتعمر ولا تحطم، فقال له:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(٨).

وفى هذا النص الإلهى المجيد حدد الخالق سبحانه ثلاثة وسائل للدعوة هى الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتى هى أحسن؛ وكأنه أراد أن يكون كل منها لمستوى من المستويات، أو لحالة من الحالات، فالحكمة هى القول العلمى الدقيق البليغ، المشتمل على الحجة المقنعة والبرهان الساطع والدليل الواضح، وكأن وسيلة الإقناع بالحكمة تناسب الذين يطيقونها ذهنياً وفكرياً من المتعلمين والمثقفين، والموعظة الحسنة هى الكلام الرقيق اللطيف، الذى يقوى حوافز الخير وعواطف

(٥) الأحزاب (٤٥:٤٧).
(٦) المائدة (١٥، ١٦).
(٧) يوسف (١٠٨).
(٨) النحل (١٢٥).

البر ومشاعر الإنسانية الرفيعة التى تعمر دنياها بالمحبة والمودة وحسن المعاملة، وكأن هذه الوسيلة تناسب جمهور الناس اللذين إذا جاءتهم الموعظة الحسنة اللينة أحيت موات قلوبهم، وذكرتهم بربهم، وحملتهم برقة ولطف على سواء السبيل، ثم تأتى المجادلة بالتى هى أحسن، وهى المحاورة الهادئة الرزينة التى تصور أحسن الطرق للمناقشة، بلا عنف ولا تعنت ولا شطط، وهذه الوسيلة تكون مع المخالف فى الاتجاه أو الاعتقاد، وهكذا أراد الله- جل جلاله- بمن يصلح للدعوة ويقتدر عليها أن يعرف حدودها وقيودها، وأن يلتزم وسائلها الرشيدة من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن، فلا ينحرف عنها ولا يجور فيها، ولا يجاوزها إلى ادعاء ما ليس له من جموح أو تطاول، بل هو يبين ويوضح ويدلل بأرق الوسائل وألطف الأساليب، دون لجاجة أو مهاترة أو عدوان، والله بعد ذلك هو المتصرف فى عباده، المسئول عن هدايتهم، العليم بالطوايا والنوايا:

﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(٩)، وهو وحده صاحب الحق فى محاسبة الخلق على أعمالهم يوم لقائه، وهو وحده مالك الثواب والعقاب، ولذلك قال:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(١٠).

وإذا كان الله - جل جلاله - قد حدد وسائل الدعوة هنا بهذه الأمور التى جعلها بعيدة عن معانى الإكراه والإرغام والعدوان، فقد ذكر لنا فى موطن آخر صورة من صور التطبيق للدعوة المسالمة، فإذا هذه الصورة تبدو وفيها اللين والرفق والرحمة، وذلك حينما أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون وقال لهما:

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾(١١).

وهكذا بدأت المحاورة مع فرعون - وهو فرعون وكفى - بالقول الهادى اللين:

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ واختتمت بالسلام والأمان: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾، ولقد روى التاريخ أن جاهلاً يدعى العلم أراد أن يتظاهر بالدعوة ليرضى غروره أو يستر

(٩) الأنفال (٤٣).

(١١) طه (٤٣:٤٧).

(١٠) القلم (٧).

نقصه، فقال لأحد الحاكمين: أيها الأمير، إنى سأسمعك كلاماً شديداً فاحتمله منى، فأجابه قائلاً: لن أحتمله منك فلا تقله، فقال الدعى فى باب الدعوة: ولم؟، فأجابه: لأن الله- تعالى- أرسل من هو خير منك إلى من هو أسوأ منى، ومع ذلك أمره باللين والتلطف، لقد بعث الله موسى وهارون وهما خير منك بلا نزاع، إلى فرعون وهو أسوأ منى بلا جدال، ومع ذلك أمرهما بقوله:

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾.

ومن بعد موسى وهارون وغيرهما يقبل شيخ الأنبياء وإمام المرسلين محمد ﷺ فإذا هو القدوة الطيبة والأسوة الحسنة فى هذا الباب، فهو الذى قال: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا»[12]، وحينما طلب منه بعض أصحابه أن يلعن المشركين أبى وقال: «إنى لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت هادياً ورحمة»[13]، ولما طلب منه أن يدعو على المشركين ليهلكوا أبى وقال: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً»[14]، وترجم القرآن عن هذه المثالية الرائعة فى لين الدعوة ورحمة الداعية فقال للرسول:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾[15].

وقال:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[16].

وقال:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[17].

يا أتباع محمد ﷺ:

يقول سيد الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه: «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»[18]، أى الشريعة المعتدلة السهلة الميسورة، وعماد هذا الدين الكريم هو الطهارة والصفاء، والمحبة والإخاء، والتناصح بالرفق والرحمة، والدعوة إلى الخير بالحكمة:

﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[19].

وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعاً إلى سواء السبيل واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون.

---

(١٢) البخارى ١/٢٧.
(١٣) إتحاف السادة المتقين ٧/١٠٨.
(١٤) مسلم ٣/١٤٢٠.
(١٥) آل عمران (١٥٩).
(١٦) التوبة (١٢٨).
(١٧) الأنبياء (١٠٧).
(١٨) البخارى ١/١٦.
(١٩) يونس (٢٥).

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

نجونا ورب الكعبة

قال أحد الأعراب لابن عباس : من يحاسب الناس يوم القيامة؟ فقال: يحاسبهم الله - تعالى - فقال الأعرابى: نجونا إذاً ورب الكعبة، فقيل له: وكيف؟

فقال: إن الكريم لا يدقق فى الحساب.

من أنت؟

وقف أعرابى على قوم يسألهم فقالوا له: من أنت؟ قال: إن سوء الاكتساب يمنعنى الانتساب.

حقّا

فلو أنا إذا متنا تُركْنا
لكان الموت راحة كل حى
ولكننا إذا متنا بعثنا
لنُسْأل بعدها عن كل شئ

ليس تأسفى على الدنيا

لما احتضر سلمان الفارسى - رضى الله عنه - تحسر عند موته، فقيل له: علام تأسفك يا أبا عبدالله؟ قال: ليس تأسفى على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا وقال: «ليكن بُلْغَةُ أحدكم كزاد الراكب» وأخاف أن نكون جاوزنا أمره وحولى هذه الأشياء، وأشار إلى ما يليه، وإذا هو سيف، ودست، وجفنة.

الحنين إلى الوطن

قيل لبعض الحكماء بأى شىء يعرف وفاء الرجل دون تجربة واختبار؟ قال: بحنينه إلى أوطانه وتلهفه على ما مضى من زمانه.

وعن الأصمعى: قال إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل وفاء عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه.

العلم

كتب رجل إلى عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما -: يسأله عن العلم فأجابه: إن العلم أكثر من أن أكتب به إليك، ولكن إذا استطعت أن تلقى الله كاف اللسان عن أعراض المسلمين، خفيف الظهر من دمائهم، خميص البطن من أموالهم، ملازما لجماعتهم فافعل.

موعظة

كان صالح اللخمى الدمشقى شاعرا وحكيما، وقد ذكر عنه أنه وعظ ابنه مرة فقال: يا بنى إذا مر بك يوم وليلة وقد سلم فيها دينك وجسمك ومالك فأكثر الشكر لله - تعالى - فكم مسلوبٍ دينُهُ، ومنزوع ملكه، ومهتوك ستره، ومقصوم ظهره فى ذلك اليوم وأنت فى عافية.

عقل المرء وراء لسانه

عن طاهر الزهرى قال: كان رجل يجلس إلى أبى يوسف فيطيل الصمت، فقال له أبويوسف: ألا تتكلم؟ قال: بلى متى يفطر الصائم؟ قال: إذا غابت الشمس، قال: فإن لم تغب إلى نصف الليل؟

فضحك أبويوسف، وقال: أصبت فى صمتك، وأخطأت أنا فى استدعائى لنطقك.

نصيحة

قال الإمام على بن أبى طالب - رضى الله عنه -: أحلفوا الظالم - إذا أردتم يمينه - بأنه برىء من حول الله وقوته؟ فإنه إذا حلف بها كاذبا عوجل، وإذا حلف بالله الذى لا إله إلا هو لم يعاجل؛ لأنه قد وحد الله - تعالى -.

هل نطحتك أمه

كان للمغيرة بن عبدالله الثقفى وهو على الكوفة «جَدْىٌ» يوضع على مائدته بعد الطعام لا يمسه هو ولا غيره، فقدم أعرابى يوما فأكل لحمه وتعرق عظامه[1]؛ فقال: يا هذا، أتطالب هذا البائس بذَحْل[2]؟

هل نطحتك أمه! قال: وأبيك؛ إنك لشفيق عليه هل أرضعتك أمه؟

دعاء

اللهم وإنك من الضعف خلقتنا، وعلى الوهن بنيتنا، ومن ماء مهين ابتدأتنا.

فلا حول لنا إلا بقوتك، ولا قوة لنا إلا بعونك.

(١) تعرق العظم: أخذ ما عليه من لحم.

(٢) الذحل: الثأر.

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

● أنا سيدة أبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً وزوجى فى الثلاثين، بعد زواجنا بمدة وجيزة لا تتعدى الشهر أجريت لى عملية استئصال لأكياس على المبايض ولكبر حجم هذه الأكياس استؤصل معها أحد المبايض وجزء من الآخر مما أدى إلى عدم قدرتى على التبويض.

مولانا يقول:

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾(١).

وعاطفة الأمومة تتملكنى ورغبتى فى سماع كلمة ماما تقتلنى، والحل الوحيد هو زواج زوجى من امرأة أخرى تقوم هى بدورها بإعطائى بويضة تخصب من زوجى وتنبت فى رحمى فيكون الطفل ولدى ولبنى حلال عليه... وهذا موضوع سؤالى وفتواى، علماً أننى سمعت أنه فى بعض الدول الإسلامية تُجرى مثل هذه العمليات. وهنا يطرح سؤال آخر. هل يجب أن يكون هذا الزواج تاماً أم يتزوجها دون أن يمسها؟ وهل يمكن الزواج عرفياً؟

●● الجواب:

لا يجوز شرعاً أن تستنبت الزوجة فى رحمها بويضة من امرأة أخرى مخصبة سواء كانت مخصبة من زوجها أو من غيره، وسواء كانت صاحبة البويضة امرأة أجنبية أو ضرة تشترك معها فى الزوج نفسه، ولا يجوز لك أن تستقبلى هذه البويضة الغريبة عنك لتستنبتيها فى رحمك ولتلدى طفلاً ينسب إليك... وقد أجمع الفقهاء المعاصرون أثناء بحث هذه المسألة (فى إحدى ندوات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) على حرمتها، لأن هناك طرفاً ثالثاً غير الزوج صاحب النطفة والزوجة صاحبة البويضة، ولا يمكن الجزم مع وجود الطرف الثالث بتحديد الأم الحقيقية لهذا الطفل: فهل الأحق به صاحبة البويضة التى تخلق منها

(١) الكهف (٤٦).

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد الطيب
مفتى جمهورية مصر العربية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

الطفل وحمل كل خصائصها الوراثية؟ أو الأحق به الأم الحاضنة صاحبة الرحم الذى تم فيه نموه وتطوره وتبدله حتى صار جنينا مكتملاً؟... والطفل الذى يأتى بين والدين لا يدرى من أمه على سبيل القطع والتأكد، وسيعيش ممزقاً بين انتمائه لهذه وانتمائه لتلك... وهذا من الأسباب التى حملت الفقهاء على الفتوى بأن احتضان الزوجة لبويضة ضرتها الملقحة من زوجها ممنوع وغير جائز شرعاً.

وأقول لصاحبة السؤال: إن الخير - كل الخير - فيما أراده الله - تعالى - وقدّره وقضاه، وأنت لا تدرين أين الخير ولا ما هو الأصلح والأنفع لك، ولو أنك اطلعت على الغيب فسوف تختارين ما أنت فيه الآن وتفضلينه على غيره، واعلمى أن الأولاد كما يكونون نعمة يكونون أيضاً نقمة. فاحمدى الله على كل حال ولا تيأسى من رحمة الله، وابحثى عن الجديد فى العلاج و« لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ».

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

حكم تحفيظ الرجل القرآن للمرأة

● **السؤال من خالد عبدالله: ما حكم تحفيظ الرجل القرآن للمرأة الأجنبية عن الرجل سواء أكان ذلك فى خلوة أو رجل لمجموعة من السيدات علما بتواجد أماكن لتحفيظ النساء ولكن مواعيدها غير مناسبة لمواعيد هذه المرأة.**

●● **الجواب:**

يجوز شرعاً تحفيظ القرآن وتعليمه من الرجال للنساء عند عدم وجود امرأة تقوم بذلك والأصل فى ذلك قوله ﷺ: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[٢].

إلا أنه يشترط لذلك أن تكون النساء فى مجموعة أو مجموعات وأن تؤمن الفتنة من الجانبين. فإذا كان التحفيظ والتعليم فى خلوة بين المرأة الأجنبية والرجل فإن ذلك لا يجوز لما فى ذلك من خوف الوقوع فى الفتنة ولقول الرسول

(٢) البخارى ٦/٢٣٦.

ﷺ: « لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما »[٣] وقوله ﷺ: « اتقوا الشبهات »[٤].

وفى واقعة السؤال: ما دام يوجد أماكن مخصصة لتحفيظ النساء القرآن فعلى المرأة المسئول عنها أن تتعلم القرآن فى هذه الأماكن مع مثيلاتها وعليها أن تنظم أوقاتها لتتمكن من ذلك فإن لم تستطع فعليها أن تحضر بعض من تأنس له من صديقاتها إلى منزلها لتكون معها أثناء تعلم القرآن من المحفظ.

ومما سبق يعلم الجواب والله سبحانه وتعالى أعلم.

خطبة الجمعة من الراديو جائزة.. ولكـــن بشـــروط

● **العميد / ع.س: نظراً لطبيعة عملنا بالقوات المسلحة توجد أماكن نائية ومتفرقة وأماكن أخرى بها مساجد صغيرة وزوايا للصلاة وقد لا يوجد من يقوم بأداء خطبة الجمعة.**

فهل يجوز للأفراد الاستماع إلى خطبة الجمعة من المذياع ثم يقوم أحد المصلين بإمامة الأفراد لركعتى الجمعة؟

●● **الجواب:**

إذا كان الحال كما ورد بالسؤال من أنه لا يوجد فى بعض الأحيان من يقدر على أداء خطبة الجمعة، فإنه بناءً على ما ذهب إليه بعض الفقهاء من أن خطبة الجمعة مندوبة أو سنة، فإنه يجوز فى مثل هذه الحالات الاستماع إلى الخطبة من الراديو ثم تقام صلاة الجمعة على أن يؤم الأفراد واحد منهم.

ومما ذكر يعلم الجواب.

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

لمس المصحف بدون وضوء

● **السؤال من خ.ع: ما حكم الشرع فى لمس المصحف بدون وضوء؟ وحكم القراءة فيه أيضا بدون وضوء؟ وإن كنت حافظا لجزء منه هل يجوز لى قراءته بدون وضوء وأنا فى المواصلات مثلا؟ وأيضا ما حكم ما سبق بالنسبة للمرأة الحائض؟**

●● **الجواب:**

قال الله تعالى فى كتابه العزيز:

﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥].

لا يجوز شرعاً مس المصحف إلا لمن كان طاهراً من الحدثين جميعاً وهو قول مالك والشافعى وأصحاب الرأى والحنابلة واحتجوا بكتاب النبى ﷺ لعمرو بن حزم: (أن لا يمس القرآن إلا طاهراً) وقال ابن عمر قال النبى ﷺ: (لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر)[٦].

وقال أبو حنيفة يجوز حمله بعلاقته بدون وضوء ومنع ذلك مالك والشافعى.

---

(٣) أحمد ٢٢٢/١.

(٤) أبو داود (٣٣٢٩).

(٥) الواقعة (٧٩، ٨٠).

(٦) المستدرك ٤٨٥/٣.

أما بالنسبة للقراءة من المصحف فيجب على القارىء أن يكون على طهارة تامة من الحدثين الأصغر والأكبر لحديث علي – رضى الله عنه : (رأيت رسول الله ﷺ توضأ ثم قرأ شيئا من القرآن ثم قال هكذا لمن ليس بجنب فأما الجنب فلا ولا آية) .

وإذا كان القارىء حافظاً للقرآن أو لجزء منه ويتلوه بغير مس للمصحف فلا مانع من ذلك شرعاً .

ولا يجوز للحائض مس المصحف ولا قراءة القرآن حتى تطهر من حيضها . ومما ذكر يعلم الجواب عما جاء بالسؤال إذا كان الحال كما ورد به .

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

حكم الأضحية فى الإسلام

● **حكم الأضحية فى الإسلام وهل هى سنة أم فريضة ؟**

●● **الجواب :**

الأضحية فى الإسلام شرعها الله إحياء لذكرى إبراهيم ـ عليه السلام ـ وتوسعة على الناس يوم العيد كما قال الرسول ﷺ : « إنما هى أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل » رواه مالك فى الموطأ، وهى اسم لما يذبح من الإبل والبقر والغنم يوم النحر وأيام التشريق تقربا إلى الله تعالى . والأصل فى مشروعيتها قوله تعالى :

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾(٧)

وحكمها سنة مؤكدة عن الرسول ﷺ ويكره تركها لمن قدر عليها لما رواه البخارى ومسلم : أن النبى ﷺ ضحى بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده، وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما .

وللأضحية ثواب عظيم عند الله فقد قال رسول الله ﷺ عندما سأله أصحابه عن الأضاحى : « سنة أبيكم إبراهيم » . قالوا فما لنا فيها يا رسول الله قال « بكل شعرة حسنة » . قالوا فالصوف يا رسول الله قال « بكل شعرة من الصوف حسنة » . رواه البخارى ـ وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ما عمل آدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم إنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وأن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفسا » رواه الترمذى .

والأضحية لا تكون إلا من الإبل والبقر والغنم لقوله تعالى :

﴿ لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾(٨) .

فيجزى من الضأن ما له نصف سنة فأكثر ومن المعز ما له سنة ومن البقر ما له سنتان ومن الإبل ما له خمس سنين يستوى فى ذلك الذكر والأنثى ويشترط لصحة الأضحية أن تكون سليمة من

(٧) الكوثر (١، ٢).

(٨) الحج (٣٤).

العيوب والأمراض لقوله ﷺ : « أربع لا يجزن العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ظلعها، والكسيرة التى لا تنقى ». رواه الترمذى وقال حسن صحيح.

ويشترط لصحتها أيضا أن لا تذبح إلا بعد طلوع الشمس من يوم العيد ويمر من الوقت قدر ما يصلى العيد ويصح بعد ذلك فى أى يوم من أيام التشريق الثلاثة في ليل أو نهار ويخرج وقتها بانقضاء هذه الأيام أى بغروب شمس اليوم الرابع للعيد فعن البراء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن أول ما نبدأ به فى يومنا - أى يوم العيد - هذا أن نصلى ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك فى شىء رواه البخارى ومسلم. وعنه ﷺ : « من ذبح بعد الصلاة والخطبتين فقد أتم نسكه وأصاب سنة المسلمين » رواه البخارى ومسلم.

والأضحية تجزى عن الشخص وأهل بيته ويجوز الاشتراك فيها إذا كانت من بقر أو إبل فكل منهما يجزى عن سبعة أشخاص بأسرهم فعن جابر قال : نحرنا مع النبى ﷺ بالحديبية بالبدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة » رواه مسلم.

ويسن للمضحى أن يأكل من أضحيته ويهدى الأقارب ويتصدق منها على الفقراء ويدخر منها لقوله ﷺ يوم عيد الأضحى لأصحابه : « كلوا وأطعموا وادخروا » وقال العلماء : الأفضل أن يأكل الثلث ويتصدق بالثلث ويدخر الثلث وليس المقصود تحديد الثلث بالضبط وإنما على وجه التقريب كما يسن لمن يحسن الذبح أن يذبح أضحيته بيده ويقول : باسم الله الله أكبر اللهم هذا عن فلان ويسمى نفسه فإن كان لا يحسن الذبح فليشهده ويحضره فإن النبى ﷺ قال لفاطمة : « يا فاطمة قومى فاشهدى أضحيتك فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها كل ذنب عملته » وقُولى :

﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٩)

فقال أحد الصحابة : يارسول الله هذا لك ولأهل بيتك خاصة أو للمسلمين عامة؟ قال رسول الله ﷺ « بل للمسلمين عامة » وقال العلماء : يجوز نقل الأضحية من بلد إلى آخر.

وفى واقعة السؤال وبناء على ما سبق : فإن الأضحية شعيرة من شعائر الإسلام وسنة مؤكدة عن الرسول ﷺ وفى إحيائها ثواب عظيم وأجر كبير.

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالى : مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

(٩) الأنعام (١٦٢، ١٦٣).

الحج رحلة إلى الله تعالى

لفضيلة الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح

قال الله تعالى:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾

الحج: ٢٧ - ٢٩

في هذه الأيام المباركة، يتوافد المسلمون من كل فج عميق، ويأتون من كل بلد سحيق، إلى بيت الله العتيق، منبع النور الإلهى، ومهبط الوحى المحمدى، وهو أفئدة المؤمنين ومقصد رجاء الموحدين، يفدون إلى أول بيت وضع للناس ببكة المشرفة، محفوفا بالخير والبركة:

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾(١).

حيث تمتلئ بطاح مكة وتزدحم المناكب حول الكعبة تلبية لأذان أبيهم إبراهيم واستجابة لدعوة العزيز الحكيم، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «لما فرغ إبراهيم - عليه السلام - من بناء البيت، قال: رب قد فرغت، فقال: أذن فى الناس

---

(١) آل عمران: ٩٧.

بالحج، قال: يارب ومايبلغ صوتى؟ قال: أذن وعليّ البلاغ. قال رب كيف أقول؟ قال: قل يا أيها الناس كتب عليكم الحج، إلى البيت العتيق، فسمعه أهل السماء والأرض، ألا ترى الناس يجيئون من أقصى البلاد يلبون»[٢] وليس بعجيب أن يسمع الخليل إبراهيم بأذانه الحج من فى السموات ومن فى الأرض، فالتقدم فى الفن والاختراع فى العصر الحاضر قد قرب لنا هذا كل التقريب، فإننا نرى أجهزة الإذاعة والتليفزيون تنشر الصور والأصوات على موجات الأثير فى جميع أنحاء العالم فيسمعها ويراها البعيد كالقريب، والقاصى كالدانى بالاضافة إلى الأجهزة السلكية واللاسلكية كالمسرة والبرق، فمن يشاهد هذا يذعن كل الإذعان بأن ابراهيم - عليه السلام - قد أسمع بأذانه للحج جميع العالمين، مع أن فى معجزة إبراهيم تذكيرا بنفخ إسرافيل فى الصور لبعث الخلائق من القبور، فيسمعون ويلبون ويقومون أحياء ينظرون قال تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[٣].

إن فريضة الحج: هى رياضة الوجدان على طاعة الرحمن إلى خير البلدان يؤديها الرئيس والمرءوس، والحاكم والمحكوم بإيمان وخضوع وهيبة وخشوع، فطوبى لمن أجاب الداعى، وقام بهذا الواجب المقدس، ليقيم البرهان الساطع والدليل القاطع، على طيب نفسه، وصلابة عوده وقوة قناته، وصلاحيته لخوض غمار الحياة بإرادة قوية، وعزيمة وثابة، فإن مناسك الحج كلها قربات، ومواطن تستجاب فيها الدعوات وتثمر الأعمال الصالحات.. إن هذه الفريضة المقدسة تصور لنا بعض أدوار الآخرة، فالحاج إذا دخل البادية، وسار فى الصحراء لا يأكل إلا من زاده، ولايعتمد إلا على استعداده، واغتسال المحرم وتجرده من المخيط ووقوف الجميع بعرفة ما بين مقبول ومخذول، كيوم القيامة فمنهم شقى وسعيد، والإفاضة إلى المزدلفة ودخول البيت الحرام، يشبه دخول دار السلام.

الحج فى واقع الأمر رحلة إلى الله - تبارك وتعالى - فيها إنفاق وتجريد، وتطهير وتهذيب، فمن يذهب لأداء فريضة الحج يجب أن يتعود السخاء، والجود والعطاء، من يذهب إلى الحج يجب أن يتجرد من الشهوات وأن يبتعد عن الحرام وأكل الحرام، ويجتنب الآثام، وأن يخلص قلبه وعمله لله - عز وجل - من يذهب للحج يجب أن يتحلى بمكارم الأخلاق، ويترك أساليب النفاق، وأن ينقى قلبه من السوء لإخوانه، وألا يضمر شرا لزملائه وجيرانه، وأن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به، ويحب لهم من الخير مايحبه لنفسه.. للحج أسرار عظيمة، وفضائل

(٢) رواه الحاكم وصححه، والبيهقى فى سننه.

(٣) الزمر: ٦٨.

روحية شريفة، وآثار اجتماعية قدسية، فمن ذلك تنظيم البيت العتيق وعمارته، وزيارة الأرض المقدسة التى احتضنت شرعة الإسلام إلى أن ترعرعت وقويت، وقضت على الشرك والوثنية.. الحج من أفضل العبادات التى يتقرب بها المسلمون إلى خالقهم بارئ النسمات، فتصفوا قلوبهم، وتشف نفوسهم فى مشارق الفيوضات وترفرف أرواحهم مع نسمات الرضا والنفحات، فيلتقون على المودة وتربط بينهم أواصر المحبة على اختلاف الديار وتباعد الأقطار.

فى الحج تتجلى الوحدة الإسلامية فى أسمى صورها وأروع مظاهرها حيث يلتقى المسلمون من جميع أنحاء العالم ليوثقوا روابطهم وينظموا جهودهم ويوحدوا صفوفهم للعمل لما فيه خير الأمة الإسلامية وإسعادها والنهوض بها لتتبوأ المكانة اللائقة بها بين الأمم ولتسترد مجدها القديم.. وإن المساواة بين الناس على اختلاف أجناسهم والسنتهم وألوانهم عربا وعجما حكاما ومحكومين رؤساء ومرءوسين.

فى أعمال الحج تنزع من النفوس الجامحة الكبر والخيلاء.. ثم إن الشروع فى أداء فريضة الحج يخرج الإنسان من كل مشاغل الحياة ومافيها من أضغان ومنافسات..

وأول عمل من أعمال الحج: هو الإحرام وفيه إظهار التذلل والخضوع والعبودية وترك الزينة وأسبابها من الملابس الفاخرة، إذ يكتفى الحاج من اللباس بما هو ضرورى لم تتناوله يد الصانع بالخياطة ونحوها، وإن التستر بغير المخيط ليذكرنا بحال الطفل ينزل من بطن أمه لايملك من أمره شيئا وإنما اختار الشارع الحكيم هذا النوع من اللباس ليكون أبلغ فى الخضوع وأكمل فى التسليم للمنعم الكريم رب العرش العظيم..

ثم إن من أهم المنافع التى قصدها الشارع الحكيم بالحج إلى بيت الله الحرام أن اجتماع الجميع بمكة حول البيت ووقوفهم جميعا بعرفة يعتبر اجتماعا عالميا ومؤتمرا دوليا لوضع أسس السعادة والرقى والحضارة للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فضلا عن تبادل الخبرات والمعارف ودراسة المشكلات ووضع الحلول المناسبة لها بطريقة إيجابية وعملية، وإن الحج تتمثل فيه الديمقراطية التعاونية الإسلامية، كما تتمثل فيه الوحدة الإسلامية الشاملة بكل معانيها.

نعم إن الحج هو المؤتمر الأكبر الذى يضم شتات المسلمين من كل فج عميق يستلهمون منه معانى العزة والقوة، ويشهدون منافع لهم دون غيرهم، منافع عامة ليست خاصة منافع كثيرة تعود عليهم بخيرى الدنيا والآخرة، منافع لايقدرها حق قدرها ولايعرف كنهها إلا الله - تبارك وتعالى - والراسخون فى العلم،

***

رسالة .. و .. رد

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

رسالة هذا العدد وردت من القارىء صالح محمد عطيتو يقول فى رسالته :

صليت إماماً بالناس فى فجر أحد الأيام وفى آخر القنوت قلت « اللهم ببركة القرآن الكريم وبجاه سيد الأولين والآخرين تقبل منا صلاتنا وركوعنا وسجودنا ودعاءنا » وبعد الصلاة وقف واحد من المصلين وقال هذا كفر هذا شرك ووقف المصلون جميعا ضده ولكن انضم إليه شخص آخر يوافقه ويشجعه ولا استطيع أن أصف لك ماحدث من فوضى وضوضاء وضجيج فى المسجد لكن أحد العقلاء تدخل قائلا احتكموا إلى علماء الأزهر الشريف .

فهل يجوز أن نتوسل بسيدنا رسول الله أم لا؟ أفيدونا أفادكم الله .

● وقبل أن أجيب على هذا السؤال أود أن أنبه إلى نقطتين:

الأولى: أن للمساجد حرمة يجب مراعاتها خاصة على المصلين عمار المساجد .

والثانية : أن للإفتاء رجالاً يجب أن يقتصر أمر الفتوى عليهم حتى لايصير الأمر فوضى يتكلم فى الدين والفتوى كل من هب ودب فلكل علم أهله الذين يفتون فيه وحدهم فللطب أهله وللهندسة أهلها وللزراعة أهلها ولكل علم وفن أهله فهل يجوز أن يتكلم شيخ أزهرى فى الطب مثلا وماذا يقال عنه إذا فعل ذلك ولماذا صار الدين وحده هو الكلأ المباح لكل إنسان؟! . . ياقوم اتقوا الله ولا تقولوا فى دين الله بغير علم، ثم إن الحكم بالكفر والشرك مسألة خطيرة للغاية وإذا رمى شخص شخصاً بالكفر باء بها أحدهما وعلى فرض أن رأى المعترض عليك يا أخ صالح صحيح فما كان ينبغى أن يقوله لك فى المسجد بهذه الصورة التى شوشت على المصلين وأحدثت ضجة لامبرر لها، ألم يعلم هذا المعترض أن الرسول ﷺ كان لايجابه المخطىء بخطئه بل يكنى ويقول : « ما بال أقوام . . » أو مال قوم فعلوا كذا وكذا ولو كان هذا المعترض على علم كما يدعى، لعلم أن الرسول ﷺ « ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس عنه » .

وبعد هذه المقدمة التى كان لابد منها أجيب الآن عن الرسالة فأقول :

إن ما قاله الأخ السائل كما جاء فى رسالته (اللهم ببركة القرآن الكريم وبجاه سيد الأولين والآخرين تقبل منا صلاتنا وركوعنا وسجودنا ودعاءنا).

وهذا بلا ريب توسل الى الله تعالى بالقرآن الكريم وبالنبى ﷺ أن يتقبل الله تعالى من الداعى صلاته ودعاءه، أما القرآن فهو كلام الله القديم قدم قائله ولذا قرر العلماء أن الحلف به كالحلف بالله سبحانه واعتقد أن المعترض لايعارض فى هذا، وأما التوسل بالنبى صلوات الله عليه فهذا فيما أظن هو موضع الخلاف بين السائل والمعترض، فهو ومن أخذ عنهم لا يجيزون الخلاف، يقول فضيلة الشيخ عطية صقر فى كتابه « أحسن الكلام »[1] : إذا كان المراد بالتوسل أن يدعو الرسول ﷺ للسائل فلا أحد يمارى فى جوازه خاصة فى حياته فقد طلب الصحابة منه ـ ﷺ ـ الدعاء فدعا لهم وأجيب دعاؤه، روى البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ وهو يخطب على المنبر يوم الجمعة وقال يارسول الله : هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فدعا النبى فنزل المطر مدة أسبوع فقال الأعرابى : تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فدعا فقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » فانزاح السحاب.

وان كان المراد غير ذلك بأن أريد القسم أو السببية بمعنى أسألك بالله بسبب نبيك أن تفعل كذا فإن أريد بسبب الايمان به وحبه وطاعته فلا غبار عليه لأنه توسل بعمل الداعى : من الأيمان والحب والطاعة وان كان المراد بسبب ذاته أو بسبب منزلته من الله فهذا الذى وقع فيه الخلاف فمنعه ابن تيمية وآخرون قائلين: إن مجرد الجاه لايعطى الشفاعة واستدل الفريق الأول المجيد وهم جمهور العلماء بأدلة منها :

عن عثمان بن حنيف أن ضريراً طلب من النبى أن يدعو الله له بالعافية فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بقوله: « اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة : يارسول الله إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه ليقضى لى اللهم فشفعه فى .وفى راوية « فإن كان لك حاجة فمثل ذلك » قال عثمان ـ راوى الحديث ـ فوالله ما تفرق بنا المجلس حتى دخل علينا بصيراً كأنه لم يكن به ضر)، وقد روى أن النبى ﷺ عَلَّم أبا بكرا الصديق رضى الله عنه أن يقول : « اللهم إنى أسألك بمحمد نبيك وبإبراهيم خليلك..... » وروى الطبرانى فى الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس رضى الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد ـ وهى أم على رضى الله عنهما - وكانت ربت النبى ﷺ دخل عليها الرسول ﷺ فجلس عند رأسها وقال : رحمك الله يا أمى بعد أمى وذكر ثناءه عليها وتكفينها فى برده وأمره بحفر قبرها فلما بلغوا اللحد حفره ﷺ فاضطجع فيه ثم قال « الله الذى يحيى ويميت وهو حى لايموت اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين قبلى فإنك أرحم الراحمين »، وروى

(١) المجلد الأول ص ٢٧١، وما بعدها بتصرف.

البيهقى فى دلائل النبوة باسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لما اقترف آدم الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لى فقال الله تعالى : ياآدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال : يارب إنك لما خلقتنى رفعت رأسى فوجدت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلى وإذا سألتنى بحقه غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك».

وأختتم هذا الرد بما جاء فى البخارى فى باب الاستسقاء قال : « . . . عن أنس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا قُحطوا - أى إذا أصابهم القحط استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون »[٢].

وقال ابن حجر العسقلانى فى شرحه ان العباس لما استسقى به عمر قال : (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه القوم بى إليك لمكانى من نبيك وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا بالغيث فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخضبت الأرض وعاش الناس) وأخرج الزبير بن بكار فى الأنساب من طريق داود بن عطاء عن زيد ابن اسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : استسقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عام الرمادة بالعباس بن عبدالمطلب فذكر الحديث وفيه (فخطب الناس عمر فقال : إن رسول الله كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا أيها الناس برسول الله فى عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله ففعلوا فما برحوا حتى سقاهم الله)[٣] هذا والله أعلم.

● والرسالة الثانية فى هذا العدد من القارئة ثريا ع. م. ع من بنى قريش ببلبيس - شرقية تقول فيها :

ورثت أنا واخوتى عشرين قيراطاً أرضاً زراعية من أمنا ضمَّها أبى إلى خمسة أفدنة يمتلكها نصفها حديقة مثمرة ومنها فدان يصلح للمبانى يباع القيراط فيه بثمن فدان ويريد أبى سامحه الله أن يحرمنى أنا وأختى الكبرى المعوقة من تركته الكبيرة ويخص بها أخوتى الذكور السبعة وقسم التركة فعلاً على الذكور وسجل لهم فى الشهر العقارى وطلب منى أنا وأختى ان نوقع له على إقرار بأنه ليس لنا بعد وفاته إلا ما نأخذه من تركة أمنا وقد اشترى حوالى قيراط فى مينا القمح وبنى عليه منزلا خص به اثنين من الاخوة فهل شرع الله يوافق على هذا، وما رأيكم فيما فعله والدنا سامحه الله علماً بأن خمسة من اخوتى يشغلون مراكز مرموقة وعلى سبيل المثال أحدهم حاصل على دكتوراه من أمريكا وآخر ضابط برئاسة الجمهورية ويملك عمارة اشتراها بربع مليون جنيه وأنا لست حاقدة أو حاسدة بل أتمنى لهم كل خير لكن زوج أختى المعوقة هددها بالطلاق إن لم تحصل على نصيبها لأنه كما يقول رضى بالزواج منها إشفاقاً عليها ورغبة فى تركتها من

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٦.

(٣) المرجع السابق.

أبيها، وزوجي أنا منع أبي واخوتي من دخول بيتنا ولما أطعت زوجي في ذلك أرسل لي أبي يقول انه غضبان عليّ فماذا نفعل؟ أفيدونا أفادكم الله .

● لست أدري كيف يفعل والد لأبناء متعلمين يشغلون مناصب مرموقة هذا الفعل ببنتين ضعيفتين فإذا وقع ذلك وهو حرام من غيره من الناس فلا ينبغي أن يحدث منه ولو كان أبناؤه الذكور محتاجين أو مرضى أو معوقين لقلنا ان بعض الفقهاء أجاز ذلك في حالة صغر الابن أو زفافه أو تعليمه لكنه ترك المعوقة وحرمها وأعطى الميراث كله قبل أن يموت للرجال الأصحاء الأشداء فأي جور وظلم وقلب للموازين مثل هذا؟! إن هذا ردة للجاهلية التي تحرم النساء والصغار ويقولون لا نورث إلا من يحمل السيف ويركب الخيل ويدافع عن العشيرة، ألم يسمع هذا الوالد الظالم بقول الرسول ﷺ « . . فاتقوا الله واعدلوا في أولادكم » البخاري ومسلم وقوله صلوات الله عليه « من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة » رواه أبوداود .

ان ما فعله هذا الأب اضرار ببعض الأولاد حرّمه الشرع الشريف وحذر منه رسول الله ﷺ فقد روى النسائي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال « الاضرار في الوصية من الكبائر » وجاء في الترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال : إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله تعالى ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار » ومعنى هذا ان أباك ايتها السائلة لن ينفعه عمل صالح في حياته الطويلة من صلاة وصيام وزكاة يوم القيامة ان كان صلى وصام وزكى إن لم يرجع عن هذا الذنب الكبير الذى ارتكبه ويعط كل ذى حق حقه كما شرع الله تعالى، والعجيب أن أباك لما أطعت زوجك في مقاطعتهم اعتبرك عاقة وأرسل يخبرك أنه غاضب عليك ولم يدر أنه عقك وأختك قبل أن تعقاه .

ثم إن مافعله هذا الوالد العاق مخالف كل المخالفة لشرع الله تعالى الذى تولى تقسيم المواريث بنفسه ولم يترك ذلك لأحد حتى رسول الله ﷺ وقال في ختام احدى آيات المواريث :

﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(٤).

وما يدريه قد يعيش عمراً طويلاً وقد يموت أبناؤه الذكور قبله وما يدريه قد تبدد هذه الثروة التى خص بها الذكور بسبب المرض أو الكوارث ويصبحون فقراء لأن المقادير بيد الله .

وأختتم هذا الرد بتذكير الأب بقول رسول الله ﷺ « سووا بين أولادكم في العطية ولو كنت مؤثرا أحداً لآثرت النساء » مجمع الزوائد حـ٤ هدى الله هذا الأب الجائر ورد اليه عقله ودينه حتى يفكر في مال ابنته المعوقة حين يطلقها زوجها من غير ذنب جنته بل جناه عليها أبوها ورحم الله أبا العلاء حين قال : هذا جناه أبى عليّ وما جنيت على أحد .

هذا وبالله التوفيق وهو تعالى أعلى وأعلم

---

(٤) النساء (١١)

إنهم لا يستحون

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

دعوى خبيثة صدرت من فئة لا دين لها ولا خلاق.. فئة ضالة لا تستحق بحال أن تنسب إلى أبناء هذا الوطن المقاتل دائما دفاعا عن العقيدة.. عن الدين الخالد.

دعوى لا هدف لها إلا بث الوهن، وإضعاف النفوس المؤمنة.. الدعوى الخبيثة تقول: إن الحكومة المصرية قررت حذف آى الذكر الحكيم المتناولة لسيرة بنى إسرائيل من المقررات الدراسية فى مدارس وزارة التربية والتعليم، والمعاهد الأزهرية، تنفيذا لتوجيهات صادرة من دولة أجنبية!!

فى حين أن نظرة فاحصة متأملة لكتب التربية الدينية فى ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم، وهى الفترة التى شهدت الصراع العسكرى الصريح بين مصر وإسرائيل، لم تتضمن كتب التربية الدينية فى هذه الفترة سوى قصار السور من جزأى عم وتبارك، وهما جزءان لا يتناولان سيرة بنى إسرائيل، مع أن المنظور السياسى كان يتطلب العكس من أجل شحن النفوس وجعلها فى حالة استنفار دائم لأن المجتمع كله كان يترقب أنباء الحرب فى حين أنه وبعد توقيع اتفاق السلام المصرى الإسرائيلى بدأ تليفزيون جمهورية مصر العربية يذيع وبانتظام أحاديث فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى - رحمه الله - التى تعارف الناس على تسميتها بـ «تفسير الشعراوى» ذلك التفسير الذى أثار ثائرة الحكومة الإسرائيلية وطالبت الحكومة المصرية بإيقاف إذاعته وذلك عندما تناول الشعراوى سيرة بنى إسرائيل فى تفسيره.

فهل استجابت الحكومة المصرية؟ هل توقف تليفزيون جمهورية مصر العربية عن إذاعة تفسير الشعراوى؟

على العكس تماما استمر تليفزيون جمهورية مصر العربية فى إذاعة التفسير، بل وتولت إحدى الصحف القومية الكبرى طباعته وإصداره فى أجزاء بسعر زهيد فى متناول كل فرد، ولازال يصدر حتى يومنا هذا، بل وتعددت طبعات هذا التفسير، وتسابقت دور النشر فى طباعته، بل ويصدر الآن على أشرطة فيديو، وعلى أقراص الكمبيوتر بصوت فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

فهل يرى المتخرصون أن تليفزيون جمهورية مصر العربية غير خاضع لسياسة الحكومة المصرية؟!

هل يرى المتخرصون أن المؤسسة الصحفية القومية التى تتولى إصدار تفسير الشعراوى، والتى يصدر قرار تعيين رئيس مجلس إدارتها من رئيس الجمهورية شخصيا.. هل هذه المؤسسة غير ملتزمة بالخطوط العامة لسياسة الحكومة المصرية.

بل ولم تسلم المعاهد الأزهرية من ذات الفرية، فرية حذف آى الذكر الحكيم من المناهج الدراسية، مع أن طلبة المعاهد الأزهرية يحفظون القرآن من المصحف وليس مجرد عدد من السور المطبوعة فى كتاب، إنما من المصحف الذى يتم اختبارهم فيه حفظا وتلاوة وتجويدا، ويصلون إلى مرحلة يتم فيها الاختبار فى المصحف كله ولا يسمح لهم بالانتقال إلى مرحلة دراسية أعلى بغير ذلك.

ليس هذا فقط، إنما ينظم الأزهر، وتنظم وزارة الأوقاف كذلك مسابقات كبرى على مستوى محافظات الجمهورية فى حفظ كتاب الله، فهل يستطيع أن يدعى أى مدع أن هذه المسابقات التى تنظمها هيئات تتبع الحكومة المصرية تتجنب الآيات المتناولة لسيرة بنى إسرائيل؟!

الإجابة: نعم يستطيعون! لماذا؟ لأنهم لا يستحون. ولكن المسلم الحق لا ينساق خلف هذا الكذب والبهتان لأنه يحفظ قول المولى عز وجل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1].

---

(١) الحجرات (٦).

شهر الصيام في أمستردام

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

(٢)

قلت لصاحبي: انتهى لقائى معك بوعد منى أن أحدثك عن هولندا، وهاأنذا مستعينا بالله أشرع فى الوفاء بما وعدت قدر استطاعتى فهولندا يا سيدى تقع فى شمال أوروبا وهى مجموعة جزر متقاربة تتفاوت فى المساحة تقع فى بحر الشمال وهى منخفضة عن بلاد أوروبا ولو أنك واقف على حدودها مع بلجيكا ترى بلجيكا مرتفعة يخيل إليك كأنك تقف أمام سور قلعة صلاح الدين.

وأرض هولندا خصبة كثيرة الخيرات ولعلك تعرف أنها تشتهر بنوع من الأبقار تسمى الفريزيان ذات اللبن الوفير ولذلك تشتهر بمنتجات الألبان خصوصا ما ينسب إليها ونعرفه فى مصر بالسمن الهولندى ورغم قلة مساحة هولندا إلا أنها استطاعت أن توسع مساحة الأرض الزراعية بردم أجزاء من البحر على عكس الحال عندنا حيث إن شواطئنا تتآكل باستمرار مما يهدد الدلتا ومع هذا لم نفكر جديا فى حمايتها بأساليب ناجحة ونظرا لطبيعة البلاد حيث أنها جزر كانت وسيلة المواصلات هى القوارب «والمعديات» ثم أصبحت الأنفاق تحت المياه والجسور الواصلة بين الجزر بعضها ببعض. وتعد هولندا من أمهر بلاد العالم فى الأنفاق تحت الماء والجسور وذلك نظرا لطبيعة البلاد.

وعاصمة هولندا أمستردام وتعداد السكان حوالى أربعة عشر مليون نسمة تقريبا يعنى أقل من سكان مدينة القاهرة منهم حوالى من ثلاثة إلى

أربعة ملايين من أصول غير هولندية يتوزعون بين أجناس عربية وأخرى غير عربية إسلامية وغير إسلامية ومن أكبر الجاليات العربية المسلمة الهولندية من أصل مغربى أكثر من ربع مليون ثم الأتراك حوالى «١٥٠٠٠٠» ألف ثم الجزائر وتونس ثم المصريين.

والذى يجب أن تعرفه عن هولندا رغم قلة السكان وصغر المساحة إلا أن جرثومة الاستعمار متأصلة فيها، ففى عام ١٦٠٢م تأسس ما يسمى بشركة الهند الشرقية وكانت هولندا من الدول البحرية ذات الشأن ولم تكن نالت وطرها من غنائم ما يسمونه بالعالم الثالث المسكين ومن خلال هذه الشركة وعلى بعد آلاف الأميال وقعت الضحية «أندونيسيا» ذات الثمانين مليونا فى قبضة شركة الهند الشرقية ولم تستطع أن تفلت من قبضة الاستعمار الهولندى إلا فى عام ١٩٤٩م.

وعلى الساحل الشمالى الشرقى من أمريكا الجنوبية تقع جمهورية صغيرة اسمها «سور ينام» وهى شمال البرازيل كذلك وقعت فى قبضة الاستعمار الهولندى ولم تحصل على استقلالها إلا فى عام ١٩٤٥م، وتوجد أقليات كثيرة من الأندونسيين والسوراناميين إلى جانب بعض جماعات من بلدان مختلفة من أفريقيا السوداء.

ثم اختلست نظرة إلى صاحبى فوجدت الضجر باديا على ملامحه وقبل أن أغير الحديث قال: ما أردت أن تأخذنى إلى التاريخ والجغرافيا! لكن حدثنى عن البشر قلت على الفور رافضا القفز النزق على تضاريس الأرض والبشر: لماذا لا تتعلم الأناة والتريث؟

لماذا تريد أنت أن تقفز إلى الحكايات والناس؟ مع أن فى التاريخ عبرة وفى ثنايا الجغرافيا يتكون البشر.

وأذكر حديثا لحبيبى ﷺ قاله للأشج لما قدم وفد عبد قيس إلى رسول الله ﷺ فأسرعوا إليه غير أن الأشج تأخر عنهم فربط رواحلهم ثم لبس أحسن ثيابه ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فاستحسن منه أناته وتريثه وقال له: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله».

والحديث برمته أرويه لك كما جاء فى البداية والنهاية لابن كثير الجزء الخامس.[1]

تقول هند بنت الوازع أنها سمعت أباها الوازع يقول أتينا رسول الله ﷺ والأشج المنذر بن عامر ـ أو عامر بن المنذر ـ ومعهم رجل مصاب فانتهوا إلى رسول الله ﷺ فلما رأوا رسول الله ﷺ وثبوا من رواحلهم فأتوا رسول الله ﷺ فقبلوا يده، ثم نزل الأشج فعقل راحلته وأخرج عيبته ففتحها فأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما، ثم أتى رواحلهم فعقلها فأتى رسول الله ﷺ فقال: «يا أشج أن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة» فقال: يا رسول الله أنا تخلقتهما أو جبلنى الله عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليهما. قال: الحمد لله الذى جبلنى على خلقتين يحبهما الله ورسوله فقال الوازع: يا رسول الله إن معى خالاً لى مصابا فادع الله له فقال أين هو؟ آتنى به قال: فصنعت مثل ما صنع الأشج ألبسته ثوبيه وأتيته فأخذ من ورائه يرفعهما ـ أى ثوبيه ـ حتى رأينا بياض إبطه، ثم ضرب بظهره، فقال: «أخرج عدو الله» فولى وجهه [الرجل] وهو ينظر بنظررجل صحيح» وروى الحافظ البيهقى من طريق هود بن عبدالله بن سعد أنه سمع جده مزبده العبدى، قال بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم: «سيطلع من ها هنا ركب هم خير أهل الشرق»، فقام عمر فتوجه نحوهما فتلقى ثلاثة عشر راكبا، فقال من القوم؟ فقالوا: من بنى عبدالقيس، قال: فما أقدمكم هذه البلاد.. التجارة؟ قالوا: لا، قال أما إن النبى ﷺ قد ذكركم آنفا فقال خيرا، ثم مشوا معه حتى أتوا النبى ﷺ فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذى تريدون ـ يقصد رسول الله ﷺ فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم فمنهم من مشى ومنهم من هرول ومنهم من يسعى حتى أتوا رسول الله ﷺ فأخذوا بيده فقبلوها، فتخلف الأشج فى الركاب حتى أناخها وجمع متاع القوم ثم جاء يمشى حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبلها، فقال النبى ﷺ: «إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله»، قال: جُبلٌ جبلت أم تخلقا منى؟ قال عليه ـ

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ص٥.

الصلاة والسلام ـ بل جبل، فقال: الحمد لله الذى جبلنى على ما يحب الله ورسوله» أهـ والناس متفاوتون فى الخصال منهم من جبل عليها مثل الإشج ومنهم من يتطبع بها ولذلك يقول أهل المجاهدة والتصوف من جبل على شيء منها كان محمودا وإلا فهو مأمور بالمجاهدة حتى يصير كذلك وما أدراك ما المجاهدة إنها وسيلة من وسائل أهل التصوف المجاهدين، يمارسونها ويعالجون بها أخلاقهم وأحوالهم للوصول إلى كل خلق سنى وقرب من الله ـ تعالى ـ، والحلم والأناة إلى جانب أنهما من السجايا الحميدة التى تزين الرجال، هما خصلتان يحبهما الله ورسوله ولست أدرى لماذا نتعامل مع السنة على اعتبار أنها نصوص للحفظ والخطابة ولانتعايش ونعيش بها ونُقَوِّم بها سلوكنا، فتلك آفة المسلمين اليوم يثرثرون أكثر مما يعملون ويراءون أكثر مما يخلصون.

قال صاحبى: جزاك الله خيرا أنت ترشدنى إلى أحسن الأخلاق.

قلت لصاحبى: للأسف الشديد لم تسمح لنا الظروف بالتوجه إلى مدن خارج العاصمة امستردام كما كنا نود بل كما تخيلنا وجمح بنا الخيال فانطلقنا نجوب أوروبا كلها متمتعين بوحدة أوروبا حيث إنه بعد الوحدة تكفيك تأشيرة لبلدة واحدة لدخول ولايات أوروبا ـ إن صح التعبير ـ وساعتها تتذكر ـ إن كنت نسيت ـ واقعك العربى الممزق، مزقته أطماع الزعامات الهزيلة وجهالة شعوب كسيحة، إنها أمة فقدت حتى الإحساس بالكارثة، وجلست تلهوا فى بلاهة وخمول بليد، تنتظر قدرها المدمر، ذكرتنى ببيتين لابن الرومى يصور فيهما أحدباً قبيحاً كان يتشاءم منه، منظره يوحى كأنه صُفع، على قفاه.. ! لم يقاوم، وتبلد، وتكور على نفسه، كأنه ينتظر صفعة آخرى، هذه الصورة الكاريكاتورية الساخرة المؤلمة، قفزت إلى ذهنى عن حال آمتنا العربية الآن. يقول ابن الرومى:

قصرت أخادعه وغار قذاله ... فكأنه متوجس أن يُصفَعَ

وكأنما صُفعت قفاه مرة ... وأحس ثانية لها فتجمع(٢)

---

(٢) ديوان ابن الرومى، وانظر أيضًا ابن الرومى حياته من شعره للعقاد.

معذرة لهذه الصورة المضحكة، فكما قال سيدنا عمر بن الخطاب: «شر البلية ما يُضحك».

على أى حال لم تتح لنا الظروف إلا للذهاب إلى قرية أو قل ضاحية لا تبعد أكثر من ثمانية عشر (١٨) كيلو متراً تقريبا وأبادر فأحذرك من ظلم المقارنة، وأنها سوف لا تكون فى صالحك ولا فى صالحى عندما تسمع كلمة قرية فيجمح بك الخيال إلى قرانا وتعمد إلى المقارنة فيجانبك الصواب وتقع فى ظلم بين، إذ أنها لا تحمل من القرية إلا الاسم فإنها حديقة أو نموذج «مكيت» لمدينة كاملة أو منتجع فيها كل مقومات المدينة البنك مكتب البريد موقف السيارات محلات على مستوى عال من النظافة ثم الهدوء الساحر الذى يداعب حواسك والنظافة التى أحس معها كأن القرية ترحب بك فحال القرية يجعلك تحس وتلمس بقوة نعمة الهدوء والهمس، وتدرك وتتذوق معنى أن تسكن إلى وسادة وتغمض عينيك وتفتح عقلك لتتأمل ما حولك فى هدوء وعمق.

تقع القرية على أحد الشواطىء ترى السفن وقوارب وشباك الصيد وصناديق حمل الاسماك. لكن أبدا لن تجد ذبابة ولا بقايا السمك وبالتالى لا تشم الرائحة غير المحببة هل تصدق هذا؟ أعتقد أنك لن تصدق ـ نظرا لما تعايشه ـ حتى تشاهد بنفسك وهذا من حقك.

قلت لصاحبى وأنا أواصل الحديث أحس أنك مشتاق لأن تستمع إلى الاسئلة التى قلت لك انها لتزجية الفراغ ووعدتك بالحديث عنها لكنى أبادر فأحذرك وأحذر نفسى بأن نأخذ الأمر مأخذ التسلية فنقع فى نفس الشرك الذى وقعوا فيه حيث إننا لابد أن نأخذ الامر مأخذ الجد وأن نتدبر الأمر بصدق مع النفس ومواجهة لأنفسنا بما يجب علينا أن نعمله حيث إننا كثيراً ما نعمد فى إلقاء مواعظنا من السرد التاريخى الذى يفتقد إلى إرادة التغيير واستسلمنا (علماء وجمهوراً) إلى هذا المخدر اللذيذ نتعاطاه معا وأصبح هذا كل همنا من الدين لكنى سوف أكتفى بنموذج شاذ وغريب تعاطى الدين

مظهريا وأشتاق إلى الزعامة فلم يجد مكانا يقفز إليه أو فيه إلا التزيى مظهريا باسم الدين مع أن الدين عندنا نحن المسلمين ينبع من داخلك ولما سألت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن : ما العمل الأخلاقى ؟ فأجابت قائلة : إذا عملت عملا وخشيت أن يطلع الناس عليه فتأكد أنه مناف للأخلاق » .

وحكى لى رفيق فى الرحلة أن شابا قوى البنية مفتول العضلات ألقى عليه سؤالا ما حكم الهجرة إلى بلاد الكفر والإقامة فيها ؟ فأجابه الشيخ بما يعتقد أنه صواب ـ وأظن أنه كذلك إلا أن السائل أصر على أن الإقامة ببلاد الكفر حرام فلما قال له الشيخ فى أدب : هذا رأيك فاعمل به مادامت مقتنعا لكن الشاب لم يعجبه كلام الشيخ وعمد إلى أساليب غوغائية لا تفيد الحوار وليست من الدين وكل هذا رغم أنه مؤلم وقبيح خصوصا ممن ينتسب إلى الدين لكنه فى سبيل الدعوة محتمل ويهون لكن المدمر الذى لا يقبل ولا يطاق أو ثالثة الأثافى كما يقول المثل العربى أنه لما مل الشيخ من حواره مع هذا الإنسان قال له : ما دام هذا رأيك فلماذا أنت هنا أخرج من بلاد الكفر مادامت الإقامة حراما ! وكانت الكارثة أن هذا الذى يزعم بأنه داعية وينادى بالحلال والحرام والتشدد يقيم فى بلاد الكفر كما زعم ويأخذ إعانة بطالة أى أنه عاطل ويعيش على إعانة من الكافرين كما يسميهم .

قلت لصاحبى : بالله عليك هل هذه نماذج تصلح بأن توصف بأنها سوية أم أنها ضالعة فى عالم الإجرام وأن أساس نكبتنا أن أمثال هذه النماذج تتغلغل فى المجتمعات الإسلامية فى السياسة والاقتصاد والحياة كلها وتتولى مواقع القيادة وصدق رسول الله ﷺ قال : « إذا وُسدَ الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة » .

***

الرسالة.. والأحبار

للدكتور / على أحمد على

روى الإمام البخارى ـ رضى الله عنه ـ فى صحيحه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال:
« لو آمن بى عشرة من اليهود لآمن بى اليهود »[1].
ويبدو أن العشرة فى الحديث الشريف مقصود بها عشرة من أعلامهم الأحبار الرؤساء، وقد ورد ذلك صريحا فى رواية الإمام أحمد ـ رضى الله عنه ـ بمسنده، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:
« لو آمن بى عشرة من أحبار اليهود لآمن بى كل يهودى على وجه الأرض » ٢/٤٤٦ وبعد:
فلقد أرجو أن يكون حديثى بالعدد الماضى[2] ـ وقد بسطت فيه القول عن وثنية بنى إسرائيل ـ أن يكون مقدمة موفقة ـ إن شاء الله تعالى ـ بين يدى هذا المقال.

وفى التنزيل العزيز:

﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾

الصف ـ ١٤

والطائفة الكافرة ـ كما سبق أن أوضحت هى الطائفة الكبرى، ولنا دليل على ذلك قوله تعالى ـ بسورة الأعراف:

﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَىۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمًا ﴾

الأعراف ١٥٩، ١٦٠

فهم اثنتا عشرة أمة، منهم أمة واحدة تهدى بالحق وتعدل به. فأما البقية فهم الذين:

﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡ ﴾

البقرة ـ ٩٣

وهم أولئك الذين:

﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾

النساء ـ ٥١

---

(١) صحيح البخارى ـ مناقب الأنصار ـ باب: إتيان اليهود النبى ﷺ حين قدم المدينة ـ ط البهية. ١٢٩٠ هجرية.

(٢) مجلة الأزهر ـ عدد ذى القعدة ١٤٢٣ ص ١٨١٤.

الجبت: السحر، والطاغوت: الأوثان وبيت الأصنام.

●●●

وهذا الحديث الشريف يقتضينا بيانا يوضح علاقة اليهود بالجزيرة العربية، وأحوالهم ـ أو بعضها ـ بها، وعلاقتهم بمن جاوروه من أهلها، وما كان لهم من أهداف فى السعى إليها.

لم تكن الجزيرة العربية موطنا أصليا لهؤلاء اليهود، بل طرأوا عليها مثلما طرأ عليها ـ تماما ـ شذاذ القراصنة الهنود، وأقاموا جيوبا لهم شرق الجزيرة[٣] وكما أفسح العرب ـ كرما منهم ـ لهؤلاء القراصنة أفسحوا كذلك لليهود.

فمتى قدم هؤلاء اليهود إلى الجزيرة؟

وهل كان هناك دافع أو أكثر يحثهم على النزوح إلى الجزيرة إلى جانب هذا القدوم؟

فأما عن الدافع أو الدوافع:

فإن ذلك لأمر قد وافق أمانى علمائهم إلى جانب، اضطرارهم العنيف إلى الهجرة من وجه مضطهديهم من البابليين والأشوريين على ما سوف نبسطه بقدر ما يسمح به (مقال).

وأما متى قدموا إليها؟

فإنه مما لا شك فيه أن قدومهم إليها ـ أشتاتا أو جماعات ـ يمكن رد بدايته إلى ما نزل بكلتا مملكتيهم: «إسرائيل» و«يهودا» من تدمير وأسر وتشريد:

وقع ذلك بمملكة الشمال «إسرائيل» عام (٧٢٢ ق.م) علىّ يدى سرجون الآشورى ووقع مثله بمملكة الجنوب «يهوذا» عام (٥٨٦ ق.م) على يدى نبوخذ نصر البابلى[٤].

فانطلقوا يطلبون المأوى الآمن إلى جانب العمل المثمر.. دأبهم المالى المنشود.

لم يكن أمامهم خير من الجزيرة العربية، بل ما كانوا يجدون سواها؛ إذ هى فى الجنوب من مقامهم حينئذ، وهو الاتجاه الوحيد الذى خلا تماما من سطوة أعدائهم الذين ساموهم الخسف وسوء العذاب إلى الدرجة التى عبد فيها ملوك منهم ملوكا من بابل وآشور.[٥]

ومنذ ذلك الحين ظلوا يردون إلى الجزيرة ـ كما قلت: أشتاتا أو جماعات ـ إلى ما بعد عهد المسيح بن مريم ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام. فكلما نزلت ببقاياهم فى الشمال نازلة هرعوا إلى الجزيرة، فرحلوا إليها ـ أيضاً ـ عقب «تخريب (تيطس) سنة (٧٠م) لمدينة أورشليم، ثم ما فعله بهم (هادريان) سنة (١٣٥م) وقد دمرها عليهم»[٦].

●●●

(٣) انظر د/ على أحمد الخطيب ـ الشرك فى الجاهلية عقيدة وأدبا ص ٧١ ـ ٧٤ ط أولى ١٤٢١ هـ دار اللواء للطباعة.

(٤) انظر د/ محمد بيومى مهران ـ دراسات فى الشرق الأدنى القديم ـ إسرائيل ص ٤٣، ٤٨٤ مطبعة الأمان بلا تاريخ، والعهد القديم ـ أرميا ٢/٢١.

(٥) انظر مجلة الأزهر ـ العدد الماضى ذا القعدة ١٤٢٣ ص١٨١٩.

(٦) انظر د/ أحمد محمد النجار ـ شعراء اليهود فى الجاهلية وصدر الإسلام ص ٣٠ دار النهضة العربية ١٩٧٨.

ولقد كان - إلى جانب الفرار دوافع، فى مقدمتها إيمان أحبارهم وصفوة علمائهم بوجوب النزوح إليها ولو لم يصبهم ما أصابهم، فهم على يقين ببشارة التورارة بالنبى الخاتم ﷺ الذى سوف يظهر بها، ويهاجر إلى أرض منها (ذات نخل وماء وتقع بين حرتين) وكانت هذه الصفات تنطبق أو تكاد على أربعة أماكن، هى : تيماء وخيبر وَفَدَك والمدينة (يثرب) فمروا بهذه الأماكن وشغلوها - فعلا - بأعداد وفيرة، طبقا لإيمانهم العجيب، بل - بدقة - لأمانيهم التى نزلت من صدورهم منزلة الإيمان - بأن هذا الرسول لابد أن يكون إسرائيليا، فإن النبوة المبعوثة فيهم إسرائيلية محضة من عهد (إسرائيل) يعقوب حتى زكريا فالمسيح عليهم السلام.

ومادام الأمر كذلك، وهذه البقعة مكانه.. فكيف يكون إسرائيليا، وليس بها أحد من بنى إسرائيل..؟! فيجب - إذا - أن يعمروها، وزكا اجتهادهم أكثر فأكثر فاستنبطوا أن مهجره - عليه الصلاة والسلام - هو المدينة (يثرب) آنئذ. فأوى إليها منهم: بنوقينقاع وقريظة والنضير، ومن لاذ بهم منهم.

إنهم ينتظرون هذا النبى بصبر مكين فهم يدينون له بأنه القائد الجامع لشتاتهم الذى سيمكنهم من سيادة العالم.

وهبطت تلك القبائل اليهودية (المدينة) يثرب على بقايا يسيرة من عرب (عَبِيل) وقبل أن يحل بها الأوس والخزرج بنو (ثعلبة بن عمرو ومُزَيقياء الأزدى اليمانى) الذين يسميهم المؤرخون من آن لآخر (بنى قَيْلَةَ) باسم أمهم حتى لا يقع لبس فى (ثعلبة) أبيهم الذى كثرت التسمية باسمه فى اليمن.

ارتحل بنو قيلة إلى اليمن عقب انهيار (سد مأرب) حوالى عام (١١٥ ق.م)(٧) واختار غيرهم من اليمانيين مواقع أخرى، وارتحل بنو عمومتهم من الغساسنة إلى أقصى الشمال.

وضاق اليهود - وهم الغرباء - بهؤلاء العرب الخُلّص من أصول الجزيرة، وساءهم أن شاركوهم أرض المدينة، وهم الذين يريدونها خالصة لهم، وَزَيّن لهم سَبْقُهُمْ إلى أرضها قبل هؤلاء النازحين - بأكثر من قرنين - أنهم أصحابها وأَوْلَى بها، ولما كانوا - على إحساس تام بأنهم غرباء - جاوروا هؤلاء اليمانيين على ضيق مكبوت وحنق أليم تسترهما سياسة رياء إلى حين.. «رغم أن الأوس والخزرج اتخذوا منازلهم فى (عالية) المدينة و(سافلتها) حسب الفروع منهم والأفخاذ..»(٨) ولم ينازعوا اليهود ما وضعوا أيديهم عليه من أرض المدينة.

لم يدر بخلد هؤلاء العرب أن يبادئوا اليهود بعداء، ولم يخطر لهم ما تكنه صدور القوم لهم من

---

(٧) راجع محمد مبروك نافع - أستاذ التاريخ الإسلامى. كلية دار العلوم جامعة فؤاد الأول - تاريخ العرب - عصر ما قبل الإسلام ص ٧٥ النهضة المصرية.

(٨) يغلب على ظنى أن عالية المدينة هى شرقها، وسافلتها غربها. والله أعلم.

بغضاء، فبذلوا لليهود من الود أصفاه، ومن جمال الجوار أكمله إلى الدرجة التي لم يشاحنوهم فيها أسواقهم ولا تجارتهم، ورضوا بالعيش على قلة مما بأيديهم، وبما استطاعوا مزاولته من عمل لا يقوم منافسا لتجارة هؤلاء اليهود[٩].

وما كان ذلك ليردع من حنق بنى إسرائيل، أو يستل من سحيمتهم، أو يدفعهم إلى مقارنة أحاسيسهم نحو هؤلاء العرب بما ينالون منهم من ود وحسن جوار، فيفضلون بذلك حسن السلام والوئام على حنق الصدور ومكنون العدوان.

لكن هيهات..

لقد غرهم ما هم عليه من قوة، وما ملكوا من ثروة، وشادوا من ملك فأسفروا عن عداوتهم لجيرانهم لدى أدنى مناوشة قائلين: سيبعث منا نبيّ نقاتلكم به قتل عاد وإرم.

أى سوف نفنيكم..!

وقد سجل القرآن الكريم عليهم هذا الموقف إذ انقلبوا يحاربون رسول الله ﷺ فقد جاء عربيا صميما لا رابطة بينه وبين بنى إسرائيل. وهذا مالم يقبلوه.. قال تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ هو القرآن الكريم ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ من التوراة ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ مجيئه ﷺ: ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ أى يستنصرون به: ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ هم العرب المشركون فى هذا الزمن:

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ ﴾ من الحق ببعثته ـ عليه الصلاة والسلام:

﴿ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[١٠]

ويبدو أن تكرار اليهود لهذا الاستفتاح بالنبى الإسرائيلى باعث اليقظة والقوة فيهم ترك شيئا من القلق فى نفوس بنى قيلة من الأوس والخزرج معا، إذ يرون هذا الاستفتاح لايزال يقوى عند اليهود، فلو كان مجرد أمانى لأصابها الفتور بطول هذا الزمن، لكن إيمانهم بهذا النبى الكريم المنتظر لايزال يزداد ـ فى نفوسهم ـ شدة ورسوخا.. والعرب ـ إلى جانب ذلك ـ يقدرون فى اليهود أنهم (أهل كتاب)، وبأيديهم أثارة من علم ليس للعرب.. إذًا فهم جادون..!!!

---

(٩) تقسيم العرب الجماعة من الناس من أعلاها عددا إلى أصغرها: فأكبرها الشعب، يليه القبيلة، فالفصيلة، فالعمارة، فالبطن ثم الفخذ. انظر اللسان مادة: ف خ ذ.

(١٠) البقرة - ٨٩. وانظر تفسيرها لدى ابن كثير غيره.

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته، فقال سلام بن مشكم أخو بنى النضير: ما جاءنا بشىء نعرفه، وما هو بالذى كنا نذكر لكم، فأنزل الله ـ تعالى ـ فى ذلك الآية.

السيرة النبوية لابن كثير ١/١٢٤ ط عيسى البابى الحلبى سنة ١٣٨٤.

وهذا الحادث التالى يفسر لنا شيئا من هذا القلق العربى، كما يفسر ـ بجانبه ـ انشراحا وغبطة بالنبى العربى محمد ﷺ أزاح من نفوس هؤلاء العرب ما كان بها من ضيق.

وقع هذا الحادث قبل هجرته ﷺ بنحو ثلاث سنين حين كان يلتقى بالقبائل القادمة إلى مكة فى موسم الحج يعرض عليها الإسلام، فالتقى عند العقبة بهذه الصفوة من الخزرج قال ابن كثير:

« فبينا هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا..

قال لهم: من أنتم..؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: أمن موالى يهود؟ قالوا: نعم.

قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى.

فجلسوا معه فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

... فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله. قال بعضهم لبعض:

يا قوم تعلمون ـ والله ـ إنه النبى الذى توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام.. ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا »(11) وتبع ذلك انتشار الإسلام بالمدينة.

وكان جرحا لم يندمل فى صدور بنى إسرائيل.

●●●

قلت: وما كان حسن الجوار من الأوس والخزرج إبان حياتهم الأولى، إلى جوار بنى إسرائيل، ليستل سخيمة هؤلاء اليهود، فما لبثوا أن أسفروا عن عداوتهم، وبسط زعماء اليهود ألسنتهم فى مكارم العرب، ثم استطالوا فى إهانتهم إلى أن نالوا من أعراضهم فكانت تلك « الحالقة » ولم يجد بنو قيلة بدا من حربهم مستعينين ـ عليهم ـ ببنى عمومتهم من الغساسنة، فأنزلوا باليهود ضربات موجعة ألزمتهم ـ فى النهاية بتوقيع (معاهدة حلف وحسن جوار) عاش بعدها اليهود يجترون حسرتهم، لكنهم لم ييأسوا؛ فانقلبوا يخططون لضرب الوحدة بين بنى قيلة.

صحيح أن المعاهدة أطلقت للأوس والخزرج حرية اقتصادية واسعة بما أتاحته لهم من سعة الحركة فى النشاط التجارى والزراعى كانوا محتجبين عنه.. غير أن بنى إسرائيل ـ من جانبهم ـ لم يرضوا عن هذا الوضع، وإذا كانوا لن يستطيعوا أن يمتشقوا السلاح مرة أخرى، فلا أقل من نصر آخر بسوء يلقونه بين جيرانهم. فما كان منهم إلا أن تظاهروا بالعداء بعضهم لبعض، وانقسموا إلى فريقين:

فريق أوى إلى الخزرح يطلب حمايته ومناصرته ضد بنى جلدته من اليهود، وآخر أوى إلى الأوس لنفس الهدف.. وما هى إلا أعوام حتى اشتعلت الحرب.. لا بين اليهود، ولكن بين بنى أم واحدة، وفسد الود بين الأوس والخزرج، وتناصل الرحم،

(11) نفس المصدر ١٧٦/٢.

ووقعت بينهما حرب يوم (سُمَير) وظلت تشتعل حتى يوم (بعاث) قرب مبعثه ـ ﷺ . . ولولا الإسلام ما التأمت لهم وحدة إلى يوم الدين[١٢].

على أن الواقع يبين ويسجل أن اليهود لم ينعموا بحرية وأمن مثلما نعموا بهما إذ نزحوا إلى الجزيرة حيث ارتبعوا منها ما كان أخصب مرعى، وأوفر تجارة، وأسرع ربحا فى إطار من الأمن والسكينة لم يدر لهم بخلد، لكنهم أنكروا الجميل وعضوا اليد التى امتدت إليهم بالإحسان، واشتدت عداوتهم واشتعلت نيرانها بعروبة الرسول ﷺ الذى كان دينه ـ ولازال ـ للناس أجمعين، لا يستأثر به العرب دون غيرهم، فتعاونوا إبان رسالته ﷺ مع كل من ناوأه وعاداه من وَثَنىّ قريش إلى المنافقين.

لقد كان من الممكن أن يبوءوا بربح عظيم ومنزلة سامية لو أنهم قابلوا الإحسان بالإحسان، فأسلموا ووضعوا أيديهم فى يدى النبى ﷺ لاسيما وقد تأثروا بالعرب وأثروا فيهم علما ودينا[١٣] ومن قبل ذلك وبعده هم على علم بأن الله يفعل ما يريد ويختار ماشاء وقد اختار أن يكون النبى ﷺ عربيا، وأعلمهم بصفاته ﷺ وصدق رسالته[١٤]، لكن غلب ما فيهم من سوء وحسدعلى ما كان أمامهم من خير ومجد فأبوا إلا أن يضيعوه، وما كان يرد كيدهم إلا مجازتهم بالسوء سوءا، وهذا ما فعله رسوله ﷺ إبان حياته، ثم أوصى به على فراش موته ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال:

(لا يبقين دينان فى جزيرة العرب) [١٥]

فأجلاهم عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ منها جميعا.

●●●

ولنقترب ـ بعد ـ من حديث رسول الله ﷺ فى اليهود العشرة فنقول: بلغت قبائل اليهود نيفا وعشرين قبيلة عاشت بين العرب، وحمل بعضها أسماء عربية، وقد برز منها فى صراعهم ضد الإسلام ثلاثة: قينقاع وقريظة والنضير، وبلغت آطامهم (حصونهم وصياصيهم) تسعا وخمسين أطما[١٦] ولاشك أن زيادة الحصون على عدد القبائل يُنْبىء عن مدى ما يعدون من قوة لإرهاب العرب، وشاء ـ سبحانه وتعالى ـ أن يذلهم ويذل

---

(١٢) راجع د/ محمد العيد الخطراوى ـ شعر الحرب فى الجاهلية عند الأوس والخزرج ص١٧، ١٨ مؤسسة علوم القرآن ـ دار القلم دمشق ـ بيروت ط أولى ١٤٠٠هـ.

(١٣) انظر د/ على أحمد الخطيب - الصيام من البداية حتى الإسلام ١٧٣ ـ ٢٠٩، ٢٥١ ـ ٢٥٣ مجمع البحوث الإسلامية ـ سلسلة البحوث الإسلامية مطابع الأزهر الشريف ١٤١٦ هـ ود/ النجار ـ مرجع سابق ص ٤٠، ٤٥.

(١٤) انظر تفسير الآية الكريمة ٨٩ من البقرة. وانظر الحاشية رقم (١٠).

(١٥) موطأ مالك ـ رضى الله عنه ـ ٤/٢٣٣ ط الاستقامة نشر المكتبة التجارية ١٣٧٩ هـ.

(١٦) راجع للإمام نور الدين السمهودى المصرى ـ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١/١٦٥ وما بعدها نشر النمنكانى ـ مطبعة السعادة ـ مصر ١٣٧٣.

مناصريهم من المشركين والمنافقين ـ قال تعالى :

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾

الأحزاب ـ ٢٦، ٢٧

وها هى قبائلهم ـ بعد الثلاث المتقدم ذكرها :

٤ـ بنو أُنيف، وهم حى من قبيلة بَلِيّ العربية، كانوا يسكنون قباء بالمدينة المنورة.

٥ـ بنو القصيص، كانوا بقباء مجاورين لبنى أنيف.

٦ـ بنو هَدْل، وكانوا يسكنون حرة بنى قريظة مجاورين لهم.

٧ـ بنو عمرو، وكانوا يسكنون ـ أيضا ـ مع بنى قريظة.

٨ـ بنو مريد ٩ـ بنو معاوية ١٠ـ بنو ماسكة

١١ـ بنو مُحَمَّم ١٢ـ بنو زعوراء ١٣ـ بنوزيد اللات

١٤ـ بنوحجر ١٥ـ بنو ثعلبة. وكان بنو حجر وبنو ثعلبة يسكنون (زُهرة) وهى من أعظم قرى المدينة

١٦ـ يهود الجوانية : موضع قرب (أحد) شمالى المدينة.

١٧ـ بنو عكرة ١٨ـ بنو مراية ١٩ـ يهود راتج ٢٠ـ يهود يثرب.

٢١ـ بنو ناغضة : أصلهم من اليمن وسكنوا شعب بنى حرام[١٧].

وإذْ أحطنا علما بما شاء الله ـ تعالى ـ من أمر يهود وعلاقتهم بالجزيرة العربية، نسأل :

ما المقصود بـ « عشرة من اليهود » فى هذا الحديث الشريف من قول رسول الله ﷺ ..؟

أمطلق عشرة من اليهود..؟ أم عشرة أحبار بأعيانهم..؟ وعلى افتراض أى الاحتمالين فالمقصود أن يسلموا فى حياته ﷺ .

قبل أن نجيب عن السؤالين يجب أن نستبعد من هذه العشرة :

أـ من أسلم من اليهود نفاقا، ورسول الله ﷺ أعلم بنفاقهم، فإن الله ـ تعالى أخبر رسوله بأسماء المنافقين، ورسول الله ﷺ يريد إيمانا صحيحا لا دَخَل فيه ـ لذا نلغى فى إطار هذا الاستبعاد كلا من :

سعد بن حنيف، وزيد بن اللُّصيت، ونعمان ابن أوفى، وعثمان بن أوفى، ورافع بن حُرَيملة، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وسلسلة بن برهام، وكنانة بن صوريا، فأولئك هم المنافقون الأحبار من اليهود الذين أسلموا تقية[١٨].

(١٧) راجع د/ الخطراوى ص ٣٩ ـ ٤١.

(١٨) ابن كثير ـ السيرة ٢/٣٤٩.

ب- كذلك نستبعد من العشرة من أسلم من اليهود، وحسن إسلامه لكنه لم يكن حبرا أو كان امرأة، فقد:

١- روى البخارى - فى صحيحه عن سليمان بن حرب: حدثنا حماد - وهو ابن زيد - عن ثابت، عن أنس - رضى الله عنه - قال: « كان غلام يهودى يخدم النبى ﷺ فمرض، فأتاه النبى ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه - وهو عنده - فقال له: أَطِعْ أبا القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبى ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذى أنقذه من النار».

قال ابن حجر: إن ابن بشكوال ذكر أن صاحب «العتبية» حكى عن زياد بن شبطون[19] أن اسم هذا الغلام: عبدالقدوس. قال: وهو غريب ما وجدته عند غيره[20].

والحديث واضح فى صحة إسلام هذا الصبى بقوله ﷺ: الحمد لله الذى أنقذه من النار.

٢- كذلك ليس من العشرة رهط من اليهود أسلموا وحسن إسلامهم، منهم - على ما رصده أهل السيرة:

يامين بن عُمَير - وهو فى أسد الغابة: « يامين بن يامين» أى ابن عمير، وأبوسعد بن وهب، أو ابن أبى وهب - كما نص عليه فى «أسد الغابة»، أسلم يوم قريظة، وفى «أسد» أيضًا: أسد بن عبيد القرظى، وثعلبة بن سعية، وأَسِيد بن سعية.

قال ابن إسحاق: « ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعيه وأسد بن عبيد، وهم من بنى هَدّل، وليسوا من بنى قريظة ولا النضير، هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فى غدها بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ - رضى الله عنهم[21].

٣- وامرأتان هما: السيدة أم المؤمنين: صفية بنت حيى بن أخطب، من بنى النضير بن النحام بن ناخوم من سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام، ثم من ولد هرون بن عمران أخى موسى - عليهم السلام.. كانت تعتبر سيدة قريظة والنضير.. كانت من سبى خيبر، اصطفاها رسول الله ﷺ، وحجبها وأعتقها وتزوجها، وقسم لها، وكانت من عاقلة النساء، توفيت فى خلافة معاوية - رضى الله عنهما، ودفنت بالبقيع.[22]

والسيدة خَلْدَة - أو خالدة - بنت الحارث عمة عبدالله بن سلام، أسلمت وحسن إسلامها - رضى الله عنهم.[23]

أولئك جميع من تأكد لأصحاب السير إسلامهم، ويبلغ مجموعهم كلهم - رجالا ونساء وصبيانا ثمانية،

---

(١٩) هو زياد بن عبدالرحمن اللخمى شبطون - بتقديم الموحدة على الطاء على الصحيح - وكان تلميذ الإمام مالك، أول من أدخل مذهب مالك إلى الجزيرة الأندلسية، وكانوا يتفقهون قبله على الأوزاعى وغيره - انظر تاريخ الإسلام للذهبى - حرف الزاى ترجمة رقم ٩٥ - وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى وفيات سنة ثلاث وتسعين ومائة.

(٢٠) ابن حجر - فتح البارى شرح صحيح البخارى ١٧٦/٣.

(٢١) السيرة النبوية لابن كثير ٨٥/١، ١١٤، ٢٨٧ - ١٧٦/٣ وفى بعض الأسماء خلاف يسير.

(٢٢) ابن الأثير - أسد الغابة - ١٦٩/٧ كتاب الشعب.

(٢٣) نفس المرجع ٧٨/٧.

إذا أضيف إليهم الحبران الجليلان : مخيريق وعبدالله بن سلام ـ رضى الله عنهما لبلغ العدد عشرة . أسلموا فى حياته ﷺ ولو كان المطلوب (مطلق عشرة) لكان فيهم الكفاية ولتحقق إيمان اليهود جميعاً؛ فأما إذا كان الواقع غير ذلك، فإن فيه دلالة على أن المراد عشرة من أحبارهم، كما جاء ذلك صريحاً فى رواية ابن حنبل ـ رضى الله عنه .

ثم المراد : عشرة أحبار يؤمنون برسالته ـ ﷺ ـ إبان حياته ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا على مطلق الزمن أو امتداده، وإلا « فقد آمن به من اليهود أكثر من عشرة أضعافاً مضاعفة كما نقل العلامة أبو الحسن نور الدين محمد بن عبدالهادى السندى ـ فى حاشيته المختصرة على متن الإمام البخارى ـ رضى الله عنهما(٢٤) .

وإلى ما ذهب إليه الإمام السندى جنح العلامة الإمام ابن حجر فى شرحه للحديث . قال رحمه الله : فى رواية الإسماعيلى [أى للحديث] : « لم يبق يهودى إلا أسلم »، وكذا أخرجه أبوسعيد فى « شرف المصطفى » وزاد ـ فى آخره : قال كعب : « هم الذين سماهم الله فى سورة المائدة، فعلى هذا فالمراد عشرة مختصة . اهـ ابن حجر

أى عشرة أفراد بأعيانهم، من الأحبار ذكرهم ـ رحمه الله ـ بأسمائهم وأسباطهم ـ عدا من أسلم منهم من قبل، وهما اثنان : عبدالله بن سلام، ومخيريق وكان من بنى ثعلبة بن الفطَيَوْن ـ الذى قال لقومه ـ يوم أحد : والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق . . فأخذ سيفه وعدته، وقال : إن أصبت فمالى لمحمد، ثم غدا إلى رسول الله ـ ﷺ فقاتل معه حتى قتل، فقال رسول الله ـ ﷺ : مخيريق خير يهود(٢٥) . وجعل رسول الله ﷺ أمواله وقفا لله بالمدينة، قال محمد بن كعب القرظى : وكانت أول وقف بالمدينة(٢٦) .

وهذا تحديد ابن حجر للعشرة المقدمين عنده قال :

من بنى النضير : أبوياسر بن أخطب، وأخوه حيى ابن أخطب، وكعب بن الأشرف ورافع بن أبى الحقيق .

ومن بنى قينقاع : عبدالله بن حنيف، وفنحاص، ورفاعة بن زيد .

ومن بنى قريظة : الزبير بن باطيا، وكعب بن أسد، وشمويل بن زيد .

قال : فهؤلاء لم يثبت إسلام أحد منهم، وكان كل منهم رئيسا فى اليهود، ولو أسلم لاتبعه جماعة منهم، ا.هـ(٢٧) .

●●●

وبعد :

فقد مس رسول الله ﷺ حقيقة نفسية كامنة وشاملة لأهل الكتاب جميعا، فى هذا الحديث الشريف هى انقياد عامة أهل الكتاب للأحبار والرهبان، دون نظر فيما يُملُّون عليهم حتى لقد ذهبوا ـ والعياذ بالله ـ إلى اعتقاد العصمة فيهم دون الأنبياء . نسأله ـ تعالى ـ التوفيق .

---

(٢٤) حاشية السندى على صحيح البخارى ٢/ ٢٩٤.

(٢٥) السيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٧٢

(٢٦) نفس المرجع ٣/ ٧٢، ٧٣.

(٢٧) ابن حجر ـ فتح البارى ٧/ ٢١٤.

من نتائج «الهجرة إلى الحبشة»

حُسْنُ الجِوارِ وصِدْقُ الحِوار

«بين المسيحيّة والإسلام»

للشيخ / عبد الخالق عطية نصير
الأمين العام المساعد للثقافة الإسلامية

منذ سنوات معدودات وُجدت عدة دعوات، من المسئولين، وعلماء الدين، بعقد كثير من المؤتمرات للحوار بين المسيحية والإسلام أو ما يسمى بحوار الأديان لكى يعيش المسلمون والمسيحيون وغيرهم فى سلام وأمان وفى عالم واحد للجميع، عن طريق الحوار وحسن الجوار، والاعتراف بالآخر، واحترام الحرية الدينية، وهى دعوات طيبة للتعايش السلمى بين الجميع - إذا صدقت النية - وظهر ذلك على أرض الواقع، نظرا لأننا نرى يوميا دمارا لا حوارا، ممن فى يدهم القوة الغاشمة المدمرة، من اليهود الصهاينة أو المسيحيين المتعصبين المولعين بإبادة الآخرين من المسلمين بما يسمى بالتطهير العرقى، أو من المجوس الذين يحرقون الأحياء من المسلمين ويحرقون مساجدهم وبيوتهم.

والإسلام هو الدين الوحيد الذى ضرب المثل الأعلى فى التعايش السلمى والدعوة إلى حسن الجوار، وصدق الحوار مع الآخرين من أصحاب الديانات المختلفة، وطبق ذلك بصدق على أرض الواقع منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، بصورة لم يسبق لها مثيل، ومن ذلك على سبيل المثال ما فعله رسول الله ﷺ مع وفد نصارى نجران. فقد سمح لهم بدخول مسجده وأن يصلوا فيه صلاتهم وينالوا حريتهم الدينية، على أكمل وجه ومكنهم ﷺ من الصلاة بحضرة المسلمين فيه، «قال ابن اسحاق وفد على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران بالمدينة، فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال: «لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فحانت صلاتهم فقاموا يصلون فى مسجده ﷺ فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: دَعُوهُمْ «أى اتركوهم يصلون» ـ فصلوا صلاتهم..» [زاد المعاد لابن القيم جـ٣ ط٢ ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م] ص٣٨ ـ ومن أعظم نتائج «الهجرة إلى الحبشة» ـ تحقيق الأمن والسلام بين المسلمين والمسيحيين على أعلى مستوى من حسن الجوار وصدق الحوار، وأمن الديار، الذى استقر بين مكة والمدينة وبين الحبشة التى وصفت بأرض الصدق على أطهر لسان هو لسان الصادق الأمين ﷺ فقد خشى أن يفتن المسلمون عن دينهم بسبب سوء العذاب من المشركين، وبفراسة النبوة اختار لهم مكانا آمنا يأمنون فيه على أنفسهم ودينهم، فأشار عليهم أن يهاجروا إلى الحبشة، وقال لهم ﷺ: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه!»

وخرج الفوج الأول من المسلمين المهاجرين إلى الحبشة وعددهم أحد عشر رجلا وأربع نساء، وفيهم عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ وزوجته السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ وفيهم ـ أيضا ـ ابن عم السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ «الزبير بن العوام» وكانت الحبشة ـ على دين عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ «دين النصرانية» وكان ملكها النجاشى ـ نصرانيا ـ صادقاً عادلاً ـ لا يظلم عنده أحدٌ ـ كما وصفه بذلك رسول الله ﷺ ولما وصل المهاجرون إلى أرض الحبشة ـ أحسن النجاشى لقاءهم، وأكرم نزلهم، فوجدوا الأمن والطمأنينة وحسن الجوار. وسعادة الاستقرار، وأرسلوا جماعة منهم ليبشروا رسول الله ﷺ ويخبروه بذلك، ويعرضوا على المسلمين المعذبين فى مكة ليهاجروا معهم إلى الحبشة، فهاجر الفوج الثانى من الصحابة إليها وعددهم ثمانون رجلا ـ تقريبا ـ علاوة على ما كان معهم من الأطفال والنساء، وعاشوا هناك معززين مكرمين.

والسياسة الماكرة والإعلام الكاذب جاء لتشويه سمعة الإسلام والمسلمين. عند ملك الحبشة لإعادة المهاجرين وتسليمهم لقريش ليستمروا فى تعذيبهم، ـ كل ذلك جاء بمؤامرة من المشركين بإرسال سفيرين خطيرين يحملان الهدايا إلى النجاشى وأصحابه لإقناعهم بأسلوب ماكر بتسليم المهاجرين إلى الحبشة، وإعادتهم إلى مكة ـ وهما: ـ «عمرو بن العاص، وعبدالله بن أبى ربيعة» وتحدثا بأسلوب كاذب وحوار مضلل مع أصحاب النجاشى ليشيروا عليه بإرسال المهاجرين وتسليمهم لهما قالا: «إن ناسا من سفهائنا، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا دين الملك، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد أرسلنا

أشراف قومهم إلى الملك ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم. وخافا إن سمع «النجاشى» كلام المسلمين ألا يسلمهم، فوعدهما أصحاب النجاشى بالمساعدة على ما يريدان..» ثم إنهما حضرا عند النجاشى فأعلماه ما قالاه، فأشار عليه أصحابه بتسليم المسلمين إليهما، فغضب «النجاشى» من ذلك وقال: «لا والله، لا أسلم قوما جاورونى ونزلوا بلادى، واختارونى على من سواى، حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان، فإن كانا صادقين، سلمتهم إليهما وإن كانوا على غير ما يقول هذان منعتهم وأحسنت جوارهم».

[وهذا النص من تاريخ الكامل لابن الأثير]

ثم أرسل النجاشى إلى أصحاب النبى ﷺ فحضروا وقد أجمعوا على صدق النجاشى فيما ساءه وسره، وهذا يدل على الصدق فى القول والإخلاص فى قول الحق ولو كان مراً.

● صدق الحوار وجودة العرض الثقافى بين النجاشى والمسلمين على أرض الحبشة:

وكان المتحدث الرسمى للمسلمين: جعفر بن أبى طالب -رضى الله عنه- وبدأ الحوار: قال لهم النجاشى: ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا دين أحد من الملل؟» فقال جعفر: أيها الملك «كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف.. حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله، وألا نشرك به شيئا، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام....» [المرجع السابق، وسيرة ابن هشام] و[السيرة الحلبية]

وهذا أسلوب فى حسن العرض لرذائل الكفر وحسن العرض لفضائل الإسلام، وبعد أن ذكر له أمور الإسلام - قال: فآمنا به، وصدقناه، وحرمنا ما حرم علينا، وحللنا ما أحل لنا، فتعدى علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك» ،هذا أسلوب دبلوماسى إسلامى رائع.

فقال النجاشى: هل معك مما جاء به عن الله شىء؟. قال جعفر: - «نعم» وقرأ عليه من أول «سورة مريم» - فبكى النجاشى وبكى معه أساقفته[1] وقال النجاشى: «إن هذا والذى جاء به عيسى، يخرج من مشكاة واحدة!..[صور من حياة الرسول - أرض الحرم الشريف لأمين دويدار].

ثم قال النجاشى لعمرو بن العاص وصاحبه: انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما أبدا..» فقال عمرو للنجاشى: «إن هؤلاء يقولون فى عيسى بن مريم -قولا عظيما!..» فسأل النجاشى المسلمين عن قولهم فى

(١) ويتحدث القرآن الكريم عن أن النصارى هم أقرب الناس مودة للمؤمنين وأنهم يبكون عند سماع القرآن لمعرفة الحق قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾
سورة المائدة الآية ٨٢، ٨٣

المسيح ـ عليه السلام ـ فقال جعفر: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا «هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول» فأخذ النجاشى عودا من الأرض وقال: «ماعدا عيسى ما قلت هذا العود!..» أى هو كما قلت، ثم قال للمسلمين: «اذهبوا فأنتم آمنون.. ما أحب أن لى جبلا من ذهب وأننى آذيت رجلا منكم..» ورفض هدية قريش وردها [المرجع السابق]

ووجد المسلمون من النجاشى ملك الحبشة كل عناية ورعاية وعاشوا بها آمنين وظلوا مقيمين بها نحو أحد عشر عاما ـ ماعدا عثمان بن عفان فقد رجع إلى مكة مع زوجته السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ وبعد ذلك، عاد المسلمون إلى المدينة المنورة بعد هجرة النبى ﷺ إليها، فى السنة السابعة من الهجرة بعد أن تم بين النبى وبين قريش «صلح الحديبية»، وهكذا نرى أن حسن الجوار وصدق الحوار والمحبة والمودة بين المسلمين والنصارى على أرض الحبشة، كل ذلك يرشد الناس إلى مكان الثراء الروحى من التراث الذى يتحلى بالحوار والمحبة والرحمة التى ينعم بها العالم كله تحت ظل قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢) وفى أحضان صلة الرحم الناس تحت راية قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٣).

صدق الله العظيم وصلى الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وأثمر الحوار الصادق والجوار الحسن – الحب والإخلاص والمودة بين المسلمين، والنصارى ووقف المسلمون معهم ضد أعدائهم حتى تحقق النصر لهم، وازدادت علاقة الحب الخالص والوفاء والمودة، بين النبى ﷺ وبين النجاشى وطلب منه النبى الكريم أن يزوجه «أم حبيبة» ـ رضى الله عنها ـ وكانت من المهاجرات إلى الحبشة مع زوجها «عبدالله بن جحش» الذى تنصر ومات هناك فوافق النجاشى وجعل مهرها أربعمائة دينار مكرمة له ونيابة عنه، ودعاه النبى ﷺ إلى الإسلام برسالة كرسائله إلى الملوك والرؤساء، فكان النجاشى أول من أسلم وبعث إلى النبى وفدا يحمل إليه كل معانى الحب والإخلاص، وقام النبى ﷺ بخدمة الوفد بنفسه، ليرد الكرم والتحية ويكافىء هؤلاء الذين أكرموا المسلمين فى بلادهم، ولما قيل له نكفيك هذه الخدمة يا رسول الله، قال: «إنهم كانوا لأصحابى مُكرمين، وإنى أحب أن أكافئهم، وحين توفى النجاشى، قال ﷺ «توفى اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم «أصحمة» وهذا اسمه. أما النجاشى فلقب لملك الحبشة، وصلى بهم رسول الله ﷺ صلاة الغائب، وهكذا كان حب العدل ورعاية الحق وحسن الجوار وصدق الحوار ـ سببا فى حماية الأقلية الإسلامية التى هاجرت إلى الحبشة.

والله ولى التوفيق

(٢) الأنبياء (١٠٧).

(٣) النساء (١)

بـدون عنـوان

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

تلعب القوة دوراً بارزاً فى هذا العالم الذى تتشابك فيه كافة الأطراف بين تهديد ووعيد واتفاق وتحد، ومفارقات عديدة تحكمها الظروف الدولية وتخطط لها الصهيونية العالمية.

وإذا استعرضنا الحالة التى نحن عليها الآن والحشود الأمريكية والبريطانية وحلفاءهما، نشعر وكأننا على أعتاب حرب عالمية نووية ثالثة. تهدد بانفجار الكرة الأرضية، كل هذه الحشود وكل هذه المليارات لتغيير نظام الحكم فى إحدى دول العالم الثالث. «العراق» وإذا سألنا عن السبب، أجابوا: لأنها تملك أسلحة دمار شامل، وهى بهذا على رأس قائمة محور الشر. وقد رأينا فى البداية أفغانستان ومالحق بها والآن العراق ثم من ياترى بعد ذلك.

باختصار إنها دولة مواجهة تمثل بالنسبة لأمريكا خطورة على الكيان الصهيونى، والذى لابد ان يكون له اليد الطولى فى المنطقة.

ونعود إلى الوراء قليلاً، (فقد انعقد فى تل أبيب فى أواخر يناير ١٩٩٤ أول مؤتمر دولى لعلوم الذرة شارك فيه علماء من ٢٦ دولة وكان أغلب المشتركين من دول العالم الغربى وإفريقيا الجنوبية والصين والهند. وقد ذكرت المصادر الإسرائيلية أن هذه هى المرة الأولى التى وافق فيه أعضاء اللجنة الأوروبية لعلوم الذرة على الاجتماع فى إسرائيل، رغم أن إسرائيل لم توقع حتى الآن على وثيقة منع انتشار الأسلحة الذرية وماضية فى برنامجها النووى).

ألم تعلم أمريكا عن برنامج إسرائيل النووى، والعدد الهائل للرؤوس النووية القادرة على نسف المنطقة بأسرها.

وتشاء الأقدار أن تفصح كوريا الشمالية عن امتلاكها للسلاح النووى وأنها ماضية فى تطويره. وأمريكا تهدد شفويا فقط، العراق ينفى وكوريا تعترف، فرق التفتيش تجوب العراق طولا وعرضا دون جدوى، وأمريكا تصر على ضرب العراق وتدميره على من فيه، أما لغة التحدى فى شبه الجزيرة الكورية فقد أجبرت أمريكا على التراجع، بل أن كوريا استثمرت الموقف وابتزتها بمساعدات نفطية واقتصادية، بل وطلبت منها معاهدات خطية أمنية بعدم الاعتداء. ويبدو أن الحوار مع الكبار له قواعده وكما أن الحوار مع

الصغار له قواعده أيضا . وانكشف القناع عن وجه أمريكا .

ونرى المظاهرات فى العالم أجمع التى تندد بالحرب على العراق، وسواء أكان الدافع إنسانيا أم اقتصاديا . فالحرب وبال على المنطقة بأسرها، وسوف يتأثر بها سلبا كثير من دول العالم . والمشكلة العراقية تتصدر اهتمامات العالم أجمع . وقد غطت على مايجرى فى الأرض الفلسطينية المحتلة، ذلك مقصود فى حد ذاته وقد دفع هذا الوضع إلى التنسيق الأمريكى الإسرائيلى لتصفية كوادر المقاومة الفلسطينية وبث الخوف والهلع فى نفوس الفلسطينيين، تمهيدا لقتل القضية برمتها، والصراع القادم هو صراع على الطاقة ممثلا فى البترول، ثم المياه، ويملك العراق ثانى أكبر احتياطى للنفط فى العالم بعد المملكة العربية السعودية وخافت الدول المستوردة للنفط من حدوث أزمة بترولية مما سيعرضها لخسائر فادحة خاصة بعد مشكلة فنزويلا وانخفاض معدلات ضخ النفط بسبب إضراب عماله .

وتتصدر الأوبك دائرة الضوء، وتعلن عن زيادة إنتاجها اليومى لإعادة الاستقرار إلى أسواق النفط العالمية . فقد كنا أول من حرص على دفئ العالم الغربى بتعويض النقص فى الطاقة إنها شهامة وسماحة العرب . لأن ارتفاع أسعار النفط سيؤدى إلى تراجع معدلات النمو فى الدول المستوردة .

أما الفلسطينيون فلا ينقصهم إلا رغيف الخبز وخيمة إيواء والشعور بالأمان!

والحقيقة المؤلمة أننا كعرب لم ننجح فى إدارة الصراع العربى الصهيونى سياسيا، والسياسة هى فن إدارة مصالح الدولة وتعظيم مكاسبها . . إننا ننتظر الفعل من الآخر وبعدها نتبنى سياسة رد الفعل، وينتظر الفلسطينيون على أحر من الجمر نتائج الانتخابات الإسرائيلية، ويدعون الله الا يفوز الليكود الشارونى الذى أذاقهم صنوف العذاب . حتى أن (دعاة السلام) فى إسرائيل هددوا بانتخاب العرب ليأسهم من سياسات الليكود الدموية . ولكن فرصة حزب العمل فى الفوز ضئيلة أمام الليكود، وماذا فعل حزب العمل حين كان على رأس السلطة .

وتحية إلى الشعب الفلسطينى، الشعب الوحيد فى العالم الذى يرزح تحت نير الاحتلال .

ولكن: ألم يحن الوقت بعد كى تتفق كافة الفصائل الفلسطينية على استراتيجية واحدة وشاملة، فلابد من التلاحم بين النضال والسياسة . والهدف ليس الأمانى، ولكن كافة ماتتفق عليه القوى الفلسطينية، كما أن كثرة التصريحات أدت إلى تعقيد الوضع السياسى وشاء قدرنا أن يصبح مستقبل العملية السلمية فى يد رجل واحد هو « شارون » ووسيط واحد هو « بوش » والرجلان وجهان لعملة واحدة .

إن السياسات العربية على مدى ربع قرن هى التى أوصلتنا إلى ما نحن عليه ولابد من إيجاد سقف عربى يحمى آمال هذه الأمة، وحتى وإن اختلفت أشكال أعمدته، ولو كان هذا السقف موحدا لما حدثت حرب الخليج ولا كنا وصلنا إلى ما نحن عليه، يمتلك العالم العربى الإسلامى ثروات طائلة بترولية وغير بترولية، ويمتلك ثروة لاتقدر فى العقول البشرية هذه الأمة التى قال عنها المولى عز وجل :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾(١) .

---

(١) آل عمران (١١٠)

دعوة للحياة

للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير

منذ شهر مضى ودعنا عاماً ميلادياً وبعد شهر نستقبل عاماً هجرياً جديداً نأمل فيه الخير والبر والتوفيق. وهكذا تفضى الحياة بحلوها ومرها بين وداع واستقبال وموت وميلاد. وهى حقيقة تذكرنا نحن المؤمنين بسنة إلهية لاتتبدل أو تتغير مغزاها أن أنفاس الإنسان معدودة وخطواته معدودة، وأن العبد بين مخافتين بين ماض لايدرى ما الله قاض فيه وحاضر يرجو فيه الخير. وتعد ورقة النبات خير مثل حيى يبين لنا ذلك المثل ويمكن التفكير فيه لنرى إبداع الخالق العظيم. فأوراق الشجر صفحات حوت من أسرار الخليقة وألغاز الحياة ماهو جديد لكل من حباهم الله عقولاً تدبر ويستنتجوا ما أودع البارى فيها من عجائب ومعجزات تجعل الإنسان يهتف من أعماقه بتوحيد الخالق وتفرده عز وجل بالبقاء السرمدى والعبودية الخالصة وأن ما دونه من كائنات ماض لا محالة.

فأوراق كل النباتات الخضراء تعتبر عاملاً أساسياً فى مسيرة الحياة على سطح الأرض والسبب هو ما يسميه العلماء «التمثيل الضوئى» فماذا يحدث ياترى فى التمثيل الكلورفيلى؟ الذى يحدث ببساطه ودون دخول فى تفاصيل علمية معقدة هو أن ورقة النبات تقوم بامتصاص وتخزين ثانى أكسيد الكربون من الجو ودمجه مع الماء وضوء الشمس لتنتج من ذلك كله عناصر ضرورية لحياة النبات وكل الكائنات من إنسان وحيوان وغيرها فهى تأخذ ثانى أكسيد الكربون الخارج من زفير الإنسان فتعطيه الأكسجين اللازم لكل أشكال الحياة على سطح الارض إضافة الى الطعام المتمثل فى الجلوكوز للنبات. وواضح إذن كم هو امر جوهرى اعتمادنا نحن البشر على استنشاق ذلك الاوكسجين الذى هو ثمار حياتنا والمنفعة متبادلة كما ترى بين عالم النبات وكل الكائنات بقدرة الخالق الرازق الذى يريد لصنعته على تنوعها وثرائها أن تعيش فى تفاعل يستفيد كل منها من الآخر ويفيد.

فإذا سألت عن زمن حدوث التمثيل الضوئى أو النتح ووقته لعلمنا أنه يحدث من الربيع حتى الخريف. وعندما يقترب الشتاء فيقصر النهار وتقل فترات سطوع الشمس ويطول الليل وتقل كمية الضوء ويزداد الظلام يكون ذلك كله هو الشفرة التى توحى إلى النبات وإلى أوراقه على وجه الخصوص بأمر الله أن تغلق مصانعها وتتوقف عن

عملها ومن ثم تبدأ الأوراق بالهام من ربها – عز وجل – في الاستعداد لبدء دورة الحياة من جديد وتبدأ هذه المرحلة بأن تتشكل في ورقة النبات طبقة تنفصل عن الورقة فأين تتشكل هذه الطبقة؟ إنها تتكون من قاع جذر النبات وذلك عندما تبدأ الورقة في التخلق في الربيع لكنها تظل كامنة دون أن تلعب دوراً فعالاً قبل أوائل ايام الخريف الباكرة التي تحذر أوراق النبات من قدوم برد الشتاء القارس. ورغم أن ذلك الجزء من ورقة النبات يعرف بالطبقة المنفصلة إلا أنها تتركب في حقيقة الأمر من طبقتين مختلفتين كل منهما عن الأخرى بل تتميز كل واحدة منهما أنها تتركب من أنسجة شديدة التخصص في وظيفتها. فاعجب معي لقدرة الصانع الحكيم الذي يخلق في شيء ضعيف واحد المتناقضات والمتكاملات وأفصل القول فأقول إن الطبقة الأولى تتركب من خلايا تأخذ في التقلص والضعف شيئاً فشيئاً لتشكل بالتدريج المكان الذي تسقط منه الورقة الذابلة. وتحت هذا النسيج الذي تنتهي عنده حياة الورقة تتخلق طبقة أخرى من الخلايا التي تقوى وتصلب شيئاً فشيئاً لتكون ورقة رقيقة وعريضة جوهرها ولبها مادة شبه فلينية فما فائدة هذه المادة للنبات؟ فرضان محددان ولكن قبل الخوض فيهما انظر بعين بصيرتك إلى يد الله الحانية التي تعمل في الخفاء وتستنهض عقول العلماء وألبابهم أن تفكروا وكونوا كالنساك في محاريبهم وعود الى الغرضين؛ أما الاول : فهو أنها - أعني المادة الفلينية - تقوم بتضميد ما بالنبات من جروح أو ندوب بقي أثرها على غصن الشجرة نتيجة لسقوط الورقة منه وهي حينما تأسو تلك الجراح فهي تحمي الفرع وتقيه من أن تهاجمه الحشرات البكتريا الضارة. أما الغرض الثاني للمادة الفلينية : فهو إيجاد فلينات صغيرة تسد الثغرات المفتوحة بالأنابيب الشعرية للنباتات التي تمددت بفعل حرارة الصيف وأغلقت ما يمكن أن نطلق عليه شبكة الصرف الصحي ونظام تصريف المياه داخل النبات فمنعت وصول الماء بشكل صحيح إلى بقية أجزاء النبات. وكلما شبع امتصاص الأوراق للماء من الجذور كلما اضمحلت قدره الأوراق على تجديد الكلوروفيل أو المادة الخضراء وبالتالي تذوي الأوراق وتذبل وبذهاب المادة الخضراء يبرز للوجود مركبان كيميائيان ملونان ترى أين كان هذان المركبان؟ ومرة أخرى إنظر الى قدرة الله لقد كان هذان المركبان كامنين مختبئين داخل الورقة طيلة الصيف فيالقدرة الخلاق العظيم وبعد فإن علماء النبات غير قادرين بالضبط على شرح وتفسير الدور الذي يمكن أن تقوم به أوراق الخريف وتساقطها في تشكيل ورقة النبات لكنهم يجزمون أن الطاقة الكيميائية التي مهمتها تلوين أوراق النبات لاتؤدي فائدة واحدة للنبات بل أكثر من فائدة ويقولون إنه ربما كانت هذه طريقه لحفظ حياة ورقة النبات وعندما تكون الورقة مترعة بالمادة الخضراء فإنها تقوم بتكوين الأوكسجين اللازم لبقاء الحياة مستمرة أما عندما يعلوها الذبول وتأخذ الوان الخريف في الزحف عليها فليس معنى ذلك أنها تموت أو تضيع وقتها سدى إنها في حقيقة الأمر بإلهام من الله – عز وجل – تقوم بإيجاد وتشكيل حورة أكثر حيوية للحياة إنها صورة من الجمال الأخاذ والبريق الخلاب ذلك الجمال هو جمال الروح.

بين الصحف و المجلات

إعداد الأستاذ
محمود الفشني

المستشـــــرقون
يغالطون فى المنهج الإسلامى ويلوون النصوص

مازالت الدراسات الاستشراقية الأولى والكتابات الغربية عن الإسلام مصدر الفهم الأساسى للإسلام لدى الدارسين والمثقفين وصانعى القرار بالغرب.

ومن هؤلاء قلة من المستشرقين غير المحايدين قد أساءوا إلى الإسلام وغالطوا فيه ويعتبر المستشرق الألمانى « تيودور نولدكه » واحداً من أهم من أرسى فى كتابه الشهير « تاريخ القرآن » أخطاء جسيمة تنف الرسالة المحمدية وتشكك فى الإسلام كدين وانتقلت هذه الأخطاء إلى ما أتى بعده من الكتابات وكأنها مسلمات يسير عليها الباحثون وينطلقون منها، ولكن للأسف هناك من يقرأ لهؤلاء ويثنى عليهم دون أن يقرأوا نصوصهم.

من هنا كان اختيارنا لما نشر فى جريدة الجمهورية فى عددها الصادر فى ٢٣ / ١ / ٢٠٠٣ حيث قدمت رسالة دكتوراة للباحث محمد حسين المدرس بكلية أصول الدين بعنوان « شبهات حول العقيدة الإسلامية » دراسات تحليلية نقدية وقد أتت الدراسة فى وقت يشتد فيه الهجوم على الإسلام والمسلمين بطريقة شرسة حتى أصبح كل من أراد أن يحقق لنفسه شهرة فعليه بمهاجمة الإسلام والقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم.

ولكن ما جاء بالدراسة يمثل ردا علميا على بعض ما يقال أو قيل على المستوى الأكاديمى والمستوى العام خاصة أنه يجيد اللغة الألمانية فترجمها للألمانية رداً على المستشرق « تيودور الألمانى ».

فإذا أضفنا أن الكتابات الاستشراقية لم تكن لها آثارها المعيبة فى الغرب فقط بل نضحت هذه الكتابات على كثير من المفكرين العرب ونحوا نحوها واتخذوا من أخطاء تيودور نولدكه منطلقات فكرية كان لها ما لها من زعزعة فى الحركة الثقافية العربية وخلقت ألوانا من الصراعات والتحزبات بشأن كثير من

الموضوعات التى تتناولها الدراسة فإننا ندرك جانبا آخر من جوانب الأهمية لهذه الدراسة، وهو ما أجابت عنه الدراسة وأظهرت به عقلية نولدكه التى تحاول نفى النبوة عن الرسول وبالتالى إنكار نبوته وأن الإسلام هو الدين الخاتم وإدعى نولدكه بأن الوحى الذى كان يتلقاه النبى ما هو إلا صوت داخلى للنبى نتيجة مرض نفسى أحدثه دخوله فى خلوة طويلة تفاعلت بداخله أثناءها أفكار أهل الكتاب وبالطبع هو أمر لا يثبت أمام أبسط قواعد البحث العلمى لأنه كيف يأتى النبى بقرآن له خصائص معينة لا يستطيع أحد أن يأتى بمثله.

أمركة الدين الإسلامى

وفى جريدة الأسبوع فى عددها الصادر فى ١٣ يناير سنة ٢٠٠٣ كتب الأستاذ مصطفى بكرى رئيس تحريرها فى تقرير أشار فيه إلى أن الإدارة الأمريكية انتهت من إعداد مشروع لتطوير الخطاب الدينى وأعلنوا إنه مشروع الشراكة من أجل الديموقراطية والتنمية وقد أفادت المعلومات بأنه قد تم تشكيل لجنة داخل الخارجية الأمريكية أطلقوا عليها لجنة تطوير الخطاب الدينى فى الدول العربية والإسلامية وتشير المعلومات إلى أن تقرير اللجنة أكد أهمية أن يتم التركيز على تقليل الاهتمام بالجانب الدينى فى الحياة الاجتماعية العامة وأن يبرز الدور الدينى كمعيار ثانوى فى أساليب الحياة الاجتماعية للمواطنين وأن الإدارة الأمريكية ستبلغ الدول الإسلامية بكل ما يجب تنفيذه فى هذا المجال.

ويرى التقرير أن إحدى الوسائل الأساسية للقضاء على الجانب الدينى يجب أن تتضمن إغراق الشعوب العربية والإسلامية بأنماط مختلفة من الحياة العصرية الغربية.

ويركز التقرير بأن مشكلة البطالة والفقر فى مصر هما أساس اللجوء إلى الدين.

وربطو زيادة المعونة الأمريكية بهذا التطوير الدينى وتوصلوا إلى نتيجة مفاداها أن الدعاة المصريين ورجال الدين المصريين هما الأكثر شهرة وتأثيراً على العالم الإسلامى ويرى المشروع أن خطة تطوير الخطاب الدينى فى مصر سيجرى تنفيذها من خلال دورات تدريبية مكثفة وهذه الدورات ستنعقد بين القاهرة وواشنطن.

وعن دور المسجد فقد حاز على اهتمام كبير فى إطار خطة تطوير الخطاب الدينى بحيث يتحول المسجد إلى مؤسسة اجتماعية بها حدائق للأطفال والسيدات وملاعب رياضية بدلاً من كونه أداة للتحريض وبث الكراهية.

ويحث هذا التقرير على الاختلاط بين الرجل والمرأة داخل هذه المؤسسة الاجتماعية «المسجد» وتمارس فيه المرأة حقها الطبيعى فى ممارسة النشاط السياسى والاجتماعى وتقترح الخطة أن يتم إلغاء مقررات التربية الدينية وأما ما يتعلق بالقرآن الكريم أو أحاديث الرسول «صلى الله عليه وسلم» ترى الخطة بأن التلاميذ أحرار فى تعلمها بعيد عن المدرسة ويقولون إن الإرهاب وتصعيد موجات التطرف أساسه التنشئة التمييزية بين الطلاب فى المدارس.

وتركز الخطة على الدعاة الجدد بطريقتها هى وترى أن الدور الخارجى للأزهر سيجرى بالاتفاق بين أمريكا ومصر وأن هذه البرامج ستكون بمثابة برامج عمل يتم تنفيذها سنوياً.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعى خفاجة

الإعلام الإسلامى ضرورة

لقد ابتُلى الإسلام والمسلمون بأعداء حملوا لواء التشهير ونشر المفتريات والأباطيل، فقديماً رُمى الإسلام بأنه دين يفرق بين الابن وأبيه، ثم رُمى بأنه دين انتشر بحد السيف، وقالوا: إنه دين يدعو إلى الرق.. ومن هذه المفتريات أيضاً قولهم: إنه دين يميز بين الرجل والمرأة!!..

فإذا ما انبرى رجال الإسلام ينافحون عن دينهم ويدفعون عنه أذى المغرضين، يجد الحاقدون ضالتهم فى رمى الإسلام والمسلمين بالإرهاب!!..

إنها الحرب الدائمة بين الخير والشر، وإن الواجب على الإعلام فى الأمة الإسلامية أن يتقدمه رجال على علم عميق بالإسلام وشرعه وروحه الداعية للإنصاف، التى تمنع منعاً باتاً أن يعتدى المسلمون على غيرهم ممن لم يتقدم إليهم بأذى.

يقول الله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(1).

وعليهم أن يبرزوا فى جلاء مدى حماية الإسلام لأبناء أمته «مسلمين وغير مسلمين»؛ فإن دماء غير المسلمين من أبناء الأمة فى عنق الدولة، تُسأل عنها وتُحاسب عليها.

قال رسول الله ﷺ:

«لايزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يُصب دماً حراماً»(2).

ويعنى ذلك أن الجماعة الإسلامية المُحققة لإسلامها المُمارسة

(1) البقرة: ١٩٠.

(2) صحيح البخارى حديث رقم ٦٨٦٢ - كتاب الديات -

له، يجب ألا يقع بين صفوفها قتل، فإن وقع، فلا يكون إلا قتلاً خطأ، لا عمد فيه ولا تربص.

وعلى هذا يُربى الإسلام أبناءه على هذه المبادئ التى ندرك نحن فى عصرنا هذا أن الخبثاء من غير المسلمين ومن المسلمين أيضاً يتلاعبون بها.

فيجب على رجال الإسلام أن يكون لهم دورهم فى صد هذه الهجمات الفكرية وإبراز هذه الصورة المشرقة لديننا الحنيف وتصحيح كل ما ينشر من أخطاء ومُفْتَريات عن الإسلام، ويجب أن يصاحب ذلك نشر الصورة السمحة الحقيقية لديننا العظيم، على أن يكون ذلك فى ميدان يأتى النشر فيه بالثمرة المرجوة فى نفوس هؤلاء الذين يحاولون ربط الإسلام بالإرهاب كشراء صفحات من الصحف العالمية مثل: الـ Newsweek والـ Times وغيرها.

والسبيل إلى نشر الإسلام وتبصير العالم بصورته المشرقة، لن يكون إلا بالعمل الدءوب والبحث العلمى الجاد.

ومن هذه الخطوات: الحوار الحضارى، وذلك بعقد المؤتمرات العالمية التى يحضرها المستشرقون، واتخاذ خطوات عملية فى هذا السبيل، كتوجيه الدعوة إلى شخصيات غربية بعينها تتسم بالاتزان العلمى السليم، ليتحدثوا عن الإسلام بإنصاف.. بالإضافة إلى إجراء الحوار بين هؤلاء المستشرقين وبين المثقفين من الأمة الإسلامية فى الشرق والغرب، كلٌ يدلى بدلوه، لإظهار الصورة الصحيحة لدينه والبحث عن النقاط التى تجمع بين الأديان، وما أكثرها.. فإن ذلك كفيل بإزالة سوء الفهم وتصحيح الصورة، وكشف هؤلاء الذين يصرون على وصف الإسلام والمسلمين بالرجعية والتخلف، بل والإرهاب.

وقد قام الأزهر الشريف بتجربة رائدة، وذلك بإنشاء لجنة حوار الأديان، فيا حبذا لو تم ترجمة نتائج حوار هذه اللجنة إلى عدة لغات، على أن ينبرى لهذا الهدف النبيل فريق عمل يضم خيرة المترجمين وكبار رجال الدين، وبث هذه الترجمات على شبكات الإنترنت، بكل وسائل الإعلام المتاحة، كى تَعُم الفائدة على الجميع.

ويجب أن تنهض الدول الإسلامية الغنية لهذا الهدف النبيل وهو واجب ليس على الدول الغنية فحسب، بل هو واجب - أيضاً - على أثرياء المسلمين كافة.

وفى تجربة AL-Azhar on line - التى أمر سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولى عهد دبى بتنفيذها - القدوة الحسنة لمن يريد أن يقتدى ويشارك فى تقديم صورة الإسلام فى أبهى ما يكون.

وكم أسعدتنى كلمة الشيخ جمال خلفان، حين نقل عن سمو ولى العهد قوله: «**إننى أخدم الأزهر، لأن الأزهر يخدم الإسلام**».

لذلك فإنى أدعو الله أن يَمُن على الإسلام بكثير من أمثاله الذين يجندون طاقاتهم وأموالهم فى سبيل الدفاع عن كلمة الحق..

وبعد: فإن الدين الإسلامى جاء ليدعو إلى السلام.. يقول الله - تعالى -:

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾(٣).

وجاء ليدعو إلى الوفاء بالعهود والمواثيق. يقول الله - تعالى -:

---

(٣) الأنفال: ٦١.

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ .

الإسراء : ٣٤

كما جاء لينشر الأمان .

وهذا قول رسولنا ﷺ : « ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم » . أخرجه الترمذى

ومعنى هذا عند أهل العلم أن من أعطى الأمان من المسلمين، فهو ملزم لهم جميعاً، ولو كان من رقيق المسلمين .

وعن أم هانىء أنها قالت : « أَجَرْتُ رجلين من أحمائى » (الأحماء أقارب الزوج) فقال رسول الله ﷺ : « قد أمَّنّا من أمَّنتِ » . أخرجه الترمذى

قال أبو عيسى : « هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم، أجازوا أمان المرأة » .

أقول : إذا كان هذا بعض ما يقدمه إسلامنا، منهجاً للحياة، وهو قليل من كثير .

فكيف يتصور أحد أن يكون معتنقوه ممن يحبون الاعتداء على الآخرين؟! . . ناهيك عن التفكير فى قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق؟! . .

اللهم إلا إذا كان وصم الإسلام بالإرهاب، سياسة اتخذها مسئولو الغرب منطلقاً للهجوم على الإسلام!! . .

فلله الأمر من قبل ومن بعد . . .

نسأل الله العظيم أن يلهمنا رشدنا .

عادل خفاجة

وإلى رسائل القراء

مفتاح البحث القرآنى

ورد من القارئ / زغلول عبد الحليم عبد الله كلمة عن البحث القرآنى نقدم موجزاً لها حيث يقول :

« .. ولما كان الاجتهاد الفكرى فريضة، والمجتهد إذ يعمل فكره للوصول إلى ما يظن أنه حكم الله، لا يعمل مطلق الفكر الذى لا قيود له ولا حدود، بل يعمل فكره مراع لحدود الله ومقيد بما أوصى الله به إلى رسوله ﷺ وقد تعددت وقائع الاجتهاد من الصحابة فى حضرة رسول الله ﷺ وفى غيبته، فكان يقرهم إذا ما أصابوا، وينكر عليهم إذا أخطأوا .

هذا . . . ومن الضرورى للباحث فى القرآن الكريم بصفة خاصة، أن يجرد نفسه عن الهوى ويخلصها من التحيز حتى يمكنه أن يدرك الحقيقة، لأن البحث فى القرآن الكريم عبادة من أجل العبادات لو خلصت فيه النية لابتغاء الخير والحق . والنية هى (الإرادة المتوجهة نحو الفعل، ابتغاء رضاء الله ـ تعالى ـ وامتثالا لحكمه، وهى عمل قلبى محض لا دخل للسان فيه) .

وباختصار شديد . . . فإن مفتاح البحث القرآنى (**إخلاص النية وسلامة القصد**) .

من أعلامنا المنسيين

الشاعر الأزهرى «إبراهيم الدباغ»

وجاءت كلمة الوفاء من القارئ: فرج مجاهد عبد الوهاب يخص بها الأديب إبراهيم الدباغ يقول:

قال الأديب الكبير محمود تيمور عن الدباغ: «كان الدباغ ذلق اللسان، عذب الكلام فكه الروح، وكان آية عصره فى قوة الذاكرة، وحضور البديهة، وسعة الاطلاع».

وقال عنه الشاعر الناقد عادل الغضبان: «وشعر الدباغ هو شعر القوة والعنفوان لما اجتمع لصاحبه فيه من أدوات البيان شأنه فيه شأن كبار الشعراء فى هذا العصر ممن تمرس على نهج الأقدمين..».

هو إبراهيم مصطفى عبد القادر الدباغ ولد فى مدينة يافا بفلسطين سنة ١٨٨٠م وبعد أن تلقى فيها قسطاً من التعليم رحل إلى القاهرة والتحق بالأزهر الشريف عام ١٨٩٣ وكان من شيوخه الإمام محمد عبده، والشيخ سليم البشرى، والشيخ سيد المرصفى.. وغيرهم من أعلام الأزهر الشامخة. وكان من زملائه فى الدراسة الشعراء ولى الدين يكن، وأحمد محرم، وأحمد نسيم. وأسهم بعد تخرجه فى تحرير عدد من الصحف والمجلات، كما كان ينشر أعماله فى الأهرام، والمؤيد، واللواء. كما أنشأ سنة ١٩٠٤م جريدة «الإنسانية» بعد أن آثر البقاء فى مصر.

وفى سنة ١٩٢٦ انطفأ نور بصره ولكن ذلك لم يوقفه عن أداء رسالته الوطنية حتى أطلق عليه الأصدقاء رهين الأحباس، وفولتير القاهرة، وكان ذلك عن حق فقد ترك ثروة ضخمة فى الشعر والنثر نشر بعضها وقام ابن أخيه الأديب الشاعر مصطفى درويش الدباغ بنشرها وتمثلت فى ثلاثة كتب نثرية تحوى نظراته فى الحياة والناس، ونقده للشعراء والكتاب الذين عاصروه، وخواطره الاجتماعية والفلسفية، وهى بالترتيب: «حديث الصومعة» و«فى ظلال الحرية» و«شهد وعلقم». أما فى الشعر فقد نشر قسما منه فى حياته فى ديوان الطليعة من جزءين، ثم نشر ابن أخيه القسم الآخر، وشعر الدباغ تناول الجوانب الذاتية من مدح لشيوخه، ورثاء لأحبائه الذين فقدهم، كما تناول الموضوعات الوطنية والسياسية والاجتماعية، ولم ينسه فقد بصره محنة بلاده فلسطين التى ألهمته الكثير من القصائد، ونستطيع القول أنه توزعت عاطفته بين فلسطين بلده الأول ومصر بلده الثانى، وقد أطرى الشعراء والكتاب شعره ونوهوا بأدبه، وأشادوا بفنه، فقد قدم الشاعر الكبير خليل مطران الجزء الثانى من شعره وقال: «هل يوجد فى الأقطار العربية من لم يردد اسم الشيخ إبراهيم الدباغ، ولم يرو له بيتا من شعره، أو طرفة من النثر شائقة».

من إبداعات القراء

مولاى

يارب جئتك صادق الدعوات
وبرئت من ذنبى ومن سقطاتى

يا غافر الذنب العظيم وليس لى
إلاكَ يُنْجينى من الظلمات

يا قبلتى أنى ذهبت وغايتى
فى هذه الدنيا وبعد مماتى

مولاى وحدك لا سواك وسيدى
ولغير وجهك ما وهبت حياتى

يا أيها المغرور بالدنيا وما
فيها من الآمال والشهوات

دنياك شائنةٌ وأنت تريدها
صَفْواً من الأكدار والعثرات

هيهات يا مسكين تُخلص وُدَّها
لك أو لغيرك فى سوى لحظات

لا يخدعنك زيفُها وبريقُها
ليست تورثنا سوى الحسرات

دعها لأخرى لا يزول نعيمُها
كُتبت لأهل الذكر والصلوات

فبحب ربك والثبات على التُّقى
تحظى بقرب الله فى الجنات

مصطفى أبو الغيط - قرية بلجاى ـ مركز المنصورة

موكب الحجيج

لبى الحجيج بأصدق النغمات
وتجردوا من ربْقَة اللذات

وتوحدوا بملابس قد ميزت
وتوجهوا للبيت فى إخبات

وعلا ضجيج بالدعاء وبالبكا
فى فرحة لإجابة الدعوات

وهناك فى خير البلاد تبدلت
أوزارهم فيضاً من الحسنات

هذى البقاع وقد تجلى نورها
عطراً كريح المسك فى الجنات

وهناك قد وقف الحجيج وكلهم
قلب يناجى الله فى عرفات

لكم التحية والمثوبة والرضا
والفوز عند الله بالجنات

شعر / جابر عبد العليم مصطفى - دار السلام ـ سوهاج

أنباء العالم الإسلامى

لا حوادث ولا إصابات.. لحجاجنا بالسعودية

توقعت مصادر تعمل فى خدمة ضيوف الرحمن أن يصل عدد الحجاج القادمين من الخارج إلي مليون و٣٠٠ ألف بينما يصل عدد حجاج الداخل إلى المليون..

أوضحت المصادر أن سبب ارتفاع نسبة حجاج الخارج هذا العام يعود للطقس الجيد المتوقع فى مناطق المشاعر المقدسة بمنى وعرفات والمزدلفة ومكة المكرمة التى تبلغ درجة الحرارة بها ٣٢ درجة.

وأكد اللواء ماجد إبراهيم مساعد وزير الداخلية رئيس بعثة حجاج القرعة أن جميع الحجاج المصريين فى مكة والمدينة وجدة بخير وبحالة صحية جيدة وأن مانشرته صحيفة عكاظ السعودية عن إصابة ١٨ منهم فى

للأستاذ / محمد الشرقاوى

حادث مرورى بمكة المكرمة غير صحيح لأن الحادث وقع لثمانية عشر مصرياً من العمالة الموسمية بالسعودية وأنهم جميعا غادروا المستشفى بعد تلقى العلاج ماعدا واحدا مازال يتلقى العلاج لإصابته بكسر فى الترقوة.

الجمهورية ٢٨ / ١ / ٢٠٠٣

المغرب تدعو لتصحيح الصورة السلبية للعرب

دعا نبيل بن عبدالله وزير الاتصال المغربى المتحدث باسم الحكومة المغربية إلى تصحيح الصورة السلبية حول العرب والمسلمين والتى تربطهم بالتخلف والإرهاب.

وقال الوزير المغربى فى افتتاح أعمال الملتقى الأول للإعلاميين المغاربة بالرباط أن المنطقة العربية تغلى والصوت العربى يكاد يختنق خلف أسوار الحصار الإعلامى الغربى الذى يطوق القضايا العربية ويفرض منطق القوة على قوة المنطق.

وطالب الإعلام المغاربى والعربى برفع صوت الحق ودعوة المجتمع الدولى وهيئاته إلى تحمل مسئولياتهم فى رفع التهم الملصقة ظلما بالعالم العربى والإسلامى وفى مواجهة إرهاب الدولة الذى تمارسه إسرائيل فى حق الشعب الفلسطينى والتصدى لخيار الحرب الذى تقوده أمريكا وبريطانيا ضد الشعب العراقى وتذكير العالم بأن المقاومة حق وواجب ولا رابط بينها وبين الإرهاب.

شارك فى الملتقى الإعلامى المغربى الأول حوالى ستين من القيادات الإعلامية بدول المغرب العربى الخمس وناقش على مدى ثلاثة أيام موضوعات تتناول دور الإعلام ومسئولية الإعلاميين المغاربة فى بناء اتحاد المغربة العربى والإعلام المغاربى بين الواقع والآفاق.

مباحثات بين شطرى قبرص

عقد جلافكوس كلاريديس رئيس قبرص «القبارصة اليونانيون» اجتماعا مع رؤوف دنكتاش رئيس جمهورية قبرص الشمالية.

وكان دنكتاش قد اجتمع فى وقت سابق مع بشار ياقيش وزير خارجية تركيا.

أشار دنكتاش عقب المقابلة مع ياقيش إلى أن مباحثات الجانبين كانت جيدة ولا يوجد اى اختلاف فى وجهات نظر الجانبين حول المبادئ المتعلقة بالقضية الوطنية للقبارصة الأتراك.

ومن ناحية اخرى أوضح دنكتاش أن إدارة القبارصة الأتراك يجب عليها أن تنظر بشكل إيجابى إلى الاقتراح الخاص بإجراء بعض التغييرات فى الخطة المقدمة ويجب ألا تحاول أن تجعل القبارصة الأتراك يقبلون جمهورية قبرص بشكل غير مباشر.

خطة فيدرالية أمريكية لمراقبة المساجد

أصدر روبرت مولر رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكى قراراً برسم خرائط ديموجرافية لجميع المساجد فى الولايات المتحدة بهدف تكثيف عمليات البحث عن الإرهابيين.

ذكرت مصادر أمريكية أن خطة مراقبة المساجد تتضمن وضع أجهزة تنصت بداخلها.

أعرب إبراهيم هوبر المتحدث باسم مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية عن استيائه من القرار ووصفه أنه يثير الشكوك الأمريكية تجاه الجاليات الإسلامية.

وزير الدفاع الهندى يهدد بإزالة باكستان من خريطة العالم..!!

قال وزير الدفاع الهندى جورج فرنانديز إنه سيتم ازالة باكستان من على خريطة العالم إذا أقدمت على شن هجوم نووى ضد الهند.

وقال ان باكستان إذا أرادت البقاء فعليها التوقف عن التلويح باستخدام الأسلحة النووية ضد بلادنا!!

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يستقبل رئيس وزراء ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الدكتور مهاتير محمد رئيس وزراء دولة ماليزيا والوفد المرافق له، حيث أعرب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عن ترحيب الأزهر الشريف بسيادته وضيوفه الكرام، وأوضح أن صلة الأزهر الشريف بدولة ماليزيا قديمة وعميقة منذ أكثر من خمسين عاما، وأن الآلاف من طلبة وطالبات ماليزيا يدرسون بالأزهر الشريف وقد تخرج فيه أعداد كثيرة ومنهم من يشغل مناصب عليا بدولة ماليزيا الشقيقة. وشرح فضيلته نظام الدراسة بالأزهر الشريف الذى يهتم بحفظ القرآن الكريم إلى جانب دراسة العلوم الأخرى الشرعية واللغوية والثقافية والرياضية، والدراسة بالأزهر الشريف تمتاز بالاعتدال والتوسط وبعيدة كل البعد عن التطرف والتعصب والعنصرية، وإلى جانب الدراسة الأزهرية يدرس الأزهر الشريف جميع المواد الأخرى التى تدرس فى مدارس التربية والتعليم، وجامعة الأزهربها أكثر من سبعين كلية بالقاهرة وبمعظم محافظات الجمهورية، وفيها الكليات الأصيلة مثل كلية الشريعة وكلية اللغة العربية، وكلية أصول الدين، وكلية الدراسات الإسلامية، وكلية الدعوة، إلى جانب الكليات الآخرى كالشريعة والقانون والطب والهندسة، وطب الاسنان والزراعة والتربية الرياضية، واللغات والترجمة جميع التخصصات موجودة بكليات جامعة الأزهر للبنين وللبنات.

وقد أثنى فضيلته على طلبة وطالبات ماليزيا من الناحية الخلقية ومن الناحية العلمية، حيث يمتازون بالأخلاق الطيبة الحميدة، ويقبلون على العلم إقبالا طيبا ومنهم من حصل على الدراسات العليا من الأزهر الشريف.

وقال فضيلته: إننا نقبل الطلاب الذين يأتون عن الطريق الدبلوماسى أى عن طريق السفارة، وهم يتعلمون بجوار إخوانهم من الطلاب المصريين ويقبلون فى مدينة البعوث الإسلامية،

على منح من الأزهر الشريف ويلقون كل وسائل الرعاية الاجتماعية والصحية، حيث إنه يوجد لدينا فى مدن البعوث طلاب من ٩٦ دولة منهم البنين ومنهم البنات، وتوجد مدينة خاصة بالبنات ويلقون المحافظة والرعاية الكاملة أيضا.

ومن جانبه أشاد الضيف بما تقدمه مصر وأزهرها الشريف للطلاب وطالبات ماليزيا للتعليم بالأزهر الشريف لأن التعليم فى الأزهر الشريف يحتل بالنسبة لطلبة ماليزيا الدور الهام والأساسى لأنهم يحفظون القرآن الكريم ويعرفون تفسيره ويحفظون الأحاديث النبوية الشريفة وعلوم الشريعة واللغة، ومن أجل ذلك حينما يعودون يجدون العمل فى ماليزياويحتلون أرقى وأعلى المناصب، والأزهر الشريف وقف بجانب دولة ماليزيا أثناء الاحتلال وهذا دور عظيم لايمكن أن تنساه أبدا، وأبدى الضيف سعادته الغامرة بزيارته لمصر وأزهرها الشريف، وأكد سيادته على قبول الطلاب الماليزيين الذين يحضرون عن طريق السفارة، أما الذين يأتون على حسابهم الخاص فهؤلاء حينما يعودون إلى ماليزيا لايكونون على المستوى المطلوب ولايتم تعيينهم فى المناصب الهامة بل قد لايجدون عملا ويكونون عبئا على الدولة.

وقدم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف المصحف الشريف، وكتاب الأزهر فى ألف عام باللغة العربية والإنجليزية وأبحاث مؤتمر هذا هو الإسلام هدية للضيف، وشكر الضيف حسن اللقاء والحفاوة البالغة التى قوبل بها ووجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة ماليزيا فى الصيف القادم، وقد وعد فضيلته بدراستها تمهيدا لتلبيتها.

حضر اللقاء فضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الاوقاف ورئيس بعثة الشرف وقيادات وعلماء الأزهر الشريف، وقد دعاه فضيلة الإمام الأكبر لإلقاء محاضرة لطلاب مدينة البعوث الإسلامية من دولة ماليزيا وغيرها من الدول وكانت المحاضر بعنوان: **(الإتحاد الإسلامى فى مواجهة التحديات والتهديدات)**.

وتحدث فيها عن أن من يطبق تعاليم الإسلام هو الذى يسعى للعلم ولقوة الإسلام والمسلمين وتساءل عن المهانة التى يعيشها الإسلام والمسلمون وهل الدنيا للكبار، والآخرة للمسلمين؟ ولم يفعل المسلمون ذلك والنبى لم يفعل ذلك؟ والإسلام دين واحد، ليس إسلاما سنيا وشيعيا وغيرهما؟ من طوائف يكفرون بعضهم بعضا (الأحزاب فى ماليزيا يكفر بعضهم بعضا، من لم يصوت لهذا أو لذاك) ويرجع ذلك إلى التشرذم وعدم الاهتمام بأمر الإسلام ذاته، ومن أجل ذلك المسلمون اليوم متشرذمون يقاتل بعضهم بعضا ويدمرون أنفسهم ويدمرون صورة الإسلام، وقد لجأ بعض المسلمين إلى العنف والإرهاب، فهل استفاد المسلمون من ذلك؟ أعداء الإسلام وجدوا فى ذلك سبيلا للعدوان على المسلمين والانتقام من المسلمين، وقد ضاع الطريق من المسلمين (ضلوا الطريق). ويتساءل المرء: هل نحن على الطريق المستقيم؟ إننا نبتعد كثيرا عن الإسلام ولابد أن نعود مرة أخرى إلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة، الإسلام دين السلام تحيتنا السلام، فهل هى كلمة خاوية؟ لابد

أن نحقق السلام مع أنفسنا ثم مع غيرنا وأهل الأديان والحضارات الأخرى، هناك من يرتدى زيا معينا ليكون مسلما، القرآن الكريم يعلمنا أن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهو مسلم، قد نتنازع، ولكن لابد أن نبقى أخوة، وقال: لم يكن للمسلمين حدود أو تفرقة، وأصبحنا شيعا كل يهتم بمجتمعه بدلا من الاهتمام بالإسلام لقد أصبح المسلمون دمى يلعب بها الآخرون، وعلينا أن نتعرف على أخطائنا وعيوبنا، وأول ذلك التشرذم أن البعض يتجنب الصغائر ويرتكب أفحش الكبائر، لقد ضاع منا الهدف وانهمكنا فى الشكليات، لقد تجاهلنا جوهر الدين، بالعدل والسلام تكون الأمة أقوى، أسباب سوء الفهم أننا أصبحنا متخلفين وجرينا وراء العنف لننتقم، علينا أن نطور أنفسنا ليحترمنا الغير ويحترم ديننا ثم ختم بقول الله تعالى:

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾(١).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٢).

حضر الندوة فضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف ورئيس بعثة الشرف، وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف، والأستاذ الدكتور محمود شيخون نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف، والسادة النواب، والسادة سفراء الدول الإسلامية، وفضيلة الشيخ سيد وفا الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ شوقى نويجى رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، وعلماء الأزهر الشريف ورجال الصحافة والإعلام.

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية عمان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى وزير الخارجية العمانى / يوسف بن علوى يرافقه سفير سلطنة عمان بالقاهرة حيث رحب فضيلته بهما مشيداً بالدور الذى تنتهجه سلطنة عمان تجاه القضايا الإسلامية والعربية، وأن السلطنة تبنى ولاتهدم تعمر ولاتخرب، ولاتتدخل فى شئون غيرها من الدول، ولها مواقف قوية وسديدة، وأن السلطنة تتقدم وترقى، وتطرق الحديث إلى التعليم الأزهرى منذ مراحله التمهيدية وحتى الجامعة، حيث شرح فضيلته نظام التعليم فى الأزهر الشريف وفى جامعته العريقة، مؤكدا على أن رسالة الأزهر الشريف الأساسية هى حفظ القرآن الكريم وتفسيره تفسيرا صحيحا بعيدا عن المغالاة والتعصب والعنصرية، وأكد على أن الأصوال الإسلامية ثابتة وتهدف إلى إرساء قيم الخير والسلام بين البشر، ومناهج الأزهر الشريف تمتاز بالوسطية والاعتدال، وتلقين النشئ المبادى الصحيحة السمحة للإسلام، كما يدرس الأزهر الشريف العلوم الشرعية والعربية والثقافية، واللغات والحاسب الآلى.

---

(١) البقرة (٢٠١).

(٢) الرعد (١١).

كما تطرق الحديث حول تحديد الربح مقدما فى حالة أن يكون البنك وكيلا عن المودعين فى استثمار أموالهم وبتراضى الطرفين وهى الفتوى التى بحثها مجمع البحوث الإسلامية.

وأوضح فضيلته أن كل حالة لها فتواها تدرس على حدة فليست كل المعاملات حلال وليست كل المعاملات حرام، وأكد على أن التعامل بالربا حرام حرام حرام.

وقد أشاد الضيف بهذا اللقاء المثمر وبدور الأزهر الهام فى تعليم أبناء المسلمين فى شتى أنحاء العالم أمور دينهم بيسر وسهولة ووضوح، كما تطرق الحديث حول مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الأخير وكان تحت عنوان [هذا هو الإسلام] والذى عقد بالأزهر الشريف والذى أظهر صورة الإسلام الصحيحة وظهر ذلك جليا فى الأبحاث التى قدمت فى هذا المؤتمر وتم مناقشتها وأوضح فضيلة الإمام الأكبر أن الأبحاث تم طبعها فى مجلدين كبيرين وقامت العلاقات العامة بمكتب شيخ الأزهر الشريف بتوزيعها على السفارات فى القاهرة وعلى السادة الأعضاء الذين شاركوا فى المؤتمر من خارج مصر، ومن مصر أيضا، وإلى الهيئات والمؤسسات التى تستفيد من هذه الأبحاث، وناقش وزير الخارجية إمكان إعداد مناهج تعليمية مثل مناهج الأزهر تدرس بالمدارس فى الدول الإسلامية يشرف عليها الأزهر الشريف للتأكيد على الثوابت الدينية التى تحث على الفضيلة ومكارم الأخلاق من مصادرها الأصلية.

ويستقبل وفدا من مدرسى البوسنة

ـ استقبل فضيلة الإمام الأكبر وفداً من مدرسى مدارس دولة البوسنة الذين يتلقون دورة تدريبية بمركز اللغة العربية بجامعة القاهرة وعددهم (٤٠) دارسا، وقد رحب بهم فضيلته فى مصر وأزهرها الشريف وتحدث إليهم عن فضل العلم وتعلم اللغة العربية وبخاصة لدى المسلمين الناطقين بغير اللغة العربية مما يعينهم على فهم شريعة الإسلام فهما سليما وصحيحا، كما أوضح أنه رغم اختلاف الفقهاء فى بعض الفروع إلا أنهم متفقون على أنه لاخلاف ولا اجتهاد مع النص، وكل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهو مسلم، وأنه لاخلاف على الأصول، والدين الإسلامى دين يسروهو واضح وضوح الشمس، وأنه يواكب التطورات التى تحدث، والأزهر الشريف يقوم بتدريس المواد الشرعية والعربية إلى جانب المواد الثقافية واللغات، ويساير متطلبات العصر مع التأكيد على حفظ القرآن الكريم، والدراسة تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن المغالاة فى الأقوال والأفعال.

وأجاب فضيلته عن أسئلة الحضور والتى دارت حول تفسير بعض آيات القرآن الكريم، وحول النقاب والحجاب للمرأة المسلمة، والزواج من الأقارب، وآيات التحريم فى القرآن الكريم، وشرح العلاقة بين الخالق والمخلوق، وعلاقة المسلمين بغير المسلمين من أصحاب الملل الأخرى، موضحا بأن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأن

الإسلام يمد يده بالسلام لكل من يمد إليه يد بالسلام.

ثم التقى الوفد بفضيلة الشيخ / على أبو الحسن الأمين العام المساعد للدعوة الإسلامية ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف والذى قام بدوره بالرد على العديد من الأسئلة والاستفسارات الدينية، والرخص التى رخص بها الإسلام مثل المسح على الخفين، وقصر الصلاة فى السفر، والجمع فى الصلاة، والفطر للصائم إلى غير ذلك من الأسئلة التى طرحها الوفد.

الإمام الأكبر يستقبل مبعوثا من الخارجية الألمانية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور السفير جونز مولاك مفوض الحوار الأوروبى الإسلامى بوزارة الخارجية الألمانية والوفد المرافق، رحب فضيلته بالوفد فى الأزهر الشريف مشيدا بالعلاقات الطيبة بين الأزهر الشريف وألمانيا وأنها قديمة، وأن كثيرا من علماء الأزهر الشريف تلقوا دراستهم العليا فى ألمانيا، وأن موقف ألمانيا واضح تجاه القضية الفلسطينية والعراقية، وأوضح بأن الأزهر يرحب بالحوار دائما، ويوجد بالأزهر الشريف لجنة للحوار، وأن طلاب العالم الإسلامى يدرسون على منح من الأزهر ويقيمون بمدن البعوث الإسلامية يتلقون العلم النافع إلى جانب إخوانهم فى مصر. ومن جانبه شكر الضيف فضيلته على حسن الاستقبال وعلى المعلومات التى سمعها، وأشاد بدور الأزهر ومكانته العالمية فى العالم كله وخاصة فى دولة ألمانيا، وقال: إن الأزهر الشريف جامعة كبيرة تقدم العلم والقيم الإسلامية المعتدلة، وأن زيارته جاءت لتدعيم الحوار مع العالم الإسلامى. وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر عن سؤال حول مفاتيح السلام التى يملكها الأزهر الشريف لدى مسلمى العالم أجمع وقال فضيلته: إن المفتاح ليس فى يد الأزهر الشريف وحده ولكن لابد من أن تتكاتف المفاتيح جميعها والأزهر يوضح ويبين التعاليم السمحة المعتدلة للإسلام ولا يتدخل فى شئون الشعوب أو الديانات. وحول سؤال عما يحدث فى فلسطين والعراق أوضح فضيلته أن وجهة نظره الشخصية هى أن يجلس الأطراف المعنية ويتناقشوا فيما بينهم، ولابد من إيجاد قوة دولية للفصل بين الجانبين بحزم وقوة حتى يمكن إعطاء الفرصة للوصول إلى الحل، وأثناء ذلك من يعتدى من الطرفين على الآخر على هذه القوة أن تقوم بردعه وإذا كان الشعب الفلسطينى يصد العدوان عليه بالحجارة رغم تفوق الجانب الآخر بما يملكه من الأسلحة الحديثة، فكيف تعتدل الموازين؟ وإذا أرادت أمريكا أن تحسم هذا النزاع فهى قادرة، والأزهر الشريف عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م كانت له وجهة نظر سباقة تجاه هذا الفعل الأثيم، وأعلنه الأزهر للعالم أجمع، لأن وظيفتنا توضيح الأمور الدينية، وليس لدينا خلاف حول العقائد، لأن لكل إنسان عقيدته، ولا إكراه على العقائد والعقلاء فى العالم، والشرائع السماوية، الكل يعلم أن العدل فضيلة، والظلم رذيلة، والصدق فضيلة والكذب رذيلة وإذا كان الغرب لا يسمع المفاهيم الصحيحة للإسلام من الأزهر

ويلجأ إلى السماع ممن لا يفهم الإسلام فهذا عائد إليه وإلى وسائل الاعلام المغلوطة، وأن أمريكا والغرب حينما احتضنا الإرهابيين الذين صدرت ضدهم أحكام والفارين من العدالة، وكان ذلك تحت مسمى حقوق الإنسان فهذا الأمر يسبب الخلل، وعلى وسائل الاعلام أن تبين صورة الإسلام الصحيحة من الأزهر الشريف، ونحن لا نقصر فى هذا ولكن أين السامعين، وأنتم تسمعون من الإرهابيين ولا تسمعون من الأزهر الشريف، وقد حضر إلى الأزهر آلاف من الاعلاميين والصحفيين من كل دول العالم وشرحنا وبينا ووضحنا وعليهم أن يعلنوا ذلك فى بلادهم ودراستنا فى الأزهر تقوم على الاعتدال والتوسط ونعتبر الناس جميعا إخوة وجدوا من أب واحد وأم واحدة وعلينا أن نتعاون ونتبادل المنافع فيما بيننا، ونحن نمد يدنا بالسلام إلى كل من يمد يده لنا بالسلام، ولكن إذا اعتدى علىَّ أحد أو أخذ أرضى بالقوة فيجب على أن أدافع عن أرضى وعرضى ودينى، وفى نهاية اللقاء شكر الضيف لفضيلة الإمام هذا الحديث الطيب وأنه هو الحق بعينه، وأعلن أنه استفاد منه، وأن حديثه شيق ومفيد موضحاً بأن ألمانيا ضد الحرب على العراق، وضد الاعتداء على الشعب الفلسطينى، ثم التقى الوفد برئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل سفير كازاخستان

استقبل فضيلة الامام الأكبر شيخ الازهر السيد السفير/ بغداد أمر ييف سفير جمهورية، كازاخستان بالقاهرة بمناسبة توليه العمل كسفير لبلاده فى القاهرة، رحب فضيلته بالضيف فى مصر وأزهرها الشريف متمنيا له إقامة طيبة فى بلده الثانى مصر، وقال: إن الأزهر الشريف فى خدمة أبناء المسلمين ولايدخرون وسعًا فى تقديم العون والمساعدة لهم، ونحن نتعاون من أجل خدمة ديننا والمسلمين فى كل مكان وهذا واجبنا، ويدرس فى الأزهر الشريف طلاب من كازاخستان يدرسون على منح من الأزهر مع الطلبة المصريين ومع طلاب من ٩٥ دولة من دول العالم يقيمون فى مدن البعوث الاسلامية، ونوفر لهم سبل المعيشة، والأزهر على استعداد لاستقبال المزيد من أبناء كازخستان للدراسة به، ومن جانبه أشاد الضيف بوجوده فى الأزهر الشريف فى بدء عمله، وقد آثر أن يكون لقاءه بعلماء الأزهر الشريف وعلى رأسهم فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر الشريف وذلك لما تكنه دولته من تقدير وإعزاز لمصر ولأزهرها الشريف، وقال نحن شعب مسلم وتعداد الدولة ١٥ مليونا نسبة المسلمين ٦٥٪ والباقى من الروس ذوى الملل المختلفة، وقد اختيرت كازاخستان كمركز إسلامى، ويوجد جامعة باسم نور مبارك بنيت على نفقة مصر، وقد طلب السيد السفير مشاركة الأزهر الشريف فى المؤتمر الخاص بحوار الحضارات والذى تنظمه الدولة وأوضح أن الرئيس نور رئيس الدولة كان له دور بارز فى التصدى لحملات التشهير ضد الإسلام وقام بزيارة الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث سبتمبر لتوضيح صورة الإسلام الصحيحة، ووجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لزيارة كازاخستان بناء على رغبة رئيس الجمهورية.

ويستقبل وكيل الأمين العام للأمم المتحدة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتورة ثريا أحمد عبيد وكيل الأمين العام للأمم المتحدة والمدير التنفيذى لصندوق الأمم المتحدة للسكان، وهى أول سيدة عربية مسلمة تتبوأ ذلك المنصب الرفيع بالأمم المتحدة وهى سعودية الجنسية، يرافقها الدكتور فيصل عبدالقادر محمد الممثل المقيم بصندوق الأمم المتحدة للسكان بجمهورية مصر العربية رحب فضيلته بها فى الأزهر الشريف مشيدا بالجهود الذى تبذله لخدمة البشرية، ومؤكدا على أن الأزهر الشريف على استعداد لتقديم العون لخدمة الأسر والمرأة والطفل فى زمن كثرت فيه المشاكل، وأشار فضيلته إلى أن الأزهر الشريف يسير على نهج التربية الإسلامية من المرحلة التمهيدية وحتى الانتهاء من المرحلة الجامعية مؤكدا على أن حفظ القرآن له الأولوية منذ المرحلة الأولى فى التعليم إلى جانب دراسة المواد الشرعية والعربية والثقافية واللغات والكمبيوتر، وأوضح فضيلته أن تنظيم الأسرة جائز شرعا ما دام الزوجان متفقين على ذلك، وهناك حالات يرجع فيها إلى رأى الطبيب المعالج وتحديد فترات الحمل طبقا لما يراه ولكل حالة ما يناسبها، ونحن نحترم رأى الأطباء من توجيهات وإرشادات، وقال: نحن فى زمن التخصص وفى زمن يسوده العلم، وبدأ الوعى يزداد لدى الناس ولدى العامة فى مصر وقد وضحت الأمور بصورة جلية.

ومن جانبها شكرت الضيفة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ما سمعته من آراء بناءة وسعدت بهذا اللقاء الذى استهلته بزيارة الأزهر الشريف وشيخه العالم الفاضل مؤكدة على دور الأزهر الشريف الذى وصل صداه الى دول أوروبا وأمريكا فى الأمور الدينية التى توضح صورة الإسلام الصحيحة وكذا دور الأزهر فى دعم قضايا الصحة والأسرة والطفل فى إطار مشروع الحكومة القومى للدراسات السكانية، وأن كثيرا من الكتب قد ترجمت إلى لغات مختلفة فى هذا الخصوص ومنها ما يخص الشباب ورعايتهم فى ظل السلوك السوى، وقضايا السكان عموما، وفى نهاية اللقاء قدمت الشكر والتقدير للأزهر وشيخه وعلمائه وخطباء المساجد لتناولهم الموضوعات التى تدور حول مشكلة الأسرة وما يقدمونه من شرح وإرشاد وتوعية وحلول حضر اللقاء الأستاذ الدكتور / جمال أبو السرور عميد كلية الطب السابق، ومدير المركز الإسلامى للدرسات السكانية بالأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وفداً من ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد ولاية سراوك الماليزية برياسة حاج عدنان حاج ساتيم وزير الزراعة ومدير مؤسسة سراواك، رحب فضيلته بالوفد الماليزى مشيداً بعمق العلاقة بين الأزهر وماليزيا فى مجال التعليم منذ زمن بعيد حيث إن الآلاف من طلاب ماليزيا يدرسون فى الأزهر الشريف ويعودون إلى بلادهم ليقوموا بتعليم أبنائهم وإخوانهم فى ماليزيا وكثير منهم يحتل المناصب العليا، وهذا واجب الأزهر

تجاه أبناء العالم الإسلامى وأشاد فضيلته بطلبة ماليزيا وأنهم يمتازون بحسن الخلق والسلوك والمثابرة فى طلب العلم، وقد أكد فضيلته على أهمية تدريس اللغة العربية للنشىء الماليزى فى مرحلة التعليم الأساسية والذى من شأنه معرفة قراءة القرآن وفهم معانيه وهو أمر لاغنى عنه لفهم الدين الصحيح بوضوح، وشرح فضيلته نظام الدراسة فى الأزهر الشريف.

شكر الضيف فضيلته على حسن اللقاء والشرح الوافى الذى أفاده كثيرا وقدم شكر بلاده حكومة وشعباً على دور الأزهر الهام للمسلمين وقال إن سكان ماليزيا يبلغ تعدادهم ٢٢ مليون نسمة نسبة المسلمين ٦٠٪ منهم، والدين الرسمى للدولة هو الإسلام وهذا منصوص عليه فى الدستور، وقال: إن الدولة أخذت على عاتقها تدريس اللغة العربية منذ العام الماضى للمراحل الابتدائية ليكون ذلك معينا لهم فى فهم معانى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

الدورة التدريبية لأئمة العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج علماء الدورة التدريبية العالمية التاسعة والخمسين لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى لعدد واحد وعشرين عالماً من دول: الصين، الجزائر، الفلبين، بنين، البانيا، الكنغو برازافيل ولمدة ثلاثة أشهر اعتباراً من ١/١١/٢٠٠٢، حيث تلقوا خلالها العلوم والمعارف الإسلامية المتنوعة والتدريب على الفتوى من العلماء المتخصصين من الأزهر وجامعته العريقة وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، وقد ألقى فضيلته كلمة هنأ فيها الخريجين، وحثهم على مواصلة القراءة والاهتمام بمتابعة حفظ وقراءة القرآن الكريم، وحثهم على نقل ماتعلموه لأبناء بلادهم فى سهولة ويسر بعيداً عن المغالاة والتشدد، وأن يظهروا يسر الإسلام وسماحته، وعليهم أن يتحلوا بمكارم الأخلاق وأن يكونوا قدوة سلوكية طيبة حتى يقتدى بهم إخوانهم وأبناؤهم فى بلادهم، وأن تكون دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن تكون خالصة لوجه الله- عز وجل- ولخدمة دينهم ووطنهم، وأن يكونوا على صلة وتواصل بالأزهر الشريف ويذكروه ويذكروا مصر بالخير والعرفان، داعيا لهم بدوام السداد والتوفيق فى رسالتهم التى هى رسالة الأنبياء، ثم قام فضيلته بتوزيع شهادات التخرج ومكتبة إسلامية تحوى أمهات الكتب لتكون مرجعا لهم، كما افتتح فضيلته أعمال الدورة التدريبية العالمية رقم ستين لعدد ثلاثة وعشرين عالما من دول: الجزائر، الكاميرون، تنزانيا، ماليزيا، المالديف، والتى تبدأ بمدينة البعوث الإسلامية اعتباراً من ١/٢/٢٠٠٣.

حضر الحفل فضيلة الشيخ عبدالكريم محمد عبدالرحمن الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر الشريف وفضيلة الشيخ/السيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ/ على أبوالحسن الأمين العام المساعد للدعوة الإسلامية ورئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ/ عبدالخالق نصير الأمين العام المساعد للثقافة الإسلامية بالازهر الشريف

Strange expressions such as " Political Islam theory after the 11th of September" have existed. We would like to assert that Islam is a perfect religion fits all ages ; a religion that does not force or coerce anybody to embrace it. Moreover, we don't fear loosing it as Allah, Glory be to Him, is The one Who can preserve it as He says:

﴿Surely We, even We, have been sending down the Remembrance and surely We are indeed Preservers of it ﴾
[Al-Hijr(Thamûd's Habitation): 9].

Their thinking led them to carry out a study on the Arab world made by a selected group of the foreign and Arab professors who were taught in their countries. The pretext aim of this study is to help the others and the result was "Hell covered by superficial mercy". What concerns us in this study is woman's status. According to their reports, woman's status is very degraded as she lives under circumstances of extreme injustice symbolized in circumcision, not practicing her rights to elect and can be the second, third or fourth wife, etc. to reply, the truthful Islamic religion gives woman all her due rights.

It is war without quarters as efforts and bargains are stuck in order to allow U.S.A to get the support of the European countries to adopt the American points of views in order to be able to impose its prospective.

In conclusion, we should join ranks and fill the gaps among us after we have left the arena for Zionism to practice its filthy acts against others. It is stated in their distorted Tawrah that those who plant with tears, harvest with joy. It seems that Sharon's generation understood it as "the Palestinian women's tears shed on their children."

it began its second stage namely the Idea of " Evil Axis" that involves two Islamic countries in addition to North Korea.

This indicates that the American administration succeeded in making use of the event and attaching the consequences to Islam and Muslims. It is worth mentioning to indicate that the American aim is not to establish democracy but to change regimes and to found those who can accept Islam, regime and rule, according to the American way and what benefits its policy. Moreover, I would like to refer to the poisonous Zionist Jewish pens that regard whoever dares to uncover any of the Israeli extreme injustice aspects as anti-Semitist while we are the descendants of Sam, the son of Nuh "Noah" peace of Allah be upon him. They managed to snatch a French law forbids and commits whoever dares to say a word committing them or questions their lies and fabrications and he shall be put to trial and even jailed.

From the religious perspectives, Israeli rabbis are behind all different kinds of crimes committed against the non-Jewish rich people. They put themselves at the service of the Israeli army violating all the religious commands and prohibitions. Their religious opinions are always ready. Consequently, the minds of West are under the Jewish control for their possession of mass media and their means of brain-washing.

Jewish rabbis had planted the hatred of all the other nations in the minds of their people as other nations, according to them, are nothing but pagans. So, they issued religious decrees stating that Allah's chosen people should not be related by marriage to those pagans and that they should consider them a threat : being related to those pagans is considered an unsacred marriage.

*Islamic Nations Won't Be Reshaped By The USA

By: Dr. Muhammad Hassan Abdul-khaliq

All nations experience moments of winning and others of loss, however, life goes on, generations follow and we forget or pretend to forget owing to life's problems and events. Only history records and truly depicts what had happened without interference from any body whatever tries to falsify facts or legalize his criminal acts whatever resorts to flexible terms that have no specific meaning such as "Fighting Terrorism", "Protective Shield" or even " Anti-Semitism". What had been recorded by history is manifest to all people. It has become obviously, that we are witnessing and living in a stage of one pole, namely, "Who is with us and who is against us?"

A harmful thing might turn to be beneficial". The 11^{th} of September, 2001 event, despite our Arab Islamic nations, rejection, on all levels, to this criminal act – no one up till now has been declared to commit it and it seems that investigations will not come to an end - that shook the feelings of the whole world, US seized the opportunity to impose its sovereignty on the whole world. USA' first experiment was the Muslim Afghanistan – it is only the beginning – and it seems that the 11^{th} of September event has left its effect on the American and international level.

The current question is:

Does USA seek revenge? And from whom?

If it means Al-Qa'idah and Talban (The Afghani organizations), it has already achieved its revenge in Afghanistan. US does not have one aim but it has next ones as

* An Article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

As stated in the verse, the principle of communication with others is obligatory; if it is related to legal duties and it is preferable; if it is a means of getting acquainted with others and disseminating the call of Allah.

Qur'an commands us to consider the intellectual and cultural level when communicating and arguing with others as the aim of communication is not just to convince or overcome the opponent but it is arguing with wisdom and fair admonition, as well as disputing with them in the fairest way. Aims of communication will not be achieved except through a tender heart and sweet tongue as stated in the Book of Allah (while addressing the Messenger):

﴿So, it was by (some) mercy from Allah that you have been lenient with them; and if you have been stern (and) harsh of heart, they would indeed have broken away from round about you; so be clement towards them, and ask forgiveness for them, and take counsel of them in the command.﴾

[Al-Imran (The Household of Imran) :159].

To conclude, the Ever-Glorious Qur'an differentiates between two kinds concerning the population of the Book as they contain the unjust, stubborn and unreasonable contender in addition to the just, and those who fulfill their promises, so we should not issue a general verdict that involves both. Allah, Glory be to Him, revealed:

﴿They are not (all) equal; of the population of the Book is an upright nation, (who) recite the signs of Allah at various times of night, as they prostrate themselves (to Him). They believe in Allah and the Last Day, and command beneficence and forbid maleficence, and vie swiftly charitable deeds; and those are of the righteous.﴾

[Al-Imran (The Household of Imran) :113-114].

Those are some general features that are stated in the verses of Qur'an to be bases for our communication with others.

Islam obligates amicability, getting acquainted even with those who disagree with it as long as they live in peace with Muslims as Allah, The Al-Mighty, says:

❮Allah does not forbid you, (as regards) the ones who have not fought you on account of the religion, and have not driven you out of your homes that you should be benign to them, and be equitable towards them; surely Allah loves the equitable ones. Surely Allah only forbids you as to the ones who have fought you on account of the religion, and driven you out of your homes, and backed (others) in driving you out, that you should patronize them; and whatsoever patronizes them, then those are the ones who are unjust.❯

[Al-Mumtahanah (The Woman Tested): 8-9]

All people are equal, as Islam does not make any distinction between the Muslim and the non-Muslim especially in the field of dealings as in penalties of crimes. Islam's great rule of how to deal with the non-Muslims can be summarized in ***"Muslims and non-Muslims are to be treated equally."***

Such religion, that gives rights to others the same as to its followers even their rights are inviolable and sacred among the Islamic Community, is a religion calling for communication, mutual understanding and cooperating on benignancy and piety, not on vice and hostility. It is a religion that stresses that all the prophets' calls are but one and that they all came with the call of monotheism. They called for believing in Allah and worshipping only Him as well as believing in the existence of angels and earlier prophets. Moreover, they called for doing good, leaving odious deeds, avoiding evil matters and sticking to morals and values. All this is involved in the word ***"level"*** stated in the Ever-Glorious Qur'an:

❮Say "O population of the Book come to a level word between us and you, that we worship none except Allah.❯

[Al-Imran (The Household of Imran) 64].

Method of Communication
In Islam
By: The honorable sheikh,
Mahmoud Abdul-Ghany Ashour,
Al-Azhar Deputy.

A perfect method of dealings and communication is established by Islam. It decides distinction among people and races and sets rules for this distinction. It also connects Muslims to other mankind despite their different cultural belongings with ties of human brotherhood emanating from the unity of the human origin. Furthermore, it obligates Muslims to cooperate, coexist and get acquainted with others. In addition, it commands them to spread good among all people regardless of their religions, races and colors. Allah, The Ever-Truthful, revealed:

﴾O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious; surely Allah is Ever-Knowing, Ever-Cognizant.﴿ [Al-Hujurat (The Apartments) : 13]

Communication is considered an obligatory duty and legal necessity for Muslims as the message of Islam is a universal one that is not restricted to one race, color, country, etc. Qur'an, in most of its verses, addresses all mankind. Qur'an emphasizes human brotherhood and peaceful coexistence and it aims at spreading good, progress and prosperity. This brotherhood among humanity is stated in Allah's Ever-Glorious Book:

﴾Say, "We have believed in Allah, and in whatever has been sent down on us, and whatever was sent down on Ibrâhîm and Ismâ`îl and Ishâq and Ya`qûb, and the Grandsons and in whatever was brought to Mûsâ and Îsâ and the Prophets, from their Lord; we make no distinction between any of them and to Him we are Muslims."﴿ [Al-Imran (The Household of Imran) : 84]

while performing the rites of pilgrimage saying: "I wonder how the Messenger of Allah was spending nights and nights in that deserted, remote cave. When I was young in age and enjoying health, I was trying to climb to the top of that mount to see that cave with my own eyes. My friends and I were doing our best to reach that cave and whenever I feel tired and exhausted, they encourage me to continue. Although we were company, we witnessed a great difficulty in our journey. So, how did Muhammad bear such journey?" This question is an answer in itself. In other words, Muhammad was only a human but the difference is that he was supported by Allah. Jermanous added: "Why does not history record this among the other miraculous deeds of the Messenger?"

The greatest benefit one can obtain during this journey of faith is one's true feelings concerning Islamic brotherhood that extends to cover all the five continents. At pilgrimage, one finds something he has never seen before as he sees people from many races and colors and speaking different languages and each of them is wearing clothes similar to the others; there is no fancy clothes. So, one can say that pilgrimage is the first step toward mutual Islamic acquaintance and establishing Islamic unity. Islam is the real home for all Muslims as the Arab poet once said:

Islam is my father   I have no father but it.

Pilgrimage has a deep effect concerning the repentant i.e. he shall observe his future deeds and shall bear in his mind that if he commits any sin, he may not have the chance to repent again. Similarly, the case applies to the one who returns to his home after performing pilgrimage as he feels the difference whether in his new look to himself or others' looks to him. In brief, pilgrimage is considered a stage of transition between one's past and one's present and even future.

there is no mediation between man and his Lord. Ironically, man kneels before a man just like him in order to grant him forgiveness for his previous sins. However, when man resorts to the Creator of the earth and heaven in a kind of secret talk involving and repentance, he feels spiritual tranquility and without letting anybody into his secrets. When a Muslim travels to Allah's Sacred House while repenting and regretting and whenever he goes to perform one of the rites of pilgrimage, his heart shall beat strongly out of true faith and his tongue shall never stop glorifying and invoking Allah. In addition, man will seclude himself to supplicate Allah asking for His forgiveness and wishing that He would accept his true repentance. In such a spiritual atmosphere, man will feel a refreshing breeze on his face entering into his lungs and expanding his breast. Furthermore, he will feel as if a heavy mountain that was lying heavily on his chest was removed, so he will feel like a winner. Allah is Compassionate towards His bondsmen as He, Glory be to Him, revealed:

﴾Invoke Me and I will respond to you.﴿ [Surat Ghafir (The Forgiver) : 60].

That feeling of spiritual relief cannot be obtained at any place else other than the House of Allah and while performing the rites of pilgrimage. After this, one is now ready to start a new era of his life.

Among the other benefits that the pilgrim can get when he reaches the place where the Glorious-Qur'an was revealed, is the increase of faith in the Prophet. The pilgrim sees the sacred spots on which the Prophet, may the blessing and peace of Allah be upon him, had trodden as well as the spots that witnessed his efforts in disseminating the Islamic Call among the disbelievers.

The Magarian professor of history at Magar University Abdul-Kireem Jermanous, who embraced Islam talks to us describing his great amazement when he saw the *Mount* of *Hira'*

Pilgrimage Is Moral Elevation And Spiritual Purification

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Biomi

Man needs to entertain and relieve himself with a journey by which he leaves his permanent place of residence and goes to a place for a weak or two where he can spend summer or winter. And after that, he returns to his residence after enjoying changing of sights and meeting people whom he did not see before. He wishes nothing more than talking about his journey with his acquaintances. Moreover, he may do it again in the next year.

That journey I have been talking about and explaining its fruits and benefits is a mere worldly journey which does not have any spiritual dimensions elevating man from the narrowness of earth to the broadness of heaven. So, if we move from this desired journey to the journey of pilgrimage (to the Sacred House), we shall realize the extreme difference between the two. All that the one on a journey can get is available in pilgrimage in addition to the miracle of salvation. One will realize that Allah guards and watches him and that there is a reward waiting for him in the Hereafter.

The first benefit that the pilgrim can obtain is purification from his previous sins. He will return to his home newly born. There (at the Sacred Land) man surrenders his face to Allah asking for His guidance away from odious matters and evil thoughts. In some religions, there is what we call "**Chair of Confession**" where those believing in such religions go and sit to a priest in order to make their confessions and reveal their hidden sins that may, in many cases, lead to being despondent of the mercy of Allah. After making one's confession, one would think that his sins are forgiven, so he will feel ease and comfort. In contrary, Islam is a religion that treats all people equally as,

Memories of Pilgrimage
By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Allah has bestowed favors upon me with a minor pilgrimage and pilgrimage at two different times of the last year (1422 A.H.). When performing the first, Saudi newspapers and TV channels were celebrating, like a wedding, the embracement of the Italian Ambassador in Saudi Arabia, Turcowato Cardilli, of Islam. His embracement is considered as a sweeping reply to the offensive attack launched against Islam and its civilization by the Italian Prime Minister, Perlisconi.

As for the second, namely, pilgrimage where souls of Muslims all over the world strive for performing the rites of pilgrimage, seeing the honorable Ka`bah and performing prayers as they could at the Ancient House in a kind of respond to the call of the father of the prophets, Ibrahim (Abraham), may the peace of Allah be upon him, saying:

﴿Our Lord, surely I have made (some) of my offspring to dwell in a valley that is not under cultivation at Your Inviolable House. Our Lord, that they may keep up the prayer, so make heart-sights of mankind yearn towards them and provide them with products, that possibly they would thank (You).﴾ [Ibrahim (Ibraham) :37]

I was astonished to see this huge number of Muslims who came to perform the rites of pilgrimage. Rightly mentioned, the more Islam is criticized or attacked, the more Muslims stick and adhere to it like those who whenever stormy wind blows aiming at taking their clothes away their sticking to it increases.

My advice to those who hate and attack Islam would be, to ask the Muslim Turcowato Cardilli about the reasons behind his embracing Islam; perhaps Allah, the Most High, will guide them too.

AL-AZHAR MAGAZINE

Dhul-Hijjah 1423 A. H.

ENGLISH SECTION

Feb./ Mar.. 2003

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

الفهرس السنوى لعام ١٤٢٣هـ

المحرم

● من الجديد عن حادث الهجرة النبوية (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ٢

● من وحــى الهجــرة
لفضيلة الأستاذ الدكتور/
محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ٨

● هجرة الرسول والطبع العربى
للأستاذ الدكتور/ على عبدالواحد وافى ١٦

● املأ الأرض نوراً (قصيدة)
للشاعر/ أحمد محرم ٢٠

● الهجرة حدث تاريخى عظيم
للشيخ/ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح ٢٤

● محنــة مؤمــن
للأستاذ/ شوقى محمود أبوناجى ٢٧

● الهجرة تذكير وإيناس
للشيخ/ الطاهر الحامدى ٣٠

● دلائل القدرة الإلهية
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٣٦

● من آيات الله فى السماء
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ٤٠

● أمومة من صنع الإيمان
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ٤٥

● مَن الإرهابــــى؟
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ٥١

● كتــاب الشــهر:
الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامى
عرض وتقديم أ.د/ إبراهيم عوضين ٥٧

● عمر بن الخطاب والقدس
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ٦٤

● هل كان ابن رشد فيلسوفاً مادياً؟!
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ٧٠

● النعمان بن مقرن المزنى
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ٧٥

● طــرائف.. ومواقــف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٨٠

● الشــباب.. والفــراغ
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ٨٢

● شكر النعمة وجحودها (١)
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ٨٦

● القدرة الإلهية وإلهام الحيوان
للدكتور/ حسين عباس الأنصارى ٩٠

● رســالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ٩٤

● كيف نقدم إسلامنا للغرب؟!
أجرى الحوار/ إسماعيل أبوالهيثم ٩٧

● خطبة الجمعة: مصدر العزة
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٠٠

● اســتفتاءات القــراء
إعداد الشيخ/ معوض مبروك عباس ١٠٣

● صرخة فى واد
للأستاذ/ مجدى بشير ١٠٦

● من الأدب العبــرى
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٠٨

● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١١١

● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة ١١٣

● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٢٠

● أنباء مكتب شيخ الأزهر
للشيخ/ عمر البسطويسى ١٢٢

صفر

● إسرائيل تجرنا لحرب أمريكا
المحرر ١٢٩
● قدموا النص القرآنى (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٣٢
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٣٧
● السلم
لفضيلة الشيخ/ عبدالرحمن الجزيرى ١٤٣
● مات المعتصم
لفضيلة الأستاذ الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٤٨
● النفوذ اليهودى فى أمريكا
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ١٥٢
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود القشنى ١٥٧
● غدا ينطق الحجر
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٦١
● من أجل مواجهة أكثر فعالية
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٦٨
● فلسطين وسياسة أمريكا
للشاعر الكبير الأستاذ/ فؤاد الخطيب ١٧٥
● قصة العدد: وامثنياه
بقلم/ عابر سبيل ١٨٠
● لسنا إرهابيين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٨٧
● الأمة الوارثة وبشائر التمكين فى الأرض
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١٩٠
● حضارة قوم نوح
للدكتور/ على أحمد على ١٩٥
● القرآن دستور الإسلام
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٢٠٢
● الآثار النفسية فى أسلوب القرآن الكريم
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ٢٠٨
● اغتيال إسلامية فيلسوف
للدكتور/ محمد عمارة ٢١٤
● دروس فى بناء الرجال
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ٢٢١
● كتاب الشهر:
الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامى
عرض ونقد أ. د. إبراهيم عوضين ٢٢٩
● أمهات الكتب العلمية فى التراث الإسلامى
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ٢٤١
● أنظموا أوطاننا أسرا
للشاعر/ محمد مصطفى حمام ٢٤٨
● طرائف.. ومواقف
لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٢٥٠
● الشيخ محمد زكى إبراهيم
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الجيوشى ٢٥٢
● الإمام الزيلعى
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ٢٦٠
● شكر النعمة وجحودها
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ٢٦٥
● صرخة فى واد
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ٢٦٩
● رسالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ٢٧١
● خطبة الجمعة: جهلة بالسنة
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ٢٧٤
● استفتاءات القراء
تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ٢٧٧
● بين المجلة والقارىء
إعداد الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٢٨٠
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ٢٨٥
● أنباء مكتب شيخ الأزهر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ٢٩٠
● القسم الإنجليزى ٣٠٣

ربيع الأول

● فى ذكرى المولد النبوى (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/محمد رجب البيومى ٣٠٦
● مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثانى عشر
متابعة/ أحمد تقى الدين ٣١٢
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر ٣٥٠
● توجيهات تربوية من القرآن الكريم
للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى ٣٥٤
● من طاعة الله وعبادته
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٣٥٩
● مواقف إسلامية
للأستاذ الدكتور محمود عمارة ٣٦٣
● أهديك التحية ضارعا (قصيدة)
لفضيلة الشيخ/محمد أحمد الطاهر الحامدى ٣٦٧
● لسنا إرهابيين
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ٣٧٠
● الإسلام وحقوق الإنسان
للأستاذ الدكتور/ عبدالغفار حامد هلال ٣٧٣
● الإسلام يخاطب المستقبل
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ٣٧٩
● فلسفة العقوبات فى التشريع الإسلامى
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ٣٨٣
● دعوة إلى العرب (قصيدة)
للأستاذ/ كمال النجمى ٣٨٧
● كتاب الشهر
حوار حول رواية وليمة لأعشاب البحر
عرض وتقديم ا.د./ إبراهيم عوضين ٣٩٠
● فرعون
للأستاذ/ فكرى ياسين ٣٩٩
● حضارة قوم نوح
للدكتور/ على أحمد على ٤٠٣
● اغتيال إسلامية فيلسوف
للدكتور/ محمد عمارة ٤٠٩
● من أعلام الأزهر:
الشيخ محمد حافظ سليمان
للأستاذ/ حمدى أبو السعود ٤١٥
● طرائف.. ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٤١٨
● منزلة الذكر ومعانيه ودرجاته
لفضيلة الشيخ/فوزى الزفزاف ٤٢٠
● الأمويون وتأكيد هوية القدس الإسلامية
للأستاذ الدكتور/ محمد ابراهيم الفيومى ٤٢٥
● مغالطات إسرائيلية وحقائق تاريخية
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ٤٣١
● قصة العدد
للأستاذ/ أحمد التاجى ٤٣٦
● قراءة فى الأدب الصهيونى
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ٤٤١
● سقوط الأقنعة
لفضيلة الشيخ/الطاهر الحامدى ٤٤٦
● حول مصادر التفسير
للأستاذ/ توفيق العبقرى ٤٤٩
● رسالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ٤٥٣
● فى أجواء السعادة
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ٤٥٧
● بيان القرآن عن تكوين الإنسان
للدكتور/ محمود خطاب ٤٦٠
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمود الفشنى ٤٦٤
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٤٦٩
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ٤٧٥
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ٤٧٨
● القسم الإنجليزى ٤٨٥

ربيع الآخر

● النص القرآنى هو الفيصل «الافتتاحية»
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ٤٩٨
● الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ٥٠٤
● تفسـير سـورة البقـرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٥١٥
● فى الأصول القرآنية للتربية
للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب ٥٢٠
● السـنة: العـدل
لفضيلة الأستاذ/ عبد الرحمن الجزيرى
إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم ٥٢٥
● رسـول الله ﷺ فى شـبابه
للأستاذ/ محمد حسن دراز ٥٢٩
● سماحة التشريع الإسلامى سر انتشاره
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٥٣٣
● مجالات التنافس الشريف
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ٥٣٩
● التأويل الرشدى: عربى؟ أم غربى؟!
للدكتور/ محمد عمارة ٥٤٤
● كتاب الشهر: حوار حول رواية وليمة لأعشاب البحر
عرض وتقديم أ.د/ إبراهيم عوضين ٥٤٩
● قصة العدد: الحظ السعيد ٥٥٧
● قيمة الكلمة «قصيدة»
للدكتور/ عبد المنعم عبد الله حسن ٥٦٤
● الخطابة المثالية فى مرآة النقد «١»
للأستاذ الدكتور/ أحمد محمد حنطور ٥٦٧
● ضوابط حرية الاعتقاد فى الإسلام
للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى ٥٧٣
● الإسـلام وحقـوق الإنسـان
للأستاذ الدكتور/ عبد الغفار حامد هلال ٥٧٦
● حقوق الإنسان.. رؤية أمريكية
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ٥٨٤
● لاجئ ينشـد وطـنًا
للأستاذ/ خير الدين الزركلى ٥٨٨
● اليهود فى الإعلام الأمريكى
للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد ٥٩٣
● نهاية إسرائيل محتومة
للدكتور/ حمدى فتوح والى ٥٩٨
● فـرق.. تسـد
للدكتور/ محمد حسن عبد الخالق ٦٠٥
● هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٦١١
● قول الحق.. أم.. لغو المفترين
للدكتور/ على أحمد على ٦٢٠
● طـرائف.. ومواقـف
لفضيلة الشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٦٢٤
● الحياء مظاهره وأقسامه
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ٦٢٦
● خطبة الجمعة: حضارة الذئاب
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ٦٣٠
● رسـالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبد الفتاح جمعان ٦٣٣
● مناجـاة قـلب
للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير ٦٣٥
● بيـن المجلـة والقـارئ
إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة ٦٣٩
● من أنباء مجمع البحوث الإسلامية
إعداد/ محمود الفشنى ٦٤٨
● أنبـاء العـالم الإسـلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ٦٥٠
● أنبـاء مكـتب شـيخ الأزهـر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ٦٥٤
● القسـم الإنجليـزى ٧٧١

جمادى الأولى

● الازدواج النفسى فى حياة الفرد (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ٦٧٤
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٦٨٠
● السنة: الرهن
لفضيلة الشيخ/ عبدالرحمن الجزيرى
إعداد الشيخ/ على حامد عبدالرحيم ٦٨٥
● هوامش على كلمة الدكتور أسامة الباز
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٦٩٠
● الأمة الإسلامية بين مرحلتى الاستدمار والنفاق
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم عويس ٦٩٩
● لماذا كان القصاص حقا مدنيا وليس جنائيا
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ٧٠٣
● مواقف إسلامية
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ٧٠٩
● الوسط فى الميزان الخلقى لدى المسلم
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ٧١٨
● ابن شهاب الزهرى
للأستاذ الدكتور/ عبداللطيف الحديدى ٧٢٢
● اغتيال إسلامية فيلسوف (٥)
للدكتور/ محمد عمارة ٧٢٨
● الحضارة الإسلامية تتفوق ولا تتراجع
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ٧٣٤
● كتاب الشهر:
بين الإنسان الطبيعى والإنسان الصناعى
عرض وتقديم أ. د/ إبراهيم عوضين ٧٣٨
● قصة العدد: مصرع ابن القاسم
بقلم/ عابر سبيل ٧٤٧
● بين الشرق والغرب (قصيدة)
للشاعر الأستاذ/ محمود الخفيف ٧٥٥
● عداوة أمريكا وصداقتها (١)
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ٧٦٠
● الجيتو
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ٧٦٩
● القوى الدينية فى إسرائيل
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ٧٧٤
● طرائف.. ومواقف
إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٧٧٨
● الحلم والصفح من صفات الرسل والأنبياء
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ٧٨٠
● الإسلام.. والحياة
للدكتور/ حسين عباس الأنصارى ٧٨٤
● حكمة الإسلام فيما حرم من الطعام
للأستاذ الدكتور/ عفيفى محمود عفيفى ٧٨٨
● الاهتمام بأدب الطفل فى الإسلام
للأستاذ الدكتور/ صابر عبدالدايم يونس ٧٩٣
● سبحانك بديع السموات والأرض
للدكتور/ على أحمد على ٧٩٧
● رسالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ٨٠٤
● الخطابة المثالية فى مرآة النقد
للأستاذ الدكتور/ أحمد حنطور ٨٠٩
● خطبة الجمعة
الإسلام ضد الإرهاب
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ٨١٤
● اتقوا الله فى خير أجناد الأرض
للأستاذ أحمد السيد تقى الدين ٨١٨
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ٨٢٢
● الجار.. حقوق وواجبات
للأستاذ/ مجدى بشير ٨٢٧
● بين المجلة والقارئ
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٨٣٣
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ٨٣٩
● أنباء مكتب شيخ الأزهر
إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ٨٤٤
● القسم الإنجليزى ٨٦٣

جمادى الآخرة

• مصر عرفت التوحيد قبل إخناتون
لفضيلة أ. د. محمد رجب البيومى ٨٦٦
• تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر أ. د. محمد سيد طنطاوى ٨٧٣
• الإعجاز التربوى فى القرآن الكريم
أ. د. مصطفى رجب ٨٧٩
• كسب الحلال والحرام
لفضيلة الأستاذ/ عبدالرحمن الجزيرى ٨٨٣
• دعوة الإسلام إلى حب الأوطان
أ. د. أحمد عمر هاشم ٨٨٨
• لحظة تفضل العمر
أ. د. محمود محمد عمارة ٨٩١
• هوامش على كلمة د. أسامة الباز
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٨٩٧
• عداوة أمريكا وصداقتها (٢)
أ. د. عبدالعظيم المطعنى ٩٠٥
• عثرات الماضى والعبور إلى المستقبل
أ. د. عبدالحليم عويس ٩١٣
• قومى بين الشرق والغرب (قصيدة)
للأستاذ محمود غنيم ٩١٦
• حوار حول فلسفة ابن رشد
أ. د. محمد عمارة ٩١٩
• وبدأ خلق الإنسان من طين
للدكتور/ على أحمد على ٩٢٩
• كتاب الشهر
بين الإنسان الطبيعى والإنسان الصناعى
عرض وتقديم أ. د. إبراهيم عوضين ٩٣٥
• قراءة نقدية فى كتاب تاريخ الطب
عرض وتعليق أ. د. أحمد فؤاد باشا ٩٤٤
• التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية
عرض وتحليل أ. د. محمد إبراهيم الفيومى ٩٤٩
• الأقلية العربية فى إسرائيل
للأستاذ/صلاح عبدالرحيم ٩٥٦
• نعمة «رواية ليهودا يورلا»
عرض وتعليق د. محمد حسن عبدالخالق ٩٦٩
• الصرخة (قصيدة)
شعر الأستاذ/ محمد فهمى سند ٩٧٣
• التدابير الوقائية للحد من الطلاق
أ. د. محمد الدسوقى ٩٧٥
• قصة العدد «قبل انبثاق الفجر»
للأستاذ/ محمد سعيد العريان ٩٨٠
• طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٩٨٦
• الحلم والصفح من صفات الرسل والأنبياء
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ٩٨٨
• رسالة .. ورد
لفضيلة الشيخ عبدالفتاح جمعان ٩٩٢
• أصول تربية النشء
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ٩٩٥
• بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمود الفشنى ٩٩٦
• بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل خفاجة ٩٩٩
• أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٠٠٦
• أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذ/ عمر البسطويسى ١٠٠٨
• القسم الإنجليزى •
إعداد د. إبراهيم الأصيل ١٠٢٣

رجب

● السيرة النبوية والأدب الشعبى (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٠٢٦
● من تفسير سورة النجم
لفضيلة الإمام الأكبر أ.د/ محمد سيد طنطاوى ١٠٣٢
● من صور الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم
لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة ١٠٤١
● كليات القرآن الكريم
للدكتور/ على أحمد على ١٠٥٠
● الحكم فى نظر الإسلام
لفضيلة الأستاذ/ عبدالرحمن الجزيرى ١٠٥٦
● من نفحات الإسراء والمعراج
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٠٦٣
● زيارة إلى بيت النبوة
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٠٦٧
● الحدود بين الرحمة والقسوة
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٠٧٦
● الإنسان بين الحرية والسنن الإلهية
للدكتور/ عبدالحليم عويس ١٠٨٠
● قالوا عن الحضارة الغربية
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١٠٨٤
● الإسراء والمعراج
شعر لفضيلة الشيخ/ محمد الطاهر الحامدى ١٠٨٩
● عداوة أمريكا وصداقتها
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٠٩٣
● كتاب الشهر: من هو اليهودى
عرض وتحليل أ.د/ إبراهيم عوضين ١٠٩٩
● معركة فى كتاب: تهافت الفلاسفة
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ١١٠٧
● قراءة نقدية فى كتاب: تاريخ الطب
عرض وتعليق أ.د/ أحمد فؤاد باشا ١١١٣
● تنويـــه ١١١٨
● التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية
عرض وتحليل أ.د/ محمد إبراهيم الفيومى ١١١٩
● طرائف ومواقف
لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١١٢٤
● الكيا الهراس
للأستاذ الدكتور/ عبداللطيف الحديدى ١١٢٦
● قصة العدد: رجولة وإباء
للأستاذ/ شوقى أبوناجى ١١٣١
● الدراسات الاستشراقية والأدب العربى
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١١٣٥
● مسئولية العلماء
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١١٤١
● خطـــبة الجمعـــة:
ملامح القوة فى الإسراء والمعراج
لفضيلة الدكتور/ أحمد الشرباصى ١١٤٥
● مؤسسات الاستيطان اليهودى فى إسرائيل
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ١١٤٩
● رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١١٥٤
● لن نصبح شعوبا إسلامية بسمات أمريكية
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١١٦١
● فى الرؤى والأحلام
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١١٦٤
● رسالة..و..رد
لفضيلة الشيخ عبدالفتاح سيد جمعان ١١٦٧
● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١١٧٢
● بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم/ عادل خفاجة ١١٧٤
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١١٨١
● أنباء مكتب شيخ الأزهر
إعداد الشيخ/ عمر البسطويسى ١١٨٣
● القسم الإنجليزى
إعداد أ.د/ إبراهيم الأصيل ١١٩٩

شعبان

● النقد الهادف لا الهدم الجارف (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٢٠٢

● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر ١٢٠٨

● فاتحة الكتاب بين تفسيرين
للأستاذ الدكتور/ محمد العزب ١٢١٣

● السنة: أخذ الله للظالمين
لفضيلة الشيخ/ طه الساكت ١٢١٩

● من نفحات الإسراء (٢)
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٢٢٤

● مواقف إسلامية: بريرة.. وتكاليف الحرية
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٢٢٩

● منهج الإسلام فى العبادة والعمل
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٢٣٦

● الإنسان والكون
للدكتور/ عبدالحليم عويس ١٢٤٣

● معركة فى كتاب: تهافت التهافت
للدكتور/ محمد عمارة ١٢٤٧

● تعقيب على رد ١٢٥٧

● ما يقال عن الإسلام: عداوة أمريكا وصداقتها (٤)
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٢٦٠

● كتاب الشهر: من هو اليهودى
عرض وتحليل أ.د/ إبراهيم عوضين ١٢٧١

● الاقتصاد الإسرائيلى فى ظل انتفاضة الأقصى
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم ١٢٧٩

● بعد النكبة (قصيدة)
للشاعر العراقى/ محمد الأثرى ١٢٨٤

● خطبة الجمعة: الإسلام والتفرقة العنصرية
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٢٨٨

● استفتاءات القراء
للأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب ١٢٩٢

● شهر شعبان وضوء لرمضان
للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى ١٢٩٧

● الكليات.. والأسماء الحسنى
للدكتور/ على أحمد على ١٣٠١

● من معانى الحكمة
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٣٠٧

● قصة العدد: مصرع خبيب
للأستاذ/ ناجى الطنطاوى ١٣١١

● طرائف.. ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٣١٦

● الراحمون يرحمهم الرحمن
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٣١٨

● صورة مشرقة من أدب المتعلمين مع معلميهم
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٣٢١

● رسالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ١٣٢٤

● اليهود وتهمة الدم
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٣٢٨

● بين الصحف والمجلات
إعداد الأستاذ/ محمود الفشنى ١٣٣١

● بين المجلة والقارئ
للأستاذ/ عادل خفاجة ١٣٣٥

● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٣٤١

● أنباء مكتب شيخ الأزهر
لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى ١٣٤٣

● القسم الإنجليزى
إشراف الأستاذ الدكتور/ إبراهيم الأصيل ١٣٥٩

رمضان

● الصوم فى مرآة الغزالى (افتتاحية العدد)
للأستاذ الدكتور/محمد رجب البيومى ١٣٦٢
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٣٦٨
● فاتحة الكتاب بين تفسيرين (٢)
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٣٧٦
● سمات التربية القرآنية
للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب ١٣٨٢
● محاورة بين السادة والأتباع
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ١٣٨٥
● السنة: التساؤل والاختلاف
لفضيلة الشيخ/ فكرى ياسين ١٣٨٩
● صامت الأكوان بما فيها الإنسان فمتى تصوم المدافع
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٣٩٣
● إعجاز الكلمة فى شهر القرآن
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٣٩٧
● هلال الصوم (قصيدة)
للأستاذ الدكتور/ عبدالمنعم عبدالله ١٤٠١
● الصوم وأنواعه
للأستاذ الدكتور/ محمد بدر معبدى ١٤٠٣
● خطبة الجمعة، الإيمان طريق النصر
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٤٠٩
● الصيام والصحة
للدكتور/ حسين الانصارى ١٤١٢
● التحدى الحضارى بين مفكرى الإسلام والمستشرقين
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١٤١٦
● رشيد رضا ومدرسة الإحياء والتجديد
للدكتور/ محمد عمارة ١٤١٩
● قراءة إيمانية فى كتاب الكون والحياة
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٤٢٤
● عالمية الأدب الإسلامى فى فكر بديع الزمان النورسى
للدكتور/ عبدالحليم عويس ١٤٢٨
● مكانة الشهداء فى سبيل الله
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٤٣١
● كتاب الشهر: من هو اليهودى؟
عرض وتقديم / أ.د. إبراهيم عوضين ١٤٣٥
● ماذا ينتظر العرب والمسلمون؟!
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٤٤٤
● جواب الشهيد (قصيدة)
للدكتور/ محمد عبدالمنعم العربى ١٤٥٠
● النشاط العلمى فى إسرائيل
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم ١٤٥٣
● الصوم فى الديانة اليهودية
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٤٥٨
● صنائع المعروف
بقلم/ عابر سبيل ١٤٦١
● إستفتاءات القراء
للأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب ١٤٦٨
● كليات القدرة تصحب خواطرنا
للدكتور/ على أحمد على ١٤٧١
● الموعظة الحسنة وأثرها فى إصلاح النفوس
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٤٧٥
● دعوة للأدباء
للأستاذ/ مجدى بشير ١٤٧٩
● طرائف ومواقف
للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٤٨٢
● تأملات فى منهج الدعوة الإسلامية
للأستاذ/ احمد السيد تقى الدين ١٤٨٤
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمود الفشنى ١٤٨٦
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل خفاجة ١٤٨٨
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٤٩٤
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للشيخ/ عمر البسطويسى ١٤٩٨
● القسم الإنجليزى
إشراف أ.د/ إبراهيم الأصيل ١٥١٩

شوال

● في عالم النفس: كيف نتغلب على الأحزان
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي ١٥٢٢
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٥٢٦
● يوم الناقور
لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة ١٥٣١
● السنة: الحداء
لفضيلة الشيخ/ فكرى ياسين ١٥٣٦
● المنهج الإسلامى فى الحوار
لفضيلة الشيخ/ محمود عاشور ١٥٤٠
● الإسلام قضية عادلة فى يد محام فاشل!
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٥٤٤
● واجبات المسلمين فى غير أوطانهم
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٥٥٠
● التحدى الحضارى بين مفكرى الإسلام والمستشرقين (٢)
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١٥٥٥
● كتاب الشهر: انتشار الإسلام بحد السيف
عرض وتحليل أد/ إبراهيم عوضين ١٥٥٩
● العطاء العلمى للحضارة الإسلامية
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٥٦٩
● الأندلسية (قصيدة)
للشاعر العربى الكبير/ شكيب أرسلان ١٥٧٤
● منار الإحياء والنهضة والتجديد
للدكتور/ محمد عمارة ١٥٧٩
● كيف نصبح خير أمة أخرجت للناس؟
للدكتور/ حمدى فتوح والى ١٥٨٦
● مواقف إسلامية: الفاروق عمر الحاكم الإنسان
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٥٩٠
● التكاملية بين الدينى والدنيوى فى الرؤية الإسلامية
للدكتور/ عبدالحليم عويس ١٥٩٦
● استفتاءات القراء
يجيب عنها أد/ أحمد الطيب ١٦٠٠
● خطبة الجمعة: آداب الأعياد
للأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٦٠٤
● الأسرة من المنظور الإسلامى
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٦٠٧
● طرائف.. ومواقف
للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٦١٠
● الموعظة الحسنة
للشيخ/ فوزى الزفزاف ١٦١٢
● القدرة.. والكون.. والمصير
للدكتور/ على أحمد على ١٦١٧
● رسالة.. و.. رد
للشيخ/ عبدالفتاح جمعان ١٦٢٣
● دفع مفتريات حول السيدة نفيسة
للأستاذ الدكتور/ عبداللطيف الحديدى ١٦٢٧
● تحريم أكل الميتة وأخواتها فى ضوء العلم الحديث
للأستاذ الدكتور/ عفيفى محمود عفيفى ١٦٣١
● الشاعر الإسلامى محمد عبدالرحمن صان الدين
للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ ١٦٣٨
● أطماع إسرائيل فى المياه العربية
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ١٦٤٤
● التدابير الوقائية قبل عقد الزواج
للأستاذ الدكتور/ محمد الدسوقى ١٦٤٩
● إعجاز العلم الأعجمى فى القرآن الكريم
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٦٥٥
● ولا تفرقوا
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٦٥٩
● سفينة التقوى والإيمان
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٦٦٢
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمود الفشنى ١٦٦٤
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل خفاجة ١٦٦٨
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٦٧٥
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للشيخ/ عمر البسطويسى ١٦٧٨
● القسم الإنجليزى
إعداد وإشراف أد/ إبراهيم الأصيل ١٦٩٥

ذو القعـــدة

● الحج ارتقاء خلقى وطهارة نفسية (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور /محمد رجب البيومى ١٦٩٨
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٧٠٤
● الحدود الشرعية
لفضيلة الشيخ/ عبدالرحمن الجزيرى ١٧٠٩
● السنة النبوية وهل خدمت
للمستشار الدكتور/ محمد شوقى الفنجرى ١٧١٤
● شهر الصيام فى أمستردام
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ١٧٢٣
● من المنافع الاقتصادية للحج والعمرة
للأستاذة الدكتورة/ زينب الأشوح ١٧٢٩
● فى موسم الحج (قصيدة)
للشاعر/ محمود غنيم ١٧٣٦
● مواقف إسلامية: غزوة بنى المصطلق
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٧٣٩
● واجب أمتنا فى المرحلة الراهنة
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٧٤٤
● كتاب الشهر: انتشار الإسلام بحد السيف
عرض وتحليل أ. د/ إبراهيم عوضين ١٧٤٨
● الإسلام هو المنقذ
للأستاذ الدكتور/ حمدى فتوح والى ١٧٥٧
● حتى نهزم اليأس فى واقعنا المعاصر
للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب ١٧٦١
● رؤية إسلامية للتعددية الفكرية
للدكتور/ محمد عمارة ١٧٦٩
● مكسيم رودنسون وكتابه: (جاذبية الإسلام)
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١٧٧٤
● الإسلام قضية عادلة فى يد محام فاشل
للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى ١٧٧٩
● قضية التقدم ومعايير الثقافة العلمية الإسلامية
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٧٨٦
● شجاعة العلماء
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٧٩١
● طـرائف.. ومواقـف
لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٧٩٤
● ذات النطـــاقين
للأستاذ/ محمود شاكر ١٧٩٦
● الأزهر فى عيده الألفى (قصيدة)
للأستاذ الدكتور/ حسن جاد حسن ١٨٠٠
● القدس بين شعراء الشعوب الإسلامية
عرض وتحليل د/ عبدالحليم عويس ١٨٠٤
● النشاط التقنى الصناعى فى إسرائيل
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ١٨٠٩
● الأطفال أضحية أو قرابين
للدكتور/ على أحمد على ١٨١٤
● الأعيـــاد اليهوديـــة
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ١٨٢١
● من جرائم اليهود الصهاينة
لفضيلة الشيخ/ عبدالخالق نصير ١٨٢٤
● اســـتفتاءات القـــراء
لفضيلة أ. د/ أحمد الطيب ١٨٢٦
● بيـــت الله الحـــرام
للأستاذ/ عبدالسلام ناصف ١٨٣٠
● فى الحـــج (قصـــيدة)
للشاعر/ عبدالفتاح سالم ١٨٣٥
● تأمـلات فى خلـق الإبـــل
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٨٣٦
● رســـالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح جمعان ١٨٣٨
● حتى لا يصبح الإفتاء مهنة من لا مهنة له
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ١٨٤١
● بين الصحف والمجلات
للأستاذ/ محمود الفشنى ١٨٤٤
● بيـن المجلـة والقـــارىء
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ١٨٤٦
● أنبـــاء العـــالم الإســـلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ١٨٥٢
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للشيخ/ عمر البسطويسى على ١٨٥٥
● القـــسم الإنجليـــزى
إعداد أ. د/ إبراهيم الأصيل ١٨٧١

ذو الحجــة

● من زائرات البيت الحرام فى موسم الحج (الافتتاحية)
للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى ١٨٧٤
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٨٨٠
● من الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم
للشيخ/ صديق بكر عيطة ١٨٨٦
● الحــدود الشــرعية (٢)
لفضيلة الأستاذ/ عبدالرحمن الجزيرى ١٨٩٢
● المرأة المؤمنة تصنع المستقبل ولا تنتظره
للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة ١٨٩٧
● من ركائز التضامن الإسلامى
للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم ١٩٠٥
● كتاب الشهر: انتشار الإسلام بحد السيف (٣)
عرض وتحليل أ.د/ إبراهيم عوضين ١٩١٢
● المفاهيم الحضارية بين التأصيل العلمى والتضليل التحريفى
للدكتور/عبدالحليم عويس ١٩٢١
● رودنسون: ومشروع خطاب التفاهم المشترك
للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى ١٩٢٥
● المشروع الغربى والتعددية فى الحضارات
للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ١٩٣١
● الإسلام قضية عادلة فى يد محام فاشل
للأستاذ الدكتور/عبدالعظيم المطعنى ١٩٣٩
● العيــد الحزيــن (قصيدة)
للشاعر الأستاذ/ أحمد مخيمر ١٩٤٦
● عيــد.. وعيــد (قصيدة)
للشاعر الأستاذ/ إبراهيم الوائلى ١٩٤٨
● معاداة السامية فى الفكر الصهيونى
للأستاذ/ صلاح عبدالرحيم محمد ١٩٥٢
● أساسيات علوم الأرض فى التراث العربى
للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا ١٩٥٧
● الكعبــة المشــرفة
للأستاذ/ عبدالسلام ناصف ١٩٦٥
● شــجاعة العلمــاء (٢)
لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف ١٩٧٠
● قصة العدد: دار مؤمنة
للأستاذ/ محمد سعيد العريان ١٩٧٤
● كيف نقتلع جذور الثأر
للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى ١٩٧٧
● خطبة الجمعة: أسلوب الدعوة إلى الله
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى ١٩٨٢
● طــرائف.. ومواقــف
لفضيلة الشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٩٨٦
● اســتفتاءات القــراء
يجيب عنها الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب ١٩٨٨
● الحج رحلة إلى الله تعالى
لفضيلة الشيخ/ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح ١٩٩٣
● رســالة.. و.. رد
لفضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان ١٩٩٦
● إنهــم لا يســتحون
للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين ٢٠٠٠
● شهر الصيام فى أمستردام (٢)
لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى ٢٠٠٢
● الرســالة والأخبــار
للدكتور/ على أحمد على ٢٠٠٨
● من نتائج الهجرة إلى الحبشة
للشيخ/ عبدالخالق عطية نصير ٢٠١٧
● بــدون عنــوان
للدكتور/ محمد حسن عبدالخالق ٢٠٢١
● دعــوة للحيــاة
للأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ٢٠٢٣
● بين الصــحف والمجــلات
للأستاذ/ محمود الفشنى ٢٠٢٥
● بيــن المجلــة والقــارئ
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٢٠٢٧
● أنبــاء العالــم الإســلامى
للأستاذ/ محمد الشرقاوى ٢٠٣٢
● أنباء مكتب شيخ الأزهر
للشيخ/ عمر البسطويسى ٢٠٣٤
● القســم الإنجليــزى
إعداد أ.د/ إبراهيم الأصيل ٢٠٥٢
● الفهــرس السنوى لعام ١٤٢٣هـ ٢٠٥٣